الأغاني

ابو الفرج الأصبهاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الأول

ذكر المائة الصوت المختارة

إجماع المغنين على اختيار الأصوات الثلاثة

الشاملة لجميع نغم الغناء أخبرنا أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال حدثني أبي قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن أباه أخبره أن الرشيد - رحمة الله عليه - أمر المغنين، وهم يومئذ متوافرون، أن يختاروا له ثلاثة أصوات من جميع الغناء، فأجمعوا على ثلاثة أصوات أنا أذكرها بعد هذا إن شاء الله.

قال إسحاق: فجرى هذا الحديث يوماً وأنا عند أمير المؤمنين الواثق بالله، فأمرني باختيار أصوات من الغناء القديم، فاخترت له من غناء أهل كل عصر ما اجتمع علماؤهم على براعته وإحكام صنعته، ونسبته إلى من شدا به، ثم نظرت إلى ما أحدث الناس بعد ممن شاهدناه في عصرنا وقبيل ذلك، فاجتبيت منه ما كان مشبهاً لما تقدم أو سالكاً طريقه، فذكرته و لم أبخسه ما يجب له وإن كان قريب العهد؛ لأن الناس قد يتنازعون الصوت في كل حين وزمان، وإن كان السبق للقدماء إلى كل إحسان.

وأخبرني أحمد بن جعفرٍ جحظة قال حدثني هارون بن الحسن بن سهل وأبو العبيس بن حمدون وابن دقاق وهو محمد بن أحمد بن يحيى المعروف بابن دقاق بهذا الخبر، فزعم: أن الرشيد أمر هؤلاء المغنين أن يختاروا له مائة صوت فاختاروها، ثم أمرهم باختيار عشرة منها فاختاروها، ثم أمرهم أن يختاروا منها ثلاثة ففعلوا. وذكر نحو ما ذكره يحيى بن علي، ووافقه في صوت من الثلاثة الأصوات، وخالفه في صوتين. وذكر يحيى بن علي بإسناده المذكور أن منها لحن معبد في شعر أبي قطيفة وهو من خفيف الثقيل الأول:

القصر فالنخل فالجماء بينهما ... أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

ولحن ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة، ولحنه من الثقيل الثاني:

تشكى الكميت الجري لما جهدته ... وبين لو يسطيع أن يتكلما

ولحن ابن محرزٍ في شعر نصيب، وهو من الثقيل الثاني أيضاً:

أهاج هواك المنزل المتقادم؟ ... نعم، وبه ممن شجاك معالم

وذكر جحظة عمن روى عنه أن من الثلاثة الأصوات لحن ابن محرز في شعر المجنون، وهو من الثقيل الثاني:

إذا ما طواك الدهر يا أم مالك ... فشأن المنايا القاضيات وشانيا

ولحن إبراهيم الموصلي في شعر العرجي، وهو من خفيف الثقيل الثاني:

إلى جيداء قد بعثوا رسولا ليحزنها، فلا صحب الرسول

ولحن ابن محرز في شعر نصيب، وهو على ما ذكر هزج:

أهاج هواك المنزل المتقادم؟ نعم، وبه ممن شجاك معالم

وحكى عن أصحابه أن هذه الثلاثة الأصوات على هذه الطرائق لا تبقى نغمةٌ في الغناء إلا وهي فيها.

رواية أن المغنين أجمعوا على صوت واحد من هذه الثلاثة وتفنيد أبي الفرج لهذه الرواية أخبرني الحسن بن علي الأدمي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثني أبو توبة صالح بن محمد قال حدثني محمد بن جبر المغني قال حدثني إبراهيم بن المهدي: أن الرشيد أمر المغنين أن يختاروا له أحسن صوت غني فيه، فاختاروا له لحن ابن محرز في شعر نصيب:

أهاج هواك المنزل المتقادم؟

قال: وفيه دور كثير، أي صنعة كثيرة. والذي ذكره أبو أحمد يحيى بن علي أصح عندي. ويدل على ذلك تباين ما بين الأصوات التي ذكرها والأصوات الأخر في جودة الصنعة وإتقانها وإحكام مباديها ومقاطعها وما فيها من العمل، وأن الأخرى ليست مثلها ولا قريبةً منها. وأخرى هي أن جحظة حكى عمن روى عنه أن فيها صوتاً لإبراهيم الموصلي، وهو أحد من كان اختار هذه الأصوات للرشيد، وكان معه في اختيارها إسماعيل بن جامع وفليح بن العوراء، وليس أحد منهما دونه إن لم يفقه، فكيف يمكن أن يقال: إنهما ساعدا إبراهيم على اختيار لحنٍ من صنعته في ثلاثة أصوات اختيرت من سائر الأغاني وفضلت عليها! ألم يكونا لو فعلا ذلك قد حكما لإبراهيم على أنفسهما بالتقدم والحذق والرياسة وليس هو كذلك عندهما؟ ولقد أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم عن حماد بن إسحاق عن أبيه:

أنه أتى أباه إبراهيم بن ميمون يوماً مسلماً، فقال له أبوه: يا بني، ما أعلم أحداً بلغ من بر ولده ما بلغته من برك، وإني لأستقل ذلك لك، فهل من حاجة أصير فيها إلى محبتك؟ قلت: قد كان - جعلت فداك - كل ما ذكرت فأطال الله لي بقاءك، ولكني أسالك واحدةً: يموت هذا الشيخ غداً أو بعد غد و لم أسمعه، فيقول الناس لي ماذا وأنا أحل منك هذا المحل. قال لي: ومن هو؟ قلت: ابن جامع. قال: صدقت يا بني، أسرجوا لنا. فجئنا ابن جامع، فدخل علينا أبي وأنا معه، فقال: يا أبا القاسم، قد جئتك في حاجة، فإن شئت فاشتمني، وإن شئت فاقذفني، غير أنه لا بد لك من قضائها. هذا عبدك وابن أخيك إسحاق قال لي كذا وكذا، فركبت معه أسالك أن تسعفه فيما سأل. فقال: نعم، على شريطةٍ: تقيمان عندي أطعمكما مشوشةً وقلية وأسقيكما من نبيذي التمري وأغنيكما، فإن جاءنا رسول الخليفة مضينا إليه وإلا أقمنا يومنا. فقال أبي: السمع والطاعة، وأمر بالدواب فردت. فجاءنا ابن جامع بالمشوشة والقلية ونبيذه التمري فأكلنا وشربنا، ثم اندفع فغنانا، فنظرت إلى أبي يقل في عيني ويعظم ابن جامع حتى صار أبي في عيني كلا شيء. فلما طربنا غاية الطرب جاء رسول الخليفة

فركبا وركبت معهما. فلما كنا في بعض الطريق قال لي أبي: كيف رأيت ابن جامع يا بني؟ قلت له: أو تعفيني جعلت فداك! قال: لست أعفيك فقل. فقلت له: رأيتك ولا شيء أكبر عندي منك قد صغرت عندي في الغناء معه حتى صرت كلا شيء. ثم مضيا إلى الرشيد، وانصرفت إلى منزلي؛ وذلك لأني لم أكن بعد وصلت إلى الرشيد. فلما أصبحت أرسل إلي أبي فقال: يا بني، هذا الشتاء قد هجم عليك وأنت تحتاج فيه إلى مؤنة وإذا مالٌ عظيمٌ بين يديه، فاصرف هذا المال في حوائجك. فقمت فقبلت يده ورأسه وأمرت بحمل المال واتبعته، فصوت بي: يا إسحاق ارجع، فرجعت. فقال لي: أتدري لم وهبت لك هذا المال؟ قلت: نعم، جعلت فداك! قال: لم؟ قلت: لصدقي فيك وفي ابن جامع. قال: صدقت يا بني، امض راشداً. ولهما في هذا الجنس أخبار كثيرة تأتي في غير هذا الموضع متفرقةً في أماكن تحسن فيها ولا يستغني بما ذكرها هنا عنها. فإبراهيم يحل ابن جامع هذا المحل مع ما كان بينهما من المنافسة والمفاخرة ثم يقدم على أن يختار فيما هو معه فيه صوتاً لنفسه يكون مقدماً على سائر الغناء، ويطابقه هو وفليح عليه! هذا خطأ لا يتخيل. وعلى ما به فإنا نذكر الصوتين اللذين رويناهما عن جحظة المخالفين لرواية يحيى بن علي، بعد ذكرنا ما رواه يحيى، ثم نتبعهما باقي الاختيار. فأول ذلك من رواية أبي الحسن علي بن يحيى.

الكلام على أحد هذه الأصوات الثلاثة

صوت فيه لحنان

القصر فالنخل فالجماء بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

إلى البلاط فما حازت قرائنه دورٌ نزحن عن الفحشاء والهون

قد يكتم الناس أسراراً فأعلمها ولا ينالون حتى الموت مكنوني

عروضه من أول البسيط. القصر الذي عناه هاهنا: قصر سعيد بن العاص بالعرصة. والنخل الذي عناه: نخل كان لسعيد هناك بين قصره وبين الجماء وهي أرض كانت له، فصار جميع ذلك لمعاوية بن أبي سفيان بعد وفاة سعيد، ابتاعه من ابنه عمرو باحتمال دينه عنه؛ ولذلك خبرٌ يذكر بعد. وأبواب جيرون بدمشق. ويروى: "حاذت قرائنه" من المحاذاة. والقرائن: دور كانت لبني سعيد بن العاص متلاصقة؛ سميت بذلك لاقترانها. ونزحن: بعدن، والنازح: البعيد؛ يقال: نزح نزوحاً. والهون: الهوان. قال الراجز:

لم يبتذل مثل كريمٍ مكنون أبيض ماضٍ كالسنان المسنون

كان يوقى نفسه من الهون

والمكنون: المستور الخفي، وهو مأخوذ من الكن. الشعر لأبي قطيفة المعيطي، والغناء لمعبد، وله فيه لحنان: أحدهما خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى في مجراها من رواية إسحاق وهو اللحن المختار، والآخر ثقيلٌ أول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة.

خبر أبي قطيفة

نسبه

هو عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط. واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. هذا الذي عليه النسابون.

وذكر الهيثم بن عدي في "كتاب المثالب" أن أبا عمرو بن أمية كان عبداً لأمية اسمه ذكوان فاستلحقه. وذكر أن دغفلاً النسابة دخل على معاوية فقال له: من رأيت من علية قريش؟ فقال: رأيت عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس. فقال: صفهما لي. فقال: كان عبد المطلب أبيض مديد القامة حسن الوجه، في جبينه نور النبوة وعز الملك، يطيف به عشرة من بنيه كأنهم أسد غاب. قال: فصف أمية. قال: رأيته شيخاً قصيراً نحيف الجسم ضريراً يقوده عبده ذكوان. فقال: مه، ذاك ابنه أبو عمرو. فقال: هذا شيء قلتموه بعد وأحدثتموه، وأما الذي عرفت فهو الذي أخبرتك به. ثم نعود إلى سياقة النسب من لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.
والنضر عند أكثر النسابين أصل قريش، فمن ولده النضر عد منهم، ومن لم يلده فليس منهم. وقال بعض نسابي قريش: بل فهر بن مالك "أصل" قريش، فمن لم يلده فليس من قريش. ثم نعود للنسب إلى النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. وولد إلياس يقال لهم خندف، سموا بأمهم خندف وهو لقبها، واسمها ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وهي أم مدركة وطابخة وقمعة بني إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن يشجب - وقيل: أشجب - بن نبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم، هذا النسب الذي رواه نسابو العرب وروي عن ابن شهاب الزهري وهو من علماء قريش وفقهائها.
وقام قوم آخرون من النسابين ممن أخذ - فيما يزعم - عن دغفل وغيره: معد بن عدنان بن أدد بن آمين بن شاجيب بن نبت بن ثعلبة بن عتر بن سرائج بن ملحم بن العوام بن المحتمل بن رائمة بن العقيان بن علة ابن شحدود بن الضرب بن عيفر بن إبراهيم بن إسماعيل بن رزين بن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القسور بن عتود بن دعدع بن محمود بن الرائد بن بدوان بن أمامة بن دوس بن حصين بن النزال بن الغمير بن محشر بن معذر بن صيفي بن نبت بن قيدار بن إسماعيل ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله صلى الله عليهما وعلى أنبيائه أجمعين وسلم تسليماً. ثم أجمعوا أن إبراهيم بن آزر وهو اسمه بالعربية كما ذكره الله تعالى في كتابه، وهو في التوراة بالعبرانية تارح بن ناحور، وقيل: الناحر بن الشارع وهو شاروع بن أرغو وهو الرامح بن فالغ - وهو

قاسم الأرض الذي قسمها بين أهلها - بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ وهو الرافد بن سام بن نوح صلى الله عليه وسلم ابن لامك وهو في لغة العرب ملكان ابن المتوشلخ وهو المنوف بن أخنخ وهو إدريس نبي الله عليه السلام بن يارد وهو الرائد بن مهلايل بن قينان وهو قنان بن أنوش وهو الطاهر بن شيثٍ وهو هبة الله. يقال له أيضاً شاث بن آدم أبي البشر صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وعلى نبينا محمد خاصة وسلم تسليماً. هذا الذي في أيدي الناس من النسب على اختلافهم فيه.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم تكذيبٌ للنسابين ودفعٌ لهم. وروي أيضاً خلافٌ لأسماء بعض الأباء. وقد شرحت ذلك في "كتاب النسب" شرحاً يستغنى به عن غيره.

ذكر العنابس والأعياص

من بني أمية وأن أبا قطيفة من الأولين

وأبو قطيفة وأهله من العنابس من بني أمية. وكان لأمية من الولد أحد عشر ذكراً، كل واحد منهم يكنى باسم صاحبه، وهم العاص وأبو العاص، والعيص وأبو العيص، وعمرو وأبو عمرو، وحرب وأبو حرب، وسفيان وأبو سفيان، والعويص لا كنى له. فمنهم الأعياص فيما أخبرنا حرمي بن أبي العلاء - واسمه أحمد بن محمد بن إسحاق، والطوسي - واسمه أحمد بن سليمان - قالا: حدثنا الزبير بن بكار عن محمد بن الضحاك الحزامي عن أبيه قال: الأعياص: العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص والعُويص. ومنهم العنابس وهم حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو. وإنما سموا العنابس لأنهم ثبتوا مع أخيهم حرب بن أمية بعكاظ وعقلوا أنفسهم وقاتلوا قتالاً شديداً فشبهوا بالأسد، والأسد يقال لها العنابس، واحدها عنبسة. وفي الأعياص يقول عبد الله بن فضالة الأسدي:

من الأعياص أو من آل حرب　　　أغر كغرة الفرس الجواد

والسبب في قوله هذا الشعر ما أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة، وحدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، قال: حدثنا المدائني وابن غزالة، قالوا:

أتى عبد الله بن فضالة بن شريك الوالبي ثم الأسدي من بني أسد بن خزيمة عبد الله بن الزبير، فقال له: نفدت نفقتي ونقبت راحلتي. قال: فأحضرها، فقال... أقبل بها، أدبر بها، ففعل. فقال: ارقعها بسبتٍ واخصفها بهلبٍ وأنجد بها يبرد خفها وسر البردين تصح. فقال ابن فضالة: إني أتيتك مستحملاً ولم آتك مستوصفاً، فلعن الله ناقةً حملتني إليك! قال ابن الزبير: إن وراكبها. فانصرف عنه ابن فضالة وقال:

أقول لغلمتي شدوا ركابي　　　أجاوز بطن مكة في سواد

فما لي حين أقطع ذات عرقٍ　　　إلى ابن الكاهلية من معاد

سيبعد بيننا نص المطايا وتعليق الأداوى والمزاد

وكل معبدٍ قد أعلمته مناسمهن طلاع النجاد

أرى الحاجات عند أبي خبيبٍ نكدن ولا أمية بالبلاد

من الأعياص أو من آل حرب أغر كغرة الفرس الجواد

أبو خبيب: عبد الله بن الزبير، كان يكنى أبا بكر. وخبيب: ابن له هو أكبر ولده، ولم يكن يكنيه به إلا من ذمه، يجعله كاللقب له. قال: فقال ابن الزبير لما بلغه هذا الشعر: علم أنها شر أمهاتي فعيرني بها وهي خير عماته. قال اليزيدي: "إن" ها هنا بمعنى نعم، كأنه إقرارٌ بما قال. ومثله قول ابن قيس الرقيات:

ويقلن شيبٌ قد علا ك وقد كبرت فقلت إنه

عود إلى نسب أبي قطيفة

وأم أبي معيطٍ آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، ولها يقول نابغة بني جعدة:

وشاركنا قريشاً في تقاها وفي أنسابها شرك العنان

بما ولدت نساء بني هلالٍ وما ولدت نساء بني أبان

وكانت آمنة هذه تحت أمية بن عب شمس، فولدت له العاص وأبا العاص وأبا العيص والعويص وصفية وتوبة وأروى بني أمية. فلما مات أمية تزوجها بعده ابنه أبو عمرو - وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك، يتزوج الرجل امرأة ابيه بعده - فولدت له أبا معيطٍ، فكان بنو أمية من آمنة إخوة أبي معيط وعمومته، أخبرني بذلك كله الطوسي عن الزبير بن بكار.

قال الزبير: وحدثني عمي مصعب قال: زعموا أن ابنها أبا العاص زوجها أخاه أبا عمرو، وكان هذا نكاحاً تنكحه الجاهلية. فأنزل الله تعالى تحريمه، قال الله تعالى: "ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً"، فسمي نكاح المقت.

مقتل عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث

وما قالته قتيلة بنت الحارث من الشعر ترثي أخاها وأسر عقبة بن أبي معيط في يوم بدر، فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبراً. حدثنا بذلك محمد بن جرير الطبري قال حدثنا محمد بن حميد الرازي قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق في خبر ذكره طويلٍ، وحدثني به أحمد بن محمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري، قالوا جميعاً.

قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبراً. فقال له - وقد أمر بذلك فيه -: يا محمد، أأنا خاصةً من قريش؟ قال نعم. قال: فمن للصبية بعدي؟ قال: النار. فلذلك يسمى بنو أبي معيط صبية النار. واختلف في قاتله، فقيل: إن علي بن أبي طالب تولى قتله. وهذا من رواية بعض الكوفيين، حدثني به أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة قال: أخبرني المنذر بن محمد اللخمي قال حدثنا سليمان بن عباد قال حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت المدني عن أبيه عن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر علياً يوم بدر فضرب عنق عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث. وروى ابن إسحاق أن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري قتله، وأن الذي قتله علي بن أبي طالب النضر بن الحارث بن كلدة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الحسن بن عثمان قال حدثني ابن أبي زائدة عن محمد بن إسحاق عن أصحابه، وحدثنا محمد بن جرير قال حدثنا "أحمد" بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن أصحابه، قالوا:

قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر عقبة بن أبي معيط صبراً: أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه، ثم أقبل من بدر حتى إذا كان ب "الصفراء" قتل النضر بن الحارث بن كلدة أحد بني عبد الدار، أمر علياً أن يضرب عنقه، قال عمر بن شبة في حديثه ب "الأثيل"، فقالت أخته قتيلة بنت الحارث ترثيه:

يا راكباً إن الأثيل مظنةٌ ... من صبح خامسةٍ وأنت موفق
أبلغ به ميتاً بأن تحيةً ... ما إن تزال بها النجائب تخفق
مني إليك وعبرةً مسفوحةً ... جادت بدرتها وأخرى تخنق
هل يسمعن النمضر إن ناديته ... إن كان يسمع هالك لا ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله أرحامٌ هناك تشقق
صبراً يقاد إلى المنية متعباً ... رسف المقيد وهو عانٍ موثق
أمحمدٌ ولأنت نسل نجيبةٍ ... في قومها والفحل فحلٌ معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فديةٍ فليأتين ... بأعز ما يغلو لديك وينفق
والنضر أقرب من أخذت بزلةٍ ... وأحقهم إن كان عتقٌ يعتق

فبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلته". فيقال: إن شعرها أكرم شعر موتورةٍ وأعفه وأكفه وأحلمه. قال ابن إسحاق: وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان بعرق الظبية قتل عقبة بن أبي معيطٍ. قال حين أمر به أن يقتل: فمن للصبية يا محمد؟ قال: النار. فقلته عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أحد بني عمرو بن عوف.

حدثني أحمد بن الجعد قال حدثنا عبد الله بن محمد بن إسحاق الأدمي قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثني الأوزاعي قال حدثني يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم التيمي قال حدثني عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو فقلت: أخبرني بأشد شيءٍ صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيطٍ فوضع ثوبه في عنق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخنقه به خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر - رحمة الله عليه - حتى أخذ بمنكبه فدفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله!

ولاية الوليد بن عقبة الكوفة

في خلافة عثمان ثم عزله عنها وكان الوليد بن عقبة أخا عثمان بن عفان لأمه، أمهما أروى بنت عامر بن كريز، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. والبيضاء وعبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم توءمان. وكان عقبة بن أبي معيط تزوج أروى بعد وفاة عفان، فولدت له الوليد وخالداً وعمارة وأم كلثوم، كل هؤلاء إخوة عثمان لأمه. وولي عثمان الوليد بن عقبة في خلافته الكوفة، فشرب الخمر وصلى بالناس وهو سكران فزاد في الصلاة، وشهد عليه بذلك عند عثمان فجلده الحد. وسيأتي خبره بعد هذا في موضعه.

وأبو قطيفة عمرو بن الوليد يكنى أبا الوليد. وأبو قطيفة لقبٌ لقب به. وأمه بنت الربيع بن ذي الخمار من بني أسد بن خزيمة.

نفي ابن الزبير أبا قطيفة

فيمن نقله عن المدينة في وقعة الحرة

قال أبو قطيفة هذا الشعر حين نفاه ابن الزبير مع بني أمية عن المدينة، مع نظائر له تشوقاً إليها. حدثني بالسبب في ذلك أحمد بن محمد بن شبيب بن أبي شيبة البزار، قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني، وأخبرني ببعضه أحمد بن محمد بن الجعد قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثني أبي قال حدثني وهب بن جرير عن أبيه في كتابه المسمى "كتاب الأزارقة"، ونسخت بعضه من كتابٍ منسوبٍ إلى الهيثم بن عدي. واللفظ للمدائني في الخبر ما اتسق، فإذا انقطع أو اختلف نسبت الخلاف إلى راويه. قال الهيثم بن عدي أخبرنا ابن عياش عن مجالد عن الشعبي وعن ابن أبي الجهم ومحمد بن المنتشر: خروج ابن الزبير على بني أمية ووفد يزيد بن معاوية له

أن الحسين بن علي بن أبي طالب لما سار إلى العراق، شمر ابن الزبير للأمر الذي أراده ولبس المعافري وشبر بطنه وقال: إنما بطني شبر، وما عسى أن يسع الشبر! وجعل يظهر عيب بني أمية ويدعو إلى خلافهم. فأمهله يزيد

سنةً، ثم بعث إليه عشرةً من أهل الشأم عليهم النعمان بن بشير. وكان أهل الشأم يسمون أولئك العشرة النفر الركب، منهم عبد الله بن عضاه الأشعري، وروح بن زنباع الجذامي، وسعد بن حمزة الهمداني، ومالك بن هبيرة السكوني، وأبو كبشة السكسكي، وزمل بن عمرو العذري، وعبد الله بن مسعود، وقيل: ابن مسعدة الفزاي، وأخوه عبد الرحمن، وشريك بن عبد الله الكناني، وعبد الله بن عامر الهمداني، وجعل عليهم، النعمان بن بشير، فأقبلوا حتى قدموا مكة على عبد الله بن الزبير، وكان النعمان يخلو به في الحجر كثيراً. فقال له عبد الله بن عضاة يوماً: يا ابن الزبير، إن هذا الأنصاري والله ما أمر بشيء إلا وقد أمرنا بمثله إلا أنه قد أمر علينا، إني والله ما أدري ما بين المهاجرين والأنصار. فقال ابن الزبير: يا ابن عضاه، مالي ولك! إنما أنا بمترلة حمامة من حمام مكة، أفكنت قاتلاً حماماً من حمام مكة؟ قال: نعم، وما حرمة حمام مكة! يا غلام، ائتني بقوسي وأسهمي، فأتاه بقوسه وأسهمه، فأخذ سهماً فوضعه في كبد القوس ثم سدده نحو حمامة من حمام المسجد وقال: يا حمامة، أيشرب يزيد بن معاوية الخمر؟ قولي نعم، فوالله: لئن فعلت لأرمينك. يا حمامة، أتخلعين يزيد بن معاوية وتفارقين أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وتقيمين في الحرم حتى يستحل بك؟ والله لئن فعلت لأرمينك. فقال ابن الزبير: ويحك! أويتكلم الطائر؟ قال: لا! ولكنك يا ابن الزبير تتكلم. أقسم بالله لتبايعن طائعاً أو مكرهاً أو لتتعرفن راية الأشعريين في هذه البطحاء، ثم لا أعظم من حقها ما تعظم. فقال ابن الزبير: أوتستحل الحرم! قال: إنما يستحله من ألحد فيه. فحبسهم شهراً ثم ردهم إلى يزيد بن معاوية ولم يجبه إلى شيء. وفي رواية أحمد بن الجعد: وقال بعض الشعراء - وهو أبو العباس الأعمى، واسمه السائب بن فروخ يذكر ذلك وشبر ابن الزبير بطنه -:

مازال في سورة الأعراف يدرسها حتى بدا لي مثل الخز في اللين
لو كان بطنك شبراً قد شبعت وقد أفضلت فضلاً كثيراً للمساكين

قال الهيثم: ثم إن ابن الزبير مضى إلى صفية بنت أبي عبيد زوجة عبد الله بن عمر، فذكر لها أن خروجه كان غضباً لله تعالى ورسوله - عليه السلام - والمهاجرين والأنصار من أثرة معاوية وابنه "وأهله" بالفيء، وسألها مسألته أن يبايعه. فلما قدمت له عشاءه ذكرت له أمر ابن الزبير واجتهاده، وأثنت عليه وقالت: ما يدعو إلا إلى طاعة الله جل وعز، وأكثرت القول في ذلك. فقال لها: أما رأيت بغلات معاوية اللواتي كان يحج عليهن الشهب، فإن ابن الزبير ما يريد غيرهن! قال المدائني في خبره: وأقام ابن الزبير على خلع يزيد ومالأه على ذلك أكثر الناس. فدخل عليه عبد الله بن مطيع وعبد الله بن حنظلة وأهل المدينة المسجد وأتوا المنبر فخلعوا يزيد. فقال عبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي: خلعت يزيد كما خلعت عمامتي، ونزعها عن رأسه وقال: إني لأقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي، ولكن عدو الله سكير خمير. وقال آخر: خلعته كما خلعت نعلي. وقال آخر: خلعته كما خلعت ثوبي. وقال آخر: قد خلعته كما خلعت خفي، حتى كثرت العمائم والنعال والخفاف، وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك، وامتنع منه عبد الله بن عمر ومحمد بن علي بن أبي طالب وجرى بين محمد خاصةً وبين أصحاب ابن الزبير فيه قولٌ كثير، حتى أرادوا إكراهه على ذلك، فخرج إلى

مكة، وكان هذا أول ما هاج الشر بينه وبين ابن الزبير.

وقعة الحرة

قال المدائني: واجتمع أهل المدينة لإخراج بني أمية عنها، فأخذوا عليهم العهود ألا يعينوا عليهم الجيش، وأن يردوهم عنهم، فإن لم يقدروا على ردهم لا يرجعوا إلى المدينة معهم. فقال لهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان: أنشدكم الله في دمائكم وطاعتكم! فإن الجنود تأتيكم وتطؤكم، وأعذر لكم ألا تخرجوا أميركم، إنكم إن ظفرتم وأنا مقيمٌ بين أظهركم فما أيسر شأني وأقدركم على إخراجي! وما أقول هذا إلا نظراً لكم أريد به حقن دمائكم. فشتموه وشتموا يزيد، وقالوا: لا نبدأ إلا بك، ثم نخرجهم بعدك. فأتى مروان عبد الله بن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن، إن هؤلاء القوم قد ركبونا بما ترى، فضم عيالنا. فقال: لست من أمركم وأمر هؤلاء في شيء. فقام مروان وهو يقول: قبح الله هذا أمراً وهذا ديناً. ثم أتى علي بن الحسين فسأله أن يضم أهله وثقله ففعل، ووجههم وامرأته أم أبان بنت عثمان إلى الطائف ومعها ابناه: عبد الله ومحمد. فعرض حريثٌ رقاصة - وهو مولى لبني بهز من سليم كان بعض عمال المدينة قطع رجله فكان إذا مشى كأنه يرقص، فسمي رقاصة - لثقل مروان وفيه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، فضربته بعضاً فكادت تدق عنقه، فولى ومضى. ومضوا إلى الطائف وأخرجوا بني أمية. فحس بهم سليمان بن أبي الجهم العدوي وحريث رقاصة، فأراد مروان أن يصلي بمن معه فمنعوه، وقالوا: لا يصلي والله بالناس أبداً، ولكن إن أراد أن يصلي بأهله فليصل، فصلى بهم ومضى.

فمر مروان بعبد الرحمن بن أزهر الزهري، فقال له: هلم إلي يا أبا عبد الملك، فلا يصل إليك مكروه ما بقي رجلٌ من بني زهرة. فقال له: وصلتك رحمٌ، قومنا على أمرٍ فأكره أن أعرضك لهم. وقال ابن عمر بعد ذلك - لما أخرجوا وندم على ما كان قاله لمروان -: لو وجدت سبيلاً إلى نصر هؤلاء لفعلت، فقد ظلموا وبغي عليهم. فقال ابنه سالم: لو كلمت هؤلاء القوم! فقال: يا بني، لا يترع هؤلاء القوم عما هم عليه، وهم بعين الله، إن أراد أن يغير غير. قال: فمضوا "إلى ذي خشبٍ"، وفيهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان والوليد بن عتبة بن أبي سفيان، واتبعهم العبيد والصبيان والسفلة يرمونهم. ثم رجع حريث رقاصة وأصحابه إلى المدينة، وأقامت بنو أمية ب "ذي خشب" عشرة أيام، وسرحوا حبيب بن كرة إلى يزيد بن معاوية يعلمونه، وكتبوا إليه يسالونه الغوث.

وبلغ أهل المدينة أنهم وجهوا رجلاً إلى يزيد، فخرج محمد بن عمرو بن حزم ورجل من بني سليم من بهز وحريث رقاصة وخمسون راكباً فأزعجوا بني أمية منها، فنخس حريثٌ بمروان فكاد يسقط عن ناقته، فتأخر عنها وزجرها وفقال: اعلي واسلمي. فلما كانوا "بالسويداء" عرض لهم مولى لمروان، فقال: جعلت فداك! لو نزلت فأرحت وتغديت! فالغداء حاضر كثير قد أدرك. فقال: لا يدعني رقاصة وأشباهه، وعسى أن يمكن الله منه فتقطع يده. ونظر مروان إلى ماله ب "ذي خشب" فقال: لا مال إلا ما أحرزته العياب فمضوا فترلوا حقيلاً أو وادي القرى، وفي ذلك يقول الأحوص:

لا ترثين لحزميٍّ رأيت به ... ضراً ولو سقط الحزمي في النار

الناخسين بمروانٍ بذي خشبٍ والمقحمين على عثمان في الدار

قال المدائني: فدخل حبيب بن كرة على يزيد - وهو واضعٌ رجله في طستٍ لوجع كان يجده - بكتاب بني أمية وأخبره الخبر. فقال: أما كان بنو أمية ومواليهم ألف رجلٍ؟ قال: بلى! وثلاثة آلاف. قال: أفعجزوا أن يقاتلوا ساعة من نهار؟ قال: كثرهم الناس و لم تكن لهم بهم طاقةٌ. فندب الناس وأمر عليهم صخر بن أبي الجهم القيني، أحداً إلا قصر وما صاحبهم غيري، إني رأيت في منامي شجرة غرقدٍ تصيح: على يدي مسلم، فأقبلت نحو الصوت فسمعت قائلاً يقول: أدرك ثأرك أهل المدينة قتلة عثمان فخرج مسلمٌ وكان من قصة الحرة ما كان على يده، وليس هذا موضعه. فقال أبو قطيفة في ذلك - لما أخرجوا عن المدينة -:

صوت من غير المائة فيه لحنان

شعر أبي قطيفة في تشوقه إلى المدينة

بكى أحدٌ لما تحمل أهله فكيف بذي وجد من القوم آلف

من أجل أبي بكرٍ جلت عن بلادها أمية، والأيام ذات تصارف

عروضه من الطويل، وفيه ثقيلٌ أول. والغناء لسائب خائرٍ، خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى، ذكر ذلك حمادٌ عن أبيه، وذكر أن فيه لحناً آخر لأهل المدينة لا يعرف صاحبه. قال الهيثم في خبره: وقال أبو العباس الأعمى في ذلك:

قد حل في دار البلاط مجوعٌ ودار أبي العاص التميمي حنتف

فلم أر مثل الحي حين تحملوا ولا مثلنا عن مثلهم يتنكف

وقال أبو قطيفة أيضاً: من غير المائة فيه ثلاث ألحان

بكى أحدٌ لما تحمل أهله فسلعٌ فدار المال أمست تصدع

وبالشأم إخواني وجل عشيرتي فقد جعلت نفسي إليهم تطلع

عروضه من الطويل. غنى فيه دحمان، ولحنه ثقيلٌ أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر من رواية إسحاق. وفيه لمعبد ثقيلٌ أول بالوسطى من رواية حبش. وذكر إسحاق أن فيه لحناً في خفيف الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر مجهول الصانع. وقال أبو قطيفة أيضاً: صوت من غير المائة المختارة

ليت شعري: هل البلاط كعهدي والمصلى إلى قصور العقيق؟

لامني في هواك يا أم يحيى من مبينٍ بغشه أو صديق

عروضه من الخفيف. غناه معبد ويقال دحمان، ولحنه ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى، وذكر إسحاق أنه لا يعرف صاحبه.

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن يونس بن الوليد قال: كان ابن الزبير قد نفى أبا قطيفة مع من نفاه من بني أمية عن المدينة إلى الشأم، فلما طال مقامه بها قال:

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا قباءٌ وهل زال العقيق وحاضره؟

وهل برحت بطحاء قبر محمدٍ أراهط غرٌ من قريشٍ تباكره

لهم منتهى حبي وصفو مودتي ومحض الهوى مني وللناس سائره

قال وقال أيضاً: صوت من غير المائة المختارة

ليت شعري وأين مني ليت أعلى العهد يلبنٌ فبرام؟

أم كعهدي العقيق أم غيرته بعدي الحادثات والأيام؟

وبأهلي بدلت عكا ولخماً وجذاماً، وأين مني جذام!

وتبدلت من مساكن قومي والقصور التي بها الآطام

كل قصرٍ مشيدٍ ذي أواسٍ يتغنى على ذراه الحمام

إقر مني السلام إن جئت قومي وقليلٌ لهم لدي السلام

عروضه من الخفيف، غناه معبد، ولحنه ثقيلٌ بالخنصر في مجرى البنصر. و "يلبن" و "برام": موضعان. والآطام: جمع أطم، وهي القصور والحصون. وقال الأصمعي: الآطام: الدور المسطحة السقوف. وفي رواية ابن عمار: "ذي أواشٍ" بالشين معجمةً، كأنه أراد به أن هذه القصور موشيةٌ أي منقوشة. ورواه إسحاق: "أواس" بالسين غير معجمة، وقال: واحدها آسيٌّ، وهو الأصل. قال ويقال: فلانٌ في آسية، أي في أصله. والآسي والأساس واحد. وذرا كل شيء: أعاليه، وهو جمعٌ، واحدته ذروة. ويروى:

أبلغن السلام إن جئت قومي

وروى الزبير بن بكار هذه الأبيات لأبي قطيفة، وزاد فيها:

أقطع الليل كله باكتئابٍ وزفيرٍ فما أكاد أنام

نحو قومي إذ فرقت بيننا الدا ر وحادت عن قصدها الأحلام

خشيةً أن تصيبهم عنت الده ر وحربٌ يشيب منها الغلام

فلقد حان أن يكون لهذا الده ر عنا تباعدٌ وانصرام

عفو ابن الزبير عن أبي قطيفة وعودته إلى المدينة وموته حين وصوله إليها رجع الخبر إلى سياقته من رواية ابن عمار. وأخبرنا بمثله من هذا الموضع الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الحزامي، وهو إبراهيم بن المنذر، عن مطرف بن عبد الله المدني قالا: إن ابن الزبير لما بلغه شعر أبي قطيفة هذا قال: حن والله أبو قطيفة وعليه السلام ورحمة الله، من لقيه فليخبره أنه آمنٌ فليرجع. فأخبر بذلك فانكفأ إلى المدينة راجعاً، فلم يصل إليها حتى مات. قال ابن عمار: فحدثت عن المدائني أن امرأةً من أهل المدينة تزوجها رجل من أهل الشأم، فخرج بها إلى بلده على كرهٍ منها، فسمعت منشداً ينشد شعر أبي قطيفة هذا، فشهقت شهقةً وخرت على وجهها ميتةً، هكذا ذكر ابن عمار في خبره.

وأخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد: قرأت على أبي عن أيوب بن عباية قال قال حدثني سعيد بن عائشة مولى آل المطلب بن عبد مناف قال: خرجت امرأة من بني زهرة في خفٍ، فرآها رجل من بني عبد شمس من أهل الشأم فأعجبته، فسأل عنها فنسبت له، فخطبها إلى أهلها فزوجوه إياها بكرهٍ منها، فخرج بها إلى الشأم. "وخرجت مخرجاً"، فسمعت متمثلاً يقول: صوت من غير المائة المختارة

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا جبوب المصلى أم كعهدي القرائن؟
وهل أدؤرٌ حول البلاط عوامرٌ من الحي أم هل بالمدينة ساكن؟
إذا برقت نحو الحجاز سحابةٌ دعا الشوق مني برقها المتيامن
فلم أتركنها رغبةً عن بلادها ولكنه ما قدر الله كائن

عروضه من الطويل، يقال: إن لمعبد فيه لحناً، قال: فتنفست بين النساء فوقعت ميتة. قال أيوب: فحدثت بهذا الحديث عبد العزيز بن أبي ثابت الأعرج فقال: أتعرفها؟ قلت لا. قال: هي والله عمتي حميدة بنت عمر بن عبد الرحمن بن عوف.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا الرياشي قال: أخبرني ابن عائشة، قال: لما أجلى ابن الزبير بني أمية عن الحجاز قال أيمن بن خريم الأسدي:

كأن بني أمية يوم راحوا وعري عن منازلهم صرار
شماريخ الجبال إذا تردت بزينتها وجادتها القطار

وأخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا بن محمد سعدٍ الكراني، قال: حدثنا العمري عن العتبي قال: كتب أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة إلى أبيه وهو متولي الكوفة لعثمان بن عفان:

من مبلغٌ عني الأمير بأنني أرقٌ بلا داء سوى الإنعاظ
إن لم تغثني خفت إثمك أو أرى في الدار محدوداً بزرق لحاظ

يعني دار عثمان التي تقام فيها الحدود. فابتاع له جارية بالكوفة وبعث بها إليه. أخبرني عبد الله بن محمد الرازي، قال: حدثنا الخراز عن المدائني، قال: كان أبو قطيفة من شعراء قريش، وكان ممن نفاه ابن الزبير مع بني أمية إلى الشأم، فقال في ذلك:

وما أخرجتنا رغبةٌ عن بلادنا ولكنه ما قدر الله كائن

أحن إلى تلك الوجوه صبابةً كأني أسير في السلاسل راهن

وكان يتحرق على المدينة، فأتى عباد بن زياد ذات يوم عبد الملك فقال له: إن خاله أخبره أن العراقين قد فتحا. فقال عبد الملك لأبي قطيفة لما يعلمه من حبه المدينة: أما تسمع ما يقوله عباد عن خاله؟ قد طابت لك المدينة الآن. فقال أبو قطيفة:

إني لأحمق من يمشي على قدمٍ إن غرني من حياتي خال عباد

أنشا يقول لنا المصران قد فتحا ودون ذلك يومٌ شره بادي

قال: وأذن له ابن الزبير في الرجوع، فرجع فمات في طريقه.

قصر سعيد بن العاص بالعرصة

وشيء من أخباره وأما خبر القصر الذي تقدم ذكره وبيعه من معاوية، فأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال ذكر مصعب بن عمار بن مصعب بن عروة بن الزبير: أن سعيد بن العاص لما حضرته الوفاة وهو في قصره هذا، قال له ابنه عمرو: لو نزلت إلى المدينة! فقال:

يا بني، إن قومي لن يضنوا علي بأن يحملوني على رقابهم ساعةً من نهار، وإذا أنا مت فآذنهم، فإذا واريتني فانطلق إلى معاوية فانعني له، وانظر في ديني، واعلم أنه سيعرض عليك قضاءه فلا تفعل، واعرض عليه قصري هذا، فإني إنما اتخذته نزهةً وليس بمال. فلما مات آذن به الناس، فحملوه من قصره حتى دفن بالبقيع، ورواحل عمرو بن سعيد مناخة، فعزاه الناس على قبره وودعوه، فكان هو أول من نعاه لمعاوية، فتوجع له وترحم عليه، ثم قال: هل ترك ديناً؟ قال: نعم. "قال: كم هو؟ قال:" ثلثمائة ألف "درهم". قال: هي علي. قال: قد ظن ذلك وأمرني ألا أقبله منك، وأن أعرض عليك بعض ماله فتبتاعه فيكون قضاء دينه منه. قال: فاعرض "علي". قال: قصره بالعرصة. قال: قد أخذته بدينه. قال: هو لك على أن تحملها إلى المدينة وتجعلها بالوافية. قال: نعم. فحملها له إلى المدينة وفرقها في غرمائه، وكان أكثرها عدات. فأتاه شابٌ من قريش بصك فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيدٍ على نفسه وشهادة مولىً له عليه. فأرسل إلى المولى فأقرأه الصك، فلما قرأه بكى وقال: نعم هذا خطه وهذه شهادتي عليه. فقال له عمرو: من أين يكون لهذا الفتى عليه عشرون ألف درهم وإنما هو صعلوك من صعاليك قريش؟ قال: أخبرك عنه، مر سعيدٌ بعد عزله، فاعترض له هذا الفتى ومشى معه حتى صار إلى منزله، فوقف له سعيد فقال: ألك حاجةٌ؟ قال: لا، إلا أني رأيتك تمشي وحدك فأحببت أن أصل جناحك. فقال لي:

ائتني بصحيفة، فأتيته بهذه، فكتب له على نفسه هذا الدين وقال: إنك لم تصادف عندنا شيئاً فخذ هذا، فإذا جاءنا شيء فأتنا. فقال عمرو: لا جرم والله لا يأخذها إلا بالوافية، أعطيه إياها، فدفع إليه عشرين ألف درهم وافيةً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا الصلت بن مسعود، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، قال: حدثنا هارون المدائني قال: كان الرجل يأتي سعيد بن العاص يسأله فلا يكون عنده، فيقول: ما عندي، ولكن أكتب علي به، فيكتب عليه كتاباً، فيقول: ترويني أخذت منه ثمن هذا؟ لا، ولكنه يجيء فيسألني فيترو دم وجهه في وجهي فأكره رده. فأتاه مولىً لقريش بابن مولاه وهو غلام فقال: إن أبا هذا قد هلك وقد أردنا تزويجه. فقال: ما عندي، ولكن خذ ما شئت في أمانتي. فلما مات سعيد بن العاص جاء الرجل إلى عمرو بن سعيد فقال: إني أتيت أباك بابن فلان، وأخبره بالقصة. فقال له عمرو: فكم أخذت؟ قال: عشرة آلاف. فأقبل عمرو على القوم فقال: من رأى أعجز من هذا! يقول له سعيدٌ: خذ ما شئت في أمانتي فيأخذ عشرة آلاف! لو أخذت مائة ألفٍ لأديتها عنك.

اعتداد أبي قطيفة بنسبه

وهجوه عبد الملك بن مروان أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري عن ابن الكلبي، قال: قال أبو قطيفة - وكانت أمه وأم خالد بن الوليد بن عقبة عمة أروى بنت أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب -:

أنا ابن أبي معيطٍ حين أنمى ... لأكرم ضنئضيءٍ وأعز جيل
وأنمي للعقائل من قصيٍّ ... ومخزومٍ فما أنا بالضئيل
وأروى من كريزٍ قد نمتني ... وأروى الخير بنت أبي عقيل
كلا الحيين من هذا وهذا ... لعمر أبيك في الشرف الطويل
فعدد مثلهن أبا ذبابٍ ... ليعلم ما تقول ذوو العقول
فما الزرقاء لي أما فأخزى ... ولا لي في الأزارق من سبيل

قال: يعني بأبي الذباب عبد الملك. والزرقاء: إحدى أمهاته من كندة، وكان يعير بها.

أخبرني الحسن بن علي، قال: أخبرني محمد بن زكريا، قال: حدثنا قعنب بن المحرز، قال: حدثنا المدائني، قال: بلغ أبا قطيفة أن عبد الملك بن مروان يتنقصه، فقال:

نبئت أن ابن العملس عابني ... ومن ذا من الناس البريء المسلم؟
من أنتم من أنتم خبرونا من أنتم ... فقد جعلت أشياء تبدو وتكتم!

فبلغ ذلك عبد الملك فقال: ما ظننت أنا نجهل، والله لولا رعايتي لحرمته لألحقته بما يعلم، ولقطعت جلده بالسياط.

شعر أبي قطيفة في امرأته بعد طلاقها

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن العتبي قال:
طلق أبو قطيفة امرأته، فتزوجها رجلٌ من أهل العراق، ثم ندم بعد أن رحل بها الرجل وصارت له، فقال:

فيا أسفا لفرقة أم عمروٍ ورحلة أهلها نحو العراق
فليس إلى زيارتها سبيلٌ ولا حتى القيامة من تلاقي
وعل الله يرجعها إلينا بموتٍ من حليلٍ أو طلاق
فأرجع شامتاً وتقر عيني ويجمع شملنا بعد افتراق

مقتل سعيد بن عثمان بالمدينة

أخبرني عمي ومحمد بن جعفر قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا محمد بن علي بن أبي حسان عن هشام بن محمد عن خالد بن سعيد عن أبيه، قال: استعمل معاوية سعيد بن عثمان على خراسان، فلما عزله قدم المدينة بمالٍ وسلاحٍ وثلاثين عبداً من السغد، فأمرهم أن يبنوا له داراً. فبينا هو جالسٌ فيها ومعه ابن سيحان وابن زينة وخالد بن عقبة وأبو قطيفة إذ تآمروا بينهم فقتلوه، فقال أبو قطيفة يرثيه - وقيل إنها لخالد بن عقبة -:

يا عين جودي بدمعٍ منك تهتانا وابكي سعيد بن عثمان بن عفانا
إن ابن زينة لم تصدق مودته وفر عنه ابن أرطاة بن سيحانا

ذكر معبد وبعض أخباره

نسب معبد ونشأته ووفاته

هو معبد بن وهب، وقيل ابن قطني مولى ابن قطر، وقيل ابن قطن مولى العاص بن وابصة المخزومي، وقيل بل مولى معاوية بن أبي سفيان.
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري، قال: معبدٌ المغني ابن وهب مولى عبد الرحمن بن قطر.
وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، قال: قال ابن الكلبي: معبدٌ مولى ابن قطر، والقطريون موالي معاوية بن أبي سفيان.

وأخبرني إسماعيل بن يونس، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو غسان، قال: معبد بن وهب مولى ابن قطن وهم موالي آل وابصة من بني مخزوم، وكان أبوه أسود وكان هو خلاسياً مديد القامة أحول.

وذكر ابن خرداذبه أنه غنى في أول دولة بني أمية، وأدرك دولة بني العباس، وقد أصابه الفالج وارتعش وبطل، فكان إذا غنى يضحك منه ويهزأ به. وابن خرداذبه قليل التصحيح لما يرويه ويضمنه كتبه. والصحيح أن معبداً مات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده. وقد قيل: إنه أصابه الفالج قبل موته وارتعش وبطل صوته.

فأما إدراكه دولة بني العباس فلم يروه أحد سوى ابن خرداذبه ولا قاله ولا رواه عن أحد، وإنما جاء به مجازفةً.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني أيوب بن عمر أبو سلمة المديني قال حدثنا عبد الله بن عمران بن أبي فروة، قال: حدثني كردم بن معبد المغني مولى ابن قطنٍ، قال: مات أبي وهو في عسكر الوليد بن يزيد وأنا معه، فنظرت حين أخرج نعشه إلى سلامة القس "جارية يزيد بن عبد الملك" وقد أضرب الناس عنه ينظرون إليها وهي آخذة بعمود السرير، وهي تبكي أبي وتقول:

قد لعمري بت ليلي — كأخي الداء الوجيع
ونجي الهم مني — بات أدنى من ضجيعي
كلما أبصرت ربع — خالياً فاضت دموعي
قد خلا من سيدٍ كا — ن لنا غير مضيع
لا تلمنا إن خشعنا — أو هممنا بخشوع

قال كردم: وكان يزيد أمر أبي أن يعلمها هذا الصوت، فعلمها إياه فندبته به يومئذٍ. قال: فلقد رأيت الوليد بن يزيد والغمر أخاه متجردين في قميصين ورداءين يمشيان بين يدي سريره حتى أخرج من دار الوليد، لأنه تولى أمره وأخرجه من داره إلى موضع قبره.

فأما نسبة هذا الصوت، فإن الشعر للأحوص، والغناء لمعبد، ذكره يونس ولم يجنسه. وذكر الهشامي أنه ثاني ثقيل بالوسطى، قال: وفيه لحبابة خفيف ثقيل، ولابن المكي ثقيلٌ أول نشيد. وفيه لسلامة القس عن إسحاق لحنٌ من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالوسطى في مجراها.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، قال قال أبو عبيدة: ذكر مولىً لآل الزبير - وكان منقطعاً إلى جعفرٍ ومحمد ابني سليمان بن علي -: أن معبداً عاش حتى كبر وانقطع صوته، فدعاه رجل من ولد عثمان، فلما غنى الشيخ لم يطرب القوم، وكان فيهم فتيان نزولٌ من ولد أسيد بن أبي العيص بن أمية، فضحكوا منه وهزئوا به، فأنشأ يغني:

فضحتم قريشاً بالفرار وأنتم — قمدون سودانٌ عظام المناكب
فأما القتال لا قتال لديكم — ولكن سيراً في عراض المواكب

- وهذا شعرٌ هجوا به قديماً - فقاموا إليه ليتناولوه؛ فمنعهم العثماني من ذلك وقال: ضحكتم منه حتى إذا أحفظتموه أردتم أن تتناولوه، لا والله لا يكون ذلك! قال إسحاق: فحدثني ابن سلام قال: أخبرني من رآه على هذه الحال فقال له: أصرت إلى ما أرى؟ فأشار إلى حلقه وقال: إنما كان هذا؛ فلما ذهب ذهب كل شيء.

اعتراف المغنين لمعبد بالتفوق

والسبق في صناعة الغناء قال إسحاق: كان معبد من أحسن الناس غناء، وأجودهم صنعةً، وأحسنهم حلقاً؛ وهو فحل المغنين وإمام أهل المدينة في الغناء، وأخذ عن سائب خاثرٍ، ونشيطٍ مولى عبد الله بن جعفر، وعن جميلة مولاة بهزٍ "بطنٍ من سليم"، وكان زوجها مولىً لبني الحارث بن الخزرج؛ فقيل لها مولاة الأنصار لذلك. وفي معبد يقول الشعر:

أجاد طويسٌ والسريجي بعده ... وما قصبات السبق إلا لمعبد

قال إسحاق قال ابن الكلبي عن أبيه: كان ابن أبي عتيقٍ خرج إلى مكة فجاء معه ابن سريج إلى المدينة، فأسمعوه غناء معبد وهو غلام، وذلك في أيام مسلم بن عقبة المري، وقالوا: ما تقول فيه؟ فقال: إن عاش كان مغني بلاده. ولمعبدٍ صنعةٌ لم يسبقه إليها من تقدم، ولا زاد عليه فيها من تأخر. وكانت صناعته التجارة في أكثر أيام رقه، وربما رعى الغنم لمواليه، وهو مع ذلك يختلف إلى نشيطٍ الفارسي وسائب خاثرٍ مولى عبد الله بن جعفر، حتى اشتهر بالحذق وحسن الغناء وطيب الصوت. وصنع الألحان فأجاد واعترف له بالتقدم على أهل عصره.

أخبرني الحسين بن يحيى، قال قال حماد قرأت على أبي: قال الجمحي: بلغني أن معبداً قال: والله لقد صنعت ألحاناً لا يقدر شبعان ممتلىء ولا سقاءٌ يحمل قربةً على الترنم بها ولقد صنعت ألحاناً لا يقدر المتكىء أن يترنم بها حتى يقعد مستوفزاً، ولا القاعد حتى يقوم.

قال إسحاق: وبلغني أن معبداً أتى ابن سريج وابن سريج لا يعرفه، فسمع منه ما شاء، ثم عرض نفسه عليه وغناه وقال له: كيف كنت تسمع جعلت فداءك؟ فقال له: لو شئت كنت قد كفيت بنفسك الطلب من غيرك. قال: وسمعت من لا أحصي من أهل العلم بالغناء يقولون: لم يكن فيمن غنى أحدٌ أعلم بالغناء من معبد. قال: وحدثني أيوب بن عباية قال: دخلت على الحسن بن مسلمٍ أبي العراقيب وعنده جاريته عاتكة، فتحدث فذكر معبداً فقال: أدركته يلبس ثوبين ممشقين، وكان إذا غنى علا منخراه. فقالت عاتكة: يا سيدي أو أدركت معبداً؟ قال: إي والله وأقدم من معبد. فقالت: استحييت لك من هذا الكبر.

علو كعبه في صناعة الغناء

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد: قرأت على أبي أخبرني محمد بن سلام، قال: حدثني جرير، قال: قال معبد: قدمت مكة فقيل لي: إن ابن صفوان قد سبق بين المغنين جائزةً، فأتيت بابه فطلبت الدخول،

فقال لي آذنه: قد تقدم إلي ألا آذن لأحدٍ عليه ولا أؤذنه به. قال فقلت: دعوني أدنو من الباب فأغني صوتاً. قال: أما هذا فنعم. فدنوت من الباب، فغنيت "صوتاً"، فقالوا: معبد! وفتحوا لي، فأخذت الجائزة يومئذٍ.
أخبرني الحسين قال نسخت من كتاب حماد: قال أبي: وذكر عوركٌ - وهو الحسن بن عتبة اللهبي - أن الوليد بن يزيد كان يقول: ما أقدر على الحج. فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: يستقبلني أهل المدينة بصوتي معبد:

القصر فالنخل فالجماء بينهما

و "قتيلة" يعني لحنه:

يوم تبدي لنا قتيلة عن جي   دٍ تليعٍ تزينه الأطواق

قال إسحاق: قيل لمعبد: كيف تصنع إذا أردت أن تصوغ الغناء؟ قال: أرتحل قعودي وأوقع بالقضيب على رحلي وأترنم عليه بالشعر حتى يستوي لي الصوت. فقيل له: ما أبين ذلك في غنائك! قال إسحاق: وقال مصعبٌ الزبيري قال يحيى بن عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير حدثني أبي قال: قال معبد: كنت غلاماً مملوكاً لآل قطن مولى بني مخزوم، وكنت أتلقى الغنم بظهر الحرة، وكانوا تجاراً أعالج لهم التجارة في ذلك، فآتي صخرةً بالحرة ملقاةً بالليل فأستند إليها، فأسمع وأنا نائم صوتاً يجري في مسامعي، فأقوم من النوم فأحكيه، فهذا كان مبدأ غنائي.

اعتراف مالك بن أبي السمح لمعبد بالتفوق

عليه في صنعة الغناء
أخبرني الحسين بن يحيى قال: نسخت من كتاب حماد: قال أبي قال محمد بن سعيد الدوسي عن أبيه ومحمد بن يزيد عن سعيد الدوسي عن الربيع بن أبي الهيثم قال: كنا جلوساً مع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فقال إنسانٌ لمالك: أنشدك الله، أنت أحسن غناءً أم معبدٌ؟ فقال مالك: والله ما بلغت شراكه قط، والله لو لم يغن معبدٌ إلا قوله:

لعمر أبيها لا تقول حليلتي   ألا فر عني مالك بن أبي كعب
وهم يضربون الكبش تبرق بيضه   ترى حوله الأبطال في حلقٍ شهب

لكان حسبه!. قال: وكان مالك إذا غنى غناء معبدٍ يخفف منه، ثم يقول: أطال الشعر معبدٌ ومططه، وحذفته أنا. وتمام هذا الصوت:

صوت من غير المائة المختارة

لعمر أبيها لا تقول حليلتي   ألا فر عني مالك بن أبي كعب

وهم يضربون الكبش تبرق بيضه ترى حوله الأبطال في حلق شهب

إذا أنفدوا الزق الروي وصرعوا نشاوى فلم أقطع بقولي لهم حسبي

بعثت إلى حانوتها فسبأتها بغير مكاسٍ في السوام ولا غصب

عروضه من الطويل. والشعر لمالك بن أبي كعب بن القين الخزرجي أحد بني سلمة. هكذا ذكر إسحاق، وغيره يذكر أنه من مرادٍ. ولهذا الشعر خبرٌ طويل يذكر بعد هذا. والغناء في البيتين الأولين لمعبد ثقيلٌ أول بالوسطى، ومن الناس من ينسبه إلى ابن سريج. ولمالكٍ في الثالث والرابع من الأبيات لحنٌ من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، ومن الناس من ينسب هذا اللحن إلى معبد ويقول: إن مالكاً أخذ لحنه فيه فحذف بعض نغمه وانتحله، وإن اللحن لمعبد في الأبيات الأربعة. وقد ذكر أن هذا الشعر لرجل من مرادٍ، وروي له فيه حديثٌ طويل. وقد أخرج خبره في ذلك وخبر مالك بن أبي كعب الخزرجي أبي كعب بن مالك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله في موضع آخر أفرد له، إذ كانت له أخبارٌ كثيرة، ولأجله لا تصلح أن تذكر ها هنا.

رجع الخبر إلى معبد - أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان عن يونس الكاتب قال:

معبد وابن محرز

أقبلت من عند معبد، فلقيني ابن محرز ببطحان، فقال: من أين أقبلت؟ قلت: من عند أبي عباد. فقال: ما أخذت عنه؟ قلت: غنى صوتاً فأخذته. قال: وما هو؟ قلت:

ماذا تأمل واقفٌ جملاً في ربع دارٍ عابه قدمه

- الشعر لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد - فقال لي: ادخل معي دار ابن هرمة وألقه علي، فدخلت معه، فما زلت أردده عليه حتى غناه، ثم قال: ارجع معي إلى أبي عباد، فرجعنا فسمعه منه، ثم لم نفترق حتى صنع فيه ابن محرز لحناً آخر.

نسبة هذا الصوت

صوت

ماذا تأمل واقف جملاً في ربع دارٍ عابه قدمه

أقوى وأقفر غير منتصبٍ لبد الرمادة ناصعٍ حممه

غناه معبدٌ، ولحنه ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى. وفيه خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى ينسب إلى الغريض وإلى ابن محرز. وذكر عمرو بن بانة أن الثقيل الأول للغريض. وذكر حبش أن فيه لمالكٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطى. وفيه رملٌ بالوسطى ينسب إلى سائب خاثرٍ، وذكر حبشٌ أنه لإسحاق.

قدوم ابن سريج والغريض المدينة

ثم ارتدادهما عنها بعد سماعهما صوت معبد أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد: قال أبي قال ابن الكلبي: قدم ابن سريج والغريض المدينة يتعرضان لمعروف أهلها، ويزوران من بها من صديقهما من قريشٍ وغيرهم. فلما شارفاها تقدما ثقلهما ليرتادا مترلاً، حتى إذا كانا بالمغسلة - وهي جبانةٌ على طرف المدينة يغسل فيها الثياب - إذا هما بغلامٍ ملتحفٍ بإزارٍ وطرفه على رأسه، بيده حبالةٌ يتصيد بها الطير وهو يتغنى ويقول:

القصر فالنخل فالجماء بينهما أشهى إلى النفس من أبواب جيرون

وإذا الغلام معبد. قال: فلما سمع ابن سريج والغريض معبداً مالا إليه واستعاداه الصوت فأعاده، فسمعا شيئاً لم يسمعا بمثله قط. فأقبل أحدهما على صاحبه فقال: هل سمعت كاليوم قط؟ قال: لا والله! فما رأيك؟ قال ابن سريج: هذا غناء غلامٍ يصيد الطير، فكيف بمن في الجوبة! - يعني المدينة - قال: أما أنا فثكلته والدته إن لم أرجع. قال: فكرا راجعين.

قدوم معبد مكة وما وقع له مع الغريض

قال: وقال معبد: قدمت مكة، فذهب بي بعض القرشيين إلى الغريض، فدخلنا عليه وهو متصبح، فانتبه من صبحته وقعد، فسلم عليه القرشي، وسأله فقال له: هذا معبدٌ قد أتيتك به، وأنا أحب أن تسمع منه. قال: هات، فغنيته أصواتاً. فقال بمدرى معه في رأسه، ثم قال: إنك يا معبد لمليح الغناء. قال: فأحفظني ذلك، فجثوت على ركبتي، ثم غنيته من صنعتي عشرين صوتاً لم يسمع بمثلها قط، وهو مطرقٌ واجمٌ قد تغير لونه حسداً وخجلاً.

ما وقع لمعبد مع حكم الوادي

قال إسحاق: وأخبرت عن حكمٍ الوادي قال: كنت أنا وجماعةٌ من المغنين نختلف إلى معبد نأخذ عنه ونتعلم منه، فغنانا يوماً صوتاً من صنعته وأعجب به، وهو:

القصر فالنخل فالجماء بينهما

فاستحسناه وعجبنا منه. وكنت في ذلك اليوم أول من أخذه عنه واستحسنه مني فأعجبتني نفسي. فلما انصرفت من عند معبد عملت فيه لحناً آخر وبكرت على معبد مع أصحابي وأنا معجبٌ بلحني. فلما تغنينا أصواتاً قلت

له: إني قد عملت بعدك في الشعر الذي غنيتناه لحناً، واندفعت فغنيته صوتي، فوجم معبدٌ ساعةً يتعجب مني ثم قال: قد كنت أمس أرجى مني لك اليوم، وأنت اليوم عندي أبعد من الفلاح. قال حكمٌ: فأنسيت - يعلم الله - صوتي ذلك منذ تلك الساعة فما ذكرته إلى وقتي هذا.

ما وقع لمعبد مع العبد الأسود

وهو في طريقه إلى بعض أمراء الحجاز قال إسحاق: وقال معبد: بعث إلي بعض أمراء الحجاز - وقد كان جمع له الحرمان - أن اشخص إلى مكة، فشخصت. قال: فتقدمت غلامي في بعض تلك الأيام، واشتد علي الحر والعطش، فانتهيت إلى خباء فيه أسود وإذا حباب ماء قد بردت، فملت إليه فقلت: يا هذا، اسقني من هذا الماء. فقال لا. فقلت: فأذن لي في الكن ساعةً. قال لا. فأنخت ناقتي ولجأت إلى ظلها فاستترت به، وقلت: لو أحدثت لهذا الأمير شيئاً من الغناء أقدم به عليه، ولعلي إن حركت لساني أن يبل حلقي ريقي فيخفف عني بعض ما أجده من العطش! فترنمت بصوتي:

القصر فالنخل فالجماء بينهما

فلما سمعني الأسود، ما شعرت به إلا وقد احتملني حتى أدخلني خباءه، ثم قال: إي، بأبي أنت وأمي! هل لك في سويق السلت بهذا الماء البارد؟ فقلت: قد منعتني أقل من ذلك، وشربة ماءٍ تجزئني. قال: فسقاني حتى رويت، وجاء الغلام فأقمت عنده إلى وقت الرواح. فلما أردت الرحلة قال: إي، بأبي أنت وأمي! الحر شديدٌ ولا آمن عليك مثل الذي أصابك، فأذن لي "في" أن أحمل معك قربةً من ماء على عنقي وأسعى بها معك، فكلما عطشت سقيتك صحناً وغنيتني صوتاً! قال: قلت ذاك لك. فوالله ما فارقني يسقيني وأغنيه حتى بلغت المترل.

نسخت من كتاب جعفر بن قدامة بخطه: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبير عن جرير قال:

معبد وابن سريج والتقاؤهما

عفواً ببطن مر ثم تعارفهما بصوتيهما كان معبدٌ خارجاً إلى مكة في بعض أسفاره، فسمع في طريقه غناءً في "بطن مر" فقصد الموضع، فإذا رجلٌ جالسٌ على حرف بركةٍ فارقٌ شعره حسن الوجه، عليه دراعة قد صبغها بزعفرانٍ، وإذا هو يتغنى:

صوت

حن قلبي من بعد ما قد أنابا ... ودعا الهم شجوه فأجابا
ذاك من منزلٍ لسلمى خلاءٍ ... لابسٍ من خلائه جلبابا
عجت فيه وقلت للركب عوجوا ... طمعاً أن يرد ريعٌ جواباً

فاستثار المنسي من لوعة الح ... ب وأبدى الهموم والأوصابا

فقرع معبدٌ بعصاه وغنى:

منع الحياة من الرجال ونفعها ... حدقٌ تقلبها النساء مراض

وكأن أفئدة الرجال إذا رأوا ... حدق النساء لنبلها أغراض

فقال له ابن سريج: بالله أنت معبد؟ قال: نعم، وبالله أنت ابن سريج؟ قال: نعم، ووالله لو عرفتك ما غنيت بين يديك.

نسبة هذين الصوتين وأخبارهما

صوت

حن قلبي من بعد ما قد أنابا ... ودعا الهم شجوه فأجابا

فاستثار المنسي من لوعة الح ... ب وأبدى الهموم والأوصابا

ذاك من منزلٍ لسلمى خلاءٍ ... مكتسٍ من عفائه جلبابا

عجت فيه وقلت للركب عوجوا ... طمعاً أن يرد ربعٌ جوابا

ثانياً من زمام وجناء عنسٍ ... قانياً لونها يخال خضابا

جدها الفالج الأشم من البخ ... ت وخالاتها انتخبن عرابا

الشعر لعمر بن أبي ربعية. والغناء لابن سريج، وله فيه لحنان: رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وخفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو.

صوت

منع الحياة من الرجال ونفعها ... حدقٌ تقلبها النساء مراض

وكأن أفئدة الرجال إذا رأوا ... حدق النساء لنبلها أغراض

الشعر للفرزدق، والغناء لمعبدٍ ثقيلٌ أول عن الهشامي: أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن سياطٍ قال حدثني يونس الكاتب قال:

رحلة معبد إلى الأهواز

وما وقع بينه وبين الجواري المغنيات بالسفينة كان معبد قد علم جاريةً من جواري الحجاز الغناء - تدعى "ظبية: - وعني بتخريجها، فاشتراها رجلٌ من أهل العراق فأخرجها إلى البصرة وباعها هناك، فاشتراها رجلٌ من أهل الأهواز، فأعجب بها وذهبت به كل مذهب وغلبت عليه، ثم ماتت بعد أن أقامت عنده برهة من الزمان وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها، فكان لمحبته إياها وأسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبدٍ وأين مستقره، ويظهر التعصب له والميل إليه والتقديم لغنائه على سائر أغاني أهل عصره إلى أن عرف ذلك منه. وبلغ معبداً خبره، فخرج من مكة حتى أتى البصرة، فلما وردها صادف الرجل قد خرج عنها في ذلك اليوم إلى الأهواز فاكترى سفينةً. وجاء معبدٌ يلتمس سفينةً ينحدر فيها إلى الأهواز، فلم يجد غير سفينة الرجل، وليس يعرف أحد منهما صاحبه، فأمر الرجل الملاح أن يجلسه معه في مؤخر السفينة ففعل وانحدروا. فلما صاروا في فم نهر الأبلة تغدوا وشربوا، وأمر جواريه فغنين، ومعبدٌ ساكتٌ وهو في ثياب السفر، وعليه فروٌ وخفان غليظان وزيٌ جافٍ من زي أهل الحجاز، إلى أن غنت إحدى الجواري:

صوت

بانت سعاد وأمسى حبلها انصرما ... واحتلت الغور فالأجزاع من إضما

إحدى بليٍّ وما هام الفؤاد بها ... إلا السفاه وإلا ذكرةً حلما

- قال حماد: والشعر للنابغة الذبياني. والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أول بالبنصر، وفيه لغيره ألحانٌ قديمة ومحدثة - فلم تجد أداءه، فصاح بها معبد: يا جارية، إن غناءك هذا ليس بمستقيم. قال: فقال له مولاها وقد غضب: وأنت ما يدريك الغناء ما هو؟ ألا تمسك وتلزم شأنك! فأمسك. ثم غنت أصواتاً من غناء غيره وهو ساكتٌ لا يتكلم، حتى غنت:

صوت

بابنة الأزدي قلبي كئيب ... مستهامٌ عندها ما ينيب

ولقد لاموا فقلت دعوني ... إن من تنهون عنه حبيب

إنما أبلى عظامي وجسمي ... حبها والحب شيء عجيب

أيها العائب عندي هواها ... أنت تفدي من أراك تعيب

- والشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر، والغناء لمعبد ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر - قال: فأخلت ببعضه. فقال لها معبدٌ: يا جارية، لقد أخللت بهذا الصوت إخلالاً شديداً. فغضب الرجل وقال له: ويلك! ما أنت والغناء! ألا تكف عن هذا الفضول! فأمسك. وغنى الجواري ملياً، ثم غنت إحداهن:

صوت

خليلي عوجا فابكيا ساعةً معي على الربع نقضي حاجةً ونودع
ولا تعجلاني أن ألم بدمنةٍ لعزة لاحت لي ببيداء بلقع
وقولا لقلبٍ قد سلا: راجع الهوى وللعين: أذري من دموعك أودعي
فلا عيش إلا مثل عيشٍ مضى لنا مصيفاً أقمنا فيه من بعد مربع

- الشعر لكثير، والغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى، وفيه رملٌ للغريض - قال: فلم تصنع فيه شيئاً. فقال لها معبد: يا هذه، أما تقوين على أداء صوت واحد؟ فغضب الرجل وقال له: ما أراك تدع هذا الفضول بوجهٍ ولا حيلةٍ! وأقسم بالله لئن عاودت لأخرجنك من السفينة، فأمسك معبدٌ، حتى إذا سكتت الجواري سكتةً اندفع يغني الصوت الأول حتى فرغ منه، فصاح الجواري: أحسنت والله يا رجل! فأعده. فقال: لا والله ولا كرامة. ثم اندفع يغني الثاني، فقلن لسيدهن: ويحك! هذا والله أحسن الناس غناءً، فسله أن يعيده علينا ولو مرةً واحددة لعلنا نأخذه عنه، فإنه إن فاتنا لم نجد مثله أبداً. فقال: قد سمعتن سوء رده عليكن وأنا خائف مثله منه، وقد أسلفنا الإساءة، فاصبرن حتى نداريه. ثم غنى الثالث، فزلزل عليهم الأرض. فوثب الرجل فخرج إليه وقبل رأسه وقال: يا سيدي أخطأنا عليك و لم نعرف موضعك. فقال له: فهبك لم تعرف موضعي، قد كان ينبغي لك أن تتثبت ولا تسرع إلي بسوء العشرة وجفاء القول. فقال له: قد أخطأت وأنا أعتذر إليك مما جرى، وأسألك أن تترل إلي وتختلط بي. فقال: أما الآن فلا. فلم يزل يرفق به حتى نزل إليه. فقال له الرجل: ممن أخذت هذا الغناء؟ قال: من بعض أهل الحجاز، فمن أين أخذه جواريك؟ فقال: أخذنه من جارية كانت لي ابتاعها رجل من أهل البصرة من مكة، وكانت قد أخذت عن أبي عباد معبدٍ وعني بتخريجها، فكانت تحل مني محل الروح من الجسد، ثم استأثر الله عز وجل بها، وبقي هؤلاء الجواري وهن من تعليمها، فأنا إلى الآن أتعصب لمعبد وأفضله على المغنين جميعاً وأفضل صنعته على كل صنعة. فقال له معبد: أو إنك لأنت هو! أفتعرفني؟ قال: لا. قال: فصك معبدٌ بيده صلعته ثم قال: فأنا والله معبدٌ، وإليك قدمت من الحجاز، ووافيت البصرة ساعة نزلت السفينة لأقصدك بالأهواز، ووالله لا قصرت في جواريك هؤلاء، ولأجعلن لك في كل واحدة منهن خلفاً من الماضية. فأكب الرجل والجواري على يديه ورجليه يقبلونها ويقولون: كتمتنا نفسك طول هذا "اليوم" حتى جفوناك في المخاطبة، وأسأنا عشرتك، وأنت سيدنا ومن نتمنى على الله أن نلقاه. ثم غير الرجل زيه وحاله وخلع عليه عدة خلع، وأعطاه في وقته ثلثمائة دينار وطيباً وهدايا بمثلها، وانحدر معه إلى الأهواز، فأقام عنده حتى رضي حذق جواريه وما أخذته عنه، ثم ودعه وانصرف إلى الحجاز.

غناء معبد للوليد بن يزيد

أخبرني الحسن بن علي الخفاف وعبد الباقي بن قانع قالا: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني مهدي بن سابق قال حدثني سليمان بن غزوان مولى هشام قال حدثني عمر القاري بن عيد قال: قال الوليد بن يزيد يوماً: لقد اشتقت إلى معبد، فوجه البريد إلى المدينة فأتى بمعبد، وأمر الوليد ببركةٍ قد هيئت له فملئت بالخمر والماء، وأتي بمعبد فأمر به فأجلس والبركة بينهما، وبينهما ستر قد أرخي، فقال له غنني يا معبد:

صوت

لهفي على فتية ذل الزمان لهم — فما أصابهم إلا بما شاءوا
مازال يعدو عليهم ريب دهرهم — حتى تفانوا وريب الدهر عداء
أبكى فراقهم عيني وأرقها — إن التفرق للأحباب بكاء

- الغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ، وفيه ليحيى المكي رملٌ، ولسليمان هزجٌ، كلها رواية الهشامي - قال: فغناه إياه، فرفع الوليد الستر ونزع ملاءةً مطيبة كانت عليه وقذف نفسه في تلك البركة، فنهل فيها نهلةً، ثم أتي بأثوابٍ غيرها وتلقوه بالمجامر والطيب، ثم قال غنني:

صوت

يا ربع مالك لا تجيب متيما — قد عاج نحوك زائراً ومسلما
جادتك كل سحابةٍ هطالةٍ — حتى ترى عن زهرةٍ متبسما

- الغناء لمعبدٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطى والخنصر عن ابن المكي. وفيه لعلوية ثاني ثقيلٍ آخر بالبنصر في مجراها عنه - قال: فغناه فدعا له بخمسة عشر ألف دينارٍ فصبها بين يديه، ثم قال: انصرف إلى أهلك واكتم ما رأيت.

وأخبرني بهذا الخبر عمي فجاء ببعض معانيه وزاد فيه ونقص، قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني سليمان بن سعد الحلبي قال:

سمعت القاري بن عدي يقول: إشتاق الوليد بن يزيد إلى معبد، فوجه إليه إلى المدينة فأحضر. وبلغ الوليد قدومه، فأمر ببركةٍ بين يدي مجلسه فملئت ماء وردٍ قد خلط بمسك وزعفران، ثم فرش للوليد في داخل البيت على حافة البركة، وبسط لمعبد مقابله على حافة البركة، ليس معهما ثالثٌ، وجيء بمعبد فرأى ستراً مرخى ومجلس رجل واحد. فقال له الحجاب: يا معبد، سلم على أمير المؤمنين واجلس في هذا الموضع؛ فسلم فرد عليه الوليد السلام من خلف الستر، ثم قال له: حياك الله يا معبد! أتدري لم وجهت إليك؟ قال: الله أعلم وأمير المؤمنين. قال: ذكرتك فأحببت أن أسمع منك. قال معبد: أأغني ما حضر أم ما يقترحه أمير المؤمنين؟ قال: بل غنني:

مازال يعدو عليهم ريب دهرهم — حتى تافنوا وريب الدهر عداء

فغناه، فما فرغ منه حتى رفع الجواري السجف، ثم خرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج منها، فاستقبله الجواري بثيابٍ غير الثياب الأولى، ثم شرب وسقى معبداً، ثم قال له: غنني يا معبد:

يا ربع مالك لا تجيب متيما ... قد عاج نحوك زائراً ومسلما

جادتك كل سحابة هطالة ... حتى ترى عن زهرةٍ متبسما

لو كنت تدري من دعاك أجبته ... وبكيت من حرقٍ عليه إذاً دما

قال: فغناه، وأقبل الجواري فرفعن الستر، وخرج الوليد فالقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج، فلبس ثياباً غير تلك، ثم شرب وسقى معبداً، ثم قال له: غنني. فقال: بماذا يا أمير المؤمنين؟ قال غنني:

عجبت لما رأتني ... أندب الربع المحيلا

واقفاً في الدار أبكي ... لا أرى إلا الطلولا

كيف تبكي لأناسٍ ... لا يملون الذميلا؟

كلما قلت اطمأنت ... دارهم قالوا الرحيلا

قال: فلما غناه رمى نفسه في البركة ثم خرج، فردوا عليه ثيابه، ثم شرب وسقى معبداً، ثم أقبل عليه الوليد فقال له: يا معبد، من أراد أن يزداد عند الملوك حظوةً فليكتم أسرارهم. فقلت: ذلك ما لا يحتاج أمير المؤمنين إلى إيصائي به. فقال: يا غلام، احمل إلى معبدٍ عشرة آلاف دينار تحصل له في بلده وألفي دينار لنفقة طريقه، فحملت إليه كلها، وحمل على البريد من وقته إلى المدينة.

خبر معبد مع رجل لم يستحسن غناءه

قال إسحاق: وقال معبد: أرسل إلي الوليد بن يزيد فأشخصت إليه. فبينا أنا يوماً في بعض حمامات الشأم إذ دخل علي رجل له هيبة ومعه غلمانٌ له، فأطلى واشتغل به صاحب الحمام عن سائر الناس. فقلت: والله لئن لم أطلع هذا على بعض ما عندي لأكونن بمزجر الكلب؛ فاستدبرته حيث يراني ويسمع مني، ثم ترنمت، فالتفت إلي وقال للغلمان: قدموا إليه "جميع" ما ها هنا، فصار جميع ما كان بين يديه عندي. قال: ثم سألني أن أسير معه إلى منزله فأجبته، فلم يدع من البر والإكرام شيئاً إلا فعله، ثم وضع النبيذ، فجعلت لا آتي بحسنٍ إلا خرجت إلى ما هو أحسن منه وهو لا يرتاح ولا يحفل لما يرى مني. فلما طال عليه أمري قال: يا غلام، شيخنا شيخنا، فأتي بشيخ، فلما رآه هش إليه، فأخذ الشيخ العود ثم اندفع يغني:

سلور في القدر ويلي علوه ... جاء القط أكله ويلي علوه

السلور: السمك الجري بلغة أهل الشأم - قال: فجعل صاحب المنزل يصفق ويضرب برجله طرباً وسروراً. قال: ثم غناه:

وترميني حبيبة بالدراقن وتحسبني حبيبة لا أراها

- الدراقن: اسم الخوخ بلغة أهل الشأم - فكاد أن يخرج من جلده طرباً. قال: وانسللت منهم فانصرفت و لم يعلم بي. فما رأيت مثل ذلك اليوم غناءً أضيع، ولا شيخاً أجهل!

معبد وابن عائشة

قال إسحاق: وذكر لي شيخٌ من أهل المدينة عن هارون بن سعد: أن ابن عائشة كان يلقي عليه وعلى ربيحة الشماسية، فدخل معبدٌ فألقى عليهما صوتاً، فاندفع ابن عائشة يغنيه وقد أخذه منه؛ فغضب معبد وقال: أحسنت يابن عاهرة الدار، تفاخرني! فقال: لا والله - جعلني الله فداءك يا أبا عباد - ولكني أقتبس منك، وما أخذته إلا عنك، ثم قال: أنشدك الله يابن شماس، هل قلت لك: قد جاء أبو عباد فاجمع بيني وبينه أقتبس منه. قال: اللهم نعم.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال:

قيل لابن عائشة، وقد غنى صوتاً أحسن فيه فقال: أصبحت أحسن الناس غناءً، فقيل له: وكيف أصبحت أحسن الناس غناءً؟ قال: وما يمنعني من ذلك وقد أخذت من أبي عباد أحد عشر صوتاً، وأبو عباد مغني أهل المدينة والمقدم فيهم! أخبرنا وكيعٌ قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال حدثني أيوب بن عباية عن رجل من هذيل قال:

قدومه مكة والتقاؤه بالمغنين بها

قال معبد: غنيت فأعجبني غنائي وأعجب الناس وذهب لي به صيت وذكر، فقلت لآتين مكة فلأسمعن من المغنين بها ولأغنينهم ولأتعرفن إليهم، فابتعت حماراً فخرجت عليه إلى مكة. فلما قدمتها بعت حماري وسألت عن المغنين أين يجتمعون؟ فقيل: بقعيقعان في بيت فلان، فجئت إلى مترله بالغلس فقرعت الباب، فقال: من هذا. فقلت: انظر عافاك الله! فدنا وهو يسبح ويستعيد كأنه يخاف، ففتح فقال: من أنت عافاك الله؟ قلت: رجلٌ من أهل المدينة. قال: فما حاجتك؟ قلت: أنا رجلٌ أشتهي الغناء، وأزعم أني أعرف منه شيئاً، وقد بلغني أن القوم يجتمعون عندك، وقد أحببت أن تترلني في جانب مترلك وتخلطني بهم، فإنه لا مئونة عليك ولا عليهم مني. فلوى شيئاً ثم قال: انزل على بركة الله. قال: فنقلت متاعي فترلت في جانب حجرته. ثم جاء القوم حين أصبحوا واحداً بعد واحدٍ حتى اجتمعوا، فأنكروني وقالوا: من هذا الرجل؟ قال: رجلٌ من أهل المدينة خفيفٌ يشتهي الغناء ويطرب عليه، ليس عليكم منه عناءٌ ولا مكروه. فرحبوا بي وكلمتهم، ثم انبسطوا وشربوا وغنوا، فجعلت أعجب بغنائهم وأظهر ذلك لهم ويعجبهم مني، حتى أقمنا أياماً، وأخذت من غنائهم وهم لا يدرون أصواتاً وأصوتاً وأصواتاً. ثم قلت لابن سريجٍ: أي فديتك! أمسك علي صوتك:

قل لهندٍ وتربها قبل شحط النوى غدا

قال: أو تحسن شيئاً؟ قلت: تنظر، وعسى أن أصنع شيئاً، واندفعت فيه فغنيته، فصاح وصاحوا وقالوا: أحسنت قاتلك الله! قلت: فأمسك علي صوت كذا فأمسكوه علي، فغنيته، فازدادوا عجباً وصياحاً.

فما تركت واحداً منهم إلا غنيته من غنائه أصواتاً قد تخيرتها. قال: فصاحوا حتى علت أصواتهم وهرفوا بي وقالوا: لأنت أحسن بأداء غنائنا عنا منا. قال: قلت: فأمسكوا علي "ولا تضحكوا بي حتى تسمعوا من غنائي"، فأمسكوا علي؛ فغنيت صوتاً من غنائي فصاحوا بي، ثم غنيتهم آخر وآخر فوثبوا إلي وقالوا: نحلف بالله إن لك لصيتاً واسماً وذكراً، وإن لك فيما هاهنا لسهماً عظيماً، فمن أنت؟ قلت: أنا معبد. فقبلوا رأسي وقالوا: لفقت علينا وكنا نتهاون بك ولا نعدك شيئاً وأنت أنت. فأقمت عندهم شهراً آخذ منهم ويأخذون مني، ثم انصرفت إلى المدينة.

نسبة هذا الصوت صوت

قل لهندٍ وتربها قبل شحط النوى غدا

إن تجوي فطالما بت ليلي مسهدا

أنت في ود بيننا خير ما عندنا يدا

حين تدلي مضفراً حالك اللون أسوادا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج عن حماد ولم يجنسه. وفيه لمالك خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق. وقال الهشامي: فيه لابن محرز خفيف ثقيلٍ بالوسطى.

ومن الثلاثة الأصوات المختارة

صوت فيه أربعة ألحانٍ من رواية علي بن يحيى

ثاني الثلاثة الأصوات المختارة

تشكى الكميت الجري لما جهدته وبين لو يسطيع أن يتكلما

لذلك أدني دون خيلي مكانه وأوصي به ألا يهان ويكرما

فقلت له: إن ألق للعين قرةً فهان علي أن تكل وتسأما

عدمت إذاً وفري وفارقت مهجتي لئن لم أقل قرناً إن الله سلما

عروضه من الطويل. قوله: "لئن لم أقل قرنا"، يعني أنه يجد في سيره حتى يقيل بهذا الموضع، وهوقرن المنازل، وكثيراً ما يذكره في شعره.

الشعر لعمر بن أبي ربيعة المخزومي، والغناء في هذا اللحن المختار لابن سريج، ثاني ثقيل مطلقٍ في مجرى الوسطى. وفيه لإسحاق أيضاً ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو بن بانة. وفيه ثقيلٌ أول يقال إنه ليحيى المكي. وفيه خفيف رملٍ يقال إنه لأحمد بن موسى المنجم. وفيه للمعتضد ثاني ثقيلٍ آخر في نهاية الجودة. وقد كان عمرو بن بانة صنع فيه لحناً فسقط لسقوط صنعته.

أخبرني جحظة قال حدثني أبو عبد الله الهشامي قال: صنع عمرو بن بانة لحناً في "تشكي الكميت الجري" فأخبرني بعض عجائزنا بذلك، قالت فأردنا أن نعرضه على متيم لنعلم ما عندها فيه، فقلنا لبعض من أخذه عن عمرو: إن "تشكى الكميت الجري" في اللحن الجديد، فقالت متيم: أيش هذا اللحن الجديد والكميت المحدث؟ قلنا: لحنٌ صنعه عمرو بن بانة. فغنته الجارية، فقالت متيم لها: اقطعي اقطعي، حسبك حسبك هذا! والله لحمار حنينٍ المكسور أشبه مه بالكميت.

ذكر خبر عمر بن أبي ربعية ونسبه

نسب عمر بن أبي ربيعة

هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة، واسم أبي ربيعة: حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر. وقد تقدم باقي النسب في نسب أبي قطيفة. ويكنى عمر بن أبي ربيعة "أبا الخطاب". وكان أبو ربيعة جده يسمى "ذا الرمحين" سمي بذلك لطوله، كان يقال: كأنه يمشي على رمحين. أخبرني بذلك الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي ومحمد بن الضحاك عن أبيه الضحاك عن عثمان بن عبد الرحمن اليربوعي. وقيل: إنه قاتل يوم عكاظ برمحين فسمي "ذا الرمحين" لذلك. وأخبرني بذلك أيضاً علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن مصعب الزبيري والمدائني والمسيبي ومحمد بن سلام، قالوا: وفيه يقول عبد الله بن الزبعرى:

ألا لله قومٌ و ... لدت أخت بني سهم
هشامٌ وأبو عبد ... منافٍ مدرة الخصم
وذو الرمحين أشباك ... على القوة والحزم
فهذان يذودان ... وذا من كثبٍ يرمي
أسودٌ تزدهي الأقرا ... ن مناعون للهضم
وهم يوم عكاظٍ م ... نعوا الناس من الهزم
وهم من ولدوا أشبوا ... بسر الحسب الضخم

فإن أحلف وبيت الل ه لا أحلف على إثم

لما من إخوةٍ بين قصور الشأم والردم

بأزكى من بني ريط ة أو أوزن في الحلم

أبو عبد مناف: الفاكه بن المغيرة. وريطة هذه التي عناها هي أم بني المغيرة، وهي بنت سعيد بن سعد بن سهم، ولدت من المغيرة هشاماً وهاشماً ربيعة والفاكه.

وأخبرني أحمد بن سليمان بن داود الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال أخبرني محمد بن عبد العزيز عن ابن أبي نهشلٍ عن أبيه قال: قال لي أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام - وجئته أطلب منه مغرماً - يا خال، هذه أربعة آلاف درهم وأنشد هذه الأبيات الأربعة وقل: سمعت حسان ينشدها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: أعوذ بالله أن أفتري على الله ورسوله، ولكن إن شئت أن أقول: سمعت عائشة تنشدها فعلت. فقال: لا، إلا أن تقول: سمعت حسان ينشدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ، فأبى علي وأبيت عليه، فأقمنا لذلك لا نتكلم عدة ليالٍ. فأرسل إلي فقال: قل أبياتاً تمدح بها هشاماً - يعني ابن المغيرة - وبني أمية. فقلت: سمهم لي، فسماهم وقال: اجعلها في عكاظ واجعلها لأبيك. فقلت:

ألا لله قومٌ و لدت أخت بني سهم

قال: ثم جئت فقلت: هذه قالها أبي. فقال: لا، ولكن قل: قالها ابن الزبعري. قال: فهي إلى الآن منسوبةٌ في كتب الناس إلى ابن الزبعري.

قال الزبير: وأخبرني محمد بن الحسن المخزومي قال: أخبرني محمد بن طلحة أن عمر بن أبي ربيعة قائل هذه الأبيات:

ألا لله قوم و لدت أخت بني سهم

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبد العزيز بن عمران قال حدثني محمد بن عبد العزيز عن ابن أبي نهشلٍ عن أبيه بمثل ما رواه الزبير عنه. وزاد فيه عمر بن شبة: قال محمد بن يحيى: و "أخت بني سهم التي عناها ريطة بنت سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، وهي أم بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهم: هشام وهاشمٌ وأبو ربيعة والفاكه، وعدةٌ غيرهم لم يعقبوا، وإياهم يعني أبو ذؤيب بقوله:

صخب الشوارب لا يزال كأنه عبدٌ لآل أبي ربيعة مسبع

ضرب بعزهم المثل. "قال": وكان اسم عبد الله بن أبي ربيعة في الجاهلية بحيراً، فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله، وكانت قريش تلقبه "العدل"، لأن قريشاً كانت تكسو الكعبة في الجاهلية بأجمعها من

أموالها سنةً، ويكسوها من ماله سنةً، فأرادوا بذلك أنه وحده عدلٌ لهم جميعاً في ذلك.
وفيه يقول ابن الزبعري:

بحير بن ذي الرمحين قرب مجلسي وراح علي خيره غير عاتم

وقد قيل: إن العدل هو الوليد بن المغيرة.
وكان عبد الله بن أبي ربيعة تاجراً موسراً، وكان متجره إلى اليمن، وكان من أكثرهم مالاً. وأمه أسماء بنت مخربة، وقيل: مخرمة، وكانت عطارة يأتيها العطر من اليمن. وقد تزوجها هشام بن المغيرة أيضاً، فولدت له أبا جهل والحارث ابني هشام، فهي أمهما وأم عبد الله وعياش ابني أبي ربيعة.
أخبرني الحرمي والطوسي قال: حدثنا الزبير قال حدثني عمي عن الواقدي قال: كانت أسماء بنت مخربة تبيع العطر بالمدينة. فقالت الربيع بنت معوذ بن عفراء الأنصارية - وكان أبوها قتل أبا جهل بن هشام يوم بدر واحتز رأسه عبد الله بن مسعود - وقيل: بل عبد الله بن مسعود هو الذي قتله - فذكرت أن أسماء بنت مخربة دخلت عليها وهي تبيع عطراً لها في نسوةٍ، قالت: فسألت عنا، فانتسبنا لها. فقالت: أأنت ابنة قاتل سيده؟ تعني أبا جهل. قلت: بل أنا بنت قاتل عبده. قالت: حرامٌ علي أن أبيعك من عطري شيئاً. قلت: وحرامٌ علي أن أشتري منه شيئاً، فما وجدت لعطرٍ نتناً غير عطرك، ثم قمت، ولا والله ما رأيت عطراً أطيب من عطرها، ولكني أردت أن أعيبه لأغيظها.
وكان لعبد الله بن أبي ربيعة عبيدٌ من الحبشة يتصرفون في جميع المهن، وكان عددهم كثيراً، فروي عن سفيان بن عيينة أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى حنين: هل لك في حبش بني المغيرة تستعين بهم؟ فقال: "لا خير في الحبش إن جاعوا سرقوا وإن شبعوا زنوا، وإن فيهم لخلتين حسنتين إطعام الطعام والبأس يوم البأس". واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي ربيعة على الجند ومخلفيها، فلم يزل عاملاً عليها حتى قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه. هذا من رواية الزبير عن عمه. قال: وحدثني ابن الماجشون عن عمه أن عثمان بن عفان - رحمه الله - استعمله أيضاً عليها.

أم عمر بن أبي ربيعة وأخوه الحارث

الملقب بالقباع

وأم عمر بن أبي ربيعة أم ولدٍ يقال لها "مجد"، سبيت من حضرموت، ويقال من حمير. قال أبو محلم ومحمد بن سلام: هي من حمير، ومن هناك أتاه الغزل، يقال: غزلٌ يمانٍ، ودل حجازي.
وقال عمر بن شبة: أم عمر بن أبي ربيعة أم ولدٍ سوداء من حبشٍ يقال لهم: فرسان. وهذا غلط من أبي زيد، تلك أم أخيه الحارث بن عبد الله الذي يقال له: "القباع"، وكانت نصرانيةً. وكان الحارث بن عبد الله شريفاً كريماً ديناً وسيداً من سادات قريش.

قال الزبير بن بكار: ذكره عبد الملك بن مروان يوماً وقد ولاه عبد الله بن الزبير، فقال: أرسل عوفاً وقعد! "لا حر بوادي عوف". فقال له يحيى بن الحكم: ومن الحارث ابن السوداء! فقال له عبد الملك: ما ولدت والله أمة خيراً مما ولدت أمه!.

وأخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزبير والمدائني والمسيبي: أن أمه ماتت نصرانية وكانت تسر ذلك منه. فحضر الأشراف جنازتها، وذلك في عهد عمر بن الخطاب - رحمة الله عليه - فسمع الحارث من النساء لغطاً، فسأل عن الخبر، فعرف أنها ماتت نصرانية وأنه وجد الصليب في عنقها، وكانت تكتمه ذلك. فخرج إلى الناس فقال: انصرفوا رحمكم الله، فإن لها أهل دينٍ هم أولى بها منا ومنكم فاستحسن ذلك منه وعجب الناس من فعله.

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء الغناء في "ألا لله قوم"... الأبيات صوت

ألا لله قومٌ و	لدت أخت بني سهم
هشامٌ وأبو عبد	منافٍ مدرة الخصم
وذو الرمحين أشباك	على القوة والحزم
فهذان يذودان	وذا من كثب يرمي

عروضه من مكفوف الهزج. الغناء لمعبد خفيف رملٍ من رواية حماد.

رأي يزيد في غناء معبد وابن سريج

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال إسماعيل بن مجمع أخبرنا المدائني عن رستم ابن صالح قال: قال يزيد بن عبد الملك يوماً لمعبد: يا أبا عباد، أني أريد أن أخبرك عن نفسي وعنك، فإن قلت فيه خلاف ما تعلم فلا تتحاش أن ترده علي، فقد أذنت لك. قال: يا أمير المؤمنين، لقد وضعك ربك بموضع لا يعصيك إلا ضال، ولا يرد عليك إلا مخطيء. قال: إن الذي أجده في غنائك لا أجده في غناء ابن سريج: أجد في غنائك متانةً، وفي غنائه انحناثاً وليناً. قال معبد: والذي أكرم أمير المؤمنين بخلافته، وارتضاه لعباده، وجعله أميناً على أمة نبيه صلى الله عليه وسلم، ما عدا صفتي وصفة ابن سريج، وكذا يقول ابن سريج وأقول، ولكن أن رأى أمير المؤمنين أن يعلمني هل وضعني ذاك عنده فعل. قال: لا والله، ولكني أؤثر الطرب على كل شيء.

قال: يا سيدي فإذا كان ابن سريج يذهب إلى الخفيف من الغناء وأذهب أنا إلى الكامل التام، فأغرب أنا ويشرق هو، فمتى نلتقي؟ قال: أفتقدر أن تحكي رقيق بن سريج؟ قال نعم، فصنع من وقته لحناً من الخفيف في:

ألا لله قوم و	لدت أخت بني سهم

الأربعة الأبيات. فغناه، فصاح يزيد: أحسنت والله يا مولاي! أعد فداك أبي وأمي، فأعاد، فرد عليه مثل قوله الأول، فأعاد. ثم قال: أعد فداك أبي وأمي، فأعاد، فاستخفه الطرب حتى وثب وقال لجواريه: افعلن كما أفعل، وجعل يدور في الدار ويدرن معه وهو يقول:

يا دار دوريني ... يا قرقر امسكيني

آليت منذ حين ... حقاً لتصرميني

ولا تواصليني ... بالله فارحميني

لم تذكري يميني !

قال: فلم يزل يدور كما يدور الصبيان ويدرن معه، حتى خر مغشياً عليه ووقعن فوقه ما يعقل ولا يعقلن، فابتدره الخدم "فأقاموه " وأقاموا من كان على ظهره من جواريه، وحملوه وقد جاءت نفسه أو كادت.

سيرة جوان بن عمر بن أبي ربيعة

رجع الخبر إلى ذكر عمر بن أبي ربيعة وكان لعمر بن أبي ربيعة بنٌ "صالحٌ " يقال له "جوان"، وفيه يقول العرجي:

شهيدي جوانٌ على حبها ... أليس بعدلٍ عليها جوان

فأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يحيى بن محمد بن عبد الله بن ثوبان قال: جاء جوان بن عمر بن أبي ربيعة إلى زياد بن عبد الله الحارثي وهو إذ ذاك أميرٌ على الحجاز، فشهد عنده بشهادةٍ، فتمثل:

شهيدي جوانٌ على حبها ... أليس بعدلٍ عليها جوان

- وهذا الشعر للعرجي - ثم قال: قد أجزنا شهادتك، وقبله. وقال غير الزبير: إنه جاء إلى العرجي، فقال له: يا هذا! ما لي وما لك تشهرني في شعرك! متى أشهدتني على صاحبتك هذه! ومتى كنت أنا أشهد في مثل هذا! قال: وكان امرأً صالحاً.

وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني بكار بن عبد الله قال: استعمل بعض ولاة مكة جوان بن عمر على تبالة، فحمل على خثعم في صدقات أموالهم حملاً شديداً، فجعلت خثعم سنة جوانٍ تاريخاً، فقال ضبارة بن الطفيل:

أتلبسنا ليلى على شعثٍ بنا ... من العام أو يرمى بنا الرجوان

صوت

رأتني كأشلاء اللجام وراقها ... أخو غزلٍ ذو لمةٍ ودهان

ولو شهدتني في ليالٍ مضين لي لعامين مرا قبل عام جوان

رأتنا كريمي معشرٍ حم بيننا هوى فحفظناه بحسن صيان

نذود النفوس الحائمات عن الصبا وهن بأعناقٍ إليه ثواني

ذكر حبش أن الغناء في هذه الأبيات للغريض ثاني ثقيلٍ بالبنصر، وذكر الهشامي أنه لقراريط.

أمة الواحد بنت عمر بن أبي ربيعة قالوا: وكان لعمر أيضاً بنت يقال لها: "أمه الواحد" وكانت مسترضعةٌ في هذيل، وفيها يقول عمر بن أبي ربيعة - وقد خرج يطلبها فضل الطريق -:

لم تدر وليغفر لها ربها ما جشمتنا أمة الواحد

جشمت الهول براذيننا نسأل عن بيت أبي خالد

نسأل عن شيخ بني كاهلٍ أعيا خفاء نشدة الناشد

مولد عمر يوم قتل عمر بن الخطاب

ووفاته وقد قارب السبعين

أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي بكر العامري أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال حدثني يعقوب بن القاسم قال حدثنا أسامة بن زيد بن الحكم بن عوانة عن عوانة بن الحكم - قال: أراه عن الحسن - قال: ولد عمر بن أبي ربيعة ليلة قتل عمر بن الخطاب - رحمة الله عليه - فأي حقٍّ رفع، وأي باطلٍ وضع!. قال عوانة: ومات وقد قارب السبعين أو جاوزها.

أخبرني الجوهري والمهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال حدثني يعقوب بن القاسم قال حدثني عبد الله بن الحارث عن ابن جريج عن عطاء قال: كان عمر بن أبي ربيعة أكبر مني كأنه ولد في أول الإسلام.

عمر في مجلس ابن عباس بالمسجد الحرام

أخبرني الجوهري والمهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني هارون بن عبد الله الزهري قال: حدثنا ابن أبي ثابت، وحدثني به علي بن صالح بن الهيثم عن أبي هفان عن إسحاق عن المسيبي والزبيري والمدائني ومحمد بن سلام، قالوا: قال أيوب بن سيار، وأخبرني به الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن الحسن المخزومي عن عبد العزيز بن عمران عن أيوب بن سيار عن عمر الركاء قال: بينا ابن عباس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناسٌ من الخوارج يسألونه، إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين أو ممصرين حتى دخل وجلس، فأقبل عليه ابن عباس فقال أنشدنا فأنشده:

أمن آل نعمٍ أنت غادٍ فمبكر غداة غدٍ أم رائحٌ فمهجر

حتى أتى على آخرها. فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال: الله يابن عباس! إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنا، ويأتيك غلام مترفٌ من مترفي قريش فينشدك:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيخزى وأما بالعشى فيخسر

فقال: ليس هكذا قال. قال: فكيف قال؟ فقال: قال:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشى فيخصر

فقال: ماأراك إلا وقد حفظت البيت! قال: أجل! وإن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها. قال فإني أشاء، فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها. وفي غير رواية عمر بن شبة: أن ابن عباس أنشدها من أولها إلى آخرها، ثم أنشدها من آخرها إلى أولها مقلوبة، وما سمعها قط إلا تلك المرة صفحاً. قال: وهذا غاية الذكاء. فقال له بعضهم: ما رأيت أذكى منك قط. فقال: لكني ما رأيت قط أذكى من علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان ابن عباس يقول: ما سمعت شيئاً قط إلا رويته، وإني لأسمع صوت النائحة فأسد أذني كراهة أن أحفظ ما تقول.
قال: ولامه بعض أصحابه في حفظ هذه القصيدة: "أمن آل نعم..." فقال: إنا نستجيدها.
وقال الزبير في خبره عن عمه: فكان ابن عباس بعد ذلك كثيراً ما يقول: هل أحدث هذا المغيري شيئاً بعدنا؟
قال: وحدثني عبد الله بن نافع بن ثابت قال: كان عبد الله بن الزبير إذا سمع قول عمر بن أبي ربيعة:

فيضحى وأما بالعشي فيحضر

قال: لا، بل:

فيخزى وأما بالعشي فيخسر

قال عمر بن شبة وأبو هفان والزبير في حديثهم: ثم أقبل على ابن أبي ربيعة فقال: أنشد، فأنشده:

تشط غداً دار جيراننا

وسكت، فقال ابن عباس:

وللدار بعد غدٍ أبعد

فقال له عمر: كذلك قلت - أصلحك الله - أفسمعته؟ قال: لا، ولكن كذلك ينبغي.

شعره وخلقه وشهادة الشعراء فيه

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يعقوب بن إسحاق قال: كانت العرب تقر لقريشٍ بالتقدم في كل شيء عليها إلا في الشعر، فإنها كانت لا تقر لها به، حتى كان عمر بن أبي ربيعة، فأقرت لها الشعراء بالشعر أيضاً ولم تنازعها شيئاً.
قال الزبير: وسمعت عمي مصعباً يحدث عن جدي أنه قال مثل هذا القول. قال: وحدثني عدةٌ من أهل العلم أن

النصيب قال: لعمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحجال.

قال المدائني قال سليمان بن عبد الملك لعمر بن أبي ربيعة: ما يمنعك من مدحنا؟ قال: إني لا أمدح الرجال، إنما أمدح النساء. قال: وكان ابن جريجٍ يقول: ما دخل على العواتق في حجالهن شيءٌ اضر عليهن من شعر عمر بن أبي ربيعة.

قال الزبير وحدثني عمي عن جدي - وذكره أيضاً إسحاق فيما رويناه عن أبي هفان عنه عن المدائني - قال قال هشام بن عروة: لا ترووا فتياتكم شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورطن في الزنا تورطاً، وأنشد:

لقد أرسلت جاريتي وقلت لها خذي حذرك

وقولي في ملاطفةٍ لزينب :نولي عمرك

أخبرنا علي بن صالح قال حدثني أبو هفان عن إسحاق عن الزبيري قال حدثني أبي عن سمرة الدوماني من حمير قال: إني لأطوف بالبيت فإذا أنا بشيخٍ في الطواف، فقيل لي: هذا عمر بن أبي ربيعة. فقبضت على يده وقلت له: يابن أبي ربيعة. فقال: ما تشاء؟ قلت: أكل ما قتله في شعرك فعلته؟ قال: إليك عني. قلت: أسألك بالله! قال: نعم وأستغفر الله.

قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عدي عن حمادٍ الراوية: أنه سئل عن شعر عمر بن أبي ربيعة فقال: ذاك الفستق المقشر.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن عمه قال: سمع الفرزدق شيئاً من نسيب عمر فقال: هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار، ووقع هذا عليه. قال: وكان بالكوفة رجلٌ من الفقهاء تجتمع إليه الناس فيتذاكرون العلم، فذكر يوماً شعر عمر بن أبي ربيعة فهجنه. فقالوا له: بمن ترضى؟ ومر بهم حمادٌ الراوية فقال: قد رضيت بهذا. فقالوا له: ما تقول فيمن يزعم أن عمر بن أبي ربيعة لم يحسن شيئاً؟ فقال: أين هذا؟ اذهبوا بنا إليه. قالوا: نصنع به ماذا؟ قال: ننزو على أمه لعلها تأتي بمن هو أمثل من عمر.

قال إسحاق: وقال أبو المقوم الأنصاري: ما عصي الله بشيء كما عصي بشعر عمر بن أبي ربيعة.

قال إسحاق: وحدثني قيس بن داود قال حدثني أبي قال: سمعت عمر بن أبي ربيعة يقول: لقد كنت وأنا شابٌ أعشق ولا أعشق، فاليوم صرت إلى مداراة الحسان إلى الممات. ولقد لقيتني فتاتان مرةً فقالت لي إحداهما: أدن مني يابن أبي ربيعة أسر إليك شيئاً. فدنوت منها ودنت الأخرى فجعلت تعضني، فما شعرت بعض هذه من لذة سرار هذه.

قال إسحاق: وذكر عبد الصمد بن المفضل الرقاشي عن محمد بن فلان الزهري - سقط اسمه - عن إسحاق عن عبد الله بن مسلمة بن أسلم قال: لقيت جريراً فقلت له: يا أبا حزرة، إن شعرك رفع إلى المدينة وأنا أحب أن تسمعني منه شيئاً. فقال: إنكم يا أهل المدينة يعجبكم النسيب، وإن أنسب الناس المخزومي. يعني ابن أبي ربيعة.

قال إسحاق: وذكر محمد بن إسماعيل الجعفري عن أبيه عن خاله عبد العزيز بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، قال: أشرف عمر بن أبي ربيعة على أبي قبيسٍ، وبنو أخيه معه وهم محرمون، فقال لبعضهم: خذ بيدي فأخذ بيده، وقال: ورب هذه البنية ما قلت لامرأةٍ قط شيئاً لم تقله لي، وما كشفت ثوباً عن حرام قط. قال: ولما مرض عمر مرضه الذي مات فيه جزع أخوه الحارث جزعاً شديداً. فقال له عمر: أحسبك إنما تجزع لما تظنه بي، والله ما أعلم أني ركبت فاحشةً قط! فقال: ما كنت أشفق عليك إلا من ذلك، وقد سليت عني.

قال إسحاق: حدثني مصعبٌ الزبيري قال قال مصعب بن عروة بن الزبير: خرجت أنا وأخي عثمان إلى مكة معتمرين أو حاجين، فلما طفنا بالبيت مضينا إلى الحجر نصلي فيه، فإذا شيخٌ قد فرج بيني وبين أخي فأوسعنا له. فلما قضى صلاته أقبل علينا فقال: من أنتما؟ فأخبرناه. فرحب بنا وقال: يا ابني أخي، إني موكل بالجمال أتبعه، وإني رأيتكما فراقني حسنكما وجمالكما، فاستمتعا بشبابكما قبل أن تندما عليه، ثم قام، فسألنا عنه فإذا هو عمر بن أبي ربيعة.

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن الضحاك قال: عاش عمر بن أبي ربيعة ثمانين سنة، فتك منها أربعين سنةً، ونسك أربعين سنة.

قال الزبير وحدثني إبراهيم عن حمزة ومحمد بن ثابت عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: حججت مع أبي وأنا غلامٌ وعلي جمة. فلما قدمت مكة جئت عمر بن أبي ربيعة، فسلمت عليه وجلست معه، فجعل يمد الخصلة من شعري ثم يرسلها فترجع على ما كانت عليه، ويقول: واشباباه!. حتى فعل ذلك مراراً. ثم قال لي: يابن أخي، قد سمعتني أقول في شعري: قالت لي وقلت لها، وكل مملوكٍ لي حرٌ إن كنت كشفت عن فرجٍ حرامٍ قط! فقمت وأنا متشككٌ في يمينه، فسألت عن رقيقه فقيل لي: أما في الحوك فله سبعون عبداً سوى غيرهم.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثتني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت: مررت بجدك عبد الله بن مصعب وأنا داخلةٌ منزله وهو بفنائه ومعي دفتر، فقال: ما هذا معك؟ ودعاني. فجئته وقلت: شعر عمر بن أبي ربيعة. فقال: ويحك! تدخلين على النساء بشعر عمر بن أبي ربيعة! إن لشعره لموقعاً من القلوب ومدخلاً لطيفاً، لو كان شعرٌ يسحر لكان هو، فارجعي به. قالت: ففعلت.

"قال إسحاق": وأخبرني الهيثم بن عدي قال: قدمت امرأةٌ مكة وكانت من أجمل النساء. فبينا عمر بن أبي ربيعة يطوف إذ نظر إليها فوقعت في قلبه، فدنا منها فكلمها، فلم تلتفت إليه. فلما كان في الليلة الثانية جعل يطلبها حتى أصابها. فقالت له: إليك عني يا هذا، فإنك في حرم الله وفي أيامٍ عظيمة الحرمة. فألح عليها يكلمها، حتى خافت أن يشهرها. فلما كان في الليلة الأخرى قالت لأخيها: أخرج معي يا أخي فأرني المناسك، فإني لست أعرفها، فأقبلت وهو معها. فلما رآها عمر أراد أن يعرض لها، فنظر إلى أخيها معها فعدل عنها، فتمثلت المرأة بقول النابغة:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له ... وتتقي صولةً المستأسد الحامي

قال إسحاق: فحدثني السندي مولى أمير المؤمنين أن المنصور قال -وقد حدث بهذا الخبر-: وددت أنه لم تبق فتاة من قريش في خدرها إلا سمعت بهذا الحديث.

قال إسحاق: قال لي الأصمعي: عمر حجةٌ في العربية، و لم يؤخذ عليه إلا قوله:

ثم قالوا تحبها قلت بهراً ... عدد الرمل والحصى والتراب

وله في ذلك مخرجٌ، إذ قد أتى به على سبيل الإخبار. قال: ومن الناس من يزعم أنه إنما قال:

قيل لي هل تحبها قلت بهرا

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الأشعار التي قالها عمر بن أبي ربيعة وغنى فيها المغنون إذ كانت لم تنسب هناك لطول شرحها

شعر عمر الذي غنى فيه المغنون

منها ما يغنى فيه من قوله:

صوت

أمن آل نعمٍ أنت غادٍ فمبكر ... غداة غدٍ أم رائح فمهجر

لحاجة نفسٍ لم تقل في جوابها ... فتبلغ عذراً والمقالة تعذر

أشارت بمدراها وقالت لأختها ... أهذا المغيري الذي كان يذكر؟

فقالت: نعم لا شك غير لونه ... سر الليل يطوي نصه والتهجر

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت ... فيضحى وأما بالعشي فيخصر

أخا سفرٍ جواب أرضٍ تقاذفت ... به فلواتٌ فهو أشعث أغبر

وليلة ذي دوران جشمتني السرى ... وقد يجشم الهول المحب المغرر

فقلت :أباديهم فإما أفوتهم ... وإما ينال السيف ثأراً فيثأر

هذه الأبيات جمعت على غير توالٍ؛ لأنه إنما ذكر منها ما فيه صنعةٌ. غنى في الأول والثاني من الأبيات ابن سريج خفيف رملٍ بالبنصر عن أحمد بن المكي وذكر حبشٌ أن فيهما لمعبدٍ لحناً من الثقيل الأول بالبنصر.

وغنى ابن سريج في الثالث والرابع أيضاً خفيف ثقيلٍ بالوسطى، وذكر حبشٌ أن فيهما لحناً من الهزج بالوسطى لحكم. وغنى ابن سريج في الخامس والسادس لحناً من الرمل بالوسطى عن عمرو بن بانه. وذكر يونس أن في

السابع والثامن لابن سريج لحناً و لم يذكر طريقته، وذكر حبشٌ أن فيهما لمالك لحناً من الثقيل الثاني بالبنصر.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرني محمد بن إسحاق قال أخبرني محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبي: أن عمر بن أبي ربيعة أتى عبد الله بن عباس وهو في المسجد الحرام فقال: متعني الله بك! إن نفسي قد تاقت إلى قول الشعر ونازعتني إليه، وقد قلت منه شيئاً أحببت أن تسمعه وتستره علي. فقال: أنشدني، فأنشده:

أمن آل نعمٍ أنت غادٍ فمبكر

فقال له: أنت شاعرٌ يا ابن أخي، فقل ما شئت. قال: وأنشد عمر هذه القصيدة طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري وهو راكبٌ، فوقف ومازال شانقاً ناقته حتى كتبت له.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني الحسين بن إسماعيل قال حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال: كان جرير إذا أنشد شعر عمر بن أبي ربيعة قال: هذا شعرٌ تهامي إذا أنجد وجد البرد، حتى أنشد قوله:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت ... فيضحى وأما بالعشي فينحصر

قليلاً على ظهر المطية ظله ... سوى ما نفى عنه الرداء المحبر

وأعجبها من عيشها ظل غرفةٍ ... وريان ملتف الحدائق أخضر

ووالٍ كفاها كل شيء يهمها ... فليست لشيءٍ آخر الليل تسهر

فقال جرير: ما زال هذا القرشي يهذي حتى قال الشعر.

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني أبو عبد الله اليمامي قال حدثني الأصمعي قال: قال لي الرشيد: أنشدني أحسن ما قيل في رجل قد لوحه السفر، فأنشدته قول عمر بن أبي ربيعة:

رأت رجلاً إذا ما الشمس عارضت ... فيضحى وأما بالعشي فينحصر

أخا سفرٍ جواب أرضٍ تقاذفت ... به فلوات فهو أشعث أغبر

... الأبيات كلها. قال: فقال لي الرشيد: أنا والله ذلك الرجل. قال: وهذا بعقب قدومه من بلاد الروم.

أخبرني الفضل بن الحباب الجمحي أبو خليفة في كتابه إلي: قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني شعيب بن صخر قال: كان بين عائشة بنت طلحة وبين زوجها عمر بن عبيد الله بن معمرٍ كلامٌ، فسهرت ليلةً فقالت: إن ابن أبي ربيعة لجاهلٌ بليلتي هذه حيث يقول:

ووالٍ كفاها كل شيءٍ يهمها ... فليست لشيءٍ آخر الليل تسهر

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان قال حدثني إسحاق عن المدائني قال: عرض يزيد بن معاوية جيش أهل الحرة، فمر به رجلٌ من أهل الشأم معه ترسٌ خلقٌ سمجٌ، فنظر إليه يزيد وضحك وقال له: ويحك! ترس عمر بن أبي ربيعة كان أحسن من ترسك. يريد قول عمر:

فكان مجني دون من كنت أتقي ثلاث شخوصٍ كاعبان ومعصر

أخبرنا جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال: سمع أبو الحارث جميز مغنيةً تغني:

أشارت بمدراها وقالت لأختها أهذا المغيري الذي كان يذكر؟

فقال جميز: امرأته طالق إن كانت أشارت إليه بمدراها إلا لتفقأ بها عينه، هلا أشارت إليه بنقانق مطرفٍ بالخردل، أو سنبوسجةٍ مغموسةٍ في الخل، أو لوزينجةٍ شرقةٍ بالدهن! فإن ذلك أنفع له، وأطيب لنفسه، وأدل على مودة صاحبته.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال حدثني عبد العزيز بن أبي أويس عن عطاف بن خالد الوابصي عن عبد الرحمن بن حرملة قال: أنشد سعيد بن المسيب قول عمر بن أبي ربيعة:

وغاب قميرٌ كنت أرجو غيوبه وروح رعيانٌ ونوم سمر

فقال: ما له قاتله الله! لقد صغر ما عظم الله! يقول الله عز وجل: "والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم".

شعر عمر في فاطمة الكندية

بنت محمد بن الأشعث

ومنها ما فيه غناء لم ينسب في موضعه من الأخبار فنسب ها هنا:

صوت

تشط غداً دار جيراننا وللدار بعد غدٍ أبعد
إذا سلكت غمر ذي كندةٍ مع الصبح قصدٌ لها الفرقد
عراقيةٌ، وتهامي الهوى يغور بمكة أو ينجد
وحث الحداة بها عيرها سراعاً إذا ما ونت تطرد
هنالك إما تعزي الفؤاد وإما على إثرها تكمد
وليست ببدعٍ إذا دارها نأت والعزاء إذاً أجلد
صرمت وواصلت حتى علم ت أين المصادر والمورد
وجربت من ذاك حتى عرف ت ما أتوقى وما أحمد
فلما دنونا لجرس النبا ح والضوء، والحي لم يرقدوا

"نأينا عن الحي حتى إذا
تودع من نارها الموقد"
بعثنا لها باغياً ناشداً
وفي الحي بغية من ينشد
أتتنا تهادى على رقبةٍ
من الخوف أحشاؤها ترعد
تقول وتظهر وجداً بنا
ووجدي وإن أظهرت أوجد
لمما شقائي تعلقتكم
وقد كان لي عندكم مقعد
وكفت سوابق من عبرةٍ
على الخد يجري بها الإثمد
فإن التي شيعتنا الغداة
مع الفجر قلبي بها مقصد
"كأن أقاحي موليةً
تحدر من ماء مزنٍ ندي"

غنى معبد في الأول والثاني والثالث من الأبيات خفيف ثقيلٍ من أصواتٍ قليلات الأشباه عن إسحاق. وغنى فيها أشعب "المعروف بالطامع" ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي. وللغريض في الأبيات الأربعة الأول ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. ولابن سريج في الرابع عشر وهو:

وكفت سوابق من عبرة

ثم الأول والتاسع رملٌ بالوسطى عن ابن المكي. ولمالك "ويقال إنه لمعبد " خفيف ثقيلٍ في الرابع عشر والثالث عشر والأول عن الهشامي. وفي السابع والثامن والأول لابن جامع ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي. وفي الأول والحادي عشر لابن سريج رملٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق، وفيهما ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق و لم ينسبه إلى أحد، وذكر أحمد بن المكي أنه لأبيه. وفي الرابع والخامس رملٌ لمعبد عن ابن المكي، وقيل: إنه من منحول أبيه إلى معبد. وفي الثالث عشر والسادس ليونس خفيف رملٍ عن الهشامي. وفي الأول والثاني عشر ثاني ثقيلٍ تشترك فيه الأصابع عن ابن المكي، وقال أيضاً: فيه للأبجر لحنٌ آخر من الثقيل الثاني. ولمعبد في الرابع والسادس ثاني ثقيل آخر عنه، وفيهما أيضاً رملٌ لابن سريج عنه وعن حبشٍ. ولإسحاق في الأول والثاني رملٌ من كتابه. ولعلية بنت المهدي في الثالث عشر والأول ثقيل أول. ولابن مسجحٍ في الثاني عشر والأول رملٌ، ويقال إنه للرطاب، وذكر حبش أنه لابن سريج. وفي الخمسة الأبيات الأولى متواليةً خفيف رملٍ بالوسطى ينسب إلى معبد وإلى يحيى المكي، وزعم حبشٌ أن فيها رملاً بالوسطى لابن محرز. والذي ذكره يونس في كتابه أن في

تشط غداً دار جيراننا

خمسة ألحانٍ: اثنان لمعبد، واثنان لمالك، وواحد ليونس. وذكر أحمد بن عبيد أن الذي عرف صحته من الغناء فيه سبعة ألحانٍ: ثقيلٌ أول، وثاني ثقيلٍ، وخفيف ثقيل، ورملٌ، وخفيفه.

أخبرني بعض أصحابنا عن أبي عبد الله بن المرزبان أن الذي أحصي فيه إلى وقته ستة عشر لحناً. والذي وجدته فيه مما جمعته ها هنا - سوى ما لم يذكر يونس طريقته - تسعة عشر لحناً: منها في الثقيل الأول لحنان، وفي خفيف الثقيل لحنان، وفي الثقيل الثاني ستة، وفي الرمل سبعة، وفي خفيف الرمل لحنان.

وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأةٍ من ولد الأشعث بن قيس حجت فهويها وراسلها، فواصلته ودخل إليها وتحدث معها وخطبها، فقالت: أما ها هنا فلا سبيل إلى ذلك، ولكن إن قدمت إلى بلدي خاطباً تزوجتك، فلم يفعل.

أخبرني بهذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن الحسن المخزومي عن محرز بن جعفر مولى أبي هريرة عن أبيه قال: سمعت بديحاً يقول: حجت بنت محمد بن الأشعث الكندية، فراسلها عمر بن أبي ربيعة وواعدها أن يتلقاها مساء الغد، وجعل الآية بينه وبينها أن تسمع ناشداً ينشد - إن لم يمكنه أن يرسل رسولاً - يعلمها بمصيره إلى المكان الذي وعدها. قال بديح: فلم أشعر به إلا متلثماً، فقال لي: يا بديح، ائت بنت محمد بن الأشعث فأخبرها أني قد جئت لموعدها، فأبيت أن أذهب وقلت: مثلي لا يعين على مثل هذا. فغيب بغلته عني ثم جاءني فقال لي: قد أضللت بغلتي فانشدها لي في زقاق الحاج. فذهبت فنشدتها، فخرجت علي بنت محمد بن الأشعث وقد فهمت الآية، فأتته لموعده، وذلك قوله:

وآية ذلك أن تسمعي ... إذا جئتكم ناشداً ينشد

قال بديح: فلما رأيتها مقبلةً عرفت أنه قد خدعني بنشدي البغلة، فقلت له: يا عمر، لقد صدقت التي قالت لك:

فهذا سحرك النسوا ... ن، قد خبرنني خبرك

قد سحرتني وأنا رجل! فكيف برقة قلوب النساء وضعف رأيهن! وما آمنك بعدها، ولو دخلت الطواف ظننت أنك دخلته لبليةٍ. قال: وحدثها بحديثي، فما زالا ليلتهما يفصلان حديثهما بالضحك مني.

قال الزبير: فحدثني أبو الهندام مولى الربعيين عن أبي الحارث بن عبد الله الربعي قال: لقي ابن أبي عتيق بديحاً فقال له: يا بديح، أخدعك ابن أبي ربيعة أنه قرشي؟ فقال بديح: نعم! وقد أخطأه ذلك عند القسري وصواحبه. فقال ابن أبي عتيق: ويحك يا بديح! أن من تغابى لك ليغبى عنك، فقد ضمت عليه قبضتك إن كان لك ذهنٌ، أما رأيت لمن كانت العاقبة؟ والله ما بالى ابن أبي ربيعة أوقع عليهن أم وقعن عليه!.

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال حدثنا العمري عن كعب بن بكر المحاربي: أن فاطمة بنت محمد بن الأشعث حجت، فراسلها عمر بن أبي ربيعة فواعدته أن تزوره، فأعطى الرسول الذي بشره بزيارتها مائة دينار.

أخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن رجاله المذكورين، قالوا: حجت بنتٌ لمحمد بن الأشعث "- هكذا قال إسحاق وهو عندي الصحيح -" وكانت معها أمها وقد سمعت بعمر بن أبي ربيعة فأرسلت إليه، فجاءها فاستنشدته، فأنشدها:

تشط غداً دار جيراننا ... وللدار بعد غدٍ أبعد

وذكر القصة بطولها. قال: وقد كانت لما جاءها أرسلت بينها وبينه ستراً رقيقاً تراه من ورائه ولا يراها، فجعل يحدثها حتى استنشدته، فأنشدها هذه القصيدة، فاستخفها الشعر فرفعت السجف، فرأى وجهاً حسناً في جسمٍ ناحل، فخطبها وأرسل إلى أمها بخمسمائة دينار، فأبت وحجبته وقالت للرسول: تعود إلينا. فكأن الفتاة غمها ذلك، فقالت لها أمها: قد قتلك الوجد به فتزوجيه. قالت: لا والله لا يتحدث أهل العراق عني أني جئت ابن أبي ربيعة أخطبه، ولكن إن أتاني إلى العراق تزوجته. قال: ويقال إنها راسلته وواعدته أن تزوره، فأجمر بيته وأعطى المبشر مائة دينار، فأتته وواعدته إذا صدر الناس أن يشيعها، وجعلت علامة ما بينهما أن يأتيها رسوله ينشدها ناقةً له. فلما صدر الناس فعل ذلك عمر. وفيه يقول وقد شيعها:

صوت

قال الخليط غداً تصدعنا ... أو بعده، أفلا تشيعنا
أما الرحيل فدون بعد غدٍ ... فمتى تقول الدار تجمعنا
لتشوقنا هندٌ وقد علمت ... علماً بأن البين يفزعنا
عجباً لموقفنا وموقفها ... وبسمع تربيها تراجعنا!
ومقالها سر ليلةً معنا ... نعهد فإن البين فاجعنا!
قلت العيون كثيرةٌ معكم ... وأظن أن السير مانعنا
لا بل نزوركم بأرضكم ... فيطاع قائلكم وشافعنا
قالت أشيءٌ أنت فاعله ... هذا لعمرك أم تخادعنا؟
بالله حدث ما تؤمله ... واصدق فإن الصدق واسعنا
اضرب لنا أجلاً نعد له ... إخلاف موعده تقاطعنا

الغناء لابن سريج ثقيلٌ أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر عمرو أنه للغريض بالوسطى. وفيه لابن سريج خفيف رملٍ عن الهشامي، وذكر حبشٌ أنه لموسى شهوات.

شعره في زينب بنت موسى الجمحية

ومنها مما لم ينسب أيضاً

صوت

لقد أرسلت جاريتي وقلت لها: خذي حذرك

وقولي في ملاطفةٍ لزينب :نولي عمرك

فهزت رأسها عجباً وقالت: من بذا أمرك

أهذا سحرك النسوا ن، قد خبرنني خبرك

غنى فيها ابن سريج خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو، وقال قومٌ: إنه للغريض. وفيها لمالكٍ خفيف ثقيلٍ عن ابن المكي. وفي هذا الشعر ألحانٌ كثيرةٌ، والشعر فيها على غير هذه القافية، لأن هذه الأبيات لعمر من قصيدةٍ رائيةٍ موصولة الراءات بألفٍ، إلا أن المغنين غيروا هذه الأبيات في هذين اللحنين، فجعلوا مكان الألف كافاً، وإنما هي:

لقد أرسلت جاريتي وقلت لها: خذي حذرا

وأول القصيدة:

صوت

تصابى القلب وادكرا صباه ولم يكن ظهرا

لزينب إذ تجدلنا صفاءً لم يكن كدرا

أليست بالتي قالت لمولاةٍ لها ظهرا

أشيري بالسلام له إذا هو نحونا خطرا

"لقد أرسلت جاريتي وقلت لها: خذي حذرا "

وقولي في ملاطفةٍ لزينب :نولي عمرا

فهزت رأسها عجبا وقالت :من بذا أمرا!

أهذا سحرك النسوا ن، قد خبرنني الخبرا

غنى ابن سريج في الثالث والرابع والخامس والأول خفيف ثقيلٍ أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر من رواية إسحاق. وذكر عمرو بن بانة في نسخته الأولى أنه لابن سريج، وأبو إسحاق ينسبه في نسخته الثانية إلى دحمان.

وللغريض في الأول من الأبيات لحن من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالوسطى في مجراها، وأضاف إليه بيتين ليسا من هذه القصيدة وهما:

طربت ورد من تهوى ... جمال الحي فابتكروا

فقل للمالكية لا ... تلومي القلب إن جهرا

وذكر يونس أن لمعبدٍ في هذا الشعر الذي أوله:

تصابى القلب وادكرا

لحنين لم يذكر جنسيهما، وذكر الهشامي: أن أحدهما خفيف ثقيلٍ والآخر رملٌ. وفي الأبيات التي غنى فيها الغريض رملٌ لدحمان عن الهشامي، قال: ويقال إنه لابنة الزبير. وزينب التي ذكرها عمر بن أبي ربيعة ها هنا، يقال لها: زينب بنت موسى أخت قدامة بن موسى الجمحي.

أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي بكر العامري. وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري قال حدثني عمي عمران بن عبد العزيز قال: شبب عمر بن أبي ربيعة بزينب بنت موسى الجمحية في قصيدته التي يقول فيها:

صوت

يا خليلي من ملامٍ دعاني ... وألما الغداة بالأظعان

لا تلوما في آل زينب إن ال ... قلب رهنٌ بآل زينب عاني

ما أرى ما بقيت أن أذكر المو ... قف منها بالخيف إلا شجاني

- غنى في هذه الأبيات الغريض خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو -

لم تدع للنساء عندي حظاً ... غير ما قلت مازحاً بلساني

هي أهل الصفاء والود مني ... وإليها الهوى فلا تعدلاني

حين قالت لأختها ولأخرى ... من قطينٍ مولدٍ: حدثاني

كيف لي اليوم أن أرى عمر المر ... سل سراً في القول أن يلقاني؟

قالتا :نبتغي رسولاً إليه ... ونميت الحديث بالكتمان

إن قلبي بعد الذي نلت منها ... كالمعمى عن سائر النسوان

قال: وكان سبب ذكره لها أن ابن أبي عتيق ذكرها عنده يوماً فأطراها، ووصف من عقلها وأدبها وجمالها ما شغل قلب عمر وأماله إليها، فقال فيها الشعر وشبب بها، فبلغ ذلك ابن أبي عتيقٍ، فلامه فيه وقال له: أتنطق الشعر في ابنة عمي؟ فقال عمر:

صوت

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي إن بي يا عتيق ما قد كفاني
لا تلمني وأنت زينتها لي أنت مثل الشيطان للإنسان
إن بي داخلاً من الحب قد أب لى عظامي مكنونه وبراني
لو بعينيك يا عتيق نظرنا ليلة السفح قرت العينان
إذ بدا الكشح والوشاح من الد ر فضلٌ فيه من المرجان
قد قلى قلبي النساء سواها غير ما قلت مازحاً بلساني

وأول هذه القصيدة:

إنني اليوم عاد لي أحزاني وتذكرت ما مضى من زماني
وتذكرت ظبيةً أم رئمٍ هاج لي الشوق ذكرها فشجاني

غنى أبو العبيس بن حمدون في "لا تلمني عتيق..." لحناً من الثقيل الأول المطلق. وفيه رملٌ طنبوريٌ مجهولٌ.
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون قال: أنشد عمر بن أبي ربيعة قوله:

يا خليلي من ملامٍ دعاني وألما الغداة بالأظعان
لا تلوما في آل زينب إن ال قلب رهنٌ بآل زينب عاني

القصيدة. قال: فبلغ ذلك أبا وداعة السهمي فأنكره وغضب. وبلغ ذلك ابن أبي عتيقٍ وقيل له: إن أبا وداعة قد اعترض لابن أبي ربيعة من دون زينب بنت موسى، وقال: لا أقر لابن أبي ربيعة أن يذكر امرأةً من بني هصيصٍ في شعره. فقال ابن أبي عتيق: لا تلوموا أبا وداعة أن ينعظ من سمرقند على أهل عدن! قال الزبير: وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري قال حدثني عمي عمران بن عبد العزيز قال: شبب عمر بن أبي ربيعة بزينب بنت موسى في أبياته التي يقول فيها:

لا تلوما في آل زينب إن ال قلب رهنٌ بآل زينب عاني

فقال له ابن أبي عتيق: أما قلبك فقد غيب عنا، وأما لسانك فشاهدٌ عليك.
قال عبد الرحمن بن عبد الله قال عمران بن عبد العزيز: عذل ابن أبي عتيقٍ عمر في ذكره زينب في شعره، فقال عمر:

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي إن بي يا عتيق ما قد كفاني

لا تلمني وأنت زينتها لي

قال: فبدره ابن أبي عتيق، فقال:

أنت مثل الشيطان للإنسان

فقال ابن أبي ربيعة: هكذا ورب البيت قلته. فقال ابن أبي عتيق: إن شيطانك ورب القبر ربما ألم بي، فيجد عندي من عصيانه خلاف ما يجد عندك من طاعته، فيصيب مني وأصيب منه.
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال حدثني قدامة بن موسى قال: خرجت بأختي زينب إلى العمرة، فلما كنت بسرفٍ لقيني عمر بن أبي ربيعة على فرس فسلم علي. فقلت له: إلى أين أراك متوجهاً يا أبا الخطاب؟ فقال: ذكرت لي امرأةٌ من قومي برزة الجمال، فأردت الحديث معها. فقلت: هل علمت أنها أختي؟ فقال: لا! واستحيا وثنى عنق فرسه راجعاً إلى مكة.
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا العمري عن لقيط بن بكر المحاربي قال: أنشدني ابن أبي عتيق قول عمر:

صوت

من لسقيمٍ يكتم الناس ما به لزينب نجوى صدره والوساوس
أقول لمن يبغي الشفاء متى تجيء بزينب تدرك بعض ما أنت لامس
فإنك إن لم تشف من سقمي بها فإني من طب الأطباء آيس
ولست بناسٍ ليلة الدار مجلساً لزينب حتى يعلو الرأس رامس
خلاءً بدت قمراؤه وتكشفت دجنته وغاب من هو حارس
وما نلت منها محرماً غير أننا كلانا من الثوب المورد لابس
نجيين نقضي اللهو في غير مأثمٍ وإن رغمت م الكاشحين المعاطس

قال: فقال ابن أبي عتيق: أمنا يسخر ابن أبي ربيعة! فأي محرم بقي! ثم أتى عمر فقال له: يا عمر، ألم تخبرني أنك ما أتيت حراماً قط؟ قال بلى! قال: فأخبرني عن قولك:

كلانا من الثوب المورد لابس

ما معناه؟ قال: والله لأخبرنك! خرجت أريد المسجد وخرجت زينب تريده، فالتقينا فاتعدنا لبعض الشعاب، فلما توسطنا الشعب أخذتنا السماء، فكرهت أن يرى بثيابها بلل المطر، فيقال لها: ألا استترت بسقائف المسجد أن كنت فيه، فأمرت غلماني فسترونا بكساء خزٍّ كان علي؛ فذلك حين أقول:

كلانا من الثوب المطارف لابس

فقال له ابن أبي عتيق: يا عاهر! هذا البيت يحتاج إلى حاضنة! الغناء في هذه الأبيات التي أولها:

من لسقيم يكتم الناس ما به

لرذاذٍ ثقيلٌ أول، وكان بعض المحدثين ممن شاهدناه يدعي أنه له، و لم يصدق.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون قال: قال عمر بن أبي ربيعة في زينب بنت موسى:

صوت

طال من آل زينب الإعراض ... للتعدي وما بها الإبغاض

ووليدين كان علقها القل ... ب إلى أن علا الرءوس بياض

حبلها عندنا متين وحبلي ... عندها واهن القوى أنقاض

الغناء في هذا الأبيات لابن محرز خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو. وقال الهشامي: فيه لابن جامع خفيف رملٍ آخر.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال قال عبد الرحمن بن عبد الله وحدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه قال: لما قال عمر بن أبي ربيعة في زينب:

لم تدع للنساء عندي نصيباً ... غير ما قلت مازحاً بلساني

قال له ابن أبي عتيق: رضيت لها بالمودة، وللنساء بالدهفشة. قال: والدهفشة: التجميش والخديعة بالشيء اليسير.

"وقال غير الزبير في هذا الخبر: الدهقشة، مكان الدهفشة".

ومما قاله عمر في زينب وغني فيه قوله:

صوت

أيها الكاشح المعير بالصر م تزحزح فما لها الهجران
لا مطاعٌ في آل زينب فارجع أو تكلم حتى يمل اللسان
نجعل الليل موعداً حين نمسي ثم يخفي حديثنا الكتمان
كيف صبري عن بعض نفسي وهل يص بر عن بعض نفسه الإنسان!
ولقد أشهد المحدث عند ال قصر فيه تعففٌ وبيان
في زمانٍ من المعيشة لدنٍ قد مضى عصره وهذا زمان

الغناء في هذه الأبيات لابن سريج رملٌ بالوسطى عن عمرو ودنانير. وذكر يونس أن فيه لحناً لابن محرز ولحناً لابن عباد الكاتب، أول لحن ابن عباد الكاتب:

لا مطاعٌ في آل زينب ....

وأول لحن ابن محرز:

ولقد أشهد المحدث ....

ومما غني فيه لابن محرز من أشعار عمر بن أبي ربيعة في زينب بنت موسى قوله:

صوت

يا من لقلبٍ متيمٍ كلفٍ يهذي بخودٍ مريضة النظر
تمشي الهوينى إذا مشت فضلاً وهي كمثل العسلوج في الشجر

- للغريض في هذين البيتين خفيف رمل بالوسطى، ولابن سريج رملٌ بالبنصر عن الهشامي وحبش -

ما زال طرفي يحار إذ برزت حتى رأيت النقصان في بصري
أبصرتها ليلةً ونسوتها يمشين بين المقام والحجر
ما إن طمعنا بها ولا طمعت حتى التقينا ليلاً على قدر
بيضاً حساناً خرائداً قطفاً يمشين هوناً كمشية البقر
قد فزن بالحسن والجمال معاً وفزن رسلاً بالدل والخفر
ينصتن يوماً لها إذا نطقت كيما يشرفنها على البشر
قالت لترب لها تحدثها لنفسدن الطواف في عمر
قومي تصدي له ليعرفنا ثم اغمزيه يا أخت في خفر

قالت لها قد غمزته فأبى ثم اسبطرت تسعى على أثري

من يسق بعد المنام ريقتها يسق بمسكٍ وباردٍ خصر

غنى في هذا الشعر الغريض خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وغنَّ فيه ابن سريج رملاً بالبنصر عن الهشامي وحبش. ومنها:

صوت

ألا يا بكر قد طرقا خيالٌ هاج لي الأرقا

لزينب إنها همي فكيف بحبلها خلقا

خدلجةٌ إذا انصرفت رأيت وشاحها قلقا

وساقاً تملأ الخلخا ل فيه تراه مختنقا

إذا ما زينبٌ ذكرت سكبت الدمع متسقا

كأن سحابةً تهمي بماءٍ حملت غدقا

الغناء لحنين رملٌ عن الهشامي. وفيه لابن عباد خفيف ثقيل، ويقال: إنه ليونس. ومما قاله "فيها " أيضاً وغني فيه:

صوت

ألمم بزينب إن البين قد أفدا قل الثواء لئن كان الرحيل غدا

قد حلفت ليلة الصورين جاهدة وما على المرء إلا الحلف مجتهدا

لأختها ولأخرى من مناصفها لقد وجدت به فوق الذي وجدا

لو جمع الناس ثم اختير صفوهم شخصاً من الناس لم أعدل به أحدا

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة والبنصر في الأول والثاني عن يحيى المكي، وله فيه أيضاً خفيف رملٍ بالوسطى في الثاني والثالث والرابع عن عمرو. ولمعبد ثقيلٌ أول في الأول والثاني عن الهشامي. وفيه خفيف ثقيلٍ ينسب إلى الغريض ومالك.

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق عن مصعبٍ الزبيري قال: اجتمع نسوةٌ فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه ومجلسه وحديثه، فتشوقن إليه وتمنينه. فقالت سكينة: أنا لكن به، فبعثت إليه رسولاً أن يوافي الصورين ليلةً سمتها، فوافاهن على رواحله، فحدثهن حى طلع الفجر وحان انصرافهن. فقال لهن: والله إني

لمحتاجٌ إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده، ولكني لا أخلط بزيارتكن شيئاً. ثم انصرف إلى مكة وقال في ذلك:

ألمم بزينب إن البين قد أفدا

وذكر الأبيات المتقدمة.

عود إلى شهادة جرير

والغريب وغيرهما في شعرعمر

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن لقيط قال: أنشد جريرٌ قول عمر بن أبي ربيعة:

الصوت

سائلا الربع بالبلي وقولا — هجت شوقاً لي الغداة طويلا
أين حيٌ حلوك إذ أنت محفو — فٌ بهم آهلٌ أراك جميلا؟
قال ساروا فأمعنوا واستقلوا — وبزعمي لو استطعت سبيلا
سئمونا وما سئمنا مقاماً — وأحبوا دماثة وسهولا

فقال جرير: إن هذا الذي كنا ندور عليه فأخطأناه وأصابه هذا القرشي. وفي هذه الأبيات رملان: أحدهما لابن سريج بالسبابة في مجرى الوسطى، والآخر لإسحاق مطلقٌ في مجرى البنصر جميعاً من روايته. وذكر عمرو: أن فيها رملاً ثالثاً بالوسطى، لابن جامع. وقال الهشامي: فيها ثلاثة أرمال لابن سريج، وابن جامع، وإبراهيم. ولأبي العبيس بن حمدون فيها ثاني ثقيلٍ. وفيها هزجٌ لإبراهيم الموصلي من جامع أغانيه.
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال: وجدت كتاباً بخط محمد بن الحسن ذكر فيه أن فليح بن إسماعيل حدثه عن معاذٍ صاحب الهروي أن النصيب قال: عمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحجال.
أخبرني الطوسي: قال حدثنا الزبير قال حدثتني ظمياء مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت: سمعت جدك يقول - وقد أنشد قول عمر بن أبي ربيعة:

صوت

يا ليتني قد أجزت الحبل نحوكم — حبل المعرف أو جاوزت ذا عشر
إن الثواء بأرضٍ لا أراك بها — فاستيقنيه ثواءٌ حق ذي كدر

وما مللت ولكن زاد حبكم ... وما ذكرتك إلا ظلت كالسدر

ولا جذلت بشيءٍ كان بعدكم ... ولا منحت سواك الحب من بشر

الغناء في هذه الأربعة الأبيات لسلام بن الغساني رملٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن جامع وقفا النجار لحنان من كتاب إبراهيم و لم يجنسهما. وتمام الأبيات:

أذري الدموع كذى سقم يخامره ... وما يخامرني سقمٌ سوى الذكر

كم قد ذكرتك لو أجدى تذكركم ... يا أشبه الناس كل الناس بالقمر

- قالت: فقال جدك: إن لشعر عمر بن أبي ربيعة لموقعاً في القلب، ومخالطةً للنفس ليسا لغيره، ولو كان شعرٌ يسحر لكان شعره سحراً.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمامة بن عمر قال: رأيت عامر بن صالح بن عبد الله بن عروة بن الزبير يسأل المسور بن عبد الملك عن شعر عمر بن أبي ربيعة، فجعل يذكر له شيئاً لا يعرفه، فيسأله أن يكتبه إياه ففعل، فرأيته يكتب ويده ترعد من الفرح.

المفاضلة بين شعره و شعر الحارث

بن خالد

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون عن عمه يوسف قال: ذكر شعر الحارث بن خالد وشعر عمر بن أبي ربيعة عند ابن أبي عتيق في مجلس رجل من ولد خالد بن العاصي بن هشام، فقال: صاحبنا - يعني الحارث بن خالد - أشعرهما. فقال له ابن أبي عتيق: بعض قولك يا ابن أخي، لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطةٌ في القلب، وعلوقٌ بالنفس، ودركٌ للحاجة ليست لشعرٍ، وما عصي الله جل وعز بشعر أكثر مما عصي بشعر ابن أبي ربيعة، فخذ عني ما أصف لك: أشعر قريش من دق معناه، ولطف مدخله، وسهل مخرجه، ومتن حشوه، وتعطفت حواشيه، وأنارت معانيه، وأعرب عن حاجته. فقال المفضل للحارث: أليس صاحبنا الذي يقول:

إني وما نحروا غداة منى ... عند الجمار يؤدها العقل

لو بدلت أعلى مساكنها ... سفلاً واصبح سفلها يعلو

فيكاد يعرفها الخبير بها ... فيرده الإقواء والمحل

لعرفت مغناها بما احتملت ... مني الضلوع لأهلها قبل

فقال له ابن أبي عتيق: يابن أخي، استر على نفسك، واكتم على صاحبك، ولا تشاهد المحافل بمثل هذا، أما تطير الحارث عليها حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله! ما بقي إلا أن يسأل الله تبارك وتعالى لها حجارةً من سجيلٍ. ابن أبي ربيعة كان أحسن صحبةً للربع من صاحبك، وأجمل مخاطبةً حيث يقول:

سائلاً الربع بالبلي وقولا ... هجت شوقاً لي الغداة طويلا

وذكر الأبيات الماضية. قال: فانصرف الرجل خجلاً مذعنا.

شيء من أخبار الحارث الملقب بالقباع

أخبرني علي بن صالح قال حدثني أبو هفان عن إسحاق عن رجاله المسمين، وأخبرني به الحرمي عن الزبير عن عمه عن جده، قالوا: كان الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة أخو عمر بن أبي ربيعة رجلاً صالحاً ديناً من سروات قريش، وإنما لقب القباع لأن عبد الله بن الزبير كان ولاه البصرة، فرأى مكيالاً لهم فقال: إن مكيالكم هذا لقباعٌ - قال: وهو الشيء الذي له قعر - فلقب بالقباع.

وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد الله بن محمد الطائي قال حدثنا خالد بن سعيد قال: استعمل ابن الزبير الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة، فأتوه بمكيال لهم، فقال لهم: إن مكيالكم هذا لقباعٌ، فغلب عليه. وقال أبو الأسود الدؤلي - وقد عتب عليه - يهجوه ويخاطب ابن الزبير:

أمير المؤمنين جزيت خيراً ... أرحنا من قباع بني المغيرة

بلوناه ولمناه فأعيا ... علينا ما يمر لنا مريرة

على أن الفتى نكحٌ أكولٌ ... وولاجٌ مذاهبه كثيرة

شعر عمر في تشوقه إلى مكة

بعد أن خرج منها إلى اليمن

قالوا: وكان الحارث ينهى أخاه عن قول الشعر فيأبى أن يقبل منه، فأعطاه ألف دينار على ألا يقول شعراً، فأخذ المال وخرج إلى أخواله بلحجٍ وأبين مخافة أن يهجيه مقامه بمكة على قول الشعر، فطرب يوماً فقال:

صوت

هيهات من أمة الوهاب منزلنا ... إذا حللنا بسيف البحر من عدن

واحتل أهلك أجياداً وليس لنا		إلا التذكر أو حظ من الحزن
لو أنها أبصرت بالجزع عبرته		من أن يغرد قمريٌ على فنن
إذاً رأت غير ما ظنت بصاحبها		وأيقنت أن لحجاً ليس من وطني
ما أنس لا أنس يوم الخيف موقفها		وموقفي وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للثريا وهي باكيةٌ		والدمع منها على الخدين ذو سنن
بالله قولي له في غير معتبةٍ		ماذا أردت بطول المكث في اليمن
إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها		فما أخذت بترك الحج من ثمن

قال: فسارت القصيدة حتى سمعها أخوه الحارث، فقال: هذا والله شعر عمر، قد فتك وغدر. قال: وقال ابن جريج: ما ظننت أن الله عز وجل ينفع أحداً بشعر عمر بن أبي ربيعة حتى سمعت وأنا باليمن منشداً ينشد قوله:

بالله قولي له في غير معتبة		ماذا أردت بطول المكث في اليمن
إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها		فما أخذت بترك الحج من ثمن

فحركني ذلك على الرجوع إلى مكة، فخرجت مع الحاج وحججت.

غنى في أبيات عمر هذه ابن سريج، ولحنه رملٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق. وفيها للغريض ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو.

طلب الوليد من يخبره عن الطائف

فدل على عمر

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان قال حدثني إسحاق عن السعدي قال: قدم الوليد بن عبد الملك مكة، فأراد أن يأتي الطائف فقال: هل "لي" في رجلٍ علمٌ بأموال الطائف فيخبرني عنها؟ فقالوا: عمر بن أبي ربيعة. قال: لا حاجة لي به. ثم عاد فسأل فذكروه له فرده. ثم عاد فسأل فذكروه "له ثم رده. ثم عاد فسأل فذكروه له "، فقال: هاتوه. فركب معه يحدثه، ثم حرك عمر رداءه ليصلحه على كتفه، فرأى على منكبه أثراً. فقال: ما هذا الأثر؟ فقال: كنت عند جارية إذ جاءتني جاريةٌ برسالة من عند جارية أخرى، فجعلت تسارني، فغارت التي كنت أحدثها فعضت منكبي، فما وجدت ألم عضها من لذة ما كانت تلك تنفث في أذني، حتى بلغت ما ترى، والوليد يضحك. فلما رجع عمر قيل له: ما الذي كنت تضحك أمير المؤمنين به؟ فقال: مازلنا في حديث الزنا حتى رجعنا.

المفاضلة بينه وبين ابن قيس الرقيات

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن عبد الله البكري وغيره عن عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن أبيه قال: دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نوفل بن مساحق، فإنه لمعتمد على يدي، إذ مررنا بسعيد بن المسيب في مجلسه وحوله جلساؤه، فسلمنا عليه فرد علينا، ثم قال لنوفل: يا أبا سعيد، من أشعر: صاحبنا أم صاحبكم؟ يريد: عبد الله بن قيس، أو عمر بن أبي ربيعة. فقال نوفلٌ: حين يقولان ماذا يا أبا محمد؟ قال: حين يقول صاحبنا:

خليلي ما بال المطايا كأنما نراها على الأدبار بالقوم تنكص

وقد قطعت أعناقهن صبابةً فأنفسنا مما يلاقين شخص

وقد أتعب الحادي سراهن وانتحى بهن فما يألو عجولٌ مقلص

يزدن بنا قرباً فيزداد شوقنا إذا زاد طول العهد والبعد ينقض

ويقول صاحبك ما شئت. فقال له نوفلٌ: صاحبكم أشعر في الغزل، وصاحبنا أكثر أفانين شعرٍ. فقال سعيد: صدقت. فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر، جعل سعيدٌ يستغفر الله ويعقد بيده حتى وفى مائةً. فقال البكري في حديثه عن عبد الجبار: قال مسلم: فلما انصرفنا قلت لنوفل: أتراه استغفر الله من إنشاد الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: كلا! هو كثير الإنشاد والاستنشاد فيه، ولكن أحسب ذلك للفخر بصاحبه.

المفاضلة بينه وبين جميل

ابن معمر العذري

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة حدثنا عوانة بن الحكم وأبو يعقوب الثقعفي: أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال لأصحابه ذات ليلة: أي بيتٍ قالته العرب أغزل؟ فقال بعضهم: قول جميل:

يموت الهوى مني إذا ما لقيتها ويحيا إذا فارقتها فيعود

وقال آخر: قول عمر بن أبي ربيعة:

كأنني حين أمسي لا تكلمني ذو بغيةٍ يبتغي ما ليس موجودا

فقال الوليد: حسبك والله بهذا! أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الحميد عن شيخ من أهله عن أبي الحارث مولى هشام بن الوليد بن المغيرة - قال: وهو الذي يقول فيه عمر بن أبي ربيعة:

يا أبا الحارث قلبي طائرٌفأتمر أمر رشيدٍ مؤتمن

قال: شهدت عمر بن أبي ربيعة، وجميل بن عبد الله بن معمر العذري، وقد اجتمعا بالأبطح، فأنشد جميلٌ قصيدته التي يقول فيها:

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلي بثينة أو أبدت لنا جانب البخل
يقولون مهلاً يا جميل وإنني لأقسم مالي عن بثينة من مهل

حتى أتى على آخرها، ثم قال لعمر: يا أبا الخطاب، هل قلت في هذا الروي شيئاً؟ قال نعم.

قال: فأنشدنيه، فأنشده قوله:

جرى ناصحٌ بالود بيني وبينها فقربني يوم الحصاب إلى قتلي
فطارت بحد من فؤادي وقارنت قرينتها حبل الصفاء إلى حبلي
فلما تواقفنا عرفت الذي بها كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل
فقلن لها هذا عشاءٌ وأهلها قريب ألما تسأمي مركب البغل
فقالت فما شئتن قلن لها انزلي فللأرض خير من وقوفٍ على رحل
نجوم دراري تكنفن صورةً من البدر وافت غير هوجٍ ولا عجل
فسلمت واستأنست خيفة أن يرى عدوٌ مقامي أو يرى كاشحٌ فعلي
فقالت وأرخت جانب الستر إنما معي فتكلم غير ذي رقبةٍ أهلي
فقلت لها ما بي لهم من ترقبٍ ولكن سري ليس يحمله مثلي
فلما اقتصرنا دونهن حديثنا وهن طبيبات بحاجة ذي الشكل
عرفن الذي تهوى فقلن ائذني لنا نطف ساعةً في برد ليلٍ وفي سهل
فقالت :فلا تلبثن قلن تحدثي أتيناك، وانسبن انسياب مها الرمل
وقمن وقد أفهمن ذا اللب أنما أتين الذي يأتين من ذاك من أجلي

فقال جميلٌ: هيهات يا أبا الخطاب! لا أقول والله مثل هذا سجيس الليالي، والله ما يخاطب النساء مخاطبتك أحدٌ.

وقام مشمراً.

قال أبو عبد الله الزبير قال عمي مصعب: كان عمر يعارض جميلاً، فإذا قال هذا قصيدة قال هذا مثلها.

فيقال: إنه في الرائية والعينية أشعر من جميل، وإن جميلاً اشعر منه في اللامية، وكلاهما قد قال بيتاً نادراً ظريفاً، قال جميل:

خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

وقال عمر:

فقالت وأرخت جانب الستر إنما معي فتكلم غير ذي رقبةٍ أهلي

كلمة الفرزدق وقد سمع شعر عمر

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق عن المدائني قال: سمع الفرزدق عمر بن أبي ربيعة ينشد قوله:

جرى ناصحٌ بالود بيني وبينها فقربني يوم الحصاب إلى قتلي

ولما بلغ قوله:

فقمن وقد أفهمن ذا اللب أنما أتين الذي يأتين من ذاك من أجلي

صاح الفرزدق: هذا والله الذي أرادته الشعراء فأخطأته، وبكت على الديار.

نسبة ما في هذه الأشعار من الغناء الغناء في قصيدتي جميل وعمر اللاميتين منها في قصيدة جميلٍ التي أنشدها عمر، واستنشده ما له في وزنها:

صوت

خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

أبيت مع الهلاك ضيفاً لأهلها وأهلي قريبٌ موسعون ذوو فضل

أفق أيها القلب اللجوج عن الجهل ودع عنك "جملاً" لا سبيل إلى جمل

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ولكن طلابيها لما فات من عقلي

الغناء للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو في الأول والثاني من الأبيات.

وذكر الهشامي الأبيات كلها ووصف أن الثقيل الثاني الذي يغنى به فيها لمعبد. وذكر يحيى المكي: أن لابن محرز في الثالث وما بعده من الأبيات ثاني ثقيل بالخنصر والبنصر. وفي هذه الأبيات التي أولها الثالث هزج بالبنصر يمانٍ عن عمرو. وفي الرابع والخامس لابن طنبورة خفيف رملٍ عن الهشامي. وفيها لإسحاق ثقيلٌ أول عن الهشامي أيضاً. وذكر حماد عن أبيه: أن لنافعٍ الخير مولى عبد الله بن جعفر في هذه الأبيات لحناً، ولم يجنسه. وذكر حبشٌ أن الثقيل الأول لابن طنبورة. ومنها في شعر جميل أيضاً:

صوت

لقد فرح الواشون إن صرمت حبلي بثينة أو أبدت لنا جانب البخل

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ولكن طلابيها لما فات من عقلي

الغناء لابن مسجح ثقيلٌ أول بالوسطى عن الهشامي.

ومنها في شعر عمر بن أبي ربيعة المذكور في أول الخبر:

صوت

فقالت وأرخت جانب الستر إنما معي فتحدث غير ذي رقبةٍ أهلي

فقلت لها ما بي لهم من ترقبٍ ولكن سري ليس يحمله مثلي

جرى ناصحٌ بالود بيني وبينها فقربني يوم الحصاب إلى قتلي

غنى في هذه الأبيات ابن سريج، ولحنه رملٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو. وذكر يونس: أن فيه لحناً لمالكٍ لم يجنسه، وذكر الهشامي: أن لحن مالك خفيف ثقيلٍ. وذكر حبشٌ: أن لمعبد فيه لحناً من الثقيل الأول بالبنصر، ولابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى. "وليس حبشٌ ممن يعتمد في هذا على روا يته ".

إستحسان الناس شعر عمر وتفضيله

على شعراء عصره

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال: أدركت مشيخةً من قريش لا يترون بعمر بن أبي ربيعة شاعراً من أهل دهره في النسيب، ويستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره من مدح نفسه، والتحلي بمودته، والابتيار في شعره والابتيار: أن يفعل الإنسان الشيء فيذكره ويفخر به. والابتهار: أن يقول ما لم يفعل.

نقد ابن أبي عتيق أبيات عمر الرائية

أخبرني محمد بن خلف قال: أخبرني عبد الله بن عمر وغيره عن إبراهيم بن المنذر الحزامي عن عبد العزيز بن عمران قال: قال ابن أبي عتيق لعمر وقد أنشده قوله:

صوت

بينما ينعتنني أبصرنني دون قيد الميل يعدو بي الأغر

قالت الكبرى أتعرفن الفتى قالت الوسطى نعم هذا عمر

قالت الصغرى وقد تيمتها قد عرفناه وهل يخفى القمر

- الغناء في هذه الأبيات لابن سريج خفيف رملٍ بالبنصر - فقال له ابن أبي عتيق: - وقد أنشدها - أنت لم تنسب بها، وإنما نسبت بنفسك، كان ينبغي أن تقول: قلت لها فقالت لي، فوضعت خدي فوطئت عليه.

عود إلى سيرته وخلقه

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال: لم يذهب على أحدٍ من الرواة أن عمر كان عفيفاً يصف ولا يقف، ويحوم ولا يرد.

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن منصور عن ابن الأعرابي، وحدثني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق الموصلي عن رجاله، قالوا: كان ابن أبي ربيعة قد حج في سنة من السنين. فلما انصرف من الحج ألفى الوليد بن عبد الملك وقد فرش له في ظهر الكعبة وجلس، فجاءه عمر فسلم عليه وجلس إليه. فقال له: أنشدني شيئاً من شعرك. فقال: يا أمير المؤمنين، أنا شيخ كبير وقد تركت الشعر، ولي غلامان هما عندي بمترلة الولد، وهما يرويان كل ما قلت وهما لك. قال: ائتني بهما ففعل، فأنشداه قوله:

أمن آل نعمٍ أنت غادٍ فمبكر

فطرب الوليد واهتز لذلك، فلم يزالا ينشدانه حتى قام، فأجزل صلته ورد الغلامين إليه.

مميزات شعره

حدثني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب الملقب "كيلجة" قال حدثني أبو هفان قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن مصعب بن عبد الله الزبيري، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار عن عمه مصعب أنه قال: راق عمر بن أبي ربيعة الناس وفاق نظراءه وبرعهم بسهولة الشعر وشدة الأسر، وحسن الوصف، ودقة المعنى وصواب المصدر، والقصد للحاجة، واستنطاق الربع، وإنطاق القلب، وحسن العزاء، ومخاطبة النساء، وعفة المقال، وقلة الانتقال، وإثبات الحجة، وترجيح الشك في موضع اليقين، وطلاوة الاعتذار، وفتح الغزل، ونهج العلل، وعطف المساءة على العذال، وأحسن التفجع، وبخل المنازل، واختصر الخبر، وصدق الصفاء، إن قدح أورى، وإن اعتذر أبرا، وإن تشكى أشجى، وأقدم عن خبرة و لم يعتذر بغرة، وأسر النوم، وغم الطير، وأغذ السير، وحير ماء الشباب، وسهل وقول، وقاس الهوى فأربى، وعصى وأخلى، وحالف بسمعه وطرفه، وأبرم نعت الرسل وحذر، وأعلن الحب وأسر، وبطن به وأظهر، وألح وأسف، وأنكح النوم، وجنى الحديث، وضرب ظهره لبطنه، وأذل صعبه، وقنع بالرجاء من الوفاء، وأعلى قاتله، واستبكى عاذله، ونفض

النوم، وأغلق رهن مني وأهدر قتلاه، وكان بعد هذا كله فصيحاً.

فمن سهولة شعره وشدة أسره قوله

صوت

فلما تواقفنا وسلمت أشرقت وجوهٌ زهاها الحسن أن تتقنعا

تبالهن بالعرفان لما رأينني وقلن امرؤٌ باغٍ أكل وأوضعا

الغناء لابن عباد رملٌ عن الهشامي، وفيه لابن جامع لحنٌ غير مجنس عن إبراهيم.

ومن حسن وصفه قوله

لها من الريم عيناه وسنته ونخوة السابق المختال إذ صهلا

ومن دقة معناه وصواب مصدره قوله

صوت

عوجا نحي الطلل المحولا والربع من أسماء والمنزلا

بسابغ البوباة لم يعده تقادم العهد بأن يؤهلا

الغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. قال إسحاق بن إبراهيم: يعني أنه لم يؤهل فيعدوه تقادم العهد. وقال الزبير: قال بعض المدنيين: يحييه بأن يؤهل، أي يدعو له بذلك.

ومن قصده للحاجة قوله

صوت

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان

هي شاميةٌ إذا ما استقلت وسهيلٌ إذا استقل يماني

ويروى: "هي غورية". الغناء للغريض خفيف ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو وابن المكي.

ومن استنطاقه الربع قوله

صوت

سائلا الربع بالبلي وقولا هجت شوقاً لي الغداة طويلا

أين حي حلوك إذ أنت محفو فٌ بهم آهلٌ أراك جميلا

قال ساروا فأمعنوا واستقلوا وبرغمي لو قد وجدت سبيلا

وبكرهي لو استطعت سبيلا

سئمونا وما سئمنا جواراً وأحبوا دماثةً وسهولا

فيه رملان: أحدهما لابن سريج بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر لإسحاق مطلقٌ في مجرى البنصر، وفيه لأبي العبيس بن حمدون ثقيل. وقد شرحت نسبته مع خبره في موضع آخر. قال إسحاق: أنشد جرير هذه الأبيات فقال: إن هذا الذي كنا ندور عليه فأخطأناه.

ومن أنطاقه القلب قوله

قال لي فيها عتيقٌ مقالاً فجرت مما يقول الدموع

قال لي ودع سليمى ودعها فأجاب القلب: لا أستطيع

الغناء للهذلي ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي. قال: وفيه ليحيى المكي ثقيلٌ أول نسب إلى معبد وهو من منحوله.

ومن حسن عزائه قوله

صوت

أألحق إن دار الرباب تباعدت أو أنبت حبلٌ أن قلبك طائر

أفق قد أفاق العاشقون وفارقوا ال هوى واستمرت بالرجال المرائر

زع النفس واستبق الحياء فإنما تباعد أو تدني الرباب المقادر

أمت حبها واجعل قديم وصالها وعشرتها كمثل من لا تعاشر

وهبها كشيءٍ لم يكن أو كنازحٍ به الدار أو من غيبته المقابر

وكالناس علقت الرباب فلا تكن أحاديث من يبدو ومن هو حاضر

الغناء في بعض هذه الأبيات وأوله "زع النفس" لابن سريج ثقيلٌ أول بالبنصر عن عمرو. وفيه لعمر الوادي رملٌ بالبنصر عن ابن المكي. وفيه ل "قدارٍ" لحنٌ من كتاب إبراهيم غير مجنس. وهذه الأبيات يرويها بعض أهل الحجاز لكثير، ويرويها الكوفيون للكميت بن معروف الأسدي، وذكر بعضها الزبير بن بكار عن أبي عبيدة لكثيرٍ في أخباره.

ومن حسن غزله في مخاطبة النساء - قال مصعبٌ الزبيري: وقد أجمع أهل بلدنا ممن له علمٌ بالشعر أن هذه الأبيات أغزل ما سمعوا - قوله:

صوت

تقول غداة التقينا الرباب ... ايا ذا أفلت أفول السماك
وكفت سوابق من عبرةٍ ... كما ارفض نظمٌ ضعيف السلاك
فقلت لها من يطع في الصدي ... ق أعداءه يجتنبه كذاك
أغرك أني عصيت الملا ... م فيك وأن هوانا هواك
وألا أرى لذةً في الحياة ... تقر بها العين حتى أراك
فكان من الذنب لي عندكم ... مكارمتي واتباعي رضاك
فليت الذي لام في حبكم ... وفي أن تزاري بقرنٍ وقاك
هموم الحياة وأسقامها ... وإن كان حتفٌ جهيزٌ فداك

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى. وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لحكم. وقيل: إن فيه لحناً آخر لابن جامع.

ومن عفة مقاله قوله

صوت

طال ليلي واعتادني اليوم سقم ... وأصابت مقاتل القلب نعم
حرة الوجه والشمائل والجو ... هر تكليمها لمن نال غنم
وحديث بمثله تنزل العص ... م رخيم يشوب ذلك حلم
هكذا وصف ما بدا لي منها ... ليس لي بالذي تغيب علم
إن تجودي أو تبخلي فبحمدٍ ... لست يا نعم فيهما من يذم

الغناء لابن سريج رملٌ عن الهشامي.

ومن قلة انتقاله قوله

صوت

أيها القائل غير الصواب ... أمسك النصح وأقلل عتابي

واجتنبني واعلمن أن ستعصى ... ولخيرٌ لك طول اجتنابي
إن تقل نصحاً فعن ظهر غشٍ ... دائم الغمر بعيد الذهاب
ليس بي عيٌّ بما قلت إني ... عالمٌ أفقه رجع الجواب
إنما قرة عيني هواها ... فدع اللوم وكلني لما بي
لا تلمني في الرباب وأمست ... عدلت للنفس برد الشراب
هي والله الذي هو ربي ... صادقاً أحلف غير الكذاب
أكرم الأحياء طراً علينا ... عند قربٍ منهم واجتناب
خاطبتني ساعةً وهي تبكي ... ثم عزت خلتي في الخطاب
وكفى بي مدرها لخصومٍ ... لسواها عند حد تبابي

الغناء لكردمٍ ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق في الأول والخامس ثم الثاني والثالث. وفيه لمعبد خفيف ثقيلٌ بالبنصر عن يحيى المكي.

ومن إثباته الحجة قوله

خليلي بعض اللوم لا ترحلا به ... رفيقكما حتى تقولا على علم
خليلي من يكلف بآخر كالذي ... كلفت به يدمل فؤاداً على سقم
خليلي ما كانت تصاب مقاتلي ... ولا غرتي حتى وقعت على نعم
خليلي حتى لف حبلي بخادعٍ ... موقىً إذا يرمى صيودٍ إذا يرمي
خليلي لو يرقى خليلٌ من الهوى ... رقيت بما يدني النوار منه العصم
خليلي إن باعدت لانت وإن ألن ... تباعد فلم أنبل بحربٍ ولا سلم

ومن ترجيحه الشك في موضع اليقين قوله

صوت

نظرت إليها بالمحصب من منى ... ولي نظرٌ لولا التحرج عارم
فقلت :أشمس أم مصابيح بيعةٍ ... بدت لك خلف السجف أم أنت حالم
بعيدة مهوى القرط إما لنوفلٌ ... أبوها وإما عبد شمسٍ وهاشم
ومد عليها السجف يوم لقيتها ... على عجلٍ تباعها والخوادم

فلم أستطعها غير أن قد بدا لنا عشية راحت وجهها والمعاصم

معاصم لم تضرب على البهم بالضحى عصاها ووجهٌ لم تلحه السمائم

نضارٌ ترى فيه أساريع مائه صبيحٌ تغاديه الأكف النواعم

إذا ما دعت أترابها فاكتنفنها تمايلن أو مالت بهن المآكم

طلبن الصبا حتى إذا ما أصبنه نزعن وهن المسلمات الظوالم

الغناء لمعبد ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وابن المكي. وفيها لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق أيضاً. وفيها للغريض "خفيف " ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي.

ومن طلاوة اعتذاره قوله

صوت

عاود القلب بعض ما قد شجاه من حبيبٍ أمسى هوانا هواه

يا لقومي فكيف أصبر عمن لا ترى النفس طيب عيشٍ سواه

أرسلت إذ رأت بعادي ألا يقبلن بي محرشاً إن أتاه

دون أن يسمع المقالة منا وليطعني فإن عندي رضاه

لا تطع بي فدتك نفسي عدواً لحديثٍ على هواه افتراه

لا تطع بي من لو رآني وإيا ك أسيري ضرورةٍ ما عناه

ما ضراري نفسي بهجري من لي س مسيئاً ولا بعيداً ثراه

واجتنابي بيت الحبيب وما الخل د بأشهى إلي من أن أراه

الغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وقال عمرو، فيه خفيف ثقيلٍ بالوسطى للهذلي. وفيه لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو، وابتداؤه نشيدٌ أوله: "ما ضراري نفسي". وقال الهشامي: وفيه لعلية بنت المهدي وسعيد بن جابر لحنان من الثقيل الثاني.

ومن هجه العلل قوله

وآية ذلك أن تسمعي إذا جئتكم ناشداً ينشد

فرحنا سراعاً وراح الهوى دليلاً إليها بنا يقصد

فلما دنونا لجرس النبا ح والصوت، والحي لم يرقدوا

بعثنا لها باغياً ناشداً وفي الحي بغية من ينشد

وقد نسبت هذه الأبيات إلى من غنى فيها مع:

تشط غداً دار جيراننا

ومن فتحه الغزل قوله

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا

ومن عطفه المساءة على العذال قوله

صوت

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي إن بي يا عتيق ما قد كفاني

لا تلمني وأنت زينتها لي أنت مثل الشيطان للإنسان

الغناء لأبي العبيس بن حمدون ثقيلٌ أول مطلقٌ من مجموع أغانيه. وفيه رملٌ طنبري محدث، وفيه هزجٌ لأبي عيسى بن المتوكل.

ومن حسن تفجعه قوله

صوت

هجرت الحبيب اليوم من غير ما اجترم وقطعت من ذي ودك الحبل فانصرم

أطعت الوشاة الكاشحين ومن يطع مقالة واشٍ يقرع السن من ندم

أتاني رسولٌ كنت أحسب أنه شفيقٌ علينا ناصحٌ كالذي زعم

فلما تباثثنا الحديث وصرحت سرائره عن بعض ما كان قد كتم

تبين لي أن المحرش كاذبٌ فعندي لك العتبى على رغم من رغم

فملآن لمت النفس بعد الذي مضى وبعد الذي آلت وآليت من قسم

ظلمت ولم تعتب وكان رسولها إليك سريعاً بالرضا لك إذ ظلم

الغناء لابن سريج رملٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وقال يونس: فيه لابن سريج لحنان، وذكر الهشامي أن لحنه الآخر ثقيل أول، وأن لعلوية فيه رملاً آخر.

ومن تبخيله المنازل قوله

صوت

عرفت مصيف الحي والمتربعا ببطن حليات دوارس بلقعا
إلى السرح من وادي المغمس بدلت معالمها وبلاً ونكباء زعزعا
فيبخلن أو يخبرن بالعلم بعد ما نكأن فؤاداً كان قدماً مفجعا

الغناء للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى.

ومن اختصاره الخبر قوله

صوت

أمن آل نعمٍ أنت غادٍ فمبكر غداة غدٍ أم رائحٌ فمهجر
بحاجة نفسٍ لم تقل في جوابها فتبلغ عذراً والمقالة تعذر
أشارت بمدراها وقالت لتربها أهذا المغيري الذي كان يذكر
لئن كان إياه لقد حال بعدنا عن العهد والإنسان قد يتغير

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر، وله في بيتين آخرين من هذه القصيدة، وهما:

وليلة ذي دوران جشمتني السرى وقد يجشم الهول المحب المعزرا
فقلت أباديهم فإما أفوتهم وإما ينال السيف ثأراً فيثأرا

رملٌ آخر بالوسطى عن عمرو. قال الزبير حدثني إسحاق الموصلي قال: قلت لأعرابي ما معنى قول ابن أبي ربيعة:

بحاجة نفسٍ لم تقل في جوابها فتبلغ عذراً والمقالة تعذر

فقال: قام كما جلس.

ومن صدقه الصفاء قوله

كل وصلٍ أمسى لديك لأنثى غيرها وصلها إليها أداء
كل أنثى وإن دنت لوصالٍ أو نأت فهي للرباب الفداء

وقوله:

صوت

أحب لحبك من لم يكن صفياً لنفسي ولا صاحباً
وأبذل ما لي لمرضاتكم وأعتب من جاءكم عاتبا
وأرغب في ود من لم أكن إلى وده قبلكم راغبا
ولو سلك الناس في جانبٍ من الأرض واعتزلت جانبا
ليممت طيتها إنني أرى قربها العجب العاجبا

الغناء لابن القفاص رملٌ عن الهشامي ويحيى المكي، وفيه للربعي لحنٌ من كتاب إبراهيم غير مجنس.

ومما قدح فيه فأورى قوله

صوت

طال ليلي وتعناني الطرب واعتراني طول همٍّ ووصب
أرسلت أسماء في معتبةٍ عتبتها وهي أحلى من عتب
أن أتى منها رسولٌ موهناً وجد الحي نياماً فانقلب
ضرب الباب فلم يشعر به أحدٌ يفتح باباً إذ ضرب
قال :أيقاظٌ ولكن حاجةٌ عرضت تكتم منا فاحتجب
ولعمداً ردني، فاجتهدت بيمينٍ حلفةً عند الغضب
يشهد الرحمن لا يجمعنا سقف بيتٍ رجباً بعد رجب
قلت حلاً فاقبلي معذرتي ما كذا يجري محبٌّ من أحب
إن كفي لك رهن بالرضا فاقبلي يا هند، قالت قد وجب

الغناء لمالك خفيف ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لدحمان ثقيل أول بالبنصر عن عمرو. وفيه لمعبدٍ لحنٌ من كتاب يونس لم يجنسه، وذكر الهشامي أنه خفيف ثقيلٍ. وفيه لابن سريج رملٌ عن الهشامي.

قال من حكينا عنه في صدر أخبار عمر روايته التي رواها علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن رجاله والحرمي عن الزبير عن عمه: كان عمر بن أبي ربيعة يهوى امرأةً يقال لها "أسماء"، فكان الرسول يختلف بينهما زماناً وهو لا يقدر عليها. ثم وعدته أن تزوره، فتأهب لذلك وانتظرها، فأبطأت عنه حتى غلبته عينه فنام، وكانت عنده جاريةٌ له تخدمه، فلم تلبث أن جاءت ومعها جاريةٌ لها، فوقفت حجرةً وأمرت الجارية أن تضرب الباب، فضربته فلم يستيقظ. فقالت لها: تطلعي فانظري ما الخبر؟ فقالت لها: هو مضطجعٌ وإلى جنبه امرأةٌ، فحلفت لا تزوره حولاً، فقال في ذلك:

طال ليلي وتعناني الطرب

قال أبو هفان في حديثه: وبعث إليها امرأةً كانت تختلف بينه وبين معارفه، وكانت جزلةً من النساء، فصدقتها عن قصته وحلفت لها أنه لم يكن عنده إلا جاريته، فرضيت. وإياها يعني عمر بقوله:

فأتتها طبةٌ عالمةٌ تخلط الجد مراراً باللعب

تغلظ القول إذا لانت لها وتراخي عند سورات الغضب

لم تزل تصرفها عن رأيها وتأناها برفقٍ وأدب

قال إسحاق في خبره: وحدثني ابن كناسة قال أخبرني حماد الراوية قال: استنشدني الوليد بن يزيد، فأنشدته نحواً من ألف قصيدةٍ، فما استعادني إلا قصيدة عمر بن أبي ربيعة:

طال ليلي وتعناني الطرب

فلما أنشدته قوله:

فأتتها طبةٌ عالمةٌ تخلط الجد مراراً باللعب

إلى قوله:

إن كفي لك رهنٌ بالرضا فاقبلي يا هند قالت قد وجب

فقال الوليد: ويحك يا حماد! اطلب لي مثل هذه أرسلها إلى سلمى. يعني امرأته سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان، وكان طلقها ليتزوج أختها ثم تبعتها نفسه.

قال إسحاق وحدثني جماعةٌ منهم الحرمي والزبيري وغيرهما: أن عمر أنشد ابن أبي عتيق هذه القصيدة، فقال له ابن أبي عتيقٍ: الناس يطلبون خليفةً "مذ قتل عثمان " في صفة قوادتك هذه يدبر أمورهم فما يجدونه!.

رجعٌ إلى خبر عمر الطويل قالوا: ومن شعره الذي اعتذر فيه فأبرأ قوله

فالتقينا فرحبت حين سلم ت وكفت دمعاً من العين مارا

ثم قالت عند العتاب رأينا منك عنا تجلداً وازورارا

قلت كلالاه ابن عمك بل خف نا أموراً كنا بها أغمارا

فجعلنا الصدود لما خشينا قالة الناس للهوى أستارا

ليس كالعهد إذ عهدت ولكن أوقد الناس بالنميمة نارا

فلذاك الإعراض عنك وما آ ثر قلبي عليك أخرى اختيارا

ما أبالي إذا النوى قربتكم فدنوتم من حل أو من سارا

فالليالي إذا نأيت طوالٌ وأراها إذا قربت قصارا

ومن تشكيه الذي أشجى فيه قوله:

صوت

لعمرك ما جاورت غمدان طائعاً وقصر شعوبٍ أن أكون به صبا

ولكن حمى أضرعتني ثلاثةً مجرمةً ثم استمرت بنا غبا

وحتى لو أن الخلد تعرض إن مشت إلى الباب رجلي ما نقلت لها إربا

فإنك لو أبصرت يوم سويقةٍ مناخي وحبسي العيس داميةً جدبا

ومصرع إخوانٍ كأن أنينهم أنين المكاكي صادفت بلداً خصبا

إذاً لاقشعر الرأس منك صبابةً ولاستفرغت عيناك من سكبةٍ غربا

غنى في الأول والثاني من هذه الأبيات معبدٌ ولحنه خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى عن عمرو. وفيهما لمالك ثقيل أول عن الهشامي، ونسبه يونس إلى مالك ولم يجنسه.

ومن إقدامه عن خبرة ولم يعتذر بغرة قوله

صرمت وواصلت حتى عرف ت أين المصادر والمورد

وجربت من ذاك حتى عرف ت ما أتوقى وما أعمد

ومن أسره النوم قوله

نام صحبي وبات نومي أسيراً أرقب النجم موهناً أن يغورا

ومن غمه الطير قوله

فرحنا وقلنا للغلام اقض حاجةً لنا ثم أدركنا ولا تتغبر

سراعاً نغم الطير إن سنحت لنا وإن تلقنا الركبان لا نتخبر

تتغبر، من قولهم: غبر فلان أي لبث.

ومن إغذاذه السير قوله

قلت سيرا ولا تقيما ببصرى وحفيرٍ فما أحب حفيرا

وإذا ما مررتما بمعانٍ فأقلا به الثواء وسيرا

إنما قصرنا إذا حسر السي ر بعيراً أن نستجد بعيرا

ومن تحييره ماء الشباب قوله

صوت

أبرزوها مثل المهاة تهادى … بين خمسٍ كواعبٍ أتراب

ثم قالوا تحبها قلت بهراً … عدد القطر والحصى والتراب

وهي مكنونةٌ تحير منها … في أديم الخدين ماء الشباب

الغناء لمحمد بن عائشة خفيف ثقيلٍ بالبنصر. وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر عن الهشامي، وقيل: بل هو هذا.

ومن تقويله وتسهيله قوله

قالت على رقبةٍ يوماً لجارتها … ما تأمرين فإن القلب قد تبلا

وهل لي اليوم من أختٍ مواخيةٍ … منكن أشكو إليها بعض ما فعلا

فراجعتها حصانٌ غير فاحشةٍ … برجع قولٍ ولبٍّ لم يكن خطلا

لا تذكري حبه حتى أراجعه … إني سأكفيكه إن لم أمت عجلا

فاقني حياءك في سترٍ وفي كرمٍ … فلست أول أنثى علقت رجلا

وأما ما قاس فيه الهوى فقوله

وقربن أسباب الهوى لمتيم … يقيس ذراعاً كلما قسن إصبعا

ومن عصيانه وإخلائه قوله

وأنص المطي يتبعن بالرك … ب سراعاً نواعم الأظعان

فنصيد الغرير من بقر الوح … ش ونلهو بلذة الفتيان

في زمانٍ لو كنت فيه ضجيعي … غير شكٍّ عرفت لي عصياني

وتقلبت في الفراش ولا تد … رين إلا الظنون أين مكاني

ومن مخالفته بسمعه وطرفه قوله

سمعي وطرفي حليفاها على جسدي … فكيف أصبر عن سمعي وعن بصري

لو طاوعاني على ألا أكلمها … إذاً لقضيت من أوطارها وطري

ومن إبرامه نعت الرسل قوله

فبعثت كاتمة الحدي … ث رفيقةً بجوابها

وحشيةً إنسيةً خراجةً من بابها
فرقت فسلهت المعا رض من سبيل نقابها

ومن تحذيره قوله

صوت

لقد أرسلت جاريتي وقلت لها خذي حذرك
وقولي في ملاطفةٍ لزينب نولي عمرك
فإن داويت ذا سقمٍ فأخزى الله من كفرك
فهزت رأسها عجباً وقالت من بذا أمرك
أهذا سحرك النسوا ن، قد خبرنني خبرك
وقلن إذا قضى وطراً وأدرك حاجةً هجرك

غنى ابن سريج في هذه الأبيات، ولحنه خفيف ثقيلٍ. ولابن المكي فيها هزجٌ بالوسطى. وفيها رملٌ ذكر ذكاء وجه الرزة عن أحمد بن أبي العلاء عن مخارق أنه لابن جامع، وذكر قمري أنه له وأن ذكاء أبطل في هذه الحكاية. قال الزبير: حدثني عمي قال حدثني أبي قال: قال شيخ من قريش: لا ترووا نساءكم شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورطن في الزنا تورطاً، وأنشد:

لقد أرسلت جاريتي وقلت لها خذي حذرك

ومن إعلانه الحب وإسراره قوله

شكوت إليها الحب أعلن بعضه وأخفيت منه في الفؤاد غليلا

ومما بطن به وأظهر قوله

حبكم يا آل ليلى قاتلي ظهر الحب بجسمي وبطن
ليس حب فوق ما أحببتكم غير أن أقتل نفسي أو أجن

ومما ألح فيه وأسف قوله

ليت حظي كطرفة العين منها وكثيرٌ منها القليل المهنا
أو حديثٌ على خلاءٍ يسلي ما يجن الفؤاد منها ومنا
كبرت رب نعمةً منك يوماً أن أراها قبل الممات ومنا

ومن إنكاحه النوم قوله

صوت

حتى إذا ما الليل جن ظلامه ... ونظرت غفلة كاشحٍ أن يعقلا
واستنكح النوم الذين نخافهم ... وسقى الكرى بوابهم فاستثقلا
خرجت تاطر في الثياب كأنها ... أيمٌ يسيب على كثيبٍ أهيلا

الغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه ألحانٌ لغيره وقد نسبت في غير هذا الموضع مع قوله:

ودع لبابة قبل أن تترحلا

ومن جنيه الحديث قوله

وجوارٍ مساعفاتٍ على الله ... و ومسرات باطن الأضغان
صيدٍ للرجال يرشقن بالمطر ... ف حسانٍ كخذل الغزلان
قد دعاني وقد دعاهن لله ... و شجونٌ مهمة الأشجان
فاجتنينا من الحديث ثماراً ... ما جنى مثلها لعمرك جاني

ومن ضربه الحديث ظهره لبطنه قوله

في خلاء من الأنيس وأمنٍ ... فبثثنا غليلنا واشتفينا
وضربنا الحديث ظهراً لبطنٍ ... وأتينا من أمرنا ما اشتهينا
فمكثنا بذاك عشر ليالٍ ... في قضاءٍ لديننا واقتضينا

ومن إذلاله صعب الحديث قوله

فلما أفضنا في الهوى نستبينه ... وعاد لنا صعب الحديث ذلولا
شكوت إليها الحب أظهر بعضه ... وأخفيت منه في الفؤاد غليلا

ومن قناعته بالرجاء من الوفاء قوله

فعدي نائلاً وإن لم تنيلي ... إنه ينفع المحب الرجاء

قال الزبير: هذا أحسن من قول كثير:

ولست براضٍ من خليلٍ بنائلٍ ... قليلٍ ولا أرضى له بقليل

ومن إعلائه قاتله قوله

فبعثت جاريتي وقلت لها اذهبي فاشكي إليها ما علمت وسلمي

قولي يقول تحرجي في عاشقٍ كلفٍ بكم حتى الممات متيم

ويقول إنك قد علمت بأنكم أصبحتم يا بشر أوجه ذي دم

فكي رهينته فإن لم تفعلي فاعلي على قتل ابن عمك واسلمي

فتضاحكت عجباً وقالت حقه ألا يعلمنا بما لم نعلم

علمي به والله يغفر ذنبه فيما بدا لي، ذو هوى متقسم

طرفٌ ينازعه إلى الأدنى الهوى ويبث خلةً ذي الوصال الأقدم

ومن تنفيضه النوم قوله

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت مصابيح شبت بالعشاء وأنور

وغاب قميرٌ كنت أرجو غيوبه وروح رعيان ونوم سمر

ونفضت عني أقبلت مشية ال حباب وركني خشية القوم أزور

ومن إغلاقه رهن منىً وإهداره قتلاه قوله

فكم من قتيلٍ ما يباء به دمٌ ومن غلق رهناً إذا لفه منى

ومن مالىءٍ عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

وكان بعد هذا كله فصيحاً شاعراً مقولاً.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي، وأخبرنا به علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن رجاله: أن عمر بن أبي ربيعة نظر إلى رجل يكلم امرأة في الطواف، فعاب ذلك عليه وأنكره. فقال له: إنها ابنة عمي. قال: ذاك أشنع لأمرك. فقال: إني خطبتها إلى عمي، فأبى علي إلا بصداقٍ أربعمائة دينار، وأنا غير مطيق ذلك، وشكا إليه من حبها وكلفه بها أمراً عظيماً، وتحمل به على عمه. فسار معه إليه فكلمه. فقال له: هو مملق، وليس عندي ما أصلح به أمره. فقال له عمر: وكم الذي تريده منه؟ قال: أربعمائة دينار. فقال له: هي علي فزوجه، ففعل ذلك.

وقد كان عمر حين أسن حلف ألا يقول بيت شعر ألا أعتق رقبةً. فانصرف عمر إلى منزله يحدث نفسه، فجعلت جاريةٌ له تكلمه فلا يرد عليها جواباً. فقالت له: إن لك لأمراً، وأراك تريد أن تقول شعراً، فقال:

صوت

تقول وليدتي لما رأتني طربت وكنت قد أقصرت حينا
أراك اليوم قد أحدثت شوقاً وهاج لك الهوى داءً دفينا
وكنت زعمت أنك ذو عزاءٍ إذا ما شئت فارقت القرينا
بربك هل أتاك لها رسول فشاقك أم لقيت لها خدينا
فقلت شكا إلي أخٌ محبٌّ كبعض زماننا إذ تعلمينا
فقص علي ما يلقى بهندٍ فذكر بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم وإن تعزى مشوقٌ حين يلقى العاشقينا
وكم من خلةٍ أعرضت عنها لغير قلىً وكنت بها ضنينا
أردت بعادها فصددت عنها ولو جن الفؤاد بها جنونا

ثم دعا تسعةً من رقيقه فأعتقهم لكل بيتٍ واحدٌ. الغناء لابن سريج رملٌ بالبنصر عن عمرو والهشامي. وفيه ثقيلٌ أول يقال: إنه للغريض. وذكر عبد الله بن موسى أن فيه لدحمان خفيف رملٍ.

عمر بن أبي ربيعة وعروة بن الزبير

أخبرني الحرمي قال حدثنا أحمد بن عبيد أبو عصيدة قال: ذكر ابن الكلبي أن عمر بن أبي ربيعة كان يساير عروة بن الزبير ويحادثه، فقال له: وأين زين المواكب؟ يعني ابنه محمد بن عروة، وكان يسمى بذلك لجماله.
فقال له عروة: هو أمامك، فركض يطلبه. فقال له عروة: يا أبا الخطاب، أولسنا أكفاءً كراماً لمحادثتك ومسايرتك؟ فقال: بلى بأبي أنت وأمي! ولكني مغرى بهذا الجمال أتبعه حيث كان. ثم التفت إليه وقال:

إني امرؤ مولعٌ بالحسن أتبعه لا حظ لي فيه إلا لذة النظر

ثم مضى حتى لحقه فسار معه، وجعل عروة يضحك من كلامه تعجباً منه.

عمر بن أبي ربيعة ومالك بن أسماء

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب ابن عبد الله قال: رأى عمر بن أبي ربيعة رجلاً يطوف بالبيت وقد بهر الناس بجماله وتمامه، فسأل عنه فقيل له: هذا مالك بن أسماء بن خارجة. فجاءه فسلم عليه وقال له: يابن أخي مازلت أتشوقك منذ بلغني قولك:

إن لي عند كل نفحة بستا نٍ من الورد أو من الياسمينا

نظرةً والتفاتةً أتمنى أن تكوني حللت فيما يلينا

ويروى:

...أترجى أن تكوني حللت ...

عمر وأبو الأسود الدؤلي وقد عرض لامرأته في الطواف

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا العباس بن هشام عن أبيه قال أخبرني مولىً لزيادٍ قال: حج أبو الأسود الدؤلي ومعه امرأته وكانت جميلةً. فبينا هي تطوف بالبيت إذ عرض لها عمر بن أبي ربيعة، فأتت أبا الأسود فأخبرته، فأتاه أبو الأسود فعاتبه. فقال له عمر: ما فعلت شيئاً. فلما عادت إلى المسجد عاد فكلمها، فأخبرت أبا الأسود، فأتاه في المسجد وهو مع قومٍ جالسٌ فقال له:

وإني ليثنيني عن الجهل والخنا وعن شتم أقوامٍ خلائق أربع

حياءٌ وإسلامٌ وبقيا وأنني كريمٌ ومثلي قد يضر وينفع

فشتان ما بيني وبينك إنني على كل حالٍ أستقيم وتظلع

فقال له عمر: لست أعود يا عم لكلامها بعد هذا اليوم. ثم عاود فكلمها، فأتت أبا الأسود فأخبرته، فجاء إليه فقال له:

أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفتى وسيدنا لولا خلائق أربع

نكولٌ عن الجلى وقربٌ من الخنا وبخلٌ عن الجدوى وأنك تبع

ثم خرجت وخرج معها أبو الأسود مشتملاً على سيف. فلما رآهما عمر أعرض عنها، فتمثل أبو الأسود:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي صولة المستأسد الحامي

رأي الفرزدق في شعر ابن أبي ربيعة

أخبرني ابن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم الفراسي قال حدثنا العمري قال أخبرنا الهيثم بن عدي قال: قدم الفرزدق المدينة وبها رجلان يقال لأحدهما صريمٌ، وللآخر ابن أسماء، وصفا له فقصدهما، وكان عندهما قيانٌ، فسلم عليهما وقال لهما: من أنتما؟ فقال أحدهما: أنا فرعون، وقال الآخر: أنا هامان. قال: فأين مترلكما في النار حتى أقصدكما؟ فقالا: نحن جيران الفرزدق الشاعر! فضحك ونزل، فسلم عليهما وسلما عليه وتعاشروا

مدة. ثم سألهما أن يجمعا بينه وبين عمر بن أبي ربيعة ففعلا، واجتمعا وتحادثا وتناشدا إلى أن أنشد عمر قصيدته التي يقول فيها:

فلما التقينا واطمأنت بنا النوى وغيب عنا من نخاف ونشفق

حتى انتهى إلى قوله:

فقمن لكي يخليننا فترقرقت مدامع عينيها وظلت تدفق

وقالت أما ترحمنني! لا تدعنني لدى غزلٍ جم الصبابة يخرق

فقلن اسكتي عنا فسلت مطاعةًوخلك منا فاعلمي بك أرفق

فصاح الفرزدق: أنت والله يا أبا الخطاب أغزل الناس! لا يحسن والله الشعراء أن يقولوا مثل هذا النسيب ولا أن يرقوا مثل هذه الرقية! وودعه وانصرف.

عمرو وعبد الرحمن بن الحارث

ابن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه: أنه حج مع أبيه الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، فأتى عمر بن أبي ربيعة وقد أسن وشاخ، فسلم عليه وساءله ثم قال له: أي شيء أحدثت بعدي يا أبا الخطاب؟ فأنشده:

يقولون :إني لست أصدقك الهوى وإني لا أرعاك حين أغيب

فما بال طرفي عف عما تساقطت له أعينٌ من معشرٍ وقلوب

عشية لا يستنكف القوم أن يروا سفاه امرىءٍ ممن يقال لبيب

ولا فتنةً من ناسكٍ أومضت له بعين الصبا كسلى القيام لعوب

تروح يرجو أن تحط ذنوبه فآب وقد زيدت عليه ذنوب

وما النسك أسلاني ولكن للهوى على العين مني والفؤاد رقيب

عمرو والنسوة اللاتي واعدهن بالعقيق

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن القحذمي قال: واعد عمر بن أبي ربيعة نسوةٌ من قريش إلى العقيق ليتحدثن معه، فخرج إليهن ومعه الغريض، فتحدثوا ملياً ومطروا، فقال عمر والغريض

وجاريتان للنسوة فأظلوا عليهن بمطرفة وبردين له حتى استترن من المطر إلى أن سكن، ثم انصرفن. فقال له الغريض: قل في هذا شعراً حتى أغني فيه، فقال عمر:

صوت

ألم تسأل المنزل المقفرا   بياناً فيكتم أو يخبرا
ذكرت به بعض ما قد شجاك   وحق لذي الشجو أن يذكرا
مقام المحبين قد ظاهرا   كساءً وبردين أن يمطرا
وممشى الثلاث به موهناً   خرجن إلى زائرٍ زورا
إلى مجلسٍ من وراء القبا   ب سهل الربا طيبٍ أعفرا
غفلن عن الليل حتى بدت   تباشير من واضحٍ أسفرا
فقمن يعفين آثارنا   بأكسية الخز أن تقفرا
مهاتان شيعتا جؤذراً   أسيلاً مقلده أحورا
وقمن وقلن لو أن النها   ر مد له الليل فاستأخرا
قضينا به بعض أشجاننا   وكان الحديث به أجدرا

ذكر ابن المكي أن الغناء في الخمسة الأبيات الأولى لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر، وذكر الهشامي أن هذا اللحن للغريض، وأن لحن ابن سريج رملٌ بالوسطى. وقال حبشٌ: فيها لمعبد خفيف ثقيلٍ بالوسطى.

عمر وابن أبي عتيق

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو العباس المديني قال أخبرنا ابن عائشة قال: حضر ابن أبي عتيق عمر بن أبي ربيعة وهو ينشد قوله:

ومن كان محزوناً بإهراق عبرةٍ   وهي غربها فليأتنا نبكه غدا
نعنه على الإثكال إن كان ثاكلاً   وإن كان محروباً وإن كان مقصدا

قال: فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالداً الخريت وقال له: قم بنا إلى عمر. فمضيا إليه، فقال له ابن أبي عتيق: قد جئناك لموعدك. قال: وأي موعدٍ بيننا؟ قال: قولك: "فليأتنا نبكه غداً. قد جئناك، والله لا نبرح أو

تبكي إن كنت صادقاً في قولك، أو ننصرف على أنك غير صادق. ثم مضى وتركه. قال ابن عائشة: خالدٌ الخريت هو خالد بن عبد الله القسري.

عود إلى خلق عمر

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش الهمداني قال: لقيت عمر بن أبي ربيعة فقلت له: يا أبا الخطاب، أكل ما قلته في شعرك فعلته؟ قال: نعم، وأستغفر الله.

قدوم عمر الكوفة ونزوله على ابن هلال

أخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن عبد الله بن مصعب قال: قدم عمر بن أبي ربيعة الكوفة، فترل على عبد الله بن هلالٍ الذي كان يقال له صاحب إبليس، وكان له قينتان حاذقتان، وكان عمر يأتيهما فيسمع منهما، فقال في ذلك:

يأهل بابل ما نفست عليكم … من عيشكم إلا ثلاث خلال

ماء الفرات وطيب ليلٍ باردٍ … وغناء مسمعتين لابن هلال

وصف الشعراء للبرق وما قاله عمر

في ذلك

أخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن رجاله: أن عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد وأبا ربيعة المصطلقي ورجلاً من بني مخزوم وابن أخت الحارث بن خالد، خرجوا يشيعون بعض خلفاء بني أمية. فلما انصرفوا نزلوا "بسرفٍ" فلاح لهم برقٌ؛ فقال الحارث: كلنا شاعر، فهلموا نصف البرق. فقال أبو ربيعة:

أرقت لبرقٍ آخر الليل لامعٍ … جرى سناه ذو الربا فينابع

فقال الحارث:

أرقت له ليل التمام ودونه … مهامه موماةٍ وأرضٌ بلاقع

فقال المخزومي:

يضيء عضاه الشوك حتى كأنه … مصابيح أو فجرٌ من الصبح ساطع

فقال عمر:

أيا رب لا آلو المودة جاهداً … لأسماء فاصنع بي الذي أنت صانع

ثم قال: مالي وللبرق والشوك!

بقية خبر عمر ونسوة العقيق

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال: كان عمر بن أبي ربيعة وخالدٌ القسري معه - وهو خالد الخريت - ذات يوم يمشيان، فإذا هما بهند وأسماء اللتين كان يشبب بهما عمر بن أبي ربيعة تتماشيان، فقصداهما وجلسا معهما ملياً، فأخذهم السماء ومطروا. ثم ذكر مثل خبرٍ تقدم، ورويته آنفاً عن هاشم بن محمد الخزاعي، وذكر الأبيات الماضية، ولم يذكر فيها خبر الغريض. وحكى أنه قال في ذلك:

صوت

أفي رسم دارٍ دمعك المترقرق ... سفاهاً! وما استنطاق ما ليس ينطق !
بحيث التقى "جمعٌ" ومفضى "محسرٍ" ... مغاني قد كادت على العهد تخلق

ذكرت به ما قد مضى من زماننا ... وذكرك رسم الدار مما يشوق
مقاماً لنا عند العشاء ومجلساً ... به لم يكدره علينا معوق
وممشى فتاةٍ بالكساء تكننا ... به تحت عينٍ برقها يتألق
يبل أعالي الثوب قطرٌ وتحته ... شعاعٌ بدا يعشي العيون ويشرق
فأحسن شيءٍ بدء أول ليلنا ... وآخره حزنٌ إذا نتفرق

ذكر يحيى بن المكي أن الغناء في ستة أبيات متواليةٍ من هذا الشعر لمعبدٍ خفيف ثقيلٍ بالسبابة والوسطى، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى.

عمر وليلى بنت الحارث البكرية

وما قاله فيها من الشعر

"أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني مصعب قال: لقي عمر بن أبي ربيعة ليلى بنت الحارث بن عمرو البكرية وهي تسير على بغلة لها، وقد كان نسب بها، فقال: جعلني الله فداك! عرجي ها هنا أسمعك بعض ما قلته فيك. قالت: أو قد فعلت؟ قال نعم! فوقفت وقالت: هات. فأنشدها.

صوت

ألا يا ليل إن شفاء نفسي ... نوالك إن بخلت فنولينا

وقد حضر الرحيل وحان منا فراقك فانظري ما تأمرينا

فقالت: آمرك بتقوى الله وإيثار طاعته وترك ما أنت عليه. ثم صاحت ببغلتها ومضت.

وفي هذين البيتين لابن سريج خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن يحيى المكي، وذكر الهشامي أنه من منحوله إلى ابن سريج. وفيهما رملٌ طنبوريٌ لأحمد بن صدقة.

أخبرني بذلك جحظة عنه. وأخبرني بهذا الخبر عبد الله بن محمد الرازي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن ابن الأعرابي: أن ليلى هذه كانت جالسةً في المسجد الحرام، فرأت عمر بن أبي ربيعة، فوجهت إليه مولىً لها فجاءها به. فقالت له: يابن أبي ربيعة، حتى متى لا تزال سادراً في حرم الله تشبب بالنساء وتشيد بذكرهن! أما تخاف الله! قال: دعيني من ذاك واسمعي ما قلت. قالت: وما قلت؟ فأنشدها الأبيات المذكورة.

فقالت له القول الذي تقدم أنها أجابته به. قال: وقال لها: اسمعي أيضاً ما قلت فيك، ثم أنشدها قوله:

أمن الرسم وأطلال الدمن عاد لي وجدي وعاودت الحزن

إن حبي آل ليلى قاتلي ظهر الحب بجسمي وبطن

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ فأتمر أمر رشيدٍ مؤتمن

التمس للقلب وصلاً عندها إن خير الوصل ما ليس يمن

علق القلب، وقد كان صحا، من بني بكرٍ غزالاً قد شدن

أحور المقلة كالبدر، إذا قلد الدر فقلبي ممتحن

ليس حبٌ فوق ما أحببتكم غير أن أقتل نفسي أو أجن

خلقت للقلب مني فتنةً هكذا يخلق معروض الفتن

قال: وفيها يقول:

إن ليلى وقد بلغت المشيبا لم تدع للنساء عندي نصيبا

هاجرٌ بيتها لأنفي عنها قول ذي العيب إن أراد عيوبا

نسبة ما في هذين الشعرين من الغناء الغناء في الأبيات الأولى النونية لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو.

وفيها لابن عائشة ثقيلٌ أول، يقال: إنه أول ثقيلٍ غناه، كان يغني الخفيف، فعيب بذلك فصنع هذا اللحن. وفيه لعبد الله بن يونس الأبلي رملٌ عن الهشامي.

والغناء في:

إن ليلى وقد بلغت المشيبا

لابن سريج رملٌ بالوسطى عن عمرو. وفيه لكردمٍ ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو أيضاً. وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لعطردٍ، ولم يجنسه.

حديثه مع النوار وشعره فيها

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني محمد بن منصور الأزدي قال حدثني أبي عن الهيثم بن عدي قال: بينما عمر بن أبي ربيعة منصرفٌ من المزدلفة يريد منىً إذ بصر بامرأة في رحالةٍ ففتن، وسمع عجوزاً معها تناديها: يا نوار استتري لا يفضحك ابن أبي ربيعة. فاتبعها عمر وقد شغلت قلبه حتى نزلت بمنىً في مضرب قد ضرب لها، فنزل إلى جنب المضرب، ولم يزل يتلطف حتى جلس معها وحادثها، وإذا أحسن الناس وجهاً وأحلاه منطقاً، فزاد ذلك في إعجاب عمر بها. ثم أراد معاودتها فتعذر ذلك عليه، وكان آخر عهده، فقال فيها:

صوت

علق النوار فؤاده جهلا ... وصبا فلم تترك له عقلا
وتعرضت لي في المسير فما ... أمسى الفؤاد يرى لها مثلا
ما نعجة من وحش ذي بقرٍ ... تغذو بسقط صريمةٍ طفلا
بألذ منها إذ تقول لنا ... وأردت كشف قناعها: مهلا
دعنا فإنك لا مكارمةً ... تجزي ولست بواصلٍ حبلا
وعليك من تبل الفؤاد وإن ... أمسى لقلبك ذكره شغلا
فأجبتها إن المحب مكلفٌ ... فدعي العتاب وأحدثي بذلا

الغناء لابن محرز خفيف ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه ثاني ثقيلٍ بالبنصر ينسب إلى ابن عائشة.

حديثه مع أم الحكم وشعره فيها

أخبرني محمد بن خلف قال حدثني أبو عبد الله السدوسي عن عيسى بن إسماعيل العتكي عن هشام بن الكلبي عن أبيه قال: حجت امرأةٌ من بني أمية يقال لها أم الحكم، فقدمت قبل أوان الحج معتمرةً. فبينا هي تطوف على بغلةٍ لها إذ مرت على عمر بن أبي ربيعة في نفرٍ من بني مخزوم وهم جلوسٌ يتحدثون وقد فرعهم طولاً وجهرهم جمالاً

وبهرهم شارةً وعارضةً وبياناً، فمالت إليهم ونزلت عندهم، فتحدثت معهم طويلاً ثم انصرفت. و لم يزل عمر يتردد إليها إلى أن انقضت أيام الحج، فرحلت إلى الشأم، وفيها يقول عمر:

تأوب ليلى بنصبٍ وهم — وعاودت ذكرى لأم الحكم
فبت أراقب ليل التما — م، من نام من عاشقٍ لم أنم
فإما تريني على ما عزا — ضعيف القيام شديد السقم
كثير القلب فوق الفرا — ش ما إن تقل قيامي قدم
بالمديحة طيب نشرها — هضيم الحشا عذبة المبتسم

في أول الأبيات الثلاثة غناء. وقبلها وهو أول الصوت:

صوت

وفيتان صدقٍ صباح الوجو — ه لا يجدون لشيءٍ ألم
من آل المغيرة لا يشهدو — ن عند المجازر لحسم الوضم

الغناء في هذه الأبيات لمالك خفيف ثقيل الثاني بالبنصر وهو الذي يقال له الماخوري، عن عمرو. وفيه ثاني ثقيلٍ ينسب إلى ابن سريج والعريض ودحمان. وفيه لابن المكي خفيف رملٍ.

حديثه مع سكينة وشعره فيها

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق عن أبي عبد الله الزبيري قال: اجتمع نسوةٌ من أهل المدينة من أهل الشرف، فتذاكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن حديثه، فتشوقن إليه وتمنينه، فقالت سكينة بنت الحسين: أنا لكن به. فأرسلت إليه رسولاً وواعدته الصورين، وسمت له الليلة والوقت، وواعدت صواحباتها، فوافاهن عمر على راحلته، فحدثهن حتى أضاء الفجر وحان انصرافهن. فقال لهن: والله إني لمحتاج إلى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده، ولكن لا أخلط بزيارتكن شيئاً. ثم انصرف إلى مكة وقال:

صوت

قالت سكينة والدموع ذوارفٌ — منها على الخدين والجلباب
ليت المغيري الذي لم أجزه — فيما أطال تصيدي وطلابي

كانت ترد لنا المنى أيامنا إذ لا نلام على هوى وتصابي
خبرت ما قالت فبت كأنما ترمي الحشا بنوافذ النشاب
أسكين ما ماء الفرات وطيبه مني على ظمأ وفقد شراب
بألذ منك وإن نأيت وقلما ترعى النساء أمانة الغياب

الغناء للهذلي رملٌ بالوسطى عن الهشامي. وفيه للغريض خفيف ثقيل بالوسطى عن حبشٍ. قال وقال فيها:

صوت

أحب لحبك من لم يكن صفياً لنفسي ولا صاحبا
وأبذل نفسي لمرضاتكم وأعتب من جاءكم عاتبا
وأرغب في ود من لم أكن إلى وده قبلكم راغبا
ولو سلك الناس في جانبٍ من الأرض واعتزلت جانبا
ليممت طيتها، إنني أرى قربها العجب العاجبا
فما نعجة من ظباء الأرا ك تقرو دميث الربا عاشبا
بأحسن منها غداة الغميم وقد أبدت الخد والحاجبا
غداة تقول على رقبةٍ لخادمها :يا احبسي الراكبا

فقالت لها: فيم هذا الكلام وأبدت لها عابساً قاطبا
فقالت كريمٌ أتى زائراً يمر بكم هكذا جانبا
شريفٌ أتى ربعنا زائراً فأكره رجعته خائبا"

غنى في الأول والثاني والرابع والخامس من هذه الأبيات ابن القفاص المكي، ولحنه رملٌ من رواية الهشامي.

بغوم ابن أبي ربيعة

وحدثني وكيع وابن المرزبان وعمي قالوا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثنا محمد بن معنٍ الغفاري قال حدثني سفيان بن عيينة قال: بينا أنا ومسعر بن كدامٍ مع إسماعيل بن أمية بفناء الكعبة إذا بعجوزٍ قد صلعت علينا عوراء متكئةً على عصاً يصفق أحد لحييها على الآخر، فوقفت على إسماعيل فسلمت عليه، فرد عليها السلام، وساءلها فأحفى المسألة، ثم انصرفت. فقال إسماعيل: لا إله إلا الله! ماذا تفعل

الدنيا بأهلها! ثم أقبل علينا فقال: أتعرفان هذه؟ قلنا: لا والله، ومن هي؟ قال: هذه "بغوم" ابن أبي ربيعة التي يقول فيها:

حبذا أنت يا بغوم وأسما ء وعيصٌ يكننا وخلاء

انظرا كيف صارت، وما كان بمكة امرأةٌ أجمل منها. قال: فقال له مسعر: لا ورب هذه البنية، ما أرى أنه كان عند هذه خيرٌ قط. وفي هذه الأبيات يقول عمر:

صوت

صرمت حبلك البغوم وصدت عنك في غير ريبةٍ أسماء
والغواني إذا رأينك كهلاً كان فيهن عن هواك التواء
حبذا أنت يا بغوم وأسما ء وعيصٌ يكننا وخلاء
ولقد قلت ليلة الجزل لما أخضلت ريطتي علي السماء
ليت شعري وهل يردن ليتٌ هل لهذا عند الرباب جزاء
كل وصلٍ أمسى لدي لأنثى غيرها وصلها إليها أداء
كل خلقٍ وإن دنا لوصالٍ أو نأى فهو للرباب الفداء
فعدي نائلاً وإن لم تنيلي إنما ينفع المحب الرجاء

لمعبدٍ في: "ولقد قلت ليلة الجزل..." والذي بعده خفيف ثقيلٍ مطلقٍ في مجرى الوسطى عن يونس وإسحاق ودنانير، "وهو من مشهور غنائه ".

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثتني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب عن ذهيبة مولاة محمد بن مصعب بن الزبير قالت: كنت عند أمة الواحد أو أمة المجيد بنت عمر بن أبي ربيعة في الجنبذ الذي في بيت سكينة بنت خالد بن مصعب أنا وأبوها عمر وجاريتان له تغنيان، يقال لأحداهما البغوم، والأخرى أسماء.

وكانت أمة المجيد بنت عمر تحت محمد بن مصعب بن الزبير.

قالت: فقال عمر بن أبي ربيعة وهو معهم في الجنبذ هذه الأبيات. فلما انتهى إلى قوله:

ولقد قلت ليلة الجزل لما أخضلت ريطتي علي السماء

خرجت البغوم ثم رجعت إليه فقالت: ما رأيت أكذب منك يا عمر! تزعم أنك بالجزل وأنت في جنبذ محمد بن مصعب، وتزعم أن السماء أخضلت ريطتك وليس في السماء قزعة! قال: هكذا يستقيم هذا الشأن.

وأخبرني علي بن صالح عم أبي هفان عن إسحاق عن المسيبي ومحمد بن سلام أن عمر أنشد ابن أبي عتيق قوله:

حبذا أنت يا بغوم وأسما ء وعيصٌ يكننا وخلاء

فقال له: ما أبقيت شيئاً يتمنى يا أبا الخطاب إلا مرجلاً يسخن لكم فيه الماء للغسل.

عمر و بنت مروان بن الحكم

أخبرني ابن المرزبان قال حدثني إسماعيل بن جعفر عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: حجت أم محمد بنت مروان بن الحكم، فلما قضت نسكها أتت عمر بن أبي ربيعة وقد أخفت نفسها في نسوة، فحدثها ملياً. فلما انصرفت أتبعها عمر رسولاً عرف موضعها وسأل عنها حتى أثبتها، فعادت إليه بعد ذلك فأخبرها بمعرفته إياها.

فقالت: نشدتك الله أن تشهرني بشعرك! وبعثت إليه بألف دينار، فقبلها وابتاع بها حللاً وطيباً فأهداه إليها، فردته. فقال لها: والله لئن لم تقبليه لأنهبنه، فيكون مشهوراً، فقبلته ورحلت. فقال فيها:

صوت

أيها الراكب المجد ابتكارا قد قضى من تهامة الأوطارا

من يكن قلبه صحيحاً سليماً ففؤادي بالخيف أمسى معارا

ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجةً واعتمارا

الغناء لابن محرز ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه أيضاً له خفيف ثقيل بالوسطى عن ابن المكي. وفيه لذكاء وجه الرزة المعتمدي ثقيلٌ أول من جيد الغناء وفاخر الصنعة ليس لأحد من طبقته وأهل صنعته مثله. وأنشد ابن أبي عتيق قول عمر هذا، فقال: الله أرحم بعباده أن يجعل عليهم ما سألته ليتم لك فسقك.

عمر وحميدة جارية ابن تفاحة

أخبرني ابن المرزبان قال أخبرني أحمد بن يحيى القرشي عن أبي الحسن الأزدي عن جماعةٍ من الرواة: أن عمر كان يهوى حميدة جارية ابن تفاحة، وفيها يقول:

صوت

حمل القلب من حميدة ثقلا إن في ذاك للفؤاد لشغلا

إن فعلت الذي سألت فقولي حمد خيراً وأتبعي القول فعلا

وصليني فأشهد الله أني لست أصفي سواك ما عشت وصلا

الغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن يحيى المكي والهشامي. وفيها يقول:

صوت

يا قلب هل لك عن حميدة زاجر أم أنت مدكر الحياء فصابر

فالقلب من ذكرى حميدة موجعٌ والدمع منحدرٌ وعظمي فاتر

قد كنت أحسب أنني قبل الذي فعلت على ما عند حمدة قادر

حتى بدا لي من حميدة خلتي بينٌ وكنت من الفراق أحاذر

"الغناء لمعبدٍ خفيف ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ".

عمر و بعض جواري بني أمية

في موسم الحج

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مسلمٍ المستملي عن ابن أخي زرقان عن أبيه قال: أدركت مولىً لعمر بن أبي ربيعة شيخاً كبيراً، فقلت له: حدثني عن عمر بحديثٍ غريب، فقال: نعم! كنت معه ذات يوم، فاجتاز به نسوةٌ من جواري بني أمية قد حججن، فتعرض لهن وحادثهن وناشدهن مدة أيام حجهن، ثم قالت له إحداهن: يا أبا الخطاب، إنا خارجاتٌ في غدٍ فابعث مولاك هذا إلى مترلنا ندفع إليه تذكرةً تكون عندك تذكرنا بها. فسر بذلك ووجه بي إليهن في السحر، فوجدهن يركبن، فقلن لعجوزٍ معهن: يا فلانة، ادفعي إلى مولى أبي الخطاب التذكرة التي أتحفناه بها. فأخرجت إلي صندوقاً لطيفاً مقفلاً مختوماً، فقلن: ادفعه إليه وارتحلن.

فجئته به وأنا أظن أنه قد أودع طيباً أو جوهراً. ففتحه عمر فإذا هو مملوءٌ من المضارب "وهي الكيرنجات "، وإذا على كل واحد منها اسم رجل من مجان مكة، وفيها اثنان كبيران عظيمان، على أحدهما الحارث بن خالد وهو يومئذٍ أمير مكة. وعلى الآخر عمر بن أبي ربيعة. فضحك وقال: تماجن علي ونفذ لهن. ثم أصلح مأدبةً. ودعا كل واحد ممن له اسمٌ في تلك المضارب. فلما أكلوا واطمأنوا للجلوس قال: هات يا غلام تلك الوديعة، فجئته بالصندوق، ففتحه ودفع إلى الحارث الكيرنج الذي عليه اسمه. فلما أخذه وكشف عنه غطاءه فزع وقال: ما هذا أخزاك الله! فقال له: رويداً، اصبر حتى ترى. ثم أخرج واحداً واحداً فدفعه إلى من عليه اسمه حتى فرقها فيهم ثم

أخرج الذي باسمه وقال: هذا لي. فقالوا له: ويحك! ما هذا؟ فحدثهم بالخبر فعجبوا منه، وما زالوا يتمازحون بذلك دهراً طويلاً ويضحكون منه.

قصته مع بنات أبصرنه من وراء المضرب

قال وحدثني هذا المولى قال: كنت مع عمر وقد أسن وضعف، فخرج يوماً يمشي متوكئاً على يدي حتى مر بعجوزٍ جالسة، فقال لي: هذه فلانة وكانت إلفاً لي، وعدل إليها فسلم عليها وجلس عندها وجعل يحادثها، ثم قال: هذه التي أقول فيها:

صوت

أبصرتها ليلةً ونسوتها	يمشين بين المقام والحجر
بيضاً حساناً نواعماً قطفاً	يمشين هوناً كمشية البقر
قالت لتربٍ لها تلاطفها	لنفسدن الطواف في عمر
قومي تصدي له ليعرفنا	ثم اغمزيه يا أخت في خفر
قالت لها قد غمزته فأبى	ثم اسبطرت تشتد في أثري
بل يا خليلي عادني ذكري	بل اعترتني الهموم بالسهر

- الغناء لابن سريج في السادس والأول والثاني خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيها لسنانٍ الكاتب رملٌ بالوسطى عنه وعن يونس. وفيها للأبجر خفيف رملٍ بالوسطى عنه. وفي:

قالت لتربٍ لها تلاطفها

لعبد الله بن العباس خفيف رملٍ بالبنصر عن الهشامي، وفيه للدلال خفيف ثقيلٍ عنه أيضاً. ولأبي سعيد مولى فائدٍ في الأول والثاني ثقيلٌ أول عن الهشامي أيضاً، ومن الناس من ينسب لحنه إلى سنان الكاتب وينسب لحن سنان إليه - قال: وجلس معها يحادثها، فأطلعت رأسها إلى البيت وقالت: يا بناتي، هذا أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة عندي، فإن كنتن تشتهين أن ترينه فتعالين. فجئن إلى مضربٍ قد حجزن به دون باها فجعلن يثقبنه ويضعن أعينهن عليه يبصرن. فاستسقاها عمر، فقالت له: أي الشراب أحب إليك؟ قال: الماء. فأتي بإناء فيه ماء، فشرب منه، ثم ملأ فمه فمجه عليهن في وجوههن من وراء الحاجز، فصاح الجواري وتماربن وجعلن يضحكن. فقالت له العجوز: ويلك! لا تدع مجونك وسفهك مع هذه السن! فقال: لا تلوميني، فما ملكت نفسي لما سمعت من حركاقمن أن فعلت ما رأيت.

حديثه مع المرأة التي رآها في الطواف

وارتحل معها إلى العراق

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن منصور بن أبي العلاء الهمداني قال حدثني علي بن طريف الأسدي قال: سمعت أبي يقول: بينما عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى امرأةً من أهل العراق فأعجبه جمالها، فمشى معها حتى عرف موضعها، ثم أتاها فحادثها وناشدها وناشدته وخطبها. فقالت: إن هذا لا يصلح ها هنا، ولكن إن جئتني إلى بلدي وخطبتني إلى أهلي تزوجتك. فلما ارتحلوا جاء إلى صديق له من بني سهمٍ وقال له: إن لي إليك حاجةً أريد أن تساعدني عليها، فقال له نعم. فأخذ بيده و لم يذكر له ما هي، ثم أتى مترله فركب نجيباً له وأركبه نجيباً "آخر "، وأخذ معه ما يصلحه، وسارا لا يشك السهمي في أنه يريد سفر يوم أو يومين، فما زال يخفد حتى لحق بالرفقة، ثم سار بسيرهم يحادقث المرأة طول طريقه ويسايرها ويترل عندها إذا نزلت حتى ورد العراق. فأقام أياماً، ثم راسلها يتنجزها وعدها، فأعلمته أنها كانت متزوجةً ابن عم لها وولدت منه أولادها ثم مات وأوصى بهم وبماله إليها ما لم تتزوج، وأنها تخاف فرقة أولادها وزوال النعمة، وبعثت إليه بخمسة آلاف درهم واعتذرت، فردها عليها ورحل إلى مكة، وقال في ذلك قصيدته التي أولها:

صوت

نام صحبي ولم أنم ... من خيال بنا ألم
طاف بالركب موهناً ... بين خاخٍ إلى إضم
ثم نبهت صاحباً ... طيب الخيم والشيم
أريحيا مساعداً ... غير نكسٍ ولا برم
قلت يا عمرو شفني ... لاعج الحب والألم
ايت هنداً فقل لها ... ليلة الخيف ذي السلم

الغناء لمالك خفيف رملٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس. وفيه لعبد الله بن العباس الربيعي خفيف رملٍ من رواية عمرو بن بانة، وذكر حبشٌ أن لحن عبد الله بن العباس رملٌ آخر عن الهشامي.

عود إلى شهادة جرير في شعر عمر

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا الحسين بن إسماعيل عن ابن عائشة عن أبيه قال: كان جريرٌ إذا أنشد شعر عمر بن أبي ربيعة قال: شعرٌ تهاميٌّ إذا أنجد وجد البرد، حتى أنشد قوله:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت　　　فيضحى وأما بالعشي فيخصر

... الأبيات. فقال: مازال هذا يهذي حتى قال الشعر.

حنين عمر إلى ذكر الغزل

بعد أن كبرت سنه

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن عثمان بن إبراهيم الخاطبي، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن محمد بن أبان قال أخبرني العتبي عن أبي زيد الزبيري عن عثمان بن إبراهيم الخاطبي قال: أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنين وهو في مجلس قومه من بني مخزوم، فانتظرت حتى تفرق القوم، ثم دنوت منه ومعي صاحبٌ لي ظريفٌ وكان قد قال لي: تعال حتى نهيجه على ذكر الغزل، فننظر هل بقي في نفسه منه شيءٌ. فقال له صاحبي: يا أبا الخطاب، أكرمك الله! لقد أحسن العذري وأجاد فيما قال. فنظر عمر إليه ثم قال له: وماذا قال؟ قال: حيث يقول:

لو جد بالسيف رأسي في مودتها　　　لمر يهوي سريعاً نحوها راسي

قال: فارتاح عمر إلى قوله وقال: هاه! لقد أجاد وأحسن! فقلت: ولله در جنادة العذري! فقال عمر حيث يقول ماذا ويحك؟ فقلت: حيث يقول:

سرت لعينك سلمى بعد مغفاها　　　فبت مستتبهاً من بعد مسراها

وقلت أهلاً وسهلاً من هداك لنا　　　إن كنت تمثالها أو كنت إياها

من حبها أتمنى أن يلاقيني　　　من نحو بلدتها ناعٍ فينعاها

كيما أقول فراق لا لقاء له　　　وتضمر النفس يأساً ثم تسلاها

ولو تموت لراعتني وقلت ألا　　　يا بؤس للموت ليت الموت أبقاها

قال: فصحك عمر ثم قال: وأبيك لقد أحسن وأجاد وما أبقى! ولقد هيجتما علي ساكناً، وذكرتماني ما كان عني غائباً، ولأحدثنكما حديثاً حلواً:

قصته مع هند بنت الحارث المرية

بينا أنا منذ أعوام جالسٌ، إذ أتاني خالدٌ الخريت، فقال لي: يا أبا الخطاب، مرت بي أربع نسوةٍ قبيل العشاء يردن موضع كذا وكذا لم أر مثلهن في بدوٍ ولا حضر، فيهن هند بنت الحارث المرية، فهل لك أن تأتيهن متنكراً فتسمع من حديثهن وتتمتع بالنظر إليهن ولا يعلمن من أنت؟ فقلت له: ويحك! وكيف لي أن أخفي نفسي؟

قال: تلبس لبسة أعرابي ثم تجلس على قعودٍ "ثم ائتهن فسلم عليهن "، فلا يشعرن إلا بك قد هجمت عليهن. ففعلت ما قال، وجلست على قعودٍ، ثم أتيتهن فسلمت عليهن ثم وقفت بقربهن. فسألنني أن أنشدهن وأحدثهن، فأنشدهن لكثير وجميل والأحوص ونصيبٍ وغيرهم. فقلن لي: ويحك يا أعرابي! ما أملحك وأظرفك! لو نزلت فتحدثت معنا يومنا هذا! فإذا أمسيت انصرفت في حفظ الله. قال: فأنخت بعيري ثم تحدثت معهن وأنشدهن، فسررن بي وجذلن بقربي وأعجبهن حديثي. قال: ثم أهن تغامزن وجعل بعضهن يقول لبعضٍ: كأنا نعرف هذا الأعرابي! ما أشبهه بعمر بن أبي ربيعة! فقالت إحداهن: فهو والله عمر! فمدت هندٌ يدها فانتزعت عمامتي فألقتها عن رأسي ثم قالت لي: هيه يا عمر! أتراك خدعتنا منذ اليوم! بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بخالدٍ، فأرسلناه إليك لتأتينا في أسوأ هيئةٍ ونحن كما ترى. قال عمر: ثم أخذنا في الحديث، فقالت هند: ويحك يا عمر! اسمع مني، لو رأيتني منذ أيام وأصبحت عند أهلي، فأدخلت رأسي في جيبي، فنظرت إلى حري فإذا هو ملء الكف ومنية المتمني، فناديت يا عمراه يا عمراه! قال عمر: فصحت يا لبيكاه يا لبيكاه! ثلاثاً ومددت في الثالثة صوتي، فضحكت. وحادثتهن ساعةً، ثم ودعتهن وانصرفت.

فذلك قولي:

صوت

عرفت مصيف الحي والمتربعا ... ببطن حلياتٍ دوارس بلقعا
إلى السفح من وادي المغمس بدلت ... معالمه وبلاً ونكباء زعزعا
لهندٍ وأترابٍ لهندٍ إذ الهوى ... جميعٌ وإذ لم نخش أن يتصدعا
وإذ نحن مثل الماء كان مزاجه ... كما صفق الساقي الرحيق المشعشعا
وإذا لا نطيع الكاشحين ولا نرى ... لواشٍ لدينا يطلب الصرم موضعا

الغناء للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي ومن نسخة عمرو الثانية. وفيه لابن جامع وابن عبادٍ لحنان من كتاب إبراهيم. وفيها يقول - وفيه غناء -:

صوت

فلما تواقفنا وسلمت أشرقت ... وجوهٌ زهاها الحسن أن تتقنعا
تبالهن بالعرفان لما رأينني ... وقلن امرؤ باغٍ أكل وأوضعا
وقربن أسباب الهوى لمتيمٍ ... يقيس ذراعاً كلما قسن إصبعا

الغناء لابن عبادٍ رملٌ عن الهشامي. وفيه لابن جامع لحنٌ من كتاب إبراهيم غير مجنس. "هذه الأبيات مقرونةٌ بالأولى، والصنعة في جميعها مختلفةٌ، يغني المغنون بعض هذه وبعض تلك ويخلطونها، والصنعة لمن قدمت ذكره".
وهي قصيدة طويلة، ذكرت منها ما فيه صنعةٌ.
ومما قاله في هند هذه وغني فيه قوله:

صوت

ألم تسأل الأطلال والمنزل الخلق ... ببرقة ذي ضالٍ فيخبر إن نطق؟
ذكرت به هنداً فظلت كأنني ... أخو نشوةٍ لاقى الحوانيت فاغتبق

الغناء لعطردٍ ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لمعبدٍ ثقيلٌ أول بالوسطى عن الهشامي. وذكر حبشٌ أن فيه للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى. ومنها:

صوت

أسبح القلب مهيضا ... راجع الحب الغريضا
وأجد الشوق وهناً ... أن رأى برقاً وميضا
ثم بات الركب نوا ... ماً ولم أطعم غموضا
ذاك من هندٍ قديماً ... تركها القلب مهيضا
وتبدت ثم أبدت ... واضح اللون نحيضا
وعذاب الطعم غراً ... كأقاحي الرمل بيضا

الغناء لابن محرزٍ خفيف ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر. وفيه لحكمٍ هزجٌ بالوسطى عن عمرو، وقيل: إنه يمانٍ.
ومن الناس من ينسب لحن ابن محرزٍ إلى ابن مسجحٍ. ومنها:

صوت

أربت إلى هندٍ وتربين مرةً ... لها إذ تواقفنا بفرع المقطع
"لتعريج يومٍ أو لتعريس ليلةٍ ... علينا بجمع الشمل قبل التصدع
فقلن لها لولا ارتقاب صحابةٍ ... لنا خلفنا عجنا ولم نتورع"

وقالت فتاةٌ كنت أحسب أنها مغفلةٌ في مئزرٍ لم تدرع

لهن وما شاورنها ليس ما أرىبحسن جزاءٍ للحبيب المودع

فقلن لها لا شب قرنك فافتحي لنا باب ما يخفى من الأمر نسمع

وهي أبياتٌ. الغناء للغريض ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر ابن المكي أنه لابن سريج. ومنها:

صوت

لما ألمت بأصحابي وقد هجعوا حسبت وسط رحال القوم عطارا

فقلت من ذا المحيى وانتبهت له ومن محدثنا هذا الذي زارا؟

ألا انزلوا نعمت دارٌ بقربكم أهلاً وسهلاً بكم من زائرٍ زارا

فبدل الربع ممن كان يسكنه عفر الظباء به يمشين أسطارا

الغناء لابن سريج رملٌ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه ليونس خفيف ثقيلٍ. وفيه لأبي فارة هزجٌ بالبنصر. وأول هذه القصيدة التي فيها ذكر هند قوله:

يا صاحبي قفا نستخبر الدارا أقوت وهاجت لنا بالنعف تذكارا

وقد أرى مرةً سرباً بها حسناً مثل الجآذر لم يمسسن أبكارا

فيهن هند وهندٌ لا شبيه لها فيمن أقام من الأحياء أو سارا

تقول ليت أبا الخطاب وافقنا كي نلهو اليوم أو ننشد أشعارا

فلم يرعهن إلا العيس طالعةً بالقوم يحملن ركباناً وأكوارا

وفارسٌ يحمل البازي فقلن لها ها هم أولاء وما أكثرن إكثارا

لما وقفنا وعننا ركائبنا بدلن بالعرف بعد الرجع إنكارا

ومنها:

صوت

ألم تربع على الطلل ومغنى الحي كالخلل

لهندٍ إن هنداً حب ها قد كان من شغلي

"فلما أن عرفت الدا ... ر عجت لرسمها جملي
وقلت لصحبتي عوجوا ... فعاجوا هزة الإبل"
وقالوا قف ولا تعجل ... وإن كنا على عجل
قليلٌ في هواك اليو ... م ما نلقى من العمل

الغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه "له" أيضاً رملٌ عن الهشامي وحبشٍ. ومنها:

صوت

هاج ذا القلب منزل ... بالبليين محول
غيرت آيه الصبا ... وجنوبٌ وشمال
إن هنداً قد أرسلت ... وأخو الشوق مرسل
أرسلت تستحثني ... وتفدي وتعذل
أينا بات ليله ... بين غصنين يوبل
تحت عينٍ، يكننا ... برد عصبٍ مهلهل

في هذه الأبيات خفيف ثقيلٍ مطلقٍ في مجرى البنصر، ذكر إسحاق أنه لمالك، وذكر عمرو أنه لابن محرز. وذكر يونس أن فيها لحناً لابن محرز ولحناً لمالك. وقال عمرو في نسخته الثانية: إنه لابن زرزر الطائفي خفيف ثقيلٍ بالوسطى، وروت مثل ذالك دنانير عن فليح. وفيها لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيها لعبد الله بن موسى الهادي ثاني ثقيلٍ من مجموعة ورواية الهشامي وفيه لحكمٍ هزجٌ بالخنصر والبنصر عن ابن المكي. وفيه للحجبي رملٌ عن الهشامي وفيه ثقيلٌ أول نسبه ابن المكي إلى ابن محرز، وذكر الهشامي أنه منحول. وفيه خفيف رمل ذكر الهشامي أنه لحن ابن محرز. ومنها:

صوت

يا صاح هل تدري وقد جمدت ... عيني بما ألقى من الوجد
لما رأيت ديارها درست ... وتبدلت أعلامها بعدي
وذكرت مجلسها ومجلسنا ... ذات العشاء بمهبط النجد
ورسالةً منها تعاتبني ... فرددت معتبةً على هند

الغناء ليحيى المكي رمل بالوسطى. وفيه لغيره ألحان أخر. ومنها:

صوت

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد   وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرةً واحدةً   إنما العاجز من لا يستبد
ولقد قالت لجاراتٍ لها   ذات يومٍ وتعرت تبترد

- ويروى:

زعموها سألت جاراتها
أكما ينعتني تبصرنني   عمركن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها   حسنٌ في كل عينٍ من تود
حسداً حملنه من أجلها   وقديماً كان في الناس الحسد

الغناء لابن سريج رملٌ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لحنٌ لمالكٍ من كتاب يونس غير مجنس. وفيه لابن سريج خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو، وذكره إسحاق في خفيف الثقيل بالخنصر في مجرى البنصر و لم ينسبه إلى أحد. وفيه ثاني ثقيلٍ يقال إنه لحنٌ لمالكٍ، ويقال إنه لمتيم. ومنها:

صوت

هاج القريض الذكر   لما غدوا فانشمروا
على بغالٍ شحجٍ   قد ضمهن السفر
فيهن هندٌ ليتني   ما عمرت أعمر
حتى إذا ما جاءها   حتفٌ أتاني القدر

لابن سريج فيه لحنان: رملٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق، وخفيف رملٍ عن الهشامي. ومنها:

صوت

يا من لقلبٍ دنفٍ مغرم   هام إلى هندٍ ولم يظلم
هام إلى ريمٍ هضيم الحشى   عذب الثنايا طيب المبسم
لم أحسب الشمس بليلٍ بدت   قبلي لذي لحمٍ ولا ذي دم

قالت ألا إنك ذو ملةٍ | يصرفك الأدنى عن الأقدم
قلت لها بل أنت معتلةٌ | في الوصل يا هند لكي تصرمي

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لبديح لحنٌ قديمٌ. وقيل: إن فيه رملاً آخر لعمارة مولاة عبد الله بن جعفر. ومنها:

صوت

تصابى وما بعض التصابي بطائل | وعاود من هندٍ جوىً غير زائل
عشية قالت صدعت غربة النوى | فما من تلاقٍ قد أرى دون قابل
وما أنس مِ الأشياء لا أنس مجلساً | لنا مرةً منها بقرن المنازل
بنخلة بين النخلتين يكننا | من العين عند العين برد المراجل

الغناء للغريض ثقيلٌ أول بالبنصر عن عمرو. وفيه للعماني خفيف ثقيلٍ عن دنانير والهشامي. ومنها:

صوت

لج قلبي في التصابي | وازدهى عني شبابي
ودعاني لهوى هن | دٍ فؤادٌ غير نابي
قلت لما فاضت العي | نان دمعاً ذا انسكاب
إن جفتني اليوم هندٌ | بعد ودٍّ واقتراب
فسبيل الناس طراً | لفناءٍ وذهاب

الغناء لأهل مكة رملٌ بالوسطى.

قصته مع فاطمة بنت عبد الملك

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو علي الأسدي - وهو بشر ابن موسى بن صالح - قال حدثني أبي موسى بن صالح عن أبي بكر القرشي قال:

كان عمر بن أبي ربيعة جالساً بمنىً في فناء مضربه وغلمانه حوله، إذ أقبلت امرأةٌ برزةٌ عليها أثر النعمة فسلمت، فرد عليها عمر السلام، فقالت له: أنت عمر بن أبي ربيعة؟ فقال لها: أنا هو، فما حاجتك؟ قالت له: حياك الله وقربك! هل لك في محادثة أحسن الناس وجهاً، وأتمهم خلقاً، وأكملهم أدباً، وأشرفهم حسباً؟ قال: ما أحب إلي

ذلك! قالت: على شرطٍ. قال: قولي. قالت: تمكنني من عينيك حتى أشدهما وأقودك، حتى إذا توسطت الموضع الذي أريد حللت الشد، ثم أفعل ذلك بك عند إخراجك حتى أنتهي بك إلى مضربك. قال: شأنك، ففعلت ذلك به. قال عمر: فلما انتهت بي إلى المضرب الذي أرادت كشفت عن وجهي، فإذا أنا بامرأة على كرسي لم أر مثلها قط جمالاً وكمالاً، فسلمت وجلست. فقالت: أأنت عمر بن أبي ربيعة؟ قلت: أنا عمر. قالت: أنت الفاضح للحرائر؟ قلت: وما ذاك جعلني الله فداءك؟ قالت: ألست القائل:

صوت

قالت وعيش أخي ونعمة والدي ... لأنبهن الحي إن لم تخرج
فخرجت خوف يمينها فتبسمت ... فعلمت أن يمينها لم تحرج
فتناولت رأسي لتعرف مسه ... بمخضب الأطراف غير مشنج
فلثمت فاها آخذاً بقرونها ... شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

- الغناء لمعبد ثقيلٌ أول بالبنصر عن يونس وعمرو -.

ثم قالت: قم فاخرج عني، ثم قامت من مجلسها. وجاءت المرأة فشدت عيني، ثم أخرجتني حتى انتهت بي إلى مضربي، وانصرفت وتركتني. فحللت عيني وقد دخلني من الكآبة والحزن ما الله به أعلم. وبت ليلتي، فلما أصبحت إذا أنا بها، فقالت: هل لك في العود؟ فقلت: شأنك، ففعلت بي مثل فعلها بالأمس، حتى انتهت بي إلى الموضع. فلما دخلت إذا بتلك الفتاة على كرسي. فقالت: إيه يا فضاح الحرائر! قلت: بماذا جعلني الله فداءك؟ قالت: بقولك:

صوت

وناهدة الثديين قلت لها اتكي ... على الرمل من جبانةٍ لم توسد
فقالت على اسم الله أمرك طاعةٌ ... وإن كنت قد كلفت ما لم أعود
فلما دنا الإصباح قالت فضحتني ... فقم غير مطرودٍ وإن شئت فازدد

- الغناء لأهل مكة ثقيلٌ أول عن الهشامي - ثم قالت قم فاخرج عني، فقمت فخرجت ثم رددت. فقالت لي: لولا وشك الرحيل، وخوف الفوت، ومحبتي لمناجاتك والاستكثار من محادثتك، لأقصيتك، هات الآن كلمني وحدثني وأنشدني.

فكلمت آدب الناس وأعلمهم بكل شيء. ثم نهضت وأبطأت العجوز وخلا لي البيت، فأخذت أنظر، فإذا أنا بتور فيه خلوقٌ، فأدخلت يدي فيه ثم خبأتها في ردني. وجاءت تلك العجوز فشدت عيني ونهضت بي تقودني،

حتى إذا صرت على باب المضرب أخرجت يدي فضربت بها على المضرب، ثم صرت إلى مضربي، فدعوت غلماني فقلت: أيكم يقفني على باب مضربٍ عليه خلوقٌ كأنه أثر كفٍّ فهو حرٌ وله خمسمائة درهم.

فلم ألبث أن جاء بعضهم فقال: قم. فنهضت معه، فإذا أنا بالكف طرية، وإذا المضرب مضرب فاطمة بنت عبد الملك بن مروان. فأخذت في أهبة الرحيل، فلما نفرت نفرت معها، فبصرت في طريقها بقبابٍ ومضربٍ وهيئة جميلة، فسألت عن ذلك، فقيل لها: هذا عمر بن أبي ربيعة، فساءها أمره وقالت للعجوز التي كانت ترسلها إليه: قولي له نشدتك الله والرحم أن تصحبني، ويحك! ما شأنك وما الذي تريد؟ انصرف ولا تفضحني وتشيط بدمك. فسارت العجوز فأدت إليه ما قالت لها فاطمة. فقال: لست بمنصرفٍ أو توجه إلي بقميصها الذي يلي جلدها، فأخبرتها ففعلت وجهت إليه بقميصٍ من ثيابها، فزاده ذلك شغفاً. و لم يزل يتبعهم لا يخالطهم، حتى إذا صاروا على أميالٍ من دمشق انصرف وقال في ذلك:

ضاق الغداة بحاجتي صدري ... ويئست بعد تقارب الأمر
وذكرت فاطمة التي علقتها ... عرضاً فيا لحوادث الدهر

وفي هذه القصيدة مما يغنى فيه قوله:

صوت

ممكورةٌ ردع العبير بها ... جم العظام لطيفةٌ الخصر
وكأن فاها عند رقدتها ... تجري عليه سلافة الخمر

الغناء لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقيلٍ من جامعه. وفيه لمتيم رملٌ من جامعها أيضاً. وتمام الأبيات وليست فيه صنعةٌ:

"فسبت فؤادي إذ عرضت لها ... يوم الرحيل بساحة القصر
بمزينٍ ودع العبير به ... حسن الترائب وضح النحر"
وبجيد آدم شادنٍ خرقٍ ... يرعى الرياض ببلدةٍ قفر
لما رأيت مطيها حزقاً ... خفق الفؤاد وكنت ذا صبر
وتبادرت عيناي بعدهم ... وانهل دمعهما على الصدر
ولقد عصيت ذوي القرابة فيكم ... طراً وأهل الود والصهر
حتى لقد قالوا وما كذبوا ... أجننت أم بك داخل السحر

خوفه من التصريح باسمها أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني إسحاق عن محمد بن أبان قال حدثني الوليد بن هشام القحذمي عن أبي معاذٍ القرشي قال: لما قدمت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان مكة جعل عمر بن أبي ربيعة يدورحولها ويقول فيها الشعر ولا يذكر باسمها فرقاً من عبد الملك بن مروان ومن الحجاج، لأنه كان كتب إليه يتوعده إن ذكرها أو عرض باسمها. فلما قضت حجها وارتحلت أنشأ يقول:

صوت

كدت يوم الرحيل أقضي حياتي	ليتني مت قبل يوم الرحيل
لا أطيق الكلام من شدة الخو	ف ودمعي يسيل كل مسيل
ذرفت عينها وفاضت دموعي	وكلانا يلقى بلبٍّ أصيل
لو خلت خلتي أصبت نوالاً	أو حديثاً يشفي من التنويل
ولظل الخلخال فوق الحشايا	مثل أثناء حيةٍ مقتول
فلقد قالت الحبيبة لولا	كثرة الناس جدت بالتقبيل

غنى فيه ابن محرز ولحنه ثقيلٌ أول من أصواتٍ قليلة الأشباه عن إسحاق وفيه لعبادل خفيف ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو، ويقال إنه للهذلي. وفيه لعبيد الله بن أبي غسان ثاني ثقيلٍ عن الهشامي.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرني أبو علي الحسن بن الصباح عن محمد بن حبيب أنه أخبره: أن عمر بن أبي ربيعة قال في فاطمة بنت عبد الملك بن مروان:

صوت

يا خليلي شفني الذكر	وحمول الحي إذ صدروا
ضربوا حمر القباب لها	وأديرت حولها الحجر
سلكا شعب النقاب بها	زمراً تحتثها زمر
وطرقت الحي مكتتماً	ومعي عضبٌ به أثر
وأخٌ لم أخش نبوته	بنواحي أمرهم خبر
فإذا ريمٌ على فرشٍ	في حجال الخز مختدر
حوله الأحراس ترقبه	نومٌ من طول ما سهروا
شبه القتلى وما قتلوا	ذاك إلا أنهم سمروا

فدعت بالويل، ثم دعت حرةً من شأنها الخفر

ثم قالت للتي معها ويح نفسي قد أتى عمر

ماله قد جاء يطرقنا ويرى الأعداء قد حضروا

لشقائي كان علقنا ولحيني ساقه القدر

قلت عرضي دون عرضكم ولمن ناواكم الحجر

هذا البيت الأخير مما فيه غناء مع:

وطرقت الحي مكتتما

للغريض وفي:

يا خليلي شفني الذكر

وفي:

قلت عرضي دون عرضكم

وفي:

ثم قالت للتي معها

وفي:

ماله قد جاء يطرقنا

"ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو " وفي:

ضربوا حمر القباب لها

وما بعده أربعةٍ متواليةٍ رملٍ بالوسطى للهذلي وفي: "وطرقت" وبعده: "فإذا ريم" وبعده: "حوله الأحراس" والبيتين اللذين بعده لابن سريج خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيها بعينها ثقيلٌ أول يقال إنه للأبجر، وينسب إلى غيره عن الهشامي.

عمر وعائشة بنت طلحة

وما قاله فيها من الشعر

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن رجل من قريش قال: بينا عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت، إذ رأى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، وكانت من أجمل أهل دهرها، وهي تريد الركن تستلمه، فبهت لما رآها ورأته، وعلمت أنها قد وقعت في نفسه، فبعثت إليه بجارية لها

وقالت: قولي له اتق الله ولا تقل هجراً، فإن هذا مقامٌ لابد فيه مما رأيت. فقال للجارية: أقرئيها السلام وقولي لها: ابن عمك لا يقول إلا خيراً. وقال فيها:

صوت

لعائشة ابنة التيمي عندي حمىً في القلب ما يرعى حماها
يذكرني ابنة التيمي ظبيٌ يرود بروضةٍ سهلٍ رباها
فقلت له وكاد يراع قلبي فلم أر قط كاليوم اشتباها
سوى حمشٍ بساقك مستبينٍ وأن شواك لم يشبه شواها
وأنك عاطلٌ عارٍ وليست بعاريةٍ ولا عطلٍ يداها
وأنك غير أفرغ وهي تدلي على المتنين أسحم قد كساها
ولو قعدت ولم تكلف بودٍّ سوى ما قد كلفت به كفاها
أظل إذا أكلمها كأني أكلم حيةً غلبت رقاها
تبيت إلي بعد النوم تسري وقد أمسيت لا أخشى سراها

الغناء في البيتين الأولين من هذه الأبيات لأبي فارة ثقيلٌ أول. وفيهما لعبد الله بن العباس الربيعي خفيف ثقيلٍ جميعاً عن الهشامي. وذكر إسحاق أن هذا الصوت مما ينسب إلى معبد، وهو يشبه غناءه إلا أنه لم يروه عن ثبتٍ ولم يذكر طريقته. قال: وقال فيها أشعاراً كثيرة، فبلغ ذلك فتيان بني تيم، أبلغهم إياه فتىً منهم وقال لهم: يا بني تيمٍ بن مرة، هالله ليقذفن بنو مخزومٍ بناتنا بالعظائم وتغفلون! فمشى ولد أبي بكر وولد طلحة بن عبيد الله إلى عمر بن أبي ربيعة فأعلموه بذلك وأخبروه بما بلغهم. فقال لهم: والله لا أذكرها في شعرٍ أبداً. ثم قال بعد ذلك فيها - وكنى عن اسمها - قصيدته التي أولها:

صوت

يا أم طلحة إن البين قد أفدا قل الثواء لئن كان الرحيل غدا
أمسى العراقي لا يدري إذا برزت من ذا تطوف بالأركان أو سجدا

- الغناء لمعبد ثقيلٌ أول بالبنصر عن عمرو ويونس - قال و لم يزل عمر ينسب بعائشة أيام الحج ويطوف حولها ويتعرض لها وهي تكره أن يرى وجهها، حتى وافقها وهي ترمي الجمار سافرةً، فنظر إليها فقالت: أما والله لقد كنت لهذا منك كارهةً يا فاسق! فقال:

صوت

إني وأول ما كلفت بذكرها عجبٌ وهل في الحب من متعجب
نعت النساء فقلت لست بمبصرٍ شبهاً لها أبداً ولا بمقرب
فمكثن حيناً ثم قلن توجهت للحج، موعدها لقاء الأخشب
أقبلت أنظر ما زعمن وقلن لي والقلب بين مصدقٍ ومكذب
فلقيتها تمشي تهادى موهناً ترمي الجمار عشيةً في موكب
غراء يعشي الناظرين بياضها حوراء في غلواء عيشٍ معجب
إن التي من أرضها وسمائها جلبت لحينك ليتها لم تجلب

الغناء لمعبد في الأول والثاني والرابع والسابع ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. وفيها للغريض خفيف ثقيلٍ عن الهشامي، يبدأ فيه بالثالث.

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق قال أخبرني مصعب الزبيري: أن عمر بن أبي ربيعة لقي عائشة بنت طلحة بمكة وهي تسير على بغلة لها، فقال لها: قفي حتى أسمعك ما قلت فيك. قالت: أو قد قلت يا فاسق؟ قال: نعم! فوقفت فأنشدها:

صوت

يا ربة البغلة الشهباء هل لك في أن تنشري ميتاً لا ترهقي حرجا

ويروى: هل لكم في عاشقٍ دنفٍ

قالت بدائك مت أو عش تعالجه فما نرى لك فيما عندنا فرجا
قد كنت حملتنا غيظاً نعالجه فإن تقدنا فقد عنيتنا حججا
حتى لو اسطيع مما قد فعلت بنا أكلت لحمك من غيظٍ وما نضجا

الغناء لابن سريج ثقيل أول مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن سريج ثلاثة ألحانٍ ذكرها إسحاق و لم يجنس منها إلا واحداً، وذكر الهشامي أن أحدها خفيف رملٍ بالوسطى، "وذكر عمرو أن الثالث هزجٌ

بالوسطى". ولإسحاق فيها هزج من مجموع صنعته فقالت: لا ورب هذه البنية! ما عنيتنا طرفة عينٍ قط. ثم قالت لبغلتها: عدس، وسارت. وتمام هذه الأبيات:

فقلت لا والذي حج الحجيج له ... ما مح حبك من قلبي ولا نهجا

ولا أرى القلب من شيءٍ يسر به ... مذ بان منزلكم منا ولا ثلجا

ضنت بنائلها عنه فقد تركت ... في غير ذنبٍ أبا الخطاب مختلجا

قال: فلم تزل عائشة تداريه وترفق به خوفاً من أن يتعرض لها حتى قضت حجها وانصرفت إلى المدينة. فقال في ذلك:

إن من تهوى مع الفجر ظعن ... للهوى والقلب متباع الوطن

بانت الشمس وكانت كلما ... ذكرت للقلب عاودت الددن

صوت

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ ... فأتمر أمر رشيدٍ مؤتمن

نظرت عيني إليها نظرةً ... تركت قلبي لديها مرتهن

ليس حبٌّ فوق ما أحببتها ... غير أن أقتل نفسي أو أجن

فيها ثاني ثقيلٍ بالوسطى نسبه عمرو بن بانة إلى ابن سريج، ونسبه ابن المكي إلى الغريض. وفيها رمل لأهل مكة.

ومما يغني فيه من أشعاره في عائشة بنت طلحة قوله في قصيدته التي أولها:

صوت

من لقلبٍ أمسى رهيناً معنى ... مستكيناً قد شفه ما أجنا

إثر شخصٍ نفسي فدت ذاك شخصاً ... نازح الدار بالمدينة عنا

ليت حظي كطرفة العين منها ... وكثيرٌ منها القليل المهنا

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

عمر وكلثم بنت سعد المخزومية

أخبرني الحسن بن علي الخفاف ومحمد بن خلف قالا حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني محمد بن عبد الرحمن التيمي عن هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزومي قال: كان عمر بن أبي ربيعة يهوى كلثم بنت سعدٍ المخزومية، فأرسل إليها رسولاً فضربتها وحلقتها وأحلفتها ألا تعاود، ثم أعادها ثانيةً ففعلت بها مثل ذلك، فتحاماها رسله. فابتاع أمةً سوداء لطيفةً رقيقةً وأتى بها منزله، فأحسن إليها وكساها وآنسها وعرفها خبره وقال لها: إن أوصلت لي رقعةً إلى كلثم فقرأتها فأنت حرةٌ ولك معيشتك ما بقيت. فقالت اكتب لي مكاتبةً واكتب حاجتك في آخرها، ففعل ذلك. فأخذتها ومضت بها إلى باب كلثم فاستأذنت، فخرجت إليها أمةٌ لها فسألتها عن أمرها؛ فقالت: مكاتبةٌ لبعض أهل مولاتك جئت أستعينها في مكاتبتي، وحادثتها وناشدتها حتى ملأت قلبها؛ فدخلت إلى كلثم وقالت: إن بالباب مكاتبةً لم أر قط أجمل منها ولا أكمل ولا آدب. فقالت: ائذني لها، فدخلت. فقالت: من كاتبك. قالت: عمر بن أبي ربيعة الفاسق! فاقرئي مكاتبتي. فمدت يدها لتأخذها. فقالت لها: لي عليك عهد الله أن تقرئيها؛ فإن كان منك إلي شيءٌ مما أحبه وإلا لم يلحقني منك مكروهٌ؛ فعاهدتها وفطنت. وأعطتها الكتاب، فإذا أوله:

من عاشقٍ صبٍّ يسر الهوى	قد شفه الوجد إلى كلثم
رأتك عيني فدعاني الهوى	إليك للحين ولم أعلم
قتلتنا، يا حبذا أنتم،	في غير ما جرمٍ ولا مأثم
والله قد أنزل في وحيه	مبيناً في آيه المحكم
من يقتل النفس كذا ظالماً	ولم يقدها نفسه يظلم
وأنت ثأري فتلافى دمي	ثم اجعليه نعمةً تنعمي
وحكمي عدلاً يكن بيننا	أو أنت فيما بيننا فاحكمي
وجالسيني مجلساً واحداً	من غير ما عارٍ ولا محرم
وخبريني ما الذي عندكم	بالله في قتل امرىءٍ مسلم

قال: فلما قرأت الشعر قالت لها: إنه خداعٌ ملقٌ، وليس لما شكاه أصلٌ. قالت: يا مولاتي! فما عليك من امتحانه؟ قالت: قد أذنت له، وما زال حتى ظفر ببغيته؛ فقولي له: إذا كان المساء فليجلس في موضع كذا وكذا حتى يأتيه رسولي. فانصرفت الجارية فأخبرته؛ فتأهب لها. فلما جاءه رسولها مضى معه حتى دخل إليها وقد تهيأت أجمل هيئة، وزينت نفسها ومجلسها وجلست له من وراء ستر، فسلم وجلس. فتركته حتى سكن، ثم قالت له: أخبرني عنك يا فاسق! ألست القائل:

هلا استحيت فترحمي صبا	صديان لم تدعي له قلبا

جشم الزيارة في مودتكم
وأراد ألا ترهقي ذنبا
ورجا مصالحةً فكان لكم
سلماً وكنت ترينه حربا
يا أيها المعطي مودته
من لا يراك مسامياً خطبا
لا تجعلن أحداً عليك إذا
أحببته وهويته ربا
وصل الحبيب إذا شغفت به
واطو الزيارة دونه غبا
فلذاك أحسن من مواظبةٍ
ليست تزيدك عنده قربا
لا بل يملك عند دعوته
فيقول هاه وطالما لبى

فقال لها: جعلت فداك! إن القلب إذا هوي نطق اللسان بما يهوى. فمكث عندها شهراً لا يدري أهله أين هو. ثم استأذنها في الخروج. فقالت له: بعد أن فضحتني! لا والله لا تخرج إلا بعد أن تتزوجني. ففعل وتزوجها؛ فولدت منه ابنين أحدهما جوانٌ؛ وماتت عنده.

عمر ولبابة بنت عبد الله بن العباس

امرأة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلبي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الجبار بن سعيد قال حدثني إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبد الله عن أبيه عن جده.

أن عمر رأى لبابة بنت عبد الله بن العباس امرأة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان تطوف بالبيت، فرأى أحسن خلق الله، فكاد عقله يذهب، فسأل عنها فأخبر بنسبها؛ فنسب بها وقال فيها:

صوت

ودع لبابة قبل أن تترحلا
واسأل فإن قلاله أن تسألا
البث بعمرك ساعةً وتأنها
فلعل ما بخلت به أن يبذلا
قال ائتمر ما شئت غير مخالفٍ
فيما هويت فإننا لن نعجلا
لسنا نبالي حين تقضي حاجةً
ما بات أو ظل المطي معقلا
حتى إذا ما الليل جن ظلامه
ورقبت غفلة كاشحٍ أن يمحلا
خرجت تأطر في الثياب كأنها
أيم يسيب على كثيبٍ أهيلا

رحبت حين رأيتها فتبسمت لتحيتي لما رأتني مقبلا

وجلا القناع سحابةً مشهورةً غراء تعشي الطرف أن يتأملا

فلبثت أرقيها بما لو عاقلٌ يرقى به ما اسطاع ألا ينزلا

غنى في هذه الأبيات معبدٌ خفيف ثقيلٍ مطلقٍ في مجرى الوسطى عن إسحاق، ابتداؤه نشيدٌ. وفيها لابن سريج ثقيلٌ أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق أيضاً. وفيها لابن سريج في الأول والرابع من الأبيات رملٌ عن ابن المكي، ولأبي دلف القاسم بن عيسى في هذين البيتين خفيف ثقيلٍ بالسبابة والبنصر، وابتداؤه نشيدٌ من رواية ابن المكي. وفيه لمحمد بن الحسن بن مصعب هزجٌ.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: لما حج الغمر بن يزيد بن عبد الملك دخل إليه معبدٌ فغناه:

ودع لبابة قبل أن تترحلا

فلم يزل يردده عليه، ثم أخرجه معه لما رحل عن المدينة، فغناه في المترل به حتى أراد الرحيل، فحمله على بغلةٍ له وذهب غلامٌ له يتبعه؛ فقال: إلى أين؟ فقال: أمضي معه حتى أجيء بالبغلة. فقال: هيهات! ارجع يا بني، ذهبت والله لبابة ببغلة مولاك. وقد روي هذا الخبر لغير الغمر بن يزيد.

عمر والثريا

بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر

وهذه الأبيات التي فيها الغناء المختار هو:

تشكى الكميت الجري لما جهدته

يقولها عمر بن أبي ربيعة في الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف، وهم الذين يقال لهم العبلات؛ سموا بذلك لجدةٍ لهم يقال لها عبلة بنت عبيد بن خالد بن خازل بن قيس بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وهي من بطنٍ من تميم يقال لهم البراجم، غير براجم بني أسد.

نسب الثريا بنت علي

ابن عبد الله بن الحارث

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال: كانت عبلة بنت عبيد بن خالد بن خازل بن قيس بن حنظلة، عند رجل من بني جشم بن معاوية، فبعثها بأنحاء سمنٍ تبيعها له بعكاظ، فباعت السمن

وراحلتين كان عليهما، وشربت بثمنها الخمر. فلما نفذ ثمنها رهنت ابن أخيه وهربت، فطلقها. وقالت في شربها الخمر:

شربت براحلتي محجنٍ فيا ويلتي، محجنٌ قاتلي

وبابن أخيه على لذةٍ ولم أحتفل عذل العاذل

قال: فتزوجها عبد شمس بن عبد مناف؛ فولدت له أمية الأصغر وعبد أمية ونوفلاً، وهم العبلات.

وقد ذكر الزبير بن بكار عن عمه: أن الثريا بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وأنها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبي جرابٍ العبلي الذي قتله داود بن عليٍّ؛ وهو الذي يقول فيه ابن زيادٍ المكي:

ثلاث حوائجٍ ولهن جئنا فقم فيهن يابن أبي جراب

فإنك ماجدٌ في بيت مجدٍ بقية معشرٍ تحت التراب

قال: وله يقول ابن زيادٍ المكي أيضاً:

إذا مت لم توصل بعرفٍ قرابةٌ ولم يبق في الدنيا رجاءٌ لسائل

قال الزبير: وهذا أشبه من أن تكون بنت عبد الله بن الحارث، وعبد الله إنما أدرك سلطان معاوية وهو شيخ كبير، وورث بقعدده في النسب دار عبد شمس بن عبد مناف، وحج معاوية في خلافته، فجعل ينظر إلى الدار، فخرج إليه عبد الله بن الحارث بمحجنٍ ليضربه به وقال: لا أشبع الله بطنك! أما تكفيك الخلافة حتى تطلب هذه الدار! فخرج معاوية يضحك.

قال مؤلف هذا الكتاب: وهذا غلطٌ من الزبير عندي، والثريا أن تكون بنت عبد الله بن الحارث أشبه من أن تكون أخت الذي قتله داود بن علي؛ لأنها ربت الغريض المغني وعلمته النوح بالمراثي على من قتله يزيد بن معاوية من أهلها يوم الحرة. وإذا كانت قد ربت الغريض حتى كبر وتعلم النوح على قتلى الحرة "وهو رجل" - وهي وقعةٌ كانت بعقب موت معاوية - فقد كانت في حياة معاوية امرأةً كبيرةً، وبين ذلك وبين من قتله داود بن علي من بني أمية نحو ثمانين سنةً، وقد شبب بها عمر بن أبي ربيعة في حياة معاوية، وأنشد عبد الله بن عباس شعره فيها، فكيف تكون أخت الذي قتله داود بن علي وقد أدركت عبد الله بن عباس وهي امرأةٌ كبيرةٌ! وقد اعترف الزبير أيضاً في خبره بأن عبد الله بن الحارث أدرك خلافة معاوية وهو شيخ كبير؛ فقول من قال: إنها بنته، أصوب من قول من قرنها بمن قتله داود بن علي. وهذا القول الذي قلته قول ابن الكلبي وأبي اليقظان، أخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني عن أبي اليقظان، قال وحدثني به جماعةٌ من أهل العلم بنسب قريش.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني مسلمة بن إبراهيم بن هشام المخزومي عن

أيوب بن مسلمة، أنه أخبره أن عمر بن أبي ربيعة كان مسهباً بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وكانت عرضة ذلك جمالاً وتماماً، وكانت تصيف بالطائف، وكان عمر يغدو عليها كل غداة إذا كانت بالطائف على فرسه، فيسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار قبلهم. فلقي يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم؛ فقال: ما استطرفنا خبراً؛ إلا أنني سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قريش اسمها اسم نجمٍ في السماء وقد سقط عني اسمه. فقال عمر: الثريا؟ قال نعم. وقد كان بلغ عمر قبل ذلك أنها عليلةٌ، فوجه فرسه على وجهه إلى الطائف يركضه ملء فروجه وسلك طريق كداء - وهي أخشن الطرق وأقربها - حتى انتهى إلى الثريا وقد توقعته وهي تتشوف له وتشرف، فوجدها سليمةً عميمةً ومعها أختاها رضيا وأم عثمان، فأخبرها الخبر؛ فضحكت وقالت: أنا والله أمرتهم لأختبر ما لي عندك. فقال عمر في ذلك هذا الشعر:

تشكى الكميت الجري لما جهدته ... وبين لو يسطيع أن يتكلما
فقلت له إن ألق للعين قرةً ... فهان علي أن تكل وتسأما
لذلك أدني دون خيلي رباطه ... وأوصي به ألا يهان ويكرما
عدمت إذاً وفري وفارقت مهجتي ... لئن لم أقل قرناً إن الله سلما

قال مسلمة بن إبراهيم: قلت لأيوب بن مسلمة: أكانت الثريا كما يصف عمر بن أبي ربيعة؟ فقال: وفوق الصفة، كانت والله كما قال عبد الله بن قيس:

حبذا الحج والثريا ومن بال ... خيف من أجلها وملقى الرحال
يا سليمان إن تلاق الثريا ... تلق عيش الخلود قبل الهلال
درةٌ عقائل البحر بكرٌ ... لم تشنها مثاقب اللأل
تعقد المئزر السخام من الخ ... ز على حقو بادنٍ مكسال

عمر ورملة بنت عبد الله الخزاعية

قال إسحاق في خبره عمن أسند إليه أخبار عمر بن أبي ربيعة، وذكر مثله الزبير بن بكار فيما حدثنا عنه الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني مؤمن بن عمر بن أفلح مولى فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قال حدثني بلالٌ مولى ابن أبي عتيق:

أن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة قدم للحج، فأتاه ابن أبي عتيق فسلم عليه وأنا معه. فلما قضى سلامه ومساءلته عن حجه وسفره، قال له: كيف تركت أبا الخطاب عمر بن أبي ربيعة؟ قال: تركته في بلهنيةٍ من العيش. قال: وأنى ذلك؟ قال: حجت رملة بنت عبد الله بن خلفٍ الخزاعية فقال فيها:

صوت

أصبح القلب في الحبال رهينا مقصداً يوم فارق الظاعنينا
قلت من أنتم فصدت وقالت أمبدٌ سؤالك العالمينا
نحن من ساكني العراق وكنا قبله قاطنين مكة حينا
قد صدقناك إذ سألت فمن أن ت عسى أن يجر شأنٌ شؤونا
ونرى أننا عرفناك بالنع ت بظنٍ وما قتلنا يقينا
بسواد الثنيتين ونعتٍ قد نراه لناظرٍ مستبينا

- غنى معبدٌ في البيتين الأولين خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق. وغنى في الثاني وما بعده ابن سريج خفيف ثقيلٍ أول بالسبابة في مجرى البنصر عنه أيضاً. وذكر حبشٌ أن فيه للغريض أيضاً لحناً من الثقيل الأول بالبنصر - قال: فبلغ ذلك الثريا، بلغتها إياه أم نوفلٍ، وكانت غضبى عليه، وقد كان انتشر خبره عن الثريا حتى بلغها من جهة أم نوفلٍ وأنشدتها قوله:

أصبح القلب في الحبال رهينا مقصداً يوم فارق الظاعنينا

فقالت: إنه لوقاحٌ صنعٌ بلسانه، ولئن سلمت له لأردن من شأوه، ولأثنين من عنانه، ولأعرفنه نفسه. فلما بلغت إلى قوله:

قلت من أنتم فصدت وقالت أمبدٌ سؤالك العالمينا

فقالت: إنه لسألٌ ملحٌ، "قبحاً له!" ولقد أجابته إن وفت. فلما بلغت إلى قوله:

نحن من ساكني العراق وكنا قبله قاطنين مكة حينا

قالت: غمزته الجهمة. فلما بلغت إلى قوله:

قد صدقناك إذ سألت فمن أن ت عسى أن يجر شأنٌ شؤونا

قالت: رمته الورهاء بآخر ما عندها في مقامٍ واحد. وهجرت عمر.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب: أن رملة بنت عبد الله بن خلف حجت، فتعرض لها عمر بن أبي ربيعة فقال فيها:

أصبح القلب في الحبال رهينا مقصداً يوم فارق الظاعنينا

وقال في هذه القصيدة:

فرأت حرصي الفتاة فقالت خبريه، من أجل من تكتمينا؟

نحن من ساكني العراق وكنا قبله قاطنين مكة حينا

قد صدقناك إذ سالت فمن أن ت عسى أن يجر شأن شؤونا

قال الزبير: ورملة هذه أم طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمرٍ التيمي، وهي أخت طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلفٍ الخزاعي.

قال: فبلغت هذه الأبيات كثيراً، فغضب لذلك وقال: وأنا والله لا أتمارى أن سيجر شأنٌ شؤونا. ثم ذكر نسوةً من قريش فساقهن في شعره من الحج حتى بلغ بهن إلى مللٍ، ثم أشفق فجاز، ولم يزد على ذلك، وهو قوله في قصيدته التي أولها:

ما عناك الغداة من أطلال دارسات المقام مذ أحوال

صوت

قم تأمل فأنت أبصر مني هل ترى بالغميم من أجمال

قاضياتٍ لبانةً من مناخٍ وطوافٍ وموقفٍ بالجبال

قلن عسفان ثم رحن سراعاً هابطاتٍ عشيةً من غزال

واردات الكديد مجترعاتٍ جزن وادي الحجون بالأثقال

قصدلفتٍ وهن متسقاتٌ كالعدولي لاحقات التوالي

طالعات الغميس من عبودٍ سالكات الخوي من أملال

فسقى الله منتوى أم عمروٍ حيث أمت بها صدور الرحال

حبذا هن من لبانة قلبي وجديد الشباب من سربالي

رب يومٍ أتيتهن جميعاً عند بيضاء رخصةٍ مكسال

غير أني امرؤٌ تعممت حلماً يكره الجهل والصبا أمثالي

غنى ابن سريج في الثلاثة الأبيات الأول خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ويونس. وذكر الهشامي أن فيها للحجبي رملاً بالبنصر.

شعر عمر حين هجرته الثريا

قالوا: فلما هجرت الثريا عمر قال في ذلك:

من رسولي إلى الثريا فإني ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

فبلغ ابن أبي عتيق قوله، فمضى حتى أصلح بينهما. وهذه الأبيات تذكر مع ما فيها من الغناء ومع خبر إصلاح ابن أبي عتيقٍ بينهما بعد انقضاء خبر رملة التي ذكرها عمر في شعره.

قال مصعب بن عبد الله في خبره: وكانت رملة جهمة الوجه، عظيمة الأنف، حسنة الجسم، وتزوجها عمر بن عبيد الله بن معمر، وتزوج عائشة بنت طلحة بن عبيد الله وجمع بينهما، فقال يوماً لعائشة: فعلت في محاربة الخوارج مع أبي فديكٍ كذا، وصنعت كذا، يذكر لها شجاعته وإقدامه. فقالت له عائشة: أنا أعلم أنك أشجع الناس، وأعرف لك يوماً هو أعظم من هذا اليوم الذي ذكرته. قال: وما هو؟ قالت: يوم اجتليت رملة وأقدمت على وجهها وأنفها.

قال مصعب وحدثني يعقوب بن إسحاق قال: لما بلغ الثريا قول عمر بن أبي ربيعة "في رملة ":

وجلا بردها وقد حسرته نور بدرٍ يضيء للناظرينا

قالت: أفٍّ له ما أكذبه! أو ترتفع حسناء بصفته لها بعد رملة! وذكر ابن أبي حسان عن الرياشي عن العباس بن بكارٍ عن ابن دأب: أن هذا الشعر قاله عمر في امرأة من بني جمح كان أبوها من أهل مكة، فولدت له جاريةٌ لم يولد مثلها بالحجاز حسناً. فقال أبوها: كأني بها وقد كبرت، فشبب بها عمر بن أبي ربيعة وفضحها ونوه باسمها كما فعل بنساء قريش، والله لا أقمت بمكة. فباع ضيعةً له بالطائف ومكة ورحل بابنته إلى البصرة، فأقام بها وابتاع هناك ضيعةً، ونشأت ابنته من أجمل نساء زمانها. ومات أبوها فلم تر أحداً من بني جمح حضر جنازته، ولا وجدت لها مسعداً ولا عليها داخلاً. فقالت لداية لها سوداء: من نحن؟ ومن أي البلاد نحن؟ فخبرتها. فقالت: لا جرم والله لا أقمت في هذا البلد الذي أنا فيه غريبةٌ! فباعت الضيعة والدار، وخرجت في أيام الحج. وكان عمر يقدم فيعتمر في ذي القعدة ويحل، ويلبس تلك الحلل والوشي، ويركب النجائب المخضوبة بالحناء عليها القطوع والديباج، ويسبل لمته، ويلقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرقٍ محرمات، ويتلقى المدنيات إلى مرٍّ، ويتلقى الشأميات إلى الكديد. فخرج يوماً للعراقيات فإذا قبةٌ مكشوفةٌ فيها جاريةٌ كأنها القمر، تعادلها جارية سوداء كالسبجة.

فقال للسوداء: من أنت؟ ومن أين أنت يا خالة؟ فقالت: لقد أطال الله تعبك، إن كنت تسأل هذا العالم من هم ومن أين هم. قال: فأخبريني عسى أن يكون لذلك شأن. قالت: نحن من أهل العراق، فأما الأصل والمنشأ فمكة، وقد رجعنا إلى الأصل ورحلنا إلى بلدنا، فضحك. فلما نظرت إلى سواد ثنيتيه قالت: قد عرفناك. قال: ومن أنا؟ قالت: عمر بن أبي ربيعة. قال: وبم عرفتني؟ قالت: بسواد ثنيتيك وهيئتك التي ليست إلا لقريش، فأنشأ يقول:

قلت من أنتم فصدت وقالت أمبد سؤالك العالمينا

وذكر الأبيات: فلما يزل عمر بها حتى تزوجها وولدت له.

خبر صلحهما ووساطة ابن أبي عتيق قال: فلما صرمت الثريا عمر قال فيها:

صوت

من رسولي إلى الثريا فإني ... ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

سلبتني مجاجة المسك عقلي ... فسلوها ماذا أحل اغتصابي

وهي مكنونةٌ تحير منها ... في أديم الخدين ماء الشباب

أبرزوها مثل المهاة تهادى ... بين خمسٍ كواعبٍ أتراب

ثم قالوا تحبها قلت بهراً ... عدد القطر والحصى والتراب

الغناء لابن عائشة خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر عن عمرو، وذكر حبشٌ أنه لمالك.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني مؤمن بن عمر بن أفلح مولى فاطمة بنت الوليد قال أخبرني بلالٌ مولى ابن أبي عتيق قال: أنشد ابن أبي عتيق قول عمر:

من رسولي إلى الثريا فإني ... ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

فقال ابن أبي عتيق: إياي أراد وبي نوه! لا جرم والله لا أذوق أكلاً حتى أشخص فأصلح بينهما، ونهض ونهضت معه، فجاء إلى قوم من بني الديل بن بكر لم تكن تفارقهم نجائب لهم فرهٌ يكروها، فاكترى منهم راحلتين وأغلى لهم. فقلت له: استوضعهم أو دعني أماكسهم، فقد اشتطوا عليك. فقال: ويحك! أما علمت أن المكاس ليس من أخلاق الكرام! ثم ركب إحداهما وركبت الأخرى، فسار سيراً شديداً، فقلت: أبق على نفسك، فإن ما تريد ليس يفوتك. فقال: ويحك!

أبادر حبل الود أن يتقضبا

وما حلاوة الدنيا إن تم الصدع بين عمر والثريا! فقدمنا ليلاً غير محرمين، فدق على عمر بابه، فخرج إليه وسلم عليه ولم يترل عن راحلته، فقال له: اركب أصلح بينك وبين الثريا، فأنا رسولك الذي سألت عنه. فركب معنا وقدمنا الطائف، وقد كان عمر أرضى أم نوفلٍ فكانت تطلب له الحيل لإصلاحها فلا يمكنها. فقال ابن أبي عتيق للثريا: هذا عمر قد جشمني السفر من المدينة إليك، فجئتك به معترفاً لك بذنبٍ لم يجنه، معتذراً إليك من إساءته إليك، فدعيني من التعداد والترداد، فإنه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون، فصالحته أحسن صلح وأتمه وأجمله، وكررنا إلى مكة، فلم يترلها ابن أبي عتيق حتى رحل. وزاد عمر في أبياته:

أزهقت أم نوفلٍ إذ دعتها ... مهجتي، ما لقاتلي من متاب

حين قالت لها أجيبي فقالت ... من دعاني؟ قالت أبو الخطاب

فاستجابت عند الدعاء كما لب ... ى رجالٌ يرجون حسن الثواب

قال الزبير: وما دعتها أم نوفلٍ إلا لابن أبي عتيق، ولو دعتها لعمر ما أجابت. قال: وسألت عمي عن أم نوفلٍ، فقال: هي أم ولد عبد الله بن الحارث أبي الثريا. وسألته عن قوله:

..كما لبى رجال يرجون حسن الثواب

فقال: كررت في التلبية كما يفعل المحرم، فقالت: لبيك لبيك.

وأخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا الزبير بن بكار عن عمه أن بعض المكيين قال: كانت الثريا تصب عليها جرة ماءٍ وهي قائمة فلا يصيب ظاهر فخذيها منه شيءٌ من عظم عجيزتها.

وأخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى بخبر الثريا هذا مع عمر، فذكر نحواً مما ذكره الزبير، وقال فيه: لما أناخ ابن أبي عتيق بباب الثريا أرسلت إليه: ما حاجتك؟ قال: أنا رسول عمر بن أبي ربيعة وأنشدها الشعر. فقالت: ابن أبي ربيعة فارغٌ ونحن في شغل، وقد تعبت فانزل بنا. فقال: ما أنا إذاً برسول. ثم كر راجعاً إلى ابن أبي ربيعة بمكة فأخبره الخبر فأصلح بينهما.

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني إبراهيم بن إسحاق العتري قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي، وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية، وأخبرني به الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير عن مؤمن بن عمر بن أفلح عن عبد العزيز بن عمران، قالوا: قدم عمر بن أبي ربيعة المدينة، فنزل على ابن أبي عتيق - وهو عبد الله "بن محمد " بن عبد الرحمن بن أبي بكر - فلما استلقى قال: أوه!.

من رسولي إلى الثريا فإني ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

فقال ابن أبي عتيق: كل مملوكٍ لي حرٌ إن بلغها ذاك غيري. فخرج، حتى إذا كان بالمصلى مر بنصيبٍ وهو واقفٌ فقال: يا أبا محجنٍ. قال لبيك! قال: أتودع إلى سلمى شيئاً؟ قال: نعم. قال: وما ذاك؟ قال: تقول لها يابن الصديق: إنك مررت بي فقلت لي: أتودع إليها شيئاً، فقلت:

أتصبر عن سلمى وأنت صبور وأنت بحسن العزم منك جدير

وكدت ولم أخلق من الطير إن بدا سنى بارقٍ نحو الحجاز أطير

قال: فمر بسلمى وهي في قريةٍ يقال لها "القسرية" فأبلغها الرسالة، فزفرت زفرةً كادت أن تفرق أضلاعها. فقال ابن أبي عتيق: كل مملوكٍ حر إن لم يكن جوابك أحسن من رسالته، ولو سمعك الآن لنعق وصار غراباً. ثم مضى إلى الثريا فأبلغ الكتاب. فقالت له: أما وجد رسولاً أصغر منك! انزل فأرح. فقال: لست إذاً برسولٍ! وسألها أن ترضى عنه، ففعلت. وقال الزبير في خبره: فقال لها: أنا رسول ابن أبي ربيعة إليك، وأنشدها الأبيات، وقال لها: خشيت أن تضيع هذه الرسالة. قالت: أدى الله عنك أمانتك. قال: فما جواب ما تجشمته إليك؟ قالت: تنشده قوله في رملة:

وجلا بردها وقد حسرته ضوء بدرٍ أضاء للناظرينا

فقال: أعيذك بالله يابنة أخي أن تغلبيني بالمثل السائر. قالت: وما هو؟ قال: "حريصٌ لا يرى عمله ". قالت: فما تشاء؟ قال: تكتبين إليه بالرضا عنه كتاباً يصل على يدي، ففعلت. فأخذ الكتاب ورجع من فوره حتى قدم مكة، فأتى عمر. فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من حيث أرسلتني. قال: وأنى ذلك؟ قال: من عند الثريا، أفرخ روعك! هذا كتابها بالرضا عنك إليك.

تغني ابن عائشة بشعره

في مجلس حسن بن حسن بن علي

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية قال: اجتمع ابن عائشة ويونس ومالكٌ عند حسن بن حسن بن علي فقال الحسن لابن عائشة: غنني "من رسولي إلى الثريا..."؛ فسكت عنه فلم يجبه. فقال له جليسٌ له: أيقول لك غنني فلا تجيبه! فسكت. فقال له الحسن: مالك؟ ويحك! أبك خبالٌ! كان والله ابن أبي عتيق أجود منك بما عنده؛ فإنه لما سمع هذا الشعر قال لابن أبي ربيعة: أنا رسولك إليها، فمضى نحو الثريا حتى أدى رسالته، وأنت معنا في المجلس تبخل أن تغنيه لنا! فقال له: لم أذهب حيث ظننت، إنما كنت أتخير لك أي الصوتين أغني: أقوله:

من رسولي إلى الثريا فإني ضافني الهم واعترتني الهموم

يعلم الله أنني مستهامٌ بهواكم وأنني مرحوم

أم قوله:

من رسولي إلى الثريا فإني ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

فقال له الحسن: أسأنا بك الظن أبا جعفر غَنِ بهما جميعاً، فغناهما. فقال له الحسن: لولا أنك تغضب إذا قلنا لك: أحسنت، لقلت لك: أحسنت والله! قال: ولم يزل يرددهما بقية يومه.

عمر وابن أبي عتيق

وإنشاده شعره في الثريا

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني يعقوب بن إسحاق الربعي عن أبيه قال: أنشد عمر بن أبي ربيعة ابن أبي عتيق قوله:

لم تر العين للثريا شبيهاً بمسيل التلاع يوم التقينا

فلما بلغ إلى قوله:

ثم قالت لأختها قد ظلمنا ... إن رددناه خائباً واعتدينا

قال: أحسنت والهدايا وأجادت. ثم أنشده ابن أبي عتيق متمثلاً قول الشاعر:

أريني جواداً مات هزلاً لعلني ... أرى ما ترين أو بخيلاً مخلدا

فلما بلغ عمر إلى قوله في الشعر:

في خلاءٍ من الأنيس وأمنٍ

قال ابن أبي عتيق: أمكنت للشارب الغدر "من عال بعدها فلا انجبر".

فلما بلغ إلى قوله:

فمكثنا كذاك عشراً تباعاً ... في قضاءٍ لديننا واقتضينا

قال: أما والله ما قضيتها ذهباً ولا فضةً ولا اقتضيتها إياه، فلا عرفكما الله قبيحاً! فلما بلغ إلى قوله:

كان ذا في مسيرنا إذ حججنا ... علم الله فيه ما قد نوينا

قال: إن ظاهر أمرك ليدل على باطنه، فأرود التفسير، ولئن مت لأموتن معك، أف للدنيا بعدك يا أبا الخطاب! فقال له عمر: بل عليها بعدك العفاء يا أبا محمد! قال: فلقي الحارث بن خالد ابن أبي عتيق فقال: قد بلغني ما دار بينك وبين ابن أبي ربيعة، فكيف لم تتحللا مني؟ فقال له ابن أبي عتيق: يغفر الله لك يا أبا عمرو، إن ابن أبي ربيعة يبرىء القرح، ويضع الهناء مواضع النقب، وأنت جميل الخفض. فضحك الحارث بن خالد وقال: "حبك الشيء يعمي ويصم". فقال: هيهات أنا بالحسن عالم نظار! خبر السواد في ثنيتي عمر وأما خبر السواد في ثنيتي عمر فإن الزبير بن بكار ذكره عن عمه مصعب في خبره: أن امرأةً غارت عليه فاعترضته بمسواكٍ كان في يدها فضربت به ثنيتيه فاسودتا.

وذكر إسحاق الموصلي عن أبي عبد الله المسيبي وأبي الحسن المدائني: أنه أتى الثريا يوماً ومعه صديقٌ له كان يصاحبه ويتوصل بذكره في الشعر، فلما كشفت الثريا الستر وأرادت الخروج إليه، رأت صاحبه فرجعت. فقال لها: إنه ليس ممن أحتشمه ولا أخفي عنه شيئاً؛ واستلقى فضحك - وكان النساء إذ ذاك يتختمن في أصابعهن العشر - فخرجت إليه فضربته بظاهر كفها، فأصابت الخواتيم ثنيتيه العليين فنغضتا وكادتا تسقطان، فقدم البصرة فعولجتا له، فثبتتا واسودتا. فقال الحزين الكناني يعيره بذلك - وكان عدوه وقد بلغه خبره -:

ما بال سنيك أم ما بال كسرهما ... أهكذا كسرا في غير ما باس

أم نفحةٌ من فتاة كنت تألفها ... أم نالها وسط شربٍ صدمة الكاس

قال: ولقيه الحزين الكناني يوماً فأنشده هذين البيتين؛ فقال له عمر: اذهب اذهب، ويلك! فإنك لا تحسن أن تقول:

صوت

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد

واستبدت مرةً واحدةً إنما العاجز من لا يستبد

لابن سريج في هذا الشعر رملٌ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، وخفيف رملٍ "أيضاً" في هذه الإصبع وهذا المجرى عن ابن المكي. ولمالكٍ "فيه" ثقيلٌ أول عن الهشامي. ولمتيم ثاني ثقيلٍ عن ابن المعتز. وذكر أحمد بن أبي العلاء عن مخارقٍ أن خفيف الرمل ليحيى المكي صنعه وحكى فيه لحن "هذا الصوت":

اسلمي يا دار من هند

خبر الثريا مع الحارث الملقب بالقباع حدثني علي بن صالح قال حدثني أبو هفان عن إسحاق الموصلي عن رجاله المذكورين: أن الثريا واعدت عمر بن أبي ربيعة أن تزوره، فجاءت في الوقت الذي ذكرته، فصادفت أخاه الحارث قد طرقه وأقام عنده، ووجه به في حاجة له ونام مكانه وغطى وجهه بثوبه، فلم يشعر إلا بالثريا قد ألقت نفسها عليه تقبله، فانتبه وجعل يقول: اغربي عني فلست بالفاسق، أخزاكما الله! فلما علمت بالقصة انصرفت. ورجع عمر فأخبره الحارث بخبرها؛ فاغتم لما فاته منها، وقال: أما والله لا تمسك النار أبداً وقد ألقت نفسها عليك. فقال له الحارث: عليك وعليها لعنة الله.

وأخبرني بهذه القصة الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن يعقوب بن إسحاق الربعي عن الثقة عنه عن ابن جريج عن عثمان بن حفصٍ الثقفي: أن الحارث بن عبد الله زار أخاه، ثم ذكر نحواً من الذي ذكره إسحاق، وقال فيه: فبلغ عمر خبرها، فجاء إلى أخيه الحارث وقال له: جعلت فداءك! ما لك ولأمة الوهاب "ابنتك"؟ أتتك مسلمةً عليك فلعنتها وزجرتها وتهددتها، وها هي تيك باكية. فقال: وإنها لهي! قال: ومن تراها تكون؟ قال: فانكسر الحارث عنه وعن لومه.

تزوج الثريا بسهيل في غيبة عمر

وما قاله من الشعر في ذلك

أخبرني علي بن صالح قال حدثني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم عن جعفر بن سعيد عن أبي سعيد مولى فائد هكذا قال إسحاق، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني جعفر بن سعيد عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار. ورواه أيضاً حماد بن إسحاق عن أبيه عن جعفر بن سعيد فقال فيه: عن أبي عبيدة العماري، و لم يذكر أبا سعيد مولى فائد، قالوا: تزوج سهيل بن عبد العزيز بن مروان الثريا - وقال الزبير: بل تزوجها أبو

الأبيض سهيل بن عبد الرحمن بن عوف - فحملت إليه وهو بمصر. والصواب قول من قال: سهيل بن عبد العزيز؛ لأنه كان هناك مترله، و لم يكن لسهيل بن عبد الرحمن هناك موضعٌ. فقال عمر:

صوت

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان

هي شاميةٌ إذا ما استقلت وسهيلٌ إذا استقل يماني

الغناء للغريض خفيف ثقيلٍ بالبنصر. وفيه لعبد الله بن العباس ثاني ثقيلٍ بالبنصر. وأول هذه القصيدة:

أيها الطارق الذي قد عناني بعد ما نام سامر الركبان

زار من نازحٍ بغير دليلٍ يتخطى إلي حتى أتاني

وذكر الرياشي عن ابن زكريا الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن التيمي عن أبيه عن هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزومي قال: كان عمر بن أبي ربيعة قد ألح على الثريا بالهوى، فشق ذلك على أهلها، ثم إن مسعدة بن عمرو أخرج عمر إلى اليمن في أمر عرض له، وتزوجت الثريا وهو غائب، فبلغه تزويجها وخروجها إلى مصر، فقال:

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان

وذكر الأبيات. وقال في خبره: ثم حمله الشوق على أن سار إلى المدينة فكتب إليها:

كتبت إليك من بلدي كتاب مولهٍ كمد

كئيبٍ واكف العيني ن بالحسرات منفرد

يؤرقه لهيب الشو ق بين السحر والكبد

فيمسك قلبه بيدٍ ويمسح عينه بيد

وكتبه في قوهيةٍ وشنفه وحسنه وبعث به إليها. فلما قرأته بكت بكاءً شديداً، ثم تمثلت:

بنفسي من لا يستقل بنفسه ومن هو إن لم يحفظ الله ضائع

وكتبت إليه تقول:

أتاني كتابٌ لم ير الناس مثله أمد بكافورٍ ومسكٍ وعنبر

وقرطاسه قوهيةٌ ورباطه بعقدٍ من الياقوت صافٍ وجوهر

وفي صدره: مني إليك تحيةٌ لقد طال تهيامي بكم وتذكري

وعنوانه من مستهامٍ فؤاده ألى هائمٍ صبٍّ من الحزن مسعر

قال مؤلف هذا الكتاب: وهذا الخبر عندي مصنوعٌ، وشعره مضعفٌ يدل على ذلك، ولكني ذكرته كما وقع إلي.

قال أبو سعيد مولى فائدٍ ومن ذكر خبره مع الثريا: فمات عنها سهيلٌ أو طلقها، فخرجت إلى الوليد بن عبد الملك وهو خليفةٌ بدمشق في دينٍ عليها، فبينا هي عند أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، إذ دخل عليها الوليد فقال: من هذه؟ فقالت: الثريا جاءتني، تطلب إليك في قضاء دينٍ عليها وحوائج لها. فأقبل عليها الوليد فقال: أتروين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيئاً؟ قالت: نعم، أما إنه يرحمه الله كان عفيفاً عفيف الشعر، أروي قوله:

صوت

ما على الرسم بالبليين لو ب	ين رجع السلام أو أجابا
فإلى قصر ذي العشيرة فالصا	ئف أمسى من الأنيس يبابا
وبما قد أرى به حي صدقٍ	ظاهري العيش نعمةً وشبابا
إذ فؤادي يهوى الرباب وأني ال	دهر حتى الممات أنسى الربابا
وحساناً جوارياً خفراتٍ	حافظاتٍ عند الهوى الأحسابا
لا يكثرن في الحديث ولا يت	بعن ينعقن بالبهام الظرابا

فقضى حوائجها وانصرفت بما أرادت منه. فلما خلا الوليد بأم البنين قال لها: لله در الثريا! أتدرين ما أرادت بإنشادها ما أنشدتني من شعر عمر؟ قالت: لا.

قال: إني لما عرضت لها به عرضت لي بأن أمي أعرابيةٌ. وأم الوليد وسليمان ولادة بنت العباس بن جزي بن الحارث بن زهير بن جذيمة العبسي.

نسبةالأبيات التي أنشدتها الثريا

الغناء في الأبيات التي أنشدتها الثريا الوليد بن عبد الملك لمالك بن أبي السمح خفيف ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وفيها لابن سريج رملٌ بالخنصر في مجرى البنصر. وفيها لإبراهيم خفيف ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر حبشٌ أيضاً أن فيها لابن مسجحٍ خفيف رملٍ بالوسطى. وذكر عمرو بن بانة أن لابن محرزٍ فيها خفيف ثقيلٍ بالوسطى.

ومما يغنى فيه من أشعار عمر بن أبي ربيعة التي قالها في الثريا من القصيدة التي أولها "من رسولي":

صوت

وتبدت حتى إذا جن قلبي حال دوني ولائذٌ بالثياب

يا خليلي فأعلما أن قلبي مستهامٌ بربة المحراب

الغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. ومنها:

صوت

أقتليني قتلاً سريعاً مريحاً لا تكوني علي سوط عذاب

شف عنها محققٌ جندي فهي كالشمس من خلال السحاب

الغناء للغريض ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو. ومنها:

صوت

قال لي صاحبي ليعلم ما بي أتحب البتول أخت الرباب

قلت وجدي بها كوجدك بالما ء إذا منعت برد الشراب

الغناء لمالكٍ رملٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق. ومنها:

صوت

أذكرتني من بهجة الشمس لما برزت من دجنةٍ وسحاب

أزهقت أم نوفلٍ إذ دعتها مهجتي، ما لقاتلي من متاب

حين قالت لها أجيبي فقالت من دعاني؟ قالت أبو الخطاب

الغناء للغريض خفيف رملٍ عن الهشامي وحماد بن إسحاق.

ومنها:

صوت

مرحباً ثم مرحباً بالتي قا لت غداة الوداع عند الرحيل

للثريا قولي له أنت همي ومنى النفس خالياً وخليلي

الغناء لابن محرز ثقيلٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن سريج خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

صوت

زعموا بأن البين بعد غدٍ فالقلب مما أزمعوا يجف

تشكو ونشكو ما أشت بنا كل لوشك البين يعترف

حلفوا لقد قطعوا ببينهم وحلفت ألفاً مثل ما حلفوا

الغناء للغريض خفيف ثقيلٍ بالوسطى.

ومنها:

صوت

فلوت رأسها ضراراً وقالت لا وعيشي ولو رأيتك متا

حين آثرت بالمودة غيري وتناسيت وصلنا ومللتا

قد وجدناك إذ خبرت ملولاً طرفاً لم تكن كما كنت قلتا

الغناء لمالكٍ رملٌ ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو. وفيه لابن سريج خفيف ثقيلٍ عن الهشامي، وكذا روته دنانير عن فليحٍ، وقد نسب قومٌ لحن مالكٍ إلى الغريض. ومنها:

صوت

يا خليلي سائلاً الأطلالا ومحلاً بالروضتين أحالا

- ويروى:

بالبليين إن أحزن سؤالا

وسفاةٌ لولا الصبابة حبسي في رسوم الديار ركباً عجالا

بعد ما أقفرت من آل الثريا وأجدت فيها النعاج ظلالا

الغناء لابن سريج هزجٌ خفيفٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لحكم الوادي ثقيلٌ أول من جامع أغانيه. وذكر ابن دينار أن فيه لابن عائشة لحناً لم يذكر طريقته. وذكر إبراهيم أن فيه لدحمان لحناً ولم يجنسه. وقال حبشٌ: فيه لإسحاق ثقيلٌ أول بالوسطى.

عمر والثريا وقد نقلها زوجها إلى الشأم أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أبو عبد الله التميمي "يعني أبا العيناء " عن القحذمي عن أبي صالح السعدي قال: لما تزوج سهيل بن عبد العزيز الثريا ونقلها إلى الشأم، بلغ

عمر بن أبي ربيعة الخبر، فأتى المترل الذي كانت الثريا تترله، فوجدها قد رحلت منه يومئذٍ، فخرج في أثرها فلحقها على مرحلتين، وكانت قبل ذلك مهاجرته لأمرٍ أنكرته عليه. فلما أدركهم نزل عن فرسه ودفعه إلى غلامه ومشى متنكراً حتى مر بالخيمة، فعرفته الثريا وأثبتت حركته ومشيته، فقالت لحاضنتها: كلميه، فسلمت عليه وسألته عن حاله وعاتبته على ما بلغ الثريا عنه، فاعتذر وبكى، فبكت الثريا، فقالت: ليس هذا وقت العتاب مع وشك الرحيل. فحادثها إلى وقت طلوع الفجر ثم ودعها وبكيا طويلاً، وقام فركب فرسه ووقف ينظر إليهم وهم يرحلون، ثم أتبعهم بصره حتى غابوا، وأنشأ يقول:

يا صاحبي قفا نستخبر الطللا عن حال من حله بالأمس ما فعلا
فقال لي الربع لما أن وقفت به إن الخليط أجد البين فاحتملا
وخادعتك النوى حتى رأيتهم في الفجر يحتث حادي عيسهم زجلا
لما وقفنا نحييهم وقد صرخت هواتف البين واستولت بهم أصلا
صدت بعاداً وقالت للتي معها بالله لوميه في بعض الذي فعلا
وحدثيه بما حدثت واستمعي ماذا يقول ولا تعيي به جدلا
حتى يرى أن ما قال الوشاة له فينا لديه إلينا كله نقلا
وعرفيه به كالهزل واحتفظي في بعض معتبةٍ أن تغضبي الرجلا
فإن عهدي به والله يحفظه وإن أتى الذنب ممن يكره العذلا
لو عندنا اغتيب أو نيلت نقيصته ما آب مغتابه من عندنا جذلا
قلت اسمعي فلقد أبلغت في لطفٍ وليس يخفى على ذي اللب من هزلا
هذا أرادت به بخلاً لأعذرها وقد أرى أنها لن تعدم العللا
ما سمي القلب إلا من تقلبه ولا الفؤاد فؤاداً غير أن عقلا
أما الحديث الذي قالت أتيت به فما عبأت به إذ جاءني حولا
ما إن أطعت بها بالغيب قد علمت مقالة الكاشح الواشي إذا محلا
إني لأرجعه فيها بسخطته وقد يرى أنه قد غرني زللا

وهي قصيدة طويلة مذكورة في شعره.

وفاة الثريا أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر ومحمد بن خلف بن المرزبان قالوا حدثنا عمر بن شبة قال أخبرنا محمد بن يحيى قال زعم عبيد بن يعلى قال حدثني كثير بن كثير السهمي قال: لما ماتت الثريا أتاني الغريض فقال لي: قل أبيات شعرٍ أنح بها على الثريا فقلت:

صوت

ألا يا عين مالك تدمعينا أمن رمدٍ بكيت فتكحلينا

أم أنت حزينةٌ تبكين شجواً فشجوك مثله أبكى العيونا

غنى الغريض في هذين البيتين لحناً من خفيف الثقيل الأول بالوسطى عن عمرو ويحيى المكي والهشامي وغيرهم.

وفاة عمر بن أبي ربيعة

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الجبار بن سعيد المساحقي قال حدثني إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبد الله عن أبيه عن جده عن ثعلبة بن عبد الله بن صعير: أن عمر بن أبي ربيعة نظر في الطواف إلى امرأةٍ شريفة، فرأى أحسن خلق الله صورةً، فذهب عقله عليها، وكلمها فلم تجبه، فقال فيها:

الريح تسحب أذيالاً وتنشرها يا ليتني كنت ممن تسحب الريح

كيما تجر بنا ذيلاً فتطرحنا على التي دونها مغبرةٌ سوحٌ

أنى بقربكم أم كيف لي بكم هيهات ذلك ما أمست لنا روح

فليت ضعف الذي ألقى يكون بها بل ليت ضعف الذي ألقى تباريح

إحدى بنيات عمي دون منزلها أرضٌ بقيعانها القيصوم والشيح

فبلغها شعره فجزعت منه. فقيل لها: اذكريه لزوجك، فإنه سينكر عليه قوله. فقالت: كلا والله لا أشكوه إلا إلى الله. ثم قالت: اللهم إن كان نوه باسمي ظالماً فاجعله طعاماً للريح. فضرب الدهر من ضربه، ثم إنه غدا يوماً على فرس فهبت ريحٌ فنزل فاستتر بسلمةٍ، فعصفت الريح فخدشه غضنٌ منها فدمي وورم به ومات من ذلك.

أخبار ابن سريج ونسبه

نسب ابن سريج وشيء من أوصافه

هو عبيد بن سريج، ويكنى أبا يحيى، مولى بني نوفل بن عبد مناف. وذكر ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين أنه مولى لبني الحارث بن عبد المطلب.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان قال: ابن سريج مولى لبني ليثٍ، ومترله مكة.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: سألت الحسن بن عتبة اللهبي عن ابن سريج فقال: هو مولى لبني عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. وفي بني عائذٍ يقول الشاعر:

فإن تصلح فإنك عائذيٌّ وصلح العائذي إلى فساد

قال إسحاق: وقال سلمة بن نوفل بن عمارة: ابن سريج مولى عبد الرحمن بن أبي حسين بن الحارث بن نوفلٍ، أو ابن عامر بن الحارث بن نوفل بن عبد مناف.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن أبي أيوب المديني قال: ذكر إبراهيم بن زياد بن عنبسة بن سعيد بن العاص: أن ابن سريج كان آدم أحمر ظاهر الدم سناطاً في عينيه قبلٌ، بلغ خمساً وثمانين سنةً، وصلع فكان يلبس جمةً مركبة، وكان أكثر ما يرى مقنعاً، وكان منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر.

وقال ابن الكلبي عن أبيه قال: كان ابن سريج مخنثاً أحول أعمش يلقب "وجه الباب"، وصلع فكان يلبس جمةً، وكان لا يغني إلا مقنعاً يسبل القناع على وجهه.

وقال ابن الكلبي عن أبي وأبي مسكينٍ: كان ابن سريج أحسن الناس غناءً، وكان يغني مرتجلاً ويوقع بقضيبٍ، وغنى في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومات في خلافة هشام بن عبد الملك.

قال إسحاق: وكان الحسن بن عتبة اللهبي يروي مثل ذلك فيه. وذكر أن قبره بنخلة قريباً من بستان ابن عامر.

قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان قال: كان عبيد بن سريج من أهل مكة وكان أحسن الناس غناءً. قال إسحاق قال عمارة بن أبي طرفة الهذلي: سمعت ابن جريج يقول: عبيد بن سريج من أهل مكة مولى آل خالد بن أسيدٍ.

قال إسحاق وحدثني إبراهيم بن زياد عن أيوب بن سلمة المخزومي قال: كان في عين ابن سريج قبلٌ حلوٌ لا يبلغ أن يكون حولاً، وغنى في خلافة عثمان رضي الله عنه، ومات بعد قتل الوليد بن يزيد، وكان له صلعٌ في جبهته، وكان يلبس مركبة فيكون فيها أحسن شيءٍ، وكان يلقب "وجه الباب" ولا يغضب من ذلك، وكان أبوه تركياً.

وقال أبو أيوب المديني: كان ابن سريج، فيما روينا عن جماعةٍ من المكيين، مولى بني جندع بن ليث بن بكر، وكان إذا غنى سدل قناعه على وجهه حتى لا يرى حوله، وكان يوقع بقضيبٍ وقيل: إنه كان يضرب بالعود، وكانت علته التي مات منها الجذام.

أنه أول من ضرب بالعود الفارسي

على الغناء العربي

قال إسحاق وحدثني أبي قال: أخبرني من رأى عود ابن سريج وكان على صنعة عيدان الفرس، وكان ابن سريج أول من ضرب به على الغناء العربي بمكة. وذلك أنه رآه مع العجم الذين قدم بهم ابن الزبير لبناء الكعبة، فأعجب أهل مكة غناؤهم. فقال ابن سريج: أنا أضرب به على غنائي، فضرب به فكان أحذق الناس.

أم ابن سريج

قال إسحاق وذكر الزبيري: أن أم ابن سريج مولاةٌ لآل المطلب يقال لها "رائقة"، وقيل: بل أمه هند أخت رائقة، فمن ثم قيل: إنه مولى بني المطلب بن حنطبٍ. وكان ابن سريج بعد وفاة عبد الله بن جعفرٍ قد انقطع إلى الحكم بن المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب أحد بني مخزوم، وكان من سادة قريش ووجوهها. وأخذ ابن سريج الغناء عن ابن مسجحٍ.

الأشخاص المعدودون أصولاً للغناء العربي

قال إسحاق: وأصل الغناء أربعة نفرٍ: مكيان ومدنيان، فالمكيان: ابن سريج وابن محرز، والمدنيان: معبد ومالكٌ.

أول شهرة ابن سريج بالغناء

قال إسحاق: وقال سلمة بن نوفل بن عمارة: أخبرني بذلك من شئت من مشيختنا: أن يوماً شهر فيه ابن سريج بالغناء في ختان ابن مولاه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين. قال لأم الغلام: خفضي عليك بعض الغرم والكلفة، فوالله لألهين نساءك حتى لا يدرين ما جئت به ولا ما عزمت عليه.

شهادة هشام بن المربة في ابن سريج قال إسحاق: وسألت هشام بن المرية، وكان قد عمر، وكان عالماً بالغناء فلا يبارى فيه، فقلت له: من أحذق الناس بالغناء؟ فقال لي: أتحب الإطالة أم الاختصار؟ فقلت: أحب الاختصار الذي يأتي على سؤالي. قال: ما خلق الله تعالى بعد داود النبي عليه الصلاة والسلام أحسن صوتاً من ابن سريج، ولا صاغ الله عز وجل أحداً أحذق منه بالغناء، ويدلك على ذلك أن معبداً كان إذا أعجبه غناؤه قال: أنا اليوم سريجي.

شهادة يونس بن محمد الكاتب فيه قال وأخبرني إبراهيم - يعني أباه - قال: أدركت يونس بن محمدٍ الكاتب فحدثني عن الأربعة: ابن سريج وابن محرز والغريض ومعبد. فقلت له: من أحسن الناس غناءً؟ فقال: أبو يحيى. قلت: عبيد بن سريج؟ قال نعم. قلت: وكيف ذاك؟. قال: إن شئت فسرت لك، وإن شئت أجملت. قلت: أجمل. قال: كأنه خلق من كل قلبٍ، فهو يغني لكل إنسانٍ ما يشتهي.

شهادة إبراهيم الموصلي فيه أخبرني أحمد بن جعفرٍ جحظة قال قال حماد بن إسحاق: أخبرني أبي عن الفضل بن

يحيى بن خالد بن برمك قال: سألت إبراهيم الموصلي ليلةً وقد أخذ منه النبيذ: من أحسن الناس غناءً؟ فقال لي: من الرجال أم من النساء؟ فقلت: من الرجال. فقال: ابن محرز. قلت: ومن النساء؟ قال: ابن سريج. ثم قال لي: إن كان ابن سريج إلا كأنه خلق من كل قلبٍ فهو يغني له ما يشتهي! شهادة إسحاق الموصلي فيه أخبرني جحظة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال: أرسلني محمد بن الحسين بن مصعبٍ إلى إسحاق أسأله عن لحنه ولحن ابن سريج في:

تشكى الكميت الجري لما جهدته

أيهما أحسن؟ فصرت إليه فسألته عن ذلك، فقال لي: يا أبا الحسن، والله لقد أخذت بخطام راحلته فزعزعتها وأنختها وقمت بها فما بلغته. فرجعت إلى محمد بن الحسين فأخبرته؛ فقال: والله إنه ليعلم أن لحنه أحسن من لحن ابن سريج، ولقد تحامل لابن سريج على نفسه، ولكن لا يدع تعصبه للقدماء. وقد أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى هذا الخبر عن أبيه، فذكر نحو ما ذكره جحظة في خبره و لم يقل: أرسلني محمد بن الحسين إلى إسحاق. وقال جحظة في خبره: قال علي بن يحيى: وقد صدق محمد بن الحسين؛ لأنه قلما غني في صوتٍ واحدٍ لحنان فسقط خيرهما، والذي في أيدي الناس الآن من اللحنين لحن إسحاق، وقد ترك لحن ابن سريج، فقل من يسمعه إلا من العجائز المتقدمات ومشايخ المغنين. هذا أو نحوه.

لحن إسحاق في تشكى الكميت

مأخوذ من لحن الأبجر في يقولون. أبكاك البيت

وأخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني عن إبراهيم بن علي بن هشام قال: يقولون: إن ابتداء غناء إسحاق الذي في:

تشكى الكميت الجري لما جهدته

أنما أخذه من صوت الأبجر:

يقولون ما أبكاك و المال غامرٌ

نسبة هذا الصوت

صوت

يقولون ما أبكاك و المال غامرٌ — عليك وضاحي الجلد منك كنين

فقلت لهم لا تسألوني وانظروا — إلى الطرب النزاع كيف يكون

غناه الأبجر ثقيلاً أول بالبنصر، عن عمرٍو ودنانير. وذكر الهشامي أن فيه لعزة المرزوقية ثاني ثقيلٍ بالوسطى.

مولده ووفاته واشتغاله بالغناء بعد النياحة

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني إبراهيم بن المهدي قال حدثني إسماعيل بن جامعٍ عن سياطٍ قال: كان ابن سريج أول من غنى الغناء المتقن بالحجاز بعد طويسٍ، وكان مولده في خلافة عمر بن الخطاب، وأدرك يزيد بن عبد الملك وناح عليه، ومات في خلافة هشام. قال: وكان قبل أن يغني نائحاً ولم يكن مذكوراً، حتى ورد الخبر مكة بما فعله مسرف بن عقبة بالمدينة، فعلا على أبي قبيسٍ وناح بشعرٍ هو اليوم داخلٌ في أغانيه، وهو:

يا عين جودي بالدموع السفاح وابكي على قتلى قريش البطاح

فاستحسن الناس ذلك منه، وكان أول من ندب به.

قال ابن جامع: وحدثني جماعةٌ من شيوخ أهل مكة أنهم حدثوا: أن سكينة بنت الحسين بعثت إلى ابن سريج بشعرٍ أمرته أن يصوغ فيه لحناً يناح به، فصاغ فيه، وهو الآن داخلٌ في غنائه. والشعر:

يا أرض ويحك أكرمي أمواتي فلقد ظفرت بسادتي وحماتي

فقدمه ذلك عند أهل الحرمين على جميع ناحة مكة والمدينة والطائف.

قال وحدثني ابن جامع وابن أبي الكنات جميعاً: أن سكينة بعثت إليه بمملوكٍ لها يقال له عبد الملك، وأمرته أن يعلمه النياحة، فلم يزل يعلمه مدة طويلة، ثم توفي عمها أبو القاسم محمد بن الحنفية، وكان ابن سريج عليلاً علةً صعبةً فلم يقدر على النياحة. فقال لها عبدها عبد الملك: أنا أنوح لك نوحاً أنسيك به نوح ابن سريج. قالت: أو تحسن ذاك؟ قال نعم. فأمرته فناح؛ فكان نوحه في الغاية من الجودة، وقال النساء: هذا نوحٌ غريضٌ؛ فلقب عبد الملك الغريض. وأفاق ابن سريج من علته بعد أيام وعرف خبر وفاة ابن الحنفية، فقال لهم: فمن ناح عليه؟ قالوا: عبد الملك غلام سكينة. قال: فهل جوز الناس نوحه؟ قالوا: نعم وقدمه بعضهم عليك. فحلف ابن سريج ألا ينوح بعد ذلك اليوم، وترك النوح وعدل إلى الغناء، فلم ينح حتى ماتت حبابة، وكانت قد أخذت عنه وأحسنت إليه فناح عليها، ثم ناح بعدها على يزيد بن عبد الملك، ثم لم ينح بعده حتى هلك.

قال: ولما عدل ابن سريج عن النوح إلى الغناء عدل معه الغريض إليه، فكان لا يغني صوتاً إلا عارضه فيه.

ابن سريج وعطاء بن أبي رباح

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال: حدث إسحاق بن إبراهيم الموصلي أبا إسحاق إبراهيم بن المهدي وأنا حاضرٌ أن يحيى المكي حدثه أن عطاء بن أبي رباح لقي ابن سريج بذي طوى، وعليه ثيابٌ مصبغة وفي يده جرادةٌ مشدودة الرجل بخيطٍ يطيرها ويجذبها به كلما تخلفت؛ فقال له عطاء: يا

فتان، ألا تكف عما أنت عليه! كفى الله الناس مئونتك. فقال ابن سريج: وما على الناس من تلويني ثيابي ولعبي بجرادتي؟ فقال له: تفتنهم أغانيك الخبيثة. فقال له ابن سريج: سألتك بحق من تبعته من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبحق رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك، إلا ما سمعت مني بيتاً من الشعر، فإن سمعت منكراً أمرتني بالإمساك عما أنا عليه. وأنا أقسم بالله وبحق هذه البنية لئن أمرتني بعد استماعك مني بالإمساك عما أنا عليه لأفعلن ذلك. فأطمع ذلك عطاءً في ابن سريج، وقال: قل. فاندفع يغني بشعر جرير:

صوت

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلاً بعينك لا يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

- لحن ابن سريج هذا ثقيلٌ أول بالوسطى عن ابن المكي والهشامي، وله أيضاً فيه رملٌ. ولإسحاق فيه رملٌ آخر بالوسطى. وفيه هزجٌ بالوسطى ينسب إلى ابن سريج والغريض - قال: فلما سمعه عطاءٌ اضطرب اضطراباً شديداً ودخلته أريحيةٌ، فحلف ألا يكلم أحداً بقية يومه إلا بهذا الشعر، وصار إلى مكانه من المسجد الحرام؛ فكان كل من يأتيه سائلاً عن حلالٍ أو حرامٍ أو خبرٍ من الأخبار، لا يجيبه إلا بأن يضرب إحدى يديه على الأخرى وينشد هذا الشعر حتى صلى المغرب، ولم يعاود ابن سريج بعد هذا ولا تعرض له.

ابن سريج ويزيد ابن عبد الملك

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني الحسن بن علي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي قال حدثني إسحاق عن ابن جامعٍ عن سياطٍ عن يونس الكاتب قال: لما قال عمر بن أبي ربيعة:

نظرت إليها بالمحصب من منىً ولي نظر لولا التحرج عارم

غنى فيه ابن سريج.

قال: وحج يزيد بن عبد الملك في تلك السنة بالناس، وخرج عمر بن أبي ربيعة ومعه ابن سريج على نجيبين رحالتاهما ملبستان بالديباج، وقد خضبا النجيبين ولبسا حلتين، فجعلا يتلقيان الحاج ويتعرضان للنساء إلى أن أظلم الليل، فعدلا إلى كثيبٍ مشرفٍ والقمر طالعٌ يضيء، فجلسا على الكثيب، وقال عمر لابن سريج: غنني صوتك الجديد؛ فاندفع يغنيه، فلم يستتمه إلا وقد طلع عليه رجلٌ راكبٌ على فرسٍ عتيقٍ، فسلم ثم قال: أيمكنك - أعزك الله - أن ترد هذا الصوت؟ قال: نعم ونعمة عينٍ، على أن تنزل وتجلس معنا. قال: أنا أعجل من ذلك، فإن أجملت وأنعمت أعدته! وليس عليك من وقوفي شيءٌ ولا مئونةٌ، فأعاده. فقال له: بالله أنت ابن سريج؟ قال نعم. قال: حياك الله! وهذا عمر بن أبي ربيعة؟ قال نعم. قال: حياك الله يا أبا الخطاب! فقال له: وأنت فحياك الله! قد عرفتنا فعرفنا نفسك. قال: لا يمكنني ذلك. فغضب ابن سريج وقال: والله لو كنت يزيد بن عبد الملك لما

زاد. فقال له: أنا يزيد بن عبد الملك. فوثب إليه عمر فأعظمه، ونزل ابن سريج إليه فقبل ركابه؛ فنزع حلته وخاتمه فدفعهما إليه، ومضى يركض حتى لحق ثقله. فجاء بهما ابن سريج إلى عمر فأعطاه إياهما، وقال له: إن هذين بك أشبه منهما بي. فأعطاه عمر ثلثمائة دينارٍ وغدا فيهما إلى المسجد، فعرفهما الناس وجعلوا يتعجبون ويقولون: كأنهما والله حلة يزيد بن عبد الملك وخاتمه، ثم يسألون عمر عنهما فيخبرهم أن يزيد بن عبد الملك كساه ذلك.

وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة أيضاً قال وحدثني ابن عبد الله بن أبي سعيد قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال:

غناء ابن سريج في طريق الحاج

ووقفه الناس بحسن غنائه

حج عمر بن أبي ربيعة في عامٍ من الأعوام على نجيبٍ له مخضوبٍ بالحناء مشهر الرحل بقراب مذهبٍ، ومعه عبيد بن سريج على بغلةٍ له شقراء، ومعه غلامه جنادٌ يقود فرساً له أدهم أغر محجلاً، وكان عمر بن أبي ربيعة يسميه "الكوكب" في عنقه طوق ذهبٍ - وجنادٌ هذا هو الذي يقول فيه:

صوت

فقلت لجنادٍ خذ السيف واشتمل ... عليه برفقٍ وارقب الشمس تغرب

وأسرج لي الدهماء واعجل بممطري ... ولا تعلمن خلقاً من الناس مذهبي

الغناء لزرزرٍ غلام المارقي خفيف ثقيلٍ وهو أجود صوتٍ صنعه - قال: ومع عمر جماعةٌ من حشمه وغلمانه ومواليه وعليه حلة موشيةٌ يمانية، وعلى ابن سريج ثوبان هرويان مرتفعان، فلم يمروا بأحدٍ إلا عجب من حسن هيئتهم، وكان عمر من أعطر الناس وأحسنهم هيئةً، فخرجوا من مكة يوم التروية بعد العصر يريدون منىً، فمروا بمترل رجلٍ من بني عبد مناف بمنىً قد ضربت عليه فساطيطه وخيمه، ووافى الموضع عمر فأبصر بنتاً للرجل قد خرجت من قبتها، وستر جواريها دون القبة لئلا يراها من مر. فأشرق عمر على النجيب فنظر إليها، وكانت من أحسن النساء وأجملهن. فقال لها جواريها: هذا عمر بن أبي ربيعة. فرفعت رأسها فنظرت إليه، ثم سترتها الجواري وولائدها عنه وبطن دونها بسجف القبة حتى دخلت. ومضى عمر إلى مترله وفساطيطه بمنىً، وقد نظر من الجارية إلى ما تيمه ومن جمالها إلى ما حيره، فقال فيها:

نظرت إليها بالمحصب من منى ... ولي نظرٌ لولا التحرج عارم

فقلت أشمسٌ أم مصابيح بيعةٍ ... بدت لك خلف السجف أم أنت حالم

بعيدة مهوى القرط إما لنوفلٌ أبو ها وإما عبد شمسٍ وهاشم

ومد عليها السجف يوم لقيتها على عجلٍ تباعها والخوادم

فلم أستطعها غير أن قد بدا لنا على الرغم منها كفها والمعاصم

معاصم لم تضرب على البهم بالضحى عصاها ووجهٌ لم تلحه السمائم

نضيرٌ ترى فيه أساريع مائه صبيحٌ تغاديه الأكف النواعم

إذا ما دعت أترابها فاكتنفنها تمايلن أو مالت بهن المآكم

طلبن الصبا حتى إذا ما أصبنه نزعن وهن المسلمات الظوالم

ثم قال عمر لابن سريج: يا أبا يحيى، إني تفكرت في رجوعنا مع العشية إلى مكةٍ مع كثرة الزحام والغبار وجلبة الحاج فثقل علي، فهل لك أن نروح رواحاً طيباً معتزلاً، فنرى فيه من راح صادراً إلى المدينة من أهلها، ونرى أهل العراق وأهل الشأم ونتعلل في عشيتنا وليلتنا ونستريح؟ قال: وأنى ذلك يا أبا الخطاب؟ قال: على كثيب أبي شحوة المشرف على بطن يأجج بين منىً وسرف، فنبصر مرور الحاج بنا ونراهم ولا يرونا. قال ابن سريج: طيبٌ والله يا سيدي. فدعا بعض خدمه فقال: اذهبوا إلى الدار بمكة، فاعلموا لنا سفرةً واحملوها مع شرابٍ إلى الكثيب، حتى إذا أبردنا ورمينا الجمرة صرنا إليكم - قال: والكثيب على خمسة أميالٍ من مكة مشرفٌ على طريق المدينة وطريق الشأم وطريق العراق، وهو كثيبٌ شامخٌ مستدقٌ أعلاه منفرد عن الكثبان - فصارا إليه فأكلا وشربا. فلما انتشيا أخذ ابن سريج الدف فنقره وجعل يغني وهم ينظرون إلى الحاج. فلما أمسيا رفع ابن سريج صوته يغني في الشعر الذي قاله عمر، فسمعه الركبان فجعلوا يصيحون به: يا صاحب الصوت أما تتقي الله! قد حبست الناس عن مناسكهم! فيسكت قليلاً، حتى إذا مضوا رفع صوته وقد أخذ فيه الشراب فيقف آخرون، إلى أن مرت قطعةٌ من الليل، فوقف عليه في الليل رجلٌ على فرسٍ عتيقٍ عربي مرح مستن فهو كأنه ثملٌ، حتى وقف بأصل الكثيب وثنى رجله على قربوس سرجه، ثم نادى: يا صاحب الصوت، أيسهل عليك أن ترد شيئاً مما سمعته. قال: نعم ونعمة عينٍ، فأيها تريد؟ قال: تعيد علي:

ألا يا غراب البين مالك كلما نعبت بفقدانٍ علي تحوم

أبالبين من عفراء أنت مخبري عدمتك من طيرٍ فأنت مشوم

- قال: والغناء لابن سريج - فأعاده، ثم قال له ابن سريج: ازدد إن شئت. فقال: غنني:

أمسلم إني يابن كل خليفةٍ ويا فارس الهيجا ويا قمر الأرض

شكرتك إن الشكر حبلٌ من التقى وما كل من أقرضته نعمةً يقضي

ونوهت لي باسمي وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

فغناه، فقال له: الثالث ولا أستزيدك. فقال: قل ما شئت. فقال: تغنيني

يا دار أقوت بالجزع فالكثب بين مسيل العذيب فالرحب

لم تتقنع بفضل مئزرها دعدٌ ولم تسق دعد في العلب

فغناه. فقال له ابن سريج: ابقيت لك حاجةٌ؟ قال: نعم، تنزل إلي لأخاطبك شفاهاً بما أريد. فقال له عمر: انزل إليه، فنزل. فقال له: لولا أني أريد وداع الكعبة وقد تقدمني ثقلي وغلماني لأطلت المقام معك ولنزلت عندكم، ولكني أخاف أن يفضحني الصبح، ولو كان ثقلي معي لما رضيت لك بالهويني، ولكن خذ حلتي هذه وخاتمي ولا تخدع عنهما، فإن شراءهما ألفٌ وخمسمائة دينار. وذكر باقي الخبر مثل ما ذكره حماد بن إسحاق.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

نظرت إليها بالمحصب من منى ولي نظرٌ لولا التحرج عارم

فقلت أشمسٌ أم مصابيح بيعةٍ بدت لك خلف السجف أم أنت حالم

بعيدة مهوى القرط إما لنوفلٌ أبوها وإما عبد شمس وهاشم

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لمعبد ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عنه. وقد نسب في مواضع من هذا الكتاب.

صوت

ألا يا غراب البين مالك كلما نعبت بفقدانٍ علي تحوم

أبا لبين من عفراء أنت مخبري عدمتك من طيرٍ فأنت مشوم

الشعر لقيس بن ذريح، وقيل: إنه لغيره. والغناء لابن سريج رملٌ بالوسطى عن الهشامي.

صوت

أمسلم إني يابن كل خليفةٍ ويا فارس الهيجا ويا قمر الأرض

شكرتك إن الشكر حبلٌ من التقى وما كل من أوليته نعمةً يقضي

ونوهت لي باسمي وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

الشعر لأبي نخيلة الحماني. والغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى، وقد أخرج هذا الصوت مع سائر أخبار أبي نخيلة في موضعٍ آخر.

إجلال المغنين له وعلو كعبه

في صنعة الغناء

حدثني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار حدثني محمد بن سلام الجمحي قال حدثني عمر بن أبي خليفة قال: كان أبي نازلاً في علوٍ، فكان المغنون يأتونه. قال فقلت: فأيهم كان أحسن غناءً؟ قال: لا أدري، إلا أني كنت أراهم إذا جاء ابن سريج سكتوا.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني الزبيري - يعني عبد الله بن مصعب - عن عمرو بن الحارث، قال إسحاق: وحدثنيه المدائني ومحمد بن سلام عن المحرز بن جعفر عن عمر بن سعد مولى الحارث بن هشام قال: خرج ابن الزبير ليلةً إلى أبي قبيسٍ فسمع غناءً، فلما انصرف رآه أصحابه وقد حال لونه، فقالوا: إن بك لشراً. قال: إنه ذاك. قالوا: ما هو؟ قال: لقد سمعت صوتاً إن كان من الجن إنه لعجبٌ، وإن كان من الإنس فما انتهى منتهاه شيءٌ! قال: فنظروا فإذا هو ابن سريج يتغنى:

صوت

أمن رسم دارٍ بوادي غدر   لجاريةٍ من جواري مضر
خدلجة الساق ممكروةٍ   سلوس الوشاح كمثل القمر
تزين النساء إذا ما بدت   ويبهت في وجهها من نظر

الشعر ليزيد بن معاوية. الغناء لابن سريج رملٌ بالبنصر عن يونس وحبشٍ.

قال إسحاق: وذكر المدائني في خبره أن عمر بن عبد العزيز مر أيضاً فسمع صوت ابن سريج وهو يتغنى:

بت الخليط قوى الحبل الذي قطعوا

فقال عمر: لله در هذا الصوت لو كان بالقرآن! قال المدائني: وبلغني من وجه آخر أنه سمعه يغني:

قرب جيراننا جمالهم   ليلاً فأضحوا معاً قد ارتفعوا
ما كنت أدري بوشك بينهم   حتى رأيت الحداة قد طلعوا

فقال هذه المقالة.

نسبة هذين الصوتين

صوت

بت الخلطي قوى الحبل الذي قطعوا إذ ودعوك فولوا ثم ما رجعوا
وآذنوك ببينٍ من وصالهم فما سلوت ولا يسليك ما صنعوا
يابن الطويل وكم آثرت من حسنٍ فينا وأنت بما حملت مضطلع
نحظى ونبقى بخيرٍ ما بقيت لنا فإن هلكت فما في ملجأٍ طمع

الشعر للأحوص. والغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر حبشٌ أن فيه رملاً بالوسطى عن الهشامي.

نسبة الصوت الآخر

صوت

قرب جيراننا جمالهم ليلاً فأضحوا معاً قد ارتفعوا
ما كنت أدري بوشك بينهم حتى رأيت الحداة قد طلعوا
على مصكين من جمالهم وعنتريسين فيهما خضع
يا قلب صبراً فإنه سفهٌ بالحر أن يستفزه الجزع

الغناء لابن سريج ثقيلٌ اول من أصواتٍ قليلة الأشباه عن إسحاق. وفيه رملٌ في مجرى الوسطى ذكره إسحاق ولم ينسبه إلى أحد، وذكر أيضاً فيه خفيف رملٍ بالسبابة في مجرى الوسطى ولم ينسبه. وذكر الهشامي أن الرمل للغريض وخفيف الرمل لابن المكي وذكرت دنانير والهشامي فيه لمعبدٍ ثاني ثقيلٍ. وذكر عمرو بن بانة أن الثقيل الأول للغريض. وذكر عبد الله بن موسى أن لحن ابن - سريجٍ خفيف ثقيلٍ.

عدد الأصوات التي غنى فيها

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثني يوسف بن إبراهيم قال: حضرت أبا إسحاق إبراهيم بن المهدي وعنده إسحاق الموصلي، فقال إسحاق: غنى ابن سريج ثمانيةً وستين صوتا. فقال له أبو إسحاق: ما تجاوز قط ثلاثةً وستين صوتاً. فقال بلى. ثم جعلا ينشدان أشعار الصحيح منها حتى بلغا ثلاثةً وستين صوتاً وهما يتفقان على ذلك، ثم أنشد إسحاق بعد ذلك أشعار خمسة أصواتٍ أيضاً.

فقال أبو إسحاق: صدقت، هذا من غنائه، ولكن لحن هذا الصوت نقله من لحنه في الشعر الفلاني، ولحن الثاني من لحنه الفلاني، حتى عد له الخمسة الأصوات. فقال له إسحاق: صدقت. ثم قال له إبراهيم: إن ابن سريج كان رجلاً عاقلاً أديباً، وكان يغني الناس بما يشتهون، فلا يغنيهم صوتاً مدح به أعداؤهم ولا صوتاً عليهم فيه عارٌ أو غضاضةٌ، ولكنه يعدل بتلك الألحان إلى أشعارٍ في أوزانها، فالصوتان واحدٌ لا ينبغي أن نعدهما اثنين عند التحصيل منا لغنائه، فصدقه إسحاق. فقال له إبراهيم: فأيها أولى عندك بالتقدمة؟ فقال:

وإذا ما عثرت في مرطها　　　نهضت باسمي وقالت يا عمر

فقال له إبراهيم: أحسبك يا أبا محمد - متعت بك - ما أردت إلا مساعدتي. فقال: لا، والله ما إلى هذا قصدت، وإن كنت أهوى كل ما قربني من محبتك.

فقال له: هذا أحب أغانيه إلي، وما أحسبه في مكانٍ أحسن منه عندي، ولا كان ابن سريج يتغناه أحسن مما يتغناه جواري، ولئن كان كذلك فما هو عندي في حسن التجزئة والقسمة وصحتهما مثل لحنه في: صوت من المائة لمختارة من رواية جحظة

حييا أم يعمرا　　　قبل شحطٍ من النوى

أجمع الحي رحلةً　　　ففؤادي كذى الأسى

قلت لا تعجلوا الروا　　　ح فقالوا ألا بلى

- الغناء لابن سريج من القدر الأوسط من الثقيل الأول مطلقٌ في مجرى الوسطى. وفيه للهذلي خفيف ثقيلٍ بالبنصر عن ابن المكي. وفيه لمالكٍ ثقيلٌ أول البنصر عن عمرٍو. وفيه لحنان من الثقيل الثاني: أحدهما لإسحاق والآخر لأبيه، ونسبه قومٌ إلى ابن محرز، ولم يصح ذلك - قال: فاجتمعا معاً على أنه أول أغانيه وأحقها بالتقديم. وأمرني أبو إسحاق بتدوين ما يجري بينهما ويتفقان عليه، فكتبت هذا الشعر. ثم اتفقا على أن الذي يليه:

وإذا ما عثرت في مرطها　　　نهضت باسمي وقالت يا عمر

فأثبته أيضاً. ثم تناظرا في الثالث فاجتمعا على أنه:

فتركته جزر السباع ينشنه　　　ما بين قلة رأسه والمعصم

فقال إسحاق: لو قدمناه على الأغاني التي تقدمته كلها لكان يستحق ذلك. فقال أبو إسحاق: ما سمعته منذ عرفته إلا أبكاني، لأني إذا سمعته أو ترنمت به وجدت غمراً على فؤادي لا يسكن حتى أبكي. فقال إسحاق: إن مذهبه فيه ليوجب ذلك، فدونته ثالثاً. ثم اتفقا على الرابع وأنه:

فلم أر كالتجمير منظر ناظرٍ　　　ولا كليالي الحج أفتن ذا هوى

تحدثا بأحاديث لهذا الصوت مشهورةٍ. ثم تناظرا في الخامس، فاتفقا على أنه:

عوجي علينا ربة الهودج　　　إنك إلا تفعلي تحرجي

فأثبته. ثم تناظرا في السادس واتفقا على أنه:

ألا هل هاجك الأظعا ن إذ جاوزن مطلحا

فأثبته. ثم تناظرا في السابع فاتفقا على أنه:

غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فأثبته. وتناظرا في الثامن فاتفقا على أنه:

تنكر الإثمد لا تعرفه غير أن تسمع منه بخبر

فأثبته. وتناظرا في التاسع فاتفقا على أنه:

ومن أجل ذات الخال أعملت ناقتي أكلفها سير الكلال مع الظلع

نسبة هذه الأصوات وأجناسها

منها:

صوت

وإذا ما عثرت في مرطها نهضت باسمي وقالت يا عمر

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشامي.

ومنها:

صوت

فتركته جزر السباع ينشنه ما بين قلة رأسه والمعصم

الشعر لعنترة بن شدادٍ العبسي. والغناء لابن سريج ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

صوت

فلم أر كالتجمير منظر ناظرٍ ولا كليالي الحج أفتن ذا هوى

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج رملٌ بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

صوت

عوجي علينا ربة الهودج إنك إلا تفعلي تحرجي

الشعر للعرجي. والغناء لابن سريج ثقيلٌ بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

صوت

ألا هل هاجك الأظعا ن إذ جاوزن مطلحا

الشعر لعمر. والغناء لابن سريج ثقيلٌ أول مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه للغريض لحنان: ثقيلٌ أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق، وخفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لمعبدٍ ثقيلٌ أول ثالثٌ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

ومنها:

صوت

غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

الشعر لجريرٍ. والغناء لابن سريج رملٌ بالبنصر. وفيه لإسحاق رملٌ بالوسطى. وفيه للهذلي ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي.

ومنها:

صوت

تنكر الإثمد لا تعرفه غير أن تسمع منه بخبر

الشعر لعبد الرحمن بن حسان. والغناء لابن سريج رملٌ بالوسطى.

ومنها:

صوت

ومن أجل ذات الخال أعملت ناقتي أكلفها سير الكلال مع الظلع

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج رملٌ بالبنصر. وفيه لإسحاق رملٌ بالوسطى.

تنافر معبد ومالك بن أبي السمح إليه

في صوتين غنياهما

أخبرني رضوان بن أحمد قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق بن المهدي قال حدثني الزبير بن دحمان أن أباه حدثه: أن معبداً تغنى:

آب ليلي بهمومٍ وفكر — من حبيبٍ هاج حزني والسهر
يوم أبصرت غراباً واقعاً — شر ما طار على شر الشجر

فعارضه مالكٌ فغنى في أبياتٍ من هذا الشعر، وهي:

وجرت لي ظبيةٌ يتبعها — لين الأظلاف من حور البقر
كلما كفكفت مني عبرةً — فاضت العين بمنهل درر

قال: فتلاحيا جميعاً فيما صنعان من هذين الصوتين، فقال كل واحدٍ منهما لصاحبه: أنا أجود صنعةً منك. فتنافرا إلى ابن سريج فمضيا إليه بمكة. فلما قدماها سألا عنه، فأخبرا أنه خرج يتطرف بالحناء في بعض بساتينها. فاقتفيا أثره، حتى وقفا عليه وفي يده الحناء، فقالا له: إنا خرجنا إليك من المدينة لتحكم بيننا في صوتين صنعناهما. فقال لهما: ليغن كل واحدٍ منكما صوته. فابتدأ معبدٌ يغني لحنه. فقال له: أحسنت والله على سوء اختيارك للشعر! يا ويحك! ما حملك على أن ضيعت هذه الصنعة الجيدة في حزنٍ وسهرٍ وهمومٍ وفكر! أربعة ألوانٍ من الحزن في بيتٍ واحد، وفي البيت الثاني شران في مصراعٍ واحدٍ، وهو قولك:

شر ما طار على شر الشجر

ثم قال لمالك: هات ما عندك، فغناه مالكٌ. فقال له: أحسنت والله ما شئت! فقال له مالكٌ: هذا وإنما هو ابن شهره، فكيف تراه يا أبا يحيى يكون إذا حال عليه الحول! قال دحمان: فحدثني معبدٌ أن ابن سريج غضب عند ذلك غضباً شديداً، ثم رمى بالحناء من يديه وأصابعه وقال له: يا مالك، ألي تقول ابن شهره! اسمع مني ابن ساعته، ثم قال: يا أبا عباد أنشدني القصيدة التي تغنيتما فيها. فأنشدته القصيدة حتى انتهيت إلى قوله:

تنكر الإثمد لا تعرفه — غير أن تسمع منه بخبر

فصاح بأعلى صوته: هذا خليلي وهذا صاحبي، ثم تغنى فيه، فانصرفنا مفلولين مفضوحين من غير أن نقيم بمكة ساعةً واحدةً.

نسبة هذه الأغاني كلها

صوت

آب ليلي بهمومٍ وفكر — من حبيبٍ هاج حزني والسهر

يوم أبصرت غراباً واقعاً شر ما طار على شر الشجر

ينتف الريش على عبريةٍ مرة المقضم من روح العشر

الشعر لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت يقوله في رملة بنت معاوية بن أبي سفيان، وله معها ومع أبيها وأخيها في تشبيبه بها أخبارٌ كثيرةٌ ستذكر في موضعها إن شاء الله. ومن الناس من ينسب هذا الشعر إلى عمر بن أبي ربيعة، وهو غلطٌ. وقد بين ذلك مع أخبار عبد الرحمن في موضعه.

والغناء لمعبدٍ خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى عن يحيى المكي، وذكر عمرو بن بانة أنه للغريض، وله لحنٌ آخر في هذه الطريقة.

صوت

وجرت لي ظبيةٌ يتبعها لين الأظلاف من حور البقر

خلفها أطلس عسال الضحى صادفته يوم طلٍّ وحصر

الغناء لمالكٍ خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها عن إسحاق.

صوت

إن عينيها لعينا جؤذر أهدب الأشفار من حور البقر

تنكر الإثمد لا تعرفه غير أن تسمع منه بخبر

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة، عن عمرو ويحيى المكي.

مضادة ابن سريج للغريض ومعارضة الغريض له

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قال أبي قال محمد بن سعيد:

لما ضاد ابن سريج الغريض وناوأه، جعل ابن سريج لا يغني صوتاً ألا عارضه فيه الغريض فغنى فيه لحناً غيره، وكانت ببعض أطراف مكة دارٌ يأتيانها في كل جمعةٍ ويجتمع لهما ناسٌ كثيرٌ، فيوضع لكل واحد منهما كرسيٌ يجلس عليه ثم يتناقضان الغناء ويترادانه. قال: فلما رأى ابن سريج موقع الغريض وغنائه من الناس لقربه من النوح وشبهه به، مال إلى الأرمال والأهزاج فاستخفها الناس. فقال له الغريض: يا أبا يحيى، قصرت الغناء وحذفته وأفسدته. فقال له: نعم يا مخنث، جعلت تنوح على أبيك وأمك، ألي تقول هذا! والله لأغنين غناءً ما غنى أحدٌ أثقل منه ولا أجود. ثم تغنى:

تشكى الكميت الجري لما جهدته

تقدير ابن أبي عتيق لابن سريج

قال حماد: وقرأت على أبي عن هشام بن المرية قال: كان ابن عتيق يسوق في كل عام عن ابن سريج بدنةً وينحرها عنه، ويقول: هذا أقل حقه علينا.

اعتراف معبد لابن سريج بالسبق

عليه في صنعة الغناء

قال حماد: قال أبي وقال مخلد بن خداشٍ المهلبي: كنا بالمدينة في مجلسٍ لنا ومعنا معبدٌ، فقدم من مكة إلى المدينة فدخل علينا ليلاً، فجلس معبدٌ يسائله عن الأخبار وهو يخبره ولا نسمع ما يقول. فالتفت إلينا معبدٌ فقال: أصبحت أحسن الناس غناءً. فقيل له: أو لم تكن كذلك؟ قال: لا حيث كان ابن سريج حياً، إن هذا أخبرني أن ابن سريج قد مات. ثم كان بعد ذلك إذا غنى صوتاً فأعجبه غناؤه قال: أصبحت اليوم سريجياً.

أبو السائب المخزومي وأغاني ابن سريج

قال حماد: حدثني أبي قال حدثني أبو الحسن المدائني قال: قال معبدٌ: أتيت أبا السائب - المخزومي وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعةٍ - فلما رآني تجوز وقال: ما معك من مبكيات ابن سريج؟ قلت قوله:

ولهن بالبيت العتيق لبانةٌ والبيت يعرفهن لو يتكلم

لو كان حياً قبلهن ظعائناً حيا الحطيم وجوههن وزمزم

لبثوا ثلاث منىً بمنزل غبطةٍ وهم على سفرٍ لعمرك ما هم

متجاورين بغير دار إقامةٍ لو قد أجد تفرقٌ لم يندموا

فقال لي: غنه، فغنيته. ثم قام يصلي فأطال، ثم تجوز إلي فقال: ما معك من مطرباته ومشجياته؟ فقلت: قوله:

لسنا نبالي حين ندرك حاجةً ما بات أو ظل المطي معقلا

فقال لي: غنه، فغنيته. ثم صلى وتجوز إلي وقال: ما معك من مرقصاته؟ فقلت:

فلم أر كالتجمير منظر ناظرٍ ولا كليالي الحج أفتن ذا هوى

فقال: كما أنت حتى أتحرم لهذا بركعتين.

تغنيه بمسمع من عطاء بن أبي رباح

وتفضيله ابن سريج على الغريض

قال حماد: وأخبرني أبي عن إبراهيم بن المنذر الحزامي، وذكر أبو أيوب المديني عن الحزامي قال حدثني عبد الرحمن بن إبراهيم المخزومي قال: أرسلتني أمي وأنا غلامٌ أسأل عطاء بن أبي رباح عن مسألةٍ، فوجدته في دارٍ يقال لها دار المعلى - وقال أبو أيوب في خبره: دار المقل - وعليه ملحفة معصفرةٌ، وهو جالسٌ على منبر وقد ختن ابنه والطعام يوضع بين يديه وهو يأمر به أن يفرق في الخلق، فلهوت مع الصبيان ألعب بالجوز حتى أكل القوم وتفرقوا وبقي مع عطاءٍ خاصته، فقالوا: يا أبا محمد لو أذنت لنا فأرسلنا إلى الغريض وابن سريج! فقال: ما شئتم، فأرسلوا إليهما. فلما أتيا قاموا معهما وثبت عطاءٌ في مجلسه فلم يدخل، فدخلوا بهما بيتاً في الدار، فتغنيا وأنا أسمع. فبدأ ابن سريج فنقر بالدف وتغنى بشعر كثير:

بليلى وجاراتٍ لليلى كأنها ... نعاج الملا تحدى بهن الأباعر

أمنقطعٌ يا عز ما كان بيننا ... وشاجرني يا عز فيك الشواجر

إذا قيل هذا بيت عزة قادني ... إليه الهوى واستعجلتني البوادر

أصد وبي مثل الجنون لكي يرى ... رواة الخنا أني لبيتك هاجر

فكأن القوم قد نزل عليهم السبات، وأدركهم الغشي فكانوا كالأموات، ثم أصغوا إليه بآذانهم وشخصت إليه أعينهم وطالت أعناقهم. ثم غنى الغريض بصوتٍ أنسيته بلحنٍ آخر. ثم غنى ابن سريج وأوقع بالقضيب، وأخذ الغريض الدف فغنى بشعر الأخطل:

فقلت اصبحونا لا أبا لأبيكم ... وما وضعوا الأثقال إلا ليفعلوا

وقلت اقتلوها عنكم بمزاجها ... فأكرم بها مقتولةً حين تقتل

أناخوا فجروا شاصياتٍ كأنها ... رجالٌ من السودان لم يتسربلوا

فوالله ما رأيتهم تحركوا ولا نطقوا إلا مستمعين لما يقول. ثم غنى الغريض بشعرٍ آخر وهو:

هل تعرف الرسم والأطلال والدمنا ... زدن الفؤاد على ما عنده حزنا

دارٌ لصفراء إذ كانت تحل بها ... وإذ ترى الوصل فيما بيننا حسنا

إذ تستبيك بمصقولٍ عوارضه ... ومقلتي جؤذرٍ لم يعد أن شدنا

ثم غنيا جميعاً بلحنٍ واحد، فلقد خيل لي أن الأرض تميد، وتبينت ذلك في عطاء أيضاً. وغنى الغريض في شعر عمر بن أبي ربيعة، وهو قوله:

كفى حزناً تجمع الدار شملنا ... وأمسي قريباً لا أزورك كلثما

دعي القلب لا يزدد خبالاً مع الذي ... به منك أو داوى جواه المكتما

ومن كان لا يعدو هواه لسانه فقد حل في قلبي هواك وخيما

وليس بتزويق اللسان وصوغه ولكنه قد خالط اللحم والدما

وغنى ابن سريج أيضاً:

خليلي عوجا نسأل اليوم منزلا أبى بالبراق العفر أن يتحولا

ففرع النبيت فالشرى خف أهله وبدل أرواحاً جنوباً وشمالا

أرادت فلم تسطع كلاماً فأومأت إلينا ولم تأمن رسولاً فترسلا

بأن بت عسى أن يستر الليل مجلساً لنا أو تنام العين عنا فتقبلا

وغنى الغريض أيضاً:

يا صاحبي قفا نقض لبانةً وعلى الظعائن قبل بينكما اعرضا

لا تعجلاني أن أقول بحاجةٍ رفقاً فقد زودت زاداً مجرضا

ومقالها بالنعف نعف محسرٍ لفتاتها هل تعرفين المعرضا

هذا الذي أعطى مواثق عهده حتى رضيت وقلت لي لن ينقضا

وأغاني أنسيتها، وعطاءٌ يسمع على منبره ومكانه، وربما رأيت رأسه قد مال وشفتيه تتحركان حتى بلغته الشمس، فقام يريد مترله. فما سمع السامعون شيئاً أحسن منهما وقد رفعا أصواهما وتغنيا بهذا. ولما بلغت الشمس عطاءً قام وهم على طريقةٍ واحدةٍ في الغناء، فاطلع في كوة البيت. فلما رأوه قالوا: يا أبا محمد، أيهما أحسن غناءً؟ قال: الرقيق الصوت. يعني ابن سريج.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

صوت

ولهن بالبيت العتيق لبانةٌ والبيت يعرفهن لو يتكلم

لو كان حياً قبلهن ظعائناً حياً الحطيم وجوههن وزمزم

وكأنهن وقد حسرن لواغباً بيضٌ بأكناف الحطيم مركم

لبثوا ثلاث منى بمنزل غبطةٍ وهم على سفرٍ لعمرك ما هم

متجاورين بغير دار إقامةٍ لو قد أجد رحيلهم لم يندموا

عروضه من الكامل. الشعر لابن أذينة. والغناء لابن سريج ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وأخبار ابن أذينة تأتي بعد هذا في موضعها إن شاء الله.

ومنها الصوت الذي أوله في الخبر:

لسنا نبالي حين ندرك حاجةً

صوت

ودع لبابة قبل أن تترحلا ... واسأل فإن قليله أن تسألا

وانظر بعينك ليلةً وتأنها ... فلعل ما بخلت به أن يبذلا

لسنا نبالي حين ندرك حاجةً ... ما راح أو ظل المطي معقلا

حتى إذا ما الليل جن ظلامه ... ورجوت غفلة حارسٍ أن يعقلا

خرجت تأطر في الثياب كأنها ... أيمٌ يسيب على كثيبٍ أهيلا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج ثقيلٌ أول بالوسطى في مجراها. وفيه لمعبدٍ لحنٌ من خفيف الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى، وهو من مختار أغانيه ونادرها وصدور صنعته وما يقدم على كثيرٍ منها.

الغمر بن يزيد وشعر ابن أبي ربيعة

أخبرني أحمد بن محمد بن إسحاق الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال: كنت أسير مع الغمر بن يزيد، فاستنشدني فأنشدته لعمر بن أبي ربيعة:

ودع لبابة أن تترحلا ... واسأل فإن قليله أن تسألا

قال ائتمر ما شئت غير مخالفٍ ... فيما هويت فإننا لن نعجلا

نجري أيادي كنت تبذلها لنا ... حقٌ علينا واجبٌ أن نفعلا

حتى إذا ما الليل جن ظلامه ... ورجوت غفلة حارسٍ أن يعقلا

خرجت تأطر في الثياب كأنها ... أيمٌ يسيب على كثيبٍ أهيلا

رحبت لما أقبلت فتعللت ... لتحيتي لما رأتني مقبلا

فجلا القناع سحابةً مشهورةً ... غراء تعشي الطرف أن يتأملا

فظللت أرقيها بما لو عاقلٌ ... يرقى به ما اسطاع ألا ينزلا

تدنو فأطمع ثم تمنع بذلها نفسٌ أبت للجود أن تتبخلا

قال: فأمر غلامه فحملني على بغلته التي كانت تحته. فلما أراد الانصراف طلب الغلام مني البغلة، فقلت: لا أعطيكها، هو أكرم وأشرف من أن يحملني عليها ثم ينتزعها مني. فقال للغلام: دعه يا بني، ذهبت والله لبابة ببغلة مولاك.

إذا أعجزك أن تطرب القرشي

فغنه غناء ابن سريج في شعر ابن أبي ربيعة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، وأخبرنيه الحسن بن علي عن هارون بن الزيات عن حمادٍ عن أبيه قال حدثني عثمان بن حفصٍ الثقفي عن إبراهيم بن عبد السلام بن أبي الحارث عن ابن تيزن المغني قال قال أبو نافع الأسود - وكان آخر من بقي من غلمان ابن سريج -: إذا أعجزك أن تطرب القرشي فغنه غناء ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة فإنك ترقصه. قال: وأبو نافع هذا أحذق غلمان ابن سريج ومن أخذ عنه، وكان أحسن رواته موتاً.

ومنها:

صوت

بليلى وجاراتٍ لليلى كأنها نعاج الملا تحدى بهن الأباعر

أمنقطعٌ يا عز ما كان بيننا وشاجرني يا عز فيك الشواجر

إذا قيل هذا بيت عزة قادني إليه الهوى واستعجلتني البوادر

أصد وبي الجنون لكي يرى رواة الخنا أني لبيتك هاجر

ألا ليت حظي منك يا عز أنني إذا بنت باع الصبر لي عنك تاجر

عروضه من الطويل. الشعر لكثير. والغناء لمعبدٍ ثقيلٌ أول بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو. وفيه لابن سريج لحنٌ أوله: "أصد وبي مثل الجنون" خفيف رملٍ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

ومنها:

صوت

أناخوا فجروا شاصياتٍ كأنها رجالٌ من السودان لم يتسربلوا

فقلت اصبحوني لا أبا لأبيكم وما وضعوا الأثقال إلا ليفعلوا

تمر بها الأيدي سنيجاً وبارحاً وترفع باللهم حي وتنزل

قال: عروضه من الطويل. الشاصيات: الشائلات قوائمها من امتلائها، يعني الزقاق، يقال: شصا يشصو وشصا ببصره إذا رفعه كالشاخص، وأنشد:

وربربٍ خماص يطعن بالصياصي
ينظر من خصاص بأعينٍ شواصي
كفلق الرصاص تسمو إلى القناص

الشعر للأخطل، وذكره يأتي في غير هذا الموضع، من قصيدة يمدح بها خالد بن عبد الله بن أسيد بن أبي العيص بن أمية. والغناء لمالكٍ وله فيه لحنان: أحدهما في الأول والثاني رملٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق، والآخر في الثالث والأول والثاني خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لابن سريج رملٌ بالوسطى عن عمرو. وفيه لابن محرزٍ خفيف ثقيلٍ بالبنصر في مجراها. وفيه رملٌ آخر لإبراهيم عن عمرو أيضاً.

ومنها:

صوت

هل تعرف الرسم والأطلال والدمنا

وذكر الأبيات الثلاثة وقد تقدمت. عروضه من البسيط. الشعر لذي الإصبع العدواني. والغناء لابن عائشة ثاني ثقيلٍ بالبنصر.

ومنه:

صوت

كفى حزناً أن تجمع الدار شملنا

صوت من المائة المختارة

في رواية جحظة

دعي القلب لا يزدد خبالاً مع الذي به منك أو داوي جواه المكتما
ومن كان لا يعدو هواه لسانه فقد حل في قلبي هواك وخيما
وليس بتزويق اللسان وصوغه ولكنه قد خالط اللحم والدما

عروضه من الطويل. الشعر للأحوص، وقيل: إنه لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان. والغناء لمعبدٍ ثقيلٌ أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وذكر يونس أن لمالك لحناً فيه -

أكلثم فكي عانياً بك مغرما وشدي قوى حبلٍ لنا قد تصرما

فإن تسعفيه مرةً بنوالكم فقد طالما لم ينج منك مسلما

كفى حزناً أن تجمع الدار شملنا وأمسي قريباً لا أزورك كلثما

وبعده هذه الأبيات التي مضت.

اتفاق المغنين على تفضيل لحن ابن سريج

"وليس بتزويق اللسان... الخ"

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد وذكر الثقفي عن دحمان قال: تذاكرنا ونحن في المسجد أنا والربيع بن أبي الهيثم الغناء أيه أحسن، فجعل يقول وأقول فلا نجتمع على شيء. فقلت: اذهب بنا إلى مالك بن أبي السمح. فذهبنا إليه فوجدناه في المسجد، فقال: ما جاء بكما؟ فأخبرناه. فقال: قد جرى هذا بيني وبين معبدٍ وقال وقلت، فجاءني معبد يوماً وأنا في المسجد وقال: قد جئتك بشيء لا ترده. فقلت: وما هو؟ قال: لحن ابن سريج:

وليس بتزويق اللسان وصوغه ولكنه قد خالط اللحم والدما

ثم قال لي معبدٌ: أسمعكه؟ قلت: نعم، وأريته أني لم أسمعه قبل، فقال: اسمعه مني؛ فغنى فيه ونحن في المسجد، فما سمعت شيئاً قط أحسن منه، فافترقنا وقد اجتمعنا عليه.

وقرأت في فصلٍ لإبراهيم بن المهدي إلى إسحاق الموصلي. "وكتبت رقعتي هذه وأنا في غمرةٍ من الحمى تصدف عن المفترضات. ولولا خوفي من تشنيعك وتجنيك لم يكن في للإجابة فضلٌ، غير أني قد تكلفت الجواب على ما الله به عالمٌ من صعوبة علتي وما أقاسيه من الحرارة الحادثة بي.

وليس بتزويق اللسان وصوغه ولكنه قد خالط اللحم والدما

تفضيل غناء ابن سريج

على غناء معبد ومالك بن أبي السمح

وقال إسحاق حدثني شيخٌ من موالي المنصور قال: قدم علينا فتيانٌ من بني أمية يريدون مكة، فسمعوا معبداً ومالكاً فأعجبوا بهما، ثم قدموا مكة فسألوا عن ابن سريج فوجدوه مريضاً، فأتوا صديقاً له فسألوه أن يسمعهم

غناءه، فخرج معهم حتى دخلوا عليه. فقالوا: نحن فتيان من قريشٍ، أتيناك مسلمين عليك، وأحببنا أن نسمع منك. فقال: أنا مريضٌ كما ترون. فقالوا: إن الذي نكتفي منك به يسيرٌ - وكان ابن سريج أديباً طاهر الخلق عارفاً بأقدار الناس - فقال: يا جارية، هاتي جلبابي وعودي، فأتته خادمة بخامةٍ فسدلها على وجهه - وكان يفعل ذلك إذا تغنى لقبح وجهه - ثم أخذ العود فغناهم، فأرخى ثوبه على عينيه وهو يغني، حتى إذا اكتوا ألقى عوده وقال: معذرةً. فقالوا: نعم، قد قبل الله عذرك فأحسن الله إليك، ومسح ما بك، وانصرفوا يتعجبون مما سمعوا. فمروا بالمدينة منصرفين، فسمعوا من معبدٍ ومالكٍ، فجعلوا لا يطربون لهما ولا يعجبون بهما كما كانوا يطربون. فقال أهل المدينة: نحلف بالله لقد سمعتم بعدنا ابن سريج! قالوا: أجل! لقد سمعناه فسمعنا ما لم نسمع مثله قط، ولقد نغص علينا ما بعده.

تغني رقطاء الحبطية برمله

في شعر ابن عمارة السلمي

وذكر العتابي أن زكريا بن يحيى حدثه قال حدثني عبد الله بن محمد بن عثمان العثماني عن بعض أهل الحجاز قال: التقى قنديلٌ الجصاص وأبو الجديد بشعب الصفراء، فقال قنديلٌ لأبي الجديد: من أين وإلى أين؟ قال: مررت برقطاء الحبطية رائحةً تترنم برمل ابن سريج في شعر ابن عمارة السلمي:

صوت

سقى مأزمي نجدٍ إلى بئر خالدٍ فوادي نصاع فالقرون إلى عمد

وجادت بروق الرائحات بمزنةٍ تسح شآبيباً بمرتجز الرعد

منازل هندٍ إذ تواصلني بها ليالي تسبيني بمستطرف الود

ينير ظلام الليل من حسن وجهها وتهدي بطيب الريح من جاء من نجد

- الغناء لابن سريج رملٌ بالبنصر عن الهشامي - فزففت خلفها زفيف النعامة، فما انجلت غشاوتي إلا وأنا بالمشاش حسيرٌ، فأودعتها قلبي وخلفته لديها، وأقبلت أهوي كالرخمة بغير قلبٍ. فقال لي قنديلٌ: ما دفع أحدٌ من المزدلفة أسعد منك، سمعت شعر ابن عمارة في غناء ابن سريج من رقطاء الحبطية؛ لقد أوتيت جزءاً من النبوة. قال: وكانت رقطاء هذه من أضرب الناس؛ فدخل رجلٌ من أهل المدينة منزلها فغنته صوتاً. فقال له بعض من حضر: هل رأيت قط أو ترى أفصح من وتر هذه؟ فطرب المدني وقال: علي العهد إن لم يكن وترها من معي

بشكست النحوي، فكيف لا يكون فصيحاً! وبشكست هذا كان نحوياً بالمدينة، وقتل مع الشراة الخارجين مع أبي حمزة صاحب عبد الله بن يحيى الكندي الشاري المعروف بطالب الحق.

غناؤه مخلوق من قلوب الناس جميعاً

قال محمد بن الحسن وحدث عن إسحاق عن أبيه أنه كان يقول: غناء كل مغنٍّ مخلوقٌ من قلب رجلٍ واحد، وغناء ابن سريج مخلوقٌ من قلوب الناس جميعاً. وكان يقول: الغناء على ثلاثة أضرب، فضربٌ ملهٍ مطربٌ يحرك ويستخف، وضربٌ ثانٍ له شجاً ورقةً، وضربٌ ثالثٌ حكمةٌ وإتقان صنعةٍ.

قال: وكل هذا مجموعٌ في غناء ابن سريج.

تغني ابن سلمة الزهري بغنائه

والتقاء ابن سلمة الزهري والأخضر الجدي ببئر الفصح

قال العتابي وحدثني زكريا بن يحيى عن عبد الله بن محمد العثماني قال: ذكر بعض أصحابنا الحجازيين قال: التقى ابن سلمة الزهري والأخضر الجدي ببئر الفصح، فقال ابن سلمة: هل لك في الاجتماع نستمتع بك؟ فقال له الأخضر: لقد كنت إلى ذلك مشتاقاً، قال: فقعدا يتحدثان، فمر بهما أبو السائب، فقال: يا مطربي الحجاز، ألشيءٍ كان اجتماعكما؟ فقالا: لغير موعدٍ كان ذلك، أفتؤنسنا؟ قال: فقعدوا يتحدثون. فلما مضى بعض الليل قال الأخضر لابن سلمة: يا أبا الأزهر، قد ابهار الليل وساعدك القمر، فأوقع بقهقهة ابن سريج وأصب معناك. فاندفع يغني:

صوت

تجنت بلا جرمٍ وصدت تغضباً ... وقالت لتربيها مقالة عاتب

سيعلم هذا أنني بنت حرةٍ ... سأمنع نفسي من ظنونٍ كواذب

فقولي له عنا تنح فإننا ... أبيات فحشٍ طاهرات المناسب

- الغناء لابن سريج ولم يذكر طريقته - قال: فجعل أبو السائب يزفن ويقول: أبشر حبيبي؛ فلأنت أفضل من شهداء قزوين. قال: ثم قال ابن سلمة للأخضر: نعم المساعد على هم الليل أنت! فأوقع بنوح ابن سريج ولا تعد معناك. فاندفع يغني:

صوت

فلما التقينا بالحجون تنفست | تنفس محزون الفؤاد سقيم
وقالت وما يرقا من الخوف دمعها | أقاطنها أم أنت غير مقيم
فإنا غداً تحدى بنا العيس بالضحى | وأنت بما نلقاه غير عليم
فقطع قلبي قولها ثم أسبلت | محاجز عيني دمعها بسجوم

قال: فجعل أبو السائب يتأفف ويقول: أعتق ما أملك إن لم تكن فردوسية الطينة، وإنها بعلمها لأفضل من آسية امرأة فرعون.

تغني الذلفاء بلحن ابن سريج

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال: بلغني أن أبا دهبلٍ الجمحي قال: كنت أنا وأبو السائب المخزومي عند مغنيةٍ بالمدينة يقال لها "الذلفاء"، فغنتنا بشعر جميل بن معمر العذري، واللحن لابن سريج:

صوت

لهن الوجى لم أكن عوناً على النوى | ولا زال منها ظالعٌ وكسير
كأني سقيت السم يوم تحملوا | وجد بهم حادٍ وحان مسير

فقال أبو السائب: يا أبا دهبل، نحن والله على خطرٍ من هذا الغناء، فنسأل الله السلامة وأن يكفينا كل محذور، فما آمن أن يهجم بي على أمرٍ يهتكني. قال: وجعل يبكي.

تأثير غناء ابن سريج في الحاج

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثنا الزبير بن بكار عن بكار بن رباح عن إسحاق بن مقمة عن أمه قالت: سمعت ابن سريج على أخشب منىً غداة النفر وهو يغني:

جدوي الوصل يا قريب وجودي | لمحبٍّ فراقه قد ألما
ليس بين الحياة والموت إلا | أن يردوا جمالهم فترما

- ونسبة هذا الصوت تأتي بعد هذه الأخبار - قالت: فما تشاء أن تسمع من خباءٍ ولا مضربٍ حنيناً ولا أنيناً إلا سمعته.

مذاكرة ابن المهدي وإسحاق في تفضيله

وذكر يوسف بن إبراهيم أنه حضر إسحاق بن إبراهيم الموصلي ليلةً وهو يذاكر إبراهيم بن المهدي، إلى أن قال إسحاق في بعض مخاطبته إياه: هذا صوتٌ قد تمعبد فيه ابن سريج. فقال له إبراهيم: ما ظننت أنك يا أبا محمد مع علمك وتقدمك تقول مثل هذا في ابن سريج، فكيف يجوز أن تقول: تمعبد ابن سريج، وإنما معبدٌ إذا أحسن قال: أصبحت سريجياً! قد أغنى الله ابن سريج عن هذا ورفع قدره عن مثله، وأعيذك بالله أن تستشعر مثله في ابن سريج. قال: فما رأيت إسحاق دفع ذلك ولا أباه، ولا زاد على أن قال: هي كلمةٌ يقولها الناس، لم أقلها اعتقاداً لها فيه، وإنما تكلمت بها على العادة.

اعتراف معبد له بالتفوق أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا محمد بن سلام قال: قال لي شعيب بن صخر: كان معبدٌ إذا غنى فأجاد قال: أنا اليوم سريجي.

كان المغنون يغنون فإذا جاء سكتوا حدثني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن سلام قال حدثنا شعيب بن صخر قال: كان نعمان المغني عندي نازلاً، وكان يغني، وكنت أراه يأتيه قوم. قال أبو عبد الله: فقلت له: فأيهم كان أحذق؟ قال: لا أدري، إلا أنهم كانوا إذا جاء ابن سريج سكتوا.

الأحوص وابن سريج

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال حدثني الهيثم بن عياشٍ قال حدثني عبد الرحمن بن عيينة قال: بينما نحن بمنىً ونحن نريد الغدو إلى عرفات، إذ أتانا الأحوص فقال: أبيت بكم الليلة؟ قلنا: بالرحب والسعة. فلما جنه الليل لم يلبث أن غاب عنا ثم عاد ورأسه يقطر ماءً. قلت: ما لك؟ قال:

صوت

تعرض سلماك لما حرم | ت ضل ضلالك من محرم !

تريد به البر يا ليته | كفافاً من البر والمأثم

- الغناء لابن سريج و لم يجنسه - قال قلت: زنيت ورب الكعبة! قال: قل ما بدا لك. ثم لقي ابن سريج فقال: إني قد قلت بيتين حسنين أحب أن تغنيني بهما. قال: ما هما؟ فأنشده إياهما؛ فغنى بهما من ساعته، ففتن من حضر ممن سمع صوته.

ارتحال جرير إلى مكة ليسمع غناءه

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني إسحاق بن يحيى بن طلحة قال: قدم جرير بن الخطفي المدينة ونحن يومئذٍ شبابٌ نطلب الشعر، فاحتشدنا له ومعنا أشعب. فبينا نحن عنده إذ قام لحاجة وأقمنا لم نبرح.

وجاء الأحوص بن محمد الشاعر من قباء على حمارٍ فقال: أين هذا؟ فقلنا: قام لحاجة، فما حاجتك إليه؟ قال: أريد والله أن أعلمه أن الفرزدق أشعر منه وأشرف. قلنا: ويحك! لا تعرض له وانصرف، فانصرف وخرج. فجاء جريرٌ فلم يكن بأسرع من أن أقبل الأحوص الشاعر فأقبل عليه، فقال: السلام عليك يا جرير. قال جريرٌ: وعليك السلام. فقال الأحوص: يابن الخطفى، الفرزدق أشرف منك وأشعر. قال جريرٌ: من هذا أخزاه الله! قلنا: الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح. فقال: نعم! هذا الخبيث ابن الطيب، أأنت القائل:

يقر بعيني ما يقر بعينها وأحسن شيءٍ ما به العين قرت

قال نعم. قال: فإنه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر، أفيقر ذلك بعينك؟! قال: وكان الأحوص يرمى بالحلاق فانصرف، فبعث إليهم بتمرٍ وفاكهة. وأقبلنا على جرير نسائله، وأشعب عند الباب وجريرٌ في مؤخر البيت، فألح عليه أشعب يسأل. فقال: والله إني لأراك أقبحهم وجهاً وأراك ألأمهم حسباً؛ فقد أبرمتني منذ اليوم. قال: إني والله أنفعهم وخيرهم لك. فانتبه جريرٌ وقال: ويحك! كيف ذاك؟ قال: إني أملح شعرك وأجيد مقاطعه ومبادئه. فقال: قل، ويحك! فاندفع أشعب فنادى بلحن ابن سريجٍ:

يا أخت ناجية السلام عليكم قبل الرحيل وقبل عدل العذل

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

فطرب جريرٌ وجعل يزحف نحوه حتى ألصق بركبته ركبته، وقال: لعمري لقد صدقت، إنك لأنفعهم لي وقد حسنته وأجدته وزينته، أحسنت والله، ثم وصله وكساه. فلما رأينا إعجاب جرير بذلك الصوت، قال له بعض أهل المجلس: فكيف لو سمعت واضع هذا الغناء؟ قال: أو إن له لواضعاً غير هذا؟ فقلنا نعم. قال: فأين هو؟ قلنا: بمكة قال: فلست بمفارقٍ حجازكم حتى أبلغه. فمضى ومضى معه جماعةٌ ممن يرغب في طلب الشعر في صحابته وكنت فيهم، فأتيناه جميعاً، فإذا هو في فتيةٍ من قريشٍ كأنهم المها مع ظرفٍ كثيرٍ، فأدنوا ورحبوا وسألوا عن الحاجة، فأخبرناهم الخبر، فرحبوا بجرير وأدنوه وسروا بمكانه، وأعظم عبيد بن سريج موضع جرير وقال: سل ما تريد جعلت فداءك! قال: أريد أن تغنيني لحناً سمعته بالمدينة أزعجني إليك. قال: وما هو؟ قال:

يا أخت ناجية السلام عليكم قبل الرحيل وقبل عذل العذل

فغناه ابن سريج وبيده قضيبٌ يوقع به وينكت، فوالله ما سمعت شيئاً قط أحسن من ذلك. فقال جرير: "لله دركم" يا أهل مكة، ما أعطيتم! والله لو أن نازعاً نزع إليكم ليقيم بين أظهركم فيسمع هذا صباح مساء لكان أعظم الناس حظاً ونصيباً، فكيف ومع هذا بيت الله الحرام، ووجوهكم الحسان، ورقة ألسنتكم، وحسن شارتكم، وكثرة فوائدكم! أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن جده إبراهيم قال:

الوليد بن عبد الملك وابن سريج

كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة أن أشخص إلي ابن سريج، فأشخصه. فلما قدم مكث أياماً لا يدعو به ولا يلتفت إليه. قال: ثم إنه ذكره، فقال: ويلكم! أين ابن سريج؟ قالوا: هو حاضرٌ. قال: علي به. فقالوا: أجب أمير المؤمنين. فتهيأ ولبس وأقبل حتى دخل عليه فسلم. فأشار إليه أن اجلس، فجلس "بعيداً ". فاستدناه "فدنا " حتى كان منه قريباً، وقال: ويحك يا عبيد! لقد بلغني عنك ما حملني على الوفادة بك من كثرة أدبك وجودة اختيارك مع ظرف لسانك وحلاوة مجلسك. فقال: جعلت فداءك يا أمير المؤمنين! "تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه". قال الوليد: إني لأرجو ألا تكون أنت ذاك، ثم قال: هات ما عندك. فاندفع ابن سريج فغنى بشعر الأحوص:

أمنزلتي سلمى على القدم اسلما فقد هجتما للشوق قلباً متيما
وذكرتما عصر الشباب الذي مضى وجدة وصلٍ حبله قد تجذما
وإني إذا حلت ببيشٍ مقيمةً وحل بوج جالساً أو تتهما
يمانيةٌ شطت فأصبح نفعها رجاءً وظنا بالمغيب مرجما
أحب دنو الدار منها وقد أبى بها صدع شعب الدار إلا تثلما
بكاها وما يدري سوى الظن من بكى أحياً يبكى أم تراباً وأعظما
فدعها وأخلف للخليفة مدحةً تزل عنك بؤس أو تفيدك أنعما
فإن بكفيه مفاتيح رحمةٍ وغيث حياً يحيا به الناس مرهما
إمامٌ أتاه الملك عفواً ولم يثب على ملكه مالاً حراماً ولا دما
تخيره رب العباد لخلقه ولياً وكان الله بالناس أعلما
فلما قضاه الله لم يدع مسلماً لبيعته إلا أجاب وسلما
ينال الغنى والعز من نال وده ويرهب موتاً عاجلاً من تشأما

فقال الوليد: أحسنت والله وأحسن الأحوص! علي بالأحوص. ثم قال: يا عبيد هيه! فغناه بشعر عدي بن الرقاع العاملي يمدح الوليد:

صوت

طار الكرى وألم الهم فاكتنعا وحيل بيني وبين النوم فامتنعا
كان الشباب قناعاً أستكن به وأستظل زماناً ثمت انقشعا
فاستبدل الرأس شيباً بعد داجيةٍ فينانةٍ ما ترى في صدغها نزعا

فإن تكن ميعةٌ من باطلٍ ذهبت | وأعقب الله بعد الصبوة الورعا
فقد أبيت أراعي الخود راقدةً | على الوسائد مسروراً بها ولعا
براقة الثغر تشفي القلب لذتها | إذا مقبلها في ريقها كرعا
كالأقحوان بضاحي الروض صبحه | غيث أرش بتنضاحٍ وما نقعا

صلى الذي الصلوات الطيبات له | والمؤمنون إذا ما جمعوا الجمعا
على الذي سبق الأقوام ضاحيةً | بالأجر والحمد حتى صاحباه معا
هو الذي جمع الرحمن أمته | على يديه وكانوا قبله شيعا
عذنا بذي العرش أن نحيا ونفقده | وان نكون لراعٍ بعده تبعا
إن الوليد أمير المؤمنين له | ملكٌ عليه أعان الله فارتفعا
لا يمنع الناس ما أعطى الذين هم | له عبادٌ ولا يعطون ما منعا

فقال له الوليد: صدقت يا عبيد! أنى لك هذا؟ قال: هو من عند الله. قال الوليد: لو غير هذا قلت لأحسنت أدبك. قال ابن سريج: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. قال الوليد: يزيد في الخلق ما يشاء. قال ابن سريج: هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر. قال الوليد: لعلمك والله أكبر وأعجب إلي من غنائك! غني. فغناه بشعر عدي بن الرقاع العاملي يمدح الوليد:

عرف الديار توهماً فاعتادها | من بعد ما شمل البلى أبلادها
ولرب واضحة العوارض طفلةٍ | كالريم قد ضربت بها أوتادها
إني إذا ما لم تصلني خلتي | وتباعدت مني اغتفرت بعادها
صلى الإله على امرىءٍ ودعته | وأتم نعمته عليه وزادها
وإذا الربيع تتابعت أنواؤه | فسقى خناصرة الأحص فجادها
نزل الوليد بها فكان لأهلها | غيثاً أغاث أنيسها وبلادها
أولا ترى أن البرية كلها | ألقت خزائمها إليه فقادها
ولقد أراد الله إذ ولاكها | من أمةٍ إصلاحها ورشادها
أعمرت أرض المسلمين فأقبلت | وكففت عنها من يروم فسادها
وأصبت في أرض العدو مصيبةً | عمت أقاصي غورها ونجادها

ظفراً ونصراً ما تناول مثله أحدٌ من الخلفاء كان أرادها
فإذا نشرت له الثناء وجدته جمع المكارم طرفها وتلادها

فأشار الوليد إلى بعض الخدم، فغطوه بالخلع ووضعوا بين يديه كيساً من الدنانير وبدراً من الدراهم، ثم قال الوليد بن عبد الملك: يا مولى بني نوفل بن الحارث، لقد أوتيت أمراً جليلاً. فقال ابن سريج: يا أمير المؤمنين! لقد آتاك الله ملكاً عظيماً وشرفاً عالياً، وعزاً بسط يدك فيه فلم يقبضه عنك ولا يفعل إن شاء الله. فأدام الله لك ما ولاك، وحفظك فيما استرعاك، فإنك أهلٌ لما أعطاك، ولا نزعه منك إذ رآك له موضعاً. قال: يا نوفلي، وخطيبٌ أيضاً! قال ابن سريج: عنك نطقت، وبلسانك تكلمت، وبعزك بينت. وقد كان أمر بإحضار الأحوص بن محمد الأنصاري وعدي بن الرقاع العاملي. فلما قدما عليه أمر بإنزالهما حيث ابن سريج، فأنزلا متزلاً إلى جنب ابن سريج. فقالا: والله لقرب أمير المؤمنين كان أحب إلينا من قربك يا مولى بني نوفلٍ، وإن في قربك لما يلذنا ويشغلنا عن كثيرٍ مما نريد. فقال لهما ابن سريج: أو قلة شكرٍ! فقال له عدي: كأنك يابن اللخناء تمن علينا! علي وعلي إن جمعنا وإياك سقف بيتٍ أو صحن دارٍ "إلا " عند أمير المؤمنين. وأما الأحوص فقال: أو لا تحتمل لأبي يحيى الزلة والهفوة! وكفارة يمين خيرٌ من عدم المحبة، وإعطاء النفس سؤلها خيرٌ من لجاجٍ في غير منفعة! فتحول عدي، وبقي عنده الأحوص. وبلغ الوليد ما جرى بينهم، فدعا ابن سريج وأدخله بيتاً وأرخى دونه ستراً، ثم أمره إذا فرغ الأحوص وعدي من كلمتيهما أن يغني. فلما دخلا وأنشداه مدائح فيه، رفع ابن سريج صوته من حيث لا يرونه وضرب بعوده. فقال عدي: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي أن أتكلم؟ فقال: قل يا عاملي. قال: أمثل هذا عند أمير المؤمنين، ويبعث إلى ابن سريج يتخطى به رقاب قريشٍ والعرب من تهامة إلى الشأم، ترفعه أرضٌ وتخفضه أخرى فيقال: من هذا. فيقال: عبيد بن سريج مولى بني نوفلٍ بعث أمير المؤمنين إليه، ليسمع غناءه! فقال: ويحك يا عدي! أو لا تعرف هذا الصوت؟ قال: لا، والله ما سمعته قط ولا سمعت مثله حسناً، ولولا أنه في مجلس أمير المؤمنين لقلت: طائفةٌ من الجن يتغنون. فقال: اخرج عليهم، فخرج فإذا ابن سريج. فقال عدي: حق لهذا أن يحمل! حق لهذا أن يحمل! - ثلاثاً - ثم أمر لهما بمثل ما أمر به لابن سريج، وارتحل القوم. وكان الذي غناه ابن سريج من شعر عمر بن أبي ربيعة:

بالله يا ظبي بني الحارث هل من وفى بالعهد كالناكث
لا تخدعني بالمنى باطلاً وأنت بي تلعب كالعابث
حتى متى أنت لنا هكذا نفسي فداءٌ لك يا حارثي
يا منتهى همي ويا منيتي ويا هوى نفسي ويا وارثي

عتاب الناس له في صنعة الغناء

ثم رجوعهم بعد أن يسمعوا صوته

قال: وبلغني أن رجلاً من الأشراف من قريش من موالي ابن سريج عاتبه يوماً على الغناء وأنكره عليه، وقال له: لو أقبلت على غيره من الآداب لكان أزين بمواليك وبك! فقال: جعلت فداك! امرأته طالقٌ إن أنت لم تدخل الدار. فقال الشيخ: ويحك! ما حملك على هذا؟ قال: جعلت فداك قد فعلت. فالتفت النوفلي إلى بعض من كان معه متعجباً مما فعل. فقال له القوم: قد طلقت امرأته إن أنت لم تدخل الدار. فدخل ودخل القوم معه. فلما توسطوا الدار قال: امرأته طالقٌ إن أنت لم تسمع غنائي. قال: اغرب عني يا لكع! ثم بدر الشيخ ليخرج. فقال له أصحابه: أتطلق امرأته وتحمل وزر ذلك؟! قال: فوزر الغناء أشد. قالوا: كلا! ما سوى الله عز وجل بينهما. فأقام الشيخ مكانه. ثم اندفع ابن سريج يغني في شعر عمر بن أبي ربيعة في زينب:

أليست بالتي قالت لمولاةٍ لها ظهرا

أشيري بالسلام له إذا هو نحونا خطرا

وقولي في ملاطفةٍ لزينب نولي عمرا

أهذا سحرك النسوا ن قد خبرنني الخبرا

فقال للجماعة: هذا والله حسن! ما بالحجاز مثله ولا في غيره. وانصرفوا.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال: قال عبد الله بن عمير الليثي لابن سريج: لو تركت الغناء! وعاتبه على ذلك. فقال: جعلت فداك! لو سمعته ما تركته. ثم قال: امرأته طالقٌ ثلاثاً إن لم تدخل الدار حتى تسمع غنائي. فالتفت عبد الله إلى رفيقٍ له كان معه فقال: ما تنتظر؟ ادخل بنا وإلا طلقت امرأة الرجل. فدخلا مع ابن سريج، فغنى بشعر الأحوص:

صوت

لقد شاقك الحي إذ ودعوا فعينك في إثرهم تدمع

وناداك للبين غربانه فظلت كأنك لا تسمع

ثم قال: امرأته طالقٌ إن أنت لم تستحسنه لأتركنه. فتبسم عبد الله وخرج.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات منها: الصوت الذي أوله في الخبر:

جددي الوصل يا قريب وجودي

أوله:

صوت

إن طيف الخيال حين ألما | هاج لي ذكرةً وأحدث هما
جددي الوصل يا قريب وجودي | لمحبٍّ فراقه قد ألما
ليس بين الحياة والموت ألا | أن يردوا جمالهم فتزما
ولقد قلت مخفياً لغريضٍ | هل ترى ذلك الغزال الأحما
هل ترى مثله من الناس شخصاً | أكمل الناس صورةً وأتما

عروضه من الخفيف. الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج ثقيلٌ أول بالوسطى عن الهشامي. وفيه للغريض أيضاً ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير قال: أنشد جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين قول عمر:

ليس بين الحياة والموت إلا | أن يردوا جمالهم فتزما

فطرب وارتاح وجعل يقول: لقد عجلوا البين، أفلا يوكون قربةً! أفلا يودعون صديقاً! أفلا يشدون رحلاً! حتى جرت دموعه.

وحدثنا الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير فذكر مثله.

ومنها:

صوت

يا أخت ناجية السلام عليكم | قبل الرحيل وقبل عذل العذل
لو كنت أعلم أن آخر عهدكم | يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

عروضه من الكامل. الشعر لجرير. والغناء لابن سريج ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن ابن المكي، وذكره إسحاق في هذه الطريقة و لم ينسبه إلى أحد. وفيه للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكي أيضاً. ومما يشك فيه أنه لمعبدٍ أو لكردمٍ ابنه في البيت الثاني والأول ثاني ثقيلٍ. ولعريب في هذين البيتين لحن من رواية ابن المعتز غير مجنس.

ومنها:

صوت

أمنزلتي سلمى على القدم أسلما فقد هجتما للشوق قلباً متيما

وذكرتما عصر الشباب الذي مضى وجدة وصلٍ حبله قد تجذما

عروضه من الطويل. والشعر للأحوص. والغناء لكردمٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطى، وقيل: إن هذا الثقيل الثاني لمحمد الرف، وإن فيه لحناً من الثقيل الأول لكردمٍ.

ومنها:

صوت

عرف الديار توهماً فاعتادها من بعد ما شمل البلى أبلادها

إلا رواكد كلهن قد اصطلى حمراء أكثر أهلها إيقادها

عروضه من الكامل. الشعر لعدي بن الرقاع العاملي. والغناء لابن محرز ثقيلٌ أول مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لمالكٍ ثقيلٌ أول بالبنصر عن عمرٍو. وفيه لحنٌ لإبراهيم، وفي هذه الأخبار أنه لابن سريج، وذكر حماد في كتاب ابن محرزٍ أنه مما ينسب إلى ابن مسجح، أو إلى ابن محرزٍ.

ومنها:

صوت

بالله يا ظبي بني الحارث هل من وفى بالعهد كالناكث

لا تخدعني بالمنى باطلاً وأنت بي تلعب كالعابث

عروضه من السريع. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج ولحنه خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى، وذكر عمرو بن بانة أنه لسياطٍ. وذكر الهشامي وبذل أن فيه لإبراهيم الموصلي لحناً آخر. وفيه خفيف رملٍ بالبنصر ذكر حبشٌ أنه لإبراهيم بن المهدي، وغيره ينسبه إلى إسحاق.

ومنها:

صوت

- وهو الذي أوله في الخبر:

أليست بالتي قالت لمولاةٍ لها ظهرا

تصابى القلب فادكرا هواه ولم يكن ظهرا

لزينب إذ تجد لنا صفاء لم يكن كدرا

ألیست بالتي قالت | لمو لاةٍ لها ظهرا
أشیر ي بالسلام له | إذا هو نحونا نظرا
وقولي في ملاطفةٍ | لزینب نولي عمرا
فهزت رأسها عجباً | وقالت من بذا أمرا
أهذا سحرك النسوا | ن قد خبرنني الخبرا
طربت ورد من تهوى | جمال الحي فابتكرا
فقل للبربرية لا | تلومي القلب إن جهرا
بطرت وهكذا الإنسا | ن ذو بطرٍ إذا ظفرا
فأین العهد والمیثا | ق لا تخبر بنا بشرا

عروضه من الوافر. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج في الثالث والرابع والخامس والأول خفيف ثقيلٍ أول مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وللغريض في السابع والثامن والأول لحنٌ من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالوسطى في مجراها عن إسحاق. ولمعبدٍ في هذا الأبيات كلها لحنٌ عن يونس ودنانير ولم يجنساه، وذكر الهشامي أنه خفيف ثقيلٍ. وفي السابع والثامن والتاسع رملٌ لدحمان، ويقال إنه للزبير ابنه ولمالكٍ لحنٌ أوله:

صوت

لقد أرسلت جاريتي | وقلت لها خذي حذرك
وقولي في ملاطفةٍ | لزینب نولي عمرك
فهزت رأسها عجباً | وقالت من بذا أمرك
أهذا سحرك النسوا | ن قد خبرنني خبرك

ولحن مالك هذا خفيف ثقيلٍ بالوسطى من رواية ابن المكي. وهذا يروي الشعر ويجعل قوافيه كلها على الكاف. وفي هذا الأبيات بعينها على هذا القافية خفيف رملٍ ينسب إلى ابن سريج وإلى الغريض. وذكر حبشٌ أن فيه لمعبد لحناً من الرمل أوله الثالث من الأبيات الأول المذكورة.

رجع الخبر إلى أحاديث ابن سريج

ابن سريج أحسن الناس غناء

أخبرنا يحيى بن علي ووكيعٌ وجحظة قالوا: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: قال لي الفضل بن يحيى: سألت أباك ليلةً وقد أخذ منه الشراب عن أحسن الناس غناءً، فقال لي؛ من النساء أم من الرجال؟ قلت: من الرجال. قال: ابن محرز. فقلت: فمن النساء؟ قال: ابن سريج، قال إسحاق لي: ويقال أحسن الرجال غناءً من تشبه بالنساء، وأحسن النساء غناءً من تشبه بالرجال. قال يحيى بن علي خاصة: ثم كان ابن سريج كأنه خلق من قلب كل واحد، فهو يغني له بما يشتهي.

ابن سريج ببعض أندية مكة

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد: قرأت على أبي عن الهيثم بن عدي قال: قال ابن سريج: مررت ببعض أندية مكة وفيه جماعةٌ، فحضرت فقلت: كيف أجوزهم مع تعبي وما أنا فيه! فسمعتهم يقولون: قد جاء ابن سريج، فقال بعضهم ممن لم يعرفني: ومن ابن سريج؟ فقال: الذي يغني:

ألا هل هاجك الأظعا ... ن إذ جاوزن مطلحا

قال ابن سريج: فلما سمعت ذلك قويت نفسي واشتدت منتي، ومررت بهم أخطر في مصبغاتي. فلما حاذيتهم قاموا بأجمعهم فسلموا علي، ثم قالوا لأحداثهم: امشوا مع أبي يحيى.

ابن سريج مع فتية من بني مروان

وقد حدثني عمي بهذا الخبر فقال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني محمد بن سلام عن جرير قال: قال لي ابن سريج: دعاني فتيةٌ من بني مروان، فدخلت إليهم وأنا في ثياب الحجاز الغلاظ الجافية، وهم في القوهي والوشي يرفلون كأنهم الدنانير الهرقلية، فغنيتهم وأنا محتقرٌ لنفسي عندهم لحناً لي، وهو:

صوت

أبا لفرع لم تظعن مع الحي زينب ... بنفسي عن النأي الحبيب المغيب
بوجهك عن مس التراب مضنةٌ ... فلا تبعدي إذ كل حي سيعطب

- ولحن ابن سريج هذا رملٌ بالخنصر في مجرى البنصر - قال: فتضاءلوا في عيني حتى ساويتهم في نفسي لما رأيتهم عليه من الإعظام لي. ثم غنيتهم:

ودع لبابة قبل أن تترحلا ... واسأل فإن قلاله أن تسألا

فطربوا وعظموني وتواضعوا لي، حتى صرت في نفسي بمنزلتهم لما رأيتهم عليه، وصاروا في عيني بمنزلتي. ثم غنيتهم:

ألا هل هاجك الأظعا ن إذ جاوزن مطلحا

فطربوا ومثلوا بين يدي ورموا بحللهم كلها حتى غطوني بها، فمثلت لي نفسي أنها نفس الخليفة وأنهم لي خولٌ، فما رفعت طرفي إليهم بعد ذلك تيهاً. وقد مضت نسبة "ودع لبابة" في أخبار عمر بن أبي ربيعة وغيره. وأما:

ألا هل هاجك الأظعا ن......

فنذكر نسبته: نسبة هذا الصوت

صوت

ألا هل هاجك الأظعا ن إذ جاوزن مطلحا

نعم ولو شك بينهم جرى لك طائرٌ سنحا

أجزن الماء من رككٍ وضوء الفجر قد وضحا

فقلن مقيلنا قرنٌ نباكر ماءه صبحا

تبعتهم بطرف العي ن حتى قيل لي افتضحا

يودع بعضنا بعضاً وكلٌ بالهوى جرحا

فمن يفرح بينهم فغيري إذ غدوا فرحا

عروضه من الوافر. الشعر لأبي دهبلٍ الجمحي. والغناء لمالكٍ وله فيه لحنان: ثقيلٌ أول بالبنصر عن إسحاق، وخفيف ثقيلٍ بالوسطى "عن عمرو. ولمعبد فيه ثقيلٌ أول بالخنصر في مجرى الوسطى". ولابن سريج في الخامس وما بعده ثقيلٌ أول مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حبشٍ.

مدح جرير الشاعر لغناء ابن سريج

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قدم جريرٌ المدينة أو مكة فجلس مع قومٍ، فجعلوا يعرضون عليه غناء رجلٍ رجلٍ من المغنين، حتى غنوه لابن سريج، فطرب وقال: هذا أحسن ما أسمعتموني من الغناء كله. قالوا: وكيف قلت ذاك يا أبا حزرة؟ قال: مخرج كل ما أسمعتموني من الغناء من الرأس، ومخرج هذا من الصدر.

غناء رقطاء الحبطية وصفراء العلقمية

وتحكيم الأفلح المخزومي في ذلك

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أبي قال حدثني إبراهيم بن محمد الشافعي قال: جاء سندة الخياط المغني إلى الأفلح المخزومي - وكان يوصف بعقلٍ وفضلٍ - فقال له: من أين أقبلت؟ وإلى أين تمضي؟ فقال: إليك قصدت من مجلسٍ لبعض القرشيين أقبلت محاكماً إليك. قال: فيماذا؟ قال: كنت عند هذا الرجل وحضرت مجلسه رقطاء الحبطيين، وصفراء العلقميين، فتناولتا بينهما رمل ابن سريج:

ليت شعري كيف أبقى ساعةً — مع ما ألقى إذا الليل حضر

من يذق نوماً ويهدأ ليله — فلقد بدلت بالنوم السهر

قلت مهلاً إنها جنيةٌ — إن نخالطها تفز منها بشر

فغنتاه جميعاً، واختلفتا في تفضيلهما، ففضل كل فريقٍ منا إحداهما، فرضينا جميعاً بحكمك، فاحكم بيننا وبينهما. قال: فوجم ساعةً - وأهل الحجاز إذا أرادوا أن يحكموا تأملوا ساعةً ثم حكموا، فإذا حكم المحكم مضى حكمه كائناً ما كان، ففضل من فضله وأسقط من أسقطه، إذا تراضى الخصمان به - فكره الأفلح أن يرضي قوماً ويسخط آخرين، فقال لسندة: صفهما أنت لي كيف كانتا إذ غنتاه واشرح لي مذهبهما فيه كما سمعت، وأنا أحكم بعد ذلك. فقال: سندة أما جارية الحبطيين، فإنها كانت تلوك لحنه كما يلوك الفرس العتيق لجامه، ثم تلقيه في هامةٍ لدنة ثم تخرجه من منخر أغن، والله ما ابتدأته فتوسطته وأنا أعقل، ولا فرغت منه فأفقت إلا وأنا أظن أني رأيته في نومي. وأما صفراء العلقميين، فإنها أحسنهما حلقاً، وأصحهما صوتاً، وألينهما تثنياً، والله ما سمعها أحدٌ قط فانتفع بنفسه ولا دينه. هذا ما عندي، فاحكم أنت يا أخا بني مخزومٍ. فقال: قد حكمت بأنهما بمنزلة العينين في الرأس، فبأيهما نظرت أبصرت، ولو كان في الدنيا من عبيد بن سريج خلفٌ لكانتا. قال: فانصرفوا جميعاً راضين بحكمه.

ثناء جرير المديني على ابن سريج

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام قال: سألت جرير المديني عن ابن سريج، فقال: أتذكره ويحك باسمه، ولا تقول: سيد من غنى وواحد من ترنم!

ثناء الشعبي عليه

قال حماد وحدثني أبي عن هارون بن مسلم عن محمد بن زهير السعدي الكوفي عن أبي بكر بن عياش عن الحسن بن عمرو الفقيمي قال: دخلت على الشعبي، فبينا أنا عنده في غرفته، إذ سمعت صوت غناء، فقلت: أهذا في جوارك؟ فأشرف بي على منزله، فإذا بغلامٍ كأنه فلقة قمرٍ وهو يتغنى - قال إسحاق: وهذا الغناء لابن سريج -:

وقميرٌ بدا ابن خمسٍ وعشري — ن له قالت الفتاتان قوما

قال: فقال لي الشعبي: أتعرف هذا؟ قلت لا. فقال: هذا الذي أوتي الحكم صبياً، هذا ابن سريج.

ثناؤه على نفسه في تغنيه بشعر لعمر

وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبو أيوب المديني قال: حدثني الهشامي الربعي عن إسحاق الموصلي قال: تغنى ابن سريج في شعرٍ لعمر بن أبي ربيعة وهو:

صوت

خانك من تهوى فلا تخنه ... وكن وفياً إن سلوت عنه

واسلك سبيل وصله وصنه ... إن كان غداراً فلا تكنه

عسى تباريح تجيء منه ... فيرجع الوصل ولم تشنه

قال المكيون: قال ابن سريج: ما تغنين بهذا الشعر قط إلا ظننت أني أحل محل الخليفة.

قال مؤلف هذا الكتاب أبو الفرج الأصفهاني: وجدت في هذا الشعر لحنين - أحدهما ثقيلٌ أول والآخر رملٌ - مجهولين جميعاً، فلا أدري أيهما لحنه.

وصفه للمصيب المحسن من المغنين

ونسخت من كتاب العتابي: أخبرني عون بن محمد قال حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع عن جده الفضل عن ابن جامع عن سياط عن يونس الكاتب عن مالك بن أبي السمح قال: سألت ابن سريج عن قول الناس: فلان يصيب وفلان يخطىء، وفلان يحسن وفلان يسيء؛ فقال: المصيب المحسن من المغنين هو الذي يشبع الألحان، ويملأ الأنفاس، ويعدل الأوزان، ويفخم الألفاظ، ويعرف الصواب، ويقيم الإعرب، ويستوفي النغم الطوال، ويحسن مقاطيع النغم القصار، ويصيب أجناس الإيقاع، ويختلس مواقع النبرات، ويستوفي ما يشاكلها في الضرب من النقرات. فعرضت ما قال على معبدٍ، فقال: لو جاء في الغناء قرآنٌ ما جاء إلا هكذا.

يزيد بن عبد الملك ومولى حبابة المغنية

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثني الزبير بن بكار عن ظبية: أن يزيد بن عبد الملك قال لحبابة يوماً: أتعرفين أحداً هو أرب مني؟ قالت: نعم، مولاي الذي باعني. فأمر بإشخاصه فأشخص إليه مقيداً، وأعلم بحاله فأذن في إدخاله، فمثل بين يديه وحبابة ولاسمة تغنيان؛ فغنته سلامة لحن الغريض في:

تشط غداً دار جيراننا

فطرب وتحرك في أقياده. ثم غنته حبابة لحن ابن سريج المجرد في هذا الشعر، فوثب وجعل يحجل في قيده ويقول: هذا وأبيكما ما لا تعذلاني فيه، حتى دنا من الشمعة فوضع لحيته عليها فاحترقت، وجعل يصيح: الحريق الحريق يا أولاد الزنا. فضحك يزيد وقال: هذا والله أطرب الناس حقاً، ووصله وسرحه إلى بلده.

سماع عطاء وابن جريج لغناء ابن سريج

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا فضلٌ اليزيدي عن إسحاق: أن ابن سريج كان جالساً فمر به عطاءٌ وابن جريج، فحلف عليهما بالطلاق أن يغنيهما، على أنهما إن نهياه عن الغناء بعد أن يسمعا منه تركه. فوقفا له وغناهما:

إخوتي لا تبعدوا أبداً		وابلى والله قد بعدوا

فغني على ابن جريج، وقام عطاء فرقص. ونسبة هذا الصوت وخبره يذكر في موضعٍ آخر.

غناؤه ووقفة الحاج لاستماعه

عند بستان ابن عامر

أخبرني الحسن قال حدثنا الفضل عن إسحاق: أن ابن سريج كان عند بستان ابن عامرٍ يغني:

لمن نارٌ بأعلى الخي		ف دون البئر ما تخبو

أرقت لذكر موقعها		فحن لذكرها القلب

إذا ما أخمدت ألقي		عليها المندل الرطب

فجعل الحاج يركب بعضهم بعضاً، حتى جاء إنسانٌ من آخر القطرات فقال: يا هذا! قد قطعت على الحاج وحبستهم، والوقت قد ضاق، فاتق الله وقم عنهم! فقام وسار الناس.

استحقاق ابن سريج لجائزة سليمان

أخبرني الحسن قال حدثني محمد بن زكريا قال حدثني يزيد بن محمد عن إسحاق الموصلي: أن سليمان بن عبد الملك لما حج سبق بين المغنين بدرة. فجاء ابن سريج وقد أغلق الباب، فلم يأذن له الحاجب، فأمسك حتى سكتوا وغنى:

سرى همي وهم المرء يسري

فأمر سليمان بدفع البدرة إليه.

نسبة هذا الصوت

صوت

سرى همي وهم المرء يسري ... وغاب النجم إلا قيس فتر
أراقب في المجرة كل نجمٍ ... تعرض للمجرة كيف يجري
لهم لا أزال له مديماً ... كأن القلب أسعر حر جمر
على بكرٍ أخي ولى حميداً ... وأي العيش يصفو بعد بكر

الشعر لعروة بن أذينة، والغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى، وفيه لأبي عباد رملٌ بالوسطى، وذكر الهشامي أن هذا اللحن لصاحب الحرون.

وفاة ابن سريج في خلافة سليمان

ابن عبد الملك أو في آخر خلافة الوليد

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قال ابن مقمة: دخلت على ابن سريج في مرضه الذي مات فيه، فقلت: كيف أصبحت يا أبا يحيى؟ فقال: أصبحت والله كما قال الشاعر:

كأني من تذكر ما ألاقي ... إذا ما أظلم الليل البهيم
سقيمٌ مل منه أقربوه ... وأسلمه المداوي والحميم

ثم مات.

قال إسحاق: قال ابن مقمة: لما احتضر ابن سريج نظر إلى ابنته تبكي فبكى، وقال: إن من أكبر همي أنت، وأخشى أن تضيعي بعدي. فقالت: لا تخف؛ فما غنيت شيئاً إلا وأنا أغنيه. فقال: هاتي. فاندفعت تغني أصواتاً وهو مصغٍ إليها، فقال: قد أصبت ما في نفسي، وهونت علي أمرك. ثم دعا سعيد بن مسعود الهذلي فزوجه إياها؛ فأخذ عنها أكثر غناء أبيها وانتحله؛ فهو الآن ينسب إليه. قال إسحاق: فقال كثير بن كثير السهمي يرثيه:

ما اللهو بعد عبيدٍ حين يخبره ... من كان يلهو به منه بمطلب
لله قبر عبيدٍ ما تضمن من ... لذاذة العيش والإحسان والطرب
لولا الغريض ففيه من شمائله ... مشابهةٌ لم أكن فيها بذي أرب

قال إسحاق: وحدثني هشام بن المرية أن قادماً قدم المدينة فسار معبداً بشيء، فقال معبدٌ: أصبحت أحسن الناس غناءً. فقلنا: أو لم تكن كذلك؟ فقال: ألا تدرون ما أخبرني به هذا؟ قالوا لا. قال: أعلمني أن عبيد بن سريج مات، و لم أكن أحسن الناس غناءً وهو حيٌّ. وفي ابن سريج يقول عمر بن أبي ربيعة:

صوت

قالت وعيناها تجودانها	صوحبت والله لك الراعي
يابن سريج لا تذع سرنا	قد كنت عندي غير مذياع

غنى فيه ابن سريج من رواية يونس.

قال أبو أيوب المديني: توفي ابن سريج بالعلة التي أصابته من الجذام بمكة، في خلافة سليمان بن عبد الملك أو في آخر خلافة الوليد، بمكة ودفن في موضع بها يقال له دسمٌ.

وقفة على قبر ابن سريج بدسم أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني هارون بن أبي بكرٍ قال حدثني إسحاق بن يعقوب العثماني مولى آل عثمان عن أبيه قال: إنا لبفناء دار عمرو بن عثمان بالأبطح في صبح خامسةٍ من الثمان - يعني أيام الحج - قال: كنت جالساً أيام الحج، فما إن دريت إلا برجلٍ على راحلةٍ على رحلٍ جميلٍ وأداةٍ حسنة، معه صاحبٌ له على راحلةٍ قد جنب إليها فرساً وبغلاً، فوقفا علي وسألاني، فانتسبت لهما عثمانياً. فترلا وقالا: رجلان من أهلك لهما حاجةٌ ونحب أن تقضيها قبل أن نشده بأمر الحج. فقلت ما حاجتكما؟ قالا: نريد إنساناً يقفنا على قبر عبيد بن سريج. قال: فنهضت معهما حتى بلغت بهما محلة بني أبي قارة من خزاعة بمكة، وهم موالي عبيد بن سريج، فالتمست لهما إنساناً يصحبهما حتى يقفهما على قبره بدسم، فوجدت ابن أبي دباكلٍ فأنهضته معهما. فأخبرني بعد: أنه لما وقفهما على قبره نزل أحدهما عن راحلته فحسر عمامته عن وجهه، فإذا هو عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان، فعقر ناقته واندفع يندب بصوتٍ شجي كليلٍ حسنٍ ويقول:

وقفنا على قبرٍ بدسمٍ فهاجنا	وذكرنا بالعيش إذ هو مصحب
فجالت بأرجاء الجفون سوافحٌ	من الدمع تستتلي الذي يتعقب
إذا أبطأت عن ساحة الخد ساقها	دمٌ بعد دمعٍ إثره يتصبب
فإن تسعدا نندب عبيداً بعولةٍ	وقل له منا البكا والتحوّب

ثم نزل صاحبه فعقر ناقته، وقال له القرشي: خذ في صوت أبي يحيى؛ فاندفع يتغنى:

أسعداني بعبرةٍ أسراب	من دموعٍ كثيرة التسكاب
إن أهل الحصاب قد تركوني	مولهاً مولعاً بأهل الحصاب

أهل بيتٍ تتابعوا للمنايا ما على الموت بعدهم من عتاب

فارقوني وقد علمت يقيناً ما لمن ذاق ميتةً من إياب

كم بذاك الحجون من أهل صدقٍ كهولٍ أعفةٍ وشباب

سكنوا الجزع جزع بيت أبي مو سى إلى النخل من صفي السباب

فلي الويل بعدهم وعليهم صرت فرداً وملني أصحابي

قال ابن أبي دباكل: فوالله ما تمم صاحبه منها ثلاثاً حتى غشي على صاحبه، وأقبل يصلح السرج على بغلته وهو غير معرجٍ عليه. فسألته من هو؟ فقال: رجلٌ من جذام. قلت: بمن تعرف؟ قال: بعبد الله بن المنتشر. قال: و لم يزل القرشي على حاله ساعةً ثم أفاق، ثم جعل الجذامي ينضح الماء على وجهه ويقول كالمعاتب له: أنت أبداً مصبوبٌ على نفسك! ومن كلفك ما ترى! ثم قرب إليه الفرس، فلما علاه استخرج الجذامي من خرج على بغلٍ قدحاً وإداوة ماءٍ، فجعل في القدح تراباً من تراب قبر ابن سريج وصب عليه ماءً من الإداوة، ثم قال: هاك فاشرب هذه السلوة فشرب، ثم فعل هو مثل ذلك، وركب على البغل وأردفني. فخرجا والله ما يعرضان بذكر شيء مما كنا فيه، ولا أرى في وجوههما شيئاً مما كنت أرى قبل ذلك. فلما اشتمل علينا أبطح مكة قالا: انزل يا خزاعي فترلت. وأومأ الفتى إلى الجذامي بكلامٍ، فمد يده إلي وفيها شيءٌ فأخذته، فإذا هو عشرون يناراً، ومضيا. فانصرفت إلى قبره ببعيرين، فاحتملت عليهما أداة الراحلتين اللتين عقراهما فبعتهما بثلاثين ديناراً.

صوت من المائة المختارة

ثالث الثلاثة الأصوات المختارة

وهو الثالث من الثلاثة المختارة.

أهاج هواك المنزل المتقادم نعم وبه ممن شجاك معالم

مضارب أوتادٍ وأشعث دائرٌ مقيمٌ وسفعٌ في المحل جواثم

عروضه من الطويل. الشعر لنصيبٍ. والغناء في اللحن المختار لابن محرز ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وله فيه أيضاً هزجٌ بالسبابة في مجرى البنصر، وذكر جحظة عن أصحابه أنه هو المختار. وحكى إن أصحابه أنه ليس في الغناء كله نغمةٌ إلا وهي في الثلاثة الأصوات المختارة التي ذكرها.

ومن قصيدة نصيبٍ هذا مما يغنى فيه قوله:

لقد راعني للبين نوح حمامةٍ على غصن بانٍ جاوبتها حمائم

هواتف أما من بكين فعهده قديمٌ وأما شجوهن فدائم

الغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن يونس ويحيى المكي وإسحاق، وأظنه مع البيتين الأولين وأن الجميع لحنٌ واحدٌ، ولكنه تفرق لصعوبة اللحن وكثرة ما فيه من العمل. فجعلا صوتين.

ذكر نصيب وأخباره

نسب نصيب ونشأته

هو نصيب بن رباح، مولى عبد العزيز بن مروان، وكان لبعض العرب من بني كنانة السكان بودان، فاشتراه بعد العزيز منهم، وقيل: بل كانوا أعتقوه، فاشترى عبد العزيز ولاءه منهم، وقيل: بل كاتب مواليه، فأدى عنه مكاتبته.

وقال ابن دأبٍ: كان نصيبٌ من قضاعة ثم من بليٍّ. وكانت أمه سوداء فوقع عليها سيدها فحبلت بنصيبٍ، فوثب عليه عمه بعد وفاة أبيه فباعه من عبد العزيز.

وقال أبو اليقظان: كان أبوه من كنانة من بني ضمرة. وكان شاعراً فحلاً فصيحاً مقدماً في النسيب والمديح، و لم يكن له حظٌ في الهجاء، وكان عفيفاً، وكا يقال: أنه لم ينسب قط إلا بامرأته.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال: كتب إلي عبد الله بن عبد العزيز بن محجن بن نصيبٍ بن رباح يذكر عن عمته غرضة بنت النصيب: أن النصيب كان ابن نوبيين سبيين كانا لخزاعة، ثم اشترت سلامة أم نصيب امرأةٌ من خزاعة ضمريةٌ حاملاً بالنصيب، فأعتقت ما في بطنها.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن كناسة قال: كان نصيبٌ من أهل ودان عبداً لرجلٍ من كنانة هو وأهل بيته. وكان أهل البادية يدعونه النصيب تفخيماً له، ويروون شعره. وكان عفيفاً كبير النفس مقدماً عند الملوك، يجيد مديحهم ومراثيهم.

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي قال: كان نصيب من بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة. وكانت أمه أمةً سوداء، وقع عليها أبوه فحملت ثم مات، فباعه عمه أخو أبيه من عبد العزيز بن مروان.

مبدأ قوله الشعر واتصاله بعبد العزيز

ابن مروان بمصر

قال حماد وأخبرني أبي عن أيوب بن عباية، وأخبرنا الحرمي عن الزبير عن عمه وعن إسحاق بن إبراهيم جميعاً عن أيوب بن عباية قال حدثني رجلٌ من خزاعة من أهل كلية - وهي قريةٌ كان فيها النصيب وكثير - قال: بلغني أن النصيب قال: قلت الشعر وأنا شابٌ فأعجبني قولي، فجعلت آتي مشيخةً من بني ضمرة بن بكر بن عبد

مناة - وهم موالي النصيب - ومشيخةً من خزاعة، فأنشدهم القصيدة من شعري، ثم أنسبها إلى بعض شعرائهم الماضين، فيقولون: أحسن والله! هكذا يكون الكلام! وهكذا يكون الشعر! فلما سمعت ذلك منهم علمت أني محسنٌ، فأزمعوا وأزمعت الخروج إلى عبد العزيز بن مروان، وهو يومئذٍ بمصر، فقلت لأختي أمامة وكانت عاقلةً جلدةً: أي أخية، إني قد قلت شعراً، وأنا أريد عبد العزيز بن مروان، وأرجو أن يعتقك الله عز وجل به وأمك، ومن كان مرقوقاً من أهل قرابتي. قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون! يابن أم، أتجتمع عليك الخصلتان: السواد، وأن تكون ضحكةً للناس! قال: قلت فاسمعي، فأنشدتها فسمعت، فقالت: بأبي أنت! أحسنت والله! في هذا والله رجاءٌ عظيمٌ، فاخرج على بركة الله. فخرجت على قعودٍ لي حتى قدمت المدينة، فوجدت بها الفرزدق في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرجت إليه فقلت: أنشده واستنشده وأعرض عليه شعري. فأنشدته، فقال لي: ويلك! أهذا شعرك الذي تطلب به الملوك؟ قلت: نعم. قال: فلست في شيء. إن استطعت أن تكتم هذا على نفسك فافعل. فانفضخت عرقاً، فحصبني رجلٌ من قريشٍ كان قريباً من الفرزدق، وقد سمع إنشادي وسمع ما قال لي الفرزدق، فأومأ إلي فقمت إليه. فقال: ويحك! أهذا شعرك الذي أنشدته الفرزدق؟ قلت: نعم. فقال: قد والله أصبت، والله لئن كان هذا الفرزدق شاعراً لقد حسدك، فإنا لنعرف محاسن الشعر، فامض لوجهك ولا يكسرنك. قال: فسرني قوله، وعلمت أنه قد صدقني فيما قال، فاعتزمت على المضي. قال: فمضيت فقدمت مصر، وبها عبد العزيز بن مروان، فحضرت بابه مع الناس، فنحيت عن مجلس الوجوه، فكنت وراءهم، ورأيت رجلاً جاء على بغلةٍ حسن الشارة سهل المدخل، يؤذن له إذا جاء. فلما انصرف إلى مترله انصرفت معه أماشي بغلته. فلما رآني قال: ألك حاجةٌ؟ قلت: نعم، أنا رجلٌ من أهل الحجاز شاعرٌ، وقد مدحت الأمير وخرجت إليه راجياً معروفه. وقد ازدريت فطردت من الباب ونحيت عن الوجوه. قال: فأنشدني، فأنشدته. فأعجبه شعري، فقال: ويحك! أهذا شعرك؟ فإياك أن تنتحل، فإن الأمير روايةٌ عالمٌ بالشعر وعنده رواةٌ، فلا تفضحني ونفسك. فقلت: والله ما هو إلا شعري. فقال: ويحك! فقل ابياتاً تذكر فيها حوف مصر وفضلها على غيرها، والقني بها غداً. فغدوت عليه من غدٍ فأنشدته قولي:

سرى الهم تثنيني إليك طلائعه ... بمصر وبالحوف اعترتني روائعه
وبات وسادي ساعدٌ قل لحمه ... عن العظم حتى كاد تبدو أشاجعه

قال: وذكرت فيها الغيث فقلت:

وكم دون ذاك العارض البارق الذي ... له اشتقت من وجهٍ أسيل مدامعه
تمشى به أفناء بكرٍ ومذحجٍ ... وأفناء عمرٍو وهو خصبٌ مرابعه
فكل مسيلٍ من تهامة طيبٌ ... دميث الربا تسقي البحار دوافعه
أعني على برقٍ أريك وميضه ... تضيء دجنات الظلام لوامعه

إذا اكتحلت عينا محب بضوئه تجافت به حتى الصباح مضاجعه
هنيئاً لأم البختري الروي به وإن أنهج الحبل الذي أنا قاطعه
وما زلت حتى قلت إني لخالعٌ ولائي من مولى نمتني قوارعه
ومانح قومٍ أنت منهم مودتي ومتخذٌ مولاك مولىً فتابعه

نصيب وأيمن بن خريم الأسدي

فقال: أنت والله شاعرٌ! احضر بالباب حتى أذكرك للأمير. قال: فجلست على الباب ودخل، فما ظننت أنه أمكنه أن يذكرني حتى دعي بي. فدخلت فسلمت على عبد العزيز، فصعد في بصره وصوب، ثم قال: أنت شاعرٌ؟ ويلك!.

قلت: نعم، أيها الأمير. قال: فأنشدني. فأنشدته، فأعجبه شعري. وجاء الحاجب فقال: أيها الأمير، هذا أيمن بن خريم الأسدي بالباب. قال: ائذن له، فدخل فاطمأن. فقال له الأمير: يا أيمن بن خريم، كم ترى ثمن هذا العبد؟ فنظر إلي فقال: والله لنعم الغادي في أثر المخاض، هذا أيها الأمير أرى ثمنه مائة دينار. قال: فإن له شعراً وفصاحةً. فقال لي أيمن: أتقول الشعر؟ قلت: نعم. قال: قيمته ثلاثون ديناراً. قال: يا أيمن، أرفعه وتخفضه أنت! قال: لكونه أحمق أيها الأمير! ما لهذا وللشعر! أمثل هذا يقول الشعر! أو يحسن شعراً! فقال: أنشده يا نصيب، فأنشدته. فقال له عبد العزيز: كيف تسمع يا أيمن؟ قال: شعر أسود، هو أشعر أهل جلدته. قال: هو والله أشعر منك. قال: أمني أيها الأمير؟ قال: إي والله منك. قال: والله أيها الأمير، إنك لملولٌ طرفٌ. قال: كذبت والله ما أنا كذلك! ولو كنت كذلك ما صبرت عليك! تنازعني التحية وتؤاكلني الطعام وتتكىء على وسائدي وفرشي وبك ما بك! - يعني وضحاً كان بأيمن - قال: ائذن لي "أن" أخرج إلى بشرٍ بالعراق. واحملني على البريد. قال: قد أذنت لك، وأمر به فحمل على البريد إلى بشرٍ. فقال: أيمن بن خريم:

ركبت من المقطم في جمادى إلى بشر بن مروان البريدا
ولو أعطاك بشرٌ ألف ألفٍ رأى حقاً عليه أن يزيدا
أمير المؤمنين أقم ببشرٍ عمود الحق إن له عمودا
ودع بشراً يقومهم ويحدث لأهل الزيغ إسلاماً جديدا
كأن التاج تاج بني هرقلٍ جلوه لأعظم الأيام عيدا
عل ديباج خدي وجه بشرٍ إذا الألوان خالفت الخدودا

قال أيوب يعني بقوله:

إذا الألوان خالفت الخدودا

أنه عرض بكلفٍ كان في وجه عبد العزيز -.

وأعقب مدحتي سرجاً مليحاً وأبيض جوزجانياً عقودا

وإنا قد وجدنا أم بشرٍ كأم الأسد مذكاراً ولودا

قال: فأعطاه بشرٌ مائة ألف درهمٍ.

أول من نوه باسم نصيب لعبد العزيز

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال: أول من نوه باسم نصيب وقدم به على عبد العزيز بن مروان عبد الله بن أبي فروة، قدم به عليه وهو وصيفٌ حين بلغ وأول ما قال الشعر. قال: أصلح الله الأمير! جئتك بوصيفٍ نوبي يقول الشعر - وكان نصيب ابن نوبيين - فأدخله عليه، فأعجبه شعره، وكان معه أيمن بن خريم الأسدي. فقال عبد العزيز: إذا دعوت بالغداء فأدخلوه علي في جبة صوفٍ محتزماً بعقال، فإذا قلت قوموه فقوموه وأخرجوه وردوه علي في جبةٍ وشيٍ ورداء وشيٍ. فلما جلس للغداء ومعه أيمن بن خريم أدخل نصيبٌ في جبة صوفٍ محتزماً بعقالٍ، فقال: قوموا هذا الغلام. فقالوا: عشرةٌ، عشرون، ثلاثون ديناراً. فقال: ردوه، فأخرجوه ثم ردوه في جبة وشيٍ ورداء وشيٍ.

فقال: أنشدنا، فأنشدهم. فقال: قوموه، قالوا: ألف دينارٍ. فقال أيمن: والله ما كان قط أقل في عيني منه الآن، وإ، لنعم راعي المخاض. فقال له: فكيف شعره؟ قال: هو أشعر أهل جلدته. فقال له عبد العزيز: وهو والله أشعر منك. قال: أمني أيها الأمير؟ قال أيمن: إنك لملولٌ طرفٌ. فقال له: والله ما أنا بملولٍ وأنا أنازعك الطعام منذ كذا وكذا، تضع يدك حيث أضعها وتلتقي يدك مع يدي على مائدة، كل ذلك أحتملك! - وكان بأيمن بياضٌ - فقال له أيمن: ائذن لي أخرج إلى بشرٍ. فأذن له فخرج، وقال أبياته التي أولها:

ركبت من المقطم في جمادى

وقد مضت الأبيات. قال: فلما جاز بعبد الملك بن مروان، قال: أين تريد؟ قال أريد أخاك بشراً. قال: أتجوزني؟! قال: إي والله أجوزك إلى من قدم إلي وطلبني. قال: فلم فارقت صاحبك؟ قال: رأيتكم يا بني مروان، تتخذون للفتى من فتيانكم مؤدبا، وشيخكم والله محتاجٌ إلى خمسة مؤدبين. فسر ذلك عبد الملك، وكان عازماً على أن يخلعه ويعقد لابنه الوليد.

ابتاعه عبد العزيز وأعتقه وقيل: أعتقته امرأة من ضمرة أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال:

يقال: إن نصيباً أضل إبلاً فخرج في بغائها فلم يصبها، وخاف مواليه أن يرجع إليهم، فأتى عبد العزيز بن مروان

فمدحه وذكر له قصته، فأخلف عليه ما ضل لمواليه وابتاعه وأعتقه.

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عبد الله بن إبراهيم الهلالي ثم الدوسي قال: أراد النصيب الخروج إلى عبد العزيز بن مروان، وهو عبدٌ لبني محرزٍ الضمري، فقالت أمه له: إنك سترقد ويأخذك ابن محرزٍ يذهب بك، فذهب و لم يبال بقولها. حتى إذا كان بمكان ماءٍ يعرف بالدو، فبينا هو راقدٌ إذ هجم عليه ابن محرزٍ، فقال حين رآه:

إني لأخشى من قلاص ابن محرزٍ إذا وخدت بالدو وخد النعائم

يرعن بطين القوم أية روعةٍ ضحيا إذا استقبلنه غير نائم

فأطلقوه، فرجع فأتى أمه فقالت: أخبرتك يا بني أنه ليس عندك أن تعجز القوم. فإن كنت يا بني قد غلبتني أنك ذاهبٌ فخذ بنت الفلانة، فإني رأيتها وطئت أفحوص بيضات قطاةٍ فلم تفلقهن فركبها، فهي التي بلغته ابن مروان.

قال أبو عبد الله بن الزبير: عندنا أن التي أعتقته امرأةٌ من بني ضمرة ثم من بني حنبل.

أول اتصال نصيب بعبد العزيز حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم قال حدثنا كليب بن إسماعيل مولى بني أمية وكان حدثاً "أي حسن الحديث" قال: بلغني أن نصيباً كان حبشياً يرعى إبلاً لمواليه، فأضل منها بعيراً، فخرج في طلبه حتى أتى الفسطاط، وبه إذ ذاك عبد العزيز بن مروان، وهو ولي "عهد " عبد الملك بن مروان، فقال نصيبٌ: ما بعد عبد العزيز واحدٌ أعتمده لحاجتي. فأتى الحاجب فقال: استأذن لي على الأمير، فإني قد هيأت له مديحاً. فدخل الخاجب فقال: أصلح الله الأمير! بالباب رجلٌ أسود يستأذن عليك بمديح قد هيأه لك. فظن عبد العزيز أنه ممن يهزأ به ويضحكهم، فقال: مره بالحضور ليوم حاجتنا إليه. فغدا نصيب وراح إلى باب عبد العزيز أربعة أشهر، وأتاه آتٍ من عبد الملك فسره، فأمر بالسرير فأبرز للناس، وقال: علي بالأسود، وهو يريد أن يضحك منه الناس. فدخل، فلما كان حيث يسمع كلامه، قال:

لعبد العزيز على قومه وغيرهم نعم غامره

فبابك ألين أبوابهم ودارك مأهولةٌ عامره

وكلبك آنس بالمعتفين من الأم بالإبنة الزائره

وكفك حين ترى السائلي ن أندى من الليلة الماطره

فمنك العطاء ومني الثناء بكل محبرةٍ سائره

فقال: أعطوه أعطوه. فقال: إني مملوكٌ. فدعا الحاجب فقال: اخرج فابلغ في قيمته، فدعا المقومين فقال: قوموا غلاماً أسود ليس به عيبٌ. قالوا: مائة دينارٍ. قال: إنه راعٍ للإبل يبصرها ويحسن القيام عليها. قالوا: حينئذ مائتا

دينار. قال: إني يبري القسي ويثقفها ويرمي النبل ويريشها. قالوا: أربعمائة دينار. قال: إنه روايةٌ للشعر بصيرٌ به. قالوا: ستمائة دينار. قال: إنه شاعرٌ لا يلحق حذقاً. قالوا: ألف دينار. قال عبد العزيز: ادفعوها إليه. قال: أصلح الله الأمير! ثمن بعيري الذي أضللت. قال: وكم ثمنه؟ قال: خمسةٌ وعشرون ديناراً. قال: ادفعوها إليه. قال: أصلح الله الأمير! جائزتي لنفسي عن مديحي إياك. قال: اشتر نفسك ثم عد إلينا. فأتى الكوفة وبها بشر بن مروان، فاستأذن عليه فاستصعب الدخول إليه. وخرج بشر بن مروان متنزهاً فعارضه، فلما ناكبه "أي صار حذاء منكبه" ناداه:

يا بشر يابن الجعفرية ما ... خلق الإله يديك للبخل

جاءت به عجزٌ مقابلةٌ ... ما هن من جرمٍ ولا عكل

قال: فأمر له بشرٌ بعشرة آلاف درهم. الجعفرية التي عناها نصيبٌ: أم بشر بن مروان، وهي قطية بنت بشر بن عامر ملاعب الأسنة بن مالك بن جعفر بن كلاب.

أم بشر بن مروان ابن الحكم

أخبرنا اليزيدي عن الخراز عن المدائني عن عبد الله بن مسلم وعامر بن حفص وغيرهما: أن مروان بن الحكم مر ببادية بني جعفر، فرأى قطية بنت بشر تنزع بدلو على إبلٍ لها، وتقول:

ليس بنا فقرٌ إلى التشكي ... جربةٌ كحمر الأبك

لا ضرعٌ فيها ولا مذكي

ثم تقول:

عامان ترقيقٌ وعامٌ تمما ... لم يترك لحماً ولم يترك دما

ولم يدع في رأس عظمٍ ملدما ... إلا رذايا ورجالاً رزما

فخطبها مروان فتزوجها، فولدت له بشر بن مروان.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أحمد بن معاوية عن إسحاق بن أيوب عن خليل بن عجلان في خبر النصيب مثل ما ذكره الزبير وإسحاق سواءً.

كان إذا أصاب مالا قسمه في مواليه

وكان فيه كأحدهم وظل كذلك حتى مات

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال: دعا النصيب مواليه أن يستلحقوه فأبى، وقال: والله لأن أكون مولى لائقاً أحب إلي من أن أكون دعياً لاحقاً. وقد علمت أنكم تريدون بذلك مالي،

ووالله لا أكسب شيئاً أبداً إلا كنت أنا وأنتم فيه سواءً كأحدكم، لا أستأثرو عليكم منه بشيء أبداً. قال: وكان كذلك معهم حتى مات، إذا أصاب شيئاً قسمه فيهم، فكان فيه كأحدهم.

نصيب والفرزدق بحضرة سليمان

أخبرني الحرمي قال حدثنا "الزبيري، وحدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا الزبير" قال حدثنا محمد بن إسماعيل الجعفري قال: دخل النصيب على سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدق، فاستنشد الفرزدق وهو يرى أنه سينشده مديحاً له، فأنشده قوله يفتخر:

وركبٍ كأن الريح تطلب عندهم ... لها ترةً من جذبها بالعصائب

سروا يركبون الريح وهي تلفهم ... على شعب الأكوار من كل جانب

إذا استوضحوا ناراً يقولون ليتها ... وقد خصرت أيديهم نار غالب

قال: وعمامته على رأسه مثل المنسف؛ فغاظ سليمان وكلح في وجهه، وقال لنصيب: قم فأنشد مولاك ويلك! فقام نصيب فأنشده قوله:

اقول لركبٍ صادرين لقيتهم ... قفا ذات أوشالٍ ومولاك قارب

قفوا خبروني عن سليمان إنني ... لمعروفه من أهل ودان طالب

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وقالوا عهدناه وكل عشيةٍ ... بأبوابه من طالب العرف راكب

هو البدر والناس الكواكب حوله ... ولا تشبه البدر المضيء الكواكب

فقال له سليمان: أحسنت والله يا نصيب! وأمر له بجائزة ولم يصنع ذلك بالفرزدق. فقال الفرزدق وقد خرج من عنده:

وخير الشعر أكرمه رجالاً ... وشر الشعر ما قال العبيد

نصيب وعبد العزيز بجبل المقطم

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عمه موسى بن عبد العزيز قال: حمل عبد العزيز بن مروان النصيب بالمقطم "مقطم مصر" على بختيٍّ قد رحله بغبيطٍ فوقه، وألبسه مقطعات وشيٍ، ثم أمره أن ينشد؛ فاجتمع حوله السودان وفرحوا به، فقال لهم: أسررتكم؟ قالوا: إي والله. قال: والله لما يسوءكم من أهل جلدتكم أكثر.

نصيب وجرير

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبو العراف قال: مر جرير بنصيب وهو ينشد، فقال له: اذهب فأنت أشعر أهل جلدتك. قال: وجلدتك يا أبا حزرة.

هشام بن عبد الملك ونصيب

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني أيوب بن عباية قال: بلغني أن النصيب كان إذا قدم على هشام بن عبد الملك أخلى له مجلسه واستنشده مراثي بني أمية، فإذا أنشده بكى وبكى معه. فأنشده يوماً قصيدةً له مدحه بها، يقول فيها:

إذا استبق الناس العلا سبقتهم يمينك عفواً ثم صلت شمالها

فقال له هشامٌ: يا أسود، بلغت غاية المدح فسلني. فقال: يدك بالعطية أجود وأبسط من لساني بمسئلتك. فقال: هذا والله أحسن من الشعر، وحباه وكساه وأحسن جائزته.

نصيب وإعتاقه ذوي قرابته

أخبرني الحسين بن يحيى قال أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه أيوب بن عباية قال:
أصاب نصيبٌ من عبد العزيز بن مروان معروفاً، فكتمه ورجع إلى المدينة في هيئة بذةٍ، فقالوا: لم يصب بمدحه شيئاً. فمكث مدة، ثم ساوم بأمه فابتاعها وأعتقها، ثم ابتاع أم أمه بضعف ما ابتاع به أمه فأعتقها. وجاءه ابن خالةٍ له اسمه سحيمٌ فسأله أن يعتقه، فقال له: ما معي والله شيءٌ، ولكني إذا خرجت أخرجتك معي، لعل الله أن يعتقك. فلما أراد الخروج دفع غلاماً له إلى مولى سحيم يرعى إبله وأخرجه معه، فسأل في ثمنه فأعطاهه وأعتقه. فمر به يوماً وهو يزفن ويزمر مع السودان، فأنكر ذلك عليه وزجره. فقال له: إن كنت أعتقتني لأكون كما تريد فهذا والله ما لا يكون أبداً، وإن كنت أعتقتني لتصل رحمي وتقضي حقي فهذا والله الذي أفعله هو الذي أريده، أزفن وأزمر وأصنع ما شئت. فانصرف النصيب وهو يقول:

إني اراني لسحيم قائلا إن سحيماً لم يثبني طائلا
نسيت إعمالي لك الرواحلا وضربي الأبواب فيك سائلا !
عند الملوك أستثيب النائلا حتى إذا آنست عتقاً عاجلا!
وليتني منك القفا والكاهلا أخلقاً شكساً ولوناً حائلا

استعجاله جائزة عند عبد العزيز

ابن مروان، وليلى أم عبد العزيز

قال إسحاق: وأبطأت جائزة النصيب عند عبد العزيز، فقال:

وإن وراء ظهري يابن ليلى ... أناساً ينظرون متى أؤوب
أمامة منهم ولمأقييها ... غداة البين في أثري غروب
تركت بلادها ونأيت عنها ... فأشبه ما رأيت بها السلوب
فأتبع بعضنا بعضاً فلسنا ... نثيبك لكن الله المثيب

فعجل جائزته وسرحه. قال إسحاق: فحدثني ابن كناسة قال: ليلى أم عبد العزيز كلبيةٌ. وبلغني عنه أنه قال: لا أعطي شاعراً شيئاً حتى يذكرها في مدحي لشرفها؛ فكان الشعراء يذكروها باسمها في أشعارهم.

شرف نصيب لشعره

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن ابن عباية قال: وقفت سوداء بالمدينة على نصيبٍ وهو ينشد الناس، فقالت: بأبي أنت يابن عم وأمي! ما أنت والله علي بخزيٍ. فضحك وقال: والله لمن يخزيك من بني عمك أكثر ممن يزينك.

خطبة ابن نصيب بنت سيده

وما فعله نصيب في ذلك

قال إسحاق وحدثني ابن عباية وغيره أن ابناً لنصيب خطب بعد وفاة سيده الذي أعتقه بنتاً له من أخيه، فأجابه إلى ذلك، وعرف أباه. فقال له: اجمع وجوه الحي لهذا الحال فجمعهم. فلما حضروا أقبل نصيبٌ على أخي سيده فقال: أزوجت ابني هذا من ابنة أخيك؟ قال: نعم. فقال لعبيدٍ له سودٍ: خذوا برجل ابني هذا فجروه فاضربوه ضرباً مبرحاً، ففعلوا وضربوه ضرباً مبرحاً. وقال لأخي سيده: لولا أني أكره أذاك لألحقتك به. ثم نظر إلى شاب من أشراف الحي، فقال: زوج هذا ابنة أخيك وعلي ما يصلحهما في مالي، ففعل.

نصيب وعبد الملك حين أراد منادمته

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: دخل نصيبٌ على عبد الملك فتغدى معه، ثم قال: هل لك فيما نتنادم عليه؟ فقال: تؤمنني ففعل. فقال: لوني حائلٌ، وشعري مفلفلٌ، وخلقتي مشوهةٌ، و لم أبلغ ما بلغت من إكرامك إياي بشرف أبٍ أو أمٍ أو عشيرة، وإنما بلغته بعقلي ولساني. فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تحول بيني وبين ما بلغت به هذه المترلة منك فأعفاه.

سبب تسميته بهذا الاسم

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني محمد بن صالح بن النطاح قال بلغني عن خلاذ بن مرة عن أبي بكر بن مزيدٍ قال: لقيت النصيب يوماً بباب هشام، فقلت له: يا أبا محجنٍ، لم سميت نصيباً، ألقولك في شعرك عاينها النصيب؟ فقال: لا، ولكني ولدت عند أهل بيتٍ من ودان، فقال سيدي: إيتونا بمولودنا هذا لننظر إليه. فلما رآني قال: إنه لمنصب الخلق؛ فسميت النصيب، ثم اشتراني عبد العزيز بن مروان فأعتقني.

فصاحته وتخلصه إلى جيد الكلام

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن كناسة أبي يحيى الأسدي قال: قال أبو عبد الله بن أبي إسحاق البصري: لئن وليت العراق لأستكتبن نصيباً لفصاحته وتخلصه إلى جيد الكلام.

صدق الحديث مع عبد العزيز فأجازه

أخبرني الأسدي قال حدثني محمد بن صالح عن أبيه عن محمد بن عبد العزيز الزهري. قال: حدثني نصيبٌ قال: دخلت على عبد العزيز بن مروان، فقال: أنشدني قولك:

إذا لم يكن بين الخليلين ردةٌ ... سوى ذكر شيء قد مضى درس الذكر

فقلت: ليس هذا لي، هذا لأبي صخر الهذلي، ولكني الذي أقول:

وقفت بذي دوران أنشد ناقتي ... وما إن بها لي من قلوصٍ ولا بكر

فقال لي عبد العزيز: لك جائزةٌ على صدق حديثك، وجائزةٌ على شعرك؛ فأعطاني على صدق حديثي ألف دينارٍ، وعلى شعري ألف دينار.

أوصاف نصيب الجسمية

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن أبيه قال: رأيت النصيب وكان أسود خفيف العارضين ناتيء الحنجرة.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني إبراهيم بن يزيد السعدي عن جدته جمال بنت عون بن مسلم عن أبيها عن جدها قال: رأيت رجلاً أسود مع امرأةٍ بيضاء، فجعلت أعجب من سواده وبياضها، فدنوت منه وقلت: من أنت؟ قال: أنا الذي أقول:

ألا ليت شعري ما الذي تحدثين بي ... غداً غربة النأي المفرق والبعد

لدى أم بكرٍ حين تقترب النوى ... بنا ثم يخلو الكاشحون بها بعدي

أتصرمني عند الألى هم لنا العدا فتشمتهم بي أم تدوم على العهد

قال: فصاحت: بل والله تدوم على العهد. فسألت عنهما فقيل: هذا نصيبٌ، وهذه أم بكر.

نصيب وعبد الله بن جعفر

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال حدثني أبو اليقظان عن جويرية بن أسماء قال: أتى النصيب عبد الله بن جعفرٍ فحمله وأعطاه وكساه. فقال له قائل: يا أبا جعفر، أعطيت هذا العبد الأسود هذه العطايا! فقال: والله لئن كان أسود إن ثناءه لأبيض، وإن شعره لعربي، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال. وما ذاك! إنما هي رواحل تنضى، وثيابٌ تبلى، ودراهم تفنى، وثناءٌ يبقى، ومدائح تروى! أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني قال قال أبو الأسود: امتدح نصيبٌ عبد الله بن جعفر وذكر مثله.

نصيب ونسوة أردن سماع شعره

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخراز عن المدائني قال: قيل لنصيب: إن ها هنا نسوةً يردن أن ينظرن إليك ويسمعن منك شعرك. قال: وما يصنعن بي! يرين جلدةً سوداء وشعراً أبيض، ولكن ليسمعن شعري من وراء سترٍ.

تغنى منقذ الهلالي بشعر نصيب

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفصٍ عن رجل ذكره قال: أتاني منقذٌ الهلالي ليلاً، فضرب علي الباب. فقلت: من هذا؟ فقال: منقذٌ الهلالي. فخرجت إليه فزعاً. فقال: البشرى. فقلت: وأي بشرى أتتني بك في هذا الليل؟ فقال: خيرٌ، أتاني أهل بدجاجةٍ مشويةٍ بين رغيفين فتعشيت بها، ثم أتوني بقنينةٍ من نبيذٍ قد التقى طرفاها صفاءً ورقةً، فجعلت أشرب وأترنم بقول نصيب:

بزينب ألمم قبل أن يظعن الركب

ففكرت في إنسان يفهم حسنه ويعرف فضله، فلم أجد غيرك، فأتيتك مخبراً بذلك. فقلت: ما جاء بك إلا هذا؟! فقال: أولا يكفي! ثم انصرف.

عفة نصيب في شعره

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قال مسلمة لنصيب: أنت لا تحسن الهجاء. فقال: بلى والله، أتراني لا أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخزاك الله؟! قال: فإن فلاناً قد مدحته فحرمك فاهجه، قال: لا والله ما ينبغي أن أهجوه، وإنما ينبغي أن أهجو نفسي حين مدحته. فقال مسلمة: هذا والله أشد من الهجاء.

نصيب وعمر بن عبد العزيز

في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

أخبرني الحسين قال قال حماد: قرأت على أبي عن ابن عباية عن الضحاك الحزامي قال: دخل نصيبٌ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يومئذٍ أمير المدينة، وهو جالس بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره، فقال: أيها الأمير، ائذن لي أن أنشدك من مراثي عبد العزيز. فقال: لا تفعل فتحزنني، ولكن أنشدني قولك: "قفا أخوي" فإن شيطانك كان لك فيها ناصحاً حين لقنك إياها. فأنشده:

صوت

قفا أخوي إن الدار ليست	كما كانت بعهدكما كما تكون
ليالي تعلمان وآل ليلى	قطين الدار فاحتمل القطين
فعوجا فانظرا أتبين عما	سألناها به أم لا تبين
فظلا واقفين وظل دمعي	على خدي تجود به الجفون
فلولا إذ رأيت اليأس منها	بدا أن كدت ترشقك العيون،
برحت فلم يلمك الناس فيها	ولم تغلق كما غلق الرهين

في البيتين الأولين من هذه الأبيات والأخيرين لابن سريج خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه للغريض خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى عن عمرٍو ويونس.

قصة نصيب مع امرأة عجوز بالجحفة

كان يختلف إليها

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية قال: كان نصيبٌ يترل على عجوزٍ بالجحفة إذا قدم من الشأم، وكان لها بنيةٌ صفراء وكان يستحليها، فإذا قدم وهب لها دراهم وثياباً غير ذلك. فقدم عليهما قدمةً وبات بهما، فلم يشعر إلا بفتيً قد جاءها ليلاً فركضها برجله، فقامت معه فأبطأت ثم عادت، وعاد إليها بعد ساعةٍ فركضها برجله فقالت معه فأبطأت ثم عادت. فلما أصبح نصيبٌ رأى أثر معتركهما ومغتسلهما. فلما أراد أن يرتحل قالت له العجوز وبنتها: بأبي أنت! عادتك. فقال لها:

أراك طموح العين ميالة الهوى	لهذا وهذا منك ودٌ ملاطف

فإن تحملي ردفين لا أك منهما فحبي فردٌ لست ممن يرادف

و لم يعطها شيئاً ورحل.

حديث النصيب مع امرأة من ملل

كان الناس ينزلون عندها

قال أيوب: وكانت بملل امرأةٌ يترل بها الناس، فترل بها أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة وعمران بن عبد الله بن مطيع ونصيب فلما رحلوا وهب لها القرشيان و لم يكن مع نصيب شيء، فقال لها: اختاري إن شئت أن أضمن لك مثل ما أعطياك إذا قدمت، وإن شئت قلت فيك أبياتاً تنفعك. قالت: بل الشعر أحب إلي. فقال:

ألا حي قبل البين أم حبيب وإن لم تكن منا غداً بقريب

لئن لم يكن حبيك حباً صدقته فما أحدٌ عندي إذاً بحبيب

تهامٍ أصابت قلبه ملليةٌ غريب الهوى يا ويح كل غريب

فشهرها بذلك، فأصابت بقوله ذلك فيها خيراً.

عمر ينهاه عن التشبيب بالنساء

قال أيوب: ودخل النصيب على عمر بن عبد العزيز - رحمة الله عليه - بعد ما ولي الخلافة. فقال له: إيه يا أسود! أنت الذي تشهر النساء بنسيبك! فقال: إني قد تركت ذلك يا أمير المؤمنين، وعاهدت الله عز وجل ألا أقول نسيباً، وشهد له بذلك من حضر وأثنوا عليه خيراً. فقال: أما إذ كان الأمر هكذا فسل حاجتك. فقال: بنيات لي نفضت عليه سوادي فكسدن، أرغب بهن عن السودان ويرغب عنهن البيضان. قال: فتريد ماذا؟ قال: تفرض لهن، ففعل. قال: ونفقةً لطريقي. قال: فأعطاه حلية سيفه وكساه ثوبيه، وكانا يساويان ثلاثين درهماً.

اجتماع النصيب والكميت ذي الرمة

وتناشدهم الشعر

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق الموصلي عن ابن كناسة قال: اجتمع النصيب والكميت وذو الرمة، فأنشدهما الكميت قوله:

هل أنت عن طلب الأيفاع منقلب

حتى بلغ إلى قوله فيها:

أم هل ظغائن بالعلياء نافعةٌ وإن تكامل فيها الأنس والشنب

فعقد نصيبٌ واحدةً. فقال له الكميت: ماذا تحصي؟ قال: خطأك، باعدت في القول، ما الأنس من الشنب، ألا قلت كما قال ذو الرمة:

لمياء في شفتيها حوةٌ لعسٌ وفي اللثاث وفي أنيابها شنب

ثم أنشدهما قوله:

أبت هذه النفس إلا ادكارا

حتى بلغ إلى قوله:

إذا ما الهجارس غنينها تجاوبن بالفلوات الوبارا

فقال له النصيب: والوبار لا تسكن الفلوات. ثم أنشد حتى بلغ منها:

كأن الغطامط من غليها أراجيز أسلم تهجو غفارا

فقال النصيب: ما هجت أسلم غفاراً قط، فانكسر الكميت وأمسك.

نصيب وعبد الرحمن بن الضحاك

ابن قيس الفهري

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبي:

أن نصيباً مدح عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري، فأمر له بعشر قلائص، وكتب بها إلى رجلين من الأنصار، واعتذر إليه وقال له: والله ما أملك إلا رزقي، وإني لأكره أن أبسط يدي في أموال هؤلاء القوم. فخرج حتى أتى الأنصاريين فأعطاهما الكتاب مختوماً. فقرآه وقالا: قد أمر لك بثمان قلائص، ودفعا ذلك إليه. ثم عزل وولي مكانه رجلٌ من بني نصر بن هوازن، فأمر بأن يتتبع ما أعطى ابن الضحاك ويرتجع، فوجد باسم نصيبٍ عشر قلائص، فأمر بمطالبته بها. فقال: والله ما دفع إلي إلا ثماني قلائص فقال: والله ما تخرج من الدار حتى تؤدي عشر قلائص أو أثمانها، فلم يخرج حتى قبض ذلك منه. فلما قدم على هشام سمر عنده ليلةً وتذاكروا النصري، فأنشده قوله فيه:

أفي قلائص جربٍ كن من عملٍ أردى وتنزع من أحشائي الكبد

ثمانياً كن في أهلي وعندهم عشرٌ فأي كتابٍ بعدنا وجدوا

أخانني أخوا الأنصار فانتقصا منها فعندهما الفقد الذي فقدوا

وإن عاملك النصري كلفني في غير نائرةٍ ديناً له صعد

أذنب غيري ولم أذنب يكلفني أم كيف أقتل لا عقلٌ ولا قود

قال: فقال هشام: لا جرم والله، لا يعمل لي النصري عملاً أبداً، فكتب بعزله عن المدينة.

شعر لنصيب في الجفر من نواحي ضرية

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرنا الزبير بن بكار إجازةً عن هارون بن عبد الله الزبيري عن شيخ من الجفر قال: قدم علينا النصيب فجلس في هذا المجلس وأومأ إلى مجلس حذاءه، فاستنشدناه، فأنشدنا قوله:

ألا يا عقاب الوكر وكر ضريةٍ سقتك الغوادي من عقاب ومن وكر

تمر الليالي ما مررن ولا أرى مرور الليالي منسياتي ابنة النضر

وقفت بذي دوران أنشد ناقتي ومالي لديها من قلوصٍ ولا بكر

وما أنشد الرعيان إلا تعلةً بواضحة الأنياب طيبة النشر

أما والذي نادى من الطور عبده وعلم أيام المناسك والنحر

لقد زادني للجفر حباً وأهله ليالٍ أقامتهن ليلى على الجفر

نصيب وعبد الملك بن مروان

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال أخبرني عمر بن إبراهيم السعدي عن يوسف بن يعقوب بن العلاء بن سليمان عن سلمة بن عبد الله بن أبي مسروح قال: قال عبد الملك بن مروان لنصيبٍ أنشدني، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

ومضمر الكشح يطويه الضجيع به طي الحمائل لا جافٍ ولا فقر

وذي روادف لا يلغي الإزار بها يلوى ولو كان سبعاً حين يأتزر

فقال له عبد الملك: يا نصيب، من هذه؟ قال: بنت عم لي نوبيةٌ، لو رأيتها ما شربت من يدها الماء. فقال له: لو غير هذا قلت لضربت الذي فيه عيناك.

رحلة نصيب إلى عبد العزيز

ابن مروان كل عام يستميحه العطاء

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا الحارث بن محمد بن أبي أسامة قال حدثنا المدائني قال: كان عبد العزيز بن مروان اشترى نصيباً وأهله وولده فأعتقهم، وكان نصيب يرحل إليه في كل عام مستميحاً فيجيزه ويحسن صلته. فقال فيه نصيب:

يقول فيحسن القول ابن ليلى ويفعل فوق أحسن ما يقول

فتىً لا يرزأ الخلان إلا مودتهم ويرزؤه الخليل

فبشر أهل مصر فقد أتاهم مع النيل الذي في مصر نيل

نصيب وشاعر هجاه من أهل الحجاز

أخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك الخزاعي أبو دلف قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: كان نصيبٌ يكنى أبا الحجناء، فهجاه شاعرٌ من أهل الحجاز فقال:

رأيت أبا الحجناء في الناس حائراً ولون أبي الحجناء لون البهائم

تراه على ما لاحه من سواده وإن كان مظلوماً له وجه ظالم

فقيل لنصيب: ألا تجيبه! فقال: لا، ولو كانت هاجياً لأحدٍ لأجبته ولكن الله أوصلني بهذا الشعر إلى خيرٍ، فجعلت على نفسي ألا أقوله في شر، وما وصفني إلا بالسواد وقد صدق. أفلا أنشدكم ما وصفت به نفسي؟ قالوا بلى. فأنشدهم قوله:

ليس السواد بناقصي مادام لي هذا اللسان إلى فؤادٍ ثابت

من كان ترفعه منابت أصله فبيوت أشعاري جعلن منابتي

كم بين أسود ناطقٍ ببيانه ماضي الجنان وبين أبيض صامت

إني ليحسدني الرفيع بناؤه من فضل ذاك وليس بي من شامت

ويروى مكان "من فضل ذاك"، "فضل البيان" وهو أجود.

أخبرني عمي ومحمد بن خلفٍ قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني سعيد بن يحيى الأموي قال حدثني عمي عن محمد بن سعد قال: قال قائل للنصيب: أيها العبد، مالك وللشعر؟! فقال: أما قولك عبدٌ فما ولدت إلا وأنا حرٌ، ولكن أهلي ظلموني فباعوني. وأما السواد فأنا الذي أقول:

وإن أك حالكاً لوني فإني لعقلٍ غير ذي سقطٍ وعاء

وما نزلت بي الحاجات إلا وفي عرضي من الطمع الحياء

شعره في جارية طلبت منه أن يشبب بها

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال حدثت عن السدوسي قال: وقف نصيبٌ على أبيات فاستسقى ماءً، فخرجت إليه جاريةٌ بلبنٍ أو ماءٍ فسقته، وقالت: شبب بي: فقال: وما اسمك؟ فقالت: هندٌ. ونظر إلى جبلٍ وقال: ما اسم هذا العلم؟ قالت: قناً. فأنشأ يقول:

أحب قناً من حب هندٍ ولم أكن   أبالي أقرباً زاده الله أم بعدا
ألا إن بالقيعان من بطن ذي قناً   لنا حاجةً مالت إليه بنا عمدا
أروني قناً انظر إليه فإنني   أحب قناً إني رأيت به هندا

قال: فشاعت هذه الأبيات، وخطبت هذه الجارية من أجلها، وأصابت بقول نصيب فيها خيراً كثيراً.

قصته مع جارية خطبها فأبت ثم تزوجته

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل بن نبيه قال حدثنا محمد بن سلام قال: دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك، فقال له: حدثني يا نصيب ببعض ما مر عليك. فقال: نعم، يا أمير المؤمنين! علقت جاريةً حمراء، فمكثت زماناً تمنيني بالأباطيل، فلما ألححت عليها قالت: إليك عني، فوالله لكأنك من طوارق الليل. فقلت لها: وأنت والله لكأنك من طوارق النهار. فقالت: ما أظرفك يا أسود! فغاظني قولها، فقلت لها: هل تدرين ما الظرف؟ إنما الظرف العقل. ثم قالت لي: انصرف حتى أنظر في أمرك. فأرسلت إليها هذه الأبيات:

فإن أك حالكاً فالمسك أحوى   وما لسواد جلدي من دواء
ولي كرمٌ عن الفحشاء ناءٍ   كبعد الأرض من جو السماء
ومثلي في رجالكم قليلٌ   ومثلك ليس يعدم في النساء
فإن ترضي فردي قول راضٍ   وإن تأبي فنحن على السواء

قال: فلما قرأت الشعر قالت: المال والشعر يأتيان على غيرهما، فتزوجتني.

استجادة الأصمعي شعراً لنصيب

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي قال: أنشدنا الأصمعي لنصيب وكان يستجيد هذه الأبيات ويقول إذا أنشدها: قاتل الله نصيباً ما أشعره!.

فإن يك من لوني السواد فإنني   لكالمسك لا يروى من المسك ذائقه
وما ضر أثوابي سوادي وتحتها   لباسٌ من العلياء بيضٌ بنائقه

إذا المرء لم يبذل من الود مثل ما بذلت له فاعلم بأني مفارقه

نصيب وجرير

أخبرني الفضل بن الحباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام عن خلفٍ: أن نصيباً أنشد جريراً شيئاً من شعره، فقال له: كيف ترى يا أبا حرزة؟ فقال له: أنت أشعر أهل جلدتك.

نصيب والوليد بن عبد الملك

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران بن محمد عن المسور بن عبد الملك قال:

قال نصيب لعبد الرحمن بن أزهر: أنشدت الوليد بن عبد الملك، فقال لي: أنت أشعر أهل جلدتك، والله ما زاد عليها! فقال لي عبد الرحمن: يا أبا محجن، أفرضيت منه أن جعلك أشعر السودان فقط؟ فقال له: وردت والله يابن أخي أنه أعطاني أكثر من هذا، ولكنه لم يفعل ولست بكاذبك.

نصيب ووصفه لشعره وشعر معاصريه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة قال: قال لي محمد بن عبد ربه: دخلت مسجد الكوفة، فرأيت رجلاً لم أر قط مثله ولا أشد سواداً منه، ولا أنقى ثياباً منه، ولا أحسن زياً. فسألت عنه، فقيل: هذا نصيب. فدنوت منه فحدثته، ثم قلت له: أخبرني عنك وعن أصحابك. فقال: جميلٌ إمامنا، وعمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحجال، وكثير أبكانا على الدمن وأمدحنا للملوك، وأما أنا فقد قلت ما سمعت. فقلت له: إن الناس يزعمون أنك لا تحسن أن تهجو. فضحك ثم قال: أفتراهم يقولون: إني لا أحسن أن أمدح؟ فقلت لا. فقال: أفما تراني أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخزاك الله؟ قال قلت بلى. قال: فإني رأيت الناس رجلين: إما رجلٌ لم أسأله شيئاً فلا ينبغي أن أهجوه فأظلمه، وإما رجلٌ سألته فمنعني فنفسي كانت أحق بالهجاء، إذ سولت لي أن أساله وأن أطلب ما لديه.

نصيب وكثير والأحوص

في مجلس امرأة من بني أمية

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني عبد الله بن إسماعيل بن أبي عبيد الله كاتب المهدي قال: وجدت في كتاب أبي بخطه: حدثني أبو يوسف التجيبي قال حدثني إسماعيل بن المختار مولى آل طلحة وكان شيخاً كبيراً قال: حدثني النصيب أبو محجن أنه خرج هو وكثير والأحوص غب يومٍ أمطرت فيه السماء، فقال: هل لكم في

أن نركب جميعاً فنسير حتى نأتي العقيق فنمتع فيه أبصارنا؟ فقالوا نعم. فركبوا أفضل ما يقدرون عليه من الدواب، ولبسوا أحسن ما يقدرون عليه من الثياب، وتنكروا ثم ساروا حتى أتوا العقيق، فجعلوا يتصفحون ويرون بعض ما يشتهون، حتى رفع لهم سوادٌ عظيمٌ فأموه حتى أتوه، فإذا وصائف ورجالٌ من الموالي ونساء بارزاتٌ، فسألنهم أن يترلوا، فاستحيوا أن يجيبوهن من أول وهلةٍ، فقالوا: لا نستطيع أو نمضي في حاجةٍ لنا. فحلفنهم أن يرجعوا إليهن، ففعلوا وأتوهن، فسألنهم الترول فترلوا. ودخلت امرأةٌ من النساء فاستأذنت لهم، فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت: ادخلوا. فدخلنا على امرأة جميلة برزةٍ على فرش لها، فرحبت وحيت، وإذا كراسي موضوعةٌ، فجلسنا جميعاً في صف واحدٍ كل إنسانٍ على كرسي. فقالت: إن أحببتم أن ندعو بصبي لنا فنصيحه ونعرك أنذه فعلنا، وإن شئتم بدأنا بالغداء. فقلنا: بل تدعين بالصبي ولن يفوتنا الغداء. فأومأت بيدها إلى بعض الخدم، فلم يكن إلا كلا ولا حتى جاءت جاريةٌ جميلةٌ قد سترت بمطرفٍ، فأمسكوه عليها حتى ذهب بمرها، ثم كشف عنها وإذا جاريةٌ ذات جمالٍ قريبةٌ من جمال مولاتها، فرحبت بهم وحيتهم، فقالت لها مولاتها: خذي - ويحك - من قول النصيب عافى الله أبا محجن:

ألا هل من البين المفرق من بد | وهل مثل أيامٍ بمنقطع السعد
تمنيت أيامي أولئك، والمنى | على عهد عادٍ ما تعيد ولا تبدي

فغنته، فجاءت به كأحسن ما سمعته قط بأحلى لفظٍ وأشجى صوت. ثم قالت لها: خذي أيضاً من قول أبي محجن عافى الله أبا محجن:

أرق المحب وعاده سهده | لطوارق الهم التي ترده
وذكرت من رقت له كبدي | وأبى فليس ترق لي كبده
لا قومه قومي ولا بلدي فنكون حيناً جيزةً بلده
ووجدت وجداً لم يكن أحد | قبلي من أجل صبابةٍ يجده
إلا ابن عجلان الذي تبلت | هندٌ ففات بنفسه كمده

قال: فجاءت به أحسن من الأول، فكدت أطير سروراً. ثم قالت لها: ويحك! خذي من قول أبي محجن عافى الله أبا محجن:

فيا لك من ليلٍ تمتعت طوله | وهل طائفٌ من نائمٍ متمتع
نعم إن ذا شجوٍ متى يلق شجوه | ولو نائماً مستعتبٌ أو مودع
له حاجةٌ قد طالما قد أسرها | من الناس في صدرٍ بها يتصدع
تحملها طول الزمان لعلها | يكون لها يوماً من الدهر منزع

وقد قرعت في أم عمرٍو لي العصا قديماً كما كانت لذي الحلم تقرع

قال: فجاءت والله بشيء حيرني وأذهلني طرباً لحسن الغناء وسروراً باختيارها الغناء في شعري، وما سمعت فيه من حسن الصنعة وجودها وإحكامها. ثم قالت لها: خذي أيضاً من قول أبي محجنٍ، عافى الله أبا محجن:

يا أيها الركب إني غير تابعكم حتى تلموا وأنتم بي ملمونا

فما أرى مثلكم ركباً كشكلكم يدعوهم ذو هوى إلا يعوجونا

أم خبروني عن دائي بعلمكم وأعلم الناس بالداء الأطبونا

قال نصيب: فوالله لقد زهيت بما سمعت زهواً خيل إلي أني من قريش، وأن الخلافة لي. ثم قالت: حسبك يا بنية! هات الطعام يا غلام! فوثب الأحوص وكثيرٌ وقالا: والله لا نطعم لك طعاماً ولا نجلس لك في مجلس؛ فقد أسأت عشرتنا واستخففت بنا، وقدمت شعر هذا على أشعارنا، واستمعت الغناء فيه، وإن في أشعارنا لما يفضل شعره، وفيها من الغناء ما هو أحسن من هذا. فقالت: على معرفةٍ كل ما كان مني، فأي شعركما أفضل من شعره؟ أقولك يا أحوص:

"يقر بعيني ما يقر بعينها وأحسن شيء ما به العين قرت

أو قولك يا كثير في عزة:

وما حسبت ضمريةٌ جدويةٌ سوى التيس ذي القرنين أن لها بعلا

أم قولك فيها:

إذا ضمريةٌ عطست فنكها فإن عطاسها طرف السفاد

قال: فخرجا مغضبين واحتبستني، فتغديت عندها، وأمرت لي بثلثمائة دينار وحلتين وطيبٍ، ثم دفعت إلي مائتي دينار وقالت: ادفعها إلى صاحبيك؛ فإن قبلاها وإلا فهي لك. فأتيتهما منازلهما فأخبرتهما القصة. فأما الأحوص فقبلها، وأما كثير فلم يقبلها، وقال: لعن الله صاحبتك وجائزتها ولعنك معها! فأخذتها وانصرفت.

فسألت النصيب: ممن المرأة؟. فقال: من بني أمية ولا أذكر اسمها ما حييت لأحد.

رثاء نصيب عبد العزيز وقد مات بسكر

من قرى الصعيد

أخبرني عيسى بن يحيى الوراق عن أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني قال: وقع الطاعون بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان إياها، فخرج هارباً منه فتزل بقريةٍ من الصعيد يقال لها "سكر". فقدم عليه حين نزلها

رسولٌ لعبد الملك، فقال له عبد العزيز: ما اسمك؟ فقال: طالب بن مدرك. فقال: أوه، ما أراني راجعاً إلى الفسطاط أبداً! ومات في تلك القرية. فقال نصيبٌ يرثيه:

أصبت يوم الصعيد من سكرٍ مصيبةً ليس لي بها قبل
تالله أنسى مصيبتي أبداً ما أسمعتني حنينها الإبل
ولا التبكي عليه أعوله كل المصيبات بعده جلل
لم يعلم النعش ما عليه من ال عرف ولا الحاملون ما حملوا
حتى أجنوه في ضريحهم حين انتهى من خليلك الأمل

غنى في هذه الأبيات ابن سريج، ولحنه رملٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وذكر الهشامي أن له فيه لحناً من الهزج، وذكر ابن بانة أن الرمل لابن الهربذ.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن مصعب الزبيري عن مشيخةٍ من أهل الحجاز: أن نصيباً دخل على عبد الملك بن مروان، فقال له: أنشدني بعض ما رثيت به أخي؛ فأنشده قوله:

عرفت وجربت الأمور فما أرى كماضٍ تلاه الغابر المتأخر
ولكن أهل الفضل من أهل نعمتي يمرون أسلافاً أمامي وأغبر
فإن أبكه أعذر وإن أغلب الأسى بصبرٍ فمثلي عندما اشتد يصبر
وكانت ركابي كلما شئت تنتحي إليك فتقضي نحبها وهي ضمر
ترى الورد يسراً والثواء غنيمةً لديك وتثنى بالرضا حين تصدر
فقد عريت بعد ابن ليلى فإنما ذراها لمن لاقت من الناس منظر
ولو كان حيا لم يزل بدفوفها مرادٌ لغربان الطريق ومنقر
فإن كن قد نلن ابن ليلى فإنه هو المصطفى من أهله المتخير

فلما سمع عبد الملك قوله:

فإن أبكه أعذر وإن أغلب الأسى بصبرٍ فمثلي عندما اشتد يصبر

قال له: ويلك! أنا كنت أحق بهذ الصفة في أخي منك! فهلا وصفتني بها! وجعل يبكي.

نصيب وعبد الله بن إسحاق البصري

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي يحيى محمد بن كناسة قال: قال لي عبد الله بن إسحاق البصري: لو وليت العراق لاستكتبت نصيباً. قلت: لماذا؟ قال لفصاحته وحسن تخلصه إلى جيد الكلام، ألم تسمع قوله:

فلا النفس ملتها ولا العين تنتهي — إليها سوام الطرف عنها فترجع
رأتها فما ترتد عنها سآمةً — ترى بدلاً منها به النفس تقنع

نصيب وإبراهيم بن هشام

أخبرني الحرمي عن الزبير عن محمد بن الحسن قال: دخل نصيب على إبراهيم بن هشام فأنشده مديحاً له. فقال إبراهيم: ما هذا بشيء! أين هذا من قول أبي دهبلٍ لصاحبنا ابن الأزرق حيث يقول:

إن تغد من منقلي نخلان مرتحلاً — يرحل من اليمن المعروف والجود

قال: فغضب نصيبٌ ونزع عمامته وبرك عليها، وقال: لئن تأتونا برجالٍ مثل ابن الأزرق نأتكم بمثل مديح أبي دهبل أو أحسن؛ إن المديح والله إنما يكون على قدر الرجال. قال: فأطرق ابن هشام، وعجبوا من إقدام نصيبٍ عليه، ومن حلم ابن هشامٍ وهو غير حليم.

نصيب وأم بكر الخزاعية

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري: أن نصيباً كان ربما قدم من الشأم فيطرح في حجر أم بكرٍ الخزاعية أربعمائة دينار، وأن عبد الملك بن مروان ظهر على تعلقه بها ونسيبه فيها، فنهاه عن ذلك حتى كف.

نصيب وشيء من أوصافه الخلقية

أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عثمان بن حفص الثقفي عن أبيه قال: رأيت النصيب بالطائف، فجاءنا وجلس في مجلسنا وعليه قميص قوهي ورداءٌ وحبرةٌ، فجعل ينشدنا مديحاً لابن هشام، ثم قال: إن الوادي مسبعةٌ، فمن أهل المجلس؟ قالوا: ثقيف؛ فعرف أنا نبغض ابن هشام ويبغضنا، فقال: إنا لله! أبعد ابن ليلى أمتدح ابن جيداء! فقال له أهل المجلس: يا أبا محجن، أتطلب القريض أحياناً فيعسر عليك؟ فقال: إي والله لربما فعلت، فآمر براحلتي فيشد بها رحلي، ثم أسير في الشعاب الخالية، وأقف في الرباع المقوية، فيطربني ذلك ويفتح لي الشعر. والله إني على ذلك ما قلت بيتاً قط تستحي الفتاة الحيية من إنشاده في ستر أبيها. قال إسحاق قال عثمان بن حفص فوصفه أبي وقال: كأني أراه صدعاً خفيف العارضين ناتيء الحنجرة.

نصيب وابن أبي عتيق

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه عن محمد بن كناسة قال: أنشد نصيب قوله:

وكدت ولم أخلق من الطير إن بدا　　　لها بارقٌ نحو الحجاز أطير

فسمعه ابن أبي عتيق، فقال: يابن أم، قل غاق فإنك تطير. يعني أنه غرابٌ أسود.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال أخبرني أحمد بن محمد الأسدي أسد قريشٍ قال: قال ابن أبي عتيق لنصيب: إني خارج، أفترسل إلى سعدى بشيء؟ قال: نعم، بيتي شعرٍ. قال: قل، فقال:

أتصبر عن سعدى وأنت صبور　　　وأنت بحسن الصبر منك جدير

وكدت ولم أخلق من الطير إن بدا　　　سنى بارقٍ نحو الحجاز أطير

قال: فأنشد ابن أبي عتيق سعدى البيتين، فتنفست تنفسةً شديدة. فقال ابن أبي عتيق: أوه! أجبته والله بأجود من شعره، ولو سمعك خليلك لنعق وطار إليك.

نصيب والحكم بن المطلب

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الكاتب قال حدثني أبو هفان عن إسحاق الموصلي عن المسيبي قال: قال أبو النجم: أتيت الحكم بن المطلب فمدحته، وخرج إلى السعاية فخرجنا معه ومعه عدةٌ من الشعراء. فبينا هو مع أصحابه يوماً واقفٌ، إذا براكب يوضع في السراب وإذا هو نصيب، فتقدم إليه فمدحه فأمر بإنزاله، فمكث أياماً حتى أتاه فقال: إني قد خلفت صبيةً صغاراً وعيالاً ضعافاً. فقال له: ادخل الحظيرة فخذ منها سبعين فريضةً. فقال له: جعلني الله فداك قد أحسنت! ومعي ابنٌ لي أخاف أن يثلمها علي. قال: فادخل فخذ له سبعين فريضة أخرى؛ فانصرف بمائة وأربعين فريضة.

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير عن محمد بن الضحاك عن عثمان عن أبيه قال:

قيل لنصيب: هرم شعرك. قال: لا! والله ما هرم، ولكن العطاء هرم، ومن يعطيني مثل ما أعطاني الحكم بن المطلب! خرجت إليه وهو ساعٍ على بعض صدقات المدينة، فلما رأيته قلت:

أبا مروان لست بخارجيٍّ　　　وليس قديم مجدك بانتحال

أغر إذا الرواق انجاب عنه　　　بدا مثل الهلال على المثال

تراءاه العيون كما تراءى　　　عشية فطرها وضح الهلال

قال: فأعطاني أربعمائة ضائنةٍ ومائة لقحةٍ، وقال: ارفع فراشي؛ فرفعته فأخذت من تحته مائتي دينارٍ.

نصيب وكثير عند أبي عبيدة

ابن عبد الله بن زمعة

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا الزبير قال حدثني أسعد بن عبد الله المري عن إبراهيم بن سعيد بن بشر بن عبد الله بن عقيل الخارجي عن أبيه قال: والله إني لمع أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة في حواءٍ له، إذ جاءه كثير فحياه، فاحتفى به، ودعا بالغداء فشرعنا فيه وشرع معنا كثير؛ وجاء رجل فسلم فرددنا عليه السلام واستدنيناه، فإذا نصيب في بزةٍ جميلةٍ قد وافى الحج قادماً من الشأم، فأكب على أبي عبيدة فعانقه وسأله ثم دعاه إلى الغداء، فأكل مع القوم، فرفع كثير يده وأقلع عن الطعام، وأقبل عليه أبو عبيدة والقوم جميعاً يسألونه أن يأكل، فأبى فتركوه. وأقبل كثير على نصيب فقال: والله يا أبا محجن، إن أثر أهل الشأم عليك لجميل، لقد رجعت هذه الكرة ظاهر الكبر قليل الحياء. فقال له نصيب: لكن أثر الحجاز عليك يا أبا صخر غير جميل. "لقد رجعت" وإنك لزايد النقص، كثير الحماقة. فقال كثير: أنا والله أشعر العرب حيث أقول لمولاتك:

إذا أمسيت بطن مجاح دوني ... وعمقٌ دون عزة فالبقيع

فليس بلائمي أحد يصلي ... إذا أخذت مجاريها الدموع

فقال له نصيب: أنا والله أشعر منك حيث أقول لابنة عمك:

خليلي إن حلت كلية فالربا ... فذا أمجٍ فالشعب ذا الماء والحمض

فأصبح من حوران رحلي بمنزلٍ ... يبعده من دونها نازح الأرض

وأيأستما أن يجمع الدهر بيننا ... فخوضا لي السم المصرح بالمحض

ففي ذاك من بعض الأمور سلامةٌ ... وللموت خيرٌ من حياةٍ على غمض

قال: فاقتحم إليه كثيرٌ، وثبت له النصيب. فلما نالته رجلاه رمحه نصيبٌ بساقه رمحةً طاح منها بعيداً عنه، فما زال راقداً حتى أيقظناه عشياً لرمي الجمار.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير عن محمد بن موسى بن طلحة عن عبد الله بن عمر بن عثمان النحوي عن أنيس بن ربيعة الأسلمي أنه قال: غدوت يوماً إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة وهو محتلٌ بالرحبة، فألفيت عنده جماعةً منا ومن غيرنا، فأتاه آتٍ فقال له: ذاك النصيب منذ ثلاثٍ بالفرش من ملل متلددٌ كأنه واله في أثر قومٍ ظاعنين. فنهض أبو عبيدة ونهضنا معه، فإذا نصيب على المنحر من صفر. فلما عايننا وعرف أبا عبيدة هبط؛ فسأله عن أمره، فأخبره أنه تبع قوماً سائرين وأنه وجد آثارهم ومحلهم بالفرش فاستولهه ذلك. فضحك به أبو عبيدة والقوم، وقالوا له: إنما يهتر إذا عشق من انتسب عذريا، فأما أنت فما لك ولهذا؟! فاستحيا وسكن. وسأله أبو عبيدة: هل قلت في مقامك شعراً؟ قال: نعم! وأنشد:

لعمري لئن أمسيت بالفرش مقصداً ... ثوياك عبودٌ وعدنة أو صفر

ففرع صبا أو تيمم مصعداً — لربعٍ قديم العهد ينتكف الأثر
دعا أهله بالشأم برقٌ فأوجفوا — ولم أر متبوعاً أضر من المطر
لتستبدلن قلباً عيناً سواهما — وإلا أتى قصداً حشاشتك القدر
خليلي فيما عشتما أو رأيتما — هل اشتاق مضرورٌ إلى من به أضر
نعم ربما كان الشقاء متيحاً — يغطي على سمع ابن آدم والبصر

قال: فانصرف به "أبو عبيدة" إلى مترله، وأطعمه وكساه وحمله، وانصرف وهو يقول:

أصاب دواء علتك الطبيب — وخاض لك السلو ابن الربيب
وأبصر من رقاك منفثاتٍ — وداؤك كان أعرف بالطبيب

نصيب ويزيد بن عبد الملك

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال:
دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك ذات يوم، فأنشده قصيدةً امتدحه بها، فطرب لها يزيد واستحسنها، فقال له: أحسنت يا نصيب! سلني ما شئت. فقال: يدك يا أمير المؤمنين بالعطاء أبسط من لساني بالمسألة! فأمر به فملىء فمه جوهراً، فلم يزل به غنياً حتى مات.

نصيب وإبراهيم بن هشام

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا أبو غزية عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال: دخل نصيبٌ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة، فأنشده قوله:

يابن الهشامين لا بيت كبيتهما — إذا تسامت إلى أحسابها مضر

فقال له إبراهيم: قم يا أبا محجن إلى تلك الراحلة المرحولة فخذها برحلها. فقام إليها نصيب متباطئاً والناس يقولون: ما رأينا عطيةً أهنأ من هذه ولا أكرم ولا أعجل ولا أجزل. فسمعهم نصيب فأقبل عليهم وقال: والله إنكم قلما صاحبتم الكرام! وما راحلةٌ ورحل حتى ترفعوهما فوق قدرهما!

نصيب وهشام بن عبد الملك

أخبرني الحرمي وعيسى بن الحسين قالا حدثنا الزبير عن عبد الله بن محمد بن "عبد الله بن" عمرو بن عثمان بن عفان عن أبيه قال: استبطأ هشام بن عبد الملك حين ولي الخلافة نصيباً ألا يكون جاءه وافداً عليه مدحاً له

ووجد عليه. وكان نصيب مريضاً، فبلغه ذلك حين برأ، فقدم عليه وعليه أثر المرض وعلى راحلته أثر النصب، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

حلفت بمن حجت قريشٌ لبيته وأهدت له بدناً عليها القلائد

لئن كنت طالت غيبتي عنك إنني بمبلغ حولي في رضاك لجاهد

ولكنني قد طال سقمي وأكثرت علي العهاد المشفقات العوائد

صريع فراشٍ لا يزلن يقلن لي بنصحٍ وإشفاقٍ متى أنت قاعد

فلما زجرت العيس أسرت بحاجتي إليك وذلت للسان القصائد

وإني فلا تستبطني بمودتي ونصحي وإشفاقي إليك لعامد

فلا تقصني حتى أكون بصرعةٍ فييأس ذو قربي ويشمت حاسد

أنلني وقربني فإني بالغٌ رضاك بعفوٍ من نداك وزائد

أبت نائماً أما فؤادي فهمه قليلٌ وأما مس جلدي فبارد

وقد كان لي منكم إذا ما لقيتكم ليانٌ ومعروف وللخير قائد

إليك رحلت العيس حتى كأنها قسي السرى ذبلاً برتها الطرائد

وحتى هواديها دقاقٌ وشكوها صريف وباقي النقي منها شرائد

وحتى ونت ذات المراح فأذعنت إليك وكل الراسمات الحوافد

قال: فرق له هشامٌ وبكى، قال له: ويحك يا نصيب! لقد أضررنا بك وبرواحلك. ووصله وأحسن صلته واحتفل به.

نصيب وعبد الواحد النصري أمير المدينة

أخبرنا الحرمي عن الزبير عن عمه عن أيوب بن عباية قال: قدم نصيبٌ على عبد الواحد النصري وهو أمير المدينة بفرضٍ من أمير المؤمنين يضعه في قومه من بني ضمرة، فأدخلهم عليه ليفرض لهم وفيهم أربعة غلمة لم يحتلموا، فردهم النصري. فكلمه نصيبٌ كلاماً غليظاً إدلالاً بمترلته عند الخليفة، فأشار إليه إبراهيم بن عبد الله بن مطيع أن اسكت وكف واخرج، فإني كافيك. فلما خرج إبراهيم لقيه نصيب، فقال له: أشرت إلي فكرهت أن أغضبك، فما كرهت لي من مراجعته والصلابة له ومن ورائي المستعتب من أمير المؤمنين؟ فقال إبراهيم: هو رجلٌ عربي حديدٌ غلقٌ، وخشيت إن جاذبته شيئاً ألا يرجع عنه وأن يمضي عليه ويلج فيه، وهو مالكٌ للأمر وله

فيه سلطان، فأردت أن تخرج قبل أن يلج ويظهر منه ما لا يرجع عنه فيمضي عليه ويلج فيه، فتنتظر لتصادف منه طيب نفس فتكلمه ونرفدك عنده. فقال نصيب:

يومان يومٌ لزريقٍ فسل يومه الآخر سمحٌ فضل

أنا - جعلت فداءك - فاعلٌ ذلك، فإذا رأيت القول فأشر إلي حتى أكلمه.

قال: ودخل إليه نصيب عشيات، كل ذلك يشير إليه ابن مطيع ألا يكلمه، حتى صادف عشيةً من العشيات منه طيب نفس، فأشار إليه أن كلمه. فكلمه نصيبٌ فأصاب مختله بكلامه، ثم قال: إني قد قلت شعراً فاسمعه أيها الأمير وأجزه، ثم قال:

أهاج البكا ربعٌ بأسفل ذي السدر عفاه اختلاف العصر بعدك والقطر

نعم فثناني الوجد فاشتقت للذي ذكرت وليس الشوق إلا مع الذكر
حلفت برب الموضعين لربهم وحرمة ما بين المقام إلى الحجر
لئن حاجتي يوماً قضيت ورشتني بنفحة عرف من يديك أبا بشر
لتعترفن الدهر مني مودةً ونصحاً على نصح وشكراً على شكر
سقى الله صوب المزن أرضاً عمرتها بري وأسقاها بلاد بني نصر
بوجهك فاستعملت ما دمت خائفاً لربك تقضي راشداً آخر الدهر
لتنقذ أصحابي وتستر عورةً بدت لك من صحبي فإنك ذو ستر
فما بأمير المؤمنين إلى التي سألت فأعطاني لقومي من فقر
وقد خرجت منه إليك فلا تكن بموضع بيضات الأنوق من الوكر

قال: فقال عثمان بن حيان المري وهو عنده - وكان قد جاءه بالقود من ابن حزم -: قد احتلم الآن القوم أيها الأمير، واستوجبوا الفرض. ورفده ابن مطيع فأحسن، واشتد عليه أن شركه ابن حيان في رفده وتشييعه وقال النصري لابن مطيع وابن حيان: صدقتما قد احتلموا واستوجبوا الفرض، افرض لهم يا فلان - لكاتبٍ من كتابه - ففرض لهم.

عشقه أمة لبني مدلج وشعره فيها

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني جعفر بن علي اليشكري قال حدثني الرياشي عن العتبي قال: دخل نصيب على عبد العزيز بن مروان، فقال له عبد العزيز وقد طال الحديث بينهما: هل عشقت قط؟ قال: نعم، أمةً

لبني مدلج. قال: فكنت تصنع ماذا؟ قال: كانوا يحرسونها مني، فكنت أقنع أن أراها في الطريق وأشير إليها بعيني أو حاجبي، وفيها أقول:

وقفت لها كيما تمر لعلني ... أخالسها التسليم إن لم تسلم

ولما رأتني والوشاة تحدرت ... مدامعها خوفاً ولم تتكلم

مساكين أهل العشق ما كنت أشتري ... جميع حياة العاشقين بدرهم

فقال عبد العزيز: ويحك! فما فعلت؟ قال: بيعت فأولدها سيدها. قال: فهل في نفسك منها شيء؟ قال: نعم، عقابيل أحزان.

عبد العزيز يحمل دينا عن نصيب

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني بهلول بن سليمان بن قرضاب البلوي: أن إبلاً لنصيب أجدبت وحالت، وكان لرجل من أسلم عليه ثمانية آلاف درهم قال: فأخبرني أبي وعمي أنه وفد على عبد العزيز بن مروان، فقال له: جعلني الله فداءك! إني حملت ديناً في إبل ابتعتها مجدباتٍ حيال، وقد قلت فيها شعراً. قال: انشده، فأنشده:

فلما حملت الدين فيها وأصبحت ... حيالاً مسنات الهوى كدت أندم

على حين أن راث الربيع ولم يكن ... لها بصعيدٍ من تهامة مقضم

ثمانيةٌ للأسلمي وما دنا ... لفحشٍ ولا تدنو إلى الفحش أسلم

فقال له عبد العزيز: فما دينك؟ ويحك! قال: ثمانية آلاف، فأمر له بثمانية آلاف درهم. فلما رجع أنشد الأسلمي الشعر فترك ماله عليه، قال: الثمانية الآلاف لك.

نصيب والنسوة الثلاث في المسجد الحرام

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني الموصلي عن ابن أبي عبيدة قال: أتى نصيبٌ مكة فأتى المسجد الحرام ليلاً. فبينما هو كذلك إذ طلع نسوةٍ فجلسن قريباً منه وجعلن يتحدثن ويتذاكرن الشعر والشعراء، وإذا هن من أفصح النساء وآدابهن. فقالت إحداهن: قاتل الله جميلاً حيث يقول:

وبين الصفا والمروتين ذكرتكم ... بمختلفٍ ما بين ساعٍ وموجف

وعند طوافي قد ذكرتك ذكرةً ... هي الموت بل كادت على الموت تضعف

فقالت الأخرى: بل قاتل الله كثير عزة حيث يقول:

طلعن علينا بين مروة والصفا ... يمرن على البطحاء مور السحائب

فكدن لعمر الله يحدثن فتنةً لمختشعٍ من خشية الله تائب

فقالت الأخرى: قاتل الله ابن الزانية نصيباً حيث يقول:

ألام على ليلى ولو أستطيعها وحرمة ما بين البنية والستر
لملت على ليلى بنفسي ميلةً ولو كان في يوم التحالق والنحر

فقام نصيبٌ إليهن فسلم عليهن، فرددن عليه السلام. فقال لهن: إني رأيتكن تتحادثن شيئاً عندي منه علمٌ. فقلن: ومن أنت؟ فقال: اسمعن أولاً. فقلن: هات. فأنشدهن قصيدته التي أولها:

ويوم ذي سلمٍ شاقتك نائحةٌ ورقاء في فننٍ والريح تضطرب

فقلن له: نسألك بالله وبحق هذه البنية، من أنت؟ فقال: أنا ابن المظلومة المقذوفة بغير جرم "نصيب". فقمن إليه فسلمن عليه ورحبن به، واعتذرت إليه القائلة، وقالت: والله ما أردت سوءاً، وإنما حملني الاستحسان لقولك على ما سمعت. فضحك وجلس إليهن. فحادثهن إلى أن انصرفن.

أخبار ابن محرز ونسبه

نسب ابن محرز

هو مسلم بن محرز. فيما روى ابن المكي، ويكنى أبا الخطاب، مولى بني عبد الدار ابن قصي. وقال ابن الكلبي: اسمه سلمٌ. قال ويقال: اسمه عبد الله. وكان أبوه من سدنة الكعبة، أصله من الفرس، وكان أصفر أحنى طويلاً. وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني أخي هارون عن عبد الملك بن الماجشون قال: اسم ابن محرز سلم، وهو مولى بني مخزوم. وذكر إسحاق أنه كان يسكن المدينة مرةً ومكة مرةً، فإذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر يتعلم الضرب من عزة الميلاء، ثم يرجع إلى مكة فيقيم بها ثلاثة أشهر. ثم شخص إلى فارس فتعلم ألحان الفرس وأخذ غناءهم، ثم صار إلى الشأم فتعلم ألحان الروم وأخذ غناءهم، فأسقط من ذلك ما لا يستحسن من نغم الفريقين، وأخذ محاسنها فمزج بعضها ببعض وألف منها الأغاني التي صنعها في أشعار العرب، فأتى بما لم يسمع مثله. وكان يقال له صناج العرب.

ابن محرز أول من غنى الرمل

أخبرني عمي قال حدثني أبو أيوب المديني عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: قال أبي: أول من غنى الرمل ابن محرز وما غني قبله. فقلت له: ولا بالفارسية؟ قال: ولا بالفارسية، وأول من غنى رملاً بالفارسية سلمك في أيام الرشيد، استحسن لحناً من ألحان ابن محرز، فنقل لحنه إلى الفارسية وغنى فيه.

سبب خمول ذكره

قال أبو أيوب وقال إسحاق: كان ابن محرز قليل الملابسة للناس، فأخمل ذلك ذكره فما يذكر منه إلا غناؤه، وأخذت أكثر غنائه جاريةٌ كانت لصديق له من أهل مكة كانت تألفه، فأخذه الناس عنها. ومات بداءٍ كان به. وسقط إلى فارس فأخذ غناء الفرس، وإلى الشأم فأخذ غناء الروم، فتخير من نغمهم ما تغنى به غناءه. وكان يقدم بما يصيبه فيدفعه إلى صديقه ذاك فينفقه كيف شاء، لا يسأله عن شيءٍ منه، حتى إذا كاد أن ينفد جهزه وأصلح من أمره، وقال له: إذا شئت فارحل، فيرحل ثم يعود. فلم يزل كذلك حتى مات.

ابن محرز أول من غنى بزوج من الشعر

واقتدى به المغنون في ذلك

"قال ": وهو أول من غنى بزوجٍ من الشعر، وعمل ذلك بعده المغنون اقتداءً به. وكان يقول: الأفراد لا تتم بها الألحان. وذكر أنه أول ما أخذ الغناء أخذه عن ابن مسجح. قال إسحاق: وكانت العلة التي مات بها الجذام، فلم يعاشر الخلفاء ولا خالط الناس لأجل ذلك.

قال أبو أيوب قال إسحاق: قدم ابن محرز يريد العراق، فلما نزل القادسية لقيه حنينٌ، فقال له: كم منتك نفسك من العراق؟ قال: ألف دينار. قال: فهذه خمسمائة دينارٍ فخذها وانصرف واحلف ألا تعود.

علو كعبه في صنعة الغناء

وقال إسحاق: وقلت ليونس: من أحسن الناس غناء؟ قال: ابن محرز. قلت: وكيف قلت ذاك. قال: إن شئت فسرت، وإن شئت أجملت. قلت: أجمل. قال: كأنه خلق من كل قلبٍ، فهو يغني لكل إنسان بما يشتهي. وهذه الحكاية بعينها قد حكيت في ابن سريج، ولا أدري أيهما الحق.

قال إسحاق: وأخبرني الفضل بن يحيى بن خالد أنه سأل بعض من يبصر الغناء: من أحسن الناس غناءً؟ فقال: أمن الرجال أم من النساء؟ فقلت: من الرجال. فقال: ابن محرز. فقلت: فمن النساء؟ فقال: ابن سريج. قال: وكان إسحاق يقول: الفحول ابن سريج، ثم ابن محرز، ثم معبد ثم الغريض، ثم مالك.

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد: قرأت على أبي حدثنا بعض أهل المدينة، وأخبرني بهذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أخي هارون عن عبد الملك بن الماجشون قال:

كان ابن محرز أحسن الناس غناءً، فمر بهند بنت كنانة بن عبد الرحمن بن نضلة بن صفوان بن أمية بن محرث الكناني حليف قريش، فسألته أن يجلس لها ولصواحب لها، ففعل وقال: أغنيكن صوتاً أمرني الحارث بن خالد بن العاص بن هشام أن أغنيه عائشة بنت طلحة بن عبيد الله في شعر له قاله فيها وهو يومئذ أمير مكة؟ قلن نعم. فغناهن:

صوت

فوددت إذ شحطوا وشطت دارهم وعدتهم عنا عوادٍ تشغل

أنا نطاع وأن تنقل أرضنا أو أن أرضهم إلينا تنقل

لترد من كثبٍ إليك رسائلي بجوابها ويعود ذاك المرسل

عروضه من الكامل. الغناء في هذه الأبيات خفيف رملٍ مطلقٌ في مجرى البنصر، ذكر عمرو بن بانة أنه لابن محرز، وذكر إسحاق أنه لابن سريج.

ابن محرز وحنين الحيري

وقال أبو أيوب المديني في خبره: بلغني أن ابن محرز لما شخص يريد العراق لقيه حنين فقال له: غنني صوتاً من غنائك. فغناه:

صوت

وحسن الزبرجد في نظمه على واضح الليث زان العقودا

يفصل ياقوته دره وكالجمر أبصرت فيه الفريدا

عروضه من المتقارب. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن محرز ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر - قال: فقال له حنين حينئذ: كم أملت من العراق؟ قال: ألف دينار. فقال له: هذه خمسمائة دينارٍ فخذها وانصرف. ولما شاع ما فعل لامه أصحابه عليه؛ فقال: والله لو دخل العراق لما كان لي معه فيه خبزٌ آكله، ولا طرحت وسقطت إلى آخر الدهر. وهذا الصوت أعني:

وحسن الزبرجد في نظمه

من صدور أغاني ابن محرز وأوائلها وما لا يتعلق بمذهبه فيه ولا يتشبه به أحدٌ. ومما يغنى فيه من قصيدة نصيب التي أولها:

أهاج هواك المنزل المتقادم

صوت

لقد راعني للبين نوح حمامةٍ على غصن بانٍ جاوبتها حمائم

هواتف أما من بكين فعهده قديمٌ وأما شجوهن فدائم

الغناء لابن سريج من رواية يونس وعمرو وابن المكي، وهو ثاني ثقيلٍ بالبنصر، وهو من جيد الألحان وحسن الأغاني، وهو مما عارض ابن سريج فيه ابن محرز وانتصف منه.

ذكر الأصوات التي رواها جحظة

عن أصحابه وحكى أنها من الثلاثة المختارة

صوت

إلى جيداء قد بعثوا رسولاً ليحزنها فلا صحب الرسول

كأن العام ليس بعام حج تغيرت المواسم والشكول

الشعر للعرجي، والغناء لإبراهيم الموصلي، ولحنه المختار ماخوري بالوسطى. وهو من خفيف الثقيل الثاني على مذهب إسحاق. وفيه لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالسبابة. في مجرى البنصر، وذكر عمرو بن بانة أن الماخوري لابن سريج.

أخبار العرجي ونسبه

نسب العرجي من قبل أبويه

هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس. وقد شرح هذا النسب في نسب أبي قطيفة. وأم عفان وجميع بني أبي العاص آمنة بنت عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب. وأم عثمان أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس. وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وهي أخت عبد الله بن عبد المطلب أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأمه "وأبيه" ولدا في بطنٍ واحد. وأم عمرو بن عثمان أم أبان بنت جندب الدوسية.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني علي بن صالح عن يعقوب بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال حدثني محرز بن جعفر عن أبيه عن جده قال:

قدم جندب بن عمرو بن حممة الدوسي المدينة مهاجراً في خلافة عمر بن الخطاب، ثم مضى إلى الشأم وخلف ابنته أم أبان عند عمر، وقال له: يا أمير المؤمنين، إن وجدت لها كفئاً فزوجه بها ولو بشراك نعله، وإلا فأمسكها حتى تلحقها بدار قومها بالسراة. فكانت عند عمر، واستشهد أبوها، فكانت تدعوا عمر أباها ويدعوها ابنته.

قال: فإن عمر على المنبر يوماً يكلم الناس في بعض الأمر إذ خطر على قلبه ذكرها، فقال: من له في الجميلة الحسيبة بنت جندب بن عمرو بن حممة، وليعلم امرؤٌ من هو! فقام عثمان فقال: إنا يا أمير المؤمنين. فقال أنت لعمر الله! كم سقت إليها؟ قال: كذا وكذا. قال: قد زوجتكها، فعجله؛ فإنها معدة. قال: ونزل عن المنبر. فجاء

عثمان رضي الله عنه بمهرها، فأخذه عمر في ردنه فدخل به عليها، فقال: يا بنية، مدي حجرك، ففتحت حجرها، فألقى فيه المال، ثم قال: يا بنية، قولي اللهم بارك لي فيه. فقالت: اللهم بارك لي فيه، وما هذا يا أبتاه؟ قال: مهرك. فنفحت به وقالت: واسوأتاه! فقال: احتسبي منه لنفسك ووسعي منه لأهلك، وقال لحفصة: يا بنتاه، أصلحي من شأنها وغيري بدنها واصبغي ثوبها، ففعلت. ثم أرسل بها مع نسوةٍ إلى عثمان. فقال عمر لما فارقته: إنها أمانةٌ في عنقي أخشى أن تضيع بيني وبين عثمان، فلحقهن فضرب على عثمان بابه، ثم قال: خذ أهلك بارك الله لك فيهم. فدخلت على عثمان، فأقام عندها مقاماً طويلاً لا يخرج إلى حاجة. فدخل عليه سعيد بن العاص فقال له: يا أبا عبد الله، لقد أقمت عند أهل الدوسية مقاماً ما كنت تقيمه عند النساء. فقال: أما إنه ما بقيت خصلةٌ كنت أحب أن تكون في امرأة إلا صادفتها فيها ما خلا خصلةً واحدةً. قال: وما هي؟ قال: إني رجل قد دخلت في السن، وحاجتي في النساء الولد، وأحسبها حديثةً لا ولد فيها اليوم. قال: فتبسمت. فلما خرج سعيدٌ من عنده قال لها عثمان: ما أضحكك. قالت: قد سمعت قولك في الولد، وإني لمن نسوةٍ ما دخلت امرأةٌ منهن على سيد قط فرأت حمراء حتى تلد سيد من هو منه. قال: فما رأت حمراء حتى ولدت عمرو بن عثمان. وأم عمر بن عمرو بن عثمان وأم ولدٍ. وأم العرجي آمنة بنت عمر بن عثمان؛ وقال إسحاق: بنت سعيد بن عثمان، وهي لأم ولد.

سبب تلقبه بالعرجي

ونحوه نحو عمر بن أبي ربيعة في شعره

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي: أنه إنما لقب العرجي لأنه كان يسكن عرج الطائف. وقيل: بل سمي بذلك لماءٍ كان له ومالٍ عليه بالعرج. وكان من شعراء قريش، ومن شهر بالغزل منها، ونحا نحو عمر بن أبي ربيعة في ذلك وتشبه به فأجاد. وكان مشغوفاً باللهو والصيد حريصاً عليهما قليل المحاشاة لأحدٍ فيهما. ولم يكن له نباهةٌ في أهله، وكان أشقر أزرق جميل الوجه. وجيداء التي شبب بها هي أم محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي، وكان ينسب بها ليفضح ابنها لا لمحبةٍ كانت بينهما؛ فكان ذلك سبب حبس محمد إياه وضربه له، حتى مات في السجن.

وأخبرني محمد بن مزيد إجازةً عن حماد بن إسحاق فذكر أن حماداً حدثه عن إسحاق عن أبيه عن بعض شيوخه: أن العرجي كان أزرق كوسجاً ناتيء الحنجرة، وكان صاحب غزلٍ وفتوةٍ، وكان يسكن بمالٍ له في الطائف يسمى العرج؛ فقيل له العرجي ونسب إلى ماله. وكان من الفرسان المعدودين مع مسلمة بن عبد الملك بأرض الروم، وكان له معه بلاءٌ ونفقة كثيرة.

قال إسحاق: قد ذكر عتبة بن إبراهيم اللهبي: أن العرجي فيما بلغه باع أموالاً عظاماً كانت له وأطعم ثمنها في سبيل الله حتى نفد ذلك كله. وكان قد اتخذ غلامين، فإذا كان الليل نصب قدره وقام الغلامان يوقدان، فإذا نام

واحد قام الآخر، فلا يزالان كذلك حتى يصحبا، يقول: لعل طارقاً يطرق.

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال حدثني مصعب، وأخبرنا الحرمي عن الزبير عن عمه مصعب، وعن محمد بن الضحاك بن عثمان عن أبيه قال، دخل حديث بعضهم في بعضٍ، وأخبرني محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه عن مصعب قال:

العرجي خليفة عمر بن أبي ربيعة

كانت حبشيةٌ من مولدات مكة ظريفةٌ صارت إلى المدينة، فلما أتاهم موت عمر بن أبي ربيعة اشتد جزعها وجعلت تبكي وتقول: من لمكة وشعابها وأباطحها ونزهها ووصف نسائها وحسنهن وجمالهن ووصف ما فيها! فقيل لها: خفضي عليك؛ فقد نشأ فتى من ولد عثمان رضي الله عنه يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه. فقالت: أنشدوني من شعره، فأنشدوها؛ فمسحت عينها وضحكت وقالت: الحمد لله الذي لم يضيع حرمه.

العرجي وكلابة مولاة العبلى

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب، وأخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عوركٍ اللهبي: أن مولاةً لثقيف يقال لها كلابة كانت عند عبد الله بن القاسم الأموي العبلي، وكان يبلغها تشبيب العرجي بالنساء وذكره لهن في شعره، وكانت كلابة تكثر أن تقول: لشد ما اجترأ العرجي على نساء قريش حين يذكرهن في شعره! ولعمري ما لقي أحداً فيه خير، ولئن لقيته لأسودن وجهه! فبلغه ذلك عنها. قال إسحاق في خبره: وكان العبلى نازلاً على ماء لبني نصر بن معاوية يقال له الفتق على ثلاثة أميال من مكة على طريق من جاء من نجران أنو تبالة إلى مكة، والعرج أعلاها قليلاً مما يلي الطائف. فبلغ العرجي أنه خرج إلى مكة، فأتى قصره فأطاف به، فخرجت إليه كلابة وكان خلفها في أهله، فصاحت به: إليك، ويلك! وجعلت ترميه بالحجارة وتمنعه أن يدنو من القصر. فاستسقاها ماءً فأبت أن تسقيه، وقالت: لا يوجد والله أثرك عندي أبداً فيلصق بي منك شر. فانصرف وقال: ستعلمين! وقال:

صوت

حورٌ بعثن رسولاً في ملاطفةٍ ... ثقفاً إذا غفل النساءة الوهم
إلي أن إيتنا هداً إذا غفلت ... أحراسنا وافتضحنا إن هم علموا
فجئت أمشي على هولٍ أجشمه ... تجشم المرء هولاً في الهوى كرم
إذا تخوفت من شيءٍ أقول له ... قد جف فامض بشيءٍ قدر القلم

أمشي كما حركت ريحٌ يمانيةٌ	غصناً من البان رطباً طله الديم
في حلةٍ من طراز السوس مشربةٍ	تعفو بهدابها ما أثرت قدم
خلت سبيلي كما خليت ذا عذرٍ	إذا رأته عتاق الخيل ينتجم
وهن في مجلسٍ خالٍ وليس له	عين عليهن أخشاها ولا ندم
حتى جلست إزاء الباب مكتتماً	وطالب الحاج تحت الليل مكتتم
أبدين لي أعيناً نجلاً كما نظرت	أدمٌ هجانٌ أتاها مصعبٌ قطم
قالت كلابة من هذا؟ فقلت لها	أنا الذي أنت من أعدائه زعموا
أنا امرؤٌ جد بي حبٌّ فأحرضني	حتى بليت وحتى شفني السقم
لا تكليني إلى قومٍ لو أنهم	من بغضنا أطعموا الحمى إذاً طعموا
وأنعمي نعمةً تجزي بأحسنها	فطالما مسني من أهلك النعم
ستر المحبين في الدنيا لعلهم	أن يحدثوا توبةً فيها إذا أثموا
هذي يميني رهنٌ بالوفاء لكم	فارضي بها ولأنف الكاشح الرغم
قالت رضيت ولكن جئت في قمرٍ	هلا تلبثت حتى تدخل الظلم
فبت أسقي بأكواسٍ أعل بها	من باردٍ طاب منها الطعم والنسم
حتى بدا ساطعٌ للفجر نحسبه	سنى حريقٍ بليلٍ حين يضطرم
كغرة الفرس المنسوب قد حسرت	عنه الجلال تلالا وهو يلتجم
ودعتهن ولا شيءٌ يراجعني	إلا البنان وإلا الأعين السجم
إذا أردن كلامي عنده اعترضت	من دونه عبراتٌ فانثنى الكلم
تكاد إذ رمن نهضاً للقيام معي	أعجازهن من الأنصاف تنقصم

قال: فسمع ابن القاسم العبلي بالشعر يغنى به، وكان العرجي قد أعطاه جماعةً من المغنين وسألهم أن يغنوا فيه، فصنعوا في أبياتٍ منه عدة ألحان، وقال: والله لا أجد لهذه الأمة شيئاً أبلغ من إيقاعها تحت التهمة عند ابن القاسم ليقطع مأكلتها من ماله. قال: فلما سمع العبلي بالشعر يغنى به أخرج كلابة واتهمها، ثم أرسل بها بعد زمانٍ على بعير بين غرارتي بعرٍ، فأحلفها بمكة بين الركن والمقام إن العرجي كذب فيما قاله. فحلفت سبعين يميناً، فرضي عنها وردها. فكان بعد ذلك إذا سمع قول العرجي:

فطالما مسني من أهلم النعم

قال: كذب والله ما مسه ذلك قط. وقال إسحاق: وقد قيل: إن صاحب هذه القصيدة "والقصة" أبو حراب العبلي، وإن كلابة كانت أمةً لسعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان، وكان العرجي قد خطبها وسميت به، ثم خطبها يزيد بن عبد الملك أو الوليد بن يزيد فزوجته، فقال العرجي هذا الشعر فيها. غنى في قوله:

أمشي كما حركت ريحٌ يمانيةٌ

علي بن هشام هزجاً مطلقاً بالبنصر، وفيه للمسدود هزجٌ آخر طنبوريٌ، ذكر ذلك جحظة. وفي:

لا تكليني إلى قومٍ لو أنهم

رملٌ لابن سريج عن ابن المكي وإسحاق بالسبابة في مجرى الوسطى. وفي "قالت كلابة" والذي بعده لعبيد الله بن أبي غسان لحنٌ من خفيف الرمل. ولنبيه في "أنا امرؤ جد بي" وما بعده، هزجٌ بالوسطى. ولدحمان في "حورٌ بعثن" وما بعده، هزجٌ بالوسطى، وروى عنه الهشامي فيه ثقيلاً أول. ولأبي عيسى بن المتوكل في "وأنعمي نعمةً" وبيتين بعده، ثقيل أول.

وأخبرني بخبر العرجي وكلابة هذه الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب، وأخبرني به وكيعٌ عن أبي أيوب المديني عن مصعب وذكر نحواً مما ذكره إسحاق؛ وزعما أن كلابة كانت قيمةً لأبي حراب العبلي وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس.

أيوب بن مسلمة وأشعب يتذكران شعره

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني مسلمة بن إبراهيم بن هشام قال: كنت عند أيوب بن مسلمة ومعنا أشعب، فذكر قول العرجي:

أين ما قلت مت قبلك أينا ... أين تصديق ما وعدت إلينا

فلقد خفت منك أن تصرمي الحب ... ل وأن تجمعي مع الصرم بينا

ما تقولين في فتىً هام إذ ها ... م بمن لا ينال جهلاً وحينا

فاجعلي بيننا وبينك عدلاً ... لا تحيفي ولا يحيف علينا

واعلمي أن في القضاء شهوداً ... أو يميناً فأحضري شاهدينا

خلتي لو قدرت منك على ما ... قلت لي في الخلاء حين التقينا

ما تحرجت من دمي علم الل ... ه ولو كنت قد شهدت حنينا

قال فقال أيوب لأشعب: ما تظن أنها وعدته؟ قال: أخبرك يقيناً لا ظناً أنها وعدته أن تأتيه في شعب من شعاب العرج يوم الجمعة إذا نزل الرجال إلى الطائف للصلاة، فعرض لها عارض شغلٍ فقطعها عن موعده. قال: فمن كان الشاهدان؟ قال: كسيرٌ وعوير، وكل غيرٍ خيرٌ: فندٌ أبو زيد مولى عائشة بنت سعد، وزور الفرق مولى الأنصار. قال: فمن العدل الحكم؟ قال: حصين بن غرير الحميري. قال: فما حكم به؟ قال: أدت إليه حقه وسقطت المؤنة عنه. قال: يا أشعب، لقد أحكمت صناعتك! قال: سل علامةً عن علمه.

شعره في عاتكة زوجة طريح الثقفي

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عورك اللهبي قال: قال العرجي في امرأة من بني حبيب "بطنٍ من بني نصر بن معاوية" يقال لها عاتكة، وكانت زوجة طريح بن إسماعيل الثقفي:

يا دار عاتكة التي بالأزهر   أو فوقه بقفا الكثيب الأحمر
لم ألق أهلك بعد عام لقيتهم   يا ليت أن لقاءهم لم يقدر

صوت

بفناء بيتك وابن مشعب حاضرٌ   في سامرٍ عطرٍ وليلٍ مقمر
مستشعرين ملاحفاً هرويةً   بالزعفران صباغها والعصفر
فتلازما عند الفراق صبابةً   أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

الأزهر: على ثلاثة أميال من الطائف. وابن مشعبٍ الذي عناه مغنٍّ من أهل مكة كان في زمن ابن سريج. والغناء في هذه الأبيات له رملٌ بالوسطى. قال إسحاق: كان ابن مشعب من أحسن الناس وجهاً وغناء، ومات في تلك الأيام، فأدخل الناس غناءه في غناء ابن سريج والغريض. قال: وهذا الصوت ينسبه من لا يعلم إلى ابن محرزٍ، يعني:

بفناء بيتك وابن مشعب حاضر

قال: وهو الذي غنى:

أقفر ممن يحله السند   فالمنحنى فالعقيق فالجمد
ويحي غداً إن غدا علي بما   أحذر من فرقة الحبيب غد

والناس ينسبونه إلى ابن سريج.

حكاية يرويها ابن مخارق عن العرجي

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن ثابت بن إبراهيم الأنصاري قال حدثني ابن مخارق قال: واعد العرجي هوىً له شعباً من شعاب عرج الطائف إذا نزل رجالها يوم الجمعة إلى مسجد الطائف. فجاءت على أتانٍ لها معها جاريةٌ لها، وجاء العرجي على حمار معه غلام له، فواقع المرأة، وواقع الغلام الجارية، ونزا الحمار على الأتان. فقال العرجي: هذا يومٌ قد غاب عذاله:

غنى العرجي

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا النضر بن عمرو عن ابن داحة قال: كان العرجي يستقي على إبله في شملتين، ثم يغتسل ويلبس حلتين بخمسمائة دينارٍ، ثم يقول:

يوماً لأصحابي ويوماً للمال ... مدرعةٌ يوماً ويوماً سربال

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن بعض رجاله: أن العرجي كان غازياً فأصابت الناس مجاعةٌ، فقال للتجار: أعطوا الناس وعلي ما تعطون، فلم يزل يعطيهم ويطعم الناس حتى أخصبوا، فبلغ ذلك عشرين ألف دينار، فألزمها العرجي نفسه. وبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز فقال: بيت المال أحق بهذا، فقضى التجار ذلك المال من بيت المال.

العرجي وأم الأوقص

وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومي القاضي

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن عمه، وأخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيري وغيره: أن العرجي خرج إلى جنبات الطائف متنزهاً، فمر ببطن النقيع فنظر إلى أم الأوقص، وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومي القاضي، وكان يتعرض لها، فإذا رآها رمت بنفسها وتسترت منه، وهي امرأة من بني تميم، فبصر بها في نسوةٍ جالسةً وهن يتحدثن، فعرفها وأحب أن يتأملها من قرب، فعدل عنها ولقي أعرابياً من بني نصر على بكرٍ له ومعه وطبا لبنٍ، فدفع إليه دابته وثيابه وأخذ قعوده ولبنه ولبس ثيابه، ثم أقبل على النسوة فصحن به: يا أعرابي، أمعك لبنٌ؟ قال: نعم، ومال إليهن وجلس يتأمل أم الأوقص، وتواثب من معها إلى الوطبين، وجعل العرجي يلحظها وينظر أحياناً إلى الأرض كأنه يطلب شيئاً وهن يشربن من اللبن. فقالت له امرأةٌ منهن: أي شيء تطلب يا أعرابي في الأرض؟ أضاع منك شيء؟ قال: نعم قلبي. فلما سمعت التميمية كلامه نظرت إليه وكان أزرق فعرفته، فقالت: العرجي بن عمر ورب الكعبة! ووثبت وسترها نساؤها وقلن: انصرف عنا لا حاجة بنا إلى لبنك. فمضى منصرفاً، وقال في ذلك:

أقول لصاحبي ومثل ما بي شكاه المرء ذو الوجد الأليم

إلى الأخوين مثلهما إذا ما تأوبه مؤرقه الهموم

لحيني والبلاء لقيت ظهراً بأعلى النقع أخت بني تميم

فلما أن رأت عيناني منها أسيل الخد في خلقٍ عميم

وعيني جؤذرٍ خرقٍ وثغراً كلون الأقحوان وجيد ريم

حنا أترابها دوني عليها حنو العائدات على السقيم

قال إسحاق في خبره: فقال رجل من بني جمع يقال له ابن عامر للأوقص وقضى عليه بقضية فتظلم منه: والله لو كنت أنا عبد الله بن عمر العرجي لكنت قد أسرفت علي. فضربه الأوقص سبعين سوطاً.

ابو السائب المخزومي وشعر العرجي

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه قال: أتاني أبو السائب المخزومي ليلةً بعد ما رقد السامر فأشرفت عليه. فقال: سهرت وذكرت أخاً لي أستمتع به، فلم أجد سواك. فلو مضينا إلى العقيق فتناشدنا وتحدثنا! فمضينا، فأنشدته في بعض ذلك بيتين للعرجي:

باتا بأنعم ليلةٍ حتى بدا صبحٌ تلوح كالأغر الأشقر

فتلازما عند الفراق صبابةً أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فقال: أعده علي، فأعدته. فقال: أحسن والله! امرأته طالقٌ إن نطق بحرف غيره حتى يرجع إلى بيته. قال: فلقينا عبد الله بن حسن بن حسن، فلما صرنا إليه وقف بنا وهو منصرفٌ من ماله يريد المدينة، فسلم ثم قال: كيف أنت يا أبا السائب؟ فقال:

فتلازما عند الفراق صبابةً أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إلي فقال: متى أنكرت صاحبك؟ فقلت: منذ الليلة. فقال: إنا لله! وأي كهلٍ أصيبت منه قريشٌ! ثم مضينا، فلقينا محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة يريد مالاً له على بغلةٍ له ومعه غلامٌ على عنقه مخلاةٌ فيها قيد البغلة، فسلم ثم قال: كيف أنت يا أبا السائب؟ فقال:

فتلازما عند الفراق صبابةً أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

قلت: آنفاً. فلما أراد المضي قلت: أفتدعه هكذا؟ ولله ما آمن أن يتهور في بعض آبار العقيق! قال: صدقت، يا غلام قيد البغلة، فأخذ القيد فوضعه في رجله وهو ينشد البيت ويشير بيده إليه يري أنه يفهم عنه قصته. ثم نزل

الشيخ وقال لغلامه: يا غلام، احمله على بغلتي وألحقه بأهله. فلما كان بحيث علمت أنه فاته أخبرته بخبره، فقال: قبحك الله ماجناً! فضحت شيخاً من قريش وغررتني.

ابن أبي عتيق وشعر العرجي

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عروة بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عروة بن أذينة قال: أنشد ابن جندبٍ الهذلي ابن أبي عتيق قول العرجي:

وما أنس م الأشياء لا أنس قولها ... لخادمها قومي اسألي لي عن الوتر

فقالت يقول الناس في ست عشرةً ... فلا تعجلي منه فإنك في أجر

فما ليلةٌ عندي وإن قيل جمعة ... ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفطر

بعادلة الإثنين عندي وبالحرى ... يكون سواءً منهما ليلة القدر

فقال ابن أبي عتيق: أشهدكم أنها حرةٌ من مالي إن أجاز ذلك أهلها، هذه والله أفقه من ابن شهاب.

شعر العرجي في زوجته أم نعمان

بنت بكير بن عمرو بن عثمان بن عفان

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: تزوج العرجي أم عثمان بنت بكير بن عمرو بن عثمان بن عفان، وأمها سكينة بنت مصعب بن الزبير، فقال فيها:

إن عثمان والزبير أحلا ... دارها باليفاع إذ ولداها

إنها بنت كل أبيض قرمٍ ... نال في المجد من قصي ذراها

سكن الناس بالظواهر منها ... وتبوا لنفسه بطحاها

قال إسحاق: ولما تزوج الرشيد زوجته العثمانية أعجب بها، فكان كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات.

العرجي وأبو عدي العبلي

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: حدثت أن أبا عدي العبلي خرج يريد وادياً نحو الطائف يقال له جلدان، فمر بعبد الله بن عمر العرجي وهو نازلٌ هناك بوادٍ يقال له العرج، فأرسل إليه غلاماً له فأعلمه بمكانه، فأتاه الغلام فقال له: هذا أبو عدي، فأمر أن يترله في مسجد الخيف، فأنزل وأبطأ عليه في الخروج. فقال للغلام: ويحك! ما يحبس مولاك؟ قال: عنده ابن وردان مولى معاوية، وهما يأكلان القسب

والجلجلان. ثم بعث إليه بخبز ولبن، وبعث لرواحله بحمضٍ وقدم إلى رواحل ابن وردان القت والشعير. فكتب إليه أبو عدي:

أبا عمرٍ لم تنزل الركب إذ أتوا ... منازلهم والركب يحفون بالركب

رفعت لئام الناس فوق كرامهم ... وآثرتهم بالجلجلان والقسب

فأما بعيرانا فبالحمض غذيا ... وأوثر عباد بن وردان بالقضب

فكتب إليه العرجي:

أتانا فلم نشعر به غير أنه ... له لحيةٌ طالت على حمق القلب

كراية بيطارٍ بأعلى حديدةٍ ... إذا نصبت لم تكسب الحمد بالنصب

أتانا على سغبٍ يعرض بالقرى ... وهل فوق قرضٍ من قرى صاحب السغب

قال: فارتحل أبو عدي مغضبا وقال: مزحت معه فهجاني، وأنشأ يقول في العرجي:

سرت ناقتي حتى إذا ملت السرى ... وعارضها عرج الجبانة والخصب

طواها الكرى بعد السرى بمعرسٍ ... جديبٍ وشيخٍ بئس مستعرض الركب

وهمت بتعريسٍ فحلت قيودها ... إلى رجلٍ بالعرج ألأم من كلب

تمطى قليلاً ثم جاء بصربةٍ ... وقرص شعيرٍ مثل كركرة السقب

فقلت له أردد قراك مذمماً ... فلست إليه بالفقير ولا صحبي

جزى الله خيراً خيرنا عند بيته ... وأنحرنا للكوم في اليوم ذي السغب

لقد علمت فهرٌ بأنك شرها ... وآكل فهرٍ للخبيث من الكسب

وتلبس للجارات إتباً ومئزراً ... ومرطاً فبئس الشيخ يرفل في الإتب

يدخن بالعد اليلنجوج مرةً ... وبالضرو والسوداء والمائع الرطب

فإن قلت عثمان بن عفان والدي ... فقد كان عثمانٌ بريئاً من الوشب

وقدماً يجيء الحي بالنسل ميتاً ... ويأتي كريم الناس بالوكل الثلب

له لحيةٌ قد مزقت فكأنها ... مقمةٌ حشاشٍ محالفة العشب

فلما بلغ ذلك العرجي أتى عمه علي بن عبد الله بن علي العبلي فشق قميصه بين يديه وشكاه إليه. فبعث إلى ابن عدي فنهاه عنه وقال: لئن عدت لا كلمتك أبداً فكف عنه.

كان العرجي من أفرس الناس وأرماهم

وأبراهم لسهم

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن سليمان بن عثمان بن يسار: رجلٍ من أهل مكة وكان هيباً أديباً قال: كان للعرجي حائطٌ يقال له العرج في وسط بلاد بني نصر بن معاوية، فكانت إبلهم وغنمهم تدخل فيه فيعقر كل ما دخل منها، فكانت تضر به ويضر بأهلها ويشكونه ويشكوهم. وكان من أفرس الناس وأرماهم وأبراهم لسهم، فكان ربما برى مائة سهمٍ من الرمان، ثم يقول: والله لا أنقلب حتى أقتل بها مائة خلفةٍ من إبل بني نصر، فيفعل ذلك.

حبس العرجي

قال إسحاق: فحدثني ابن غرير قال: لما حبس العرجي وضرب وأقيم على البلس قال:

معي ابن غريرٍ واقفاً في عباءةٍ لعمري لقد قرت عيون بني نصر

فقال فتى من بني نصر يجيبه - وكان حاضراً لضربه وإقامته -:

أجل قد أقر الله فيك عيوننا فبئس الفتى والجار في سالف الدهر

وقال إسحاق في خبره: قال رجلٌ للعرجي: جئتك أخطب إليك مودتك. قال: بل خذها زناً، فإنها أحلى وألذ!

تمثل امرأة بشعره في الحج

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثنا إسماعيل بن مجمع عن المدائني عن عبد الله بن سلم قال: قال عبد الله بن عمر العمري: خرجت حاجاً، فرأيت امرأةً جميلةً تتكلم بكلام أرفثت فيه، فأدنيت ناقتي منها، ثم قلت لها: يا أمة الله، ألست حاجةً! أما تخافين الله! فسفرت عن وجهٍ يبهر الشمس حسناً، ثم قالت: تأمل يا عم! فإنني ممن غنا العرجي بقوله:

صوت

أماطت كساء الخز عن حر وجهها وأدنت على الخدين برداً مهلهلا

من اللاء لم يحججن يبغين حسبةً ولكن ليقتلن البريء المغفلا

قال فقلت لها: فإني أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار. قال: وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال: أما والله لو كان من بعض بغضاء العراق لقال لها: اغربي قبحك الله! ولكنه ظرف عباد أهل الحجاز. وقد رويت هذه الحكاية عن أبي حازم الأعرج وهو سلمة بن دينار، وقد روى أبو حازم عن أبي هريرة وسهل بن سعد وغيرهما، وروى عنه مالك وابن أبي أيوب. والحكاية عنه في هذا أصح منها عن عبد الله العمري، حدثنا بهذا وكيعٌ.

والغناء في هذه الأبيات لعرارٍ المكي ثاني ثقيلٍ. وفيه خفيف ثقيلٍ لمعبدٍ، وفيها لعبد الله بن العباس الربيعي ثقيلٌ أول، ويقال إن خفيف الثقيل لابن سريج، ويقال للغريض.

غناء عبد الله بن العباس الربيعي بشعره

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني ابو ثوبة قال: قال عبد الله بن العباس: دعاني المتوكل، فلما جلست مجلس المنادمة قال لي: يا عبد الله، تغن، فغنيته في شعرٍ مدحته به، فقال: أين هذا من غنائك في:

أماطت كساء الخز عن حر وجهها

ومن صنعتك في:

أقفر ممن يحله سرف

فقلت: يا أمير المؤمنين، إن صنعتي حينئذٍ كانت وأنا شاب عاشقٌ، فإن استطعت رد شبابي وعشقي صنعت مثل تلك الصنعة. فقال هيهات! وقد لعمري صدقت، ووصلني. والأبيات التي فيها الغناء المذكور من شعر العرجي يقوله في جيداء أم محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي، وكان يهجوه ويشبب بأمه وبامرأته، وكان محمد تياهاً شديد الكبر جباراً، فلم يزل يتطلب عليه العلل حتى حبسه وقيده بعد أن ضربه بالسوط وأقامه على البلس للناس. واختلف الرواة في السبب الذي اعتل به عليه، وقد ذكرت ذلك في رواياتهم:

هجاؤه محمد بن هشام المخزومي

وتشبيبه بأمه

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة، وأخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب ومحمد بن الضحاك الحزامي عن الضحاك بن عثمان، وذكره حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية، ونسخته أيضاً من رواية محمد بن حبيب قالوا: كان محمد بن هشام خال هشام بن عبد الملك، فلما ولي الخلافة ولاه مكة، وكتب إليه يحج بالناس، فهجاه العرجي بأشعارٍ كثيرةٍ.
منها قوله فيه:

كأن العام ليس بعام حجٍّ ... تغيرت المواسم والشكول
إلى جيداء قد بعثوا رسولاً ... ليخبرها فلا صحب الرسول

ويروى: ليحزنها وهكذا يغني.

ومنها قوله:

ألا قل لمن أمسى بمكة قاطناً ومن جاء من عمقٍ ونقب المشلل
دعوا الحج لا تستهلكوا نفقاتكم فما حج هذا العام بالمتقبل
وكيف يزكي حج من لم يكن له إمامٌ لدى تجميره غير دلدل
يظل يرائي بالصيام نهاره ويلبس في الظلماء سمطى قرنفل

فلم يزل محمدٌ يطلب عليه العلل حتى وجدها فحبسه.

قال الزبير في خبره عن عمه ومحمد الضحاك، وقال إسحاق في خبره عن أيوب بن عباية: كان العرجي يشبب بأم محمد بن هشام، وهي من بني الحارث بن كعب، ويقال لها جيداء:

صوت

عوجي علينا ربة الهودج إنك إن لا تفعلي تحرجي
إني أتيحت لي يمانيةٌ إحدى بني الحارث من مذحج
نلبث حولاً كاملاً كله ما نلتقي إلا على منهج
في الحج إن حجت وماذا منىً وأهله إن هي لم تحجج
أيسر ما نال محبٌ لدى بين حبيبٍ قوله عرج
نقض إليكم حاجةً أو نقل هل لي مما بي من مخرج

قال إسحاق في خبره: فحدثني حمزة بن عتبة اللهبي قال: أنشد عطاء بن أبي رباحٍ قول العرجي:

في الحج إن حجت وماذا مني وأهله إن هي لم تحجج

فقال: الخير والله كله بمنىً وأهله حجت أو لم تحج. قال: ولقي ابن سريج عطاءً وهو راكب "بمنى" على بغلته، فقال له: سألتك بالله إلا وقفت لي حتى أسمعك شيئاً. قال: ويحك! دعني فإني عجلٌ. قال: امرأته طالقٌ لئن لم تقف مختاراً للوقوف لأمسكن بلجام بغلتك ثم لا أفارقها ولو قطعت يدي حتى أغنيك وأرفع صوتي لا أسره. قال: هات وعجل؛ فغناه:

في الحج إن حجت وماذا منىً وأهله إن هي لم تحجج

قال: الخير كله والله بمنى، لاسيما وقد غيبها الله عن مشاعره! خل سبيل البغلة.

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثني حمزة بن

عتبة اللهبي عن عبد الوهاب بن مجاهد أو غيره قال: كنت مع عطاء بن أبي رباح فجاءه رجلٌ فأنشده قول العرجي:

إني أتيحت لي يمانيةٌ إحدى بني الحارث من مذحج

نلبث حولاً كاملاً كله لا نلتقي إلا على منهج

في الحج إن حجت وماذا منىً وأهله إن هي لم تحجج

فقال عطاءٌ: خيرٌ كثيرٌ بمنى إذ غيبها الله عن مشاعره.

تشبيبه بزوجة محمد بن هشام

قال: وقال في زوجته جبرة المخزومية "يعني زوجة محمد بن هشام":

صوت

عوجي علي فسلمي جبر فيم الصدود وأنتم سفر

ما نلتقي إلا ثلاث منىً حتى يفرق بيننا النفر

الحول بعد الحول يتبعه ما الدهر إلا الحول والشهر

قال حماد بن إسحاق في خبره: حدثني ابن أبي الحويرث الثقفي عن ابن عمٍّ لعمارة ابن حمزة قال حدثنا سليمان الخشاب عن داود المكي قال: كنا في حلقة ابن جريج وهو يحدثنا وعنده جماعةٌ فيهم عبد الله بن المبارك وعدةٌ من العراقيين، إذ مر به ابن تيزن المغني وقد ائتزر بمئزر على صدره، وهي إزرة الشطار عندنا، فدعاه ابن جريج فقال له: أحب أن تسمعني. قال: إني مستعجلٌ، فألح عليه؛ فقال: امرأته طالقٌ إن غناك أكثر من ثلاثة أصوات. فقال له: ويحك! ما أعجلك إلى اليمين! غنني الصوت الذي غناه ابن سريج في اليوم الثاني من أيام منى على جمرة العقبة فقطع طريق الذاهب والجائي حتى تكسرت المحامل. فغناه:

عوجي علي فسلمي جبر

فقال له ابن جريج: أحسنت والله! "ثلاث مرات"، ويحك! أعده. قال: من الثلاثة فإني قد حلفت. قال: أعده، فأعاده. فقال: أحسنت! فأعده من الثلاثة، فأعاده وقام ومضى، وقال: لولا مكان هؤلاء الثقلاء عندك لأطلت معك حتى تقضي وطرك. فالتفت ابن جريج إلى أصحابه فقال: لعلكم أنكرتم ما فعلت! فقالوا: إن لننكره عندنا بالعراق ونكرهه. قال: فما تقولون في الرجز؟ "يعني الحداء". قالوا: لا بأس به عندنا: قال: فما الفرق بينه وبين الغناء؟!

اضطغان ابن هشام عليه وحبسه

قال إسحاق في خبره: بلغني أن محمد بن هشام كان يقول لأمه جيداء "بنت عفيف": أنت غضضت مني بأنك أمي، وأهلكتني وقتلتني. فتقول له: ويحك! وكيف ذاك؟ قال: لو كانت أمي من قريش ما ولي الخلافة غيري.
قالوا: فلم يزل محمد بن هشام مضطغناً على العرجي من هذه الأشعار التي يقولها فيه ومتطلباً سبيلاً عليه حتى وجده فيه، فأخذه وقيده وضربه وأقامه للناس، ثم حبسه وأقسم: لا يخرج من الحبس مادام لي سلطانٌ. فمكث في حبسه نحواً من تسع سنين حتى مات فيه.
روايات أخرى في سبب الخصومة بينهما وذكر إسحاق في خبره عن أيوب بن عباية ووافقه عمر بن شبة ومحمد بن حبيب: أن السبب في ذلك أن العرجي لاحى مولى كان لأبيه فأمضه العرجي، فأجابه المولى بمثل ما قاله له. فأمهله حتى إذا كان الليل أتاه مع جماعة من مواليه وعبيده فهجم عليه في مترله وأخذه وأوثقه كتافاً، ثم أمر عبيده أن ينكحوا امرأته بين يديه ففعلوا، ثم قتله وأحرقه بالنار. فاستعدت امرأته على العرجي محمد بن هشام فحبسه.
وذكر الزبير في خبره عن الضحاك بن عثمان: أن العرجي كان وكل بحرمه مولى له يقوم بأمورهن، فبلغه أنه يخالف إليهن، فلم يزل يرصده حتى وجده يحدث بعضهن، فقتله وأحرقه بالنار. فاستعدت عليه امرأة المولى محمد بن هشام المخزومي وكان والياً على مكة في خلافة هشام، وكان العرجي قد هجاه قبل ذلك هجاءً كثيراً لما ولاه هشامٌ الحج فأحفظه. فلما وجد عليه سبيلاً ضربه وأقامه على البلس للناس، وسجنه حتى مات في سجنه.
وذكر الزبير أيضاً في خبره عن عمه وغيره أن أشعب كان حاضراً للعرجي وهو يشتم مولاه هذا، وأنه طال شتمه إياه. فلما أكثر رد المولى عليه، فاختلط من ذلك، فقال لأشعب: اشهد على ما سمعت. قال أشعب: وعلام أشهد، قد شتمته ألفاً وشتمك واحدةً. والله لو أن أمك أم الكتاب، وأمه حمالة الحطب ما زاد على هذا! تعذيب محمد بن هشام للعرجي

وما كان يقوله العرجي من الشعر في ذلك

قال الزبير وحدثني حمزة بن عتبة اللهبي قال: لما أخذ محمد بن هشام المخزومي العرجي أخذه وأخذ معه الحصين بن غرير الحميري، فجلدهما، وصب على رءوسهما الزيت، وأقامهما في الشمس على البلس في الحناطين بمكة؛ فجعل العرجي ينشد:

سينصرني الخليفة بعد ربي ... ويغضب حين يخبر عن مساقي
علي عباءةٌ بلقاء ليست ... مع البلوى تغيب نصف ساقي
وتغضب لي بأجمعها قصي ... قطين البيت والدمث الرقاق

ثم يصيح: يا غرير أجياد، يا غرير أجياد! فيقول له الحميري المجلود معه: ألا تدعنا! ألا ترى ما نحن فيه من البلاء! يعني بقوله: يا غرير، الحصين بن غرير الحميري المجلود معه، وكان صديقاً للعرجي وخليطاً. وذكر إسحاق تمام هذه الأبيات وأولها:

وكم من كاعبٍ حوراء بكرٍ ألوف الستر واضحة التراقي

بكت جزعاً وقد سمرت كبولٌ وجامعةٌ يشد بها خناقي

على دهماء مشرفةٍ سموقٍ ثناها القمح مزلقة التراقي

علي عباءةٌ بلقاء ليست مع البلوى تغيب نصف ساقي

كأن على الخدود وهن شعث سجال الماء يبعث في السواقي

فقلت تجلداً وحلفت صبراً أبالي اليوم ما دفعت مآقي

سينصرني الخليفة بعد ربي ويغضب حين يخبر عن مساقي

وتغضب لي بأجمعها قصي قطين البيت والدمث الرقاق

بمجتمع السيول إذ تنحى لئام الناس في الشعب العماق

قال: فكان إذا أنشد هذا البيت التفت إلى ابن غرير فصاح به: يا غرير أجياد، يا غرير أجياد! يعني بني مخزوم، وكانت منازلهم في أجياد، فعيرهم بأنهم ليسوا من أهل الأبطح.

وقال الزبير في خبره ووافقه إسحاق فذكر أن رجلاً مر بالعرجي وهو واقفٌ على البلس ومعه ابن غرر وقد جلدا وحلقا وصب الزيت على رءوسهما وألبسا عباءتين واجتمع الناس ينظرون إليهما. قال: وكان الرجل صديقاً للعرجي، وكان فأفاءً، فوقف عليه فأراد أن يتوجع لما ناله ويدعو له، فلجلج لما كان في لسانه كما يفعل الفأفاء. فقال له ابن غرير: عني، لا خرجت من فيك أبداً! فقال له الرجل: فمكانك إذاً لا برحت منه أبداً.

قال: ومر به صبيانٌ يلقطون النوى، فوقفوا ينظرون إليه، فالتفت إلى ابن غرير وقال له: ما أعرف في الدنيا سخلين أشأم مني ومنك! إن هؤلاء الصبيان لأهلهم عليهم في كل يومٍ على كل واحدٍ منهم مد نوى، فقد تركوا لقطهم للنوى، وقد وقفوا ينظرون إلي وإليك وينصرفون بغير شيءٍ فيضربون، فيكون شؤمنا قد لحقهم.

قال: وقال العرجي في حبسه:

صوت

أضاعوني وأي فتىً أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

وصبرٍ عند معترك المنايا وقد شرعت أسنتها بنحري
أجرر في الجوامع كل يومٍ فيا لله مظلمتي وصبري
كأني لم أكن فيهم وسيطاً ولم تك نسبتي في آل عمرو

أبو حنيفة وجار له كان يغني بشعره

أخبرني محمد بن زكريا الصحاف قال حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي عن الأصمعي قال: كان لأبي حنيفة جارٌ بالكوفة يغني، فكان إذا انصرف وقد سكر يغني في غرفته، ويسمع أبو حنيفة غناءه فيعجبه. وكان كثيراً ما يغني:

أضاعوني وأي فتىً أضاعوا ليوم كريهةٍ وسداد ثغر

فلقيه العسس ليلةً فأخذوه وحبس، ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة، فسأل عنه من غدٍ فأخبر، فدعا بسواده وطويلته فلبسهما، وركب إلى عيسى بن موسى فقال له: إن لي جاراً أخذه عسسك البارحة فحبس، وما علمت منه إلا خيراً. فقال عيسى: سلموا إلى أبي حنيفة كل من أخذه العسس البارحة، فأطلقوا جميعاً. فلما خرج الفتى دعا به أبو حنيفة وقال له سراً: ألست كنت تغني يا فتىً كل ليلةٍ:

أضاعوني واي فتىً أضاعوا

فهل أضعناك؟ قال: لا والله أيها القاضي، ولكن أحسنت وتكرمت، أحسن الله جزاءك. قال: فعد إلى ما كنت تغنيه، فإني كنت آنس به، و لم أر به باساً. قال: أفعل.

تمثل عبد الله بن علي بقوله أضاعوني

وقال إسحاق في خبره: لما حبس المنصور عبد الله بن علي، كان يكثر التمثل بقول العرجي:

أضاعوني وأي فتىً أضاعوا ليوم كريهةٍ وسداد ثغر

فبلغ ذلك المنصور، فقال: هو أضاع نفسه بسوء فعله، فكانت أنفسنا عندنا آثر من نفسه.

حكاية كناس بالبصرة كان يتمثل بهذا البيت

قال إسحاق: وقال الأصمعي: مررت بكناسٍ بالبصرة يكنس كنيفاً ويغني:

أضاعوني وأي فتىً أضاعوا ليوم كريهةٍ وسداد ثغر

فقلت له: أما سداد الكنيف فأنت مليءٌ به. وأما الثغر فلا علم لي بك كيف أنت فيه - وكنت حديث السن فأردت العبث به - فأعرض عني ملياً، ثم أقبل علي فأنشد متمثلاً:

وأكرم نفسي إنني إن أهنتها وحقك لم تكرم على أحدٍ بعدي

قال فقلت له: والله ما يكون من الهوان شيءٌ أكثر مما بذلتها له، فبأي شيءٍ أكرمتها؟ فقال: بلى! والله إن من الهوان لشراً مما أنا فيه. فقلت: وما هو؟ فقال: الحاجة إليك وإلى أمثالك من الناس. فانصرفت عنه أخزى الناس.

قال محمد بن مزيد: فحدثني حمادٌ قال قال لي أبي: اختصر الأصمعي - فيما أرى - الجواب، وستر أقبحه على نفسه، وإلا فكناس كنيفٍ قائمٌ يكنسه ويعبث به هذا العبث، فيرضى بهذا الجواب الذي لا يجيب بمثله الأحنف بن قيس لو كانت المخاطبة له!.

اقتصاص الوليد من محمد بن هشام

وأخيه وإبراهيم بن هشام

وقال إسحاق في خبره: كان الوليد بن يزيد مضطغناً على محمد بن هشام لأشياء كانت تبلغه عنه في حياة هشام، فلما ولي الخلافة قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأشخصا إليه إلى الشأم، ثم دعا بالسياط. فقال له محمدٌ: أسألك بالقرابة. قال: وأي قرابةٍ بيني وبينك! وهل أنت إلا من أشجع! قال: فأسألك بصهر عبد الملك. قال: لم تحفظه. فقال له: يا أمير المؤمنين، قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب قرشي بالسياط إلا في حد. قال: ففي حد أضربك وقودٍ، أنت أول من سن ذلك على العرجي، وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان، فما رعيت حق جده ولا نسبه بهشام، ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر، وأنا ولي ثأره، اضرب يا غلام، فضربهما ضرباً مبرحاً، وأثقلا بالحديد، ووجه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة، وأمره باستصفائهما وتعذيبهما حتى يتلفا، وكتب إليه: احبسهما مع ابن النصرانية - يعني خالداً القسري - ونفسك نفسك إن عاش أحدٌ منهم. فعذبهم عذاباً شديداً، وأخذ منهم مالاً عظيماً حتى لم يبق فيهم موضعٌ للضرب. فكان محمد بن هشام مطروحاً، فإن أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته فجذبوه بها. ولما اشتدت عليهما الحال، تحامل إبراهيم لينظر في وجه محمد، فوقع عليه فماتا جميعا، ومات خالدٌ القسري معهما في يومٍ واحدٍ. فقال الوليد بن يزيد لما حملهما إلى يوسف بن عمر:

قد راح نحو العراق مشخلبه ... قصاره السجن بعده الخشبه

يركبها صاغراً بلا قتبٍ ... ولا خطامٍ وحوله جلبه

فقل لدعجاء إن مررت بها ... لن يعجز الله هاربٌ طلبه

قد جعل الله بعد غلبتكم ... لنا عليكم يا دلدل الغلبه

لست إلى هاشمٍ ولا أسدٍ ... ولا إلى نوفلٍ ولا الحجبه

لكنما أشجعٌ أبوك سل ال ... كلبي لا ما يزوق الكذبه

أضاعوني

قال إسحاق في خبره: غنيت الرشيد يوماً في عرض الغناء:

أضاعوني وأي فتىً أضاعوا ... ليوم كريهةٍ وسداد ثغر

فقال لي: ما كان سبب هذا الشعر حتى قاله العرجي؟ فأخبرته بخبره من أوله إلى أن مات، فرأيته يتغيظ كلما مر منه شيءٌ. فأتبعته بحديث مقتل ابني هشام، فجعل وجهه يسفر وغيظه يسكن. فلما انقضى الحديث، قال لي: يا إسحاق! والله لولا ما حدثتني به من فعل الوليد لما تركت أحداً من أماثل بني مخزومٍ إلا قتلته بالعرجي.

والصوت الآخر من رواية جحظة عن أصحابه:

صوت

إذا ما طواك الدهر يا أم مالكٍ ... فشأن المنايا القاضيات وشانيا

تمر الليالي والشهور وتنقضي ... وحبك ما يزداد إلا تماديا

خليلي إن دارت على أم مالكٍ ... صروف الليالي فابغيا لي ناعيا

ولا تتركاني لا لخيرٍ معجلٍ ... ولا لبقاء تنظران بقائيا

الشعر للمجنون، ومن الناس من يروي البيت الأول منها لقيس بن الحدادية وهو جاهلي. والغناء لابن محرز ثاني ثقيلٍ بالوسطى. وذكر حبشٌ وابن المكي أن فيه لإسحاق لحناً آخر من الثقيل الثاني بالخنصر والبنصر.

الجزء الثاني

أخبار مجنون بني عامر ونسبه

نسبه وتصحيح اسمه

هو - على ما يقوله من صحح نسبه وحديثه - قيسٌ، وقيل: مهدي، والصحيح أنه قيس بن الملوح بن مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. ومن الدليل على أن اسمه قيسٌ قول ليلى صاحبته فيه:

ألا ليت شعري والخطوب كثيرةٌ   متى رحل قيس مستقلٌ فراجع

وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال: سمعت من لا أحصي يقول: اسم المجنون قيس بن الملوح.

قيل كانت به لوثة ولم يكن مجنوناً

وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي، وأخبرني الجوهري عن عمر بن شبة أهما سمعا الأصمعي يقول - وقد سئل عنه -: لم يكن مجنوناً ولكن كانت به لوثة كلوثة أبي حية النميري.

اختلاف الرواة في وجوده

وأخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري عن ابن شبة عن الحزامي قال حدثني أيوب بن عباية قال: سألت بني عامرٍ بطناً بطناً عن مجنون بني عامر فما وجدت أحداً يعرفه.

وأخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن دأبٍ قال: قلت لرجل من بني عامر: أتعرف المجنون وتروي من شعره شيئاً؟ قال: أو قد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروي أشعار المجانين! إنهم لكثيرٌ! فقلت: ليس هؤلاء أعني، إنما أعني مجنون بني عامر الشاعر الذي قتله العشق، فقال: هيهات! بنو عامر أغلظ أكباداً من ذاك، إنما يكون هذا في هذه اليمانية الضعاف قلوبها، السخيفة عقولها، الصعلة رؤوسها، فأما نزار فلا.

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي قال سمعت الأصمعي يقول: رجلان ما عرفا في الدنيا قط إلا بالاسم: مجنون بني عامر، وابن القرية، وإنما وضعهما الرواة.

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد الله بن أبي سعد عن الحزامي قال: و لم أسمعه من الحزامي فكتبته عن ابن أبي سعد قال أحمد: وحدثنا به ابن أبي سعد عن الحزامي قال حدثنا عبد الجبار بن

سعيد بن سليمان بن نوفل بن مساحقٍ عن أبيه عن جده قال: سعيت على بني عامر فرأيت المجنون وأتيت به وأنشدني.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري قال حدثنا إسماعيل بن مجمع عن المدائني قال: المجنون المشهور بالشعر عند الناس صاحب ليلى قيس بن معاذ من بني عامر، ثم من بني عقيل، أحد بني نمير بن عامر بن عقيل، قال: ومنهم رجل آخر يقال له: مهدي بن الملوح من بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

قيل إن فتى من أمية نحله شعره وأخبرني عمي عن الكراني قال حدثنا ابن أبي سعد عن علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال: حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتىً من بني أمية كان يهوى ابنة عم له، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها، فوضع حديث المجنون وقال الأشعار التي يرويها الناس للمجنون ونسبها إليه.

أخبرني الحسين بن يحيى وأبو الحسن الأسدي قالا: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: اسم المجنون قيس بن معاذ أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

وأخبرني أبو سعد الحسن بن علي بن زكريا العدوي قال حدثنا حماد بن طالوت بن عباد: أنه سأل الأصمعي عنه، فقال: لم يكن مجنوناً، بل كانت به لوثةٌ أحدثها العشق فيه، كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها ليلى، واسمه قيس بن معاذ.

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه أن اسمه قيس بن معاذ.

وذكر شعيب بن السكن عن يونس النحوي أن اسمه قيس بن الملوح، قال أبو عمرو الشيباني: وحدثني رجل من أهل اليمن أنه رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه، فذكر أنه قيس بن الملوح.

وذكر هشام بن محمد الكلبي أنه قيس بن الملوح، وحدث أن أباه مات قبل اختلاطه، فعقر على قبره ناقته وقال في ذلك:

عقرت على قبر الملوح ناقتي ... بذي السرح لما أن جفاه الأقارب
وقلت لها كوني عقيراً فإنني ... غداً راجلٌ أمشي وبالأمس راكب
فلا يبعدنك الله يابن مزاحمٍ ... فكلٌّ بكأس الموت لاشك شارب

وذكر إبراهيم بن المنذر الحزامي وأبو عبيدة معمر بن المثنى أن اسمه البحتري بن الجعد.

وذكر مصعب الزبيري والرياشي وأبو العالية أن اسمه الأقرع بن معاذ. وقال خالد بن كلثوم: اسمه مهدي ابن الملوح.

وأخبرني الأخفش عن السكري عن أبي زياد الكلابي، قال: ليلى صاحبة المجنون هي ليلى بنت سعد بن مهدي بن ربيعة بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ، قال حدثنا أبو قلابة الرقاشي، قال حدثني عبد الصمد بن المعذل، قال: سمعت الأصمعي وقد تذاكرنا مجنون بني عامر يقول: لم يكن مجنوناً وإنما كانت به لوثةٌ، وهو القائل:

أخذت محاسن كل ما ... ضنت محاسنه بحسنه

كاد الغزال يكونها ... لولا الشوى ونشوز قرنه

لقب بالمجنون كثيرٌ غيره

وكلهم كان يشبب بليلى

وأخبرني عمر بن عبد الله بن جميلٍ العتكي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعي قال: سألت أعرابياً من بني عامر بن صعصعة عن المجنون العامري فقال: عن أيهم تسألني؟ فقد كان فينا جماعةٌ رموا بالجنون، فعن أيهم تسأل؟ فقلت: عن الذي كان يشبب بليلى، فقال: كلهم كان يشبب بليلى، قلت: فأنشدني لبعضهم، فأنشدني لمزاحم بن الحارث المجنون:

ألا أيها القلب الذي لج هائماً ... بليلى وليداً لم تقطع تمائمه

أفق قد أفاق العاشقون وقد أنى ... لك اليوم أن تلقى طبيباً تلائمه

أجدك لا تنسيك ليلى ملمةٌ ... تلم ولا عهدٌ يطول تقادمه

قلت: فأنشدني لغيره منهم، فأنشدني لمعاذ بن كليبٍ المجنون:

ألا طالما لاعبت ليلى وقادني ... إلى اللهو قلبٌ للحسان تبوع

وطال امتراء الشوق عيني كلما ... نزفت دموعاً تستجد دموع

فقد طال إمساكي على الكبد التي ... بها من هوى ليلى الغداة صدوع

قلت: فأنشدني لغير هذين ممن ذكرت، فأنشدني لمهدي بن الملوح:

لو أن لك الدنيا وما عدلت به ... سواها وليلى بائنٌ عنك بينها

لكنت إلى ليلى فقيراً وإنما ... يقود إليها ود نفسك حينها

قلت له: فأنشدني لمن بقي من هؤلاء، فقال: حسبك! فوالله إن في واحد من هؤلاء لمن يوزن بعقلائكم اليوم.

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال قال ابن الأعرابي: كان معاذ بن كليب مجنوناً، وكان يحب ليلى، وشركه في حبها مزاحم بن الحارث العقيلي، فقال مزاحمٌ يوماً للمجنون:

كلانا يا معاذ يحب ليلى ... بفي وفيك من ليلى التراب

شركتك في هوى من كان حظي ... وحظك من مودتها العذاب

لقد خبلت فؤادك ثم ثنت بقلبي فهو مخبولٌ مصاب

قال فيقال: إنه لما سمع هذه الأبيات التبس وخولط في عقله.

وذكر أبو عمرو الشيباني: أنه سمع في الليل هاتفاً يهتف بهذه الأبيات، فكانت سبب جنونه.

وذكر إبراهيم بن المنذر الحزامي عن أيوب بن عباية: أن فتى من بني مروان كان يهوى امرأةً منهم فيقول فيها الشعر وينسبه إلى المجنون، وأنه عمل له أخباراً وأضاف إليها ذلك الشعر، فحمله الناس وزادوا فيه.

إنكار وجوده

والقول بأن شعره مولد عليه

وأخبرني عمي عن الكراني عن العمري عن العتبي عن عوانة أنه قال: المجنون اسم مستعارٌ لا حقيقة له، وليس له في بني عامر أصلٌ ولا نسبٌ، فسئل من قال هذه الأشعار؟ فقال: فتى من بني أمية.

وقال الجاحظ: ما ترك الناس شعراً مجهول القائل قيل في ليلى إلا نسبوه إلى المجنون، ولا شعراً هذه سبيله قيل في لبنى إلا نسبوه إلى قيس بن ذريح.

وأخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني الحكم بن صالح قال: قيل لرجل من بني عامر: هل تعرفون فيكم المجنون الذي قتله العشق. فقال: هذا باطلٌ، إنما يقتل العشق هذه اليمانية الضعاف القلوب.

أخبرنا أحمد بن عمر بن موسى قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثني أيوب بن عباية قال حدثني من سأل بني عامرٍ بطناً بطناً عن المجنون فما وجد فيهم أحداً يعرفه.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا أحمد بن الحارث عن ابن الأعرابي أنه ذكر عن جماعة من بني عامر أنهم سئلوا عن المجنون فلم يعرفوه، وذكروا أن هذا الشعر كله مولد عليه.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه عن محمد ابن الحكم عن عوانة قال: ثلاثةٌ لم يكونوا قط ولا عرفوا: ابن أبي العقب صاحب قصيدة الملاحم، وابن القرية، ومجنون بني عامر.

أخبرني أبوالحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي قال سمعت الأصمعي يقول: الذي ألقي على المجنون من الشعر وأضيف إليه أكثر مما قاله هو.

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال: أنشدت أيوب بن عباية هذين البيتين:

وخبرتماني أن تيماء منزلٌ لليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا

فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت		فما للنوى ترمي بليلى المراميا

وسألته عن قائلهما، فقال: جميلٌ، فقلت له: إن الناس يروونهما للمجنون، فقال: ومن هو المجنون؟ فأخبرته، فقال: ما لهذا حقيقةٌ ولا سمعت به.

وأخبرني عمي عن عبد الله بن شبيب بن هارون بن موسى الفروي قال: سألت أبا بكر العدوي عن هذين البيتين فقال: هما لجميل، و لم يعرف المجنون، فقلت: فهل معهما غيرهما؟ قال: نعم، وأنشدني:

وإني لأخشى أن أموت فجاءةً		وفي النفس حاجاتٌ إليك كما هي

وإني لينسيني لقاؤك كلما		لقيتك يوماً أن أبثك ما بيا

وقالوا به داءٌ عياءٌ أصابه		وقد علمت نفسي مكان دوائيا

وأنا أذكر مما وقع إلي من أخباره جملاً مستحسنةً، متبرئاً من العهدة فيها، فإن أكثر أشعاره المذكورة في أخباره ينسبها بعض الرواة إلى غيره وينسبها من حكيت عنه إليه، وإذا قدمت هذه الشريطة برئت من عيب طاعنٍ ومتتبع للعيوب.

بدء تعشقه ليلى

أخبرني بخبره في شغفه بليلى جماعةٌ من الرواة، ونسخت ما لم أسمع من الروايات وجمعت ذلك في سياقه خبره ما اتسق و لم يختلف، فإذا اختلف نسبت كل رواية إلى راويها.

فممن أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي، قالا: حدثنا عمر بن شبة عن رجاله وإبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، ونسخت أخباره من رواية خالد بن كلثوم وأبي عمرو الشيباني وابن دأبٍ وهشام بن محمد الكلبي وإسحاق بن الجصاص وغيرهم من الرواة.

قال أبو عمرو الشيباني وأبو عبيدة: كان المجنون يهوى ليلى بنت مهدي بن سعد بن مهدي بن ربيعة ابن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وتكنى أم مالكٍ، وهما حينئذ صبيان، فعلق كل واحد منهما صاحبه وهما يرعيان مواشي أهلهما، فلم يزالا كذلك حتى كبرا فحجبت عنه، قال: ويدل على ذلك قوله:

صوت

تعلقت ليلى وهي ذات ذؤابةٍ		ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا		إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

في هذين البيتين للأخضر الجدي لحنٌ من الثقيل الثاني بالوسطى، ذكره هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات والهشامي.

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية ونسخت هذا الخبر بعينه من خط هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثنا الحسن بن علي قال حدثني أبو عتاب البصري عن إبراهيم بن محمد الشافعي قال: بينا ابن مليكة يؤذن إذ سمع الأخضر الجدي يغني من دار العاص بن وائل:

وعلقتها غراء ذات ذوائبٍ ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

قال فأراد أن يقول: حي على الصلاة فقال: حي على البهم، حتى سمعه أهل مكة فغدا يعتذر إليهم.

وقال ابن الكلبي: حدثني معروف المكي والمعلى بن هلال وإسحاق بن الجصاص قالوا: كان سبب عشق المجنون ليلى، أنه أقبل ذات يوم على ناقة له كريمةٍ وعليه حلتان من حلل الملوك، فمر بامرأة من قومه يقال لها: كريمة، وعندها جماعة نسوةٍ يتحدثن فيهن ليلى، فأعجبهن جماله وكماله، فدعونه إلى الترول والحديث، فترل وجعل يحدثهن وأمر عبداً له كان معه فعقر لهن ناقته، وظل يحدثهن بقية يومه، فبينا هو كذلك، إذ طلع عليهم فتىً عليه بردةٌ من برد الأعراب يقال له: منازل يوسق معزى له، فلما رأينه أقبلن عليه وتركن المجنون، فغضب وخرج من عندهن وأنشأ يقول:

أأعقر من جرا كريمة ناقتي ووصلي مفروشٌ لوصل منازل

إذا جاء قعقعن الحلي ولم أكن إذا جئت أرضى صوت تلك الخلاخل

متى ما انتضلنا بالسهام نضلته وإن نرم رشقاً عندها فهو ناضلي

قال: فلما أصبح لبس حلته وركب ناقة له أخرى ومضى متعرضاً لهن، فألفى ليلى قاعدةً بفناء بيتها وقد علق حبه بقلبها وهويته، وعندها جويرياتٌ يتحدثن معها، فوقف بهن وسلم، فدعونه إلى الترول وقلن له: هل لك في محادثة من لا يشغله عنك منازلٌ ولا غيره؟ فقال: إي لعمري، فترل وفعل مثل ما فعله بالأمس، فأرادت أن تعلم، هل لها عنده مثل ما له عندها، فجعلت تعرض عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتحدث غيره، وقد كان علق بقلبه مثل حبها إياه وشغفته واستملحها، فبينا هي تحدثه، إذ أقبل فتىً من الحي فدعته وسارته سراراً طويلاً، ثم قالت له: انصرف، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغير وانتقع لونه وشق عليه فعلها، فأنشأت تقول:

كلانا مظهرٌ للناس بغضاً وكل عند صاحبه مكين

تبلغنا العيون بما أردنا وفي القلبين ثم هوىً دفين

فلما سمع البيتين شهق شهقةً شديدة وأغمي عليه، فمكث على ذلك ساعةً، ونضحوا الماء على وجهه "حتى أفاق" وتمكن حب كل واحد منهما في قلب صاحبه حتى بلغ منه كل مبلغ.

خطبته لليلى واختيارها عليه وشعره في ذلك أخبرني الحسن بن علي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني عبد الرحمن بن إبراهيم عن هشام بن محمد بن موسى المكي عن محمد بن سعيد المخزومي عن أبي الهيثم العقيلي قال: لما شهر أمر المجنون وليلى وتناشد الناس شعره فيها، خطبها وبذل لها خمسين ناقةً حمراء، وخطبها ورد بن محمد العقيلي وبذل لها عشراً من الإبل وراعيها، فقال أهلها: نحن مخيروها بينكما، فمن اختارت تزوجته، ودخلوا إليها فقالوا: والله لئن لم تختاري ورداً لنمثلن بك، فقال المجنون:

ألا يا ليل إن ملكت فينا ... خيارك فانظري لمن الخيار

ولا تستبدلي مني دنياً ... ولا برماً إذا حب القتار

يهرول في الصغير إذا رآه ... وتعجزه ملماتٌ كبار

فمثل تأيم منه نكاحٌ ... ومثل تمؤلٍ منه افتقار

فاختارت ورداً فتزوجته على كرهٍ منها.

حكاية أبيه عن جنونه بليلى وأخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا: حدثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدي عن عثمان بن عمارة بن حريم المري قال: خرجت إلى أرض بني عامر لألقى المجنون، فدللت عليه وعلى محلته، فلقيت أباه شيخاً كبيراً وحوله إخوةٌ للمجنون مع أبيهم رجالاً؛ فسألتهم عنه فبكوه، وقال الشيخ: أما والله لهو كان آثر عندي من هؤلاء جميعاً، وإنه عشق امرأةً من قومه والله ما كانت تطمع في مثله، فلما فشا أمره وأمرها كره أبوها أن يزوجه إياها بعد ما ظهر من أمرهما، فزوجها غيره، وكان أول ما كلف بها يجلس إليها في نفرٍ من قومها فيتحدثون كما يتحدث الفتيان، وكان أجملهم وأظرفهم وأرواهم لأشعار العرب، فيفيضون في الحديث فيكون أحسنهم فيه إفاضةً، فتعرض عنه وتقبل على غيره، وقد وقع له في قلبها مثل ما وقع لها في قلبه، فظنت به ما هو عليه من حبها، فأقبلت عليه يوماً وقد خلت فقالت:

صوت

كلانا مظهرٌ للناس بغضاً ... وكل عند صاحبه مكين

وأسرار الملاحظ ليس تخفي ... إذا نطقت بما تخفي العيون

غنت في الأول عريب خفيف رملٍ، وقيل: إن هذا الغناء لشارية، والبيت الأخير ليس من شعره - قال: فخر مغشياً عليه ثم أفاق فاقداً عقله، فكان لا يلبس ثوباً إلا خرقه ولا يمشي إلا عارياً ويلعب بالتراب ويجمع العظام حوله، فإذا ذكرت له ليلى أنشأ يحدث عنها عاقلاً ولا يخطىء حرفاً، وترك الصلاة، فإذا قيل له: ما لك لا تصلي! لم يرد حرفاً، وكنا نحبسه ونقيده، فيعض لسانه وشفته، حتى خشينا عليه فخلينا سبيله فهو يهيم.

قصته مع عمر بن عبد الرحمن بن عوف

قال الهيثم؛ فولى مروان بن الحكم عمر بن عبد الرحمن بن عوف صدقات بني كعب وقشير وجعدة، والحريش وحبيب وعبد الله، فنظر إلى المجنون قبل أن يستحكم جنونه فكلمه وأنشده فأعجب به، فسأله أن يخرج معه، فأجابه إلى ذلك، فلما أراد الرواح جاءه قومه فأخبروه خبره وخبر ليلى، وأن أهلها استعدوا السلطان عليه، فأهدر دمه إن أتاهم، فأضرب عما وعده وأمر له بقلائص، فلما علم بذلك وأتي بالقلائص ردها عليه وانصرف.

وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم عن جماعة من الرواة: أن المجنون هو الذي سأل عمر بن عبد الرحمن أن يخرج به، قال له: أكون معك في هذا الجمع الذي تجمعه غداً، فأرى في أصحابك، وأتجمل في عشيرتي بك، وأفخر بقربك، فجاءه رهطٌ من رهط ليلى وأخبروه بقصته، وأنه لا يريد التجمل به، وإنما يريد أن يدخل عليهم بيوقم ويفضحهم في امرأة منهم يهواها، وأنهم قد شكوه إلى السلطان فأهدر دمه إن دخل عليهم، فأعرض عما أجابه إليه من أخذه معه وأمر له بقلائص، فردها وقال "في ذلك":

رددت قلائص القرشي لما بدا لي النقض منه للعهود

وراحوا مقصرين وخلفوني إلى حزنٍ أعالجه شديد

قال: ورجع آيساً فعاد إلى حاله الأولى، قال: فلم تزل تلك حاله، إلا أنه غير مستوحشٍ، إنما يكون في جنبات الحي منفرداً عارياً لا يلبس ثوباً إلا خرقه، ويهذي ويخطط في الأرض ويلعب بالتراب والحجارة، ولا يجيب أحداً سأله عن شيء، فإذا أحبوا أن يتكلم أو يثوب عقله ذكروا له ليلى، فيقول: بأبي هي وأمي، ثم يرجع إليه عقله فيخاطبونه ويجيبهم، ويأتيه أحداث الحي فيحدثونه عنها وينشدونه الشعر الغزل، فيجيبهم جواباً صحيحاً وينشدهم أشعاراً قالها، حتى سعى عليهم في السنة الثانية بعد عمر بن عبد الرحمن نوفل بن مساحق، فنزل مجمعاً من تلك المجامع فرآه يلعب بالتراب وهو عريان، فقال لغلام له: يا غلام، هات ثوباً، فأتاه به، فقال لبعضهم: خذ هذا الثوب فألقه على ذلك الرجل، فقال له: أتعرفه جعلت فداك؟ قال: لا، قال: هذا ابن سيد الحي، لا والله ما يلبس الثياب ولا يزيد على ما تراه يفعله الآن، وإذا طرح عليه شيء خرقه، ولو كان يلبس ثوباً لكان في مال أبيه ما يكفيه، وحدثه عن أمره، فدعا به وكلمه، فجعل لا يعقل شيئاً يكلمه به، فقال له قومه: إن أردت أن يجيبك جواباً صحيحاً فاذكر له ليلى، فذكرها له وسأله عن حبه إياها، فأقبل عليه يحدثه بحديثها ويشكو إليه حبه إياها وينشده شعره فيها، فقال له نوفل: الحب صيرك إلى ما أرى؟ قال نعم، وسينتهي بي إلى ما هو أشد مما ترى، فعجب منه وقال له: أتحب أن أزوجكها؟ قال: نعم، وهل إلى ذلك من سبيلٍ؟ قال: انطلق معي حتى أقدم على أهلها بك وأخطبها عليك وأرغبهم في المهر لها، قال: أتراك فاعلاً؟ قال: نعم، قال: انظر ما تقول! قال: لك علي أن أفعل بك ذلك، ودعا له بثياب فألبسه إياها، وراح معه المجنون كأصح أصحابه يحدثه وينشده، فبلغ ذلك رهطها فتلقوه في السلاح، وقالوا له: يابن مساحقٍ لا والله لا يدخل المجنون منازلنا أبداً أو يموت، فقد أهدر لنا

السلطان دمه، فأقبل بهم وأدبر، فأبوا، فلما رأى ذلك قال للمجنون: انصرف، فقال له المجنون: والله ما وفيت لي بالعهد، قال له: انصرافك بعد أن آيسني القوم من إجابتك أصلح من سفك الدماء، فقال المجنون:

صوت

أيا ويح من أمسى تخلس عقله ... فاصبح مذهوباً به كل مذهب

خلياً من الخلان إلا معذراً ... يضاحكني من كان يهوى تجنبي

الغناء للحسين بن محرز ثقيلٌ أول بالوسطى من جامع أغانيه:

إذا ذكرت ليلى عقلت وراجعت ... روائع عقلي من هوىً متشعب

وقالوا صحيحٌ ما به طيف جنةٍ ... ولا الهم إلا بافتراء التكذب

وشاهد وجدي دمع عيني وحبها ... برى اللحم عن أحناء عظمي ومنكبي

صوت

تجنبت ليلى أن يلج بك الهوى ... وهيهات كان الحب قبل التجنب

ألا إنما غادرت يا أم مالكٍ ... صدىً أينما تذهب به الريح يذهب

الغناء لإسحاق خفيف ثقيلٍ أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وفيه لابن جامعٍ هزجٌ من رواية الهشامي وهي قصيدة طويلة.

ومما يغنى فيه منها قوله:

صوت

فلم أرى ليلى بعد موقف ساعةٍ ... بخيف منىً ترمي جمار المحصب

ويبدي الحصى منها إذا قذفت به ... من البرد أطراف البنان المخضب

فأصبحت من ليلى الغداة كناظرٍ ... مع الصبح في أعقاب نجمٍ مغرب

ألا إنما غادرت يا أم مالكٍ ... صدىً إينما تذهب به الريح يذهب

فيه ثقيلٌ أول مطلقٌ باستهلال، ذكر ابن المكي أنه لأبيه يحيى، وذكر الهشامي أنه للواثق، وذكر حبش أنه لابن

محرز، وهو في جامع أغاني سليمان منسوبٌ إليه.

أنشدني الأخفش عن أبي سعيد السكري عن محمد بن حبيب للمجنون

فوالله ثم الله إني لدائبٌ أفكر ما ذنبي إليها وأعجب
ووالله ما أدري علام قتلتني وأي أموري فيك يا ليل أركب
أأقطع حبل الوصل فالموت دونه أم أشرب رنقاً منكم ليس يشرب
أم أهرب حتى لا أرى لي مجاوراً أم أصنع ماذا أم أبوح فأغلب
فأيهما يا ليل ما ترتضينه فإني لمظلوم وإنى لمعتب

حجه مع أبيه إلى مكة لسلوان ليلى

ودعوته هو استزادة حبها ودوامه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: ذكر هشام بن الكلبي ووافقه في روايته أبو نصر أحمد بن حاتم وأخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني علي ابن الصباح عن هشام ابن الكلبي عن أبيه: أن أبا المجنون وأمه ورجال عشيرته اجتمعوا إلى ليلى فوعظوه وناشدوه الله والرحم، وقالوا له: إن هذا الرجل لهالكٌ، وقبل ذلك ففي أقبح من الهلاك بذهاب عقله، وإنك فاجعٌ به أباه وأهله، فنشدناك الله والرحم أن تفعل ذلك، فوالله ما هي أشرف منه، ولا لك مثل مال أبيه، وقد حكمك في المهر، وإن شئت أن يخلع نفسه إليك من ماله فعل، فأبى وحلف بالله وبطلاق أمها إنه لا يزوجه إياها أبداً، وقال: أفضح نفسي وعشيرتي وآتي ما لم يأته أحدٌ من العرب، واسم ابنتي بميسم فضيحة فانصرفوا عنه، وخالفهم لوقته فزوجها رجلاً من قومها وأدخلها إليه، فما أمسى إلا وقد بنى بها، وبلغه الخبر فأيس منها حينئذٍ وزال عقله جملةً، فقال الحي لأبيه: أحجج به إلى مكة وادع الله عز وجل له، ومره أن يتعلق بأستار الكعبة، فيسأل الله يعافيه مما به ويبغضها إليه، فلعل الله أن يخلصه من هذا البلاء، فحج به أبوه، فلما صاروا بمنى سمع صائحاً في الليل يصيح: يا ليلى، فصرخ صرخةً ظنوا أن نفسه قد تلفت وسقط مغشياً عليه، فلم يزل كذلك حتى أصبح ثم أفاق حائل اللوان ذاهلاً، فأنشأ يقول:

صوت

عرضت على قلبي العزاء فقال لي من الآن فاياس لا أعزك من صبر
إذا بان من تهوى وأصبح نائياً فلا شيء أجدى من حلولك في القبر
وداع دعا إذ نحن بالخيف من منىً فهيج أطراب الفؤاد وما يدري

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بليلى طائراً كان في صدري

دعا باسم ليلى ظلل الله سعيه وليلى بأرضٍ عنه نازحةٍ قفر

الغناء لعريب خفيف ثقيلٍ - ثم قال له أبوه: تعلق بأستار الكعبة واسأل الله أن يعافيك من حب ليلى، فتعلق بأستار الكعبة. وقال: اللهم زدني لليلى حباً وبها كلفاً ولا تنسني ذكرها أبداً، فهام حينئذٍ واختلط فلم يضبط.

قالوا: فكان يهيم في البرية مع الوحش ولا يأكل إلا ما ينبت في البرية من بقل ولا يشرب إلا مع الظباء إذا وردت مناهلها، وطال شعر جسده ورأسه وألفته الظباء والوحوش فكانت لا تنفر منه، وجعل يهيم حتى يبلغ حدود الشأم، فإذا ثاب إليه عقله سأل من يمر به من أحياء العرب عن نجدٍ، فيقال له: وأين أنت من نجد! قد شارفت الشأم! أنت في موضع كذا، فيقول: فأروني وجهة الطريق، فيرحمونه ويعرضون عليه أن يحملوه وأن يكسوه فيأبى، فيدلونه على طريق نجد فيتوجه نحوه.

أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي وأخبرنا حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدي عن أبي مسكين قال:

خرج منا فتىً حتى إذا كان ببئر ميمونٍ إذا جماعة فوق بعض تلك الجبال، وإذا معهم فتىً أبيض طوال جعد كأحسن من رأيت من الرجال على هزالٍ منه وصفرةٍ، وإذا هم متعلقون به، فسألته عنه، فقيل لي: هذا قيسٌ المجنون خرج به أبوه يستجير له بالبيت، وهو على أن يأتي به قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعو له هناك لعله يكشف ما به، فإنه يصنع بنفسه صنيعاً يرحمه منه عدوه، يقول: أخرجوني لعلي أتنسم صبا نجدٍ، فيخرجونه فيتوجهون به نحو نجدٍ، ونحن مع ذلك نخاف أن يلقي نفسه من الجبل، فإن شئت الأجر دنوت منه فأخبرته أنك أقبلت من نجدٍ، فدنوت منه وأقبلوا عليه فقالوا له: يا أبا المهدي، هذا الفتى أقبل من نجد، فتنفس تنفسةً ظننت أن كبده قد انصدعت، ثم جعل يسألني عن وادٍ وادٍ وموضعٍ موضعٍ، وأنا أخبره وهو يبكي أحر بكاءٍ وأوجعه للقلب، ثم أنشأ يقول:

ألا ليت شعري عن عوارضتي قناً لطول الليالي هل تغيرتا بعدي

وهل جارتانا بالبتيل إلى الحمى على عهدنا أم لم تدوما على العهد

وعن علويات الرياح إذا جرت بريح الخزامى هل تهب على نجد

وعن أقحوان الرمل ما هو فاعلٌ إذا هو أسرى ليلةً بثرىً جعد

وهل أنفضن الدهر أفنان لمتى على لاحق المتنين مندلق الوخد

وهل أسمعن الدهر أصوات هجمةٍ تحدر من نشزٍ خصيبٍ إلى وهد

سؤاله زوج ليلى عن عشرته معها

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي والعتبي قالا: مر المجنون بزوج ليلى وهو جالسٌ يضطلي في يومٍ شاتٍ، وقد أتى ابن عم له في حي المجنون لحاجةٍ، فوقف عليه ثم أنشأ يقول:

صوت

بربك هل ضممت إليك ليلى قبيل الصبح أو قبلت فاها
وهل رفت عليك قرون ليلى رفيف الأقحوانة في نداها

فقال: اللهم إذ حلفتني فنعم، قال: فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر، فما فارقهما حتى سقط مغشياً عليه، وسقط الجمر مع لحم راحتيه، وعض على شفته فقطعها، فقام زوج ليلى مغموماً بفعله متعجباً منه فمضى. غنى في البيتين المذكورين في هذا الخبر الحسين بن محرزٍ، ولحنه رمل بالوسطى عن الهشامي.

مروره بجبلي نعمان وشعره في ذلك

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال قال محمد بن الحكم عن عوانة: إنه حدثه ووافقه ابن نصر وابن حبيب قالوا: إن أهل المجنون خرجوا به معهم إلى وادي القرى قبل توحشه ليمتاروا خوفاً عليه "من" أن يضيع أو يهلك، فمروا في طريقهم بجبلي نعمان، فقال له بعض فتيان الحي: هذان جبلا نعمان، وقد كانت ليلى تنزل بهما، قال: فأي الرياح يأتي من ناحيتهما؟ قالوا: الصبا، قال: فوالله لا أريم هذا الموضع حتى تهب الصبا، فأقام ومضوا فامتاروا لأنفسهم، ثم أتوا عليه فأقاموا معه ثلاثة أيام حتى هبت الصبا، ثم انطلق معهم فأنشأ يقول:

صوت

أيا جبلي نعمان بالله خليا سبيل الصبا يخلص إلي نسيمها
أجد بردها أو تشف مني حرارةً على كبدٍ لم يبق إلا صميمها
فإن الصبا ريحٌ إذا ما تنسمت على نفس محزونٍ تجلت همومها

ارتحال أهل ليلى وما قاله في ذلك

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسين بن الحرون قال حدثني الكسروي عن جماعةٍ من الرواة قال: لما منع أبو ليلى المجنون وعشيرته من تزويجه بها، كان لا يزال يغشى بيوقمم ويهجم عليهم، فشكوه إلى السلطان فأهدر دمه لهم، فأخبروه بذلك فلم يرعه وقال: الموت أروح لي فليتهم قتلوني، فلما علموا بذلك

وعرفوا أنه لا يزال يطلب غرةً منهم حتى إذا تفرقوا دخل دورهم، فارتحلوا عنها وأبعدوا، وجاء المجنون عشيةً فأشرف على دورهم فإذا هي منهم بلاقع، فقصد مترل ليلى الذي كان بيتها فيه، فألصق صدره به وجعل يمرغ خديه على ترابه "ويبكي"، ثم أنشأ يقول، - وذكر هذه الأبيات ابن حبيب وأبو نصر له "بغير خبر" -:

أيا حرجات الحي حيث تحملوا | بذي سلمٍ لا جادكن ربيع
وخيماتك اللاتي بمنعرج اللوى | بلين بلىً لم تبلن ربوع

ندمت على ما كان مني ندامةً | كما يندم المغبون حين يبيع
فقدتك من نفسٍ شعاعٍ فإنني | نهيتك عن هذا وأنت جميع
فقربت لي غير القريب وأشرفت | إليك ثنايا ما لهن طلوع

حديثه مع نسوة فيهن ليلى

وذكر خالد بن جميل وخالد بن كلثوم في أخبارهما التي صنعاها أن ليلى وعدته قبل أن يختلط أن تستزيره ليلةً إذا وجدت فرصةً لذلك، فمكث مدةً يراسلها في الوفاء وهي تعده وتسوفه، فأتى أهلها ذات يوم والحي خلوفٌ، فجلس إلى نسوة من أهلها حجرةً منها بحيث تسمع كلامه، فحادثهنّ طويلاً ثم قال: ألا أنشدكن أبياتاً أحدثها في هذه الأيام؟ قلن: بلى، فأنشدهن:

صوت

يا للرجال لهم بات يعروني | مستطرفٍ وقديمٍ كاد يبليني
من عاذري من غريم غير ذي عسرٍ | يأبى فيمطلني ديني ويلويني
لا يبعد النقد من حقي فينكره | ولا يحدثني أن سوف يقضيني
وما كشكرى شكرٌ لو يوافقني | ولا مناي سواه لو يوافيني
أطعته وعصيت الناس كلهم | في أمره وهواه وهو يعصيني

قال: فقلن له: ما أنصفك هذا الغريم الذي ذكرته! وجعلن يتضاحكم وهو يبكي، فاستحيت ليلى منهن ورقت له حتى بكت، وقامت فدخلت بيتها وانصرف هو.

- في الثلاثة الأبيات الأولى من هذه الأبيات هزجٌ طنبوري للمسدود - قالا في خبرهما هذا: وكان للمجنون ابنا عم يأتيانه فيحدثانه ويسليانه ويؤانسانه، فوقف عليهما يوماً وهما جالسان، فقالا له: يا أبا المهدي ألا تجلس؟

قال: لا، بل أمضي إلى مترل ليلى فاترسمه وأرى آثارها فيه، فأشفي بعض ما في صدري بها، فقالا له: فنحن معك، فقال: إذا فعلتما أكرمتما وأحسنتما، فقاما معه حتى أتى دار ليلى، فوقف بها طويلاً يتتبع آثارها ويبكي ويقف في موضعٍ موضعٍ منها ويبكي ثم قال:

صوت

يا صاحبي ألما بي بمنزلة	قد مر حينٌ عليها إيما حين
إني أرى رجعات الحب تقتلني	وكان في بدئها ما كان يكفيني
لا خير في الحب ليست فيه قارعةٌ	كأن صاحبها في نزع موتون
إن قال عذاله مهلاً فلان لهم	قال الهوى غير هذا القول يعنيني
ألقى من اليأس تاراتٍ فتقتلني	وللرجاء بشاشاتٌ فتحييني

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيلٍ من جامع غنائه وقال هشام بن الكلبي عن أبي مسكين: إن جماعة من بني عامر حدثوه قالوا: كان رجل من بني عامر ابن عقيلٍ يقال له: قيس بن معاذ، وكان يدعى المجنون، وكان صاحب غزلٍ ومجالسةٍ للنساء، فخرج على ناقة له يسير، فمر بامرأة من بني عقيلٍ يقال لها: كريمة، وكانت جميلةً عاقلةً، معها نسوة فعرفنه ودعونه إلى الترول والحديث، وعليه حلتان له فاخرتان وطيلسانٌ وقلنسوةٌ، فترل فظل يحدثهن وينشدهن وهن أعجب شيءٍ به فيما يرى، فلما أعجبه ذلك منهن عقر لهن ناقته، وقمن إليها فجعلن يشوين ويأكلن إلى أن أمسى، فأقبل غلامٌ شابٌ حسن الوجه من حيهن فجلس إليهن، فأقبلن عليه بوجوههن يقلن له: كيف ظللت يا منازل اليوم؟ فلما رأى ذلك من فعلهن غضب، فقام وتركهن وهو يقول:

أأعقر من جرا كريمة ناقتي	ووصلي مفروشٌ لوصل منازل
إذا جاء قعقن الحلي ولم أكن	إذا جئت أرضى صوت تلك الخلاخل

قال: فقال له الفتى: هلم نتصارع أو نتناضل، فقال له: إن شئت ذلك فقم إلى حيث لا تراهن ولا يرينك، ثم ما شئت فافعل، وقال:

إذا ما انتضلنا في الخلاء نضلته	وإن يرم رشقاً عندها فهو ناضلي

وقال ابن الكلبي في هذا الخبر: فلما أصبح لبس حلته وركب ناقته ومضى متعرضاً لهن، فالفى ليلى جالسةً بفناء بيتها، وكانت معهن يومئذٍ جالسةً، وقد علق بقلبها وهويته، وعندها جويرياتٌ يحدثنها، فوقف بهن وسلم، فدعونه إلى الترول وقلن له: هل لك في محادثة من لا يشغله عنك منازل ولا غيره؟ قال: إي لعمري، فترل وفعل فعلته بالأمس، فأرادت أن تعلم هل لها عنده مثل ما له عندها، فجعلت تعرض عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ

وتحدث غيره، وقد كان علق حبها بقلبه وشغفه واستملحها، فبينا هي تحدثه إذ أقبل فتى من الحي فدعته فسارته سراراً طويلاً ثم قالت له انصرف، فانصرف، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغير وامتقع وشق عليه ما فعلت، فأنشأت تقول:

كلانا مظهرٌ للناس بغضاً وكلٌ عند صاحبه مكين

تبلغنا العيون مقالتينا وفي القلبين ثم هوىً دفين

"قد نسبت هذا الشعر متقدماً " فلما سمع هذين البيتين شهق شهقةً عظيمةً وأغمي عليه فمكث "كذلك" ساعةً، ونضحوا الماء على وجهه حتى أفاق، وتمكن حب كل واحدٍ منهما في قلب صاحبه وبلغ منه كل مبلغ.

حدثني عمي عن عبد الله بن أبي سعد عن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل القرشي قال حدثنا أبو العالية عن أبي ثمامة الجعدي قال: لا يعرف فينا مجنونٌ إلا قيس بن الملوح.

حديث اتصاله بليلى في صباه

قال: وحدثني بعض العشيرة قال: قلت لقيس بن الملوح قبل أن يخالط: ما أعجب شيء أصابك في وجدك بليلى؟ قال: طرقنا ذات ليلة أضيافٌ و لم يكن عندنا لهم أدمٌ، فبعثني أبي مترل أبي ليلى وقال لي: اطلب لنا وقال لي: اطلب لنا منه أدماً، فأتيته فوقفت على خبائه فصحت به، فقال: ما تشاء؟ فقلت: طرقنا ضيفان ولا أدم عندنا لهم فأرسلني أبي نطلب منك أدماً، فقال: يا ليلى، أخرجي إليك ذلك النحي، فاملئن له إناءه من السمن، فأخرجته ومعي قعبٌ، فجعلت تصب السمن فيه ونتحدث، فألهانا الحديث وهي تصب السمن وقد امتلأ القعب ولا نعلم جميعاً، وهو يسيل استنقعت أرجلنا في السمن، قال: فأتيتهم ليلةً ثانيةً أطلب ناراً، وأنا متلفعٌ ببردٍ لي، فأخرجت لي ناراً في عطبةٍ فأعطتنيها ووقفنا نتحدث، فلما احترقت العطبة خرقت من بردي خرقةً وجعلت النار فيها، فكلما احترقت خرقت أخرى وأذكيت بها النار حتى لم يبق علي من البرد إلا ما وارى عورتي، وما أعقل ما أصنع، وأنشدني:

أمستقبلي نفح الصبا ثم شائقي ببردٍ ثنايا أم حسان شائق

كأن على أنيابها الخمر شجها بماء الندى من آخر الليل عاتق

وما شمته إلا بعيني تفرساً كما شيم في أعلى السحابة بارق

ومن الناس من يروي هذه الأبيات لنصيبٍ، ولكن هكذا روي في هذا الخبر.

حدث الأصمعي أنه لم يكن مجنوناً

أخبرنا محمد بن خلف وكيعٌ عن عبد الملك بن محمد الرقاشي عن عبد الصمد بن المعذل قال: سمعت الأصمعي يقول - و"قد" تذاكرنا مجنون بني عامر - قال: هو قيس ابن معاذ العقيلي، ثم قال: لم يكن مجنوناً إنما كانت به لوثةٌ، وهو القائل:

أخذت محاسن كل ما	ضنت محاسنه بحسنه
كاد الغزال يكونها	لولا الشوى ونشوز قرنه

قال: وهو القائل:

صوت

ولم أر ليلى بعد موقف ساعةٍ	بخيف منىً ترمي جمار المحصب
ويبدي الحصى منها إذا قذفت به	من البرد أطراف البنان المخصب
فأصبحت من ليلى الغداة كناظرٍ	مع الصبح في أعقاب نجمٍ مغرب
ألا إنما غادرت يا أم مالكٍ	صدىً إينما تذهب به الريح يذهب

في هذه الأبيات لحنٌ من الثقيل الأول، ابتداؤه نشيدٌ من صنعة الواثق وهو المشهور. وذكره ابن المكي لأبيه يحيى. وهو في جامع غناء سليم بن سلام له. وذكره حبشٌ في موضعين من كتابه فنسبه في طريقه الثقيل الأول في أحدهما إلى ابن محرز، والآخر إلى يحيى المكي. وزعم الهشامي أن فيه لسليم بن سلام لحناً آخر من الثقيل الأول.

أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن عبد الجبار الصوفي قال حدثني إبراهيم بن سعد الزهري قال: أتاني رجل من عذرة لحاجة، فجرى ذكر العشق والعشاق، فقلت له: أنتم أرق قلوباً أم بنو عامرٍ؟ إنا لأرق الناس قلوباً، ولكن غلبتنا بنو عامرٍ بمجنونها.

شيء من أوصافه

أخبرني أحمد بن عمر بن موسى بن زكويه القطان إجازةً قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال أخبرني عبد الجبار بن سليمان بن نوفل بن مساحقٍ عن أبيه عن جده قال: أنا رأيت مجنون بني عامر، وكان جميل الوجه أبيض اللون قد علاه شحوبٌ، واستنشدته فأنشدني قصيدته التي يقول فيها:

تذكرت ليلى والسنين الخواليا	وأيام لا أعدي على اللهو عادياً

أخبرني محمد بن الحسن الكندي خطيب مسجد القادسية قال حدثنا الرياشي قال: سمعت أبا عثمان المازني يقول: سمعت معاذاً وبشر بن المفضل جميعاً ينشدان هذين البيتين وينسبانهما لمجنون بني عامر:

طمعت بليلى أن تريع وإنما تقطع أعناق الرجال المطامع

ودانيت ليلى في خلاءٍ ولم يكن شهودٌ على ليلى عدولٌ مقانع

وحدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا أبو خليفة "الفضل بن الحباب" عن ابن سلام قال: قضى عبيد الله الحسن بن الحصين بن أبي الحر العنبري على رجل من قومه قضيةً أوجبها الحكم عليه، وظن العنبري أنه تحامل عليه وانصرف مغضباً، ثم لقيه في طريق، فأخذ بلجام بغلته وكان شديداً أيداً، ثم قال له: إيه يا عبيد الله!

طمعت بليلى أن تريع وإنما تقطع أعناق الرجل المطامع

فقال عبيد الله:

وبايعت ليلى في خلاءٍ ولم يكن شهودٌ عدولٌ عند ليلى مقانع

خل عن البغلة. قال الصولي في خبره هذا: والبيتان للبعيث هكذا، قال: فلا أدري أمن قوله هو أم حكاية عن أبي خليفة!.

زيارة ليلى له وحديثه معها

أخبرنا محمد بن القاسم الأنباري عن عبد الله بن خلف الدلال قال حدثنا زكريا بن موسى عن شعيب بن السكن عن يونس النحوي قال: لما اختلط عقل قيس بن الملوح وترك الطعام والشراب، مضت أمه إلى ليلى فقالت لها: إن قيساً قد ذهب حبك بعقله، وترك الطعام والشراب، فلو جئته وقتاً لرجوت أن يثوب إليه "بعض" عقله، فقالت ليلى: أما نهاراً فلا لأنني لا آمن قومي على نفسي ولكن ليلاً، فأتته ليلاً فقالت له: يا قيس، إن أمك تزعم أنك جننت من أجلي وتركت المطعم والمشرب، فاتق الله وأبق على نفسك، فبكى وأنشأ يقول:

قالت جننت على أيشٍ فقلت لها الحب أعظم مما بالمجانين

الحب ليس يفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون في الحين

قال: فبكت معه، وتحدثا حتى كاد الصبح أن يسفر، ثم ودته وانصرفت، فكان آخر عهده بها.

سبب جنونه بيت شعر قاله

أخبرنا ابن المرزبان قال قال القحذمي: لما قال المجنون:

قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلا بشيءٍ غير ليلى ابتلانيا

سلب عقله. الغناء لحكم ثقيلٌ أول، وقيل إنه لابن الهربذ. وفيه لمتيم خفيف ثقيلٍ أول من جامع أغانيها. وحدثني جحظة بهذا الخبر عن ميمون بن هارون أنه بلغه أنه لما قال هذا البيت برص.

سبب تسميته المجنون

واختلاف الرواة في ذلك

أخبرني الحسن بن علي "قال حدثنا محمد بن طاهر" القرشي عن ابن عائشة قال: إنما سمي المجنون بقوله:

ما بال قلبك يا مجنون قد خلعا   في حب من لا ترى في نيله طمعا
الحب والود نيطا بالفؤاد لها   فأصبحا في فؤادي ثابتين معا

حدثنا وكيعٌ عن ابن يونس قال قال الأصمعي: لم يكن المجنون، إنما جننه العشق، وأنشد له:

يسمونني المجنون حين يرونني   نعم بي من ليلى الغداة جنون
ليالي يزهى بي شبابٌ وشرةٌ   وإذ بي من خفض المعيشة لين

أخبرني محمد بن المرزبان عن إسحاق بن محمد بن أبان قال حدثني علي بن سهل عن المدائني: أنه ذكر عنده مجنون بني عامر فقال: لم يكن مجنوناً، وإنما قيل له المجنون بقوله:

وإني لمجنونٌ بليلى موكلٌ   ولست عزوفاً عن هواها ولا جلدا
إذا ذكرت ليلى بكيت صبابةً   لتذكارها حتى يبل البكا الخدا

أخبرني عمر بن جميلٍ العتكي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عون بن عبد الله العامري أنه قال: ما كان والله المجنون الذي تعزونه إلينا مجنوناً، إنما كانت به لوثةٌ وسهوٌ أحدثهما به حب ليلى، وأنشد له:

وبي من هوى ليلى الذي لو أبثه   جماعة أعدائي بكت لي عيونها
أرى النفس عن ليلى أبت أن تطيعني   فقد جن من وجدي بليلى جنونها

أخبرني ابن المرزبان قال قال العتبي: إنما سمي المجنون بقوله:

يقول أناسٌ عل مجنون عامرٍ   يروم سلواً قلت أنى لما بيا
وقد لامني في حب ليلى أقاربي   أخي وابن عمي وابن خالي وخاليا
يقولون ليلى أهل بيت عداوةٍ   بنفسي ليلى من عدو وماليا
ولو كان في ليلى شذاً من خصومةٍ   للويت أعناق المطي الملاويا

أخبرني هاشم "بن محمد" الخزاعي عن عيسى بن إسماعيل قال قال ابن سلام: لو حلفت أن مجنون بني عامرٍ لم يكن مجنوناً لصدقت، ولكن توله لما زوجت ليلى وأيقن اليأس منها، ألم تسمع إلى قوله:

أيا ويح من أمسى تخلس عقله   فأصبح مذهوباً به كل مذهب

خليعاً من الخلان إلا مجاملا يساعدني من كان يهوى تجنبي

إذا ذكرت ليلى عقلت وراجعت عوزاب قلبي من هوىً متشعب

"أخبرني به الحسن بن علي عن دينار بن عامر التغلبي عن مسعود بن سعد عن ابن سلام ونحوه.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أنشدني صالح بن سعيد قال أنشدني يعقوب بن السكيت للمجنون.

يسمونني المجنون حين يرونني نعم بي من ليلى الغداة جنون"

قال: وأنشدنا له أيضاً:

صوت

وشغلت عن فهم الحديث سوى ما كان فيك فإنه شغلي

وأديم لحظ محدثي ليرى أن قد فهمت وعندكم عقلي

الحديث عن تكنيته ليلى بأم مالك

أخبرني ابن المرزبان عن محمد بن الحسن دينار الأحول عن علي بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة: أن صاحبة مجنون بني عامر التي كلف بها ليلى بنت مهدي بن سعد بن مهدي "بن ربيعة" بن الحريش، وكنيتها أم مالكٍ، وقد ذكر هذه الكنية المجنون في شعره فقال:

تكاد بلاد الله يا أم مالكٍ بما رحبت يوماً علي تضيق

وقال أيضاً:

فإن الذي أملت من أم مالكٍ أشاب قذالي واستهام فؤاديا

خليلي إن دارت على أم مالكٍ صروف الليالي فابغيا لي ناعيا

وقال أبو عمرو الشيباني: علق المجنون ليلى بنت مهدي بن سعد من بني الحريش، وكنيتها أم مالكٍ، فشهر بها وعرف خبره فحجبت عنه، فشق عليه فخطبها إلى أبيها فرده وأبى أن يزوجه إياها، فاشتد به الأمر حتى جن وقيل له: "مجنون بني عامر" فكان على حاله يجلس في نادي قومه فلا يفهم ما يحدث به ولا يعقله إلا إذا ذكرت ليلى. وأنشد له أبو عمرو:

صوت

الرائية

ألا ما لليلى لا ترى عند مضجعي ... بليلٍ ولا يجري بذلك طائر
بلى إن عجم الطير تجري إذا جرت ... بليلى ولكن ليس للطير زاجر
أزالت عن العهد الذي كان بيننا ... بذي الأثل أم قد غيرتها المقادر
فوالله ما في القرب لي منك راحةٌ ... ولا البعد يسليني ولا أنا صابر
ووالله ما أدري بأية حيلةٍ ... وأي مرامٍ أو خطارٍ أخاطر
وتالله إن الدهر في ذات بيننا ... علي لها في كل حالٍ لجائر
فلو كنت إذ أزمعت هجري تركتني ... جميع القوى والعقل مني وافر
ولكن أيامي بحقل عنيزةٍ ... وبالرضم أيامٌ جناها التجاور
وقد أصبح الود الذي كان بيننا ... أماني نفسٍ والمؤمل حائر
لعمري لقد رنقت يا أم مالكٍ ... حياتي وساقتني إليك المقادر

قال أبو عمرو: وأخبرني بعض الشأميين قال: دخلت أرض بني عامر، فسألت عن المجنون الذي قتله الحب، فخبروني عنه أنه كان عاشقاً لجارية منهم يقال لها ليلى، ربا معها ثم حجبت عنه، فاشتد عليه وذهب عقله، فأتاه إخوانٌ من إخوانه يلومونه على ما يصنع بنفسه، فقال:

صوت

يا صاحبي ألما بي بمنزلةٍ ... قد مر حينٌ عليها أيما حين
في كل منزلةٍ ديوان معرفةٍ ... لم يبق باقيةٍ ذكر الدواوين
إني أرى رجعات الحب تقتلني ... وكان في بدئها ما كان يكفيني

الغناء لابن جامع خفيف ثقيلٍ.

جنونه بليلى وهيامه على وجهه

من أجلها

أخبرني هاشمٌ الخزاعي عن "العباس بن الفرج" الرياشي قال: ذكر العتبي عن أبيه قال: كان المجنون في بدء أمره يرى ليلى ويألفها ويأنس بها ثم غيبت عن ناظره، فكان أهله يعزونه عنها ويقولون: نزوجك أنفس جاريةٍ في عشيرتك، فيأبى إلا ليلى ويهذي بها ويذكرها "فكان ربما استراح إلى أمانيهم وركن إلى قولهم"، وكان ربما هاج

عليه الحزن والهم فلا يملك مما هو فيه أن يهيم على وجهه، وذلك قبل أن يتوحش مع البهائم في القفار، فكان قومه يلومونه ويعذلونه، فأكثروا عليه في الملامة والعذل يوماً فقال:

صوت

يا للرجال لهمٍّ بت يعروني		مستطرفٍ وقديمٍ كان يعنيني
على غريم مليء غير ذي عدم		يأبى فيمطلني ديني ويلويني
لا يذكر البعض من ديني فينكره		ولا يحدثني أن سوف يقضيني
وما كشكري شكرٌ لو يوافقني		ولا منىً كمناه إذ يمنيني
أطعته وعصيت الناس كلهم		في أمره ثم يأبى فهو يعصيني
خيري لمن يبتغي خيري ويأمله		من دون شري وشري غير مأمون
وما أشارك في رأيي أخاً ضعفٍ		ولا أقول أخي من لا يواتيني

في هذه الأبيات هزجٌ طنبوري للمسدود من جامعه.

وقال أبو عمرو الشيباني: حدثني رباح العامري قال: كان المجنون أول ما علق ليلى كثير الذكر لها والإتيان بالليل إليها، والعرب ترى ذلك غير منكرٍ أن يتحدث الفتيان إلى الفتيات، فلما علم أهلها بعشقه لها منعوه من إتيانها وتقدموا إليه، فذهب لذلك عقله ويئس منه قومه واعتنوا بأمره، واجتمعوا إليه ولاموه وعذلوه على ما يصنع بنفسه، وقالوا: والله ما هي لك بهذه الحال، فلو تناسيتها رجونا أن تسلو قليلاً، فقال لما سمع مقالتهم وقد غلب عليه البكاء:

صوت

فواكبدا من حب من لا يحبني		ومن زفراتٍ ما لهن فناء
أريتك إن لم أعطك الحب عن يدٍ		ولم يك عندي إذ أبيت إباء
أتاركتي للموت أنت فميتٌ		وما للنفوس الخائفات بقاء

ثم أقبل على القوم فقال: إن الذي بي ليس بهينٍ، فاقلوا من ملامكم فلست بسامعٍ فيها ولا مطيعٍ لقول قائلٍ.

قصة حبه ليلى برواية رباح العامري أخبرني عمي ومحمد بن حبيب وابن المرزبان عن عبد الله بن أبي سعد عن عبد العزيز صالح عن أبيه عن ابن دأبٍ عن رباح بن حبيب العامري: أنه سأله عن حال المجنون وليلى، فقال: كانت ليلى من بني الحريش وهي بنت مهدي بن سعيد بن مهدي بن ربيعة بن الحريش، وكانت من أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن جسماً وعقلاً وأفضلهن أدباً وأملحهن شكلاً، وكان المجنون كلفاً بمحادثة النساء صباً بهن،

فبلغه خبرها ونعتت له، فصبا إليها وعزم على زيارها، فتأهب لذلك ولبس أفضل ثيابه ورجل جمته ومس طيباً كان عنده، وارتحل ناقةً له كريمةً برحلٍ حسنٍ وتقلد سيفه وأتاها، فسلم فردت عليه السلام وتحفت في المسئلة، وجلس إليها فحادثته وحادثها فأكثرا، وكل واحد منهما مقبلٌ على صاحبه معجبٌ به، فلم يزالا كذلك حتى أمسيا، فانصرف إلى أهله فبات بأطول ليلةٍ شوقاً إليها، حتى إذا أصبح عاد إليها فلم يزل عندها حتى أمسى، ثم انصرف إلى أهله فبات بأطول من ليلته الأولى واجتهد أن يغمض فلم يقدر على ذلك، فأنشأ يقول:

نهاري نهار الناس حتى إذا بدا ... لي الليل هزتني إليك المضاجع
أقضي نهاري بالحديث وبالمنى ... ويجمعني والهم بالليل جامع
لقد ثبتت في القلب منك محبةٌ ... كما ثبتت في الراحتين الأصابع

- عروضه من الطويل، والغناء لإبراهيم الموصلي رملٌ بالوسطى عن عمرو - قال: وأدام زيارها وترك من يأتيه فيتحدث إليه غيرها، وكان يأتيها في كل يوم فلا يزال عندها نهاره أجمع حتى إذا أمسى انصرف، فخرج ذات يومٍ يريد زيارها فلما قرب من منزلها لقيته جاريةٌ عسراء فتطير منها، وأنشأ يقول:

وكيف يرجى وصل ليلى وقد جرى ... بجد القوى والوصل أعسر حاسر
صديع العصا صعب المرام إذا انتحى ... لوصل امرىءٍ جدت عليه الأواصر

ثم سار إليها في غدٍ فحدثها بقصته وطيرته ممن لقيه، وأنه يخاف تغير عهدها وانتكاثه وبكى، فقالت: لا ترع، حاش لله من تغير عهدي، لا يكون والله ذلك أبداً إن شاء الله، فلم يزل عندها يحادثها بقية يومه، ووقع له في قلبها مثل ما وقع لها في قلبه، فجاءها يوماً كما كان يجيء، وأقبل يحدثها فأعرضت عنه، وأقبلت على غيره بحديثها، تريد بذلك محنته وأن تعلم ما في قلبه، فلما رأى ذلك جزع جزعاً شديداً حتى بان في وجهه وعرف فيه، فلما خافت عليه أقبلت عليه كالمسرة إليه فقالت:

كلانا مظهرٌ للناس بغضنا ... وكل عند صاحبه مكين

فسري عنه وعلم ما في قلبها، فقالت له: إنما أردت أن أمتحنك والذي لك عندي أكثر من الذي لي عندك، وأعطي الله عهداً إن جالست بعد يومي هذا رجلاً سواك حتى أذوق الموت إلا أن أكره على ذلك، قال: فانصرفت عنه وهو من أشد الناس سروراً وأقرهم عيناً، وقال:

أظن هواها تاركي بمضلةٍ ... من الأرض لا مالٌ لدي ولا أهل
ولا أحدٌ أفضي إليه وصيتي ... ولا صاحبٌ إلا المطية والرحل
محا حبها حب الألى كن قبلها ... وحلت مكاناً لم يكن حل من قبل

شعره بعد أن تزوجت وأيس منها أخبرني جعفر بن قدامة عن أبي العيناء عن العتبي قال: لما حجبت ليلى عن المجنون خطبها جماعةٌ فلم يرضهم أهلها، وخطبها رجل من ثقيف موسرٌ فزوجوه وأخفوا ذلك عن المجنون ثم نمي إليه طرفٌ منه لم يتحققه، فقال:

دعوت إلهي دعوةً ما جهلتها ... وربي بما تخفي الصدور بصير

لئن كنت تهدي برد أنيابها العلا ... لأفقر مني إنني لفقيرٌ

فقد شاعت الأخبار أن قد تزوجت ... فهل يأتيني بالطلاق بشير

وقال أيضاً:

ألا تلك ليلى العامرية أصبحت ... تقطع إلا من ثقيفٍ حبالها

هم حبسوها محبس البدن وابتغى ... بها المال أقوامٌ ألا قل مالها

إذا التفتت والعيس صعرٌ من البرى ... بنخلة جلت عبرة العين حالها

قال: وجعل يمر بيتها فلا يسأل عنها ولا يلتفت إليه، ويقول إذا جاوزه:

صوت

ألا أيها البيت الذي لا أزوره ... وإن حله شخصٌ إلي حبيب

هجرتك إشفاقاً وزرتك خائفاً ... وفيك علي الدهر منك رقيب

سأستعتب الأيام فيك لعلها ... بيوم سرورٍ في الزمان تؤوب

الغناء لعريب ثاني ثقيلٍ بالوسطى. قال: وبلغه أن أهلها يريدون نقلها إلى الثقفي فقال:

صوت

كأن القلب ليلة قيل يغدى ... بليلى العامرية أو يراح

قطاةٌ عزها شركٌ فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناح

- عروضه من الوافر. الغناء لابن المكي خفيفٌ ثقيلٍ "أول" بالوسطى في مجراها عن إسحاق، وفيه خفيف ثقيلٍ آخر لسليمان مطلقٌ في مجرى البنصر، وفيه لإبراهيم رملٌ بالوسطى في مجراها عن الهشامي - قال: فلما نقلت "ليلى" إلى الثقفي قال:

قصيدته العينية

طربت وشاقتك الحمول الدوافع غداة دعا بالبين أسفع نازع
شحا فاه نعباً بالفراق كأنه حريبٌ سليبٌ نازح الدار جازع
فقلت ألا قد بين الأمر فانصرف فقد راعنا بالبين قبلك رائع
سقيت سموماً من غراب فأنني تبينت ما خبرت مذ أنت واقع
ألم تر أني لا محب ألومه ولا ببديلٍ بعدهم أنا قانع
"ألم تر دار الحي في رونق الضحى بحيث انحنت للهضبتين الأجارع"

وقد يتناءى الإلف من بعد ألفةٍ ويصدع ما بين الخليطين صادع
وكم من هوى أو جيرةٍ قد ألفتهم زماناً فلم يمنعهم البين مانع
كأني غداة البين ميت جوبةٍ أخو ظمأ سدت عليه المشارع
تخلس من أوشال ماءٍ صبابةً فلا الشرب مبذولٌ ولا هو ناقع
وبيضٍ تطلى بالعبير كأنها نعاج الملا جيبت عليها البراقع
تحملن من وادي الأراك فأومضت لهن بأطراف العيون المدامع
فما رمن ربع الدار حتى تشابهت هجائنها والجون منها الخواضع
وحتى حلمن الحور من كل جانب وخاضت سدول الرقم منها الأكارع
فلما استوت تحت الخدور وقد جرى عبيرٌ ومسكٌ بالعرانين رادع
أشرن بأن حثوا الجمال فقد بدا من الصيف يومٌ لافحٌ الحر ماتع
فلما لحقنا بالحمول تباشرت بنا مقصراتٌ غاب عنها المطامع
يعرضن بالدل المليح وإن يرد جناهن مشغوفٌ فهن موانع
فقلت لأصحابي ودمعي مسبلٌ وقد صدع الشمل المشتت صادع
أليلى بأبواب الخدور تعرضت لعيني أم قرنٌ من الشمس طالع

مروره على حمامة تهدل

وما قال في ذلك من الشعر

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا الهيثم بن فراسٍ قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي: أن أبا المجنون حج به ليدعو الله عز وجل في الموقف أن يعافيه، فسار ومعه ابن عمه زياد بن كعب بن مزاحم، فمر بحمامة تدعو على أيكة فوقف يبكي، فقال له زياد: أي شيء هذا؟ ما يبكيك أيضاً؟ سر بنا نلحق الرفقة، فقال:

أأن هتفت يوماً بوادٍ حمامةٌ ... بكيت ولم يعذرك بالجهل عاذر

دعت ساق حرٍّ بعد ما علت الضحى ... فهاج لك الأحزان أن ناح طائر

تغني الضحى والصبح في مرجحنةٍ ... كثاف الأعالي تحتها الماء حائر

كأن لم يكن بالغيل أو بطن أيكةٍ ... أو الجزع من تول الأشاءة حاضر

يقول زيادٌ إذ رأى الحي هجروا ... أرى الحي قد ساروا فهل أنت سائر

وإني وإن غال التقادم حاجتي ... ملمٌ على أوطان ليلى فناظر

هيامه إلى نواحي الشأم

وما يقوله من الشعر عند عوده ورؤية التوباد

أخبرني "محمد بن مزيد" بن أبي الأزهر عن الزبير عن محمد بن عبد الله البكري عن موسى بن جعفر بن أبي كثير
وأخبرني عمي عن "عبد الله" بن شبيب عن "هارون بن موسى" الفروي عن موسى بن جعفر بن أبي كثير
وأخبرني ابن المرزبان عن ابن الهيثم عن العمري عن العتبي قالوا جميعاً: كان المجنون وليلى وهما صبيان يرعيان غنماً لأهلها عند جبلٍ في بلادهما يقال له التوباد، فلما ذهب عقله وتوحش، كان يجيء إلى ذلك الجبل فيقيم به، فإذا تذكر أيام كان يطيف هو وليلى به جزع جزعاً شديداً واستوحش فهام على وجهه حتى يأتي نواحي الشأم، فإذا ثاب إليه عقله رأى بلداً لا يعرفه فيقول للناس الذين يلقاهم: بأبي أنتم، أين التوباد من أرض بني عامر؟ فيقال له: وأين أنت من أرض بني عامر! أنت بالشأم عليك بنجم كذا فأمه، فيمضي على وجهه نحو ذلك النجم حتى يقع بأرض اليمن، فيرى بلاداً ينكرها وقوماً لا يعرفهم فيسألهم عن التوباد وأرض بني عامر، فيقولون: وأين أنت من أرض بني عامر! عليك بنجم كذا وكذا، فلا يزال كذلك حتى يقع على التوباد، فإذا رآه قال في ذلك: أبياته التي يصف فيها انصباب الدمع

وأجهشت للتوباد حين رأيته ... وكبر للرحمن حين رآني

وأذريت دمع العين لما عرفته ... ونادى بأعلى صوته فدعاني

فقلت له قد كان حولك جيرةٌ ... وعهدي بذاك الصرم منذ زمان

فقال مضوا واستودعوني بلادهم ... ومن ذا الذي يبقى على الحدثان

وإني لأبكي اليوم من حذري غداً فراقك والحيان مجتمعان
سجالاً وتهتانا ووبلاً وديمةً وسحاً وتسجاماً إلى هملان

سبب ذهاب عقله

أخبرني عمي عن "عبد الله" بن شبيب عن هارون بن موسى الفروي عن موسى بن جعفر بن أبي كثير قال: لما قال المجنون:

خليلي لا والله لا أملك الذي قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلا بشيءٍ غير ليلى ابتلانيا

سلب عقله.

وحدثني جحظة عن ميمون بن هارون عن إسحاق الموصلي أنه لما قالهما برص.

شعره حين توهم هاتفا باسم ليلى

قال موسى بن جعفر في خبره المذكور: وكان المجنون يسير مع أصحابه فسمع صائحاً يصيح: يا ليلى في ليلةٍ ظلماء أو توهم ذلك، فقال لبعض من معه: أما تسمع هذا الصوت؟ فقال: ما سمعت شيئاً، قال: بلى، والله هاتفٌ يهتف بليلى، ثم أنشأ يقول:

أقول لأدنى صاحبي كليمةٌ أسرت من الأقصى أجب ذا المناديا
إذا سرت في الأرض الفضاء رأيتني أصانع رحلي أن يميل حياليا
يميناً إذا كانت يميناً وإن تكن شمالاً ينازعني الهوى عن شماليا

شعر له في منى وغيرها

يرويه غرير بن طلحة

وقال ابن شبيبٍ وحدثني هارون بن موسى قال: قلت لغريز بن طلحة المخزومي: من أشعر الناس ممن قال شعراً في منى ومكة وعرفاتٍ؟ فقال: أصحابنا القرشيون، ولقد أحسن المجنون حيث يقول:

وداعٍ دعا إذ نحن بالخيف من منىً فهيج أحزان الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غرها فكأنما أطار بليلى طائراً كان في صدري

فقلت له: هل تروي للمجنون غير هذا؟ قال: نعم، وأنشدني له:

أما والذي أرسى ثبيراً مكانه ... عليه السحاب فوقه يتنصب
وما سلك الموماة من كل جسرةٍ ... طليحٍ كجفن السيف تهوي فتركب
لقد عشت من ليلى زماناً أحبها ... أخا الموت إذ بعض المحبين يكذب

أخبرني محمد بن مزيد عن حماد "بن إسحاق" عن أبيه قال: كانت كنية ليلى أم عمرو، وأنشد للمجنون:

صوت

أبى القلب إلا حبه عامريةً ... لها كنيةٌ عمروٌ وليس لها عمرو
تكاد يدي تندى إذا ما لمستها ... وينبت في أطرافها الورق الخضر

الغناء لعريب ثقيلٌ أول، وقال حبش: فيه لإسحاق خفيف ثقيلٍ.

خطبة ليلى برجل من ثقيف

وما قاله المجنون في ذلك من الشعر

أخبرني هاشم "بن محمد" الخزاعي عن دماذ عن أبي عبيدة قال: خطب ليلى صاحبة المجنون جماعةٌ من قومها فكرهتهم، فخطبها رجلٌ من ثقيف موسرٌ فرضيته، وكان جميلاً فتزوجها وخرج بها، فقال المجنون في ذلك:

ألا إن ليلى كالمنيحة أصبحت ... تقطع إلا من ثقيف حبالها
فقد حبسوها محبس البدن وابتغى ... بها الريح أقوامٌ تساحت مالها
خليلي هل من حيلةٍ تعلمانها ... يدني لنا تكليم ليلى احتيالها
فإن أنتما لم تعلماها فلستما ... بأول باغٍ حاجةً لا ينالها
كأن مع الركب الذين اغتدوا بها ... غمامة صيفٍ زعزعتها شمالها
نظرت بمفضى سيل جوشن إذ غدوا ... تخب بأطراف المخارم آلها
بشافية الأحزان هيج شوقها ... مجامعة الآلاف ثم زيالها
إذا التفتت من خلفها وهي تعتلي ... بها العيس جلى عبرة العين حالها

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعلبٌ عن أبي نصر أحمد بن حاتم قال: وأنشدناه المبرد للمجنون فقال:

صوت

وأحبس عنك النفس والنفس صبةٌ بذكراك والممشى أليك قريب

مخافة أن تسعى الوشاة بظنةٍ وأحرسكم أن يستريب مريب

فقد جعلت نفسي وأنت اجترمتهوكنت أعز الناس عنك تطيب

فلو شئت لم أغضب عليك ولم يزل لك الدهر مني ما حييت نصيب

أما والذي يبلو السرائر كلها ويعلم ما تبدي به وتغيب

لقد كنت ممن تصطفي النفس خلةً لها دون خلان الصفاء حجوب

ذكر يحيى المكي أنه لابن سريج ثقيلٌ أول، وقال الهشامي: إنه منحول يحيى إليه.

خبر أبي الحسن البيغاء

والمرأة التي أحبت صديقاً له من قريش

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الحسن بن محمد بن طالب الديناري قال حدثني إسحاق الموصلي، وأخبرني به محمد بن مزيد والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني سعيد بن سليمان عن أبي الحسن البيغاء قال: بينا أنا وصديق لي من قريش نمشي بالبلاط ليلاً، إذا بظل نسوة في القمر، فسمعت إحداهن تقول: أهو هو؟ فقالت لها أخرى معها: أي والله إنه لهو هو؟ فدنت مني ثم قالت: يا كهل، قل لهذا الذي معك:

ليست لياليك في خاخٍ بعائدةٍ كما عهدت ولا أيام ذي سلم

فقلت: أجب فقد سمعت، فقال: قد والله قطع بي وأرتج علي فأجب عني، فقلت:

فقلت لها يا عز كل مصيبةٍ إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

ثم مضينا حتى إذا كنا بمفرق طريقين مضى الفتى إلى مترله ومضيت إلى مترلي، فإذا أنا بجويريةٍ تجذب ردائي فالتفت، فقالت لي: المرأة التي كلمتها تدعوك، فمضيت معها حتى دخلت داراً واسعة ثم صرت إلى بيتٍ فيه حصيرٌ، وقد ثنت لي وسادةً فجلست عليها، ثم جاءت جاريةٌ بوسادة مثنيةٍ فطرحتها، ثم جاءت المرأة فجلست عليها، فقالت لي: أنت المجيب؟ قلت: نعم، قالت: ما كان أفظ لجوابك وأغلظه! فقلت لها: ما حضرني غيره، فسكتت، ثم قالت: لا والله ما خلق الله خلقاً أحب إلي من إنسان كان معك! فقلت لها: أنا الضامن لك عنه ما تحبين، فقالت: هيهات أن يقع بذلك وفاءٌ، فقلت: أنا الضامن وعلي أن آتيك به في الليلة القابلة فانصرفت، فإذا الفتى ببابي، فقلت: ما جاء بك؟ قال: ظننت أنها سترسل إليك وسألت عنك فلم أعرف لك خبراً، فظننت أنك

عندها، فجلست أنتظرك، فقلت له: وقد كان الذي ظننت، وقد وعدتما أن آتيك فأمضي بك إليها في الليلة المقبلة، فلما أصبحنا تميأنا وانتظرنا المساء، فلما جاء الليل رحلنا إليها، فإذا الجارية منتظرةٌ لنا، فمضت أمامنا حين رأتنا حتى دخلت تلك الدار ودخلنا معها، فإذا رائحةٌ طيبة ومجلسٌ قد أعد ونضد، فجلسنا على وسائد قد ثنيت لنا، وجلست ملياً ثم أقبلت عليه فعاتبته ملياً ثم قالت:

صوت

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني ... وأشمت بي من كان فيك يلوم
وأبرزتني للناس ثم تركتني ... لهم غرضاً أرمى وأنت سليم
فلو كان قولٌ يكلم الجلد قد بدا ... بجلدي من قول الوشاة كلوم

هذه الأبيات لأميمة امرأة ابن الدمينة، وفيها غناء لإبراهيم الموصلي ذكره إسحاق ولم يجنسه. وقال الهشامي: هو خفيف رملٍ. وفيه لعريب خفيف ثقيلٍ أول ينسب إلى حكم الوادي وإلى يعقوب. قال: ثم سكتت وسكت الفتى هنيهةً ثم قال:

غدرت ولم أغدر وخنت ولم أخن ... وفي بعض هذا للمحب عزاء
جزيتك ضعف الود ثم صرمتني ... فحبك من قلبي إليك أداء

فالتفتت إلي فقالت: ألا تسمع ما يقول! قد خبرتك، فغمزته أن كف فكف، ثم أقبلت عليه وقالت:

صوت

تجاهلت وصلي حين جدت عمايتي ... فهلا صرمت الحبل إذ أنا أبصر
ولي من قوى الحبل الذي قد قطعته ... نصيبٌ وإذ رأيي جميعٌ موفر
ولكنما آذنت بالصرم بغتةً ... ولست على مثل الذي جئت أقدر

- الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو - فقال:

لقد جعلت نفسي وأنت اجترمته ... وكنت أعز الناس عنك تطيب

قال: فبكت، ثم قالت: أو قد طابت نفسك! لا، والله ما فيك بعدها خير، ثم التفتت إلي وقالت: قد علمت أنك لا تفي بضمانك ولا يفي به عنك. وهذا البيت الأخير للمجنون، وإنما ذكر هذا الخبر هنا وليس من أخبار المجنون لذكره فيه.

رجع الخبر إلى سياق أخبار المجنون

رأى المجنون أبيات أهل ليلى فقال شعراً

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي أن رهط المجنون اجتازوا في نجعةٍ لهم بحي ليلى، وقد جمعتهم نجعةٌ فرأى أبيات أهل ليلى و لم يقدم على الإلمام بهم وعدل أهله إلى جهة أخرى، فقال المجنون:

لعمرك إن البيت بالقبل الذي   مررت ولم ألمم عليه لشائق
وبالجزع من أعلى الجنيبة منزلٌ   شجا حزنٍ صدري به متضايق
كأني إذا لم ألق ليلى معلقٌ   بسببين أهفوا بين سهلٍ وحالق

على أنني لو شئت هاجت صبابتي   علي رسومٌ عي فيها التناطق
لعمرك إن الحب يا أم مالكٍ   بقلبي براني الله منه للاصق
يضم علي الليل أطراف حبكم   كما ضم أطراف القميص البنائق

صوت

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا   سوى أن يقولوا إنني لك عاشق
نعم صدق الواشون إنت حبيبةٌ   إلي وإن لم تصف منك الخلائق

الغناء لمتيم ثقيلٌ أول من جامعها. وفيه لدعامة رملٌ عن حبشٍ.

حديث ليلى جارة لها من عقيل

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أحمد بن الطيب قال قال ابن الكلبي: دخلت ليلى على جارة لها من عقيل وفي يدها مسواكٌ تستاك به، فتنفست ثم قالت: سقى الله من أهدى لي هذا المسواك؛ فقالت لها جارتها: من هو؟ قالت: قيس بن الملوح، وبكت ثم نزعت ثيابها تغتسل؛ فقالت: ويحه! لقد علق مني ما أهلكه من غير أن أستحق ذلك، فنشدتك الله، أصدق في صفتي أم كذب؟ فقالت: لا والله، بل صدق؛ قال: وبلغ المجنون قولها فبكى ثم أنشأ يقول:

نبئت ليلى وقد كنا نبخلها   قالت سقى المزن غيثاً منزلاً خربا
وحبذا راكبٌ كنا نهش به   يهدي لنا من أراك الموسم القضبا
قالت لجارتها يوماً تسائلها   لما استحمت وألقت عندها السلبا
يا عمرك الله ألا قلت صادقةً   أصدقت صفة المجنون أم كذبا

ويروى: نشدتك الله ويروى: "أصادقاً وصف المجنون أم كذباً".

خروج ليلى مع زوجها وشعره فيه

وقال أبو نصر في أخباره: لما زوجت ليلى بالرجل الثقفي سمع المجنون رجلاً من قومها يقول لآخر: أنت ممن يشيع ليلى؟ قال: ومتى تخرج؟ قال: غداً، ضحوةً أو الليلة، فبكى "المجنون" ثم قال:

صوت

كأن القلب ليلة قيل يغدى ... بليليى العامرية أو يراح

قطاةٌ عزها شركٌ فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناح

الغناء ليحيى المكي خفيفٌ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو، وفيه رملٌ ينسب إلى إبراهيم وإلى أحمد بن يحيى المكي؛ وقال حبش: فيه خفيف ثقيلٍ "بالوسطى" لسليم.

وعظه رجل من بني عامر فأنشده شعراً

وقال الهيثم بن عدي في خبره. حدثني عبد الله بن عياش الهمداني قال حدثني رجلٌ من بني عامر قال: مطرنا مطراً شديداً في ربيع ارتبعناه، ودام المطر ثلاثاً ثم أصبحنا في اليوم الرابع على صحوٍ وخرج الناس يمشون على الوادي، فرأيت رجلاً جالساً حجرةً وحده فقصدته، فإذا هو المجنون جالسٌ وحده يبكي فوعظته وكلمته طويلاً وهو ساكتٌ لم يرفع رأسه إلي، ثم أنشدني بصوت حزين لا أنساه أبداً وحرقته.

صوت

جرى السيل فاستبكاني السيل إذ جرى ... وفاضت له من مقلتي غروب

وما ذاك إلا حين أيقنت أنه ... يكون بوادٍ فيه قريب

يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى ... إليكم تلقى طيبكم فيطيب

أظل غريب الدار في أرض عامرٍ ... ألا كل مهجورٍ هناك غريب

وإن الكثيب الفرد من أيمن الحمى ... إلي وإن لم آته لحبيب

فلا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر ... حبيبا ولم يطرب إليك حبيب

وأول هذه القصيدة - وفيه أيضاً غناء -:

صوت

ألا أيها البيت الذي لا أزوره وهجرانه منى إليه ذنوب
هجرتك مشتاقاً وزرتك خائفاً وفيك علي الدهر منك رقيبُ
سأستعطف الأيام فيك لعلها بيوم سرورٍ في هواك تثيب

هذه الأبيات في شعر محمد بن أمية مرويةٌ، ورويت ها هنا للمجنون "في هذه القصيدة". وفيها لعريب ثقيلٌ أول. ولعبد الله بن العباس ثاني ثقيلٍ. ولأحمد بن المكي خفيف ثقيلٍ.

وأفردت إفراد الطريد وباعدت إلى النفس حاجاتٌ وهن قريب
لئن حال يأسٌ دون ليلى لربما أتى اليأس دون الأمر فهو عصيب
ومنيتني حتى إذا ما رأيتني على شرفٍ للناظرين يريب
صددت وأشمت العدو بصرمنا أثابك يا ليلى الجزاء مثيب

لقاؤه في توحشه ليلى وشعره في ذلك

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق قال حدثنا بعض مشايخ بني عامر أن المجنون مر في توحشه فصادف حي ليلى راحلاً ولقيها فجأةً فعرفها وعرفته فصعق وخر مغشياً على وجهه، وأقبل فتيانٌ من حي ليلى فأخذوه ومسحوا التراب عن وجهه، وأسندوه إلى صدورهم وسألوا ليلى أن تقف له وقفةً، فرقت لما رأته به، وقالت: أما هذا فلا يجوز أن أفتضح به، ولكن يا فلانة - لأمة لها - اذهبي إلى قيس فقولي له: ليلى تقرأ عليك السلام، وتقول لك: أعزز علي بما أنت فيه، ولو وجدت سبيلاً إلى شفاء دائك لوقيتك بنفسي منه، فمضت الوليدة إليه وأخبرته بقولها، فأفاق وجلس وقال: أبلغيها السلام وقولي لها هيهات! إن دائي ودوائي أنت، وإن حياتي ووفاتي لفي يديك، ولقد وكلت بي شقاء لازماً وبلاءً طويلاً. ثم بكى وأنشأ يقول:

أقول لأصحابي هي الشمس ضوءها قريبٌ ولكن في تناولها بعد
لقد عارضتنا الريح منها بنفحةٍ على كبدي من طيب أرواحها برد
فما زلت مغشياً علي وقد مضت أناةٌ وما عندي جوابٌ ولا رد
أقلب بالأيدي وأهلي بعولةٍ يفدونني لو يستطيعون أن يفدوا
ولم يبق إلا الجلد والعظم عارياً ولا عظم لي إن دام بي ولا جلد
أدنياي مالي في انقطاعي وغربتي إليك ثوابٌ منك دينٌ ولا نقد

عديني بنفسي أنت وعداً فربماجلا كربة المكروب عن قلبه الوعد

وقد يبتلى قومٌ ولا كبليتي ولا مثل جدي في الشقاء بكم جد

غزتني جنود الحب من كل جانبٍ إذا حان من جندٍ قفولٌ أتى جند

وقال أبو نصر أحمد بن حاتم: كان أبو عمرو المدني يقول قال نوفل بن مساحق: أخبرت عن المجنون أن سبب توحشه أنه كان يوماً بضرية جالساً وحده إذ ناداه منادٍ من الجبل:

كلانا يا أخي يحب ليلى بفي وفيك ومن ليلى التراب

لقد خبلت فؤادك ثم ثنت بقلبي فهو مهموم مصاب

شركتك في هوى من ليس تبدي لنا الأيام منه سوى اجتناب

خبر نوفل بن مساحق مع المجنون

قال: فتنفس الصعداء وغشي عليه، وكان هذا سبب توحشه فلم ير له أثرٌ حتى وجده نوفل بن مساحقٍ. قال نوفل: قدمت البادية فسألت عنه، فقيل لي: توحش وما لنا به عهدٌ ولا ندري إلى أين صار، فخرجت يوماً أتصيد الأروى، ومعي جماعةٌ من أصحابي، حتى إذا كنت بناحية الحمى إذا نحن بأراكةٍ عظيمة قد بدا منها قطيعٌ من الظباء، فيها شخص إنسانٍ يرى من خلل تلك الأراكة، فعجب أصحابي من ذلك، فعرفته وأتيته وعرفت أنه المجنون الذي أخبرت عنه، فنزلت عن دابتي وتخففت من ثيابي وخرجت أمشي رويداً حتى أتيت الأراكة فارتقيت حتى صرت على أعلاها وأشرفت عليه وعلى الظباء؛ فإذا به وقد تدلى الشعر على وجهه، فلم أكد أعرفه إلا بتأمل شديد، وهو يرتعي في ثمر تلك الأراكة، فرفع رأسه فتمثلت ببيت من شعره:

أتبكي على ليلى ونفسك باعدت مزارك من ليلى وشعباكما معاً

قال: فنفرت الظباء، واندفع في باقي القصيدة ينشدها، فما أنسى حسن نغمته وحسن صوته وهو يقول:

فما حسنٌ أن تأتي الأمر طائعاً وتجزع أن داعي الصبابة أسمعا

بكت عيني اليسرى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معاً

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني على كبدي من خشيةٍ أن تصدعا

فليست عشيات الحمى برواجعٍ عليك ولكن خل عينيك تدمعا

معي كل غر قد عصى عاذلاته بوصل الغواني من لدن أن ترعرعا

إذا راح يمشي في الرداءين أسرعت إليه العيون الناظرات التطلعا

قال: ثم سقط مغشياً عليه، فتمثلت بقوله:

يا دار ليلى بسقط الحي قد درست إلا الثمام وإلا موقد النار
ما تفتأ الدهر من ليلى تموت كذا في موقف وقفته أو على دار
أبلى عظامك بعد اللحم ذكركها كما ينحت قدح الشوحط الباري

فرفع رأسه إلي وقال: من أنت حياك الله؟ فقلت: أنا نوفل بن مساحقٍ، فحياني فقلت له: ما أحدثت بعدي في يأسك منها؟ فأنشدني يقول:

ألا حجبت ليلى وآلى أميرها علي يميناً جاهداً لا أزورها
وأوعدني فيها رجالٌ أبوهم أبي وابوها خشنت لي صدورها
على غير جرمٍ غير أني أحبها وأن فؤادي رهنها وأسيرها

قال: ثم سنحت له ظباء فقام يعدو في أثرها حتى لحقها فمضى معها.

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال: لما قال مجنون بني عامر:

قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلا بشيءٍ غير ليلى ابتلانيا

نودي في الليل: أنت المتسخط لقضاء الله والمعترض في أحكامه! واختلس عقله فتوحش منذ تلك الليلة وذهب مع الوحش على وجهه. وهذه القصيدة التي قال فيها هذا البيت من أشهر أشعاره، والصوت المذكور بذكره أخبار المجنون ها هنا منها. وفيها أيضاً عدة أبيات يغنى فيها، فمن ذلك:

صوت

قصديته اليائية

أعد الليالي ليلةً بعد ليلةٍ وقد عشت دهراً لا أعد اللياليا
أراني إذا صليت يممت نحوها بوجهي وإن كان المصلى ورائيا
وما بي إشراكٌ ولكن حبها كعود الشجا أعيا الطبيب المداويا
أحب من الأسماء ما وافق اسمها وأشبهه أو كان منه مدانيا

في هذه الأبيات هزجٌ خفيفٌ لمعان معزفي:

صوت

وخبر تماني أن تيماء منزلٌ ... لليلى إذا ما الصيف القى المراسيا

فهذي شهور الصيف عني قد انقضت ... فما للنوى ترمي بليلى المراميا

في هذين البيتين لحنٌ من الرمل صنعته عجوز عمير الباذغيسي على لحن إسحاق:

أماوي إن المال غادٍ ورائح

وله حديث قد ذكر في أخبار إسحاق. وهذا اللحن إلى الآن يغنى، لأنه أشهر في أيدي الناس، وإنما هو لحن إسحاق أخذ فجعل على هذه الأبيات وكيد بذلك:

صوت

فلو كان واشٍ باليمامة بيته ... وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا

وماذا لهم لا أحسن الله حالهم من الحظ تصريم ليلى حباليا

فأنت التي إن شئت أشقيت عيشتي ... وإن شئت بعد الله أنعمت باليا

وأنت التي ما من صديقٍ ولا عداً ... يرى نضو ما ابقيت إلا رثى ليا

أمضروبةٌ ليلى على أن أزورها ... ومتخذٌ ذنباً لها أن ترانيا

إذا سرت في الأرض الفضاء رأيتني ... أصانع رحلي أن يميل حياليا

يميناً إذا كانت يميناً وإن تكن ... شمالاً ينازعني الهوى عن شماليا

أحب من السماء ما وافق اسمها ... وأشبهه أو كان منه مدانيا

هي السحر إلا أن للسحر رقيةً ... وإني لا ألفي لها الدهر راقيا

وأنشد أبو نصر للمجنون وفيه غناء:

صوت

تكاد يدي تندى إذا ما لمستها ... وينبت في أطرافها الورق الخضر

أبى القلب إلا حبها عامريةً ... لها كنيةٌ عمروٌ وليس لها عمرو

الغناء لعريب ثقيلٌ أول، وذكر الهشامي أن فيه لإسحاق خفيف ثقيل.

رثاؤه لأبيه

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال: أنشدني جماعةٌ من بني عقيلٍ للمجنون يرثي أباه، ومات قبل اختلاطه وتوحشه، فعقر على قبره ورثاه بهذه الأبيات:

عقرت على قبر الملوح ناقتي ... بذي السرح لما أن جفته أقاربه

وقلت لها كوني عقيراً فإنني ... غداة غدٍ ماشٍ بالأمس راكبه

فلا يبعدنك الله يابن مزاحمٍ ... وكل امرىءٍ للموت لابد شاربه

فقد كنت طلاع النجاد ومعطى ال ... جياد وسيفاً لا تفل مضاربه

وعظه رجل من بني جعدة فقال شعراً

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن شبيب عن الحزامي عن محمد بن معنٍ قال: بلغني أن رجلاً من بني جعدة بن كعب كان أخاً وخلاً للمجنون، مر به يوماً وهو جالسٌ يخط في الأرض ويعبث بالحصى، فسلم عليه وجلس عنده فأقبل يخاطبه ويعظه ويسليه، وهو ينظر إليه ويلعب بيده كما كان وهو مفكر قد غمره ما هو فيه، فلما طال خطابه إياه قال: يا أخي، أما لكلامي جوابٌ؟ فقال له: والله يا أخي ما علمت أنك تكلمني فاعذرني، فإني كما ترى مذهوب العقل مشترك اللب وبكى، ثم أنشأ يقول:

صوت

وشغلت عن فهم الحديث سوى ... ما كان منك فإنه شغلي

وأديم لحظ محدثي ليرى ... أن قد فهمت وعندكم عقلي

شعره في حمام يتجاوب

الغناء لعلويه. وقال الهيثم: مر المجنون بوادٍ في أيام الربيع وحمامه يتجاوب فأنشأ يقول:

صوت

ألا يا حمام الإيك ما لك باكياً ... أفارقت إلفاً أم جفاك حبيب

دعاك الهوى والشوق لما ترنمت ... هتوف الضحى بين الغصون طروب

تجاوب ورقاً قد أذن لصوتها ... فكل لكل مسعدٌ ومجيب

الغناء لرذاذ ثقيلٌ أول مطلق في مجرى الوسطى.

خروج زوج ليلى وأبيها إلى مكة

واختلاف المجنون إليها

قال خالد بن حمل: حدثني رجالٌ من بني عامر أن زوج ليلى وأباها خرجا في أمرٍ طرق الحي إلى مكة، فأرسلت ليلى بأمةٍ لها إلى المجنون فدعته فأقام عندها ليلةً فأخرجته في السحر، وقالت له: سر إلي في كل ليلة ما دام القوم سفراً، فكان يختلف إليها حتى قدموا. وقال فيها في آخر ليلة لقيها وودعته:

تمتع بليلى إنما أنت هامةٌ ... من الهام يدنو كل يوم حمامها

تمتع إلى أن يرجع الركب إنهم ... متى يرجعوا يحرم عليك كلامها

مرض ولم تعده ليلى فقال شعراً

وقال الهيثم: مرض المجنون قبل أن يختلط فعاده قومه ونساؤهم و لم تعده ليلى فيمن عاده، فقال:

صوت

ألا ما لليلى لا ترى عند مضجعي ... بليلٍ ولا يجري بها لي طائر

بلى إن عجم الطير تجري إذا جرت ... بليلى ولكن ليس للطير زاجر

أحالت عن العهد الذي كان بيننا ... بذي الرمث أم قد غيبتها المقابر

الغناء لسليم ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي.

فوالله ما في القرب لي منك راحةٌ ... ولا البعد يسليني ولا أنا صابر

ووالله ما أدري بأية حيلةٍ ... وأي مرامٍ أو خطارٍ أخاطر

ووالله إن الدهر في ذات بيننا ... علي لها في كل أمرٍ لجائر

فلو كنت إذ أزمعت هجري تركتني ... جميع القوى والعقل مني وافر

ولكن أيامي بحفل عنيزةٍ ... وذي الرمث أيامٌ جناها التجاور

فقد أصبح الود الذي كان بيننا ... أماني نفس إن تخبر خابر

لعمري لقد أرهقت يا أم مالكٍ ... حياتي وساقتني إليك المقادر

خبر الظبي الذي ذكره

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال: حدثني بعض بني عقيل قال: قيل للمجنون أي شيء رأيته أحب إليك؟ قال: ليلى، قيل: دع ليلى فقد عرفنا ما لها عندك ولكن سواها، قال: والله ما أعجبني شيء قط فذكرت ليلى إلا سقط من عيني وأذهب ذكرها بشاشته عندي، غير أني رأيت ظبياً مرة فتأملته وذكرت ليلى فجعل يزداد في عيني حسناً، ثم إنه عارضه ذئبٌ وهرب منه فتبعته حتى خفيا عني فوجدت الذئب قد صرعه وأكل بعضه، فرميته بسهم فما أخطأت مقتله، وبقرت بطنه فأخرجت ما أكل منه، ثم جمعته إلى بقية شلوه، ودفنته وأحرقت الذئب، وقلت في ذلك:

أبى الله أن تبقى لحي بشاشةٌ — فصبراً على ما شاء الله لي صبرا
رأيت غزالاً يرعتي وسط روضةٍ — فقلت أرى ليلى تراءت لنا ظهرا
فيا ظبي كل رغدا هنيئاً ولا تخف — فإنك لي جارٌ ولا ترهب الدهرا
وعندي لكم حصنٌ حصينٌ وصارمٌ — حسامٌ إذا أعملته أحسن الهبرا

فما راعني إلا وذئبٌ قد انتحى — فأعلق في أحشائه الناب والظفرا
ففوقت سهمي في كتوم غمزتها — فخالط سهمي مهجة الذئب والنحرا
فأذهب غيظي قتله وشفى جوىً — بقلبي إن الحر قد يدرك الوترا

شعره وقد بلغه أن زوج ليلى سبه

قال أبو نصر: بلغ المجنون قبل توحشه أن زوج ليلى ذكره وعضهه وسبه وقال: أو بلغ من قدر قيس ابن الملوح أن يدعي محبة ليلى وينوه باسمها! فقال ليغيظه بذلك:

فإن كان فيكم بعل ليلى فإنني — وذي العرش قد قبلت فاها ثمانيا
وأشهد عند الله أني رأيتها — وعشرون منها أصبعا من ورائيا
أليس من البلوى التي لا شوى لها — بأن زوجت كلباً وما بذلت ليا

خبر رفقة أبوا صحبته إلى رهط ليلى

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال: خرج المجنون في عدةٍ من قومه يريدون سفراً لهم، فمروا في طريق يتشعب وجهتين: إحداهما يترلها رهط ليلى وفيها زيادةٌ مرحلةٍ فسألهم أن يعدلوا معه إلى تلك الوجهة فأبوا، فمضى وحده وقال:

صوت

أأترك ليلى ليس بيني وبينها ... سوى ليلةً إني إذاً لصبور

هبوني امرأً منكم أضل بعيره ... له ذمةٌ إن الذمام كبير

وللصاحب المتروك أعظم حرمةً ... على صاحبٍ من أن يضل بعير

عفا الله عن ليلى الغداة فإنها ... إذا وليت حكماً علي تجور

الغناء لابن سريج خفيف رملٍ بالوسطى عن "عمرو وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش، وفيه لابن المارقي خفيف ثقيل عن الهشامي، وفيه لعلويه رملٌ بالبنصر.

هتفت حمامة فقال شعراً

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه: أن المجنون كان ذات ليلة جالساً مع أصحاب له من بني عمه وهو ولهٌ يتلظى ويتململ يعظونه ويحادثونه، حتى هتفت حمامةٌ من سرحةٍ كانت بإزائهم، فوثب قائماً وقال:

صوت

لقد غردت في جنح ليل حمامةٌ ... على إلفها تبكي وإني لنائم

كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً ... لما سبقتني بالبكاء الحمائم

ثم بكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه، فما أفاق حتى حميت الشمس عليه من غدٍ. الغناء في هذين البيتين لعبد الله بن دحمان ثقيلٌ أول مطلق في مجرى الوسطى.

مرور رجل به وهو برمل يبرين

وذكر أبو نصر عن أصحابه أن رجلاً مرّ بالمجنون وهو برمل يبرين يخطط فيه، فوقف عليه متعجباً منه وكان لا يعرفه، فقال له: ما بك يا أخي؟ فرفع رأسه إليه وأنشأ يقول:

بي اليأس والداء الهيام أصابني ... فإياك عني لا يكن بك ما بيا

كأن جفون العين تهمي دموعها ... غداة رأت أظعان ليلى غواديا

غروبٌ أمرتها نواضح بزلٌ ... على عجلٍ عجم يروين صاديا

مر به نفر من اليمن فقال شعراً

قال خالد بن جمل: ذكر حمادٌ الرواية أن نفراً من أهل اليمن مروا بالمجنون، فوقفوا ينظرون إليه فأنشأ يقول:

ألا أيها الركب اليمانون عرجوا ... علينا فقد أمسى هوانا يمانيا

نسائلكم هل سال نعمان بعدنا ... وحب إلينا بطن نعمان واديا

يقول في هذا القصيدة:

صوت

ألا يا حمامي قصر ودان هجتما ... علي الهوى لما تغنيتما ليا

فأبكيتماني وسط صحبي ولم أكن ... أبالي دموع العين لو كنت خاليا

غنى في هذين البيتين علويه غناء لم ينسب.

فوالله إني لا أحب، لغير أن ... تحل بها ليلى البراق الأعاليا

ألا يا خليلي حب ليلى مجشمي ... حياض المنايا أو مقيدي الأعاديا

ويا أيها القمريتان تجاوبا ... بلحنيكما ثم اسجعا علانيا

فإن أنتما استطربتما وأردتما ... لحاقاً بأطراف الغضى فاتبعانيا

رحيل زوج ليلى بها وشعره بذلك

قال أبو نصر: وذكر خالد بن كلثوم أن زوج ليلى لما أراد الرحيل بها إلى بلده بلغ المجنون أنه غادٍ بها فقال:

صوت

أمزمعةٌ للبين ليلى ولم تمت ... كأنك عما قد أظلك غافل

ستعلم إن شطت بهم غربة النوى ... وزالوا بليلى أن لبك زائل

الغناء للزبير بن دحمان ثقيلٌ أول بالوسطى.

قال أبو نصر قال خالد: وحدثني جماعة من بني قشير أن المجنون سقم سقاما شديداً قبل اختلاطه حتى أشفى على الهلاك، فدخل إليه أبوه يعلله فوجده ينشد هذه الأبيات ويبكي أحر بكاء وينشج أحر نشيج:

ألا أيها القلب الذي لج هائماً ... بليلى وليداً لم تقطع تمائمه

أفق قد أفاق العاشقون وقد أنى ... لحالك أن تلقى طبيباً تلائمه

فما لك مسلوب العزاء كأنما ترى نأى ليلى مغرماً أنت غارمه
أجدك لا تنسيك ليلى ملمةٌ تلم ولا ينسيك عهداً تقادمه

خبر نظره إلى أظعان ليلى

وقد رحل بها زوجها

قال: وقف مستتراً ينظر إلى أظعان ليلى وقد رحل بها زوجها وقومها، فلما رآهم يرتحلون بكى وجزع، فقال له أبوه: ويحك! إنما جئنا بك متخفياً ليتروح بعض ما بك بالنظر إليهم، فإذا فعلت ما أرى عرفت، وقد أهدر السلطان دمك إن مررت بهم، فأمسك أو فانصرف، فقال: ما لي سبيلٌ إلى النظر إليهم يرتحلون وأنا ساكنٌ غير جازعٍ ولا باكٍ فانصرف بنا، فانصرف وهو يقول:

صوت

ذد الدمع حتى يظعن الحي إنما دموعك إن فاضت عليك دليل
كأن دموع العين يوم تحملوا جمانٌ على جيب القميص يسيل

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أنشدني إسحاق بن محمد عن بعض أصحابه عن ابن الأعرابي للمجنون:

صوت من المائة المختارة

ألا ليت ليلى أطفأت حر زفرةٍ أعالجها لا أستطيع لها ردا
إذا الريح من نحو الحمى نسمت لنا وجدت لمسراها ومنسمها بردا
على كبد قد كاد يبدي بها الهوى ندوبا وبعض القوم يحسبني جلدا

هذا البيت الثالث خاصةً يروى لابن هرمة في بعض قصائده، وهو من المائة المختارة التي رواها إسحاق أوله:

أفاطم إن النأي يسلي من الهوى

وقد أخرج في موضع آخر. غنى في هذين البيتين عبد آل الهذلي، ولحنه المختار على ما ذكره جحظة ثاني ثقيل، وهما في هذه القصيدة:

وإني يماني الهوى منجد النوى سبيلان ألقى من خلافهما جهدا
سقى الله نجداً من ربيعٍ وصيفٍ وماذا يرجى من ربيع سقى نجدا
بلى إنه قد كان للعيش قرةً وللصحب والركبان منزلةً حمدا

أبى القلب أن ينفك من ذكر نسوةٍ رقاقٍ ولم يخلقن شؤماً ولا نكدا

إذا رحن يسحبن الذيول عشيةً ويقتلن بالألحاظ أنفسنا عمدا

مشى عيطلاتٌ رجحٌ بحضورها روادف وعثاتٌ ترد الخطا ردا

وتهتز ليلى العامرية فوقها ولاثت بسب القز ذا غدرٍ جعدا

إذا حرك المدرى ضفائرها العلا مججن ندى الريحان والعنبر الوردا

وأخبار الهذليين تذكر في غير هذا الموضع إن شاء الله لئلا تنقطع أخبار المجنون، ولهما في المائة الصوت المختارة أغانٍ تذكر أخبارها معاً إن شاء الله.

خبر ظبية سأل صياديها أن يطلقاها

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال ذكر الهيثم بن عدي، وأخبرني محمد بن خلف "بن المرزبان" عن أحمد بن الهيثم عن العمري عن الهيثم بن عدي قال: مر المجنون برجلين قد صادا ظبيةً فربطاها بحبل وذهبا بها، فلما نظر إليها وهي تركض في حبالهما دمعت عيناه، وقال لهما: حلاها وخذا مكانها شاةً من غنمي - وقال ميمون في خبره: وخذا مكانها قلوصا من إبلي - فأعطاهما وحلاها فولت تعدو هاربةً. وقال المجنون للرجلين حين رآها في حبالهما:

يا صاحبي اللذين اليوم قد أخذا في الحبل شبهاً لليلى ثم غلاها

إني أرى اليوم في أعطاف شاتكما مشابهاً أشبهت ليلى فحلاها

قال: وقال فيها وقد نظر إليها "وهي" تعدو أشد عدوٍ هاربةً مذعورةً:

صوت

أيا شبه ليلى لا تراعي فإنني لك اليوم من وحشيةٍ لصديق

ويا شبه ليلى لو تلبثت ساعةً لعل فؤادي من جواه يفيق

تفر وقد أطلقتها من وثاقها فأنت لليلى لو علمت طليق

خبره مع نسوة عذلنه في ليلى

وذكر أبو نصر عن جماعة من الرواة وذكر أبو مسلم ومحمد بن الحسن الأحول أن ابن الأعرابي أخبرهما أن نسوةً جلسن إلى المجنون فقلن له: ما الذي دعاك إلى أن أحللت بنفسك ما ترى في هوى ليلى، وإنما هي امرأة من النساء، هل لك في أن تصرف هواك عنها إلى إحدانا فنساعفك ونجزيك بهواك ويرجع إليك ما عزب من عقلك وجسمك؟ فقال لهن: لو قدرت على صرف الهوى عنها إليكن لصرفته عنها وعن كل أحد بعدها وعشت في الناس سوياً مستريحاً؛ فقلن له: ما أعجبك منها؟ فقال: كل شيء رأيته وشاهدته وسمعته منها أعجبني، والله ما رأيت شيئاً منها قط إلا كان في عيني حسناً وبقلبي علقاً، ولقد جهدت أن يقبح منها عندي شيءٌ أو يسمج أو يعاب لأسلو عنها فلم أجده؛ فقلن له: فصفها لنا، فأنشأ يقول:

بيضاء خالصة البياض كأنها ... قمرٌ توسط جنح ليلٍ مبرد

موسومةٌ بالحسن ذات حواسدٍ ... إن الجمال مظنةٌ للحسد

وترى مدامعها ترقرق مقلةٍ ... سوداء ترغب عن سواد الإثمد

خودٌ إذا كثر الكلام تعوذت ... بحمى الحياء وإن تكلم تقصد

قال: ثم قال ابن الأعرابي: هذا والله من حسن الكلام ومنقح الشعر.

وأنشد أبو نصر للمجنون أيضاً، وفيه غناء، قال:

كأن فؤادي في مخالب طائرٍ ... إذا ذكرت ليلى يشد بها قبضا

كأن فجاج الأرض حلقة خاتمٍ ... علي، فما تزداد طولاً ولا عرضا

أودع رجلاً شعراً ينشده ليلى

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا أبو مسلم عن القحذمي قال: قال رجل من عشيرة المجنون له: إني أريد الإلمام بحي ليلى فهل تودعني إليها شيئاً؟ فقال: نعم! قف بحيث تسمعك ثم قل:

صوت

الله يعلم أن النفس هالكةٌ ... باليأس منك ولكني أعنيها

منيتك النفس حتى قد أضر بها ... واستيقنت خلفاً مما أمنيها

وساعةٌ منك ألهوها وإن قصرت ... أشهى إلي من الدنيا وما فيها

قال: فمضى الرجل، ولم يزل يرقب خلوةً حتى وجدها، فوقف عليها ثم قال لها: يا ليلى لقد أحسن الذي يقول:

الله يعلم أن النفس هالكةٌ ... باليأس منك ولكني أعنيها

وأنشد الأبيات؛ فبكت بكاء طويلاً ثم قالت: أبلغه السلام وقل له:

نفسي فداؤك، لو نفسي ملكت إذاً ... ما كان غيرك يجزيها ويرضيها

صبراً على ما قضاه الله فيك على ... مرارةٍ في اصطباري عنك أخفيها

قال: فأبلغه الفتى البيتين وأخبره بحالها؛ فبكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه، ثم أفاق وهو يقول:

عجبت لعروة العذري أضحى ... أحاديثاً لقومٍ بعد قوم

وعروة مات موتاً مستريحاً ... وها أنا ميت في كل يوم

أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ عن أبي نصر للمجنون:

صوت

أيا زينة الدنيا لا ينالها ... مناي ولا يبدو لقلبي صريمها

بعيني قذاةٌ من هواك لو أنها ... تداوى بمن تهوى لصح سقيمها

وما صبرت عن ذكرك النفس ساعةً ... وإن كنت أحياناً كثيراً ألومها

أبوه يحتال أن يبلغه أن ليلى تشتمه

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال: سأل الملوح أبو المجنون رجلاً قدم من الطائف أن يمر بالمجنون فيجلس إليه فيخبره أنه لقي ليلى وجلس إليها، ووصف له صفاتٍ منها ومن كلامها يعرفها المجنون، وقال له: حدثه بها، فإذا رأيته قد اشرأب لحديثك واشتهاه فعرفه أنك ذكرته لها ووصفت ما به فشتمته وسبته، وقالت: إنه يكذب عليها ويشهرها بفعله، وإنها ما اجتمعت معه قط كما يصف؛ ففعل الرجل ذلك، وجاء إليه فأخبره بلقائه إياها؛ فأقبل عليه وجعل يسائله عنها، فيخبره بما أمره به الملوح، فيزداد نشاطاً ويثوب إليه عقله، إلى أن أخبره بسبها إياه وشتمها له؛ وقال وهو غير مكترثٍ لما حكاه عنها:

صوت

تمر الصبا صفحاً بساكن ذي الغضى ... ويصدع قلبي أن يهب هبوبها

إذا هبت الريح الشمال فإنما ... جواي بما تهدى إلي جنوبها

قريبة عهدٍ بالحبيب وإنما هوى كل نفسٍ حيث كان حبيبها

وحسب الليالي أن طرحنك مطرحاً بدار قلى تمسي وأنت غريبها

حلالٌ لليلى شتمنا وانتقاصنا هنيئاً ومغفورٌ لليلى ذنوبها

ذكر أبو أيوب المديني أن الغناء في هذا الشعر لابن سريج ولم يذكر طريقته. وفيه لمتيم غناءٌ ينسب. وذكر الهيثم بن عدي أن المجنون قال - وفيه غناء -:

صوت

كأن لم تكن ليلى تزار بذي الأثل وبالجزع من أجزاع ودان فالنخل

صديقٌ لنا فيما نرى غير أنها ترى أن حبي قد أحل لها قتلي

وصف لليلى فبكت وقالت شعراً

أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن عثمان بن عمارة بن حريم عن أشياخ من بني مرة قالوا: خرج منا رجلٌ إلى ناحية الشأم والحجاز وما يلي تيماء والسراة وأرض نجد، في طلب بغيةٍ له، فإذا هو بخيمة قد رفعت له وقد أصابه المطر فعدل إليها وتنحنح، فإذا امرأةٌ قد كلمته فقالت: انزل، فنزل. "قال" وراحت أبلهم وغنمهم فإذا أمرٌ عظيم، فقالت: سلوا هذا الرجل من أين أقبل؛ فقلت: من ناحية تهامة ونجد؛ فقالت: ادخل أيها الرجل، فدخلت إلى ناحية من الخيمة، فأرخت بيني وبينها ستراً ثم قالت لي: يا عبد الله، أي بلاد نجدٍ وطئت؟ فقلت: كلها؛ قالت: فبمن نزلت هناك؟ قلت: ببني عامر؛ فتنفست الصعداء ثم قالت: فبأي بني عامر نزلت؟ فقلت: ببني الحريش؛ فاستعبرت ثم قالت: فهل سمعت بذكر فتىً منهم يقال له: قيس بن الملوح ويلقب بالمجنون؟ قلت: بلى والله! وعلى أبيه نزلت، وأتيته فنظرت إليه يهيم في تلك الفيافي، ويكون مع الوحش لا يعقل "ولا يفهم" إلا أن تذكر له امرأةٌ يقال لها ليلى، فيبكي وينشد أشعاراً قالها فيها. قال: فرفعت الستر بيني وبينها، فإذا فلقة قمرٍ لم تر عيني مثلها، فبكت حتى ظننت - والله - أن قلبها قد انصدع، فقلت: أيتها المرأة، اتقي الله فما قلت بأساً، فمكثت طويلاً على تلك الحال من البكاء والنحيب ثم قالت:

ألا ليت شعري والخطوب كثيرةٌ متى رحل قيسٍ مستقلٌ فراجع

بنفسي من لا يستقل برحله ومن هو إن لم يحفظ الله ضائع

ثم بكت حتى سقطت مغشياً عليها، فقلت لها: من أنت يا أمة الله؟ وما قصتك؟ قالت: أنا ليلى "صاحبته" المشئومة "والله" عليه غير المؤنسة له؛ فما رأيت مثل حزنها ووجدها عليه "قط".

خبر شيخ من بني مرة لقيه ميتاً في واد

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم ابن عدي عن عثمان بن عمارة، وأخبرني عثمان عن الكراني عن العمري عن لقيط، وحدثنا إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال ذكر الهيثم بن عدي عن عثمان بن عمارة، وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم صاحب الأصمعي وأبو مسلم المستملي عن ابن الأعرابي - يزيد بعضهم على بعض -

أن عثمان بن عمارة المري أخبرهم أن شيخاً منهم من بني مرة حدثه أنه خرج إلى أرض بني عامر ليلقى المجنون، قال: فدللت على محلته فأتيتها، فإذا أبوه شيخ كبيرٌ وإخوةٌ له رجال، وإذا نعمٌ كثيرٌ وخيرٌ ظاهرٌ، فسألتهم عنه فاستعبروا جميعاً، وقال الشيخ: والله لهو كان آثر في نفسي من هؤلاء وأحبهم إلي! وإنه هوي امرأةً من قومه، والله ما كانت تطمع في مثله، فلما أن فشا أمره وأمرها كره أبوها أن يزوجها منه بعد ظهور الخبر فزوجها من غيره، فذهب عقل ابني ولحقه خبلٌ وهام في الفيافي وجداً عليها، فحبسناه وقيدناه، فجعل يعض لسانه وشفتيه حتى خفنا "عليه" أن يقطعها فخلينا سبيله، فهو يهيم في "هذه" الفيافي مع الوحوش يذهب إليه كل يوم بطعامه فيوضع له حيث يراه، فإذا تنموا عنه جاء فأكل منه. قال: فسألتهم أن يدلوني عليه، فدلوني على فتىً من الحي صديقاً له وقالوا: إنه لا يأنس إلا به ولا يأخذ أشعاره عنه غيره، فأتيته فسألته أن يدلني عليه؛ فقال: إن كنت تريد شعره فكل شعرٍ قاله إلى أمس عندي، وأنا ذاهبٌ إليه غداً فإن قال شيئاً أتيتك به؛ فقلت: بل "أريد أن" تدلني عليه لآتيه؛ فقال لي: إنه إن نفر منك نفر مني فيذهب شعره، فأبيت إلا أن يدلني عليه؛ فقال اطلبه في هذه الصحاري "إذا رأيته" فادن "منه" مستأنساً ولا تره أنك تهابه، فإنه يتهددك ويتوعدك أن يرميك بشيء، فلا يروعنك واجلس صارفاً بصرك عنه والحظه أحياناً، فإذا رأيته قد سكن من نفاره فأنشده شعراً غزلاً، وإن كنت تروي من شعر قيس بن ذريح شيئاً فأنشده إياه فإنه معجبٌ به؛ فخرجت فطلبته يومي إلى العصر فوجدته جالساً على رمل قد خط فيه بأصبعه خطوطاً، فدنوت منه غير منقبضٍ، فنفر مني نفور الوحش من الإنس، وإلى جانبه أحجارٌ فتناول حجراً فأعرضت عنه، فمكث ساعةً كأنه نافرٌ يريد القيام، فلما طال جلوسي سكن وأقبل يخط بأصبعه، فأقبلت عليه وقلت: أحسن والله قيس بن ذريحٍ حيث يقول:

ألا يا غراب البين ويحك نبني ... بعلمك في لبنى وأنت خبير

فإن أنت لم تخبر بشيءٍ لمته ... فلا طرت إلا والجناح كسير

ودرت بأعداءٍ حبيبك فيهم ... كما قد تراني بالحبيب أدور

فأقبل علي وهو يبكي فقال: أحسن والله، وأنا أحسن منه قولاً حيث أقول:

كأن القلب ليلة قيل يغدى ... بليلى العامرية أو يراح

قطاةٌ عزها شركٌ فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناح

فأمسكت عنه هنيهةً، ثم أقبلت عليه فقلت: وأحسن الله قيس بن ذريح حيث يقول:

وإني لمفنٍ دمع عيني بالبكا حذاراً لما قد كان أو هو كائن
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلةٍ فراق حبيبٍ لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتي بكفيك إلا أن من حان حائن

قال: فبكى - والله - حتى ظننت أن نفسه قد فاضت، وقد رأيت دموعه قد بلت الرمل الذي بين يديه، ثم قال: أحسن لعمر الله، وأنا والله أشعر منه حيث أقول:

صوت

وأدنيتني حتى إذا ما سبيتني بقولٍ يحل العصم سهل الأباطح
تناءيت عني حين لا لي حيلةٌ وخلفت ما خلفت بين الجوانح

- ويروى: "وغادرت ما غادرت..." - ثم سنحت له ظبيةٌ فوثب يعدو خلفها حتى غاب عني وانصرفت، وعدت من غدٍ فطلبته فلم أجده، وجاءت امرأةٌ كانت تصنع له طعامه إلى الطعام فوجدته بحاله، فلما كان في اليوم الثالث غدوت وجاء أهله معي فطلبناه يومنا فلم نجده، وغدونا في اليوم الرابع نستقري أثره حتى وجدناه في وادٍ كثير الحجارة خشنٍ، وهو ميتٌ بين تلك الحجارة، فاحتمله أهله فغسلوه وكفنوه ودفنوه.

ندم أبي ليلى على عدم تزويجه بها

قال الهيثم: فحدثني جماعةٌ من بني عامر: أنه لم تبق فتاةٌ من بني جعدة ولا بني الحريش إلا خرجت حاسرةً صارخةً عليه تندبه؛ واجتمع فتيان الحي يبكون عليه أحر بكاء، وينشجون عليه أشد نشيج، وحضرهم حي ليلى معزين وأبوها معهم فكان أشد القوم جزعاً وبكاءً عليه، وجعل يقول: ما علمنا أن الأمر يبلغ كل هذا، ولكني كنت امرأً عربياً أخاف من العار وقبح الأحدوثة ما يخافه مثلي، فزوجتها وخرجت عن يدي، ولو علمت أن أمره يجري على هذا ما أخرجتها عن يده ولا احتملت ما كان علي في ذلك. قال: فما رئي يومٌ كان أكثر باكيةً وباكياً على ميتٍ من يومئذ.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني منها الصوت الذي أوله:

ألا يا غراب البين ويحك نبني بعلمك في لبنى وأنت خبير

الغناء لابن محرز ثقيلٌ أول بالوسطى عن الهشامي، وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لحكمٍ. وفي رواية ابن الأعرابي أنه أنشده مكان:

ألا يا عراب البين ويحك نبني بعلمك في لبنى وأنت خبير

صوت

ألا يا غراب البين هل أنت مخبري بخيرٍ كما خبرت بالنأي والشر

وخبرت أن قد جد بينٌ وقربوا جمالاً لبينٍ مثقلاتٍ من الغدر

وهجت قذى عينٍ بلبنى مريضةٍ إذا ذكرت فاضت مدامعها تجري

وقلت كذاك الدهر مازال فاجعاً صدقت وهل شيءٌ بباقٍ على الدهر

الشعر لقيس بن ذريح، والغناء لابن جامع، ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لبحرٍ ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو. وفيه لدحمان ثاني ثقيل عن الهشامي وعبد الله بن موسى.

ومنها الصوت الذي أوله.

كأن القلب ليلة قيل يغدى بليلي العامرية أو يراح

ومنها الصوت الذي أوله:

وأدنيتني حتى إذا ما سبيتني بقولٍ يحل العصم سهل الأباطح

الغناء لإبراهيم، خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي.

بكاء أبي ليلى على المجنون

وشعر وجد بعد موت المجنون في خرقة

أخبرنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثنا الفضل الربعي عن محمد بن حبيب قال: لما مات مجنون بني عامر وجد أرض خشنة بين حجارةٍ سودٍ، فحضر أهله وحضر "معهم" أبو ليلى - المرأة التي كان يهواها - وهو متذمم من اهله، فلما رآه ميتاً بكى واسترجع وعلم أنه قد شرك في هلاكه، فبينما هم يقلبونه إذ وجدوا خرقةً فيها مكتوبٌ:

ألا أيها الشيخ الذي ما بنا يرضى شقيت ولا هنيت من عيشك الغضا

شقيت كما أشقيتني وتركتني أهيم مع الهلاك لا أطعم الغمضا

صوت

كأن فؤادي في مخالب طائرٍ إذا ذكرت ليلى يشد بها قبضا

كأن فجاج الأرض حلقة خاتمٍ علي فما تزداد طولاً ولا عرضا

في هذين البيتين رملٌ ينسب إلى سليم وإلى ابن محرز، وذكر حبشٌ والهشامي أنه لإسحاق.

عوتب على التغني بالشعر فقال

أخبرني محمد بن خلف قال حدثني أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب قال حدثني بعض القشيريين عن أبيه قال: مررت بالمجنون وهو مشرفٌ على وادٍ في أيام الربيع، وذاك قبل أن يختلط، وهو يتغنى بشعر لم أفهمه، فصحت به: يا قيس، أما تشغلك ليلى عن الغناء والطرب! فتنفس تنفساً ظننت أن حيازيمه قد انقدت، ثم قال:

صوت

وما أشرف الأيفاع إلا صبابةً ... ولا أنشد الأشعار إلا تداويا

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما ... يظنان جهد الظن أن لا تلاقيا

لحي الله أقواماً يقولون إنني ... وجدت طوال الدهر للحب شافيا

التقاؤه بقيس بن ذريح

وطلبه منه إبلاغ سلامه لليلى

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا إسماعيل بن أبي أويس قال: اجتاز قيس بن ذريح بالمجنون وهو جالسٌ وحده في نادي قومه، وكان كل واحد منهما مشتاقاً إلى لقاء الآخر، وكان المجنون قبل توحشه لا يجلس إلا منفرداً ولا يحدث أحداً ولا يرد على متكلم جواباً ولا على مسلم سلاماً، فسلم عليه قيس بن ذريح فلم يرد عليه السلام؛ فقال له: يا أخي أنا قيس بن ذريح فوثب إليه فعانقه وقال: مرحباً بك يا أخي، أنا والله مذهوبٌ "بي" مشترك اللب فلا تلمني، فتحدثا ساعة وتشاكيا وبكيا، ثم قال له المجنون: يا أخي، إن حي ليلى منا قريبٌ، فهل لك أن تمضي إليها فتبلغها عني السلام؟ فقال له: أفعل. فمضى قيس بن ذريح حتى أتى ليلى فسلم وانتسب؛ فقالت له: حياك الله، ألك حاجة؟ قال: نعم، ابن عمك أرسلني إليك بالسلام؛ فأطرقت ثم قالت ما كنت أهلاً للتحية لو علمت أنك رسوله، قل له عني: أرأيت قولك:

أبت ليلةٌ بالغيل يا أم مالكٍ ... لكم غير حب صادقٍ ليس يكذب

ألا إنما أبقيت يا أم مالكٍ ... صدىً أينما تذهب به الريح يذهب

أخبرني عن ليلة الغيل، أي ليلة هي؟ وهل خلوت معك في الغيل أو غيره ليلاً أو نهاراً؟ فقال لها قيس: يابنة عم، إن الناس تأولوا كلامه على غير ما أراد، فلا تكوني مثلهم، إنما أخبر أنه رآك ليلة الغيل فذهبت بقلبه، لا أنه

عناك بسوء؛ قال: فأطرقت طويلاً ودموعها تجري وهي تكفكفها، ثم انتحبت حتى قلت تقطعت حيازيمها، ثم قال: اقرأ على ابن عمي السلام، وقل له: بنفسي أنت! والله إن وجدي بك لفوق ما تجد، ولكن لا حيلة لي فيك؛ فانصرف قيسٌ إليه ليخبره فلم يجده.

رأى ليلى فبكى ثم قال شعراً

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عمي عن ابن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه قال: مر المجنون بعد اختلاطه بليلى "وهي" تمشي في ظاهر البيوت بعد فقدٍ لها طويل، فلما رآها بكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه، فانصرفت خوفاً من أهلها أن يلقوها عنده، فمكث كذلك مليا ثم أفاق وأنشأ يقول:

بكى فرحاً بليلى إذ رآها — محب لا يرى حسناً سواها

لقد ظفرت يداه ونال ملكاً — لئن كانت تراه كما يراها

الغناء لابن المكي رملٌ بالبنصر. وفيه لعريب ثقيلٌ أول عن الهشامي. وفيه خفيف رملٍ ليزيد حوراء. وقد نسب لحنه إلى ابن المكي ولحن ابن المكي إليه.

صوت من المائة المختارة

من رواية علي بن يحيى

رب ركبٍ قد أناخوا عندنا — يشربون الخمر بالماء الزلال

عصف الدهر بهم فانقرضوا — وكذاك الدهر حالاً بعد حال

الشعر لعدي بن زيد العبادي، والغناء لابن محرزٍ ولحنه المختار خفيف "رملٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه خفيف رملٍ" آخر بالبنصر ابتداؤه نشيدٌ ذكر عمرو بن بانة أنه لابن طنبورة، وذكر أحمد بن المكي أنه لأبيه. وهذه الأبيات قالها عدي بن زيد العبادي على سبيل الموعظة للنعمان بن المنذر، فيقال: إنها كانت سبب دخوله في النصرانية.

عظة عدي بن زيد للنعمان بن المنذر

وتنصر النعمان

حدثني بذلك أحمد بن عمران المؤدب قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال: خرج النعمان بن المنذر إلى الصيد ومعه عدي بن زيد فمروا بشجرةٍ، فقال له عدي بن زيد: أيها الملك، أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ قال: لا، قال تقول:

رب ركبٍ قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال

عصف الدهر بهم فانقرضوا وكذاك الدهر حالاً بعد حال

قال: ثم جاوز الشجرة فمر بمقبرةٍ، فقال له عدي: أيها الملك، أتدري ما تقول هذه المقبرة؟ قال: لا، قال تقول:

أيها الركب المخبو ن على الأرض المجدون

فكما أنتم كنا وكما نحن تكونون

فقال له النعمان: إن الشجرة والمقبرة لا يتكلمان، وقد علمت أنك إنما أردت عظتي، فما السبيل التي تدرك بها النجاة؟ قال: تدع عبادة الأوثان وتعبد الله وتدين بدين المسيح عيسى ابن مريم؛ قال: أو في هذا النجاة؟ قال: نعم فتنصر يومئذ. وقد قيل: إن هذه القصة كانت لعدي مع النعمان الأكبر بن المنذر، وإن النعمان الذي قتله هو ابن المنذر بن النعمان الأكبر الذي تنصر. وخبر هذا "يأتي" مع أحاديث عدي.

ذكر عدي بن زيد ونسبه وقصته ومقتله

نسبه

هو عدي بن زيد بن حماد بن أيوب بن محروف بن عامر بن عصية بن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار.

عدي بن زيد لا يعد في فحول الشعراء وكان أيوب هذا فيما زعم ابن الأعرابي أول من سمي من العرب أيوب، شاعرٌ فصيحٌ من شعراء الجاهلية، وكان نصرانياً وكذلك كان أبوه وأمه وأهله، وليس ممن يعد في الفحول، وهو قروي. وكانوا قد أخذوا عليه أشياء عيب فيها. وكان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان: عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيلٍ في النجوم يعارضها ولا يجري معها مجراها. وكذلك عندهم أمية بن أبي الصلت، ومثلهما كان عندهم من الإسلاميين الكميت والطرماح. قال العجاج: كانا يسألاني عن الغريب فأخبرهما به، ثم أراه في شعرهما وقد وضعاه في غير مواضعه؛ فقيل له: و لم ذاك؟ قال: لأنهما قرويان يصفان ما لم يريا فيضعانه في غير موضعه، وأنا بدوي أصف ما رأيت فأضعه في مواضعه. وكذلك عندهم عدي وأمية.

سبب نزول آل عدي الحيرة قال ابن الأعرابي فيما أخبرني به علي بن سليمان الأخفش عن السكري عن محمد بن حبيب عنه وعن هشام بن الكلبي عن أبيه قال: سبب نزول آل عدي بن زيد الحيرة أن جده أيوب بن

محروف كان منزله اليمامة في بني امرىء القيس بن زيد مناة، فأصاب دماً في قومه فهرب فلحق بأوس بن قلامٍ أحد بني الحارث بن كعب بالحيرة. وكان بين أيوب بن محروف وبين أوس بن قلامٍ هذا نسبٌ من قبل النساء، فلما قدم عليه أيوب بن محروفٍ أكرمه وأنزله في داره، فمكث معه ما شاء الله أن يمكث، ثم إن أوساً قال له: يابن خال، أتريد المقام عندي وفي داري؟ فقال له أيوب: نعم، فقد علمت أني إن أتيت قومي وقد أصبت فيهم دماً لم أسلم، وما لي دارٌ إلا دارك آخر الدهر؛ قال أوس: إني قد كبرت وأنا خائف أن أموت فلا يعرف ولدي لك من الحق مثل ما أعرف، وأخشى أن يقع بينك وبينهم أمرٌ يقطعون فيه الرحم، فانظر أحب مكانٍ في الحيرة إليك فأعلمني به لأقطعكه أو أبتاعه لك؛ قال: وكان لأيوب صديقٌ في الجانب الشرقي من الحيرة، وكان منزل أوسٍ في الجانب الغربي، فقال له: قد أحببت أن يكون المنزل الذي تسكننيه عند منزل عصام بن عبدة أحد بني الحارث بن كعب؛ فابتاع له موضع داره بثلمثائة أوقيةٍ من ذهبٍ وأنفق عليها مائتي أوقية ذهباً. وأعطاه مائتين من الإبل برعائها وفرساً وقينةً؛ فمكث في منزل أوس حتى هلك، ثم تحول إلى داره التي في شرقي الحيرة فهلك بها. وقد كان أيوب اتصل قبل مهلكه بالملوك الذين كانوا بالحيرة وعرفوا حقه وحق ابنه زيد بن أيوب، وثبت أيوب فلم يكن منهم ملكٌ يملك إلا ولولد أيوب منه جوائز وحملانٌ.

مقتل زيد بن أيوب

ثم إن زيد بن أيوب نكح امرأة من آل قلام فولدت له حماداً، فخرج زيد بن أيوب يوماً من الأيام يريد الصيد في ناس من أهل الحيرة وهم منتدون بحفيرٍ - المكان الذي يذكره عدي بن زيد في شعره - فانفرد في الصيد وتباعد من أصحابه، فلقيه رجلٌ من بني امرىء القيس الذين كان لهم الثأر قبل أبيه، فقال له - وقد عرف فيه شبه أيوب -: ممن الرجل؟ قال: من بني تميم، قال: من أيهم؟ قال: مرئي؛ قال له الأعرابي: وأين منزلك؟ قال: الحيرة؛ قال أمن بني أيوب أنت؟ قال: نعم، ومن أين تعرف بني ايوب؟ واستوحش من الأعرابي وذكر الثأر الذي هرب أبوه منه؛ فقال له: سمعت بهم، ولم يعلمه أنه قد عرفه؛ فقال له زيد بن أيوب: فمن أي العرب أنت؟ قال: أنا امرؤ من طيء؛ فأمنه زيدٌ وسكت عنه، ثم إن الأعرابي اغتفل زيد بن أيوب: فرماه بسهم فوضعه بين كتفيه ففلق قلبه، فلم يرم حافر دابته حتى مات؛ فلبث أصحاب زيد حتى إذا كان الليل طلبوه وقد افتقدوه وظنوا أنه قد أمعن في طلب الصيد، فباتوا يطلبونه حتى يئسوا منه، ثم غدوا في طلبه فاقتفوا أثره حتى وقفوا عليه ورأوا معه أثر راكب يسايره فاتبعوا الأثر حتى وجدوه قتيلاً، فعرفوا أن صاحب الراحلة قتله، فاتبعوه وأغدوا السير فأدركوه مساء الليلة الثانية، فصاحوا به وكان من أرمى الناس فامتنع منهم بالنبل حتى حال الليل بينهم وبينه وقد أصاب رجلاً منهم في مرجع كتفيه بسهم فلما أجنه الليل مات وأفلت الرامي، فرجعوا وقد قتل زيد بن أيوب ورجلاً آخر معه من بني الحارث بن كعب.

تولى حماد بن زيد الكتابة للنعمان الأكبر فمكث حماد في أحواله حتى أيفع ولحق بالوصفاء؛ فخرج يوماً من

الأيام يلعب مع غلمان بني لحيان، فلطم اللحياني عين حماد فشجه حمادٌ، فخرج أبو الليحاني فضرب حماداً، فأتى حمادٌ أمه يبكي، فقالت له: ما شأنك؟ فقال: ضربني فلان لأن ابنه لطمني فشججته، فجزعت من ذلك وحولته إلى دار زيد بن أيوب وعلمته الكتابة في دار أبيه، فكان حمادٌ أول من كتب من بني أيوب، فخرج من أكتب الناس وطلب حتى صار كاتب الملك النعمان الأكبر، فلبث كاتباً له حتى ولد له ابنٌ من امرأة تزوجها من طيء فسماه زيداً باسم أبيه.

سبب اتصال زيد بن حماد بكسرى

وكان لحماد صديقٌ من الدهاقين العظماء يقال له فروخ ماهان، وكان محسناً إلى حماد، فلما حضرت حماداً الوفاة أوصى بابنه زيدٍ إلى الدهقان، وكان من المرازبة، فأخذه الدهقان إليه فكان عنده مع ولده، وكان زيدٌ قد حذق الكتابة والعربية قبل أن يأخذه الدهقان، فعلمه لما أخذه الفارسية فلقنها، وكان لبيباً فأشار الدهقان على كسرى أن يجعله على البريد في حوائجه، ولم يكن كسرى يفعل ذلك إلا بأولاد المرازبة، فمكث يتولى ذلك لكسرى زماناً.

تمليك زيد بن حماد على الحيرة

ثم إن النعمان النصري اللخمي هلك، فاختلف أهل الحيرة فيمن يملكونه إلى أن يعقد كسرى الأمل لرجل ينصبه، فأشار عليهم المرزبان يزيد بن حماد، فكان على الحيرة إلى أن ملك كسرى المنذر بن ماء السماء ونكح زيد بن حماد نعمة بنت ثعلبة العدوية فولدت له عدياً، وملك المنذر وكان لا يعصيه في شيء، وولد للمرزبان ابنٌ فسماه "شاهان مرد".

تعلم عدي بن زيد الفارسية

فلما تحرك عدي بن زيد وأيفع طرحه أبوه في الكتاب، حتى إذا حذق أرسله المرزبان مع ابنه "شاهان مرد" إلى كتاب الفارسية، فكان يختلف مع ابنه ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بها وأفصحهم بالعربية وقال الشعر، وتعلم الرمي بالنشاب فخرج من الأساورة الرماة، وتعلم لعب العجم على الخيل بالصوالجة وغيرها.

اتصاله بكسرى وتوليه الكتابة له

ثم إن المرزبان وفد على كسرى ومعه ابنه "شاهان مرد" فبينما هما واقفان بين يديه إذ سقط طائران على السور فتطاعما كما يتطاعم الذكر والأنثى فجعل كل واحدٍ منقاره في منقار الآخر، فغضب كسرى من ذلك ولحقته غيرةٌ، فقال للمرزبان وابنه: ليرم كل واحدٍ منكما واحداً من هذين الطائرين، فإن قتلتماهما أدخلتكما بيت المال وملأت أفواهكما بالجوهر، ومن أخطأ منكما عاقبته؛ فاعتمد كل واحد منهما طائراً منهما ورميا فقتلاهما

جميعاً، فبعثهما إلى بيت المال فملئت أفواههما جوهراً، وأثبت "شاهان مرد" وسائر أولاد المرزبان في صحابته؛ فقال فروخ ماهان عند ذلك للملك: إن عندي غلاماً من العرب مات أبوه وخلفه في حجري فربيته، فهو أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية، والملك محتاجٌ إلى مثله، فإن رأى أن يثبته في ولدي فعل؛ فقال: ادعه، فأرسل إلى عدي بن زيد، وكان جميل الوجه فائق الحسن وكانت الفرس تتبرك بالجميل الوجه، فلما كلمه وجده أظرف الناس وأحضرهم جواباً، فرغب فيه وأثبته مع ولد المرزبان.

عدي أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى فكان عدي أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، فرغب أهل الحيرة إلى عدي ورهبوه، فلم يزل بالمدائن في ديوان كسرى يؤذن له عليه في الخاصة وهو معجبٌ به قريبٌ منه، وأبوه زيد بن حماد يومئذ حي إلا أن ذكر عدي قد ارتفع وخمل ذكر أبيه، فكان عدي إذا دخل على المنذر قام جميع من عنده حتى يقعد عدي، فعلا له بذلك صيتٌ عظيمٌ، فكان إذا أراد المقام بالحيرة في منزله ومع أبيه واهله استأذن كسرى فأقام فيهم الشهر والشهرين وأكثر وأقل.

إرسال كسرى له إلى ملك الروم ثم إن كسرى أرسل عدي بن زيد إلى ملك الروم بهدية من طرف ما عنده، فلما أتاه عدي بها أكرمه وحمله إلى عماله على البريد ليريه سعة أرضه وعظيم ملكه - وكذلك كانوا يصنعون - فمن ثم وقع عدي بدمشق، وقال فيها الشعر. فكان مما قاله بالشأم وهي أول شعر قاله فيما ذكر:

رب دارٍ بأسفل الجزع من دو ... مة أشهى إلي من جيرون

وندامى لا يفرحون بما نا ... لوا ولا يرهبون صرف المنون

قد سقيت الشمول في دار بشرٍ ... قهوةً مرةً بماء سخين

ثم كان أول ما قاله بعدها قوله:

لمن الدار تعفت بخيم ... أصبحت غيرها طول القدم

ما تبين العين من آياتها ... غير نؤيٍ مثل خط بالقلم

صالحاً قد لفها فاستوسقت ... لف بازي حماماً في سلم

تولية أهل الحيرة زيداً أبا عدي على الحيرة وإبقاء اسم الملك للمنذر قال: وفسد أمر الحيرة وعدي بدمشق حتى أصلح أبوه بينهم، لأن أهل الحيرة حين كان عليهم المنذر أرادوا قتله لأنه كان لا يعدل فيهم، وكان يأخذ من أموالهم ما يعجبه، فلما تيقن أن أهل الحيرة قد أجمعوا على قتله بعث إلى زيد بن حماد بن زيد بن أيوب، وكان قبله على الحيرة، فقال له: يا زيد أنت خليفة أبي، وقد بلغني ما أجمع عليه أهل الحيرة فلا حاجة لي في ملككم، دونكموه ملكوه من شئتم؛ فقال له زيد: إن الأمر ليس إلي، ولكني أسبر لك هذا الأمر ولا آلوك نصحاً، فلما أصبح غدا إليه الناس فحيوه تحية الملك، وقالوا له: ألا تبعث إلى عبدك الظالم - يعنون المنذر- فتريح منه رعيتك؟ فقال لهم: أولا خيرٌ من ذلك! قالوا: أشر علينا؛ قال: تدعونه على حاله فإنه من أهل بيت ملكٍ، وأنا آتيه فأخبره

أن أهل الحيرة قد اختاروا رجلاً يكون أمر الحيرة إليه إلا أن يكون غزوٌ أو قتال، فلك اسم الملك وليس إليك سوى ذلك من الأمور؛ قالوا: رأيك أفضل. فأتى المنذر فأخبره بما قالوا؛ فقبل ذلك وفرح، وقال: إن لك يا زيد علي نعمةً لا أكفرها ما عرفت حق سبد - وسبد صنم كان لأهل الحيرة - فولى أهل الحيرة زيداً على كل شيء سوى اسم الملك فإنهم أقروه للمنذر. وفي ذلك يقول عدي:

نحن كنا قد علمتم قبلكم   عمد البيت وأوتاد الإصار

قدوم عدي للحيرة وخروج المنذر للقائه قال: ثم هلك زيدٌ وابنه عدي يومئذ بالشأم. وكانت لزيدٍ ألف ناقةٍ للحمالات كان أهل الحيرة أعطوه إياها حين ولوه ما ولوه، فلما هلك أرادوا أخذها؛ فبلغ ذلك المنذر، فقال: لا، واللات والعزى لا يؤخذ مما كان في يد زيدٍ ثفروقٌ وأنا أسمع الصوت.

ففي ذلك يقول عدي بن زيد لابنه النعمان بن المنذر:

وأبوك المرء لم يشنأ به   يوم سيم الخسف منا ذو الخسار

قال: ثم إن عدياً قدم المدائن على كسرى بهدية قيصر، فصادف أباه والمرزبان الذي رباه قد هلكا جميعاً، فاستأذن على كسرى في الإلمام بالحيرة فإذن له فتوجه إليها، وبلغ المنذر خبره فخرج فتلقاه في الناس ورجع معه. وعدي أنبل أهل الحيرة في أنفسهم، ولو أراد أن يملكوه لملكوه، ولكنه كان يؤثر الصيد واللهو واللعب على الملك، فمكث سنين يبدو في فصلي السنة فيقيم في جفير ويشتو بالحيرة، ويأتي المدائن في خلال ذلك فيخدم كسرى، فمكث كذلك سنين، وكان لا يؤثر على بلاد بني يربوع مبدى من مبادي العرب ولا ينزل في حي من أحياء بني تميم غيرهم، وكان أخلاؤه من العرب كلهم بني جعفر، وكانت إبله في بلاد بني ضبة وبلاد بني سعد، وكذلك كان أبوه يفعل: لا يجاوز هذين الحيين بإبله.

تزوجه هند بنت النعمان

ولم يزل على حاله تلك حتى تزوج هند بنت النعمان بن المنذر، وهي يومئذ جاريةٌ حين بلغت أو كادت. وخبره يذكر في تزويجها بعد هذا.

قال ابن حبيب وذكر هشام بن الكلبي عن إسحاق بن الجصاص وحماد الراوية وأبي محمد بن السائب قال: كان لعدي بن زيد أخوان: أحدهما اسمه عمار ولقبه أبي، والآخر اسمه عمرو ولقبه سمي، وكان لهم أخ من أمهم يقال له عدي بن حنظلة من طيء، وكان أبي يكون عند كسرى، وكانوا أهل بيتٍ نصارى يكونون مع الأكاسرة، ولهم معهم أكلٌ وناحيةٌ، يقطعونهم القطائع ويجزلون صلاتهم.

جعل المنذر ابنه النعمان في حجر عدي

وكان المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان بن المنذر في حجر عدي بن زيد، فهم الذين أرضعوه وربوه، وكان للمنذر ابنٌ آخر يقال له "الأسود" أمه مارية بنت الحارث بن جلهم من تيم الرباب، فأرضعه ورباه قومٌ من أهل الحيرة يقال لهم بنو مرينا ينتسبون إلى لخم وكانوا أشرافاً. وكان للمنذر سوى هذين من الولد عشرةٌ، وكان ولده يقال لهم "الأشاهب" من جمالهم، فذلك قول أعشى بن قيس بن ثعلبة:

وبنو المنذر الأشاهب في الحي ... رة يمشون غدوةً كالسيوف

سعي عدي بن زيد في ولاية النعمان

ابن المنذر وسبب الخلاف بينه وبين عدي بن مرينا

وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش قصيراً، وأمه سلمى بنت وائل بن عطية الصائغ من أهل فدك، فلما احتضر المنذر وخلف أولاده العشرة، وقيل: بل كانوا ثلاثة عشر، أوصى بهم إلى إياس بن قبيصة الطائي، وملكه على الحيرة إلى أن يرى كسرى رأيه، فمكث عليها أشهراً وكسرى في طلب رجل يملكه عليهم، وهو كسرى بن هرمز، فلم يجد أحداً يرضاه فضجر فقال: لأبعثن إلى الحيرة اثني عشر ألفاً من الأساورة، ولأملكن عليهم رجلاً من الفرس، ولآمرنهم أن يترلوا على العرب في دورهم ويملكوا عليهم أموالهم ونساءهم، وكان عدي بن زيد واقفاً بين يديه، فأقبل عليه وقال: ويحك يا عدي: من بقي من آل المنذر؟ وهل فيهم أحدٌ فيه خيرٌ؟ فقال: نعم أيها الملك السعيد، إن في ولد المنذر لبقية وفيهم كلهم خيرٌ، فقال: ابعث إليهم فأحضرهم، فبعث عدي إليهم فأحضرهم وأنزلهم جميعاً عنده، ويقال: بل شخص عدي بن زيد إلى الحيرة حتى خاطبهم بما أراد وأوصاهم، ثم قدم بهم على كسرى. قال: فلما نزلوا على عدي بن زيد أرسل إلى النعمان: لست أملك غيرك فلا يوحشنك ما أفضل به إخوتك عليك من الكرامة فإني إنما أغترهم بذلك، ثم كان يفضل إخوته جميعاً عليه في الترل والإكرام والملازمة ويريهم تنقصاً للنعمان وأنه غير طامعٍ في تمام أمر على يده، وجعل يخلو بهم رجلاً رجلاً فيقول: إذا أدخلتكم على الملك فالبسوا أفخر ثيابكم وأجملها، وإذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فتباطئوا في الأكل وصغروا اللقم ونزروا ما تأكلون، فإذا قال لكم: أتكفونني العرب؟ فقولوا: نعم، فإذا قال لكم: فإن شذ أحدكم عن الطاعة وأفسد، أتكفوننيه؟ فقولوا: لا، إن بعضنا لا يقدر على بعض، ليهابكم ولا يطمع في تفرقكم ويعلم أن للعرب منعةً وبأساً فقبلوا منه، وخلا بالنعمان فقال له: البس ثياب السفر وادخل متقلداً بسيفك، وإذا جلست للأكل فعظم اللقم وأسرع المضغ والبلع وزد في الأكل وتجوع قبل ذلك، فإن كسرى يعجبه كثرة الأكل من العرب خاصةً، ويرى أنه لا خير في العربي إذا لم يكن أكولاً شرهاً، ولاسيما إذا رأى غير طعامه وما لا عهد له بمثله، وإذا سألك هل تكفيني العرب؟ فقل: نعم، فإذا قال لك: فمن لي بإخوتك؟ فقل له: إن عجزت عنهم فإني عن غيرهم لأعجز. قال: وخلا ابن مرينا بالأسود فسأله عما أوصاه به عدي فأخبره، فقال: غشك والصليب

والمعمودية وما نصحك، لئن أطعتني لتخالفن كل ما أمرك به ولتملكن، ولئن عصيتني ليملكن النعمان ولا يغرنك ما أراكه من الإكرام والتفضيل على النعمان، فإن ذلك دهاء فيه ومكر، وإن هذه المعدية لا تخلو من مكرٍ وحيلةٍ، فقال له: إن عدياً لم يألني نصحاً وهو أعلم بكسرى منك، وإن خالفته أوحشته وأفسد علي وهو جاء بنا ووصفنا وإلى قوله يرجع كسرى، فلما أيس ابن مرينا من قبوله منه قال: ستعلم. ودعا بهم كسرى، فلما دخلوا عليه أعجبه جمالهم وكمالهم ورأى رجالاً قلما رأى مثلهم، فدعا لهم بالطعام ففعلوا ما أمرهم به عدي، فجعل ينظر إلى النعمان من بينهم ويتأمل أكله، فقال لعدي بالفارسية: إن لم يكن في أحد منهم خيرٌ ففي هذا، فلما غسلوا أيديهم جعل يدعو بهم رجلاً رجلاً فيقول له: أتكفيني العرب؟ فيقول: نعم أكفيكها كلها إلا إخوتي، حتى انتهى النعمان آخرهم فقال له: أتكفيني العرب؟ قال: نعم قال: كلها؟ قال: نعم، قال: فكيف لي بإخوتك؟ قال: إن عجزت عنهم فأنا عن غيرهم أعجز، فملكه وخلع عليه وألبسه تاجاً قيمته ستون ألف درهم فيه اللؤلؤ والذهب.

توعد عدي بن مرينا لعدي بن زيد

بأن يهجوه ويبغيه الغوائل ما بقي

فلما خرج وقد ملك قال ابن مرينا للأسود: دونك عقبى خلافك لي!. ثم إن عدياً صنع طعاماً في بيعةٍ وأرسل إلى ابن مرينا أن ائتني بمن أحببت فإن لي حاجةً فأتى في ناس فتغدوا في البيعة، فقال عدي بن زيد لابن مرينا: يا عدي، إن أحق من عرف الحق ثم لم يلم عليه من كان مثلك، وإني قد عرفت أن صاحبك الأسود بن المنذر كان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان، فلا تلمني على شيء كنت على مثله، وأنا أحب ألا تحقد علي شيئاً لو قدرت عليه ركبته، وأنا أحب أن تعطيني من نفسك ما أعطيت من نفسي، فإن نصيبي في هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك، وقام إلى البيعة فحلف ألا يهجوه أبداً ولا يبغيه غائلة؛ ولا يزوي عنه خيراً، أبداً فلما فرغ عدي بن زيد، قام عدي بن مرينا فحلف مثل عينه ألا يزال يهجوه أبداً ويبغيه الغوائل ما بقي. وخرج النعمان حتى نزل مترل أبيه بالحيرة، فقال عدي بن مرينا لعدي بن زيد:

ألا أبلغ عديا عن عدي ... فلا تجزع وإن رثت قواكا
هياكلنا تبر لغير فقرٍ ... لتحمد أو يتم به غناكا
فإن تظفر فلم تظفر حميداً ... وإن تعطب فلا يبعد سواكا
ندمت ندامة الكسعي لما ... رأت عيناك ما صنعت يداكا

تدبير عدي بن مرينا المكيدة لعدي

قال: ثم قال عدي بن مرينا للأسود: أما إذا لم تظفر فلا تعجزن أن تطلب بثأرك من هذا المعدي الذي فعل بك ما فعل، فقد كنت أخبرك أن معداً لا ينام كيدها ومكرها وأمرتك أن تعصيه فخالفتني، قال: فما تريد؟ قال: أريد ألا تأتيك فائدةٌ من مالك وأرضك إلا عرضتها علي ففعل. وكان ابن مرينا كثير المال والضيعة، فلم يكن في الدهر يومٌ يأتي إلا على باب النعمان هديةٌ من ابن مرينا، فصار من أكرم الناس عليه حتى كان لا يقضي في ملكه شيئاً إلا بأمر ابن مرينا، وكان إذا ذكر عدي بن زيد عند النعمان أحسن الثناء عليه وشيع ذلك بأن يقول: إن عدي بن زيد فيه مكر وخديعة، والمعدي لا يصلح إلا هكذا. فلما رأى من يطيف بالنعمان منزلة ابن مرينا عنده لزموه وتابعوه، فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه: إذا رأيتموني أذكر عدياً عند الملك بخير فقولوا: إنه لكذلك، ولكنه لا يسلم عليه أحدٌ وإنه ليقول: إن الملك - يعني النعمان - عامله، وإنه هو ولاه ما ولاه، فلم يزالوا بذلك حتى أضغنوه عليه، فكتبوا كتاباً على لسانه إلى قهرمانٍ له ثم دسوا إليه حتى أخذوا الكتاب منه وأتوا به النعمان فقرأه فاشتد غضبه، فأرسل إلى عدي بن زيد:

حبس النعمان لعدي بن زيد

وما خاطب به عدي النعمان من الشعر

عزمت عليك إلا زرتني فإني قد اشتقت إلى رؤيتك، وعدي يومئذ عند كسرى، فاستأذن كسرى فأذن له. فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه في محبسٍ لا يدخل عليه فيه أحدٌ، فجعل عدي يقول الشعر وهو في الحبس، فكان أول ما قاله وهو محبوس من الشعر:

ليت شعري عن الهمام ويأتي ... ك بخبر الأنباء عطف السؤال
أين عنا إخطارنا المال والأنف ... س إذ ناهدوا ليوم المحال
ونضالي في جنبك الناس يرمو ... ن وأرمي وكلنا غير آلي
فأصيب الذي تريد بلا غشٍ ... وأربي عليهم وأوالي
ليت أني أخذت حتفي بكفي ... ولم ألق ميتة الأقتال
محلوا محلهم لصرعتنا العا ... م فقد أوقعوا الرحا بالثفال

وهي قصيدة طويلة. قالوا وقال أيضاً وهو محبوس:

أرقت لمكفهرٍ بات فيه ... بوارق يرتقين رؤوس بشيب
تلوح المشرفية ذراه ... ويجلو صفح دخدارٍ قشيب

ويروي: تخال المشرفية. والدخدار: فارسية معربة وهو الثوب المصون. يقول فيها:

سعى الأعداء لا يألون شراً ... علي ورب مكة والصليب

أرادوا كي تمهل عن عدي ليسجن أو يدهده في القليب
وكنت لزاز خصمك لم أعرد وقد سلكوك في يومٍ عصيب
أعالنهم وأبطن كل سر كما بين اللحاء إلى العسيب
ففزت عليهم لما التقينا بتاجك فوزة القدح الأريب
وما دهري بأن كدرت فضلاً ولكن ما لقيت من العجيب

ألا من مبلغ النعمان عني وقد تهدى النصيحة بالمغيب
أحظي كان سلسلةً وقيداً وغلا والبيان لدى الطبيب
أتاك بأنني قد طال حبسي ولم تسأم بمسجونٍ حريب
وبيتي مقفرٌ إلا نساءً أرامل قد هلكن من النحيب
يبادرن الدموع على عدي كشن خانه خرز الربيب
يحاذرن الوشاة على عدي وما اقترفوا عليه من الذنوب
فإن أخطأت أو أوهمت أمراً فقد يهم المصافي بالحبيب
وإن أظلم فقد عاقبتموني وإن أظلم فذلك من نصيبي
وإن أهلك تجد فقدي وتخذل إذا التقت العوالي في الحروب
فهل لك أن تدارك ما لدينا ولا تغلب على الرأي المصيب
فإني قد وكلت اليوم أمري إلى رب قريبٍ مستجيب

قالوا: وقال فيه أيضاً:

طال ذا الليل علينا واعتكر وكأني ناذر الصبح سمر
من نجي الهم عندي ثاوياً فوق ما أعلن منه وأسر
وكأن الليل فيه مثله ولقد ما ظن بالليل القصر
لم أغمض طوله حتى انقضى أتمنى لو أرى الصبح جشر
غير ما عشقٍ ولكن طارقٌ خلس النوم وأجداني السهر

وفيها يقول:

أبلغ النعمان عني مالكاً قول من قد خاف ظناً فاعتذر
أنني والله، فاقبل حلفي لأبيلٌ كلما صلى جأر
مرعدٌ أحشاؤه في هيكلٍ حسن لمته وافي الشعر
ما حملت الغل من أعدائكم ولدى الله من العلم المسر
لا تكونن كآسي عظمه بأساً حتى إذا العظم جبر
عاد بعد الجبر يبغي وهنه ينحنون المشي منه فانكسر
واذكر النعمى التي لم أنسها لك في السعي إذا العبد كفر

وقال له أيضاً - وهي قصيدة طويلة -:

أبلغ النعمان عني مألكاً أنه قد طال حبسي وانتظاري
لو بغير الماء حلقي شرقٌ كنت كالغصان بالماء اعتصاري
ليت شعري عن دخيلٍ يفتري حيثما أدرك ليلي ونهاري
قاعداً يكرب نفسي بثها وحراماً كان سجني واحتصاري
أجل نعمى ربها أولكم ودنوي كان منكم واصطهاري

في قصائد كثيرةٍ كان يقولها فيه، ويكتب بها إليه فلا تغني عنده شيئاً. "هذه رواية الكلبي".

رواية المفضل الضبي في سبب ذلك

وأما المفضل الضبي فإنه ذكر أن عدي بن زيد لما قدم على النعمان صادفه لا مال ولا أثاث ولا ما يصلح لملكٍ، وكان آدم إخوته منظراً وكلهم أكثر مالاً منه، فقال له عدي: كيف أصنع بك ولا مال عندك! فقال له النعمان: ما أعرف لك حيلةً إلا ما تعرفه أنت، فقال له: قم بنا نمض إلى ابن قردس - رجلٍ من أهل الحيرة من دومة - فأتياه ليقترضا منه مالاً، فأبى أن يقرضهما وقال: ما عندي شيء فأتيا جابر بن شمعون وهو الأسقف أحد بني الأوس بن قلام بن بطين بن جمهير بن لحيان من بني الحارث بن كعب فاستقرضا منه مالاً، فأنزلهما عنده ثلاثة أيام يذبح لهم ويسقيهم الخمر، فلما كان في اليوم الرابع قال لهما: ما تريدان؟ فقال له عدي: تقرضنا أربعين ألف درهم يستعين بها النعمان على أمره عند كسرى، فقال: لكما عندي ثمانون ألفاً، ثم أعطاهما إياها، فقال النعمان لجابر: لا جرم لا جرى لي درهمٌ إلا على يديك إن أنا ملكت. قال: وجابر هو صاحب القصر الأبيض بالحيرة، ثم ذكر من قصة النعمان وإخوته وعدي وابن مرينا مثل ما ذكره ابن الكلبي. وقال المفضل خاصةً: إن سبب حبس النعمان عدي بن زيد، أن عدياً صنع ذات يوم طعاماً للنعمان، وسأله أن يركب إليه ويتغدى عنده هو

وأصحابه، فركب النعمان إليه فاعترضه عدي بن مرينا فاحتبسه حتى تغدى عنده هو وأصحابه وشربوا حتى ثملوا، ثم ركب إلى عدي ولا فضل فيه، فأحفظه ذلك، ورأى في وجه عدي الكراهة فقام فركب ورجع إلى منزله، فقال عدي بن زيد في ذلك من فعل النعمان:

أحسبت مجلسنا وحس ... ن حديثنا يودي بمالك
فالمال والأهلون مص ... رعةٌ لأمرك أو نكالك
ما تأمرن فينا فأم ... رك في يمينك أو شمالك

قال: وأرسل النعمان ذات يوم إلى عدي بن زيد فأبى أن يأتيه ثم أعاد رسوله فأبى أن يأتيه، وقد كان النعمان شرب فغضب وأمر به فسحب من منزله حتى انتهي به إليه، فحبسه في الصنين ولج في حبسه وعدي يرسل إليه بالشعر، فمما قاله له:

ليس شيءٌ على المنون بباق ... غير وجه المسبح الخلاق
إن نكن آمنين فاجأنا شر ... مصيبٌ ذا الود والإشفاق
فبرىءٌ صدري من الظلم ... للرب وحنثٍ بمعقد الميثاق
ولقد ساءني زيارة ذي قر ... بى حبيبٍ لودنا مشتاق
ساءه ما بنا تبين في الأي ... دي وإشناقها إلى الأعناق
فاذهبي يا أميم غير بعيدٍ ... لا يؤاتي العناق من في الوثاق
واذهبي يا أميم إن يشأ الله ... ينفس من أزم هذا الخناق
أو تكن وجهةٌ فتلك سبيل النا ... س لا تمنع الحتوف الرواقي

ويقول فيها:

وتقول العداة أودى عدي ... وبنوه قد أيقنوا بغلاق
يا أبا مسهرٍ فأبلغ رسولا ... إخوتي إن أتيت صحن العراق
أبلغا عامراً وأبلغ أخاه ... أنني موثقٌ شديدٌ وثاقي
في حديد القسطاس يرقبني الحا ... رس والمرء كل شيءٍ يلاقي
في حديدٍ مضاعف وغلولٍ ... وثيابٍ منضحاتٍ خلاق
فاركبوا في الحرام فكوا أخاكم ... إن عيراً قد جهزت لانطلاق

يعني الشهر الحرام. قالوا جميعاً: وخرج النعمان إلى البحرين، فأقبل رجلٌ من غسان فأصاب في الحيرة ما أحب، ويقال: إنه جفنة بن النعمان الجفني، فقال عدي بن زيد في ذلك:

سما صقرٌ فأشعل جانبيها ... وألهاك المروح والعزيب

المروح: الإبل المروحة إلى أعطانها. والعزيب: ما ترك في مراعيه.

وثبن لدى الثوية ملجماتٍ ... وصبحن العباد وهن شيب

ألا تلك الغنيمة لا إفالٌ ... ترجيها مسومة ونيب

ترجيها وقد صابت بقرٍ ... كما ترجو أصاغرها عتيب

لما طال سجنه كتب إلى أخيه

في ذلك شعراً فأجابه

وقالوا جميعاً: فلما طال سجن عدي بن زيد كتب إلى أخيه أُبي وهو مع كسرى بهذا الشعر:

ابلغ أبياً على نأيه ... وهل ينفع المرء ما قد علم

بأن أخاك شقيق الفؤا ... د كنت به واثقاً ما سلم

لدى ملكٍ موثقٌ في الحد ... يدإما بحق وإما ظلم

فلا أعرفنك كذات الغلام ... ما لم تجد عارماً تعترم

فأرضك أرضك إن تأتينا ... تنم نومةً ليس فيها حلم

قال: فكتب إليه أخوه أبي:

إن يكن خانك الزمان فلا عا ... جز باعٍ ولا ألف ضعيف

ويمين الإله لو أن جأوا ... ء طحونا تضيء فيها السيوف

ذات رز مجتابةً غمرة المو ... ت صحيح سربالها مكفوف

كنت في حميها لجئتك أسعى ... فاعلمن لو سمعت إذ تستضيف

أو بمالٍ سألت دونك لم يم ... نع تلادٌ لحاجةٍ أو طريف

أو بأرضٍ أسطيع آتيك فيها ... لم يهلني بعدٌ بها أو مخوف

إن تفتني والله إلفاً فجوعاً ... لا يعقبك ما يصوب الخريف

في الأعادي وأنت مني بعيدٌ ... عز هذا الزمان والتعنيف

ولعمري لئن جزعت عليه — لجزوعٌ على الصديق أسوف

ولعمري لئن ملكت عزائي — لقليلٌ شرواك فيما أطوف

أمر كسرى النعمان بإطلاق عدي فقتله

قبل وصول الرسول إليه

قالوا جميعاً: فلما قرأ أبي كتاب عدي قام إلى كسرى فكلمه في أمره وعرفه خبره، فكتب إلى النعمان يأمره بإطلاقه، وبعث معه رجلاً، وكتب خليفة النعمان إليه: إنه كتب إليك في أمره، فأتى النعمان أعداء عدي من بني بقيلة وهم من غسان، فقالوا له: اقتله الساعة فأبى عليهم، وجاء الرسول، وقد كان أخو عدي تقدم إليه ورشاه وأمره أن يبدأ بعدي فيدخل إليه محبوس بالصنين، فقال له: ادخل عليه فانظر ما يأمرك به فامتثله، فدخل الرسول على عدي، فقال له: إني قد جئت بإرسالك، فما عندك؟ قال: عندي الذي تحب ووعده بعدة سنية، وقال له: لا تخرجن من عندي وأعطني الكتاب حتى أرسله إليه، فإنك والله إن خرجت من عندي لأقتلن، فقال: لا أستطيع إلا أن آتي الملك بالكتاب فأوصله إليه، فانطلق بعض من كان هناك من أعدائه فأخبر النعمان أن رسول كسرى دخل على عدي وهو ذاهبٌ به، وإن فعل والله لم يستبق منا أحداً أنت ولا غيرك، فبعث إليه النعمان أعداءه فغموه حتى مات ثم دفنوه. ودخل الرسول إلى النعمان فأوصل الكتاب إليه، فقال: نعم وكرامةً، وأمر له بأربعة آلاف مثقال ذهباً وجاريةٍ حسناء، وقال له: إذا أصبحت فادخل أنت بنفسك فأخرجه، فلما أصبح ركب فدخل السجن، فأعلمه الحرس أنه قد مات منذ أيامٍ و لم نجترىء على إخبار الملك خوفاً منه، وقد عرفنا كراهته لموته.

فرجع إلى النعمان، وقال له: إني كنت أمس دخلت على عدي. وهو حي، وجئت اليوم فجحدني السجان وبهتني، وذكر أنه قد مات منذ أيام. فقال له النعمان: أيبعث بك الملك إلي فتدخل إليه قبلي! كذبت، ولكنك أردت الرشوة والخبث، فتهدده ثم زاده جائزة وأكرمه، وتوثق منه ألا يخبر كسرى إلا أنه قد مات قبل أن يقدم عليه. فرجع الرسول إلى كسرى، وقال: إني وجدت عدياً قد مات قبل أن أدخل عليه. وندم النعمان على قتل عدي وعرف أنه احتيل عليه في أمره، واجترأ عليه وهابهم هيبةً شديدةً.

مدح النعمان لدى كسرى زيدا

بن عدي فاتخذه كاتباً

ثم إنه خرج إلى صيده ذات يوم فلقي ابناً لعدي يقال له زيد، فلما رآه عرف شبهه، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا زيد بن عدي بن زيد، فكلمه فإذا غلامٌ ظريفٌ، ففرح به فرحاً شديداً وقربه وأعطاه ووصله واعتذر إليه من أمر أبيه وجهزه، ثم كتب إلى كسرى: إن عدياً كان ممن أعين به الملك في نصحه ولبه، فأصابه ما لابد منه وانقطعت مدته وانقضى أجله، و لم يصب به أحدٌ أشد من مصيبتي، وأما الملك فلم يكن ليفقد رجلاً إلا جعل الله له منه

خلفاً لما عظم الله من ملكه وشأنه، وقد بلغ ابن له ليس بدونه، رأيته يصلح لخدمة الملك فسرحته إليه، فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه فليفعل وليصرف عمه عن ذلك إلى عملٍ آخر. وكان هو الذي يلي المكاتبة عن الملك إلى ملوك العرب في أمورها وفي خواص أمور الملك. وكانت له من العرب وظيفةٌ موظفةٌ في كل سنة: مهران أشقران يجعلان له هلاماً، والكمأة الرطبة في حينها واليابسة والأقط والأدم وسائر تجارات العرب، فكان زيد بن عدي يلي ذلك له وكان هذا عمل عدي. فلما وقع زيد بن عدي عند الملك هذا الموقع سأله كسرى عن النعمان، فأحسن الثناء عليه. ومكث على ذلك سنواتٍ على الأمر الذي كان أبوه عليه. وأعجب به كسرى، فكان يكثر الدخول عليه والخدمة له.

كيد زيد للنعمان عند كسرى

حتى غضب عليه فقتله

وكانت لملوك العجم صفةٌ من النساء مكتوبةٌ عندهم، فكانوا يبعثون في تلك الأرضين بتلك الصفة، فإذا وجدت حملت إلى الملك، غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب ولا يظنونها عندهم. ثم إنه بدا للملك في طلب تلك الصفة، وأمر فكتب بها إلى النواحي، ودخل إليه زيد بن عدي وهو في ذلك القول، فخاطبه فيما دخل إليه فيه، ثم قال: إني رأيت الملك قد كتب في نسوة يطلبن له وقرأت الصفة وقد كنت بآل المنذر عارفاً، وعند عبدك النعمان من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة، قال: فاكتب فيهن، قال: أيها الملك، إن شر شيء في العرب وفي النعمان خاصةً أنهم يتكرمون - زعموا في أنفسهم - عن العجم، فأنا أكره أن يغيبهن عمن تبعث إليه أو يعرض عليه غيرهن، وإن قدمت أنا عليه لم يقدر على ذلك، فابعثني وابعث معي رجلاً من ثقاتك يفهم العربية حتى أبلغ ما تحبه، فبعث معه رجلاً جلداً فهماً، فخرج به زيد، فجعل يكرم الرجل ويلطفه حتى بلغ الحيرة، فلما دخل عليه أعظم الملك وقال: إنه قد احتاج إلى نساء لنفسه وولده وأهل بيته، وأراد كرامتك بصهره فبعث إليك، فقال: ما هؤلاء النسوة؟ فقال: هذه صفتهن قد جئنا بها. وكانت الصفة أن المنذر الأكبر أهدى إلى أنوشروان جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني، فكتب إلى أنوشروان بصفتها، وقال: إني قد وجهت إلى الملك جاريةً معتدلة الخلق، نقية اللون والثغر، بيضاء قمراء وطفاء كحلاء دعجاء حوراء عيناء قنواء شماء برجاء زجاء أسيلة الخد، شهية المقبل، جثلة الشعر، عظيمة الهامة، بعيدة مهوى القرط، عيطاء، عريضة الصدر، كاعب الثدي، ضخمة مشاش المنكب والعضد، حسنة المعصم، لطيفة الكف، سبطة البنان، ضامرة البطن، خميصة الخصر، غرثى الوشاح، رداح الأقبال، رابية الكفل، لفاء الفخذين، ريا الروادف، ضخمة المأكمتين، مفعمة الساق، مشبعة الخلخال، لطيفة الكعب والقدم، قطوف المشي، مكسال الضحى، بضة المتجرد، سموعاً للسيد، ليست بخنساء ولا سفعاء، رقيقة الأنف، عزيزة النفس، لم تغذ في بؤسٍ، حييةً رزينةً، حليمةً ركينةً، كريمة الخال، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها، وتستغني بفصيلتها

دون جماع قبيلتها، قد أحكمتها الأمور في الأدب، فرأيها رأي أهل الشرف، وعملها عمل أهل الحاجة، صناع الكفين، قطيعة اللسان ورهو الصوت ساكنته، تزين الولي، وتشين العدو، إن أردتها اشتهت، وإن تركتها انتهت، تحملق عيناها، وتحر وجنتاها، وتذبذب شفتاها، وتبادرك الوثبة إذا قمت، ولا تجلس إلا بأمرك إذا جلست. قال: فقبلها أنوشروان وأمر بإثبات هذه الصفة في دواوينه، فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز. فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان، فشقت عليه؛ وقال لزيد والرسول يسمع: أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته! فقال الرسول لزيد بالفارسية: ما المها والعين؟ فقال له بالفارسية: كاوان أي البقر؛ فأمسك الرسول. وقال زيد للنعمان: إنما أراد الملك كرامتك، ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به. فأنزلهما يومين عنده، ثم كتب إلى كسرى: إن الذي طلب الملك ليس عندي، وقال لزيد: اعذرني عند الملك. فلما رجعا إلى كسرى؛ قال زيدٌ للرسول الذي قدم معه: اصدق الملك عما سمعت، فإني سأحدثه بمثل حديثك ولا أخالفك فيه. فلما دخلا على كسرى، قال زيدٌ: هذا كتابه إليك، فقرأه عليه. فقال له كسرى: وأين الذي كنت خبرتني به؟ قال: قد كنت خبرتك بضنتهم بنسائهم على غيرهم، وإن ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعري على الشبع والرياش، وإيثارهم السموم والرياح على طيب أرضك هذه، حتى إنهم ليسمونها السجن، فسل هذا الرسول الذي كان معي عما قال، فإني أكرم الملك عن مشافهته بما قال وأجاب به. قال للرسول: وما يقال! أيها الملك، إنه قال: أما كان في بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا، فعرف الغضب في وجهه، ووقع في قلبه منه ما وقع، لكنه لم يزد على أن قال: رب عبدٍ قد أراد ما هو أشد من هذا ثم صار أمره إلى التباب. وشاع هذا الكلام حتى بلغ النعمان، وسكت كسرى أشهراً على ذلك.

النعمان يسلم نفسه لكسرى

وجعل النعمان يستعد ويتوقع حتى أتاه كتابه: أن أقبل فإن للملك حاجةً إليك، فانطلق حين أتاه كتابه فحمل سلاحه وما قوي عليه، ثم لحق بجبلي طي وكانت فرعة بنت سعد بن حارثة بن لأم عنده، وقد ولدت له رجلاً وامرأة، وكانت أيضاً عنده زينب بنت أوس بن حارثة، فأراد النعمان طيئاً على أن يدخلوه الجبلين ويمنعوه فأبوا ذلك عليه، وقالوا له: لولا صهرك لقتلناك، فإنه لا حاجة بنا إلى معاداة كسرى، ولا طاقة لنا به. وأقبل يطوف على قبائل العرب ليس أحدٌ منهم يقبله، غير أن بني رواحة بن قطيعة بن عبسٍ قالوا: إن شئت قاتلنا معك، لمنةٍ كانت له عندهم في أمر مروان القرظ، قال: ما أحب أن أهلككم، فإنه لا طاقة لكم بكسرى. فأقبل حتى نزل بذي قارٍ في بني شيبان سراً، فلقي هانئ بن قبيصة، وقيل بل هانئ بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، وكان سيداً منيعاً، والبيت يومئذ من ربيعة في آل ذي الجدين لقيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجدين، وكان كسرى قد أطعم قيس بن مسعود الأبلة، فكره النعمان أن يدفع إليه أهله لذلك، وعلم أن هانئاً يمنعه مما يمنع منه نفسه.

وقال حماد الراوية في خبره: إنه إنما استجار بهانىء كما استجار بغيره فأجاره، وقال له: قد لزمني ذمامك وأنا مانعك مما أمنع نفسي وأهلي وولدي منه ما بقي من عشيرتي الأدنين رجلٌ، وإن ذلك غير نافعك لأنه مهلكي ومهلكك، وعندي رأيٌ لك، لست أشير به عليك لأدفعك عما تريده من مجاورتي ولكنه الصواب؛ فقال: هاته؛ فقال: إن كل أمر يجمل بالرجل أن يكون عليه إلا أن يكون بعد الملك سوقة، والموت نازلٌ بكل أحد، ولأن تموت كريماً خيرٌ من أن تتجرع الذل أو تبقى سوقة بعد الملك، هذا إن بقيت، فأمض إلى صاحبك وارسل إليه هدايا ومالاً وألق نفسك بين يديه، فإما أن صفح عنك فعدت ملكاً عزيزاً، وإما أن أصابك فالموت خيرٌ من أن يتلعب بك صعاليك العرب ويتخطفك ذئابها وتأكل مالك وتعيش فقيراً مجاوراً أو تقتل مقهوراً؛ فقال: كيف بحرمي؟ قال: هن في ذمتي، لا يخلص إليهن حتى يخلص إلى بناتي؛ فقال: هذا وأبيك الرأي الصحيح، ولن أجاوزه. ثم اختار خيلاً وحللاً من عصب اليمن وجوهراً وطرفاً كانت عنده، ووجه بها إلى كسرى وكتب إليه يعتذر ويعلمه أنه صائرٌ إليه، ووجه بها مع رسوله، فقبلها كسرى وأمره بالقدوم؛ فعاد إليه الرسول فأخبره بذلك وأنه لم ير له عند كسرى سوءاً. فمضى إليه حتى إذا وصل إلى المدائن لقيه زيد بن عدي على قنطرة ساباط، فقال له: انج نعيم، إن استطعت النجاء؛ فقال له: أفعلتها يا زيد! أما والله، لئن عشت لك لأقتلنك قتلةً لم يقتلها عربي قط ولألحقنك بأبيك! فقال له زيد: امض لشأنك نعيم، فقد والله أخيت لك أخية لا يقطعها المهر الأرن.

وصول النعمان لكسرى وموته

فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه، فقيده وبعث به إلى سجن كان له بخانقين، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه.

وقال حمادٌ الراوية والكوفيون: بل مات بساباط في حبسه. وقال ابن الكلبي: ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات، واحتجوا بقول الأعشى:

فذاك وما أنجى من الموت ربه ... بساباط حتى مات وهو محزرق

قال: المحزرق: المضيق عليه. وأنكر هذا من زعم أنه مات بخانقين، وقالوا: لم يزل محبوساً مدة طويلة، وإنه إنما مات بعد ذلك بحينٍ قبيل الإسلام، وغضبت له العرب حينئذ، وكان قتله سبب وقعه ذي قارٍ.

عدي بن زيد وهند بنت النعمان أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح وأخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال قال علي بن الصباح حدثني هشام بن الكلبي عن أبيه قال: كان عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب الشاعر العبادي يهوى هند بنت النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرىء القيس بن النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم وهو مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ولها يقول:

علق الأحشاء من هندٍ علق	مستسرٌ فيه نصبٌ وأرق

وهي قصيدةٌ طويلةٌ. وفيها أيضاً يقول:

من لقلب دنفٍ أو معتمد	قد عصى كل نصوحٍ ومغد

وهي طويلة. وفيها أيضاً يقول:

يا خليلي يسرا التعسيرا	ثم روحا فهجرا تهجيرا
عرجا بي على ديارٍ لهندٍ	ليس أن عجتما المطي كبيرا

قصة تزوجه بهند

قال ابن الكلبي: وقد تزوجها عدي. وقال ابن أبي سعد، وذكر ذلك خالد ابن كلثوم أيضاً قالا: كان سبب عشقه إياها أن هنداً كانت من أجمل نساء أهلها وزمانها، وأمها مارية الكندية؛ فخرجت في خميس الفصح، وهو بعد السعانين بثلاثة أيام، تتقرب في البيعة، ولها حينئذ إحدى عشرة سنةً، وذلك في ملك المنذر؛ وقد قدم عدي حينئذ بهديةٍ من كسرى إلى المنذر، والنعمان يومئذ فتى شاب، فاتفق دخولها البيعة وقد دخلها عدي ليتقرب، وكانت مديدة القامة عبلة الجسم، فرآها عدي وهي غافلةٌ فلم تنتبه له حتى تأملها، وقد كان جواريها رأين عديا وهو مقبلٌ فلم يقلن لها ذلك، كي يراها عدي، وإنما فعلن هذا من أجل أمةٍ لهند يقال لها مارية، وقد كانت أحبت عدياً فلم تدر كيف تأتي له. فلما رأت هند عدياً ينظر إليها شق ذلك عليها، وسبت جواريها ونالت بعضهن بضرب؛ فوقعت هند في نفس عدي، فلبث حولاً لا يخبر بذلك أحداً. فلما كان بعد حولٍ وظنت مارية أن هنداً قد أضربت عما جرى وصفت لها بيعة دومة - وقال خالد بن كلثومٍ: بيعة توما وهو الصحيح - ووصفت لها من فيها من الرواهب، ومن يأتيها من جواري الحيرة، وحسن بنائها وسرجها؛ وقالت لها: سلي أمك الإذن لك في إتيانها، فسألتها ذلك فأذنت لها، وبادرت مارية إلى عدي فأخبرته الخبر فبادر فلبس يلمقاً كان "فرخانشاه مرد" قد كساه إياه وكان مذهباً لم ير مثله حسناً، وكان عدي حسن الوجه، مديد القامة، حلو العينين، حسن المبسم، نقي الثغر. وأخذ معه جماعةً من فتيان الحيرة، فدخل البيعة؛ فلما رأته مارية قالت لهند: انظري إلى هذا الفتى! فهو والله أحسن من كل ما ترين من السرج وغيرها! قالت: ومن هو؟ قالت: عدي بن زيد؛ قالت: أتخافين أن يعرفني إن دنوت منه لأراه من قريب؟ قالت: ومن أين يعرفك وما رآك قط من حيث يعرفك! فدنت منه وهو يمازح الفتيان الذين معه وقد برع عليهم بجماله، وحسن كلامه وفصاحته، وما عليه من الثياب، فذهلت لما رأته وبهتت تنظر إليه. وعرفت مارية ما بها وتبينته في وجهها، فقالت لها: كلميه، فكلمته، وانصرفت وقد تبعته نفسها وهويته، وانصرف بمثل حالها. فلما كان الغد تعرضت له مارية، فلما رآها هش لها، وكان قبل ذلك لا يكلمها، وقال لها: ما غدا بك؟ قالت: حاجةٌ إليك، قال: اذكريها، فوالله لا تسأليني شيئاً إلا

أعطيتك إياه، فعرفته أنها تهواه، وأن حاجتها الخلوة به على أن تحتال له في هند، وعاهدته على ذلك؛ فأدخلها حانوت خمارٍ في الحيرة ووقع عليها، ثم خرجت فأتت هنداً، فقالت: أما تشتهي أن تري عدياً؟ قالت: وكيف لي به؟ قالت: أعده مكان كذا وكذا في ظهر القصر وتشرفين عليه؛ قالت: افعلي، فواعدته إلى ذلك المكان، فأتاه وأشرفت هند عليه، فكادت تموت، وقالت: إن لم تدخليه إلي هلكت. فبادرت الأمة إلى النعمان فأخبرته خبرها وصدقته، وذكرت أنها قد شغفت به، وأن سبب ذلك رؤيتها إياه في يوم الفصح، وأنه إن لم يزوجها به افتضحت في أمره أو ماتت؛ فقال لها: ويلك! وكيف أبدؤه بذلك! فقالت: هو أرغب في ذلك من أن تبدأه أنت، وأنا أحتال في ذلك من حيث لا يعلم أنك عرفت أمره. وأتت عدياً فأخبرته الخبر، وقالت: ادعه، فإذا أخذ الشراب منه فاخطب إليه فإنه غير رادك؛ قال: أخشى أن يغضبه ذلك فيكون سبب العدواة بيننا؛ قالت: ما قلت لك هذا حتى فرغت منه معه؛ فصنع عدي طعاماً واحتفل فيه، ثم أتى النعمان بعد الفصح بثلاثة أيام، وذلك في يوم الإثنين، فسأله أن يتغدى عنده هو وأصحابه، ففعل. فلما أخذ منه الشراب خطبها إلى النعمان، فأجابه وزوجه وضمها إليه بعد ثلاثة أيام.

ترهب هند بعد قتل عدي

قال خالد بن كلثوم: فكانت معه حتى قتله النعمان، فترهبت وحبست نفسها في الدير المعروف بدير هند في ظاهر الحيرة. وقال ابن الكلبي: بل ترهبت بعد ثلاث سنين ومنعته نفسها واحتبست في الدير حتى ماتت، وكانت وفاتها بعد الإسلام بزمان طويل في ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة، وخطبها المغيرة فردته.

خطبها المغيرة بن شعبة فردته

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن هشام بن محمد بن الكلبي عن أبيه والشرقي بن القطامي قالا: مر المغيرة بن شعبة لما ولاه معاوية الكوفة بدير هند، فنزله ودخل على هند بنت النعمان بعد أن استأذن عليها، فأذنت له وبسطت له مسحاً فجلس عليه، ثم قالت له: ما جاء بك؟ قال: جئتك خاطباً؛ قالت: والصليب لو علمت أن في خصلةً من جمالٍ أو شبابٍ رغبتك في لأجبتك، ولكنك أردت أن تقول في المواسم: ملكت مملكة النعمان بن المنذر ونكحت ابنته، فبحق معبودك هذا أردت؟ قال: إي والله؛ قال: فلا سبيل إليه؛ فقام المغيرة وانصرف وقال فيها:

أدركت ما منيت نفسي خالياً ... لله درك يابنة النعمان

فلقد رددت على المغيرة ذهنه ... إن الملوك نقية الأذهان

وفي رواية أخرى:

إن الملوك بطية الإذعان

يا هند حسبك قد صدقت فأمسكي فالصدق خير مقالة الإنسان

حديث عشقها لزرقاء اليمامة

وقد روى عن ابن الكلبي غير علي بن الصباح في هند أنها كانت تهوى زرقاء اليمامة، وأنها أول امرأة أحبت امرأةً في العرب، فإن الزرقاء كانت ترى الجيش من مسيرة ثلاثين ميلاً؛ فغزا قوم من العرب اليمامة، فلما قربوا من مسافة نظرها قالوا: كيف لكم بالوصول، مع الزرقاء! فاجتمع رأيهم على أن يقتلعوا شجراً تستر كل شجرة منها الفارس إذا حملها؛ فقطع كل واحد منهم بمقدار طاقته وساروا بها؛ فأشرفت، كما كانت تفعل، فقال لها قومها: ما ترين يا زرقاء؟ وذلك في آخر النهار؛ قالت: ارى شجراً يسير؛ فقالوا: كذبت أو كذبتك عينك، واستهانوا بقولها؛ فلما أصبحوا صبحهم القوم، فاكتسحوا أموالهم وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً وأخذوا الزرقاء فقعلوا عينها فوجدوا فيها عروقاً سوداء، فسئلت عنها فقالت: إني كنت أديم الاكتحال بالإثمد فلعل هذا منه، وماتت بعد ذلك بأيام؛ وبلغ هنداً خبرها فترهبت ولبست المسوح وبنت ديراً يعرف بدير هند إلى الآن، فأقامت فيه حتى ماتت.

قيل إن النعمان أكرهه على طلاقها

وروى ابن حبيب عن ابن الأعرابي: أن النعمان لما حبس عدياً أكرهه في أمرها على طلاقها و لم يزل به حتى طلقها. قال ابن حبيب: وذكر عدي بن زيد صهره هذا للنعمان في قصائده وكان زوج أخته - هكذا ذكر العلماء من أهل الحيرة. وقالت رواة العرب: إنه كان زوج ابنته هندٍ - فمن ذلك قوله في قصيدته التي أولها:

أبصرت عيني عشاءً ضوء نار

فقال فيها:

أجل نعمى ربها أولكم ودنوي كان منكم واصطهاري

نحن كنا قد علمتم قبلها عمد البيت وأوتاد الإصار

سبب تنصر النعمان وما وقع بينه وبين عدي في ذلك أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا إبراهيم بن فهدٍ قال حدثنا خليفة بن خياط شبابٌ العصفري قال حدثنا هشام بن محمد قال حدثنا يحيى بن أيوب البجلي قال حدثنا أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي قال: سمعت جدي جرير بن عبد الله يقول، وأخبرني به عمي قال حدثنا أحمد بن عبيد الله قال أخبرنا محمد بن يزيد بن زياد الكلبي أبو عبد الله قال حدثني معروف بن خربوذ عن يحيى بن أيوب عن أبي زرعة بن عمرو قال: سمعت جدي جرير بن عبد الله - ولفظ هذا الخبر لأحمد ابن عبيد الله وروايته أتم - قال: كان سبب تنصر النعمان - وكان يعبد الأوثان قبل ذلك، وقال أحمد بن عبيد

الله في خبره: النعمان بن المنذر الأكبر - أنه كان قد خرج يتنزه بظهر الحيرة ومعه عدي بن زيد، فمر على المقابر من ظهر الحيرة ونهرها؛ فقال له عدي بن زيد: أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه المقابر؟ قال: لا، وقال أحمد بن عبيد الله في خبره: فقال له تقول:

أيها الركب المخبو ... ن على الأرض المجدون

كما أنتم كنا ... وكما نحن تكونون

وقال الصولي في خبره: فقال له تقول:

كنا كما كنتم حيناً فغيرنا ... دهرٌ فسوف كما صرنا تصيرونا

قال: فانصرف وقد دخلته رقة، فمكث بعد ذلك يسيراً؛ ثم خرج خرجةً أخرى فمر على تلك المقابر ومعه عدي، فقال له: أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه المقابر؟ قال: لا؛ قال: فإنها تقول:

من رآنا فليحدث نفسه ... أنه موفٍ على قرن زوال

وصروف الدهر لا يبقى لها ... ولما تأتي به صم الجبال

رب ركبٍ قد أناخوا عندنا ... يشربون الخمر بالماء الزلال

والأباريق عليها فدمٌ ... وجياد الخيل تردي في الجلال

عمروا دهراً بعيشٍ حسنٍ ... آمني دهرهم غير عجال

ثم أضحوا عصف الدهر بهم ... وكذاك الدهر يودي بالرجال

وكذاك الدهر يرمي بالفتى ... في طلاب العيش حالاً بعد حال

قال الصولي في خبره وهو الصحيح: فرجع النعمان فتنصر؛ وقال أحمد بن عبيد الله في خبره عن الزيادي الكلبي: فرجع النعمان من وجهه وقال لعدي: ائتني الليلة إذا هدأت الرجل لتعلم حالي، فأتاه فوجده قد لبس المسوح وتنصر وترهب وخرج سائحاً على وجهه فلا يدرى ما كانت حاله، فتنصر ولده بعده، وبنوا البيع والصوامع، وبنت هند بنت النعمان بن المنذر "بن النعمان بن المنذر" الدير الذي بظهر الكوفة ويقال له: "دير هند" فلما حبس كسرى النعمان الأصغر أباها ومات في حبسه ترهبت هند ولبست المسوح وأقامت في ديرها مترهبةً حتى ماتت فدفنت فيه.

رأي المؤلف أن النعمان هو الذي تنصر

قال مؤلف هذا الكتاب: إنما ذكرت الخبر الذي رواه الزيادي على ما فيه من التخليط لأني إذا أتيت بالقصة ذكرت "كل" ما يروى في معناها. وهو خبر مختلط، لأن عدي بن زيد إنما كان صاحب النعمان بن المنذر وهو

المحبوس والنعمان الأكبر لا يعرفه عدي ولا رآه ولا هو جد النعمان الذي صحبه عدي كما ذكر ابن زياد، وقد ذكرت نسب النعمان آنفاً، ولعل هذا النعمان الذي ذكره عم النعمان بن المنذر الأصغر بن المنذر الأكبر، والمتنصر السائح على وجهه ليس عدي بن زيد أدخله في النصرانية، وكيف يكون هو المدخل له في النصرانية وقد ضربه مثلاً للنعمان في شعره لما حبسه مع من ضربه مثلاً له من الملوك السالفة!.

حكاية خالد بن صفوان مع هشام

بن عبد الملك وتذكره قصة النعمان وتنصره

حدثنا بخبر ذلك الملك جعفر بن محمد الفريابي وأحمد بن عبد العزيز بن الجعد الوشاء قالا: حدثنا إسحاق بن البهلول الأنباري قال حدثني أبي البهلول بن حسان التنوخي قال حدثني إسحاق بن زياد من بني سامة بن لؤي عن شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان بن الأهتم قال:

أوفدني يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك في وفد أهل العراق قال: فقدمت عليه وقد خرج بقرابته وحشمه وغاشيته وجلسائه، فنزل في أرضٍ قاعٍ صحصح منيفٍ أفيح، في عامٍ قد بكر وسميه وتتابع وليه، وأخذت الأرض "فيه" زينتها على اختلاف ألوان نبتها من نور ربيع مونقٍ فهو في أحسن منظر، وأحسن مختبرٍ، وأحسن مستمطرٍ، بصعيدٍ كأن ترابه قطع الكافور؛ قال: وقد ضرب له سرادقٌ من حبرةٍ كان يوسف بن عمر صنعه له باليمن، فيه فسطاط فيه أربعة أفرشةٍ من خز أحمر مثلها مرافقها، وعليه دراعةٌ من خز أحمر مثلها عمامتها، وقد أخذ الناس مجالسهم؛ قال: فأخرجت رأسي من ناحية السماط فنظر إلي شبه المستنطق لي فقلت: أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمه، وجعل ما قلدك من هذا الأمر رشداً، وعاقبة ما يؤول إليه حمداً، وأخلصه لك بالتقى، وكثره لك بالنماء، ولا كدر عليك منه ما صفا، ولا خالط سروره بالردى، فلقد أصبحت للمؤمنين ثقةً ومستراحاً، إليك يقصدون في مظالمهم، ويفزعون في أمورهم، وما أجد شيئاً يا أمير المؤمنين هو أبلغ في قضاء حقك، وتوقير مجلسك، وما من الله جل وعز علي به من مجالستك من أن أذكرك نعم الله عليك، وأنبهك لشكرها، وما أجد في ذلك شيئاً هو أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك، فإن أذن أمير المؤمنين أخبرته به؛ قال: فاستوى جالساً وكان متكئاً ثم قال: هات يابن الأهتم، قال: قلت يا أمير المؤمنين إن ملكاً من الملوك قبلك خرج في عامٍ مثل عامك هذا إلى الخورنق والسدير في عامٍ قد بكر وسميه، وتتابع وليه، وأخذت الأرض "فيه" زينتها على اختلاف ألوان نبتها في ربيع مونقٍ، فهو في أحسن منظر، وأحسن مختبر، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور، وقد كان أعطي فتاء السن مع الكثرة والغلبة والقهر، فنظر فأبعد النظر ثم قال لجلسائه: لمن مثل هذا، هل رأيتم مثل ما أنا فيه! وهل أعطي أحدٌ مثل ما أعطيت! قال: وعنده رجل من بقايا حملة الحجة، والمضي على أدب الحق ومنهاجه، قال: و لم تخل الأرض من قائم لله بحجةٍ في عباده؛ فقال: أيها الملك إنك سألت عن أمرٍ، أفتأذن في الجواب عنه؟ قال: نعم؛ قال: أرأيت هذا الذي أنت فيه، أشيءٌ لم تزل فيه، أم شيءٌ صار إليك ميراثاً وهو زائلٌ عنك وصائر إلى غيرك كما صار إليك؟ قال: كذلك هو؛ قال: فلا أراك إلا عجبت بشيء يسير تكون فيه قليلاً وتغيب عنه

طويلاً، وتكون غداً بحسابه مرتهنا؛ قال: ويحك! فأين المهرب وأين المطلب؟ قال: إما أن تقيم في ملكك فتعمل فيه بطاعة الله ربك على ما ساءك وسرك، وأمضك وأرمضك، وإما أن تضع تاجك، وتخلع أطمارك، وتلبس أمساحك، وتعبد ربج حتى يأتيك أجلك؛ قال: فإذا كان السحر فاقرع علي بابي فإني مختارٌ أحد الرأيين، وربما قال إحدى المترلتين، فإن اخترت ما أنا فيه كنت وزيراً لا يعصى، وإن اخترت فلوات الأرض وقفر البلاد كنت رفيقاً لا يخالف؛ قال: فقرع عليه عند السحر بابه فإذا هو قد وضع تاجه، وخلع أطماره، ولبس أمساحه، وتهيأ للسياحة، فلزما والله الجبل حتى أتاهما أجلهما، وهو حيث يقول عدي بن زيد أخو بني تميم:

أيها الشأمت المعير بالد — هر أأنت المبرأ الموفور

أم لديك العهد الوثيق من الأي — ام بل أنت جاهلٌ مغرور

من رأيت المنون خلدن أم من — ذا عليه من أن يضام خفير

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر — وان أم أين قبله سابور

وبنو الأصفر الكرام ملوك الر — وم لم يبق منهم مذكور

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دج — لة تجبى إليه والخابور

شاده مرمراً وجلله كلس — اً فللطير في ذراه وكور

لم يهبه ريب المنون فباد الملك — عنه فبابه مهجور

وتذكر رب الخورنق إذ أشرف — يوماً وللهدى تفكير

سره ماله وكثرة ما يملك — والبحر معرضاً والسدير

فارعوى قلبه فقال وما غبطة — حيٍّ إلى الممات يصير

ثم بعد الفلاح والملك والإمة — وارتهم هناك القبور

ثم صاروا كأنهم ورق جف فألوت — به الصبا والدبور

قال: فبكى والله هشام حتى أخضل لحيته، وبل عمامته، وأمر بترع أبنيته، وبنقلان قرابته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه، ولزم قصره، فأقبلت الموالي والحشم على خالد بن صفوان فقالوا: ما أردت إلى أمير المؤمنين! أفسدت عليه لذته، ونغصت عليه مأدبته، فقال: إليكم عني فإني عاهدت الله عز وجل ألا أخلو بملكٍ إلا ذكرته الله عز وجل.

قصرا الحضر والخورنق فأما خبر الحضر وصاحبه، والخورنق وصاحبه، فإني أذكرخبرهما ها هنا لأنه مما يحسن ذكره بعقب هذه الأخبار ولا يستغنى عنه، والشيء يتبع الشيء.

أخبرني بخبره إبراهيم بن السري عن أبيه عن شعيب عن سيف، وأخبرني به الحسن بن علي قال حدثنا الحارث بن محمد قال حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي، وأخبرني به علي بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين عن السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل بن سلمة الضبي، وهشام بن الكلبي عن أبيه، وإسحاق بن الجصاص عن الكوفيين: أن الحضر كان قصراً بحيال تكريت بين دجلة والفرات، وأن أخا الحضر الذي ذكره عدي بن زيد هو الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الأجرام بن عمرو بن النخع بن سليح من بني تزيد بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وأمه جبهلة امرأةٌ من بني تزيد بن حلوان أخي سليح بن حلوان، وكان لا يعرف إلا بأمه هذه، وكان ملك تلك الناحية وسائر أرض الجزيرة، وكان معه من بني الأجرام "ثم من بني العبيد ابن الأجرام" وسائر قبائل قضاعة ما لا يحصى، وكان ملكه قد بلغ الشأم. فأغار الضيزن فأصاب أختاً لسابور ذي الأكتاف وفتح مدينة نهر شير وفتك فيهم، فقال في ذلك عمرو بن السيح بن حدي بن الدها بن غنم بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة:

لقيناهم بجمعٍ من علافٍ ... وبالخيل الصلادمة الذكور

فلاقت فارسٌ منا نكالاً ... وقتلنا هرابذ شهرزور

دلفنا للأعاجم من بعيدٍ ... بجمع م الجزيرة كالسعير

قالوا: ثم إن سابور ذا الأكتاف جمع لهم وسار إليهم، فأقام على الحضر أربع سنين لا يستغل منهم شيئاً. ثم إن النضيرة بنت الضيزن عركت - أي حاضت - فأخرجت إلى الربض، وكانت من أجمل أهل دهرها، وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم إذا حضن، وكان سابور من أجمل أهل زمانه، فرآها ورأته، وعشقها وعشقته، فأرسلت إليه: ما تجعل لي أن دللتك على ما تهدم به هذه المدينة وتقتل أبي؟ قال: أحكمك وأرفعك على نسائي، وأخصك بنفسي دونهن؛ قالت: عليك بحمامةٍ مطوقة ورقاء، فاكتب في رجلها بحيض جاريةٍ بكرٍ تكون زرقاء، ثم أرسلها فإنها تقع على حائط المدينة فتتداعى المدينة، وكان ذلك طلسمها لا يهدمها إلا هو، ففعل وتأهب لهم، وقالت له: أنا أسقي الحرس الخمر، فإذا صرعوا فاقتلهم وادخل المدينة، ففعل فتداعت المدينة، وفتحها سابور عنوةً، فقتل الضيزن يومئذٍ، وأباد بني العبيد، وأفنى قضاعة الذين كانوا مع الضيزن فلم يبق منهم باقٍ يعرف إلى اليوم، وأصيب قبائل حلوان وانقرضوا ودرجوا، فقال في ذلك عمرو بن آلة وكان مع الضيزن:

ألم يحزنك والأنباء تنمي ... بما لاقت سراة بني العبيد

ومصرع ضيزنٍ وبني أبيه ... وأحلاس الكتائب من تزيد

أتاهم بالفيول مجللاتٍ ... وبالأبطال سابور الجنود

فهدم من أواسي الحضر صخراً ... كأن ثقاله زبر الحديد

قال: فأخرب سابور المدينة واحتمل النضيرة بنت الضيزن فأعرس بها بعين التمر، فلم تزل ليلتها تتضور من خشانةٍ في فرشها وهي من حرير محشو بالقز، فالتمس ما كان يؤذيها فإذا هي ورقة آسٍ ملتصقةٌ بعكنةٍ من عكنها قد أثرت فيها. قال: وكان ينظر إلى مخها من لين بشرتها. فقال لها سابور: ويحك! باي شيءٍ كان أبوك يغذيك؟ قالت: بالزبد والمخ وشهد الأبكار من النحل وصفوة الخمر فقال: وأبيك لأنا أحدث عهداً بمعرفتك، وآثر لك من أبيك الذي غذاك بما تذكرين! ثم أمر رجلاً فركب فرساً جموحاً وضفر غدائرها بذنبه، ثم استركضه فقطعها قطعاً، فذلك قول الشاعر:

أقفرا الحضر من نضير فالمر باع منها فجانب الثرثار

قالوا: وكان الضيزن صاحب الحضر يلقب الساطرون، وقال غيرهم: بل الساطرون صاحب الحضر كان رجلاً من أهل باجرمى والله أعلم أي ذلك كان. هذا خبر صاحب الحضر الذي ذكره عدي.

وأما صاحب الخورنق فهو النعمان بن الشقيقة، وهو الذي ساح على وجهه فلم يعرف له خبرٌ، والشقيقة أمه بنت أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان. وهو النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عيد بن نصر بن ربيعة بن الضخم اللخمي، وهو صاحب الخورنق، فذكر ابن الكلبي في خبره الذي قدمنا ذكره ورواية علي بن الصباح أياه عنه: أنه كان سبب بنائه الخورنق أن يزدجرد بن سابور كان لا يبقى له ولد، فسأل عن مترل مريءٍ صحيح من الأدواء والأسقام، فدل على ظهر الحيرة، فدفع ابنه بمرام جور بن يزدجرد إلى النعمان بن الشقيقة، وكان عامله على أرض العرب، وأمره بأن يبني الخورنق مسكناً له ولابنه ويترله إياه معه، وأمره بإخراجه إلى بوادي العرب، وكان الذي بنى الخورنق رجلاً يقال له سنمار فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله، فقال: و علمت أنكن توفوني أجرتي وتصنعون بي ما أستحقه، لبنيته بناء يدور مع الشمس حيثما دارت، فقالوا: وإنك لتبني ما هو أفضل منه و لم تبنه! أمر به فطرح من أعلى الجوسق. وقال: في بعض الروايات أنه قال له: إني لأعرف في هذا القصر موضع عيب إذا هدم تداعى القصر أجمع، فقال له: أما والله لا تدل عليه أحداً أبداً، ثم رمي به من أعلى القصر، فقالت الشعراء في ذلك أشعاراً كثيرة منها قول أبي الطمحان القيني:

جزاء سنمارٍ جزوها وربها وباللات والعزى جزاء المكفر

ومنها قول سليط بن سعد:

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبرٍ وحسن فعلٍ كما يجزى سنمار

وقال عبد العزى بن امرىء القيس الكلبي - وكان أهدى إلى الحارث بن مارية الغساني أفراساً، ووفد إليه فأعجب به واختصه، وكان للملك ابنٌ مسترضعٌ في بني عبد ود من كلبٍ فنهشته حيةٌ، فظن الملك أنهم اغتالوه، فقال لعبد العزى: جئني بمؤلاء القوم، فقال: هم قوم أحرار ليس لي عليهم فضلٌ في نسبٍ ولافعلٍ، فقال: لتأتيني

بهم أو لأفعلن وأفعلن، فقال له: رجونا من حبائك امراً حال دون عقابك ودعا ابنيه شراحيل وعبد الحارث - فكتب معهما إلى قومه:

جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء سنمارٍ وما كان ذا ذنب

سوى رصه البنيان عشرين حجةً يعلى عليه بالقراميد والسكب

وهي أبيات، قال: فقتله النعمان، وكان أمره قد عظم وجعل معه كسرى كتيبتين: أحداهما يقال لها: "دوسر" وهي لتنوخ، والأخرى: "الشهباء" وهي للفرس، وكانتا أيضاً تسميان القبيلتين، وكان يغزو بهما بلاد الشأم، وكل من لم يدن له من العرب. فجلس يوماً يشرف من الخورنق فأعجبه ما رأى من ملكه. ثم ذكر باقي خبره مثل ما ذكره خالد بن صفوان لهشامٍ من مخاطبة الواعظ وجوابه وما كان من اختياره السياحة وتركه ملكه.

رثاء النابغة الذبياني للنعمان

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محم دبن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن عمرو قال ذكر ابن حمزة عن مشايخه: أن النعمان بن المنذر لما نعي إلى النابغة الذبياني وحدث بما صنع به كسرى قال: طلبه من الدهر طالب الملوك ثم تمثل:

من يطلب الدهر تدركه مخالبه والدهر بالوتر ناجٍ غير مطلوب

ما من أناسٍ ذوي مجدٍ ومكرمةٍ إلا يشد شدة الذيب

حتى يبيد على عمدٍ سراتهم بالنافذات من النبل المصاييب

إني وجدت سهام الموت معرضةً بكل حتفٍ من الآجال مكتوب

الغناء في شعر عدي بن زيد

وفي سائر قصائد عدي بن زيد التي كتب بها إلى النعمان يستعطفه ويعتذر إليه أغانٍ.
منها:

صوت

لم أر مثل الفتيان في غبن ال أيام ينسون ما عواقبها

ينسون إخوانهم ومصرعهم وكيف تعتاقهم مخالبها

ماذا ترجى النفوس من طلب الخير وحب الحياة كاربها

تظن أن لن يصيبها عنت الدهر وريب المنون صائبها

ويروى عقب الدهر - يقول: الأيام تغبن الناس فتخدعهم وتختلهم مثل الغبن في البيع. وتعتاقهم: تحبسهم، يقال: اعتاقه واعتقاه. وكاربها ها هنا: غامها، وهو في موضع آخر القريب منها، يقال كربه الأمر وكرثه وبهضه وغنظه إذا غم - الغناء في هذه الأبيات لابن محرز خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة.

وفيها رمل بالبنصر، نسبه حبشٌ ودنانير إلى حنينٍ، ونسبه الهشامي وابن المكي إلى الهذلي.

ومنها:

صوت

يا لبينى أوقدي النارا إن من تهوين قد حارا

رب نارٍ بت أرمقها تقضم الهندي والغارا

عندها ظبيٌ يؤرثها عاقدٌ في الجيد تقصارا

عروضه من المديد - حار يحير هنا: ضل، وحار في موضع آخر: رجع. والغار: شجر طيب الريح، والغار أيضاً: شجر السوس، والغار: الغيرة. ويؤرثها: يوقدها ويكثر حطبها. والتقصار: المخنقة - الغناء لحنين خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه خفيف رملٍ يقال إنه لعريب.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق، وأخبرنا به يحيى بن علي عن داود بن محمد عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن عائشة عن يونس النحوي قال: مات رجل من جند أهل الشأم عظيم القدر، له فيهم عز "وعدد"؛ فحضر الحجاج جنازته وصلى عليه وجلس على قبره، وقال: ليتزل إليه بعض إخوانه، فتزل نفرٌ منهم، فقال أحدهم وهو يسوي عليه: رحمك الله أبا قنان، إن كنت ما علمت لتجيد الغناء، وتسرع رد الكأس، ولقد وقعت في موضع سوء لا تخرج منه والله إلى يوم القيامة. قال: فما تمالك الحجاج أن ضحك، وكان لا يكثر الضحك في جد ولا هزلٍ. فقال له: أهذا موضع هذا لا أم لك! فقال: أصلح الله الأمير، فرسه حبيسٌ في سبيل الله لو سمعه الأمير وهو يغني:

يا لبينى أوقدي النارا إن من تهوين قد حارا

لا نتشر الأمير على سعنة، وكان الميت يلقب بسعنة، فقال: إنا لله أخرجوه من القبر! ما أبين حجة أهل العراق في جهلكم يا أهل الشأم! قال: وكان سعنة هذا الميت من أوحش خلق الله كلهم صورةً، وأذمهم قامةً. فلم يبق أحد حضر القبر إلا استفرغ ضحكاً.

ومنها من قصيدته التي أولها:

لمن الدار تعفت بخيم

صوت

وثلاثٍ كالحمامات بها بين مجثاهن توشيم الحمم

أسأل الدار وقد أنكرتها عن حبيبي فإذا فيها صمم

- ويروى: توشيم العجم. والتوشيم أراد به آثار الوقود قد صار فيها كالوشم. والثلاث يعني الأثافي التي تنصب عليها القِدر - الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن عمرو وابن المكي. وفيه لحكم لحنٌ من كتاب إبراهيم غير مجنس. وهذه القصيدة التي أولها:

لمن الدار تعفت بخيم أصبحت غيرها طول القدم

ما تبين العين من آياتها غير نؤيٍ مثل خط بالقلم

وبعده.

وثلاثٍ كالحمامات بها بين مجثاهن توشيم الحمم

وعلى هذا خفض قوله: وثلاث كالحمامات.

ومنها قوله:

كفى غير الأيام للمرء وازعاً

صوت

بناتٍ كرامٍ لم يربن بضرةٍ دمىً شرقاتٍ بالعبير روادعا

يسارقن م الأستار طرفاً مفتراً ويبرزن من فتق الخدور الأصابعا

بنات كرامٍ موضعه نصب وهو يتبع ما قبله وينصب به وهو قوله:

وأصبى ظباءً في الدمقس خواضعا

بناتٍ كرام هكذا في القصيدة على تواليها، وقد يجوز رفعه على الابتداء. ويروى: بضرةٍ وبضرةٍ جمعا بالضم والفتح. والدمى: الصور، واحدها دميةٌ. الغناء في هذين البيتين لابن قندحٍ ثقيلٌ أول بالبنصر عن عمرو، وذكر الهشامي أنه لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بزيعٍ، وذكر حبشٌ أنه لإبراهيم.

صوت

أرقت لمكفهر بات فيه بوارق يرتقين رؤوس شيب

تروح المشرفية في ذراه ويجلو صفحة الذيل القشيب

والمكرهف والمرهف: السحاب المتوالي المتراكب. والشيب: السحائب التي فيها سواد وبياض شبهها بالرؤوس الشيب، وقال قوم: بل شيبٌ: جبل معروفٌ. شبه البرق في السحاب بلمعان السيوف. ورواه ابن الأعرابي:

ويجلو صفح دخدارٍ قشيب

وقال: الدخدار: الثوب المصون، وهو أعجمي معرب أصله تخت دار. والقشيب: الجديد. الغناء لعريب ثقيلٌ أول بالبنصر.

ومنها من قصيدته التي أولها:

ألا يا طال ليلي والنهار

صوت

ألا من مبلغ النعمان عني | علانيةً فقد ذهب السرار
بأن المرء لم يخلق حديداً | ولا هضباً توقاه الوبار

ولكن كالشهاب فثم يخبو | وحادي الموت عنه ما يحار
فهل من خالدٍ إما هلكنا | وهل بالموت يا للناس عار

الهضب: الجبل. والوبار: جمع وبرٍ. والشهاب: السراج. ويخبو: يطفأ. الغناء لبابويه ثقيل أول بالبنصر عن حبش والهشامي.

ومنها:

صوت

ألا من مبلغ النعمان عني | فبينا المرء أغرب إذ أراحا
أطعت بني بقيلة في وثاقي | وكنا في حلوقهم ذباحاً
منحتهم الفرات وجانبيه | وتسقينا الأواجن والملاحا

الغناء لحنين خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق.

ومنها:

صوت

من لقلبٍ دنفٍ أو معتمد		قد عصى كل نصيحٍ ومفد

لست إن سلمى نأتني دارها		سامعاً فيها إلى قول أحد

المعتمد: الذي عمده الوجع بعمده عمداً. غناه ابن محرز ولحنه خفيف ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر بالوسطى عن عمرو. وذكر يونس أن فيه لمالك لحناً، ولسنانٍ الكاتب لحناً، وهو ثقيل أول بالوسطى عن حبش.

ومنها:

صوت

أرواحٌ مودعٌ أم بكور		لك فاعمد لأي حالٍ تصير

ويقول العداة أودى عدي		وعدي بسخط رب أسير

أيها الشأمت المعير الدهر		أأنت المبرأ الموفور

أم لديك العهد الوثيق من الأيام		بل أنت جاهلٌ مغرور

يريد: ارواحٌ نودعك فيه أم بكورٌ؟ أيهما تريد؟ فاعمد للذي تصير إليه من أمر آخرتك. والموفور: الذي لم تصبه نوائب الدهر. الغناء لحنين من كتاب يونس ولم يذكر طريقته، وذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أن حنينا غناه خالداً القسري أيام حرم الغناء، فرق له وقال: غن ولا تعاشر سفيهاً ولا معربداً. والخبر "في ذلك" يذكر في أخبار حنين.

ومما يغنى فيه أيضاً من شعر عدي

صوت

ألا يا ربما عز		خليلي فتهاونت

ولو شئت على مقد		رةٍ مني لعاقبت

ولكن سرني أن يعلموا		قدري فأقلعت

ألا لا فاسألوا الفتية		ما قالوا وقد قمت

الغناء لسياطٍ رمل عن الهشامي. وفيه ليحيى المكي خفيف ثقيلٍ نسبه إلى مالك وليس له. ولعريب في البيتين الأولين ثقيل أول. وبعدهما بيتٌ ليس من العشر وهو:

ولكن حبيبي جل عندي فتغافلت

ومما يغنى فيه من شعره:

صوت

تعرف أمس من لميس الطلل مثل الكتاب الدارس الأحول

الذي قد درس فلا يقرأ.

أنعم صباحاً علقم بن عدي أثويت اليوم أم ترحل

قد رحل الفتيان عيرهم واللحم بالغيطان لم ينشل

إذ هي تسبى الناظرين وتجلو واضحاً كالأقحوان رتل

الرتل: المستوي البنية.

عذباً كما ذقت الجنى من التفاح مسقياً ببرد، الطل

هكذا يغنى. والذي قاله عدي: يسقيه برد الطل. الغناء لحنين رملٌ بالوسطى عن عمرو.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي أن عمرو بن امرىء القيس المكنى بأبي سريح وعلقمة بن عدي - وقيل علقم بن عدي بن كعب - وعمرو بن هند خرجوا إلى الصيد فأتوا قصر ابن مقاتل فمكثوا فيه يتصيدون، فزعموا أن علقمة بن عدي تبع حماداً فصرعه والشمس لم تطلع، ثم لحق آخر فطعنه فانقصف الرمح فيه ومر به فرسه يركض، فجال به العير فضربه فأصاب صدره فقتله، وقيل: إن الرمح المنقصف دخل في صدره فقتله، وذلك في أيام الربيع، وكان عدي بن زيد معهم وإليه قصدوا، وكان نازلاً في قصر ابن مقاتل، فقال عدي هذه القصيدة يرثيه بها.

صوت من المائة المختارة

عفا من سليمى مسحلان فحامره تمشى به ظلمانه وجآذره

بمستأسد القريان عافٍ نباته فنواره ميلٌ إلى الشمس زاهره

رأت عارضاً جوناً فقامت غريرةً بمسحاتها قبل الظلام تبادره

فما برحت حتى أتى الماء دونها وسدت نواحيه ورفع دابره

عروضه من الطويل. عفا: درس. مسحلان: موضع. وحامره: موضعٌ أضافه إلى مسحلان. والظلمان: ذكور النعام واحدها ظليم. والجآذر: أولاد البقر واحدها جؤذر وجؤذر بضم الذال وفتحها. وتمشى: تكثر المشي. والقريان: مجاري الماء إلى الرياض وحدها قري. والمستأسد: ما التف منها وطال. والنوار يقال: إنه يكون أبداً

حيال الشمس يستقبلها بوجهه، فيقول: إن نوار هذه الروضة يميل زاهره حيال الشمس. والعارض: السحاب. والجون: الأسود. والغريرة: الناعمة التي لم تجرب الأمور، يقول: لما رأت هذه المرأة السحابة السوداء قامت بمسحاتها تصلح النؤي حوالي بيتها وهو الحاجز بينه وبين الأرض المستوية. وقوله: رفع دابره أي مؤخره الذي يلي الماء من النؤي. الشعر للحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر. والغناء لابن عائشة ولحنه المختار خفيف رملٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وذكر حبشٌ أن فيه لحناً آخر من الثقيل الثاني.

خبر الحطيئة ونسبه

والسبب الذي من أجله هجا الزبرقان بن بدر

نسبه

الحطيئة لقبٌ لقب به، واسمه جرول بن أوس بن مالك بن جؤية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار. وهو من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم، متصرفٌ في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب، مجيدٌ في ذلك أجمع، وكان ذا شر وسفهٍ، ونسبه متدافعٌ بين قبائل العرب، وكان ينتمي إلى كل واحدة منها إذا غضب على الآخرين وهو مخضرمٌ أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم ثم ارتد وقال في ذلك.

إسلامه وارتداده وشعره في ذلك

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فيا أحباد الله ما لأبي بكر

أيورثها بكراً إذا مات بعده وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

سبب لقبه الحطيئة

ويكنى الحطيئة أبا مليكة، وقيل: إن الحطيئة غلب عليه ولقب به لقصره وقربه من الأرض وقال حمادٌ الراوية قال أبو نصر الأعرابي: سمي الحطيئة لأنه ضرط ضرطةً بين قوم، فقيل له: ما هذا؟ فقال: إنما هو حطيئةٌ، فسمي الحطيئة. وقال المدائني قال أبو اليقظان: كان الحطيئة يدعي أنه ابن عمرو بن علقمة أحد بني الحارث ابن سدوس، قال: وسمي الحطيئة لقربه من الأرض.

انتماؤه إلى بني ذهل ابن ثعلبة

أخبرني الفضل بن الحباب الجمحي أبو خليفة في كتابه إلي بإجازته لي يذكر عن محمد بن سلام: أن الحطيئة كان ينتمي إلى بني ذهل بن ثعلبة فقال:

إن اليمامة خير ساكنها أهل القرية من بني ذهل

قال: والقرية: منازلهم، ولم ينبت الحطيئة في هؤلاء.

تلونه وانتسابه إلى عدة قبائل وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن ابن الكلبي قال: سمعت خراش بن إسماعيل وخالد بن سعيد يقولان: كان الحطيئة إذا غضب على بني عبس يقول: أنا من بني ذهلٍ، وإذا غضب على بني ذهل قال: أنا من بني عبس.

أخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال قال حماد بن إسحاق قال أبي قال ابن الكلبي: كان الحطيئة مغموز النسب، وكان من أولاد الزنا الذين شرفوا. قال إسحاق وقال الأصمعي: كان الحطيئة يضرب بنسبه إلى بكر بن وائل فقال في ذلك.

قومي بنو عوف بن عمرٍو إن أراد العلم عالم
قومٌ إذا ذهبت خضا رم منهم خلفت خضارم
لا يفشلون ولا تبيت على أنوفهم المخاطم

قال الأصمعي وقدم الحطيئة الكوفة فترل في بني عوف بن عامر بن ذهلٍ يسألهم وكان يزعم أنه منهم وقال في ذلك:

سيري أمام فإن المال يجمعه سيب الإله وإقبالي وإدباري
إلى معاشر منهم ياأمام أبي من آل عوف بدوءٍ غير أشرار
نمشي على ضوء أحسابٍ أضأن لنا ما ضوأت ليلة القمراء للساري

خبره مع أخويه من أوس بن مالك

وقال ابن دريد في خبره عن عمه عن ابن الكلبي عن أبيه، وحماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال: كان أوس بن مالك بن جؤية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس تزوج بنت رياح بن عمرو بن عوف بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة، وكان له أمةٌ يقال لها الضراء فأعلقها بالحطيئة ورحل عنها. وكان لبنت رياح أخٌ يقال له: الأفقم، وكان طويلاً أفقم، صغير العينين، مضغوط اللحيين، فولدت الضراء الحطيئة فجاءت به شبيها بالأفقم، فقالت لها مولاتها: من أين هذا الصبي؟ فقالت لها: من أخيك، وهابت أن تقول لها من زوجك، فشبهته بأخيها؛ فقالت لها: صدقت. ثم مات أوسٌ وترك ابنين من الحرة، وتزوج الضراء

رجلٌ من بني عبس فولدت له رجلين فكانا أخوي الحطيئة من أمه. فأعتقت بنت رياحٍ الحطيئة وربته فكان كأنه أحدهما. وترك الأفقم نخلا باليمامة. فأتى الحطيئة أخويه من أوس بن مالكٍ وقد كانت أمه لما أعتقتها بنت رياح اعترفت أنها اعتلقت من أوس بن مالك، فقال لهم: أفردوا إلي من مالكم قطعةً فقالا: لا، ولكن أقم معنا فنحن نواسيك فقال:

أأمرتماني أن أقيم عليكما كلا لعمر أبيكما الحباق

عبدان خيرهما يشل بضبعه شل الأجير قلائص الوراق

خبره وقد سأل أمه من أبوه

قال: وسأل الحطيئة أمه: من أبوه فخلطت عليه فقال:

تقول لي الضراء لست لواحدٍ ولا اثنين فانظر كيف شرك أولئكا

وأنت امرؤ تبغي أباً قد ضللته هبلت ألما تستفق من ضلالكا

خبره مع إخوته من بني الأفقم

قال: وغضب عليها فلحق بإخوته بني الأفقم فقال:

سيري أمام فإن المال يجمعه سيب الإله وإقبالي وإدباري

قال: فلم يدفعوه و لم يقبلوه فقال:

إن اليمامة خير ساكنها أهل القرية من بني ذهل

وسألهم ميراثه من الأفقم فأعطوه نخلاتٍ من نخل أبيهم تدعى نخلات أم مليكة، وأم مليكة: امرأة الحطيئة، فقال:

ليهني تراثي لامرىءٍ غير ذلةٍ صنابير أحدانٌ لهن حفيف

قال: ثم لم تقنعه النخيلات، وقد أقام فيهم زماناً فسألهم ميراثه كاملاً من الأفقم فلم يعطوه شيئاً وضربوه، فغضب عليهم وقال:

تمنيت بكرا أن يكونوا عمارتي وقومي وبكرٌ شر تلك القبائل

إذا قلت بكري نبوتم بحاجتي فيا ليتني من غير بكر بن وائل

فعاد إلى بني عبس وانتسب إلى أوس بن مالك. وقال الأصمعي في خبره: لما أتى أهل القرية، وهم بنو ذهلٍ، يطلب ميراثه من الأفقم مدحهم فقال:

إن اليمامة خرٌ ساكنها أهل القرية من بني ذهل

الضامنون لمال جارهم حتى يتم نواهض البقل

قوم إذا انتسبوا ففرعهم فرعي وأثبت أصلهم أصلي

قال: فلم يعطوه شيئاً، فقال يهجوهم:

إن اليمامة شر ساكنها أهل القرية من بني ذهل

تزوجت أمه فهجاها

وقال أبو اليقظان في خبره: كان الرجل الذي تزوج أم الحطيئة أيضاً ولد زنا اسمه الكلب بن كنيس بن جابر بن قطن بن نهشل، وكان كنيس زنى بأمةٍ لزرارة يقال لها رشية، فولدت له الكلب ويربوعا، فطلبهم من زرارة فمنعه منهم، فلما مات طلبهم من أبيه لقيطٍ فمنعه؛ وقال لقيط في ذلك:

أفي نصف شهر ما صبرتم لحقنا ونحن صبرنا قبل ذاك سنينا

وهي أبيات. فتزوج الكلب الضراء أم الحطيئة؛ فهجاه الحطيئة وهجا أمه فقال:

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني وأبا بنيك فساءني في المجلس

إن الذليل لمن تزور ركابه رهط ابن جحشٍ في الخطوب الحوس

قبح الإله قبيلةً لم يمنعوا يوم المجيمر جارهم من فقعس

أبلغ بني جحش بأن نجارهم لؤم وأن أباهم كالهجرس

وقال الحطيئة يهجو أمه:

جزاك الله شراً من عجوزٍ ولقاك العقوق من البنين

فقد ملكت أمر بنيك حتى تركتهم أدق من الطحين

فإن تخلى وأمرك لا تصولي بمشتد قواه ولا متين

لسانك مبردٌ لا خير فيه ودرك در جاذبةٍ دهين

وقال يهجو أمه أيضاً:

تنحي فاجلسي مني بعيداً أراح الله منك العالمينا

أغر بالاً إذا استودعت سراً وكانوناً على المتحدثينا

حياتك ما علمت حياة سوءٍ وموتك قد يسر الصالحينا

كان هجاء دنىء النفس فاسد الدين

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: كان الحطيئة جشعاً سؤولاً ملحفاً، دنِء النفس، كثير الشر، قليل الخير، بخيلاً، قبيح المنظر، رث الهيئة، مغموز النسب، فاسد الدين، وما تشاء أن تقول في شعر شاعرٍ من عيبٍ إلا وجدته، وقلما تجد ذلك في شعره.

أخبرني ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: بخلاء العرب أربعةٌ: الحطيئة، وحميدٌ الأرقط، وأبو الأسود الدولي، وخالد بن صفوان.

أخبرنا ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال قال أبو عبيدة: كان الحطيئة بذياً هجاءٌ، فالتمس ذات يوم إنساناً يهجوه فلم يجده، وضاق عليه ذلك فأنشأ يقول:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلماً　　　بشر فما أدري لمن أنا قائله

وجعل يدهور هذا البيت في أشداقه ولا يرى إنساناً، إذ اطلع في ركي أو حوض فرأى وجهه فقال:

أرى لي وجها شوه الله خلقه　　　فقبح من وجهٍ وقبح حامله

قدم المدينة فجمعت له العطايا خوفاً منه نسخت من كتاب الحرمي بن أبي العلاء: حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال: قدم الحطيئة المدينة فأرصدت قريشٌ له العطايا خوفاً من شره، فقام في المسجد فصاح: من يحملني على بغلين.

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عبيدة والمدائني ومصعبٌ: كان الحطيئة سؤولاً جشعاً، فقدم المدينة وقد أرصدت له قريشٌ العطايا، والناس في سنةٍ مجدبةٍ وسخطةٍ من خليفة، فمشى أشراف أهل المدينة بعضهم إلى بعض، فقالوا: قد قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر، والشاعر يظن فيحقق، وهو يأتي الرجل من أشرافكم يسأله، فإن أعطاه جهد نفسه بهرها، وإن حرمه هجاه، فأجمع رأيهم على أن يجعلوا له شيئاً معدا يجمعونه بينهم له، فكان أهل البيت من قريش والأنصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين ديناراً حتى جمعوا له أربعمائة دينار، وظنوا أنهم قد أغنوه، فأتوه فقالوا له: هذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان، فأخذها؛ فظنوا أنهم قد كفوه عن المسئلة، فإذا هو يوم الجمعة قد استقبل الإمام ماثلاً ينادي: من يحملني على بغلين وقاه الله كبة جهنم.

متانة شعره

ووصف أبو عبيدة ومحمد بن سلام شعر الحطيئة فجمعت متفرق ما وصفاه به في هذا الخبر، أخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلام وابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قالا: طلب من كعب بن زهير أن يقول شعراً يضعه فيه بعده فقال، وهجاه لذلك مزرد بن ضرار كان الحطيئة متين الشعر، شرود القافية، وكان دنِء النفس، وما تشاء أن تطعن في عشر شاعر إلا وجدت فيه مطعناً، وما أقل ما تجد ذلك في شعره. قالا: فبلغ من دناءة نفسه أنه أتى كعب بن زهير - وكان الحطيئة راوية زهير وآل زهير - فقال له: قد علمت روايتي لكم أهل البيت

وانقطاعي إليكم، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك! - وقال أبو عبيدة: تبدأ بنفسك فيه ثم تثني بي - فإن الناس لأشعاركم أروى وإليها أسرع! فقال كعب:

فمن للقوافي شانها من يحوكها إذا ما ثوى كعبٌ وفور جرول

كفيتك لا تلقى من الناس واحداً تنخل منها مثل ما نتنخل

نقول فلا نعيا بشيءٍ نقوله ومن قائليها من يسيء ويجمل

نثقفها حتى تلين متونها فيقصر عنها كل ما يتمثل

قال: فاعترضه مزرد بن ضرار، واسمه يزيد وهو أخو الشماخ، وكان عريضاً أي شديد العارضة كثيرها، فقال:

باستك إذ خلفتني خلف شاعرٍ من الناس لم أكفيء ولم أتنخل

فإن تخشبا أخشب وإن تتنخلا وإن كنت أفتى منكما أتنخل

فلست كحسان الحسام ابن ثابتٍ ولست كشماخٍ ولا كالمخبل

أنشد عمر شعراً هجا به قومه

ومدح إبله

نسخت من كتاب الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن الضحاك قال: أنشد الحطيئة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدةً نال فيها من قومه ومدح إبله فقال:

مهاريس يروي رسلها ضيف أهلها إذا الريح أبدت أوجه الخفرات

يزيل القتاد جذبها بأصوله إذا أصبحت مقورةً خرصات

دخوله حفل سعيد بن العاص

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن التوزي عن أبي عبيدة قال: بينا سعيد بن العاص يعشي الناس بالمدينة والناس يخرجون أولاً أولاً، إذ نظر على بساطه إلى رجل قبيح المنظر، رث الهيئة، جالسٍ مع أصحاب سمره، فذهب الشرط يقيمونه فأبى أن يقوم، وحانت من سعيدٍ التفاتةٌ فقال: دعوا الرجل، فتركوه؛ وخاضوا في أحاديث العرب وأشعاره ملياً؛ فقال لهم الحطيئة: والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب؛ فقال له سعيد: أتعرف من ذلك شيئاً؟ قال: نعم؛ قال: فمن أشعر العرب؟ قال: الذي يقول:

لا أعد الإقتار عدماً ولكن فقد من قد رزئته الإعدام

وأنشدها حتى أتى عليها؛ فقال له: من يقولها؟ قال: أبو داودٍ الإيادي؛ قال: ثم من؟ قال: الذي يقول:

أفلح بما شئت فقد يدرك بال		جهل وقد يخدع الأريب

ثم أنشدها حتى فرغ منها؛ قال: ومن يقولها؟ قال عبيد بن الأبرص؛ قال: ثم من؟ قال: والله لحسبك بي عند رغبةٍ أو رهبةٍ إذا رفعت إحدى رجلي على الأخرى ثم عويت في أثر القوافي عواء الفصيل الصادي؛ قال: ومن أنت؟ قال: الحطيئة؛ قال: فرحب به سعيد، ثم قال: أسأت بكتماننا نفسك منذ الليلة؛ ووصله وكساه.

خبره مع عتيبة بن النهاس

ومضى لوجهه إلى عتيبة بن النهاس العجلي فسأله؛ فقال له: ما أنا على عملٍ فأعطيك من عدده، ولا في مالي فضل عن قومي؛ قال له: فلا عليك، وانصرف. فقال له بعض قومه: لقد عرضتنا ونفسك للشر! قال: وكيف! قالوا: هذا الحطيئة وهو هاجينا أخبث هجاء؛ فقال ردوه: فردوه إليه، فقال له: لم كتمتنا نفسك كأنك كنت تطلب العلل علينا! اجلس فلك عندنا ما يسرك؛ فجلس فقال له: من أشعر الناس؟ قال: الذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه		يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

فقال له عتيبة: إن هذا من مقدمات أفاعيك؛ ثم قال لوكيله: اذهب معه إلى السوق فلا يطلب شيئاً إلا اشتريته له؛ فجعل يعرض عليه الخز ورقيق الثياب فلا يريدها ويومىء إلى الكرابيس والأكسية الغلاظ فيشتريها له حتى قضى أربه ثم مضى؛ فلما جلس عتيبة في نادي قومه أقبل الحطيئة، فلما رآه عتيبة قال: هذا مقام العائذ بك يا أبا مليكة من خيرك وشرك؛ قال: كنت قلت بيتين فاستمعهما ثم أنشأ يقول:

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلاً		فسيان لا ذم عليك ولا حمد

وأنت امرؤ لا الجود منك سجيةٌ		فتعطى ولا يعدي على النائل الوجد

ثم ركض فرسه فذهب.

ليس في شعره مطعن

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد البوشنجي قالا حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني محمد بن عمرو الجرجرائي عن أبي صفوان الأحوزي قال: ما من أحدٍ إلا لو أشاء أن أجد في شعره مطعناً لوجدته إلا الحطيئة.
قول إسحاق أنه أشعر الشعراء بعد زهير

وفتيان صدقٍ من عدي عليهم		صفائح بصرى علقت بالعواتق

إذا ما دعوا لم يسألوا من دعاهم		ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافق

وطاروا إلى الجرد العتاق فألجموا		وشدوا على أوساطهم بالمناطق

أولئك آباء الغريب وغاثة الص ريخ ومأوى المرملين الدرادق

أحلوا حياض الموت فوق جباههم مكان النواصي من وجوه السوابق

ويروى:

إذا استلحموا... وإذا ركبوا لم ينظروا عن شمالهم

ويروى: أولئك أبناء العزيف - ثم قال: أما إني ما أزعم أن أحداً بعد زهير أشعر من الحطيئة.

وافقه ابن ميادة في شطر فعرف أنه شاعر أخبرني الحسين بن يحيى حماد بن إسحاق عن أبيه قال: بلغني أنه لما قال ابن ميادة:

تمشي به ظلمانه وجآذره

قيل له: قد سبقك الحطيئة إلى هذا، فقال: والله ما علمت أن الحطيئة قال هذا قط، والآن علمت والله أني شاعر حين واطأت الحطيئة.

شعره وقول الأصمعي أفسده بالهجاء قال حماد: قال أبي: وقال لي الأصمعي وقد أنشدني شيئاً من شعر الحطيئة: أفسد مثل هذا الشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع.

سئل من أشعر الناس فأخرج لسانه يعني نفسه قال حماد: قال أبي: وبلغني عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه قال: لقيت الحطيئة بذات عرقٍ فقلت له: يا أبا مليكة، من أشعر الناس؟ فأخرج لسانه كأنه لسان الحية ثم قال: هذا إذا طمع.

قابل حسان متنكراً وسمع من شعره ونسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير قال حدثني يحيى بن محمد بن طلحة وكان قد قارب ثمانين سنة قال: أخبرني بعض أشياخنا أن أعرابياً وقف على حسان بن ثابت وهو ينشد، فقال له حسان: كيف تسمع يا أعرابي؟ قال: ما أسمع بأساً؛ قال حسان: أما تسمعون إلى الأعرابي! ما كنيتك أيها الرجل؟ قال: أبو مليكة، قال: ما كنت قط أهون علي منك حين أكتنيت بامرأة، فما اسمك؟ قال: الحطيئة، فأطرق حسان ثم قال له: امض بسلام.

كان بخيلاً يطرد أضيافه

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني قال: مر ابن الحمامة بالحطيئة وهو جالس بفناء بيته، فقال: السلام عليكم؛ فقال: قلت ما لا ينكر؛ قال: إني خرجت من عند أهلي بغير زاد؛ فقال: ما ضمنت لأهلك قراك؛ قال: أفتأذن لي أن آتي ظل بيتك فأتفيأ به؟ قال: دونك الجبل يفيء عليك؛ قال: أنا ابن الحمامة؛ قال: انصرف وكن ابن أي طائر شئت.

وأخبرنا بهذا الخبر اليزيدي عن الخزاز عن المدائني فحكى ما ذكرناه من قول الحطيئة عن أبي الأسود الدؤلي.

وأخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة والمدائني قالا: أتى رجلٌ الحطيئة وهو في غنم له فقال له: يا صاحب الغنم، فرفع الحطيئة العصا وقال: إنها عجراء من سلم؛ فقال الرجل: إني ضيف؛ فقال: للضيفان أعددتها، فانصرف عنه. قال إسحاق: وقال غيرهما: إن الرجل قال له: السلام عليكم؛ فقال له: عجراء من سلم؛ فقال: السلام عليكم؛ فقال: أعددتها للطراق؛ فأعاد السلام فقال له: إن شئت قمت بها إليك؛ فانصرف الرجل عنه.

كان يقول إنما أنا حسب موضوع

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال: زعم الجاحظ أن الحطيئة كان يقول: إنما أنا حسبٌ موضوعٌ؛ فسمع عمرو بن عبيد رجلاً يحكي ذلك عنه يقال له عبد الرحمن بن صديقة، فقال عمرو: كذب ترحه الله إنما ذلك التقوى.

هجاؤه أضيافه وقد ضافه صخر بن أعيى فتهاجيا

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال الأصمعي: لم يترل ضيفٌ قط بالحطيئة إلا هجاه، فترل به رجلٌ من بني أسد لم يسمه الأصمعي، وذكر أبو عبيدة أنه صخر بن أعيى الأسدي أحد بني أعيى ابن طريف بن عمرو بن قعينٍ، فسقاه شربةً من لبنٍ، فلما شربها قال:

لما رأيت أن من يبتغي القرى ... وأن ابن أعيى لا محالةً فاضحي
شددت حيازيم ابن أعيى بشربةٍ ... على ظمأ سدت أصول الجوانح

وروى الأصمعي شدت بالشين المعجمة.

ولم أك مثل الكاهلي وعرسه ... بغى الود من مطروفة العين طامح
غدا باغياً يبغي رضاها وودها ... وغابت له غيب امرىء غير ناصح
دعت ربها ألا يزال بفاقةٍ ... ولا يغتدي إلا على حد بارح

قال فأجابه صخر بن أعيى فقال:

ألا قبح الحطيئة إنه ... على كل ضيف ضافه هو سالح
دفعت إليه وهو يخنق كلبه ... ألا كل كلبٍ لا أبا لك نابح
بكيت على مذقٍ خبيثٍ قريته ... ألا كل عبسي على الزاد شائح

قال أبو عبيدة وهجا الحطيئة أيضاً رجلاً من أضيافه فقال:

وسلم مرتين فقلت مهلاً ... كفتك المرة الأولى السلاما

ونقنق بطنه ودعا رؤاساً لما قد نال من شبع وناما

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام عن يونس أن الحطيئة خرج في سفر له ومعه امرأته أمامة وابنته مليكة، فترل مترلاً وسرح ذوداً له ثلاثاً، فلما قام للرواح فقد إحداها فقال:

أذئب القفر أم ذئبٌ أنيسٌ أصاب البكر أم حدث الليالي

ونحن ثلاثةٌ وثلاث ذودٍ لقد جار الزمان على عيالي

أخبرني محمد بن خلف وكيع والحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد عن أبيه قال قال أبو عمرو بن العلاء: لم تقل العرب بيتاً قط أصدق من بيت الحطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

فقيل له: فقول طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فقال: من يأتيك بها ممن زودت أكثر، وليس بيتٌ مما قالته الشعراء إلا وفيه مطعنٌ إلا قول الحطيئة:

لا يذهب العرف بين الله والناس

قال إسحاق قال المدائني قال سلم بن قتيبة: ما أعلم قافيةً تستغني عن صدرها وتدل عليه وإن لم ينشد مثل قول الحطيئة:

لا يذهب العرف بين الله والناس

كتب له الأصمعي أربعين قصيدة في ليلة

أخبرني محمد بن الحسن بن دريدٍ قال حدثنا الرياشي قال سمعت الأصمعي يقول: كتبت للحطيئة في ليلةٍ أربعين قصيدةً.

قوله لا يذهب العرف مكتوب في التوراة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة قال: بلغني أن هذا البيت في التوراة، ذكره غير واحد عن أبي بن كعب. يعني قول الحطيئة:

لا يذهب العرف بين الله والناس

قال إسحاق وذكر عبد الله بن مروان عن أيوب بن عثمان الدمشقي عن عثمان بن أبي عائشة قال: سمع كعبٌ الحبر رجلاً ينشد بيت الحطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه | لا يذهب العرف بين الله والناس

فقال: والذي نفسي بيده إن هذا البيت لمكتوبٌ في التوراة. قال إسحاق قال العمري: والذي صح عندنا في التوراة "لا يذهب العرف بين الله والعباد".

أوصى ابن شداد ابنه محمداً بشعره

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال قال أبو عدنان: لما حضرت عبيد الله ابن شداد الوفاة دعا ابنه محمداً فأوصاه وقال له: يا بني أرى داعي الموت لا يقلع، وبحق أن من مضى لا يرجع، ومن بقي فإليه يترع. يا بني، ليكن أولى الأمور بك تقوى الله في السر والعلانية، والشكر لله، وصدق الحديث والنية، فإن للشكر مزيداً، والتقوى خير زادٍ، كما قال الحطيئة:

ولست أرى السعادة جمع مال | ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخراً | وعند الله للأتقى مزيد
وما لابد أن يأتي قريبٌ | ولكن الذي يمضي بعيد

مدحه أبا موسى الأشعري

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال: قدم حمادٌ الراوية البصرة على بلال بن أبي بردة وهو عليها؛ فقال له: ما أطرفتني شيئاً يا حماد؛ قال: بلى، ثم عاد إليه فأنشده للحطيئة في أبي موسى الأشعري يمدحه:

جمعت من عامرٍ فيه ومن جشمٍ | ومن تميم ومن حاءٍ ومن حام
مستحقباتٍ رواياها جحافلها | يسمو بها أشعري طرفه سامي

فقال له بلال: ويحك! أيمدح الحطيئة أبا موسى الأشعري وأنا أروي شعر الحطيئة كله فلا أعرفها! ولكن أشعها تذهب في الناس.

وذكر المدائني أن الحطيئة قال هذه القصيدة في أبي موسى، وأنها صحيحة. قالها فيه وقد جمع جيشاً للغزو فأنشده:

جمعت من عامرٍ فيه ومن أسدٍ

وذكر البتين وبينهما هذا البيت وهو:

فما رضيتهم حتى رفدتهم | بوائلٍ رهط ذي الجدين بسطام

فوصله أبو موسى؛ فكتب إليه عمر رضي الله عنه يلومه على ذلك؛ فكتب إليه: إني اشتريت عرضي منه بها؛ فكتب إليه عمر: إن كان هذا هكذا وإنما فديت عرضك من لسانه و لم تعطه للمدح والفخر فقد أحسنت. ولما ولي بلال ابن أبي بردة أنشده إياها حمادٌ الراوية فوصله أيضاً.

كذبه عمر في بيت قاله

ونسخت من كتاب لحماد بن إسحاق حدثني به أبي وأخبرني به عمي عن الكراني عن الرياشي قال حدثني محمد بن الطفيل عن أبي بكر بن عياش عن الحارث بن عبد الرحمن بن مكحول قال: سبق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فرس له فجثا على ركبتيه وقال: "إنه لبحر"؛ قال عمر: كذب الحطيئة حيث يقول:

وإن جياد الخيل لا تستفزنا ... ولا جاعلات الريط فوق المعاصم

لو ترك هذا أحدٌ لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أراد سفراً فاستعطفته امرأته فرجع

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابي عبيدة أن الحطيئة أراد سفراً فأتته امرأته وقد قدمت راحلته ليركب، فقال:

أذكر تحنننا إليك وشوقنا ... واذكر بناتك إنهن صغار

فقال: حطوا، لا رحلت لسفرٍ أبداً.

رؤية صاحب الحطيئة الجني

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي ومحمد بن الحسن بن دريد قالا حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن أبيه قال: قال رجل: ضفت قوماً في سفر وقد ضللت الطريق، فجاءوني بطعام أجد طعمه في فمي وثقله في بطني، ثم قال شيخ منهم لشاب: أنشد عمك؛ فأنشدني:

عفا من سليمى مسحلان فحامره ... تمشى به ظلمانه وجآذره

فقلت له: أليس هذا للحطيئة؟ فقال: بلى، وأنا صاحبه من الجن.

ابن شبرمة يستجيد شعره

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قال ابن عيينة: سمعت ابن شبرمة يقول: أنا والله أعلم بجيد الشعر، لقد أحسن الحطيئة حيث يقول:

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا

وإن قال مولاهم على جل حادثٍ من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا

قال: وقال الأصمعي وقد سأله أبو عدنان عن هذا البيت: ما واحد البنى، قال: بنيه؛ فقال له: أتجمع فعلة على فعل؟ قال: نعم مثل رشوة ورشىً وحبوة وحبىً.

نزوله على بني مقلد بن يربوع

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن أحمد بن صدقة الأنباري قال حدثنا ابن الأعرابي عن المفضل: أن الحطيئة أقحمته السنة، فنزل ببني مقلد بن يربوع، فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا: إن هذا الرجل لا يسلم أحدٌ من لسانه، فتعالوا حتى نسأله عما يحب فنفعله وعما يكره فنجتنبه؛ فأتوه فقالوا له: يا أبا مليكة، إنك اخترتنا على سائر العرب ووجب حقك علينا، فمرنا بما تحب أن نفعله وبما تحب أن ننتهي عنه؛ فقال: لا تكثروا زيارتي فتملوني، ولا تقطعوها فتوحشوني، ولا تجعلوا فناء بيتي مجلساً لكم، ولا تسمعوا بناتي غناء شبانكم، فإن الغناء رقية الزنا. قال: فأقام عندهم. وجمع كل رجل منهم ولده وقال: أمكم الطلاق، لئن تغنى أحد منكم والحطيئة مقيمٌ بين أظهرنا لأضربنه ضربةً بسيفي أخذت منه ما أخذت. فلم يزل مقيماً فيما يرضى حتى انجلت عنه السنة، فارتحل وهو يقول:

جاورت آل مقلدٍ فحمدتهم إذ ليس كل أخي جوارٍ يحمد

أيام من يرد الصنيعة يصطنع فينا ومن يرد الزهادة يزهد

خبره مع الزبرقان وسبب هجائه إياه

فأما خبره مع الزبرقان بن بدر والسبب في هجائه إياه، فأخبرني به أبو خليفة عن محمد بن سلام ولم يتجاوزه به، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام عن يونس، وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة، وأخبرني اليزيدي عن عمه عبيد الله عن أبي حبيب عن ابن الأعرابي وقد جمعت رواياتهم وضممت بعضها إلى بعض:

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ولى الزبرقان بن بدر بن امرىء القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم عملاً، وذكر مثل ذلك الأصمعي، وقال: الزبرقان: القمر، والزبرقان: الرجل الخفيف اللحية. قال: وأقره أبو بكر رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم على عمله، ثم قدم على عمر في سنة مجدبة ليؤدي صدقات قومه، فلقيه الحطيئة بقرقرى ومعه ابناه أوسٌ وسوادة وبناته وامرأته؛ فقال له الزبرقان

وقد عرفه و لم يعرفه الحطيئة: أين تريد؟ قال: العراق، فقد حطمتنا هذه السنة؛ قال: وتصنع ماذا؟ قال وددت أن أصادف بها رجلاً يكفيني مؤونة عيالي وأصفيه مدحي أبداً؛ فقال له الزبرقان: قد أصبته، فهل لك فيه يوسعك لبناً وتمراً ويجاورك أحسن جوار وأكرمه؟ فقال له الحطيئة: هذا وأبيك العيش، وما كنت أرجو هذا كله؛ قال: فقد أصبته؛ قال: عند من؟ قال: عندي؛ قال: ومن أنت؟ قال: الزبرقان بن بدر؛ قال وأين محلك؟ قال: اركب هذه الإبل، واستقبل مطلع الشمس، وسل عن القمر حتى تأتي منزلي. قال يونس: وكان اسم الزبرقان الحصين بن بدر، وإنما سمي الزبرقان لحسنه، شبه القمر. وقيل: بل لبس عمامةً مزبرقةً بالزعفران فسمي الزبرقان لذلك. وقال أبو عبيدة في خبره: فقال له: سر إلى أم شذرة وهي أم الزبرقان وهي أيضاً عمة الفرزدق، وكتب إليها أن أحسني إليه، وأكثري له من التمر واللبن. وقال آخرون: بل وكله إلى زوجته. فلحق الحطيئة بزوجته على رواية ابن سلام، وهي بنت صعصعة بن ناجية المجاشعية، واسمها هنيدة، وعلى رواية أبي عبيدة: أنها أمه، وذلك في عامٍ صعبٍ مجدب، فأكرمته المرأة وأحسنت إليه؛ فبلغ ذلك بغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن جعفر وهو أنف الناقة بن قريع بن عوف "بن كعب" بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وبلغ إخوته وبني عمه فاغتنموها. وفي خبر اليزيدي عن عمه قال ابن حبيب عن ابن الأعرابي: وكانوا يغضبون من أنف الناقة، وإنما سمي جعفرٌ أنف الناقة لأن أباه قريعاً نحر ناقةً فقسمها بين نسائه، فبعثت جعفراً هذا أمه، وهي الشموس من وائل ثم من سعد هذيم، فأتى أباه و لم يبق من الناقة إلا رأسها وعنقها، فقال: شأنك بهذا؛ فأدخل يده في أنفها وجر ما أعطاه؛ فسمي أنف الناقة. وكان ذلك كاللقب لهم حتى مدحهم الحطيئة، فقال:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ... ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا

فصار بعد ذلك فخراً لهم ومدحاً، وكانوا ينازعون الزبرقان الشرف - يعني بغيضاً وإخوته وأهله - وكانوا أشرف من الزبرقان، إلا أنه قد كان استعلاهم بنفسه. وقال أبو عبيدة في خبره: كان الحطيئة دميماً سيء الخلق، لا تأخذه العين، ومعه عيال كذلك. فلما رأت أم شذرة حاله هان عليها وقصرت به، ونظر بغيضٌ وبنو أنف الناقة إلى ما تصنع به أم شذرة، فأرسلوا إليه: أن ائتنا، فأبى عليهم وقال: إن من شأن النساء التقصير والغفلة، ولست بالذي أحمل على صاحبها ذنبها. فلما ألح عليه بنو أنف الناقة، وكان رسولهم إليه شماس بن لأي وعلقمة بن هوذة وبغيض بن شماس والمخبل الشاعر، قال لهم: لست بحامل على الرجل ذنب غيره، فإن تركت وجفيت تحولت إليكم؛ فأطعموه ووعدوه وعداً عظيماً. وقال ابن سلام في خبره: فلما لم يجبهم دسوا إلى هنيدة زوجة الزبرقان أن الزبرقان إنما يريد أن يتزوج ابنته مليكة؛ وكانت جميلةً كاملةً، فظهرت من المرأة للحطيئة جفوة وهي في ذاك تداريه. ثم أرادوا النجعة، قال أبو عبيدة: فقالت له أم شذرة - وقال ابن سلام: فقالت له هنيدة -: قد حضرت النجعة فاركب أنت وأهلك هذا الظهر إلى مكان كذا وكذا، ثم اردده إلينا حتى نلحقك فإنه لا يسعنا جميعاً؛ فأرسل إليها: بل تقدمي أنت فأنت أحق بذلك؛ ففعلت وتثاقلت عن ردها إليه وتركته يومين أو ثلاثةً،

وألح بنو أنف الناقة عليه وقالوا له: قد تركت بمضيعة. وكان أشدهم في ذلك قولاً بغيض بن شماس وعلقمة بن هوذة، وكان الزبرقان قد قال في علقمة:

لي ابن عمٍ لا يزا ... ل بعيني ويعين عائب

وأعينه في النائبا ... ت ولا يعين على النوائب

تسري عقاربه إل ... ى ولا تدب له عقارب

لاه ابن عمك لا يخا ... ف المحزنات من العواقب

قال: فكان علقمة ممتلئاً غيظاً عليه. فلما ألحوا على الحطيئة أجابهم وقال: أما الآن فنعم، أنا صائرٌ معكم. فتحمل معهم، فضربوا له قبةً، وربطوا بكل طنب من أطنابها جلة هجرية، وأراحوا عليه إبلهم، وأكثروا له من التمر واللبن، وأعطوه لقاحاً وكسوةً. قال: فلما قدم الزبرقان سأل عنه فأخبر بقصته، فنادى في بني بهدلة بن عرف، وهم لأم دون قريع، أمهم السفعاء بنت غنم بن قتيبة من باهلة. فركب الزبرقان فرسه، وأخذ رمحه، وسار حتى وقف على نادي بني شماس القريعيين، فقال: ردوا علي جاري؛ فقالوا: ما هو لك بجارٍ وقد اطرحته وضيعته؛ فألم أن يكون بين الحيين حربٌ، فحضرهم أهل الحجا من قومهم، فلاموا بغيضاً وقالوا: اردد على الرجل جاره؛ فقال: لست مخرجه وقد آويته، وهو رجل حر مالكٌ لأمره، فخيروه فإن اختارني لم أخرجه، وإن اختاره لم أكرهه. فخيروا الحطيئة فاختار بغيضاً ورهطه؛ فجاء الزبرقان ووقف عليه وقال له: أبا مليكة، أفارقت جواري عن سخط وذمٍ؟ قال: لا؛ فانصرف وتركه. هذه رواية ابن سلام، وأما أبو عبيدة فإنه ذكر أنه كان بين الزبرقان ومن معه من القريعيين تلاحٍ وتشاحٌ. وزعم غيرهما أن الزبرقان استعدى عمر بن الخطاب على بغيضٍ، فحكم عمر بأن يخرج الحطيئة حتى يقام في موضعٍ خالٍ بين الحيين وحده ويخلى سبيله، ويكون جار أيهما اختار؛ ففعل ذلك به، فاختار القريعيين. قال: وجعل الحطيئة يمدحهم من غير أن يهجو الزبرقان، وهم يحضونه على ذلك ويحرضونه فيأبى ويقول: لا ذنب للرجل عندي؛ حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النمر بن قاسط يقال له دثار بن شيبان، فهجا بغيضاً فقال:

أرى إبلي بجوف الماء حلت ... وأعوزها به الماء الرواء

وقد وردت مياه بني قريع ... فما وصلوا القرابة مذ أساءوا

تحلأ يوم ورد الناس إبلي ... وتصدر وهي محنقةٌ ظماء

ألم أك جار شماس بن لأيٍ ... فأسلمني وقد نزل البلاء

فقلت تحولي يا أم بكرٍ ... إلى حيث المكارم والعلاء

وجدنا بيت بهدلة بن عوفٍ ... تعالى سمكه ودجا الفناء

وما أضحى لشماس بن لأي قديمٌ في الفعال ولا رباء
سوى أن الحطيئة قال قولاً فهذا من مقالته جزاء

فحينئذ قال الحطيئة يهجو الزبرقان ويناضل عن بغيضٍ قصيدته التي يقول فيها:

والله ما معشرٌ لاموا امرأً جنباً في آل لأي بن شماس بأكياس
ما كان ذنب بغيضٍ لا أبا لكم في بائسٍ جاء يحدو آخر الناس
لقد مريتكم لو أن درتكم يوماً يجيىء بها مسحي وإبساسي
وقد مدحتكم عمداً لأرشدكم كيما يكون لكم متحي وإمراسي
لما بدا لي منكم غيب أنفسكم ولم يكن لجراحي فيكم آسي
أزمعت يأساً مبيناً من نوالكم ولن يرى طارداً للحر كالياس
جارٌ لقومٍ أطالوا هون منزله وغادروه مقيماً بين أرماس
ملوا قراه وهرته كلابهم وجرحوه بأنيابٍ وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
ما كان ذنبي أن فلت معاولكم من آل لأيٍ صفاةٌ أصلها راسي
قد ناضلوك فسلوا من كنائنهم مجداً تليداً ونبلاً غير أنكاس

- الجنب: الغريب. والإبساس: أن يسكنها عند الحلب. والماتح: المستقي الذي يجذب الدلو من فوق. والإمراس: أن يقع الحبل في جانب البكرة فيخرجه -.

استعدى الزبرقان عليه فحبسه فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب، فرفعه عمر إليه واستنشده فأنشده؛ فقال عمر لحسان: أتراه هجاه؟ قال: نعم وسلح عليه، فحبسه عمر:

فصل زياد بنحو ما فصل عمر

في أمر الزبرقان والحطيئة

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية عن أبي عبد الرحمن الطائي عن عبد الله بن عياش عن الشعبي قال: شهدت زياداً وأتاه عامر بن مسعود بأبي علاثة التيمي، فقال: إنه هجاني؛ قال: وما قال لك؟ قال قال:

وكيف أرجي ثروها ونماءها وقد سار فيها خصية الكلب عامر

فقال أبو علاثة: ليس هكذا قلت؛ قال: فكيف قلت؟ قال قلت:

وإني لأرجو ثروها ونماءها وقد سار فيها ناجذ الحق عامر

قال زيادٌ: قاتل الله الشاعر، ينقل لسانه كيف شاء، والله لولا أن تكون سنةً لقطعت لسانك! فقام قيس بن فهد الأنصاري فقال: أصلح الله الأمير، ما أدري من الرجل، فإن شئت حدثتك عن عمر بما سمعت منه - قال: وكان زيادٌ يعجبه الحديث عن عمر رضي الله عنه - قال: هاته، قال شهدته وأتاه الزبرقان بن بدر بالحطيئة فقال: إنه هجاني؛ قال ما قال لك؟ قال قال لي:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها وقاعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر: ما أسمع هجاءً ولكنها معاتبةٌ؛ فقال الزبرقان: أو ما تبلغ مروؤتي إلا أن آكل وألبس! فقال عمر: علي بحسان، فجيء به فسأله؛ فقال: لم يهجه ولكن سلح عليه - قال ويقال: إنه سأل لبيداً عن ذلك فقال: ما يسرني أنه لحقني من هذا الشعر ما لحقه وأن لي حمر النعم - فأمر به عمر فجعل في نقيرٍ في بئر ثم ألقي عليه شيء، فقال:

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرخٍ زغب الحواصل لا ماءٌ ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ فاغفر عليك سلام الله يا عمر

أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليد النهى البشر

لم يؤثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر

فأخرجه وقال له: إياك وهجاء الناس؛ قال: إذاً يموت عيالي جوعاً، هذا مكسبي ومنه معاشي؛ قال: فإياك والمقذع من القول؛ قال: وما المقذع؟ قال: أن تخاير بين الناس فتقول: فلان خيرٌ من فلان، وآل فلان خيرٌ من آل فلان؛ قال: فأنت والله أهجى مني. ثم قال: والله لولا أن تكون سنةً لقطعت لسانك، ولكن اذهب فأنت له، خذه يا زبرقان؛ فألقى الزبرقان في عنقه عمامةً فاقتاده بها؛ وعارضته غطفان فقالوا له: يا أبا شذرة، إخوتك وبنو عمك، هبه لنا؛ فوهبه لهم. فقال زيادٌ لعامر بن مسعود: قد سمعت ما روي عن عمر، وإنما هي السنن، فاذهب به فهو لك؛ فألقى في عنقه حبلاً أو عمامة، وعارضته بكر بن وائل فقالوا له: أخوالك وجيرانك؛ فوهبه لهم.

استعطف عمر بشعر فأطلقه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة: أن الحطيئة لما حبسه عمر قال وهو أول ما قاله:

أعوذ بجدك إني امرؤٌ سقتني الأعادي إليك السجالا

فإنك خيرٌ من الزبرقان أشد نكالاً وأرجى نوالا

تحنن علي هداك المليك فإن لكل مقامٍ مقالا

ولا تأخذني بقول الوشاة فإن لكل زمانٍ رجالا

فإن كان ما زعموا صادقاً فسيقت إليك نسائي رجالا

حواسر لا يشتكين الوجا يخفضن آلاً ويرفعن آلا

فلم يلتفت عمر إليه حتى قال أبياته التي أولها:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخٍ

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء ومحمد بن العباس اليزيدي وعمر بن عبد العزيز بن أحمد وطاهر بن عبد الله الهشامي قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن الضحاك بن عثمان الحزامي قال حدثني عبد الله بن مصعب عن ربيعة بن عثمان عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: أرسل عمر إلى الحطيئة وأنا جالس عنده وقد كلمه فيه عمرو بن العاص وغيره فأخرجه من السجن فأنشده قوله:

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرخٍ زغب الحواصل لا ماءٌ ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ فاغفر عليك سلام الله يا عمر

أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليد النهي البشر

لم يؤثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر

فامنن على صبيةٍ بالرمل مسكنهم بين الأباطح تغشاهم بها القرر

أهلي فداؤك كم بيني وبينهم من عرض داوية تعمى بها الخبر

- قال فبكى حين قال:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ

فقال عمرو بن العاص: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أعدل من رجلٍ يبكي على تركه الحطيئة - فقال عمر: علي بالكرسي، فأتي به، فجلس عليه ثم قال: أشيروا علي في الشاعر، فإنه يقول الهجر وينسب بالحرم ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم، ما أراني إلا قاطعاً لسانه، ثم قال: علي بالطست، فأتي بها، ثم قال: علي بالمخصف، علي بالسكين، لا بل علي بالموسى، فهو أوحى؛ فقالوا لا يعود يا أمير المؤمنين، فأشاروا إليه أن قل لا أعود؛ فقال: لا أعود يا أمير المؤمنين؛ فقال له: النجاء. قال: فلما ولى قال له عمر: يا حطيئة، كأني بك عند فتىً من قريش، قد بسط لك نمرقةً وكسر له أخرى وقال: غننا يا حطيئة فطفقت تغنيه بأعراض الناس. قال ابن

أسلم: فما انقضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبيد الله بن عمر قد بسط له نمرقةً وكسر له أخرى وقال: غننا يا حطيئة، فجعل يغنيه، فقلت له: يا حطيئة، أتذكر قول عمر؟ ففزع وقال: يرحم الله ذلك المرء، أما إنه لو كان حياً ما فعلت. قال: وقلت لعبيد الله: سمعت أباك يقول كذا وكذا فكنت أنت ذلك الرجل.

اشترى منه عمر أعراض المسلمين وروي عن عبد الله بن المبارك أن عمر رضي الله عنه لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكد عليه الحجة فاشترى منه أعراض المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم؛ فقال الحطيئة في ذلك:

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع شتماً يضر ولا مديحاً ينفع

وحميتني عرض اللئيم فلم يخف دمي وأصبح آمناً لا يفزع

شفاعة ابن عوف له عند عمر أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن نافع بن أبي نعيم: أن عبد الرحمن بن عوف هو الذي استرضى عمر بن الخطاب وكلمه في أمر الحطيئة حتى أخرجه من السجن. قال حماد وأخبرني أبي عن أبي عبيدة أن عمر رضي الله عنه لما أطلقه قال الشاعر النمري الذي كان الزبرقان حمله على هجاء بغيضٍ:

دعاني الأثبجان ابناً بغيضٍ وأهلي بالعلاة فمنياني

وقالوا سر بأهلك فأتينا إلى حب وأنعامٍ سمان

فسرت إليهم عشرين شهراً وأربعةً فذلك حجتان

فلما أن أتيت ابني بغيضٍ وأسلمني بدائي الداعيان

يبيت الذئب والعثواء ضيفاً لنا بالليل بئس الضائفان

أمارس منهما ليلاً طويلاً أهجهج عن بني ويعروان

تقول حليلتي لما اشتكينا سيدركنا بنو القرم الهجان

سيدركنا بنو القمر بن بدرٍ سراج الليل للشمس الحصان

فقلت ادعي وأدعو إن أندى لصوتٍ أن ينادي داعيان

فمن يك سائلاً عني فإني أنا النمري جار الزبرقان

طريد عشيرةٍ وطريد حربٍ بما اجترمت يدي وجنى لساني

كأني إذ نزلت به طريداً نزلت على الممنع من أبان

أتيت الزبرقان فلم يضعني وضيعني بتريم من دعاني

مكثه في بني قريع

إلى أن أخصبوا وأجازوه فرحل عنهم ومدحهم

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال: لم يزل الحطيئة في بني قريع يمدحهم حتى إذا أحيوا قال لبغيضٍ: ف لي بما كنت تضمنت؛ فأتى بغيضٌ علقمة بن هوذة فقال له: قد جاء الله بالحيا، فف لي بما قلت - وكان قد ضمن له مائة بعير - وأبرئني مما تضمنته عهدتي؛ فقال: نعم، سل في بني قريع فمهما فضل بعد عطائهم أن يتم مائةً أتممته، ففعل فجمعوا له أربعين أو خمسين بعيراً، كان الرجل يعطيه على قدر ماله البعير والبعيرين؛ قال: فأتمها علقمة له مائةً وراعيين فدفعت إليه فلم يزل يمدحهم وهو مقيم بينهم حتى قال كلمته السينية واستعدى الزبرقان عليه عمر رضي الله عنه. فلما رحل عنهم قال:

لا يبعد الله إذ ودعت أرضهم ... أخي بغيضاً ولكن غيره بعدا

لا يبعد الله من يعطي الجزيل ومن ... يحبو الجليل وما أكدي ولا نكدا

ومن تلاقيه بالمعروف مبتهجاً ... إذا اجرهد صفا المذموم أو صلدا

لاقيته ثلجاً تندى أنامله ... أن يعطك اليوم لا يمنعك ذاك غدا

إني لرافده ودي ومنصرتي ... وحافظٌ غيبه إن غاب أو شهدا

سؤاله ابن عباس في هجاء الناس

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن دأب عن عبد الله بن عياش المنتوف قال: بينا ابن عباس جالسٌ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كف بصره وحوله ناسٌ من قريش، إذ أقبل أعرابي يخطر وعليه مطرف وجبة وعمامة خز، حتى سلم على القوم فردوا عليه السلام، فقال: يابن عم رسول الله، أفتني؛ قال: فيماذا؟ قال أتخاف علي جناحاً إن ظلمني رجل فظلمته وشتمني فشتمته وقصر بي فقصرت به؟ فقال: العفو خير، ومن انتصر فلا جناح عليه؛ فقال: يابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت امرأ أتاني فوعدني وغرني ومناني ثم أخلفني واستخف بحرمتي، أيسعني أن أهجوه؟ قال: لا يصلح الهجاء، لأنه لابد لك من أن تهجو غيره من عشيرته فتظلم من لم يظلمك، وتشتم من لم يشتمك، وتبغي على من لم يبغ عليك، والبغي مرتعٌ وخيم، وفي العفو ما قد علمت من الفضل؛ قال: صدقت وبررت؛ فلم ينشب أن أقبل عبد الرحمن بن سيحان المحاربي حليف قريش، فلما رأى الأعرابي أجله وأعظمه وألطف في مسئلته، وقال: قرب الله دارك يا أبا مليكة، فقال ابن عباس: أجرول؟ قال: جرول؛ فإذا هو الحطيئة، فقال ابن عباس: لله أنت! أي مردي قذافٍ، وذائدٍ عن عشيرةٍ، ومثنٍ بعارفة تؤتاها أنت يا أبا مليكة! والله لو كنت عركت بجنبك بعض ما كرهت من أمر الزبرقان كان خيراً لك، ولقد ظلمت من قومه من لم يظلمك، وشتمت

من لم يشتمك؛ قال: إني والله بهم يا أبا العباس لعالم؛ قال ما أنت بأعلم بهم من غيرك؛ قال: بلى والله! يرحمك الله! ثم أنشأ يقول:

أنا ابن بجدتهم علماً وتجربةً فسل بسعدٍ تجدني أعلم الناس

سعد بن زيد كثيرٌ إن عددتهم ورأس سعد بن زيد آل شماس

والزبرقان ذناباهم وشرهم ليس الذنابى أبا العباس كالراس

فقال ابن عباس: اقسمت عليك ألا تقول إلا خيراً، قال: أفعل. ثم قال ابن عباس: يا أبا مليكة، من أشعر الناس؟ قال: أمن الماضين أم من الباقين؟ قال: من الماضين؛ قال: الذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

وما بدونه الذي يقول:

ولست بمستبقٍ أخاً لا تلمه على شعثٍ أي الرجال المهذب

ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرولاً - يعني نفسه - والله يابن عم رسول الله لولا الطمع والجشع لكنت أشعر الماضين، فأما الباقون فلا تشك أني أشعرهم وأصردهم سهماً إذا رميت.

الزبرقان وبنو أنف الناقة

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: روي لنا عن أبي عبيدة والهيثم بن عدي وغيرهما: أن عبد الله بن أبي ربيعة لما قدم من البحرين نزل على الزبرقان بن بدر بمائه فحلأه وهو الماء الذي يقال له بنيان، فترل على بني أنف الناقة بمائهم وهو الذي يقال له وشيع، فأكرموه وذبحوا له شاةً وقالوا: لو كانت إبلنا منا قريبةً لنحرنا لك؛ فراح من عندهم يتغنى فيهم بقوله:

وما الزبرقان يوم يمنع ماءه بمحتسب التقوى ولا متوكل

مقيمٌ على بنيان يمنع ماءه وماء وشيعٍ ماء ظمآن مرمل

قال: فركب الزبرقان إلى عمر رضي الله عنه فاستعداه على عبد الله وقال: إنه هجاني يا أمير المؤمنين؛ فسأل عمر عن ذلك عبد الله؛ فقال له: يا أمير المؤمنين، إني نزلت على مائه فحلأني عنه؛ فقال عمر رضوان الله عليه: يا زبرقان، أتمنع ماءك من ابن السبيل! قال: يا أمير المؤمنين ألا أمنع ماءً حفر آبائي مجاريه ومستقره وحفرته أنا بيدي! فقال عمر: والذي نفسي بيده، لئن بلغني أنك منعت ماءك من أبناء السبيل لا ساكنتني بنجد أبداً! فقال بعض بني أنف الناقة يعير الزبرقان ما فعله:

أتدري من منعت ورود حوضٍ سليل خضارمٍ منعوا البطاحا

أزاد الركب تمنع أم هشاماً — وذا الرمحين أمنعهم سلاحا
هم منعوا الأباطح دون فهرٍ — ومن بالخيف والبدن اللقاحا
بضربٍ دون بيضتهم طلخفٍ — إذ الملهوف لاذ بهم وصاحا
وما تدري بأيهم تلاقي — صدور المشرفية والرماحا

وصيته عند موته بالشعراء والفقراء

وللحطيئة وصيةٌ ظريفة يأتي كل فريق من الرواة ببعضها، وقد جمعت ما وقع إلي منها في موضع واحد وصدرت بأسانيدها.

أخبرني بها محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ قال حدثنا عيينة بن المنهال عن الأصمعي، وأخبرني بها أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، ونسختها من كتاب محمد بن الليث عن محمد بن عبد الله العبدي عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عبد الرحمن "ابن أبي عمرة" عن أبيه، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة، وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قالوا: لما حضرت الحطيئة الوفاة اجتمع إليه قومه فقالوا: يا أبا مليكة: أوص فقال: ويلٌ للشعر من راوية السوء؛ قالوا: أوص رحمك الله يا حطيء؛ قال: من الذي يقول:

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت — ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز؟

قالوا: الشماخ؛ قال: أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب؛ قالوا: ويحك! أهذه وصيةٌ! أوص بما ينفعك! قال: أبلغوا أهل ضابىءٍ أنه شاعرٌ حيث يقول:

لكل جديدٌ لذةٌ غير أنني — رأيت جديد الموت غير لذيذ

قالوا: أوص ويحك بما ينفعك! قال: أبلغوا أهل امرىء القيس أنه أشعر العرب حيث يقول:

فيا لك من ليلٍ كأن نجومه — بكل مغار الفتل شدت بيذبل

قالوا: اتق الله ودع عنك هذا؛ قال: أبلغوا الأنصار أن صاحبهم أشعر العرب حيث يقول:

يغشون حتى ما تهر كلابهم — لا يسألون عن السواد المقبل

قالوا: هذا لا يغني عنك شيئاً، فقل غير ما أنت فيه؛ فقال:

الشعر صعبٌ وطويلٌ سلمه — إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه — يريد أن يعربه فيعجمه

قالوا: هذا مثل الذي كنت فيه؛ فقال:

قد كنت أحياناً شديد المعتمد وكنت ذا غربٍ على الخصم ألد

فوردت نفسي وما كادت ترد

قالوا: يا أبا مليكة، ألك حاجة؟ قال: لا والله، ولكن أجزع على المديح الجيد يمدح به من ليس له أهلاً. قالوا: فمن أشعر الناس؟ فأومأ بيده إلى فيه وقال: هذا الحجير إذا طمع في خير "يعني فمه" واستعبر باكياً؛ فقالوا له: قل لا إله إلا الله؛ فقال:

قالت وفيها حيدةٌ وذعر عوذٌ بربي منكم وحجر

فقالوا له: ما تقول في عبيدك وإمائك؟ فقال: هم عبيدٌ قن ما عاقب الليل النهار؛ قالوا: فأوص للفقراء بشيء؛ قال: أوصيهم بالإلحاح في المسئلة فإنها تجارةٌ لا تبور، واست المسئول أضيق.

قالوا: فما تقول في مالك؟ قال: للأنثى من ولدي مثل حظ الذكر؛ قالوا: ليس هكذا قضى الله جل وعز لهن؛ قال: لكني هكذا قضيت.

قالوا: فما توصي لليتامى؟ قال: كلوا أموالهم ونيكوا أمهاتهم؛ قالوا: فهل شيء تعهد فيه غير هذا؟ قال: نعم، تحملوني على أتانٍ وتتركوني راكبها حتى أموت فإن الكريم لا يموت على فراشه، والأتان مركبٌ لم يمت عليه كريمٌ قط؛ فحملوه على أتان وجعلوا يذهبون به ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول:

لا أحدٌ ألأم من حطيه هجا بنيه وهجا المريه

من لؤمه مات على فريه

والفرية: الأتان.

الغناء في شعر الحطيئة

ذكر ما غني فيه من القصائد التي مدح بها الحطيئة بغيضاً وقومه وهجا الزبرقان وقومه منها:

صوت

ألا طرقتنا بعد ما هجعوا هند وقد جزن غوراً واستبان لنا نجد

وإن التي نكبتها عن معاشرٍ علي غضابٍ أن صددت كما صدوا

الغناء لعلويه ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو، وهذه القصيدة التي يقول فيها:

أتت آل شماس بن لأيٍ وإنما أتاهم بها الأحلام والحسب العد

فإن الشقي من تعادي صدورهم وذو الجد من لانوا إليه ومن ودوا
يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها فإن غضبوا جاء الحفيظة والجد
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا
أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنى وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النعمى عليهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وإن قال مولاهم على جل حادثٍ من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا
مطاعين في الهيجا مكاشيف للدجى بنى لهم آباؤهم وبنى الجد

ومنها:

صوت

وأدماء حرجوجٍ تعاللت موهناً بسوطي فارمدت نجاء الخفيدد
إذا آنست وقعاً من السئوط عارضت به الجور حتى يستقيم ضحى الغد
وتشرب بالقعب الصغير وإن تقد بمشفرها يوماً إلى الحوض تنقد

الموهن: وقتٌ من الليل بعد مضي صدرٍ منه. وارمدت: نجت، والارمداد: النجاء. والخفيدد: الظليم.

الغناء لابن محرز خفيف رملٍ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر الهشامي: أن فيه لإبراهيم خفيف رملٍ آخر، وهو في جامع إبراهيم غير مجنس. وفيه خفيف ثقيل مجهول، وذكر حبشٌ: أنه لمعبد؛ ويشبه أن يكون ليحيى المكي.

عده بعضهم أشعر الناس

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إبراهيم بن المنذر عن ابن عباية عن محمد بن مسلم الجوسق عن رجل من كعب قال: جئت سوق الظهر فإذا بكثير، وإذا الناس متقصفون عليه، فتخلصت حتى دنوت منه فقلت: أبا صخر؛ قال: ما تشاء؟ قلت: من أشعر الناس؟ قال: الذي يقول:

وآثرت إدلاجي على ليل حرةٍ هضيم الحشا حسانة المتجرد
تفرق بالمدرى أثيثاً نباته على واضح الذفرى أسيل المقلد

قال: قلت: هذا الحطيئة؟ قال: هو ذاك.

كذبه سيدنا عمر في شعر له

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني عن علي ابن مجاهد عن هشام بن عروة: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنشد قول الحطيئة:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد نارٍ عندها خير موقد

فقال عمر: كذب، بل تلك نار موسى نبي الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية: أن رجلاً دخل على الحطيئة، وهو مضطجع على فراشه وإلى جانبه سوداء قد أخرجت رجلها من تحت الكساء، فقال له: ويحك! أفي رجلك خف؟ قال: لا والله ولكنها رجل سوداء، أتدري من هي؟ قال: لا؛ قال: هي والله التي أقول فيها:

وآثرت إدلاجي على ليل حرةٍ

- وذكر البيتين - والله لو رأيتها يابن أخي لما شربت الماء من يدها؛ قال: فجعلت تسبه أقبح سب وهو يضحك.

ومنها:

صوت

ما كان ذنب بغيضٍ لا أبا لكم في بائسٍ جاء يحدو أنيقاً شزبا

طافت أمامة بالركبان آونةً يا حسنها من خيالٍ زار منتقبا

إذ تستبيك بمصقولٍ عوارضه حمش اللثات ترى في مائه شنبا

قد أخلقت عهدها من بعد جدته وكذبت حب ملهوفٍ وما كذبا

الغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة.

ومنها:

صوت

جزى الله خيراً والجزاء بكفهبأحسن ما يجزي الرجال بغيضا

فلو شاء إذ جئناه صد فلم يلم وصادف منأى في البلاد عريضا

الغناء للهدلي ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي.

أخبار ابن عائشة ونسبه

اسمه وكنيته ونسبه إلى أمه

محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر، و لم يكن يعرف له أبٌ فكان ينسب إلى أمه، ويلقبه من عاداه أو أراد سبه "ابن عاهة الدار". وكان يزعم أن اسم أبيه جعفر؛ وليس يعرف ذلك. وعائشة أمه مولاة لكثير بن الصلت الكندي حليف قريش. وقيل: إنها مولاة لآل المطلب بن أبي وداعة السهمي، ذكر ذلك إسحاق عن محمد بن سلام. وحكى ابن الكلبي القول الأول، وقال إسحاق: هو الصحيح، يعني قول ابن الكلبي. وقال إسحاق فيما رواه لنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه: إن محمد بن معن الغفاري ذكر له عن أبي السائب المخزومي أن ابن عائشة مولى المطلب بن أبي وداعة السهمي وإنه كان لغير رشدة، فأدركت المشيخة وهم إذا سمعوا له صوتاً حسناً قالوا: أحسن ابن المرأة. قال إسحاق وقال عمران بن هند الأرقمي: بل كان مولى لكثير بن الصلت.

سأله الوليد عن نسبه لأمه فأجابه قال إسحاق: قال عبيد الله بن محمد بن عائشة: قال الوليد بن يزيد لابن عائشة: يا محمد، ألغية أنت؟ قال: كانت أمي يا أمير المؤمنين ماشطة، وكنت غلاماً، فكانت إذا دخلت إلى موضع قالوا: ارفعوا هذا لابن عائشة؛ فغلبت على نسبي.

كان يفتن كل من سمعه

وأخذ عن معبد ومالك

قال إسحاق: وكان ابن عائشة يفتن كل من سمعه، وكان فتيان من المدينة قد فسدوا في زمانه بمحادثته ومجالسته. وقد أخذ عن معبد ومالك و لم يموتا حتى ساواهما على تقديمه لهما واعترافه بفضلهما.

كان جيد الغناء دون الضرب وقد قيل: إنه كان ضارباً و لم يكن بالجيد الضرب؛ وقيل: بل كان مرتجلاً لم يضرب قط.

كان يضرب بابتدائه المثل وكان أحسن المغنين بعد معبد وابتداؤه بالغناء كان يضرب به المثل، فيقال للابتداء الحسن كائناً ما كان من قراءة قرآن، أو إنشاد شعر، أو غناء يبدأ به فيستحسن: كأنه ابتداء ابن عائشة. قال إسحاق: وسمعت علماءنا قديماً وحديثاً يقولون: ابن عائشة أحسن الناس ابتداءً، وأنا أقول: إنه أحسن الناس ابتداءً وتوسطاً وقطعاً بعد أبي عباد معبد، وقد سمعت من يقول: إن ابن عائشة مثله؛ وأما أنا فلا أجسر على أن أقول ذلك.

وكان ابن عائشة غير جيد اليدين فكان أكثر ما يغني مرتجلاً. وكان أطيب الناس صوتاً.

قال إسحاق وحدثني محمد بن سلام قال قال لي جرير: لا تخدعن عن أبي جعفر محمد بن عائشة، فلولا صلفٌ كان فيه لما كان بعد أبي عباد مثله.

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي عن أبيه عن جده قال: ثلاثةٌ من المغنين

كانوا أحسن الناس حلوقاً: ابن عائشة وابن تيزن وابن أبي الكنات.

ابن أبي عتيق وانتصاره له حدثني عمي قال حدثنا محمد بن داود بن الجراح قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب الزبيري عن أبيه قال: رأى ابن أبي عتيق حلق ابن عائشة مخدشاً فقال: من فعل هذا بك؟ قال: فلان، فمضى فترع ثيابه وجلس للرجل على بابه، فلما خرج أخذ بتلبيبه وجعل يضربه ضرباً شديداً والرجل يقول له: مالك تضربني! أي شيء صنعت! وهو لا يجيبه حتى بلغ منه؛ ثم خلاه وأقبل على من حضر فقال: هذا أراد أن يكسر مزامير داود: شد على ابن عائشة فخنقه وخدش حلقه.

لولا آخر غنائه لفاق ابن سريج قال إسحاق في خبره: وحدثني أبي عن سياطٍ عن يونس الكاتب قال: ما عرفنا بالمدينة أحسن ابتداءً من ابن عائشة إذا غنى، ولو كان آخر غنائه مثل أوله لقدمته على ابن سريج. قال إبراهيم: هو كذاك عندي، وقال إسحاق مثل قولهما. قال: وقال يونس: كان ابن عائشة يضرب بالعود و لم يكن مجيداً، وكان غناؤه أحسن من ضربه، فكان لا يكاد يمس العود إلا أن تجتمع جماعةٌ من الضراب فيضربون عليه ويضرب هو ويغني، فناهيك به حسناً!.

كان يصلح لمنادمة الخلفاء والملوك أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان أنه ذكر يوماً المغنين بالمدينة، فقال: لم يكن بها أحدٌ بعد طويس أعلم من ابن عائشة ولا أظرف مجلساً ولا أكثر طيباً؛ وكان يصلح أن يكون نديم خليفة أو سمير ملك. قال إسحاق: فأذكرني هذا القول قول جميلة له: وأنت يا أبا جعفر فمع الخلفاء تصلح أن تكون.

الحسن يكرهه على غناء مائة صوت

قال إسحاق وحدثني المدائني قال حدثني جرير قال: كان ابن عائشة تائهاً سيىء الخلق، فإن قال له إنسانٌ: تغن، قال: ألمثلي يقال هذا! وإن قال له إنسان وقد ابتدأ هو بغناء: أحسنت، قال: ألمثلي يقال أحسنت! ثم يسكت، فكان قليلاً ما ينتفع به. فسال العقيق مرة فدخل عرصة سعيد بن العاصي الماء حتى ملأها، فخرج الناس إليها وخرج ابن عائشة فيمن خرج، فجلس على قرن البئر، فبينا هم كذلك إذ طلع الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، على بغلة وخلفه غلامان أسودان كأنهما من الشياطين، فقال لهما: امضيا رويداً حتى تقفا بأصل القرن الذي عليه ابن عائشة، فخرجا حتى فعلا ذلك. ثم ناداه الحسن: كيف أصبحت يابن عائشة؟ قال: بخير، فداك أبي وأمي، قال: انظر من إلى جنبك، فنظر فإذا العبدان، فقال له: أتعرفهما؟ قال: نعم، قال: فهما حران لئن لم تغنني مائة صوت لآمرهما بطرحك في البئر، وهما حران لئن لم يفعلا لأقطعن أيديهما، فاندفع ابن عائشة فكان أول ما ابتدأ به صوتاً له وهو:

ألا لله درك من | فتى قومٍ إذا رهبوا

ثم لم يسكت حتى غنى مائة صوت، فيقال إن الناس لم يسمعوا من ابن عائشة أكثر مما سمعوا في ذلك اليوم، وكان آخر ما غنى:

صوت

قل للمنازل بالظهران قد حانا		أن تنطقي فتبيني القول تبيانا

قال جرير: فما رئي يومٌ أحسن منه، ولقد سمع الناس شيئاً لم يسمعوا مثله، وما بلغني أن أحداً تشاغل عن استماع غنائه بشيء، ولا انصرف أحدٌ لقضاء حاجة ولا لغير ذلك حتى فرغ. ولقد تبادر الناس من المدينة وما حولها حيث بلغهم الخبر لاستماع غنائه، فيقال: إنه ما رئي جمعٌ في ذلك الموضع مثل ذلك الجمع، ولقد رفع الناس أصواتهم يقولون له: أحسنت والله، أحسنت والله، ثم انصرفوا حوله يزفونه إلى المدينة زفاً.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

ألا لله درك من		فتى قومٍ إذا رهبوا

وقالوا من فتىً للحر		ب يرقبنا ويرتقب

فكنت فتاهم فيها		إذا تدعى لها تثب

ذكرت أخي فعاودني		رداع السقم والوصب

كما يعتاد ذات البو بعد		سلوها الطرب

على عبد بن زهرة بت		طول الليل أنتحب

الشعر لأبي العيال الهذلي. والغناء لمعبد، وله فيه لحنان، أحدهما ثقيلٌ أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق يبدأ فيه بقوله:

ذكرت أخي فعاودني		رداع السقم والوصب

والآخر خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو بن بانة. وفيه لابن عائشة خفيف رملٍ آخر، وقيل: بل هو لحن معبد. وذكر حماد بن إسحاق أن خفيف الرمل لمالك. البو: جلد يحشى تبناً ويجفف لكيلا تحبث رائحته، ويدنى إلى الناقة التي قد نحر فصيلها أو مات لتشمه فتدر عليه.

ومنها:

صوت

قل للمنازل بالظهران قد حانا		أن تنطقي فتبيني القول تبيانا

قالت ومن أنت قل لي قلت ذو شغفٍ		هجت له من دواعي الحب أحزانا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن عائشة خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى عن الهشامي وحبش.

غنى بالموسم فحبس الناس عن المسير

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات حدثني عبد الرحمن بن سليمان عن علي بن الجهم الشاعر قال حدثني رجل: أن ابن عائشة وافقاً بالموسم متحيراً، فمر به بعض أصحابه فقال له: ما يقيمك ها هنا؟ فقال: إني أعرف رجلاً لو تكلم لحبس الناس ها هنا فلم يذهب أحد و لم يجيء؛ فقال له الرجل: وما ذاك؟ قال أنا، ثم اندفع يغني:

جرت سنحاً فقلت لها أجيزي نوى مشمولةً فمتى اللقاء

قال: فحبس الناس، واضطربت المحامل، ومدت الإبل أعناقها، وكادت الفتنة أن تقع. فأتي به هشام بن عبد الملك، فقال له: يا عدو الله، أردت أن تفتن الناس! قال: فأمسك عنه وكان تياهاً، فقال له هشام: ارفق بتيهك، فقال: حق لمن كانت هذه مقدرته على القلوب أن يكون تياهاً، فضحك منه وخلى سبيله.

نسبة هذا الصوت الذي غناه ابن عائشة

صوت

جرت سنحاً فقلت لها أجيزي نوى مشمولةً فمتى اللقاء

بنفسي من تذكره سقامٌ أعانيه ومطلبه عناءٌ

السانح: ما أقبل من شمالك يريد يمينك، والبارح ضده. وقال أبو عبيدة: سمعت يونس بن حبيب يسأل رؤبة عن السانح والبارح، فقال: السانح: ما ولاك ميامنه، والبارح: ما ولاك مشائمه. وقوله: أجيزي أي انفذي. قال الأصمعي: يقال: أجزت الوادي إذا قطعته وخلفته، وجزته أي سرت فيه فتجاوزته، وجاوزته مثله. قال أوس بن مغراء:

ولا يريمون في التعريف موقفهم حتى يقال أجيزوا آل صوفانا

ومشمولةٌ: سريعة الانكشاف. أخذه من السحابة المشمولة، وهي التي تصيبها الشمال فتكشفها، ومن شأن الشمال أن تقطع السحاب، واستعارها ها هنا في النوى لسرعة انكشافهم فيها عن بلدهم، وأجرى ذلك مجرى الذم للسانح لأنه يتشاءم به. البيت الأول من الشعر لزهير بن أبي سلمى، والثاني محدث ألحقه المغنون به لا أعرف قائله. والغناء لابن عائشة، ولحنه خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر.

غنى الوليد بحضرة معبد ومالك

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق وأخبرني به محمد بن مزيد والحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال: كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر: أما بعد، فإذا قرأت كتابي هذا فسرح إلي حماداً الراوية على ما أحب من دواب البريد، وأعطه عشرة آلاف درهم يتهيأ بها. قال: فأتاه الكتاب وأنا عنده فنبذه إلي، فقلت: السمع والطاعة، فقال: يا دكين، مر شجرة يعطيه عشرة آلاف درهم، فأخذتها. فلما كان اليوم الذي أردت الخروج فيه أتيت يوسف بن عمر، فقال: يا حماد، أنا بالموضع الذي قد عرفته من أمير المؤمنين، ولست مستغنياً عن ثنائك؛ فقلت: أصلح الله الأمير إن العوان لا تعلم الخمرة وسيبلغك قولي وثنائي. فخرجت حتى انتهيت إلى الوليد وهو بالبخراء، فاستأذنت عليه فأذن لي، فإذا هو على سرير ممهد، وعليه ثوبان أصفران: إزارٌ ورداء يقيئان الزعفران قيئاً، وإذا عنده معبدٌ ومالك بن أبي السمح وأبو كامل مولاه، فتركني حتى سكن جأشي، ثم قال أنشدني:

أمن المنون وريبها تتوجع

فأنشدته حتىأتيت على آخرها؛ فقال لساقيه: يا سبرة اسقه، فسقاني ثلاثة أكؤس خثرن ما بين الذؤابة والنعل. ثم قال يا مالك، غنني:

ألا هل هاجك الأظعا ... ن إذ جاوزن مطلحا

ففعل. ثم قال له: غني:

جلا أمية عني كل مظلمةٍ ... سهل الحجاب وأوفى بالذي وعدا

ففعل. ثم قال له: غنني:

أتنسى إذ تودعنا سليمى ... بفرع بشامةٍ سقي البشام

ففعل. ثم قال: يا سبرة، أو يا أبا سبرة، اسقني بزب فرعون؛ فأتاه بقدح معوج فسقاه به عشرين، ثم أتاه الحاجب فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، الرجل الذي طلبت بالباب؛ قال: أدخله، فدخل شاب لم أر شاباً أحسن وجهاً منه، في رجله بعض الفدع، فقال: يا سبرة اسقه، فسقاه كأساً؛ ثم قال له: غنني:

وهي إذ ذاك عليها مئزرٌ ... ولها بيت جوارٍ من لعب

فغناه؛ فنبذ إليه الثوبين. ثم قال له: غنني:

طاف الخيال فمرحبا ... ألفاً برؤية زينبا

فغضب معبد وقال: يا أمير المؤمنين، إنا مقبلون عليك بأقدارنا وأسناننا، وإنك تركتنا بمزجر الكلب، وأقبلت على هذا الصبي! فقال: والله يا أبا عباد، ما جهلت قدرك ولا سنك، ولكن هذا الغلام طرحني في مثل الطناجير من حرارة غنائه. قال حماد الراوية: فسألت عن الغلام فقيل لي هو ابن عائشة.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

جلا أمية عني كل مظلمةٍ سهل الحجاب أوفى بالذي وعدا
إذا حللت بأرضٍ لا أراك بها ضاقت علي ولم أعرف بها أحدا

الغناء لابن عباد الكاتب خفيف ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أنه لعمر الوادي. وذكر حبشٌ أن فيه لمالك لحناً من خفيف الثقيل الأول بالوسطى.

ومنها:

صوت

أتنسى إذ تودعنا سليمى بفرع بشامةٍ سقي البشام
متى كان الخيام بذي طلوحٍ سقيت الغيث أيتها الخيام
أتمضون الخيام ولم نسلم كلامكم علي إذاً حرام
بنفسي من تجنبه عزيزٌ علي ومن زيارته لمام
ومن أمسي وأصبح لا أراه ويطرقني إذا رقد النيام

الشعر لجرير. والغناء لابن سريج، وله في هذه الأبيات ثلاثة ألحان: أحدها في الأول والرابع ثقيلٌ أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. والآخر في الثاني ثم الأول ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو، والآخر في الثالث وما بعده رمل بالبنصر عن الهشامي وحبشٍ. وللدلال في الثاني والثالث ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والمكي. وللغريض في الأول والثاني والثالث خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو. وفيها لمالك ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي. ولابن جامعٍ في الأول والثاني والرابع والخامس هزجٌ عن الهشامي. وفيها لابن جندبٍ خفيف ثقيل بالبنصر.

ومنها الصوت الذي أوله في الخبر:

وهي إذ ذاك عليها مئزرٌ

وأوله

صوت

عهدتني ناشئاً ذا غرة رجل الجمة ذا بطنٍ أقب

أتبع الولدان أرخي مئزري ابن عشر ذا قريطٍ من ذهب

وهي إذ ذاك عليها مئزرٌ ولها بيت جوارٍ من لعب

الشعر لامرىء القيس، ويقال: إنه أول شعرٍ شبب فيه بالنساء. والغناء لابن عائشة ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن الهشامي ودنانير وحماد بن إسحاق. وفيه خفيف ثقيلٍ بالبنصر ذكر حماد في أخبار جميلة أنه لها، وذكر حبش والهشامي أنه لابن سريج، وقيل: إنه لغيرهما.

ومنها:

صوت

ألا هل هاجك الأظعان إذ جاوزن مطلحا

نعم ولو شك بينهم جرى لك طائرٌ سنحا

أخذن الماء من ركك وضوء الفجر قد وضحا

يقلن مقيلنا قرنٌ نباكر ماءه صبحا

تبعتهم بطرف العين حتى قيل لي افتضحا

يودع بعضنا بعضاً وكل بالهوى جرحا

فمن يفرح بينهم فغيري إذ غدوا فرحا

الشعر ترويه الرواة جميعاً لعمر بن أبي ربيعة سوى الزبير بن بكار فإنه رواه عن عمه وأهله لجعفر بن الزبير بن العوام، وقد ذكر خبره في هذا مع أخباره المذكورة في آخر الكتاب. ورواه الزبير

إذ جاوزن من طلحا

وقال: ليس على وجه الأرض موضعٌ يقال له: مطلح. والغناء لمالك وله فيه لحنان: ثقيلٌ أول بالبنصر عن إسحاق، وخفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لمعبد ثقيلٌ أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن سريج في الخامس - وهو تبعتهم بطرف العين إلى آخر الأبيات - ثقيلٌ أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيها للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي، قال: وهو الذي فيه استهلالٌ. وذكر ابن المكي أن الثقيل الثاني لمالكٍ، وخفيف العقيل للغريض.

صوت

طرق الخيال فمرحبا ألفاً برؤية زينبا

أنى اهتديت لفتيةٍ سلكوا السليل فعليبا

طرب أبي جعفر الناسك لغناء ابن عائشة

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن محمد بن سلام قال حدثني جريرٌ قال: أخذ بعض ولاة المدينة المغنين والمخنثين والسفهاء بلزوم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان في المسجد رجلٌ ناسكٌ يكنى أبا جعفر مولى لابن عياش بن أبي ربيعة المخزومي يقرىء الناس القرآن، وكان ابن عائشة يلازمه، فخلا لابن عائشة يوماً الموضع مع أبي جعفر فقرأ له فطرب ورجع، فسمع الشيخ صوتاً لم يسمع مثله قط، فقال له: يابن أخي، أفسدت نفسك وضيعتها، فلو أنك لزمت المسجد وتعلمت القرآن لأقمت للناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان، ولأصبت بذلك من الولاة خيراً، فوالله ما دخل أذني قط صوتٌ أحسن من صوتك؛ فقال ابن عائشة: فكيف لو سمعت يا أبا جعفر صوتي في الأمر الذي صنع له! قال وما هو؟ قال: انطلق معي حتى أسمعكه، فخرج معه إلى ميضأةٍ ببقيع الغرقد عند دار المغيرة بن شعبة، وكان أبو جعفر يتوضأ عندها كل يوم، فاندفع ابن عائشة يغني:

ألآن أبصرت الهدى وعلا المشيب مفارقي

فبلغ ذلك من الشيخ كل مبلغ، وقال: يابن أخي، هذا حسنٌ وأنا أشتهي أن أسمعه، ولكن لا أطلبه ولا أمشي إليه؛ قال ابن عائشة: فعليّ أن أسمعكه؛ فكان يرصده، فإذا خرج أبو جعفر يتوضأ خرج ابن عائشة في أثره حتى يقف خلف جدار الميضأة بحيث غناءه، فيغنيه أصواتاً حتى يفرغ أبو جعفر من وضوئه. فلم يزل يفعل ذلك حتى أطلقوا من لزوم المسجد.

نسبة هذا الصوت

صوت

طرق الخيال المعتري وهناً فؤاد العاشق

طيفٌ ألم فهاجني للبين أم مساحق

ألآن أبصرت الهدى وعلا المشيب مفارقي

وتركت أمر غوايتي وسلكت قصد طرائقي

ولقد رضيت بعيشنا إذ نحن بين حدائق

وركائب تهوي بنا		بين الدروب فدابق

الشعر للوليد بن يزيد، ويقال: إنه لابن رهيمة. والغناء لابن عائشة رملٌ بالبنصر عن عمرو، وذكره يونس أيضاً له في كتابه. وفيه لأبي زكارٍ الأعمى خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو والهشامي. وذكر ابن خرداذبه أنه لأبي زكار الأعمى وهو قديم، وأنه وجد ذلك في كتاب يونس. وفيه لحكم الوادي لحن في كتاب يونس غير مجنس، ولاأدري أيها هو. وفي هذه الأبيات خفيف ثقيلٍ متنازعٌ فيه نسب إلى معبد وإلى مالك، و لم أجده لهما عن ثقة، وأظنه لحن حكم.

أكرهه الحسن ليخرج معه إلى البغيبغة ليغنيه

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر البوشنجي والحسين بن يحيى الأعور المرداسي قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام عن أبيه قال: كان الحسن بن الحسن مكرماً لابن عائشة محباً له، وكان ابن عائشة منقطعاً إليه، وكان من أتيه خلق الله وأشده ذهاباً بنفسه، فسأله الحسن أن يخرج معه إلى البغيبغة فامتنع ابن عائشة من ذلك؛ فأقسم عليه فأبي؛ فدعا بغلمانٍ له حبشان وقال: نفيت من أبي لئن لم تسر معي طائعاً لتسيرن كارهاً، ونفيت من أبي لئن لم ينفذوا أمري فيك لأقطعن أيديهم. فلما رأى ابن عائشة ما ظهر من الحسن علم أنه لابد من الذهاب، فقال له: بأبي أنت وأمي، أنا أمضي معك طائعاً لا كارهاً. فأمر الحسن بإصلاح ما يحتاج إليه وركب، وأمر لابن عائشة ببغلة فركبها ومضيا، حتى صارا إلى البغيبغة فترلا الشعب، وجاءهم ما أعدوا فأكلوا؛ ثم أمرالحسن بأمره وقال يا محمد؛ فقال له: لبيك يا سيدي؛ قال: غني؛ فاندفع فغناه:

صوت

يدعو النبي بعمه فيجيبه		يا خير من يدعو النبي جلالا
ذهب الرجال فلا أحس رجالا		وأرى الإقامة بالعراق ضلالا
وأرى المرجي للعراق وأهله		ظمآن هاجرةٍ يؤمل آلا
وطربت إذ ذكر المدينة ذاكرٌ		يوم الخميس فهاج لي بلبالا
فظللت أنظر في السماء كأنني		أبغي بناحية السماء هلالا

- الشعر لابن المولى من قصيدة طويلة قالها وقد قدم إلى العراق لبعض أمره فطال مقامه بها واشتاق إلى بلده. وقد ذكر خبره في موضعه من هذا الكتاب. والغناء لابن عائشة ثقيلٌ أول بالبنصر عن حماد والهشامي وحبش. وقال الهشامي خاصةً: فيه لحن لقراريط - فقال له الحسن: أحسنت والله يابن عائشة! فقال ابن عائشة: والله لا غنيتك في يومي هذا شيئاً؛ فقال الحسن: فوالله لا برحت البغيبغة ثلاثة أيام! فاغتم ابن عائشة ليمينه وندم وعلم أنه لا

حيلة له إلا المقام، فأقاموا. فلما كان اليوم الثاني قال له الحسن: هات ما عندك فقد برت يمينك، وكانوا جلوساً على شيء مرتفع، فنظروا إلى ناقة تقدم جماعة إبل، فاندفع ابن عائشة فغنى:

تمر كجندلة المنجني ... ق يرمى بها السور يوم القتال

فماذا تخطرف من قلة ... ومن حدبٍ وإكامٍ توالي

ومن سيرها العنق المسبطر ... والعجرفية بعد الكلال

فقال له الحسن: ويلك يا محمد! لقد أحسنت الصنعة؛ فسكت ابن عائشة؛ ثم قال له: غني، فغناه:

إذا ما انتشيت طرحت اللجا ... م في شدق منجردٍ سلهب

يبذ الجياد بتقريبه ... ويأوي إلى حضرٍ ملهب

كميتٌ كأن على متنه ... سبائك من قطع المذهب

كأن القرنفل والزنجبيل ... يعل على ريقها الأطيب

فقال له الحسن: أحسنت يا محمد، فقال له ابن عائشة: لكنك، بأبي أنت وأمي، قد ألجمتني بحجر فما أطيق الكلام. فأقاموا باقي يومهم يتحدثون؛ فلما كان اليوم الثالث قال الحسن: هذا آخر أيامك يا محمد؛ فقال ابن عائشة: عليه وعليه إن غناك إلا صوتاً واحداً حتى تنصرف، وعليه وعليه إن حلفت ألا أبر قسمك ولو في ذهاب روحه! فقال له الحسن: فلك الأمان على محبتك؛ فاندفع فغناه:

صوت

أنعم الله لي بذا الوجه عيناً ... وبه مرحبا وأهلاً وسهلا

حين قالت لا تذكرن حديثي ... يابن عمي أقسمت قلت أجل لا

لا أخون الصديق في السر حتى ... ينقل البحر بالغرابيل نقلا

قال: ثم انصرف القوم، فما رأى الحسن بن الحسن ابن عائشة بعدها.

نسبة ما لم تمض نسبته في الخبر من هذه الأصوات

منها: نسبة الغناء في الشعر الذي غنى به ابن عائشة ذلك اليوم

صوت

تمر كجندلة المنجنيق يرمى بها السور يوم القتال

فماذا تخطرف من قلة ومن حدبٍ وإكامٍ توالي

ومن سيرها العنق المسبطر والعجرفية بعد الكلال

ألا يا لقوم لطيف الخيا ل أرق من نازح ذي دلال

يثني التحية بعد السلا م ثم يفدي بعم وخال

خيالٌ لسلمى فقد عاد لي بنكسٍ من الحب بعد اندمال

أما الذي قاله الشاعر في هذا الشعر فإنه قال: يمر بالياء لأنه وصف به حماراً وحشياً، ولكن المغنين جميعاً يغنونه بالتاء على لفظ المؤنث، وقد وصف في هذه القصيدة الناقة و لم يذكر من صفتها إلا قوله:

ومن سيرها العنق المسبطر

ولكن المغنين أخذوا من صفة العير شيئاً ومن صفة الناقة شيئاً فخلطوها وغنوا فيهما. وقوله:

فماذا تخطرف من قلة

يعني أنه يمر بالموضع المرتفع فيطفره. وروى الأصمعي:

فماذا تخطرف من حالقٍ ومن قلة وحجابٍ وجال

فالحالق: ما أشرف. والحجاب: ما حجب عنك ما بين يديك من الأرض.

والجال: حرف الشيء، يقال له: جالٌ وجولٌ. والعنق المسبطر: المسترسل السهل.

والعجرفية: التعسف والإسراع. يقول: أذا كلت وتعبت تعجرفت في السير من بقية نفسها وشدهما. وروى الأصمعي فيها:

خيالٌ لجعدة قد هاج لي نكاساً من الحب بعد اندمال

يقالَ: نكس ونكاس بمعنى واحد وهو عود المرض بعد الصحة. والاندمال: الإفاقة من العلة، واندمال الجرح: برؤه. فأما الأبيات التي يصف فيها الناقة فقوله:

فسل الهموم بعيرانةٍ مواشكة الرجع بعد انتقال

ذمولٍ تزف زفيف الظلي م شمر بالنعف وسط الرئال

وترمد هملجةً زعزعاً كما انخرط الحبل فوق المحال

ومن سيرها العنق المسبطر والعجرفية بعد الكلال

كأني ورحلي إذا رعتها على جمزى جازىءٍ بالرمال

وأما صفة الحمار في هذه القصيدة فقوله فيه وفي الأتن:

فظل يسوف أبوالها ... ويوفي زيازي حدب التلال

فطاف بتعشيره وانتحى ... جوائلها وهو كالمستجال

تهادى حوافرها جندلاً ... زواهق ضرب قلاتٍ بقال

رمى بالجزاميز عرض الوجي ... ن وآرمد في الجري بعد انفتال

بشأوٍ له كضريم الحري ... ق أو شقة البرق في عرض خال

يمر كجندلة المنجني ... ق يرمى بها السور يوم القتال

فماذا تخطرف من حالقٍ ... ومن حدبٍ وحجابٍ وجال

الشعر لأمية بن أبي عائذ الهذلي. والغناء لابن عائشة. ولحن ابن عائشة مشكوك فيه: أي الألحان المصنوعة في هذا الشعر هو، فيقال: إنه خفيف الرمل، ويقال: إنه هو الثقيل الأول، ويقال: إنه الرمل. فأما خفيف الرمل فهو بالخنصر في مجرى الوسطى، وذكره إسحاق في موضع فتوقف عنه ولم ينسبه، ونسبه في موضع آخر إلى ابن أبي يزن المكي. ونسبه عمرو بن بانة إلى معبد وقال: فيه خفيف رمل آخر لمالك. وذكره يونس في أغاني ابن أبي يزن المكي ونسبه ولم يجنسه. وذكر ابن خرداذبه والهشامي أن فيه لهشام بن المرية لحناً من الثقيل الأول، ورأيت ذلك ايضاً في بعض الكتب بخط علي بن يحيى المنجم كما ذكرا. وذكر إسحاق أن الرمل مطلق في مجرى الوسطى وأنه لابن عائشة. وذكر أحمد بن المكي أنه لأبيه، وذكر غيره أنه غلطٌ وأن لحن أبيه هو الثقيل الأول والرمل لابن عائشة. وقال حبش: فيه لابن سريج هزج خفيفٌ بالوسطى.

ومنها، - وقد مضى تفسيره في الخبر واقتصر على البيت الأول منه -:

صوت

إذا انتشيت طرحت اللجا ... م في شدق منجردٍ سلهب

الشعر للنابغة الجعدي. والغناء لابن عائشة: خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي وحماد.

ومنها الصوت الذي أوله:

أنعم الله لي بذا الوجه عيناً

وقد جمع مع سائر ما يغنى فيه من القصيدة، وهو:

أثل جودي على المتيم أثل ... لا تزيدي فؤادي أثل خبلا

أثل إني والراقصات بجمع يتبارين في الأزمة فتلا
سابحاتٍ يقطعن من عرفاتٍ بين أيدي المطي حزنا وسهلا
والأكف المطهرات على الرك ن لشعثٍ سعوا إلى البيت رجلا
لا أخون الصديق في السر حتى ينقل البحر بالغرابيل نقلا
أو تمور الجبال مور سحابٍ مرتقٍ قد وعى من الماء ثقلا
أنعم الله لي بذا الوجه عيناً وبه مرحبا وأهلاً وسهلا
حين قالت لا تفشين حديثي يابن عمي أقسمت قلت أجل لا
فاتقي الله واقبلي العذر مني وتجافي عن بعض ما كان زلا
إن أكن سؤتكم به فلك العت بى لدينا وحق ذاك وقلا
لم أرحب بأن سخطت ولكن مرحبا أن رضيت عنا وأهلا
إن شخصاً رأيته ليلة البد ر عليه ابتنى الجمال وحلا
جعل الله كل أنثى فداءً لك بل خدها لرجليك نعلا
وجهك الوجه لو سألت به المز ن من الحسن والجمال استهلا

الشعر للحارث بن خالد المخزومي. والغناء لمعبد في الأربعة الأبيات الأول: خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى عن عمرو بن بانة. ولابن هوبر في الأول والثاني ثقيلٌ أول عن إسحاق. ولابن سريج في الأول والثاني والخامس ثقيل أول وآخر بالبنصر أوله استهلال. وللغريض في الخامس وما بعده إلى التاسع خفيف ثقيلٍ بالوسطى. ولدحمان في التاسع والثالث عشر والرابع عشر خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر. ولمالك في التاسع إلى آخر الثاني عشر لحن من كتاب يونس و لم يقع إلي من يجنسه. ولابن سريج فيها بعينها رمل بالوسطى عن الهشامي. وفيها أيضاً للغريض خفيف رملٍ بالبنصر. ولابن عائشة في السابع والثامن لحن ذكره حماد عن أبيه و لم يجنسه.

غنى الوليد فطرب وقبل كل أعضائه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس الشيعي وحبيب بن نصر المهلبي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن سلام، وأخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام عن أبيه عن شيخ من تنوخ، و لم يقل عمر بن شبة في خبره: محمد بن سلام عن أبيه، ورواه عن محمد عن شيخ من تنوخ، قال: كنت صاحب ستر الوليد بن يزيد، فرأيت ابن عائشة عنده وقد غناه:

صوت

إني رأيت صبيحة النفر حوراً نفين عزيمة الصبر

مثل الكوكب في مطالعها بعد العشاء أطفن بالبدر

وخرجت أبغي الأجر محتسبا فرجعت موفوراً من الوزر

- قال إسحاق في خبره: والشعر لرجل من قريش، والغناء لمالك. هكذا في خبر إسحاق. وما وجدته ذكره لمالك في جامع أغانيه. ووجدته في غناء ابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي - قال: فطرب الوليد حتى كفر وألحد، وقال: يا غلام، اسقنا بالسماء الرابعة، وكان الغناء يعمل فيه عملاً ضل عنه من بعده؛ ثم قال: أحسنت والله يا أميري! أعد بحق عبد شمس، فأعاد؛ ثم قال: أحسنت والله يا أميري! أعد بحق أمية، فأعاد؛ ثم قال: أعد بحق فلان، أعد بحق فلان، حتى بلغ من الملوك نفسه، فقال: أعد بحياتي؛ فأعاده. قال: فقام إليه فأكب عليه فلم يبق عضو من أعضائه إلا قبله وأهوى إلى هنه؛ فجعل ابن عائشة يضم فخذيه عليه؛ فقال: والله العظيم لا تريم حتى أقبله، فأبداه له فقبل رأسه، ثم نزع ثيابه فألقاها عليه، وبقي مجرداً إلى أن أتوه بمثلها، ووهب له ألف دينار، وحمله على بغلة وقال: اركبها - بأبي أنت - وانصرف، فقد تركتني على مثل المقلى من حرارة غنائك؛ فركبها على بساطه وانصرف.

أمر لمحتاج بمال فابى إلا سماعه

فحكى ذلك للوليد فجعله في ندمائه

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن الحسن النخعي قال حدثني محمد بن الحارث بن كليب بن زيد الربعي قال: خرج ابن عائشة المدني من عند الوليد بن يزيد وقد غناه:

أبعدك معقلاً أرجو وحصناً قد اعيتني المعاقل والحصون

- وهي أربعة أبيات، هكذا في الخبر، ولم يذكر غير هذا البيت منها -قال فأطربه فأمر له بثلاثين ألف درهم وبمثل كارة القصار كسوةً. فبينا ابن عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادي القرى كان يشتهي الغناء ويشرب النبيذ، فدنا من غلامه وقال: من هذا الراكب؟ قال: ابن عائشة المغني؛ فدنا منه وقال: جعلت فداءك، أنت ابن عائشة أم المؤمنين؟ قال: لا، أنا مولى لقريش وعائشة أمي وحسبك هذا فلا عليك أن تكثر؛ قال: وما هذا الذي أراه بين يديك من المال والكسوة؟ قال: غنيت أمير المؤمنين صوتاً فأطربته فكفر وترك الصلاة وأمر لي بهذا المال وهذه الكسوة؛ قال: جعلت فداءك، فهل تمن علي بأن تسمعني ما أسمعته إياه؟ فقال له: ويلك! أمثلي يكلم بمثل هذا في الطريق! قال فما أصنع؟ قال: الحقني بالباب. وحرك ابن عائشة بغلةً شقراء كانت تحته لينقطع

عنه؛ فعدا معه حتى وافيا الباب كفرسي رهان، ودخل ابن عائشة فمكث طويلاً طمعاً في أن يضجر فينصرف، فلم يفعل؛ فلما أعياه قال لغلامه: أخله؛ فلما دخل قال له: ويلك! من أين صبك الله علي! قال: أنا رجل من أهل وادي القرى أشتهي هذا الغناء؛ فقال له: هل لك فيما هو أنفع لك منه؟ قال: وما ذاك؟ قال: مائتا دينار وعشرة أثواب تتصرف بها إلى أهلك؛ فقال له: جعلت فداءك، والله إن لي لبنيةً ما في أذنها - علم الله - حلقة من الورق فضلاً عن الذهب، وإن لي لزوجةٍ ما عليها - يشهد الله - قميصٌ. ولو أعطيتني جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الخلة والفقر اللذين عرفتكهما وأضعفت لي ذلك، لكان الصوت أعجب إلي - وكان ابن عائشة نائهاً لا يغني إلا لخليفة أو لذي قدر جليل من إخوانه - فتعجب ابن عائشة منه ورحمه، ودعا بالدواة وكان يغني مرتجلاً، فغناه الصوت؛ فطرب له طرباً شديداً، وجعل يحرك رأسه حتى ظن أن عنقه سينقصف، ثم خرج من عنده و لم يرزأه شيئاً، وبلغ الخبر الوليد بن يزيد فسأل ابن عائشة عنه، فجعل يغيب عن الحديث. ثم جد الوليد به فصدقه عنه، وأمر بطلب الرجل فطلب حتى أحضر، ووصله صلة سنية، وجعله في ندمائه ووكله بالسقي، فلم يزل معه حتى مات.

سمع الشعبي غناءه فمدحه

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني عمر بن أبي خليفة قال: كان الشعبي مع أبي في أعلى الدار، فسمعنا تحتنا غناء حسناً، فقال له أبي: هل ترى شيئاً؟ قال: لا، فنظرنا فإذا غلام حسن الوجه حديث السن يتغنى:

قالت عبيد تجرماً   في القول فعل المازح

فما سمعت غناء كان أحسن منه، فإذا هو ابن عائشة، فجعل الشعبي يتعجب من غنائه، ويقول: يؤتي الحكمة من يشاء.

نسبة هذا الصوت

صوت

قالت عبيد تجرماً   في القول فعل المازح
أنجز بعمرك وعدنا   فأظن حبك فاضحي

فاجبتها لو تعلم   ين بما تجن جوانحي
فيما أرى لرحمتني   من خمل حب فادح

ما في البرية لي هوىً فاسمع مقالة ناصح

أشكو إليه جفاءكم إلا سلام مصافحي

زعم حبش أن الغناء لابن عائشة خفيف ثقيل بالبنصر.

حج ولقيه جماعة من قريش

فاحتالوا عليه حتى غنى لهم

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني بعض أهل المدينة قال: حدثني من رأى ابن عائشة حاجاً وقد دعاه فتيةٌ من بني هاشم فأجابهم، قال: وكنت فيهم، فلما دخلنا جعلوا صدر المجلس لابن عائشة فجلس فتحدثوا حتى حضر الطعام؛ فلما طعموا دعا بشراب فشربوا، وكان ابن عائشة إذا سئل أن يغني أبى ذلك وغضب، فإذا تحدث القوم بحديث ومضى فيه شعر قد غنى فيه ابتدأ هو فغناه، فكان من فطن له يفعل ذلك به، فقال رجل منهم: حدثني اليوم رجل من الأعراب ممن ان يصاحب جميلاً بحديث عجيب؛ فقال القوم: وما هو؟ فقال: حدثني أن جميلاً بينما هو يحدثه كما كان يحدثه إذ أنكره ورأى منه غير ما كان يرى، فثار نافراً، مقشعر الشعر، متغير اللون إلى ناقة له مجتمعة قريبة من الأرض، موثقة الخلق، فشد عليها رحله ثم أتاها بمحلب فيه لبنٌ فشربته، ثم ثنى فشربت حتى رويت، ثم قال: اشدد أداة رحلك واشرب واسق جملك، فإني ذاهب بك إلى بعض مذاهبي، ففعلت، فجال في ظهر ناقتي، فسرنا بياض يومنا وسواد ليلتنا، ثم أصبحنا فسرنا يومنا لا والله ما نزلنا إلا للصلاة؛ فلما كان اليوم الثالث دفعنا إلى نسوة فمال إليهم فوجدنا الرجال خلوفاً، وإذا قدر لبأٍ وقد جهدت جوعاً وعطشاً، فلما رأيت القدر اقتحمت عن بعيري وتركتهم جانباً، ثم أدخلت رأسي في القدر ما يثنيني حرها حتى رويت، فذهبت أخرج رأسي من القدر فضاقت علي وإذا هي على رأسي قلنسوةٌ، فضحكن مني وغسلن ما أصابني. وأتي جميلٌ بقرىً فوالله ما التفت إليه؛ فبينا هو يحدثهن إذا رواعي الإبل، وقد كان السلطان أحل لهم دمه إن وجدوه في بلادهم، وجاء الناس فقلن: ويحك! انج وتقدم، فوالله ما أكبرهم ذلك الإكبار، فإذا هم يرمونه، ويطردونه، فإذا غشوه قاتلهم ورمى فيهم، وقام بي جملي، فقال لي: يسر لنفسك مركباً خلفي، فأردفني خلفه، لا والله ما انكسر ولا انحل عن فرصته حتى رجع إلى أهله، وقد سار ست ليالٍ وستة أيام وما التفت إلى طعام وقال في ذلك:

إن المنازل هيجت أطرابي واستعجمت آياتها بجوابي

وهي قصيدة طويلة. وقال أيضاً:

وأحسن أيام وأبهج عيشتي إذا هيج بي يوماً وهن قعود

قال فقال ابن عائشة: أفلا أغني لكم ذلك؟ فقلنا: بلى والله، فاندفع فغناه، فما سمع السامعون شيئاً أحسن من ذلك، وبقي أصحابنا يتعجبون من الحديث وحسنه والغناء وطيبه؛ فقال له أصحابنا: يا أبا جعفر، إنا مستأذنوك، فإن أذنت لنا سألناك، وإن كرهت تركناك؛ فقال: سلوا، فقالوا: نحب أن تغنينا في مجلسنا هذا ما نشطت هذا الصوت فقط؛ فقال لهم: نعم ونعمة عينٍ وكرامةً، فما زلنا في غاية السرور حتى انقضى المجلس.

نسبة هذا الغناء

صوت

إن المنازل هيجت أطرابي ... واستعجمت آياتها بجوابي

قفرٌ تلوح بذي اللجين كأنها ... أنضاء وشمٍ أو سطور كثاب

لما وقفت بها القلوص تبادرت ... مني الدموع لفرقة الأحباب

وذكرت عصراً يا بثينة شاقني ... إذ فاتني وذكرت شرخ شبابي

الشعر لجميل. والغناء للهذلي ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال حدثني عمرو بن أبي الكنات الحكمي قال حدثني يونس الكاتب قال:

كنا يوماً متنزهين بالعقيق أنا وجماعةٌ من قريش، فبينا نحن على حالنا إذ أقبل ابن عائشة يمشي ومعه غلام من بني ليث وهو متوكىء على يده، فلما رأى جماعتنا وسمعني أغني جاءنا فسلم وجلس إلينا وتحدث معنا، وكانت الجماعة تعرف سوء خلقه وغضبه إذا سئل أن يغني، فاقبل بعضهم على بعض يتحدثون بأحاديث كثير وجميل وغيرهما من الشعراء، يستجرون بذلك أن يطرب فيغني، فلم يجدوا عنده ما أرادوا، فقلت لهم أنا: لقد حدثني اليوم بعض الأعراب حديثاً يأكل الأحاديث، فإن شئتم حدثتكم إياه؛ قالوا: هات؛ قلت: حدثني هذا الرجل أنه مر بناحية الربذة فإذا صبيانٌ يتغاطسون في غديرٍ، وإذا شاب جميلٌ منهوك الجسم عليه أثر العلة، والنحول في جسمه بينٌ، وهو جالسٌ ينظر إليهم، فسلمت عليه فرد علي السلام وقال: من أين وضح الراكب؟ قلت: من الحمى؛ قال: ومتى عهدك به؟ قلت: رائحاً؛ قال: وأين كان مبيتك؟ قلت: ببني فلان؛ فقال: أوه! وألقى بنفسه على ظهره وتنفس الصعداء تنفساً قلت إنه قد خرق حجاب قلبه؛ ثم أنشأ يقول:

صوت

سقى بلداً أمست سليمى تحله ... من المزن ما يروى به ويسيم

وإن لم أكن من قاطنيه فإنه ... يحل به شخصٌ علي كريم

ألا حبذا من ليس يعدل قربه — لدي وإن شط المزار نعيم

ومن لامني فيه حميمٌ وصاحبٌ — فرد بغيظٍ صاحبٌ وحميم

ثم سكن كالمغشي عليه، فصحت بالصبية، فأتوا بماءٍ فصببته على وجهه، فأفاق وأنشأ يقول:

إذا الصب الغريب رأى خشوعي — وأنفاسي تزين بالخشوع

ولي عينٌ أضر بها التفاتي — إلى الأجزاع مطلقةً الدموع

إلى الخلوات يأنس فيك قلبي — كما أنس الغريب إلى الجميع

فقلت له: ألا أنزل فأساعدك، أو أكر عودي على بدئي إلى الحمى في حاجةٍ إن كانت لك حاجةٌ أو رسالة؟ فقال: جزيت وصحبتك السلامة! امض لطيتك، فلو أني علمت أنك تغني عني شيئاً لكنت موضعاً للرغبة وحقيقاً بإسعاف المسئلة، ولكنك أدركتني في صبابةٍ من حياتي يسيرة؛ فانصرفت وأنا لا أراه يمسي ليلته إلا ميتاً، فقال القوم: ما أعجب هذا الحديث! واندفع ابن عائشة فتغنى في الشعرين جميعاً وطرب وشرب بقية يومه، ولم يزل يغنينا إلى أن انصرفنا.

فأما نسبة هذين الصوتين فإن في الأول منهما لحناً من خفيف الرمل الثقيل المطلق في مجرى الوسطى، نسبه يحيى المكي إلى معبد، وذكر الهشامي أنه منحول. وفي هذا الخبر: أن ابن عائشة غناه، وهو يغني في البيت الأول والثاني من الأبيات. وفيه للضيزني الملقب بنبيكة لحنٌ جيد من الثقيل الأول. وكان نبيكة هذا من حذاق المغنين وكبارهم، وقد خدم المعتمد ثم شخص إلى مصر فخدم خمارويه بن أحمد، ثم قدم بغداد في أيام المقتدر، ورأيناه وشاهدناه، وكانت في يده صبابة قويةٌ من إفضال ابن طولون واستغنى بها حتى مات، وله صنعةٌ جيدةٌ قد ذكرت ما وقع إلي منها في "المجرد". وذكرت مما وقع إلي له في هذا الكتاب لحناً جيداً في شعر سعد ذلفاء، وهو:

ولما وقفنا دون سرحة مالكٍ

في موضعه من أخباره.

وأما الشعر الثاني الذي ذكرت في هذا الخبر الماضي: أن ابن عائشة غناه فما رأيت له نسبةً في كتاب ولا سمعت فيه صنعةً من أحد، ولعله مما انطوى عني أو لم يشتهر فسقط عن الناس.

سبب موته

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني به الحسن بن علي عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن حماد عن أبيه عن يعقوب بن طلحة الليثي عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال: أقبل ابن عائشة من الشأم حتى نزل قصر ذي حشبٍ ومعه مالٌ وطيبٌ وكساً فشرب فيه، ثم تطرقوا إلى ظهر القصر

فصعدوا، ثم نظر فإذا بنسوةٍ يتمشين في ناحية الوادي، فقال لأصحابه: هل لكم فيهن؟ قالوا: وكيف لنا بهن؟ فنهض فلبس ملاءة مدلوكة، ثم قام على شرفةٍ من شرفات القصر فتغنى:

وقد قالت لأترابٍ ... لها زهرٍ تلاقينا

تعالين فقد طاب ... لنا العيش تعالينا

فأقبلن إليه فطرب واستدار حتى سقط من السطح؛ وهذا الخبر يذكر على شرحه في خبر وفاته.

كان يعشق شعر الحطيئة

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد: قرأت على أبي عن محمد بن سلام عن جرير أبي الحصين قال: كان ابن عائشة إذا غنى في صوت له من شعر الحطيئة وهو:

عفا من سليمى مسحلان فحامره

نظر إلى أعطافه في كل رنة، فسئل يوماً - وقد دب فيه الشراب - عن ذلك، فقال: أنا عاشقٌ لهذا الصوت، وعاشقٌ لحديثه، وعاشقٌ لغريبه، وعاشقٌ لقول الحطيئة، إن الغناء رقيةٌ من رقى النيك، ويعجبني فهم الحطيئة بالغناء وليس هو من أهله ولا بصاحب غناء، وكيف لا أعجب به ومحله مني هذا المحل! وكان لا يسأله أحدٌ إياه إلا غناه، فمن فطن له أكثر سؤاله إياه. وكان جرير يقول: إنه أحسن صوتٍ له وأرقه وأجوده.

وفاة ابن عائشة

توفي في خلافة الوليد بن يزيد وتوفي ابن عائشة فيما قيل في أيام هشام بن عبد الملك، وقيل في أيام الوليد. وما أظن الصحيح إلا أنه توفي في أيام الوليد، لأنه أقدمه إليه. وذكر من زعم أنه توفي في خلافة هشام: أنه إنما وفد على الوليد وهو ولي عهد.

روايات أخرى في سبب موته أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: ذكر عمران بن هند: أن الغمر بن يزيد خرج إلى الشأم، فلما نزل قصر ذي خشب شرب على سطحه، فغنى ابن عائشة صوتاً طرب له الغمر، فقال: اردده، فأبى، وكان لا يرد صوتاً لسوء خلقه، فأمر به، فطرح من أعلى السطح فمات. ويقال: بل قام من الليل وهو سكران ليبول فسقط من السطح فمات.

قال إسحاق فحدثني المدائني قال حدثني بعض أهل المدينة قال: أقبل ابن عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد أجازه وأحسن إليه فجاء بما لم يأت به أحدٌ من عنده، فلما قرب من المدينة نزل بذي خشب على أربعة فراسخ من المدينة، وكان واليها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي، ولاه هشامٌ وهو خاله، وكان في قصر هناك، فقيل له: أصلح الله الأمير، هذا ابن عائشة قد أقبل من عند الوليد بن يزيد، فلو سألته أن يقيم عندنا اليوم فيطربنا وينصرف من غدٍ! فدعا به فسأله المقام عنده فأجابه إلى ذلك، فلما أخذوا في شربهم أخرج المخزومي جواريه،

فنظر إلى ابن عائشة وهو يغمز جاريةً منهن، فقال لخادمه: إذا خرج ابن عائشة يريد حاجته فارم به، وكانوا يشربون فوق سطحٍ ليس له إفريزٌ ولا شرفات، وهو يشرف على بستان، فلما قام ليبول رمى به الخادم من فوق السطح فمات، فقبره معروف هناك.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه وأخبرني به الحسن بن علي عن هارون بن محمد بن عبد الملك بن حماد بن إسحاق عن أبيه عن يعقوب بن طلحة الليثي عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال: أقبل ابن عائشة من الشأم حتى نزل بقصر ذي خشب ومعه مال وطيبٌ وكساً، فشرب فيه، ثم تطرقوا إلى ظهر القصر فصعدوا، ثم نظر فإذا بنسوة يتمشين في ناحية الوادي، فقال لأصحابه: هل لكم فيهن؟ قالوا: وكيف لنا بهن؟ فنهض فلبس ملاءة مدلوكةً، ثم قام على شرفة من شرف القصر فتغنى في شعر ابن أذينة:

وقد قالت لأترابٍ ... لها زهرٍ تلاقينا

تعالين فقد طاب ... لنا العيش تعالينا

فأقبلن إليه؛ وطرب فاستدار فسقط فمات. قال: وقال قوم: بل قدم المدينة فمات بها.

بكى عليه أشعب فأضحك الناس

قال: ولما مات قال أشعب: قد قلت لكم، ولكنه لا يغني حذرٌ من قدر: زوجوا ابن عائشة ربيحة الشماسية تخرج لكم بينهما مزامير داود فلم تفعلوا، وجعل يبكي والناس يضحكون منه.

نسبة هذا الصوت الذي غناه

صوت

سليمى أزمعت بينا ... فأين تقولها أينا

وقد قالت لأترابٍ ... لها زهرٍ تلاقينا

تعالين فقد طاب ... لنا العيش تعالينا

وغاب البرم الليل ... ة والعين فلا عينا

فأقبلن إليها مس ... رعاتٍ يتهادينا

إلى مثل مهاة الرم ... ل تكسو المجلس الزينا

إلى خودٍ منعمةٍ ... حففن بها وفدينا

تمنين مناهن ... فكنا ما تمنينا

الشعر لعروة بن أذينة. والغناء لابن عائشة لحنان أحدهما رملٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخرثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حبشٍ.

كان مالك بن أنس يكره الغناء

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:
سمعت إبراهيم بن سعد يحلف للرشيد وقد سأله عمن بالمدينة يكره الغناء، فقال: من قنعه الله بخزيه مالك بن أنس، ثم حلف له إنه سمع مالكاً يغني:

سليمى أزمعت بينا فأين تقولها أينا

في عرس رجلٍ من أهل المدينة يكنى أبا حنظلة.

خبر ابن عائشة وابن أذينة

وطلبه إليه أن يقول له شعراً يغنيه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان محمد بن يحيى عن بعض أصحابه قال: مر ابن عائشة بابن أذينة فقال له: قل أبياتاً هزجاً أغن فيها؛ فقال له: اجلس فجلس؛ فقال:

سليمى أزمعت فينا

الأبيات. قال أبو غسان: فحدثت أن ابن عائشة رواها، ثم ضحك لما سمع قوله:

تمنين مناهن فكنا ما تمنينا

ثم قال له: يا أبا عامر، تمنيتك لما أقبل بخرك، وأدبرذفرك، وذبل ذكرك! فجعل يشتمه. هذا لفظ إسماعيل بن يونس.
أخبرني الجوهري وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال فحدثني حماد الخشبي قال: ذكر ابن أذينة عند عمر بن عبد العزيز، فقال: نعم الرجل أبو عامر، على "أنه" الذي يقول:

وقد قالت لأتراب لها زهرٍ تلاقينا

غنى للوليد بن يزيد بمكة فأجازه

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد عن أبيه عن المدائني عن إسحاق بن أيوب القرشي قال:
كان هشام بن عبد الملك مكرماً للوليد بن يزيد، وكان عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدباً للوليد، وكان، فيما يقال، زنديقاً، فحمل الوليد على الشراب والاستخفاف بدينه، فاتخذ ندماء وشرب وتهتك، فأراد هشامٌ قطعهم

عنه، فولاه الموسم في سنة عشرٍ ومائة، فرأى الناس منه تهاوناً واستخفافاً بدينه، وأمر مولاه عيسى فصلى بالناس، وبعث إلى المغنين فغنوه وفيهم ابن عائشة فغناه:

سليمى أجمعت بينا

فنعر الوليد نعرةً أذن لها أهل مكة. وأمر لابن عائشة بألف دينار، وخلع عليه عدة خلع، وحمله.

فخرج ابن عائشة من عنده بأمرٍ أنكره الناس، وأمر للمغنين بدون ذلك، فتكلم أهل الحجاز وقالوا: أهذا ولي عهد المسلمين! وبلغ ذلك هشاماً فطمع في خلعه، وأراده على ذلك فأبى؛ وتنكر هشام للوليد، وتمادى الوليد في الشرب واللذات فأفرط، وتعبث هشام بالوليد وخاصته ومواليه، فترل بالأزرق بين أرض بلقين وفزارة على ماء يقال له الأغدق، حتى مات هشام. "انقضت أخباره".

ومن المائة صوت المختارة من أغانيه

غناؤه في صوت من المائة الصوت المختارة

صوت

من رواية علي بن يحيى:

حنت إلى برقٍ فقلت لها قري ... بعض الحنين فإن شجوك شائقي

بأبي الوليد وأم نفسي كلما ... بدت النجوم وذر قرن الشارق

أثوى فأكرم في الثواء وقضيت ... حاجاتنا من عند أروع باسق

لا تبعدن إداوةٌ مطروحةٌ ... كانت حديثاً للشراب العاتق

ويروي: بالشراب العاتق. عروضه من الكامل. حنت، يعني ناقته. وهذا البيت يتبع بيتاً قبله وهو:

فإلى الوليد اليوم حنت ناقتي ... تهوي بمغبر المتون سمالق

وبعده "حنت إلى برق..." وقوله: "قري" من الوقار، كأنها لما حنت أسرعت ونازعت إلى الوطن أو المقصد، فقال يخاطبها: قري. وذر قرن الشارق: طلع قرن الشمس؛ يريد: بأبي الوليد وأمي في كل ليل ونهار أبداً.

وأثوى: أنزل.

والثواء: الإقامة؛ قال الأعشى:

لقد كان في حول ثواء ثويته ... تقضى لبانات ويسأم سائم

والباسق: الطويل؛ قال الله عز وجل: "والنخل باسقاتٍ" أي طوالاً. ويروي:

لا تبعدن إداوةٌ مطروحةٌ

الشعر لعبد الرحمن بن أرطاة المحاربي. والغناء لابن عائشة. ولحنه المختار ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه للهذلي لحنٌ آخر من الثقيل الأول عن الهشامي وابن المكي. فأول لحن الهذلي استهلالٌ في:

حنت إلى برق فقلت لها قري

وأول لحن ابن عائشة:

بأبي الوليد وأم نفسي كلما ... بدت النجوم وذر قرن الشارق

أخبار ابن أرطاة ونسبه

نسبه

هو عبد الرحمن بن أرطاة، وقيل: عبد الرحمن بن سيحان بن أرطاة بن سيحان بن عمرو بن نجيد بن سعد بن لاحب بن ربيعة بن شكم بن عبد الله بن عوف بن زيد بن بكر بن عمير بن علي بن جسر بن محارب بن خصفة بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار. وأم جسر بن محارب كأس بنت لكيز بن أقصى بن عبد القيس، وأم علي بن جسر ماوية بنت علي بن بكر بن وائل، هذه رواية أبي عمرو الشيباني أخبرني بها عمي والصولي عن الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه، قال وشكم بن عبد الله أول محاربي ساد قومه وأبذهم رأساً بنفسه، وكانوا جيراناً في هوازن؛ وآل سيحان حلفاء حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وبمنزلة بعضهم عندهم خاصة وعند سائر بني أمية عامة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران قال: بنو سيحان من بني جسر بن محارب، وبنو مناف تقوي حلفهم، وهم عندي أعزاؤهم وليسوا بأحلافهم.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان قال: لما قتل هشام بن الوليد أبا أزيهر، بعثت قريش أرطاة بن سيحان حليف حرب بن أمية إلى الشراة يحذر من بها من تجار قريش، وخرج حاجزٌ الأزدي ليخبر قومه، فسبقه أرطاة، وقال في ذلك وقد حذرهم فنجوا:

مثل الحليف يشد عروته ... يثني العناج لها مع الكرب
زلمٌ إذا يسروا به يسرٌ ... ومناضلٌ يحمي عن الحسب
هل تشكرن فهرٌ وتاجرها ... دأب الشرى بالليل والخبب
حتى جلوت لهم يقينهم ... ببيان لا ألسٍ ولا كذب

وكان حليفاً لبني أمية ومدحهم

وكان عبد الرحمن شاعراً مقلاً إسلامياً ليس من الفحول المشهورين ولكنه كان يقول في الشراب والغزل والفخر ومدح أحلافه من بني أمية، وهو أحد المعاقرين للشراب والمحدودين فيه، وكان بني أمية كواحدٍ منهم إلا أن اختصاصه بآل أبي سفيان وآل عثمان خاصة كان أكثر، وخصوصه بالوليد بن عثمان ومؤانسته إياه أزيد من خصوصه بسائرهم، لأنهما كانا يتنادمان على الشراب.

وهذه الأبيات التي فيها الغناء يقولها في الوليد بن عثمان، وقيل: بل في الوليد بن عتبة. وخبره في ذلك يذكر بعد هذا.

أصابه خمار فداواه منه الوليد بن عثمان

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال عتبة بن المنهال المهلبي حدثني غير واحد من أهل الحجاز قالوا: كان ابن سيحان حليفاً لقريش يترل بالمدينة، وكان نديماً للوليد بن عثمان، فأصابه ذات يوم خمارٌ، فذهب لسانه وسكنت أطرافه وصرخ أهله عليه، فأقبل الوليد إليه فزعاً، فلما رآه قال: أخي مخمور ورب الكعبة، ثم أمر غلاماً له فأتاه بشراب من مترله في إداوة فأمر به فأسخن ثم سقاه إياه وقيأه، وصنع له حساءً وجعل على رأسه دهناً وجعل رجليه في ماء سخن، فما لبث أن انطلق وذهب ما كان به. ومات الوليد بعد ذلك. فبينا ابن سيحان يوماً جالسٌ وبعض متاعه ينقل من بيت إلى بيت، إذ مرت الخادم بإدواة الوليد التي كان داواه بما فيها من الشراب وقد يبست وتقبضت، فانتحب وقال:

لا تبعدن إداوةٌ مطروحةٌ ... كانت حديثاً للشراب العاتق

وذكر باقي الأبيات.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أحمد بن معاوية عن الواقدي قال حدثنا عبد الله بن أبي عبيدة عن أبيه قال: كان الوليد بن عثمان بن عفان يشرب مع الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وابن سيحان وكان يخمر فأصابه من ذلك شيءٌ شديدٌ حتى خيف عليه وشق النساء عليه الجيوب، فدعي له ابن سيحان، فلما رآه قال: اخرجن عني وعن أخي، فقال له: الصبوح أبا عبد الله، فجلس مفيقاً؛ فذلك حين يقول ابن سيحان:

بأبي الوليد وأم نفسي كلما ... بدت النجوم وذر قرن الشارق

أثوى فأكرم في الثواء وقضيت ... حاجاتنا من عند أروع باسق

كم عنده من نائلٍ وسماحةٍ ... وفضائلٍ معدودةٍ وخلائق

وسماحةٍ للمعتفين إذا اعتفوا ... في ماله حقا وقولٍ صادق

لا تبعدن إداوةٌ مطروحةٌ   كانت حديثاً للشراب العاتق

كان من ندماء الوليد بن عثمان

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان الوليد بن عثمان يكنى أبا الجهم، وكان لابن سيحان صديقاً ونديماً، وكان صاحب شراب، فمرض فعاده الوليد وقال: ما تشتهي؟ قال: شراباً، فبعث فجاءه بشراب في إدواة. ثم ذكر باقي الخبر نحو الذي قبله.

قيل إنه خرج معه إلى الحجاز لجني تمره

ولما عاد أعطاه إداوة وذكره بها فمدحه

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية قال: كان الوليد بن عثمان ذا غلة في الحجاز يخرج إليها في زمان التمر بنفرٍ من قومه، يجنون له ويعاونونه، فكان إذا حضر خروجهم دفع إليهم نفقاتٍ لأهليهم إلى رجعتهم، فخرج بهم مرة كما كان يخرج وفيهم ابن سيحان، فأتى ابن سيحان كتاب من أهله يسألونه القدوم لحاجةٍ لابد منها، فاستأذنه فأذن له، فقال له ابن سيحان: زودوني من شرابكم هذا، فزودوه إداوةً ملأها له من شرابهم، فكان يشربها في طريقه حتى قدم على أهله، فألقاها في جانب بيته فارغةً، فمكث زماناً لا يذكرها، ثم كنسوا البيت فرآها ملقاةً في الكناسة فقال:

لا تبعدن إداوةٌ مطروحةٌ   كانت حديثاً للشراب العاتق

إن تصبحي لا شيء فيك فربما   أترعت من كأس تلذ لذائق

بأبي الوليد وأم نفسي كلما   بدت النجوم وذر قرن الشارق

كم عنده من نائلٍ وسماحةٍ   وشمائلٍ ميمونةٍ وخلائق

وكرامةٍ للمعتفين إذا اعتفوا   في ماله حقاً وقولٍ صادق

أثوى فأكرم في الثواء وقضيت   حاجاتنا من عند أروع باسق

لما أتيناه أتينا ماجد ال   أخلاق سباقاً لقرمٍ سابق

قال الوليد يدي لكم رهنٌ ربما   حاولتم من صامتٍ أو ناطق

فإلى الوليد اليوم حنت ناقتي   تهوي بمغبر المتون سمالق

حنت إلى برقٍ فقلت لها قري   بعض الحنين فإن شجوك شائقي

حده مروان بالخمر ومنع منه معاوية

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن عبد الله التميمي الأصبهاني المعروف بالحزنبل قال حدثني عمرو ابن أبي عمرو الشيباني عن أبيه وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال قال حماد بن إسحاق: قرأت على أبي، قالا جميعاً: كان عبد الرحمن بن سيحان قد غاظ مروان بن الحكم أيام كان معاوية يعاقب بينه وبين سعيد بن العاص في ولاية الحرمين، وأنكر عليه أشياء بلغته فغاظته: من مدحه سعيداً وانقطاعه إليه وسروره بولايته، فرصده حتى وجده خارجاً من دار الوليد بن عثمان وهو سكران فضربه الحد ثمانين سوطاً. وقدم البريد من المدينة على معاوية فسأله عن أخبار الناس فجعل يخبره بها، حتى انتهى به الحديث إلى ابن سيحان فأخبره أن مروان ضربه الحد ثمانين؛ فغضب معاوية وقال: والله لو كان حليف أبي العاص لما ضربه ولكنه ضربه لأنه حليف حرب، أليس هو الذي يقول:

وإني آمرؤٌ حلفٌ إلى أفضل الورى عديداً إذا ارفضت عصا المتخلف

كذب والله مروان، لا يضربه في نبيذ أهل المدينة وشكهم وحمقهم؛ ثم قال لكاتبه: أكتب إلى مروان: فليبطل الحد عن ابن سيحان، وليخطب بذلك على المنبر، وليقل إنه كان ضربه على شبهة ثم بان له أنه لم يشرب مسكراً، وليعطه ألفي درهم. فلما ورد الكتاب على مروان عظم ذلك عليه، ودعا بابنه عبد الملك فقرأه عليه وشاوره فيه؛ فقال له عبد الملك: راجعه ولا تكذب نفسك، ولا تبطل حكمك؛ فقال مروان: أنا أعلم بمعاوية إذا عزم على شيء أو أراده، لا والله لا أراجعه. فلما كان يوم الجمعة وفرغ من الخطبة قال: وابن سيحان فإنا كشفنا أمره فإذا هو لم يشرب مسكراً، وإذا نحن قد عجلنا عليه؛ وقد أبطلت عنه الحد. ثم نزل فأرسل إليه بألفي درهم.

خبر الوليد ومروان أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية عن الواقدي قال حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال:

كان عبد الرحمن بن سيحان المحاربي شاعراً، وكان حلو الحديث، عنده أحاديث حسنةٌ غريبةٌ من أخبار العرب وأيامها وأشعارها، وكان على ذلك يصيب من الشراب، فكان كل من قدم من ولاة بني أمية وأحداثهم ممن يصيب الشراب يدعوه وينادمه، فلما ولي الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وعزل مروان وجد مروان في نفسه وكان قد سبعه، فحقد عليه مروان واضطغنه، وكان الوليد يصيب من الشراب ويبعث إلى ابن سيحان فيشرب معه، وابن سليمان لا يظن أن مروان يفعل به الذي فعله، وقد كان مدحه ابن سليمان ووصله مروان، ولكن مروان أراد فضيحة الوليد، فرصده ليلةً في المسجد، وكان ابن سيحان يخرج في السحر من عند الوليد ثملاً فيمر في المقصورة من المسجد حتى يخرج في زقاق عاصم، وكان محمد بن عمرو يبيت في المسجد يصلي، وكذلك عبد الله بن حنظلة وغيرهما من القراء يبيتون في المسجد يتهجدون، فلما خرج ابن سيحان ثملاً من دار الوليد أخذه مروان وأعوانه، ثم دعا له محمد بن عمرو وعبد الله بن حنظلة فأشهدهما على سكره وقد سأله أن يقرأ أم القرآن فلم يقرأها، فدفعه إلى صاحب شرطته فحبسه؛ فلما أصبح الوليد بلغه الخبر وشاع في المدينة وعلم أن مروان إنما

أراد أن يفضحه، وأنه لو لقي ابن سيحان ثملاً خارجاً من عند غيره لم يعرض له، فقال الوليد: لا يبرئني من هذا عند أهل المدينة إلا ضرب ابن سيحان، فأمر صاحب شرطته فضربه الحد ثم أرسله.

مكث في بيته استحياء فحمله عبد الرحمن بن الحارث على الخروج إلى المسجد فجلس ابن سيحان في بيته لا يخرج حياءً من الناس، فجاءه عبد الرحمن بن الحارث بن هشام في ولده وكان له جليساً فقال له: ما يجلسك في بيتك؟ قال: الاستحياء من الناس؛ قال: اخرج أيها الرجل، وكان عبد الرحمن قد حمل له معه كسوة، فقال له: البسها ورح معنا إلى المسجد فهذا أحرى أن يكذب به مكذب، ثم ترحل إلى أمير المؤمنين فتخبره بما صنع بك الوليد فإنه يصلك ويبطل هذا الحد عنك؛ فراح مع عبد الرحمن في جماعة ولده متوسطاً لهم حتى دخل المسجد فصلى ركعتين، ثم تساند مع عبد الرحمن إلى الأسطوانة؛ فقائل يقول: لم يضرب، وقائل يقول: رحل إلى معاوية وشفع فيه يزيد فعفا عنه وكتب بذلك إلى الوليد أنا رأيته يضرب، وقائل يقول: عزر أسواطاً. فمكث أياماً ثم رحل إلى معاوية فدخل إلى يزيد فشرب معه، وكلم يزيد أباه معاوية في أمره فدعا به فأخبره بقصته وما صنعه به مروان، فقال: قبح الله الوليد ما أضعف عقله! أما استحيا من ضربك فيما شرب! وأما مروان فإني كنت لا أحسبه يبلغ هذا منك مع رأيك فيه ومودتك له، ولكنه أراد أن يضع الوليد عندي و لم يصب، وقد صير نفسه في حد كنا نتزهه عنه، صار شرطياً! ثم قال لكاتبه: اكتب: "بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة. أما بعد، فالعجيب لضربك ابن سيحان فيما تشرب منه، ما زدت على أن عرفت أهل المدينة ما كنت تشربه مما حرم عليك، فإذا جاءك كتابي هذا فأبطل الد عن ابن سيحان، وطف به في حلق المسجد وأخبرهم أن صاحب شرطك تعدى عليه وظلمه، وأن أمير المؤمنين قد أبطل ذلك عنه، أليس ابن سيحان الذي يقول:

وإني امرؤٌ أنمى إلى أفضل الورى ... عديداً إذا ارفضت عصا المتحلف
إلى نضدٍ من عبد شمس كأنهم ... هضاب أجا أركانها لم تقصف
ميامين يرضون الكفاية إن كفوا ... ويكفون ما ولوا بغير تكلف
غطارفةٌ ساسوا البلاد فأحسنوا ... سياستها حتى أقرت لمردف
فمن يك منهم موسراً يفش فضله ... ومن يك منهم معسراً يتعفف
وإن تبسط النعمى لهم يبسطوا بها ... أكفا سباطا نفعها غير مقرف
وإن تزو عنهم لا يضجوا وتلفهم ... قليلي التشكي عندها والتكلف
إذا انصرفوا للحق يوماً تصرفوا ... إذا الجاهل الحيران لم يتصرف
سموا فعلوا فوق البرية كلها ... ببنيان عالٍ من منيفٍ ومشرف

قال: وكتب له بأن يعطى أربعمائة شاةٍ وثلاثين لقحة مما يوطن السيالة وأعطاه هو خمسمائة دينار، وأعطاه يزيد مائتي دينار. ثم قدم بكتاب معاوية إلى الوليد، فطاف به في المسجد، وأبطل ذلك الحد عنه، وأعطاه ما كتب به له معاوية. وكتب معاوية إلى مروان يلومه فيما يفعله بابن سيحان، وما أراده بذلك. ودعا الوليد عبد الرحمن بن سيحان إلى أن يعود للشرب معه؛ فقال: والله لا ذقت معك شراباً ابداً.

ضربه مروان الحد فأبطله معاوية

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو مسلم الغفاري قال حدثني موسى بن عبد العزيز قال: أخذ ابن سيحان الجسري - هكذا قال وهو غلط - في شراب في إمارة مروان، وكان حليفاً لأبي سفيان ابن حرب، فضربه مروان ثمانين سوطاً على رؤوس الناس، فكتب إلى معاوية يشكوه، فكتب إليه معاوية: أما بعد فإنك أخذت حليف حرب فضربته ثمانين على رؤوس الناس، والله لتبطلنها عنه، أو لأقيدنه منك؛ فقال مروان لابنه عبد الملك: ماترى؟ قال: أرى والله ألا تفعل؛ قال: ويحك! أنا أعلم بعزمات معاوية منك، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنا كنا ضربنا ابن سيحان بشهادة رجل من الحرس ووجدناه غير عدلٍ ولا رضاً، فاشهدوا أني قد أبطلت ذلك الحد عنه.

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبد العزيز بن عمران قال: ضرب مروان عبد الرحمن بن سيحان في الخمر ثمانين سوطاً، فكتب إليه معاوية: أما بعد، فإنك ضربت عبد الرحمن في نبيذ أهل الشأم الذي يستعملونه وليس بحرام، وإنما ضربته حيث كان حلفه إلى أبي سفيان بن حرب، وايم الله لو كان حليفاً للحكم ما ضربته، فأبطل عنه الحد قبل أن أضرب من أخذ معه: أخاك عبد الرحمن بن الحكم؛ فأبطل مروان عنه الحد؛ فقال ابن سيحان في ذلك يذكر حلفه:

إني امرؤ عقدي إلى أفضل الورى ... عديداً إذا ارفضت عصا المتحلف

وقال الطوسي: كان عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان يشرب مع ابن سيحان، فلما ضربه مروان الحد كتب إليه معاوية: والله لتبطلنه عنه أو لأبعثن إلى أخيك من يضرب ظهره بالسوط في السوق، أليس ابن سيحان الذي يقول:

سموت بحلفي للطوال من الربى ... ولم تلقني قناً لدى مبرك الجرب

إذا ما حليف الذل اقمأ شخصه ... ودب كما دب الحسير على نقب

وهصت الحصى لا أخنس الأنف قابعاً ... إذا أنا راخى لي خناقي بنو حرب

كان مع سعيد بن عثمان حين قتله

وهرب عنه ثم رثاه

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء وأحمد بن سليمان الطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب وغيره قالوا: قدم سعيد بن عثمان المدينة فقتله غلمانٌ جاء بهم من الصغد، وكان معه عبد الرحمن بن أرطاة بن سيحان حليف بني حرب بن أمية، فهرب عنه لما قتلوه، فقال خالد بن عقبة بن أبي معيط يرثي سعيد بن عثمان - وعثمان أخوه لأمه -:

يا عين جودي بدمع منك تهتانا | وابكي سعيد بن عثمان بن عفانا
إن ابن زينة لم تصدق مودته | وفر عنه ابن أرطاة بن سيحانا

فقال ابن سيحان يعتذر من ذلك:

يقول رجالٌ قد دعاك فلم تجب | وذلك من تلقاء مثلك رائع
فإن كان نادى دعوةً فسمعتها | فشلت يدي واستك مني المسامع
وإلا فكانت بالذي قال باطلاً | ودارت عليه الدائرات القوارع
يلومونني أن كنت في الدار حاسراً | وقد فر عنه خالدٌ هو دارع

فقال بعض الشعراء يجيبه:

فإنك لم تسمع ولكن رأيته | بعينيك إذ مجراك في الدار واسع
وأسلمته للصغد تدمي كلومه | وفارقته والصوت في الدار شائع
وما كان فيها خالدٌ بمعذرٍ | سواء عليه صم أو هو سامع
فلا زلتما في غل سوءٍ بعبرةٍ | ودارت عليكم بالشمات القوارع

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال: لما قتل سعيد بن عثمان بن عفان قالت أمه: أشتهي أن يرثيه شاعرٌ كما في نفسي حتى أعطيه ما يحتكم؛ فقال ابن سيحان:

إن كنت باكيةً فتى | فابكي هبلت على سعيد :

فارقت أهلك بغتةً | وجلبت حتفك من بعيد
أذري دموعك والدما | ء على الشهيد ابن الشهيد

فقالت: هكذا كنت أشتهي أن يقال فيه، ووصلت ابن سيحان. وكانت تندبه بهذا الشعر.

وقال أبو عمرو في روايته التي ذكرهما عن عمي عن الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال: جلس ابن

سيحان وخالد بن عقبة بعد مقتل سعيد بن عثمان يتحدثان، فجرى ذكره فبكيا جميعاً عليه، فقال ابن سيحان يرثيه:

ألا إن خير الناس إن كنت سائلاً | سعيد بن عثمان القتيل بلا ذحل
تداعت عليه عصبةٌ فارسيةٌ | فأضحى سعيدٌ لا يمر ولا يحلي

وقال خالد بن عقبة:

ألا إن خير الناس نفساً ووالداً | سعيد بن عثمانٍ قتيل الأعاجم
بكت عين من لم يبكه وسط يثربٍ | مدى الدهر منه بالدموع السواجم
فإن تكن الأيام أردت صروفها | سعيداً، فمن هذا عليها بسالم

قال الحزنبل: أنشدني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه لابن سيحان قال عمي وأنشدني السكري عن ابن حبيب والطوسي له:

صوت

رحم الله صاحبي ابني الحا | رث إذ ينهانني أن أبوحا
بالتي تيمت فؤادي وأن أذ | ري دموعي على ردائي سفوحا
في مغاني منازلٍ من حبيبٍ | باشرت بعده قطاراً وريحا
ولقد قلت للفؤاد ولكن | كان قدماً إلى هواه جموحا
قلت أقصر عن بعض حبك أروى | إن بعض الحباب كان فضوحا
فعصاني، فليس يسمع قولاً | من حمامٍ على الأراك، جنوحا
أم يحيى تقبل الله يحيى | بقبول كما تقبل نوحا
أم يحيى لولا طلابك قد سحت | مع الوحش أو لبست المسوحا
ولقد قلت لا أحدث سراً | سر أخرى ما دامت أمشي صحيحا

الغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس. وفيه للغريض ثقيلٌ أول عن الهشامي. وفيه لزريق رمل.

قال أبو عمرو: وابن سيحان الذي يقول:

ألا هل هاجك الأظعا | ن إذ جاوزن مطلحا

بنو مطيع وذمه لهم

والناس يروونه لعمر بن أبي ربيعة لغلبته على أهل الحجاز جميعاً. وقال أبو عمرو في خبره: كان ابن سيحان يحدث قال: كنت آلف من قريش أهل بيتين سوى من كنت منقطعاً إليه من بني أمية: بني عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وبني مطيع، فلما ضربني مروان الحد جئت فجلست إلى بني مطيع كما كنت أجلس، فلما رأوني عرفت الكراهة في وجوههم، والله ما أقبلوا بوجوههم علي بحديثم ولا وسعوا لي، فانصرفت ورحت إلى بني عبد الرحمن، فلما رأوني أقبلوا بوجوههم علي وحيوا ورحبوا وسهلوا ووسعوا ورفعوني إلى حيث لم أكن أجلس وأقبلوا علي بوجوههم يحدثونني، وقالوا: لعلك خشعت للذي لحقك، أما والله لقد علم الناس أنك مظلوم، وظلموا مروان في فعله، ورأوا أنه قد أساء وأخطأ في شأنك، وقالوا: ما ضرك ذلك ولا نقصك ولا زادك إلا خيراً، و لم يزالوا حتى بسطوني، فقلت أمدحهم وأذم بني مطيع:

لقد حرمت ود بني مطيع حرام الدهن للرجل الحرام
وإن جنف الزمان مددت حبلاً متيناً من حبال بني هشام
رطيبٌ عودهم أبداً وريقٌ إذا ما اغبر عيدان اللئام

ما وقع له مع إمرأته بسبب سكره

وقال أبو عمرو في خبره: كان عبد الرحم بن سيحان ينادم الوليد بن عثمان على الشراب فيبيت عنده خوفاً من أن يظهر وهو سكران فيحد، فقالت له امرأته: قد صرت لا تبيت في مترلك وأظنك قد تزوجت، وإلا فما مبيتك عن أهلك! فقال لها:

لا تعدميني نديماً ماجداً أنفاً لا قائلاً قاذفاً خلقاً ببهتان
أغر راووقه ملآن صافيةً تنفي القذى عن جبينٍ غير خزيان
سبيئة من قرى بيروت صافية عذراء أو سبئت من أرض بيسان
إنا لنشربها حتى تميل بنا كما تمايل وسنانٌ بوسنان

حثه ابن عمه على شرب الخمر

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال: كان ابن سيحان صاحب شراب، فدخل على ابن عم له يقال له الحارث بن سريع فوجده يشرب نبيذ زبيبٍ، فجعل

يعظه ويأمره بشرب الخمر، وقال له: يابن سريع، إن كنت تشربه على أن نبيذ الزبيب حلالٌ فإنك أحمق، وإن كنت تشربه على أنه حرام تستغفر الله منه وتنوي التوبة فاشرب أجوده فإن الوزر واحد، ثم قال:

دع ابن سريع شرب ما مات مرةً وخذها سلافاً حيةً مزة الطعم

تدعك على ملك ابن ساسان قادراً إذا حرمت قراؤنا حلب الكرم

فشتان بين الحي والميت فاعتزم على مزةٍ صفراء راووقها يهمي

فإن سريعاً كان أوصى بحبها بنيه وعمي جاوز الله عن عمي

ويا رب يومٍ قد شهدت بني أبي عليها إلى أن غاب تالية النجم

حسوها صلاة العصر والشمس حيةٌ تدار عليهم بالصغير وبالضخم

فماتوا وعاشوا والمدامة بينهم مشعشعة كالنجم توصف بالوهم

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال: كان ابن سيحان حليف حرب بن أمية ينادم الوليد بن عقبة بن أبي معيط، ويشرب معه الخمر، وهو القائل:

إصبح نديمك من صهباء صافيةٍ حتى يروح كريماً ناعم البال

واشرب هديت أبا وهبٍ مجاهرةً واختل فإنك من قوم أولى خال

أنت الجواد أبا وهبٍ إذا جمدت أيدي الرجال بما تحويه من مال

لولا رجاؤك قد شمرت مرتحلاً عنساً تعاقب تخويداً بإرقال

لما تواصوا بقتلي قمت معتزماً حتى حميت من الأعداء أوصالي

عم الوليد بمعروفٍ عشيرته والأبعدون حظوا منه بإفضال

شعره في الوليد وقد حماه من أخواله

قال: وكان ابن سيحان قد ضرب رجلاً من أخواله بالسيف فقطع يده ولم تقم عليه بينة، فتآمر به القوم ومنع منه ابن خال له منهم؛ وخاف الوليد بن عقبة أن يرجع إلى المدينة هارباً منهم وخوفاً من جنايته عليهم فيفارقه وينقطع عنه، فدعاهم وأرضاهم وأعطاهم دية صاحبهم. فلم يزل عند الوليد حتى عزل وهو نديمه وصفيه. وهو القائل في الوليد - وفيه غناء -:

صوت

بات الوليد يعاطيني مشعشعةً حتى هويت صريعاً بين أصحابي

في الغناء: بات الكريم يعاطيني.

لا أستطيع نهوضاً إن هممت به | وما أنهنه من حسوٍ وتشراب
حتى إذا الصبح لاحت لي جوانبه | وليت أسحب نحو الفوم أثوابي
كأنني من حميا كأسه جملٌ | صحت قوائمه من بعد أوصاب

ويروى:

كأنني من حميا كأسه ظلعٌ

الغناء ليحيى المكي - وروي: ضلعٌ - خفيف ثقيلٍ بالبنصر عن الهشامي وبذل: قالت بذل: وفيه لحنٌ آخر ليحيى، ولم تذكر طريقته.

خبره مع سعيد بن العاص

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو فهيرة قال: دخل عبد الرحمن بن أرطاة على سعيد بن العاص وهو أمير المدينة؛ فقال له: ألست القائل:

إنا لنشربها حتى تميل بنا | كما تمايل وسنانٌ بوسنان

فقال له عبد الرحمن: معاذ الله أن أشربها وأنعتها، ولكني الذي أقول:

سموت بحلفي للطوال من الذرى | ولم تلقني كالنسر في ملتقى جدب
إذا ما حليف القوم أقعى مكانه | ودب كما يمشي الحسير من النقب
وهصت الحصى لا أرهب الضيم قائماً | إذا أنا راخى لي خناقي بنو حرب

وقام يجر مطرفه بين الصفين حتى خرج. فأقبل عمرو بن سعيد على أبيه فقال: لو أمرت بهذا الكب فضرب مائتي سوطٍ كان خيراً له؛ فقال: يا بني، أضربه وهو حليف حرب بن أمية ومعاوية خليفةٌ بالشأم! إذاً لا يرضى! فلما حج معاوية لقيه بمنى، فقال: إيه يا سعيد! أمرك أحمقك بأن تضرب حليفي مائتي سوط! أما والله لو جلدته سوطاً لجلدتك سوطين! فقال له سعيد: ولم ذاك؟ أو لم تجلد أنت حليفك عمر بن جبلة! فقال له معاوية: هو لحمي آكله ولا أوكله. قال: وكان ابن سيحان قد قال:

لا يعدمني نديمي ماجداً أنفاً | لا قائلاً خالطاً زوراً ببهتان
أمسي أعاطيه كأساً لذ مشربها | كالمسك حفت بنسرينٍ وريحان
سبيئةً من قرى بيروت صافيةً | أو التي سبئت من أرض بيسان
إنا لنشربها حتى تميل بنا | كما تمايل وسنان بوسنان

انقضت أخباره.

أحد الأصوات من المائة المختارة

من رواية علي بن يحيى

يا خليلي هجرا كي تروحا هجتما للرواح قلباً قريحا
إن تريغا لتعلما سر سعدى تجداني بسر سعدى شحيحا
إن سعدى لمنية المتمني جمعت عفةً ووجهاً صبيحا
كلمتني وذاك ما نلت منها إن سعدى ترى الكلام ربيحا

الشعر لابن ميادة. والغناء لحنين، ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أن فيه لدحمان لحناً من الثقيل الأول بالبنصر، وأظنه هذا، وأن عمراً غلط في نسبته إلى دحمان.

أخبار ابن ميادة ونسبه

نسبه

اسمه الرماح بن أبرد بن ثوبان بن سراقة بن حرملة، هكذا قال الزبير بن بكار في نسبه. وقال ابن الكلبي: ثوبان بن سراقة بن سلمى بن ظالم ويقال سراقة بن قيس بن سلمى بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر.

كان يزعم أن أمه فارسية وأمه ميادة أم ولدٍ بربرية، وروي أنها كانت صقلبية. ويكنى أبا شرحبيل، وقيل بل يكنى أبا شراحيل.

وكان ابن ميادة يزعم أن أمه فارسية، وذكر ذلك في شعره فقال:

أنا ابن سلمى وجدي ظالم وأمي حصانٌ أخلصتها الأعاجم
أليس غلامٌ بين كسرى وظالمٍ بأكرم من نيطت عليه التمائم

كذبه موسى بن سيار أن أمه فارسية

أخبرني بذلك الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو مسلمة مرهوب بن سيد وأخبرني الحرمي "قال حدثنا الزبير" قال حدثني موسى بن زهير الفزاري قال أخبرني موسى بن سيار بن نجيح المزني قال: أنشدني ابن ميادة أبياته التي يقول فيها:

أليس غلام بين كسرى وظالم بأكرم من نيطت عليه التمائم

فقلت له: لقد أشحطت بدار العجوز وأبعدت بها النجعة، فهلا غربت "يريد أنها صقلبيةٌ ومحلها بناحية المغرب" فقال: إي بأبي أنت، إنه من جاع انتجع، فدعها تسر في الناس فإنه "من يسمع يخل". قال الزبير قال ابن مسلمة: ولما قال ابن ميادة هذه الأبيات قال الحكم الخضري يرد عليه:

رد عليه الحكم الخضري فخره بأمه وهجاه

وما لك فيهم من أبٍ ذي دسيعةٍ ولا ولدتك المحصنات الكرائم

وما أنت إلا عبدهم إن تربهم من الدهر يوماً تستربك المقاسم

رمى نهبلٌ في فرج أمك رميةً بحوقاء تسقيها العروق الثواجم

قال أبو مسلمة: ونهبل عبدٌ لبني مرة كانت ميادة تزوجته بعد سيدها، وكانت صقلبية. وابن ميادة شاعرٌ فصيحٌ مقدم مخضرم من شعراء الدولتين. وجعله ابن سلام في الطبقة السابعة، وقرن به عمر بن لجأ والعجيف العقيلي والعجير السلولي.

كان يتعرض للمهاجاة ويقول لأمه اصبري

على الهجو

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا الحسن بن الحسين السكري قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: كان ابن ميادة عريضاً للشر، طالباً مهاجاة الشعراء ومسابة الناس. وكان يضرب بيده على جنب أمه ويقول:

اعرنزمي مياد للقوافي

أي إني سأهجو الناس فيهجونك.

وأخبرنا يحيى بن علي عن أبي هفان بهذه الحكاية مثله، وزاد فيها:

اعرنزمي مياد للقوافي واستسمعيهن ولاتخافي

ستجدين ابنك ذا قذاف

استنشد امرأة أمام أمه ما هجيت به

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا داود بن علفة الأسدي قال: جاورة امرأةٌ من الخضر: "رهط الحكم الخضري" أبيات ابن ميادة، فجاءت ذات يوم تطلب رحىً وثفالاً لتطحن، فأعاروها إياهما

فقال لها ابن ميادة: يا أخت الخضر، أتروين شيئاً مما قاله الحكم الخضري لنا، يريد بذلك أن تسمع أمه، فجعلت تأبى، فلم يزل حتى أنشدته:

أمياد قد أفسدت سيف ابن ظالم ببظرك حتى عاد أثلم باليا

قال: وميادة جالسةٌ تسمع. فضحك الرماح، وثارت ميادة إليها بالعمود تضربها به وتقول: أي زانية! هيا زانية! أإياي تعنين! وقام ابن ميادة يخلصها، فبعد لأيٍ ما أنقذها، وقد انتزعت منها الرحى والثفال.

إنشاده شماطيط هجاء أمه

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو حرملة منظور بن أبي عدي الفزاري قال حدثني شماطيط - وهو الذي يقول:

أنا شماطيط الذي حدثت به متى أنبه للغداء أنتبه

حتى يقال شرهٌ ولست به

- قال: كنت جالساً مع ابن ميادة فوردت عليه أبياتٌ للحكم الخضري يقول فيها:

أألت ابن أشبانية أدلجت به إلى اللؤم مقلاتٍ لئيمٍ جنينها

- أشبانية: صقلبية - قال: وأمه ميادة تسمع فضرب جنبها وقال:

اعرنزمي مياد للقوافي

فقالت: هذه جنايتك يابن من خبث وشر، وأهوت إلى عصاً تريد ضربه بها؛ ففر منها وهو يقول:

يا صدقها ولم تكن صدوقا

فصحت به: أيهما المعني؟ فقال: أضرعهما خدين وألأمهما جدين؛ فضربت جنبها الآخر وقلت: فهي إذاً ميادة، وخرجت أعدو في أثر الرماح، وتبعتنا ترمينا بالحجارة وتفتري علينا حتى فتناها.

أمه ميادة وقصة تزوجها أبرد أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبو داود الفزاري: أن ميادة كانت أمةً لرجلٍ من كلب زوجةً لعبدٍ له يقال له هبل، فاشتراها بنو ثوبان بن سراقة فأقبلوا بها من الشأم، فلما قدموا وصبحوا بها المليحة "وهي ماءة لبني سلمى ورحل بن ظالم بن جذيمة" نظر رجلٌ من بني سلمى إليها وهي ناعسة تمايل على بعيرها، فقال: ما هذه؟ قالوا: اشتراها بنو ثوبان؛ فقال: وأبيكم إنها لميادةٌ تميد وتميل على بعيرها، فغلب عليها "ميادة". وكان أبرد ضلةً من الضلل ورثةً من الرثث جلفاً لا تخلص إحدى يديه من الأخرى، يرعى على إخوته وأهله، وكانت إخوته كلهم ظرفاء غيره. فأرسلوا ميادة ترعى الإبل معه فوقع عليها، فلم يشعروا بها إلا قد أقعسها بطنها، فقالوا لها: لمن ما في بطنك. قالت: لأبرد، وسألوه فجعل يسكت ولا يجيبهم، حتى رمت بالرماح فرأوا غلاماً فدغما نجيباً، فأقر به أبرد. وقالت بنو سلمى: ويلكم يا بني

ثوبان! ابتطنوه فلعله ينجب؛ فقالوا: والله ما له غير ميادة، فبنوا لها بيتاً وأقعدوها فيه، فجاءت بعد الرماح بثوبان وخليل وبشير بني أبرد، وكانت أول نسائه وآخرهن، وكانت امرأة صدق، ما رميت بشيء ولا سبت إلا بنهبل. قال عبد الرحمن بن جهيم الأسدي في هجائه ابن ميادة:

لعمري لئن شابت حليلة نهبلٍ ... لبئس شباب المرء كان شبابها

ولم تدر حمراء العجان أنهبلٌ ... أبوه أم المري تب تبابها

هجا بني مازن فرد عليه رجل منهم قال أبو داود: وكان ابن ميادة هجا بني مازن وفزارة بن ذبيان، وذلك أنهم ظلموا بني الصارد - والصارد من مرة - فأخذوا مالهم وغلبوهم عليه حتى الساعة؛ فقال ابن ميادة:

فلأوردن على جماعة مازنٍ ... خيلاً مقلصة الحصى ورجالا

ظلوا بذي أركٍ كأن رءوسهم ... شجرٌ تخطاه الربيع فحالا

فقال رجل من بني مازن يرد عليه:

يابن الخبيثة يابن طلة نهبلٍ ... هلا جمعت كما زعمت رجالا

أببظر ميدة أم بخصيي نهبلٍ ... أم بالفساة تنازل الأبطالا

ولئن وردت على جماعة مازنٍ ... تبغي القتال لتلقين قتالا

قال: وبنو مرة يسمون الفساة لكثرة امتيارهم التمر، وكانت منازلهم بين فدك وخيبر فلقبوا بذلك لأكلهم التمر.

وقال يحيى بن علي في خبره - ولم يذكره عن أحد -: وقال ابن ميادة يفتخر بأمه: شعره في الفخر بنسبه

أنا ابن ميادة تهوي نجبي ... صلت الجبين حسنٌ مركبي

ترفعني أمي وينميني أبي ... فوق السحاب ودوين الكوكب

قال يحيى بن علي في خبره عن حماد عن أبيه عن أبي داود الفزاري: إن ابن ميادة قال يفخر بنسب أبيه في العرب ونسب أمه في العجم:

أليس غلامٌ بين كسرى وظالم ... بأكرم من نيطت عليه التمائم

لو أن جميع الناس كانوا بتلعةٍ ... وجئت بجدي ظالمٍ وابن ظالم

لظلت رقاب الناس خاضعةً لنا ... سجوداً على أقدامنا بالجماجم

سمع الفرزدق شيئاً من شعره فانتحله

فأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: كان ابن ميادة واقفاً في الموسم ينشد:

لو أن جميع الناس كانوا بتلعةٍ

وذكر تمام البيت والذي بعده. قال: والفرزدق واقف عليه في جماعة وهو متلثم، فلما سمع هذين البيتين أقبل عليه ثم قال: أنت يابن أبرد صاحب هذه الصفة! كذبت والله وكذب من سمع ذلك منك فلم يكذبك؛ فأقبل عليه فقال: فمه يا أبا فراس؛ فقال: أنا والله أولى بهما منك، ثم أقبل على روايته فقال: اضممهما إليك:

لو أن جميع الناس كانوا بتلعةٍ وجئت بجدي دارمٍ وابن دارم
لظلت رقاب الناس خاضعةً لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم

قال: فأطرق ابن ميادة فما أجابه بحرف، ومضى الفرزدق فانتحلهما.

كان له أخوان شاعران

وقد أتاهم الشعر من قبل جدهم زهير

أم بني ثوبان - وهو أبرد أبو ابن ميادة والعوثبان وقريض وناعضة، وكان العوثبان وقريض شاعرين - أمهم جميعاً سلمى بنت كعب بن زهير بن أبي سلمى.

مهاجاته لعقبة بن كعب بن زهير ويقال: إن الشعر أتى ابن ميادة عن أعمامه من قبل جدهم زهير. قال إسحاق في خبره هذا: وحدثني حميد بن الحارث أن عقبة بن كعب بن زهير نزل المليحة على بني سلمى بن ظالم فأكلوا له بعيراً، وبلغ ابن ميادة أن عقبة قال في ذلك شعراً، فقال ابن ميادة يرد عليه:

ولقد حلفت برب مكة صادقاً لولا قرابة نسوةٍ بالحاجر
لكسوت عقبة كسوةً مشهورةً ترد المناهل من كلامٍ عائر

وهي قصيدة؛ فقال له عقبة:

ألوماً أنني أصبحت خالاً وذكر الخال ينقص أو يزيد
لقد قلدت من سلمى رجالاً عليهم مسحةٌ وهم العبيد

فقال ابن ميادة:

أن تك خالنا فقبحت خالاً فأنت الخال تنقص لا تزيد
فيوماً في مزينة أنت حر ويوماً أنت محتدك العبيد
أحق الناس أن يلقى هواناً ويؤكل ماله العبد الطريد

أوصاف ابن ميادة

قال إسحاق فحدثني عجرمة قال: كان ابن ميادة أحمر سبطاً عظيم الخلق طويل اللحية، وكان لباساً عطراً، ما دنوت من رجلٍ كان أطيب عرفاً منه.

مقارنة بينه وبين النابغة

قال إسحاق: وحدثني أبو داود قال: سمعت شيخاً عالماً من غطفان يقول: كان الرماح أشعر غطفان في الجاهلية والإسلام، وكان خيراً لقومه من النابغة، لم يمدح غير قريش وقيس، وكان النابغة إنما يهذي باليمن مضللاً حتى مات.

هو كثير السقط في شعره

قال إسحاق: وحدثني أبو داود أن بني ذبيان تزعم أن الرماح بن ميادة كان آخر الشعراء. قال إسحاق: وحدثني أبو صالح الفزاري أن القاسم بن جندبٍ الفزاري، وكان عالماً، قال لابن ميادة: والله لو أصلحت شعرك لذكرت به، فإني لأراه كثير السقط؛ فقال له ابن ميادة: يابن جندب، إنما الشعر كنبلٍ في جفيرك ترمى به الغرض، فطالعٌ وواقعٌ وعاصدٌ وقاصد.

كان زمن هشام وبقي إلى خلافة المنصور

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال: كان ابن ميادة حديث العهد لم يدرك زمان قتيبة بن مسلم، ولا دخل فيمن عناه حين قال: "أشعر قيسٍ الملقبون من بني عامر والمنسوبون إلى أمهاتهم من غطفان"، ولكنه شاعر مجيدٌ كان في أيام هشام بن عبد الملك وبقي إلى زمن المنصور.

مدح بني أمية وبني هاشم

أخبرنا يحيى بن علي قال: كان ابن ميادة فصيحاً يحتج بشعره، وقد مدح بني أمية وبني هاشم: مدح من بني أمية الوليد بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان، ومدح من بني هاشم المنصور وجعفر بن سليمان.

علم أنه شاعر حين وافق الحطيئة

في بيت قاله

وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال أخبرني طماح ابن أخي الرماح ابن ميادة قال: قال لي عمي الرماح: ما علمت أني شاعرٌ حتى واطأت الحطيئة، فإنه قال:

عفا مسحلان من سليمى فحامره　　　تمشى به ظلمانه وجآذره

فوالله ما سمعته ولا رويته فواطأته بطبعي فقلت:

فذو العش والممدور أصبح قاوياً　　　تمشى به ظلمانه وجآذره

فلما أنشدتها قيل لي: قد قال الحطيئة:

تمشى به ظلمانه وجآذره

فعلمت أني شاعرٌ حينئذ.

كان ينسب بأم جحدر وشعره فيها

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن زهير بن مضرس قال: كان الرماح بن أبرد المعروف بابن ميادة ينسب بأم جحدر بنت حسان المرية إحدى نساء بني جذيمة، فحلف أبوها ليخرجنها إلى رجل من غير عشيرته ولا يزوجها بنجد؛ فقدم عليه رجلٌ من الشأم فزوجه إياها؛ فلقي عليها ابن ميادة شدة، فرأيته وما لقي عليها، فأتاها نساؤها ينظرن إليها عند خروج الشأمي بها. قال: فوالله ما ذكرن منها جمالاً بارعاً ولا حسناً مشهوراً، ولكنها كانت أكسب الناس لعجب. فلما خرج بها زوجها إلى بلاده اندفع ابن ميادة يقول:

ألا ليت شعري هل إلى أم جحدرٍ　　　سبيلٌ فأما الصبر عنها فلا صبرا

إذا نزلت بصرى تراخى مزارها　　　وأغلق بوابان من دونها قصرا

فهل تأتيني الريح تدرج موهناً　　　برياك تعروري بها جرعاً عفرا

قال الزبير: وزادني عمي مصعب فيها:

فلو كان نذرٌ مدنياً أم جحدرٍ　　　إلي لقد أوجبت في عنقي نذرا

ألا لا تلطي الستر يا أم جحدرٍ　　　كفى بذرا الأعلام من دوننا سترا

لعمري لئن أمسيت يا أم جحدرٍ　　　نأيت لقد أبليت في طلبٍ عذرا

فبهراً لقومي إذ يبيعون مهجتي　　　بغانيةٍ بهراً لهم بعدها بهرا

قال الزبير: بهراً ها هنا: يدعو عليهم أن ينزل بهم من الأمور ما يبهرهم، كما تقول: جدعاً وعقراً. وفي أول هذه القصيدة - على ما رواه يحيى بن علي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن حميد بن الحارث - يقول:

ألا لا تعدلي لوعةٌ مثل لوعتي		عليك بأدمى والهوى يرجع الذكرا
عشية ألوي بالرداء على الحشا		كأن ردائي مشعلٌ دونه جمرا

زاوج أم جحدر وما قاله في ذلك قال حميد بن الحارث: وأم جحدر امرأة من بني رحل بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة.

أخبرني يحيى بن علي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير عن موهوب بن رشيد عن جبر بن رباط النعامي: أن أم جحدر كانت امرأة من بني مرة ثم من بني رحل، وأن أباها بلغه مصير ابن ميادة إليها، فحلف ليزوجنها رجلاً من غير ذلك البلد، فزوجها رجلاً من أهل الشأم فاهتداها وخرج بها إلى الشأم، فتبعها ابن ميادة، حتى أدركه أهل بيته فردوه مصمتاً لا يتكلم من الوجد بها؛ فقال قصيدة أولها:

خليلي من أبناء عذرة بلغا		رسائل منا لا تزيدكما وقرا
ألما على تيماء نسأل يهودها		فإن لدى تيماء من ركبها خبرا
وبالغمر قد جازت وجاز مطيها		عليه فسل عن ذاك نيان فالغمرا
ويا ليت شعري هل يحلن أهلها		وأهلك روضاتٍ ببطن اللوى خضرا

قصة عشقه لها

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني أبو سعيد "يعني عبد الله بن شبيب" قال حدثني أبو العالية الحسن بن مالك وأخبرني به الأخفش عن ثعلب عن عبد الله بن شبيب عن أبي العالية الحسن بن مالك الرياحي العذري قال حدثني عمر بن وهب العبسي قال حدثني زياد بن عثمان الغطفاني من بني عبد الله بن غطفان قال: كنا بباب بعض ولاة المدينة فغرضنا من طول الثواء، فإذا أعرابي يقول: يا معشر العرب، أما منكم رجلٌ يأتيني أعلله إذ غرضنا من هذا المكان فأخبره عن أم جحدر وعني؟ فجئت إليه فقلت: من أنت؟ فقال: أنا الرماح بن أبرد، قلت: فأخبرني ببدء أمركما؛ قال: كانت أم جحدر من عشيرتي فأعجبتني، وكانت بيني وبينها خلة، ثم إني عتبت عليها في شيء بلغني عنها، فأتيتها فقلت: يا أم جحدر إن الوصل عليك مردود؛ فقالت: ما قضى الله فهو خير. فلبثت على تلك الحال سنة، وذهبت بهم نجعةٌ فتباعدوا، واشتقت إليها شوقاً شديداً، فقلت لامرأة أخٍ لي: والله لئن دنت دارنا من أم جحدر لآتينها ولأطلبن إليها أن ترد الوصل بيني وبينها، ولئن ردته لا نقضته أبداً، ولم يكن يومان حتى رجعوا، فلما أصبحت غدوت عليهم فإذا أنا ببيتين نازلين إلى سندٍ أبرق طويل، وإذا امرأتان جالستان في كساءٍ واحدٍ بين البيتين، فجئت فسلمت، فردت إحداهما ولم ترد الأخرى، فقالت: ما جاء بك يا رماح إلينا؟ ما كنا حسبنا إلا أنه قد انقطع ما بيننا وبينك؛ فقلت: إني جعلت علي نذراً لئن دنت بأم جحدر دارٌ لآتينها ولأطلبن منها أن ترد الوصل بيني وبينها، ولئن هي فعلت لا نقضته أبداً وإذا التي تكلمني امرأة أخيها وإذا الساكتة أم جحدر؛ فقالت امرأة أخيها: فادخل مقدم البيت فدخلت، وجاءت فدخلت من مؤخره فدنت قليلاً،

ثم إذا هي قد برزت، فساعة برزت جاء غرابٌ فنعب على رأس الأبرق فنظرت إليه وشهقت وتغير وجهها؛ فقلت: ما شأنك؟ قالت: لا شيء، قلت: بالله إلا أخبرتني؛ قالت: أرى هذا الغراب يخبرني أنا لا نجتمع بعد هذا اليوم إلا ببلد غير هذا البلد، فتقبضت نفسي، ثم قلت: جاريةٌ والله ما هي في بيت عيافة ولا قيافة، فأقمت عندها، ثم تروحت إلى أهلي فمكنت عندهم يومين، ثم أصبحت غادياً إليها، فقالت لي امرأة أخيها: ويحك يا رماح! أين تذهب؟ فقلت: إليكم؛ فقالت: وما تريد؟ قد والله زوجت أم جحدر البارحة، فقلت: بمن ويحك؟ قالت: برجل من أهل الشأم من أهل بيتها، جاءهم من الشأم فخطبها فزوجها وقد حملت إليه، فمضيت إليهم فإذا هو قد ضرب سرادقاتٍ، فجلست إليه فأنشدته وحدثته وعدت إليه أياماً، ثم إنه احتملها فذهب بها فقلت:

أجارتنا إن الخطوب تنوب | علينا وبعض الآمنين تصيب

أجارتنا لست الغداة ببارحٍ | ولكن مقيمٌ ما أقام عسيب

فإن تسأليني هل صبرت فإنني | صبورٌ على ريب الزمان صليب

قال علي بن الحسين: هذه الأبيات الثلاثة أغار عليها ابن ميادة فأخذها بأعيانها، أما البيتان الأولان فهما لامرىء القيس قالهما لما احتضر بأنقرة في بيتٍ واحدٍ وهو:

أجارتنا إن الخطوب تنوب | وإني مقيمٌ ما أقام عسيب

والبيت الثالث لشاعر من شعراء الجاهلية، وتمثل به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في رسالة كتب بها إلى أخيه عقيل بن أبي طالب، فنقله ابن ميادة نقلاً. ونرجع إلى باقي شعر ابن ميادة:

جرى بانبتات الحبل من أم جحدرٍ | ظباءٌ وطيرٌ بالفراق نعوب

نظرت فلم أعتف وعافت فبينت | لها الطير قبلي واللبيب لبيب

فقالت حرامٌ أن نرى بعد هذه | جميعين إلا أن يلم غريب

أجارتنا صبراً فيا رب هالكٍ | تقطع من وجدٍ عليه قلوب

رحل إلى الشأم لرؤيتها فردته

قال: ثم انحدرت في طلبها، وطمعت في كلمتها: "إلا أن نجتمع في بلد غير هذا البلد". قال: فجئت فدرت الشأم زماناً فتلقاني زوجها فقال: مالك لا تغسل ثيابك هذه! أرسل بها إلى الدار تغسل، فأرسلت بها؛ ثم إني وقفت أنتظر خروج الجارية بالثياب، فقالت أم جحدر لجاريتها: إذا جاء فاعلميني؛ فلما جئت إذا أم جحدرٍ وراء الباب فقالت: ويحك يا رماح! قد كنت أحسب أن لك عقلاً! أما ترى أمراً قد حيل دونه وطابت أنفسنا عنه؟ انصرف إلى عشيرتك فإني أستحي لك من هذا المقام؛ فانصرفت وأنا أقول:

صوت

عسى إن حججنا أن نرى أم جحدرٍ ويجمعنا من نخلتين طريق
وتصطك أعضاد المطي وبيننا حديثٌ مسر دون كل رفيق

في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الثاني ذكر الهشامي أنه للحجبي شعره فيها وقال حين خرج إلى الشأم - هذه رواية ابن شبيب -:

ألا حييا رسماً بذي العش مقفراً وربعاً بذي الممدور مستعجماً قفرا
فأعجب دارٍ دارها غير أنني إذا ما أتيت الدار ترجعني صفرا
عشية أثني بالرداء على الحشى كأن الحشى من دون أشعرت جمرا
يميل بنا شحط النوى ثم نلتقي عداد الثريا صادفت ليلةً بدرا
وبالغمر قد جازت وجاز مطيها فأسقى الغوادي بطن نيان فالغمرا
خليلي من غيظ بن مرة بلغا رسائل مني لا تزيدكما وقرا
ألا ليت شعري هل إلى أم جحدر سبيل، فأما الصبر عنها فلا صبرا
فإن يك نذرٌ راجعاً أم جحدرٍ علي لقد أوذمت في عنقي نذرا
وإني لاستنشي الحديث من أجلها لأسمع منها وهي نازحةٌ ذكرا
وإني لأستحيى من الله أن أرى إذا غدر الخلان أنوي لها غدرا

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال أنشدني أبو داود لابن ميادة وهو يضحك منذ أنشدني إلى أن سكت:

ألم تر أن الصاردية جاورت ليالي بالممدور غير كثير
ثلاثاً فلما أن أصابت فؤاده بسهمين من كحلٍ دعت بهجير
بأصهب يرمي للزمام برأسه كأن على ذفراه نضخ عبير
جلت إذ جلت عن أهل نجدٍ حميدةً جلاء غنىً لا جلاء فقير
وقالت وما زادت على أن تبسمت عذيرك من ذي شيبةٍ وعذيري
عدمت الهوى ما يبرح الدهر مقصداً لقلبي بسهمٍ في اليدين طرير
وقد كان قلبي مات للوجد موتةً فقد هم قلبي بعدها بنشور

قال: فقلت: وما أضحكك؟ فقال: كذب ابن ميادة، والله ما جلت إلا على حمار وهو يذكر بعيراً ويصفه وأنها جلت جلاء غنى لا جلاء فقيرٍ، فأنطقه الشيطان بهذا كله كما سمعت.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن زهير قال: مكثت أم جحدر عند زوجها زماناً ثم مات زوجها عنها ومات ولدها منه، "فقدمت نجداً على إخوتها وقد مات أبوها ".

آخر عهده بها

أخبرني سيار بن نجيح المزني قال: لقيت ابن ميادة وهو يبكي فقلت له: ويحك! مالك؟ قال: أخرجتني أم جحدر وآلت يميناً ألا تكلمني، فانطلق فاشفع لي عندها؛ فخرجت حتى غشيت رواق بيتها فوجدتها وهي تدمك جريراً لها بين الصلاية والمدق تريد أن تخطم به بعيراً تحج عليه؛ فقالت: إن كنت جئت شفيعاً لابن ميادة فبيتي حرامٌ عليك أن تلقي فيه قدمك. قال: فحججت، ولا والله ما كلمته ولا رآها ولا رأته. قال موسى قال سيار: فقلت له: اذكر لي يوماً ما رأيته منها؛ فقال لي: أما والله لأخبرنك يا سيار بذلك: بعثت إليها عجوزاً منهم فقلت: هل ترين من رجالٍ؟ فقالت: لا والله، ما رأيت من رجل؛ فألقيت رحلي على ناقتي ثم أرسلتها حتى أنختها بين أطناب بيتهم؛ ثم جعلت أقيد الناقة، فما كان إلا ذاك حتى دخلت وقد ألقت لي فراشاً مرقوماً مطموماً، وطرحت لي وسادتين على عجز الفراش وأخريين على مقدمه؛ قال: ثم تحدثنا ساعةً وكأنما تلعقني بحديثها الرب من حلاوته، ثم إذا هي تصب في عس مخصوبٍ بالحناء والزعفران من ألبان اللقاح، فأخذت منها ذلك العس وكأنه قناةٌ فراوحته بين يدي، ما ألقمته فمي ولا دريت أنه معي حتى قالت لي عجوز: ألا تصلي يابن ميادة لا صلى الله عليك فقد أظلك صدر النهار! ولا أحسب إلا أنني في أول البكرة؛ قال: فكان ذلك اليوم آخر يومٍ كلمتها فيه حتى زوجها أبوها، وهو أظرف ما كان بيني وبينها.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني حكم بن طلحة الفزاري ثم المنظوري قال: قال ابن ميادة: إني لأعلم أقصر يومٍ مر بي من الدهر، قيل له: وأي يوم هو يا أبا الشرحبيل؟ قال: يومٌ جئت فيه أم جحدر باكراً فجلست بفناء بيتها فدعت لي بعس من لبن فأتيت به وهي تحدثني، فوضعته على يدي وكرهت أن أقطع حديثها إن شربت، فما زال القدح على راحتي وأنا أنظر إليها حتى فاتتني صلاة الظهر وما شربت.

قال الزبير: وحدثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد بمثل هذا، وزاد في خبره: وقال ابن ميادة فيها أيضاً:

ألم تر أن الصاردية جاورت ... ليالي بالممدور غير كثير

ثلاثاً فلما أن أصابت فؤاده ... بسهمين من كحل دعت بهجير

بأحمر ذيال العسيب مفرج ... كأن على ذفراه نضخ عبير

حلفت برب الراقصات إلى منىً ... زفيف القطا يقطعن بطن هبير

لقد كان حب الصاردية بعدما ... علا في سواد الرأس نبذ قتير

يكون سفاهاً أو يكون ضمانة ... على ما مضى من نعمةٍ وعصور

عدمت الهوى لا يبرح الدهر مقصداً ... لقلبي بسهمٍ في الفؤاد طرير

وقد كان قلبي مات للحب موتةً ... فقد هم قلبي بعدها بنشور

جلت إذ جلت عن أهل نجد حميدةً ... جلاء غنىً لا جلاء فقير

ومما يغنى فيه من أشعار ابن ميادة في النسيب بأم جحدر "قوله ":

صوت

ألا يا لقومي للهوى والتذكر ... وعينٍ قذى إنسانها أم جحدر

فلم تر عيني مثل قلبي لم يطر ... ولا كضلوعٍ فوقه لم تكسر

الغناء لإسحاق ثقيلٌ أول بالوسطى.

سيار يروي خبر جاريته

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا حكيم بن طلحة الفزاري عن رجل من كلبٍ قال: جنيت جنايةً فغرمت فيها، فنهضت إلى أخوالي بني مرة فاستعنتهم فأعانوني، فأتيت سيار بن نجيح أحد بني سلمى بن ظالم فأعانني، ثم قال: انهض بنا إلى الرماح بن أبرد - يعني ابن ميادة - حتى يعينك، فدفعنا إلى بيتين له، فسألنا عنه فقيل: ذهب أمس؛ فقال سيار: ذهب إلى أمةٍ لبني سهيل، فخرجنا في طلبه فوقعنا عليه في قرارةٍ بيضاء بين حرتين، وفي القرارة غنمٌ من الضأن سودٌ وبيضٌ، وإذا حمارٌ مقيد مع الغنم وإذا به معها، فجلسنا فإذا شابة حلوة صفراء في دراعةٍ مورسةٍ، فسلمنا وجلسنا؛ فقال: أنشديهم مما قلت فيك شيئاً؛ فأنشدتنا:

يمنونني منك اللقاء وإنني ... لأعلم لا ألقاك من دون قابل

إلى ذاك ما حارت أمورك وانجلت ... غياية حبيك انجلاء المخايل

إذا حل أهلي بالجناب وأهلها ... بحيث التقى الغلان من ذي أرائل

أقل خلةٌ بانت وأدبر وصلها ... تقطع منها باقيات الحبائل

وحالت شهور الصيف بين وبينها ... ورفع الأعادي كل حق وباطل

أقول لعذالي لما تقابلا ... علي بلومٍ مثل طعن المعابل

لا تكثرا عنها السؤال فإنها ... مصلصلةٌ من بعض تلك الصلاصل

من الصفر لا ورهاء سمجٌ دلالها ... وليست من السود القصار الحوائل

ولكنها ريحانةٌ طاب نشرها ... وردت عليها بالضحى والأصائل

ثم قال لها: قومي فاطرحي "عنك" دراعتك، فقالت: لا حتى يقول ليس سيار بن نجيح ذلك، فأبى سيار؛ فقال له ابن ميادة: لئن لم تفعل لافضيت حاجتكما، فقال لها فقامت فطرحتها، فما رأيت أحلى منها. فقال له "سيار": فما لك يا أبا الشرحبيل لا تشتريها؟ فقال: إذاً يفسد حبها.

ابن ميادة وصخر بن الجعد الخضري

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثتني مغيرة بنت أبي عدي بن عبد الجبار بن منظور بن زبان ابن سيار الفزارية قالت أخبرني أبي قال: جمعني وابن ميادة وصخر بن الجعد الخضري، مجلسٌ، فأنشدنا ابن ميادة قوله:

يمنونني منك اللقاء وإنني ... لأعلم لا ألقاك من دون قابل

فأقبل عليه صخر فقال له: المحب المكب يرجو الفائت ويغم الطير، وأراك حسن العزاء يا أبا الشرحبيل؛ فأعرض عنه ابن ميادة. قال أبو عدي فقلت:

صادف دره السيل سيلاً يردعه ... بهضبةٍ ترده وتدفعه

- ويروي: درء السيل سيلٌ - فقال لي: يا أبا عدي، والله لا أتلطخ بالخضر مرتين وقد قال أخو عذرة:

هو العبد أقصى همه أن تسبه ... وكان سباب الحر أقصى مدى العبد

قال الزبير: قوله يغم الطير يقول: إذا رأى طيراً لم يزجرها مخافة أن يقع ما يكره.

قال: فلم يحر إليه صخر بن الجعد جواباً. يعني بقوله: "لا أتلطخ بالخضر مرتين" مهاجاته الحكم الخضري، وكانا تهاجيا زماناً ثم كف ابن ميادة وسأله الصلح فصالحه الحكم.

ابن ميادة والحكم الخضري أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد عن عبد الرحمن بن الأحول التغلبي ثم الخولاني قال: كان أول ما بدأ الهجاء بين ابن ميادة وحكم بن معمر الخضري أن ابن ميادة مر بالحكم بن معمر وهو ينشد في مصلى النبي صلى الله عليه وسلم في جماعة من الناس قوله:

لمن الديار كأنها لم تعمر ... بين الكناس وبين برق محجر

حتى انتهى إلى قوله:

يا صاحبي ألم تشيما بارقاً ... نضح الصراد به فهضب المنحر

قد بت أرقبه وبات مصعداً ... نهض المقيد في الدهاس الموقر

فقال "له" ابن ميادة: ارفع إلي راسك أيها المنشد، فرفع حكم إليه رأسه؛ فقال له: من أنت؟ قال: أنا حكم بن معمر الخضري؛ قال: فوالله ما أنت في بيت حسبٍ، ولا في أرومة شعر؛ فقال له حكم: وماذا عبت من شعري؟

قال: عبت أنك أدهست وأوقرت؛ قال له حكم: ومن أنت؟ قال أنا ابن ميادة، قال: ويحك! فلم رغبت عن أبيك وانتسبت إلى أمك؟ قبح الله والدين خيرهما ميادة، أما والله لو وجدت في أبيك خيراً ما انتسبت إلى أمك راعية الضأن. وأما إدهاسي وإبقاري فإني لم آت خيير إلا ممتاراً لا متحاملاً، وما عدوت أن حكيت حالك وحال قومك، فلو "كنت" سكت عن هذا لكان خيراً لك وأبقى عليك. فلم يفترقا إلا عن هجاء.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال حدثني عمير بن ضمرة الخضري قال: أول ما هاج الهجاء بين ابن ميادة وبين حكم بن معمر بن قنبر بن جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن محارب - قال: والخضر ولد مالك بن طريف، سموا بذلك لأن مالكاً كان شديد الأدمة، وكذلك خرج ولده فسموا الخضر - أن حكماً نزل بسمير بن سلمة بن عوسجة بن أنس بن يزيد بن معاوية بن ساعدة بن عمرو وهو خصيلة بن مرة. فأقبل ابن ميادة إلى حكم ليعرض عليه شعره وليسمع من شعره، وكان حكم أسنهما، فأنشدا جميعاً جماعة القوم، ثم قال ابن ميادة: والله لقد أعجبني بيتان قلتهما يا حكم؛ قال: أو ما أعجبك من شعري إلا بيتان! فقال:

والله لقد أعجباني، يردد ذلك مراراً لا يزيده عليه؛ فقال له حكم: فأي بيتين هما؟ قال: حين تساهم بين ثوبيها وتقول:

فوالله ما أدري أزيدت ملاحةً | وحسناً على النسوان أم ليس لي عقل
تساهم ثوباها ففي الدرع غادةٌ | وفي المرط لفاوان ردفهما عبل

فقال له حكم: أو ما أعجبك غير هذين البيتين؟ فقال له ابن ميادة: قد أعجباني، فقال: أو ما في شعري ما أعجبك غيرهما؟ فقال: لقد أعجباني؛ فقال له حكم: فإني سوف أعيب عليك قولك:

ولا برح الممدور ريان مخصباً | وجيد أعالي شعبه وأسافله

فاستسقيت لأعلاه وأسفله وتركت وسطه وهو خير موضع فيه؛ فقال: وأي شيء تريد! تركته لا يزال ريان مخصباً. وتهاترا فغضب حكم فارتحل ناقته وهدر ثم قال:

فإنه يوم قريضٍ ورجز

فقال رجل من بني مرة لابن ميادة: اهدركما هدر يا رماح، فقال: إنما يغط البكر. ثم قال الرماح:

فإنه يوم قريضٍ ورجز | من كان منكم ناكزاً فقد نكز
وبين الطرف النجيب فبرز

قال الزبير: يريد بقوله ناكزاً: غائضاً قد نزف. قال الزبير: وسمعت رجلاً من أهل البادية يترع على إبلٍ له كثيرة من قليب ويرتجز:

قد نكزت أن لم تكن خسيفاً | أو يكن البحر لها حليفا

أم جحدر وهجاء الحكم وعملس لها

قال الزبير قال الجمحي قال عمير بن ضمرة: فهذا أول ما هاج التهاجي بينهما. قال الزبي قال الجمحي: وحدثني عبد الرحمن بن ضبعان المحاربي قال: كان ابن ميادة وحكم الخضري وعملس بن عقيل بن علفة متجاورين متحالين، وكانوا جميعاً يتحدثون إلى أم جحدر بنت حسان المرية، وكانت أمها مولاة، ففضلت ابن ميادة على الحكم وعملس فغضبا. وكان ابن ميادة قال في أم جحدر:

ألا ليت شعري هل إلى أم جحدر سبيلٌ فأما الصبر عنها فلا صبرا

ويا ليت شعري هل يحلن أهلها وأهلك روضاتٍ ببطن اللوى خضرا

وقال فيها "أيضاً ":

إذا ركدت شمس النهار ووضعت طنافسها ولينها الأعين الخزرا

الأبيات؛ فقال عملس بن عقيل وحكم الخضري يهجوانها - وهي تنسب إلى حكم -:

لا عوفيت في قبرها أم جحدرٍ ولا لقيت إلا الكلاليب والجمرا

كما حادثت عبداً لئيماً وخلته من الزاد إلا حشو ريطاته صفرا

فيا ليت شعري هل رأت أم جحدرٍ أكشك أو ذاقت مغابنك القشرا

وهل أبصرت أرساغ أبرد أو رأت قفا أم رماح إذا ما استقت دفرا

وبالغمر قد صرت لقاحاً وحادثت عبيداً فسل عن ذاك نيان فالغمرا

وقال عملس بن عقيل بن علفة ويقال: بل قالها علفة بن عقيل:

فلا تضعا عنها الطنافس إنما يقصر بالمرماة من لم يكن صقرا

وزاد يحيى بن علي مع هذا البيت عن حماد عن أبيه عن جرير بن رباط وأبي داود قال: يعرض بقوله: "من لم يكن صقرا" بابن ميادة أي إنه هجين ليس من أبوين متشابهين كما الصقر. وبعده بيت آخر من رواية يحيى و لم يروه الزبير معه:

منعمةٌ لم تلق بؤساً وشفوةً بنجدٍ ولم يكشف هجينٌ لها سترا

قالوا جميعاً: فقال ابن ميادة يهجو علفة:

أعلف إن الصقر ليس بمدلجٍ ولكنه بالليل متخذٌ وكرا

ومفترشٌ بين الجناحين سلحه إذا الليل ألقى فوق خرطومه كسرا

فإن يك صقراً بعد ليلة أمه وليلة جحافٍ فأف له صقرا

تشد بكفيها على جذل أيره		إذا هي خافت من مطيها نفرا

يريد أن أم علفة من بني أنمار، وكان أبوه عقيل بن علفة ضربها، فأرسلت إلى رجل من بني أنمار يقال له جحاف، فأتاها ليلاً فاحتملها على جمل فذهب بها. وقال يحيى بن علي خاصة في خبره عن حماد عن أبيه عن أبي داود: إن جحاف بن إياد كان رجلاً من بني قتال بن يربوع بن غيظ بن مرة، وكان يتحدث إلى امرأة عقيل بن علفة - وهي أم ابنه علفة بن عقيل - ويتهم بها، وهي امرأة من بني أنمار بن بغيض بن ريث بن غطفان يقال لها سلافة، وكانت من أحسن الناس وجهاً، وكان عقيل من أغير الناس، فربطها بين أربعة أوتاد ودهنها بإهالة، وجعلها في قرية نمل، فمر بها جحاف بن إياد "ليلاً" فسمع أنينها، فأتاها فاحتملها حتى طرحها بفدك، فاستعدت واليها على عقيل. وقال عقيل من جوف الليل فأوقد عشوة ونظرها فلم يجدها ووجد أثر جحاف فعرفه وتبعه حتى صبح القرية، وخنس جحاف عنها؛ فأتى الوالي فقال: إن هذه رأتني وقد كبرت "سني" وذهب بصري فاجترأت علي، وكان عقيل رجلاً مهيباً فلم يعاقبه الوالي بما صنعه لموضعه من صهر بني مروان. قال: فعير ابن ميادة علفة بن عقيل بأمر جحاف هذا في قوله:

فإن يك صقراً بعد ليلة أمه		وليلة جحاف فأف له صقرا

قال: ولج الهجاء بينهما. وقال فيه ابن ميادة وفي حكم الخضري وقد عاون علفة:

لقد ركب الخضري مني وتربه		على مركب من نابيات المراكب

وقال لعلفة:

يابن عقيل لا تكن كذوبا		أأن شربت الحزر والحليبا
من شول زيد وشممت الطيبا		جهلاً تجنيت لي الذنوبا

قال: ثم لم يلبثه ابن ميادة أن غلبه، وهاج التهاجي بينه وبين حكم الخضري، وانقطع عنه علفة مفضوحاً. قال: وماتت أم جحدر التي كان ينسب بها ابن ميادة على تفيئة ما كان بينه وبين علفة من المهاجاة، ونعيت له فلم يصدق حتى أتاه رجل من بني رحل يقال له عمار فنعاها له؛ فقال:

ما كنت أحسب أن القوم قد صدقوا		حتى نعاها لي الرحلي عمار

وقال يرثيها:

خلت شعب الممدور لست بواجدٍ		به غير بالٍ من عضاهٍ وحرمل
تمنيت أن تلقي به أم جحدرٍ		وماذا تمني من صدىً تحت جندل
فللموت خيرٌ من حياةٍ ذميمةٍ		وللبخل خيرٌ من عناء مطول

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الله بن إبراهيم عن ساعدة ابن مرمىء، وذكره إسحاق أيضاً عن أصحابه: أن ابن ميادة وحكماً الخضري تواعدا المدينة ليتواقفا بها، وجاء نفرٌ من قريش - أمهاتهم من مرة - إلى ابن ميادة فمنعوه من مواقفة حكم، وقالوا: أتتعرض له ولست بكفئه فيشتم أمهاتنا وأخوالنا وخالاتنا وهو رجلٌ خبيث اللسان! - قال: وكان حكم يسجع سجعاً كثيراً - فقال: والله لئن واقفته لأسجعن به قبل المقارضة سجعاً أفضحه به فلم يلقه. وذكر الزبير له سجعاً طويلاً غثاً لا فائدة فيه، لأنه ليس برجز منظوم ولا كلام فصيح ولا مسجع سجعاً مؤتلفاً كائتلاف القوافي، إلا أن من أسلمه قوله: والله لئن ساجعتني سجاعاً، لتجدني شجاعاً، للجار مناعاً، ولأجدنك هياعاً، للحسب مضياعاً، ولئن باطشتك بطاشاً، لأدهشنك إدهاشاً، ولأدقن منك مشاشاً، حتى يجيء بولك رشاشاً. وهذا من غث السجع ورذله، وإنما ذكرته ليستدل به على ما هو دونه مما ألغيت ذكره. قال: ورجز به فقال:

يا معدن اللؤم وأنت جبله | وآخر اللؤم وأنت أوله
جاريت سباقاً بعيداً مهله | كان إذا جارى أباك يفشله
فكيف ترجوه وكيف تأمله | وأنت شر رجلٍ وأنذله
ألأمه في مأزقٍ وأجهله | أدخله بيت المخازي مدخله
فاللؤم سربالٌ له يسربله | ثوباً إذا أنهجه يبدله

فأجابه حكم:

يابن التي جيرانها كانت تضر | وتتبع الشول وكانت تمتصر
كيف إذا مارست حرا تنتصر

ولهما أراجيز كثيرةٌ طويلةٌ جداً أسقطتها لكثرتها وقلة فائدتها.

الحكم ولقاء ابن ميادة وتهاجيهما

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن عبد الله بن إبراهيم قال: أخبرني بعض من لقيت من الخضر: أن حكماً الخضري خرج يريد لقاء ابن ميادة بالرقم من غير موعد فلم يلفه، إما لأنه تغيب عنه وإما لأنه لم يصادفه، فقال حكم:

فر ابن ميادة الرقطاء من حكم | بالصغر مثل الأعقد الدهم
أصبحت في أقرٍ تعلو أطاوله | تفر مني وقد أصبحت بالرقم

وقال إسحاق في روايته عن أصحابه: قال ابن ميادة يهجو حكماً وينسب بأم جحدرٍ:

يمنونني منك اللقاء وإنني لأعلم لا ألقاك من دون قابل

وقد مضى أكثر هذه الأبيات متقدماً، فذكرت ها هنا منها ما لم يمض وهو قوله:

فيا ليت رث الوصل من أم جحدر لنا بجديدٍ من أولاك البدائل

ولم يبق مما كان بيني وبينها من الود إلا مخفيات الرسائل

وإني إذا استنبهت من حلو رقدةٍ رميت بحبيها كرمي المناضل

صوت

فما أنس م الأشياء لا أنس قولها وأدمعها يذرين حشو المكاحل

تمتع بذا اليوم القصير فإنه رهينٌ بأيام الدهور الأطاول

الغناء في هذين البيتين لعلي بن يحيى المنجم، ولحنه من الثقيل الثاني.

وكنت امرأً أرمي الزوائل مرةً فأصبحت قد ودعت رمي الزوائل

وعطلت قوس اللهو من سرعانها وعادت سهامي بين رث وناصل

السرعان: وترٌ يعمل من عقب المتن، وهو أطول العقب.

إذا حل بيتي بين بدرٍ ومازنٍ ومرة نلت الشمس كاهلي

يعني بدر بن عمرو بمن جؤية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان، ومرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، ومرة بن فزارة، ومازن بن فزارة. وهي طويلة.

قال أبو الفرج الأصبهاني: أخذ إسحاق الموصلي معنى بيت ابن ميادة في قوله: "نلت الشمس واشتد كاهلي" فقال:

عطست بأنفٍ شامخ وتناولت يداي الثريا قاعداً غير قائم

ولعمري لئن كان استعار معناه لقد اضطلع به وزاد فأحسن وأجاد.

وفي هذه القصيدة يقول:

فضلنا قريشاً غير رهط محمدٍ وغير بني مروان أهل الفضائل

ضربه إبراهيم بن هشام لدعواه أنه فضل قريشا

قال يحيى بن علي وأخبرني علي بن سليمان بن أيوب عن مصعب، وأخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن مصعب قال: قال إبراهيم بن هشام بن إسماعيل لابن ميادة: أنت فضلت قريشاً! وجرده فضربه أسواطاً.
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال: لما قال ابن ميادة:

فضلنا قريشاً غير رهط محمد وغير بني مروان أهل الفضائل

قال له الوليد بن يزيد: قدمت آل محمدٍ قبلنا، فقال: ما كنت يا أمير المؤمنين أظنه يمكن غير ذلك. فلما أفضت الخلافة إلى بني هاشم وفد ابن ميادة إلى المنصور ومدحه؛ فقال له أبو جعفر لما دخل إليه: كيف قال لك الوليد؟ فأخبره بما قال، فجعل المنصور يتعجب.

ابن ميادة والحكم بعريجاء

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال: حدثني العباس بن سمرة بن عباد بن شماخ بن سمرة عن ريحان بن سويد الخضري، وكان رواية حكم بن معمر الخضري، قال: تواعد حكمٌ وابن ميادة عريجاء - وهي ماءة - يتواقفان عليها، فخرج كل واحد منهما في نفرٍ من قومه، وأقبل صخر بن الجعد الخضري يؤم حكماً، وهو يومئذٍ عدو لحكم لما فرط بينهما من الهجاء في أركوبٍ من بني مازن بن مالك بن طريف بن خلف بن محارب؛ فلما لقيه قال له: يا حكم، أهؤلاء الذين عرضت للموت! وهم وجوه قومك! فوالله ما دماؤهم على بني مرة إلا كدماء جداية، فعرف حكم أن قول صخر هو الحق فرد قومه، وقال لصخر: قد وعدني ابن ميادة أن يواقفني غداً بعريجاء لأن أناشده، فقال له صخر: أنا كثير الإبل - وكان حكم مقلاً - فإذا وردت إبلي فارتجز، فإن القوم لا يشجعون عليك وأنت وحدك، فإن لقيت الرجل نحر وأطعم فانحر وأطعم وإن أتيت على مالي كله. قال ريحان راويته: فورد يومئذ عريجاء وأنا معه فظل على عريجاء ولم يلق رماحاً ولم يواف لموعده، وظل ينشد يومئذٍ حتى أمسى، ثم صرف وجوه إبل صخرٍ وردها. وبلغ الخبر ابن ميادة وموافاة حكم لموعده، فأصبح على الماء وهو يرتجز ويقول:

أنا ابن ميادة عقار الجزر كل صفي ذات نابٍ منفظر

توافيهما بحمى ضرية وصلحهما
وظل على الماء فنحر وأطعم. فلما بلغ حكماً ما صنع ابن ميادة من نحره وإطعامه شق عليه مشقةً شديدةً. ثم إنهما بعد توافيا بحمى ضرية. قال ريحان بن سويد: وكان ذلك العام عام جدبٍ وسنةٍ إلا بقية كالأبضرية. قال: فسبقنا ابن ميادة يومئذ فترلنا على مولاةٍ لعكاشة بن مصعب بن الزبير ذات مالٍ ومترلة من السلطان. قال: وكان حكم كريماً على الولاة هناك يتقى لسانه. قال ريحان: فبينا نحن عند المولاة وقد حططنا براذع دوابنا إذا راكبان قد أقبلا، وإذا نحن برماح وأخيه ثوبان - ولم يكن لثوبان ضريبٌ في الشجاعة والجمال - فأقبلا يتسايران، فلما رآهما حكمٌ عرفهما، فقال: يا ريحان، هذان ابنا أبرد، فما رأيك؟ أتكفيني ثوبان أم لا؟ قال: فأقبلا نحونا ورماح

يتضاحك حتى قبض على يد حكم وقال: مرحبا برجل سكت عنه و لم يسكت عني، وأصبحت الغداة أطلب سلمه يسوقني الذئب والسنة، وأرجو أن أرعى الحمى بجاهه وبركته، ثم جلس إلى جنب حكم وجاء ثوبان فقعد إلى جنبي، فقال له حكم: أما ورب المرسلين يا رماح لولا أبياتٌ جعلت تعتصم بهن وترجع إليهن - يعني أبيات ابن ظالم - لاستوسقت كما استوسق من كان قبلك. قال ريحان: وأخذا في حديث أسمع بعضه ويخفى علي بعضه، فظللنا عند المرأة وذبح لنا وهما في ذلك يتحادثان، مقبلٌ كل واحد منهما على صاحبه لا ينظران شدنا، حتى كان العشاء فشددنا للرواح نؤم أهلنا، فقال رماح لحكم: يا أبا منيع - وكانت كنية حكم -: قد قضيت حاجتك وحاجة من طلبت له من هذا العامل، وإن لنا إليه حاجةً في أن يرعينا؛ فقال له حكم: قد والله قضيت حاجتي منه وإني لأكره الرجوع إليه، وما من حاجتك بد، ثم رجع معه إلى العامل، فقال له بعد الحديث معه: إن هذا الرجل من قد عرفت ما بيني وبينه، وقد سأل الصلح وأناب إليه، فأحببت أن يكون ذلك على يدك وبمحضرك. قال: فدعا به عامل ضرية وقال: هل لك حاجةٌ غير ذلك؟ قال: لا والله، ونسي حاجة رماح، فأذكرته إياها، فرجع فطلبها واعتذر بالنسيان. فقال العامل لابن ميادة: ما حاجتك؟ فقال: ترعيني عريجاء لا يعرض لي فيها أحدٌ، فأرعاه إياها. فأقبل رماح على حكم فقال: جزاك الله خيراً يا أبا منيع، فوالله لقد كان ورائي من قومي من يتمنى أن يرعى عريجاء بنصف ماله. قال فلما عزما على الانصراف ودع كل واحد منهما صاحبه وانصرفا راضيين وانصرف ابن ميادة إلى قومه فوجد بعضهم قد ركب إلى ابن هشام فاستغضبه على حكم في قوله:

وما ولدت مريةٌ ذات ليلةٍ　　　　من الدهر إلا زاد لؤماً جنينها

فأطرده وأقسم: لئن ظفر به ليسرجنه وليحملن عليه أحدهم. فقال رماح - وساءه ما صنعوا -: عمدتم إلى رجل قد صلح ما بيني وبينه وأرعيت بوجهه فاستعديتم عليه وجئتم بإطراده! وبلغ الحكم الخبر فطار إلى الشأم فلم يبرحها حتى مات.

قال العباس بن سمرة: مات بالشأم غرقاً، وكان لا يحسن العوم فمات في بعض أنهارها. قال: وهو وجهه الذي مدح فيه أسود بن بلال المحاربي ثم السوائي في قصيدته التي يقول فيها:

واستيقنت أن لا براح من السرى　　　　حتى تناخ بأسود بن بلال

قرمٌ إذا نزل الوفود ببابه　　　　سمت العيون إلى أشم طوال

مناقضات حكم وابن ميادة ولحكم الخضري وابن ميادة مناقضاتٌ كثيرة وأراجيز طوال طويت ذكر أكثرها وألغيته، وذكرت منها لمعاً من جيد ما قالاه لئلا يخلو هذا الكتاب من ذكر بعض ما دار بينهما ولا يستوعب سائره فيطول. فما قاله حكمٌ في ابن ميادة قوله:

خليلي عوجا حييا الدار بالجفر　　　　وقولا لها سقياً لعصرك من عصر

وماذا تحي من رسومٍ تلاعبت   بها حرجفٌ تذري بأذيالها الكدر

ومن جيد قوله فيها يفتخر:

إذا يبست عيدان قومٍ وجدتنا   وعيداننا تغشى على الورق الخضر
إذا الناس جاءوا بالقروم أتيتهم   بقرم يساوي راسه غرة البدر
لنا الغور والأنجاد والخيل والقنا   عليكم وأيام المكارم والفخر

ومن جيد هجائه قوله:

فيا مر قد أخزاك في كل موطنٍ   من اللؤم خلاتٌ يزدن على العشر
فمنهن أن العبد حامي ذماركم   وبئس المحامي العبد عن حوزة الثغر

ومنهن أن لم تمسحوا وجه سابقٍ   جوادٍ ولم تأتوا حصاناً على طهر
ومنهن أن الميت يدفن منكم   فيفسو على دفانه وهو في القبر
ومنهن أن الجار يسكن وسطكم   بريئاً فيلقى بالخيانة والغدر
ومنهن أن عدتم بأرقط كودنٍ   وبئس المحامي أنت يا ضرطة الجفر
ومنهن أن الشيخ يوجد منكم   يدب إلى الجارات محدودب الظهر
تبيت ضباب الضغن تخشى احتراشها   وإن هي أمست دونها ساحل البحر

فأجابه ابن ميادة بقصيدةٍ طويلة، منها قوله مجيباً له عن هذه الخصال التي سبهم بها:

لقد سبقت بالمخزيات محاربٌ   وفازت بخلاتٍ على قومها عشر
فمنهن أن لم تعقروا ذات ذروةٍ   لحق إذا ما احتيج يوماً إلى العقر
ومنهن أن لم تمسحوا عربيةً   من الخيل يوماً تحت جل على مهر
ومنهن أن لم تضربوا بسيوفكم   جماجم إلا فيشل القرح الحمر
ومنهن أن كانت شيوخ محارب   كما قد علمتم لا تريش ولا تبري
ومنهن أخزى سوءةٍ لو ذكرتها   لكنتم عبيداً تخدمون بني وبر
ومنهن أن الضأن كانت نساءكم   إذا اخضر أطراف الثمام من القطر
ومنهن أن كانت عجوز محاربٍ   تريغ الصبا تحت الصفيح من القبر

ومنهن أن لو كان في البحر بعضكم لخبث ضاحي جلده حومة البحر

ومما قاله ابن ميادة في حكم قوله من قصيدة أولها:

ألا حييا الأطلال طالت سنينها بحيث التقت زبد الجناب وعينها

ويقول فيها:

فلما أتاني ما تقول محاربٌ تغنت شياطيني وجن جنونها

ألم تر أن الله غشى محارباً إذا اجتمع الأقوام لوناً يشينها

ترى بوجوه الخضر خضر محاربٍ طوابع لؤم ليس ينفت طينها

لقد ساهمتناكم سليمٌ وعامرٌ فضمناهم إنا كذلك نذينها

فصارت لنا أهل الضئين محاربٌ وصارت لهم جسرٌ وذاك ثمينها

إذا أخذت خضريةٌ قائم الرحى تحرك قنباها فطار طحينها

وما حملت خضريةٌ ذات ليلةٍ من الدهر إلا ازداد لؤماً جنينها

فقال حكمٌ يجيبه عن هذه بقصيدته:

لأنت ابن أشبانيةٍ أدلجت به إلى اللؤم مقلاتٍ لئيمٍ جنينها

فجاءت بروواثٍ كأن جبينه إذا صغا في خرقتيها جبينها

فما حملت مرية قط ليلةً من الدهر إلا ازداد لؤماً جنينها

وما حملت إلا لألأم من مشى ولا ذكرت إلا بأمرٍ يشينها

تزوج عثوان الضئين وتبتغي بها الدر لا درت بخيرٍ لبونها

أظنت بنو عثوان أن لست شاتماً بشتمي وبعض القوم حمقى ظنونها

مدانيس أبرامٌ كأن لحاهم لحى مستهباتٍ طوالٍ قرونها

قال الزبير: فحدثني موهوب بن رشيد قال: فسمع هذه القصيدة أحد بني قتال بن مرة فقال: ما له أخزاه الله يهجو صبيتنا! وهم أجفى قوم غضباً لصبيتهم وقد هجاهم بما هجاهم به.

قال: وبلغ إبراهيم بن هشام قوله في نساء بني مرة إذ يقول:

وما حملت إلا لألأم من مشى

فغضب ثم نذر دمه فهرب من الحجاز إلى الشأم فمات بها.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن ضبعان الخضري قال: لقي ابن ميادة

صخر بن الجعد الخضري فقال له: يا صخر، أعنت علي ابن عمك الحكم بن معمرٍ! فقال له صخر: لا والله يا أبا الشرحبيل ما أعنته عليك، ولكن خيل إليك ما كان يخيل إلي، ولقد هاجيته فكنت أظن أن شجر الوادي يعينه علي.

ومن جيد قول ابن ميادة في حكم قصيدته التي أولها:

صوت

لقد سبقتك اليوم عيناك سبقةً وأبكاك من عهد الشباب ملاعبه

فوالله ما أدري أيغلبني الهوى إذا جد جد البين أم أنا غالبه

فإن أستطع أغلب وإن يغلب الهوى فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه

- في هذه الأبيات غناءٌ ينسب - يقول فيها في هجاء حكم:

لقد طال حبس الوفد وفد محاربٍ عن المجد لم يأذن لهم بعد حاجبه

وقال لهم كروا فلست بآذنٍ لكم أبداً أو يحصي الترب حاسبه

وهي قصيدة طويلة:

الوليد بن يزيد يفضله على الشعراء

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني جلال بن عبد العزيز المري ثم الصادري عن أبيه: - قال جلال: وقد رأيت ابن ميادة في بيت أبي، قال: قال لي ابن ميادة: وصلت أنا والشعراء إلى الوليد بن يزيد وهو خليفة. وكان مولى من موالي خرشة يقال له شقران يعيب ابن ميادة ويحسده على مكانه من الوليد، فلما اجتمعت الشعراء قال الوليد بن يزيد لشقران: يا شقران، ما علمك في ابن ميادة؟ قال علمي فيه يا أمير المؤمنين أنه:

لئيمٌ يباري فيه أبرد نهبلاً لئيمٌ أتاه اللؤم من كل جانب

فقال الوليد: يابن ميادة، ما علمك في شقران؟ قال: علمي يا أمير المؤمنين أنه عبدٌ لعجوز من خرشة كاتبته على أربعين درهماً ووعدها - أو قال: وعدته - أن تجيزه بعشرين درهماً فقبضته إياها، فأغنه عني يا أمير المؤمنين، فليس له أصلٌ فاحتفره ولا فرعٌ فأهتصره، فقال له الوليد: اجتنبه يا شقران فقد أبلغ إليك في الشتيمة، فقصر شقران صاغراً، ثم أنشدته، فأقيمت الشعراء جميعاً غيري، وأمر لي بمائة لقحة وفحلها وراعيها وجاريةٍ بكرٍ وفرسٍ عتيق فاختلت ذلك اليوم وقلت:

أعطيتني مائةً صفرا مدامعها كالنخل زين أعلى نبته الشرب

ويروى:

كأنها النخل روى نبتها الشرب

يسوقها يافع جعدٌ مفارقه ... مثل الغراب غذاه الصر والحلب

وذا سبيبٍ صهيبياً له عرفٌ ... وهامةٌ ذات فرقٍ نابها صخب

ولم يذكر الزبير في خبره غير هذه الأبيات الثلاثة، وهي من قصيدة للرماح طويلة يمدح فيها الوليد بن يزيد، وقد أجاد فيها وأحسن؛ وذكرت من مختارها ها هنا طرفاً، وأولها:

هل تعرف الدار بالعلياء غيرها ... سافي الرياح ومستنٌ له طنب

دارٌ لبيضاء مسود مسائحها ... كأنها ظبيةٌ ترعى وتنتصب

المسائح: ما بين الأذن إلى الحاجب من الشعر: تقف إذا ارتاعت منتصبة تتوجس.

تحنو لأكحل ألفته بمضيعةٍ ... فقلبها شفقاً من حوله يجب

يقول فيها:

يا أطيب الناس ريقاً بعد هجعتها ... وأملح الناس عيناً حين تنتقب

ليست تجود بنيلٍ حين أسألها ... ولست عند خلاء اللهو أغتصب

في مرفقيها إذا ما عونقت جمم ... على الضجيع وفي أنيابها شنب

وليلةٍ ذات أهوالٍ كواكبها ... مثل القناديل فيها الزيت والعطب

قد جبتها جوب ذي المقراض ممطرةً ... إذا استوى مغفلات البيد والحدب

بعنتريس كأن الدبر يلسعها ... إذا ترنم حادٍ خلفها طرب

إلى الوليد أبي العباس ما عجلت ... ودونه المعط من لبنان والكثب

وبعد هذا البيت قوله:

أعطيتني مائةً صفراً مدامعها... الخ

لما أتيتك من نجدٍ وساكنه ... نفحت لي نفحةً طارت بها العرب

إني امرؤٌ أعتفي الحاجات أطلبها ... كما اعتفى سنق يلقى له العشب

السنق: الذي قد شبع حتى بشم، يقول: أطلب الحاجة بغير حرص ولا كلبٍ، كما يعتفي هذا البعير البشم من غير شرهٍ ولا شدة طلب.

ولا ألح على الخلان أسألهم ... كما يلح بعظم الغارب القتب

ولا أخادع ندماني لأخدعه عن ماله حين يسترخي به اللبب

وأنت وابناك لم يوجد لكم مثلٌ ثلاثة كلهم بالتاج معتصب

الطيبون إذا طابت نفوسهم شوس الحواجب والأبصار إن غضبوا

قسني إلى شعراء الناس كلهم وادع الرواة إذا ما غب ما اجتلبوا

إني وإن قال أقوام مديحهم فأحسنوه وما حابوا وما كذبوا

أجري أمامهم جري امرىء فلج عنانه حين يجري ليس يضطرب

سبب الهجاء بينه وبين شقران

أخبرني يحيى بن علي قال أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال أخبرني أبو الحسن - أظنه المدائني - قال أخبرني أبو صالح الفزاري قال: أقبل شقران مولى بني سلامان بن سعد هذيم أخي عذرة بن سعدا بن هذيم، قال: وهذيم عبدٌ حبشي كان حضن سعداً فغلب عليه، وهو ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة من اليمامة ومعه تمر قد امتاره - فلقيه ابن ميادة فقال له: ما هذا معك؟ قال: تمرٌ امترته لأهلي يقال له: زب رباح، فقال له ابن ميادة يمازحه:

كأنك لم تقفل لأهلك تمرةً إذا أنت لم تقفل بزب رباح

فقال له شقران:

فإن كان هذا زبه فانطلق به إلى نسوةٍ سود الوجوه قباح

فغضب ابن ميادة وأمضه وأنحى عليه بالسوط فضربه ضربات وانصرف مغضباً؛ فكان ذلك سبب الهجاء بينهما. قال حماد عن أبيه وحدثني أبو علي الكلبي قال: اجتمع ابن ميادة وشقران مولى بني سلامان عند الوليد بن يزيد، فقال ابن ميادة: يا أمير المؤمنين، أتجمع بيني وبين هذا العبد وليس بمثلي في حسبي ولا نسبي ولا لساني ولا منصبي! فقال شقران:

لعمري لئن كنت ابن شيخي عشيرتي هرقلٍ وكسرى وما أراني مقصرا

وما أتمنى أن أكون ابن نزوةٍ نزاها ابن أرض لم تجد متمهرا

على حائلٍ تلوي الصرار بكفها فجاءت بخوارٍ إذا عض جرجرا

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار وأخبرنا يحيى بن علي عن أيوب المديني، عن زبير قال حدثني جلال بن عبد العزيز وقال يحيى بن خلاد عن أبي أيوب ابن عبد العزيز قال: استأذن ابن ميادة على الوليد بن يزيد وعنده

شقران مولى قضاعة فأدخله في صندوق وأذن لابن ميادة؛ فلما دخل أجلسه على الصندوق واستنشده هجاء شقران فجعل ينشده، ثم أمر بفتح الصندوق فخرج عليه شقران وجعل يهدر كما يهدر الفحل ويقول:

سأكعم عن قضاعة كلب قيسٍ ... على حجرٍ فينصت للكعام

أسير أمام قيسٍ كل يومٍ ... وما قيسٌ بسائرةٍ أمامي

وقال أيضاً وهو يسمع:

إني إذا الشعراء لاقى بعضهم ... بعضاً ببلقعةٍ يريد نضالها

وقفوا المرتجز الهدير إذا دنت ... منه البكارة قطعت أبوالها

فتركتهم زمراً ترمز باللحى ... منها عنافق قد حلقت سبالها

فقال له ابن ميادة: يا أمير المؤمنين اكفف عني هذا الذي ليس له أصلٌ فأحفره، ولا فرعٌ فأهصره؛ فقال الوليد: أشهد أنك قد جرجرت كما قا شقران:

فجاءت بخوار إذا عض جرجرا

تفاخره مع عقال بالشعر

قال يحيى في خبره: واجتمع ابن ميادة وعقال بن هاشم بباب الوليد بن يزيد، وكان عقالٌ شديد الرأي في اليمن، فغمز عقالٌ ابن ميادة واعتلاه؛ فقال ابن ميادة:

فجرنا ينابيع الكلام وبحره ... فأصبح فيه ذو الرواية يسبح

وما الشعر إلا شعر قيس وخندفٍ ... وقول سواهم كلفةٌ وتملح

فقال عقالٌ يجيبه:

ألا أبلغ الرماح نقض مقالةٍ ... بها خطل الرماح أو كان يمزح

لئن كان في قيسٍ وخندف ألسنٌ ... طوالٌ وشعرٌ سائرٌ ليس يقدح

لقد خرق الحي اليمانون قبلهم ... بحور الكلام تستقى وهي تطفح

وهم علموا من بعدهم فتعلموا ... وهم أعربوا هذا الكلام وأوضحوا

فللسابقين الفضل لا يجحدونه ... وليس لمخلوقٍ عليهم تبجح

شعره في حنينه إلى وطنه

وحوار الوليد إياه

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا جلال بن عبد العزيز عن أبيه قال حدثني ابن ميادة قال: قلت وأنا عند الوليد بن يزيد بأباين - وهو موضع كان الوليد ينزله في الربيع -:

لعمرك إني نازلٌ بأباينٍ لصوعر مشتاقٌ وإن كنت مكرما

أبيت كأني أرمد العين ساهرٌ إذا بات أصحابي من الليل نوما

قال: فقال لي الوليد: يابن ميادة كأنك غرضت من قربنا، فقلت: ما مثلك يا أمير المؤمنين يغرض من قربه، ولكن:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً بحرة ليلى حيث ربتني أهلي

وهل أسمعن الدهر أصوات هجمةٍ تطالع من هجلٍ خصيبٍ إلى هجل

بلادٌ بها نيطت علي تمائمي وقطعن عني حين أدركني عقلي

فإن كنت عن تلك المواطن حابسي فأيسر علي الرزق واجمع إذاً شملي

فقال: كم الهجمة؟ قلت: مائة ناقة؛ فقال: قد صدرت بها كلها عشراء. قال ابن ميادة: فذكرت ولدانا لي بنجد إذا استطعموا الله عز وجل أطعمهم وأنا، وإذا استسقوه سقاهم الله وأنا، وإذا استكسوه كساهم الله وأنا، فقال: يابن ميادة، وكم ولدانك؟ فقلت: سبعة عشر، منهم عشرة نفرٍ وسبع نسوة، فذكرت ذلك منهم فأخذ بقلبي؛ فقال: يابن ميادة، قد أطعمهم الله وأمير المؤمنين، وسقاهم الله وأمير المؤمنين، وكساهم الله وأميرا لمؤمنين؛ أما النساء فأربع حللٍ مختلفات الألوان، وأما الرجال فثلاث حللٍ مختلفات الألوان، وأما السقي فلا أرى مائه لقحة إلا ستروبهم، فإن لم تروهم زدهم عينين من الحجاز؛ قلت: يا أمير المؤمنين، لسنا بأصحاب عيون يأكلنا بها البعوض، وتأخذنا بها الحميات؛ قال: فقد أخلفها الله عليك؛ كل عام لك فيه مثل ما أعطيتك العام: مائة لقحة وفحلها وجارية بكر وفرس عتيق.

عارض ابن القتال وانتحل بيتاً من شعره

وأخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني شداد بن عقبة عن عبد السلام ابن القتال قال: عارضني ابن ميادة فقال: أنشدني يابن التقال، فأنشدته:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً بصحراء ما بين التنوفة والرمل

وهل أزجرن العيس شاكية الوجى كما عسل السرحان بالبلد المحل

وهل أسمعن الدهر صوت حمامةٍ تغني حماماتٍ على فننٍ جثل

وهل أشربن الدهر مزن سحابةٍ على ثمد الأفعاة حاضره أهلي

بلادٌ بها نيطت علي تمائمي		وقطعن عني حين أدركني عقلي

قال: فأتاني الرواة بهذا البيت وقد اصطرفه ابن ميادة وحده.

جازه الوليد إبلاً فأرادوا إبدالها فقال شعراً

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال حدثني رجل من كلب وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي علي الكلبي قال: أمر الوليد بن يزيد لابن ميادة بمائة من الإبل من صدقات بني كلب، فلما أتى الحول أرادوا أن يبتاعوها له من الطرائد، وهي الغرائب، وأن يمسكوا التلاد؛ فقال ابن ميادة:

ألم يبلغك أن الحي كلباً		أرادوا في عطيتك ارتدادا

وقالوا إنها صهبٌ وورقٌ		وقد أعطيتها دهماً جعادا

فعلموا أن الشعر سيبلغ الوليد فيغضبه؛ فقالوا له: انطلق فخذها صفرا جعادا.

شعره في رثاء الوليد

وقال يحيى بن علي في روايته: لما قتل الوليد بن يزيد قال ابن ميادة يرثيه:

ألا يا لهفتي على وليدٍ		غداة أصابه القدر المتاح

ألا ابكي الوليد فتى قريش		وأسمحها إذا عد السماح

وأجبرها لذي عظمٍ مهيض		إذا ضنت بدرتها اللقاح

لقد فعلت بنو مروان فعلاً		وأمراً ما يسوغ به القراح

قال يحيى: وغنى فيه عمر الوادي و لم يذكر طريقة غنائه.

ابن ميادة وعثمان بن عمرو

ابن عثمان بن عفان

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن زهير بن مضرس الفزاري عن أبيه قال: أخصب جناب الحجاز الشأمي فمالت لذلك الخصب بنو فزارة وبنو مرة، فتحالوا جميعاً به. قال: فبينا ذات يوم أنا وابن ميادة جالسان على قارعة الطريق عشاء إذا راكبان يوجفان راحلتين حتى وقفا علينا، فإذا أحدهما بحر الريح وهو عثمان بن عمرو بن عثمان بن عفان معه مولى له، فنسبنا وانتسب لنا، وقد كان ابن ميادة يعللني بشعره، فلما انقضى كلامنا مع القرشي ومولاه استعدت ابن ميادة ما كنا فيه، فأنشدني فخراً له يقول فيه:

وعلى المليحة من جذيمة فتيةٌ يتمارضون تمارض الأسد
وترى الملوك الغتر تحت قبابهم يمشون في الحلقات والقد

قال: فقال له القرشي: كذبت؛ قال ابن ميادة: أفي هذا وحده! أنا والله في غيره أكذب؛ فقال له القرشي: إن كنت تريد في مديحك قريشاً فقد كفرت بربك ودفعت قوله، ثم قرأ عليه: "لإيلاف قريشٍ" حتى أتى على آخرها، ونهض هو ومولاه وركبا راحلتيهما؛ فلما فاتا أبصارنا قال ابن ميادة:

سمين قريشٍ مانعٌ منك نفسه وغث قريشٍ حيث كان سمين

ابن ميادة وسنان بن جابر

أخبرنا يحيى بن علي عن حماد عن أبيه عن أبي الحارث المري قال: كان ابن ميادة قد هاجى سنان بن جابر أحد بني حميس بن عامر بن جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم؛ فقال ابن ميادة له فيما قال من هجائه:

لقد طالما عللت حجراً وأهله بأعراض قيسٍ يا سنان بن جابر
أأهجوا قريشاً ثم تكره ريبتي ويسرقني عرضي حميس بن عامر

قال: وقال فيهم أيضاً

قصار الخطى فرق الخصى زمر اللحى كأنهم ظرابى اهترشن على لحم
ذكرت حمام القيظ لما رأيتهم يمشون حولي في ثيابهم الدسم
وتبدي الحميسيات في كل زينةٍ فروجاً كآثار الصغار من البهم

قال: ثم إن ابن ميادة خرج يبغي إبلاً له حتى ورد جباراً - وهو ماء لحميس بن عامر - فأتى بيتاً فوجد فيه عجوزاً قد أسنت، فنشدها إبله فذكرها له وقالت: ممن أنت؟ قال: رجلٌ من سليم بن منصور؛ فأذنت له وقالت: ادخل حتى نقريك وقد عرفته وهو لا يدري؛ فلما قرته قال ابن ميادة: وجدت ريح الطيب قد نفح علي من البيت، فإذا بنتٌ لها قد هتكت الستر، ثم استقبلتني وعليها إزارٌ أحمر وهي مؤتزرةٌ به، فأطلقته وقالت: انظر يابن ميادة الزانية! أهذا كما نعت! فلم أر امرأةً أضخم قبلاً منها؛ فقالت: أهذا كما قلت!:

وتبدي الحميسيات في كل زينةٍ فروجاً كآثار الصغار من البهم

قال: قلت: لا والله يا سيدتي، ما هكذا قلت ولكن قلت:

وتبدي الحميسيات في كل زينةٍ فروجاً كآثار المقيسرة الدهم

وانصرف يتشبب بها، فذلك حين يقول:

نظرنا فهاجتنا على الشوق والهوى لزينب نارٌ أوقدت بجبار

كأن سناها لاح لي من خصاصةٍ على غير قصدٍ والمطي سواري

حميسيةٌ بالرملتين محلها تمد بحلفٍ بيننا وجوار

قال أبو داود: وكانت بنو حميس حلفاء لبني سهم بن مرة، ثم للحصين بن الحمام. وتمد وتمت واحد.

رجع إلى الشعر

تجاور من سهم بن مرة نسوةٍ بمجتمع النقبين غير عواري

نواعم أبكاراً كأن عيونها عيون ظباء أو عيون صوار

كأنا نراها وهي منا قريبةٌ على متن عصماء اليدين نوار

تتبع من حجر ذرا متمنع لها معقلٌ في رأس كل طمار

يدور بها ذو أسهم لا ينالها وذو كلبات كالقسي ضواري

كأن على المتنين منها ودية سقتها السواقي من ودي دوار

يظل سحيق المسك يقطر حولها إذا الماشطات احتفنه بمداري

وما روضةٌ خضراء يضربها الندى بها قنةٌ من حنوةٍ وعرار

بأطيب من ريح القرنفل ساطعاً بما التف من درع لها وخمار

وما ظبيةٌ ساقت لها الريح نغمةً على غفلةٍ فاستسمعت لخوار

بأحسن منها يوم قامت فأتلعت على شركٍ من روعةٍ ونفار

فليتك يا حسناء يابنة مالكٍ يبيع لنا منك المودة شاري

ابن ميادة وزينب بنت مالك

وأخبرني بهذا الخبر الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني أبو حرملة منظور بن أبي عدي الفزاري ثم المنظوري عن أبيه قال حدثني رماح بن أبرد قال:

خرجت قافلاً من السلع إلى نجد حتى إذا كنت ببعض أهضام الحرة "هكذا في نسختي، وأظنه هضاب الحرة" رفع لي بيتٌ كالطراف العظيم، وإذا بفنائه غنم لم تسرح، فقلت: بيت من بيوت بني مرة وبي من العيمة إلى اللبن ما ليس بأحد، فقلت: آتيهم فأسلم عليهم وأشرب من لبنهم، فلما كنت غير بعيد سلمت فردت علي امرأةٌ برزة بفناء البيت، وحيت ورحبت واستترلتني فترلت، فدعت بلبن ولبأ ورسل من رسل تلك الغنم، ثم قالت: هيا

فلانة البسي شفاً واخرجي، فخرجت علي جاريةٌ كأنها ثمعة ما رأيت في الخلق لها نظيراً قبل ولا بعد، فإذا شفها ذاك ليس يواري منها شيئاً وقد نبا عن ركبها ما وقع عليه من الثوب فكأنه قعبٌ مكفأ، ثم قالت: يابن ميادة الخبيثة، أأنت القائل:

وتبدي الحميسيات في كل زينةٍ فروجاً كآثار الصغار من البهم؟

فقلت: لا والله - جعلني الله فداك يا سيدتي - ما قلت هذا قط، وإنما قلت:

وتبدي الحميسيات في كل زينةٍ فروجاً كآثار المقيسرة الدهم

قال: وكان يقال للجارية الحميسية: زينب بنت مالك، وفيها قال ابن ميادة قصيدته:

ألما فزورا اليوم خير مزار

أعطاه الوليد جارية فقال فيها شعراً

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني موهوب ابن رشيد الكلابي قال: أعطى الوليد بن يزيد ابن ميادة جاريةً طبرية أعجمية لا تفصح، حسناء جميلةً كاملةً لولا العجمة، فعشقها وقال فيها:

جزاك الله خيراً من أمير فقد أعطيت مبرادا سخونا

بأهلي ما الذك عند نفسي لو أنك بالكلام تعربينا

كأنك ظبيةٌ مضغت أراكاً بوادي الجزع حين تبغمينا

ملاحاته مع رجل من بني جعفر

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني إسحاق بن شعيب بن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال: وردت على بني فزارة ساعياً، فأتاني ابن ميادة مسلماً علي، وجاءتني بنو فزارة ومعها رجلٌ من بني جعفر بن كلاب كان لهم جاراً وكان مخططاً موسوماً بجمال، فلما رأيته أعجبني، فأقبلت على بني فزارة وقلت لهم: أي أخوالي هذا؟ فوالله إنه ليسرني أن أرى فيكم مثله؛ فقالوا: هذا - أمتع الله بك - رجلٌ من بني جعفر بن كلاب وهو لنا جارٌ. قال: فأصغى إلي ابن ميادة، وكان قريباً مني، وقال: لا يغرنك - بأبي أنت - ما ترى من جسمه فإنه أجوف لا عقل له؛ فسمعه الجعفري فقال: أفي تقع يابن ميادة وأنت لا تقري ضيفك؟ فقال له ابن ميادة: إن لم أقره قراه ابن عمي وأنت لا تقري ولا ابن عمك. قال ابن عمران: فضحكت مما شهد به ابن ميادة على نفسه.

كان بخيلاً لا يكرم أضيافه

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري عن المعلى بن نوح الفزاري قال حدثني خال لي كان شريفاً من سادات بني فزارة قال: ضفت ابن ميادة فأكرمني وتحفى بي وفرغ لي بيتاً فكنت فيه ليس معي أحد، ثم جاءني بقدح ضخم من لبن إبله فشربته ثم ولى، فلم ينشب أن جاءني بآخر فتناولت منه شيئاً يسيراً، فما لبثت حتى عاد بآخر فقلت: حسبك يا رماح فلا حاجة لي بشيء؛ فقال: اشرب بأبي أنت، فوالله لربما بات الضيف عندنا مدحوراً.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب عن جدي عبد الله بن مصعب قال: أتينا ابن ميادة نتلقى منه الشعر؛ فقال لنا: هل لكم في فضل شنة؟ فظنناها تمراً، فقلنا له: هات، لنبسطه بذلك، فإذا شنةٌ فيها فضلةٌ من خمر قد شرب بعضها وبقي بعضٌ، فلما رأيناها قمنا وتركناه.

يرفض وليمة ضرب الناس فيها بالسياط أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني إبراهيم بن عبد الرحمن الكثيري قال حدثني نعمة الغفاري قال: قدم ابن ميادة المدينة فدعي في وليمة فجاء فوجد على باب الدار التي فيها الوليمة حرساً يضربون الزلالين بالسياط يمنعوهم من الدخول، فرجع وهو يقول:

لما رأيت الأصبحية قنعت مفارق شمطٍ حيث تلوى العمائم
تركت دفاع الباب عما وراءه وقلت صحيحٌ من نجا وهو سالم

وسأله الوليد من تركت عند نسائك

أخبرني يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق قال:

قال الوليد بن يزيد لابن ميادة في بعض وفاداته عليه: من تركت عند نسائك؟ قال: رقيبين لا يخالفاني طرفة عين: الجوع والعري. وهذا القول والجواب يروى أن عمر بن عبد العزيز وعقيل بن علفة تراجعاهما، وقد ذكرا في أخبار عقيل.

مدحه لأبي جعفر المنصور

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب وأخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبير وأخبرنا يحيى بن علي قال: حدثنا أبو أيوب المديني عن مصعب: أن ابن ميادة مدح أبا جعفر المنصور بقصيدته التي يقول فيها:

طلعت علينا العيس بالرماح

ثم خرج من عند أهله يريده، فمر على إبله فحلبت له ناقةٌ من إبله، وراح عليه راعيه بلبنها فشربه ثم مسح على بطنه ثم قال: سبحان الله! إن هذا لهو الشره! يكفيني لبن بكرة وأنا شيخ كبير، ثم أخرج وأغترب في طلب المال! ثم رجع فلم يخرج. هذه القصيدة من جيد شعر ابن ميادة، أولها:

وكواعبٍ قد قلن يوم تواعدٍ قول المجد وهن كالمزاح

يا ليتنا في غير أمرٍ فادح طلعت علينا العيس بالرماح

بينا كذاك رأينني متعصباً بالخز فوق جلالةٍ سرداح

فيهن صفراء المعاصم طفلةٌ بيضاء مثل غريضة التفاح

فنظرن من خلل الحجال بأعينٍ مرضى مخالطها السقام صحاح

وارتشن حين أردن أن يرمينني تبلاً بلا ريشٍ ولا بقداح

يقول فيها في مدح المنصور وبني هاشم:

فلئن بقيت لألحقن بأبحرٍ ينمين لا قطعٍ ولا أنزاح

ولآتين بني علي إنهم من يأتهم يتلق بالإفلاح

قومٌ إذا جلب الثناء إليهم بيع الثناء هناك بالأرباح

ولأجلسن إلى الخليفة إنه رحب الفناء بواسع نجباح

وهي قصيدة طويلة.

قوله فيما أصاب الحاج من المطر

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا إسحاق بن أيوب قال: اعتمرت في رجب سنة خمس ومائة، فصادفني ابن ميادة بمكة وقدمها معتمراً، فأصابنا مطرٌ شديد تهدمت منه البيوت وتوالت فيه الصواعق، فجلس إلي ابن ميادة الغد من ذلك اليوم، فجعل يأتيني قومٌ من قومي وغيرهم فأستخبرهم عن ذلك الغيث فيقولون: صعق فلان وانهدم منزل فلان؛ فقال ابن ميادة: هذا العيث لا الغيث؛ فقلت: فما الغيث عندك؟ فقال:

سحائب لا من صيبٍ ذي صواعقٍ ولا محرقات ماؤهن حميم

إذا ما هبطن الأرض قد مات عودها بكين بها حتى يعيش هشيم

كان ينشد من شعره فيستحسنه الناس

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني موسى بن زهير عن أبيه قال: جلست أنا وعيسى بن عميلة وابن ميادة ذات يوم، فأنشدنا ابن ميادة شعره ملياً، ثم أنشدنا قوله:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً بحرة ليلى حيث ربتني أهلي

بلادٌ بها نيطت علي تمائمي وقطعن عني حين أدركني عقلي

وهل أسمعن الدهر أصوات هجمةٍ ... تطالع من هجلٍ خصيبٍ إلى هجل

صهيبيةٍ صفراء تلقي رباعها ... بمنعرج الصمان والجرع السهل

تلقى رباعها: تطرح أولادها. وواحد الرباع ربع.

وهل أجمعن الدهر كفي جمعةً ... بمهضومة الكشحين ذات شوىً عبل

محللةٍ لي لا حراماً أتيتها ... من الطيبات حين تركض في الحجل

تميل إذا مال الضجيع بعطفها ... كما مال دعصٌ من ذرا عقد الرمل

فقال له عيسى بن عميلة: فأين قولك يا أبا الشرحبيل:

لقد حرمت أمي علي عدمتها ... كرائم قومي ثم قلة ماليا

فقلت له: فاعطف إذاً إلى أمة بني سهيل فهي أعند وأنكد، وقد كنت أظن أن ميادة قد ضربت جأشك على اليأس من الحرائر، وأنا أداعبه وأضاحكه؛ فضحك وقال:

ألم تر قوماً ينكحون بمالهم ... ولو خطبت أنسابهم لم تزوج

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب وغيره:

أن حسينة اليسارية كانت جميلة - وآل يسار من موالي عثمان رضوان الله عليه يسكنون تيماء، ولهم هناك عدد وجلد، وقد انتسبوا في كلب إلى يسار بن أبي هند فقبلهم بنو كلب - قال: وكانت عند رجل من قومها يقال له: عيسى بن إبراهيم بن يسار، وكان ابن ميادة يزورها؛ وفيها يقول:

ستأتينا حسينة حيث شئنا ... وإن رغمت أنوف بني يسار

قال: فدخل عليها زوجها يوماً فوجد ابن ميادة عندها، فهم به هو وأهلها؛ فقاتلهم وعاونته عليهم حسينة حتى أفلت تتابن ميادة؛ فقال في ذلك:

لقد ظلت تعاونني عليهم ... صموت الحجل كاظمة السوار

وقد غادرت عيسى وهو كلبٌ ... يقطع سلحه خلف الجدار

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني إبراهيم بن سعد بن شاهين قال حدثني عبد الله بن خالد بن دفيف التغلبي عن عثمان بن عبد الرحمن بن نميرة العدوي عن أبي العلاء بن وثاب قال:

ابن ميادة وعبد الواحد بن سليمان

قدم ابن ميادة المدينة زائراً لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو أميرها وكان يسمر عنده في الليل، فقال عبد الواحد لأصحابه: إني أهم أن أتزوج، فابغوني أيماً؛ فقال له ابن ميادة: أنا أدلك، أصلحك الله أيها الأمير؛

قال: على من يا أبا الشرحبيل؟ قال: قدمت عليك أيها الأمير فدخلت مسجدكم فإذا أشبه شيء به وبمن فيه الجنة وأهلها، فوالله لبينا أنا أمشي فيه إذ قادتني رائحة عطر رجل حتى وقفت بي عليه، فلما وقع بصري عليه استلهاني حسنه فما أقلعت عنه حتى تكلم، فخلته لما تكلم يتلو زبوراً ويدرس إنجيلاً أو يقرأ قرآناً حتى سكت فلولا معرفتي بالأمير لشككت أنه هو، ثم خرج من مصلاه إلى داره، فسألت: من هو؟ فأخبرت أنه للحيين وبين الخليفتين، وأن قد نالته ولادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لها "نور" ساطع من غرته وذؤابته، فنعم المنكح ونعم حشو الرحل وابن العشيرة، فإن اجتمعت أنت وهو على ولد ساد العباد وجاب ذكره البلاد. فلما قضى ابن ميادة كلامه قال عبد الواحد ومن حضره: ذاك محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وأمه فاطمة بنت الحسين، فقال ابن ميادة:

لهم نبوةٌ لم يعطها الله غيرهم وكل قضاء الله فهو مقسم

قال يحيى بن علي: ومما مدح به عبد الواحد لما قدم عليه قوله:

من كان أخطأه الربيع فإنما نصر الحجاز بغيث عبد الواحد
إن المدينة أصبحت معمورةً بمتوجٍ حلو الشمائل ماجد
ولقد بلغت بغير أمر تكلفٍ أعلى الحظوظ برغم أنف الحاسد
وملكت ما بين العراق ويثربٍ ملكاً أجار لمسلم ومعاهد
ماليهما ودميهما من بعد ما غشى الضعيف شعاع سيف المارد

التقاؤه جماعة يرتجزون بشعره

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني سعيد بن زيد السلمي قال: إنا لنزولٌ أنا وأصحاب لي قبل الفطر بثلاث ليالٍ على ماءٍ لنا، فإذا راكبٌ يسير على جملٍ ملتفٌ بثوب والسماء تغسله حتى أناخ إلى أجم عرفته، فلما رأيناه لثقاً قمنا إليه فوضعنا رحله وقيدنا جمله، فلما أقلعت السماء عنا وهو معنا قاعدٌ قام غلمةٌ منا يرتجزون والرجل لم ينتسب لنا ولا عرفناه، فارتجز أحدهم فقال:

أنا ابن ميادة لباس الحلل أمر من مر وأحلى من عسل

حتى قال له الرجل: يابن أخي، أتدري، من قال هذا الشعر؟ قال: نعم، ابن ميادة قال: فأنا "هو" ابن ميادة الرماح بن أبرد، وبات يعللنا من شعره، ويقطع عنا الليل بنشيده، وسرينا راحلين فصبحنا مكة فقضينا نسكنا، ولقيه رجلان من قومه من بني مرة فعرفهما وعرفاه، وأفطرنا بمكة، فلما انصرفنا من المسجد يوم الفطر إذا نحن بفارسين مسودين وراجلين مع المريين يقولون: أين ابن ميادة؟ فقلنا: ها هو وقد برزنا من خيمة كنا فيها، فقلنا لابن ميادة: ابرز؛ فلما نظر إلى المريين قال:

إحدى عشياتك يا شميرج

- قال: وهذا رجزٌ لبعض بني سليم يقوله لفرسه:

أقول والركبة فوق المنسج إحدى عشياتك يا شميرج

ويروى: مشمرج - فقالوا لابن ميادة: أجب الأمير عبد الصمد بن علي، وخذ معك من أصحابك من أحببت؛ فخرج وخرج معه منا أربعة نفرٍ أنا أحدهم حتى وقفنا على باب دار الندوة، فدخل أحد المسودين، ثم خرج فقال: ادخل يا أبا شجرة، فدخلت على عبد الصمد بن علي فوجدته جالساً متوشحاً بملحفة موردةٍ؛ فقال لي: من أنت؟ قلت: رجلٌ من بني سليم؛ فقال: مالك تصاحب المري وقد قتلوا معاوية بن عمرو! وقالت الخنساء:

ألا ما لعيني ألا ما لها لقد أخضل الدمع سربالها

فآليت آسى على هالكٍ وأسأل نائحةً مالها

أبعد ابن عمرو من ال الشري د حلت به الأرض أثقالها

فإن تك مرة أودت به فقد كان يكثر تقتالها

أترويها؟ قلت: نعم أصلح الله الأمير، وما زال من المعركة حتى قتل به خفاف بن عمرو المعروف بابن ندبة كبش القوم مالك بن حمارٍ الفزاري ثم الشمخي، أما سمع الأمير قول خفاف بن ندبة في ذلك:

فإن تك خيلي قد أصيب صميمها فعمداً على عينٍ تيممت مالكا

تيممت كبش القوم حين رأيته وجانبت شبان الرجال الصعالكا

أقول له والرمح يأطر متنه تأمل خفافا إنني أنا ذلكا

وقد توسط معاوية بن عمرو خيلهم فأكثر فيهم القتل، وقتل كبش القوم الذي أصيب بأيديهم؛ فقال: لله درك! إذا ولدت النساء فليلدن مثلك! وأمر لي بالف درهم، فدفعت إلي وخلع علي. وأدخل ابن ميادة فسلم عليه بالإمرة؛ فقال له: لا سلم الله عليك يا ماص كذا من أمه: فقال ابن ميادة: ما أكثر الماصين! فضحك عبد الصمد، ودعا بدفتر فيه قصيدة ابن ميادة التي يقول فيها:

لنا الملك إلا أن شيئاً تعده قريشٌ ولو شئنا لداخت رقابها

ثم قال لابن ميادة: أعتق ما أملك إن غادرت منها شيئاً إن لم أبلغ غيظك، فقال ابن ميادة: أعتق ما أملك إن أنكرت منها بيتاً قلته أو أقررت ببيت لم أقله؛ فقرأها عبد الصمد ثم قال له: أأنت قلت هذا؟ قال نعم؛ قال: أفكنت أمنت يابن ميادة أن ينقض عليك بازٍ من قريش فيضرب رأسك! فقال: ما أكثر البازين! أفكان ذلك البازي آمناً أن يلقاه بازٍ من قيس وهو يسير فيرميه فتشول رجلاه! فضحك عبد الصمد ثم دعا بكسوة فكساهم.

تمثل بعض ولد الحسن بشعره

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الصمد بن شبيب قال قال أبو حذافة السهمي: سب رجلٌ من قريش في أيام بني أمية بعض ولد الحسن بن علي، فأغلظ له وهو ساكتٌ، والناس يعجبون من صبره عليه، فلما أطال أقبل الحسني عليه متمثلاً بقول ابن ميادة:

أظنت سفاهاً من سفاهة رأيها ... أن أهجوها لما هجتني محارب

فلا وأبيها إنني بعشيرتي ... ونفسي عن ذاك المقام لراغب

فقام القرشي خجلاً وما رد عليه جواباً.

مدحه لجعفر بن سليمان أميرالمدينة

أخبرني أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سلام قال: مدح ابن ميادة جعفر بن سليمان وهو على المدينة، فأخبرني مسمع بن عبد الملك أنه قام له بحاجته عند جعفر وأوصلها إليه. قال فقال "له": جزاك الله خيراً! ممن أنت رحمك الله؟ قلت: أحد بني مسمع؛ قال: ممن؟ قلت: من قيس بن ثعلبة؛ قال: ممن؟ عافاك الله! قلت: من بكر بن وائل؛ قال: والله لو كنت سمعت ببكر بن وائل قط أو عرفتهم لمدحتك، ولكني ما سمعت ببكر قط ولا عرفتهم، ثم مدح جعفراً فقال:

لعمرك ما سيوف بني علي ... بنابية الظباة ولا كلال

هم القوم الألى ورثوا أباهم ... تراث محمدٍ غير انتحال

وهم تركوا المقال لهم رفيعاً ... وما تركوا عليهم من مقال

حذوتم قومكم ما قد حذوتم ... كما يحذى المثال على المثال

فردوا في جراحكم أساكم ... فقد أبلغتم مر النكال

يشير عليه بالعفو عن بني أمية ويذكره بأرحامهم.

أخبرنا بهذا الخبر يحيى بن علي عن سليمان المديني عن محمد بن سلام، قال يحيى قال أبو الحارث المري فيما ذكره إسحاق من أخباره: قال جعفر بن سليمان لابن ميادة: أتحب أن أعطيك مثل ما أعطاك ابن عمك رياح بن عثمان؟ فقال: لا، أيها الأمير، ولكن أعطني كما أعطاني ابن عمك الوليد بن يزيد.

قال يحيى وأخبرنا حماد عن أبيه عن أبي الحارث قال قال جعفر بن سليمان لابن ميادة: أأنت الذي تقول:

بني أسدٍ أن تغضوا ثم تغضبوا ... وتغضب قريشٌ تحم قيساً غضابها

قال: لا والله! ما هكذا قلت؛ قال: فكيف قلت؟ قال: قلت:

بني أسدٍ إن تغضبوا ثم تغضبوا ... وتعدل قريشٌ تحم قيساً غضابها

هجا بني أسد وبني تميم

قال: صدقت هكذا قلت. وهذه القصيدة يهجو بها ابن ميادة بني أسد وبني تميم، وفيها يقول بعد هذا البيت الذي ذكره له جعفر بن سيمان:

وأحقر محقورٍ تميمٌ أخوكم ... وإن غضبت يربوعها وربابها

ألا ما أبالي أن تخندف خندفٌ ... ولست أبالي أن يطن ذبابها

ولو أن قيساً قيس عيلان أقسمت ... على الشمس لم يطلع عليكم حجابها

ولو حاربتنا الجن لم نرفع القنا ... عن الجن حتى لا تهر كلابها

لنا الملك إلا أن شيئاً تعده ... قريشٌ ولو شئنا لذلت رقابها

وإن غضبت من ذا قريشٌ فقل لها ... معاذ الإله أن أكون أهابها

وإن لقوال الجواب وإنني ... لمفتجرٌ أشياء يعيي جوابها

إذا غضبت قيسٌ عليك تقاصرت ... يداك وفات الرجل منك ركابها

ابن ميادة وسماعة بن أشول

قال إسحاق في خبره فحدثني جبر بن رباط بن عامر بن نصر قال: فقال سماعة بن أشول النعامي يعارض ابن ميادة:

لعل ابن أشبانيةٍ عارضت به ... رعاء الشوي من مريح وعازب

يسامي فروعاً من خزيمة أحرزت ... عليه ثنايا المجد من كل جانب

فقال ابن ميادة: من هذا؟ لقد أغلق علي أغلق الله عليه! قالوا: سماعة بن أشول؛ فقال: سماعة يسمع بي، وأشول يشول بي، والله لا أهاجيه أبداً، وسكت عنه.

هجاه عبد الرحمن بن جهيم الأسدي

وقال عبد الرحمن بن جهيم الأسدي أحد بني الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد يرد على ابن ميادة، وهي قصيدة طويلة ذكرت منها أبياتاً:

لقد كذب العبد ابن ميادة الذي ربا وهي وسط الشول تدمى كعابها
شرنبثة الأطراف لم يقن كفها خضابٌ ولم تشرق بعطرٍ ثيابها
أرماح إن تغضب صناديد خندفٍ يهج لك حرباً قصبها واعتيابها

ويروى اغتيابها من الغيبة. واعتيابها من العيب.

ولو أغضبت قيسٌ قريشاً لجدعت مسامع قيسٍ وهي خضعٌ رقابها
لقد جر رماح ابن واهصة الخصى على قومه حرباً عظيماً عذابها
وقد علم المملوح بالشؤم رأسه قتيبة أن لم تحم قيساً غضابها
ولم تحمها أيام قتل ابن حازمٍ وأيام قتلى كان خزياً مصابها
ولا يوم لاقينا نميراً فقتلت نميرٌ وفرت كعبها وكلابها
وإن تدع قيساً لا تجبك وحولها خيول تميم سعدها وربابها
ولو أن قيساً قيس عيلان أصحرت لأنواء غنمٍ غرقتها شعابها
ولو أن قرن الشمس كان لمعشرٍ لكان لنا إشراقها واحتجابها
ولكنها لله يملك أمرها بقدرته إصعادها وانصبابها
لعمري لئن شابت حليلة نهبلٍ لبئس شباب المرء كان شبابها
ولم تدر حمراء العجان أنهبلٌ أبوه أم المري تب تبابها
فإن يك رماح بن ميادة التي يصن إذا باتت بأرضٍ ترابها
جرى جري موهون القوى قصرت به لئمة أعراقٍ إليه انتسابها
فلن تسبق المضمار في كل موطنٍ من الخيل عند الجد إلا عرابها
ووالله لولا أن قيساً أذلةٌ لئامٌ فلا يرضى لحر سبابها
لالحقتها بالزنج ثم رميتها بشنعاء يعيي القائلين جوابها

ابن ميادة وأبان بن سعيد

أخبرني يحيى بن علي عن حماد عن أبيه قال: وجدت في كتاب أبي عمرو الشيباني فعرضته على أبي داود فعرفه أو عامته، قال:

إنا لجلوسٌ على الهجم في ظل القصر عشيةً، إذ أقبل إلينا ثلاثة نفرٍ يقودون ناقةً حتى جلسوا إلى أبان بن سعيد بن عيينة بن حصن وهو في جماعة من بني عيينة، قال: فرأيت أجلةً ثلاثةً ما رأيتهم قط، فقلنا: من القوم؟ فقال أحدهم: أنا ابن ميادة وهذان من عشيرتي؛ فقال أبان لأحد بنيه: اذهب بهذه الناقة فأطلق عنها عند بيت أمك؛ فقال له ابن ميادة: هذه يا أبا جعفر السعلاة، أفلا أنشدك ما قلت فيها؟ قال: بلى فهات؛ فقال:

قعدت على السعلاة تنفض مسحها ... وتجذب مثل الأيم في برة الصفر

تيمم خير الناس ماءً وحاضراً ... وتحمل حاجاتٍ تضمنها صدري

فإني على رغم الأعادي لقائلٌ ... وجدت خيار الناس حي بني بدر

لهم حاضرٌ بالهجم لم أر مثلهم ... من الناس حيا أهل بدوٍ ولا حضر

وخير معد مجلساً مجلسٌ لهم ... يفيء عليه الظل من جانب القصر

أخص بها روقي عيينة إنه ... كذاك ضحاح الماء يأوي إلى الغمر

فأنتم أحق الناس أن تتخيروا ال ... مياه وأن ترعوا ذرى البلد القفر

قال: فكان أول قائم من القوم ركضة بن علي بن عيينة، وهو ابن عم أبان وعبدة بنت أبان، وكانت إبله في العطن وهي أكرم نعم بني عيينة وأكثره، فقال: ما سمعت كاليوم مديح قومٍ "قط"، حكمك ماضٍ في هذه الإبل؛ ثم قام آخر فقال مثل ذلك، وقام آخر وآخر؛ فقال ابن ميادة: يا بني عيينة، إني لم آتكم لتتبارى في شياطينكم في أموالكم، إنما كان علي دينٌ فأردت أن تعطوني أبكراً أبيعها في ديني. فأقام عند أبان بن سعيدٍ خمسة عشر يوماً، ثم راح بتسع عشرة ناقة، فيها ناقةٌ لابن أبان عشراء أو رباعيةٌ. قال يحيى في خبره: وقال يعقوب بن جعفر بن أبان بن سعيد بن عيينة: إني على الهجم يوماً إذا أقبل رجلٌ فجعل يصرف راحلته في الحياض فيرده الرجل بعد الرجل، فدعوته فقلت: اشرع في هذا الحوض؛ فلما شرع فسقى قال: من هذا الفتى؟ فقيل: هذا جعفر بن أبان بن سعيد بن عيينة؛ فقال:

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن ... لآباء سوءٍ يلقهم حيث سيرا

فما العود إلا نابتٌ في أرومه ... أبي شجر العيدان أن يتغيرا

قال إسحاق: سألت أبا داود عن قوله:

كذاك ضحاح الماء يجري إلى الغمر

فقال: أراد أن الأمر كله والسؤدد يصير إليه، كما يصير الماء إلى الغمرة حيث كانت.

ابن ميادة وأيوب بن سلمة

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال أخبرني مصعب بن الزبير قال: ضاف ابن ميادة أيوب بن سلمة فلم يقره، وابن ميادة من أخوال أيوب بن سلمة، فقال فيه:

ظللنا وقوفاً عند باب ابن أختنا   وظل عن المعروف والمجد في شغل

صفاً صلدٌ عند الندى ونعامةٌ   إذا الحرب أبدت عن نواجذها العصل

ابن ميادة ورياح ابن عثمان

قال أبو أيوب وأخبرني مصعب قال: قدم ابن ميادة على رياح بن عثمان، وقد ولي المدينة وهو جادٌ في طلب محمد بن عبد الله بن حسن وإبراهيم أخيه، فقال له: اتخذ حرساً وجنداً من غطفان واترك هؤلاء العبيد الذين تعطيهم دراهمك، وحذار من قريش؛ فاستخف بقوله ولم يقبل رأيه؛ فلما قتل رياح قال ابن ميادة:

أمرتك يا رياح بأمر حزمٍ   فقلت هشيمةٌ من أهل نجد

وقلت له تحفظ من قريشٍ   ورقع كل حاشيةٍ وبرد

فوجداً ما وجدت على رياحٍ   وما أغنيت شيئاً غير وجدي

تشبيبه بالنساء

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال حدثني أكثم بن صيفي المري ثم الصاردي عن أبيه قال: كان ابن ميادة رأى امرأة من بني جشم بن معاوية ثم من بني حرام يقال لها: أم الوليد، وكانوا ساروا عليه، فأعجب بها وقال فيها:

ألا حبذا أم الوليد ومربعٌ   لنا ولها نشتو به ونصيف

ويروي:

...ومربع   لنا ولها بالمشتوى ومصيف

حراميةٌ أما ملاث إزارها   فوعثٌ وأما خصرها فلطيف

كأن القرون السود مقذها   إذا زال عنها برقعٌ ونصيف

بها زرجوناتٌ بقفرٍ تنسمت   لها الريح حتى بينهن رفيف

قال: فلما سمع زوجها هذه الأبيات أتاها فحلف بطلاقها: لئن وجد ابن ميادة عندها ليدقن فخذها، ثم أعرض عنها واغترها، حتى وجده يوماً عند بيتها فدق فخذها، واحتمل فرحل ورحل بها معه؛ فقال ابن ميادة:

أتانا عام سار بنو كلابٍ حراميون ليس لهم حرام

كأن بيوتهم شجرٌ صغارٌ بقيعانٍ تقيل بها النعام

حراميون لا يقرون ضيفا ولا يدرون ما خلق الكرام

قال: ثم سارت عليهم بعد ذلك بنو جعفر بن كلاب، فأعجب بامرأة منهم يقال لها أم البختري، وكان يتحدث إليها مدة مقامهم، ثم ارتحلوا فقال فيها:

أرقت لبرقٍ لا يفتر لامعه بشهب الربى والليل قد نام هاجعه

أرقت له من بعد ما نام صحبتي وأعجبني إيماضه وتتابعه

يضيىء صبيرا من سحابٍ كأنه هجانٌ أرنت للحنين نوازعه

هنيئاً لأم البختري الروي به وإن أنهج الحبل الذي النأي قاطعه

لقد جعل المستبضع الغش بيننا ليصرح حبلينا تجوز بضائعه

فما سرحةٌ تجري الجداول تحتها بمطرد القيعان عذبٍ ينابعه

بأحسن منها يوم قالت بذي الغضا أترعى جديد الحبل أم أنت قاطعه

وخطب إلى بني سلمى بن مالك

فلم يزوجوه فقال شعراً

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن ابي طاهر قال حدثني أحمد بن إبراهيم قال: وذكر أبو الأشعث أن ابن ميادة خطب امرأة من بين سلمى بن مالك بن جعفر ثم من بني البهثة - وهم بطن يقال لهم البهثاء - فأبوا أن يزوجوه وقالوا: أنت هجينٌ ونحن أشرف منك؛ فقال:

فلو طاوعتني آل سلمى بن مالكٍ لأعطيت مهراً من مسرة غاليا

وسربٍ كسرب العين من آل جعفرٍ يغادين بالكحل العيون السواجيا

إذا ما هبطن النيل أو كن دونه بسرو الحمى ألقين ثم المراسيا

مات في صدر خلافة المنصور

قال أحمد بن إبراهيم: مات ابن ميادة في صدر من خلافة المنصور، وقد كان مدحه ثم لم يفد إليه ولا مدحه، لما بلغه من قلة رغبته في مدائح الشعراء وقلة ثوابه لهم.

أخبار حنين الحيري

نسبه

حنين بن بلوع الحيري مختلف في نسبه، فقيل: إنه من العباديين من تميم، وقيل: إنه من بني الحارث بن كعب، وقيل من قوم بقوا من جديس وطسم فنزلوا في بني الحارث بن كعب فعدوا فيهم، ويكنى أبا كعب، وكان شاعراً مغنياً فحلاً من فحول المغنين، وله صنعة فاضلة متقدمة، وكان يسكن الحيرة ويكري الجمال إلى الشأم وغيرها، وكان نصرانياً. وهو القائل يصف الحيرة ومنزله بها:

صوت

أنا حنينٌ ومنزلي النجف … وما نديمي إلا الفتى القصف
أقرع بالكأس ثغر باطيةً … مترعةٍ، تارةً وأغترف
من قهوة باكر التجار بها … بيت يهودٍ قرارها الخزف
والعيش غض ومنزلي خصبٌ … لم تغذني شقوةٌ ولا عنف

الغناء والشعر لحنين، ولحنه خفيف رمل بالبنصر. وفيه لابن المكي خفيف ثقيل قديم. ولعريب فيه خفيف ثقيل آخر عن الهشامي.

غنى هشام بن عبد الملك في الحج

أخبرنا وكيع قال قال حماد حدثني أبي عن أبي الخطاب قال وحدثني ابن كناسة عن سليمان بن داود: مولى ليحيى، وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن قعنب بن المحرز الباهلي عن المدائني قالوا جميعاً: حج هشام بن عبد الملك وعديله الأبرش الكلبي، فوقف له حنين بظهر الكوفة ومعه عوده وزامرٌ له، وعليه قلنسية طويلة، فلما مر هشام عرض له، فقال: من هذا؟ فقيل: حنين، فأمر به فحمل في محملٍ على جمل وعديله زامره، وسير به أمامه وهو يتغنى:

صوت

أمن سلمى بظهر الكو … فة الآيات والطلل
يلوح كما تلوح على … جفون الصيقل والخلل

- الصنعة في هذا الصوت لحنين ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو. وفيه خفيف ثقيل ينسب إلى حنين أيضاً وإلى غيره
- قال: فأمر له هشام بمائتي دينار، وللزامر بمائة. وذكر إسحاق في خبره عن أبي الخطاب أنه غنى هشاماً:

صوت

صاح هل أبصرت بالخب تين من أسماء نارا

موهناً شبت لعيني ك ولم توقد نهارا

كتلالي البرق في المز ن إذا البرق استطارا

أذكرتني الوصل من سع دى وأياماً قصارا

- الشعر للأحوص، والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. ونسبه ابن المكي إلى الغريض. وقال يونس: فيه لحنان لمالك ولم يجنسهما. وقال الهشامي: فيه لمالك خفيف رملٍ - قال: فلم يزل هشام يستعيده حتى نزل من النجف، فأمر له بمائتي دينار.

كان يغلي بغنائه الثمن

وقال إسحاق: قيل لحنين: أنت تغني منذ خمسين سنة ما تركت لكريم مالاً ولا داراً ولا عقاراً إلا أتيت عليه! فقال: بأبي أنتم، إنما هي أنفاسي أقسمها بين الناس، أفتلومونني أن أغلي بها الثمن!.

غنى في ظل بيت أبي موسى الأشعري أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ومصعب بن الزبير عن بعض المكيين، وأخبرني به الحرمي بن أبي العلاء وحبيب بن نصر قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال حدثني شيخ من المكيين يقال له شريس قال: إن لبالأبطح أيام الموسم نشتري ونبيع إذ أقبل شيخٌ أبيض الرأس واللحية على بغلة شهباء ما ندري أهو أشد بياضاً أم بغلته أم ثيابه؛ فقال: أين بيت أبي موسى؟ فأشرنا له إلى الحائط؛ فمضى حتى انتهى إلى الظل من بيت أبي موسى، ثم استقبلنا ببغلته ووجهه ثم اندفع يغني:

صوت

أسعديني بدمعةٍ أسراب من دموعٍ كثيرة التسكاب

إن أهل الحصاب قد تركوني مغرماً مولعاً بأهل الحصاب

فارقوني وقد علمت يقيناً ما لمن ذاق ميتةً من إياب

سكنوا الجزع جزع بيت أبي مو سى إلى النخل من صفي السباب

كم بذاك الحجون من حي صدق وكهولٍ أعفةٍ وشباب

أهل بيتٍ تتايعوا للمنايا ما على الموت بعدهم من عتاب

فلي الويل بعدهم وعليهم صرت فرداً وملني أصحابي

- الشعر لكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي. والغناء لمعبد ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى. وفيه لابن أبي دباكل الخزاعي ثاني ثقيل بالوسطى عن ابن خرداذبة - قال: ثم صرف الرجل بغلته وذهب، فتبعناه حتى أدركناه، فسألناه من هو، فقال: أنا حنين بن بلوع وأنا رجلٌ جمال أكري الأبل ثم مضى.

خاف أن يفوقه ابن محرز بالعراق

فرده عنه

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد على أبي عن المدائني، قال: كان حنين غلاماً يحمل الفاكهة بالحيرة، وكان لطيفاً في عمل التحيات، فكان إذا حمل الرياحين إلى بيوت الفتيان ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القيان والمتطربين إلى الحيرة ورأوا رشاقته وحسن قده وحلاوته وخفة روحه استحلوه، وأقام عندهم وخف لهم، فكان يسمع الغناء ويشتهيه ويصغي إليه ويستمعه ويطيل الإصغاء إليه، فلا يكاد ينتفع به في شيء إذا سمعه، حتى شدا منه أصواتاً فأسمعها الناس - وكان مطبوعاً حسن الصوت - واشتهوا غناءه والاستماع منه وعشرته، وشهر بالغناء ومهر فيه، وبلغ منه مبلغاً كبيراً، ثم رحل إلى عمر بن داود الوادي وإلى حكم الوادي، وأخذ منهما، وغنى لنفسه في أشعار الناس، فأجاد الصنعة وأحكمها، و لم يكن بالعراق غيره فاستولى عليه في عصره. وقدم ابن محرز حينئذٍ إلى الكوفة فبلغ خبره حنيناً، وقد كان يعرفه، فخشي أن يعرفه الناس فيستحلوه ويستولي على البلد فيسقط هو، قال له: كم منتك نفسك من العراق؟ قال: ألف دينار، قال: فهذه خمسمائة دينار عاجلة فخذها وانصرف واحلف لي أنك لا تعود إلى العراق؛ فأخذها وانصرف.

أخبرني عمي وعيسى بن الحسين قالا حدثنا أبو أيوب المدائني عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال: كان ابن محرز قدم الكوفة وبها بشر بن مروان، وقد بلغه أنه يشرب الشراب ويسمع الغناء، فصادفه وقد خرج إلى البصرة؛ وبلغ خبره حنين بن بلوع فتلطف له حتى دعاه؛ فغناه ابن محرز لحنه - قال أحمد بن إبراهيم وهو من الثقيل الثاني من جيد الأغاني -:

صوت

وحر الزبرجد في نظمه على واضح الليت زان العقودا

يفصل ياقوته دره وكالجمر أبصرت فيه الفريدا

قال: فسمع شيئاً هاله وحيره، فقال له حنين: كم منتك نفسك من العراق؟ قال: ألف دينار، فقال: هذه خمسمائة دينار حاصلة عاجلة ونفقتك في عودتك وبدأتك ودع العراق لي وامض مصاحباً حيث شئت - قال: وكان ابن محرز صغير الهمة لا يحب عشرة الملوك ولا يؤثر على الخلوة شيئاً - فأخذها وانصرف.

خرج إلى حمص وغنى بها فلم يستطعم أهلها غناؤه

وقال حماد في خبره قال أبي حدثني بعض أهل العلم بالغناء عن حنين قال: خرجت إلى حمص ألتمس الكسب بها وأرتاد من أستفيد منه شيئاً، فسألت عن الفتيان بها وأين يجتمعون، فقيل لي: عليك بالحمامات فإنهم يجتمعون بها إذا أصبحوا فجئت إلى أحدها فدخلته، فإذا فيه جماعة منهم، فأنست وانبسطت، وأخبرتهم أني غريب، ثم خرجوا وخرجت معهم، فذهبوا بي إلى مترل أحدهم، فلما قعدنا أتينا بالطعام فأكلنا وأتينا بالشراب فشربنا، فقلت لهم: هل لكم في مغن يغنيكم؟ قالوا: ومن لنا بذلك؟ قلت: أنا لكم به، هاتوا عوداً فأتيت به، فابتدأت في هنيات أبي عباد معبد، فكأنما غنيت للحيطان لا فكهوا لغنائي ولا سروا به، فقلت: ثقل عليهم غناء معبد لكثرة عمله وشدته وصعوبة مذهبه، فأخذت في غناء الغريض فإذا هو عندهم كلا شيءٍ، وغنيت خفائف ابن سريج، وأهزاج حكم، والأغاني التي لي، واجتهد في أن يفهموا، فلم يتحرك من القوم أحدٌ، وجعلوا يقولون: ليت أبا منبه قد جاءنا، فقلت في نفسي: أرى أني سأفتضح اليوم بأبي منبه فضيحةً لم يتفضح أحدٌ قط مثلها. فبينا نحن كذلك إذ جاء أبو منبه، وإذا هو شيخ عليه خفان أحمران كأنه جمال، فوثبوا جميعاً إليه وسلموا عليه وقالوا: يا أبا منبه أبطأت علينا، وقدموا له الطعام وسقوه أقداحاً، وخنست أنا حتى صرت كلا شيءٍ خوفاً منه، فأخذ العود ثم اندفع يغني:

طرب البحر فاعبري يا سفينه لا تشقي على رجال المدينة

فأقبل القوم يصفقون ويطربون ويشربون، ثم أخذ في نحو هذا من الغناء؛ فقلت في نفسي: أنتم ها هنا! لئن أصبحت سالماً لا أمسيت في هذه البلدة. فلما أصبحت شددت رحلي على ناقتي واحتقبت ركوةً من شراب ورحلت متوجهاً إلى الحيرة، وقلت:

ليت شعري متى تخب بي النا قة بين السدير والصنين
محقباً ركوةً وخبز رقاقٍ وبقولاً وقطعةً من نون
لست أبغي زاداً سواها من الشا م وحسبي علالةٌ تكفيني
فإذا أبت سالماً قلت سحقاً وبعاداً لمعشرٍ فارقوني

غنى خالد القسري بعد ما حرم الغناء

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، وأخبرنا به وكيع في عقب أخبارٍ رواها عن حماد بن إسحاق عن أبيه فقال: وقال لي إسحاق، فلا أدري أأدرج الإسناد وهو سماعه أم ذكره مرسلاً، قال إسحاق وذكر ابن كناسة: أن خالد بن عبد الله القسري حرم الغناء بالعراق في أيامه، ثم أذن للناس يوماً في الدخول عليه "عامة"، فدخل إليه حنين ومعه عودٌ تحت ثيابه، فقال: أصلح الله الأمير، كانت لي صناعةٌ أعود بها على عيالي فحرمها الأمير فأضر ذلك بي وبهم، فقال: وما صناعتك؟ فكشف عن عوده وقال: هذا؛ فقال له خالد: عن، فحرك أوتاره وغنى:

صوت

أيها الشأمت المعير بالده ... ر أأنت المبرأ الموفور

أم لديك العهد الوثيق من الأي ... ام بل أنت جاهلٌ مغرور

من رأيت المنون خلدن أم من ... ذا عليه من أن يضام خفير

قال: فبكى خالد وقال: قد أذنت لك وحدك خاصةً فلا تجالسن سفيهاً ولا معربداً. فكان إذا دعي قال: أفيكم سفيهٌ أو معربد؟ فإذا قيل له: لا، دخل.

شعر هذا الصوت المذكور لعدي بن زيد، والغناء لحنين رمل بالوسطى عن عمرو. وقوله: المبرأ، يعني المبرأ من المصائب. والموفور: الذي لم يذهب من ماله ولا من حاله شيء، يقال: وفر الرجل يوفر. ولديك بمعنى عندك ها هنا.

غنى بشر بن مروان بحضور الشعبي

أخبرني أبو صالح محمد بن عبد الواحد الصحاف الكوفي قال حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي قال أخبرنا الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش وعن مجالد عن الشعبي جميعاً، وأخبرني محمد بن مزيد وحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش عن الشعبي قال: لما ولي بشر بن مروان الكوفة كنت على مظالمه، فأتيته عشيةً وحاجبه أعين "صاحب حمام أعين" جالس، فقلت له: استأذن لي على الأمير! فقال لي: يا أبا عمرو، هو على حال ما أظنك تصل إليه معها؛ فقلت: أعلمه - وخلاك ذم - فقد حدث أمر لابد لي من إنهائه إليه - وكان لا يجلس بالعشي - فقال: لا، ولكن اكتب حاجتك في رقعة حتى أوصلها إليه؛ فكتبت رقعة، فما لبث أن خرج التوقيع على ظهرها: ليس الشعبي ممن يحتشم منه فأذن له، فأذن لي فقال: ادخل، فدخلت فإذا بشر بن

مروان عليه غلالةٌ رقيقة صفراء وملاءةٌ تقوم قياماً من شدة الصقال، وعلى رأسه إكليل من ريحان، وعلى يمينه عكرمة بن ربعى، وعلى يساره خالد بن عتاب بن ورقاء، وإذا بين يديه حنين بن بلوع معه عوده، فسلمت فرد علي السلام ورحب وقرب، ثم قال: يا أبا عمرو، لو كان غيرك لم آذن له على هذه الحال، فقلت: أصلح الله الأمير، عندي لك الستر لكل ما أرى منك والدخول معك فيما لا يجمل، والشكر على ماتوليني؛ فقال: كذلك الظن بك، ثم التفت إلى حنين وعوده في حجره وعليه قباء خشك شوي - وقال إسحاق: خشكون - ومستقة حمراء وخفان مكعبان، فسلم علي؛ فقلت له: كيف أنت ابا كعب، فقال: بخير أبا عمرو؛ فقلت: احزق الزير وأعرخ البم ففعل؛ وضرب فأجاد؛ فقال بشرٌ لأصحابه: تلومونني على أن آذن له في كل حال! ثم أقبل علي فقال: أبا عمرو، من أين وقع لك حزق الزير؟ فقلت: ظننت أن الأمر هناك، فقال: فإن الأمر كما ظننت هناك كله. ثم قال: فمن أين تعرف حنيناً؟ فقلت: هذا بطة أعراسنا فكيف لا أعرفه! فضحك، وغنى حنين فأجاد فطرب وأمر له بجائزة، ثم ودعته وقمت بعد أن ذكرت له ما جئت فيه، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب، فقمت مع الخادم حتى قبضت ذلك منه وانصرفت. وقد وجدت هذا الخبر بخط أبي سعيد السكري يأثره عن محمد بن عثمان المخزومي عن أبيه عن جده: أنه كان عند بشر بن مروان يوم دخل عليه الشعبي هذا المدخل وأن حنين بن بلوع غناه:

هم كتموني سيرهم حين أزمعوا وقالوا اتعدنا للرواح وبكروا

وهذا القول خطأ قبيح، لأن هذا الشعر للعباس بن الأحنف، والغناء لعلويه رمل بالوسطى، وغني للمأمون فيه فقال: سخروا من أبي الفضل أعزه الله.

شيء من أوصاف الحيرة

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق: قرأت على أبي، وقال أبو عبيد الله الكاتب حدثني سليمان بن بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان قال: وكان بعض ولاة الكوفة يذم الحيرة في أيام بني أمية، فقال له رجل من أهلها - وكان عاقلاً ظريفاً -: أتعيب بلدة يضرب بها المثل في الجاهلية والإسلام! قال: وبماذا تمدح؟ قال: بصحة هوائها، وطيب مائها، ونزهة ظاهرها، تصلح للخف والظلف، سهلٌ وجبلٌ، وباديةٌ وبستان، وبر وبحر، محل الملوك ومزارهم، ومسكنهم ومثواهم، وقد قدمتها - أصلحك الله - مخفا فرجعت مثقلاً ووردتها مقلاً فأصارتك مكثراً، قال: فكيف نعرف ما وصفتها به من الفضل؟ قال: بأن تصير إلي، ثم ادع ما شئت من لذات العيش، فوالله لا أجوز بك الحيرة فيه؛ قال: فاصنع لنا صنيعاً واخرج من قولك؛ قال: أفعل، فصنع لهم طعاماً وأطعمهم من خبزها وسمكها وماصيد من وحشها: من ظباءٍ ونعام وأرانب وحبارى، وسقاهم من ماءها في قلالها، وخمرها في آنيتها، وأجلسهم على رقمها - وكان يتخذ بها من الفرش أشياء ظريفة - ولم يستخدم لهم حرا ولا عبداً إلا من مولديها ومولداتها من خدمٍ ووصائف "ووصفاء" كأنهم اللؤلؤ لغتهم لغة أهلها، ثم غناهم

حنين وأصحابه في شعر عدي بن زيد شاعرهم وأعشى همدان لم يتجاوزهما، وحياهم برياحينها، ونقلهم على خمرها، وقد شربوا بفواكهها؛ ثم قال له: هل رأيتني استعنت على شيء مما رأيت وأكلت وشربت وافترشت وشممت وسمعت بغير ما في الحيرة؟ قال: لا والله، لقد أحسنت صفة بلدك ونصرته فأحسنت نصرته والخروج مما تضمنته، فبارك الله لكم في بلدكم.

المغنون المشهورون بالحيرة غير حنين ونوع غنائهم

قال إسحاق: ولم يكن بالحيرة مذكورٌ في الغناء سوى حنين إلا نفراً من السدريين يقال لهم: عباديس، وزيد بن الطليس، وزيد بن كعب، ومالك بن حممة، وكانوا يغنون غناء الحيرة بين الهزج والنصب وهو إلى النصب أقرب ولم يدون منه شيءٌ لسقوطه وأنه ليس من أغاني الفحول. وما سمعنا نحن لأحد من هؤلاء خبراً إلا لمالك بن حممة، أخبرني به عمي عن عبد الله بن أبي سعد.

عمره ونسبه

وقال وكيع في خبره عن إسحاق حدثني أبو بشر الفزاري قال حدثني بشر بن الحسين بن سليمان بن سمرة بن جندب قال: عاش حنين بن بلوع مائة سنة وسبع سنين، وكان يقال أنه من جديس؛ قال وقيل أيضاً: إنه من لخم، وكان هو يزعم أنه عبادي وأخواله من بني الحارث بن كعب

غنى حفيده لإبراهيم بن المهدي

وقص عليه خبر جده مع ابن سريج

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال: كنت مع الرشيد في السنة التي نزل فيها على عونٍ العبادي، فأتاني عون بابن ابن حنين بن بلوع، وهو شيخ، فغناني عدة أصوات لجده، فما استحسنتها، لأن الشيخ كان مشوه الخلق، طن الغناء، قليل الحلاوة، إلا أنه كان لا يفارق عمود الصوت أبداً حتى يفرغ منه، فغناني صوت ابن سريج:

فتركته جزر السباع ينشنه ما بين قلة رأسه والمعصم

فما أذكر أني سمعته من أحد قط أحسن مما سمعته منه، فقلت له: لقد أحسنت في هذا الصوت، وما هو من أغاني جدك، وإني لأعجب من ذلك! فقال لي الشيخ: والصليب والقربان ما صنع هذا الصوت إلا في مترلنا وفي سردابٍ لجدي، ولقد كاد أن ياتي على نفس عمي؛ فسألته عن الخبر في ذلك فقال: ضافه ابن سريج متنكراً فأكرمه ثم بالغ في إكرامه لما عرفه حدثني أبي أن عبيد بن سريج قدم الحيرة ومعه ثلثمائة دينار. فأتى بها مترلنا في ولاية بشر بن مروان الكوفة، وقال: أنا رجلٌ من أهل الحجاز من أهل مكة، بلغني طيب الحيرة وجودة خمرها وحسن غنائك في هذا الشعر:

حنتني حانيات الدهر حتى كأني خاتلٌ يدنو لصيد

قريب الخطو يحسب من رآني ولست مقيداً أني بقيد

فخرجت بهذه الدنانير لأنفقها معك وعندك ونتعاشر حتى تنفد وأنصرف إلى منزلي. فسأله جدي عن اسمه ونسبه فغيرهما وانتمى إلى بني مخزوم، فأخذ جدي المال منه وقال: موفرٌ مالك عليك ولك عندنا كل ما يحتاج إليه مثلك ما نشطت للمقام عندنا، فإذا دعتك نفسك إلى بلدك جهزناك إليه ورددنا عليك مالك وأخلفنا ما أنفقته عليك "إلى" أن جئتنا، وأسكنه داراً كان ينفرد فيها، فمكث عندنا شهرين لا يعلم جدي ولا أحدٌ من أهلنا أنه يغني، حتى انصرف جدي من دار بشر بن مروان في يومٍ صائفٍ مع قيام الظهيرة، فصار إلى باب الدار التي كان أنزل ابن سريج فيها فوجده مغلقاً فارتاب بذلك، ودق الباب فلم يفتح له و لم يجبه أحدٌ، فصار إلى منازل الحرم فلم يجد فيها ابنته ولا جواريه، ورأى ما بين الدار التي فيها الحرم ودار ابن سريج مفتوحاً، فانتضى سيفه ودخل الدار ليقتل ابنته؛ فلما دخلها رأى ابنته وجواريه وقوفاً على باب السرداب، وهن يومئن إليه بالسكوت وتخفيف الوطء، فلم يلتفت إلى إشارتهن لما تداخله، إلى أن سمع ترنم ابن سريج بهذا الصوت، فألقى السيف من يده وصاح به - وقد عرفه من غير أن يكون رآه، ولكن بالنعت والحذق -: أبا يحيى، جعلت فداءك، أتيتنا بثلثمائة دينار لتنفقها عندنا في حيرتنا! فوحق المسيح لا خرجت منها إلا ومعك ثلثمائة دينار وثلثمائة دينار وثلثمائة دينار سوى ما جئت به معك، ثم دخل إليه فعانقه ورحب به ولقيه بخلاف ما كان يلقاه به، وسأله عن هذا الصوت، فأخبره أنه صاغه في ذلك الوقت. فصار معه إلى بشر بن مروان فوصله بعشرة آلاف درهم أول مرةٍ، ثم وصله بعد ذلك بمثلها؛ فلما أراد الخروج رد عليه جدي ماله وجهزه ووصله بمقدار نفقته التي أنفقها من مكة إلى الحيرة، ورجع ابن سريج إلى أهله وقد أخذ جميع من كان في دارنا منه هذا الصوت.

استقدمه ابن سريج والغريض ومعبد إلى الحجاز فقدم وغنى فازدحم الناس فسقط عليه السطح فمات أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني حسان بن محمد الحارثي قال حدثنا عبد الله قال حدثنا عبيد بن حنين الحيري قال:

كان المغنون في عصر جدي أربعة نفرٍ ثلاثة بالحجاز وهو وحده بالعراق، والذين بالحجاز: ابن سريج والغريض ومعبد، فكان يبلغهم أن جدي حنيناً قد غنى في هذا الشعر:

هلا بكيت على الشباب الذاهب وكففت عن ذم المشيب الآئب

هذا ورب مسوفين سقيتهم من خمر بابل لذةً للشارب

بكروا علي بسحرةٍ فصبحتهم من ذات كوبٍ مثل قعب الحالب

بزجاجة ملء اليدين كأنها قنديل فصح في كنيسة راهب

قال: فاجتمعوا فتذاكروا أمر جدي وقالوا: ما في الدنيا أهل صناعة شر منا، لنا أخٌ بالعراق ونحن بالحجاز، لا نزوره ولا نستزيره. فكتبوا إليه ووجهوا إليه نفقةً وكتبوا يقولون: نحن ثلاثةٌ وأنت وحدك فأنت أولى بزيارتنا، فشخص إليهم، فلما كان على مرحلة من المدينة بلغهم خبره فخرجوا يتلقونه، فلم ير يومٌ كان أكثر حشراً ولا جمعاً من يومئذ، ودخلوا، فلما صاروا في بعض الطريق قال لهم معبد: صيروا إلي؛ فقال له ابن سريج: إن كان لك من الشرف والمروءة مثل ما لمولاتي سكينة بنت الحسين عطفنا إليك؛ فقال: مالي من ذلك شيء، وعدلوا إلى منزل سكينة. فلما دخلوا إليها أذنت للناس إذناً فغصت الدار بهم وصعدوا فوق السطح، وأمرت لهم بالأطعمة فأكلوا منها، ثم إنهم سألوا جدي حنيناً أن يغنيهم صوته الذي أوله:

هلا بكيت على الشباب الذاهب

فغناهم إياه بعد أن قال لهم: ابدءوا أنتم؛ فقالوا: ما كنا لنتقدمك ولا نغني قبلك حتى نسمع هذا الصوت؛ فغناهم إياه، وكان من أحسن الناس صوتاً، فازدحم الناس على السطح وكثروا ليسمعوه، فسقط الرواق على من تحته فسلموا جميعاً وأخرجوا أصحاء، ومات حنينٌ تحت الهدم؛ فقالت سكينة: لقد كدر علينا حنينٌ سرورنا، انتظرناه مدة طويلة وكأنا والله كنا نسوقه إلى منيته.

نسبة ما في الخبر الأول من الغناء

الغناء في الأصوات المتقدمة

صوت

وتركته جزر السباع ينشنه — ما بين قلة رأسه والمعصم
إن تغدفي دوني القناع فإنني — طب بأخذ الفارس المستلئم

الشعر لعنترة بن شداد العبسي، والغناء فيه لحنين ثاني ثقيلٍ.

ومنها:

صوت

حنتني حانيات الدهر حتى — كأني خاتلٌ يدنو لصيد
قريب الخطو يحسب من رآني — ولست مقيداً أني بقيد

الغناء لحنين الحيري ثقيل أول: وفيه لإبراهيم الموصلي ماخوري جميعاً عن ابن المكي، ووافقه عمرو بن بانة في لحن إبراهيم الموصلي. ونسبة الشعر الذي غناه حنينٌ في مترل سكينة يقال: إنه لعدي بن زيد، وقيل: إن بعضه له وقد أضافه المغنون إليه. ولحنه خفيف ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

صوت من المائة المختارة

راع الفؤاد تفرق الأحباب ... يوم الرحيل فهاج لي أطرابي

فظللت مكتئباً أكفكف عبرةً ... سحاً تفيض كواشل الأسراب

لما تنادوا للرحيل وقربوا ... بزل الجمال لطيةٍ وذهاب

كاد الأسى يقضي عليك صبابةً ... والوجه منك لبين إلفك كابي

عروضه من الكامل. والشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء للغريض، ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. "وقال حبشٌ: وفيه لأبي كامل ثاني ثقيل بالوسطى". وذكر حبش: أن للغريض أيضاً فيه خفيف ثقيل بالوسطى. ولمالك ثقيلٌ أول بالوسطى. وهذه الأبيات قالها عمر بن أبي ربيعة في بنتٍ لعبد الملك بن مروان كانت حجت في خلافته.

ابن أبي ربيعة مع بنت عبد الملك

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال أخبرني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزبيري والمدائني ومحمد بن سلام والمسيبي:

أن بنتاً لعبد الملك بن مروان حجت، فكتب الحجاج إلى عمر بن أبي ربيعة يتوعده إن ذكرها في شعره بكل مكروه؛ وكانت تحب أن يقول فيها شيئاً وتتعرض لذلك، فلم يفعل خوفاً من الحجاج. فلما قضت حجها خرجت فمر بها رجلٌ فقالت له: من "أين" أنت؟ قال: من أهل مكة؛ قالت: عليك وعلى أهل بلدك لعنة الله! قال: و لم ذاك؟ قالت: حججت فدخلت مكة ومعي من الجواري ما لم تر الأعين مثلهن، فلم يستطع الفاسق ابن أبي ربيعة أن يزودنا من شعره أبياتاً نلهو بها في الطريق في سفرنا! قال: فإني لا أراه إلا قد فعل؛ قالت: فأتنا بشيء إن كان قاله ولك بكل بيتٍ عشرة دنانير؛ فمضى إليه فأخبره؛ فقال: لقد فعلت، ولكن أحب أن تكتم علي؛ قال: أفعل؛ فأنشده:

راع الفؤاد تفرق الأحباب ... يوم الرحيل فهاج لي أطرابي

وهي طويلة. وأنشده:

هاج قلبي تذكر الأحباب ... واعترتني نوائب الأطراب

وهي طويلة أيضاً، يقول فيها:

اقتليني قتلاً سريعاً مريحاً لا تكوني علي سوط عذاب

شف عنها محقق جندي فهي كالشمس من خلال سحاب

- ذكر حبشٌ: أن في هذه الثلاثة الأبيات للهذلي ثاني ثقيل بالبنصر - قال: فعاد إليها الرجل فأنشدها هاتين القصيدتين فدفعت إليه ما وعدته به.

ذكر الغريض وأخباره

اسمه وكنيته وسبب لقبه

الغريض لقبٌ لقب به، لأنه كان طري الوجه نضراً غض الشباب حسن المنظر، فلقب بذلك. والغريض: الطري من كل شيء. وقال ابن الكلبي: شبه بالإغريض وهو الجمار فسمي به، وثقل ذلك على الألسنة فحذفت الألف منه، فقيل له: الغريض. واسمه: عبد الملك، وكنيته: أبو يزيد.

وأخبرنا إسماعيل بن يونس الشيعي عن عمر بن شبة عن أبي غسان عن جماعة من المكيين: أنه كان يكنى أبا مروان. وهو مولى العبلات، وكان مولداً من مولدي البربر. وولاؤه وولاء يحيى قيل وسمية للثريا "صاحبة عمر بن أبي ربيعة" وأخواتها: الرضيا وقريبة وأم عثمان بنات علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وقد مضت أخبارهن في صدر الكتاب.

أخذه الغناء عن ابن سريج

فلما رأى ابن سريج مخايل التفوق فيه حده وطرده

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني محمد بن نصر الضبعي قال حدثني عبد الكريم بن أبي معاوية العلابي عن هشام بن الكلبي عن أبيه وعن أبي مسكين، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان محمد بن يحيى، وأخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن أبي الأزهر حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيري والمدائني ومحمد بن سلام، وقد جمعت رواياتهم في قصة الغريض، قالوا: كان الغريض يضرب بالعود وينقر بالدف ويوقع بالقضيب، وكان جميلاً وضيئاً، وكان يصنع نفسه ويبرقها. وكان قبل أن يغني خياطاً. وأخذ الغناء في أول أمره عن ابن سريج، لأنه كان يخدمه. فلما رأى ابن سريج طبعه وظرفه وحلاوة منطقه خشي أن يأخذ غناءه فيغلبه عليه عند الناس ويفوقه بحسن وجهه وجسده؛ فاعتل عليه، وشكاه إلى مولياته، وهن كن دفعنه إليه ليعلمه الغناء، وجعل يتجنى عليه ثم طرده؛ فشكا ذلك إلى مولياته وعرفهن غرض ابن سريج في تنحيته إياه عن نفسه، وأنه حسده على تقدمه؛

تعلم النوح وكان ينوح في المآتم

فقلن له: هل لك في أن تسمع نوحنا على قتلانا فتأخذه وتغني عليه؟ قال: نعم فافعلن، فأسمعنه المراثي فاحتذاها وخرج غناءً عليها كالمراثي، وكان ينوح مع ذلك فيدخل المآتم وتضرب دونه الحجب ثم ينوح فيفتن كل من سمعه. ولما كثر غناؤه اشتهاه الناس وعدلوا إليه لما كان فيه من الشجا. فكان ابن سريج لا يغني صوتاً إلا عارضه الغريض فيه لحناً آخر. فلما رأى ابن سريج موقع الغريض اشتد عليه وحسده، فغنى الأرمال والأهزاج فاشتهاها الناس؛ فقال له الغريض: يا أبا يحيى، قصرت الغناء وحذفته؛ قال: نعم يا مخنث حين جعلت تنوح على أمك وأبيك.

قال إسحاق وحدثني أبو عبيدة قال: لما غضب ابن سريج على الغريض فأقصاه وهجره لحق بحوراء وبغوم - جاريتين نائحتين كانتا في شعب ابن عامر بمكة، ولم يكن قبلهما ولا بعدهما مثلهما - فرأتاه يوماً يعصر عينيه ويبكي؛ فقالتا له: ما لك تبكي؟ فذكر لهما ما صنع به ابن سريج؛ فقالتا له: لا أرقأ الله دمعك! ألزز رأسك بين ما أخذته عنه وبين ما تأخذه منا، فإن ضعت بعدها فأبعدك الله.

عداده في الأربعة المشهورين بالغناء

قال إسحاق وحدثني أبو عبد الله الزبيري قال: رأيت جريراً في مجلس من مجالس قريش فسمعته يقول: كان المغنون بمكة أربعة، فسيد مبرز وتابع مسدد؛ فسألناه عن ذاك، فقال: كان السيد أبو يحيى بن سريج والتابع أبو يزيد الغريض. وكان هناك رجل عالم بالصناعة فقال: كان الغريض أحذق أهل زمانه بمكة بالغناء بعد ابن سريج، كان الناس لا يفرقون بينه وبين ابن سريج وما زال أصحابنا لا يفرقون بينهما لمقاربتهما في الغناء. قال الزبيري وقال بعض أهلي: لو حكمت بين أبي يحيى وابي يزيد لما فرقت بينهما، وإنما تفضيلي أبا يحيى بالسبق، فأما غير ذلك فلا، لأن أبا يزيد عنه أخذ ومن بحره اغترف وفي ميدانه جرى، فكان كأنه هو؛ ولذلك قالت سكينة لما غنى الغريض وابن سريج:

عوجي علينا ربة الهودج

والله ما أفرق بينكما، وما مثلكما عندي إلا كمثل اللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحسان لا يدرى أي ذلك أحسن.

قيل كان أشجى غناء من ابن سريج

قال إسحاق: وسمعت جماعةً من البصراء عند أبي يتذاكروهما، فأجمعوا على أن الغريض أشجى غناءً، وأن ابن سريج أحكم صنعةً.

غنى الناس بجمع فحسبوه من الجن

قال إسحاق وحدثني أبو عبد الله الزبيري قال حدثني بعض أهلي قال: حججنا فلما كنا بجمع سمعنا صوتاً لم نسمع أحسن منه ولا أشجى، فأصغى الناس كلهم إليه تعجباً من حسنه، فسألت: من هذا الرجل؟ فقيل لي: الغريض، فتتابع جماعةٌ من أهل مكة فقالوا: ما نعرف اليوم أحسن غناءً من الغريض، ويدلك على ذلك أنه يعترض بصوته الحاج وهم في حجهم فيصغون إليه. فسألوا الغريض عن ذلك، فقال: نعم، فسألوه أن يغنيهم فأجابهم، وخرج فوقف حيث لا يرى ويسمع صوته فترنم ورجع صوته وغنى في شعر عمر بن أبي ربيعة:

أيها الرائح المجد ابتكارا قد قضى من تهامة الأوطارا

فما سمع السامعون شيئاً كان أحسن من ذلك الصوت، وتكلم الناس فقالوا: طائفةٌ من الجن حجاجٌ.

نسبة هذا الصوت

صوت

أيها الرائح المجد ابتكارا قد قضى من تهامة الأوطارا

من يكن قلبه الغداة خليا ففؤادي بالخيف أمسى معارا

ليت ذا الحج كان حتماً علينا كل شهرين حجةً واعتمارا

عروضه من الخفيف. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن محرز، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الثاني بالخنصر في مجرى الوسطى. وفيه لحن للغريض من رواية حماد عن أبيه.

غنى هو ومعبد وابن سريج

على أبي قبيس فعفا الوالي عنهم بعد الأمر بنفيهم

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال: بلغني أن معبداً وابن سريج والغريض اجتمعوا بمكة ذات ليلة فقالوا: هلم نبك أهل مكة، ووجدت هذا الخبر بغير إسناد مروياً عن يونس الكاتب: أن أميراً من أمراء مكة أمر بإخراج المغنين من الحرم، فلما كان في الليلة التي عزم بهم على النفي في غدها اجتمعوا على أبي قبيس - وكان معبد قد زارهم - فبدأ معبد فغنى - كذا روي عن يونس ولم يذكره الباقون:

صوت

أتربي من أعلى معد هديتما أجدا البكا إن التفرق باكر

فما مكثنا دام الجميل عليكما بثهلان إلا أن تزم الأباعر

- عروضه من الطويل. هكذا ذكره و لم ينسبه ولا جنسه - قال: فتأوه أهل مكة وأنوا وتمخطوا. واندفع الغريض يغني:

أيها الرائح المجد ابتكارا قد قضى من تهامة الأوطارا

فارتفع البكاء والنحيب. واندفع ابن سريج يغني:

جددي الوصل يا قريب وجودي لمحب فراقه قد ألما

ليس بين الحياة والموت إلا أن يردوا جمالهم فتزما

فارتفع الصراخ من الدور بالويل والحرب. قال يونس في خبره: واجتمع الناس إلى الأمير فاستعفوه من نفيهم فأعفاهم. وذكر الباقون أن الغريض ابتدأ بلحنه:

أيها الراكب المجد ابتكارا

وتلاه ابن سريج في جددي الوصل. قال: وارتفع الصراخ فلم يسمع من معبد شيء و لم يقدر على أن يغني.

غنت شطباء المغنية علي بن جعفر فطرب

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني عبد الرحمن بن محمد السعدي قال: حضرت شطباء المغنية جارية علي بن جعفر ذات يوم تغني:

ليس بين الرحيل والبين إلا أن يردوا جمالهم فتزما

فطرب علي بن جعفر وصاح: سبحان الله العظيم! ألا يوكون قربة! ألا يشدون محملاً! ألا يعلقون سفرة! ألا يسلمون على جار! هذه والله العجلة.

لما ماتت الثريا ناح عليها الغريض

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى قال زعم عبيد بن يعلى قال: قال لي كثير بن كثير السهمي: لما ماتت الثريا أتاني الغريض فقال لي: قل لي شعراً أبك به عليها؛ فقلت:

صوت

ألا يا عين ما لك تدمعينا	أمن رمدٍ بكيت فتكحلينا
أم أنت مريضة تبكين شجواً	فشجوك مثله أبكى العيونا

فناح به عليها. قال: وأخبرني من رآه بين عمودي سريرها ينوح به. الغناء للغريض في هذين البيتين خفيف ثقيل بالوسطى عن ابن المكي. وفيه ثقيلٌ أول مجهول.

تحاكم هو وابن سريج إلى سكينة

بنت الحسين فساوت بينهما

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن سلام وأخبرنا وكيع قال: حدثنا محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلام عن جرير، ورواه حماد عن أبيه عن ابن سلام عن جرير أيضاً: أن سكينة بنت الحسين حجت فدخل إليها ابن سريج والغريض وقد استعار ابن سريج حلة لامرأة من قريش فلبسها؛ فقال لها ابن سريج: يا سيدتي، إني كنت صنعت صوتاً وحسنته وتنوقت فيه، وخبأته لك في حريرةٍ في درجٍ مملوءٍ مسكاً فنازعنيه هذا الفاسق - يعني الغريض - فأردنا أن نتحاكم إليك فيه. فأينا قدمته فيه تقدم؛ قالت: هاته، فغناها:

عوجي علينا ربة الهودج	إنك إلا تفعلي تحرجي

فقالت: هاته أنت يا غريض؛ فغناها إياها؛ فقالت لابن سريج: أعده، فأعاده، وقالت: يا غريض، أعده، فأعاده؛ فقالت: ما أشبهكما إلا بالجديين: الحار والبارد لا يدرى أيهما أطيب. وقال إسحاق في خبره: ما أشبهكما إلا باللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحسان لا يدرى أيهما أحسن.

نسبة هذا الصوت

صوت

عوجي علينا ربة الهودج	إنك إلا تفعلي تحرجي
إني أتيحت لي يمانيةٌ	إحدى بني الحارث من مذحج
نلبث حولاً كاملاً كله	لا نلتقي إلا على منهج
في الحج إن حجت وماذا مني	وأهله إن هي لم تحجج
أيسر ما نال محب لدى	بين حبيبٍ قوله عرج

عروضه من السريع. والشعر للعرجي. والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو. وفيه للغريض ثقيل أول بالوسطى عن حبس. ولإسحاق في الأول والثالث ثقيل أول بالبنصر عن عمرو. وللأبجر فيه ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن ابن المكي. ولعلوية خفيف ثقيلٍ عن الهشامي. ولحكم خفيف رملٍ عنه أيضاً.

غنى عطاء بشعر العرجي فرده عليه

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن عمرو بن بشر قال حدثني إبراهيم بن المنذر قال حدثني حمزة بن عتبة اللهبي عن عبد الوهاب بن مجاهد أو غيره قال: كنت مع عطاء بن ابي رباح فجاءه رجل فأنشده قول العرجي:

إني أتيحت لي يمانيةٌ

وذكر الأبيات وختمها بقوله:

في الحج إن حجت وماذا منى　　　وأهله إن هي لم تحجج

قال فقال عطاء: بمنى والله وأهله خيرٌ كثيرٌ إذ غيبها الله وإياه عن مشاعره.

قصة الأوقص المخزومي مع سكران يغني

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال: ولي قضاء مكة الأوقص المخزومي فما رأى الناس مثله في عفافه ونبله، فإنه لنائم ليلة في جناح له إذ مر به سكران يتغنى:

عوجي علينا ربة الهودج

فأشرف عليه فقال: يا هذا شربت حراماً! وأيقظت نياماً! وغنيت خطأً! خذه عني! فأصلحه له وانصرف.

عطاء بن رباح والأبجر المغني

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق عن حمزة بن عتبة اللهبي قال: مر الأبجر بعطاء وهو سكران فعذله وقال: شهرت نفسك بالغناء واطرحتها وأنت ذو مروءة، فقال: امرأته طالقٌ ثلاثاً إن برحت أو أغنيك صوتاً، فإن قلت لي: هو قبيحٌ تركته؛ فقال له عطاء: هات ويحك! فقد أضررت بي، فغناه:

في الحج إن حجت وماذا مني　　　وأهله إن هي لم تحجج

فقال له عطاء: الخير والله كله هناك حجت أو لم تحج، فاذهب الآن راشداً فقد برت يمينك.

ابن أبي عتيق والغريض

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني المغيرة بن محمد قال حدثني هارون بن موسى الفروي قال حدثني بعض المدنيين قال: خرج ابن أبي عتيق على نجيبٍ له من المدينة قد أوقره من طرف المدينة المشارب وغير ذلك، فلقي فتىً من بني مخزوم مقبلاً من بعض ضياعه، فقال: يابن أخي، أتصحبني؟ قال: نعم؛ قال المخزومي: فمضينا حتى إذا قربنا من مكة جنبنا عنها حتى جزناها فصرنا إلى قصرٍ، فاستأذن ابن أبي عتيق فأذن له، فدخلنا فإذا رجل جالسٌ كأنه عجوزٌ بربرية مختضبة، لا أشك في ذلك، وإذا هو الغريض وقد كبر، فقال له ابن أبي عتيق: تشوقنا إليك، وأهدى له ما كان معه، ثم قال له: نحب أن نسمع؛ قال: أدع فلانة - جاريةً له - فجاءت فغنت، فقال: ما صنعت شيئاً، ثم حل خضابه وغنى:

عوجى علينا ربة الهودج

فما سمعت أحسن منه قط، فأقمنا عنده أياماً كثيرة وخبازه وطعامه كثير.

ثم قال له ابن أبي عتيق: إني أريد الشخوص، فلم يبق بمكة تحفة عدني ولا يمانٍ ولا عودٌ إلا أوقر به راحلته. فلما ارتحلنا وبرزنا صاح به الغريض: هيا هيا، فرجعنا إليه؛ فقال: ألم ترووا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يحشر من بقيعنا هذا سبعون ألفاً على صورة القمر ليلة البدر"! فقال له ابن أبي عتيق: بلى، فقال: هذه سن لي انتزعت فأحب أن تدفنها بالبقيع، فخرجنا والله أخسر اثنين لم نعتمر و لم ندخل مكة، حاملين سن الغريض حتى دفناها بالبقيع.

غنى بعض أهل المدينة فطربوا لغنائه

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن بعض أهل المدينة قال: خرج الغريض مع قوم فغناهم هذا الصوت:

جرى ناصحٌ بالود بيني وبينها ... فقربني يوم الحصاب إلى قتلي

فاشتد سرور القوم، وكان معهم غلام أعجبه، فطلب إليهم أن يكلموا الغلام في الخلوة معه ساعةً ففعلوا، فانطلق مع الغلام حتى توارى بصخرة، فلما قضى حاجته أقبل الغلام إلى القوم، وأقبل الغريض يتناول حجراً حجراً يقرع به الصخرة، ففعل ذلك مراراً، فقالوا له: ما هذا يا غريض؟ قال: كأني بها قد جاءت يوم القيامة رافعةً ذيلها تشهد علينا بما كان منا إلى جانبها، فأردت أن أجرح شهادتها علي ذلك اليوم.

نسبة هذا الصوت

صوت

جرى ناصحٌ بالود بيني وبينها ... فقربني يوم الحصاب إلى قتلي

فقالت وأرخت جانب الستر إنما معي فتحدث غير ذي رقبةٍ أهلي

فقلت لها ما بي لهم منه ترقبٍ ولكن سري ليس يحمله مثلي

عروضه من الطويل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج رملٌ بإطلاق الوتر مجرى البنصر عن إسحاق في الثلاثة الأبيات. وذكر يونس أن فيه لحناً لمالك، وفيه للغريض خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى عن حبشٍ والهشامي وعلي بن يحيى وحماد بن إسحاق. ولمعبد فيه ثقيل أول بالبنصر عن حبش. ولابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى عنه.

كان عمر وجميل يتعارضان في الشعر

حدثني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم عن المسيبي والمدائني وابن سلام: أن عمر بن أبي ربيعة كان يعارض جميلاً، إذا قال هذا قصيدةً قال هذا مثلها، فيقال: إن عمر في الرائية والعينية أشعر من جميل، وإن جميلاً أشعر منه في اللامية. وقال الزبير فيما أخبرني به الحرمي بن أبي العلاء عنه: من الناس من يفضل قصيدة جميل اللامية على قصيدة عمر، وأنا لا أقول هذا، لأن قصيدة جميل مختلفة غير مؤتلفة، فيها طوالع النجد وخوالد المهد، وقصيدة عمر بن أبي ربيعة ملساء المتون، مستوية الأبيات، آخذٌ بعضها بأذناب بعض، ولو أن جميلاً خاطب في قصيدته مخاطبة عمر لأرتج عليه وعثر كلامه به.

أخبرني الحريم قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدثني شيخ من أهلي عن أبي الحارث بن نابتة مولى هشام بن الوليد المخزومي وهو الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة:

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ فاستمع قول رشيدٍ مؤتمن

قال: شهدت عمر بن أبي ربيعة وجميلاً بالأبطح، فأنشد جميلٌ قصيدته التي يقول فيها:

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلي بثينة أو أبدت لنا جانب البخل

ثم قال: يا أبا الخطاب، هل قلت في هذا الوزن شيئاً؟ قال: نعم؛ فأنشده قوله:

جرى ناصحٌ بالود بيني وبينها

فقال جميلٌ: هيهات يا أبا الخطاب، والله لا أقول مثل هذا سجيس الليالي، والله ما خاطب النساء مخاطبتك أحدٌ! وقام مشمراً.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال: رأيت علماءنا جميعاً لا يشكون في أن أحسن ما يروى في تعظيم السر قول عمر:

ولكن سري ليس يحمله مثلي

قال الزبير: وحدثني محمد بن إسماعيل قال حدثني ابن أبي الزناد قال: إنما اجتمع عمر بن أبي ربيعة وجميل بالجناب.

سمع الفرزدق شعر ابن أبي ربيعة فمدحه

أخبرني محمد بن أحمد الطلاس قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني: أن الفرزدق سمع عمر بن أبي ربيعة ينشد هذه القصيدة، فلما بلغ إلى قوله:

فقمن وقد أفهمن ذا اللب أنما　　　فعلن الذي يفعلن من ذاك من أجلي

صاح الفرزدق وقال: هذا والله الشعر الذي أرادته الشعراء فأخطأته وبكت الديار.

نسبة ما في قصيدة عمر وسائر هذه الأخبار من الأغاني سوى قصيدة جميل فإن لها أخباراً تذكر مع أخباره فمن ذلك قصيدة عمر التي أولها:

جرى ناصحٌ بالود بيني وبينها

صوت

قفي البغلة الشهباء بالله سلمي　　　عزيزة ذات الدل والخلق الجزل

فلما تواقفنا عرفت الذي بها　　　كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل

فقلن لها هذا عشاءٌ وأهلنا　　　قريبٌ ألما تسأمي مركب البغل

عروضه من الطويل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لمعبد في الأول والثاني ثقيل أول بالوسطى عن عمرو بن بانة وعلي بن يحيى، وقيل إنه لمالك. ولابن محرز في الثاني والثالث خفيف ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي. ولابن سريج في الأول ثقيل والثاني خفيف آخر بالوسطى وهو الذي فيه استهلال. ولمالك في الثاني والثالث ثاني ثقيل بالبنصر. ولإبراهيم فيهما خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن ابن المكي.

صوت

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ　　　فاستمع قول رشيدٍ مؤتمن

ليس حب فوق ما أحببتكم　　　غير أن أقتل نفسي أو أجن

حسن الوجه نقي لونه　　　طيب النشر لذيذ المحتضن

عروضه من الرمل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو، وقيل: إنه لابن عائشة: وذكر ابن المكي أنه للغريض في الثاني والثالث، وفيهما رملٌ يقال إنه لأهل مكة، ويقال: إنه لعبد الله بن يونس صاحب أيلة. وفيه ثقيلٌ أول ذكر حبشٌ أنه لابن سريج، وذكر غيره أنه لمحمد ابن السندي المكي، وأنه غناه بحضرة إسحاق فأخذه عنه.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمربن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى قال: كان ابن عائشة يغني الهزج والخفيف؛ فقيل له: إنك لا تستطيع أن تغني غناءً شجياً ثقيلاً؛ فغنى:

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ

رجع الحديث إلى أخبار الغريض

قيل إنه كان يتلقى غناءه عن الجن أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية عن مولى لآل الغريض قال:

حدثني بعض مولياتي وقد ذكرن الغريض فترحمن عليه وقلن: جاءنا يوماً يحدثنا بحديث أنكرناه عليه ثم عرفنا بعد ذلك حقيقته، وكان من أحسن الناس وجهاً صغيراً وكبيراً، وكنا نلقى من الناس عنتاً بسببه، وكان ابن سريج في جوارنا فدفعناه إليه فلقن الغناء، وكان من احسن الناس صوتاً ففتن أهل مكة بحسن وجهه مع حسن صوته، فلما رأى ذلك ابن سريج نحاه عنه، وكانت بعض مولياته تعلمه النياحة فبرز فيها، فجاءني يوماً فقال: نهتني الجن أن أنوح وأسمعتني صوتاً عجيباً فقد ابتنيت عليه لحناً فاسمعيه مني، واندفع فغنى بصوت عجيب في شعر المرار الأسدي.

حلفت لها بالله ما بين ذي الغضا وهضب القنان من عيان ولا بكر

أحب إلينا منك دلاً وما نرى به عند ليلى من ثوابٍ ولا أجر

فكذبناه وقلنا: شيء فكر فيه وأخرجه على هذا اللحن، فكان في كل يوم يأتينا فيقول: سمعت البارحة صوتاً من الجن بترجيع وتقطيع قد بنيت عليه صوت كذا وكذا بشعر فلان، فلم يزل على ذلك ونحن ننكر عليه؛ فإنا لكذلك ليلةً وقد اجتمع جماعةٌ من نساء مكة في جمع لنا سهرنا فيه ليلتنا والغريض يغنينا بشعر عمر بن أبي ربيعة:

أمن آل زينب جد البكور نعم فلأي هواها تصير

إذ سمعنا في بعض الليل عزيفاً عجيباً وأصواتاً مختلفةً ذعرتنا وأفزعتنا، فقال لنا الغريض: إن في هذه الأصوات صوتاً إذا نمت سمعته، وأصبح فأبني عليه غنائي، فأصغينا إليه فإذا نغمته نغمة الغريض بعينها فصدقناه تلك الليلة.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

حلفت لها................ البيتان

عروضه من الطويل. غناه الغريض ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى عن حبشٍ. قال: ولعلويه فيه ثقيل أول آخر بالبنصر ومنها:

صوت

أمن آل زينب جد البكور نعم فلأي هواها تصير
أبالغور أم أنجدت دارها وكانت حديثاً بعهدي تغور
نظرت بخيف منىً نظرةً إليها فكاد فؤادي يطير
هي الشمس تسري بها بغلةٌ وما خلت شمساً بليلٍ تسير
ألم تر أنك مستشرفٌ وأن عدوك حولي حضور

عروضه من المتقارب. الشعر للنميري، وقيل: إنه ليزيد بن معاوية. والغناء لسياط خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى عن عمرو. ولابن سريج فيه خفيف ثقيلٍ بالوسطى، أوله:

هي الشمس تسري بها بغلةٌ

وفيه للغريض ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي وحماد، وذكر غيرهما أنه لابن جامع. وذكر حبشٌ أن فيها لابن محرز ثقيلاً أول بالبنصر.

أرسله ابن أبي ربيعة إلى سكينة فغناها ونسوة معها بشعره

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال قال أبو عبد الله مصعب الزبيري: اجتمع نسوةٌ فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن مجلسه وحديثه وتشوقن إليه وتمنينه؛ فقالت سكينة: أنا لكن به، فبعثت إليه رسولاً ووعدته الصورين لليلةٍ سمتها، فوافاها على رواحله ومعه الغريض، فحدثهن حتى وافى الفجر وحان انصرافهن، فقال لهن: إني والله لمشتاقٌ إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده، ولكن لا أخلط بزيارتكن شيئاً، ثم انصرف إلى مكة وقال:

ألمم بزينب إن البين قد أفدا قل الثواء لئن كان الرحيل غدا

قال: وانصرف عمر بالغريض معه، فلما كان بمكة قال عمر: يا غريض، إني أريد أن أخبرك بشيء يتعجل لك نفعه ويبقى لك ذكره، فهل لك فيه؟ قال: افعل من ذلك ما شئت وما أنت أهله، قال: إني قد قلت في هذه الليلة التي كنا فيها شعراً فامض به إلى النسوة فأنشدهن ذلك وأخبرهن أني وجهت بك فيه قاصداً؛ قال: نعم، فحمل الغريض الشعر ورجع إلى المدينة فقصد سكينة وقال لها: جعلت فداك يا سيدتي ومولاتي، إن أبا الخطاب

- أبقاه الله - وجهني إليك قاصداً، فقالت: أو ليس في خيرٍ وسرور تركته؟ قال: نعم؛ قالت: وفيم وجهك أبو الخطاب حفظه الله؟ قال: جعلت فداك، إن ابن أبي ربيعة حملني شعراً وأمرني أن أنشدك إياه؛ قالت: فهاته، قال فأنشدها:

ألمم بزينب إن البين قد أفدا		قل الثواء لئن كان الرحيل غدا

الشعر كله، قالت: فيا ويحه! فما كان عليه ألا يرحل في غده! فوجهت إلى النسوة فجمعتهن وأنشدهن الشعر، وقالت للغريض: هل عملت فيه شيئاً؟ قال: قد غنيته ابن أبي ربيعة؛ قالت: فهاته، فغناه الغريض؛ فقالت سكينة: أحسنت والله وأحسن ابن أبي ربيعة، لولا أنك سبقت فغنيته عمر قبلنا لأحسنا جائزتك، يا بنانة، أعطيه بكل بيت ألف درهم، فأخرجت إليه بنانة أربعة آلاف درهم فدفعتها إليه وقالت سكينة: لو زادنا عمر لزدناك.

نسبة هذا الغناء

صوت

ألمم بزينب إن البين قد أفدا		قل الثواء لئن كان الرحيل غدا
قد حلفت ليلة الصورين جاهدةً		وما على الحر إلا الصبر مجتهدا
لأختها ولأخرى من مناصفها		لقد وجدت به فوق الذي وجدا
لعمرها ما أراني إن نوى نزحت		وهكذا الحب إلا ميتاً كمدا

عروضه من البسيط. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج، وله فيه لحنان: أحدهما رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، والآخر خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لحنٌ للغريض خفيف ثقيلٍ بالبنصر عن الهشامي وحماد، وذكر عمرو: أنه لمالك، أوله الرابع ثم الأول، ومن الناس من ينسب هذا إلى معبد، وأوله:

يا أم طلحة إن البين قد أفدا

وذلك خطأ، اللحن الذي عمله معبد غير هذا هو:

صوت

يا أم طلحة إن البين قد أفدا		قل الثواء لئن كان الرحيل غدا
أمسى العراقي لا يدري إذا برزت		من ذا تطوف بالأركان أو سجدا

عروضه من البسيط. الشعر للأحوص، ويقال: إنه لعمر أيضاً. والغناء لمعبد، ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر عن عمرو والهشامي.

غنى عائشة بنت طلحة فأجزلت صلته

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام قال: حجت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله فجاءتها الثريا وأخواتها ونساء أهل مكة القرشيات وغيرهن، وكان الغريض فيمن جاء، فدخل النسوة عليها فأمرت لهن بكسوة وألطاف كانت قد أعدتها لمن يجيئها، فجعلت تخرج كل واحدة ومعها جاريتها ومعها ما أمرت لها به عائشة والغريض بالباب حتى خرج مولياته مع جواريهن الخلع والألطاف؛ فقال الغريض: فأين نصيبي من عائشة؟ فقلن له: أغفلناك وذهبت عن قلوبنا؛ فقال: ما أنا ببارح من بابها أو آخذ بحظي منها فإنها كريمةٌ بنت كرام، واندفع يغني بشعر جميل:

تذكرت ليلى فالفؤاد عميد وشطت نواها فالمزار بعيد

فقالت: ويلكم! هذا مولى الصلات بالباب يذكر بنفسه هاتوه، فدخل، فلما رأته ضحكت وقالت: لم أعلم بمكانك، ثم دعت له بأشياء أمرت له بها، ثم قالت له: إن أنت غنيتني صوتاً في نفسي فلك كذا وكذا "شيءٌ سمته له ذهب عن ابن سلام" قال: فغناها في شعر كثير:

ومازلت من ليلى لدن طر شارب إلى اليوم أخفي حبها وأداجن
وأحمل في ليلى لقومٍ ضغينةً وتحمل في ليلى علي الضغائن

فقالت له: ما عدوت ما في نفسي، ووصلته فأجزلت. قال إسحاق: فقلت لأبي عبد الله: وهل علمت حديث هذين البيتين؟ و لم سالت الغريض ذلك؟ قال: نعم.

الشعبي عند مصعب وزوجه عائشة حدثني أبي قال قال الشعبي: دخلت المسجد فإذا أنا بمصعب بن الزبير على سرير جالسٌ والناس عنده، فسلمت ثم ذهبت لأنصرف، فقال لي: ادن، فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه، ثم قال: إذا قمت فاتبعني، فجلس قليلاً ثم نهض فتوجه نحو دار موسى بن طلحة فتبعته، فلما طعن في الدارالتفت إلي فقال: ادخل، فدخلت معه ومضى نحو حجرته وتبعته، فالتفت إلي فقال: ادخل، فدخلت معه، فإذا حجلة، وإنها لأول حجلة رأيتها لأمير، فقمت ودخل الحجلة فسمعت حركة، فكرهت الجلوس و لم يأمرني بالانصراف، فإذا جارية قد خرجت فقالت: يا شعبي، إن الأمير يأمرك أن تجلس، فجلست على وسادة ورفع سجف الحجلة، فإذا أنا بمصعب بن الزبير، ورفع السجف الآخر فإذا أنا بعائشة بنت طلحة، قال: فلم أر زوجا قط كان أجمل منهما: مصعب وعائشة، فقال مصعب: يا شعبي، هل تعرف هذه؟ فقلت: نعم أصلح الله الأمير، قال: ومن هي؟ قلت: سيدة نساء المسلمين عائشة بنت طلحة؛ قال: لا، ولكن هذه ليلى التي يقول فيها الشاعر:

وذكر البيتين. ثم قال: إذا شئت فقم، فقمت. فلما كان العشي رحت وإذا هو جالس على سريره في المسجد فسلمت، فلما رآني قال لي: ادن، فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه، فأصغى إلي فقال: هل رأيت مثل ذلك لإنسانٍ قط؟ قلت: لا والله؛ قال: أفتدري لم أدخلناك؟ قلت: لا، قال: لتحدث بما رأيت. ثم التفت إلى عبد الله بن أبي فروة فقال: أعطه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوباً، فما انصرف يومئذٍ أحدٌ بمثل ما انصرفت به، بعشرة آلاف درهم وبمثل كارة القصار ثياباً وبنظرةٍ من عائشة بنت طلحة.

عائشة بنت طلحة وأزواجها

قال: وكانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وكان أبا عذرها ثم هلك، فتزوجها مصعب فقتل عنها، ثم تزوجها عمر بن عبيد الله بن معمر فبنى بالحيرة، ومهدت له يوم عرسه فرش لم ير مثلها: سبع أذرع في عرض أربع، فانصرف تلك الليلة عن سبع مرات؛ فلقيته مولاة لها حين أصبح فقالت: يا أبا حفص، كملت في كل شيء حتى في هذا. فلما مات ناحت عليه وهي قائمةٌ، ولم تنح على أحد منهم قائمةً - وكانت العرب إذا ناحت المرأة قائمة على زوجها علم أنها لا تريد أن تتزوج بعده - فقيل لها: يا عائشة، ما صنعت هذا بأحد من أزواجك! قالت: إنه كان فيه خلال ثلاث لم تكن في أحد منهم: كان سيد بني تيم، وكان أقرب القوم بي قرابة، وأردت ألا أتزوج بعده!!.

وأخبرني بخبر مصعب والشعبي وعائشة أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال أخبرنا محمد بن الحكم عن عوانة قال: خرج مصعب بن الزبير من دار الإمارة يريد دار موسى بن طلحة، فمر بالمسجد فأخذ بيد الشعبي. ثم ذكر باقي الحديث مثله، ولم يذكر شيئاً من حديث المغنين. قال ابن عمار: وأخبرني به داود بن جميل بن محمد بن جميل الكاتب عن ابن الأعرابي: قال ابن عمار وأخبرني به أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني أن الشعبي قال: دخلت المسجد وفيه مصعب بن الزبير فاستدناني فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه، فأصغى إلي وقال: إذا قمت فاتبعني. ثم ذكر باقي الحديث أيضاً مثل الذي تقدمه.

نسبة هذا الصوت

صوت

وما زلت من ليلى لدن طر شاربي إلى اليوم أخفي حبها وأداجن
وأحمل في ليلى ضغائن معشرٍ وتحمل في ليلى علي الضغائن

عروضه من الطويل. والشعر لكثير بن عبد الرحمن. والغناء لمعبد ثقيل أول بالبنصر عن حبش. وفيه لحن للغريض.

كان اذا غنى بشعر لكثير قال أنا سريجي

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: كان الغريض إذا غنى بيتين لكثير قال: أنا السريجي حقاً، و لم يكن يقول ذلك في شيء من غنائه وكان من جيد غنائه.

قدم يزيد مكة فغناه الغريض

وقدم يزيد بن عبد الملك مكة فبعث إلى الغريض سراً فأتاه فغناه بهذا اللحن وهو فيهما:

وإني لأرعى قومها من جلالها وإن أظهروا غشا نصحت لهم جهدي

ولو حاربوا قومي لكنت لقومها صديقاً ولم أحمل على قومها حقدي

فأشير إلى الغريض أن اسكت؛ وفطن يزيد فقال: دعوا أبا يزيد حتى يغنيني بما يريد، فأعاد عليه الصوت مراراً، ثم قال: زدني مما عندك فغناه بشعر عمرو بن شأس الأسدي:

فواندمي على الشباب وواندم ندمت وبان اليوم مني بغير ذم

أردت عراراً بالهوان ومن يرد عراراً لعمري بالهوان فقد ظلم

قال: فطرب يزيد وأمر له بجائزة سنية. قال إسحاق: فحدثت أبا عبد الله هذا الحديث. وقد أخذنا في أحاديث الخلفاء ومن كان منهم يسمع الغناء أيضاً، فقال أبو عبد الله: كان قدوم يزيد مكة وبعثته إلى الغريض سراً قبل أن يستخلف، فقلت له: فلم أشير إلى الغريض أن يسكت حين غناه بشعر كثير:

وإني لأرعى قومها من جلالها

وما السبب في ذلك؟ فقال أبو عبد الله: أنا أحدثكه:

غضب عاتكة على زوجها عبد الملك

بن مروان احتيال عمر بن بلال على الصلح بينهما

حدثني أبي قال: كان عبد الملك بن مروان من أشد الناس حباً لعاتكة امرأته، وهي ابنة يزيد بن معاوية وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز، وهي أم يزيد بن عبد الملك، فغضبت مرة على عبد الملك، وكان بينهما باب فحجبته وأغلقت ذلك الباب، فشق غضبها على عبد الملك وشكا إلى رجل من خاصته يقال له: عمر بن

بلال الأسدي، فقال له: ما لي عندك إن رضيت؟ قال: حكمك. فأتى عمر بابها وجعل يتباكى، وأرسل إليها بالسلام، فخرجت إليه حاضنتها ومواليها وجواريها فقلن: ما لك؟ قال: فزعت إلى عاتكة ورجوتها، فقد علمت مكاني من أمير المؤمنين معاوية ومن أبيها بعده، قلن: ومالك؟ قال: ابناي لم يكن لي غيرهما فقتل أحدهما صاحبه، فقال أمير المؤمنين: أنا قاتلٌ الآخر به، فقلت: أنا الولي وقد عفوت؛ قال: لا أعود الناس هذه العادة، فرجوت أن ينجي الله ابني هذا على يدها؛ فدخلن عليها فذكرن ذلك لها؛ فقالت: وكيف أصنع مع غضبي عليه وما أظهرت له؟ قلن إذاً والله يقتل، فلم يزلن حتى دعت بثيابها فأجمرتها ثم خرجت نحو الباب، فأقبل حديج الخصي قال أمير المؤمنين: هذه عاتكة قد أقبلت؛ قال: ويلك! ما تقول؟ قال: قد والله طلعت! فأقبلت وسلمت فلم يرد عليها، فقالت: أما والله لولا عمر ما جئت، إن أحد ابنيه تعدى على الآخر فقتله فأردت قتل الآخر وهو الولي وقد عفا؛ قال: إني أكره أن أعود الناس هذه العادة؛ قالت: أنشدك الله يا أمير المؤمنين، فقد عرفت مكانه من أمير المؤمنين معاوية ومن أمير المؤمنين يزيد، وهو ببابي؛ فلم تزل به حتى أخذت برجله فقبلتها؛ فقال: هو لك، و لم يبرحا حتى اصطلحا؛ ثم راح عمر بن بلال إلى عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، كيف رأيت؟ قال: رأينا أثرك، فهات حاجتك؛ قال: مزرعة بعدتها وما فيها، وألف دينار وفرائض لولدي وأهل بيتي وعيالي؛ قال: ذلك لك. ثم اندفع عبد الملك يتمثل بشعر كثير:

وإني لأرعى قومها من جلالها

البيتين؛ فعلمت عاتكة ما أراد. فلما غني يزيد بهذا الشعر كرهته مواليه إذ كان عبد الملك تمثل به في أمه، و لم يكرهه يزيد وقال: لو قيل هذا الشعر فيها ثم غني به لما كان عيباً، فكيف وإنما هو مثلٌ تمثل به أمير المؤمنين في أجمل العالمين!

رأس ابن الأشعث و عبد الملك

قال أبو عبد الله: وأما خبره فلما غنى بشعر عمرو بن شأس فإن ابن الأشعث لما قتل بعث الحجاج إلى عبد الملك برأسه مع عرار بن عمرو بن شأس، فلما ورد به وأوصل كتاب الحجاج جعل عبد الملك يقرؤه، فكلما شك في شيء سأل عراراً عنه فأخبره، فعجب عبد الملك من بيانه وفصاحته من سواده، فقال متمثلاً:

وإن عراراً إن لم يكن غير واضح   فإني أحب الجون ذا المنكب العمم

فضحك عرار من قوله ضحكاً غاظ عبد الملك؛ فقال له: مم ضحكت ويلك! قال: أتعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر؟ قال: لا؛ قال: فأنا والله هو؛ فضحك عبد الملك وقال: حظ وافق كلمة، ثم أحسن جائزته وسرحه.

قال أبو عبد الله: وإنما أراد الغريض أن يغني يزيد بمتمثلات عبد الملك في الأمور العظام، فلما تبين كراهة مواليه

غناءه فيما تمثل به في عاتكة أراد أن يعقبه ما تمثل به في فتح عظيم كان لعبد الملك، فغناه بشعر عمرو بن شأس في عرار.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

وإني لأرعى قومها من جلالها ... وإن أظهروا غشاً نصحت لهم جهدي

ولو حاربوا قومي لكنت لقومها ... صديقاً ولم أحمل على قومها حقدي

عروضه من الطويل. الشعر لكثير. والغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر حبشٌ أن فيه لقفاً النجار ثاني ثقيلٍ بالوسطى، وفيه لعلويه ثقيل أول.

خرج إليه معبد بمكة وسمع غناءه

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني إبراهيم عن يونس الكاتب قال حدثني معبد قال: خرجت إلى مكة في طلب لقاء الغريض وقد بلغني حسن غنائه في لحنه:

وما أنس الأشياء لا أنس شادناً ... بمكة مكحولاً أسيلا مدامعه

وقد كان بلغني أنه أول لحن صنعه وأن الجن نهته أن يغنيه لأنه فتن طائفةً منهم، فانتقلوا عن مكة من أجل حسنه، فلما قدمت مكة سألت عنه فدللت على مترله، فأتيته فقرعت الباب فما كلمني أحد، فسألت بعض الجيران فقلت: هل في الدار أحدٌ؟ قالوا لي: نعم، فيها الغريض، فقلت: إني قد أكثرت دق الباب، فما أجابني أحدٌ! قالوا: إن الغريض هناك، فرجعت فدققت الباب فلم يجبني أحد، فقلت: إن نفعني غنائي يوماً نفعني اليوم، فاندفعت فغنيت لحني في شعر جميل:

علقت الهوى منها وليداً فلم يزل ... إلى اليوم ينمي ويزيد

فوالله ماسمعت حركة الباب، فقلت: بطل سحري وضاع سفري وجئت أطلب ما هو عسيرٌ علي، واحتقرت نفسي وقلت: لم يتوهمني لضعف غنائي عنده، فما شعرت إلا بصائح يصيح: يا معبد المغني، افهم وتلق عني شعر جميل الذي تغني فيه يا شقي البخت، وغنى:

للغريض ولم تذكر طريقته

صوت

وما أنس من الأشياء لا أنس قولها وقد قربت نضوي أمصر تريد

ولا قولها لولا العيون التي ترى أتيتك فاعذرني فدتك جدود

خليلي ما أخفي من الوجد باطن ودمعي بما قلت الغداة شهيد

يقولون جاهد يا جميل بغزوة وأي جهادٍ غيرهن أريد

لكل حديثٍ عندهن بشاشةٌ وكل قتيلٍ بينهن شهيد

عروضه من الطويل. قال: فلقد سمعت شيئاً لم أسمع أحسن منه، وقصر إلي نفسي وعلمت فضيلته علي بما أحس من نفسه، وقلت: إنه لحري بالاستتار من الناس تتريهاً لنفسه وتعظيماً لقدره، وإن مثله لا يستحق الابتذال، ولا أن تتداوله الرجال، فأردت الانصراف إلى المدينة راجعاً، فلما كنت غير بعيد إذا بصائح يصيح بي: يا معبد، انتظر أكلمك، فرجعت، فقال لي: إن الغريض يدعوك؛ فأسرعت فرحاً فدنوت من الباب؛ فقال لي: أتحب الدخول؟ فقلت: وهل إلى ذلك من سبيل؟ فقرع الباب ففتح، فقال لي: ادخل ولا تطل الجلوس؛ فدخلت فإذا شمس طالعةٌ في بيت، فسلمت فرد السلام، ثم قال: اجلس فجلست، فإذا أنبل الناس وأحسنهم وجهاً وخلقاً وخلقاً، فقال: يا معبد، كيف طرأت إلى مكة؟ فقلت: جعلت فداءك! وكيف عرفتني؟ فقال: بصوتك؛ فقلت: وكيف وأنت لم تسمعه قط! قال: لما غنيت عرفتك به وقلت: إن كان معبدٌ في الدنيا فهذا؛ فقلت: جعلت فداءك، فكيف أجبتني بقولك:

وما أنس م الأشياء لا أنس قولها وقد قربت نضوي أمصر تريد

فقال: قد علمت أنك تريد أن أسمعك صوتي:

وما أنس م الأشياء لا أنس شادناً بمكة مكحولاً أسيلاً مدامعه

ولم يكن إلى ذلك سبيلٌ لأنه صوتٌ قد نهيت أن أغنيه فغنيتك هذا الصوت جواباً لما سألت وغنيت، فقلت: والله ما عدوت وما أردت، فهل لك حاجةٌ؟ فقال لي: يا أبا عباد، لولا ملالة الحديث وثقل إطالة الجلوس لاستكثرت منك، فاعذر؛ فخرجت من عنده، وإنه لأجل الناس عندي، ورجعت إلى المدينة فتحدثت بحديثه وعجبت من فطنته وقيافته، فما رأيت إنساناً إلا وهو أجل منه في عيني.

خبر جميل وبثينة

وتوسيطه رجلاً من بني حنظلة في لقائها

وذكرت جميلاً وبثينة فقلت: ليتني عرفت إنساناً يحدثني بقصة جميل وخبر الشعر فأكون قد أخذت بفضيلة الأمر كله في الغناء والشعر. فسألت عن ذلك فإذا الحديث مشهورٌ، وقيل لي: إن أردت أن تخبر بمشاهدته فأت بني

حنظلة، فإن فيهم شيخاً منهم يقال له فلان يخبرك الخبر؛ فأتيت الشيخ فسألته فقال: نعم، بينا أنا في إبلي في الربيع إذا أنا برجل منطوٍ على رحله كأنه جانٌ فسلم علي ثم قال: ممن أنت يا عبد الله؟ فقلت: أحد بني حنظلة؛ قال: فانتسب، فانتسبت حتى بلغت إلى فخذي الذي أنا منه؛ ثم سألني عن بني عذرة أين نزلوا؛ فقلت له: هل ترى ذلك السفح؟ فإنهم نزلوا من ورائه؛ قال: يا أخا بني حنظلة، هل لك في خير تصطنعه إلي؟ فوالله لو أعطيتني ما أصبحت تسوق من هذه الإبل ما كنت بأشكر مني لك عليه؛ فقلت نعم، ومن أنت أولاً؟ قال: لا تسألني من أنا ولا أخبرك غير أني رجلٌ بيني وبني هؤلاء القوم ما يكون بين بني العم، فإن رأيت أن تأتيهم فإنك تجد القوم في مجلسهم فتنشدهم بكرةً أدماء تجر خفيها غفلاً من السمة، فإن ذكروا لك شيئاً فذاك، وإلا استأذنتهم في البيوت وقلت: إن المرأة والصبي قد يريان ما لا يرى الرجال، فتنشدهم ولا تدع أحداً تصيبه عينك ولا بيتاً من بيوتهم إلا نشدتها فيه؛ فأتيت القوم فإذا هم على جزور يقتسمونها، فسلمت وانتسبت لهم ونشدتهم ضالتي، فلم يذكروا لي شيئاً؛ فاستأذنتهم في البيوت وقلت: إن الصبي والمرأة يريان ما لا ترى الرجال، فأذنوا؛ فأتيت أقصاها بيتاً ثم استقريتها بيتاً بيتاً أنشدهم فلا يذكرون شيئاً، حتى إذا انتصف النهار وآذاني حر الشمس وعطشت وفرغت من البيوت وذهبت لأنصرف حانت مني التفاتةٌ فإذا بثلاثة أبيات، فقلت: ما عند هؤلاء إلا ما عند غيرهم، ثم قلت لنفسي: سوءةً! وثق بي رجلٌ وزعم أن حاجته تعدل مالي ثم آتيه فأقول: عجزت عن ثلاثة أبيات! فانصرفت عامداً إلى أعظمها بيتاً، فإذا هو قد أرخي مؤخرة ومقدمه، فسلمت فرد علي السلام، وذكرت ضالتي، فقالت جارية منهم: يا عبد الله، قد أصبت ضالتك وما أظنك إلا قد اشتد عليك الحر واشتهيت الشراب، قلت: أجل، قالت: ادخل، فدخلت فأتتني بصحفة فيها تمرٌ من تمر هجر، وقدحٍ فيه لبنٌ، والصحفة مصرية مفضضةٌ والقدح مفضض لم أر إناءً قط أحسن منه، فقالت: دونك فتجمعت وشربت من اللبن حتى رويت، ثم قلت: يا أمة الله، والله ما أتيت اليوم أكرم منك ولا أحق بالفضل، فهل ذكرت من ضالتي شيئاً؟ فقالت: هل ترى هذه الشجرة فوق الشرف؟ قلت: نعم؛ قالت: فإن الشمس غربت أمس وهي تطيف حولها ثم حال الليل بيني وبينها؛ فقمت وجزيتها الخير وقلت: والله لقد تغذيت ورويت! فخرجت حتى أتيت الشجرة فأطفت بها فوالله ما رأيت من أثرٍ، فأتيت صاحبي فإذا هو متشحٌ في الإبل بكسائه ورافعٌ عقيرته يغني، قلت: السلام عليك؛ قال: وعليك السلام ما وراءك؟ قلت؛ ما ورائي من شيء؛ قال: لا عليك! فأخبرني بما فعلت، فاقتصصت عليه القصة حتى انتهيت إلى ذكر المرأة وأخبرته بالذي صنعت؛ فقال: قد أصبت طلبتك؛ فعجبت من قوله وأنا لم أجد شيئاً، ثم سألني عن صفة الإناءين: الصحفة والقدح فوصفتهما له، فتنفس الصعداء وقال: قد أصبت طلبتك ويحك! ثم ذكرت له الشجرة وأنها رأتها تطيف بها؛ فقال: حسبك! فمكث حتى إذا أوت إبلي إلى مباركها دعوته إلى العشاء فلم يدن منه، وجلس مني بمزجر الكلب، فلما ظن أني قد نمت رمقته فقام إلى عيبة له فاستخرج منها بردين فأتزر بأحدهما وتردى بالآخر، ثم انطلق عامداً نحو الشرجة. واستبطنت الوادي فجعلت أخفي نفسي حتى إذا خفت أن يراني انبطحت، فلم أزل كذلك حتى سبقته إلى شجرات قريبٍ من تلك الشجرة

بحيث أسمع كلامهما فاستترت بهن، وإذا صاحبته عند الشجرة، فأقبل حتى كان منها غير بعيدٍ، فقالت: اجلس، فوالله لكأنه لصق بالأرض، فسلم عليها عن حالها أكرم سؤال سمعت به قط وأبعده من كل ريبة، وسألته مثل مسئلته، ثم أمرت جاريةً معها فقربت إليه طعاماً، فلما أكل وفرغ، قالت أنشدني ما قلت، فأنشدها:

علقت الهوى منها وليداً فلم يزل إلى اليوم ينمي حبها ويزيد

فلم يزالا يتحدثان، ما يقولان فحشاً ولا هجراً، حتى التفتت التفاتة فنظرت إلى الصبح، فودع كل واحد منهما صاحبه أحسن وداع ما سمعت به قط ثم انصرفا، فقمت فمضيت إلى إبلي فاضطجعت وكل واحد منهما يمشي خطوة ثم يلتفت إلى صاحبه، فجاء بعد ما أصبحنا فرفع برديه ثم قال: يا أخا بني تميم، حتى متى تنام! فقمت وتوضأت وصليت وحلبت إبلي وأعانني عليها وهو أظهر الناس سروراً، ثم دعوته إلى الغداء فتغدى، ثم قام إلى عيبته فافتتحها فإذا فيها سلاحٌ وبردان مما كسته الملوك، فأعطاني أحدهما وقال: أما والله لو كان معي شيء ما ذخرته عنك، وحدثني حديثه وانتسب لي، فإذا هو جميل بن معمر والمرأة بثينة، وقال لي: إني قد قلت أبياتاً في منصرفي من عندها، فهل لك إن رأيتها أن تنشدها؟ قلت: نعم! فأنشدني:

وما أنس م الأشياء لا أنس قولها وقد قربت نضوي أمصر تريد

الأبيات، ثم ودعني وانصرف، فمكثت حتى أخذت الإبل مراتعها، ثم عمدت إلى دهنٍ كان معي فدهنت به رأسي، ثم ارتديت بالبرد وأتيت المرأة فقلت: السلام عليكم، إني جئت أمس طالباً واليوم زائراً، أفتأذنون؟ قالت: نعم، فسمعت جويرية تقول لها: يا بثينة، عليه والله برد جميلٍ؛ فجعلت أثني على ضيفي وأذكر فضله، وقلت: إنه ذكرك فأحسن الذكر، فهل أنت بارزةٌ لي حتى أنظر إليك؟ قالت: نعم، فلبست ثيابها ثم برزت ودعت لي بطرفٍ ثم قالت: يا أخا بني تميم، والله ما ثوباك هذان بمشتبهين، ودعت بعيبتها فأخرجت لي ملحفة مروية مشبعة من العصفر، ثم قالت: أقسمت عليك لتقومن إلى كسر البيت ولتخلعن مدرعتك ثم لتأتزرن بهذه الملحفة فهي أشبه ببردك؛ ففعلت ذلك وأخذت مدرعتي بيدي فجعلتها إلى جانبي، وأنشدتها الأبيات فدمعت عيناها، وتحدثنا طويلاً من النهار، ثم انصرفت إلى إبلي بملحفة بثينة وبرد جميل ونظرةٍ من بثينة. قال معبد: فجزيت الشيخ خيراً وانصرفت من عنده وأنا والله أحسن الناس حالاً بنظرة من الغريض واستماعٍ لغنائه، وعلمٍ بحديث جميل وبثينة فميا غنيت أنا به وفيما غنى به الغريض على حق ذلك وصدقه، فما رأيت ولا سمعت بزوجين قط أحسن من جميل وبثينة، ومن الغريض ومني.

نسبة هذه الأصوات التي ذكرت في هذا الخبر وهي كلها من قصيدة واحدة.

ومنها:

صوت

علقت الهوى منها وليداً فلم يزل إلى اليوم ينمي حبها ويزيد
وأفنيت عمري في انتظاري نوالها وأفنت بذاك الدهر وهو جديد
فلا أنا مردودٌ جئت طالباً ولا حبها فيما يبيد يبيد
وما أنس م الأشياء لا أنس قولها وقد قربت نضوي أمصر تريد
ولا قولها لولا العيون التي ترى لزرتك فاعذرني فدتك جدود
إذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي من الحب قالت ثابتٌ ويزيد
وإن قلت ردي بعض عقلي أعش به تولت وقالت ذاك منك بعيد

عروضه من الطويل. الشعر لجميل بن معمر. والغناء لمعبد في الأول والثاني والثالث والسادس والسابع. ولحنه ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو بن بانة. وذكر عمرو والهشامي أن فيه ثقيلاً أول آخر للهذلي، وأن فيه خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وإلى الغريض وإلى إبراهيم، أوله: "وما أنس م الأشياء". وفي الأربعة الأبيات الأول ثاني ثقيل بالبنصر لابن أبي قباحة. ولإسحاق في الثالث والسادس ثاني ثقيل آخر بالوسطى عن الهشامي. وأول هذه القصيدة فيه غناءٌ أيضاً، وهو موصول بأبيات أخر:

صوت

ألا ليت ريعان الشباب جديد ودهراً تولى يا يا بثين يعود
فنغنى كما كنا نكون وأنتم قريبٌ وما قد تبذلين زهيد
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً بوادي القرى إني إذاً لسعيد
وهل ألقين سعدى من الدهر ليلةً وما رث من حبل الصفاء جديد
فقد تلتقي الأهواء بعد تفاوتٍ وقد تطلب الحاجات وهي بعيد

في البيتين الأولين خفيف ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر، ذكر حبش أنه لإسحاق؛ وليس يشبه أن يكون له. وفي الثالث وما بعده لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر عن حبش أيضاً.

قال ابن أبي ربيعة في شعر له القريض

فغيره الغريض باسمه لما غناه

أخبرني إسماعيل بن يونس إجازةً قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال حدثني الوليد بن هشام عن محمد بن معن عن خالد بن سلمة المخزومي قال: خرجت مع أعمامي وأنا على نجيب ومعنا شيخٌ، فلما أسحرنا قال لي أعمامي: انزل عن نجيبك واحمل عليه هذا الشيخ واركب جمله، ففعلت؛ فإذا الشيخ قد أخرج عوداً له من غلاف، ثم ضرب به وغنى:

هاج الغريض الذكر لما غدوا فانشمروا

فقلت لبعض أصحابنا: من هذا؟ قال: الغريض.

نسبة هذا الصوت

صوت

هاج الغريض الذكر لما غدوا فانشمروا
على بغالٍ شحج قد ضمهن السفر
فيهن هندٌ ليتني ما عمرت أعمر
حتى إذا ما جاءها حتف أتاني القدر

عروضه من الرجز. الذي قال عمر:

هاج القريض الذكر

بالقاف، فجعله الغريض لما غنى فيه: "الغريض" يعني نفسه. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج. ذكر يونس أن له فيه لحنين. وذكر إسحاق أن أحدهما رملٌ مطلق في مجرى البنصر ولم يذكر الآخر، وذكر الهشامي أن الآخر خفيف رملٍ. وفيه للغريض ثقيلٌ أول بالبنصر، وقيل: إنه لحن ابن سريج، وإن خفيف الرمل للغريض. وأول هذا الصوت في كتاب يونس:

هاج فؤادي محضر بذي عكاظٍ مقفر
حتى إذا ما واونوا ال مروة حين ائتمروا
قيل انزلوا فعرسوا من ليلكم وانشمروا
وقولها لأختها أمطمئنٌ عمر

الوليد وابن أبي ربيعة والغريض

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال وذكر السعدي: أن الوليد بن عبد الملك قدم مكة، فأراد أن يأتي الطائف، فقال: هل من رجلٍ عالمٍ يخبرني عنها؟ فقالوا: عمر بن أبي ربيعة؛ قال: لا حاجة لي به، ثم عاد فسأل، فذكروه فأباه، ثم عاد فذكروه فقال: هاتوه، وركب معه فجعل يحدثه، ثم حول عمر رداءه ليصلحه على نفسه، فرأى الوليد على ظهره أثراً، فقال: ما هذا الأثر؟ قال: كنت عند جاريةٍ لي إذ جاءتني جاريةٌ برسالة من عند جاريةٍ أخرى وجعلت تسارني بها، فغارت التي كنت عندها فعضت منكبي، فما وجدت ألم عضتها من لذة ما كانت تلك تنفث في أذني حتى بلغت ما ترى، والوليد يضحك. فلما رجع عمر قيل له: ما الذي كنت تضحك به أمير المؤمنين؟ قال: مازلنا في حديث الزنا حتى رجع. وكان قد حمل الغريض معه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن عندي أجمل الناس وجهاً وأحسنهم حديثاً، فهل لك أن تسمعه؟ قال: هاته فدعا به فقال: أسمع أمير المؤمنين أحسن شيء قلته، فاندفع يغني بشعر عمر - ومن الناس من يرويه لجميل -:

صوت

إني لأحفظ سركم ويسرني ... لو تعلمين بصالح أن تذكري

ويكون يومٌ لا أرى لك مرسلاً ... أو نلتقي فيه علي كأشهر

يا ليتني ألقى المنية بغتةً ... إن كان يوم لقائكم لم يقدر

ما كنت والوعد الذي تعدينني ... إلا كبرق سحابةٍ لم تمطر

تقضى الديون وليس ينجز عاجلاً ... هذا الغريم لنا وليس بمعسر

- عروضه من الكامل. وذكر حبش أن الغناء للغريض، ولحنه ثقيل أول بالبنصر - قال: فاشتد سرور الوليد بذلك وقال له: يا عمر، هذه رقيتك، ووصله وكساه وقضى حوائجه.

وصف نصيب لنفسه وللشعراء الثلاثة

جميل وكثير وابن أبي ربيعة

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا الحارث بن محمد عن المدائني عن عوانة قال حدثني رجل من أهل الكوفة قال: قدم نصيبٌ الكوفة، فأرسلني أبي إليه، وكان له صديقاً، فقال: أقرئه مني السلام وقل له: إن رأيت أن تهدي لنا شيئاً مما قلت! فأتيته في يوم جمعة وهو يصلي، فلما فرغ أقرأته السلام وقلت له: فقال قد علم أبوك أني لا أنشد في يوم الجمعة ولكن تلقاني في غيره فأبلغ ما تحب، فلما خرجت وانتهيت إلى الباب رددت إليه؛ فقال: أتروي شيئاً من الشعر؟ قلت نعم؛ قال: فأنشدني، فأنشدته قول جميل:

إني لأحفظ غيبكم ويسرني ... لو تعلمين بصالحٍ أن تذكري

الأبيات المتقدمة، فقال نصيبٌ: أمسك! أمسك! لله دره! ما قاله أحدٌ إلا دون ما قال، ولقد نحت للناس مثالاً يحتذون عليه. ثم قال: أما أصدقنا في شعره فجميل، وأما أوصفنا لربات الحجال فكثير، وأما أكذبنا فعمر بن أبي ربيعة، وأما أنا فأقول ما أعرف.

سمع أصوات رهبان فصنع لحناً عليها

وقال هارون بن محمد الزيات حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه: أن الغريض سمع أصوات رهبان بالليل في دير لهم فاستحسنها، فقال له بعض من معه: يا أبا يزيد، صغ على مثل هذا الصوت لحناً؛ فصاغ مثله في لحنه:

يا أم بكرٍ حبك البادي لا تصرميني إنني غادي

فما سمع بأحسن منه.

نسبة هذا الصوت

صوت

يا أم بكرٍ حبك البادي لا تصرميني إنني غادي

جد الرحيل وحثني صحبي وأريد إمتاعاً من الزاد

عروضه من مزاحف الكامل. الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري. والغناء للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى. وفيه لابن المكي ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش. وفيه لإبراهيم بن أبي الهيثم هزج.

إبراهيم بن أبي الهيثم والرجل الناسك

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن أيوب بن عباية عن عمرو بن عقبة - وكان يعرف بابن الماشطة - قال: خرجت أنا وأصحابٌ لي فيهم إبراهيم بن أبي الهيثم إلى العقيق، ومعنا رجلٌ ناسك كنا نحتشم منه، وكان محموماً نائماً، وأحببنا أن نسمع من معنا من المغنين ونحن نهابه ونحتشمه، فقلت له: إن فينا رجلاً ينشد الشعر فيحسن، ونحن نحب أن نسمعه، ولكنا نهابك؛ قال: فما علي منكم! أنا محموم نائم، فاصنعوا ما بدا لكم، فاندفع إبراهيم بن "أبي" الهيثم فغنى:

يا أم بكرٍ حبك البادي لا تصرميني إنني غادي

جد الرحيل وحثني صحبي وأريد إمتاعاً من الزاد

فأجاده وأحسنه. قال: فوثب الناسك فجعل يرقص ويصيح: أريد إمتاعاً من الزاد، والله أريد إمتاعاً من الزاد، ثم كشف عن أيره وقال: أنا أنيك أم الحمى! قال: يقول لي ابن الماشطة: اعتقت ما أملك إن كان ناك أم الحمى أحدٌ قبله.

أخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب فذكر الخبر و لم يذكر فيه كشف الناسك عن سوءته وما قاله بعد ذلك.

هروبه إلى اليمن خوفاً من ابن علقمة

وكانت وفاة الغريض في أيام سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز لم يتجاوزها. والأشبه أنه مات في خلافة سليمان، لأن الوليد كان ولى نافع بن علقمة مكة فهرب منه الغريض وأقام باليمن واستوطنها مدة ثم مات بها. وأخبرني بخبره الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المسيبي قال أخبرني بعض المخزوميين أيضاً بخبره.

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان: أن نافع بن علقمة لما ولي مكة خافه الغريض - وكان كثيراً ما يطلبه فلم يجئه - فهرب منه واستخفى في بعض منازل إخوانه. قال: فحدثني رجلٌ من اهل مكة كان يخدمه: أنه دفع إليه يوماً ربعةً له وقال له: صر بها إلى فلان العطار يملؤها لي طيباً، قال: فصرت بها إليه، فلقيني نافعٌ بن علقمة فقال: هذه ربعة الغريض والله! فلم أقدر أن أكتمه، فقلت: نعم؛ قال: ما قصته؟ فأخبرته الخبر؛ فضحك وقال: سر معي إلى المترل ففعلت، فملأها طيباً وأعطاني دنانير، وقال: أعطه وقل له يظهر فلا بأس عليه؛ فسرت إليه مسروراً فأخبرته بذلك فجزع وقال: الآن ينبغي أن أهرب، إنما هذه حيلةٌ احتالها علي لأقع في يده، ثم خرج من وقته إلى اليمن فكان آخر العهد به.

قال إسحاق فحدثني هذا المخزومي: أن الغريض له صار إلى اليمن وأقام به اجتزنا به بعض أسفارنا؛ قال: فلما رآني بكى؛ فقلت له: ما يبكيك؟ قال: بأبي أنت وأمي! وكيف يطيب لي أن أعيش بين قوم يرونني أحمل عودي فيقولون لي: يا هناه، أتبيع آخرة الرحل! فقلت له: فارجع إلى مكة ففيها أهلك، فقال: يابن أخي، إنما كنت أستلذ مكة وأعيش بها مع أبيك ونحوه، وقد أوطنت هذا المكان ولست تاركه ما عشت؛ قلنا له: فغننا بشيء من غنائك فتأبى، ثم أقسمنا عليه فأجاب، وعمدنا إلى شاةٍ فذبحناها وخرطنا من مصرانها أوتاراً، فشدها على عوده واندفع فغنى في شعر زهير:

جرى دمعي فهيج لي شجونا	فقبلي يستجن به جنونا

فما سمعنا شيئاً أحسن منه؛ فقلنا له: ارجع إلى مكة، فكل من بها يشتاقك. و لم نزل نرغبه في ذلك حتى أجاب إليه. ومضينا لحاجتنا ثم عدنا فوجدناه عليلاً، فقلنا: ما قصتك؟ قال: جاءني منذ ليالٍ قومٍ، وقد كنت أغني في الليل، فقالوا: غننا؛ فأنكرهم وخفتهم، فجعلت أغنيهم، فقال لي بعضهم غنني:

لقد حثوا الجمال ليه ربوا منا فلم يئلوا

ففعلت، فقام إلي "هن" منهم أزب فقال لي: أحسنت والله! ودق رأسي، حتى سقطت لا أدري أين أنا، فأفقت بعد ثالثةٍ وأنا عليل كما ترى، ولا أراني إلا سأموت. قال: فأقمنا عنده بقية يومنا ومات من غدٍ فدفناه وانصرفنا.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن أبي غسان قال: زعم المكيون أن الغريض خرج إلى بلاد عك فغنى ليلاً:

هم ركبٌ لقوا ركباً كما قد تجمع السبل

فصاح به صائحٌ: أكفف يا أبا مروان، فقد سفهت حلماءنا، وأصبيت سفهاءنا، قال: فأصبح ميتاً.

رواية أخرى في وفاته أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن الخطاب قال حدثنا رجل من آل أبي قبيلٍ - يقال له محرز - عن أبي قبيل قال: رأيت الغريض، وقال إسحاق في خبره المذكور: حدثني محمد بن سلام عن أبي قبيل - وهو مولى لآل الغريض - قال: شهدت مجمعاً لآل الغريض إما عرساً أو ختاناً، فقيل له: تغن؛ فقال: هو ابن زانية إن فعل؛ فقال له بعض مواليه: فأنت والله كذلك! قال: أو كذلك أنا؟ قال: نعم، قال: أنت أعلم بي والله! ثم أخذ الدف فرمى به وتمشى مشيةً لم أر أحسن منها، ثم تغنى:

تشرب لون الرازقي بياضه أو الزعفران خالط المسك رادعه

فجعل يغنيه مقبلاً ومدبراً حتى التوت عنقه وخر صريعاً، وما رفعناه إلا ميتاً، وظننا أن فالجاً عاجله. قال إسحاق وحدثني ابن الكلبي عن أبي مسكين قال: إنما نهته الجن أن يتغنى بهذا الصوت، فلما أغضبه مواليه تغناه فقتلته الجن في ذلك.

نسبة هذه الأصوات

صوت

منها

جرى دمعي فهيج لي شجونا فقلبي يستجن به جنونا

أأبكي للفراق وكل حي سيبكي حين يفتقد القرينا

فإن تصبح طليحة فارقتني ببينٍ فالرزية أن تبينا

فقد بانت بكرهي يوم بانت مفارقةً وكنت بها ضنينا

الشعر لزهير، والغناء للغريض عن حبش. وقيل: إنه لدحمان. وفيه لأبي الورد خفيف رملٍ بالوسطى "عن حبش والهشامي".

انقضت أخبار الغريض.

ومنها:

صوت من المائة المختارة

في رواية جحظة

لقد حثوا الجمال ليه ... ربوا منا فلم يئلوا

على آثارهن مق ... لص السربال معتمل

وفيهم قلبك المتبو ... ل بالحسناء مختبل

مخففة بحمل حما ... ئل الديباج والحلل

أسائل عاصماً في السر ... أين تراهم نزلوا

فقال هم قريبٌ من ... ك لو نفعوك إذ رحلوا

الشعر للحكم بن عبدل الأسدي. والغناء في اللحن المختار للغريض، ولحنه خفيف ثقيل "أول" بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى في الأول والثاني من الأبيات. وذكر الهشامي أن فيهما لحناً لمعبد من الثقيل الأول. وفي الثالث وما بعده من الأبيات لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيها لإبراهيم ثقيلٌ أول بالوسطى عن حبش. وذكر أحمد بن عبيد أن الذي صح فيه أربعة ألحان: منها لحنان في خفيف الثقيل للغريض ومالك، ولحنان في الرمل لابن سريج ومخارق. وذكر ابن الكلبي أن فيها لعريب رملاً ثالثاً، وذكر حبشٌ أن فيها لابن سريج خفيف رمل بالبنصر، ولابن مسجح رملاً بالبنصر، ولابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر. هذه الألحان كلها في لقد حثوا والذي بعده.

أخبار الحكم بن عبدل ونسبه

نسبه ونشأته

هو الحكم بن عبدل بن جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن عقال بن بلال بن سعد بن حبال بن نصر بن غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، شاعرٌ مجيدٌ مقدم في طبقته، هجاءٌ خبيث اللسان، من شعراء الدولة الأموية؛ وكان أعرج أحدب. ومنزله ومنشؤه الكوفة.

كان يكتب بحاجته على عصاه فلا ترد

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثنا محمد بن إدريس القيسي بواسط قال حدثنا العتبي قال: كان الحكم بن عبدل الأسدي أعرج لا تفارقه العصا، فترك الوقوف بأبواب الملوك، وكن يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسله، فلا يحبس له رسولٌ ولا تؤخر له حاجةٌ؛ فقال في ذلك يحيى بن نوفل:

عصا حكمٍ في الدار أول داخلٍ ... ونحن على الأبواب نقصى ونحجب

وكانت عصا موسى لفرعون آيةً ... وهذي لعمر الله أدهى وأعجب

تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها ... ويرغب في المرضاة منها وترهب

قال: فشاعت هذه الأبيات في الكوفة وضحك الناس منها؛ فكان ابن عبدل بعد ذلك يقول ليحيى: يابن الزانية! ما أردت من عصاي حتى صيرتها ضحكةً؟ واجتنب أن يكتب عليها كما كان يفعل، وكاتب الناس بحوائجه في الرقاع.

حبس هو وأبو علية صاحبه

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني، وأخبرني ابن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثنا أبو جعفر القرشي قال: كان للحكم بن عبدل صديق أعمى يقال له أبو علية، وكان ابن عبدل قد أقعد، فخرجا ليلة من منزلهما إلى منزل بعض إخوانهما، والحكم يحمل وأبو علية يقاد، فلقيهما صاحب العسس بالكوفة فأخذهما فحبسهما، فلما استقرا في الحبس نظر الحكم إلى عصا أبي علية موضوعةً إلى جانب عصاه، فضحك وأنشأ يقول:

حبسي وحبس أبي علي ... ة من أعاجيب الزمان

أعمى يقاد ومقعدٌ ... لا الرجل منه ولا اليدان

هذا بلا بصرٍ هنا ... ك وبي يخب الحاملان

يا من رأى ضب الفلا ... ة قرين حوتٍ في مكان

طرفي وطلارف أبي علي ... ة دهرنا متوافقان

من يفتخر بجواده ... فجيادنا عكازتان

طرفان لا علفاهما ... يشرى ولا يتصاولان

هبني وإياه الحري ... ق أكان يسطع بالدخان

قال: وكان اسم أبي علية يحيى، فقال فيه الحكم أيضاً:

أقول ليحيى ليلة الحبس سادراً ونومي به نوم الأسير المقيد

أعني على رعي النجوم ولحظها أعنك على تحبير شعرٍ مقصد

ففي حالتينا عبرةٌ وتفكرٌ وأعجب شيءٍ حبس أعمى ومقعد

كلانا إذا العكاز فارق كفه ينيخ صريعاً أو على الوجه يسجد

فعكازة تهدي إلى السبل أكمهاً وأخرى مقام الرجل قامت مع اليد

قوله وقد ولي الشرطة والإمارة أعرجان

ولقي سائلاً أعرج

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثني أحمد بن بكير الأسدي قال حدثني محمد بن أنس السلامي الأسدي عن محمد بن سهل راوية الكميت قال: ولي الشرطة بالكوفة رجلٌ أعرج، ثم ولي الإمارة آخر أعرج، وخرج ابن عبدلٍ وكان أعرج، فلقي سائلاً أعرج وقد تعرض للأمير يسأله، فقال ابن عبدلٍ للسائل:

ألق العصا ودع التخامع والتمس عملاً فهذي دولة العرجان

لأميرنا وأمير شرطتنا معاً يا قومنا لكليهما رجلان

فإذا يكون أميرنا ووزيرنا وأنا فإن الرابع الشيطان

فبلغت أبياته ذلك الأمير فبعث إليه بمائتي درهم وسأله أن يكف عنه. وحدثنيه الأخفش عن عبيد الله اليزيدي عن سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عوانة عن عمر بن عبد العزيز قال: ولي عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب الكوفة وضم إليه رجلٌ من الأشعريين يقال له سهل، وكانا جميعاً أعرجين. ثم ذكر باقي الحديث مثل حديث يعقوب بن نعيم.

ابن عبدل وعبد الملك بن بشر

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل عن قعنب بن المحرز الباهلي عن الهيثم الأحمري قال: كانت لابن عبدل الأسدي حاجةٌ إلى عبد الملك بن بشر بن مروان، فجعل يدخل عليه ولا يتهيأت له الكلام، حتى جاءه رجلٌ فقال: إني رأيت لك رؤيا، فقال: هاتها، فقصها عليه؛ فقال ابن عبدل: وأنا قد رأيت أيضاً؛ قال: هات ما رأيت؛ فقال:

أغفيت قبل الصبح نوم مسهدٍ في ساعةٍ ما كنت قبل أنامها

مخبوتني فيما أرى بوليدةٍ	مغنوجةٍ حسنٍ علي قيامها
وببدرةٍ حملت إلي وبغلةٍ	شهباء ناجيةٍ يصل لجامها
ليت المنابر يابن بشر أصبحت	ترقى وأنت خطيبها وإمامها

فقال له ابن بشر: إذا رأيت هذا في اليقظة أتعرفه؟ قال: نعم وإنما رأيته قبيل الصبح؛ قال: يا غلام، ادع فلاناً، فجاء بوكيله، فقال: هات فلانة فجاءت، فقال: أين هذه مما رأيت؟ قال: هي هي؛ وإلا فعليه وعليه؛ ثم دعا له ببدرة، فقال: مثل ذلك، وببغلة فركبها وخرج؛ فلقيه قهرمان عبد الملك، قال: أتبيعها؟ قال: نعم، قال: بكم؟ قال: بستمائة، قال: هي لك؛ فأعطاه ستمائة، فقال له: أما والله لو أبيت إلا ألفاً لأعطيتك؛ قال: إياي تندم! لو أبيت إلا ستةً لبعتك.

هجاؤه ابن حسان وقد تزوج قيسية

أخبرني "عمي" الحسن بن محمد قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم عن ابن عياش عن لقيط قال: تزوج محمد بن حسان التيمي امرأةً من ولد قيس بن عاصم وهي ابنة مقاتل بن طلبة بن قيس، زوجها إياه رجلٌ منهم يقال له زياد، فقال ابن عبدل:

أباع زيادٌ سود الله وجهه	عقيلة قومٍ سادةٍ بالدراهم
وما كان حسان بن سعدٍ ولا ابنه	أبو المسك من أكفاء قيس بن عاصم
ولكنه رد الزمان على استه	وضيع أمر المحصنات الكرائم
خذي ديةً منه تكن لك عدةً	وجيئي إلى باب الأمير فخاصمي
فلو كنت في روحٍ لما قلت خاصمي	ولكنما ألقيت في سجن عارم

قال: فلما بلغ أهلها شعره أنفوا من ذلك، فاجتمعوا على محمد بن حسان حتى فارقها. قال: وكان محمد بن حسان عاملاً على بعض كور السواد، فسأله ابن عبدل حاجةً فرده عنها، فقال فيه هذا الشعر وغيره وهجاه هجاءً كثيراً.

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا أحمد بن بكير الأسدي عن محمد بن بشر السلامي عن محمد بن سهل راوية الكميت، فذكر نحواً مما ذكره عمي وزاد فيه قال: وكانت المرأة التي تزوجها معاذة بنت مقاتل بن طلبة، فلما سمعت ما قال ابن عبدل فيها نشزت على زوجها وهربت إلى أهلها، فتوسطوا ما بينهما وافتديت منه بمال وفارقها.

مسامرته امرأة تنشد شعره

أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن العمري عن عطاء عن يحيى بن نصر أبي زكريا قال: سمع ابن عبدل الأسدي امرأةً وهي تتمشى بالبلاط تتمثل بقوله:

وأعسر أحياناً فتشتد عسرتي
وأدرك ميسور الغنى ومعي عرضي

فقال لها ابن عبدل - وكان قريباً منها -: يا أخيا، أتعرفين قائل هذا الشعر؟ قالت: نعم، ابن عبدل الأسدي، قال: أفتثبتينه معرفةً؟ قالت: لا؛ قال: فأنا هو، وأنا الذي أقول:

وأنعظ أحياناً فينقد جلده
وأعذله جهدي فلا ينفع العذل

وأزداد نعظاً حين أبصر جارتي
فأوثقه كيما يثوب له عقل

وربتما لم أدر ما حيلتي له
إذا هو آذاني وغر به الجهل

فآويته في بطن جاري وجارتي
مكابرةً قدماً وإن رغم البعل

فقالت له المرأة: بئس والله الجار للمغيبة أنت، فقال: إي والله، وللتي معها زوجها وأبوها وابنها وأخوها.

خبر وفوده على ابن هبيرة

أخبرني محمد بن زكريا الصحاف قال حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي قال حدثنا الهيثم بن عدي وأخبرني به حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الحسن قال حدثني أبو خالد الخزاعي الأسلمي عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال: قدم الحكم بن عبدل الشاعر الكوفي واسطاً على ابن هبيرة وكان بخيلاً، فأقبل حتى وقف بين يديه ثم قال:

أتيتك في أمرٍ من أمر عشيرتي
وأعيا الأمور المفظعات جسيمها

فإن قلت لي في حاجتي أنا فاعلٌ
فقد ثلجت نفسي وولت همومها

قال: أنا فاعل إن اقتصدت، فما حاجتك؟ قال: غرم لزمني في حمالة؛ قال: وكم هي؟ قال: أربعة آلاف، قال: نحن مناصفوكها، قال: أصلح الله الأمير، أتخاف علي التخمة إن أتممتها؟ قال: أكره أن أعود الناس هذه العادة؛ قال: فأعطني جميعها سراً وامنعني جميعها ظاهراً حتى تعود الناس المنع وإلا فالضرر عليك واقع إن عودتهم نصف ما يطلبون؛ فضحك ابن هبيرة وقال: ما عندنا غير ما بذلناه لك؛ فجثا بين يديه وقال: امرأته طالقٌ لا أخذت أقل من أربعة آلاف أو أنصرف وأنا غضبان؛ قال: أعطوه إياها قبحه الله فإنه - ما علمت - حلاف مهين؛ فأخذها وانصرف.

رثاؤه قوماً من بني غاضرة

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا العتري قال حدثني محمد بن معاوية الأسدي قال حدثني مشايخنا من بني أسد محمد بن أنس وغيره قالوا: لما وقع الطاعون بالكوفة أفنى بني غاضرة ومات فيه بنو زر بن حبيش الناضري صاحب علي بن أبي طالب، وكانوا ظرفاء، وبنو عم لهم، فقال الحكم بن عبدل الغاضري يرثيهم:

أبعد بني زر وبعد ابن جندلٍ	وعمرو أرجي لذة العيش في خفض
مضوا وبقينا نأمل العيش بعدهم	ألا إن من يبقى علىإثر من يمضي
فقد كان حولي من جيادٍ وسالمٍ	كهولٌ مساعيرٌ وكل فتىً بض
يرى الشح عاراً والسماحة رفعةً	أغر كعود البانة الناعم الغض

هجاؤه ابن حسان لحاجة لم يقضها له

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب أبي محلم قال: سأل الحكم بن عبدل أخو بني نصر بن قعين محمد بن حسان بن سعد حاجةً لرجلٍ سأله مسألته إياها؛ فرده و لم يقضها؛ فقال فيه ابن عبدل:

رأيت محمداً شرهاً ظلوماً	وكنت أراه ذا ورعٍ وقصد
يقول أمانتي ربي خداعاً	أمات الله حسان بن سعد
فلولا كسبه لوجدت فسلاً	لئيم الكسب شأنك شأن عبد
ركبت إليه في رجلٍ أتاني	كريمٍ يبتغي المعروف عندي
فقلت له وبعض القول نصحٌ	ومنه ما أسر له وأبدي
توق دراهم البكري إني	أخاف عليك عاقبة التعدي
أقرب كل آصرةٍ ليدنوا	فما يزداد مني غير بعد
فأقسم غير مستثنٍ يميناً	أبا بخرٍ لتتخمن ردي

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العتري قال حدثني أحمد بن بكير الأسدي قال حدثني محمد بن أنس السلامي قال حدثني محمد بن سهل الأسدي راوية الكميت: أن الحكم بن عبدل الأسدي أتى محمد بن حسان بن سعد التميمي وكان على خراج الكوفة، فكلمه في رجل من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهماً من خراجه؛ فقال: أماتني الله إن كنت أقدر أن أضع من خراج أمير المؤمنين شيئاً؛ فانصرف ابن عبدل وهو يقول:

دع الثلاثين لا تعرض لصاحبها	لا بارك الله في تلك الثلاثينا
لما علا صوته في الدار مبتكراً	كأشتفان يرى قوماً يدوسونا

أحسن فإنك قد أعطيت مملكةً إمارةً صرت فيها اليوم مفتونا
لا يعطك الله خيراً مثلها أبداً أقسمت بالله إلا قلت آمينا

قال: فلم يضع له شيئاً مما على الرجل؛ فقال فيه:

رأيت محمداً شرهاً ظلوماً وكنت أراه ذا ورعٍ وقصد
يقول أماتني ربي خداعاً أمات الله حسان بن سعد
فما صادفت في قحطان مثلي ولا صادفت مثلك في معد
أقل براعةً وأشد بخلاً وألأم عند مسئلة وحمد
نحوت محمداً ودخان فيه كريح الجعر فوق عطين جلد
فأقسم غير مستثنٍ يميناً أبا بخرٍ لتتخمن ردي
فلو كنت المهذب من تميمٍ لخفت ملامتي ورجوت حمدي
نكهت علي نكهة أخدري شتيم أعصل الأنياب ورد
فما يدنو إلى فمه ذبابٌ ولو طليت مشافره بقند
فإن أهديت لي من فيك حتفا فإني كالذي أهديت مهدي

قال محمد بن سهل: وما زال ابن عبدل يزيد في قصيدته هذه الدالية حتى مات وهي طويلة جداً. قال: واشتهرت حتى إن كان المكاري ليسوق بغله أو حماره فيقول: عد

أمات الله حسان بن سعد

فإذا سمع ذلك أبوه قال: بل أمات الله ابني محمداً، فهو عرضني لهذا البلاء في ثلاثين درهماً.

ابن عبدل وأبو المهاجر

أخبرني أحمد بن محمد زكريا الصحاف قال حدثنا قعنب بن محرز قال أخبرنا الهيثم بن عدي قال: دعا أبو المهاجرالحكم بن عبدل ليشرب عنده وله جارية تغني فغنت؛ فقال ابن عبدل:

يا أبا المهاجر قد أردت كرامتي فأهنتني وضررتني لو تعلم
عند التي لو مس جلدي جلدها يوماً بقيت مخلداً لا أهرم
أو كنت في أحمى جهنم بقعةً فرأيتها بردت علي جهنم

قال: فجعل أبو المهاجر يضحك ويقول له: ويحك! والله لو كان إليها سبيلٌ لوهبتها لك، ولكن لها مني ولدٌ.

ابن عبدل وعمر بن يزيد الأسدي

أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني قال: كان عمر بن يزيد الأسدي مبخلاً، ووجده أبوه مع أمةٍ له فكان يعير بذلك، وجاءه الحكم بن عبدل الأسدي ومعه جماعة من قومه يسألونه حاجةً، فدخلوا إليه وهو يأكل تمراً فلم يدعهم إليه، وذكروا له حاجتهم فلم يقضها؛ فقال فيه ابن عبدل:

جئنا وبين يديه التمر في طبقٍ فما دعانا أبو حفص ولا كادا

علا على جسمه ثوبان من دنسٍ لؤم وجبنٌ ولولا أيره سادا

ابن عبدل يقتضي ديون امرأة من الكوفة

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا محمد بن الحسن الأحول عن أبي نصر عن الأصمعي قال: كانت امرأة موسرة بالكوفة وكانت لها على الناس ديون بالسواد، فاستعانت بابن عبدل في دينها، وقالت: إني امرأة ليس لي زوج، وجعلت تعرض بأنها تزوجه نفسها؛ فقام ابن عبدل في دينها حتى اقتضاه؛ فلما طالبها بالوفاء كتبت إليه:

سيخطئك الذي حاولت مني فقطع حبل وصلك من حبالي

كما أخطأك معروف ابن بشر وكنت تعد ذلك رأس مال

قال: وكان ابن عبدل أتى ابن بشر بالكوفة فسأله؛ فقال له: أخمسمائة أحب إليك الآن عاجلة أم ألف في قابل؟ قال: ألف في قابل. فلما أتاه قال له: ألف أحب إليك أم ألفان في قابل؟ قال: ألفان؛ فلم يزل ذلك دأبه حتى مات ابن بشر وما أعطاه شيئاً.

ابن عبدل وعبد الملك بن بشر

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن لقيط قال: دخل ابن عبدل على عبد الملك بن بشر، فقال له: ما أحدثت بعدي؟ قال: خطبت امرأة من قومي مزقت علي جواب رسالتي ببيتي شعرٍ؛ قال: وما هما؟ قال: قالت:

سيخطئك الذي حاولت مني فقطع حبل وصلك من حبالي

كما أخطأك معروف ابن بشر وكنت تعد ذلك رأس مال

فضحك عبد الملك، ثم قال: لجاد ما أذكرت بنفسك! وأمر له بألفي درهم.

ابن عبدل وبشر بن مروان

أخبرني أبو الحسن الأسدي وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا الحسن بن عليل قال حدثنا محمد بن معاوية الأسدي قال حدثني منجاب بن الحارث قال حدثني عبد الملك بن عفان قال: كان الحكم بن عبدل الأسدي ثم الغاضري صديقاً لبشر بن مروان، فرأى منه جفاءً لشغلٍ عرض له، فغبر عنه شهراً، ثم التقيا فقال: يابن عبدل، مالك تركتنا وقد كنت لنا زواراً؟ فقال ابن عبدل:

كنت أثني عليك خيراً فلما أضمر القلب من نوالك ياسا
كنت ذا منصب قنيت حيائي لم أقل غير أن هجرتك باسا
لم أطق ما أردت بي يابن مروا ن ستلقى إذا أردت أناسا
يقبلون الخسيس منك ويثنو ن ثناءً مدخمساً دخماسا

فقال له: لا نسومك الخسيس ولا نريد منك ثناءً مدخمساً، ووصله وحمله وكساه.

ابن عبدل وقد طلبه بن هبيرة للغزو

أخبرني الأسدي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال وحدثني محمد بن معاوية قال حدثني منجاب بن الحارث عن عبد الملك بن عفان قال:

أراد عمر بن هبيرة أن يغزي الحكم بن عبدل الغاضري، فاعتل بالزمانة فحمل وألقي بين يديه فجرده فإذا هو أعرج مفلوج، فوضع عنه الغزو وضمه إليه وشخص به معه إلى أواسط؛ فقال الحكم بن عبدل:

لعمري لقد جردتني فوجدتني كثير العيوب سيىء المتجرد
فأعفيتني لما رأيت زمانتي ووفقت مني للقضاء المسدد

فلما صار عمر إلى واسط شكا إليه الحكم بن عبدل الضبعة، فوهب له جاريةً من جواريه، فواثبها ليلة صارت إليه فنكحها تسعاً أو عشراً طلقاً، فلما أصبحت قالت له: جعلت فداك من أي الناس أنت؟ قال: امرؤٌ من أهل الشام؛ فقالت: بهذا العمل نصرتم.

أعفاء الحجاج من الغزو

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصيرفي، قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثنا أحمد بن بكير الأسدي عن محمد بن أنس السلامي عن محمد بن سهل راوية الكميت فقال فيه: ضرب الحجاج البعث على المحتلمين ومن أنبت من الصبيان، فكانت المرأة تجيء إلى ابنها وقد جرد فتضمه إليها وتقول له: "بأبي" جزعا عليه، فسمي ذلك الجيش جيش بأبي، وأحضر ابن عبدل فجرد فوجد أعرج فأعفي؛ فقال في ذلك:

لعمري لقد جردتني فوجدتني

البيتين، وزاد معهما ثالثاً وهو:

ولست بذي شيخين يلتزمانه ولكن يتيمٌ ساقط الرجل واليد

تزوج همدانية ولما كرهها قال

فيها شعراً

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا العتري قال حدثنا محمد بن معاوية عن منجاب عن عبد الملك بن عفان قال: تزوج ابن عبدل امرأةً من همدان فقالوا له: على كم تزوجت؟ فقال:

تزوجت همدانيةً ذات بهجةٍ على نمط عادية ووسائد

لعمري لقد غاليت بالمهر إنه كذاك يغالى بالنساء المواجد

قال: فلما دخل بها كرهها فقال:

أعاذلتي من لومٍ دعاني أقلا اللوم إن لم تعذراني

فإني قد دللت على عجوز مبرقعة مخصبة البنان

تغضن جلدها واخضر إلا إذا ما ضرجت بالزعفران

فلما أن دخلت وحادثتني أظلتني بيومٍ أرونان

تحدثني عن الأزمان حتى سمعت نداء حر بالأذان

فقالت قد نكحت اثنين شتى فلما صاحباني طلقاني

وأربعةً نكحتهم فماتوا فليت عريف حي قد نعاني

وقالت ما تلادك قلت مالي حمار ظالع ومزادتان

وبوريٌ وأربعةٌ زيوف وثوبا مفلسٍ متخرقان

وقطعة جلة لا تمر فيها ودناً عومةٍ متقابلان

فقالت قد رضيت فسم ألفاً ليسمع ما تقول الشاهدان

وما لك عندنا ألفٌ عتيد ولا تسعٌ تعد ولا ثمان

ولا سبعٌ ولا ست ولكن لكم عندي الطويل من الهوان

كان منقطعاً إلى بشر بن مروان

فلما مات رثاه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن أبيه ابن الكلبي قال: كان الحكم بن عبدل الأسدي منقطعاً إلى بشر بن مروان، وكان يأنس به ويحبه ويستطيبه، وأخرجه معه إلى البصرة لما وليها، فلما مات بشر جزع عليه الحكم وقال يرثيه:

أصبحت جم بلابل الصدر — متعجباً لتصرف الدهر
مازلت أطلب في البلاد فتىً — ليكون لي ذخراً من الذخر
ويكون يسعدني وأسعده — في كل نائبةٍ من الأمر
حتى إذا ظفرت يداي به — جاء القضاء بحينه يجري
إني لفي هم يباكرني — منه وهم طارقٍ يسري
فلأصبرن وما رأيت دوىً — للهم غير عزيمة الصبر
والله ما استعظمت فرقته — حتى أحاط بفضله خبري

خروجه مع عمال بني أمية إلى الشأم

وكان يسمر عند عبد الملك فأنشده ليلة شعراً

أخبرني ابن دريد قال حدثني عمي عن أبيه عن ابن الكلبي قال: لما ظفرابن الزبير بالعراق وأخرج عنها عمال بني أمية خرج ابن عبدل معهم إلى الشأم، وكان ممن يدخل إلى عبد الملك ويسمر عنده، فقال لعبد الملك ليلةً:

يا ليت شعري وليتٌ ربما نفعت — هل ابصرن بني العوام قد شملوا
بالذل والأسر والتشريد إنهم — على البرية حتف حيثما نزلوا
أم هل أراك بأكناف العراق وقد — ذلت لعزك أقوامٌ وقد نكلوا

فقال عبد الملك - ويروى أنه قائل هذا الشعر -:

إن يمكن الله من قيس ومن جدسٍ — ومن جذام ويقتل صاحب الحرم
نضرب جماجم أقوامٍ على حنقٍ — ضرباً ينكل عنا سائر الأمم

يزيد بن عمر بن هبيرة وبنت ابن عبدل

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني هارون بن علي بن يحيى المنجم عن أبيه قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني عن رجل من بني أسد قال: خرج يزيد بن عمر بن هبيرة يسير بالكوفة فانتهى إلى مسجد بني غاضرة، وأقيمت الصلاة، فنزل يصلي، واجتمع الناس لمكانه في الطريق وأشرف النساء من السطوح، فلما قضى صلاته قال: لمن هذا المسجد؟ قالوا لبني غاضرة، فتمثل قول الشاعر:

ما إن تركن من الغواضر معصراً إلا فصمن بساقها خلخالا

فقالت له امرأةٌ من المشرفات:

ولقد عطفن على فزارة عطفةً كر المنيح وجلن ثم مجالا

فقال يزيد: من هذه؟ فقالوا: بنت الحكم بن عبدل؛ فقال: هل تلد الحية إلا حية! وقام خجلاً.

ابن عبدل وصاحب العسس

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن الهيثم قال حدثنا العمري عن عطاء بن مصعب عن عاصم بن الحدثان قال: كان ابن عبدل الأسدي أعرج أحدب، وكان من أطيب الناس وأملحهم، فلقيه صاحب العسس ليلةً وهو سكران محمولٌ في محفة؛ فقال له: من أنت؟ فقال له: يا بغيض، أنت أعرف بي من أن تسألني من أنا، فاذهب إلى شغلك، فإنك تعلم أن اللصوص لا يخرجون بالليل للسرقة محمولين في محفة؛ فضحك الرجل وانصرف عنه.

ابن عبدل يعرض بابن هبيرة في شعره

أخبرني: هاشم بن محمد قال حدثنا العباس بن ميمون طائع قال حدثني أبو عدنان عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال: رأيت ابن عبدل الأسدي وقد دخل على ابن هبيرة، فقال له: أنشدني شيئاً فقال: أنشدك مقولةً أيها الأمير؟ قال: هات؛ فأنشده هذه الأبيات - وهي قديمةٌ وقد تمثل بها ابن الأشعث حين خرج، ويروى أنها لأعشى همدان -

نجم ولا نعطى وتعطى جيوشهم وقد ملئوا من مالنا ذا الأكارع

وقد كلفونا عدةً وروائعاً فقد وأبي رعناكم بالروائع

ونحن جلبنا الخيل من ألف فرسخ إليكم بمجمر من الموت ناقع

قال: فغضب ابن هبيرة من تعريضه به، وقال به: والله لولا أني قد أمنتك واستنشدتك لضربت عنقك.

وولدت له جاريةٌ سوداء ولداً

فقال فيه شعراً

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان أبو عبد الله قال حدثنا القاسم بن عبد الرحمن قال: كانت للحكم بن عبدل جاريةٌ سوداء، وقد كان يميل إليها فولدت له ابناً أسود، فكان من أعرم الصبيان، فقال فيه:

يا رب خالٍ لك مسود القفا　　لا يشتكي من رجله مس الحفا

كأن عينيه إذا تشوفا　　عينا غرابٍ فوق نيقٍ أشرفا

هجا عمر بن يزيد الأسدي لبخله

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان أبو عبد الله قال حدثنا عبيد الله بن محمد قال حدثنا المدائني قال: كان عمر بن يزيد الأسدي بخيلاً على الطعام، فدخل عليه الحكم بن عبدل الشاعر وهو يأكل بطيخاً، فسلم فلم يرد عليه السلام و لم يدعه إلى الطعام؛ فقال ابن عبدل يهجوه.

في عمر يزيد خلتا دنسٍ　　بخلٌ وجبنٌ ولولا أيره سادا

جئناه يأكل بطيخاً على طبقٍ　　فما دعانا أبو حفصٍ ولا كادا

قال وكان عمر على شرطة الحجاج وكان بخيلاً جداً، فأصابه قولنج فحقنه الطبيب بدهن كثير، فانحل ما في بطنه في الطست، فقال للغلام: ما تصنع به؟ قال: أصبه؛ قال: لا! ولكن ميز منه الدهن واستصبح به.

ابن عبدل ومحمد ابن عمير

كاتب عبد الملك بن بشر

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا أبو هفان قال:

كان لعبد الملك بن بشر بن مروان كاتبٌ يقال له محمد بن عمير وكان كلما مدحه ابن عبدل بشيء وأمر له بجائزة دافعه بها وعارضه فيها، فدخل يوماً إلى عبد الملك وكاتبه هذا يساره، فوقف وأنشأ يقول:

ألقيت نفسك في عروض مشقةٍ　　وحصاد أنفك بالمناجل أهون

فبحق أمك وهي غير حقيقة　　باللين واللطف الذي لا يخزن

لا تدن فاك إلى الأمير ونحه　　حتى يداوي نتنه لك أهون

إن كان للظربان حجرٌ منتنٌ　　فلحجر أنفك يا محمد أنتن

خطب امرأة فابت

فقال فيها شعراً يعيرها

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العتري قال حدثني أحمد بن بكير الأسدي عن محمد بن أنس السلامي عن محمد بن سهل راوية الكميت قال: خطب ابن عبدل امرأةً من همدان يقال لها: أم رياح فلم تتزوجه، فقال: أما والله لأفضحنك ولأعيرنك فقال:

فلا خير في الفتيان بعد ابن عبدلٍ ... ولا في الزواني بعد أم رياح

فأيري بحمد الله ماضٍ مجربٌ ... وأم رياحٍ عرضةٌ لنكاحي

ولد له ولد سماه بشراً تيمناً ببشر ابن مروان

قال: فتحاماها الناس فما تزوجت حتى أسنت. وبهذا الإسناد عن محمد بن سهل قال: ولد للحكم بن عبدل ابنٌ فسماه بشراً، ودخل على بشر بن مروان فأنشده:

سميت بشراً ببشر الندى ... فلا تفضحني بتصداقها

إذا ما قريشٌ البطا ... ح عند تجمع آفاقها

تسامت قرومهم للندى ... تباري الرياح بأوراقها

فمالك أنفع أموالها ... وخلقك أكرم أخلاقها

فأمر له بألفي درهم، وقال: استعن بهذه على أمرك.

عبد الملك بن بشر يقضي دينه وبإسناده عن محمد بن سهل قال: اقترض ابن عبدل مالاً من التجار وحلف لهم بالطلاق ثلاثاً أن يقضيهم المال عند طلوع الهلال، فلما بقي من الشهر يومان قال:

قد بات همي قرناً أكابده ... كأنما مضجعي على حجر

من رهبةٍ أن يرى هلال غدٍ ... فإن رأوه فحق لي حذري

من فقد بيضاء غادةٍ كملت ... كأنها صورةٌ من الصور

أصبحت من أهلي الغداة ومن ... مالي على مثل ليلة الصدر

فبلغ خبره عبد الملك بن بشر فأعطاهم مالهم عليه وأضعفه له؛ فقال فيه:

لما أتاه الذي أصبت به ... وأنشدوه إياه في شعري

جاد بضعفي ما حل من غرمي ... عفواً فزالت حرارة الصدر

لأشكرن الذي مننت به ... ما دمت حياً وطال لي عمري

فضله الحجاج في الجائزة على الشعراء

وقال محمد بن سهل بهذا الإسناد: اجتمع الشعراء إلى الحجاج وفيهم ابن عبدل، فقالوا للحجاج: إنما شعر ابن عبدل كله هجاءٌ وشعرٌ سخيف؛ فقال له: قد سمعت قولهم فاستمع مني؛ قال هات فأنشده قوله:

وإني لأستغني فما أبطر الغنى وأعرض ميسوري لمن يبتغي قرضي

وأعسر أحياناً فتشتد عسرتي فأدرك ميسور الغنى ومعي عرضي

حتى انتهى إلى قوله:

ولست بذي وجهين فيمن عرفته ولا البخل فاعلم من سمائي ولا أرضي

فقال له الحجاج: أحسنت! وفضله في الجائزة عليهم بألفي درهم.

أحد الأصوات المائة المختارة

صوت من المائة المختارة

أجد بعمرة غنيانها فتهجر أم شأننا شأنها

فإن تمس شطت بها دارها وباح لك اليوم هجرانها

فما روضةٌ من رياض القطا كأن المصابيح حوذانها

بأحسن منها ولا مزنةٌ دلوحٌ تكشف إدجانها

وعمرة من سروات النسا ء تنفح بالمسك أردانها

أجد: أستمر. وغنيانها: استغناؤها. أم شأننا شانها: يقول أم هي على ما نحب. وشطت: بعدت، قال ابن الأعرابي: يقال: شطت وشطنت وشسعت وتشسعت وبعدت ونأت وتزحزحت وشطرت؛ قال الشاعر:

لا تتركني فيهم شطيراً

ومنه سمي الشاطر. وباح: ظهر؛ ومنه باحة الدار وأنشد:

أتكتم حب سلمى أم تبوح

والروضة: موضع فيه نبتٌ وماء مستدير، وكذلك الحديقة. وقوله:

كأن المصابيح حوذانها

أراد كأن حوذانها المصابيح فقلب، والعرب تفعل ذلك؛ قال الأعشى:

...كأن الجمر مثل ترابها

أراد كأن ترابها مثل الجمر. والمزنة: السحابة. والدلوح: الثقيلة، يقال: مر يدلح بحمله إذا مر به مثقلاً. والدجن: إلباس الغيم السحاب برشٍّ وندى، يقال: أدجنت السماء؛ وقوله: تكشف إدجانها، إذا انكشف السواد عنها، وذلك أحسن لها، وأراد مزنة بيضاء. والأردان: ما يلي الذراعين جميعاً والإبطين من الكمين.

الشعر لقيس بن الخطيم، والغناء لطويس خفيف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

الجزء الثالث

ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه

نسبه

هو قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سود بن ظفر، ويكنى قيس أبا يزيد.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا محمد بن موسى بن حماد، قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: أنشد ابن أبي عتيق قول قيس بن الخطيم:

بين شكول النساء خلقتها حذواً فلا جبلة ولا قضف

فقال: لولا أن أبا يزيد قال: حذوا ما درى الناس كيف يخشون هذا الموضع

أخذه بثأر أبيه وجده

واستعانته في ذلك بخداش بن زهير

وكان أبوه الخطيم قتل وهو صغير، قتله رجل من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج، فلما بلغ قتل قاتل أبيه ونشبت لذلك حروب بين قومه وبين الخزرج وكان سببها.

فأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرني أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي الأعرابي عن المفضل قال: كان سبب قتل الخطيم أن رجلاً من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج يقال له مالك اغتاله فقتله، وقيس يومئذ صغير، وكان عدي أبو الخطيم أيضاً قتل قبله، قتله رجل من عبد القيس، فلما بلغ قيس بن الخطيم وعرف أخبار قومه وموضع ثأره لم يزل يلتمس غرة من قاتل أبيه وجده في المواسم حتى ظفر بقاتل أبيه بيثرب فقتله، وظفر بقاتل جده بذي المجاز، فلما أصابه وجده في ركبٍ عظيم من قومه، ولم يكن معه إلا رهط من الأوس، فخرج حتى أتى حذيفة بن بدار الفزاري، فاستنجده فلم ينجده، فأتى خداش بن زهير فنهض معه ببني عامر حتى أتوا قاتل عدي، فإذا هو واقف على راحلته في السوق، فطعنه قيس بحرية فقتله، ثم استمر. فأراده رهط الرجل، فحالت بنو عامر دونه؛ فقال في ذلك قيس بن الخطيم:

ثأرت عديا والخطيم فلم أضع ولاية أشياخ جعلت إزاءها

ضربت بذي الزجين ربقة مالك فأبت بنفس قد أصبت شفاءها

وسامحني فيها ابن عمرو بن عامرٍ خداش فأدى نعمة وأفاءها

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائرٍ لها نفذ لولا الشعاع أضاءها

ملكت بها كفي فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها ماوراءها

هذه رواية ابن الأعرابي عن المفضل. وأما ابن الكلبي فإنه ذكر أن رجلاً من قريش أخبره عن أبي عبيدة أن محمد بن عمار بن ياسر، وكان عالماً بحديث الأنصار، قال:

كان من حديث قيس بن الخطيم أن جده عدي بن عمرو قتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة يقال له مالك، وقتل أباه الخطيم بن عدي رجل من عبد القيس ممن يسكن هجر؛ وكان قيس يوم قتل أبوه صبياً صغيراً، وقتل الخطيم قبل أن يثأر بأبيه عدي؛ فخشيت أم قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثأر أبيه وجدك، فكان قيس لايشك أن ذلك على ذلك. ونشأ أيداً شديد الساعدين، فنازع يوماً فتى من فتيان بني ظفر، فقال له: ومن قاتل أبي وجدي؟ قال: سل أمك تخبرك؟ فأخذ السيف ووضع قائمة على الأرض وذبابة بين ثدييه وقال لأمه: أخبريني من قتل أبي وجدي؟ قالت: ماتا كما يموت الناس وهذان قبراهما بالفناء؛ فقال: والله لتخبرينني من قتلهما أو لأتحاملن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري؛ فقالت: أما جدك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له مالك، وأما أبوك فقتله رجل من عبد القيس ممن يسكن هجر؛ فقال: والله لأنتهي حتى أقتل قاتل أبي وجدي؛ فقالت: يا بني إن مالكاً قاتل جدك من قوم خداش بن زهير، ولأبيك عن خداش نعمة هو لها شاكر، فأته فاستشره في أمرك واستعنه يعنك؛ فخرج قيس من ساعته حتى أتى ناصحه وهو يسقي نخله، فضرب الجرير بالسيف فقطعه، فسقطت الدلو في البئر، وأخذ برأس الجمل فحمل على غرارتين من تمر، وقال: من يكفيني أمر هذه العجوز؟ "يعني أمه" فإن مت أنفق عليها من هذا الحائط حتى تموت ثم هو له، وإن عشت فمالي عائد إلي وله منه ما شاء أن يأكل من تمره؛ فقال رجل من قومه: أنا له، فأعطاه الحائط ثم خرج يسأل عن خداش بن زهير حتى دل عليه بمر الظهران، فصار إلى خبائه فيم يده، فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافه، ثم نادى امرأة خداش: هل من طعام؟ فأطلعت إليه فأعجبها جماله، وكان من أحسن الناس وجهاً؛ فقالت: والله ما عندنا من نزلٍ نرضاه لك إلا تمراً؛ فقال: لا أبالي، فأخرجي ما كان عندك؛ فأرسلت إليه بقباع فيه تمر، فأخذ منه تمرة فأكل شقها ورد شقها الباقي في القباع، ثم أمر بالقباع فأدخل على امرأة خداش بن زهير، ثم ذهب لبعض حاجاته. ورجع خداش فأخبرته امرأته خبر قيس، فقال: هذا رجل متحرم. وأقبل قيس راجعاً وهو مع امرأته يأكل رطباً؛ فلما رأى خداش رجله وهو على بعيره قال لامرأته: هذا ضيفك؟ قالت: نعم؛ قال: كأن قدمه قدم الخطيم صديقي اليثربي؛ فلما منه قرع طنب البيت بسنان رمحه واستأذن، فأذن له خداش فدخل إليه، فنسبه فانتسب وأخبره بالذي جاء له، وسأله أن يعينه وأن يشير عليه في أمره؛ فرحب به خداش وذكر نعمة أبيه عنده، وقال: إن هذا الأمر مازلت أتوقعه منك منذ حينٍ. فأما قاتل جدك فهو ابن عم لي وأنا أعينك عليه، فإذا اجتمعا في نادينا جلست إلى جنبه وتحدثت معه، فإذا ضربت فخذه فثب إليه فاقتله. فقال قيس: فأقبلت معه نحوه حتى قمت على رأسه لما جالسه خداش، فحين ضرب فخذه فثب إليه فاقتله. فقال قيس:

فأقبلت معه نحوه حتى قمت على رأسه لما جالسه خداش، فحين ضرب فخذه ضربت رأسه بسيف يقال له: ذو الخرصين، فثار إلي القوم ليقتلوني، فحال خداش بينهم وبيني وقال: دعوه فإنه والله ما قتل إلا قاتل جده. ثم دعا خداش بجمل من إبله فركبه، وانطلق مع قيس إلى العبدي الذي قتل أباه، حتى إذا كانا قريباً من هجر أشار عليه خداش أن ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه، فإذا دل عليه قال له: إن لصاً من لصوص قومك عارضني فأخذ متاعاً لي، فسألت من سيد قومه فدللت عليك، فانطلق معي حتى تأخذ متاعي منه؛ فإن اتبعك وحده فستنال ما تريد منه، وإن أخرج معه غيره فاضحك، فإن سألك مم ضحكت فقل: إن الشريف عندنا لايصنع كما صنعت إذا دعي إلى اللص من قومه، إنما يخرج وحده بسوطه دون سيفه، فإذا رآه اللص أعطى كل شيء أخذ هيبة" له، فإن أمر أصحابه بالرجوع فسبيل ذلك، وإن أبى إلا أن يمضوا معه فأتني به، فإني أرجو أن تقتله وتقتل أصحابه. ونزل خداش تحت ظل شجرة، وخرج قيس حتى أتى العبدي فقال له ما أمره خداش فاحفظه، فأمر أصحابه فرجعوا ومضى مع قيس، فلما طلع على خداش، قال له: اختر يا قيس إما أن أعينك وإما أن أكفيك؛ قال: لا أريد واحدة منهما، ولكن إن قتلني فلا يفلتنك؛ ثم ثار إليه فطعنه قيس بالحربة في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر فمات مكانه، فلما فرغ منه قال له خداش: إنا إن قررنا الآن طلبنا قومه، ولكن ادخل بنا مكاناً قريباً من مقتله، فإن

قومه لا يظنون أنك قتلته وأقمت قريباً منه، ولكنهم إذا افتقدوه اقتفوا أثره، فإذا وجدوه قتيلاً، فخرجوا يطلبونهما في كل وجه ثم رجعوا، فكان من أمرهم ما قال خداش. وأقاما مكانهما أياماً ثم خرجا، فلم يتكلما حتى لآتيا مترل خداش، ففارقه عنده قيس بن الخطيم ورجع الى أهله. ففي ذلك يقول قيس:

تذكر ليلى حسنها وصفاءها ... وبانت فما إن يستطيع لقاءها

ومثلك قد أصبيت ليست بكنةٍ ... ولاجارة أفضت إلي خباءها

إذا ما اصطبحت أربعاً خط مئزري ... وأتبعت دلوي في السماح رشاءها

ثأرت عدياً والخطيم فلم أضع ... وصية أشياخ جعلت إزاءها

وهي قصيدة طويلة.

استنشد رسول الله شعره وأعجب بشجاعته

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن اسرائيل قال حدثنا زكريا بن يحيى المنقري قال حدثنا زياد بن بيان العقيلي قال حدثنا أبو خولة الأنصاري عن أنس بن مالك قال: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس ليس فيه إلا خزرجي ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم، يعني قوله:

أتعرف رسماً كاطراد المذاهب ... لعمرة وحشاً غير موقف راكب

فأنشده بعضهم إياها، فلما بلغ إلى قوله:

أجالدهم يوم الحديقة حاسراً　　　كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

فالتفت إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " هل كان كما ذكر"؛ فشهد له ثابت بن قيس بن شماس وقال له: والذي بعثك بالحق يا رسول الله، لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه عليه غلالة وملحفة مورسة فجالدنا كما ذكر. هكذا في هذه الرواية.

وقد أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال: لم تكن بينهم في هذه الأيام حروب إلا في يوم بعاث فإنه كان عظيماً، وإنما كانوا يخرجون فيترامون بالحجارة ويتضاربون بالخشب.

قال الزبير وأنشدت محمد بن فضالة قول قيس بن الخطيم:

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا　　　كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

فضحك وقال: ما اُقتتلوا يومئذ إلا بالرطائب والسعف قال أبو الفرج: وهذه القصيدة التي استنشدهم إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم من جيد شعر قيس بن الخطيم، ومما أنشده نابغة بني دبيان فاستحسنه وفضله وقدمه من أجله.

أنشد النابغة من شعره فاستجاده أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال قال أبو غزية قال حسان بن ثابت: قدم النابغة المدينة فدخل السوق فنزل عن راحلته، ثم جثا على ركبتيه، ثم اعتمد على عصاه، ثم أنشأ يقول:

عرفت منازلاً بعريتنات　　　فأعلى الجزع للحي المبن

فقلت: هلك الشيخ ورأيته قد تبع قافية منكرة. قال ويقال: إنه قالها في موضعه، فما زال ينشد حتى أتى على آخرها، ثم قال: ألا رجل ينشد؟ فتقدم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشده: "أتعرف رسماً كاطراد المذاهب" حتى فرغ منه؛ فقال: أنت أشعر الناس يابن أخي. قال حسان: فدخلني منه، وإني في ذلك لأجد القوة في نفسي عليهما، ثم تقدمت فجلست بين يديه؛ فقال: أنشد فو الله إنك لشاعر قبل أن تتكلم، قال: وكان يعرفني قبل ذلك، فأنشدته؛ فقال أنت أشعر الناس. قال الحسن بن موسى: وقالت الأوس: لم يزد قيس بن الخطيم النابغة على: "أتعرف رسماً كاطراد المذاهب" -نصف البيت- حتى قال أنت أشعر الناس

صفاته الجثمانية

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير قال قال سليمان بن داود المجمعي: كان قيس بن الخطيم مقرون الحاجبين أدعج العينين أحمر الشفتين براق الثنايا كأن بينهما برقا، ما رأته حليلة رجل قط إلا ذهب عقلها.

أمر حسان الخنساء بهجوه فأبت

أخبرني الحسن قال حدثنا محمد قال حدثنا الزبير قال حدثني حسن بن موسى عن سليمان بن داود المجمعي قال: قال حسان بن ثابت للخنساء: أهجي قيس بن الخطيم؛ فقالت: لا أهجو أحداً أبداً حتى أراه. قال: فجاءته يوماً فوجدته في مشرقة ملتفاً في كساء له، فنخسته برجلها وقالت: قم، فقام؛ فقالت: أدبر، فأدبر؛ ثم قالت: أقبل، فأقبل. قال: والله لكأنها تعترض عبداً تشتريه، ثم عاد إلى حاله نائماً؛ فقالت: والله لا أهجو هذا أبداً.

عرض عليه رسول الله

صلى الله عليه وسلم الإسلام فاستنظره حتى يقدم المدينة:

قال الزبير وحدثني عمي مصعب قال: كانت عند قيس بن الخطيم حواء بنت يزيد بن سنان بن كريز بن زعوراء فأسلمت، وكانت تكتم قيس بن الخطيم إسلامها، فلما قدم قيس مكة عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام، فاستنظره قيس حتى يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة؛ فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام، فاستنظره قيس حتى يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة؛ فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجتنب زوجته حواء بنت يزيد، وأوصاه بها خيراً، وقال له: إنها قد أسلمت؛ ففعل قيس وحفظ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغ رسول صلى الله عليه وسلم؛ فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " وفي الأديعج" قال أبو الفرج وأحسب هذا غلطاً من مصعب، وأن صاحب هذه القصة قيس بن شماس، وأما قيس بن الخطيم فقتل قبل الهجرة.

قتله الخزرج بعد هدأة الحرب بينهم وبين الأوس: أخبرني علي بن سليمان الأخفش النحوي عن أبي سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل: أن حرب الأوس والخزرج لما هدأت، تذكرت الخزرج قيس بن الخطيم ونكايته فيهم، فتوامروا وتواعدو قتله؛ فخرج عشية من مترله في ملاءتين يريد مالاً له بالشوط حتى مر بأطم بني حارثة، فرمي من الأطم بثلاثة أسهم، فوقع أحدها في صدره، فصاح صيحة سمعها رهطه، فجاؤوا فحملوه الى مترله، فلم يروا له كفئاً إلا أبا صعصعة يزيد بن عوف بن مدرك النجاري، فاندس إليه رجل حتى اغتاله في مترله، فضرب عنقه واشتمل على رأسه، فأتى به قساً وهو بآخر رمق، فألقاه بين يديه وقال: يا قيس قد أدركت بثأرك؛ فقال: عضعضت بأير أبيك إن كان غير أبي صعصعة! فقال: هو أبو صعصعة، وأراه الرأس! فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات.

مهاجاته حسان بن ثابت

وهذا الشعر أعني: "أجد بعمرة غنيانها" فيما قيل يقوله قيس بن عمرة بنت رواحة، وقيل: بل قاله في عمرة: امرأة كانت لحسان بن ثابت، وهي عمرة بنت صامد بن خالد. وكان حسان ذكر ليلى بنت الخطيم في شعره، فكافأه قيس بذلك، وكان هذا في حربهم التي يقال لها يوم الربيع.

فأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال أخبرنا الزبير قال حدثني مصعب قال: مر حسان بن ثابت بليلى بنت الخطيم-وقيس بن الخطيم أخوها بمكة حين خرجوا يطلبون الحلف في قريش- فقال لها حسان: اظعني فالحقي بالحي فقد ظعنوا، وليت شعري ما خلفك وما شأنك: أقل ناصرك أم راث رافدك؟ فلم تكلمه وشتمه نساؤها؛ فذكرها في شعره في يوم الربيع الذي يقول فيه:

لقد هاج نفسك أشجانها ... وعاودها اليوم أديانها

تذكرت ليلى وأني بها ... إذا قطعت منك أقرانها

وحجل في الدار غربانها ... وخف من الدار سكانها

وغيرها معصرات الرياح ... وسح الجنوب وتهتانها

مهاة من العين تمشي بها ... وتتبعها ثم غزلانها

وقفت عليها فساءلتها ... وقد ظعن الحي: ما شأنها

فعيت وجاوبني دونها ... بما راع قلبي أعوانها

وهي طويلة. فأجابه قيس بن الخطيم بهذه القصيدة التي أولها: "أجد بعمرة غنيانها"، وفخر فيها بيوم الربيع وكان لهم فقال:

ونحن الفوارس يوم الربي ... ع قد علموا كيف فرسانها

حسان الوجوه حداد السيو ... ف يبتدر المجد شبانها

وهي أيضاً طويلة.

غنت عزة الميلاء النعمان بن بشير بشعره

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرنا الأصمعي قال حدثني عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان عن أبي السائب المخزومي، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال ذكر لي عن جعفر بن محرز السدوسي، قالوا: دخل النعمان بن بشير الأنصاري المدينة أيام يزيد بن معاوية وابن الزبير، فقال: والله لقد أخفقت أذناي من الغناء فأسمعوني؛ فقيل له: لو وجهت إلى عزة فإنها من قد عرفت! قال: إي ورب البيت، إنها لمن يزيد النفس طيباً والعقل شحذاً ابعثوا إليها عن رسالتي، فإن أبت صرنا إليها؛ فقال له بعض القوم: إن النقلة

تشتد عليها لثقل بدنها وما بالمدينة دابة تحملها؛ فقال النعمان: وأين النجائب عليها الهوادج! فوجه إليها بنجيب فذكرت علة، فلما عاد الرسول الى النعمان قال لجليسه أنت كنت أخبر بها، قوموا بنا؛ فقام هو مع خواص أصحابه حتى طرقوها، فأذنت وأكرمت واعتذرت، فقبل النعمان عذرها وقال: غنيني فغنته:

أجد بعمرة غنيانها فتهجر أم شأننا شأنها

فأشير إليها أنها أمة فسكتت؛ فقال: غنيني فو الله ما ذكرت إلا كرماً وطيباً! لا تغنيني سائر اليوم غير؛ فلم تزل تغنيه هذا اللحن فقط حتى انصرف.

وتذاكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عدي، فقال: ألا أزيدكم فيه طريفة"! قلنا بلى يا أبا الرحمن؛ قال قال لقيط: كنت عند سعيد الزبيري قال سمعت عامراً الشعبي يقول: اشتاق النعمان بن بشير إلى الغناء فصار إلى مترل عزة، فلما انصرف إذا امرأة بالباب منتظرة له، فلما خرج شكت إليه كثرة غشيان زوجها إياها، فقال لها النعمان بن بشير: لأقضين بينكما بقضية لاترد علي، قد أحل الله له من النساء مثنى وثلاث ورباع، فله امرأتان بالنهار وامرأتان بالليل. فهذا يدل على أن المغنية بهذا الشعر عمرة بنت رواحة وأما ما ذكر أنه عني عمرة امرأة حسان بن ثابت، فأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار عن عمه: أن قيس بن الخطيم لما ذكر حسان أخته ليلى في شعره ذكر امرأته عمرة، وهي التي يقول فيها حسان: " أزمعت عمرة صرماً فابتكر" حسان بن ثابت وزوجة عمرة بنت الصامت وما قاله فيها من الشعر بعد طلاقها: أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب قال: تزوج حسان عمرة بنت الصامت

بن خالد بن عطية الأوسية ثم إحدى بني عمرو بن عوف

فكان كل واحد منهما معجباً بصاحبه، وإن الأوس أجاروا مخلد بن الصامت الساعدي فقال في ذلك أبو قيس بن الأسلت:

أجرت مخلداً ودفعت عنه وعند الله صالح ما أتيت

فتكلم حسان في أمره بكلام أغضب عمرة، فعيرته بأخواله وفخرت عليه بالأوس؛ فغضب لهم فطلقها، فأصابها من ذلك ندم وشدة؛ وندم هو بعد فقال: صوت

أزمعت عمرة صرماً فابتكر إنما يدهن للقلب الحصر

لا يكن حبك حباً ظاهراً ليس هذا منك يا عمر بسر

سألت حسان من أخواله إنما يسأل بالشيء الغمر

قلت أخوالي بنوكعبٍ إذا أسلم الأبطال عورات الدبر

يريد يدهن القلب، فأدخل اللم زائدة" للضرورة. عمر: ترخيم عمرة. والسر: الخالص الحسن. غنت في هذه الأبيات عزة الميلاء ثاني ثقيل بالبنصر من رواية حبش.

وتمام القصيدة:

رب خال لي لو أبصرته سبط المشية في اليوم الخصر

عند هذا الباب إذ ساكنه كل وجه حسن النقبة حر

يوقد النار إذا ما أطفئت يعمل القدر بأثباج الجزر

من يغر الدهر أو يأمنه من قبيلٍ بعد عمرو وحجر

ملكا من جبل الثلج إلى جانبي أيلة من عبدٍ وحر

ثم كانا خير من نال الندى سبقا الناس بإقساطٍ وبر

فارسي خيلٍ إذا ما أمسكت ربة الخدر بأطراف الستر

أتيا فارس في دارهم فتناهوا بعد إعصارٍ بقر

ثم نادوا يالغسان اصبروا إنه يوم مصاليت صبر

اجعلوا معقلها أيمانكم بالصفيح المصطفى غير الفطر

بضرابٍ تأذن الجن له وطعان مثل أفواه الفقر

ولقد يعلم من حاربنا أننا ننفع قدماً ونضر

صبر للموت إن حل بنا صادقوا البأس غطاريف فخر

وأقام العز فينا والغنى فلنا فيه على الناس الكبر

منهم أصلي فمن يفخر به يعرف الناس بفخر المفتخر

نحن أهل العز والمجد معا غير أنكاس ولا ميلٍ عسر

فاسألوا عنا وعن أفعالنا كل قوم عندهم علم الخبر

قال الزبير فحدثني عمي قال: ثم إن حسان بن ثابت مر يوماً بنسوة فيهن عمرة بعد ما طلقها، فأعرضت عنه وقالت لامرأة منهن: إذا حاذاك هذا الرجل فاسأليه من هو وانسبيه وانسبي أخواله وهي متعرضة له، فلما حاذاهن سألته من هو ونسبته فانتسب لها، فقالت: فمن أخوالك؟ فأخبرها، فبصقت عن شمالها وأعرضت عنه؛

فحدد النظر إليها وعجب من فعلها وجعل ينظر إليها، فبصر بامرأته وهي تضحك فعرفها الأمر وعلم أن الأمر من قبلها أتى، فقال في ذلك:

قالت له يوماً تخاطبه ... ريا الروادف غادة الصلب

أما المروءة والوسامة أو ... حشم الرجال فقد بدا، حسبي

فوددت أنك لو تخبرنا ... من والداك ومنصب الشعب

فضحكت ثم رفعت متصلاً ... صوتي كرفع المنطق الشغب

جدي أبو ليلى ووالده ... عمرو وأخوالي بنو كعب

وأنا من القوم الذين إذا ... أزم الشتاء بحلقة الجدب

أعطى ذوو الأموال معسرهم ... والضاربين بموطن الرعب

قال مصعب: وأبو ليلى الذي عناه حسان: حرام بن عمرو بن زيد مناة

ومما فيه صنعة من المائة المختارة

من شعر قيس بن الخطيم:

صوت

حوراء ممكورة منعمة ... كأنما شف وجهها نزف

تنام عن كبر شأنها فإذا ... قامت رويداً تكاد تنقصف

أوحش من بعد خلةٍ سرف ... فالمنحنى فالعقيق فالجرف

الشعر لقيس بن الخطيم سوى البيت الثالث.

والغناء لقفا النجار

ولحنه المختار ثاني ثقيل، هكذا ذكر يحيى بن علي في الاختيار الواثقي. وهو في كتاب إسحاق لقفا النجار ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ولعله غير هذا اللحن المختار.

الحرب بين مالك بن العجلان وبني عمر بن عوف وسبب ذلك:

سبب قول قيس لهذا الشعر

وهذا الشعر يقوله قيس بن الخطيم في حرب كانت بينهم وبين بني جحجبى وبني خطمة، و لم يشهدها قيس ولا كانت في عصره، وإنما أجاب عن ذكرها شاعراً منهم يقال له: درهم بن يزيد. قال أبو المنهال عتيبة بن المنهال: بعث رجل من غطفان من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان إلى يثرب بفرسٍ وحلةٍ مع رجل من غطفان وقال: ادفعهما إلى أعز أهل يثرب-قال وقيل: إن الباعث بهما عبد يا ليل بن عمرو الثقفي. قال وقيل: بل الباعث بهما علقمة بن علاثة - فجاء الرسول بهما حتى ورد سوق بني قنيقاع فقال ما أمر به، فوثب إليه رجل من غطفان كان جاراً لمالك بن العجلان الخزرجي يقال له كعب الثعلبي، فقال: مالك بن العجلان أعز أهل يثرب؛ وقام رجل آخر فقال: بل أحيحة بن الجلاح أعز أهل يثرب، وكثر الكلام؛ فقيل لرسول الغطفاني قول الثعلبي الذي كان جاراً لمالك بن العجلان ودفعهما إلى مالك؛ فقال كعب الثعلبي: أ لم أقل لكم: إن حليفي أعزكم وأفضلكم فغضب رجل من بني عمرو بن عوف يقال له سمير فرصد الثعلبي حتى قتله، فأخبر مالك بذلك، فأرسل إلى بني عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس: إنكم قتلته بنو جحجبى: إنما قتلته بنو زيد؛ ثم أرسلوا إلى مالك: إنه قد كان في السوق التي قتل فيها صاحبكم ناس كثير، ولا يدري أيهم قتله؛ وأمر مالك أهل تلك السوق أن يتفرقوا، فلم يبق فيها غير سمير وكعب، فأرسل مالك إلى بني عمرو بن عوف بالذي بلغه من ذلك وقال: إنما قتله سمير، فأرسلوا به إلي أقتله؛ فأرسلوا إليه: إنه ليس لك أن تقتل سميراً بغير بينة؛ وكثرت الرسل بينهم في ذلك: يسألهم مالك أن يعطوه سميراً ويأبون أن يعطوه إياه. ثم إن بني عمرو بن عوف كرهوا أن ينسبوا بينهم وبين مالك حرباً، فأرسلوا إليه يعرضون عليه الدية فقبلها؛ فأرسلوا إليه: إن صاحبكم حليف وليس لكم فيه إلا نصف الدية، فغضب مالك وأبى أن يأخذ فيه إلا الدية كاملة أو يقتل سميراً؛ فأبت بنو عمرو بن عوف أن يعطوه إلا دية الحليف وهي نصف الدية، ثم يأخذ فيه إلا الدية كاملة أو يقتل سميراً؛ فأبت بنو عمرو بن عوف أن يعطوه إلا دية الحليف وهي نصف الدية، ثم دهوه أن يحكم بينهم وبينه عمرو بن امرئ القيس أحد بني الحارث بن الخزرج وهو جد عبد الله بن رواحة ففعل؛ فانطلقوا حتى جاءوه في بني الحارث بن الخزرج، فقضى على مالك بن العجلان أنه ليس له في حليفة إلا دية الحليف، وأبى مالك أن يرضى بذلك وآذن بني عمرو بن عوف بالحرب، واستنصر قبائل الخزرج، فأبت بنو الحارث بن الخزرج أن تنصره غضباً حين رد قضاء عمرو بن امرئ القيس؛ فقال مالك بن العجلان يذكر خذلان بني الحارث بن الخزرج له وحدب يني عمرو بن عوف على سمير، ويحرض بني النجار على نصرته:

إن سميراً أرى عشيرته ... قد حدبوا دونه وقد أنفوا

إن يكن الظن صادقاً ببني الن ... جار لا يطعموا الذي علفوا

لا يسلمونا لمعشرٍ أبداً ... مادام منا ببطنها شرف

لكن موالي قد بدا لهم ... رأي سوى ما لدي أو ضعفوا

" يقال: علفوا الضيم إذ أقروا به، أي ظني أهم لا يقبلون الضيم "

صوت

بين بني جحجبى وبين بني — زيد فأنى لجاري التلف
يمشون في البيض والدروع كما — تمشي جمال مصاعب قطف
كما تمشي الأسود في رهج ال — موت إليه وكلهم لهف

غنى في هذه الأبيات معبد خفيف ثقيلٍ عن إسحاق، وذكر الهشامي أن فيه لحناً من الثقيل الأول للغريض وقال درهم بن يزيد بن ضبيعة أخو سمير في ذلك:

يقوم لا تقتلوا سميراً فإ — ن القتل فيه البوار والأسف
إن تقتلوه ترن نسوتكم — على كريم ويفزع السلف
إني لعمر الذي يحج له الن — اس ومن دون بيته سرف
يمين بر بالله مجتهد — يحلف إن كان ينفع الحلف
لا نرفع العبد فوق سنته — مادام منا ببطنها شرف
إنك لاق غداً غواة بني — عمي فانظر ما أنت مزدهف
فأبدأ سيماك يعرفوك كما — يبدون سيماهم فتعترف

معنى قوله "فأبد سيماك": أن مالك بن العجلان كان إذا شهد الحرب يغير لباسه ويتنكر لئلا يعرف فيقصد وقال درهم بن يزيد في ذلك:

يا مال لا تبغين ظلامتنا — يامال إنا معاشر أنف
يا مال والحق إن قنعت به — فيه وفينا لأمرنا نصف
إن بجيراً عبد فخذ ثمناً — فالحق يوفى به ويعترف
ثم اعلمن إن أردت ضيم بني — زيد فإني ومن له الحلف
لأصبحن داركم بذي لجبٍ — جونٍ له من أمامه عزف
البيض حصن لهم إذا فزعوا — وسابغات كأنها النطف
والبيض قد ثلمت مضاربها — بها نفوس الكماة تختطف

كأنها في الأكف إذ لمعت		وميض برق يبدر وينكسف

وقال قيس بن الخطيم الظفري أحد بني النبيت في ذلك، و لم يدركه وإنما قاله بعد هذه الحرب بزمان، وتم هذه القصيدة الصوت المذكور:

رد الخليط الجمال فانصرفوا		ماذا عليهم لو أنهم وقفوا
لو وقفوا ساعة نسائلهم		ريث يضحي جماله السلف
فيهم لعوب العشاء آنسة ال		دل عروب يسوءها الخلف
بين شكول النساء خلقتها		قصد فلا جبلة و لاقضف
تنام عن كبر شأنها فإذا		قامت رويداً تكاد تنغرف
تغترف الطرف وهي لاهية		كأنما شف وجهها نزف
حوراء جيداء يستضاء بها		كأنها خوط بانةٍ قصف
قضى لها الله حين صورهاال		خالق أن لا يكنها سدف
خوذ يغث الحديث ماصمتت		وهو بفيها ذو لذة طرف
تخزنه وهو مشتهى حسن		وهو إذا ما تكلمت أنف

وهي طويلة يقول فيها:

أبلغ بني جحجبى وإخوتهم		زيداً بأنا وراءهم أنف
إنا وإن قل نصرنا لهم		أكبادنا من ورائهم تجف
لما بدت نحونا جباههم		حنت إلينا الأرحام والصحف
نفلي بحد الصفيح هامهم		وفلينا هامهم بها جنف
يتبع آثارها إذا اختلجت		سخن عبيط عروقه تكف
إن بني عمنا طغوا وبغوا		ولج منهم في قومهم سرف

فرد عليه حسان بن ثابت و لم يدرك ذلك"

ما بال عينيك دمعها يكف		من ذكر خود شطت بها قذف
بانت بها غربة تؤم بها		أرضاً سوانا والشكل مختلف
ما كنت أدري بوشك بينهم		حتى رأيت الحدوج تنقذف
دع ذا وعد القريض في نفر		يرجون مدحي ومدحي الشرف

إن تدع قومي للمجد تلفهم أهل فعالٍ يبدو إذا وصفوا

إن سميراً عبد طغى سفهاً ساعده أعبد لهم نطف

اليهود والأوس والخزرج قال: ثم أرسل مالك بن العجلان إلى بني عمرو بن عوف يؤذهم بالحرب، ويعدهم يوماً يلتقون فيه، وأمر قومه فتهيؤا للحرب، وتحاشد الحيان وجمع بعضهم لبعض. وكانت يهود قد حالفت قبائل الأوس والخزرج، إلا بني قريظة وبني النضير فإنهم لم يحالفوا أحداً منهم، حتى كان هذا الجمع، فأرسلت إليهم الأوس والخزرج، كل يدعوهم إلى نفسه، فأجابوا الأوس وحالفوهم، والتي حالفت قريظة والنضير من الأوس أوس الله وهي خطمة وواقف وأمية ووائل، فهذه قبائل أوس الله. ثم زحف مالك بمن معه من الخزرج، وزحفت الأوس بمن معها من حلفائها من قريظة و النضير، فالْتقوا بفضاء كان بين بئر سالم وقباء، وكان أول يوم التقوا فيه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انصرفوا وهم منتصفون جميعاً، ثم التقوا مرة أخرى عند أطم بني قنيقاع، فاْقتتلوا حتى حجز الليل بينهم، وكان الظفر يومئذ للأوس على الخزرج، فقال أبو قيس بن الأسلت في ذلك:

لقد رأيت بني عمرو فما وهنوا عند اللقاء وما هموا بتكذيب

ألا فدى لهم أمي وما ولدت غداة بمشون إرقال المصاعيب

بكل سلهبةٍ كالأيم ماضيةٍ وكل أبيض ماضي الحد مخشوب

أصل المخشوب: الحديث الطبع، ثم صار كل مصقول مخشوباً؛ فشبهها الحية في انسلالها قال: فلبث الأوس والخزرج متحاربين عشرين سنة في أمر سمير يتعاودون القتال في تلك السنين، وكانت لهم فيها أيام ومواطن لم تحفظ، فلما رأت الأوس طول الشر وأن مالكاً لاينوع، قال لهم سويد بن صامت الأوسي- وكان يقال له الكامل في الجاهلية، وكان الرجل عند العرب إذا كان شاعرا شجاعاً كاتباً سابحاً رامياً سموه الكامل، وكان سويد أحد الكملة: يا قوم، أرضوا هذا الرجل من حليفه، ولا تقيموا على حرب إخوتكم فيقتل بعضكم بعضاً ويطمع فيكم غيركم، وإن حملتم على أنفسكم بعض الحمل. فأرسلت الأوس إلى مالك بن العجلان يدعونه إلى أن يحكم بينه وبينهم ثابت بن المنذر بن حرام أبو حسان بن ثابت، فأجابهم إلى ذلك، فخرجوا حتى أتوا ثابت بن المنذر، وهو في البئر التي يقال لها سميحة، فقالوا: إنا قد حكمناك بيننا؛ فقال: لا حاجة لي في ذلك؛ قالوا: و لم؟ قال: أخاف أن تردوا حكمي كما رددت حكم عمرو بن امرئ القيس؛ قالوا: فإنا لانرد حكمك فاحكم بيننا؛ قال: لا أحكم بينكم حتى تعطوني موثقاً وعهداً لترضون بحكمي وما قضيت به ولتسلمن له؛ فأعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم، فحكم بأن يودى حليف مالك دية الصريح ثم تكون السنة فيهم بعده على ما كانت عليه؛ الصريح على ديته والحليف على ديته، وأن تعد القتلى الذين أصاب بعضهم من بعض في حربهم " ثم يكون بعض ببعض" ثم يعطوا الدية جار مالك معونة لإخوتهم، و على بني عمرو بن عوف نصفها؛ فرأت بنو عمرو بن

عوف أنهم لم يخرجوا إلا الذي كان عليهم، ورأى مالك أنه قد أدرك ما كان يطلب، وودي جاره دية الصريح. ويقال: بل الحاكم المنذر أبو ثابت.

ذكر طويس وأخباره

اسمه وكنيته

طويس لقب غلب عليه، واسمه عيسى بن عبد الله، وكنيته أبو عبد المنعم وغيرها المخنثون فجعلوها أبا عبد النعيم، وهو مولى بني مخزوم. وقد حدثني جحظة عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الواقدي عن ابن أبي الزناد: قال سعد بن أبي وقاص: كني طويس أبا عبد المنعم.

أول من غنى بالعربية في المدينة

وألقى الخنث بها:

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المسيبي ومحمد بن سلام الجمحي، وعن الواقدي ابن أبي الزناد؛ وعن المدائني عن زيد بن أسلم عن أبيه، وعن ابن الكلبي عن أبيه وعن أبي مسكين.
قالوا: أول من غنى بالعربي بالمدينة طويس، وهو أول من ألقى الخنث بها، وكان طويلاً أحول يكنى أبا المنعم، مولى بني مخزوم، وكان لا يضرب بالعود. إنما كان ينقر بالدف، وكان ظريفاً عالماً بأمر المدينة وأنساب أهلها، وكان يتقى للسانه.

شؤمه

قالوا: وسئل عن مولده فذكر أنه ولد يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفطم يوم مات أبو بكر، وختن يوم قتل عمر، وزوج يوم قتل عثمان، وولد له ولد يوم قتل علي رضوان الله عليهم أجمعين. قال وقيل: إنه ولد له ولد يوم مات الحسن بن علي عليه السلام. قال: وكانت أمي تمشي بين نساء الأنصار بالنميمة. قالوا: وأول غناء غناه وهزج به:

صوت

كيف يأتي من بعيدٍ — وهو يخفيه القريب
نازح بالشأم عنا — وهو مكسال هيوب
قد يراني الحب حتى — كدت من وجدي أذوب

الغناء لطويس هزج بالبنصر.

بعض ما روي عن شؤمه قال إسحاق: أخبرني الهيثم بن عدي قال قال صالح بن حسان الأنصاري أنبأني أبي قال: اجتمع يوماًجماعة بالمدينة يتذاكرون أمر المدينة إلى أن ذكروا طويساً، فقالوا: كان وكان؛ فقال رجل منا: أما لو شاهدتموه لرأيتم ما تسرون به علماً وظرفاً وحسن غناء وجودة نقرٍ الدف، ويضحك كل ثكلى حرى؛ فقال بعض القوم: والله إنه على ذلك كان مشؤوماً؛ وذكر خبر ميلاده كما قال الواقدي، إلا أنه قال: ولد يوم مات نبينا صلى الله عليه وسلم، وفطم يوم مات صديقنا، وختن يوم قتل فاروقنا، وزوج يوم قتل نورنا، وولد له يوم قتل أخو نبينا؛ وكان مع ذلك مخنثاً يكيدنا ويطلب عثراتنا؛ وكان مفرطاً في طوله مضطرباً في خلقه أحول. فقال رجل من جلة أهل المجلس: لئن كان كما قلت لقد كان ممتعاً فهما يحسن رعاية من حفظ له حق المجالسة، ورعاية حرمة الخدمة، وكان لا يحمل قول من لا يرعى له بعض ما يرعاه له.

كان يحب قريشاً ويحبونه:

ولقد كان معظماً لمواليه بني مخزوم

ومن والاهم من سائر قريش، ومسالماً لمن عاداهم دون التحكيك به؛ وما يلام من قال بعلم وتكلم على فهم، والظالم الملوم، والبادئ أظلم. فقال رجل آخر: لئن كان ما قلت لقد رأيت قريشاً يكتنفونه ويحدقون به ويحبون مجالسته وينصتون إلى حديثه ويتمنون غناءه، وما وضعه شيء إلا خنثه ولولا ذلك ما بقي رجل من قريش والأنصار وغيرهم إلا أدناه.

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثني إسماعيل بن جامع عن سياط قال: كان أول من تغنى بالمدينة غناء" يدخل في الإيقاع طويس، وكان مولده يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفطامه في اليوم الذي نوفي فيه أبو بكر، وختانه في اليوم الذي قتل فيه عمر، وبناؤه بأهله في اليوم الذي قتل فيه عثمان، وولد له يوم قتل علي رضوان الله عليهم أجمعين، وولد وهو ذاهب العين اليمنى.

كان يلقب بالذائب وسبب ذلك

وكان يلقب بالذائب، وإنما لقب بذلك لأنه غنى:

قد يراني الحب حتى ... كدت من وجدي أذوب

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال أخبرني ابن الكلبي عن أبي مسكين قال:

مروان بن الحكم والنغاشي المخنث: كان بالمدينة مخنث يقال له النغاشي، فقيل لمروان بن الحكم: إنه لا يقرأ من كتاب الله شيئاً، فبعث إليه يومئذ، وهو على المدينة، فاّستقرأه أم الكتاب؛ فقال: والله ما معي بناتها، أو ما أقرأ البنات فكيف أقرأ أمهن! فقال: أتهزأ لا أم لك! فأمر به فقتل في موضع يقال له بطحان، وقال: من جاءني بمخنث فله عشرة دنانير.

طلبه مروان في المخنثين

ففر منه حتى مات:

فأتي طويس وهو في بني الحارث بن الخزرج من المدينة، وهو يغني بشعر حسان بن ثابت:

لقد هاج نفسك أشجانها وعاودها اليوم أديانها

تذكرت هنداً وماذكرها وقد قطعت منك أقرانها

وقفت عليها فساءلتها وقد ظعن الحي ما شأنها

فصدت وجاوب من دونها بما أوجع القلب أعوانها

فأخبر بمقالة مروان فيهم؛ فقال: أما فضلني الأمير عليهم بفضل حتى جعل في وفيهم أمراً واحداً! ثم خرج حتى نزل السويداء- على ليلتين من المدينة في طريق الشأم-فلم يزل بها عمره، وعمر حتى مات في ولاية بن الوليد بن عبد الملك.

هيت المخنث وبادية بنت غيلان

قال إسحاق وأخبرني ابن الكلبي قال أخبرني خالد بن سعيد عن أبيه وعوانة قالا: قال هيت المخنث لعبد الله بن أبي أمية: إن فتح الله عليكم الطائف فسل النبي صلى الله عليه وسلم بادية بنت غيلان بن سلمة بن معتب، فإنها هيفاء شموع نجلاء، إن تكلمت تغنت، وإن قامت تثنت، تقبل بأربع وتدبر بثمان، مع ثغر كأنه الأقحوان، وبين رجليها كالإناء المكفوء، كما قال قيس بن الخطيم:

تغترق الطرف وهي لاهية كأنما شف وجهها نزف

بين شكول النساء خلقتها قصد فلا جبلة ولاقضف

فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" لقد غلغلت النظر ياعدو الله "، ثم جلاه عن المدينة إلى الحمى. قال هشام: وأول ما اتخذت النعوش من أجلها. قال: فلما فتحت الطائف تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له بريهة. فلم يزل هيت بذلك المكان حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه كلم فيه فأبى أن يرده؛ فلما ولي عمر رضي الله عنه كلم فيه فأبى أن يرده وقال: إن رأيته لأضربن عنقه؛ فلما ولي عثمان

رضي الله عنه كلم فيه فأبى أن يرده؛ فقيل له: قد كبر وضعف واحتاج؛ فأذن له أن يدخل كل جمعة فيسأل ويرجع إلى مكانه. وكان هيت مولى لعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي، وكان طويس له؛ فمن ثم قيل الخنث.

وجلس يوماً فغنى في مجلس

فيه ولد لعبد الله بن أبي أمية:

" تغترق الطرف وهي لاهية" إلى أخر البيتين؛ فأشير إلى طويس أن اسكت؛ فقال: والله ما قيل هذان البيتان في ابنة غيلان بن سلمة وإنما هذا مثل ضربة هيت في أم بريهة؛ ثم التفت إلى ابن عبد الله فقال: يابن الطاهر، أوجدت علي في نفسك؟ أقسم بالله قسماً حقاً لاأغني بهذا الشعر أبداً.

ضافه عبد الله بن جعفر فأكرمه وغناه

قال إسحاق وحدثنا أبو الحسن الباهلي الراوية عن بعض أهل المدينة، وحدثنا الهيثم بن عدي والمدائني، قالوا: كان عبد الله بن جعفر معه إخوان له في عشية من عشايا الربيع، فراحت عليهم المساء بمطر جود فأسأل كل شيء؛ فقال عبد الله: هل لكم في العقيق؟-وهو منتزه أهل المدينة في أيام الربيع والمطر-فركبوا دوابهم ثم انتهوا إليه فوقفوا على شاطئه وهو يرمي بالزبد مثل مد الفرات، فإنهم لينظرون إذ هاجت السماء، فقال عبد الله لأصحابه ليس معنا جنة نستجن بها وهذه سماء خليقة أن تبل ثيابنا، فهل لكم في مترل طويس فإنه قريب منا فنستكن فيه ويحدثنا ويضحكنا؟ وطويس في النظارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر؛ فقال له عبد الرحمن بن حسان بن ثابت: جعلت فداءك! وما تريد من طويس عليه غضب الله: مخنث شائن لمن عرفه؛ فقال له عبد الله: لا تقل ذلك، فإنه مليح خفيف لنا فيه أنس؛ فلما استوفى طويس كلامهم تعجل إلى مترله فقال لامرأته: ويحك! قد جاءنا عبد الله بن جعفر سيد الناس، فما عندك؟ قالت: نذبح هذه العناق، وكانت عندها عنيقة قد ربتها باللبن، واختبز خبزاً رقاقاً؛ فبادر فذبحها وعجنت هي. ثم خرج فتلقاه مقبلاً إليه؛ فقال له طويس: بأبي أنت وأمي؛ هذا المط، فهل لك في المترل فتستكن فيه إلى أن تكف السماء؟ قال: إياك أريد؛ قال: فامض ياسيدي على بركة الله، وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا، فتحدثوا حتى أدرك الطعام، فقال: بأبي أنت وأمي، تكرمني إذ دخلت مترلي بأن تتعشى عندي؛ قال: هات ما عندك؛ فجاءه بعناقٍ سمينة ورقاق، فأكل وأكل القوم حتى تملئوا، فأعجبه طيب طعامه، فلما غسلوا أيديهم قال: بأبي أنت وأمي، أتمشى معك وأغنيك؟ قال: افعل ياطويس؛ فأخذ ملحفة فأتزر بها وأرخى بها ذنبين، ثم أخذ المربع فتمشى وأنشأ يغني:

يا خليلي نابني سهدي — لم تنم عيني ولم تكد

كيف تلحوني على رجلٍ آنس تلتذه كبدي

مثل ضوء البدر طلعته ليس بالزميلة النكد

فطرب القوم وقالوا أحسنت والله ياطويس. ثم قال: يا سيدي، أتدري لمن هذا الشعر؟ قال: لا والله، ما أدري لمن هو، إلا أن سمعت شعراً حسناً؛ قال: هو لفارعة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت وهي تتعشق عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي وتقول فيه هذا الشعر؛ فنكس القوم رؤوسهم، وضرب عبد الرحمن برأسه على صدره، فلو شقت الأرض له لدخل فيها.

خبره مع سعيد بن عبد الرحمن قال وحدثني ابن الكلبي والمدائني عن جعفر بن محرز قال: خرج عمر بن عبد العزيز، وهو على المدينة، إلى السويداء وخرج الناس معه، وقد أخذت المنازل، فلحق بهم يزيد بن بكر بن دأب الليثي وسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري، فلقيهما طويس فقال لهما: بأبي أنتما وأمي! عرجا إلى منزلي؛ فقال يزيد لسعيد: مل بنا مع أبي عبد النعيم؛ فقال سعيد: أين تذهب مع هذا المخنث! فقال يزيد: إنما هو منزل ساعة فمالا، واحتمل طويس الكلام على سعيد، فأتيا منزله فإذا هو قد نصحه ونصعه، فأتاهما بفاكهة من فاكهة الماء؛ ثم قال سعيد: لو أسمعتنا يا أبا عبد النعيم! فتناول خريطة فاستخرج منها دفاً ثم نقره وقال:

يا خليلي نابني سهدي لم تنم عيني ولم تكد

فشاربي مأسيغ وما أشتكي ما بي إلى أحد

كيف تلحوني على رجل آنس تلتذه كبدي

مثل ضوء البدر صورته ليس بالزميلة النكد

من نبي آل المغيرة لا خامل نكس ولاجحد

نظرت يوماً فلا نظرت بعده عيني إلى أحد

ثم ضرب بالدف الأرض، فقال سعيد: ما رأيت "كاليوم" قط شعراً أجود ولاغناء أحسن كمه؛ فقال له طويس: يا بن الحسام، أتدري من يقوله؟ قال: لا؛ قال: قالته عمتك خولة بنت تشبب بعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي؛ فخرج سعيد وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط مثل ما استقبلني به هذا المخنث! والله لايفلتني! فقال يزيد: دع هذا وأمته ولا ترفع به رأساً. قال أبو الفرج الأصبهاني: هذه الأبيات، فيما ذكر الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار، لابن زهير المخنث

مدح ابن سريج غناءه

قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عدي عن ابن عياش، وابن الكلبي عن أبي مسكين، قالا:

قدم ابن سريج المدينة فغناهم، فاستظرف الناس غناءه وآثروه على كل غنيّ؛ وطلع عليهم طويس فسمعهم وهم

يقولون ذلك، فاستخرج دفاً من حضنه ثم نقر به وغناهم بشعر عمارة بن الوليد المخزومي في خولة بنت ثابت، عارضها بقصيدتها فيه:

يا خليلي فيكم وجدي وصدع حبكم كبدي

فقلبي مسعر حزناً بذات الخال في الخد

فما لاقى أخو عشقٍ عشير العشر من جهدي

فأقبل عليهم ابن سريج فقال: والله هذا أحسن الناس غناء أخبرني وكيع محمد بن خلف قال حدثنا إسماعيل بن مجمع قال حدثني المدائني قال: قدم ابن سريج المدينة فجلس يوماً في جماعةٍ وهم يقولون: أنت والله أحسن الناس غناء، إذ مر بهم طويس فسمعهم وما يقولون: فاستل دفه من حضنه ونقره وتغنى:

إن المجنبة التي مرت بنا قبل الصباح

في حلةٍ موشية مكية غرثى الوشاح

زين لمشهد قطرهم وتزينهم يوم الأضاحي

-الشعر لابن زهير المخنث. والغناء لطويس هزج، أخبرنا بذلك الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار-فقال ابن سريج: هذا والله أحسن الناس غناء لا أنا.

تبع جارية فزجرته ثم تغنى بشعر

قال إسحاق حدثني المدائني قال: حدثت أن طويساً تبع جارية فراوغته فلم ينقطع عنها، فخبت في المشي فلم ينقطع عنها؛ فلما جازت بمجلس وقفت ثم قالت: يا هؤلاء، لي صديق ولي زوج ومولى ينكحني، فسلوا هذا ما يريد مني! فقال أضيق ما قد وسعوه. ثم جعل يتغنى:

أفق يا قلب عن جمل وجمل قطعت حبلي

أفق عنها فقد عني ت حولاً في هوى جمل

وكيف يفيق محزون بجمل هائم العقل

براه الحب في جملٍ فحسبي الحب من ثقل

وحسبي فيك ما ألقى من التفنيد والعذل

وقدماً لامني فيها فلم أحفل بهم أهلي

حديث طويس والرجل المسحور

قال إسحاق وقال المدائني قال مسلمة بن محارب حدثني رجل من أصحابنا قال: خرجنا في سفرة ومعنا رجل، فانتهينا إلى وادٍ فدعونا بالغداء، فمد الرجل يده إلى الطعام فلم يقدر عليه، وهو قبل ذلك يأكل معنا في كل منزل، فخرجنا نسأل عن حاله فلقينا رجلاً طويلاً أحول الخلق في زي الأعراب، فقال لنا: مالكم؟ فأنكرنا سؤاله لنا، فأخبرنا خبر الرجل؛ فقال: ما اسم صاحبكم؟ فقلنا: أسيد؛ فقال: هذا واد قد أخذت سباعه فارحلوا، فلو قد جاوزتم الوادي استمر صاحبكم وأكل. قلنا في أنفسنا: هذا من الجن، ودخلتنا فزعة؛ ففهم ذلك وقال: ليفرخ روعكم فأنا طويس. قال له بعض من معنا من بني غفار أو من بني عبس: مرحباً بك يا أبا عبد النعيم، ما هذا الزي! فقال: دعاني بعض أودائي من الأعراب فخرجت إليهم وأحببت أن أتخطى الأحياء فلا ينكروني. فسألت الرجل أن يغنينا؛ فاندفع ونقر بدف كان معه مربعٍ، فلقد تخيل لي أن الوادي ينطق معه حسناً، وتعجبنا من علمه وما أخبرنا "به" من أمر صاحبنا.

وكان الذي غنى به شعر عروة بن الورد في سلمى امرأته الغفارية حيث رهنها على الشراب:

سقوني الخمر ثم تكنفوني ... عداة الله من كذب وزور

وقالوا لست بعد فداء سلمى ... بمفنٍ ما لديك ولا فقير

فلا والله لو ملكت أمري ... ومن لي بالتدبر في الأمور

إذاً لعصيتهم في حب سلمى ... على ما كان من حسك الصدور

فيا للناس كيف غلبت أمري ... على شيءٍ ويكرهه ضميري

قصة عروة وامرأته سلمى الغفارية

قال إسحاق وحدثني الواقدي قال حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال:

لما غزا النبي صلى الله عليه وسلم بني النضير وأجلاهم عن المدينة خرجوا يريدون خيبر يضربون بدفوفٍ ويزمرون بالمزامير وعلى النساء المعصفرات وحلي الذهب مظهرين لذلك تجلداً، ومرت في الظعن يومئذ سلمى امرأة عروة بن الورد "العبسي "، وكان عروة حليفاً في بني عمرو بن عوف، وكانت سلمى من بني غفار، فسباها عروة من قومها وكانت ذات جمالٍ فولدت له أولاداً وكان شديد الحب لها وكان ولده يعيرون بأمهم ويسمون بني الأخيذة- أي السبية - فقالت: ألا ترى ولدك يعيرون؟ قال: فماذا ترين؟ قالت: أرى أن تردني إلى قومي حتى يكونوا هم الذين يزوجونك فأنعم لها، فأرسلت إلى قومها أن ألقوه بالخمر ثم اتركوه حتى يسكر ويثمل فإنه لا يسأل حينئذ شيئاً إلا أعطاه؛ فلقوه وقد نزل في بني النضير فسقوه الخمر، فلما سكر سألوه سلمى فردها عليهم ثم أنكحوه بعد. إلا أعطاه؛ فلقوه وقد نزل في بني النضير فسقوه الخمر، فلما انتشى منعوه ولاشيء معه إلا هي

فرهنها، و لم يزل يشرب حتى غلقت؛ فلمنا قال لها: انطلقي قالت: لا سبيل إلى ذلك، قد أغلقتني. فبهذا صارت عند بني النضير. فقال في ذلك:

سقوني الخمر ثم تكنفوني ... عداة الله من كذب وزور

هذه الأبيات مشهورة بأن لطويس فيها غناء"، وما وجدته في شيء من الكتب مجنساً فتذكر طريقته.

كان يغري بين الأوس والخزرج

ويتغنى بالشعر الذي قيل في حروبهم:

قال إسحاق وحدثني المدائني قال: كان طويس ولعاً بالشعر الذي قالته الأوس والخزرج في حروبهم، وكان يريد بذلك الإغراء فقل مجلس اجتمع فيه هذان الحيان فغنى فيه طويس إلا وقع فيه شيء؛ فنهي عن ذلك، فقال: والله لا تركت الغناء بشعر الأنصار حتى يوسدوني التراب؛ وذلك لكثرة تولع القوم به، فكان يبدي السرائر ويخرج وكان يستحسن غناؤه ولا يصبر عن حديثه ويستشهد على معرفته، فغنى يوماً بشعر قيس بن الخطيم في حرب الأوس والخزرج وهو:

رد الخليط الجمال فانصرفوا ... ماذا عليهم لو أنهم وقفوا

لو وقفوا ساعة" نسائلهم ... ريث يضحي جماله السلف

فليت أهلي وأهل أثلة في ال ... دار قريب من حيث نختلف

فلما بلغ إلى آخر بيت غنى فيه طويس من هذه القصيدة وهو:

أبلغ بني جحجبى وقومهم ... خطمة أنا وراءهم أنف

تكلموا وانصرفوا وجرت بينهم دماء، وانصرف طويس من عندهم سليماً لم يكلم و لم يقل شيء سبب الحرب بين الأوس والخزرج قال إسحاق فحدثني الواقدي وأبو البختري، قالا: قال قيس بن الخطيم هذه القصيدة لشغب أثاره القوم بعد دهر طويل. ونذكر سبب أول ما جرى بين الأوس والخزرج من الحرب: قال إسحاق قال أبو عبد الله اليزيدي وأبو البختري، قالا: قال قيس بن الخطيم هذه القصيدة لشغب أثاره القوم بعد دهر طويلٍ ونذكر سبب أول ما جرى بين الأوس والخزرج من الحرب:

قال إسحاق قال أبو عبد الله اليزيدي" وأبو البختري"، وحدثني مشايخ لنا قالوا: كانت الأوس والخزرج أهل عز ومنعةٍ وهما أخوان لأب وأم وهما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وأمهما قيلة بنت جفنة بن عتبة بن عمرو؛ وقضاعة تذكر أنها قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. وكانت أول حرب جرت بينهم في مولى كان لمالك بن العجلان قتله سمير بن يزيد بن مالك، وسمير رجل من الأوس ثم أحد بني عمرو بن عوف، وكان مالك سيد الحيين في زمانه، وهو الذي ساق تبعاً إلى المدينة وقتل

الفطيون صاحب زهرة وأذل اليهود للحيين جميعاً، فكان له بذلك الذكر والشرف عليهم، وكانت دية المولى فيهم-وهو الحليف- خمساً من الإبل، ودية الصريح عشراً، فبعث مالك إلى عمرو بن عوف: ابعثوا إلي سميراً حتى أقتله بمولاي فإنا نكره أن تنشب بيننا وبينكم حرب، فأرسلوا إليه: إنا نعطيك الرضا من مولاك فخذ منا عقلة، فإنك قد عرفت أن الصريح لا يقتل بالمولى؛ قال: لا آخذ في مولاي دون دية الصريح، فأبوا إلا دية المولى. فلما رأى ذلك مالك بن العجلان جمع قومه من الخزرج، وكان فيهم مطاعاً، وأمرهم بالتهيؤ للحرب. فلما بلغ الأوس استعدوا لهم وتهيئوا للحرب واختاروا الموت على الذل؛ ثم خرج بعض القوم إلى بعض فالتقوا بالصفينة بين بئر سالم وبين قباء "قرية لبني عمرو بن عوف" فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى نال بعض القوم من بعض. ثم إن رجلاً من الأوس استعدوا لهم وتهيئوا للحرب واختاروا الموت على الذل؛ ثم خرج بعض القوم إلى بعض فالتقوا بالصفينة بين بئر سالم وبين قباء "قرية لبني عمرو بن عوف" فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى نال بعض القوم من بعض.

ثم إن رجلاً من الأوس نادى: يا مالك، ننشدك الله والرحم - وكانت أم مالك إحدى نساء بني عمرو بن عوف-فاجعل بيننا وبينك عدلاً من قومك فما حكم علينا سلمنا لك؛ فارعوى مالك عند ذلك، وقال نعم؛ فاختاروا عمرو بن امرئ القيس أحد بني الحارث بن الخزرج فرضي القوم به، واستوثق منهم، ثم قال: فإني أقضي بينكم: إن كان سمير قتل صريحاً من القوم فهو به قود، وإن قبلوا العقل فلهم دية الصريح، وإن كان مولى فلهم دية المولى بلا نقصٍ، ولايعطى فوق نصف الدية، وما أصبتم منا في هذه الحرب ففيه الدية مسلمة إلينا، وما أصبنا منكم فيها علينا فيه دية مسلمة إليكم. فلما قضى بذلك عمرو بن امرئ القيس غضب مالك بن العجلان ورأى أن يرد عليه رأيه، وقال: لا أقبل هذا القضاء؛ وأمر قومه بالقتال، فجمع القوم بعضهم لبعضٍ ثم التقوا بالفضاء عند آطام بني قنيقاع، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم تداعوا إلى الصلح فحكموا ثابت بن حرام بن المنذر أبا حسان بن ثابت النجاري، فقضى بينهم أن يدوا مولى مالك بن العجلان بدية الصريح ثم تكون السنة فيهم بعده على مالكٍ وعليهم كما كانت أول مرة: المولى على ديته؛ والصريح على ديته؛ فرضي مالك وسلم الآخرون.

وكان ثابت إذ حكموه أراد إطفاء النائرة فيما بين القوم و لم شعثهم، فأخرج خمساً من الإبل من قبيلته حين أبت عليه الأوس أن تؤدي إلى مالك أكثر من خمسٍ وأبي مالك أن يأخذ دون عشرٍ. فلما أخرج ثابت الخمس أرضى مالكاً بذلك ورضيت الأوس، واصطلحوا بعهد وميثاق ألا يقتل رجل في داره ولا معقله- والمعاقل: النخل-فإذا خرج رجل من داره أو معقله فلا دية له ولا عقل. ثم انظروا في القتلى فأي الفريقين فضل على صاحبه ودى له صاحبه. فأفضلت الأوس على الخزرج بثلاثة نفر فودتهم الأوس واصطلحوا. ففي ذلك يقول حسان بن ثابت لما كان أبوه أصلح بينهم ورضاهم بقضائه في ذلك:

وأبي في سميحة القائل الفا ... صل حين التفت عليه الخصوم

وفي ذلك يقول قيس بن الخطيم قصيدته وهي طويلة:

رد الخليط الجمال فانصرفوا ... ماذا عليهم لو أنهم وقفوا

رأي عمر بن عبد العزيز في شعره

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: كان عمر بن عبد العزيز ينشد قول قيس بن الخطيم:

بين شكول النساء خلقتها ... قصد فلا جبلة و لاقضف
تنام على كبر شأنها فإذا ... قامت رويداً تكاد تنقصف
تغترق الطرف وهي لاهية ... كأنما شف وجهها نزف

ثم يقول: قائل هذا الشعر أنسب الناس.

ومما في المائة المختارة من أغاني طويس

صوت

يا لقومي قد أرقتني الهموم ... ففؤادي مما يجن سقيم
أندب الحب في فؤادي ففيه ... لو تراءى للناظرين كلوم

يجن: يخفى، والجنة من ذلك، والجن أيضاً مأخوذ منه. وأندب: أبقى فيه ندباً وهو أثر الجرح؛ قال ذو الرمة:

تريك سنة وجهٍ غير مقرفةٍ ... ملساء ليس بها خال و لاندب

الشعر لابن قيس الرقيات فيما قيل. والغناء لطويس، ولحنه المختار خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى، قال إسحاق: وهو أجود لحن غناه طويس، ووجدته في كتاب الهشامي خفيف رمل بالوسطى منسوباً إلى ابن طنبورة. قال وقال ابن المكي: إنه لحكم، وقال عمرو بن بانة: إنه لابن عائشة أوله هذان البيتان، وبعدهما:

ما لذا الهم لايريم فؤادي ... مثل ما يلزم الغريم الغريم
إن من فرق الجماعة منا ... بعد خفضٍ ونعمة لذميم

انقضت أخبار طويس

صوت من المائة المختارة

من صنعة قفا النجار

حجب الألى كنا نسر بقربهم ... ياليت أن حجابهم لم يقدر
حجبوا ولم نقض اللبانة منهم ... ولنا إليهم صبوة لم تقصر

ويحيط مئزرها بردفٍ كاملٍ رابى المجسة كالكثيب الأعفر

وإذا مشت خلت الطريق لمشيها وحلاً كمشي المرجحن الموقر

لم يقع إلينا قائل الشعر. والغناء لقفا النجار، ولحنه المختار من النقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

ويقال: إن فيه لحناً لابن سريج. وذكر يحيى بن علي" ابن يحيى" في الاختبار الواثقي أن لحن قفا النجار المختار من الثقيل الأول

صوت من المائة المختارة

أفق يادرامي فقد بليتا وإنك سوف توشك أن تموتا

أراك تزيد عشقاً كل يومٍ إذا ما قلت إنك قد بريتا

الشعر والغناء جميعاً لسعيدٍ الدرامي، ولحنه المختار من خفيف الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

ذكر الدرامي وخبره ونسبه

نسبه وكان من الشعراء وأرباب النوادر

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: الدارمي من ولد سويد بن زيد الذي كان جده قتل أسعد بن عمرو بن هند، ثم هربوا إلى مكة فحالفوا بني نوفل بن عبد مناف.

وكان الدرامي في أيام عمر بن عبد العزيز

وكانت له أشعار ونوادر، وكان من ظرفاء أهل مكة، وله أصوات يسيرة. وهو الذي يقول:

لما رأيتك أوليتني ال قبيح وأبعدت عني الجميلا

تركت وصالك في جانبٍ وصادفت في الناس خلاً بديلا

شبب بذات خمار اسود

فنفقت الخمر السود ولم تبق فتاة إلا لبسته:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعي، وأخبرني عمي قال حدثنا فضل اليزيدي عن إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعي، وأخبرني عمي قال حدثنا أبو الفضل

الرياشي عن الأصمعي، قال وحدثني به النوشجاني عن شيخ له من البصريين عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد، و لم يقل عن ابن أبي الزناد"غيره": أن تاجراً من أهل الكوفة قدم المدينة بخمر فباعها كلها وبقيت السود منها فلم تنفق، وكان صديقاً للدرامي، فشكا ذاك إليه، وقد كان نسك وترك الغناء وقول الشعر؛ فقال له: لاتهتم بذلك فإني سأنفقها لك حتى تبيعها أجمع؛ ثم قال:

صوت

قل للمليحة في الخمار الأسود　　ماذا صنعت براهبٍ متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه　　حتى وقفت له بباب المسجد

وغنى فيه، وغنى فيه أيضاً سنان الكاتب، وشاع في الناس وقالوا: قد فتك الدارمي ورجع عن نسكه؛ فلم تبق في المدينة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود حتى نفذ ما كان مع العراقي منها؛ فلما علم بذلك الدارمي رجع إلى نسكه ولزم المسجد.

فأما نسبة هذا الصوت فإن الشعر فيه للدارمي والغناء أيضاً، وهو خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لسنانٍ الكاتب رمل بالوسطى عن حبش. وذكر حبش أن فيه لابن سريج هزجاً بالبنصر.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني أبو هفان قال: حضرت يوماً مجلس بعض قواد الأتراك وكانت له ستارة فنصبت، فقال لها: غني صوت الخمار الأسود المليح، فلم ندر ما أراد حتى غنت: " قل للمليحة في الخمار الأسود" ثم أمسك ساعة" ثم قال لها غني: "إني خريت وجئت أنتقله" فضحكت ثم قالت: هذا يشبهك! فلم ندر أيضاً ما أراد حتى غنت: " إن الخليط أجد منتقله"

بخله وظرفه

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد قال حدثني محمد بن أخي سلم الخزاعي قال حدثني الحرمازي قال زعم"لي" ابن مودود قال: كان الدارمي المكي شاعراً ظريفاً وكانت متفتيات أهل مكة لا يطيب لهن متنزه إلا بالدارمي، فاجتمع جماعة منهن في متنزه لهن، وفيهن صديقة له، وكل واحدة منهن قد واعدت هواها، فخرجن حتى أتين الجحفة وهو معهن؛ فقال بعضهن لبعض: كيف لنا أن نخلو مع هؤلاء الرجال من الدارمي؟ فإنا إن فعلنا قطعنا في الأرض! قالت لهن صاحبته: أنا أكفيكنه؛ قلن: أنا نريد إلا يلومنا؛ قالت: علي أن ينصرف حامداً، وكان أبخل الناس، فأتته فقالت: يادارمي، إنا قد تفلنا فاجلب لنا طيباً؛ قال نعم هو ذا، آتي سوق الجحفة آتيكن منها بطيب؛ فأتى المكارين فاكترى حماراً فصار عليه إلى مكة وهو يقول:

أنا بالله ذي العز　　وبالركن وبالصخرة

من اللائي يردن الطي ب في اليسر وفي العسرة
وما أقوى على هذا ولو كنت على البصره

فمكث النسوة ماشئن. ثم قدم من مكة فلقيته صاحبته ليلة في الطواف، فأخرجته إلى ناحية المسجد وجعلت تعاتبه على ذهابه ويعاتبها، إلى أن قالت له: يادارمي، بحق هذه البنية أتحبني؟ فقال نعم، فبربها أتحبني؟ قالت نعم؛ قال: فيا لك الخير فأنت تحبيني وأنا أحبك، فما مدخل الدراهم بيننا!.

الدارمي وعبد الصمد بن علي

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال: كان الدارمي عند عبد الصمد بن علي يحدثه، فأغفى عبد الصمد فعطس الدارمي عطسة هائلة، ففزع عبد الصمد فزعاً شديداً وغضب غضباً شديداً، ثم استوى جالساً وقال: يا عاض كذا من أمه أتفزعني! قال: لا والله ولكن هكذا عطاسي! قال: والله لأنقعنك في دمك أو تأتيني ببينة على ذلك؛ قال: فخرج ومعه حرسي لا يدري أين يذهب به، فلقيه ابن الريان المكي فسأله؛ فقال: أنا أشهد لك؛ فمضى حتى دخل على عبد الصمد؛ فقال له: بم تشهد لهذا؟ قال: أشهد أني رأيته مرة عطس عطسة فسقط ضرسه؛ فضحك عبد الصمد وخلى سبيله.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد قال حدثنا الزبير قال: قال محمد بن إبراهيم الإمام للدارمي: لو صلحت عليك ثيابي لكسوتك؛ قال: فديتك! إن لم تصلح علي ثيابك صلحت علي دنانيرك.

الدارمي مع نسوة من الأعراب

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير، ونسخت من كتاب هارون بن محمد: حدثنا الزبير قال حدثني يونس بن عبد الله الخياط قال: خرج الدارمي مع السعاة، فصادف جماعة منهم قد نزلوا على الماء فسألهم فأعطوه دراهم، فأتى بها في ثوبه، وأحاط به أعرابيات فجعلن يسألنه وألححن عليه وهو يردهن؛ فعرفته صبية منهن فقالت: يا أخواتي، أتدرين من تسألن منذ اليوم؟ هذا الدارمي السأل. ثم أنشدت:

إذا كنت لابد مستطعماً فدع عنك من كان يستطعم

فولى الدارمي هارباً منهن وهن يتضاحكن به

الدارمي والأوقص القاضي

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال أخبرني أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا مصعب الزبيري قال: أتى الدارمي الأوقص القاضي بمكة في شيء فأبطأ عليه فيه، وحاكمه إليه خصم له في حق، فحبسه به حتى أداه إليه. فبينا الأوقص يوماً في المسجد الحرام يصلي ويدعو ويقول: يارب أعتق رقبتي من النار، إذ قال له الدارمي والناس

يسمعون: أولك رقبة تعتق لا والله ما جعل الله، وله الحمد، لك من عتق ولارقبة فقال له الأوقص: ويلك من أنت؟ قال: أنا الدارمي، حسبتني وقتلتني؛ قال: لا تقل ذلك وأتني فإني أعوضك فأتاه ففعل ذلك به.

نادرة له مع عبد الصمد بن علي

أخبرني الحرمي أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال:
مدح الدارمي عبد الصمد بن علي بقصيدة واستأذنه في الإنشاد فأذن له؛ فلما فرغ أدخل إليه رجل من الشراة؛ فقال لغلامه: أعط هذا مائة دينار واضرب عنق هذا؛ فوثب الدارمي فقال: بأبي أنت وأمي برك وعقوبتك جميعاً نقد فإن رأيت أن تبدأ بقتل هذا، فإذا فرغ منه أمرته فأعطاني فإني لن أريم من حضرتك حتى يفعل ذلك؛ قال: لوم ويلك؟ قال: أخشى أن يغلط فيما بيننا، والغلط في هذا لايستقال؛ فضحك وأجابه إلى ما سأل.

نادرة له في مرضه

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال: أصابت الدارمي قرحة في صدره، فدخل إليه بعض أصدقائه يعوده. فرآه قد نفث من فيه نفثاً أخضر، فقال له: أبشر، قد اخضرت القرحة وعوفيت؛ فقال: هيهات والله لو نفثت كل زمردة في الدنيا ما أفلت منها.

صوت من المائة المختارة

يا ربع سلمى لقد هيجت لي طربا	زدت الفؤاد على علاته وصبا
ربع تبدل ممن كان يسكنه	عفر الظباء وظلماناً به عصبا

الشعر لهلال بن الأشعر المازني، أخبرني بذلك وكيع عن حماد بن إسحاق عن أبيه. وهكذا هو في رواية عمرو بن أبي عمرو الشيباني. ومن لايعلم ينسبه إلى عمر ابن أبي ربيعة وإلى الحارث بن خالد ونصيب، وليس كذلك.
والغناء في اللحن المختار لعزور الكوفي، ومن الناس من يقول عزون بالنون وتشديد الزاي، وهو رجل من أهل الكوفة غير مشهور ولاكثير الصنعة، ولا أعلم أني سمعت له بخبرٍ ولاصنعةٍ غير هذا الصوت. ولحن هذا المختار ثقيل أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق، وهكذا في الاختيار الواثقي. وذكر عمرو بن بانة أن فيه لابن عائشة لحناً من الثقيل الأول بالبنصر. وفي أخبار الغريض عن حماد أن له فيه ثقيلاً أول. وقال الهشامي: فيه لعبد الله بن العباس لحن من الثقيل الثاني. وذكر حبش أن فيه لحسين بن محرز خفيف رملٍ بالبنصر.

أخبار هلال ونسبه

نسبه وهو شاعر أموي شجاع أكول

هو، فيما ذكر خالد بن كلثوم، هلال بن الأسعر بن خالد بن الأرقم بن قسيم بن ناشرة بن رزام بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم. شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وأظنه قد أدرك الدولة العابشية، وكان رجلاً شديداً عظيم الخلق أكولاً معدوداً من الأكلة. قال أبو عمرو: وكان هلال فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش أكثر الناس أكلاً وأعظمهم في حرب غناء". هذا لفظ أبو عمرو. وقال أبو عمرو: وعمر بن هلال بن أسعر عمراً طويلاً ومات بعد بلايا عظام مرت على رأسه. قال: زكان رجل من قومه من بني رزام بن مالك يقال له المغيرة بن قنبر يعوله ويفضل عليه ويحتمل ثقله وثقل عياله فهلك، فقال هلال يرثيه: كان المغيرة بن قنبر يعوله فلما مات رثاه:

ألا ليت المغيرة كان حياً	وأفنى قبله الناس الفناء
لبيك على المغيرة كل خيلٍ	إذا أفنى عرائكها اللقاء
ويبك على المغيرة كل كلٍ	فقير كان ينعشه العطاء
ويبك على المغيرة كل جيش	تمور لدى معاركه الدماء
فتى الفتيان فارس كل حربٍ	إذا شالت وقد رفع اللواء
لقد وارى جديد الأرض منه	خصالاً عقد عصمتها الوفاء
فصبراً للنوائب إن ألمت	إذا ماضاق بالحدث الفضاء
هزبر تنجلي الغمرات عنه	نقي العرض همته العلاء
إذا شهد الكريهة خاض منها	بحوراً لاتكدرها الدلاء
جسور لايروع عند روعٍ	ولايثني عزيمته أتقاء
حليم في مشاهده إذا ما	حبا الحلماء أطلقها المراء
حميد في عشيرته فقيد	يطيب عليه في الملأ الثناء
فإن تكن المنية أقصدته	وحم عليه بالتلف القضاء
فقد أودى به كرم وخير	وعود بالفضائل وابتداء
وجود لايضم إليه جوداً	مراهنه إذا جد الجراء

كان عادي الخلق صبوراً على الجوع:

وقال خالد بن كلثوم: كان هلال بن الأسعر، فيما ذكروا، مع الإبل فيأكل ماوجد عند أهله ثم يرجع إليها ولايتزود طعاماً ولاشراباً حتى يرجع يوم ورودها، لايذوق فيما بين ذلك طعاماً ولاشراباً، وكان عادي الخلق لاتوصف صفته.

حكايات عن قوته

قال خالد بن كلثوم فحدثنا عنه من أدركه: أنه كان يوماً في إبل له، وذلم عند الظهيرة قي يوم شديد وقع الشمس محتدم الهاجرة وقد عمد إلى عصاه فطرح عليها كساءه ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس، فبينا هو كذلك إذ مر به رجلان أحدهما من بني نهشل والآخر من بني فقيم، كانا أشد تميميين في ذلك الزمان بطشاً، يقال لأحدهما الهياج، وقد أقبلا من البحرين ومعهما أنواط من تمر هجر، وكان هلال بناحية الصعاب؛ فلما انتهيا إلى الإبل، ولايعرفان هلالاً بوجهه ولايعرفان أن الإبل له، ناديا: ياراعي، أعندك شراب تسقينا؟ وهما يظنانه عبداً لبعضهم؛ فناداهما هلال ورأسه تحت كسائه: عليكما الناقة التي صفتها كذا في موضع كذا فأنيخاها فإن عليها وطبين من لبنٍ، فاشربا منهما مابدا لكما. قال فقال له أحدهما: ويحك انهض ياغلام فأت بذلك اللبن فقال لهما: إن تك لكما حاجة فستأتيانها فتجدان الوطبين فتشربان؛ قال فقال أحدهما: إنك يابن اللخناء لغليظ الكلام، قم فاسقنا، ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال. وقال لهما، حيث قال له أحدهما: ""إنك يابن اللخناء لغليظ الكلام، قم فاسقنا، ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال. وقال لهما، حيث قال له أحدهما: "إنك يا ابن اللخناء لغليظ الكلام"، أراكما والله ستلقيان هواناً وصغاراً؛ وسمعا ذلك منه، فدنا أحدهما فأهوى له ضرباً بالسوط على عجزه وهو مضطجع، فتناول هلال يده فاجتذبه إليه ورماه تحت فخذه ثم ضغطه ضغطة"، فنادى صاحبه: ويحك أغثني قد قتلني فدنا صاحبه منه، فتناوله هلال أيضاً فاجتذبه فرمى به تحت فخذه الأخرى، ثم أخذ برقابهما فجعل يضك برؤوسهما بعضاً ببعض لايستطيعان أن يمتنعا منه؛ فقال أحدهما: كن هلالاً ولا نبالي ماصنعت؛ فقال لهما: أنا والله هلال، ولا والله لاتفلتان مني حتى تعطياني عهداً وميثاقاً لاتخيسان به: به: لتأتيان المربد إذا قدمتما البصرة، ثم لتناديان بأعلى أصواتكما بما كان مني ومنكما؛ فعاهداه وأعطياه نوطاً من التمر الذي معهما، وقدما البصرة فأتيا المربد فناديا بما كان منه ومنهما.

وحدث خالد عن كنيف بن عبد الله المازني قال: كنت يوماً مع هلال ونحن نبغي لإبلاً لنا، فدفعنا إلى قوم من بكر بن وائل وقد لغبنا وعطشنا، وإذا نحن بفتية شباب عند ركية لهم وقد وردت إبلهم، فلما رأوا هلالاً استهولوا خلقه وقامته، فقام رجلان منهم إليه فقال له أحدهما: ياعبد الله، هل لك في الصراع؟ فقال له هلال: أنا إلى غير ذلك أحوج؛ قال: وماهو؟ قال: إلى لبنٍ و ماءٍ فإنني لغب ظمآن؛ قال: ماأنت بذائق من ذلك شيئاً حتى تعطينا عهداً لتجنيبننا إلى الصراع أذا أرحت ورويت؛ فقال لهما هلال: إنني لكم ضيف، والضيف لايصارع " "آهله و" رب مترله، وأنتم مكتفون من ذلك بما أقول لكم: اعمدوا إلى أشد فحل في إبلكم وأهيبه صولة" وإلى أشد رجل منكم ذراعاً، فإن لم أقبض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم فلا يمتنع الرجل ولا البعير حتى أدخل يد الرجل في فم البعير، فإن لم أفعل ذلك فقد صرعتموني، وإن فعلته علمتم أن صراع أحدكم أيسر من ذلك. قال: فعجبوا من مقالته تلك، وأومئوا إلى فحل في إبلهم هائج صائلٍ قطمٍ؛ فأتاه هلال ومعه نفر من أولئك القوم وشيخ لهم، فأخذ بهامة الفحل مما فوق مشفره فضغطها ضغطة جرجر الفحل منها واستخذى ورغا، وقال:

ليعطني من أحببتم يده أولجها في فم هذا الفحل. قال فقال الشيخ: ياقوم تنكبوا هذا الشيطان، فوالله ماسمعت فلاناً - يعني الفحل - جرجر منذ بزل قبل اليوم، فلا تعرضوا لهذا الشيطان. وجعلوا يتبعونه وينظرون إلى خطوه ويعجبون من طول أعضائه حتى جازهم.

صارع في المدينة عبداً بأمر أميرها: قال وحدثنا من سمع هلالاً يقول

قدمت المدينة وعليها رجل من آل مروان، فلم أزل أضع عن إبلي وعليها أحمال للتجار حتى أخذ بيدي وقيل لي: أجب الأمير. قال: قلت لهم: ويلكم إبلي وأحمالي فقيل: لابأس على إبلك وأحمالك. قال: فانطلق بي حتى أدخلت على الأمير، فسلمت عليه ثم قلت: جعلت فداك إبلي وأمانتي. قال فقال: نحن ضامنون لإبلك وأمانتك حتى نؤديها إليك. قال فقلت عند ذلك: فمل حاجة الأمير إلي جعلني الله فداه؟ قال فقال لي - وإلى جنبه رجل أصفر، لا والله مارأيت رجلاً قط أشد خلقاً منه ولاأغلظ عنقاً، ماأدري أطوله أكثر أم عرضه -: إن هذا العبد الذي ترى لاوالله ماترك بالمدينة عربياً يصارع إلا صرعه، وبلغني عنك قوة، فأردت أن يجري الله صرع هذا العبد على يديك فتدرك ماعنده من أوتار العرب. قال فقلت: جعلني الله فداء الأمير، إني لغب نصب جائع، فإن رأى الأمير أن يدعني اليوم حتى أضع عن إبلي وأؤدي أمانتي وأريح يومي هذا وأجيئه غداً فليفعل. قال فقال لأعوانه: انطلقوا معه فأعينوه على الوضع عن إبله وأداء أمانته وانطلقوا به إلى المطبخ فأشبعوه؛ ففعلوا جميع ماأمرهم به.

قال: فظللت بقية يومي وبت ليلتي تل: بأحسن حالٍ شبعاً وراحة" وصلاح أمر، فلما كان من الغد غدوت عليه وعلي جبة لي صوف وبت وليس علي إزار إلا أني قد شددت بعمامتي وسطي، فلما كان من الغد غدوت عليه وعلي جبة لي صوف وبت وليس علي إزار إلا أني قد شددت بعمامتي وسطي، فسلمت عليه فرد علي السلام، وقال للأصفر: قم إليه، فقد أرى أنه أتاك الله بما يخزيك؛ فقال العبد: اتزر بأعرابي؛ فأخذت بتي فاتزرت به على جبتي؛ فقال: هيهات -هذا لايثبت، إذا قبضت عليه جاء في يدي؛ قال فقلت: والله مالي من إزار؛ قال: فدعا الأمير بملحفة مارأيت قبلها ولاعلا جلدي مثلها، فشددت بها على حقوي وخلعت الجبة؛ قال: وجعل العبد يدور حولي ويريد ختلي وأنا منه وجل ولاأدري كيف أصنع به، ثم دنا مني دنوة فنقد جبهتي نقدة"حتى" ظننت أنه قد شجني وأوجعني، فغاظني ذلك، فجعلت أنظر في خلقه بم أقبض منه، فما وجدت في خلقه شيئاً أصغر من رأسه، فوضعت إبهامي في صدغيه وأصابعي الأخر في أصل أذنيه، ثم غمزته غمزة صاح منها: قتلتني: قتلتني: فقال الأمير: اغمس رأس العبد في التراب؛ قال فقلته: ذلك لك علي؛ قال: فغمست والله رأسه في التراب ووقع شبيهاً بالمغشي عليه، فضحك الأمير حتى استلقى وأمر لي بجائزةٍ وكسوةٍ وانصرفت.

قتل رجلاً من بني جلان استجار بمعاذ فقبض عليه للثأر منه، ثم فر إلى اليمين وشعره في ذلك: قال أبو الفرج: ولهلالٍ أحاديث كثيرة من أعاجيب شدته. وقد ذكره حاجب بن ذبيان فقال لقوم من بني ربابٍ من بني حنيفة في سيء كان بينهم فيه أربع ضربات بالسيف، فقال حاجب:

وقائلةٍ وباكية بشجوٍ لبئس سيف بني رباب

ولو لاقى هلال بني رزام لعجله إلى يوم الحساب

وكان هلال بن الأسعر هضربه رجل من بني عترة ثم من بني جلان يقال له عبيد بن جري في شيء كان بينهما، فشجه وخمشه خماشة"، فأتى هلال بن جلان فقال: إن صاحبكم قد فعل بي ماترون فخذوا لي بحقي، فأوعدوه وزجروه؛ فخرج من عندهم وهو يقول: عسى أن يكون لهذا جزاء حتى أتى بلاد قومه؛ فمضى لذلك هلالاً وما كان بينه وبينه فتخوفه؛ فسأل عن أعز أهل الماء، فقيل له: معاذ بن جعدة بن ثابت بن زرارة بن ربيعة بن سيار بن رزام بن مازن؛ فأتاه فوجده غائباً عن الماء، فعقد عبيد بن جري طرف ثيابه إلى جانب طنب بيت معاذ- وكانت العرب إذا فعلت ذلك وجب على المعقود بطنب بيته للمستجير به أن يجيره وأن يطلب له بظلامته - وكان يوم فعل ذلك غائباً عن الماء، فقيل: رجل استجار بآل معاذ بن جعدة. ثم خرج عبيد بن جري ليستقي، فوافق قدوم هلال بإبله يوم وروده، وكان إنما يقدمها في الأيام، فلما نظر هلال إلى ابن جري ذكر ما كان بينه وبينه، و لم يعلم باستجارته بمعاذ بن جعدة، فطلب شيئاً يضربه به فلم يجده، فانتزع المحور من السانية فعلاه به ضربة" على رأسه فصرع وقيذاً، وقيل: قتل هلال بن الأسعر جار معذ بن جعدة فلما سمع ذلك هلال تخوف بني جعدة فصرع وقيذاً، وقيل: قتل هلال بن الأسعر جار معاذ بن حعدة فلما سمع ذلك هلال تخوف بني جعدة الرزاميين، وهم بنو عمهظن فأتى راحلته ليركبها. قال هلال: فأتتني خولة بنت يزيد بن ثابت أخي بني جعدة بن ثابت، وهي جدة أبي السفاح زهيد بن عبد الله بن مالك أم أبيه، فتعلقت بثوب هلال، ثم قالت: أي عدو الله قتلت جارنا والله لاتفارقني حتى يأتيك رجالنا قال هلال: والمحور في يدي لم أضعه؛ قال: فهممت أن أعلو به رأس خولة، ثم قلت في نفسي: عجوز لها سن وقرابة قال: فضربتها برجلي ضربة" رميت بها من بعيد، ثم أتيت ناقتي فأركبها ثم أضربها هارباً. وجاء معاذ بن جعدة وإخوته - وهم يومئذ تسعة إخوة -وعبد الله بن مالك زوج لبنت معاذ"و" يقال لها جبيلة، وهو مع ذلك ابن عمتهم خولة بنت يزيد بن ثابت، فهو معهم كأنه معضهم؛ فجاؤوا من آخر النهار فسمعوا الواعية على الجلاني وهو دنف لم يمت، فسألوا عن تلك الواعية فأخبروا بما كان من استجارة الجلاني بمعاذ بن جعدة وضرب هلال له من بعد ذلك؛ فركب الأخوة التسعة وعبد الله بن مالك عاشرهم، وكانوا أمثال الجبال في شدة خلقهم مع نجدهم، وركبوا معهم بعشرة غلمةٍ لهم أشد منهم خلقاً لايقع لأحد منهم سهم في غير موضع يريده من رميته، حتى تبعوا هلالاً؛ وقد نسل هلال من الهرب يومه ذلك كله وليلته، فلما أصبح أمنهم وظن أن قد أبعد في الأرض ونجا منهم؛ وتبعوه، فلما أصبحوا من تلك الليلة قصوا أثرهظن وكان لايخفى أثره على أحد لعظم قدمه، فلحقوه من بعد الغد، فلما أدركوه وهو عشرون ومعهم النبل والقسي والسيوف والترسة، ناداهم: يابني جعدة، إني أنشدكم الله أن أكون قتلت رجلاً غريباً طلبته بترةٍ تقتلوني وأنا ابن عمكم وظن أن الجلاني قد مات، ولك يكن مات إلى أن تبعوه وأخذوه؛ فقال معاذ: والله لو أيقنا أنه قد مات ماناظرنا بك القتل من ساعتنا ولكنا تركناه و لم يمت، ولسنا نحب قتلك إلا أن تمتنع منا،

ولانقدم عليك حتى نعلم مايصنع جارنا؛ فقاتلهم وامتنع منهم، فجعل معاذ يقول لأصحابه وغلمانه: لاترموه بالنبل ولاتضربوه بالسيوف، ولكن ارموه بالحجارة واضربوه بالعصي حتى تأخذوه؛ ففعلوا ذلك، فما قدروا على أخذه حتى كسروا من إحدى يديه ثلاث أصابع ومن الأخرى إصبعين، ودقوا ضلعين من أضلاعه وأكثروا الشجاج في رأسه، ثم أخذوه وما كادوا يقدرون على أخذه، فوضعوا في رجله أدهم، ثم جاءوا به وهومعروض على بعير حتى انتهوا به إلى الوقبى فدفعوه إلى الجلاني ولم يمت بعد، فقالوا: انطلقوا به معكم إلى بلادكم ولاتحدثوا في أمره شيئاً حتى تنظروا مايصنع بصاحبكم، فإن مات فاقتلوه وإن حيي فأعلمونا حتى نحمل لكم أرش الجناية. فقال الجلانيون: وفت ذمتكم يابني جعدة، وجزاكم الله أفضل مايجزي به خيار الجيران، إنا نتخوف أن ينزعه منا قومكم إن خليتم عنا وعنهم وهو في أيدينا؛ فقال اهم معاذ: فإني أحمله معكم وأشيعكم حتى تردوا بلادكم، ففعلوا ذلك، فحمل معروضاً على بعير وركبت أخته جماء بنت الأسعر معه، وجعل يقول: قتلتني بنو جعدة وتأتيه أخته بمغرة فيشربها فيقال: يمشي بالدم، لأن بين جعدة فرثوا كبده

في جوفه. فلما بلغوا أدنى لبلاد بكر بن وائل قال الجلانيون لمعاذ وأصحابه: أدام الله عزكم، وقد وفيتم فانصرفوا. وجعل هلال يريهم أنه يمشي في الليلة عشرين مرة. فلما ثقل الجلاني وتخوف هلال أن يموت من ليلته أو يصبح ميتاً، تبرز هلال كما كان يصنع وفي رجله الأدهم كأنه يقضي حاجة، ووضع كساءه على عصاه في ليلة ظلماء، ثم اعتمد على الأدهم فحطمه، ثم طار تحت ليلته على رجليه، وكان أدل الناس فتنكب الطريق التي تعرف ويطلب فيها وجعل يسلك المسالك التي لا يطمع فيها. حتى انتهى إلى رجل من بني أثاثه بن مازن يقال له السعر بن يزيد ين طلق بن جبيلة بن أثاثة بن مازن، فحمله السعر على ناقه له يقال لها ملوة، فركبها ثم تجنب بها الطريق فأخذ نحوبلاد قيس بن عيلان، تخوفاً من بني مازن أن يتبعوه أيضاً فيأخذوه، فسار ثلاث ليال وأيامها حتى نزل اليوم الرابع، فنحر الناقة فأكل لحمها كله إلا فضلة فضلت منها فاحتملها، ثم أتى بلاد اليمن فوقع بها، فلبث زماناً وذلك عند مقام الحجاج بالعراق، فبلغ إفلاته من بالبصرة من بكر بن وائل، فانطلقوا إلى الحجاج فاستعدوه وأخبروه بقتله صاحبهم؛ فبعث الحجاج إلى عبد الله بن شعبة بن العلقم، وهو يومئذ عريف بني مازن حاضرتهم وباديتهم، فقال له: لتأتيني بهلال أو لأفعلن بك ولأفعلن؛ فقال له عبد الله بن شعبة: إن أصحاب هلال وبني عمه قد صنعوا كذا وكذا: فاقتص عليه ماصنعوا في طلبه وأخذه ودفعه إلى الجلانيين وتشييعهم إياه حتى وردزا بلاد بكر بن وائل؛ فقال له الحجاج: ويلك ماتقول؟ قال فقال بعض البكريين: صدق، أصلح الله الأمير؛ قال فقال الحجاج: فلا يرغم الله أنوفكم، اشهدوا أني قد آمنت كل قريب لهلال وحميم وعريف ومنعت من أخذ أحدٍ به ومن طلبه حتى يظفر به البكريون أو يموت قبل ذلك. فلما وقع هلال إلى بلاد اليمن بعث إلى بني رزام بن مازن بشعر يعاتبهم فيه ويعظم عليهم حقه ويذكر قرابته، وذلك أن سائر بني مازن قاموا ليحملوا ذلك الدم، فقال معاذ: لا أرضى والله أن يحمل لجاري دم واحد حتى يحمل له دم ولجواري دم آخر، وإن أراج هلال الأمان وسطنا حمل له دم ثالث؛ فقال هلال في ذلك:

بني مازن لاتطردوني فإنني أخوكم وإن جزت جرائرها يدي
ولاتثلجوا أكباد بكر بن وائل يترك أخيكم كالخليع المطرد
ولاتجعلوا حفظي بظهر وتحفظا بعيداً ببغضاء يروح ويغتدي
فإن القريب حيث كان قريبكم وكيف بقطع الكف من سائر اليد
وإن البعيد إن دنا فهو جاركم وإن شط عنكم فهو أبعد أبعد
وإني وإن أوجدتموني لحافظ لكم حفظ راض عنكم غير موجد
سيحمي حماكم بي وإن كنت غائباً أغر إذا ماريع لم يتبلد
وتعلم بكر أنكم حيث كنتم وكنت من الأرض الغريبة محتدي
وأني ثقيل حيث كنت على العدا وأني وإن اوحدت لست بأوحد
وأنهم لما أرادوا هضيمتي منوا بجميع القلب عضب مهند
حسام متى يعزم على الأمر يأته ولم يتوقف للعواقب في غد
وهم بدءوا بالبغي حتى إذا جزوا بأفعالهم قالوا لجازيهم قد
فلم يك منهم في البديهة منصف ولم يك فيهم في العواقب مهتدي
ولم يفعلوا فعل الحليم فيجملوا ولم يفعلوا فعل العزيز المؤيد
فإن يسر لي إيعاد بكرٍ فربما منعت الكرى بالغيظ من متوعد
ورب حمى قوم أبحت ومورد وردت بفتيان الصباح ومورد
وسجف دجوجي من الليل حالكٍ رفعت بعجلي الرجل موارة اليد
سفينة خواضٍ بحور همومه فيلي التياث العزم عند التردد
جسور على الأمر المهيب إذا ونى أخو الفتك ركابٍ قرى المتهدد

وقال وهو بأرض اليمن:

أقول وقد جاوزت نعمي وناقتي تحن إلى جنبي فليج مع الفجر
سقى الله ياناق البلاد التي بها هواك، وإن عنا نأت، سبل القطر
فما عن قلى منا لها خفت النوى بنا على مراعيها وكثبانها
ولكن صرف الدهر فرق بيننا وبين الأداني، والفتى غرض الدهر

فسقياً لصحراء الأهالة مربعاً وللوقبى من منزل دمث مثري

وسقياً ورعياً حيث حلت لمازنٍ وأيامها الغر المحجلة الزهر

قال خالد بن كلثوم: ولما دفع هلال إلى أولياء الجلاني ليقتلوه بصاحبهم جاء رجل يقال له: حفيد كان هلال قد وتره فقال: والله لأونبنه ولأصغرن إليه نفسي وهو في القيود مصبور للقتل، فأتاه فلم يدع له شيئاً مما يكره إلا عدة عليه. قال: وإلى جنب هلالٍ حجر يملأ الكف، فأخذه هلال به للرجل فأصاب جبينه فاجتلف جلفة من وجهه ورأسه، ثم رمى بها وقال: خذ القصاص مني الآن، وأنشأ يقول:

أنا ضربت كرباً وزيداً وثابتاً مشيتهم رويدا

كما أفدت حينه عبيدا وقد ضربت بعده حفيدا

قال: وهؤلاء كلهم من بني رزام بن مازن، وكلهم كان هلال قد نكأ فيهم

أدى عنه ديسم الدية لبني جلان فمدحه

قال خالد بن كلثوم: ولما طال مقام هلال باليمن نهضت بنو مازنٍ بأجمعهم إلى بني رزام بن مازن رهط هلال ورهط معاذ بن كعدة جار الجلاني المقتول، فقالوا: إنكم قد أسأتم بابن عمكم وجزتم الحد في الطلب بدم جاركم، فنحن نحمل لكم ماأردتم، فحمل ديسم بن المنهال بن خزيمة بن شهاب بن أثاثة بن ضباب بن حجية بن كابية بن حرقوص بن مازن الذي طلب معاذ بن جعدة أن يحمل لجاره، لفضل عزه وموضعه في عشيرته، وكان الذي طلب ثلثمائة بعيرٍ؛ فقال هلال في ذلك:

ان ابن كابية المرزأ ديسماً واری الزناد بعيد ضوء النار

من كان يحمل ماتحمل ديسم من حائل فنق وأم حوار

عيت بنو عمرو بحمل هنائد فيها العشار ملابيء الأبكار

حتى تلافاها كريم سابق بالخير حل منازل الأخيار

حتى إذا وردت جميعاً أرزمت جلان بعد تشمس ونفار

ترعى بصحراء الإهالة روبة والعنظوان منابت الجرجار

أعان قمير بن سعد علي بكر بن وائل وقال في ذلك شعراً: وقال خالد بن كلثوم: كان قمير بن سعد مصدقاً على بكر بن وائل، فوجد منهم رجلاً قد سرق صدقته، فأخذه قمير ليحبسه، فوثب قومه وأرادوا أن يحولوا بين

قميرٍ وبينه وهلال حاضر، فلما رأى ذلك هلال وثب على البكريين فجعل يأخذ الرجلين منهم فيكنفهما ويناطح بين رؤوسهما، فانتهى إلى قمير أعوانه فقهروا البكريين؛ فقال هلال في ذلك:

دعاني قمير دعوة فأجبته | فأي امرىءٍ في الحرب حين دعاني
معي مخذم قد أخلص القين حده | يخفض عند الروع روع جناني
ومازلت مذ شدت يميني حجزتي | أحارب أو في ظل حربٍ تراني

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا حكيم بن سعد عن زفر بن هبيرة قال:

حبسه بلال بن أبي بردة وأفتكه فيسم

تقاوم هلال بن أسعر المازني، وهو أحد بني رزام بن مازن، ونهيس الجلاني من عنزة وهما يسقيان إبلهما، فخذف هلال نهيساً بمحور في يده فأصابه فمات، فاستعدى ولده بلال بن أبي بردة على هلالٍ فحبسه فأسلمه قومه بنو رزام وعمل في أمره ديسم بن المنهال أحد بين كابية بن حرقوص فافتكه بثلاث ديات، فقال هلال يمدحه:

تدارك ديسم حسباً ومجداً | رزاماً بعدما انشقت عصاها
همو حملوا المئين فألحقوها | بأهليها فكان لهم سناها
وماكانت لتحملها رزام | بأستاه معقصة لحاسها
بكابية بن حرقوص وجد | كريم لافتى إلا فتاها

الحديث عن هلال في نهمه وكثرة أكله

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدثني نصر بن علي الجهضمي قال حدثنا الأصمعي، وأخبرني أبو عبيد محمد بن أحمد بن المؤمل الصيرفي قال حدثنا فضل بن الحسن قال حدثنا نصر بن علي عن الأصمعي قال حدثنا المعتمر بن سليمان قال: قلت لهلال بن أسعر: مأكلة أكلتها بلغتني عنك؟ قال: جعت مرة ومعي بعيري فنحرته وأكلته إلا ماحملت منه على ظهري، قال أبو عبيد في حديثه عن فضل: ثم أردت امرأتي فم أقدر على جماعها؛ فقالت لي: ويحك كيف تصل إلي وبيني وبينك بعير قال المعتمر: فقلت له: كم تكفيك هذه الأكلة؟ قال: أربعة أيام. وحدجثني به أبن عمار قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن معاوية عن الأصمعي عن معتمر بن سليمان عن أبيه قال: قلت لهلال بن الأسعر - هكذا قال ابن أبي سعد: معتمر عن أبيه وقال في خبره: فقلت له؛ كم تكفيك هذه الأكلة؟ فقال: خمساً أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدثنا نصر بن علي قال حدثني

الأصمعي قال حدثني شيخ من بني مازن قال: أتانا هلال بن أسعر المازني فأكل جميع مابيتنا، فبعثنا إلى الجيران نقترض الخبز فلما رأى الخبز قد اختلف عليه قال: كأنكم أرسلتم إلى الجيران، أعندكم سويق؟ قلنا: نعم، فجئته بجراب طويل فيه سويق وبرنية نبيذٍ، فصب السويق كله وصب عليه النبيذ حتى أتى على السويق والنبيذ كله.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني: أن هلال بن أسعر مر على رجل ممن بني مازن بالبصرة وقد حمل من بستانه رطباً في زواريق، فجلس على زورق صغير منها وقد كثب الرطب فيه وغطي بالبواري؛ قال له: يابن عم آكل من رطبك هذا؟ قال: نعم؛ قال: مايكفيني؟ قال: مايكفيك؛ فجلس على صدر الزورق وجعل يأكل إلى أن اكتفى، ثم قام فانصرف، فكشف الزورق فإذا هو مملوء نوى قد أكل رطبه وألقى النوى فيه.

قال المدائني وحدثني من سأله عن أعجب شيء أكله، فقال: مائتي رغيف مع مكوك ملح.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني الحسن ين علي بن منصور الأهوازي، وكان كهلاً سرياً معدلاً، قال حدثني شبان النيلي عن صدقة بن عبيد المازني قال: أولم علي أبي لما تزوجت فعملنا عشر جفان ثريداً من جزور. فكان أول من جاءنا هلال بن أسعر المازني، فقدمنا إليه جفنة فأكلها ثم أخرى ثم أخرى حتى أتى على العشر، ثم استسقى فأتي بقربةٍ من نبيذ فوضع طرفها في شدقه ففرغها في جوفه، ثم قام فخرج؛ فاستأنفنا عمل الطعام.

حدث أبو عمرو بن العلاء أنه لم ير أطول منه

أخبرني الجوهري قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق قال حدثنا نصر بن علي عن الأصمعي قال: حدثني أبو عمرو بن العلاء قال: رأيت هلال بن أسعر ميتاً و لم أره حياً، فما رأيت أحداً على سرير أطول منه.

غنى مخارق الرشيد فأعتقه

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد قال حدثني بعض حاشية السلطان قال: غنى إبراهيم الموصلي الرشيد يوماً:

ياريع سلمى لقد هيجت لي طربا　　　زدت الفؤاد على علاته وصبا

-قال: والصنعة فيه لرجل من أهل الكوفة يقال له عزون -فأعجب به الرشيد وطرب له واستعاده مراراً؛ فقال له الموصلي: يا أمير المؤمنين فكيف لو سمعته من عبدك مخارق، فإن أخذه عني وهو يفضل فيه الخلق جميعاً ويفضلني، فأمر بإحضار مخارقٍ، فأحضر فقال له غنني:

ياريع سلمى لقد هيجت لي طربا　　　زدت الفؤاد على علاته وصبا

فغناه إياه؛ فبكى وقال: سل حاجتك قال مخارق: فقلت: تعتقني ياأمير المؤمنينمن الرق وتشرفني بولائك، أعتقك الله من النار، قال: أنت حر لوجه الله، أعد الصوت؛ قال: فأعدته، فبكى وقال: سل حاجتك، فقلت: يأمر لي أمير المؤمنين بمترل وفرشه ومايصلحه وخادم فيه؛ قال: ذلك لك، أعده؛ فأعدته فبكى وقال: سل حاجتك؛ قلت: حاجتي ياأمير المؤمنين أن يطيل الله بقاءك ويديم عزك زيجعلني من كل سوء فداءك؛ قال: فكان إبراهيم الموصلي سبب عتقه هذا الصوت أخبرني هذا الخبر محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن مخارق، وحدثني به الصولي أيضاً عن وكيع عن هارون بن مخارق قال: كان أبي إذا غنى هذا الصوت:

ياربع سلمى لقد هيجت لي طربا ... زدت الفؤاد على علاته وصبا

يقول: أنا مولى هذا الصوت؛ فقلت له يوماً: ياأبت، وكيف ذلك؟ فقال: غنيته مولاي الرشيد فبكى وقال: أحسنت، أعد فأعدت؛ فبكى وقال: أحسنت! أنت حر لوجه الله وأمر لي بخمسة آلاف دينار، فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي، وذكر قريباً مما ذكره المبرد من باقي الخبر.

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي الدنيا قال حدثني إسحاق النجعي عن حسين بن الضحاك عن مخارق: أن الرشيد أقبل يوماً على المغنين وهو مضطجع، فقال: من منكم يغني:

ياربع سلمى لقد هيجت لي طرباً ... زدت الفؤاد على علاته وصبا

قال: فقمت فقلت: أنا، فقال: هاته؛ فغنيته فطرب وشرب، ثم قال: علي هرثمة، فقلت في نفسي: ماتراه يريد منه! فجاءوا هرثمة فأدخل إليه وهو يجر سيفه، فقال: ياهرثمة، مخارق الشاري الذي قتلناه بناحية الموصل ما كانت كنيته؟ فقال: أبو المهنا؛ فقال: انصرف فانصرف؛ ثم أقبل علي فقال: قد كنيتك أبا المهنا لإحسانك، وأمر لي بمائة ألف درهم، فانصرفت بها وبالكنية.

صوت من المائة المختارة

من رواية جحظة عن أصحابه

وخل كنت عين الرشد منه ... إذا نظرت ومستمعاً سميعا

أطاف بغيه فعدلت عنه ... وقلت له أرى أمراً فظيعاً

الشعر لعروة بن الورد، والغناء في اللحن المختار لسياط ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانة. وفيه لإبراهيم ماخوري بالوسطى عن عمرو أيضاً.

أخبار عروة بن الورد ونسبه

نسبه، شاعر جاهلي فارس جواد مشهور

عروة بن الورد بن زيد، وقيل: ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هريم بن لديم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد ين قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجواد.

كان يلقب بعروة الصعاليك وسبب ذلك

وكان يلقب عروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ولم يكن لهم معاش ولا مغزى، وقيل: بل لقب عروة الصعاليك لقوله:

لحى الله صعلوكاً إذا جن ليله ... مصافي المشاش آلفاً كل مجزر
يعد الغنى من دهره كل ليلة ... أصاب قراها من صديق ميسر
ولله صعلوك صفيحة وجهه ... كضوء شهاب القابس المتنور

شرف نسبه وتمنى الخلفاء أن يصاهروه

أو ينتسبوا إليه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال بلغني أن معاوية قال:

لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوج إليهم.

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي، وحدثنا إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قلا جميعاً: قال عبد الملك بن مروان: ما يسرني أن أحداً من العرب ولدني ممن لم يلدني إلا عروة بن الورد لقوله:

إني امرؤ عافي إنائي شركة ... وأنت امرؤ عافي إنائك واحد
أتهزأ مني أن سمنت وأن ترى ... بجسمي مس الحق والحق جاهد
أفرق جسمي في جسوم كثيرة ... وأحسوا قراح الماء والماء بارد

قال الحطيئة لعمر بن الخطاب

كنا نأتم في الحرب بشعره:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة قال: بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للحطيئة: كيف كنتم في حربكم؟ قال: كيف كنتم في حربكم؟ قال: كنا ألف حازم، قال: وكيف؟ قال: كان فينا قيس

بن زهير وكان حازماً وكنا لا نعصيه، وكنا نقدم إقدام عنترة، ونأتم بشعر عروة بن الورد، وننقاد لأمر الربيع بن زياد.

قال عبد الملك إنه أجود من حاتم

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال ويقال: إن عبد الملك قال: من زعم أن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد.

منع عبد الله بن جعفر معلم ولده من أن يرويهم قصيدة له يحث فيها على الاغتراب: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرنا إبراهيم بن المنذر قال حدثنا معن بن عيسى قال: سمعت أن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال لمعلم ولده: لا تروهم قصيدة عروة بن الورد التي يقول فيها:

دعيني للغنى أسعى فإني ... رأيت الناس شرهم الفقير

ويقول: إن هذا يدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم

خبر عروة مع سلمى

سببته وفداء أهلها بها:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبد العزيز بن عمران الزهري عن عامر بن جابر قال: أغار عروة بن الورد على مزينة فأصاب منهم امرأة" من كنانة ناكحاً، فاستاقها ورجع وهو يقول:

تبغ عدياً حيث حلت ديارها ... وأبناء عوف في القرون الأوائل

فإلا أنل أوساً فإني حسبها ... بمنبطح الأدغال من ذي السلائل

ثم أقبل سائراً حتى نزل ببني النضير، فلما رأوها أعجبتهم فسقوه الخمر، ثم استوهبوها منه قوهبها لهم، وكان لا يمس النساء، فلما أصبح وصحا ندم فقال:

سقوني الخمر ثم تكنفوني

الأبيات: قال: وجلاها النبي صلى الله عليه وسلم مع من جلا من بني النصير

وذكر أبو عمرو الشيباني من خبر عروة بن الورد وسلمى هذه أنه أصاب امرأة" من بني كنانة بكراً يقال لها أنها أرغب الناس فيه، وهب تقول له: لو حججت بي فأمر على أهلي وأراهم! فحج بها، فأتى مكة ثم أتى المدينة، وكان يخالط من أهل يثرب بني النضير فيقرضونه إن احتاج ويبايعهم إذا غنم، وكان قومها يخالطون بني النضير، فأتوهم وهو عندهم؛ فقالت لهم سلمى: إنه خارج بي قبل أن يخرج الشهر الحرام، فتعالوا إليه وأخبروه أنكم

تستحيون أن نكون امرأة منكم معروفة النسب صحيحته سبية"، وافتدوني منه فإنه لا يرى أني أفارقه ولا أختار عليه أحداً، فأتوه فسقوه الشراب، فلما ثمل قالوا له: فادنا بصاحبتنا فإنها وسيطة النسب فينا معروفة، وإن علينا سبة" أن تكون سبية، فإذا صارت إلينا وأردت معاودتها فاخطبها إلينا فإننا ننكحك؛ فقال لهم: ذاك لكم، ولكن لي الشرط فيها أن تخيروها، فإن اختارتني انطلقت معي إلى ولدها وإن اختارتكم انطلقتم بها؛ قالوا: ذاك لك؛ قال: دعوني أله بها الليلة وأفادها غداً، فلما كان الغد جاءوه فامتنع من فدائها؛ فقالوا له: قد فاديتنا بها منذ البارحة، وشهد عليه بذلك جماعة ممن حضر، فلم يقدر على الامتناع وفاداها، فلما فادوه بها خيروها فاختارت أهلها، ثم أقبلت عليه فقالت: ياعروة أما إني أقول فيك وإن فارقتك الحق: والله ماأعلم امرأة من العرب ألقت سترها على بعل خيرٍ منك وأغض طرفاً وأقل فحشاً وأجود يداً وأحمى لحقيقة؛ وما مر علي يوم منذ كنت عندك إلا والموت فيه أحب إلي من الحياة بين قومك، لأني لم أكن أشاء أن أسمع امرأة من قومك تقول: قالت أمة عروة كذا وكذا إلا سمعته؛ ووالله لا أنظر في وجه غطفانية أبداً، فارجع راشداً إلى ولدك وأحسن إليهم. فقال عروة في ذلك:

سقوني الخمر ثم كنفوني

وأولها:

أرقت وصحبتي بمضيق عميق	لبرق من تهامة مستطير
سقى سلمى وأين ديار سلمى	إذا كانت مجاورة السرير
إذا حلت بأرض بني علي	وأهلي بين إمرة وكير
ذكرت منازلاً من أم وهب	محل الحي أسفل من نقير
وأحدث معهد من أم وهب	معرسنا بدار نبي بني النضير
وقالوا ما تشاء فقلت ألهو	إلى الأصباح آثر ذي أثير
بآنسة الحديث رضاب فيها	بعيد النوم كالعنب العصير

وأخبرني علي بن سليمان الأخفش عن ثعلب عن ابن الأعرابي بهذه الحكاية كما ذكر أبو عمرو، وقال فيها: إن قومها أغلوا بها الفداء، وكان معه طلق وجبار أخوه وابن عمه، فقالا له: والله لئن قبلت ما أعطوك لا تفتقر أبداً، وأنت على النساء قادر متى شئت، وكان قد سكر فأجاب إلى فدائها، فلما صحا ندم فشهدوا عليه بالفداء فلم يقدر على الامتناع. وجاءت سلمى تثني عليه فقالت: والله إنك ما علمت لضحوك مقبلاً كسوب مدبراً خفيف على متن الفرس ثقيل على العدو طويل العماد كثير الرماد راضي الأهل والجانب، فاستوص ببنيك خيراً، ثم فارقته. فتزوجها رجل من بني عمها، فقال لها يوماً من الأيام: يا سلمى، أثني علي كما أثنيت على عروة -وقد كان قولها فيه شهر-فقالت له: لا تكلفني ذلك فإني إن قلت الحق غضبت ولا واللات والعزى لا أكذب؛ فقال:

عزمت عليك لتأتيني في مجلس قومي فلتثنين علي بما تعلمين، وخرج فجلس في ندي القوم، وأقبلت فرماها القوم والله إن شملتك لإلتحاف، وإن شربك لاستفاف، وإنك لتنام ليلة تخاف، وتشبع ليلة تضاف، وما ترضي الأهل ولا الجانب، ثم انصرفت. فلامه قومه وقالوا: ما كان أغناك عن هذا القول منها.

كان يجمع الصعاليك ويكرمهم ويغير بهم

أخبرني الأخفش عن ثعلب عن ابن الأعرابي قال حدثني أبو فقعس قال:

كان عروة بن الورد إذا أصابت الناس سني شديدة تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف، وكان عروة بن الورد يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدة ثم يحفر لهم الأسراب ويكنف عليهم الكنف ويكسبهم، ومن قوي منهم-إما مريض يبرأ من مرضه، أو ضعيف تثوب قوته-خرج به معه فأغار، وجعل لأصحابه الباقين في ذلك نصيباً، حتى إذا أخصب الناس وألبنوا وذهبت السنة ألحق كل إنسان بأهله وقسم له نصيبه من غنيمةٍ إن كانوا غنموها، فربما أتى الإنسان منهم أهله وقد استغنى، فلذلك سمي عروة الصعاليك، فقال في ذلك بعض السنين وقد ضاقت حاله:

لعل ارتيادي في البلاد وبغيتي وشدي حيازيم المطية بالرحل

سيدفعني يوماً إلى رب هجمةٍ يدافع عنها بالعقوق وبالبخل

أغار مع جماعة من قومه على رجل

فأخذ إبله وامرأته ثم اختلف معهم فهجاهم:

فزعموا أن الله عز وجل قيض له وهو مع قوم من هلاك عشيرته في شتاءٍ شديد ناقتين دهماوين، فنحر لهم إحداهما وحمل متاعهم وضعفاءهم على الأخرى، وجعل ينتقل بهم من مكان إلى مكان، وكان بين النقرة والربذة فترل بهم مابينهما بموضع يقال له: ماوان. ثم إن الله عز وج قيض له رجلاً صاحب مائةٍ من الإبل قد فر بها من حقوق قومه- وذلك أول ما ألبن الناس-فقتله وأخذ إبله وامرأته، وكانت من أحسن النساء، فأتى بالإبل أصحاب الكنيف فحلبها لهم وحملهم عليها، حتى إذا دنوا من عشيرتهم أقبل يقسمها بينهم وأخذ مثل نصيب أحدهم، فقالوا: لا واللات والعزى لا نرضى حتى نجعل المرأة نصيباً فمن شاء أخذها، فجعل يهم بأن يحمل عليهم فيقتلهم وينتزع الإبل منهم، ثم يذكر أنهم صنيعته وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان يصنع، فأفكر طويلاً ثم أجابهم إلى أن يرد عليهم الإبل إلا راحلة يحمل عليها المرأة حتى يلحق بأهله، فأبوا ذلك عليه، حتى انتدب رجل منهم فجعل له راحلة من نصيبه؛ فقال عروة في ذلك قصيدته التي أولها:

ألا إن أصحاب الكنيف وجدتهم كما الناس لما أمرعوا وتمولوا

وإني لمدفوع إلي ولاؤهم بماوان إذ نمشي وإذ نتململ

وإني وإياهم كذي الأم أرهنت له ماء عينيها تفدي وتحمل

فباتت بحد المرفقين كليهما توحوح مما نالها وتولول

تخير من أمرين ليسا بغبطة هو الثكل إلا أنها قد تجمل

سبي ليلى بنت شعواء ثم اختارت أهلها فقال شعراً: وقال ابن الأعرابي في هذه الرواية أيضاً: كان عروة قد سبى امرأة من بني هلال بن عامر بن صعصعة يقال لها: ليلى بنت شعواء، فمكثت عنده زماناً وهي معجبة له تريه أنها تحبه، ثم استزارته أهلها فحملها حتى أتاهم بها، فلما أراد الرجوع أبت أن ترجع معه، وتوعده قومها بالقتل فانصرف عنهم، وأقبل عليها فقال لها: يا ليلى، خبري صواحبك عني كيف أنا؛ فقالت: ما أرى لك عقلاً! أتراني قد اخترت عليك وتقول: خبري عني! فقال في ذلك:

تحن إلى ليلى بجو بلادها وأنت عليها بالملا كنت أقدر

وكيف ترجيها وقد حيل دونها وقد جاوزت حياً بتيماء منكرا

لعلك يوماً أن تسري ندامة" علي بما جشمتني يوم غضورا

وهي طويلة. قال: ثم إن بني عامر أخذوا امرأة من بني عبس ثم من بني سكين يقال لها أسماء، فما لبثت عندهم إلا يوماً حتى استنقذها قومها؛ فبلغ عروة أن عامر بن الطفيل فخر بذلك وذكر أخذه إياها، فقال عروة يعيرهم بأخذه ليلى بنت شعواء الهلالية:

إن تأخذوا أسماء موقف ساعةٍ فمأخذ ليلى وهي عذراء أعجب

لبسنا زماناً حسنها وشبابها وردت إلى شعواء والرأس أشيب

كمأخذنا حسناء كرهاً ودمعها غداة اللوي معصوبة يتصبب

خرج ليغير فمنعته امرأته فعصاها وقال في ذلك شعراً: إغاثته لعبس في مجاعتهم وقال ابن الأعرابي:

أجدب ناس من بين عبس في سنة أصابتهم فأهلكت أموالهم وأصابهم جوع شديد وبؤس، فأتوا عروة بن الورد فجلسوا أمام بيته، فلما بصروا به صرخوا وقالوا: يا أبا الصعاليك، أغثنا؛ فرق لهم وخرج ليغزو بهم ويصيب معاشاً، فنهته امرأته عن ذلك لما تخوفت عليه من الهلاك، فعصاها وخرج غازياً، فمر بمالك بن حمار الفزاري ثم الشمخي؛ فسأله: أين يريد؟ فأخبره، فأمر له بجزور فنحرها فأكلوا منها؛ وأشار عليه مالك أن يرجع، فعصاه ومضى حتى انتهى إلى بلاد بين القين، فأغار عليهم فأصاب هجمة عاد بها على نفسه وأصحابه؛ وقال في ذلك:

أرى أم حسان الغداة تلومني تخوفني الأعداء والنفس أخوف

تقول سليمى لو أقمت لسرنا ولم تدر أنى للمقام أطوف

لعل الذي خوفتنا من أمامنا يصادفه في أهله المتخلف

وهي طويلة: وقال في ذلك أيضاً:

أليس ورائي أن أدب على العصا فيشمت أعدائي ويسأمني أهلي

رهينة قعر البيت كل عشية يطيف بي الولدان أهدج كالرأل

أقيموا بين لبني صدور ركابكم فكل منايا النفس خير من الهزل

فإنكم لن تبلغوا كل همتي ولاأربى حتى تروا منبت الأثل

لعل ارتيادي في البلاد وحيلتي وشدي حيازيم المطية بالرحل

سيدفعني يوماً إلى رب هجمةٍ يدافع عنها بالعقوق وبالبخل

قصته مع هزلي أغار على فرسه

نسخت من "كتاب أحمد بن القاسم بن يوسف" قال حدثني حر بن قطن أن ثمامة بن الوليد دخل على المنصور؛ فقال: يا ثمامة، أتحفظ حديث ابن عمك عروة الصعاليك بن الورد العبسي؟ فقال: أي حديثه يا أمير المؤمنين؟ فقد كان كثير الحديث حسنه؛ قال: حديثه مع الهذلي الذي أخذ فرسه؛ قال: ما يحضرني ذلك فأرويه يا أمير المؤمنين؛ فقال المنصور: خرج عروة حتى دنا من منازل هذيل فكان منها على نحو ميلين وقد جاع فإذا هو بأرنب فرماها ثم أورى ناراً فشواها وأكلها ودفن النار على مقدار ثلاث أذرع وقد ذهب الليل وغارت النجوم، ثم أتى سرحة فصعدها وتخوف الطلب، فلما تغيب فيها إذ الخيل قد جاءت وتخوفوا البيات. قال: فجاءت جماعة منهم ومعهم رجل على فرس فجاء حتى ركز رمحه في موضع النار وقال: لقد رأيت النار هاهنا؛ فنزل رجل فحفر قدر ذراع فلم يجد شيئاً، فأكب القوم على الرجل يعذلونه ويعيبون أمره ويقولون: عنيتنا في مثل هذه الليلة القرة وزعمت لنا شيئاً كذبت فيه؛ فقال: ما كذبت، ولقد رأيت النار في موضع رمحي؛ فقالوا: ما رأيت شيئاً ولكن تحذلقك وتدهيك هو الذي حملك على هذا، وما نعجب إلا لأنفسنا حين أطعنا أمرك واتبعناك؛ ولم يزالوا بالرجل حتى رجع عن قوله لهم. واتبعهم عروة، حتى إذا وردوا منازلهم جاء عروة فتمكن في كسر بيت؛ وجاء الرجل إلى امرأته وقد خالفه إليها عبد أسود، وعرة ينظر، فأتاها العبد بعلبة فيها لبن فقال: اشربي؛ فقالت لا، أو تبدأ، فبدأ الأسود فشرب؛ فقالت للرجل حين جاء: لعن الله صلفك! عنيت قومك منذ الليلة؛ قال: لقد رأيت ناراً، ثم دعا بالعلبة ليشرب، فقال حين ذهب ليكرع: ريح رجل ورب الكعبة! فقالت امرأته: وهذه أخرى، أي ريح رجل تجده في إنائك غير ريحك! ثم صاحت، فجاء قومها فأخبرتهم خبره، فقالت: يتهمني ويظن بي الظنون! فأقبلوا عليه باللوم حتى رجع عن قوله؛ فقال عروة: هذه ثانية. قال ثم أوى الرجل إلى فراشه، فوثب عروة إلى

الفرس وهو يريد أن يذهب به، فضرب الفرس بيده وتحرك، فرجع عروة إلى موضعه، ووثب الرجل فقال: ما كنت لتكذبيني فمالك؟ فأقبلت عليه امرأته لوماً وعدلاً. قال: فصنع عروة ذلك ثلاثاً وصنعه الرجل، ثم أوى الرجل إلى فراشه وضجر من كثرة ما يقوم، فقال: لا أقوم إليك الليلة؛ وأتاه عروة فحال في متنه وخرج ركضاً، وركب الرجل فرساً عنده أنثى. قال عروة: فجعلت أسمعه خلفي يقول: الحقي فإنك من نسله. فلما انقطع عن البيوت، قال له عروة قال له عروة بن الورد: أيها الرجل قف، فإنك لو عرفتني لم تقدم علي، أنا عروة بن الورد، وقد رأيت الليلة منك عجباً، فأخبرني به وأرد إليك فرسك؛ قال: وما هو؟ قال: جئت مع قومك حتى ركزت رمحك في موضع نارٍ قد كنت أوقدتها فثنوك عن ذلك فانثنيت وقد صدقت، ثم اتبعتك حتى أتيت مترلك وبينك وبين النار ميلان فأبصرتها منهما، ثم شممت رائحة رجل في إنائك، وقد رأيت الرجل حين آثرته زوجتك بالإناء، وهو عبدك الأسود وأظن أن بينهما مالا تحب، فقلت: ريح رجل؛ فلم تزل تثنيك عن ذلك حتى انثنيت، ثم خرجت إلى فرسك فأردته فاضطرب وتحرك فخرجت إليه، ثم خرجت وخرجت، ثم أضربت عنه، فرأيتك في هذه الخصال أكمل الناس ولكنك تنثني وترجع؛ فضحك وقال: ذلك لأخوال السوء، والذي رأيت من صرامتي فمن قبل أعمامي وهم هذيل، وما رأيت من كعاعتي فمن قبل أخوالي وهم بطن من خزاعة والمرأة التي رأيت عندي امرأة منهم وأنا نازل فيهم، فذلك التي رأيت عندي امرأة منهم وأنا نازل فيهم، فذلك الذي يثنيني عن أشياء كثيرة، وأنا لاحق بقومي وخارج عن أخوالي هؤلاء ومخل سبيل المرأة، ولولا ما رأيت من كعاعتي لم يقو على مناوأة قومي أحد من العرب. فقال عروة: خذ فرسك راشداً؛ قال: ما كنت لآخذه منك وعندي من نسله جماعة مثله، فخذه مباركاً لك فيه. قال ثمامة: إن له عندنا أحاديث كثيرة ما سمعنا له بحديث هو أظرف من هذا. قصة غزوان لماوان وحديثه مع غلام تبين بعد أنه ابنه: قال المنصور: أفلا أحدثك له بحديث هو أظرف من هذا؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين، فإن الحديث إذا جاء منك كان له فضل على غيره؛ قال: خرج عروة وأصحابه حتى أتى ماوان فترل أصحابه وكنف عليهم كنيفاً من الشجر، وهم أصحاب الكنيف الذي سمعته قال فيهم:

ألا إن أصحاب الكنيف وجدتهم — كما الناس لما أمرعوا وتمولوا

وفي هذه الغزاة يقول عروة:

أقول لقوم في الكنيف تروحوا — عشية قلنا حول ماوان رزح

وفي هذه القصيدة يقول:

ليبلغ عذراً أو يصيب غنيمة" — ومبلغ نفسٍ عذرها مثل منجح

ثم مضى يبتغي لهم شيئاً وقد جهدوا، فإذا هو بأبيات شعرٍ وبامرأة قد خلا من سنها وشيخ كبير كالحقاء الملقى، فكمن في كسر بيت منها، وقد أجدب الناس وهلكت الماشية، فإذا هو في البيت بسحور ثلاثة مشوية - فقال ثمامة: ومالسحور؟ قال: الحلقوم بما فيه- والبيت خال فأكلها، وقد مكث قبل ذلك يومين لا يأكل شيئاً فأشبعته

وقوي، فقال: لا أبالي من لقيت بعد هذا. ونظرت المرأة فظنت أن الكلب أكلها فقالت للكلب: أفعلتها ياخبيث! وطردته. فإنه لكذلك إذا هو عند المساء بإبل قد ملأت الأفق وإذا هي تلتفت فرقاً، فعلم أن راعيها جلد شديد الضرب لها، فلما أتت المناخ بركت، ومكث الراعي قليلاً ثم أتى ناقة" منها فمرى أخلاقها، ثم وضع العلبة على ركبتيه وحلب حتى ملأها، ثم أتى الشيخ فسقاه، ثم أتى ناقة أخرى ففعل بها ذلك وسقى العجوز، ثم أتى أخرى ففعل بها كذلك فشرب هو، ثم التفع بثوب واضطجع ناحيةٍ، فقال الشيخ للمرأة وأعجبه ذلك: كيف ترين ابني؟ فقالت: ليس بابنك! قال: فابن من ويلك؟ قالت: ابن عروة بن الورد، قال: ومن أين؟ قالت: أتذكر يوم مر بنا يريد سوق ذي المجاز فقلت: هذا عروة بن الورد، ووصفته لي بجلد فإني استطرفته. قال: فسكت، حتى إذا نوم وثب عروة وصاح بالإبل فاقتطع منها نحواً من النصف ومضى ورجا ألا يتبعه الغلام- وهو غلام حين بدا شاربه-فاتبعه. قال: فاتخذا وعالجه، قال: فضرب به الأرض فيقع قائماً، فتخوفه على نفسه، ثم واثبه فضرب به وبادره، فقال: إني عروة بن الورد، وهو يريد أن يعجزه عن نفسه. قال: فارتدع، ثم قال مالك ويلك! لست ينهاك عن شيء، قال: الذي بقي من عمر الشيخ قليل، وأنا مقيم معه مابقي، فإن له حقاً وذماماً، فإذا هلك فما أسرعني إليك، وخذ من هذا الإبل بعيراً؛ قلت: لا يكفيني، إن معي أصحابي قد خلفتهم؛ قال: فثانياً، قلت لا؛ قال: فثالثاً، والله لازدتك على ذلك. فأخذها ومضى إلى أصحابه، ثم إن الغلام لحق به بعد هلاك الشيخ. قال: والله يا أمير المؤمنين لقد زينته عندنا وعظمته في قلوبنا؛ قال: فهل أعقب عنكم؟ قال لا، ولقد كنا نتشاءم بأبيه، لأنه هو الذي وقع الحرب بين عبس وفزاره بمراهنته حذيفة، ولقد بلغني أنه كان له ابن أسن من عروة فكان يؤثره على عروة فيما يعطيه ويقربه، فقيل له: أتؤثر الأكبر مع غناه عنك على الأصغر مع ضعفه! قال: أترون هذا الأصغر! لئن بقي مع ما رأى من شدة نفسه ليصبرن الأكير عيالاً عليه.

صوت من المائة المختارة

أزرى بنا أننا شالت نعامتنا ... فخالني دونه بل خلته دوني
فإن تصبك من الأيام جائحة ... لم أبك منك على دنيا ولادين

الشعر لذي الإصبع العدواني، والغناء لفيل مولى العبلات هزج خفيف بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. معنى قوله أزرى بنا: قصر بنا، يقال: زريت عليه إذا عبت عليه فعله، وأزريت به إذا قصرت به في شيء. وشالت نعامتهم إذا انتقلوا بكليتهم، يقال: شالت نعامتهم، وزف رألهم، إذا انتقلوا عن لاموضع فلم يبق فيه منهم أحد ولم يبق لهم فيه شيء. وخالني: ظنني، يقال: خلت كذا وكذا فأنا أخاله إذ ظننته. والجائحة: النازلة التي تحتاج ولاتبقى على ما نزلت به.

ذكر ذي الإصبع العدواني ونسبه وخبره

نسبه وهو شاعر فارس جاهلي

هو حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة بن سيار بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، أحد بني عدوان وهم بظن من جديلة. شارع فارس من قدماء الشعراء في الجاهلية وله غارات كثيرة على العرب ووقائع مشهورة

فنيت عدوان فرثاها

أخبرنا محمد بن خلف وكيع وابن عمار والأسدي، قالوا حدثنا الحسن بن عليل العتري قال حدثنا أبو عثمان المازني عن الأصمعي قال: نزلت عدوان على ماء فأحصوا فيهم سبعين ألف غلام أغرل سوى من كان مختوناً لكثرة عددهم، ثم وقع بأسهم بينهم فتفانوا فقال ذو الإصبع:

صوت

عذير الحي من عدوا	ن كانوا حية الأرض
بغى بعضهم بعضاً	فلم يبقوا على بعض
فقد صاروا أحاديث	برفع القول والخفض
ومنهم كانت السادا	ت والموفون بالقرض
ومنهم من يجيز النا	س بالسنة والفرض
ومنهم حكم يقضي	فلا ينقض ما يقضي

وأما قول ذي الأصبع

ومنهم حكم يقضي

فإنه يعني عامر بن الظرب العدواني، كان حكماً للعرب تحتكم إليه.

من قرعت له العصا: حدثنا محمد بن العباس اليزيدي عن محمد بن حبيب قال: قيس تدعى هذه الحكومة وتقول: إن عامر بن الظرب العدواني هو الحكم وهو الذي كانت العصا تقرع له، وكان قد كبر فقال له الثاني من ولده: إنك ربما أخطأت في الحكم فيحمل عنك؛ قال: فاجعلوا لي أمارة أعرفها فإذا زغت فسمعتها رجعت إلى الحكم والصواب، فكان يجلس قدام بيته ويقعد ابنه في البيت ومعه العصا، فإذا زاغ أو هفا قرع له الجفنة فرجع إلى الصواب. وفي ذلك يقول المتلمس:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا　　　وماعلم الإنسان إلا ليعلما

قال ابن حبيب: وربيعه تدعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام. واليمن تدعيه لربيعة بن مخاشن، وهو ذو الأعواد، وهو أول من جلس على منبر أو سرير وتكلم،؛ وفيه يقول الأسود بن يعفر:

ولقد علمت لوأن علمي نافعي　　　أن السبيل سبيل ذي الأعواد

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دلف قال أهبرنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال: زعم أبو عمر بن العلاء أنه ارتحلت عدوان من منزلٍ، فعد فيهم أربعون ألف غلام أقلف. قال الرياشي وأخبرني رجل عن هشام بن الكلبي قال: وقع على إياد البق فأصاب كل رجلٍ منهم بقتان.

استعراض عبد الملك أحياء العرب

وسؤاله عن ذي الإصبع:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثنا أحمد بن عبيد أبو عصيدة قال أخبرني محمد بن زياد الزيادي، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة و لم يسنده إلى أحد وروايته أتم: أن عبد الملك بن مروان لما قدم الكوفة بعد قتله مصعب بن الزبير جلس لعرض أحياء العرب-وقال عمر بن شبة: إن مصعب بن الزبير كان صاحب هذه القصة- فقام إليه معبد بن خالد الجدلي، وكان قصيراً دميماً، فتقدمه إليه رجل منا حسن الهيئة؛ قال معبد: فنظر عبد الملك إلى الرجل وقال: ممن أنت؟ فسكت و لم يقل شيئاً وكان منا، فقلت من خلف: نحن يا أمير المؤمنين من جديلة؛ فأقبل على الرجل وتركني؟ فسكت و لم يقل شيئاً وكان منا، فقلت من خلفه: نحن يا أمير المؤمنين منجديلة؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال: من أيكم ذو الإصبع؟ قال الرجل: لا أدري؛ فقلت: نهشته حية في إصبعه فيبست؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال: وبم كان يسمى قبل ذلك؟ قال الرجل: لا أدري؛ قلت: كان يسمى حرثان؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال: من أي عدوان كان؟ فقلت من خلفه: من بني ناجٍ الذين يقول فيهم الشاعر:

وأما بنو ناجٍ فلا تذكرنهم　　　ولاتتبعن عينيك ما كان هالكا

إذا قلت معروفاً لأصلح بينهم　　　يقول وهيب لا أسالم ذلكا

وروى عمر بن شبة: لاأسلم

فأضحى كظهر الفحل جب سنامه　　　يدب إلى الأعداء أحدب باركا

فأقبل على الرجل وتركني وقال أنشدني قوله:

عذير الحي من عدوان

قال الرجل: لست أرويها؛ قلت يا أمير المؤمنين إن شئت أنشدتك؛ قال: ادن مني، فإني أراك بقومك عالماً؛ فأنشدته:

وليس المرء في شيءٍ من الإبرام والنقص
إذا أبرم أمراً خا له يقضي وما يقضي
يقول اليوم أمضيه ولا يملك ما يمضي
عذير الحي من عدوا ن كانوا حية الأرض
بغى بعضهم بعضاً فلم يبقوا على بعض
فقد صاروا أحاديث برفع القول والخفض
ومنهم كانت السادا ت والموفون بالقرض
ومنهم حكم يقضي فلا ينقض ما يقضي
ومنهم من يجيز النا س بالسنة والفرض
وهم من ولدوا أشبوا بسر الحسب المحض

وممن ولدوا عام ر ذو الطول وذو العرض
وهم بووا ثقيفاً دا ر لاذل ولاخفض

فأقبل على الرجل وتركني وقال: كم عطاؤك؟ فقال: ألفان، فأقبل علي فقال: كم عطاؤك؟ فقلت: خمسمائة؛ فأقبل على كاتبه وقال: اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا؛ فانصرفت بها.

وقوله: "ومنهم من يجيز الناس" فإن إجازة الحج كانت لخزاعة فأخذتها منهم عدوان فصارت إلى رجل منهم يقال له أبو سيارة أحد بني وابش بن يزيد بن عدوان وله يقول الراجز:

خلوا السبيل عن أبي سيارة وعن مواليه بن فزاره
حتى يجيز سالماً حماره مستقبل الكعبة يدعو جاره

قال: وكان أبو سيارة يجيز الناس في الحج بأن يتقدمهم على حمارٍ، ثم يخطبهم فيقول: اللهم أصلح بين نسائنا، وعاد بين رعائنا، واجعل المال في سمحائنا، أوفوا بعهدكم، وأكرموا جاركم، واقروا ضيفكم، ثم يقول: أشرق ثبير كما نغير، وكانت هذه إجازته، ثم ينفر ويتبعه الناس. ذكر ذلك أبو عمرو الشيباني والكلبي وغيرهما.

قصته مع بناته الأربع وقد أردن الزواج

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو بكر العليمي قال حدثنا محمد بن داود الهشامي قال: كان لذي الإصبع أربع بنات وكن يخطبن إليه فيعرض ذلك عليهن فيستحين ولا يزوجهن، وكانت أمهن تقول: لو زوجتهن فلا يفعل. قال: فخرج ليلة إلى متحدثٍ لهن فاستمع عليهن وهن لا يعلمن فقلن: تعالين نتمنى ولنصدق، فقالت الكبرى:

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنى حديث الشباب طيب الريح والعطر

طبيب بأدواء النساء كأنه خليفة جانٍ لاينام على وتر

فقلن لها: أنت تحبين رجلاً ليس من قومك. فقالت الثانية:

ألا هل أراها ليلة وضجيعها أشم كنصل السيف غير مبلد

لصوق بأكباد النساء وأصله إذا ما انتمى من سر أهلي ومحتدي

فقلن لها: أنت تحبين رجلاً من قومك. فقالت الثالثة:

ألا ليته يملا الجفان لضيفه له جفنة يشقى بها النيب والجزر

له حكمات الدهر من غير كبرة تشين ولا الفاني ولا الضرع الغمر

فقلن لها: أنت تحبين رجلاً شريفاً. وقلن للصغرى: تمني؛ فقالت: ماأريد شيئاً؛ قلن: والله لاتبرجين حتى نعلم ما في نفسك؛ قالت: زوج من عود خير من قعود. فلما سمع ذلك أبوهن زوجهن أربعتهن. فمكثن برهة" ثم اجتمعن إليه، فقال للكبرى: يا بنية، ما مالكم؟ قالت: الإبل؛ قال: فكيف تجدونها؟ قالت: خير مال، نأكل لحومها مزعاً، ونشرب ألبانها جرعاً، وتحملنا وضيفنا معاً؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: خير زوج يكرم الحليلة، ويعطي الوسيلة؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: خير زوج يكرم الحليلة، ويعطي الوسيلة؛ قال: مال عميم وزوج كريم. ثم قال للثانية: يا بنية ما مالكم؟ قالت: البقر؛ قال: فكيف تجدونها؛ قالت: خير مال، تألف الفناء، وتودك السقاء، وتملأ الإناء، ونساء في نساء؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: خير زوج يكرم أهله وينسى فضله؛ قال: حظيت ورضيت. ثم قال للثالثة: ما مالكم؟ قالت: المغزى؛ قال: فكيف تجدونها؟ قالت: لابأس بها نولدها فطماً، ونسلخها أدماً؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: لابأس به ليس بالبخيل الحكر ولا بالسمح البذر، قال: جدوى مغنية. ثم قال للرابعة: يا بنية، مالكم؟ قالت: الضأن؛ قال: وكيف تجدونها؟ قالت: شر مال، جوف لا يشبعن، وهيم لاينقعن، وصم لايسمعن، وأمر مغويتهن يتبعن؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: شر زوج، يكرم نفسه ويهين عرسه؛ قال: " أشبه أمرأ بعض بزه".

وذكر الحسن بن عليل العنزي في خبر عدوان الذي رواه عن أبي عمرو بن العلاء أنه لا يصح من أبيات ذي الإصبع الضادية إلا الأبيات التي أنشدها وأن سائرها منحول.

خرف واهترأ وقال في ذلك شعراً

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن عبد الله الحزنبل قال حدثني عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال: عمر ذو الإصبع العدواني عمراً طويلاً حتى خرف وأهتر وكان يفرق ماله، فعذله أصهاره ولاموه وأخذوا على يده؛ فقال في ذلك:

أهلكنا الليل والنهار معاً | والدهر يعدو مصمماً جذعا

فليس فيما أصابني عجب | إن كنت شيباً أنكرت أو صلعا
وكنت إذ رونق الشباب به | ماء شبابي تخاله شرعا
والحي فيه الفتاة ترمقني | حتى مضى شأو ذاك فانقشعا

صوت

إنكما صاحبي لم تدعا | لومي ومهما أضق فلن تسعا
لم تعقلا جفوة" علي ولم | أشتم صديقاً ولم أنل طبعا
إلا بأن تكذبا علي وما | أملك أن تكذبا وأن تلعا

لابن سريح في هذه الأبيات لحنان: أحدهما ثاني ثقيل بالسبابة والبنصر عن يحيى المكي، والآخر ثقيل أول عن الهشامي.

وإنني سوف أبتدي بندى | ياصاحبي الغداة فأستمعا
ثم سلا جارتي وكنتها | هل كنت فيمن أراب أو خدعا
أو دعتاني فلم أجب، ولقد | تأمن من حليلتي الفجعا
آبى فلا أقرب الخباء إذا | ماربه بعد هدأة هجعا
ولا أروم الفتاة زورتها | إن نام عنها الحليل أو شسعا
وذاك في حقبة خلت ومضت | والدهر ياي على الفتى لمعا
إن تزعما أنني كبرت فلم | أفل ثقيلاً نكساً ولاورعا
إما ترى شكتي رميح أبي | سعدٍ فقد أحمل السلاح معا

أبو سعد: ابنه، ورميح: عصاً كانت لابنه يلعب بها مع الصبيان يطاعنهم بها كالرمح، فصار يتوكأ هو عليها ويقوده ابنه هذا بها:

السيف والرمح والكنانة قد أكملت فيها معابلاً صنعا
والمهر صافي الأديم أصنعه يطير عنه عفاؤه قزعا
أقصر من قيده وأردعه حتى إذا السرب ريع أو فزعا
كان أمام الجياد يقدمها يهز لدناً وجؤجؤاً تلعاً
فغامس الموت أو حمى ظعنا أو رد نهباً لأي ذاك سعى

وصيته لابنه عند موته

قال أبو عمرو: ولما احتضر ذو الإصبع دعا ابنه سيداً فقال له: يا بني، إن أباك قد فني وهو حي وعاش حتى سشم العيش، وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته، فاحفظ عني: ألن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسط لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك؛ وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم، واسمح بمالك، واحم حريمك، وأعزز جارك، وأعن من استعان بك، وأكرم ضيفك، وأسرع النهضة في الصريخ، فإن لك أجلاً لا يعدوك، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئاً، فبذلك يتم سوددك؛ ثم أنشأ يقول:

أأسيد إن مالاً ملك ت فسر به سيراً جميلاً
آخ الكرام إن استطع ت إلى إخائهم جملاً ذلولا
واشرب بكأسهم وإن شربوا به السم الثميلا
أهن اللئام ولاتكن لإخائهم جملاً ذلولاً
إن الكرام إذا توا خيهم وجدت لهم فضولا
ودع الذي يعد العشي رة أن يسيل ولن يسيلا
ابني إن المال لا يبكي إذا فقد البخيلا

صوت

أأسيد إن أزمعت من بلدٍ إلى بلدٍ رحيلا
فاحفظ وإن شحط المزا ر أخيك أو الزميلا
واركب بنفسك إن همم ت بها الحزونة والسهولا

وصل الكرام وكن لمن ترجو مودته وصولا

الغناء للهذلي خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.

ودع التواني في الأمو ر وكن لها سلساً ذلولا

وابسط يمينك بالندى وامدد بها باعاً طويلا

وابسط يديك بما ملك ت وشيد الحسب الأثيلا

واعزم إذا حاولت أم راً يفرج الهم الدخيلا

وابذل لضيفك ذات رح لك مكرماً حتى يزولا

واحلل على الأيفاع لل عافين واجتنب المسيلا

وإذا القوم تخاطرت يوماً وارعدت الخصيلا

فاهصر كهصر الليث خض ب من فريسته التليلا

وانزل إلى الهيجا إذا أبطالها كرهوا النزولا

وإذا دعيت إلى المه م فكن لفادحه حمولا

استنشد معاوية قيسياً وزراد في عطائه: أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال: جرى بين عبد الله بن الزبير وعتبة بن أبي سفيان لحاء بين يدي معاوية، فجعل ابن الزبير يعدل بكلامه عن عتبة ويعرض بمعاوية، حتى أطال وأكثر"من ذلك"، فالتفت إليه معاوية متمثلاً وقال:

ورام بعوران الكلام كأنها نوافر صبح نفرتها المراتع

وقد يدحض المرء الموراب بالخنا وقد تدرك المرء الكريم المصانع

ثم قال لابن الزبير: من يقول هذا؟ فقال: ذو الإصبع؛ فقال: أترويه؟ قال لا؛ فقال: من هاهنا يروي هذه الأبيات؟ فقام رجل من قيس فقال: أنا أرويها يا أمير المؤمنين؛ فقال: أنشدني؛ فأنشده حتى أتى على قوله:

وساع برجليه لآخر قاعد ومعطٍ كريم ذو يسار ومانع

وبانٍ لأحساب الكرام وهادم وخافض مولاه سفاهاً ورافع

ومغضٍ على بعض الخطوب وقد بدت له عورة من ذي القرابة ضاجع

وطالب حوب باللسان وقلبه سوى الحق لاتخفى عليه الشرائع

فقال له معاوية: كم عطاءك؟ قال: سبعمائة؛ قال: اجعلوها ألفاً، وقطع الكلام بين عبد الله وعتبة.

شعره في ابن عمه وقد عاداه

قال أبو عمرو: وكان لذي الإصبع ابن عم يعاديه فكان يتدسس إلى مكارهه ويمشي به إلى أعدائه ويولب عليه ويسعى بينه وبين عمه ويبغيه عندهم شراً؛ فقال فيه- وقد أنشدنا الأحفش هذا الأبيات " ايضاً " عن ثعلب والأحول السكري:

ياصاحبي قفا قليلا وتخبرا عني لميسا
عمن أصابت قلبه في مرها غدا نكيسا
ولي ابن عم لايزا ل إلي منكره دسيسا
دبت له فأحس بع د البرء من سقم وسيسا
إما علانية وإم ا مخمراً أكلاً وهيسا
إني رأيت بني أبي ك يحمجون إلي شوسا
حنقاً علي ولن ترى لي فيهم أثراً بئيسا
أنحوا على حر الوجو ه بحد مئشار ضروسا
لو كنت ماء" لم تكن عذب المذاق ولامسوسا
ملحاً بعيد القعر قد فلت حجارته الفؤوسا
مناع ما ملكت يدا ك وسائل لهم نحوسا

وأنشدنا الأخفش عن هؤلاء الرواة بعقب هذه الأبيات- وليس من شعر ذي الإصبع ولكنه معناه-:

لو كنت ماء كنت غير عذب أو كنت سيفاً كنت غير عضب
أو كنت طرفاً كنت غير ندب أو كنت لحماً كنت لحم كلب
لو كنت مخا كنت مخاريرا أو كنت برداً كنت زمهريرا
أو كنت ريحاً كانت الدبورا

سبب تفرق عدوان وتقاتلهم

قال أبو عمرو، وكان السبب في تفرق عدوان وقتال بعضهم بعضاً حتى تفانوا: أن بني ناج بن يشكر بن عدوان أغاروا على بني عوف بن سعد بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان، ونذرت بهم بنو عوف فاقتتلوا، فقتل بنو ناج ثمانية نفرٍ، فيهم عمير بن مالك سيد بني عوف، وقتلت بنو عوف رجلاً منعم يقال له

سنان بن جابر، وتفرقوا على حرب. وكان الذي أصابوه من بني واثلة بن عمرو بن عباد وكان سيداً، فاصطلح سائر الناس على الديات أن يتعاطوها ورضوا بذلك، وأبى مرير بن جابر أن يقبل بسنان بن جابر دية"، واعتزل هو وبنو أبيه ومن أطاعهم ومن والاهم، وتبعه علىذلك كرب بن خالد أحد بني عبس بن ناج، فمشى إليهما ذو الإصبع وسألهما قبول الدية وقال: قد قتل منا ثمانية نفر فقبلنا الدية وقتل منكم رجل فاقبلوا ديته؛ فأبيا ذلك وأقاما الحرب، فكان ذلك مبدأ حرب بعضهم بعضاً حتى تفانوا وتقطعوا. فقال ذو الإصبع في ذلك:

ويابؤس للأيام والدهر هالكا ... وصرف الليالي يختلفن كذلكا

أبعد بني ناجٍ وسعيك فيهم ... فلاتتبعن عينيك ما كان هالكا

إذا قلت معروفاً لأصلح بينهم ... يقول مرير لاأحاول ذلكا

فأضحوا كظهر العود جب سنامه ... تحوم عليه الطير أحدب باركا

فإن تك عدوان بن عمرو تفرقت ... فقد غنيت دهراً ملوكاً هنالكا

قصيدته النونية وقال أبو عمرو: وفي مرير بن جابر يقول ذو الأصبع - وهذه القصيدة هي التي منها " الغناء" المذكور -وأولها:

يامن لقلب شديد الهم محزون ... أمسى تذكر ريا أم هارون

أمسى تذكرها من بعد ما شحطت ... والدهر ذو غلظ حيناً وذو لين

فإن يكن حبها أمسى لنا شجناً ... وأصبح الولي منها لايواتيني

فقد غنينا وشمل الدار يجمعنا ... أطيع ريا وريا لاتعاصيني

نرمي الوشاة فلا نخطي مقاتلهم ... بخالصٍ من صفاء الود مكنون

ولي ابن عم علي ما كان من خلق ... مختلفان فأقليه ويقليني

أزرى بنا أننا شالت تعامتنا ... فخالني دونه بل خلته دوني

لاه ابن عمك لاأفضلت من حسب ... شيئاً ولاأنت دياني فتحزوني

ولاتقوت عيالي يوم مسغبةٍ ... ولابنفسك في العزاء تكفيني

فإن ترد عرض الدنيا بمنقصتي ... فإن ذلك مما ليس يشجيني

ولاترى في غير الصبر منقصة ... وماسواه فإن الله يكفيني

لولا أواصرقربى لست تحفظها ... ورهبة الله في مولى يعاديني

إذا بريتك برياً لا أنجبار له | إني رأيتك لاتنفك تبريني
إن الذي تقبض الدنيا ويبسطها | إن كان أغناك عني سوف يغنيني
الله يعلمكم والله يعلمني | والله يجزيكم عني ويجزيني
ماذا علي وإن كنتم ذوي رحمي | ألا أحبكم إن لم تحبوني
لو تشربون دمي لم يرو شاربكم | ولادماؤكم جمعاً ترويني
ولي ابن عم لو أن الناس في كبدي | لظل محتجزاً بالنبل يرميني
ياعمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي | ظاضربك حتى تقول الهامة اسقوني
كل امرىء صائر يوماً لشيمته | ظغن تخلق أخلاقاً إلى حين
إني لعمرك مابابي بذي غلقٍ | عن الصديق ولاخيري بممنون
ولا لساني على الأدنى بمنطلق | بالمنكرات ولافتكي بمأمون
لايخرج القسر مني غير مغضبة | ولاألين لمن لايبتغي ليني
وأنتم معشر زيد على مائة | فأجمعوا أمركم شتى فكيدوني
فإن علمتم سبيل الرشد فانطلقوا | ظغن غبيتم طريق الرشد فأتوني
يارب ثوبٍ حواشيه كأوسطه | لاعيب في الثوب من حسنٍ ومن لين
يوماً شددت على فرغاء فاهقةٍ | يوماً من الدهر تارات تماريني
ماذا علي إذا تدعونني فزعاً | ألا أجيبكم إذ لاتجيبوني
وكنت أعطيكم مالي وأمنحكم | ودي على مثبت في الصدر مكنون
يارب حي شديد الشغب ذي لجب | ذعرت من راهنٍمنهم ومرهون
رددت باطلهم في رأس قائلهم | حتى يظلوا خصوماً ذا أفانين
ياعمرو لو كنت لي ألفيتيني يسراً | سمحاً كريماً أجازي من يجازيني

قصيدته في رثاء قومه

قال ابو عمرو: وقالذو الإصبع يرثي قومه:

وليس المرء قي شيء | من الإبرام والنقض
لإذا يفعل شيئاً خا | له يقضي وما يقضي

جديد العيش ملبوس وقد يوشك أن ينضي

وقد مضى بعض هذه القصيدة متقدماً في صدر هذه الأخبار، وتمامها :

وأمر اليوم أصلحه ولاتعرض لما يمضي
فبينا المكرء في عيشٍ له من عيشة خفض
أتاه طبق يوماً على مزلقة دحض
وهم كانوا فلا تكذب ذوي القوة والنهض
وهم إن ولدوا أشبوا بسر الحسب المحض
لهم كانت أعالي الأر ض فالسران فالعرض

إلى ما حازه الحزن فما أسهل للحمض
إلى الكفرين من نخل ة فالداءة فالمرض
لهم كان الما ء ولا المزجى ولاالبرص
فكان الناس إذا هموا بيسر خاشع مغضي
تنادوا ثم ساروا ب رئيس لهم مرضي
فمن ساجلهم حرباً ففي الخيبة والخفش
وهم نالوا على الشنآ ن والشحناء والبغض
معالي لم ينلها النا س في بسطٍ ولاقبض

شعر أمامة في رثاء قومها قال أبو عمرو: قالت أمامة بنت ذي الإصبع وكانت شاعرة ترثي قومها:

كم من فتى كانت له ميعة أبلج مثل القمر الزاهر
قد مرت الخيل بحافاته كمر غيثٍ لجبٍ ماطر
قد لقيت فهم وعدوانها قتلاً وهلكاً آخر الغابر
كانوا ملوكاً سادة" في الذرى دهراً لها الفخر على الفاخر
حتى تساقوا كأسهم بينهم بغياً فيا للشارب الخاسر
بادوا فمن يحلل بأوطانهم يحلل برسم مقفر دائر

شعره في الكبر

قال أبو عمرو: ولأمامة ابنته هذه يقول ذو الإصبع ورأته قد نهض فسقط وتوكأ على العصا فبكت فقال:

جزعت أمامة أن مشيت على العصا وتذكرت إذ نحن م الفتيان
فلقبل مارام الإله بكيده إرماً وهذا الحي من عدوان
بعد الحكومة والفضيلة والنهي طاف الزمان عليهم بأوان
وتفرقوا وتقطعت أشلاؤهم وتبددوا فرقاً بكل مكان
جدب البلاد فأعقمت أرحامهم والدهر غيرهم مع الحدثان
حتى أبادهم على أخراهم صرعى بكل نقيرة ومكان
لاتعجبن أمام من حدث عرا فالدهر غيرنا مع الأزمان

ذكر قيل مولى العبلات

ولاؤه وغناؤه

قال هارون بن محمد بن عبد الملك: أخبرني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان يحيى قيل عبداً للثريا ورضيا وأخواتهما بنات"علي بن" عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس مخهنو قال وحدثني حماد قال " حدثني أبي قال حدثني ابن جناح قال حدثنا مقاحف بن ناصح مولى عبد الله بن عباس قال قال حدثني هشام بن المرية- وهي أمة، وهومولى بني مخزوك - قال: كان يحيى قيل عبداً لامرأة من العبلات، وله من الغناء:

صوت

وأخرجها من بطن مكة بعد ما أصات المنادي للصلاة وأعتما
فمرت ببطن الليث تهوي كأنما تبادر بالإصباح نهباً مقسما

والشعر لأبي دهبل الجمحي. وأول هذه القصيدة: " ألا علق القلب المتيم كلثماً

أبو دهبل الجمحي

وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني يحيى بن المقداد الزمعي قال حدثني عمي موسى بن يعقوب الزمعي قال أنشدني أبو دهبل الجمحي لنفسه:

ألا علق القلب المتيم كلثما لجوجاً ولم يلزم من الحب ملزما

خرجت بها من بطن مكة بعدما أصات المنادي للصلاة وأعتما

فما نام من راعٍ ولاارتد سامر من الحي حتى جاوزت بي يلملما

ومرت ببطن الليث تهوي كأنها تبادر بالإدلاج نهباً مقسما

أجازت على البزواء والليل كاسر جناحين بالبزواء ورداً وأدهما

فما ذر قرن الشمس حتى تبينت بعليب نخلاً مشرفاً ومخيما

ومرت على أشطان دومة بالضحى فما خرزت للماء عيناً ولافما

وما شربت حتى ثنيت زمامها وخفت عليها أن تحز وتكلما

فقلت لها قد تعت غير ذميمة وأصبح وادي البزك غيثاً مديما

قال فقلت "له": ياعم ما كنت إلا على الريح! فقال: يابن أخي إن عمك كان إذا هم فعل، وهي العجاجة، أما سمعت قول أخي ببني مرة:

إذا أقبلت قلت مشحونة أقلت لها الريح قلعاً جفولا

وإن أدبرت قلت مذعورة من الرمد تتبع هيقاً ذمولا

وإن أغرضت خال فيها البصي رمالايكلفه أن يفيلا

يدا سرحا ماثرا ضبعها تسوم وتقدم رجلاً زجولاً

فمرت على كشب غدوة ومرت فويق أريك أصيلا

تخبط بالليل حزانه كخبط القوي العزيز الذليلا

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني ابن أصبغ السملي قال: جاء إنسان يغني إلى عياش المنقري بالعقيق فجعل يغنيه قول أبي دهبل: "ألا علق القلب المتيم كلثما" وجعل يعيده فلما أكثر قال له عياش: كم تنذر بالعجوز عافاك الله! اسم أمي كلثم، قال: وتسمع العجوز، فقالت: لا والله ما كان بيني وبينه شيء. قال: ومن غنائه:

أزرى بنا أننا شالت نعامتنا فخالني دونه بل خلته دوني

فإن تصبك من الأيام جائحة لانبك منك على دنيا ولادين

" وأول هذه الأبيات فيما أنشدناه علي بن سليمان الأخفش عن ثعلب"

صوت من المائة المختارة

لي ابن عم على ما كان من خلق | مختلفان فاقليه ويقليني
لاه ابن عمك لاأفضلت في حسب | عني ولاأنت دياني فتخزوني

غنى هذين البيتين الهذلي ثاني ثقيل بالوسطى

وقد عجبت ومافي الدهر من عجب | يد تشج وأخرى منك تأسوني

صوت من المائة المختارة

ارفع ضعيفك لايحر بك ضعفه | يوماً فتدركه العواقب قد نما
يجزيك أو يثنى عليك وإن من | أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

" عروضه من الكامل". الشعر لغريض اليهودي وهو السموءل بن عادياء، وقيل إنه لابنه صعية بن غريض، وقيل إنه لزيد بن عمرو بن نفيل، وقيل إنه لورقة بن نوفل، وقيل إنه لزهير بن جناب، وقيل إنه لعامر بن المجنون الجرمي الذي يقال له: مدرج الريح، والصحيح أنه لغريض أو لابنه.

خبر غريض اليهودي

نسبه وأصل قومه

وغريض هذا من اليهود من ولد الكاهن بن هارون بن عمران صلى الله عليه وسلم، وكان موسى عليه الصلاة والسلام وجه جيشاً إلى العماليق وكانوا قد طغوا ولغت غاراتهم إلى الشام وأمرهم إن ظفروا بهم أن يقتلوهم أجمعين، فظفروا بهم فقتلوهم أجمعين سوى ابن لملكهم كان غلاماً جميلاً فرحموه واستبقوه، وقدموا الشأم بعد وفاة موسى عليه السلام فأخبروا بني اسرائيل بما فعلوه؛ فقالوا: أنتم عصاة لاتدخلون الشأم علينا أبداً، فأخرجوهم عنها. فقال بعضهم لبعض: مالنا بلد غير البلد الذي ظفرنا به وقتلنا أهله؛ فرجعوا إلى يثرب فأقاموا بها وذلك قبل ورود الأوس والخزرج لإياها عند وقوع سيل العرم باليمن، فمن هؤلاء اليهود قريظة والنضير وبنو قنيقاع وغيرهم و لم أجد لهم نسبا فأذمكره لأنهم ليسوا من العرب فتدون العرب أنسابهم إنما حلفاؤهم، وقد شرحت أخبارهم ومايغنى به من أشعارهم في موضع آخر من هذا الكتاب.
والغناء في اللحن المختار لابن صاحب الوضوء واسمه محمد وكنيته أبو عبد الله، وكان أبوه على الميضأة بالمدينة فعرف بذلك، وهو يسير الصناعة ليس ممن خدم الخلفاء ولاشهر عندهم شهرة غيره. وهذا الغناء ماخوري بالبنصر وفيه ليونس ثاني ثقيل بالبنصر

نسب له شعر هو لورقة بن نوفل

أخبرني محمد بن العباس اليزيد قال حدثنا الرياشي وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن الأصمعيعن ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قال:

ارفع ضعيفك لايحر بك ضعفه لغريض اليهودي

تمثلت عائشة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعر نزل بمعناه الوحي: وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أحمد بن عيسى قال حدثنا مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي قال حدثنا سهل بن المغيرة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أتمثل بهذين البيتين:

ارفع ضعيفك لايحر بك ضعفه يوماً فتدركه العواقب قد نما
يجزيك أو يثني عليك وإن من أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

فقال صلى الله عليه وسلم " ردي على قول اليهودي قاتله الله لقد أتاني جبريل برسالة من ربي: أيما رجل صنع إلى أخيه صنيعة فلم يجد له جزاء إلا الثناء عليه والدعاء له فقد كافأه" قال أبو زيد: وقد حدثني أبو عثمان محمد بن يحيى أن هذا الشعر لورقة بن نوفل، وقد ذكر الزبير بن بكارأيضاً أن هذا الشعر لورقة بن نوفل وذكر هذين البيتين في قصيدة أولها:

رحلت قتيلة عيرها قبل الصحى وأخال أن شحطت بجارتك النوى
أو كلما رحلت قتيلة غدوة" وغدت مفارقة لأرضهم بكى
ولقد ركبن على السفين ملججاً أذر الصديق وأنتحي دار العدا
ولقد دخلت البيت يخشى أهله بعد الهدوء وبعدما سقط الندى
فوجدت فيه حرة قد زينت بالحلي تحسبه بها جمر الغضا
فنعمت بالاً إذ أتيت فراشها وسقطت منها حين جئت على هوى
فلتلك لذات الشباب قضيتها عني فسائل بعضهم ماذا قضى
فرج الرباب فليس يؤدي فرجه لاحاجة قضى ولاماء بغى
فارفع ضعيفك لايحر بك ضعفه يوماً فتدركه العواقب قد نما
يجزيك أو يثني عليك وإن من أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

ذكر ورقة بن نوفل ونسبه

نسبه وهو جاهلي اعتزل عبادة الأوثان

هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي بن قصي، وأمه هند بنت أبي كثير بن عبد بن قصي. وهو أحد من اعتزل عبادة الأوثان في الجاهلية وطلب الدين وقرأ الكتب وامتنع من أكل ذبائح الأوثان.

نسبة مافي هذا الشعر من الغناء

" غير " ارفع ضعيفك"

صوت

ولقد طرقت البيت يخشى أهله بعد الهدوء وبعدما سقط الندى

فوجدت فيه حرة قد زينت بالحلي تحسبه بها جمر الغضا

الشعر لورقة بن نوفل. والغناء لابن محرز من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

أخبرنا الطوسي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الله بن معاذ عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وزرقة بن نوفل كما بلغنا فقال: " قد رأيته في المنام كان عليه ثياباً بيضاً فقد أظن أن بو كان من أهل النار لم أر عليه البياض" قال الزبير وحدثنا عبد الله بن معاذ عن معمر عن الزهري عن عائشة: أن خديجة بنت خةيل انطلقت بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العباربي فيكتب بالعبرانية من الانجيل ما شاء أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة: أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك؛ قال ورقة: يابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر مارأى فقال ورقة: ههذ الناموس الذي أنزله الله تبارك وتعالى على موسى؛ ياليتني فيها جذ ع، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أو مخرجي هم" قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بمثل كاجئت به إلا عودي، وإن يدركنب يومك لأنصرنك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي.

رأى بلالاً يعذب لإسلامه فقال شعراً قال الزبير حدثني عثمان بن الضحاك بن عثمان بن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال عروة: كان بلاب لجارية من بين جمح بن عمرو، وكان يعذبونه برمضاء مكة، يلصقون ظهره بالرمضاء ليشرك بالله؛ فيقول: احد أحد، فيمر عليه ورقة بن نوفل وهو على ذلك يقول: أحد أحد، فيقول ورقة بن نوفل: أحد أحد والله يابلاب والله لئن قتلتموه لاتخذته حناناً كأنه يقول: لأتمسحن به. وقال ورقة بن نوفل في ذلك:

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم | أنا النذير فلا يغرركم أحد
لاتعبدن إلهاً غير خالقكم | فإن دعوكم فقولوا بيننا حدد
سبحان ذي العرش سبحاناً نعوذ به | وقبل قد سبح الجودي والجمد
مسخر كل ماتحت السماء له | لاينبغي أن يناوي ملكه أحد
لاشيءمما ترى تبقى بشاشته | يبقى الأله ويودي المال والولد

لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه | والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولاسليمان إذ دان الشعوب له | والجن والإنس تجري بينها البرد

مدح النبي صلى الله عليه وسلم له

والنهي عن سبه:

قال الزبير حدثني عمي قال حدثنا الضحاك بن عثمان بن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأخي ورقة بن نوفل أو لابن أخيه: " شعرت أني رأيت لورقة جنة"، أو جنتين ". بشك هشام.

قال عروة: ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سب ورقة.

وقال الزبير وحدثني عمي قال حدثني الضحاك عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه: أن خديجة كانت تأتي ورقة بما يخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيه، فيقول ورقة: لئن كان مايقول حقاً إنه ليأتيه الناموس الأكبر ناموس عيسى ابن مريم الذي لايجيزه أهل الكتاب إلا بثمن، ولئن نطق وأنا حي لأبلين فيه الله بلاء حسناً.

خبر زيد بن عمرو ونسبه

نسبه من قبل أبويه

هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب. وأمه جيداء بن جابر بن أبي حبيب بن فهم. وكانت جيداء عند نفيل بن عبد العزي فولدت له الخطاب أبا عمر بن الخطاب و عبدهم، ثم مات عنها نفيل فتزوجها ابنه عمرو فولدت له زيداً، وكان هذا نكاحاً ينكحه

أهل الجاهلية.

اعتزل عبادة الأوثان وكان يعيب قريشاً:

وكان أحد من اعتزل عبادة الأوثان

وامتنع من أكل ذبائحهم، وكان يقول: يامعشر قريش، أيرسل الله قطر السماء وينبت بقل الأرض ويخلق السائمة فترعى فيه وتذبحوها لغيره والله ماأعلم على ظهر الأرض أحداً على دين إبراهيم غيري.

أخرجه عن مكة خطاب بن نفيل وقريش لمخالفته دينهم: أخبرنا الطوسي قالحدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب بن عبد الله ومحمد بن الضحاك عن أبيه، قالا: كان الخطاب بن نفيل قد أخرج زيد بن عمرو من مكة وجماعة من قريش ومنعوه أن يدخلها حين فارق أهل الأوثان، وكان أشدهم عليه الخطاب بن نفيل. وكان زيد بن عمرو إذا خلص إلى البيت استقبله ثم قال: لبيك حقاً حقاً؛ تعبداً ورقاً؛ البر أرجو لا الخال، وهل مهجر كمن قال! " ثم يقول":

عدت بما عاذ به إبراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم

يقول أنفي لك عانٍ راغم مهما تجشمني فإني جاشم

ثم يسجد. قال محمد بن الضحاك عن أبيه: "و" هو الذي يقول:

لاهم إني حرم لاحله وإن داري أوسط المحلة

" عند الصفا ليست بها مضلة"

شعره في ترك عبادة الأوثان

قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: قال زيد بن عمرو بن نفيل:

عزلت الجن والجنان عني كذلك يفعل الجلد الصبور

فلا العزى أدين ولاأبنيتها ولاصنمي بني غنم أزور

ولاهبلاً أدين وكان رباً لنا في الدهر إذ حلمي صغير

أرباً واحداً أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور

ألم تعلم بأن الله أفنى رجالاً كان شأنهم الفجور

وأبقى آخرين ببر قوم فيربو منهم الطفل الصغير

وبينا المرء يعثر ثاب يوما   كما يتروح الغصن النضير

فقال ورقة بن نوفل بزيدج بن عمرو بن نفيل:

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما   تجنبت تنوراً من النار حاميا
بدينك رباً ليس رب كمثله   وتركك جنان الجبال كما هيا
أقول إذا مازرت أرضاً مخوفة"   حنانيك لاتظهر على الأعاديا
حنانيك إن الجن كانت رجاءهم   وأنت إلهي ربنا ورجائيا
أدين لرب يستجيب ولاأرى   أدين لمن لايسمع الدهر داعيا
أقول إذا صليت في كل بيعة   تباركت قد أكثرت باسمك داعيا

يقول: خلقت خلقاً كثيراً يدعون ياسمك

قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله قال حدثني الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عقبة قال سمعت من أرضي يحدث:

امتناعه عن ذبائح قريش

وقصته مع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك:

أن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله وأنزل من السماء ماء" وأنبت لها من الأرض نباتاً ثم تذبحونها على غير اسم الله! إنكاراً لذلك وإعظاماً له.

قال الزبي: وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله أنه سمع عبد الله بن عمر يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح، وكان قبل أن يترل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي، فقدم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرة فيها لحم، فأبى أن يأكل، وقال: إني لاآكل إلا ماذكر اسم الله عليه.

اجتمع بالشأم مع يهودي ونصراني فسألهما عن الدين واعتنق دين ابراهيم: قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد على موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله قال - قال موسى: لاأراه إلا حدثه عن عبد الله بن عمر-: إن زيد بن عمرو خرج إلى الشأم يسألأ عن الدين ويتبعه، فلقي عالماً فسأله اليهود عن دينهم فقال: لعلي أدين بدينكم فأخبرني بدينكم؛ فقال اليهودي: إنك لاتكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله؛ فقال زيد بن عمرو: لاأفر إلا من غضب الله وماأحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع، فهل تدلني على دين ليس فيه هذا؟ قال: ماأعلمه إلا أن يكون حنيفاً؛ قال: وماالحنيف؟ قال: دين إبراهيم؛ فخرج من عنده وتركه. فأتى عالماً من علماء النصارى فقال له نحواً مما قال لليهودي، فقال له

النصراني: إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله؛ فقال: إني لاأمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنا أستطيع، فهل تدلين على دين ليس فيه هذا؟ فقال له نحواً مما قال اليهودي: لاأعلمه إلا أن يكون حنيفاً؛ فخرج من عندهما وقد رضي بما أخبراه واتفقا عليه من دين إبراهيم، فلما برز رفع يديه وقال؛ اللهم "إني" على دين إبراهيم بلغته البعثة فخرج من الشام فقتله أهل ميفعة: قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد بن زيد بن عمرو قال: سألأت أنا وعمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيد فقال: " يأتي يوم القيامة أمة واحدة" وأنشد محمد بن الضحاك عن الحزامي عن أبيه لزيد بن عمرو:

أسلمت وجهي لمن أسلمت ... له المزن تحمل عذباً زلالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... له الأرض تحمل صخراً ثقالا
دحاها فلما استوت شدها ... سواء وأرسى عليها الجبالا

زهير بن جناب وشعره في الكبر

وأما زهير بن جناب الكلبي فإنه أحد المعمرين، يقال: إنه عمر مائة وخمسين سنة وهو-فيما ذكر-أحد الذين شربوا الخمر في الجاهلية حتى قتلتهم؛ وكان قد بلغ من السن الغاية التي ذكرناها، فقال ذات يوم: إن الحي ظاعن، فقال: من هذا الذي يخالفني منذ اليوم! قيل: ابن أخيك عبد اللع بن عليم؛ فقال: أو هاهنا أحد ينهاه عن ذلك! قالوا: لا، فغضب وقال: لاأراني قد خولفت، ثم دعا بالخمر فشربها صرفاً بغير مزاج وعلى غير طعام حتى قتلته. وهو الذي يقول في ذم لكبر وطول الحياة:

الموت خير للفتى ... فليهلكن وبه بقية
من أن يرى الشيخ البجا ... ل إذ تهادى بالعشية
ابني إن أهلك فقد ... أورثتكم مجداً بنية
وتركتكم أبناء سا ... دات زنادكم ورية
بل كل مانال الفتى ... قد نلته إلا التحية

مدرج الريح وسبب التسمية

وأما مدرج الريح فاسمه عامر بن المجنون الجرمي، وإنما سمي مدرج الريح بشعر قاله في امرأة كان يزعم أنه يهواها من الجن وأنها تسكن الهواء وتتراءى له، وكان محمقاً؛ وشعره هذا:

صوت

لابنة الجني في الجو طل دارس الأيات عافٍ كالخلل

درسته الريح من بين صبا وجنوبٍ درجت حيناً وطل

الغناء فيه لحنين ثقل أول بالوسطى عن الهشامي وابن المكي، وذكر حبش أنه لمعبد، وذكر عمرو بانة أن لحن حنين من خفيف الثقل الأول بالبنصر. وأخبار عامر بن المجنون تذكر في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

سعية بن غريض وشعره وهو يحتضر

وأما سعية بن غريض فقد كان ذكر خبر جده السموءل بن غريض بن عاديا في موضع غير هذا. وكان سعية بن غريض شاعراً، وهو الذي يقول لما حضرته الوفاء يرثي نفسه: صوت

ياليت شعري حين يذكر صالحي ماذا تؤنبني به أنواحي

أيقلن لاتبعد، فري كريهة فرجتها ببشارة وسماح

وإذا دعيت لصعبة سهلتها أدعى بأفلح تارية ونجاح

-غناه ابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمر -وأسلم سعية وعمر عمراً طويلاً، ويقال: إنه مات في آخر خلافة معاوية

سعية بن غريض ومعاوية بن أبي سفيان

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية عن الهيثم بن عدي قال: حج معاوية حجتين في خلافته، وكانت له ثلاثون بغلة يحج عليه نساؤه وجواريه. قال: فحج في إحداهما فرأى شيخاً يصلي في المسجد الحرام عليه ثوبان أبيضان، فقال: من هذا؟ قالوا: سعية بن غريض حج معاوية حجتين في خلافته، وكانت له ثلاثون بغلة يحج عليها نساؤه وجواريه. قال: فحج في إحداهما فرأى شيخاً يصلي في المسجد الحرام عليه ثوبان أبيضان، فقال: من هذا؟ قالوا: سعية بن غري، وكان من اليهود، فأرسل إليه يدعوه، فأتاه رسوله فقال: أجب أمير المؤمنين؛ قال: أوليس قد مات أمير المؤمنين! قيل: فأجب معاوية؛ فأتاه رسوله فقال: أجب أمير المؤمنين؛ قال: أو ليس قد مات أمي رالمؤمنين! قيل: فأجب معاوية؛ فأتاه فيم يسلم عليه الخلافة؛ فقال له معاوية: مافعلت أرضك التي بتيماء؟ قال: يكسى منها العري ويرد فضلها على الجار؛ قال: أفتبيعها؟ قال: نعم؛ قال: بكم؟ قال: بستين ألف دينار، ولولا خلة أصابت الحي لم أبعها؛ قال: لقد أغليت! قال:

أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذها بستمائة ألف دينار ثم دينار ثم لم تبل! قال: أجل، وإذا بخلت بأرضك فأنشدني شعر أبيك يرثي "به" نفسه؛ فقال: قال أبي:

ياليت شعري حين أندب هالكاً ماذا تؤنبني به أنواحي

أيقلن لاتبعد، فرب كريهة فرجتها بشجاعةٍ وسماح

ولقد أخذت الحق غير مخاصم ولقد رددت الحق غير ملاحي

وإذا دعيت لصعبة سهلتها أدعى بأفلح مرة ونجاح

فقال: أنا كنت بهذا الشهر أولى من أبيك؛ قال: كذبت ولؤمت؛ قال: أما كذبت فنعم، وأما لؤمت فلم، قال: لأنك كنت ميت الحق في الجاهلية وميته في الأسلام، أما في الجاهلية فقاتلت النبي صلى الله عليه وسلم والوحي حتى جعل الله " عز وجل " كيدك المردود، وأما في الإسلام فمنعت ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة، ومالأنت وهي! وأنت طليق ابن طليقٍ! فقال معاوية: قد خرف الشيخ فأقيموه، فأخذ بيده فأقيم.

وسعية هذا هو الذي يقول:

صوت

يادار سعدى بأقصى تلعة النعم حييت داراً على الإقواء والقدم

ومابجزعك إلا الوحش ساكنة وهامد من رماد القدر والحمم

عجنا فما كلمتنا الدار إذ سئلت ومابها عن جواب خلت من صمم

الشعر لسعية بن غريض، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر.

أخبار ابن صاحب الوضوء ونسبه

نسبه وولاؤه وسبب تسمية أيه

اسمه محمد بن عبد الله، ويكنى أبا عبد الله، مولى بني أمية، وهو من أهل المدينة؛ وكان أبوه على ميضأة المدينة فسمي صاحب الوضوء.

وهو قليل الصنعة لم يذكر له إسحاق إلا صوتين كلاهما خفيف الثقيل الثاني المعروف بالماخوري ولاذكر له غير إسحاق سواهما إلا ماهو مرسوم في الكتاب الباطل المنسوب إلى إسحاق فإن له فيه شيئاً لاأصل له، وفي كتاب حبش" الصيني". وهو رجل لايحصل مايقوله ويرويه.

مدح يونس الكاتب غناءه

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بت إسحاق عن أبيه"عن" جده عن سياط عن يونس الكاتب قال: غني ابن صاحب الوضوء في شعر النابغة:

خطاطيف حجن في حبال متينة ... تمد بها إيد إليك نوازع

وفي شعر بعض اليهود:

إرفع ضعيفك لايحر بك ضعفه ... يوماً فتدركه العواقب قد نما

فأجاد فيهما ماشاء وأحسن غاية الإحسان؛ فقيل له: ألا تزيد وتصنع شيئاً "آخر"؟ فقال: لا والله حتى أرى غيري قد صنع مثل ماصنعت وأزيد، وإلا فحسبي هذا.

نقل له صوت فغناه في المحراب

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس الشيعي، قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي -قال ابن عمار في خبره: وكان يسمى المبارك - قال حدثنا أبو مسلمة المصبحي قال: قدم علينا أسود من أهل الكوفة فغنى:

ارفع ضعيفك لايحر بك ضعفه ... يوماً فتدركه العواقب قد نما

قال: فممرت بعبد الله بن عامر الأسلمي، وكان يؤمنا وهو قائم يصلي الظهر، فقلت" له": قدم علينا أسود من الكوفة يغني كذا وكذا " فأجاده"؛ فأشار إلي بيده أن اجلس؛ فلما قضى صلاته قال: أخذته عنه؟ قلت: نعم، قال: فأمره علي، ففعلت؛ قال: فلما كان بالليل صلى بنا فأداه في المحراب

صوت من المائة المختارة

التي رواها علي بن يحيى

ياليلتي تزداد نكرا ... من حب من أحببت بكرا

حوراء إن نظرت إلي ... ك سقتك بالعينين خمرا

الشعر لبشار، والغناء في اللحن والغناء ليزيد حوراء رمل بالبنصر عن عمرو ويحيى المكي وإسحاق. وفيه لسياط خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وإبراهيم الموصلي.

أخبار بشار بن برد ونسبه

نسبه وكنيته وطبقته في الشعراء

هو، فيما ذكره الحسن بن علي عن محمد بن القاسم بن مهروية عن غيلان الشعوبي، بشار بن برد بن يرجوخ بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز بن كرديه بن ماهفيدان بن دادان بن بهمن بن بن أزدكرد بن حسيس بن مهران بن خسروان بن أخشين بن شهر داد بن نبوذ بن ماخرشيدا نماذ بن شهريار بن بنداد سيحان بن مكر بن أدريوس بن يستاسب" بن لهراسف". قال: وكان يرجوخ من طخارستان من سبى المهلب بن أبي صفرة. ويكنى بشار أبا معاذ. ومحله في الشعر وتقدمه طبقات المحدثين فيه بإجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن وصفه وإطالة ذكر محله. وهو من مخضرمي شعراء الدولتين العباسية والأموية، قد شهر فيهما ومدح وهجا وأخذ سني الجوائز مع الشعراء.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال قال حميد بن سعيد.

كان بشار من شعب أدريوس بن يستاسب الملك بن لهراسف الملك. قال: وهو بشار بن برد بن بهمن بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز. قال: وكان يكنى أبا معاذ.

ولاؤه لبني عقيل: وأخبرني يحيى بن علي ومحمد بن عمران الصيرفي وغيرهما عن الحسن بن عليل العتري عن خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه قال: كان بشار بن برد بن يرجوخ وأبوه برد من قن خيرة القشيرية امرأة المهلب بن أبي صفرة، وكان مقيماً لها في ضيعتها بالبصرة المعروفة " بخيرتان" مع عبيد لها وإماء، فوهبت براداً بعد أن زوجته لامرأة من بني عقيل كانت متصلة بها، فولدت له امرأته وهو في ملكها بشاراً فأعتقته العقيلية وأخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان برد أبو بشار مولى أم الظباء العقيلية السدوسية، فادعى بشار أنه مولى بني عقيل لنزوله فيهم.

وأخبرني امد بن العباس العسكري قال حدثنا العتري قال حدثني رجل من ولد بشار يقال له حمدان كان قصارا بالبصرة، قال: ولاؤنا لبني عقيل؛ فقلت لأيهم؟ فقال: لبني ربيعة بن عقيل وأخبرني وكيع قال حدثني سليمان المدني قال قال أحمد بن معاوية الباهلي: كان بشار وأمه لرجل من الأزد، فتزوج امراة من بني عقيل، فساق إليها بشاراً وأمه في صداقها، وكان بشار ولد مكفوفاً فأعتقته العقيلية.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثني الحسن بن عليل العتري قال حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي قال حدثني محمد بن الحجاج قال:

باعت أم بشار بشاراً على أم الظباء السدوسية بدينارين فأعتقته. وأم الظباء امراة أوس بن ثعلبة أحد بن تيم اللات بن ثعلبة، وهو صاحب قصر أوس بالبصرة؛ وكان أوس أحد فرسان بكر بن وائل بن بخراسان

كان أبوه طساناً

وقد هجاه بذلك حماد عجرد: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا العتري قال حدثنا محمد بن زيد العجلي قال أخبرني بدر بن مزاحم: أن برداً أبا بشار كان طياناً يضرب اللبن، وأراني أبي بيتين" لناً فقال لي: لبن هذين البيتين من ضرب برد أبي بشارٍ. فسمع هذه الحكاية حماد عجردٍ فهجاه فقال:

يابن برد إخسأ إليك فمثل ال ... كلب في الناس أنت لا الإنسان
بل لعمري لأنت شر من الكل ... ب وأولى منه بكل هوان
ولريح الخنزير أهون من ري ... حك يابن الطيان ذي التبان

أنشد للمهدي شعراً في أنه عجمي

بحضور أبي دلامة:

أخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني عن أبي الصلت البصري عن أبي عدنان قال حدثني يحيى بن الجون العبدي رواية بشار قال: قال: لما دخلت على المهدي قال لي: فيمن تعتذ يابشار؟ فقلت: اما اللسان والزي فعربيان، وأما الأصل فعجمي، كما قلت في شعري ياأمير المؤمنين:

ونبئت قوماً بهم جنة ... يقولون من ذا وكنت العلم
ألا أيها السائلي جاهداً ... ليعرفني أنا أنف الكرم
نمت في الكرام بني عامر ... فروعي وأصلي قريش العجم
فإني لأغني مقام الفتى ... وأصبي الفتاة فما تعتصم

قال: وكان أبو دلامة حاضراً فقال: كلا! لوجهك أقبح من ذلك ووجهي مع وجهك؛ فقلت: كلا! والله مارأيت رجلاً أصدق على نفسه وأكذب على جليسه منك، والله إني لطويل القامة عظيم الهامة تام الألواح أسحج الخدين، ولرب مسترخي المذورين للعين فيه مراد قد جلس من الفتاة حجرة وجلست منها حيث أريد، فأنت مثلي يامرضعان! "قال": فسكت عني، ثم قال لي المهدي: فمن أي العجم أصلك؟ فقلت: من أكثرها في الفرسان، وأشدها على الأقران، أهل طخارستان؛ فقال بعض القوم: أولئك الصغد؛ فقلت: لا، الصغد تجار؛ فقال بعض القوم: اولئك الصغد؛ فقلت: لا الصغد تجار؛ فلم يردد ذلك المهدي

كان كثير التلون في ولائه

للعرب مرة وللعجم أخرى:

وكان بشار كثير التلون في ولائه، شديد الشغب والتعصب للعجم، مرة يقول يفتخر بولائه في قيس:

أمنت مضرة الفحشاء أنى أرى قيساً تضر ولاتضار

كأن الناس حين تغيب عنهم نبات الأرض أخطأه القطار

وقد كانت بتذمر خيل قيس فكان لتدمر فيها دمار

بحي من بني عيلان شوس يسير الموت حيث يقال ساروا

ومانلقاهم إلا صدرنا بري منهم وهم حرار

ورمة يتبرأ من ولاء العرب فيقول

أصبحت مولى ذي الجلال وبعضهم مولى العريب فخذ بفضلك فافخر

مولاك أكرم من تميم كلها أهل الفعال ومن قريش المشعر

فارجع إلى مولاك غير مدافع سبحان مولاك الأجل الأكبر

وقال يفتخر بولاء بني عقيل:

إنني من بني عقيل بن كعب موضع السيف من طلى الأعناق

كان يلقب بالمرعث وسبب ذلك

ويكنى أبا بشار أبا معاذ، ويلقب بالمرعث.

أخبرني عمي ويحيى بن علي قالا حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني محم بن سلام قال: بشار المرعث هو بشار بن برد، وإما سمي المرعث بقوله:

قال ريم مرعث ساحر الطرف والنظر

لست والله نائلي قلت أو يغلب القدر

أنت إن رمت وصلنا فانج، هل تدرك القمر

قال أبو أيوب: وقال لنا ابن سلام مرة أخرى: إنما سمي بشار المرعث، لأنه كان لقميصه جيبان: جيب عن يمينه وجيب عن شماله، فإذا أراد لبسه ضمه عليه من غير أن يدخل رأسه فيه، وإذا أراد نزعه حل أزاره وخرج منه، فشبهت تلك الجيوب بالرعاث لاسترسالها وتدليلها، وسمي من أجلها المرعث.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا علي بن مهدي قال حدثني أبو حاتم قال قال لي أبو عبيدة:

لقب بشار بالمرعث لأنه كان في أذنه وهو صغير رعاث. والرعاث: القرطة، واحدها رعثة وجمعها رعاث، "ورعثات". ورعثات الديك: اللحم المتدلي تحت حنكه؛ قال الشاعر:

سقيت أب المصرع إذ أتأني وذو الرعثات منتصب يصيح

شراباً يهرب الثبان منه ويلثغ حين يشربه الفصيح

قال: والرعث: الاسترسال والتساقط. فكان اسم القرطة اشتق منه.

كان أشد الناس تبرماً بالناس

أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العتري قال حدثنا محمد بن بدر العجلي قال: سمعت الأصمعي يذكر أن بشاراً كان من أشد الناس تبرماً بالناس، وكان يقول: الحمد لله الذي دهب ببصري؛ فقيل له: و لم يا أبا معاذ؟ قال: لئلا ارى من أبغض. وكان يلبس قميصاً له لبنتان، فإذا أراد أن يترعه نزعه من أسفله، فبذلك سمي المرعث

صفاته

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال حدثنا قعنب بن محز عن الأصمعي قال: كان بشار ضخماً، عظيم الخلق والوجه، مجدوراً، طويلاً، جاحظ المقلتين قد تغشاهما لحم أحمر، فكان أقبح الناس عمى وأفظعه منظراً وكان إذا أراد أن ينشد صفق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتي بالعجب ولد أعمى وهجى بذلك وشعره في العمى أخبرنا يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني عن محمد بن سلام قال: ولد بشار أعمى، وهو الأكمه. وقال في تصداق ذلك أبو هشام الباهلي يهجوه:

وعبدي فقا عينيك في الرحم أيره فجشت ولم تعلم لعينيك فاقيا

ألمك يابشار كانت عفيفة؟ علي إذا مشي إلى البيت حافيا

قال: و لم يزل بشار منذ قال فيه هذين البيتين منكرساً: أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي قل: ولد بشار أعمى فما نظر إلى الدنيا قط، وكان يشبه الأشياء بعضها ببعض في شعره فيأتي بما لايقدر البصراء أن يأتوا بمثله؛ فقيل له يوماً وقد أنشد قوله:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسافنا ليل تهاوى كواكبه

ماقال أحد أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا و لم تر الدنيا قط ولاشيئاً فيها؟ فقال: إن عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء فيتوفر حسه وتذكو قريحته؛ ثم أنشدهم قوله:

عميت جنيناً والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا

وغاض ضياء العين للعلم رافداً لقلب إذا ماضيع الناس حصلا

وشعر كنور الروض لاءمت بينه بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلا

أخبرنا هاشم قال حدثنا العتري عن قعنب بن وحرز عن أبي عبد الله الشرادني قال: كان أبو بشار أعمى طويلاً " ضخماً" آدم مجدورا.

وأخبرني يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني قال قال الحمراني قالت لي عمتي: زرت قرابة" لي في بني عقيل فإذا أنا بشيخ أعمى ضخم ينشد:

من المفتون بشار بن برد إلى شيبان كهلهم ومرد

بأن فتاتكم سلبت فؤادي فنصف عندها والنصف عندي

فسألت عنه فقيل لي: هذا بشار

كان يقول أزري بشعر الأذان

أخبرني محمد بن يحيى الصيرفي قال حدثنا العتري قال حدثنا أبو زيد قال سمعت أبا محمد التوزي يقول: قال بشار: أزري بشعري الأذان. يقول: إنه إسلامي

قال الشعر وهو ابن عشر سنين

وأخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شية قال قال أبو عبيدة: قال بشار الشعر و لم يبلغ عشر سنين، ثم بلغ الحلم وهو مخشي معرة لسانه هجا جريراً فأعرض عنه استصغاراً له: قال: وكان بشار يقول: هجوت جريراً فأعرض عني واستصغرني، ولو أجابني لكنت أشعر الناس.

كان الأصمعي يقول هو خاتمة الشعراء

وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال: كان الأصمعي يقول: بشار خاتمة الشعراء، والله لولا أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم.
قال أبو زيد: كتن راجزاً مفصداً

جودة نقده للشعر

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال حدثني أبو عبيدة: قال سمعت بشاراً يقول وقد أنشد في شعر الأعشى:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

فأنكره، وقال: هذا بيت مصنوع مايشبه كلام الأعشى؛ فعجبت لذلك. فلما كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالساً عند يونس، فقال: حدثني أبو عمرو بن العلاء أنه صنع هذا البيت وأدخله في شعر الأعشى:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

فجعلت حينئذ أزداد عجباً من فطنة بشار وصحة قريحته وجودة نقده للشعر أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة. قال: له اثنا عشر ألف قصيدة: قال بشار: لي اثنا عشر ألف بيت عينٍ؛ فقيل له: هذا مالم يكن يدعيه أحد قط سواك؛ فقال: لي اثنتا عشرة ألف قصيدة، لعنها الله ولعن قائلها إن لم يكن في كل واحدة منها بيت عين وأخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا علي بن مهدي عن أبي حاتم قال:

رأي أبي عبيدة فيه وفي ابن أبي حفصة

قلت لأبي عبيدة: أمروان عندك أشعر أم بشار؟ فقال: حكم بشار لنفسه بالاستظهار أنه قال ثلاثة عشر ألأف بيت جيد، ولايكون عدد الجيد من شعر شعراء الجاهلية والإسلام هذا العدد، ومأحسبهم برزوا في مثلها، ومروان أمدح للملوك.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعي قال: قال بشار الشعر وله عشر سنين، فما بلغ الحلم إلا وهو مخشي معرة اللسان بالبصرة. قال: وكان يقول: هجوت جريراً فاستصغرني وأعرض عني، ولو أجابني لكنت أشعر أهل زماني أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثنا أبو العوناذل زكريا بن هارون قال: قال بشار: لي اثنا عشر ألف بيت جيد؛ فقيل به: كيف؟ قال: لي اثنتا عشرة ألف قصيدةٍ، أما في كل قصيدة منها بيت جيد!

كلام الجاحظ عنه

وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وقد ذكره: كان بشار " شاعراً " خطيباً صاحب منثورٍ ومزدوج وسجع ورسائل، وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع المتفننين في الشعر القائلين في أكثر أجناسه وضروبه؛ قال الشعر في حياة جرير وتعرض له، وحكي عنه أنه قال: هجوت جريراً فأعرض عني، ولو هاجاني لكنت أشعر الناس.

كان يدين بالرجعة ويكفر جميع الأمة: قال الجاحظ: زكان بشار يدين بالرجعة، ويكفر جميع الأمة، ويصوزب رأي إبليس في تقديم الناء على الطين، وذكر ذلك في شعره فقال:

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

هجاء واصل بن عطاء فخطب الناس بالحادة وكان يتجنب في خطبه الراء قال: وبلغه عن أبي حذيفة واصل بن عطاء إنكار لقوله وهتف به، فقال يهجوه:

مالي أشايع غزالاً له عنق كنقنق الدو إن ولى وإن مثلا

عنق الزرافة مابالي وبالكم تكفرون رجالاً كفروا رجلا !

قال: فلما تتابع على واصل منه مايشهد على إلحاده خطب به واصل، وكان ألثغ على الراء فكان يجتنبها في كلامه، فقال: أما لهذا الأعمى الملحد، أما لهذا المشنف المكني بأبي معاذ من يقتله؟ أما والله لولا "أن" الغيلة سجية من سجايا الغالية لدسست إليه من يبعج بطنه في جوف مترله أو في حفله، ثم كان لايتولى ذلك إلا عقيلي أو سدوسي! فقلا أبا معاذ و لم يقل بشاراً، وقال المشنف و لم يقل المرعث، وقال: من سجايا الغالية وبم يقل الرافضة، وقال: في مترله و لم يقل في داره، وقال: يبعج بطنه و لم يقل يبقر، للثغة التي كانت به في الراء.

قال: وكان واصل قد بلغ من اقتداره على الكلام وتمكنه من العبارة أن حذف الراء من جميع كلامه وخطبه وجعل مكالها مايقوم مقامها.

هو أحد أصحاب الكلام الستة: أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي عن عافية بن شبيب قال حدثني أبو سهيل قال حدثني سعيد ين سلام قال:

كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام: عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، وبشار الأعمى، وصالح بت عبد القدوس، وعبد الكريم بن أبي العوجاء، ورجل من الأزد -قال أبو أحمد: يعني جرير بن حازم -فكانوا يجتمعون في مترل الأزدي ويختصمون عنده. فأما عمرو وواصل فصارا إلى الاعتزال. وأما عبد الكريم وصالح فصححا التوبة. وأمابشار فبقي متحيراً مخلطاً. وأما الأزدي فمال إلى قول السمينة، وهو مذهب من مذاهب الهند، وبقي ظاهره على ما كان عليه. قال: فكان عبد الكريم بفسد الأحداث؛ فقال له عمرو بن عبيد: قد بلغني إنك تخلو بالحدث من أحداثنا فتفسده " وتستزله " وتدخله في دينك، فإن خرجت من مصرنا وإلا قمت فيك مقاماً آتي فيه على نفسك؛ فلحق بالكوفة، فدل عليه محمد بن سليمان فقتله وصلبه بها. وله يقول بشار:

قل لعبد الكريم يابن أبي الو جاء بعت الإسلام بالكفر موقا

لاتصلي ولاتصوم فإن صم ت فبعض النهار صوماً رقيقا

لاتبالي إذا أصبت من الخم ر عتيقا ألا تتكون عتيقا

ليت شعري غذاة حليت في الجي د حنيفا حليت أم زنديقا

أنت ممن يدور في لعنة الل ه صديق لمن ينيك الصديقا

رأي الأصمعي فيه وفي ابن أبي حفصة

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني الرياشي قال: سئل الأصمعي عن بشار ومروان أيهما أشعر؟ فقال: بشار؛ فسئل عن السبب في ذلك، فقال: لأن مروان سلك طريقاً كثر من يسلكه فلم يلحق من تقدمه، وشركه فيه من كان في عصره، ويشار سلك طريقاً لم يسلك وأحسن فيه وتفرد به، وهو أكثر تصرفاً وفنون شعر وأغزر وأوسع

بديعا، ومروان لم يتجاوز مذاهب الأوائل أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني العتري عن أبي حاتم قال سمعت الأصمعي وقد عاد إلى البصرة من بغداد فسأله رجل عن مروان بن أبي حفصة، فقال: وجد أهل بغداد قد ختموا به الشعراء وبشار أحق بأن يختموهم به من مروان؛ فقيل له: و لم؟ فقال: وكيف لايكون كذلك وملكان مروان في حياة بشار يقول شعراًحتى يصلحه له بشار ويقومه! وهذا سلم الخاسر من طبقة مروان يزاحمه بين أيدي الخلفاء بالشعر ةيساويه في الجوائز، وسلم معتوف بأنه تبع لبشار.

مقارنته بامرىء القيس والقطامي

أخبرني جحظة قال سمعت علي بن يحيى المنجم يقول: سمعت من لاأحصي من الواة يقولون: أحسن الناس ابتداء في الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول:

ألا أنعم صباحاً أيها الطلل البالي

وحيث يقول:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وفي الإسلام القطامي حيث يقول:

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل

ومن المحدثين بشار حيث يقول:

صوت

أبى طلل بالجزع أن يتكلما وماذا عليه لو أجاب متيما

وبالفرع آثار بقين وباللوى ملاعب لايعرفن إلا توهما

وفي هذين البيتين لابن المكي ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى من كتابه. وفيهما لابن جؤذر رمل.

مقارنة بينه وبين مروان بن أبي حفصة

أخبرني عمي عن الكريني عن أبي حاتم قال: كان الأصمعي يعجب بشعر بشار لكثرة فنونه وسعة تصرفه، ويقول: كان مطبوعاً لايكلف طبعه شيئاً متعذراً لاكمن يقول البيت ويحككه أياماً. زكان يشبه بشاراً بالأعشى والنابغة الذبياني، ويشبه مروان بزهير والحطيئة، ويقول: هو متكلف قال الكراني: قال أبو حاتم: وقلت لأبي زيد: أيما أشعر بشار أم مروان؟ فقال: بشار أشعر، ومروان أكفر. قال أبو حاتم: وسألت أبا زيد مرة أخرى عنهما

فقال: مروان أجد وبشار أهزل؛ فحدثت الأصمعي بذلك؛ فقال: بشار يصلح للجد والهزل، ومروان لايصلح إلا لأحدهما.

كان شعره سياراً يتناشده الناس

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدثنا نجم بن النطاح قال: عهدي بالبصرة وليس فيها غزل ولاغزلة إلا يروي من شعر بشار، ولانائحة ولامغنية إلا لتكسب به، ولا ذو شرفٍ إلا وهو يهابه ويخاف معرة لسانه.

لم يأت في شعره بلفظ مستنكر: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أحمد بن المبارك قال حدثني أبي قال:

قلت لبشار: ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلا وقد قال فيه شيئاً استنكرته العرب من ألفاظهم وشك فيه، وإنه ليس في شعرك مايشك؛ قال: ومن أين يأتيني الخطأ! ولدت هاهنا ونشأت في حجورثمانين شيخاً من فصحاء بني عقيل مافيهم احد يعرف كلمة من الخطأ، وإن دخلت إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم، وأيفعت فأبديت إلى أن أدركت، فمن أين يأتيني الخطأ أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز ويحيى بن علي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال: كان الأصمعي يقول: إن بشاراً خاتمة الشعراء، والله لولا ظأن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم.

هو أول الشعراء في جملة من اغراض الشعر

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبو الفضل المروزي قال حدثني بن المحرز الباهلي قال قال الأصمعي: لقي أبو عمرو بن العلاء بعض الرواة فقال له: يا أبا عمرو، من أبدع الناسبيتاً؟ قال: الذي يقول:

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ... ونفى عني الكرى طيف ألم

روحي عني قليلا واعلمي ... أنني ياعبد من لحم ودم

قال: فمن أمح الناس؟ قال: الذي يقول:

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفه يعدي

فلا أنا منه ماأفاد ذوو الغنى ... أفدت وأعداني فأتلفت ماعندي

قال: فمن أهجى الناس؟ قال: الذي يقول:

رأيت السهيلين استوى الجود فيهما ... على بعد ذا من ذاك في حكم حاكم

سهيلبن عثمان يجود بمابه ... كما جاد بالوجعا سهيل بن سالم

قال: وهذه الأبيات كلها لبشار نسبة مافي هذا الخبر من الأشعار التي يغني فيها

صوت

لم يطل ليلي ولكن بم أنم ... ونفى عني الكرى طيف ألم

وإذا قلت لها جودي لنا ... خرجت بالصمت عن لاونعم

نفسي ياعبد عني واعلمي ... أنني ياعبد من لحم ودم

إن في بردى جسماً ناحلاً ... لو تركأت عليه لأنهدم

حتم الحب لها في عنقي ... موضع الخاتم من أهل الذمم

غناه إبراهيم هزجاً بالسبابة في مجرى الوسطى عن ابن المكي والهشامي. وفيه لقعنب الأسود خفيف ثقيل. فأما الأبيات التي ذكر أبو عمرو أنه فيها أمدح الناس وأولها:

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى

فإنه ذكر لبشار. وذكر الزبير بن بكار أنها لابن الخياط في المهدي، وذكر له فيها معه خبراً طويلاً قد ذكرته في أخبار ابن الخياط في هذا الكتاب.

هجا صديقه ديسماً لأنه يروي هجاءه

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا علي بن مهدي الكسروي قال حدثنا أبو حاتم قال: كان شار كثير الولوع بديسم العتري وكان صديقاً له وهو مع ذلك يكثر هجاءه، وكان ديسم لايزال يحفظ شيئاً من شعر حماد وأبي هشام الباهلي في بشار؛ فبلغه ذلك فقال فيه:

أديسم يابن الذئب من نحل زارع ... أتروي هجائي سادراً غير مقصر

قال أبو حاتم: فأنشدت أبا زيد هذا البيت وسألأته مايقول فيه، فقال: لمن هذا الشعر؟ فقلت: لبشار "يقوله" في ديسم العتري؛ فقال: قاتله الله ماأعلمه بكلام العرب! ثم قال: الديسم: ولد الذئب من الكلبة، ويقال للكلاب: أولاد زارع. والعسبار: ولد الضبع من الذئب. والسمع: ولد الذئب من الضبع. وتزعم العرب أ، السمع لايموت حتف أنفه، وأنه أسرع من الريح وإنما هلاكه بعرض من أعراض الدنيا.

مزاحه مع حمدان الخراط

أخبرنا حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال: كان بالبصرة رجل يقال له: حمدان الخراط، فاتخذ جاماً لإنسان كان بشار عنده، فسألأه بشار أن يتخذ له لجاماً فيه صور طير تطير، فاتخذه له وجاءه به، فقال له:

مافي هذا اللجام؟ فقال: صور طير تطير؛ فقاتل" له: قد" كان ينبغي أن تتخذ فوق هذه الطير طائراً من الجوارح كأن يريد صيدها، فإنه كان أحسن؛ قال: لم أعلم؛ قال: بلى قد علمت، ولكن علمت أني أعمى لاأبصر شيئاً! وهدده بالهجاء، فقال له حمدان: لاتفعل فإنك تندم؛ قال: أو تهددني أيضاً! قال: نعم؛ قال: فأي شيء تستطيع أن تصنع بي إن هجوتك! قال: أصورك على باب داري بصورتك هذه وأجعل من خلفك قرداً ينكحك حتى يراك الصادر والوارد؛ قال بشار: اللهم أخزه، أنا أمازحه وهو يأبى إلا الجد!

مفاخرة جرير بن علي

ابن يحيى والحسن بن علي ومحمد بن عمران الصيرفي قالوا: حدثنا العتري قال حدثني جعفر بن محمد " العدوي عن محمد" بن سلام قال حدثني مخلد أبو سفيان قال: كان جرير بن المنذر السدوسي يفاخر بشاراً؛ فقال فيه بشار:

أمثل بني مصر وائل فقدتك من فاخر مأأجن
افي النوم هذا أبا منذر فخيراً رأيت وخيراً يكن
رأيتك والفخر في مثلها كعاجنة غير ماتطحن

وقال يحيى في خبره: فحدثني محمد بن القاسم قال حدثني عاصم بن وهب أبو شبلٍ الشاعر البرجمي قال حدثني محمد بن الحجاج الساداني قال: كنا عند بشار وعنده رجل ينازعه في اليمانية والمضرية إذ أذن المؤذن، فقال له بشار: رويداً، تفهم هذا الكلام؛ فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله، قال له بشار: أهذا الذي نودي باسمه مع اسم الله عز وجل من مضر هو أم من صدأ وعك وحمير؟ فسكت الرجل نقده للشرع: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال أنشد بشار قول الشاعر:

وقد جعل الأعداء ينتقصوننا ونطمع فينا ألسن وعيون
ألا إنما ليلى عصا خيرزانةٍ إذا غمزوها بالأكف تلين

فقال: والله لو زعم أنها عصا مخ أو عصا زبد، لقد كان جهعلها جافية خشنة بعد أن جعلها عصا! ألا قال كما قلت:

ودعجاء المحاجر من معد كأن حديثها ثمر الجنان
إذا قامت لمشيتها تثنت كأن عظامها من خيرزان

اعتداده بنفسه

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرني محمد بن " صالح بن" الحجاج قال: قلت لبشار: إني أنشدت فلاناً قولك:

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

فقال لي: ما كنت أظنه إلا لرجل كبير؛ فقال لي بشار: ويلك أفلا قلت له: هو الله لأكبر الجن والإنس!

وعدته امرأة واعتذرت فعاتبها بشعر

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أبو الشبل عن محمد بن الحجاج قال: كان بشار يهوى امرأة من أهل البصرة فراسلها يسألها زيارته، فوعدته بذلك ثم أخلفته، وجعل ينتظرها ليلته حتى أصبح، فلما لم تأته أرسل إليها يعاتبها فاعتذرت بمرض أصابها؛ فكتب إليها بهذه الأبيات:

ياليلتي تزداد نكرا من حب من أحببت بكرا

حوراء إن نظرت إلي ك سقتك بالعينين خمرا

وكأن رجع حديثها قطع الرياض كسين زهرا

وكأن تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحرا

وتخال ماجمعت علي ه ثيابها ذهباً وعطرا

وكأنها برد الشرا ب صفا ووافق منك فطرا

جنية إنسية أو بين ذاك من أجل أمرا

وكفاك أني لم أحط بشكاة من أحببت خبرا

إلا مقالة زائر نثرت لي الأحزان نثرا

متخشعاً تحت الهوى عشراً وتحت الموت عشرا

كان إسحاق الموصلي لايعتد به ويفضل عليه مروان: حدثني جحظة قال حدثني علي بن يحيى قال:

كان إسحاق الموصلي لايعتد ببشار

ويقول: هو كثير التخليط في شعره، وأشعاره مختلفة، لايشبه بعضها بعضاً؛ أليس هو القائل:

إنما عظم سليمى حبتي قصب السكر لاعظم الجمل

وإذا أدنيت منها بصلاً غلب المسك على ريح البصل

لو قال كل شيء جيد ثم أضيف إلى هذا لزيفه. قال: وكان يقدم عليه مروان ويقول: هذا هو أشد استواء شعر منه، وكلامه ومذهبه اشبه بكلام العرب ومذاهبها، وكان لايعد أبا نواس البتة ولايرى فيه خبراً

أنشد إبراهيم بن عبد الله هجوه للمنصور

ولما قتل غيرها وجعلها في هجو أبي مسلم:

حدثنا محمد بن علي بن يحيى قال حدثنا محمد بن زكريا قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن التيمي قال: دخل بشار إلى إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير عليه برأي يستعمله في أمره، فلما قتل إبراهيم خاف بشار، فقلب الكنية، وأظهر أنه كان قالها في أبي مسلم وحذف منها أبياتاً وأولها:

أبا جعفر ما كول عيش بدائم ... ولاسالم عما قليل بسالم

قلب هذا البيت فقال: "أبا مسلم"

على الملك الجبار يقتحم الردى ... ويصرعه في المأزق المتلاحم

كأنك لم تسمع بقتل متوج ... عظيم ولم تسمع بفتك الأعاجم

تقسم كسرى رهطه بسيوفهم ... وأمسى أبو العباس أحلام نائم

يعني الوليد بن يزيد:

وقد كان لايخشى انقلاب مكيدة ... عليه ولاجري النحوس الأشائم

مقيماً على اللذات حتى بدت له ... وجوه المنايا حاسرات العمائم

وقد ترد الأيام غرا وربما ... وردن كلوحاً باديات اشكائم

ومروان قد دارت على رأسه الرحى ... وكان لما أجرمت نزر الجرائم

فأصبحت تجري سادراً في طريقهم ... ولاتتقي أشباه تلك النقائم

تجردت للإسلام تغفو سبيله ... وتعري مطاه ببيوث الضراغم

فمازلت حتى استنصر الدينأهله ... عليك فعاذزا بالسيوف الصوارم

فرم وزراً ينجيك يابن سلامة ... فلست بناج من مضيم وضائم

جعل موضع " يابن سلامة" "يابن وشيكة" وهي أم أبي مسلم:

لحا الله قوماً رأسوك عليهم ... ومازلت مرؤوساً خبيث المطاعم

أقول لبسام عليه جلالة ... غداً أريحيا عاشقاً للمكارم

من الفاطميين الدعاة إلى الهدى جهاراً ومن يهديك مثل ابن فاطم

هذا البيت الذي " خافه و" حذفه بشار من الأبيات:

سراج لعين المستضيء وتارة يكون ظلاماً للعدو المزاحم
إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيح أو نصيحة حازم
ولاتجعل الشورى عليه غضاضة فإن الخوافي قوة للقوادم
وماخير كف أمسك الغل أختها وماخير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهوينا للضعيف ولاتكن نؤوماً فإن الحزم ليس بنائم
وحارب إذا لم تعط إلا ظلامة شبا الحرب خير من قبول المظالم

قال محمد بن يحيى: فحدثني الفضل بن الحباب قال سمعت أبا عثمان المازني يقول سمعت أبا عبيدة يقول: ميمية بشار هذه أحب إلي من ميميتي جرير والفرزدق.

قال محمد: وحدثني ابن الرياشي قال حدثني أبي قال:

حديث بشار في المشورة

قال الأصمعي قلت لبشار: يا أبا معاذ، إن الناس يعجبون من أبيتك في المشورة؛ فقال لي: يا أبا سعيد، إن المشاور بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك في مكروهه؛ فقلت له: أنت والله في قولك هذا أشعر منك في شعرك.

بشار والمعلي بن طريف

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق وحدثني به محمد بن مزيد بن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه قال: كان بشار جالساً في دار المهدي والناس ينتظرون الإذن، فقال بعض موالي المهدي لمن حضر: ماعندكم في قول الله عز وجل: " وأوحى ربك إلى النحل أن أتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر" فقال له بشار: النحل التي يعرفها الناس؛ قال هيهات يا أبا معاذ، النحل: بنو هاشم، وقوله: " يخرج من بطوها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس" يعني العلم؛ فقال له بشار: أراني الله طعامك وشرابك وشفاءك فيما يخرج من بطون بني هاشم، فقد أوسعتنا غثاثة"؛ فغضب وشتم بشاراً؛ وبلغ المهدي الخبر فدعا بهما فسألهما عن القصة، فحدثه بشار بها؛ فضحك حتى أمسك بطنه، ثم قال للرجل: أجل! فجعل طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم، فإنك بارد غث. وقال محمد بن مزيد في خبره: إن الذي خاطب بشاراً بهذه الحكاية وأجابه عنها من موالي المهدي المعلى بن طريف.

بشار ويزيد بن منصور الحميري

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد بنإسحاق عن أبيه قال:
دخل يزيد بن منصور الحميري على المهدي وبشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها؛ فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور الحميري، وكانت فيه غفلة، فقال له: ياشيخ، ماصناعتك؟ فقال: فقال: أثقب اللؤلؤ؛ فضحك المهدي ثم قال لبشار: أعزب ويلك؛ أتتنادر على خالي! فقال له: ومأأصنع به! يرى شيخاً أعمى ينشد الخليفة شعراً ويسأله عن صناعته!

ترك جواب رجل عاب شعره للؤمه

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال: وقف على بشار بعض المجان وهو ينشد شعراً؛ قال له: استر شعرك كما تستر عورتك؛ فصفق بشار بيديه وغضب وقال له: قال: أنا أعزك الله رجل من باهلة، وأخوالي"من" سلول، وأصهاري عكل، واسمي كلب، ومولدي بأضاخ، ومنزلي بنهر بلال، فضحك بشار ثم قال: اذهب ويلك! فأنت عتيق لؤمك، قد علم الله أنك استترت مني بحصون من حديد

وصف قاص قصراً كبيراً في الجنة فعاب

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني الفضل بن سعيد قال حدثني أبي قال:
مر بشار بقاص بالبصرة فسمعه يقول في قصصه: من صام رجباً وشعبان ورمضان بنى الله له قصراً في الجنة صحنه ألف فرسخ في مثلها وعله ألف فرسخ وكل باب من أبواب بيوته ومقاصره عشرة فراسخ في مثلها، قال: فالتفت بشار إلى قائده. فقال: بئست والله الدار هذه في كانون الثاني.

سمع صخباً في الجيران فقال

كأن القيامة قامت:

قال الفصل بن سعيد وحدثني رجل من أهل البصرة ممن كان يتزوج بالنهاريات قال: تزوجت امرأة منهن فاجتمعت معها في علو بيت وبشار تحتنا، أو كنا في أسفل البيت وبشار في علوه مع امرأة، فنهق حمار في الطريق فأجابه حمار في الجيران وحمار في الدار فارتجت الناحية بنهيقها، وضرب الحمار الذي في الددار الأرض برجله وجعل يدقها بها دقاً شديداً فسمعت بشاراً يقول للمرأة: نفخ -يعلم الله- في الصور وقامت القيامة أماتسمعين كيف يدق أهل القبور حتى يخرجوا منها! قال: ولم يلبث أن فزعت شاة كانت في السطح فقطعت حبلها وعدت فألقت طبقاً وغضارة إلى الدار فانكسرا، وتطاير حمام ودجاج كن في الدار لصوت الغضارة وبكى صبي في الدار؛ فقال بشار: صح والله الخبر ونشر أهل القبور من قبورهم أزفت-يشهد الله-الآزفة وزلزلت الأرض

زلزالها؛ فعجبت من كلامه وغاظني؛ فسألت من المتكلم؟ فقيل لي: بشار، فقلت: قد علمت أنه لايتكلم بمثل هذا غيربشار.

نكتة له مع رجل رمحته بغلة فشكرالله

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن محمد جدار قال حدثني قدامة بن نوح قال: مربشار برجل قد رمحته بغلة وهو يقولك الحمد لله شكراً، فقال له بشار: استزده يزدك. قال: ومر به قوم يحملون جنازة وهم يشرعون المشي بها، فقال: مالهم مسرعين! أتراهم سرقوه فهم يخافون أن يلحقوا فيؤخذ منهم!.

مات ابن له فرثاه

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شبيب، وأخبرني به وكيع عن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الملك عن الحسن بن جمهور، قالا: توفي ابن لبشار فجزع عليه؛ فقيل له: أجر قدمته، وفرط افترطته، وذخر أحرزته، فقال: ولد دفنته، وثكل تعجلته، وغيب وعدته فانتظرته؛ والله لئن لم أجزع للنقص لاأفرح للزيادة. وقال يرثيه:

أجارتنا لاتجزعي وأنيبي ... أتاني من الموت المطل نصيبي
بني على رغمي وسخطي رزئته ... وبدل أحجار وجال قليب
وكان كريحان الغصون تخاله ... ذوي بعد إشارق يسر وطيب
أصيب بني حين أورق غصنه ... وألقى علي الهم كل قريب
عجبت إسراع المنية نحوه ... وماكان لومليته بعجيب

نوادره

أخبرني يحيى بن علي قالذكر عافية بن شبيب عن أبي عثمان الليثي، وحدثني به الحسن بن علي عن ابن مهروية عن أبي مسلم، قلا: رفع غلام بشار إليه في حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم، فصاح به بشار وقال: والله مافي الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم، والله لو صدئت عين الشمس حتى يبقى العالم في ظلمة مابلغت أجره من يجلوها عشرة دراهم.

أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي قال حدثنا أبو معاذ النميري قال: قلت لبشار: لم

مدحت يزيد ين حاتم ثم هجوته؟ قال: سألني أن أنيكه فلم أفعل؛ فضحكت ثم قلت: فهو كان ينبغي له أن يغضب، فما موضغ الهجاء! فقال: أظنك تحب أن تكون شريكه؛ فقلت: أعوذ بالله من ذلك ويلك!

سئل عن شعره الغث فأجاب

حدثني الحسن بن علي قالحدثنا ابن مهروية قال حدثنا أحمد بن خلاد، وأخبرنا يحيى بن علي ومحمد بن عمران الصيرفي، قلا حدثنا العتري قال حدثنا أحمد بن خلاد قال حدثني أبي قالت قلت لبشار: إنك لتجيء بالشي الهجين المتفاوت، قال: وماذاك؟ قال قلت: بينما تقول شعراً تثير به النقع وتخلع به القلوب، مثل قولك:

إذا ماغضبنا غضبة مضرية   هتكنا حجاب الشمي أو تمطر الدما

إذا مأعرنا سيداً من قبيلة   ذرى منبر صلى علينا وسلما

تقول:

ربابة ربة البيت   تصب الخل في الزيت

لها عشر دجاجات   وديك حسن الصوت

فقال: لكل وجه وموضع، فالقول الأول جد، وهذا قلته في ربابة جارتي، وأنا لاآكل البيض من السوق، وربابة" هذه" لها عشر دجاجات وديك فهي تجمع لي البيض " وتحفظه عندهاً، فهذا عندها من قولي أحسن من:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

عندك.

غنني للغريض يابن قنان

فقيل له: من ابن قنان هذا، لسنا نعرفه من مغني البصرة؟ قال: وماعليكم منه! ألكم قبلة دين فتطالبوه به، أو ثأر تريدون أن تدركوه، أو كفلت لكم به فإذا غاب طالبتموني بإحضاره؟ قالوا: ليس بيننا وبينه شيء من هذا، وإنما أردنا أن نعرفه، فقال: هو رجل يغني لي ولايخرج من بيتي؛ فقالوا له: إلى متى؟ قال: مذ يوم ود إلى يوم يموت.

قال: وأنشدنا أيضاً في هذه القصيدة:

........ووافا   ني هلال السماء في البردان

فقلنا: يا أبا معاذ. أين البردان هذا؟ لسنا نعرفه بالبصرة، فقال: هو بيت في بيتي سميته البردان، أفعليكم من تسميتي داري وبيوها شيء فتسألوني عنه! حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني أبو غسان دماذ-واسمه رفيع بن سلمة - قال حدثني يحيى بن الجون العبدي راوية بشار قال: كنا عند بشار يوماً فأنشدنا قوله:

وجارية خلقت وحدها   كأن النساء لديها خدم

دوار العذارى إذا زرنها أطفن بحوراء مثل الصنم
ظمئت إليها فلنم تسقني بري ولم تشفني من سقم
وقالت هويت فمت راشداً كما مات عروة غما بغم
فلما رأيت الهوى قاتلي ولست بجارٍ ولاابن عم
دسست إليها أبا مجلز وأي فتى إن أصاب اعتزم
فمازال حتى أنابت له فراح وحل لنا ماحرم

فقال له رجل: ومن أبو مجلز هذا يا أبا معاذٍ؟ قال: وماحاجتك إليه! لك عليه دين أو تطالبه بطائله! هو رجل يتردد بيني وبين نعارفي في رسائل. قال: وكان كثيراً مايحشو شعره بمثل هذا.

شعره في قينة

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كانت بالبصرة قينة لبعض ولد سليمان بن علي وكانت محسنة بارعة الظرف، وكان بشار صديقاً لسيدها وداحاً له، فحضر مجلسه يوماً والجارية تغني؛ فسر بحضوره وشرب حتى سكر ونام، ونهض بشار؛ فقالت: يا أبا معاذ، أحب أن أتذكر يومنا هذا في قصيدة ولاتذكر فيها اسمي ولا اسم سيدي وتكتب بها إليه؛ فانصرف وكتب إليه:

وذات دل كأن البدر صورتها باتت تغني عميد القلب سكرانا:
إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
فقلت أحسنت يا سؤلي ويا أملي فأسمعيني جزاك الله إحسانا:
يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا
قالت فهلاً، فدتك النفس، أحسن من هذا لمن كان صب العين أحيانا
فقلت أحسنت أنت الشمس طالعةً أضرمت في القلب والأحشاء نيرانا
فأسمعيني صوتاً مطرباً هزجاً يزيد صباً محباً فيك أشجانا

ياليتني كنت تفاحاً مفلجة أو كنت من قضب الريحان ريحانا
حتى إذا وجدت ريحي فأعجبها ونحن في خلوه مثلث إنستا
فحركت عودها ثم انثنت طرباً تشدو به ثم لاتخفيه كتمانا:

أصبحت أطوع خلق الله كلهم لأكثر الخلق لي في الحب عصيانا

فقلت أطربتنا يازين مجلسنا فهات إنك بالإحسان أولانا

لو كانت أعلم أن الحب يقتلني أعددت لي قبل أن ألقاك أكفانا

فغنت الشرب صوتاً مؤنقاً رملاً يذكي السرور ويبكي العين ألوانا:

لا يقتل الله من دامت مودته والله يقتل أهل الغدر أحيانا

ووجه بالأبيات إليها، فبعث إليه سيدها بألفي دينار وسر بها سروراً شديداً

أغضبه أعرابي عند مجزأة فهجاه

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني الحسن بن عليل قال حدثني علي بن منصور أبو الحسن الباهلي قال حدثني أبو عبد الله المقرىء الجحدري الذي كان يقرأ في المسجد الجامع بالبصرة، قال: دخل أعرابي على مجزأة بن ثور السدوسي وبشار عنده وعليه بزة الشعراء، فقال الأعرابي: من الرجل؟ فقالوا: رجل شاعر؛ فقال: أمولى هو أم عربي؟ قالوا: بل مولى؛ فقال الأعرابي: وما للموالي وللشعر فغضب بشار وسكت هنيهة، ثم قال: أتأذن لي أبا ثورٍ؟ قال: قل ما شئت يا أبامعاذ؛ فأنشأ بشار يقول:

خليلي لاأنام على اقتسار ولاآبى على مولى وجار

سأخبر فاخر الأعراب عني وعنه حين تأذن بالفخار

أحيس كسيت بعد العري خزا ونادمت الكرام على العقار

تفاخر ياابن راعيةٍ وراع بني الأحرار حسبك منخسار

وكنت إذا طمئت إلى قراح شركت الكلب في ولغ الإطار

تريغ بخطبةٍ كسر الموانى وينسيك المكارم صيد فار

وتغدو للقنافذ تدريها ولم تعقل بدراج الديار

وتتشح الشمال للابسيها وترعى الضأن بالبلد القفار

مقامك بيننا دنس علينا فليتك غائب في حر نار

وفخرك بين خنزير وكلب على مثلي من الحدث الكبار

فقال مجزأة للأعرابي: قبحك الله فأنت كسبت هذا الشر لنفسك ولأمثالك.

خشي لسانه حاجب محمد بن سليمان

فأذن له بالدخول:

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني العتري عن الرياشي قال: حضر بشار باب محمد بن سليمان، فقال له الحاجب: اصبر؛ فقال: إن الصبر لايكون إلا علي بلية؛ فقال له الحاجب: إني أظن أن وراء قولك هذا شرا ولن أتعرض له، فقم فادخل

بشار وهلال الرأي

أخبرني وكيع قال حدثنا أبو أيوب المديني عن محمد بن سلام قال: قال هلال الرأي -وهوهلال بن عطية-لبشار وكان صديقاً يمازحه: إن الله لم يذهب بصر أحد إلا عوضه بشيء، فماعوضك؟ قالل: الطويل العريض؛ قال: وماهذا؟ قال: ألا أراك ولاأمثالك من الثقلاء. ثم قال له: ياهلال أتطيعني في نصيحة أخصك بها؟ قال نعم؛ قال: إنك كنت تسرق الحمير زماناً ثم تبت وصرت رافضياً، فعد إلى سرقة الحمير، فهي والله خير لك من الرفض قال محمد بن سلام: وكان هلال يستثقل، وفيه يقول لبشار:

وكيف يخف لي بصري وسمعي ... وحولي عسكران من الثقال

قعوداً حول دسكرتي وعندي ... كأن لهم على فضول مال

إذا ماشئت صبحني هلال ... وأي الناس أثقل من هلال

وأخبرني أبو دلف الخزاعي بهذا الخبر عن يسى بن اسماعيل عن ابن عائشة، فذكر أن الذي خاطب بشاراً بهذه المخاطبة ابن سيابة، فلما أجابه بشار بالجواب المذكور، قال له: من أنت؟ قال: ابن سيابة؛ فقال له: ياابن سيابة، لو نكح الأسدماافترس؛ قال: وكان يتهم بالأبنة ذم أناساً كانوا مع ابن أخيه: قال أيوب وحدثني محمد بن سلام وغيره قالوا: مر ابن أخي بشار به ومعه قوم؛ فقال لرجل معه: من هذا؟ فقال: ابن أخيك؛ قال: أشهد أن أصحابه أنذال؛ قال: وكيف علمت؟ قال: ليست لهم نعال

كان دقيق الحسك أخبرنا محمد بن علي قال حدثني عافية بن شبيب عن أبي دهمان الغلابي، قال: مررت ببشار يوماً وهو جالس على بابه وحده وليس معه خلق وبيده مخصرة يلعب بها وقدامه طبق فيه تفاح وأترج، فلما رأيته وليس عنده أحد تاقت نفسي إلى أن أسرق ما بين يديه، فجئت قليلاً قليلاً وهو كاف يده حتى مددت يدي لأتناول منه، فرفع القضيب وضرب به يدي ضربة حتى كاد يكسرها، فقلت له قطع الله يدك يا ابن الفاعلة، أنت الآن أعمى فقال: يا أحمق، فأين الحدس.

حديثه مع نسوة أخذن شعره لينحن به

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني العتري قال حدثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال: كان لبشار في داره مجلسان: مجلي يجلس فيه بالغداة يسميه" البردان" ومجلس يجلس فيه بالعشي اسمه " الرقيق" فأصبح ذات يوم فاحتجم وقال لغلامه: أمسك على بابي واطبخ لي من طيب طعامي وصف نبيذي. قال: فإنه لكذلك إذ قرع لباب قرعاً عنيفاً؛ فقال: ويحك ياغلام؛ انظر من يدق الباب دق الشرط؛ قال: فنظر الغلام، فقال له: نسوة خمس بالباب يسألن أن تقول لهن سعراً ينحن به؛ فقال: أدخلهن، فلما دخلن نظرن إلى النبيذ مصفى في قنانيه في جانب بيته؛ قال: فقالت واحدة منهن: هو خمر، وقالت الأخرى: هو زبيب وعسل؛ وقالت الثالثة: نقيع زبيب؛ فقال: لست بقائل لكن حرفاً أو تطعمن من طعامي وتشربن من شرابي؛ قال: فتماسكن ساعة، ثم قالت واحدة منهن: ماعليكن هو أعمى فكلن" من " طعامه واشربن من شرابه وخذن شرعه؛ فبلغ ذلك الحسن البصري فعابه وهتف بشار؛ فبلغه ذلك -وكان بشار يسمى الحسن البصري القس-فقال:

لما طلعن من الرقي ... ق علي بالبردان خمسا
وكأنهن أهلة ... تحت الثياب زففن شمسا
باكرن عطر لطيمة ... وغمسن في الجادي غمسا

صوت

لما طلعن حففنها ... وأصخن مايهمسن همسا
فسألتني من في البيو ... ت فقلت مايؤوين إنسا
ليت العيون الطارف ... ت طمسن عنا اليوم طمسا
فأصبن من طرف الحدي ... ث لذاذة وخرجن ملسا
لولا تعرضهن لي ... ياقس كنت كأنت قسا

غنى في هذه الأبيات يحيى المكي، ولحنه رمل بالبنصر عن عمرو

نهاه مالك بن دينار عن التشبب بالنساء

فقال شعراً:

أخبرنا يحيى قال حدثني العتري قال حدثنا علي بن محمد قال حدثني جعفر بن محمد النوفلي-وكان يروي شعر بشار بن برد -قال: جئت بشاراً ذات يوم فحدثني، قال: ماشعرت منذ أيام إلا بقارع يقرع بابي مع الصبح، فقلت: ياجارية انظري من هذا، فرجعت إلي وقالت: هذا مالك بن دينار؛ فقلت: ماهو من أشكالي ولاأضرابي،

ثم قلت: ائذني له، فدخل فقال: يا أبا معاذ، أتشتم أعراض الناس وتشبب بنسائهم فلم يكن عندي إلا أن دفعت عن نفسي وقلت: لأعود، فخرج عني، وقلت في أثره:

غداً مالك بملاماته علي ومابات من بالية

تناول خوداً هضيم الحشي من الحور محظوظة عالية

فقلت دع اللوم في حبها فقبلك أعييت عذالية

وإني لأكتمهم سرها غداة تقول لها الجالية

عبيدة مالك مسلوبة وكنت معطرة حاليه

فقلت على رقبةٍ: إنني رهنت المرعث خلخاليه

بمجلس يوم سأوفي به ولو أجلب الناس أحواليه

شعره في محبوبته فاطمة

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا العتري قال حدثني السميدع بن محمد الأزدي قال حدثني عبد الرحمن بن لاجهم عن هشام الكلبي قال: كان أول بدء بشار أنه عشق جارية يقال لها فاطمة ، وكان قد كف وذهب بصره، فسمعها تغني فهويها وأنشأ يقول:

درة بحرية مكنونة مازها الناجر من بين الدرر

عجبت فطمة من نعتي لها هل يجيد النعت مكفوف البصر

أمتا بدد هذا لعبي ووشاحي حله مكفوف البصر

فدعيني معه ياأمت علنا في خلوة نقضي الوطر

أقبلت مغضبة تضربها واعتراها كجنون مستعر

بأبي والله ماأحسنه دمع عين يغسل الكحل قطر

أيها النوام هبوا ويحكم واسألوني اليوم ما طعم السهر

عبث به رجل من آل سوار فلم يجبه

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العتري قال حدثني خالد بن يويد بن وهب بن جرير قال حدثني أبي عن الحكم بن مخلد بن حازم قال: مررت أنا ورجل من عكل من أبناء سوار بن عبد الله بقصر أوس، فإذا نحن

ببشار في ظل القصر وحده، فقال له العكلي: لابد لي من أن أعبث ببشار؛ فقلت: ويحك، مه لاتعرض بنفسك وعرضك؛ فقال: إني لاأجده في وقت أخلي منه في هذا الوقت؛ قال فوقفت ناحية ودنا منه فقال: يابشار؛ فقال: من هذا الذي لايكنيني ويدعوني باسمي؟ قال: سأخبرك من أنا، فأخبرني أنت عن أمل: أولدتك أعمى أم عميت بعدما ولدتك؟ قال: وماتريد إلى ذلك؟ قال: وددت أنه فسح لك في بصرك ساعة لتنظر إلى وجهك في المرآة، فعسى أن تمسك عتن هجاء الناس وتعرف قدرك؛ فقال: ويحكم من هذا؟ أما أحد يخبرني من هذا؟ فقال له: على رسلك، أنا رجل من عكل وخالي يبيع الفحم بالعبلاء فما تقدر أن تقول لي؟ قال: لاشيء اذهب، بأبي أنت، في حفظ الله.

مدح خالد البرمكي

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني هارون علي بن يحيى المنجم قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني العباس بن خالد البرمكي قال: كان الزوار يسمون في قديم الدهر إلى أيام خالد بن برمك السؤال؛ فقال خالد: هذا والله اسم استثقله لطلاب الخير، وأرقع قدر الكريم عن أن يسمي به أمثال هؤلاء المؤملين، لأن فيهم الأشراف والأحرار وأبناء النعيم ومن لعله خير ممن يقصد وأفضل أدباً، ولكنا نسميهم الزوار؛ فقال بشار يمدحه بذلك:

حذا خالد في فعله حذو برمك ... فمجد له مستطرف وأصيل

وكان ذوو الآمال يدعون قبله ... بلفظ على الإعدام فيه دليل

يسمون بالسؤال في كل موطن ... وإن كان فيهم نابة وجليل

فسماهم الزوار ستراً عليهم ... فأستاره في المجتدين سدول

قال: وقال بشار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلم خالد بهذا الكلام في أمر الزوار، فأعطاه لكل بيت ألف درهم.

بشار وصديقه تسنيم بن الحواري

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أبو شبل عاصم بن وهب قال: نهق حمار ذات يوم بقرب بشار، فخطر بباله فقال:

ماقام أير حمار فامتلا شبقاً ... إلا تحرك عرق في است تسنيم

قال: و لم يرد تسنيماً بالهجاء؛ ولكنه لما بلغ إلى قولهك " إلا تحرق عرق" قال: في است من؟ ومر به تسنيم بن الحواري وكان صديقه، فسلم عليه وضحك، فقال: في است تسنيم علم الله؛ فقال له: أيش ويحك؟ فأنشده

البيت؛ فقال له: عليك لعنة الله فما عندك فرق بين صديقك وعدزك، أي شيء حملك على هذا ألا قلت: " في است حماد" الذي هجاك وفضحك وأعياك، ووليست قافيتك على الميم فأعذرك قال: صدقت والله في هذا كله، ولكن مازلت أقول: في است من؟ في است من؟ ولايخطر ببالبي أحد حتى مررت وسلمت فرزقته؛ فقال له تسنيم: إذا كان هذا جواب السلام عليك فلا سلم الله عليك ولاعلي حين سلمت عليك؛ وجعل بشار يضحك ويصفق بيديه وتسنيم يشتمه.

أخبرنا عيسى بن الحسين قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن عمه قال: قالت امرأة لشار: مأدري لم يهابك الناس مع قبح الله وجهك فقال لها بشار: ليس من حسنه يهاب الأسد الملاحاة بينه وبين عقبة بن رؤية في حضرة عقبة بن سلم: أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قالحدثنا محمد بن الحجاج قال: دخل بشار على عقبة بن سلم، فأنشده بعض مدائحه فيه زعنده عقبة بن رؤبة ينشده رجزاً يمدحه به، فسمعه بشار وجعل يستحسن ماقال إلى أن فرغ؛ ثم أقبل على بشار فقال: هذا طراز لاتحسنه أنت يا أبا معاذ؛ فقال له بشار: ألي يقال هذا أنا والله أرجز منك ومن أبيك وجدك؛ ارحمهم رحمك الله فقال عقبة: أتستخف بي يا أبا معاذ وأنا شاعر ابن شاعر فقال له بشار: فأنت إذاً من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؛ ثم خرج من عنده عقبة مغضباً. فلما كان من غد غدا على عقبة بن سلم وعنده عقبة بن رؤية، فأنشده أرجوزته التي مدحه فيها:

ياطل الحي بذات الصمد ... بالله خبر كيف كنت بعدي
أوحشت من دعد وترب دعد ... سقياً لأسماء ابنة الأشد
قامت تراءى إذ رأتني وحدي ... كالشمس تحت الزبرج المنقذ
صدت بخد وجلت عن خد ... ثم انثنت كالنفس المرتد
فنحن من جهد الهوى في جهد ... وزاهر من سبط وجعد
أهدى له الدهر ولم ستهد ... أفواف نور الحبر المجد
يلقى الضحى ريحانه بسجد ... بدلت من ذاك بمى لايجدي
وافق حظا من سعى بجد ... ماضر أهل النو ضعف الجد
الحر يلحى والعصا للعبد ... وليس للملحف مثل الرد
والنصف يكفيك من التعدي ... وصاحب كالدمل الممد
حملته في رقعة من جلدي ... أرقب منه مثل يوم الورد
حتى مضر غير فقيد الفقد ... ومادرى مارغبتي من زهدي

اسلم وحييت أبا الملد مفتاح باب الحدث المنسد

مشترك النيل وري الزند أغر لباس ثياب الحمد

ماكان مني لك غير الود ثم ثناه مثل ريح الورد

نسجته في محكمات الند فالبس طرازي غير مسترد

لله أيامك في معد وفي بني قحطان غير عد

يوماً بذي طخفة عند الحد ومثله أودعت أرض الهند

بالمرهفات والحديد السرد والمقربات المبعدات الجرد

إذا الحيا أكدى بها لاتكدي تلحم أمراً وأموراً تسدي

وابن حكيم إن أتاك يردي أصم لايسمع صوت الرعد

حييته بتحفة المعد فانهد مثل الجبل المنهد

كل امرىء رهن بما يؤدي ورب ذي تاج كريم الجد

كآل كسرى وكآل برد أنكب جافٍ عن سبيل القصد

فصلته عن ماله والولد

فطرب عقبة بن سلم وأجزل صلته، وقام عقبة بن رؤبة فخرج عن المجلس بخزي، وهرب من تحت ليلته فلم يعد إليه.

وذكر لي أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي هذا الخبر عن الجاحظ، وزاد فيه الجاحظ قال: فانظر إلى سوء أدب عقبة بن رؤية وقد أجمل بشار محضره وعشرته، فقابله بهذه المقابلة القبيحة، وكان أبوه أعلم خلق الله به، لأنه قال له وقد فاخره بشعره: أنت يابني ذهبان الشعر إذا مت مات شعرك معك، فلم يوجد من يرويه بعدك؛ فكان كما قال له، مايعرف به بين واحد ولاخبر غير هذا الخبر القبيح الإخبار عنه الدال على سخفه وسقوطه وسوء أدبه.

كان يهوى امرأة من البصرة

وقال فيها الشعر لما رحلت:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ قال حدثنا أبو عبيدة قال: كان بشار يهوى امرأة من أهل البصرة ثقال لهاعبيدة، فخرجت عن البصرة إلى عمان مع زوجها، فقال بشار فيها:

صوت

هوى صاحبي ريح الشمال وأشفى لقلبي أن تهب جنوب

وماذاك إلا أنها حين تنتهي تناهى وفيها من عبيدة طيب

عذيري من العذال إذ يعذلونني سفاهاً وما في العاذلين لبيب

صوت

يقولون لو عزيت قلبك لارعوى فقلت وهل للعاشقين قلوب

إذا نطق القوم الجلوس فإنني مكب كأني في الجميع غريب

بشار زأبو الشمقمق: أخبرني هاشم قال حدثني دماذ حدثني رجل من الأنصار قال: جاء أبو الشمقمق إلى بشار يشكو إليه الضيقة ويحلف له أنه ماعنده شيء؛ فقال له بشار: والله ماعندي شيء يغنيك ولكن قم معي إلى عقبة بن سلم، فقام معه فذكر له أبا الشمقمق وقال: هو شاعر وله شكر وثناء، فأمر له بخمسمائة درهم؛ فقال له بشار:

ياواحد العرب الذي أمسى وليس له نظير

لوكان مثلك آخر ماكان في الدنيا فقير

فأمر للبشار بألفي درهم، فقال له أبو الشمقمق: نفعتنا ونفعناك يا أبا معاذ، فجعل بشار يضحك.

بشار وأبو جعفر المنصور

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال دحثنا زكريا بن يحيى أبو السكين الطائي قال حدثني زحر بن حصن قال:

حج المنصور فاستقبلناه بالرضم الذي بين زبالة والشقوق، فلما رحل من الشقوق رحل أبو السكين فلم يركب القبة وركب نجيباً فسار بيننا، فجعلت الشمس تضحك بين عينيه، فقال: إني قائل بيتاً فمن أجازه وهبت له جبتي هذه؛ فقلنا: يقول أمير المؤمنين، فقال:

وهاجرة نصبت لها جبيني يقطع ظهرها ظهر العظاية

فبدر بشار الأعمىفقال:

وقفت بها القلوص ففاض دمعي على خدي وأقصر واعظاية

فترع الجبة وهو راكب فدفعها إليه. فقلت لبشار بعد ذلك: مافعلت بالجبة؟ فقال بشار: بعتها والله بأربعمائة دينار

كان له شعر غث يعير به

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العتري قال حدثني علي بن محمد النوفلي قالحدثني عبد الرحمن بن العباس بن الفضل بن عبد الرحمن بن عياش بن أبي ربيعة عن أبيه قال: كان بشار منقطعاً إلي وإلى إخوتي فكان يغشانا كثيراً، ثم خرج إبارهيم بن عبد الله فخرج معه عدة منا، فلما قتل إبرايهم توارينا، وحبس المنصور منا عدة من إخوتي، فلما ولي المهدي أمن الناس جميعاً وأطلق المحبوسين، فقدمت بغداد أناوإخوتي نلتمس أماناً من المهدي، وكان الشعراء يجلسون بالليل في مسجد الرصافة ينشدون ويتحدثون، فلم أطلع بشاراً على نفسي إلا بعد أن أظهر لنا المهدي الأمان، وكتب أخي إلى خليفته بالليل، فصحت به: يا أبا معاذ من الذي يقول:

أحب الخاتم الأحم ... ر من حب مواليه

فأعرض عني وأخذ في بعض إنشاده شعره، ثم صحتك يا أبا معاذ من الذي يقول:

إن سلمى خلقت من قصب ... قصب السكر لاعظيم الجمل

وإذا أدنيت منها بصلاً ... غلب المسك على ريح البصل

فغضب وصاح: من الذي يقرعنا بأشياء كنا نعبث بها في الحداثة فهو يعيرنا بها فتركته ساعة ثم صحت به: يا أبا معاذ من الذي يقول:

أخشاب حقاً أن دارك تزعج ... وأن الذي بيني وبينك ينهج

فقال: ويحك عن مثل هذا فسل، ثم أنشدها حتى أتى على آخرها، وهي من جيد شعره، وفيه غناء:

صوت

فواكيدا قد أنضج الشوق نصفها ... ونصف على نار الصبابة ينضج

وواحزنا منهن يخففن هودجاً ... وفي الهودج المحفوف بدر متوج

فإن جئتها بين النساء فقل لها ... عليك سلام مات من يتزوج

بكيت ومافي الدمع منك خليفة ... ولكن أحزاني عليك توهج

الغناءلسليم بن سلام رمل بالوسطى. ووجدت هذا الخبر بخط ابن مهروية فذكر أنه قالهذه القصيدة في امرأة كانت تغشى مجلسه وكان إليها مائلاً يقال لهاخشابة، فارسية، فزوجت وأخرجت عن البصرة

أنشده أبو النضير شعره فاستحسنه

أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني أبو حاتم: قال أبو النضير الشاعر: أنشدت بشاراً قصيدة لي، فقاللي: أيجيئك شعرك هذا كلما شئت أم هذا شيء يجيئك في الفينة بعد الفينة إذا تعملت له؟ فقلت: بل هذا شعر يجيئني كلما أردته؛ فقال لي: قل فإنك شارع؛ فقلت له: لعلك حابيتني أبا معاذٍ وتحملت لي؛ فقال: أنت أبقاك الله أهون علي من ذلك.

حاول تقبيل جارية لصديق له

وقال شعراً يعتذر فيه عن ذلك: أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن العمري عن عباس بن عباس الزنادي عن رجل من باهلة قال: كنت عند بشار الأعمى فأتاه رجل فسلم عليه، فسأله عن خبر جارية عنده وقال: كيف ابنتي؟ قال: في عافية تدعوك اليوم؛ فقال بشار: ياباهلي انهض بنا، فجئنا إلى مترل نظيف وفرش سري، فأكلنا، ثم جيء بالنبيذ فشربنا مع الجارية، فلما أراد الانصراف قامت فأخذت بيد بشار، فلما صارا في الصحن أومأ إليها ليقبلها، فأرسلت يدها من يده، فجعل يجول في العرصة؛ وخرج المولى فقال: مالك يا أبا معاذ؟ فقال: أذنبت ذنباً ولاأبرح أو أقول شعراً، فقال:

أتوب إليك من السيئات	واستغفر الله من فعلتي
تناولت مالم أرد نيله	على جهل أمري وفي سكرتي
ووالله ماجئته	لعمد ولاكان من همتي
وإلا فمت إذاً ضائعاً	وعذبني الله في ميتتي
فما نال خيراً على قبلةٍ	فلا بارك الله في قبلتي

كتب شعرا على باب عقبة يستنجزه وعده

اخبرنا هاشم بن محمد الزاعي قال حدثنا الرياشي عن الصمعي قال: لما أنشد بشار أرجوزته:

ياطلل الحي بذات الصمد

أبا الملد عقبة بن سلم أمر له بخمسين ألف درهم، فأخرها عنه وكيله ثلاثة أيام، فأمر غلامه بشار أن يكتب علي باب عقبة بن نافع عن يمين الباب:

مازال مامنيتني من همي	والوعد غم فأزح من غمي

إن لم ترد حمدي فراقب ذمي

فلما خرج عقبة رأى ذلك، فقال: هذه من فعلات بشار، ثم دعا بالقهرمان، فقال: هل حملت إلى بشار مالأمرت له به.؟ فقال: أيها الأمير نحن مضيقون وغداً أحملها إليه؛ فقال: زد فيها عشرة آلاف درهم واحملها إليه الساعة؛ فحملها من وقته.

نهي المهدي له عن التشبيب بالنساء

وسبب ذلك:

أخبرني هاشم قال حدثنا أبو غسان دماذ قال: سألت أبا عبيدة عن السبب الذي من أجله نهى المهدي بشاراً عن ذكر النساء قال: كان أول ذلك استهتاراً نساء البصرة وسبانها بشعره، حتى قال سوّار بن عبد الله الأكبر ومالك بن دينار؛ ماشيء أدعى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى؛ ومازالا يعظانه؛ وكان واصل بن عطاء يقول: إن من أخدع حبائل الشيطان وأغواها لكلمات هذا الأعمى الملحد. فلما كثر ذلك وانتهى خبره من وجوه كثيرة إلى المهدي، وأنشد المهدي مالمدحه به، نهاه عن ذكر النساء وقول التشبيب، وكان المهدي من أشد الناس غيرة؛ قال: فقلت له: مأحسب شعر هذاأبلغ في هذه المعاني من شعر كثير وجميل وعروة بن جزام وقيس ين ذريح وتلك الطبقة؛ فقال: ليس كل من يسمع تلك الأشعار يعرف المراد منها، وبشار يقارب النساء حتى لايخفى عليهن مايقول ومايري، وأي حرة حصان تسمع قول بشار فلا يؤثر في قلبها، فكيف بالمرأة الغزلة والفتاة التي لاهم لها إلا الرجال! ثم أنشد قوله:

قد لامني في خليلتي عمر والنوم في غير كنهن صجر
قال أفق قلت لا فقال بلى قد شاع في الناس منكما الخبر
قلت وإذ شاع ماعتذارك مما ليس لي فيه عندهم عذر
ماذا عليهم ومالهم خرسوا لوأنهم في عيوبهم نظروا
أعشق وحدي ويؤخذون به كالترك تغزو فتؤخذ الحزر
ياعجباً للخلاف ياعجباً بفي الذي لام في الهوى الحجر
حسبي وحسب الي كلفت به مني ومنه الحديث والنظر
أو قبلة في خلال ذاك وما بأس إذا لم تحل لس الأزر
أو عضة في ذراعها ولها فوق ذراعي من عضها أثر
أو لمسة دون مرطها بيدي والباب قد حال دونه الستر

والساق براقة مخلخلها أو مص ريق وقد علا البهر
واسترخت الكف للعراك وق لت إيه عني والدمع منحدر
انهض فما أنت كالذي زعموا أنت وربي مغازل أشر
قد غابت اليوم عنك حاضنتي والله لي منك فيك ينتصر
يارب خذ لي فقد ترى ضرعي من فاسق جاء مابه سكر
أهوى إلى معضدي فرضضه ذو قوة مايطاق مقتدر
ألثق بي لحية له خشنت ذات سواد كأنها الإبر
حتى علاني وأسرتي غيب ويلي عليهم لوأنهم حضروا
أقسم بالله لانجوت بها فاذهب فأنت المساور الظفر
كيف بأمي إذا رأت شفتي أم كيف إن شاع منك ذا الخبر
قد كنت أخشى الذي ابتليت به منك فماذا أقول ياعبر
قلت لها عند ذاك ياسكني لابأس إني مجرب خبر
قولي لها بقة لها ظفر إن كان في البق ماله ظفر

ثم قال له: بمثل هذا الشرع تميل القلوب ويلين الصعب قال دماذ قال لي أبو عبيدة: قال رجل يوماً لبشار في المسجد الجامع يعابثه: يا أبا معاذ، أيعجبك الغلام الجادل؟ فقال غير محتشم ولامكترث: لا، ولكن تعجبني أمه.

ورد على خالد البرمكي بفارس وامتدحه

أخبرني عمي قال حدثنا العتري قال حدثنا محمد بن سهل عن محمد بن الحجاج قال:
ورد بشار على خالد بن برمك وهو بفارس فامتدحه؛ فوعده ومطله؛ فوقف على طريقه وهو يريد المسجد، فأخذ بلجام بغلته وأنشده:

أظلت علينا منك يوماً سحابة أضاءت لنا برقاً وأبطأ وشاشها
فلا غيمها يجلي فييأس طامع ولاغيثها يأتي فيروي عطاشها

فحبس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: لن تنصرف السحابة حتى بتلك إن شاء الله.

تظاهر بالحج وخرج لذلك

مع سعد بن القعقاع:

أخبرني يحيى بن علي قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثني علي بن حرب الطائي قال حدثني إسماعيل بن زياد الطائي قال: كان رجل منا يقال له سعد بن القعقاع يتندم بشاراً في المجانة، فقال لبشار وهو ينادمه: ويحك يا أبا معاذ! قد نسبنا الناس إلى الزندقة، فهل لك أن تحج بنا حجة تنفي ذلك عنا؟ قال: نعم مارأيت! فاشتريا بعيراً ومحملا وركبا، فلما مرا بزرارة قال له: ويحك يا أبا معاذ! ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها! مل بنا إلى زرارة نتنعم فيه، فإذا قفل الحاج عارضناهم بالقادسية وجززنا رؤوسنا فلم يشك الناس أنا جئنا من الحج؛ فقال له بشار: نغم مارأيت لولا خبث لسانك، وإني أخاف أن تفضحنا. قال: لاتخف. فمالا إلى زرارة فما زالا يشربان الخمر ويفسقان، فلما نز ل الحاج بالقادسية راجعين، أخذا بعيراً ومحملاً وجزا رؤوسهما وأقبلا وتلقاهما الناس يهنئونهما؛ فقال سعد بن القعقاع:

ألم ترني وبشاراً حججنا	وكان الحج من خير التجارة
خرجنا طالبي سفر بعيد	فمال بنا الطريق إلى زراره
فآب الناس قد حجوا وبروا	وأبنا موقريت من الخسارة

أنكر عليه داود بن زرين أشياء فأجابه

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني محمد بن القاسم الدينوري قال حدثني محمد بن عمران بن مطر الشامي قال حدثني محمد بن الحسان الضبي قال حدثني محمود الوراق قال حدثني داود بن زرين قال: أتينا بشاراً فأذن لنا والمائدة موضوعة بين يديه فلم يدعنا إلى طعامه، فلما أكل دعا بطست فكشف عن سوءته فبال؛ ثم حضرت الظهر والعصر فلم يصل، فدنونا منه فقلنا: أنت أستاذنا وقد رأينا منك أشياء أنكرناها؛ قال: وما هي؟ قلنا: دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا إليه؛ فقال: إنما أذنت لكم أن تأكلوا ولو لم أرد أن تأكلوا لما أذنت لكم؛ قال: ثم ماذا؟ قلنا: ودعوت بطست ونحن حضور فبلت ونحن نراك؛ فقال: أنا مكفوف وأنتم بصراء وأنتم المأمورون بغض الأبصار، ثم قال: ومه؛ قلنا: حضرت الظهر والعصر والمغرب فلم تصل؛ فقال: إن الذي يقبلها تفاريق يقبلها جملة.

أخبرنا يحيى قال حدثني أبو أيوب المديني عن بعض أصحاب بشار قال: كنا إذا حضرت الصلاة نقوم ويقعد بشار فنجعل حول ثيابه تراباً لننظر هل يصلي، فنعود والتراب بحاله.

بشار والثقلاء

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أبو أيوب عن الحرمازي قال: قعد إلى بشار رجل فاستثقله فضرط عليه ضرطة"، فظن الرجل أنها أفلتت منه، ثم ضرط أخرى، فقال: أفلتت، ثم ضرط ثالثة، فقال: يا أبا معاذ، ماهذا؟ قال: مه! أرأيت

أم سمعت؟ قال: بل سمعت صوتاً قبيحاً، فقال: فلا تصدق حتى ترى.

قال: وأنشد أبو أيوب لبشار في رجل استثقله:

ربما يثقل الجليس وإن كا ... ن خفيفاً في كفة الميزان

كيف لاتحمل الأمانة أرض ... حملت فوقها أبا سفيان

وقال فيه أيضاً:

هل لك في مالي وعرضي معاً ... وكل مايملك جيرانيه

واذهب إلى أبعد ماينتوي ... لاردك الله ولاماليه

أنشد الوليد شعره في المزاج بالريق فطرب

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني محمد بن إبراهيم الجيلي قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال أنشدنا الوليد بن يزيد قول بشار الأعمى:

أيها الساقيان صبا شرابي ... واسقياني من ريق بيضاء رود

إن دائي الظماوإن دوائي ... شربة من رضاب ثغر برود

ولها مضحك كغر الأقاحي ... وحديث كالوشي وشي البرود

نزلت في السواد من حبة القل ... ب ونالت زيادة زيادة المستزيد

ثم قالت نلقاك بعد ليال ... والليالي يبلين كل جديد

عندها الصبر عن لقائي وعندي ... زفرات يأكلن قلب الحديد

قال: فطرب الوليد وقال: من لي بمزاج كاسي هذه من ريق سلمى فيروي ظمئي وتطفأ غلتي! ثم بكى حتى عبد الله بن أبي بكر وكان جليساً لبشار-قال: كان لنا جار يكنى أبا زيد وكان صديقاً لبشار، فبعث إليه يوماً يطلب منه ثياباً بنسيئة فلم يصادفها عنده، فقال يهجوه:

ألا إن أبا زيد ... زنى في ليلة القدر

ولم يزع، تعالى الل ... ه ربي، حرمة الشهر

وكتبها في رقعة وبعث بها إليه، ولم يكن أبو زيد ممن يقول الشعر، فقلبها وكتب في ظهرها:

ألا إن أبا زيد ... له في ذلكم عذر

أتته أم بشار ... وقد ضاق بها الأمر

فواثبها فجامعها وما ساعده الصبر

قال: فلما قرئت على بشار غضب وندم على تعرضه لرجل لانباهة له، فجعل ينطح الحائط برأسه غيظاً، ثم قال: لاتعرضت لهجاء سفلة مثل هذا أبداً.

شعره في قينة

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهروية قال حدثني بعض ولد أبي عبيد وزير المهدي، قال: دخل بشار علي المهدي وقد عرضت عليه جارية مغنية فسمع غناءها فأطربه وقال لبشار: قل في صفتها شعراً؛ فقال:

ورائحة للعين فيها محيلة إذا برقت لم تسق بطن صعيد

من المستهلات السرور على الفتى خفا برقها في عبقر وعقود

كأن لساناً ساحراً في كلامها أعين بصوت للقلوب صيود

تميت به أبابنا وقولبنا مراراً وتحييهن بعد همود

شعره في عقبة بن سلم

أخبرني عمي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال قال أبو عدنان حدثني يحيى بن الجون قال: دخل بشار يوماً على عقبة بن سلم فأنشده قوله فيه:

صوت

إنما لذة الجواد ابن سلم في عطاء ومركب للقاء

ليس يعطيك للرجاء وللاالخو ف ولكن يلذ طعم العطاء

يسقط الطير حيث ينتشر الحب وتغشى منازل الكرماء

لأبالي صفح اللئيم ولاتج ري دموعي على الحرون الصفاء

فعلى عقبة السلام مقيماً وإذا سار تحت ظل اللواء

فوصله بعشرة آلاف درهم. وفي هذه الأبيات خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر لرذاذ، وهو من مختار صنعته وصدروها ومما تشبه فيه بالقدماء ومذاهبهم

رواة شعره

كان خلف الأحمر وخلف بن أبي عمرو يرويان عنه شعره: أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العتري قال حدثنا أحمد بن خلاد عن الأضمعي، وأخبرني به الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أحمد بن خلاد عن الأصمعي قال: كنت أشهد بن أبي عمرو بن العلاء وخلفاً الأحمر ياتيان بشاراً ويسلمان عليه بغاية التعظيم ثم يقثولان: يا أبا معاذ، مأأحدثت؟ فيخبرهما وينشدهما ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الظهر ثم ينصرفان عنه، فأتياه يوماً فقالا له: ماهذه القصيدة التي أحدثتها في سلم بن قتيبة؟ قال: هي التي بلغتكم؛ قالا: بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب؛ فقال: نعم، بلغني أن سلماً يتباصر بالغريب فأحببت أن أورد عليه مالا يعرفه؛ قالا: فأنشدناها، فأنشدهما:

بكرا صاحبي قبل الهجير　　　إن ذاك النجاح في التكبير

حتى فرغ منها؛ فقالله خلف: لوقلت بأأبا معاذ مكان "إن ذاك النجاح" كما يقول الأعراب البدويون، ولو قلت: " بكراً فالنجاح " كان هذا كلام المولدين ولايشبه ذلك الكلام ولايدخل في معنى القصيدة؛ فقام خلف فقبل بين عينيه؛ وقال له خلف بن أبي عمرو يمازحه: لوكان علاثة ولدك يا أبا معاذ لفعلت كما فعل أخي، ولكنك مولى، فمد بشار يده فضرب بها فخذ خلف وقال:

أرفق بعمرو إذا حركت نسبته　　　فإنه عربي من قوارير

فقالله: أفعلتها يا أبا معاذ! قال: وكان أبو عمرو يغمز في نسبه.

وأخبرني ببعض هذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شبة عن أبي عبيدة، فذكر نحوه وقال فيه: إن سلماً يعجبه الغريب.

قيل له إن فلانا سبك عند الأمير فهجاه

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن اسماعيل تينة قال قال خلف:

كنت أسمع ببشار قبل أن أراه، فذركوه لي يوماً وذكروا بيانه وسرعة جوابه وجودة شعره، فاستنشدهم شيئاً من شعره، فأنشدوني شيئاً لم يكن بالمحمود عندي، فقلت: والله لآتينه ولأطأطئن منه، فأتيته وهو جالس على بابه، فرأيته أعمى قبيح المنظر عظيم الجثة، فقلت: لعن الله من يبالي بهذا، فوقفت أتأمله طويلاً، فبينما أنا كذلك إذ جاءه رجل فقال: إن فلاناً سبك عند الأمير محمد بن سليمان ووضع منك؛ فقال: أو قد فعل؟ قال: نعم؛ فأطرق، وجلس الرجل عنده وجلست، وجاء قوم فسلموا عليه فلم يردد عليهم، فجعلوا ينظرون إليه وقد درت أوداجه فلم يلبث إلا ساعة حتى أنسدنا بأعلى صوته وأفخمه:

نبئت نائك أمه يغتابني　　　عند الأمير وهل علي أمير

ناري محرقة وبيتي واسع　　　للمعتفين ومجلسي معمور

ولي المهابة في الأحبة والعدا وكأنني أسد له تامور

غرثت حليلته وأخطأ صيده فه على لقم الطريق زئير

قال: فارتعدت والله فرائصي واقشعر جلدي وعظم في عيني جداً، حتى قلت في نفسي: الحمد لله الذي أبعدني من شرك.

شعر له في مدح خالد بن برمك

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدثني علي بن مهدي قال حدثنا العباس بن خال قال: مدح بشار خالد بن برمك فقال فيه:

لعمري لقد أجدى علي ابن برمك وماكل من كان الغنى عنده يجدي

حلبت بشعري راحتيه فدرتا سماحاً كما در السحاب مع الرعد

إذا جئته للحمد أشرق وجهه إليك وأعطاك الكرامة بالحمد

له نعم في القوم لايستثيبها جزاء وكيل التاجر المد بالمد

مفيد ومتلاف، سبيل تراثه إذا ماغدا أو راح كالجزر والمد

أخالد إن الحمد يبقى لأهله جمالاً ولاتبقى الكنوز على الكد

فأطعم وكل من عارة مستردةٍ ولاتبقها، أن العواري

فأعطاه خالد ثلاثين ألف درهم، وكان قبل ذلك يعطيه في كل وفادة خمسة آلاف درهم، وأمر خالد أن يكتب هذان البيتان في صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه. وقال ابنه يحيى بن خالد: آخر ماأوصاني به أبي العمل بهذين البيتين.

عمر بن العلاء ومدائح الشعراء فيه

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن عمر بن أبي سعد قال حدثني محمد عبد الله بن عثمان قال: كان أبو الوزير مولى عبد القيس من عمال الخراج، وكان عفيفاً بخيلاً، فسأل عمر بن العلاء، وكان جواداً شجاعاً، في رجل فوهب له مائة ألف درهم؛ فدخل أبو الوزير على المهدي فقال له: ياأمير المؤمنين، إن عمر بن العلاء خائن؛ قال: ومن أين علمت ذلك؟ قال: كلم في رجل كان أقصى أمله ألف درهم فوهب له مائة ألف درهم؛ فضحك المهدي ثم قال: "قل كل يعمل على شاكلته"، أما سمعت قول بشار في عمر:

إذا دهمتك عظام الأمور فنبه لها عمراً ثم نم

فتى لايناك على دمنةٍ ولايشرب الماء إلا بدم

أوماسمعت قول أبي العتاهية فيه:

صوت

إن المطايا تشتكيك لأنها قطعت إليك سباسباً ورمالا

فإذا وردن بنا وردن مخفة" وإذا رجعن بنا رجعن ثقالا

الغناء لأبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة أوليس الذي يقول فيه أبو العتاهية:

يابن العلاء ويابن القرم مرداس إني لأطريك في صحبي وجلاسي

حتى إذا قيل ماأعطاك من نشب ألفيت من عظم ماأسديت كالناسي

ثم قال: من اجتمعت ألسن الناس على مدحه كان حقيقياً أن يصدقها بفعله.

شعره في جارية له سوداء كان يفترشها

أخبرني محمد بن خلف بن المزربان قال حدثني أبو بكر الربعي قال: كانت لبشار جارية سوداء وكان يقع عليها، وفيها يقول:

وغادة سوداء براقة كالماء في طيب وفي لين

كأنها صيغت لمن نالها من عنبر بالمسك معجون

ليم في مبالغته في مدح عقبة بن سلم فأجاب

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهروية قالاحدثني أبو الشبل البرجمي قال: قال رجل لبشار: إن مدائحك عقبة بن سلم فوق مدائحك كل أحدٍ؛ فقال بشار: إن عطاياه إياي كانت فوق عطاء كل أحد، دخلت إليه يوماً فأنشدته:

حرم الله أن ترى كابن سلم عقبة الخير مطعم الفقراء

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو ف ولكن يلد طعم العطاء

يسقط الطير حيث ينتشر ال ت وتغشى منازل الكرماء

فأمر لي بثلاثة آلاف دينار، وهأنا قد مدحت المهدي وأبا عبيد الله وزيره- أو قال يعقوب بن داود -وأقمت بأبوابهما حولاً فلم يعطياني شيئاً، أفألام على مدحي هذا!

طلب منه أبو الشمقمق الجزية

فرده فهجاه فأعطاه:

ونسخت من كتاب هارون بن علي أيضاً حدثني" علي قال حدثني" عبيد الله بن أبي الشيص عن دعبل بن علي قال: كان بشار يعطي أبا الشمقمق في كل سنة مائتي درهم، فأتاه أبو الشمقمق في بعض تلك السنين فقال له: هلم الجزية يا أبا معاذ؛ فقال: ويحك! أجزية هي! قال: هو ماتسمع؛ فقال له بشار يمازحه: أنت أفصح مني؟ قال: لا؛ قال: فأعلم من ي بمثالب الناس؟ قال: لا؛ قال: فأشعر مني؟ قال: لا؛ قال: فلم أعطيك؟ قال: لئلا أهجوك؛ فقال له: إن هجوتني هجوتك؛ فقال له أبو الشمقمق: هكذا هو؟ قال: نعم، فقل مابدالك؛ فقال أبو الشمقمق:

إني إذا ماشاعر هجانية ... ولج في القول له لسنية

أدخلته في است أمه علانية ... بشار يابشار....

وأراد أن يقول: " يابن الزاني"؛ فوثب بشار فأمسك فاه، وقال: أراد زالله أن يشتمني، ثم دفع إليه مائتي درهم ثم قال له: لايسمعن هذا منك الصبيان يا أبا الشمقمق.

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن بكر قال حدثني الأصمعي قال: أمر عقبة بن سلم" الهنائي" لبشار بعشرة آلاف درهم، فأخبر أبو الشمقمق بذلك فوافى بشاراً فقاللأه: يا أبا معاذ، إني مررت بصبيان فسمعتهم ينشدون:

هللينه هللينة ... طعن قثاة لتينة

إن بشار بن برد ... تيس أعمى في سفنية

فأخرج إليه بشار مائتي درهم فقال: خذ هذه راوية الصبيان يا أبا الشمقمق

شعره في هجاء العباس بن محمد

أخبرني أحمد قال حدثنا أبو محمد الصعتري قال حدثنا محمد بن عثمان البصري قال:

استمنح بشار بن برد العباس ممدود ... وقلبه أبداً في البخل معقود

إن الكريم ليخفي عنك عسرته ... حتى تراه غنيا وهو مجهود

وللبخيل على أمواله علل ... زرق العيون عليها أوجه سود

إذا تكرهت أن تعطي القليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود
أورق بخير ترجى للنوال فما ترجى الثمار إذا لم يورق العود
بث النوال ولاتمنعك قلته فكل ماسد فقراً فهو محمود

اجتمع بعباد بن عباد وسلم عليه

أخبرني أحمد قال حدثنا العتري قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي قال حدثني أبي عن عباد بن عباد قال: مررت ببشار فقلت: السلام عليك يا أبا معاذ؛ فقال: وعليك السلام، أعباد؟ فقلت: نعم؛ قال: إني لحسن الرأي فيك؛ فقلت: ماأحوجني إلى ذلك منك يا أبا معاذ! جارى امرأ القيس في تشبيهه شيئين بشيئين: أخبرني يحيى بن علي قال أخبرني محمد بن عمر الجرجاني عن أبي يعقوب الخريمي الشاعر أن بشاراً قال: لم أزل منذ سمعت قول امرىء القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيت واحد حيث يقول:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناي والحشف البالي

أعمل نفسي في تشبيه شيئين بشيئين في بيت حتى قلت:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسافنا ليل تهاوى كواكبه

قال يحيى: وقد أخذ هذا المعنى منصور النمري فقال وأحسن:

ليل من النقع لاشمس ولاقمر إلا جبينك والمذروبة الشرع

كان إسحاق الموصلي يطعن في شعره

ولما أنشد منه سكت:

أخبرني يحيى ين علي قال حدثني أبي قال: كان إسحاق الموصلي يطعن على شعر بشار ويضع منه ويذكر أن كظلامه مختلف لايشبه بعضه بعضاً؛ فقلنا: أتقول هذا القول لمن يقول:

صوت

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لاتعاتبه
فعش واحداً أو صل أخاك فإنه مقارف ذنبٍ مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

لأبي العبيس بن حمدون في هذه الأبيات خفيف ثقيل بالبنصر قال علي بن يحيى: وهذا الكلام الذي ليس فوقه كلام من الشعر ولاحشو فيه؛ فقال لي إسحاق: أخبرني أبو عبيدة معمر بن المثنى أن شبيل بن عزرة الضبعي أنشده هذه الأبيات للمتلمس؛ وكان عالماً بشعره لأنهما جميعاً من بني ضبيعة؛ فقلت له: أفليس قد ذكر أبو عبيدة أنه قال لبشار: إن شبيلاً أخبره أنها للمتلمس؛ فقال: كذب والله شبيل، هذا شعري، ولقد مدحت به ابن هبيرة فأعطاني عليه أربعين ألفاً. وقد صدق بشار، قد مدح في هذه القصيدة ابن هبيرة، وقال فيها:

رويدا تصاهل بالعراق جيادنا كأنك بالضحاك قد قام نادبه

وسام لمروان ومن دونه الشجا وهول كلج البحر جاشت غواربه

أحلت به أم المنايا بناتها بأسيافنا، إنا ردى من نحاربه

وكنا إذا دب العدو لسخطنا وراقبنا في ظاهر لانراقبه

ركبنا له جهلراً بكل مثقف وأبيض تستسقي الدماء مضاربه

ثم قلت لإسحاق: أخبرني عن قول بشار في هذه القصيدة:

فلملتولى الحرة اعتصر الثرى لظى الصيف من نجم توقد لاهبة

وطارت عصافير الشقائق واكتسى من الآل أمثال المجرة ناضبه

غدت عانة تشكو بأبصارها الصدى لإلى الجأب إلا أنها لا تخاطبه

- العانة: القطيع من الحمير، والجأب: ذكرها. ومعنى شكواها الصدى بأبصارها أن العطش قد تبين في أحداقها فغارت- قال: وهذا من أحسن ما وصف به الحمار والأتن، أفهذا للمتلمس أيضاً! قال: لا؛ فقلت: أفما هو في غاية الجودة وشبيه بسائر الشعر، فكيف قصد بشار لسرقة تلك الأبيات خاصة! وكيف خصه بالسرقة منه وحده من بين الشعراء وهو قبله بعصر طويل! وقد روى الرواة شعره وعلم بشار أن ذلك لا يخفى، ولم يعثر على بشار أنه سرق شعراً قط جاهلياً ولا إسلامياً. وأخرى فإن شعر المتلمس يعرف في بعض شعر بشار؛ فلم يردد ذلك بشيء.

وقد أخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة أن بشار" أنشده:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لاتعاتبه

وذكر الأبيات. قال: وأنشدها شبيل بن عزرة الضبعي، فقال: هذا للمتلمس؛ فأخبرت بذلك بشاراً، قال: كذب والله شبيل، لقد مدحت ابن هبيرة بهذه القصيدة وأعطاني عليها أربعين ألفاً لما صار طاهر إلى العارق في حرب الأمين سأل عن ولد بشار ليبرهم: أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا علي بن مهدي قال حدثنا علي بن إبارهيم المروزي، وكان أبوه من قواد طاهر، قال حدثني أبي قال: لما خلع محمد المأمون وندب علي بن عيسى، ندب

المأمون للقاء علي بن عيسى طاهر بن الحسين ذا اليمينين4 وجلس له لعرضه وعرض أصحابه، فمر به ذو اليمينين معترضاً وهو ينشد:

رويد تصاهل بالعراق جيادنا كأنك بالضحاك قد قام نادبه

فتفاءل المأمون بذلك فاستدناه فاستعاده البيت فأعاد عليه؛ فقال ذو الرياستين: ياأمير المؤمنين هو حجر العراق؛ قال: أجل. فلما صار ذو اليمينين إلى العراق سأل: هل بقي من ولد بشار أحد؟ فقالوا: لا؛ فتوهمت أنه قد كان هم لهم بخير

غضبه على سلم الخاسر

لأنه سرق من معانيه:

أخبرنا يحيى قال حدثنا أبي قال أخبرني أحمد بن صالح -وكان أحد الأدباء - قال: غضب بشار على سلم الخاسر وكان من تلامذته ورواته، فاستشفع عليه بجماعة من إخوانه فجاؤوه في أمره؛ فقال لهم: كل حاجة لكم مقضية إلا سلماً؛ قالوا ما جئناك إلا في سلم ولابد من أن ترضى عنه لنا؛ فقال: أين هو الخبيث؟ قالوا: هاهو هذا؛ فقام إليه سلم فقبل رأسه ومثل بين يديه وقال: يا أبا معاذ، خريجك وأديبك؛ فقال: يا سلم، من الذي يقول:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

قال: أنت يا أبا معاذ، جعلني الله فداءك! قال: فمن الذي يقول:

من راقب الناس مات غماً وفار باللذة الجسور

قال خريجك يقول ذلك"يعني نفيه"؛ قال: أفتأخذ معاني التي قد عنيت بها وتعبت في استنباطها، فتكسوها ألفاظاً أخف من ألفاظي حتى يروي ماتقول ويذهب شعري! لاأرضى عنك أبداً، قال: فمازال يتضرع إليه، ويشفع له القوم حتى رضي عنه. وفي هذه القصيدة يقول بشار:

لو كنت تلقين مانلقى قسمت لنا يوماً نعيش به منكم ونبتهج

صوت

لاخير في العيش إن كنا كذا أبداً لانلتقي وسبيل الملتقى نهج

قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم مافي التلاقي ولافي قبلة حرج

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

أشكو إلى الله هماً مايفارقني وشرعاً في فؤادي الدهر تعتلج

أنشد الأصمعي شعره فغاظه فخره بنسبه

أخبرنا محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا أحمد بن خلاد قال: أنشدت الأصمعي قول بشار يهجو باهلة:

ودعاني معشر كلهم حمق دام لهم ذاك الحمق

ليس من جزم ولكن غاظهم شرفي العارض قد سد الأفق

فاغتاظ الأصمعي فقال: ويلي على هذا العبد القن ابن القن!

حديثه مع امرأة في الشيب

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدثني علي بن مهدي. قال حدثني عباس ين خالد قال سمعت غير واحد من أهل البصرة يحدث: أن امرأة قالت لبشار: أي رجل أنت لو كنت أسود اللحية والرأس! قال بشار: أما علمت أن بيض البزاة أثمن من سود الغربان؛ فقالت له: أما قولك فحسن في السمع، ومن لك بأن يحسن شيبك في العين كما حسن قولك في السمع! فكان بشار يقول: ماأفحمني قط غير هذه المرأة أحب الأشياء إليه: ونسخت من كتابه حدثني علي بن مهدي قال حدثني إسحاق بن كلبة قال قال لي أبو عثمان المازني: سئل بشار: أي متاع الدنيا آثر عندك؟ فقال: طعام مز، وشراب مر، وبنت عشرين بكر

دخل إليه نسوة وطلب من إحداهن

أن تواصله فأبت فقال شعراً:

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن ابي سعد، وأخبرنا الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة عن صالح بن عطية قال: كان النساء المتظرفات يدخلن إلى بشار في كل جمعة يومين، فيجتمعن عنده ويسمعن من شعره، فسمع كلام امراة منهن فعلقها قلبه وراسلها يسألها أن تواصله؛ فقالت لرسوله: وأي معنى فيك لي أو لك في! وأنت أعمى لا تراني فتعرف حسني ومقداره، وأنت قبيح الوجه فلا حظ لي فيك! فليت شعري لأي شيء تطلب وصال مثلي! وجعلت تهزأ به في المخاطبة؛ فأدى الرسول الرسالة، فقال له: عد إليها فقل لها:

أيرى له فضل على آيارهم وإذا أشظ سجدن غير أوابي

تلقاه بعد ثلاث عشرة قائما فعل المؤذن شك يوم سحاب

وكأن هامة رأسه بطيخة حملت إلى ملك بدجله جابي

اعترض مروان بن أبي حفصة على

بيت من شعره فأجابه:

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثنا أبو هفان قال أخبرني أحمد بن عبد الأعلى الشيباني عن أبيه قال: قال مروان لبشار لمل أنشده هذا البيت:

وإذا قلت لها جودي لنا خرجت بالصنمت من لاونعم

جعلني الله فداءك يا أبا معاذ! هلا قلت: " خرست بالصمت"؛ قال: إذاً أنا في عقلك فض الله فاك! أأتطير على من أحب بالخرس!

مدح خالداً البرمكي فأجازه

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: حدثني بعض أصحابنا قال: وفد بشار إلى خالد بن برمك وهو على فارس فأنشده:

أخالد لم أخبط إليك بذمةٍ سوى أنني عافٍ وأنت جواد

أخالد بين الأجر والحمد حاجتي فأيهما تأتي فأنت عماد

فإن تعطني أفرغ عليك مدائحي وإن تأب لم يضرب علي سداد

ركابي على حرفٍ وقلبي مشيع ومالي بأرض الباخلين بلاد

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها خرجت مع البازي علي سواد

قال: فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكياس فوضع واحداً عن يمينه وواحداً عن شماله وآخر بين يديه وآخر خلفه، وقال: يا أبا معاذ، هل استقل العماد؟ فلمس الأكياس ثم قال: استقل والله أيها الأمير

مدح الهيثم بن معاوية وأخذ جائزته

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال قال محمد بن الحجاج حدثني بشار قال: دخلت على الهيثم بن معاوية وهو أمير البصرة، فأنشدته:

إن السلام أيها الأمير عليك والرحمة والسرور

فسمعته يقول: إن هذا الأعمى لايدعنا أو ياخذ من دراهمنا شيئاً؛ فطمعت فيه فما برحت حتى انصرفت بجائزته.

طلب رجلاً من بني زيد للمفاخرة

وهجاه فانقطع عنه:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن اسماعيل عن محمد بن سلام قال: وقف رجل من بني زيد شريف، لأحب أن أسميه، على بشار، فقال له: يابشار قد أفسدت علينا موالينا، تدعوهم إلى الانتفاء منا وترغبهم في الرجوع إلىأصولهم وترك الولاء، وأنت غير زاكي الفرع ولامعروف الأصل؛ فقال له بشار: والله لأصلي أكرم من الذهب، ولفرعي أزكى من عمل الأبرار، ومافي الأرض كلب يود أن نسبك له بنسبه، ولو شئت أن أجعل جواب كلامك كاملاً لفعلت، ولكن موعدك غداً بالمردب؛ فرجع الرجل إلى مترله وهو يتوهم أن بشاراً يحضر معه المربد ليفاخره، فخرج من الغد يريد المربد فإذا رجل ينشد:

شهدت على الزيدي أن نساءه ... ضباع إلى أير العقيلي تزفر

فسأل عمن قال هذا البيت؛ فقيل له: هذا لبشار فيك؛ فرجع إلى مترله من فوره ولم يدخل المربد حتى مات قال ابن سلام: وأنشد رجل يوماً يونس في هذه القصيدة وهي:

بلوت بني زيد فما في كبارهم ... حلوم ولافي الأصغرين مطهر

فأبلغ بني زيد وقل لسراتهم ... وإن لم يكن فيهم سراة توقر

لأمكم الويلان إن قصائدي ... صواعق منها منجد ومغور

أجدهم لايتقون دنية" ... ولايؤثرون الخير والخير يؤثر

يلفون أولاد الزنا في عدادهم ... فعدتهم من عدة الناس أكثر

إذا مارأوا من دأبه مثل دأبهم ... أطافوا به، والغي للغي أصور

ولوفارقوا من فيهم من دعارة ... لما عرفتهم أمهم حين تنظر

لقد فخروا بالملحقين عشية ... فقلت افخروا إن كان في اللؤم مفخر

يريدون مسعاتي ودون لقائها ... قناديل أبواب السموات تزهر

فقل في بني زيد كما قال معرب ... قوارير حجام غداً تتكسر

فقال يونس للذي أنشده: حسبك حسبك! من هيج هذا الشيطان عليهم؟ قيل: فلان؛ فقال: رب سفيه قوم قد كسب لقومه شراً عظيماً

ضمن مثلاً في شعره عند عقبة

ابن سلم واستحق جائزته:

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهروية قال حدثني عبد الله بن بشر بن هلال قال حدثني محمد بن محمد البصري قال حدثني النضر بن طاهر أبو الحجاج قال: قال بشار: دعاني عقبة بن سلم ودعا بحماد عجرد وأعشى باهلة، فلما اجتمعا عنده قال لنا: إنه خطر ببالي البارحة مثل مايتمثله الناس:" ذهب الحمار يطلب قرنين فجاء بلا أذنين" فأخرجوه من الشعر، ومن أخرجه من الشعر، ومن أخرجه فله خمسة آلاف درهم، وإن لم تفعلوا جلدتكم كلكم خمسمائة؛ فقال حماد: أجلنا أعز الله الأمير شهراً؛ وقال الأعشى: أجلنا أسبوعين؛ قال: وبشار ساكت لايتكلم؛ فقال له عقبة: ملك " يا أعمى" لاتتكلم! أعمى الله قلبك! فقال: أصلح الله الأمير، قد حضرني شيء فإن أمرت قلته؛ فقال قل؛ فقال:

شط بسلمى عاجل البين وجاورت أسد بني القين

ورنت النفس لها رنة كادت لها تنشق نصفين

يابنة من لاأشتهي ذكره أخشى عليه علق الشين

والله لو ألقاك لاأتقي عيناً لقبلتك ألفين

طالبتها ديني فراغت به وعلقت قلبي مع الدين

فصرت كالعير غداً طالباً قرناً فلم يرجع بأدنين

قال: فانصرف بشار بالجائزة

قصته مع قوم من قيس عيلان

نزلوا بالبصرة ثم ارتحلوا:

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: حدثنا علي بن مهدي قال حدثني عبد الله بن عطية الكوفي قال حدثني عثمان بن عمرو الثقفي قال قال أبان بن عبد الحميد اللاحقي: نزل في ظاهر البصرة قوم من أعراب قيس عيلان وكان فيهم بيان وفصاحة، فكان بشار يأتيهم وينشدهم أشعاره التي يمدح بها قيساً فيجلونه لذلك ويعظمونه، وكان نساؤهم يجلسن معه ويتحدثن إليه وينشدن أشعاره في الغزل وكن يعجبن به، وكنت كثيراً ماآتي ذلك الموضع فأسمع منه ومنهم، فأتيتهم يوماً فإذا هم قد ارتحلوا، فجئت إلى بشار فقلت له: يا أبا معاذ، أعلمت أن القوم قد ارتحلوا؟ قال: لا؛ فقلت: فاعلم؛ قال:: قد علمت لاعلمت! ومضيت، فلما كان بعد ذلك بأيام سمعت الناس ينشدون:

دعا بفراق من تهوى أبان ففاض الدمع واحترق الجنان

كأن شرارة وقعت بقلبي لها في نقلتي ودجمي أتنان

وإذا انشدت أو نسمت عليها رياح الصيف هاج لها دخان

فعلمت أنها لبشار، فأتيته فقلت: يا أبا معاذ، ماذنبي إليك؟ قال: ذنب غراب البين؛ فقلت: هل ذكرتني بغير هذا؟ قال: لا؛ فقلت: أنشدك الله ألا تزيد؛ فقال: امض لشأنك فقد تركتك

بشار وجعفر ين سليمان

وسنخت من كتابه: حدثني علي بن مهدي قال حدثني يحيى بن سعيد الأيوزرذي المعتزلي قال حدثني أحمد بن المعذل عن أبيه قال: أنشد بشار بن جعفر بن سليمان:

أقلي فإنا لاحقون وإنما يؤخرنا أنا يعد لنا عدا

وماكنت إلا كالأغرابن جعفر رأى المال لايبقى فأبقى به حمدا

فقال له جعفر بن سليمان: من ابن جعفر؟ قال: الطيا في الجنة؛ فقال: لقد ساميت غير مسامي! فقال: والله مايقعدني عن شأوه بعد النسب، لكن قلة النشب، وإني لأجود بالقليل وإن لم يكن عندي الكثير، وماعلى من جاد بما يملك ألا يهب البدور؛ فقال له جعفر: لقد هززت أبا معاذ، ثم دعا له بكيس فدفعه إليه.

سئل عن ميله للهجاء فأجاب

ونسخت من كتابه: حدثني علي بن مهدي قال حدثني أحمد بن سعيد الرازي عن سليمان بن سليمان العلوي قال: قيل لبشار: إنك لكثير الهجاء! فقال: إني وجدت الهجاء المؤلم آخذ بضبع الشاعر من المديح الرائع، ومن أراد من الشعراء أن يكرم في دهر اللئام على المديح فليستعد للفقر وإلا فليبالغ في الهجاء ليخاف فيعطى.

بشار في صباه

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: كان ابو بشار طياناً حاذقاً بالتطبين، وولد له بشاروهو أعمى، فكان يقول: مارأيت مولوداً أعظم بركة منه، ولقد ولد لي ماعندي درهم فما حال الحول حتى جمعت مائتي درهم. و لم يمت ببرد حتى قال بشار الشعر. وكان لبشار أخوان يقال لأحدهما: بشر، وللآخر: بشير، وكانا قصابين وكان بشار باراً بهما، على أنه كان ضيق الصد ومتبرماً بالناس، فكان يقول: اللهم إني قد تبرمت بنفسي وبالناس جميعاً، اللهم فأرحني منهم. وكان إخوته يستعيرون ثيابه فيوسخونها وينتنون ريحها، فاتخذ قميصاً له جيبان وحلف ألا يعيرهم ثوباً من ثيابه، فكانوا يأخذونها بغير إذنه؛ فإذا دعا بثوبه فلبسه فأنكر ريحته فيقول إذا وجد رائحة كريهة نم ثوبه: " أينما أتوجه ألق سعداً. فإذا أعياه الأمر خرج إلى الناس في تلك الثياب على نتنها ووسخه، فيقال له: ماهذا يا أبا معاذ؟ فيقول: هذه ثمرة صلة الرحم. قال: وكان يقول الشعر وهو صغير، فإذا هجا قوماً جاؤوا إلى أبيه فشكوه فيضربه ضرباً شديداً، فكانت أمه

تقول: كم تضرب هذا الصبي الضرير، أما ترحمه! فيقول: بلى والله إني لأرحمه ولكنه يتعرض للناس فيشكونه إلي؛ فسمعه بشار فطمع فيه فقال له: ياأبت إن هذا الذي يشكونه مني إليك هو قول الشعر، وإني إن ألممت عليه أغنيتك وسائر أهلي، فإن شكوني إليك فقل لهم: أليس الله يقول: " ليس على الأعمى حرج". فلما عاودوه شكواه قال لهم برد ماقاله بشار؛ فانصرفوا وهم يقولون: فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار.

مائتا دينار لشعره في مطاولة النساء

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني محمد بن عثمان الكريزي قال حدثني بعض الشعراء قال:

أتيت بشاراً الأعمى وبين يديه مائتا دينار، فقال لي: خذ منها ماشئت، أو تدري ماسببها؟ قلت: لا؛ قال: جاءني فتى فقال لي: أنت بشار؟ فقلت: نعم؛ فقال: إني آليت أن أدفع إليك مائتي دينارٍ وذلك أني عشقت امرأة فجئت إليها فكلمتها فلم تلتفت إلي، فهممت أن أتركها فذكرت قولك:

لايؤيسنك من مخبأة ... قول تغلظه وإن جرحا

عسر النساء إلى مياسرة ... والصعب يمكن بعدما جمحا

فعدت إليها فلازمتها حتى بلغت منها حاجتي

عاب الأخفش شعره

ثم صار بعد ذلك يستشهد به لما بلغه أنه هم بهجوه:

أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن أبي حاتم قال: كان الأخفش طعن على بشار في قوله:

فالآن أقصر عن سمية باطلي ... وأشار بالوجلى على مشير

وفي قوله:

على الغزلى مني السلام فربما ... لهوت بها في ظل مرءومة زهر

وفي قوله في صفة السفينة:

تلاعب نينان البحور وربما ... رأيت نفوس القوم من جريها تجري

وقال: لم يسمع من الوجل والغزل فعلى، و لم أسمع بنون ونينان؛ فبلغ ذلك بشاراً فقال: ويلي على القصارين! متىكانت الفصاحة في بيوت القصارين! دعوني وإياه؛ فبلغ ذلك الأخفش فبكى وجزع؛ فقيل له: مايبكيك؟ فقال: ومالي لاأبكي وقد وقعت في لسان بشار الأعمى! فذهب أصحابه بعد ذلك يحتج بشعره في كتبه ليبلغه؛

فكف عن ذكره بعد هذا.

قال: وقال غير ابي حاتم: إنما بلغه سيبويه عاب هذه الأحرف عليه لا الأخفش، فقال يهجوه:

أسبويه يابن الفارسية ماالذي تحدثت عن شتمي وما كنت تنبذ

أظلت تغني سادراً في مساءتي وأمك بالمصرين تعطي وتأخذ

قال: فتوقاه سيبويه بع د ذلك، وكان إذا سئل عن شيء فأجاب عنه ووجد له شاهداً من شعر بشار احتج به استكفافاً لشره.

ذم بني سدوس باستعانة بني عقيل

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثني الحسن بن عليل العتري قال حدثني أحمد بن علي بن سويد بن منجوف قال: كان بشار مجاوراً لبني عقيل وبني سدوس في مترل الحيين، فكانوا لايزالون يتفاخرون، فاستعانت عقيل ببشار وقالوا: يا أبا معاذ، نحن أهلك وأنت ابننا وربيت في جحورنا فأعنا؛ فخرج عليهم وهم يتفاخرون، فجلس ثم أنشد:

كأن بني سدوس رهط ثور خنافس تحت منكسر الجدار

تحرك للفخار زبانييها وفخر الخنفساء من الصغار

فوثب بنو سدوس إليه فقالوا: مالنا ولك ياهذا! نعوذ بالله من شرك! فقال: هذا دأبكم إن عاوتم مفاخرة بني عقيل؛ فلم يعاودوها.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهروية قال حدثني محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلام قال: قال يونس النحوي: العجب من الأزد يدعون هذا العبد ينسب بنسائهم ويهجو رجالهم -يعني بشاراً - ويقول:

ألا ياصنم الأزد ال ذي يدعونه ربا

ألا يبعثون إليه من يفتق بطنه! ذم أناساً كانوا مع ابن أخيه أخبرني الحسن قال حدثني ابن مهروية عن أحمد بن إسماعيل عن محمد بن سلام قال: مر ابن أخ لبشار ببشار ومعه قوم: فقال لرجل معه وسمع كلامه: من هذا؟ فقال: ابن أخيك؛ قال: اشهد أن أصحابه سفلة؛ قال: وكيف علمت؟ قال: بيس عليهم نعال.

سمع شعره من مغنية فطرب

وقال: هذا أحسن من سورة الحشر

اخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثني الفضل بن يعقوب قال: كنا عند جارية لبعض التجار بالكرخ تغنينا، وبشار عندنا، فغنت في قوله:

إن الخليفة قد أبى وإذا أبى شيئاً أبيته
ومخضب رخص البنا ن وبكى علي وما بكيته
يامنظراً حسناً رأي ت بوجه جارية فديته
بعثت إلي تسومني ثوب الشباب وقد طويته

فطرب بشار وقال: هذا والله يا أبا عبد الله أحسن من سورة الحشر!. وقد روى هذه الكلمة عن بشار غير من ذكرته فقال عنه: إنه قال: هي والله أحسن من سورة الحشر. والغناء في هذه الأبيات. وتمام الشعر:

وأنا المطل على العدا وإذا غلا الحمد اشتريته
وأميل في أنس الندي م من الحياء وماأشتهيته
ويشوقني بيت الحبي ب إذا غدوت وأين بيته

حال الخليفة دونه فصبرت عنه وماقليته

وأنشدني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي هذه الأبيات وأخبرني أن الجاحظ أخبره أن المهدي نهى بشاراً عن الغزل وأن يقول شيئاً من النسيب، فقال هذه الأبيات. قال: وكان الخليل بن أحمد ينشدها ويستحسنها ويعجب بها.

سألته ابنته لماذا يعرفه الناس ولايعرفهم

فأجابها:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ أبو غسان عن محمد بن الحجاج قال: قالت بنت بشار لبشار: ياأبت، مالك يعرفك الناس ولاتعرفهم؟ قال: كذلك الأمير يابنية.

سبب عبد الله بن مسور أبا النضير فدافع عنه بشار: أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: قال عبد الله بن مسور الباهلي يوماً لأبي النضير، وقد تحاوروا في شيء: يابن اللخناء، اتكلمني ولواستريت عبداً بمائتي درهم واعتقته لكان خيراً منك! قال له أبو النضير: والله لو كنت ولد زناً لكنت خيراً من باهلة كلها؛ فغضب الباهلي؛ فقال له بشار: أنت منذ ساعة تزني أما ولايغضب، فلما كلمك كلمة واحدة لحقك هذا كله! فقال له: وأمه مثل أمي يا أبا معاذ! فضحك، ثم قال: والله لو كانت أمك أم الكتاب ما كان بينكما من المصارمة هذا كله!.

طلب من ابن مزيد أن يدخله على المهدي

فسوفه فهجاه:

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: حدثني علي بن مهدي قال حدثني سعيد بن عبيد الخزاعي قال: ورد بشار بغداد فقصد يزيد بن مزيد، وسأله أن يذكره للمهدي، فسوفه أشهراً؛ ثم ورد روح بن حاتم فبلغه خبر بشار، فذكره للمهدي من غير أن يلقاه، وأمر بإحضاره فدخل إلى المهدي وأنشده شعراً مدحه به، فوصله بعشرة آلاف درهم ووهب له عبداً وقينة" وكساه كساً كثيرة"؛ وكان يحضر قيساً مرة، فقال بشار يهجو يزيد بن مزيد:

ولما التقينا بالجنينة غرني ... بمعروفه حتى خرجت أفوق

غرني: أوجرني كما يغر الصبي أو يوجر اللبن.

حباني بعبد قعسري وقينة ... ووشي وآلا فٍ لهن بريق

فقل ليزيد يلعص الشهد خالياً ... لنا دونه عند الخليفة سوق

رقدت فنم يابن الخبيثة إنها ... مكارم لايستطيعهن لصيق

أبى لك عرق من فلانة أن ترى ... جواداً ورأس حين شبت حليق

قصيدته التي مدح بها إبراهيم بن عبد الله

فلما قتل جعلها للمنصور:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال: كان بشار كتب إلى إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بقصيدة يمدحه بها ويحرضه ويشير عليه، فلم تصل إليه حتى قتل، وخاف بشار أن تشتهر فقلبها وجعل التحريض فيها على أبي مسلم والمدح والمشورة لأبي جعفر المنصور، فقال:

أبا مسلم ماطيب عيش بدائم ... ولاسالم عما قليل بسالم

وإنما كان قال: " أبا جعفر ماطيب عيش" فغيره وقال فيها:

إذا بلغ الرأي النصيحة فاستعن ... بعزم نصيح أو بتأييد حازم

ولاتجعل الشورى عليك غضاضة ... مكان الخوافي نافع للقوادم

وخل الهوينى للضعيف ولاتكن ... نؤوماً فإن الحزم ليس بنائم

وماخير كف أمسك الغل أختها ... وماخير سيف لم يؤيد بقائم

وحارب إذا لم تعط إلا ظلامة" ... شبا الحرب خير من قبول المظالم

وأدن على القرى المقرب نفسه ولاتشهد الشورى أمراً غير كاتم
فإنك لاتستطرد الهم بالمنى ولاتبلغ العليا بغير المكارم
إذا كنت فرداً هرك القوم مقبلاً وإن كنت أدنى لم تفز بالعزائم
وماقرع الأقوام مثل مسيع أريب ولاجلى العمى مثل عالم

قال الأصمعي: فقلت لبشار: إني رأيت رجال الرأي يتعجبون من أبياتك في المشورة؛ فقال: أما علمت أن المشاورين إحدى الحسنيين: بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك في مكروهه؛ فقلت: أنت والله أشعر في هذا الكلام منك في الشعر

اعترض عليه رجل لوصفه جسمه بالنحول

وهو سمين:

أخبرن يالحسن بن علي قال حدثنا ابن مهروية قال حدثني علي بن الصباح عن بعض الكوفيين قال: مررت ببشار وهو متبطح في دهليزه كأنه جاموس، فقلت له: يا أبا معاذ، من القائل:

في حلتي جسم فتى ناحل لو هبت الريح به طاحا

قال: أنا؛ قلت: فما حملك على هذا الكذب؟ والله إني لأرى أن لو بعث الله الرياح التي أهلك بها الأمم الخالية ماحركتك من موضعكّ فقال بشار: من أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة؛ فقال: ياأهل الكوفة لاتدعون ثقلكم ومقتكم على كل حال!.

عاتب صديقاً له لأنه لم يهد له شيئاً

نسخت من كتاب هارون بن علي: قال حدثني عافية بن شبيب قال: قدم كر كردي بن عامر المسمعي من مكة، فلم يهد لبشار شيئاً وكان صديقه؛ فكتب إليه

ماأنت ياكردي بالهش ولاأبريك من الغش
لم تهدنا نعلاً ولاخاتماً من أين أقبلت؟ من الحش !

فأهدى إليه هدية حسنة وجاءه فقال: عجلت يا أبا معاذ علينا، فأنشدك الله ألا تزيد شيئاً على مامضى.

أخبر أنه غنى بشعر له فطرب

ونسخت من كتابه عن عافية بن شبيب أيضاً قال حدثني صديق لي قال: قلت لبشار: كنا أمس في عرس فكان أول صوت غنى به المغني:

هوى صاحبي ريح الشمال إذا جرت وأشفى لنفسي أن تهب جنوب

وماذاك إلا أنها حين تنتهي تناهى وفيها من عبيدة طيب

فطرب وقال: هذا والله أحسن من فلج يوم القيامة

مدح المهدي فلم يجزه

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبي عن عافية بن شبيب عن أيب جعفر الأسدي قال: مدح بشار المهدي فلم يعطه شيئاً؛ فقيل له: لم يستجد شعرك؛ فقال: والله لقد قلت شعراً لوقيل في الدهر لم يخش صرفه عن أحد، ولكنا نكذب في القول فنكذب في الأمل

هجا روح بن حاتم فحلف ليضربنه

ثم بر في يمينه فضربه بعرض السيف:

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني يحيى بن خليفة الدارمي عن نصر بن عبد الرحمن العجلي قال: هجا بشار روح بن حاتم؛ فبلغه ذلك فقذفه وتهدده؛ فلما بلغ ذلك بشاراً قال فيه:

تهددني أبو خلف وعن أوتاره ناما

بشيف لأبي صفر ة لايقطع إبهاماً

كأن الورس يعلوه إذا ماصدره قاما

-قال ابن أبي سعد: ومن الناس من يروي هذين البيتين لعمر الظالمي- قال: فبلغ ذلك روحاً فاقل: كل مالي صدقة إن وقعت علين عليه لأضربنه ضربة بالسيف ولوأنه بين يدي الخليفة! فبلغ بشار" فقام من فوره حتى دخل على المهدي؛ فقال له: ماجاء بك في هذا الوقت؟ فأخبره بقصة روح وعاذ به منه، فقال: يانصير، وجه إلى روح من يحضره الساعة؛ فأرسل إليه في الهاجرة، وكان يترل المخرم، فطن هو وأهله أنه دعي لولاية. قال: ياروح، إني بعثت إليك في حاجة؛ فقال له: أنا عبدك ياأمير المؤمنين فقل ماشئت سوى بشار فإني حلفت في أمره بيمين غموس؛ قال: قد علمت وإياه أردت؛ قال له: فاحتل ليميني ياأمير المؤمنين؛ فأحضر القضاة والفقهاء فاتفقوا على أن يضربه ضربة على جسمه بعرض السيف، وكان بشار وراء الخيش، فأخرج وأقعد واستل روح سيفه فضربه ضربة" بعرضه؛ فقال: أوه باسم الله! فضحك المهدي وقال له: ويلك! هذا وإنما ضربك بعرضه وكيف لو

ضربك بحده! مدح سليمان بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو عبيدة قال: مدح بشار سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيماً بحران وخرج إليه فأنشده قوله فيه:

نأتك على طول التجاور زينب ... وماشعرت أن النوى سوف تشعب
يرى الناس ماتلقى بزينب إذا نأت ... عجيباً وماتخفي بزينب أعجب
وقائلةٍ لي حين جد رحيلنا ... وأجفان عينيها تجود وتسكب
أغاد إلى حران في غير شيعة ... وذلك شأو ابن الخليفة مذهب
سيكلفني فتى من سعيه حد سيفه ... وكور علافي ووجناء ذغلب
إذا استوغرت دار عليه رمى بها ... بنات الصوى منها ركوب ومصعب
فعدي إلى يوم ارتحلت وسائلي ... بزورك والرحال من جاء يضرب
لعلك أن تستقيني أن زورتي ... سليمان من سير الهواجر تعقب

أغر هشامي القناة إذا انتمى ... نمته بدور وليس فيهن كوكب
وماقصدت يوماً مخيلين خيله ... فتصرف إلا عن دماءٍ تصبب

استقل عطاء سليمان فقال شعراً

فوصله سليمان بخمسة لآلاف درهم وكان يبخل، فلم يرضها وانصرف عنه مغضباً فقال:

إن أمس منقبض اليدين عن الندى ... وعن العدو مخيس الشيطان
فلقد أروح عن اللئام مسلطاً ... ثلج المقيل منعم الندمان
في ظل عيش عشيرة محمودة ... تندى يدي ويخاف فرط لساني
أزمان جني الشباب مطاوع ... وإذ الأمير علي من حران
ريم بأحوية العراق إذا بدا ... برقت عليه أكلة المرجان
فاكحل بعبده مقلتيك من القذى ... وبوشك رؤيتها من الهملان
فلقرب من تهوى وأنت متيم ... أشفى لدائك من بين مروان

فلما رجع إلى العراق بره ابن هبيرة ووصله، وكان يعظم بشاراً ويقدمه، لمدحه قيساً وافتخاره بهم، فلما جاءت دولة أهل خراسان عظم شأنه.

مدح المهدي بشعر فيه تشبيب حسن

فنهاه عن التشبيب:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن الحجاج قال: قدم بشار الأعمى على لامهدي بالرصافة فدخل عليه في البستان فأنشده مديحاً فيه تشبيب حسن، فنهاه عن التشبيب لغيرة شديدة كانت فيه، فأنشده مديحاً فيه، يقول فيه:

كأنما جئته أبشره ... ولم أحيء راغباً ومحتلبا

يزين المنبر الأشم بعط ... فيه وأقواله إذا خطبا

تشم نعلاه في الندى كما ... يشم ماء الريحان منتهبا

فأعكاه خمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وفادة في كل سنة ونهاه عن التشبيب البتة، فقدم عليه في السنة الثالثة فدخل عليه فأنشده:

تجاللت عن فهر وعن جارتي فهر ... وودعت نعمى بالسلام وبالبشر

وقالت سليمى ففيك عنا جلادة ... محلك دان والزيارة عن عفر

أخي في الهوى مالي أراك جفوتنا ... وقد كنت تقفونا على العسر واليسر

تثاقلت إلا عن يد أستفيدها ... وزورة أملاك أشد بها أزري

وأخرجبن من وزر خمسين حجة ... فتى "هاشمي يقشعر من الزر

دفنت الهوى حيا فلست بزاشر ... سليمى ولاصفراء ماقرقر القمري

ومصفرة بالزعفران جلودها ... إذا اجتليت مثل المفرطحة الصفر

فرب ثقال الردف هبت تلومني ... ولو شهدت قبري لصلت على قبري

تركت لمهدي الأنام وصالها ... وراعيت عهداً بيننا ليس بالختر

ولولا أمير المؤمنين محمد ... لقبلت فاها أو لكان بها فطري

لعمري لقد أوقرت نفسي خطيئة ... فما أنا بالمزداد وقراً على وقر

في قصيدة طويلة امتدحه بها، فأعطاه ما كان يعطيه قبل ذلك و لم يزده شيئاً.

توفي ابن له فتمثل بقول جرير

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي عن محمد بن سلام عن بعض أصحابه قال: حضرنا جنازة ابن لبشارة توفي، فجزع عليه جزعاً شديداً، وجعلنا نعزيه ونسليه فما يغني ذلك شيئاً، ثم التفت إلينا وقال: لله در جرير حيث يقول وقد عزي بسوادة ابنه:

قالوا نصيبك منأجر فقلت لهم ... كيف العزاء وقد فارقت أشبالي

ودعتني حين كف الدهر من بصري ... وحين صرت كعظم الرمة البالي

أودى سوادة يجلو مقلتي لحم ... بازٍ يصرصر فوق المربأ العالي

إلا تكن لك بالديرين نائحة ... فرب نائحة بالرمل معوال

استنشده صديق له شيئاً من غزله

فاعتذر المهدي له عنه:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني خلاد الأرقط قال: اما أنشد المهدي قول بشار:

لايؤيشنك من مخبأة ... قول تغلظه وإن جرحا

عسر النساء إلي مياسرة ... والصعب يمكن بعد ما جمحا

فنهاه المهدي عن قوله مثل هذا، ثم حضر مجلساً لصديق له يقال له عمرو بن سمان، فقال له: أنشدنا يا أبا معاذ شيئاً من غزلك، فأنشا يقول:

وقائل هات شوقنا فقلت له ... أنائم أنت ياعمرو بن سمان

أما سمعت بما قد شاع في مضرٍ ... وفي الحليفين من نجر وقحطان

قال الخليفة لاتنسب بجارية ... إياك إياك أن تشقى بعصيان

صدق ظنه في تقدير جوائز الشعر

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا سليان بن أيوب المدائني قال: قال مروان بن أبي حفصة: قدمت البصرة فأنشدت بشاراً قصيدة لي واستنصحته فيها، فقال لي: ماأجودها! تقدم بغداد فتعطى عشرة آلاف درهم؛ فجزعت من ذلك وقلت: قتلتني! فقال: هو ماأقول لك؛ وقدمت بغداد فأعطيت عليها عشرة آلاف درهم؛ ثم قدمت عليه قدمة أخرى فأنشدته قصيدتي: فقال: تعطى عليها مائة ألف درهم؛ فقدمت فأعطيت مائة ألف درهم، فعدت إلى البصرة فأخبرته بحالي في المرتين، وقلت له: مارأيت أعجب من حدسك! فقال: يابني، أما

علمت أنه لم يبق أحد أعلم بالغيب من عمك!. أخبرنا بهذا الخبر محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا يزيد ين محمد المهلبي عن محمد بن عبد الله بن أبي عيينة عن مروان أنه قدم على بشار فأنشده قوله:

طرقتك زائة فحي خيالها

فقال له: يعطونك عليها عشرة آلاف درهم، ثم قدم عليه فأنشده قوله:

أنى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الأعمام

فقال: يعطونك عليها مائة ألف درهم، وذكر باقي الخبر مثل الذي قبله.

امتحن في صلاته فوجد لايصلي

أخبرني عيسى قال حدثنا سليمان قال: قال بعض أصحاب بشار: كنا نكون عنده فإذا حضرت الصلاة قمنا إليها ونجعل حول ثيابه تراباً حتى ننظر هل يقوم يصلي، فنعود والتراب بحاله و ماصلى.

جعل الحب قاضيا بين المحبين بأمر المهدي

اخبرني عيسى قال حدثنا سليمان قال: قال أبو عمرو: بعث المهدي إلى بشار فقال له: قل في الحب شعراً ولاتطل واجعل الحب قاضياً بين المحبين ولاتسم أحداً؛ فقال:

اجعل الحب بين حبي وبيني قاضياً إنني به اليوم راضي

فاجتمعنا فقلت ياحب نفسي إن عيني قليلة الإغماض

أنت عذبتني و أنحلت جسمي فارحم اليوم دائم الأمراض

قال لي لايحل حكمي عليها أنت أولى بالسقم والإحراض

قلت لما أجابني بهواها شمل الجور في الهوى كل قاضي

فبعث إليه المهدي: حكمت علينا ووافقنا ذلك، فامر له بألف دينار

نسب إليه بعضهم أنه

أخذ معنى في شعره من أشعب فرد عليه:

أخبرني عيسى قال حدثني سليمان المدني قال حدثني الفضل بن إسحاق الهاشمي قال: أنشد بشار قوله:

يروعه السرار بكل أرض مخافة أن يكون به السرار

فقال له رجل: أظنك أخذت هذا من قول أشعب: مارأيت اثنين يتساران إلا ظننت أنهما يأمران لي بشيء؛ فقال: إن كنت أخذت هذا من قول أشعب فإنك ثقل الروح والمقت من الناس جميعا فانفردت به دونهم، ثم قام فدخل وتركنا. وأخذ أبو نواس هذ المعنى بعينه من بشار فقال فيه:

تركتني الوشاة نصب المسري ... ن وأحدوثة بكل مكان

مأرى حاليين في السر ألا ... قلت مايخلوان إلا لشاني

اشتنشد هجوه في حماد عجرد

وعمرو الظالمي فأنشد:

أخبرني عمي قال حدثني سليمان قال قال لي أبو عدنان حدثني سعيد جليس كان لأبي زيد قال: أتاني أعشى سليم وأبو حنش فقالا لي: انطلق معنا إلى بشار فتسأله أن ينشدك شيئاً من هجائه في حماد عجرد أو في عمرو الظالمي فإنه إن عرفنا لم ينشدنا، فمضيت معهما حتى دخلت على بشار فاستنشدته فأنشد قصيدة" له على الجال فجعل يخرج من واد في الهجاء إلى واد آخر وهما يستمعان وبشار لايعرفهما، فلما خرجا قال أحدهما للآخر: أما تعجب مما جاء به هذا الأعمى؟ فقال أبو حنش: أماأنا فلا أعرض-والله- والدي أبداً؛ وكانا قد جاءا يزورانه، وأحسبهما أرادا أن يتعرضا لمهاجاته.

مدح واصلاً قبل أن يدين بالرجعة

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي عن الجاحظ قال:

كان بشار صديقاً لأبي حذيفة واصل بن عطاء قبل أن يدين بالرجعة ويكفر الأمة، وكان قد مدح واصلاً وذكر خطبته التي خطبها فنزع منها كلها الراء وكانت على البديهة، وهي أطول من خطبتي خالد بن صفوان وشبيب بن سيبة، فقال:

تكلفوا القول والأوقام قد حفلوا ... وحبروا خطباً ناهيك من خطب

فقام مرتجلاً تغلي بداهنخ ... كمرجل القين لما حف باللهب

وجانب الراء لم يشعر به أحد ... قبل التصفح والإغراق في الطلب

قال: فما دان بالرجعة زعم أن الناس كلهم كفروا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقيل له: وعلي بن أبي طالب؟ فقال:

وماشر الثلاثة أم عمرو ... بصاحبك الذي لاتصبحينا

قال: ما كان الكميت شاعراً: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن اسماعيل تينة قال قال لي محمد بن الحجاج: قال بشار: ما كان الكميت شاعراً؛ فقيل له: زكيف زهز الذي يقول!:

أنصف امرىء من نصف حي يسبني لعمري لقد لاقيت خطباً من الخطب

هنيئاً لكلب أن كلباً يسبني وأني لم أردد جواباً على كلب

فقال بشار: لابل شانئك، أترى رجلاً لو ضرط ثلاثين سنة لم يستحل من ضرطه ضرطة واحدة!

تمثل سفيان بن عيينة بشعر له

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: حدثني علي بن مهدي قال حدثني حجاج المعلم قال سمعت أشبهناهم، فصرنا كما قال الشاعر:

ومأأنا إلا كالزمان إذا صحا صحوت وإن ماق الزمان أموق

وبخ من سأله عن منزل ففهمه ولم يفهم

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن الحجاج قال: كنا مع بشار فأتاه رجل فسأله عن مترل رجل ذركه له، فجعل يفهمه ولايفهم، فأخذ بيده وقام يقوده إلى مترل الرجل وهو يقول:

أعمى يقود بصيراً لاأباً لكم قد ضل من كانت العميان تهديه

حتى صار به إلى مترل الرجل، ثم قال له: هذا هو مترله ياأعمى

أنشده عطاء الملط شعراً فاستحسنه

وأنشد شعراً على رويه:

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: زعم أبو دعامة أن عطاء الملط أخبره أنه أتى بشاراً فقال له: يا أبا معاذ، أنشدك شعراً حسناً؟ فقال: ما أسرني بذلك، فأنشده:

أعاذلتي اليوم ويلكما مهلاً فما جزعاً م الآن أبكي ولاجهلا

فلما فرغ منها قال له بشار: أحسنت، ثم أنشده على رويها ووزنها:

لقد كاد مأأخفي من الوجد والهوى يكون جوى بين الجوانح أوخبلا

صوت

إذا قال مهلاً ذو القرابة زادني ولوعاً بذكراها ووجداً بها مهلا

فلا يحسب البيض الأوانس أن في فؤادي سوى سعدى لغانية فضلا

فأقسم إن كان الهوى غير بالغ بي القتل من سعدي لقد جاوز القتلا

فيا صاح خبرني الذي أنت صانع بقاتلتي ظلماً وماطلبت ذحلا

سوى أنني في الحب بيني وبينها شددت على أكظام سر لها قفلا

وذكر أحمد بن المكي أن لإسحاق في هذه الأبيات ثقيلا أول بالوسطى فاستحسنت القصيدة وقلت: يا أبا معاذ، قد والله أجدت وبالغت، فلو تفضلت بأن تعيدها، فأعادها على خلاف ماأنشدنيها في المرة الأولى، فتوهمت أنه قالها في تلك الساعة

حاوره أحمد بن خلاد في ميله إلى الإلحاد

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أحمد بن خلاد قال حدثني أبي قال: كنت أكلم بشاراً وأورد عليه سوء مذهبه بميله إلى ألإلحاد، فكان يقول: لاأعرف إلا ماعاينته أو عانيت مثله؛ وكان الكلام يطول بيننا، فقال لي: ماأظن الأمر يا أبا خالد إلا كما تقول، وأن الذي نحن فيه خذلان، ولذلك أقول:

طبعت على مافي غير مخير هواي ولو خيرت كنت المهذبا

أريد فلا أعطي وأعطى ولم أرد وقصر علمي أن أنال المغيبا

فأصرف عن قصدي وعليم مقصر وأمسي وماأعقبت إلا التعجبا

عاتب بشعر فتى من آل منقر

بعث إليه في الضحية بنعجة عجفاء:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهروية قال حدثني أحمد بن خلاد بن المبارك قالحدثني أبي قال: كان بالبصرة فتى من بني منقر أمه عجلية، وكان يبعث إلى بشار في كل أضحية بأضحية من الأضاحي التي كان أهل البصرة يسمنونها سنة" وأكثر للأضاحي ثم تباع الأضحية بعشرة دنانير، ويبعث معها بألف درهم؛ قال: فأمروكيله في بعض السنين أن يجريه على رسمه، فاشترى له نعجة كبيرة غير سمينة وسرق باقي الثمن، وكانت

نعجة عبدلية" من نعاج عبد الله بن دارم وهو نتاج مرذول، فلما أدخلت عليه قالت له جاريته ربابة: ليست هذه الشاة من الغنم التي كان يبعث بها إليك؛ فقال: أدينها مني فأدنتها ولمسها بيده ثم قال: اكتب ياغلام:

وهبت لنا يافتى منقر | وعجل وأكرمهم أولاً
وأبسطهم راحة في الندى | وأرفعهم ذروة في العلا
عجوزاً قد آوردها عمرها | وأسكنها الدهر دار البلى
سلوحاً توهمت أن الرعاء | سقوها ليسهلها الحنظلا
وأضرط من أم مبتاعها | إن اقتحمت بكرة"حرملا
فلو تأكل الزبد بالنرسيان | وتدمج المسك والمندلا
لما طيب الله أرواحها | لابل من عظمه الأقحلا
وضعت يميني على ظهرها | فخلت حراقفها جندلا
وأهوت شمالي لعرقوبها | فخلت عراقبها مغزلا
وقلبت أليتها بعد ذا | فشبهت عصعصها منجلا
فقلت أبيع فلا مشرباً | أرجي لديها ولامأكلا
أم آشوي وأطبخ من لحمها | وأطيب من ذاك مضغ السلى
إذا مامرت على مجلس | من العجب سبح أو هللا
رأوا آية خلفها سائق | يحث وشحم قد استكملا
وكنت أمرت بها ضخمة" | بلحم وشحم قد استكملا
ولكن روحاً عدا طوره | وما كنت أحسب أن يفعلا
فعض الذي خان في أمرها | من است أمه بظرها الأغرلا
ولولا مكانك قلدته | علاطاً وأنشقته الخردلا
ولولا استحائيك خضبتها | وعلقت في جيدها جلجلا
فجاءتك حتى ترى حالها | فتعلم أني بها مبتلى
سألتك لحما لصبياننا | فقد زدتني فيهم عيلا
فخها وأنت بنا محسن | ومازلت بي محسناً مجملا

قال: وبعث بالرقعة إلى الرجل؛ فدعا بوكيله وقال له: ويلك تعلم أني أفتدي من بشار بما أعطيه وتوقعني في لسانه اذهب فاشتر أضحية، وإن قدرت أن تكون مثل الفيل فافعل، وابلغ بها مابلغت وابعث بهاإليه.

شعره في رثاء بنية له

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال حدثني عمي قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال: رأيت بشاراً المرعث يرثي بنية" له وهو يقول:

يابنت من لم يك يهوى بنتا ... ماكنت إلا خمسة أو ستا
حتى حللت في الحشى وحتى ... فتت قلبي من جوى فانفتا
لأنت خير من غلام بتا ... يصبح سكران ويمسي بهتا

مدح نافع بن عقبة بن سلم بعد موت أبيه

أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المديني قال: كان نافع بن عقبة بن سلم جواداً ممدحاً، وكان بشار منقطعاً إلى أبيه، فلما مات أبوه وفد إليه وقد ولي مكان أبيه، فمدحه بقوله:

ولنافع فضل على أكفائه ... إن الكريم أحق بالتفضيل
يانافع الشبرات حين تناوحت ... هوج الرياح وأعقبت بوبول
أشبهت عقبة غير مامتشبه ... ونشأت في حلم وحسن قبول
ووليت فينا أشهراً فكفيتنا ... عنت المريب وسلة التضليل
تدعى هلالاً في الزمان ونافعاً ... والسلم نعم أبوة المأمول

فأعطاه مثل ما كان أبوه يعطيه في كل سنة إذا وفد عليه.

أجاز شعراً للمهدي في جارية

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني إبراهيم بن عقبة الرفاعي قال حدثني إسحلق بن إبراهيم التمار البصري قال: دخل المهدي إلى بعض حجر الحرم فنظر إلى جارية منهن تغتسل، فلما رأته حصرت ووضعت يدها على فرجها، فأنشأ يقول:

نظرت عيني لحيني

ثم أرتج عليه، فقال: من بالباب من الشعراء؟ قالوا: بشار، فأذن له فدخل؛ فقال له: أجز:

نظرت عيني لحيني — نظراً وافق شيني
سترت لما رأتني — دونه بالراحتين
فضلت منه فضول — تحت طي العكنتين

فقال له المهدي: قبحك الله ويحك أكنت ثالثنا ثم ماذا؟ فقال:

فتمنيت وقلبي — للهوى في زفرتين
أنني كنت عليه — ساعة أو ساعتين

فضحك المهدي وأمر له بجائزة؛ فقال: ياأمير المؤمنين أقنعت من هذا الصفة بساعة أوساعتين؟ فقال: اخرج عني قبحك الله. فخرج بالجائزة

أنشد شعراً على لسان حمار له مات

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا أبو شبل عاصم بن وهب البرجمي قال حدثني محمد بن الحجاج قال: جاءنا بشار يوماً فقلنا له: مالك مغتماً؟ فقال: مات حماري فرأيته في النوم فقلت له: لم مت؟ ألم أكن أحسن إليك. فقال:

سيدي خذ بي أتاناً — عند باب الأصبهاني
تيمتني ببنان — وبدل قد شجاني
تيمتني يوم رحنا — بثناياها الحسان
وبغنج ودلال — سل جسمي وبراني
ولها خد أسيل — مثل خد الشيفران
فلذا مت ولو عش — ت إذا طال هواني

فقلت له: مالشيفران؟ قال: ومايدريني. هذا من غريب الحمار، فإذا لقيته فاسألأه

رأيه فيما يكون عليه المجلس

أخبرن يالحسن قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني علي بن إياس قال حدثني السري بن الصباح قال: شهد بشار مجلساً فقال:: لاتصيروا مجلسنا هذا شعراً كله ولاحديثاً كله ولاغناء كله، فإن العيش فرص، ولكن غنوا وتحدثوا وتناشدوا وتعالوا نتناهب العيش تناهباً وصفه غلام بذرب اللسان وسعة الشدق: أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن ابن عائشة قال: جاء بشار يوماً إلى أبي وأنا على الباب، فقال لي: من أنت ياغلام؟ فقلت:

من ساكني الدار؛ قال: فكلمني والله بلسان ذرب وشدق هريتٍ أبططأ سهيل القرشي فيما كان يهديه له من تمر فكتب إليه يتنجزه: أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن أبي حاتم قال: كان سهيل بن عمر القرسي يبعث إلى بشار في كل سنة بقواصر تمر، ثم أبطأ عليه سنة"؛ فكتب إليه بشار:

تمركم ياسهيل در وهل يطم ... ع في الدر من يدي متعتي
فاحبني ياسهيل من ذلك التم ... ر نواة تكون قرطاً لبنتي

فبعث إليه بالتمر وأضعفه له، وكتب إليه يستعفيه من الزيادة في هذا الشعر.

سأله بعض أخل الكوفة ممن كانوا على كذهبه أن ينشدهم شعراً ثم عابثوه: ونسخت من كتاب هارون بن علي: عن عافية بن شبيب عن الحسن بن صفوان قال: جلس إلى بشار أصدقاء من أهل الكوفة كانوا على مثل مذهبه، فسألوه أن ينشدهم شيئاً مما أحدثه، فأنشدهم قوله:

أنى دعاه الشوق فارتاحا ... من بعد ماأصبح جحجاحا

حتى أتى على قوله:

في حلتي جسم فتى ناحلٍ ... لو هبت الريح به طاحا

فقالوا: يابن الزانية، أتقول هذا وأنت كأنك فيل عرضك أكثر من طولك . فقال: قوموا عني يابني الزناء؛ فإني مشغول القلب، لست أنشط اليوم لمشاتمتكم.

عشق امرأة وألح عليها فشكته إلى زوجها: أخبرني يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شبيب قال: كان لبشار مجلس يجلس فيه بالعشي يقال له البردان، فدخل إليه نسوة في مجلسه هذا فسمعن شعره، فعشق امرأة منهن، وقال لغلامه: عرفها محبتي لها، واتبعها إذا انصرفت إلى مترلها؛ ففعل الغلام وأخبرها بما أمره فبم تجبه إلى ماأحب، فتبعها إلى مترلها حتى عرفه، فكان يتردد إليها حتى برمت به، فشكته إلى زوجها، فقال لها أجيبيه وعديه إلى أن يجيئك إلى هاهنا ففعلت، وجاء بشار مع امرأة وجهت بها إليه، فدخل وزوجها جالس وهو لايعلم، فجعل يحدثها ساعة، وقال لها: ماسمك بأبي أنت؟ فقالت: أمامة؛ فقال:

أمامة قد وصفت لنا بحسن ... وإنا لانراك فألمسينا

قال: فأخذت يده فوضعتها على أير زوجها وقد أنعظ، ففزع ووثب قائماً وقال:

علي ألية مادمت حيا ... أمسك طائعاً إلا بعود
ولاأهدي لقوم أنت فيهم ... سلام الله إلا من بعيد
طلبت غنيمة فوضعت كفب ... على أير أشد من الحديد
فخير منك من لاخير فيه ... وخير من زيارتكم قعودي

وقبض زوجها عليه وقال: هممت بأن أفضحك؛ فقال له: كفاني، فديتك، مافعلت بي، ولست والله عائداً إليها أبداً، فحسبك مامضى، وتركه وانصرف.
وقد روي مثل هذه الحكاية عن الأصمعي في قصة بشار هذه. وهذا الخبر بعينه يحكي بإسناد أقوى من هذا اللإسناد وأوضح عن أبي العباس الأعمى السائب بن فروخ، وقد ذكرته في أخبار أبي العباس بإسناده.

رثاؤه أصدقاءه

نسخت من كتاب هارون بن علي: قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني حمدان الآبنوسي قال حدثنا أبو نواس قال: كان لبشار خمسة ندماء فمات منهم أربعة وبقي واحد يقال له البراء، فركب في زورق يريد عبور دجلة العورا فغرق، وكان المهدي قد نهى بشاراً عن ذكر النساء والعشق، فكان بشار يقول: ماخير في الدنيا بعد الأصدقاء؛ ثم رثى أصدقاءه بقوله:

يابن موسى ماذا يقول الإمام ... في فتاة بالقلب منها أوام
بت من حبها أوقر بالكأ ... س ويهفو على فؤادي الهيام
ويحها كاعباً تدل بجهم ... كعثبي كأنه حمام
لم يكن بينها وبيني إلا ... كتب العاشقيان والأحلام
يابن موسى اسقني ودع عنك سلمى ... إن سلمى حمى وفي احتشام
رب كأس كالسلسبيل تعلل ... ت بها والعيون عني نيام
حبست للشراة في بيت رأس ... عتقت عانساً عليها الختام
نفحت نفحة فهزت نديمي ... بنسيم وانشق عنها الزكام
وكأن المعلول منها إذا را ... ح شج في لسانه برسام
صدمته الشمول حتى بعيني ... ه انكسار وفي المفاصل خام
وهو باقي الأطراف حيث به الكأ ... س وماتت أوصاله والكلام
وفتى يشرب المدامة بالما ... ل ويمشي يروم مالايرام
أنفدت كأسه الدنانير حتى ... ذهب العين واستمر السوام
تركته الصهباء بعين ... نام إنسانها ولست تنام
جن من شربة تعل بأخرى ... وبكى حين سار فيه المدام
كان لي صاحباً فأودى به الده ... ر وفارقته عليه السلام

بقي الناس بعد هلك نداما ي وقوعاً لم يشعروا ماالكلام

كجزور الأيسار لاكبد في ها لباغٍ ولاعليها سنام

يابن موسى فقد الحبيب العي ن قذاة وفي الفؤاد سقام

كيف يصفو لي النعيم وحيداً والأخلاء في المقابر هام

نفستهم علي أم المنايا فانامتهم بعنفٍ فناموا

لايغيض انسجام عيني عنهم إنما غاية الحزين السجام

وفد على عمر بن هبيرة فمدحه

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي: أن بشاراً وفد إلى عمر بن هبيرة وقد مدحه بقوله:

يخاف المنايا أن ترحلت صاحبي كأن المنايا في القمام تناسبه

فقلت له إن العراق مقامه وخيم إذا هبت عليك جنائبه

لألقى بني عيلان إن فعالهم تريد على كل الفعال مراتبه

أولاك الألى شقوا العمى بسوفهم عن العين حتى أبصر الحق طالبه

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصا وبالشوك والخطي حمراً ثعالبه

غدونا له والشمس في خدر أمها تطالعنا والطل لم يجر ذائبه

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه وتدرك من نجى الفرار مثالبه

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

بعثنا لهم موت الفجاءة إننا بنو الموت خفاق علينا سبائبه

فراحوا فريق في الإسار ومثله قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه

إذا الملك الجبار صعر خده مشينا أليه بالسيوف نعاتبه

فوصله بعشرة لآلاف درهم، فكانت أول عطية سنية أعطيها بشار ورفعت من ذكره، وهذه القصيدة هلي التي يقول فيها:

صوت

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لاتعاتبه
فعش واحداً أوصل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

الغناء في هذه الأبيات لأبي العبيس بن حمدون خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها.

شعره في العشق

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال ذكر أبو أيوب المديني عن الأصمعي قال: كان لبشار مجلس يجلس فيه يقال له البردان، وكان النساء يحضرنه فيه، فبينما هو ذات يوم في مجلسه إذ سمع كلام امرأة في المجلس فعشقها، فدعا غلامه فقال: إذا تكلمت المرأة عرفتك فاعرفها، فإذا انصرفت من المجلس فاتبعها وكلمها وأعلمها أني لها محب؛ وقال فيها:

ياقوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا: بمن لاترى تهذي. فقلت لهم الأذن كالعين توفي القلب ما كانا
هل من دواء لمشغوف بجارية يلقى بلقيانها روحا وريحانا

وقال في مثل ذلك

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها قلبي فأضحى به من حبها أثر
أنى ولم ترها تهذي. فقلت لهم إن الفؤاد يرى مالايرى البصر
أصبحت كالحاتم الحيران مجتنبا لم يقض ورداً ولايرجى له صدر

قال يحيى بن علي وأنشدني أصحاب أحمد بن إبراهيم عنه لبشار في هذا المعنى وكان يستحسنهك

يزهدني في حب عبدة معشر قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وماختار وارتضى فبالقلب لابالعين يبصر ذو الحب
فما تبصر العينان في موضع الهوى ولاتسمع الأذنان إلا من القلب
ومالحسن إلا كل حسن دعا الصبا وألف بين العشق والعاشق الصب
ياقلب مالي أراك لاتقر إياك أعني وعندك الخبر
أذعت بعد الألى مضوا حرقاً أم ضاع ماستودعوك إذ بكروا

قال أبو أحمد وقال في مثل ذلك

إن سليمى والله يكلؤها كالسكر تزداده على السكر
بلغت عنها شكلاً فأعجبني والسمع يكفيك غيبة البصر

أنشد المهدي شعراً فلم يعطه شيئاً

فقال شعراً مداره الحكمة:

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال: زعم أبو العالية أن بشاراً قدم على المهدي، فلما استأذن عليه قال له الربيع: قد أذن لك وأمرك ألا تنشد شيئاً من الغزل والتشبيب فأدخل على ذلك، فأنشده قوله:

يامنظراً حسناً رأيته من وجه جارية فديته
بعثت إلي تسومني برد الشباب وقد طويته
والله رب محمد ماإن غدرت ولانويته
أمسكت عنك وربما عرض البلاء ومابتغيته
إن الخليفة قد أبى وإذا أبى شيئاً أبيته
ومخضب رخص البنا ن بكى علي وما بكيته
وشوقني بيت البي ب إذا ادكرت وأين بيته
قام الخليفة دونه فصبرت عنه وماقليته
ونهاني الملك الهما م عن النسيب وماعصيته
لابل وفيت فلم أضع عهداً ولارأياً رأيته
وانا المطل على العدا وإذا غلا علق شريته
أصفي الخليل إذا دنا وإذا نأى عني نأيته

ثم أنشده مامدحه به بلا تشبيب، فحرمه ولم يعطه شيئاً؛ فقيل له: إنه لم يستحسن شعرك؛ فقال: والله لقد مدحته بشعر لو مدح له الدهر لم يخش صرفه على أحد، ولكنه كذب أملي لأني كذبت في قولي. ثم قال في ذلك:

خليلي إن العسر سوف يفيق وإن يساراً في غد لخليق
وماكنت إلا كالزمان إذا صحا صحوت وإن ماق الزمان أموق
أادماء لاأستطيع في قلة الثرى خزوزاً ووشيا والقليل محيق

خذي من يدي ماقل إن زماننا شموس ومعروف الرجال رقيق

لقد كنت لاأرضى بأدنى معيشة ولايشتكي بخلاً علي رفيق

وكنت إذا ضاقت علي محلة تيممت أخرى ماعلي تضيق

وماخاب بين الله والناس عامل له في التقى أو في المحامد سوق

ولاضاق فضل الله عن متعفف ولكن أخلاق الرجال تضيق

أنشد المهدي شعراً في النسيب فتهدده

إن عاد إلى مثله:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثني عمر بن شبة قال: بلغ المهدي قول بشار:

قاس الهموم تنل بها نجحا والليل إن وراءه صبحا

لايؤيسنك من مخبأة قول تغلظه وإن جرحا

عسر النساء إلى مياسرة والصعب يمكن بعدما جمحا

فلما قدم عليه استنشده هذا الشعر فأنشده إياه، وكان المهدي غيوراً، فغضب وقال: تلك أمل ياعاض كذا من أمة. أتحض الناس على الفجور وتقذف المحصنات المخبات. والله لئن قلت بعد هذا بيتاً واحداً في نسيب لآتين على روحك؛ فقال بشار في ذلك:

والله لولا رضا الخليفة ما أعطيت ضيماً علي في شجن

وربما خير لابن آدم في ال ره وشق الهوى على البدن

فاشرب على ابنة الزمان فما تلقى زماناً صفا من الابن

اله يعطيك من فواضله والمرء يغضي عيناً على الكم

قد عشت بين الريحان والراح وال مزهر في ظل مجلس حسن

وقد ملأت البلاد مابين فغ فور إلى القيروان فاليمن

قال عمر بن شبة: فغفور: ملك الصين.

شعراً تصلي له العواتق وال ثيب صلاة الغواة لوثن

ثم نهاني المهدي فانصرفت=نفسي صنيع الموفق اللقن

فالحمد لله لاشريك له ليس بباق شيءعلى الزمن

ثم أنشده قصيدته التي أولها:

تجاللت عن فهر وعن جارتي فهر

ووصف عن الأحباب صرام خلة ... ووصال أخرى مايقيم على أمر

وركاص أفراس الصبابة والهوى ... جرت حججاً ثم استقرت فما تجري

فأصبحن ما يركبن إلا إلى الوغى ... وأصبحت لا يورى علي ولا أوري

فهذا وإني قد شرعت مع التقى ... ومانت همومي الطارقات فما تسري

ثم قال يصف السفينة:

وعذراء لا تجري بلحم ودم ... قليلة شكوى الأين ملجمة الدبر

إذا ظعنت فيها الفلول تشخصت ... بفرسانها لا في وعوث ولا وعر

في هذين البيتين ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى لخزرج، وقيال: إنه لهاشم بن سليمان.

مدح يزيد بن حاتم فوهبه كل مايملك

أخبرني عمي قال حدثنا أبو هفان قال أخبرني أبو محلم عن المفضب الضبي قال: وفد ابن المولى علي بن يزيد بن حاتم وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها:

ياواحد العرب الذي ... أضحى وليس له نظير

لو كان مثلك آخر ... ماكان في الدنيا فقير

قال: فدعا بخازنه وقال: كم من بيت مالي؟ فقال له: من الورق والعين بقية عشرون ألف دينار، فقال: ادفعها إليه، ثم قال: يا أخي، المعذرة إلى الله و إليك، والله لو أن في ملكي أكثر لما احتجبتها عنك.

كان مداحاً لجعفر بن سليمان

وقثم بن عباس ويزيد بن حاتم:

أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن خلف بن المزربان قالا حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثنا مصعب الزبيري عن عبد الملك بن الماجشون قال: كان ابن المولى مداحاً لجفر بن سليمان وقثم بن العباس الهاشميين ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، واستفرغ مدحه في يزيد وقال قصيدته التي يقول فيها:

ياواحد العرب الذي دانت له ... قحطان قاطبة" وساد نزارا

إني لأرجو إن لقيتك سالما ... ألا أعالج بعدك الأسفارا

رشت الندى ولقد تكسر ريشه فعلا الندى فوق البلاد وطارا

مرض عند يزيد بن حاتم

وأضعف يريد صلته:

ثم صده بها إلى مصر وأنشده إياها؛ فأعطاه حتى رضي. ومرض ابن المولى عنده مرضاً طويلاً وثقل حتى أشفى، فملا أفاق من علته ونهض، ودخل عليه يزيد بن حاتم متعرفاً خبره، فقال: لوددت والله يا أبا عبد الله إلا تعالج بعدي الأسفار حقاً، ثم أضعف صلته.

كان يمدح يزيد دون أن يراه ثم رآه بالمدينة وأنشده فأعطاه ماأغناه: أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني الزبير بن بكار عن عبد الملك بن عبد العزيز قال أخبرني ابن المولى قال: كنت أمدح يزيد بن حاتم من غير أن أعرفه ولاألقاه، فما ولاه المنصور مصر أخذ على طريق المدينة فلقيته فأنشدته، وقد خرج من مسجد رسول الله صللى الله عليه وسلم إلى أن صار إلى مسجد الشجرة، فأعطاني رزمتي ثياب وعشرة آلاف دينار فاشتريت بها ضياعاً تغل ألف دينار، أقوم في أدناها وأصيح بقيمي ولا يسمعني وهو في أقصاها.

عنفه الحسن بن يزيد على ذكر ليلى

فقال: إنها قوسه فضحك:

أخبرني عمي قال حدثنا الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو قال: بلغني أن الحسن ابن زيد دعا بابن المولى فأغلظ له وقال: أتشبب بحرم المسلمين وتنشد ذلم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الأسواق والمحافل ظاهراً. فحلف له بالطلاق أنه ماتعرض لحرم قط ولاشبب بامراة مسلم ولامعاهد قط، قال: فمن ليلى هذه التي تذكر في شعرك؟ فقال له: امرأتي طالق إن كانت إلا قوسي هذه، سميتها ليلى لأذكرها في شعري، فإن الشعر لايحسن إلا بالتشبيب، فضحك الحسن ثم قال: إذا كانت القصة هذه فقل ماشئت.

كان بالعراق وتشوق إلى المدينة

فقال شعراً في ذلك:

فقال الحزنبل: وحدثت عن ابن عائشة محمد بن يحيى قال: قدم ابن مولى إلى العراق في بعض سنيه فأخفق وطال مقامه وغرض به وتشوق إلى المدينة فقال في ذلك:

صوت

ذهب الرجال فلا أحسن رجالاً وأرى اللإقامة بالعارق ضلالا

وطربت إذ ذكر المدينة ذاكر يوم الخميس فهاج لي بلبالا

فظللت انظر في السماء كأنني أبغي بناحية السماء هلالا

طرباً إلى أهل الحجاز وتارة أبكي بدمع مسبل إسبالا

غنى في هذه الأربعة الأبيات ابن عائشة. ولحنه ثاني ثقيل الهشامي. وذكره حماد عن أبيه في اخباره و لم يذكر طريقته.

فيقال قد أضحى يحدث نفسه والعين تذرف في الرداء سجالا

إن الغريب إذا تذكر أزشكت منه المادع أن تفيض علالا

ولقد أقول لصاحبي وكأنه مما يعالج ضمن الأغلالا

خفض عليك فما يرد بك تلقه لاتكثرن وإن جزعت مقالا

قد كنت إذ تدع المدينة كالذي ترك البحار ويمم الأوشالا

فأجابني خاطر بنفسك لا تكن أبداً تعد مع العيال عيالا

واعلم بأنك لن تنال جسمية حتى تجشم نفسك الأهوالا

إني وجدك يوم أترك زاخرا بحراً ينفل سيبه الأنفالا

لأضل من جلب القوافي صعبة حتى أذل متونها إذلالا

مدح المهدي وعرض بالطالبيين فأجازه

قال الحزنبل: وحدثني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال حدثني مولى للحسن بن زيد قال:

وماقارع الأعداء مثل محمد إذا الحرب أبدت عن حجول الكواعب

فتى ماجد الأعارق من آل هاشم تبجبح منها الذرى والذوائب

أشم من الرهط الذين كأنهم لدى حندس الظلماء زهر الكواكب

إذا ذكرت يوماً مناقب هاشم فإنكم منها بخير المناصب

ومن عيب في أخلاقه ونصابه فما في بني العباس عيب لعائب

وإن أمير المؤمنين ورهطه لأهل المعالي من لؤي بن غالب

أولئك أوتاد البلاد ووارثو الن بي بأمر الحق غي التكاذب

ثم ذكر فيها آل أبي طالب فقال:

وما نقموا إلا المودة منهم ... وأن غادروا فيهم جزيل المواهب
وأنهم نالوا لهم بدمائهم ... شفاء نفوس من قيتل وهارب
وقاموا لهم دون العدا وكفوهم ... بسمر القنا والمهفات القواضب
وحاموا على أحسابهم وكرائم ... حسان الوجوه واضحات الترائب
وإن أمير المؤمنين لعائد ... بإنعامه فيهم على كل تائب
إذا مادنوا أدناهم وإذا هفوا ... تجاوز عنهم ناظراً في العواقب
شفيق على الأقصين أن يركبو الردى ... فكيف به في واشجات الأقارب

مدح الحسين بن زيد فعاتبه

بالتعرض بأهله في مدائحه للمهدي ثم أكرمه:

قال: فوصله المهدي بصلة سنية، وقدم المدينة فأنفق وبنى داره ولبس فاخرة"، ولم يزل كذلك مدى حياته بعدما حباه. ثم قدم على الحسن بن زيد وكانت له عليه وظيفة في كل سنة فدخل عليه فانشده قوله يمدحه:

هاج شوقي تفرق الجيران ... واعترتني طوارق الأحزان
وتذكرت مامضى من زماني ... حين صار الزمان شر زمان

يقول فيها يمدح الحسن بن يزيد:

ولو أن أمراً ينال خلوداً ... بمحل ومنصب ومكان
أو ببيت ذراه تلصق بالنج ... م قراناً في غير برج قران
أو بمجد الحياة أو بسماح ... أو بحلم أوفى على ثهلان
أو بفضل لناله حسن الخي ... ر بفضل رسول ذي البرهان
فضله واضح يرهط أبي القا ... سم رهط اليقين والإيمان
هم ذوو النور و الهدى ومدى الأم ... ر وأهل البرهان والعرفان
معدن الحق والنبوة والعد ... ل إذا ماتنازع الخصمان
وابن زيد إذا الرجال تجاروا ... يوم حفل وغاية ورهان
سابق مغلق جيز رهانٍ ... ورث السبق من أبيه الهجان

قال: فلما أنشده إياها دعا به خالياً ثم قال له: ياعاض كذا من أمه، أما إذا جئت إلى الحجاز فتقول لي هذا، وأما إذا مضيت إلى العراق فتقول:

وإن أمير اللمؤمنين ورهطه | لرهط المعالي من لؤي بن غالب
أولئك أوتاد البلاد ووارثوا ال | نبي بأمر الحق غير التكاذب

فقال له: أتنصفني يابن الرسول أم لا؟ فقال: نعم، فقال: ألم أقل: " وإن أمير المؤمنين ورهطه" ألستم رهطه؟ فقال: دع هذا، ألم تقدر أن ينفق شعرك ومديحك إلا بتهجين أهلي والطعن عليهم والإغراء بهم حيث تقول:

ومانقموا إلا المودة منهم | وأن غادروا فيهم جزيل المواهب
وأنهم نالوا لهم بدمائهم | شفاء نفوس من قيتل وهارب

فوجم ابن المولى وأطرق ثم قال: يابن الرسول إن الشاعر يقول ويتقرب بجهده، ثم قام بخرج من عنده منكسراً، فأمر الحسن وكيله إليه وظيفته ويزيده فيها ففعل، فقال ابن المولى: والله لاأقبلها وهو علي ساخط، فأما إن قرنها بالرضا فقبلتها، وأما إن أقام وهو علي ساخط، فأما إن قرنها بالرضا فقبلتها، وأما إن أقام وهو علي ساخط البتة فلا؛ فعاد الرسول إلى الحسن فأخبره؛ فقال له: قل له: قد رضيت فاقلها. ودخل على الحسن فأنشده قول فيه:

سألت فأعطاني وأعطى ولم أسل | وجاد كما جادت غوادٍ رواعد
فأقسم لاأنفك أنشد مدحه | إذا جمعتني في الحجيج المشاهد
إذا قلت يوماً في ثنائي قصيدة" | بأخرى حيث تجزي القصائد

مدح يزيد بن حاتم بولايته الأهواز

وغلبته على الأزارقة فأجازه:

قال الحزنبل: وحدثني مالك بن وهب مولىيزيد بن حاتم المهلبي قال: لما انصرف يزيد بن حاتم من حرب الأزارقة وقد ظفر، خلع عليه وعقد له لواء عى كور الأهواز وسائر ما افتتحه، فدخل عليه ابن مولى وقد مدحه فاستأذن في الإنشاد فأذن له فأنشده:

صوت

ألا يالقومي هل لما فات مطلب | وهل يعذرن ذو صبوة وهو أشيب
يحن إلى ليلى وقد شطت النوى | بليلى كما حن اليراع المثقب

غنى في هذين البيتين عطرد، ولحنه رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة؛ وفيه ليونس لحن ذكره لنفسه في كتابه و لم يذكر طريقته.

تقربت ليلى كي تثيب فزادني بعاداً على بعد إليها التقرب

فداويت وجدي باجتناب فلم يكن دواء لما ألقاه منها التجنب

فلا أنا عند النأي سال لحبها ولاأنا منها مشتف حين تصقب

وماكنت بالراضي فما غيره الرضا ولكنني أنوي العزاء فأغلب

وليل خداري الرواق جشمته إذا هابه السارون لاأتهيب

لأظفر يوماً من يزيد بن حاتم بحبل جوارٍ ذاك ما كنت أطلب

بلوت وقلبت الرجال كما بلا بكفيه أوساط القداح كقلب

وصعدني همي وصوب مرة وذو الهم يوماً مصعد ومصوب

لأعرف ماآتى فلم أر مثله من الناس فيما حاز شرق ومغرب

أكر على جيش وأعظم هيبة" وأوهب في جود لما ليس يوهب

تصدى رجال في المعالي ليلحقوا مداك وماأدركته فتذبذبوا

ورمت الذي رموا فأذللت صعبه وراموا الذي أذللت منه فأصعبوا

ومهما تناول من منال سنية يساعدك فيها المنتمى والمركب

ومنصب آباء كرام نكاهم إلى المجد آباء كرام ومنصب

صوت

كوكب دجن كلما انقض كوكب بدا منهم بدر منير وكوكب

أنار به آل المهلب بعدما هوى منكب منهم بليل ومنكب

ومازال إلحاح الزمان عليهم بنائبة كادت لها الأرض تخرب

فلو أبقت الأيام حيا نفاسة لأبقاهم للجود ناب ومخلب

وكنت ليومي نعمة ونكايةٍ كما فيهما للناس كان المهلب

ألا حبذا الأحياء منكم وحبذا قبور بها موتاكم حين غيبوا

فأمر له يزي بن حاتم بعشرة آلاف درهم وفرس بسرجه ولجامه وخلعة وأقسم على من كان بحضرته أن يجيزوه كل واحد منهم لما يمكنه، فانصرف بملء يده.

كان عمرو بن أبي عمرو ينشد من شعره ويستحسنه:

قال الحزنبل: أنشدني عمرو بن أبي عمرو لابن المولى وكان يستحسنها:

صوت

حي المنازل قد بلينا أقوين عن مر السنينيا
وسل الديار لعلها تخبرك عن أم البنينا
بانت وكل قرينة يوماً مفارقة قرينا
وأخو الحياة من الحيا ة معالج غلظاً ولينا

غنى في هذه الأبيات نبية خفيف ثقيل بالبنصر.

وترى الموكل بالغوا ني راكباً أبداً فنونا
ومن البلية أن تدا ن بما كرهت ولن تدينا
والمرء تحرم نفسه مالايزال به حزينا
وتراه يجمع ماله جمع الحريص لوارثينا
يسعى بأفضل سعيه فيصير ذاك لقاعدينا
لم يعط ذا النسب القري ب ولم يجد للأبعدينا
قد حل منزله الذمي م وفارق المتنصحينا

مدح المهدي بولايته الخلافة فأكرمه وفرض له لعياله مايكفيه:

قال الحزنبل: وذكر أحمد بن صالح بن النطاح عن المدائني: ان المهدي لما ولي الخلافة وحج فرق في قريش والأنصار وسائر الناس أموالاً عظيمة ووصلهم صلات سنية، فحسنت أحوالهم بعد جهد أصاب الناس في أيام أبيه، لتسرعهم مع محمد بن عبد الله بن حسن، وكانت سنة ولايته سنة خصب ورخص، فأحبه الناس وتبركوا

به، وقالوا: هذ هو المهدي، وهذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه مسلم وسميه، فلقوه فدعوا له وأثنوا عليه، ومدحته الشعراء، فمد عينه في الناس فرأى ابن المولى فأمر بتقريبه فقرب منه؛ فقالله: هات يامولى الأنصار ماعندك، فأنشده " قوله فيه":

ياليل لاتنجلي ياليل بالزاد | واشفي بذلك داء الحاتم الصادي
وأنجزي عدة" كانت لنا أملاً | قد جاء ميعادها من بعد ميعاد

ماضره غير أن أبدي مودته | إن المحب هواه ظاهر بادي

ثم قال فيها يصف ناقته:

تطوي البلاد إلى جم منافعه | فعل خير لفعل الخير عواد
للمهتدين إليه من منافعه | خير يروح وخير باكر غادي
أغنى قريشاً وأنصار النبي ومن | بالمسجدين بإسعاد وإحفاد
كانت منافعه في الأرض شائعة | تترى وسيرته كالماء للصادي
خليفة الله عبد الله والده | وأمه حرة تنمى لأمجاد
من خير ذي يمن في خير رابية | من القبول إليها معقل النادي

حتى أتى على آخرها؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وكسوة، وأمر صاحب الجاري بأن يجري له ولعياله في كل سنة مايكفيهم، وألحقهم في شرف العطاء قال: وذكر ابن النطاح عن عبد الله بن مصعب الزبيري قال: وفدنا إلى المهدي ونحن جماعة من قريش والأنصار، فلما دخلنا عليه سلمنا ودعونا وأثنينا، فلما فرغنا من كلامنا أقبل على ابن المولى فاقل: هات يامحمد ماقلت، فأنشده: صوت

نادي الأحبة باحتمال | إن المقيم إلى زوال
رد القيان عليهم | ذلل المطي من الجمال
فتحملوا بعقيلة | زهراء آنسة الدلال
كالشمس راق جمالها | بين النساء على الجمال
لما رأيت جمالهم | في الآل تغرق باللآلي
ياليت ذلك بعد أن | أظهرت أنك لاتبالي
ولمثل ماجربت من | إخلافهن لذي الوصل

أسلاك عن طلب الصبا وأخو الصبا لابد سالي
يابن الأطايب للأطا يب ذا المكارم والمعالي
وابن الهداة بنى الهدا ة وكاشفي ظلم الضلال
أصبت أكرم غالب عند التفاخر والنضل
وإذا تحصل هاشم يعلو بمجدك كل عالي
ويكون بيتك منهم في الشاهقات من القرل
هذا وأنت ثمالها وابن الثمال أخو الثمال
ومآلها بأمورها إن الأمور إلى مآل

قال: فأمر له خاصة بعشرة آلاف درهم معجلة، ثم ساواه بسائر القفد بعد ذلك في الجائزة وأعطاه مثل ما أعطاهم، قال: ذلك بحق المديح، وهذا بحق الوفادة

سأل عنه عبد الملك لما قدم المدينة

ثم تبعه ابن المولى وأنشده فأجازه:

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي أبو أحمد وعمي قالا حدثنا الحسن بن عليل العتري قال حدثني إبراهيم بن إسحاق بن عبد الرحمن بن طلحة بن عمربن عبيد الله قال حدثني عبد الله إبراهيم الجمحي قال: قدم عبد الملك بن مروان المدينة، وابن المولى يكثر مدحه، وكان يسأل عنه من غير أن يكونا التقيا- قال: وابن المولى مولى الأنصار- فلما قدم عبد الملك المدينة قدم ابن المولى، لما بلغه من مسألة عبد الملك عنه، فوردها وفد رحل عبد الملك عنها، فظاتبعه فأدركه بإضم بذي خشب بين عين مروان وعين الحديد، وهما جميعاً لمروان، فالتفت عبد الملك إليه وابن المولى على نجيب متنكباً قوساً عربية"، فقال له عبد الملك: ابن المولى؟ قال: لبيك ياأمير المؤمنين؛ قال: مرحباً بمن نالنا شكره ولم ينله منا فعل، ثم قال له: أخبرني عن ليلى التي تقول فيها:

وأبكى فلا ليلى بكت من صبابةٍ إلي ولا ليلى لذي الود تبذل

والله لئن كانت ليلى حرة لأزوجنكها، ولئن كانت أمة" لأبتاعها لك بما بلغت، فقال: كلا ياأمير المؤمنين، والله ما كنت لأذكر حر أبداً ولاأمته، والله ماليلى إلا قوسي هذه، سميتها ليلى لأشبب بها، وإن الشاعر لا يستطاب إذا لم يتشبب؛ فقال له عبد الملك: ذلك والله أظرف لك، فأقام عنده يومه وليلته ينشده ويسامره، ثم أمر له بمال وكسوة، وانصرف إلى المدينة.

وقف لجعفر بن سليمان على طريقه

وأنشده شعراً:

أخبرني حبيب المهلبي عن الزبير وغيره عن محمد بن فضالة النحوي قال: قدم ابن المولى البصرة، فأتى جعفر سليمان فوقف على طريقه وقد ركب فناداه:

كم صارخ يدعو وذي فاقةٍ ... ياجعفر الخيرات ياجعفر
أنت الذي أحييت بذل الندى ... وكان قد مات فلا يذكر
سليل عباس ولي لبهدى ... ومن به في المحل يستمكطر
هذا امتداحيك عقيد الندى ... أشهد بالمجد لك الأشقر

أخبار عطرد ونسبه

ولاؤه وصفته

وهو مغن مقبول الشهادة فقيه:

عطرد مولى الأنصار، ثم مولى بن عمرو بن عوف، وقيل: إنه مولى مزينة، مدنب، يكنى أبا هارون، وكان يترل قباء. وزعم إسحاق أنه كان جميل الوجه، حين الغناء، طيب الصوت، جيد، حسن الرأي والمروءة، ففيها قارئاً للقرآن، وكان يغني مرتجلاً، وأدرك دولة بني امية، وبقي إلى أيام الرشيد، وذكر ابن خرداذبة فيما حدثني به علي بن عبد العزيز عنه: أنه كان معدل الشهادة بالمدينة؛ أخبره بذلك يحى بن علي المنجم عن أبي أيوب المديني عن إسحاق.

جاءه عباد بن سلمة وطلب منه أن يغنيه

وأخبرنا محمد بن خلف وكيع عن حماد بن إسحاق عن أبيه: أن سلمة بن عباد ولي القضاء بالبصرة، فقصد ابنه عباد بن سلمة عطرداً وهو بها مقي قد قصد آل سليمان بن علي وأقام معهم؛ فأتى بابه ليلاً فدق عليه ومعه جماعة من أصحابه أصحاب القلانس، فخرج عطرد إليه، فلما رآه ومن معه فزع، فقال: لاترع.

إني قصدت إليك من أهلي ... في حاجة يأتي لها مثلي

فقال: وماهي أصلحك الله؟ قال:

لاطالباً شيئاً إليك سوى ... "حي الحمولا بجانب العزل"

فقال: انزلوا على بركة الله فلم يزل يغنيهم هذا وغيره حتى أصبحوا.

نسبة هذا الصوت صوت

حي الحمولا بجانب العزل إذ لايوافق شكلها شكلي

الله أنجح ماطلبت به والبر خير حقيبة الرحل

إني بحبلك واصل حبلي وبريشي نبلك رائش نبلي

وشمائلي ماقد علمت وما نبحت كلابك طالقاً مثلي

الشعر لأمرو القيس بن عابس الكندي، هكذا روى أبو عمر الشيباني، وقال: إنا من يرويه لأمرىء القيس بن حجر يغلط. والغناء لعطرد ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة وفيه لعمرو بن بانة ثقيل بالوسطى من روايته أيضاً، وفيه لابن عائشةخفيف رمل بالبنصر، وفيه عنه وعن دنانير لمالك خفيف ثقيل أول بالوسطى، وفيه عنه لإبراهيم ثاني ثقيل بالبنصر.

غناء إبراهيم بن خالد المعيطي عند المهدي: وأخبرني يحيى بن علي قال: حدثنا أبو أيوب المديني وأخبرني به الحسن بن علي قال: كتب إلي أبو أيوب المديني، وخبره أتم، قال: حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه عن إبراهيم بن خالد المعيطي قال: دخلت علىالمهدي، وقد كان وصف له غنائي، فسألني عن الغناء وعن علمي به، فجاذبته من ذلك طرفاً؛ فقال لي: أتغني النواقيس؟ قلت: نعم، وأغني الصلبان ياأميرالمؤمنين، فتيسم. والنواقيس لحن معبد، كان معبد وأهل الحجاز يسمونه النواقيس، وهو:

سلا دار ليلى هل تبين فتنطق وإني ترد القول بيداء سملق

قال: ثم قال للمهدي وهو يضحك: غنه، فغنيته فأمر لي بمال جزيل وخلع علي وصرفني، ثم بلغني أنه قال: هذا معيطي وأنا لاأنس به، ولا حاجة لي إلا أن أدنيه من خلوتي وأنا لاآنس به. هكذا ذكر في هذا الخبر أن اللحن بمعبد، وماذكره أحد من رواة الغناء له، ولا وجد في ديوان من دواوينهم منسوباً إليه على انفراد به ولا شركه فيه، ولعله غلط.

تنادر إبراهيم ابن خالد المعيطي علي بن جامع: وقد أخبرني هذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال: كان إبراهيم المعيطي يغني، فدخل يوماً الحمام وابن جامع فيه: وكان له شيء يجاوز ركبتيه، فقال له ابن جامع: ياإبراهيم أتبيع هذا البغل؟ قال لا بل أحملك عليه يا أبا القاسم؛ فلما خرج أبي جامع من الحمام رأى ثياب المعيطي رثة فأمر لها بخلعه من ثيابه، فقال له المعيطي: لو قبلت حملاني قبلت خلعتك، فضحك ابن جامع وقال له: مالك أخزاك الله! ويلك! أما تدع ولعك وبطالتك وشرك! ودخل إلى الرشيدي فحدثه حديثه؛ فضحك وأمر بإحضاره؛ فأحضره، فقال له: أتغني النواقيس قال: نعم، وأغني الصلبان أيضاً. ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدمه، كان عطرد منقطعا إلى آل سليمان بن علي

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبو أيوب المديني عن إسحاق قال: كان عطرد منقطعاً في دولة بني هاشم إلى آل

سليمان بن علي لم يخدم غيرهم وتوفي في خلافة المهدي.

قال: وكان يوماً يغني بين يدي سليمان بن علي فغناه: صوت

ألـه فكم من ماجد قد لهى   ومن كريم عرضه وافر

الغناء لعطرد ثاني ثقيل عن الهشامي - فقيل له: صرخت هذا من لحن الغريض:

ياربع سلامة بالمنحني   فخيف سلع جادك الوابل

فقال: لم أسرقه ولكن العقول تتوافق، وحلف أنه لم يسمعه قط.

نسبة هذا الصوت صوت

ياربع سلامة بالمنحني   فخيف سلع جادك الوابل

غن تمسي وحشاً طالما قد ترى   وأنت معمور بهم أهل

أيام سلامة رعبوبة   خوض لعوب حبها قاتل

محطوطة المتن هضيم الحشا   لايطبيها الورع الواغل

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن يحي المكي. قال: ومن الناس من ينسبه إلى ابن سريج.

حبسه ذبراء والي المدينة مع المغنين

ثم أطلقه وأطلقهم:

أخبرني أحمد بن علي بن يحي قال سمعت جدي علي بن يحي قال حدثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال حدثني خالد بن كلثوم قال: كنت مع زبراء بالمدينة وهو وال عليها؛ وهو من بني هاشم أحمد بني ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فأمر بأصحاب الملاهي فحبسوا وحبس عطرد فيهم، فجلس ليعرضهم، وحضر رجال من أهل المدينة شفعوا لعطرد وأخبروه أهم من أهل الهيئة والمروءة والنعمة والدين، فدعا به فخلا سبيله، وأمره برفع حوائجه إليه، فدعا له، وخرج فإذا هو بالمغنين أحضروا ليعرضوا، فعاد إليه عطرد، فقال: أصلح الله الأمير، أعلى الغناء حبست هؤلاء؟ قال: نعم؛ قال: فلا تظلمهم، فوالله ماأحسنوا منه شيئاً قط! فضحك وخلا سبيلهم.

استقدمه الوليد بن يزيد من المدينة

فغناه فطرب وألقى نفسه في بركة الخمر:

أخبرني محمد بن مزيد وجحظة قالا حدثنا حماد بن إسحاق قال قرأت على أبي عن محمد بن عبد الحميد بن إسماعيل بن عبد الحميد بن يحي عن عمه أيوب بن إسماعيل قال: لما استخلف الوليد بن يزيد كتب إلى عامله

بالمدينة يأمره بالشخوص إليع بعطرد المغني؛ قال عطرد: فأقرأني العامل الكتاب وزودني نفقة وأشخصني إليه، فأدخلت عليه وهو جالس في قصره على شفير بركة مرصصة مملوءة خمراً ليست بالكبيرة ولمكنها يدور الرجل فيها سباحة"، فو الله ماتركني أسلم عليه حتى قال: أعطرد؟ قلت: نعم ياأمي رالمؤمنين؛ قال: لقد كنت إليك مشتاقاً يا أبا هارون. غنني:

حي الحمول بجانب العزل   إذ لايلائم شكلها شكلي

إني بحبلك واصل حبلي   وبريش نبلك رائش نبلي

وشمائلي ماقد علمت وما   نبحت كلابك طارقاً مثلي

قال: فغنيته إياه، فوالله ماأتممته حتى شق حلة وشى كانت عليه لاأدري كم قيمته، فتجرد منها كما ولدته أمه وألقاها نصفين، ورمى بنفسه في البركة فنهل منها حتى تبينت علم الله- فيها أنها قد نقصت نقصاناً بيناً، وأخرج منها وهو كالميت سكراً، فاضجع وغطي، فأخذت الحلة وقمت، فوالله ماقال لي أحد: دعها ولاخذها، فانصرفت إلى منزلي متعجباً مما رأيت من ظرفه وفعله وطربه؛ فلما كان من غد جاءني رسوله في مثل الوقت فأحضرني، فلما دخلت عليه قال لي: ياعطرد، قلت: لبيك ياأمير المؤمنين؛ قال غنني:

أيذهب عمري هكذا لم أنل بها   مجالس تشفي قرح قلبي من الوجد

وقالوا تداو إن في الطب راحة   فعللت نفسي بالدواء فلم يجد

فغنيته إياه، فشق حلة وشى كانت تلتمع عليه بالذهب التماعاً احتقرت والله الأولى عندها، ثم ألقى نفسه في البركة فنهل فيها حتى تبينت -علم الله- نقصانها، وأخرج" منهاً كالميت سكراً، وألقي وغطى فنام، وأخذت الحلة فوالله ماقال لي أحد: دعها ولاخذها، وانصرفت؛ فلما كان اليوم الثالث جاءني رسوله فدخلت إليه وهو في بهو قد ألقيت ستوره، فكلمني من وراء الستور وقال: يا عطرد، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين؛ قال: كأني بك الآن قد أتيت المدينة فقمت بي في مجلسها ومحفلها وقعدت وقلت: دعاني أمير المؤمنين فدخلت إليه فاقترح علي فغنيته وأطربته فشق ثيابه وأخذت سلبه وفعل وفعل، واللخ يابن الزانية، لئن تحركت شفتاك بشيء مما جرى فبلغني لأضربن عنقك، ياغلام أعطه ألف دينار، خذها وانصرف إلى المدينة؛ فقلت: إن رأى أمير المؤمنين إن يأذن لي في تقبيل يده، ويزودني نظرة كمه وأغنيه صوتاً فقال: لا حاجة بي ولا بك إلى ذلك، فانصرف. قال عطرد: فخرجت من عنده وما علم الله أني ذكرت شيئاً مما جرى حتى مضت من دولة بني هاشم مدة.

نسبة هذين الصوتين الصوت الأول مما غناه عطرد الوليد قد نسب في أول أخباره، والثاني الذي أوله:

أيذهب عمري هكذا لم أنل بها

الغناء فيه لعطرد ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه ليونس من كتابه لحن لم يذكر طريقته؛ وذكر عمرو بن بانة أن فيه لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى.

صوت عن المائة المختارة

إن أمرأ تعتاده ذكر ... منها ثلاث مني لذو صبر

ومواقف بالمشعرين لها ... ومناظر الجمرات والنحر

وإفاضة الركبان خلفهم ... مثل الغمام أرذ بالقطر

حتى استلمن الركن في أنف ... من ليلهن يطأن في الأرز

يقعدن في التطواف آونة ... ويطفن أحياناً على فتر

ففرغن من سبع وقد جهددت ... أحشاؤهن موائل الخمر

الشعر للحارث بن خالد المخزومي، والغناء في اللحن المختار للأبجر، وإيقاعه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر في الأول والثاين والسادس من الأبيات عن إسحاق. وفيه للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. ولابن سريج في الثالث والرابع رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق

أخبار الحارث بن خالد المخزومي ونسبه

نسبه من قبل أبويه

الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. وأمه فاطمة بنت أبي سعيد بن الحارث بن هشام، وأمها بنت أبي جهل بن هشام. وكان العاص بن هشام جد الحارث بن خالد خرج مع المشركين يوم بدر فقتله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قامر أبو لهب العاص على نفسه فاسترقه

وأرسله بدله يوم بدر:

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثني مصعب بن عبد الله قال: قامر أبو لهب العاص بن هشام في عشر من الإبل فقمره أبو لهب، ثم في عشر فقمره، ثم في عشر فقمره، ثم في عشر فقمره، إلى أن خلعه من ماله فلم يبق له شيء، فقال له: إني أرى القداح قد حالفتك يابن المطلب فهلم أقامرك، فإينا قمر كان عبداً لصاحبه، قال: افعل، ففعل، فقمره أبو لهب فكره أن يسترقه فتغضب بنو مخزوم، فمشى إليهم وقال: افتدوه مني بعشر من الإبل؛ فقالوا: لا والله ولابوبرة، فاسترقه فكان يرعى له إبلاً إلى أن خرج

المشركون إلى بدر. وقال غير مصعب: فاسترقه وأجلسه قيناً يعمل الحديد. فلما خرج المشركون إلى بدر كان من لم يخرج أخرج بديلاً، وكان أبو لهب عليلاً فأخرجه وقعد، على أنه إن عاد إليه أعتقه، فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ

ذهابه مذهب ابن أبي ربيعة في الغزل

وحبه عائشة بنت طلحة وولايته مكة:

والحارث بن خالد أحد شعراء قريش المعدودين الغزليين، وكان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة لايتجاوز الغزل إلى الميح ولا الهجاء، وكان يهوى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله وشبب بها؛ وولاه عبد الملك بن مروان مكة، وكان ذا قدر وخطر ومنظر في قريش؛

وأخوه عكرمة بن خالد المخزومي محدث جليل

من وجوه التابعين، قد روى عن جماعة من الصحابة؛ وله أيضاً أخ يقال له عبد الرحمن بن خالد المخزومي محدث جليل من وجوه التابعين، قد روى عن جماعة من الصحابة؛ وله أيضاً أخ يقال له عبد الرحمن بن خالد، شاعر، وهو الذي يقول:

رحل الشباب وليته لم يرحل ... وغدا لطية ذاهب متحمل

ولى بلا ذم وغادر بعده ... شيباً أقام مكانه في المنزل

ليت الشباب ثوى لدينا حقبة ... قبل المشيب وليته لم يعجل

فنصيب من لذاته ونعيمه ... كالعهد إذ هو في الزمان الأول

وفيه غناء.

كان أبو عمرو يسأله عن بعض الحروف

حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال: قال معاذ بن العلاء أخو أبي عمرو بن العلاء: كان أبو عمرو إذا لم يحج استبضعني الحروف أسأل عنها الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة الشاعر وآتيه بجوابها؛ قال: فقدمت عليه سنة من السنين وقد ولاه عبد الملك بن مروان مكة، فلما رآني قال: يامعاذ، هات مامعك من بضائع أبي عمرو، فجعلت أعجب من اهتمامه بذلك وهو أمير

هو أحد شعراء قريش الخمسة المشهورين

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار، وأخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن سعيد عن الزبير، ولفظه أتم، قال حدثني محمد بن الضحاك الحزامي قال: كانت العرب تفضل قريشاً في كل شيء إلا الشعر، فلما نجم في قريش عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزومي والعرجي وأبو دهبل وعبيد الله بن قيس الرقيات، أقرت لها العرب بالشعر أيضاً.

تفاخر مولى له ومولى لابن أبي ربيعة

بشعريهما:

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس وحبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى أبو غسان قال: تفاخر مولى لعمر بن أبي ربيعة ومولى للحارث بن خالد بشعريهما، فقال مولى الحارث لمولى عمر: دعني منك فإن مولاك والله لايعرف المنازل إذا قلبت، يعني قول الحارث:

إني ومانحروا غداة منى ... عند الجمار تؤودها العقل

لو بدلت أعلى مساكنها ... سفلاً وأصبح سفلها يعلو

فيكاد يعرفها الخبير بها ... فيرده الإقواء والمحل

لعرفت مغناها بما احتملت ... مني الضلوع لأهلها قبل.

-قال عمر بن شبة: وحدثني محمد بن سلام بهذا الخبر على نحو مماذكره أبو غسان، وزاد فيه: -فقال مولى ابن أبي ربيعة لمولى الحارث: والله مايحسن مولاك في شعر إلا نسب إللى مولاي قال ابن سلام: وأنشد الحارث بن خالد عبد الله بن عمر هذه الأبيات كلها حتى انتهى إلى قوله:

لعرفت معناها بما احتملت ... مني الضلوع لأهلها قبل

فقال له ابن عمر: قل: إن شاء الله؛ قال: إذا يفسد بها العشر ياعم، فقال له: يابن أخي، إنه لاخير في شيء يفسده "إن شاء الله". قال عمر: وحدثني هذه الحكاية إسحاق بن إبراهيم في مخاطبته لابن عمرو و لم يسندها إلى احد، وأظنه لم يروها إلا عن محمد بن سلام. وأخبرني محمد بن خلف بن المزربان عن أبي الفضل المروروذي عن إسحاق عن أبي عبيدة، فذكر قصة الحارث مع ابن عمرو مثل الذي تقدمه.

فضله كثير الشاعر في الشعر على نفسه

وأنشد من شعره:

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا الرياشي قال حدثني أبو سلمة الغفاري عن يحيى بن عروة بن أذينة عن أبيه قال: كان كثيراً جالساً في فتيةٍ من قريش إذ مر بهم سعيد الراس، وكان مغنياً، فقالوا لكثير: يا أبا صخر، هل لك أن نسمعك غناء هذا، فإنه مجيد؟ قال: افعلوا؛ فدعوا به فسألوه أن يغنيهم:

صوت

هلا سألت معالم الأطلال ... بالجزع من حرضٍ وهن بوالي

سقياً لعزة خلتي سقياً لها ... إذ نحن بالهضبات من أملال

إذ لاتكلمنا وكان كلامها ... نفلاً نؤمله من الأنفال

فغناه، فطرب كثيراً وارتاح، وطرب القوم جميعاً، واستحسنوا قول كثير، وقالوا له: يا أبا صخر مايستطيع أحد أن يقول مثل هذا؛ فقال: بلى، الحارث بن خالد حيث يقول: صوت

إني ومانحروا غداة منى ... عند الجمار تؤؤدها العقل

لو بدلت أعلى مساكنها ... سفلاً وأصبح سفلها يعلو

لعرفت معناها بما احتملت ... مني الضلوع لأهلها قبل

نسبة ما في هذه الأخبارمن الأغاني في أبيات كثير الأول التي أولها: " هلا سألت معالم الأطلال لابن سريج منها في الثاني والثالث رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وللغريض في الأول والثاني ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عنه. وفيهما لعلويه رمل بالوسطى عن عمرو. وفي أبيات الحارث بن خالد لإبراهيم الموصلي رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً.

شعره في علو الزبيرين على العلويين

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا الخليل بن أسد عن العمري عن الهيثم بن عدي قال: دخل أشعب مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يطوف الحلق، فقيل له: ماتريد؟ فقال: أستفتني في مسالة؛ فينا هو كذلك إذ مر برجل من ولد الزبير وهو مسند إلى سارية وبين يديه رجل علوي، فخرج أشعب مبادراً؛ فقال له الذي سأله عن دخوله وتطوافه: أوجدت من أفتاك في مسألتك؟ قال: لا، ولكني علمت ماهو خير منها؛ قال: وماذاك؟ قال: وجدت المدينة قد صارت كما قال الحارث بن خالد:

قد بدلت أعلى مساكنها ... سفلاً وأصبح سفلها يعلو

رأيت رجلاً من ولد الزبير جالساً في الصدر، ورجلاً من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه جالساً بين يديه، فكفى هذا عجباً، فانصرفت.

كان مروانياً وكل بني مخزوم زبيرية

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة، وأخبرني هذا الخبر إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان، وأخبرني محمد بن خلف بن المزربان قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو عبد الله بن محمد بن حفص عن أبيه قال قال محمد بن خلف أخبرني به أبو أيوب سليمان بن أيوب المدني قال حدثنا مصعب الزبيري، وأخبرني به أيضاً الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي، وقد جمعت رواياتهم في هذا الخبر: أن بني مخزوم كلهم كانوا زبيرية سوى الحارث بن خالد فإنه كان مروانياً.

ذهب إلى الشأم مع عبد الملك فحجبه وجفاه فقال شعراً فقربه وولاه مكة: فلما ولي عبد الملك الخلافة عام الجماعة وفد عليه في دين كان عليه وذلك في سنة خمس وسبعين؛ وقال مصعب في خبره: بل حج عبد الملك في تلك السنة فلما انصرف رحل معه الحارث إلى دمشق، فظهرت له منه جفوة، وأقان ببابه شهراً لايصل إليه، فانصرف عنه وقال فيه:

صحبتك إذ عيني عليها غشاوة ... فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

ومابي وإن أقصيتني من ضراعة ... ولاافتقرت نفسي إلى من يضيمها

هذا البيت في رواية ابن المزربان وحده:

عطفت عليك النفس حتى كأنما ... بكفيك بؤسي أو عليك نعيمها

عزله عبد الملك لأنه أخر الصلاة

حتى تطوف عائشة بنت طلحة:

وبلغ عبد الملك خبره وأنشد الشعر، فأرسل إليه من رده من طريقه؛ فلما دخل عليه قال له: حار، أخبرني عنك: هل رأيت عليك في المقام ببابي غضاضة أو في قصدي دناءة؟ قال: لا والله ياأمير المؤمنين؛ قال: فما حملك علي ماقلت وفعلت؟ قال: جفوة ظهرت لي، كنت حقيقاً بغير هذا، قال: فاختر، فإن شئت أعطيتك كائة ألف درهم، أو قضيت دينك، أو وليتك مكة سنة، فولاه إياها، فحج بالناس وحجت عائشة بنت طلحة عامئذ، وكان يهواها، فأرسلت إليه: أخر الصلاة حتى أفرغ من طوافي، فأمر المؤذنين فأخروا الصلاة حتى فرغت من طوافها، ثم أقيمت الصلاة فصلى بالناس، وأنكر أهل الموسم ذلك من فعله وأعظموه، فعزله وكتب إليه يئنبه فيما

فعل؛ فقال: مأهون والله غضبه إذا رضيت! والله لو لم تفرغ من طوافها إلى الليل لأخرت الصلاة إلى الليل. فلما قضت حجها أرسل إليها: يابنة عمي ألمي بنا أوعدينا مجلساً نتحدث فيه؛ فقالت: في غد أفعل ذلك، ثم رحلت من ليلتها؛ فقال الحارث فيها:

صوت

ماضركم لو قلتم سداداً إن المطايا عاجل غدها
ولها علينا نعمة سلفت لسنا على الأيام نجحدها
لو تممت أسباب نعمتها تمت بذلك عندنا يدها

لمعبد في هذه الأبيات ثقيل أول بالوسطى عن عمرو بن بانة ويونس ودنانير، وقد ذكر غسحاق فنسبه إلى ابن محرز ثقيلاً أول في أصوات قليلة الأشباه؛ وقال عمر بن بانة: من الناس من نسبه إلى الغريض نسبة مافي الأخبار من الغناء صوت

ومابي وإن أقصيتني من ضراعة ولا افتقرت نفسي إلى من يهينها
بلى بأبي إني إليك لضارع فقير ونفسي ذاك منها يزينها

البيت الأول للحارث بن خالد، والثاني ألحق به. والغناء للغرض ثقيل أول بالوسطى عن ابن المكي. وذكر الهشامي أن لحن لاغريض خفيف ثقيل غي البيت الأول فقط، وحكى أن قافيته على ما كان الحارث قاله: " ولاافتقرت نفسي إلى من يضمها وأن التقيل الأول لعلية بنت المهدي، ومن غنائها البيت لامضاف. وأخلق لأن يكون الأمر على ماذكره، لأن البيت الثاني ضعيف يشبه شعرها.

تزوج مصعب بعائشة فقال شعرا أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر وإسماعيل بن يونس قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان محمد بن يحيى قال: لما تزوج مصعب بن الزبير عائشة بنت طلحة ورحل بها إلى العراق، قال الحارث بن خالد في ذلك: صوت

ظعن الأمير بأحسن الخلق وغدا بلبك مطلع الشرق
في البيت ذي الحسب الرفيع ومن أهل التقى والبر والصدق
فظللت كالمقهور مهجته هذا الجنون وليس بالعشق
أترجة عبق العبير بها عبق الدهان بجانب الحق
ماصبحت أحداً برؤيتها إلا إذا بكواكب الطلق

وهي أبيات، غنى ابن محرز في البيتين الأولين خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانة أن فيهما لمالك ثقيلاً بالوسطى، وذكر حبش أن فيهما لمالك رملاً بالوسطى، وذكر حبش أيضاً أن فيهما للدلال ثاني ثقيل بالبنصر، ولابن سريج ومالك رملين، ولسعيد بن جابر هزجاً بالوسطى.

استأذن على عائشة بنت طلحة وكتب لهامع الغريض وأمره أن يغني لها من شعره فوعدته وخرجت من مكة:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام عن ابن جعدبة قال: لما أن قدمت عائشة بنت طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد وهو أمير على مكة: إني أريد السلام عليك، فإذا خف عليك أذنت، وكان الرسول الغريض، فقالت له: إنا حرم، فإذا أحللنا أذناك، فلما أحلت سرت على بغلاتها، ولحقها الغريض بعسفان أو قريب منه، ومعه كتاب الحارث إليها: " ماضركم لو قلتم سداداً -الأبيات المذكورة -؛ فلما قرأت الكتاب قالت: مايدع الحارث باطله! ثم قالت للغريض: هل أحدثت شيئاً؟ قال: نعم، فاسمعي، ثم اندفع يغني في هذاالشعر؛ فقالت عائشة: والله ماقلنا إلا سداداً، ولاأردنا إلا أن نشتري لسانه؛ وأتى على الشعر كله، فاستحسنته عائشة، وأمرت له بخمسة آلاف درهم وأثواب، وقالت: ذدني، فغناها في قول الحارث بن خالد أيضاً:

زعموا بأن البين بعد غد ... فالقلب مما أحدثوا يجف

والعين منذ أجد بينهم ... مثل الجمان دموعها تكف

ومقالها ودموعها سجم ... أقلل حنينك حين تنصرف

تشكو ونشكو ماأشئت بنا ... كل بوشك البين معترف

-إيقاع هذا الصوت ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي، و لم يذكر له حماد طريقاً- قال: فقالت له عائشة: ياغريض، بحقي عليك أهو أمرك أن تغنيني في هذا الشعر؟ فقال: لا، وحياتك ياسيدتي! فأمرت له بخمسة آلاف درهم، ثم قالت له: غنني في شعر غيره؛ فغناها " قول عمر فيهاً: غناها الغريض بشعر ابن أبي ربيعة:

صوت

أجمعت خلتي مع الفجر بينا ... جلل الله ذلك الوجه زينا

أجمعت بينها ولم نك منها ... لذة العيش والشباب قضينا

فتولت حملها واستقلت ... لم تنل ظائلاً ولم نقض دينا

ولقد قلت يوم مكة لما ... أرسلت تقرأ السلام علينا

أنعم الله بالرسول الذي أر ... سل والمرسل الرسالة عينا

-الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء للغريض خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، وغيره ينسبه إلى ابن سريج. وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو، وأظنه هذا اللحن -قال: فضحكت ثم قالت: وأنت ياغريض فأنعم الله بك عيناً، وبابن أبي ربيعة عيناً، لقد تلطفت حتى أديت إلينا رسالته، وإن وفاءك له لمما يزيدنا رغبة فيك وثقة بك. وقد كان عمر سأل أن يغنيها هذا الصوت لأنه قد كان ترك ذكرها لما غضبت بنو تميم في ذلك، فلم يحب النصريح بها وكره إغفال ذكرها؛ وقال له عمر: إن أبلغتها هذه الأبيات في غناء فلك خمسة آلاف درهم.

غنى الغريض عاتكة بنت يزيد

فوفى له بذلك، وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أخرى، ثم انصرف الغريض من عندها فلقي عاتكة بنت يزيد بن معاوية امرأة عبد الملك بن مروان، وكانت قد حجت في تلك السنة، فقال لها جواريها: هذا الغريض؛ فقال لهمن: علي به، فجيء به إليها. قال الغريض: فما دخلت سلمت فردت علي وسألتني عن الخبر، فقصصته عليها؛ فقاللت: غنني بما غنيتها به، ففعلت فلم أرها تهش لذلك، فغنيتها معرضاً لها ومذكراً بنفسي في شعر مرة بن محكان السعدي يخاطب امرأته وقد نزل به أضياف:

أقول والضيف مخشي ذمامته ... على الكريم وحق الضيف قد وجبا

صوت

ياربة البيت قومي غير صاغرةٍ ... شمي إليك رحال القوم والقربا
في ليلة من جمادى ذات أندية ... لايبصر الكلب من ظلمائها الطنبا
لاينبح الكلب فيها غير واحدةٍ ... حتى يلف على خيشومه الذنبا

-الشعر لمرة بن محكان السعدي، والغناء لاين سريج. ذكر وينس أن فيه ثلاثة ألحان، فوجدت منها واحداً في كتاب عمرو بن بانة رملاً بالوسطى، والآخر في كتاب الهشامي خفيف ثقيل بالوسطى، والآخر ثاني ثقيل في كتاب أحمد بن المكي-قال: فقالت وهي مبتسمة: وقد وجب حقك ياغريض، فغنني؛ فغنيتها:

صوت

يادهر قد أكثرت فجعتنا ... بسراتنا ووقرت في العظم
وسلبتنا ماليت مخلفه ... يادهر ما أنصفت في الحكم

لو كان لي قرن أناضله ماطاش عند حفيظة سهمي

لو كان يعطي النصف قلت له أحرزت سهمك فاله عن سهمي

فقاللت: نعطيك النصف ولانضيع سهمك عندنا، ونجزل لك قسمك، وأمرت لي بخمسة آلاف درهم وثياب عدنية وغير لذك من الألطاف، وأتيت الحارث بن خالد فأخبرته الخبر وقصصت عليه القصة؛ فأمر لي بمثل ما أمرتا لي به جميعاً، فأتيت ابن أبي ربيعة وأعلمته بما جرى، فأمر لي بمثل ذلك، فما انصرف واحد من ذلك الموسم بمثلي ماانصرفت به: بنظرة من عائشة ونظرة من عاتكة وهما أجمل نساء عالمهما، وبما أمرتا لي به، وبالمترلة عند الحارث وهو أمير مكة، وابن أبي ربيعة، وماأجازاني به جميعاً من المال.

لما حجت عائشة بنت طلحة فاستأذنها

في زيارتها فوعدته ثم هربت:

أخبرني محمد بن خلف بن المزربان قال حدثنا أبو الحسن المروزي قال حدثنا محمد بن سلام عن يونس قال: لما حجت عائشة بنت طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد وهو أمير مكة: أنعم الله بك عينا وحياك، وقد أردت زيارتك فكرهت ذلك إلا عن أمرك، فإن أذنت فيها فعلت؛ فقالت لمولاة لها جزلة: ومأأرد على هذا الشفيه؟ فقالت لها: أنا أكفيك، فخرجت إلى الرسول وقالت له: اقرأ عليه السلام، وقل له: وأنت أنعم عليك بك عيناً وحياك، تقضي نسكنا ثم يأتيك رسولنا إن شاء الله، ثم قالت لها: قومي فطوفي واسعي واقضي عمرتك واخرجي في الليل، ففعلت؛ وأصبح الحارث فسأل عنها فأخبر خبرها، فوجه إليها رسولاً بهذه الأبيات، فوجدها قد خرجت عن عمل مكة، فأوصل الكتاب إليها، فقالت لمولاتها: خذيه فإني أظنه بعض سفاهاته، فأخذته وقرأته وقالت له: ما قلنا إلا سداداً وأنت فارغ للبطالة، ونحن عن فراغك في شغل.

سالت عائشة بنت طلحة فأرسل إليها شعراً

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي وإسماعيل بن وينس الشيعي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: زعم كلثوم بن أبي بكر بن عمر بن الضحاك بن قيس الفهري قال:

قدم المدينة قادم من مكة فدخل على عائشة بنت طلحة، فقلت له: من أين أقبل الرجل؟ قال: من مكة، فقالت: فما فعل الأعرابي؟ فلم يفهم ماأرادت، فلما عاد إلى مكة، فقالت: فما فعل الأعرابي؟ فلم يفهم ماأرادت، فلما عاد إلى مكة دخل على الحارث، فقال له: من أين؟ قال: من المدينة، قال: فهل دخلت على عائشة بنت طلحة؟ قال: نعم، قال: فعماذا سألتك؟؟ قال: قالت لي: ما فعل الأعرابي؟ قال له الحارث: فعد عليها ولك هذه الراحلة والحلة ونفقتك لطريقط وادفع إليها هذه الرقعة، وكتب إليها فيها:

صوت

من كان يسأل عنا أين منزلنا فالأقحوانة منا منزل قمن

إذ نلبس العيش صفواً ما يكدره طعن الوشاة ولاينبو بنا الزمن

قال إسحاق: وزادني غير كلثوم فيها:

ليت الهوى لم يقربني إليك ولم أعرفك إذ كان حظي منكم الحزن

غنى في هذه الأبيات ابن محرز خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر يونس أن فيها لحناً وبم يجنسه، وذكر عمرو أن فيه لبابويه ثاني ثقيل بالبنصر.

غضب على الغريض ثم رق له

وغناء الغريض في شعره:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام، قال: لما ولى عبد الملك بن مروان الحارث بن خالد المخزومي مكة بعث إلى الغريض فقال له: لأرينك في عملي، وكان قبل ذلك يطلبه ويستدعيه فلا يجيبه، فخرج الغريض إلى ناحية الطائف، وبلغ ذلك الحارث فرق له فرده وقال له: لم كنت تبغضنا وتهجر شعرنا ولاتقربنا؟ قال له الغريض: كانت هفوة من هفوات النفس، وخطرة" من خطرات الشيطان، ومثلك وهب الذنب، وصفح عن الجرم، وأقال العثرة، وغفر الذلة، ولست بعائد إلى ذلك أبداً؛ قال: وهل غنيت قي شيء من شعري؟ قال: نعم، قد غنيت في ثلاثة أصوات من شعرك، قال: هات ما غنيت، فغنيت:

صوت

بان الخليط فما عاجوا ولاعدلوا إذ دعوك وحنت بالنوى الإبل

كأن فيهم غداة البين إذ رحاوا أدماء طاع لها الحوذان والنفل

-الغناء للغريض ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وحبش؛ قال حبش: وفيه لابن سريج خفيف رمل بالبنصر، ولإسحاق ثان ثقيل بالبنصر-فقال له: أحسنت والله ياغريض، هات ماغنيت أيضاً من شعري، فغناه في قوله:

صوت

ياليت شعري وكم من منية قدرت وفقاً وأخرى أتى من دونها القدر

ومضمر الكشح يطويه الضجيع له طي الحمالة لاجافٍ ولافقر

له شبيهان لانقص يعيبهما بحيث كانا و لاطول ولاقصر

- لم أعرف لهذا الشعر لحناً في شيء من الكتب ولاسمعته -فقال له الحارث: أحسنت والله ياغريض، إيه، وماذا أيضاً؟ فغناه قوله:

عفت الديار فما بها أهل حزانها ودماثها السهل

إني ومانحروا غداة منى عند الجمار تؤدها العقل

- الأبيات المذكورة وقد مضت نسبتها معها -فقال له الحارث: ياغريض لا لوم في حبك، ولاعذر في هجرك، ولالذة لمن يروح قلبه بك، ياغريض لو لم يكن لي في ولايتي مكة حظ إلا أنت لكان حظاً كافياً وافياً، ياغريض إنما الدنيا زينة، فأزين الزينة مافرح النفس، ولقد فهم قدر الدنيا على حقيقته من فهم قدر الغناء.

أنشدت سكينة بنت الحسين بيتاً من شعره

فنقدته:

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن مصعب الزبيري قال:

ففرغن من سبع وقد جهدت أحشاؤهن من موائل الخمر

فقالت: أحسن عندكم ماقال؟ قالوا: نعم، وماحسنه! فوالله لو طافت الإبل سبعاً لجهدت أحشاؤها.

قيل له مايمنعك من عائشة

وقد مات زوجها فأجاب:

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن كلثوم بن أبي بكر قال: لما مات عمر بن عبد الله التميمي عن عائشة بنت طلحة وكانت قبله عند مصعب بن الزبير قيل للحارث بن خالد: مايمنعك الآن منها؟ قال: لايتحدث والله رجال من قريش أن نسيبي بها لكان لشيء من الباطل.

تنازع هو و أبان بن عثمان ولاية الحج

فغلبه أبان فقال شعراً:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: لما خرج ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان شغل عن أن يولى على الحج رجلاً، وكان الحارث بن خالد عامله على

مكة، فخرج إبان بن عثمان من المدينة وهو عامله عليها، فغدا على الحارث بمكة ليحج بالناس؛ فنازعه الحارث وقال له: لم يأتني كتاب أمير المؤمنين بتوليتك على الموسم، وتغالبا فغلبه أبان بن عثمان بنسبه، ومال إليه الناس فحج بهم؛ فقال الحارث بن خالد في ذلك:

فإن تنج منها يا أبان مسلماً | فقد أفلت الحجاج خيل شبيب

وكاد غداة ادير ينفد حضنه | غلام بطعن القرن جد طبيب

وأنسوه وصف الدير لما رآهم | وحسن خوف الموت كل معيب

فلقيه الحجاج بعد ذلك، فقال: مالي ولك ياحارث! أينازعك أبان عملاً فتذكرني! فقال له: مااعتمدت مساءتك ولكن بلغني أنك أنت كاتبته، قال: والله مافعلت، فقال له الحارث: المعذرة إلى الله وإليك أبا محمد.

قال هشام حين سمع شيئاً من شعره هذا كلام معاين: نسخت من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات: حدثني عمرو بن سلم قال حدثني هارون بن موسى الفروي قال حدثني موسى بن جعفر أن يحيى قال حدثني مؤدب لبني هشام بن عبد الملك قال: بينا أنا ألقي على ولد هشام شعر قريش إذ أنشدهم شعر الحارث بن خالد:

إن أمراً تعتاده ذكر | منها ثلاث مني لذو صبر

وهشام مصغ إلي حتى ألقيت عليهم قوله:

ففرغن من سبع وقد جهدت | أحشاؤهن موائل الخمر

فانصرف وهو يقول: هذا كلام معاين.

قدمت عائشة بنت طلحة تريد العمرة فقال شعراً: أخبرني محمد بن خلف بن المزربان قال حدثني أبو عبد الله السدوسي قال وحدثنا أبو حاتم السجستاني قالأخبرنا أبو عبيدة قال: قدمت عائشة بنت طلحة مكة تريد العمرة، فلم يزل الحارث يدور حولها وينظر إليها ولايمكنه كلامها حتى خرجت، فأنشأ يقول-وذكر في هذه الأبيات بسرة حاضنتها وكنى عنها-: صوت

يادار أقفر رسمها | بين المحصب والحجون

أفوت وغير آيها | مر الحوادث والسنين

واستبدلوا ظلف الحجا | زوسرة البلد الأمين

يابسر إني فاعلمي | بالله مجتهداً يميني

ماإن صرمتحبالكم | فصلي حبالي أو ذريني

في هذه الأبيات ثاني ثقيل لمالك بالبنصر عن الهشامي وحبش، قال: وفيها لابن مسجح ثقيل أول، وذكر أحمد بن المكي أن فيها لابن سريج رملاً بالبنصر؛ فيها لمعبد ثقيل أول بالوسطى عن حبش.

شبب بزوجته أم عبد الملك أخبرني الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني مصعب بن عثمان بن مصعب بن عروة بن الزبير، زأخبرني بن محمد بن خلف بن المزربان بعن أحمد بن زهير عن مصعب الزبيري قال: كانت أم عبد الملك بنت عبد الله بن خالد بن أسيد عند الحارث بن خالد، فولدت منه فاطمة بينت الحارث، وكانت قبلة عند عبد الله بن مطيع، فولدت منه عمران ومحمداً، فقال فيها الحارث وكناها بابنها عمران:

يأم عمران مازالت ومابرحت ... بي الصبابة حتى شفني الشفق
القلب تاق إليكم كي يلاقيكم ... كما يتوق إلى منجاته الغرق
تنيل نزراً قليلاً وهي مشفقة ... كما يخاف مسيس الحية الفرق

قال مصعب بن عثمان: فأنشد رجل يوماً بحضرة ابنها عمران بن عبد الله بن مطيع هذا الشعر، ثم فطن فأمسك؛ فقال له: لاعليك، فإنها كانت زوجته. وقال ابن المزربان في خبره: فقال له: امض رحمك الله ومابأس بذلك، رجل تزوج بنت عمه وكان كفئاً كريماً فقال فيها شعراً بلغ مابلغ، فكان ماذا! شبب بأم بكر بعد أن رآها ترمي الجمرة وحادثها: أخبرني محمد بن خلف بن المزربان قال حدثني أحمد بن عب الرحمن التميمي عن أبي شعيب الأسدي عن القحذمي قال:

بينا الحارث بن خالد واقف على جمرة العقبة إذ رأى أم بكر وهي ترمي الجمرة فرأى أحسن الناس وجهاً، وكان في خدها خال ظاهر، فسأل عنها فأخبر باسمها حتى عرف رحلها، ثم أرسل إليها يسألها أن تأذن له في الحديث، فأذنت له في الحديث، فأذنت له، فكان يأتيها يتحدث إليها حتى انقضت أيام الحج، فأرادت الخروج إلى بلدها، فقال فيها:

ألا قل لذات الخال ياصاح في الخد ... تدوم إذا بانت على أحسن العهد
ومنها علامات بمجرى وشاحها ... وأخرى تزين الجيد من موضع العقد
وترعى من الود الذي كان بيننا ... فما يستوي راعي الأمانة والمبدي
وقل قد وعدت اليوم وعداً فأنجزي ... ولاتخلفي، لاخير من مخلف الوعد
وجودي على اليوم منك بنائل ... ولاتبخلي، قدمت قبلك في اللحد
فمن ذا الذي يبدي السرور إذا دنت ... بك الدار أو يعنى بنأيكم بعدي
دنوكم منا رخاء تناله ... ونأيكم والبعد جهد على جهد
كثير إذ تدنو اغتباطي بك النوى ... ووجدي إذا مابنتم ليس كالوجد
أقول ودمعي فوق خدي مخضل ... له وشل قد بل تهتانه خدي

لقد منح الله البخيلة ودنا ومامنحت ودي بدعوى ولاقصد

شبب بليلى بنت أبي مرة لما رآها بالكعبة أخبرني محمد بن خلف قال وحدثني عن المدائني ولست أحفظ من حدثني به قال: طافت ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود وأمها ميمونة بنت أبي سفيان ابن حرب بالكعبة، فرآها الحارث بن خالد فقال فيها:

أطافت بنا شمس النهار ومن رأى من الناس شمساً بالعشاء تطوف

أبو أمها أوفى قريش بذمة وأعمامها إما سألت ثقيف

وفيها يقول:

أمن طللٍ بالجزع من مكة السدر عفا بين أكناف المشقر فالحضر

ظللت وظل القوم من غير حاجة لدن غدوة حتى دنت حزة العصر

يبكون ليلى من ليى عهوداً قديمة وماذا يبكي القوم من منزل قفر

الغناء في هذه الأبيات لابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر والبنصر عن يحيى المكي، وذكر غيره أنه للغريض. وفي ليلى هذه يقول - أنشدناه وكيع عن عبد الله بن شبيب عن إبراهيم بن المنذر الحزامي للحارث بن خالد، وفي بعض الأبيات غناء-:

صوت

لقد أرسلت في السر ليلى تلومني وتزعمني ذا ملة طرفاً جلدا

وقد أخلفتنا كل ماوعدت به ووالله ماأخلفتها عاداً وعدا

فقلت مجيباً للرسول الذي أتى تراه، لك الويلات، من قولها جدا؟

إذا جئتها فأقر السلام وقل لها دعي الجوز ليلى واسلكي منهجاً قصدا

أفي مكثنا عنكم ليال مرضتها تزيدينني ليلى على مرضي جهدا

تعدين ذنباً واحداً ماجنيته علي ومأأحصي ذنوبكم عدا

فإن شئت غرنا بعدكم ثم لم نزل بمكة حتى تجلسي قابلاً نجدا

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى. وذكر ابن المكي إت فيه لدحمان ثاني ثقيل بالوسطى لا أدري أهذا أم غيره. وفيه ثقيل أول للأبجر عن يونس والهشامي. وفيه لابن سريج رمل بالبنصر. ولعرار خفيف ثقيل عن الهشامي وحبش.

غلبه أبان بن عثمان على الصلاة

فقال فيه شعراً عرض فيه بالحجاج:

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني محمد بن الحارث الخراز قال حدثنا أبو الحسن المدائني قال: كان الحارث بن خالد والياً على مكة، وكان أبان بن عثمان ربما جاءه كتاب الخليفة أن يصلي بالناس ويقيم لهم حجهم، فتأخر عنه في سنة الحرب كتابه و لم يأت الحارث كتاب، فلما حضر الموسم شخص أبان من المدينة، فصلى لاالناس وعاونته بنوأمية ومواليهم فغلب الحارث على الصلاة، فقال:

فإن تنج منها يا أبان مسلماً　　فقد أفلت الحجاج خيل شبيب

فبلغ ذلك الحجاج فقال: مالي وللحارث! أيغلبه أبن بن عثمان على الصلاة ويهتف بي أنا! ماذكره أياي! فقال له عبيد بن موهب: أتأذن أيها الأمير في إجابته وهجائه؟ قال: نعم؛ فقال عبيد:

أبا وابصٍ ركب علاتك والتمس　　مكاسبها إن اللئيم كسوب

ولاتذكر الحجاج إلا بصالح　　فقد عشن من معروفه بذنوب

ولست بوال ما حييت إمارة"　　لمستخلف إلا عليك رقيب

سأله عبد الملك عن أي البلاد أحب إليه

فأجاب وقال شعراً:

قال المدائني: وبلغني أن عبد الملك قال للحارث: أي البلاد أحب إليك؟ قالكحا حسنت في حالي وعرض وجهي، ثم قال:

لاكوفة أمي ولابصرة أبي　　ولست كمن يثنيه عن وجهه الكس

نسبة مافي هذا الخبر من الأغاني الغناء في شعره: منها في تشبيب الحارث بامرأته أم عمران: صوت

بان الخليط الذي كنا به نثق　　بانوا وقلبك مجنون بهم علق

تنيل نزراً قليلاً وهس مشفقة　　كما يخاف مسيس الحية الفرق

ياأم عمران مازالت ومابرحت　　بي الصبابة حتى شفني الشفق

لاأعتق الله رقي من صبابتكم　　ماضرني أنني صببكم قلق

ضحكت عن مرهف الأنياب ذي أشر　　لاقضم في ثناياه ولاروق

يتوق قلبي إليكم كي يلاقيكم　　كما يتوق إلى منجاته الغرق

غنى ابن محرز في الثلث ثم السادي ثم الخامس ثم الثاني، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وللغريض في الرباع والثاني والثالثل والسادس خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو، ولسلسل في الأول والثاني ثقيل أول مطلق عن الهشامي، ولابن سريج في الثاني والأول والرباع والخامس رمل بالخنصر في مجرى البنصر بالوسطى، ولابن محرز ثاني ثقيل آخر بالبنصر. وذكر الهشامي أن لابن سريج في الأبيات خفيف رمل.

ومما يغني فيه من شعر الحارث

ابن خالد في عائشة بنت طلحة تصريحاً وتعريضاً ببسرة جاريتها:

صوت

ياريع بسرة بالجناب تكلم — وأبن بنا خبراً ولاتستعجم

مالي رأيتك بعد أهلك موحشاً — خلقاً كحوض الباقر المتهدم

تسبي الضجيع إذا النجوم تغورت — طوع الضجيع أنيقة المتوسم

قب البطون أوانس مثل الدمة — يخلطن ذاك بعفة وتكرم

الغناء لمعبد خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. والأبيات أكثر من هذه إلا أني اعتمدت على ما غني فيه.

ومنها صوت قد جمعت فيه عدة طرائق وأصوات في أبيات من القصيدة.

أعرفت أطلال الرسوم تنكرت — بعدي ويد آيهن دثورا

وتبدلت بعد الأنيس بأهلها — عفراً بواغم يرتعين وعورا

من كل مصيبة الحديث ترى لها — كفلاً كرابية الكثيب وثيرا

دع ذا ولكن هل رأيت ظعائنا — قربن أجمالاً لهن بكورا

قربن كل مخيس متحمل — بزلاً تشبه هامهن قبورا

يفتن لايألون كل مغفل — يملأنه بحديثهن سرورا

يادار حسرها البلى تحسيرا — وسفت عليها الريح بعدك بورا

دق التراب نخيلة فمخيم — بعراصها ومسير تسييرا

ياربع بسرة إن أضر بك البلى — فلقد عهدتك آهلاً معمورا

عقب الرذاذ خلافهم فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا

إن يمس حبلك بعد طول تواصل خلقاً ويصبح بينكم مهجورا

فلقد أراني، والجديد إلى بلى زمناً بوصلك قانعاً مسرورا

جذلا بمالي عندكم لاابتغي للنفس غيرك خلة وعشيرا

كنت المنى وأعز من وطىء الحصا عندي وكنت بذاك منك وجديرا

غنى في الأول والثاني من هذه الأبيات معبد، ولحنه ثقيل أول بالبنصر عن عمرو، مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، وللغريض فيه ثقيل أول بالبنصر عن عمرو، ولإسحاق فيهما ثاني ثقيل، ولإبراهيم فيهما وفي الثالث خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى عن ابن المكي، وغنى الغريض في الثالث والسادس والرابع والخامس ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وغنى معبد في السابع والثامن والعاشر خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى عن يحيى المكي؛ وفيها ثاني ثقيل ينسب إلى طويس واين مسجح واين سريج، ولمالك في التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر خفيف ثقيل بالسبابة والوسسطى عن يحيى المكي، وفيها بأعيانها لابن سريج رمل بالسبابة والوسطى عن يحيى أيضاً، وليحيى المكي في الحادي عشر ومابعده إلى أخر الأبيات ثاني ثقيل، ولإبراهيم فيها بعينها ثقيل أول عن الهشامي، وفيها لإسحاق رمل، وفي الثالث والرابع لحن لخليدة المكية خفيف ومنها أبيات قالها بالشأم عند عبد الملك أولها:

هل تعرف الدار أضحت آيها عجما كالرق أجرى عليها حاذق قلما

بالخيف هاجت شؤونا غير جامدة فانهلت العين تذري واكفاً سجما

دار لبسرة أمست ماتكلمنا وقد أبنت لها لو تعرف الكلما

واهاً لبسرة لو يدنو الأمير بها ياليت بسرة قد أمست لنا أمما

صوت

حلت بمكة لادار مصافية هيهات جيرون ممن سيكن الحرما

يابسر إنكم شط العباد بكم فما تنيلوننا وصلاً ولانعما

غنى هذين البيتين الهذبي ثاني ثقيل بالوسطى، وفيهما ليحيى المكي ثقيل ألو بالبنصر، جميعاً ن روايته:

قد قلت بالخيف إذ قالت لجارتها أدام وصل الذي أهدى لنا الكلما

صوت

لايرم الله أنفاً أنت حامله بل أنف شانيك فيما سركم رغما

إن كان رابك شيء لست أعلمه مني فهذي يميني بالرضا سلما

أو كنت أحببت شيئاً مثل حبكم فلا أرحت إذاً أهلاً ولانعما

لاتكليني إلى من ليس يرحمني وقال من تبغضين الحتف والسقما

إن الوشاة كثير إن أطعتهم لايرقبون بنا إلا ولاذمما

غنى ابن محرز في:

لايرغم الله أنفاً أنت حامله

خفيف ثقيل بالبنصر، ولابن مسجح فيه ثاني ثقيل عن حبش؛ وفي:

لاتكليني إلى من ليس يرحمني

لابن محرز ثقيل أول بالبنصر عن حبش والهشامي.

أخر الصلاة لعائشة فعزله عبد الملك

ولامه فقال شعراً:

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى قالا أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه الزبيري قال: أذن المؤذن يوماً وخرج الحارث بن خالد إلى الصلاة، فأرسلت إليه عائشة ابنة طلحة: إنه بقي علي شيء من طوافي لم أتمه، فقعد وأمر المؤذنين فكفوا عن الإقامة وجعل الناس يصيحون حتى فرغت من طوافها، فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان، فعزله وولى مكة عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وكتب إلى الحارث: ويلك، أتركت الصلاة لعائشة بنت طلحة! فقال الحارث: والله لو لم تقض طوافها إلى الفجر لما كبرت؛ وقال في ذلك:

لم أرحب بأن سخطت ولكن مرحباً أن رضيت عنا وأهلا

إن وجهاً رأيته ليلة البد ر عليه انثنى الجمال وحلا

وجهها الوجه لو يسأل به المز ن من الحسن والجمال أستهلا

إن عند الطواف إن غبن عنها فإذا مابدت لهم اضمحلا

الغناء في شعره في شعر الحارث هذا غناء قد جمع كل مافي شعره منه على اختلاف طرائقه، وهو:

صوت

أثل وجودي على المتيم أثلا لاتزيدي فؤاده بك خبلا

أثل إني والراقصات بجمع — يتبارين في الأزمة فتلا
سانحات يقطعن من عرفاتٍ — بين أيدي المطي حزناً وسهلا
والأكف المضمرات على الر — ن بشعث سعوا إلى البيت رجلي
لاأخون الصديق في السر حتى — ينقل البحر بالغرابيل ثقلا
أو تمر الجبال مر سحاب — مرتق قد وعى من الماء ثقلا

أنعم الله لي بذا الوجه عيناً — وبه مرحباً وأهلاً وسهلا
حين قالت لاتفشين حديثي — يابن عمي أقسمت قلت أجل لا
اتقي الله واقبلي العذر مني — وتجافي عن بعض ما كان زلا
لاتصدي فتقتليني ظلماً — ليس قتل المحب للحب حلا
ماأكن سؤتكم به فلك العت — بى لدينا وحق ذاك وقلا
لم أرحب بأن سخطت ولكن — مرحباً أن رضيت عنا وأهلا
إن شخصاً رأيته ليلة البد — ر عليه انثنى الجمال وحلا
جعل الله كل أنثى فداء — لك بل خذها لرجلك نعلا
وجهك البدر لو سألت به المز — ن من الحسن والجمال استهلا

غنى معبد في الأبيات الأربعة الأولى

خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو، ولابن يتزن في الأولوالثاني ثقيل أول عن إسحاق، ولابن سريج في الأول والثاني والخامس ثقيل أول عن الهشامي، وللغريض في الخامس إلى الثامن خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو، ولد حمان في التاسع والعاشر والثالث عشر والرابع عشر خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو، ولمالك في التاسع إلى آخر الثاني عشر لحن ذكره يونس و لم يجنسه، ولابن سريج في هذه الأبيات بعينها رمل بالوسطى عن عمرو، وللغريض فيها أيضاً خفيف رمل بالبنصر عن ابن المكي، ولابن عائشة في الخامس إلى أخر الثامن لحن ذكره حماد عن أبيه و لم يذك رطريقته.

ومنه

صوت

أحقا إن جيرتنا استحبوا حزون الأرض بالبلد السخاخ

إلى عقر الأباطح من ثبير إلى ثور فمدفع ذي مراخ

فتلك ديارهم لم يبق فيها سوى طلل المعرس والمناخ

وقد تغنى بها في الدار حور نواعم في المجاسد كالإراخ

غني في هذه الأبيات الغريض، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى عن الهشامي

جزعت سوداء لموت ابن أبي ربيعة

فلما سمعت شعر الحارث طابت به نفساً:

وأخبرني محمد بن خلف بن المزربان قال حدثنا عبد الله بن محمد قال أخبرني محمد بن سلام قال: كانت سوداء بالمدينة مشغوفة بشعر عمر بن أبي ربيعة، وكانت من مولدات مكة، فلما ورد على اهل المدينة نعي عمر بن أبي ربيعة أكبروا ذلك واشتد عليهم، وكانت السوداء أشدهم حزناً وتسلباً وجعلت لاتمر بسكة من سكك المدينة إلا ندبته، فلقيها بعض فتيان مكة، فقال لها: خفضي عليك، فقد نشأ ابن عم له بشبه شعره شهره، فقالت: أنشدني بعضه، فأنشدها قوله:

إني تمانحروا غداة منى عند الجمار تؤودها العقل

الأبيات كلها، قال: فجعلت تمسح عينيها من الدموع وتقول: الحمد لله الذي لم يضيع حرمه.

ناضل سليمان بينه وبين رجل من أخواله

أخبرني اليزيدي قال حدثني عمي"جد عبيد الله" عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال: ناضل سليمان بن عبد الملك بين الحارث وبين رجل من أخواله من بني عبس، فرمى "الحارث بن" خالد فأخطأ ورمى العبسي فأصاب، فقال: " أنا نضلت الحارث بن خالد ثم رمى العبسي فأخطأ ورمى الحارث فأصاب، فقال الحارث: "حسبت نضل الحارث بن خالد ورميا فأخطأ العبسي وأصاب الحارث، فقال الحارث: " مشيك بين الزرب والمرابد ورميا فأخطأ العبسي وأصاب الحارث، فقال الحارث: "وإنك الناقص غير الزائد فقال سليمان: أقسمت عليك يا حارث إلا كففت عن القول والرمي فكف

أخبار الأبجر ونسبه

اسم الأبجر ولقبه وولاؤه

الأبجر لقب غلب علبه، واسمه عبيد الله بن القاسم بن ضبية، ويكنى أبا طالب، هكذا روى محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق، وروى هارون بن الزيات عن حماد عن أبيه: ان اسمه محمد بن القاسم بن ضبية، وهو مولى لكنانة ثم لبني بكر، ويقال: إنه مولى لبني ليث.

نشأته

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهروية وهارون بن اللزيات قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك قال: كنا يوماً جلوساً عند إسحاق، فغنتنا جارية يقال لها " سمحة":

إن العيون التي في طرفها مرض   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

فهبت إسحاق إن أسأله لمن الغناء، فقلت لبعض من كان معنا: سله، فسأله فقال له إسحاق: ما كان عهدي بك في شيبتك لتسألنا عن هذا، فقال: أحببته لما أسننت، فقال: لا ولكن هذا النقب عمل هذا اللص، وضرب بيده إلى تلابيبي، فقال له الرجل: صدقت يا أبا محمد، فأقبل علي فقال لي: ألم أقل لك إذا اشتهيت شيئاً فسل عنه، أما لأعطينك فيه ماتعابي به من شئت منهم، أتدري مااسمه؟ قلت: لا، قال: اسمه عبيد الله بن القاسم بن ضبية، أتدري ما كنيته؟ قلت: لا، قال: أبو طالب، ثم قال: اذهب فعاي بهذا من شئت منهم فإنك تظفر به.

كان ولاؤه لبني كنانة وقيل لبني ليث

وكان يلقب الحسحاس:

وقال هارون: حدثني حماد عن أبيه قال: الأبجر اسمه محمد بن القاسم بن ضبية وقال مرة أخرى: عبيد الله بن القاسم، مولى لبني بكر بن كنانة، وقيل: إنه مولى لبني ليث، يلقب بالحسحساس.

ظرفه وحسن لباسه وفرسه ومركبه

قال هارون: وحدثني حماد عن أبيه قال حدثني عورك اللهبي قال: لم يكن بمكة أحد أظرف ولاأسرى ولأحسن هيئة من الأبجر، كانت حلته بمائة دينار وفرسه بمائة دينار ومركبه بمائة دينار، وكان يقف بين المأزمين فيرفع صوته فيقف الناس له يركب بعضهم بعضاً.

احتكم على الوليد بن يزيد في الغناء

فأمضى حكمه:

أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب عن " عبيد الله بن" عبد الله بن خرداذبة عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قالا: جلس الأبجر في ليلة اليوم السابع من أيام الحج على قريب من التنعيم فإذا عسكر جرار قد أقبل في آخر الليل، وفيه دواب تجنب وفيها فرس أدهم عليه سرج حليته ذهب فاندفع، فغنى:

عرفت ديار الحي خالية قفرا كأن بها لما توهمتها سطرا

فلما سمعه من في القباب والمحامل أمسكوا، وصاح صائح: ويحك! أعد الصوت، فقال: لا والله! إلا بالفرس الأدهم بسرجه ولجامه وأربعمائة دينا، فإذا الوليد بن يزيد صاحب الإبل، فنودي: أين مترلك ومن أنت؟ فقال: أنا الأبجر ومترلي على باب زقاق الخرازين، فغدا عليه رسول الوليد بذلك الفرس وأربعمائة دينار وتخت من ثياب وشي وغير ذلك، ثم أتى به الوليد فأقام عنده، وراح مع أسحابه عشية التروية وهو أحسنهم هيئة، وخرج معه أو بعده إلى الشأم.

خرج معه إلى الشأم: قال إسحاق: وحدثني عورك اللهبي أن خروجه كان معه، وذلك في ولاية محمد بن هشام بن إسماعيل مكة، وفي تلك السنة حج الوليد، لأن هشاماً أمره بذلك ليهتكه عند أهل الحرم، فيجد السبيل إلى خلعه، فظهر منه أكثر مما أراد به من التشاغل بالمغنين واللهو، وأقبل الأبجر معه حتى قتل الوليد، ثم خرج إلى مصر فمات بها.

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

صوت

عرفت ديار الحي خالية قفرا كأن بها لما توهمتها سطرا
وقفت بها كيمما ترد جوابها فما بينت لي الدار عن أهلها خبرا

الغناء لأبي عباد ثقيل أول بالبنصر عن عمرو، وفيه لسياط خفيف رمل بالبنصر.

أخذ صوتاً من الغريض فأكره عطاء بن أبي رباح على سماعه: قال إسحاق: وحدثت أن الأبجر أخذ صوتاً من الغريض ليلاً ثم دخل في الطواف حين أصبح، فرأى عطاء بن أبي رباح يطوف بالبيت، فقال: يا أبا محمد، اسمع صوتاً أخذته في هذه الليلة من الغريض؛ قال له: ويحك! أفي هذا الموضع! فقال: كفرت برب هذا البيت لئن لم تسمعه مني سراً لأجهرن به؛ فقال: هاته، فغناه:

"صوت"

عوجي علينا ربة الهودج إنك إلا تفعلي تحرجي
إني أتيحت لي يمانية إحدى بني الحارث من مذحج

نلبث حولاً كاملاً كله | لانلتقي إلا على منهج
في الحج إن حجت وماذا منى | وأهله إن هي لم تحجج

فقال له عطاء: الخير الكثير والله فيمنى وأهله حجت أو لم تحج، فاذهب الآن. وقد مرت نسبة هذا الصوت وخبره في أخبار العرجي والغريض.

ختن عطاء بنيه فغنى لهم

قال إسحاق: وذكر عمرو بن الحارث عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: ختن عطاء بن أبي رباح بنيه أو بن أخيه، فكان البجر يختلف إليهم ثلاثة أيام يغنى لهم.

نازع ابن عائشة في الغناء فتشاتما

قال هارون بن محمد حدثني حماد بن إسحاق قال نسخت من كتاب ابن أبي نجيح بخطه: حدثني غوير بن طلحة الأرقمي عن يحيى بن عمران عن عمر بن حفص بن أبي كلاب قال: كان الأبجر مولانا وكان مكيا، فكان إذا قدم المدينة نزل علينا، فقال لنا يوماً: أسمعوني غناء ابن عائشتيكم هذا، فأرسلنا فيها فجمعنا بينهما في بيت ابن هابر فتغنى ابن عائشة، فقال الأبجر: كل مملوك لي حر إن تغنيت معك إلا بنصف صوتي، ثم أدخل إصبعه في شدقه فتغنى، فسمع صوته من في السوق فحشر الناس علينا، فلم يفترقا حتى تشاتما؛ قال: وكان ابن عائشة حيدا جاهلاً.

غنى الوليد وقد عرف سره من خادمه

فنشط له:

أخبرني الحسن بن علي قالحدثنا ابن مهروية قال وحدثني ابن أبي سعد قال حدثني القطراني المغني عن محمد بن جبر عن إبراهيم بن المهدي قال حدثني ابن الأشعب عن أبيه قال: دعي ذات يوم المغنون للوليد بن يزيد، وكنت نازلاً معهم، فقلت للرسول: خذني فيهم؛ قال: لم أومر بذلك وإنما أمرت بالإحضار المغنين وأنت بطال لاتدخل في جملتهم؛ فقلت: أنا والله أحسن غناء منهم، ثم اندفعت فغنيته؛ فقال: لقد سمعت حسناً ولكني أخاف؛ فقلت لاخوف عليك، ولك مع هذا شرط، قال: وماهو؟ قلت: كل مأأصبته فلك شطره؛ فقال للجماعة: اشهدوا عليه، فشهدوا، ومضينا فدخلنا على الوليد وهو لقس النفس، فغناه المغنون في كل فن من خفيف وثقيل، فلم يتحرك ولانشط، فقام البجر إلى الخلاء، وكان خبيثاً داهياً، فسأل الخادم عن خبره، وبأي سبب هو خاثر؟ فقال:

بينه وبين امرأه شر، لأنه عشق أختها فغضبت عليه فهو إلى أختها أميل، وقد عزم على طلاقها وحلف لها ألا يذكرها أبداً بمراسلة ولامخاطبة، وخرج على هذا الحال من عندها؛ فعاد الأبجر إلينا وماحلس حتى اندفع فغنى:

صوت

فبيني فإني لاأبالي وأيقني	أصعد باقي حبكم أم تصوبا

ألم تعلمي أني عزوف عن الهوى	إذا صاحبي من غير شيء تغضبا

فطرب الوليد وارتاح قال: أصبت ياعبيد والله مافي نفسي، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشرب حتى سكر، و لم يحظ بشيء أحد سوى الأبجر، فلما أيقنت بانقضاء المجلس وثبت فقلت: إن رأيت ياأمير المؤمنين أن تأمر من يضربني مائة الساعة بحضرتك فضحك وقال: قبحك الله ومالسبب في ذلك؟ فأخبرته بقصتي مع الرسول وقلت: إنه بدأني من المكروه في أول يومه بما اتصل علي إلى آخره، فأريد أن أضرب مائة ويضرب بعدي مثلها، فقال له: لقد لطفت، أعطوهو مائة دينار وأعطوا الرسول خمسين ديناراً من مالنا عوضاً عن الخمسين التي أراد أن يأخذها؛ فقبضتها وماحظي أحد بشيء غيري وغير الرسول. والشعر الذي غنى فيه الأبجر الولدي بن يزيد لعبد الرحمن بن الحكم أخي مروان بن الحكم، والغناء للأبجر ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لغيره عدة ألحان نسبت.

صوت من المائة المختارة

من رواية جحظة

حمزة المبتاع بالمال الثنا	ويرى في بيعه أن قد غبن

فهو إن أعطى عكاء فاضلاً	ذا إخاء لم يكدره بمن

وإذا ماسنة مجدبة	برت الناس كبري بالسفن

كان للناس ربيعاً مغدقاً	ساقط الأكناف إن راح ارجحن

نور شرق بين في وجهه	لم يصب أثوابه لون الدرن

عروضه من الرمل. الشعر لموسى شهوات. والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبار موسى شهوات ونسبه

وخبره في هذا الشعر

نسبه وسبب لقبه

هو موسى بن يسار مولى قريش، ويختلف في ولائه فيقال: إنه مولى بني سهم، ويقال: مولى بني تيم بن مره، ويقال: مولى بني عدي بن كعب؛ ويكنى أبا محمد، وشهوات لقبل غلب عليه.

وحدثني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال: إنما لقب موسى شهوات لأنه كان سؤولاً ملحفاً، فكان كلما رأى مع أحد شيئاً يعجبه من مال أو متاع أو ثوب أو فرس، تباكى، فإذا قيل له: مالك؟ قال: اشتهي هذا؛ فسمي موسى شهوات. قال: وذكر آخرون أنه كان من أهل أذربيحان وأنه نشأ بالمدينة وكان يجلب إليه القند والسكر، فقالت له امرأة من أهله: مايزال موسى يجيئنا بالشهوات؛ فغلبت عليه.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال: كان محمد بن يحيى يقول: موسى شهوات مولى بني عدي بن كعب، وليس ذاك بصحيح، هو مولى تيم بن مرة. وذكر عبد الله بن شبيب عن الحزامي: أنه مولى بني سهم.

وأخبرني وكيع عن أحمد بن أبي خيثمة عن مصعب ومحمد بن سلام قال: موسى شهوات مولى بني سهم

عشق جارية فأعطى بها عشرة آلاف

وأخبرني محمد نب الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: هوي موسى شهوات جارية فاستهيم بها وساوم مولاها فيها فاستام بها عشرة آلاف درهم، فجمع كل مايملكه واستماح إخوانه فبلغ أربعة آلاف درهم، فأتى إلى سعيد بن خالد العثماني فأخبره بحاله واستعان به، وكان صديقه وأوثق الناس عنده، فدافعه واعتل عليه فخرج من عنده؛ فلما ولي تمثل سعيد قول الشاعر:

كتبت إلي تستهدي الجواري ... لقد أنعظت من بلد بعيد

أتى سعيد بن خالد بن عبد الله بن أسيد يستعينه في ثمن الجارية فأعانه فمدحه: فأتى سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فأخبروه بقصته فأمر له بستة آلاف درهم، فلما قبضها ونهض قال له: اجلس، إذا ابتعتها بهذا المال وقد أنفدت كل ماتملك فبأي حالٍ تعيشان ثم دفع إليه ألفي درهم وكسوة وطيباً، وقال: أصلح بهذا شأنكما؛ فقال فيه:

أبا خالد أعني سعيد بن خالد ... أخا العرف لاأعني ابن بنت سعيد

ولكنني أعني ابن عائشة الذي ... أبو أبويه خالد بن أسيد

عقيد الندى ماعاش يرضى به الندى ... فإن مات لم يرض الندى بعقيد

دعوه دعوه إنكم قد رقدتم ... وماهو عن أحسابكم برقود

قتلت أناساً هكذا في جلودهم | من الغيظ لم تقتلهم بحديد

رأى سعيد بن خالد العثماني في مدحه لسميه الذي أعانه هجوا له فشكاه: قال: فشكاه العثماني إلى سليمان بن عبد الملك، فأحضر موسى وقال له: ياعاض كذا وكذا، أتهجو سعيد بن خالد فقال: والله ياأمير المؤمنين ماهجوته ولكني مدحت ابن عمه فغضب هو، ثم أخبره بالقصة؛ فقال للعثاني: قد صدق، إنما نسب من مدحه إلى أبيه ليعرف. قال: وكان سليمان إذا نظر إلى سعيد بن خالد بن عبد الله يقول: لعمري والله ماأنت عن أحسابنا برقود.

وأخبرني محمد بن عبد الله اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شسخ قال حدثنا مصعب بن عبد الله بهذا الحديث فذكر نحو ماذكر أبو عبيدة وقال فيه: وكان سعيد بن خالد هذا تأخذه الموتة في كل سنة، فأرادوا علاجه، فتكلمت صاحبته على لسانه وقالت: أنا كريمة بنت ملحان سيد الجن، وإن عالجتموه قتلتموه، فوالله لو وجدت أكرم منه لهويته.

أخبرني وكيع عن أبي حمزة أنس بن خالد الأنصاري عن قبيضة بن عمر بن حفص المهلبي عن أبي عبيدة قالك حدثني الحارث بن سليمان الهجيمي، -وهو أبو خالد بن الحارث المحدث-قال: وكان عنده رؤبة بن العجاج، قال: شهدت مجلس أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وأتاه سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان، فقال: ياأيمر المؤمنين، أتيتك مستعدياً، قال: ومن بك؟ قال: موسى شهوات، قال: وماله؟ قال: سمع بي واستطال في عرضي، فقال: ياغلام، علي بموسى فأتني به، فقال: ويلك أسمعت به واستطلت في عرضه؟ قال: مافعلت ياأمير المؤمنين ولكني مدحت ابن عمه فغضب هو، قال: وكيف ذلك؟ قال: علقت جارية لم يبلغ ثمنها جدتي، فأتيته وهو صديقي فشكوت إليه ذلك، فلم أصب عنده شيئاً، فأتيت ابن عمه سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فشكوت إليه ماشكوته إلى هذا، فقال: تعود إلي، فتركته ثلاثاً ثم أتيته فسهل من إذني، فلما استقر بي المجلس قال: ياغلام، قل لقيمتي: هاتي وديعتي، ففتح باباً بين بيتين وإذا بجارية، فقال ليك أهذه بغيتك؟ قلت: نعم فداك أبي وأمي قال: اجلس ثم قال: ياغلام، قل لقيمتي: هاتي ظبية نفقتي، فأتى بظبية فنثرت بين يديه فإذا فيها مائة دينار ليس في غيرها فردت الظبية، ثم قال: عتيدة طيبي، فأتى بها، فقال: ملحفة فراشي، فأتى بها، فصير مافي الظبية ومافي العتيدة في حواشي الملحفة، ثم قال: شأنك بهواك واستعن بهذا عليه؛ فقال له سليمان بن عبد الملك: فذلك حين تقول ماذا؟ قلت: ذكر طائفة من أبيات القصيدة التي مدح بها سعيد بن خالد:

أنا خالد أعني سعيد بن خالد | أخا العرف لاأعني ابن بنت سعيد
ولكنني أعني ابن عائشة الذي | أبو أبويه خالد بن أسيد
عقيد الندى ماعاش يرضى به الندى | فإن مات لم يرض الندى بعقيد
دعوه دعوه إنكم قد رقدتم | وماهو على أحسابكم برقود

فقال سليمان: علي ياغلام لسعيد بن خالد، فأتي به، فقال: أحق ماوصفك له موسى؟ قال: وماذاك ياأمير المؤمنين.؟ فأعاد عليه، فقال: قد كان ذلك ياأمير المؤمنين، قال: فما طوقتك هذه الأفعال؟ قال: دين ثلاثين ألف دينار؛ فقال: قد أمرت لك بمثلها وبمثلها وبمثلها وبثلث مثلها، فحملت إليه مائة ألف دينار"؛ قال: فلقي سعيد ين خالد بعد ذلك فقلت له: ما فعل المال الذي وصلك به سليمان؟ قال: ماأصبحت والله أملك منه إلا خمسين ديناراً؛ قلت: ماغتاله؟ قال: خلة من صديق أو فاقة من ذي رحم.

أخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن مصعب الزبيري ومحمد بن سلام قال: عشق موبى شهوات جارية بالمدينة فأعطى بها عشرة آلاف درهم؛ ثم ذكر باقي الحديث مثل حديث سليمان بن أبي شيخ؛ وقال وفيه: أما والله لئن مدحته وهو سميك وأبوه سمي أبيك و لم أفرق بينكما ليقولن للناس: أهذا أم هذا، ولكن والله لأقولن لايشك فيه. وتمام هذه الأبيات التي مدح بها سعيداً بعد الأربعة المذكورة منها:

فدى للكريم العبشمي ابن خالد ... بني ومالي طارفي وتليدي
على وجهه تلقى الأيامن واسمه ... وكل جواري طيره بسعود
أبان وما استغنى عن الثدي خيره ... أبان به في المهد قبل قعود
دعوه دعوه إنكم قد رقدتم ... وماهو عن أحسابكم برقود
ترى الجند والجناب يغشون بابه ... بحاجاتهم من سيد ومسود
فيعطي ولايعطى ويغشى ويجتدى ... ومابابه للمجتدي بسديد
قتلت أناساً هكذا في جلودهم ... من الغيظ لم تقتلهم بحديد
يعيشون ماعاشوا بغيظ وإن تحن ... مناياهم يوماً تحن بحقود
فقل لبغاة العرف قد مات خالد ... ومات الندى إلا فضول سعيد

قال وكيع في خبرة: أما قوله: " لاأعني ابن بنت سعيد" فإن أم سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان آمنة بنت سعيد بن العاصي، وعائشة أم عقيد الندى بنت عبد الله بن خلف الخواعية أخت الخزاعية أخت طلحة الطلحات، وأمها صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار بن قصي، وأم أبي عقيد الندى رملة بنت معاوية بن أبي سفيان.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال: لما أنشد موسى شهوات سليمان بن عبد الملك شعره في سعيد بن خالد قال له: اتفق اسماهما واسما أبويهما، فتخوفت أن يذهب شعري باطلاً ففرقت بينهما بأمهما، فأغضبه أن مدحت ابن عمه، فقال له سليمان: بلى والله لقد هجوته وماخفي علي ولكني لاأجد إليك سبيلاً، فأطلقه.

عمل شعراً في مدح حمزة

ابن عبد الله بن الزبير وقبل معبد أن يغنيه له ويكون عطاؤه بينهما:

أخبرني وكيع قال حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا محمد بن سلمة الثقفي قال: قال موسى شهوات لمعبد: أأمدح حمزة بن عبد الله بن الزبير بأبيات وتغني فيها ويكون مايعطينا بيني وبينك؟ قال: نعم؛ فقال موسى:

حمزة المبتاع بالمال الثنا ... ويرى في بيعه أن قد غبن
فهو إن أعطى عطاء فاضلاً ... ذا إخاء لم يكدره بمن
وإذا ماسنة مجحفة ... برت الناس كبرى بالسفن
حسرت عنه نقيا عرضه ... ذا بلاء عند مخناها حسن
نور صدق بين في وجهه ... لم يدنس ثوبه لون الدرن
كنت للناس ربيعاً مغدقاً ... ساقط الأكناف إن راح ارجحن

قال أحمد بن زهير: وأول قصيدة عن غير ابن سلام:

شاقني اليوم حبيب قد ظعن ... ففؤادي مستهام مرتهن
إن هنداً تيمتني حقبة" ... ثم بانت وهي للنفس شجن
فتنة الحقها الله بنا ... عائذ بالله من شر الفتن

عارض فاطمة بنت الحسين لما زفت

إلى عبد الله بن غعمرو بشعر فأجيز

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرني الطلحي قال أخبرني عبد الرحمن بن حماد عن عمران بن موبي بن طلحة قال: لما زفت فاطمة بنت الحسين رضوان الله عليه إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، عارضها موسى شهوات:

طلحة الخير جدكم ... ولخير الفواطم
أنت للطاهرات من ... فرع تيم وهاشم
أرتجيكم لنفعكم ... ولدفع المظالم

فأمر له بكسوة ودنانير وطيب.

هجا داود بن سليمان لما تزوج فاطمة بنت عبد الملك:

قال حدثنا الكراني قال حدثنا العتري عن العتبي قال: كانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز، فلما مات عنها تزوجها داود بن سليمان بن مروان وكان قبيح الوجه، فقال في ذلك موسى شهوات:

أبعد الأغر ابن عبد العزيز قريع قريش إذا يذكر

تزوجت داود مختاتة ألا ذلك الخلف الأعور

فكانت إذا سخطت عليه تقول: صدق والله موسى، إنك لأنت الخلف الأعور، فيشتمه داود.

مدح يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية فأجازه:

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن لقيط قال: أقام موسى شهوات ليزيد بن خالد بن معاوية على بابه بدمشق، وكان فتى" جواداً سمحاً، فلما ركب وثب إليه فأخذ بعنان دابته، ثم قال:

قم فصوت إذا أتيت دمشقاً: يايزيد بن خالد بن يزيد

يايزيد بن خالد إن تجبنبي يلقني طائري بنجم السعود

فأمر له بخمسة آلاف وكسوة، وقال له: كلما شئت فنادنا نجبك.

تزوج بنت داود ابن أبي حميدة فلما سئل عن جلوتها قال شعراً:

أخبرنا وكيع قال حدثني أحمد ين زهير قال حدثنا مصعب الزبيري قال: زوج موسى شهوات بنت موبى لمعن بن عبد الرحمن بن عوف يقال له: داود بن أبي حميدة، فلما جليت عليه قال داود: ماللجلوة؟ فأنشأ يقول:

تقول لي النساء غداة تجلى حميدة يافتى للجلاء

فقلت لهم سمرقند وبلخ ومابالصين من نعم وشاء

أبوها حاتم إن سيل خيراً وليث كريهة عند اللقاء

هجا أبا بكر بن عبد الرحمن

حين حكم عليه ومدح سعيد بن سليمان:

أخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب قال: قضى أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حويطب على موسى شهوات بقضية، وكان خالد بن عبد الملك استقضاه في أيام هشام بن عبد الملك، فقال موسى يهجوه:

وجدتك فها في القضاء مخلطاً — فقدتك من قاضٍ ومن متأمر

فدع عنط كاشيدته ذات رخة — أذى الناس لاتحسرهم كل محشر

ثم ولي القضاء سعيد بن سليمان ابن زيد بن ثابت الأنصاري، فقال يمدحه:

من سره الحكم صرفاً لامزاج له — من القضاة وعدل غير مغموز

فليأت دار سعيد الخير إن بها — أمضى على الحق من سيف ابن جرموز

هجاؤه سعد بن إبراهيم وإلى المدينة

قال: وكان سعد بن إبرايهم بن عبد الرحمن بن عوف، قد ولي المدينة واشتد على السفهاء والشرعاء والمغنين، ولحق موسى شهوات بعض ذلك منه، وكان قبيح الوجه، فقال موسى يهجوه:

قل لسعد وجه العجوز لقدكن — ت لما قد أوتيت سعداً مخيلاً

إن تكن ظالماً جهولاً فقد كا — ن أبوك الأدنى ظلوماً جهولاً

وقال يهجوه:

لعن الله والعباد ثطيط ال — وجه لايرتجى قبيح الجوار

يتقي الناس فحشه وإذاه — مثل مايتقون بول الحمار

لاتغرنك سجدة بين عيني — ه حذار منها ومنه حذار

إنها سجدة بها يخدع النا — س، عليها من سجدة بالدبار

مدح عبد الله بن عمرو بن عثمان

حين نفحه بعطية:

أخبرني عمي قال أخبرني ثعلب عن عبد الله بن شبيب قال:

ذكر الحزامي أن موسى شهوات سأل بعض آل الزبير حاجة" فدقعه عنه، وبلغ ذلك عبد الله بن عمرو بن

عثمان، فبعث إليه بما كان التمسه من الزبيري من غير مسألة؛ فوقف عليه موسى وهو جالس في المسجد، ثم أنشا قول:

ليس فيما بدا لما منك عيب عابه الناس غير أنك فاني

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لابقاء للإنسان

والشعر المذكور فيه الغناء

يقوله موسى شهوات في حمزة بن عبد الله بن الزبير، وكان فتى" كريماً جواداً على هوج كان فيه، وولاه أبوه العراقين وعزل مصعباً لما تزوج سكينة بنت الحسين رضي الله عنه وعائشة بنت طلحة وأمهر كل واحدة منهما ألف ألف درهم سبب عزل ابن الزبير لأخيه مصعب عن البصرة وتوليته ابنه حمزة: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ بن مصعب الزبيري، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة، وأخبرني عبيد الله بن محمد الرازي والحسين بن علي: قال عبيد الله حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني، وقال الحسين حدثنا الحارث بن أبي أسامة عن المدائني عن أبي مخنف: أن أنس بن زنيم الليثي كتب إلى عبد الله بن الزبير:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة" من ناصح لك لايريك خداعا

بضع الفتاة بألف ألف كاملٍ وتبيت قادات الجيوش جياعا

لو لأبي حفص أقول مقالتي وأبث مأبثثتكم لارتاعا

فلما وصلت الأبيات إليه جزع ثم قال: صدق والله، لو لأبي حفص يقول: إن مصعباً تزوج امرأتين بألفي ألف درهم لارتاع، إنا بعثنا مصعباً إلى العارق فأغمد سيفه وسل أيره وسنعزله، فدعا بابنه حمزة، وأمه بنت منظور بن زيان الفزاري وكان منه محل لطيف، فولاه البصرة وعزل مصعباً. فبلغ قوله عبد الملك في أخيه مصعب، فقال: لكن أبا حبيب أغمد سيفه وأيره وخيره.

عزل ابن الزبير ابنه حمزة لهوجه وحمقه وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال: هذه الأبيات لعبد الله بن همام السلولي.

قالوا جميعاً: فلما ولي ابنه حمزة البصرة أساء السيرة وخلط تخليطاً شديداً، وكان جواداً شجاعاً أهوج، فوفدت إلى أبيه الوفود في أمره، وكتب إليه الأحنف بأمره ومماينكره الناس منه وأنه يخشى أن تفسد عليه طاعتهم؛ فعزله عن البصرة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا المدائني قال: لما قدم حمزة بن عبد الله البصرة والياً عليها، وكان جواداً شجاعاً مخلطاً: يجود أحياناً حتى لايدع شيئاً يملكه إلا وهبه ويمنع أحياناً والايمنع من مثله، فظهرت منه بالبصرة

خفة وضعف. وركب يوماً إلى فيض البصرة، فلما رآه قال: إن هذا الغدير إن رفقوا به ليكفينهم صيفتهم هذه، فلما كان بعد ذلك ركب إليه فوافقه جازراً فقال: قد رأيته ذات يوم فظننت أن لن يكفيهم؛ فقال له الأحنف: إن هذا ماء يأتينا ثم يغيض عنا ثم يعود. وشخص إلى الأهواز فرأى جبلها، فقال: هذا قيقعان -وقيقعان: جبل بمكة- فلقب ذلك الجبل بقيقعان.

قال أبو زيد: وحدثني غير المدائني أنه سمع بذكر الجبل بالبصرة، فدعا بعامله فقال له: ابعث فأتنا بخراج الجبل؛ فقال له: إن الجبل ليس ببلد فأتيك بخراجه. وبعث إلى مردانشاه فاستحثه بالخراج فأبطأ به، فقام إليه بسيفه فقتله؛ فقال له الأحنف: ماأحد سيفك أيها الأمير! وهم بعبد العزيز بن شبيب بن خياط أن يضربه بالسياط؛ فكتب إلى الزبير بذلك وقال له: إذا كنت لك بالبصرة حاجة فاصرف ابنك عنها وأعد إليها مصعباً؛ ففعل ذلك. وقال بعض الشعراء يهجو حمزة ويعيبه بقوله في أمر الماء الذي رآه قد جزر:

يابن الزبير بعثت حمزة عاملاً ... ياليت حمزة كان خلف عمان

أزرى بدحلة حين عب عبابها ... وتقاذفت بزواخر الطوفان

نفار النوار من الفرزدق

والتجاؤها لابن الزبير وشفاعة الفرذق بابنه حمزة:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال:

خطب النوار ابنة أعين المجاشعية رجل من قومها، فجعلت أمرها إلى الفرزدق، وكان ابن عمهما دنية، ليزوجها منه، فأشهد عليها بذلك وبأن أمرها إليه شهوداً عدولاً؛ فلما أشهدهم على نفسها قال لهم الفرزدق: فإني أشهدكم أني قد تزوجتها، فمنعته النوار نفسها وخرجت إلى الحجاز إلى عبد الله بن الزبير، فاستجارت بامرأه بنت منظور بن زبان، وخرج الفرزدق فعاذ بابنه حمزة، وقال يمدحه:

ياحمز هل لك في ذي حاجةٍ، غرضت ... أنضاؤه بمكان غير ممطور

فأنت أولى قريش أن تكون لها ... وأنت بين أبي بكر ومنظور

فجعل أمر النوار يقوى وأمر الفرذدق يضعف؛ فقال الفرزدق في ذلك:

أمابنوه فلم تنفع شفاعتهم ... وشفعت بنت منظور بن زبانا

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزراً ... مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

فبلغ ابن الزبير شعره، ولقيه على باب المسجد وهو خارج منه فضغط حلقه حتى كاد يقتله، ثم خلاه وقال:

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزاً ... ولو رضيت رمح استه لاستقرت

ثم دخل إلى النوار فقال لها: إن شئت فرقت بينك وبينه ثم ضربت عنقه فلا يهجونا أبداً، وأن شئت أمضيت نكاحه فهو ابن عمك وأقرب الناس إليك، وكانت امرأة" صالحة"، فقالت: أوما غير هذا؟ قال: لا؛ قالت: ماأحب أن يقتل ولكني أمضي أمره فلعل الله أن يجعل في كرهي إياه خيراً؛ فمضت إليه خيراً؛ فمضيت إليه وخرجت معه إلى البصرة.

غنى معبد حمزة بشعره فأجازه أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه الزبيري: أن حمزة بن عبد الله كان جواداً، فدخل إليه معبد يوماً قد أرسله ابن قطن مولاه يقترض له من حمزة ألف دينار فأعطاه ألف دينار، فلما خرج من عنده قيل له: هذا عبد ابن قطن وهو يروي فيك شعر موسى شهوات فيحسن روايته، فأمر برده فرد، وقال له ماحكاه القوم عنه، فغناه معبد الصوت فأعطاه أربعين ديناراً؛ ولما كان بعد ذلك رد ابن قطن عليه المال فلم يقبله، وقال له: إنه إذا خرج عني مال لم يعد إلى ملكي. وقد روي أن الداخل على حمزة والمخاطب في أمره بهذه المخاطبة لابن سريج، وليس ذلك بثبت، هذا هو الصحيح، والغناء لمعبد. أنشد حمزة بن عبد الله شعراً وغناه إياه معبد فأجازهما: أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة عن محمد بن يحيى الغساني: أن موسى شهوات أملق، فقال لمعبد: قد قلت في حمزة بن عبد الله شعراً فغن فيه حتى يكون أجزل لصلتنا؛ ففعل ذلك معلد وغنى في هذه الأبيات، ثم دخلا على حمزة فأنشده إياها موسى ثم غناه فيها معبد، فأمر لكل واحد منهما بمائتي دينار.

كان من شعراء الحجاز

وكان خلفاء بني أمية يحسنون إليه:

أخبرني محمد بن خلف بن المزربان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عبد الله عن عبد الله بن عياش قال: كان موسى شهوات مولى لسليمان بن أبي خيثمة بن حذيفة العدوي، وكان شاعراً من شعراء أهل الحجاز، وكان الخلفاء من بني أمية يحسنون إليه ويدرون عطاءه وتجيئه صلاتهم إلى الحجاز.

هجا داود بن سليمان بن مروان

الذي تزوج فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة روجها عمر بن عبد العزي:

وكانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز، فلما مات عنها تزوجها داود بن سليمان بن مروان وكان دميماً قبيحاً، فقال موسى شهوات في ذلك:

أبعد الأغر ابن عبد العزي ... قريع قريش إذا يذكر

تزوجنت داود مختارة ... إلا ذلك الخلف الأعور

فغلب عليه في بني مروان، فكان يقال له: الخلف الأعور

صوت من المائة المختارة

عوجاً خليلي على المحضر والربع من سلامة المقفر
عوجاً به فاستنطقاه فقد ذكرني ما كنت لم أذكر
ذكرني سلمى وأيامها إذ جاورتنا بلوى عسجر
بالربع من ودان مبدا لنا ومحوراً تناهيك من محور
في محضر كنا به نلتقي ياحبذا ذلك من محضر
إذ نحن والحي به جيرة فيما مضى من سالف الأعصر

الشعر للوليد بن يزيد، وقيل: إنه لعمر بن أبي ربيعة، وقيل: إنه للعرجي، وهو الوليد صحيح، والغناء واللحن المختار لابن سريج خفيف رمل بالبنصر في مجراها، وفيه لشارية خفيف رمل آخر عن ابن المعتز، وذكر الهشامي أن فيه لحكم الوداي خفيف رملٍ أيضاً.

عتب عمرو بن عثمان على زوجه

سكينة بنت الحسين فأرسلت إليه أشعب:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني قال: كان زيد بن عمرو بن عثمان قد تزوج سكينة بنت الحسن رضي تعالى عنه، فعتب عليها يوماً، فخرج إلى مال له، فذكر أشعب أن سكينة دعته فقالت له: إن ابن عثمان خرج عاتباً فاعلم له حاله، قلت: لاأستطيع أن أذهب إليه الساعة، فقال ت: أنا أعطيك ثلاثين ديناراً، فأعطتني إياها فأتيته ليلاً دخلت الدار، فقال: انظروا من في الدار، فأتوه فقالوا: أشعب، فنزل عن فرشه وصار إلى الأرض فقال: أشعيب؟ قلت: نعم، قال: ماجاء بك؟ قلت: أرسلتني سكينة لأعلم خبرك، أتذكرت منها ماتذكرت منك؟ وأنا أعلم أنك قد فعلت حين نزلت عن فرشك وصرت إلى الأرض، قال: دعني من هذا وغنني:

عوجاً به فاستنطقاه فقد ذكرني ما كنت لم أذكر

فغنيته فلم يطرب، ثم قال: غنني ويحك غي رهذا، فإن أصبت مافي نفسي فلك حليتي هذه وقد اشتريتها آنفاً بثلثمائة دينا، فغنيته: صوت

علق القلب بعض ماقد شجاه من حبيب أمسى موانا هواه
ماضراري نفسي بهجران من لي س مسيئاً ولابعيد نواه
واجتنابي بيت الحبيب ومااللخ د بأشهى إلي منأن أراه

فقال: ما عدوت ما في نفسي، خذ الحلة، فأخذها ورجعت إلى سكينة فقصصت عليها القصة، فقالت: وأين الحلة؟ قلت: معي، فقالت: وأنت الآن تريد أن تلبس حلة ابن عثمان لا والله ولا كرامة فقلت: قد أعطانيها، فأي شيء تريدين مني فقالت: أنا اشتريها منك، فبعتها إياها بثلثمائة دينار الشعر المذكور في هذا الخبر لعمر ابن أبي ربيعة، والغناء للدرامي خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى، وذكر عمرو بن بانة أنه للهذلي، وفيه لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى غاضب رجل جارية كان يهزاها فغنت مغنية من شعره فاصطلحا: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن أبيه أن رجلاً كانت له جارية يهواها وتهواه فغاضبها يوماً وتمادى ذلك بينهما، واتفق أن مغنية دخلت فغنتهما:

ما ضراري نفسي بهجران من لي س مسيئاً ولا بعيداً نواه

فقالت الجارية: لا شيء والله إلا الحمق، ثم قامت إلى مولاها فقبلت رأسه واصطلحا.

صوت من المائة المختارة

يا ويح نفسي لو أنه أقصر ما كان عيشي كما أرى أكدر
يا من عديري ممن كلفت به يشهد قلبي بأنه يسحر
يا رب يوم رأيتني مرحاً آخذ في اللهو مسبل المئزر
بين ندامى تحث كأسهم عليهم كف شادن أحور

الشعر لأبي العتاهية والغناء لفريدة

خفيف رمل بالبنصر.

الجزء الرابع

ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره

سوى ما كان منها مع عتبة، فإنه لكثرة الصنعة في تشبيبه بها، وأنها اتسعت جداً فلم يصلح ذكرها هنا، لئلا تنقطع المائة الصوت المختارة، وهي تذكر في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

اسمه ولقبه وكنيته ونشأته

أبو العتاهية لقب غلب عليه. واسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، مولى عنزة، وكنيته أبو إسحاق، وأمه أم زيد بنت زياد المحاربي مولى بني زهرة؛ وفي ذلك يقول أبو قابوس النصراني وقد بلغه أن أبا العتاهية فضل عليه العتابي:

قل للمكني نفسه ... متخيراً بعتاهية

والمرسل الكلم القبي ... ح وعته أذن واعية

إن كنت سرا سؤتني ... أو كان ذاك علانية

فعليك لعنة ذي الجلا ... ل وأم زيد زانية

مناحيه الشعرية

ومنشؤه بالكوفة. وكان في أول أمره يتخنث ويحمل زاملة المخنثين، ثم كان يبيع الفخار بالكوفة، ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدم. ويقال: أطبع الناس بشار والسيد أبو العتاهية. وما قدر أحد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته. وكان غزير البحر، لطيف المعاني، سهل الألفاظ، كثير الافتنان، قليل التكلف، إلا إنه كثير الساقط المرذول مع ذلك. وأكثر شعره في الزهد والأمثال. وكان قوم من أهل عصره ينسبونه إلى الوقل بمذهب الفاسفة ممن لا يؤمن بالبعث، ويحتجون بأن شعره إنما هو في ذكر الموت والفناس دون ذكر النشور والمعاد. وله أوزان طريفة قالها مما لم يتقدمه الأوائل فيها. وكان أبخل الناس مع يساره وكثرة ما جمعه من الأموال.

سبب كنيته

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال أخبرني محمد بن موسى بن حماد قال: قال المهدي بن يحيى الصولي قال أخبرني محمد بن موسى بن حماد قال: قال المهدي يوما" لأبي العتاهية: أنت إنسان متحذلق مهته. فاستوت له من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته، وسارت له في الناس. قال: ويقال للرجل المتحذلق: عتاهية، كما يقال للرجل الطويل: شناحية. ويقال: أبو عتاهية، بإسقاط الألف واللام.

قال محمد بن يحيى وأخبرني محمد بن موسى قال أخبرني ميمون بن هارون عن بعض مشايخه قال: كني بأبي العتاهية إن كان يحب الشهرة والمجون والتعته.

وبلده الكوفة وبلد آبائه

وبها مولده ومنشؤه وباديته.

يقول ابنه إنها من عترة: قال محمد بن سلامك: وكان محمد بن أبي العتاهية يذكر أن أصلهم من عترة، وأن جدهم كيسان كان من أهل عين التمر، فلما غزاها خالد نب الوليد كان كيسان جدهم هذا يتيما" صغيرا" يكفله قرابة له من نعترة، فسباه خالد مع جماعة صبيان من أهلها، فوجه بهم إلى أبي بكر، فوصلوا إليه وبحضرته عباد بن رفاعة العتري بن أسد بن ربيعة بن نزار، فجعل أبو بكر رضي الله عنه يسأل الصبيان عن أنسابهم فيخبره كل واحد بمبلغ معرفته، حتى سأل كيسان، فذكر له أنهخ من عترة. فلما سمعه عبد يقول ذلك استوهبه من أبي بكر رضي الله عنه، وقد كان خالصا" له، فوهبه له؛ فأعتقه، فتولى عترة.

استعداؤه مندل بن علي وأخاه علي سبه بأنه نبطي: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العتري قال حدثنا أحمد بن الحجاج الجلاني الكوفي قال حدثني أبو دذيل مصعب بن دؤيل الجلاني، قال: لم أر قط مندل بن علي العتري وأخاه حيان بن علي غضبا من شيء قط إلا يوما" واحدا"، دخل عليهما أبو العتاهية وهو مضمخ بالدماء. فقالا له: ويحك ما بالك؟ فقال لهما: من أنا؟ فقالا له: أنت أخونا وابن عمنا ومولانا. فقال: إن فلانا" الجزار قتلني وضربني وزعم أني نبطي، فإن كنت نبطيا" هربت على وجهي، وإلا فقوما فخذا لي بحقي. فقام معه مندل بن علي وما تعلق نعله غضبا"؛ وقال له: والله لو كان حقك على عيسى بن موسى لأخذته لك منه؛ ومر معه حافيا" حتى أخذ له بحقه.

أخبرني الصولي قال حدثنا محمد بن موسى عن الحسن بن علي عن عمر بن معاوية عن جبارة بن المغلي الحماني قال: أبو العتاهية مولى عطاء بن محجن العتري.

أبو العتاهية وصنعة أهله أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال قال أبو عون أحمد بن المنجم أخبرني خيار الكاتب قال: كان أبو العتاهية وإبراهيم الموصلي من أهل المذار جميعا"، وكان أبو العتاهية وأهله يعملون الجرار الخضر، فقدما إلى بغداد ثم افترقا؛ فترل إبراهيم الموصلي ببغداد، ونزل أبو العتاهية الحيرة. وذكر عن الرياشي أنه قال مثل ذلك، وأن أبا العتاهية نقله إلى الكوفة.

قال محمد بن موسى: فولاء أبي العتاهية من قبل أبيه لعنزة، ومن قبل أمه لبني زهرة، ثم لمحمد بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وكانت أمه مولاة لهم، تقال لها أم زيد.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن مهروية؛ قال قال الخليل بن أسد: كان أبو العتاهية يأتينا فيستأذن ويقول: أبو إسحاق الخزاف. وكان أبوه حجاما" من أهل ورجة؛ ولذلك يقول أبو العتاهية:

ألا إنما التقوى هو العز والكرم ... وحبك للدنيا هو الفقر والعدم

وليس على عبد قتي تقيصة ... إذا صحح التقوى وإن حاك أو حجم

فاخره رجل من كنانة فقال شعرا"

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الغلابي قال حدثنا محمد بن أبي العتاهية قال: جاذب رجل من كنانة أبا العتاهية في شيء، ففخر عليه الكناني واستطال بقوم من أهله؛ فقال أبو العتاهيه:

دعني من ذكر أب وجد ... ونسبٍ يعليك سور المجد

ما الفخر إلا في التقى والزهد ... وطاعة تعطى جنان الخلد

لابد من ورد لأهل الورد ... إما إلى ضحلٍ وغما عد

آراؤه الدينية

حدثني الصولي قال حدثنا محمد بن موسى عن أحمد بن حرب قال: كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد، وأن الله خلق جوهرين متضادين لامن شيء، ثم إنه بني العالم هذه البنية منهما، وأن العالم حديث العين والصنعه لامحدث له إلا الله. وكان يزعم أن الله سيرد كل شيء إلى الجوهرين المتضادين قبل أن تفنى الأعيان جميعا".

وكان يذهب إلى أن المعارف واقعة بقدر الفكر والاستدلال والبحث طباعا". وكان يقول بالوعيد وبتحريم المكاسب، ويتشيع بمذهب الزيدية البترية المبتدعة، لا ينتقص أحدا" ولا يرى مع ذلك الخروج على السلطان.

وكان مجبرا" مناظرته لثمامة بن أشرس في العقائد بين يدي المأمون: قال الصولي: فحدثني يموت بن المزرع قال حدثني الجاحظ قال قال أبو العتاهية لثمامة بين يدي المأمون وكان كثيرا" ما يعارضه بقوله في الإجبار-: أسألك عن مسالة. فقال له المأمون: عليك بشعرك. فقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في مسألته ويأمره بإجابتي! فقال له: أجبه إذا سألك. فقال: أنا أقول: إن كل ما فعله العباد من خير وشر فهو من الله، وأنت تأبى ذلك، فمن حرك يدي هذه؟ وجعل أبو العتاهية يحركها. فقال له ثمامة: حركها من أمه زانية. فقال: شتمني والله يا أمير المؤمنين. فقال ثمامة: ناقض الماص بظر أمه والله يا أمير المؤمنين! فضحك المأمون وقال له: ألم أقل لك أن تشتغل

بشعرك وتدع ما ليس من عملك! قال ثمامة: فلقيني بعد ذلك فقال لي: يا أبا معن، أما أغناك الجواب عن السفه؟! فقلت: إن من أتم الكلام ما قطع الحجة، وعاقب على الإساءة وشفى من الغيظ، وانتصر من الجاهل.
قال محمد بن يحيى وحدثني عون بن محمد الكندي قال: سمعت العباس بن رستم يقول: كان أبو العتاهية مذبذبا" في مذهبه: يعتقد شيئا"، فإذا سمع طاعنا" عليه ترك اعتقاده إياه وأخذ غيره خبره مع المخنثين حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني ابن أبي الدنيا قال حدثني الحسين بن عبد ربه قال حدثني علي بن عبيدة الريحاني قال حدثني أبو الشمقمق: أنه رأس أبا العتاهية يحمل زاملة المخنثين، فقلت له: أمثلك يضع نفسه هذا الموضع مع سنك وشعرك وقدرك؟ فقال له: أريد أن أتعلم كيادهم، وأتحفظ كلامهم.
محاورته بشر بن المعتمر أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: ذكر أحمد بن إبراهيم ين إسماعيل أن بشر بن المعتمر قال يوما" لأبي العتاهية: بلغني أنك لما نسكت جلست تحجم اليتامى والفقراء للسبيل، أكذلك كان؟ قال نعم. قال له: فما أردت بذلك؟ قال: أردت أن أضع من نفسي حسبما رفعتني الدنيا، وأضع منها ليسقط عنها الكبر، واكتسب بما فعلته الثواب، وكنت أحجم اليتامى والفقراء خاصة. فقال له بشر: دعني من تذليلك نفسي بالحجامة؛ فإنه ليس بحجة لك أن تؤديها وتصلحها لما لعلك تفسد به أمر غيرك؛ أحب أن تخبرني هل كنت تعرف الوقت الذي كان يحتاج فيه من تحدجمه إلى إخراج الدم؟ قال: لا. قال: هل كنت تعرف مقدار ما يحتاج كل واحد منهم إلى أن يخرجه على قدر طبعه، مما إذا زدت فيه أو نقصت منه ضر المحجوم؟ قال لا. قال: فما أراك إلا أردت أن تتعلم الحجامة على أقفاء اليتامى والمساكين! أراد حمدوية صاحب الزنادقة أخذه فتستر بالحجامة: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا أبو ذكوان قال حدثنا العباس بن رستم قال: كان حمدوية صاحب الزنادقة قد أراد أن يأخذ أبا العتاهية، ففزع من ذلك وقعد حجاما".

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال قال أبو دعامة علي بن يزيد: أخبر يحيى بن خالد أن أبا العتاهية قد نسك، وأنه جلس يحجم الناس للأجر تواضعا" بذلك. فقال: ألم يكن يبيع الجرار قبل ذلك؟ فقيل له بلى. فقال: أما في بيع الجرار من الذل ما يكفيه يستغني به عن الحجامة! سئل عن خلق القرآن فأجاب أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني شيخ من مشايخنا قال حدثني أبو شعيب صاحب ابن أبي دواد قال: قلت لأبي العتاهية: القرآن عندك مخلوق أم غير مخلوق؟ فقال: أسألتني عن الله أم عن غير الله؟ قلت: عن غير الله، فأمسك. وأعدت عليه فأجابني هذا الجواب، حتى فعل ذلك مرارا". فقلت له: مالك لا تجيبني؟ قال: قد أجبتك ولكنك حمار

أوصافه وصناعته

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا شيخ من مشايخنا قال حدثني محمد بن موسى قال: كان أبو العتاهية قضيفا"، أبيض اللون، أسود الشعر، له وفرة جعدة، وهيئة حسنة ولباقة وحصافة، وكان له عبيد من السودان، ولأخيه زيد أيضا" عبيد منهم يعملون الخزف في أتون لهم؛ فإذا اجتمع منه شيء ألقوه على أجبر لهم يقال له أبو عباد اليزيد من أهل طاق الجرار بالكوفة، فيبيعه على يديه ويرد فضله إليهم. وقيل: بل كان يفعل ذلك أخوه زيد لا هو؛ وشئل عن ذلك فقال: أنا جرار القوافي، وأخي جرار التجارة.

قال محمد بن موسى: وحدثني عبد الله بن محمد قال حدثني عبد الحميد بن سريع مولى بن عجل قال: أنا رأيت أبا العتاهية وهو جرار يأتيه الأحداث والمتأدبون فينشدهم أشعاره، فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبونها فيها.

كان يشتم أبا قابوس ويفضل عليه العتابي

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال: لما هاجى أبو قابوس النصراني كلثوم بن عمرو العتابي، جعل أبو العتاهية يشتم أبا قابوس وضع منه؛ ويفضل العتابي عليه؛ فبلغه ذلك فقال فيه:

قل للكنى نفسه متخيرا "بعتاهية

والمرسل الكلم القبي ح وعته أذن واعية

إن كنت سرا" سؤتني أو كان ذاك علانيه

فعليك لعنة ذي الجلا ل وأم زيد زانية

-يعني أم أبي العتاهية، وهي أم زيد بنت زياد-فقيل له: أشتم مسلما"؟ فقال: لم أشتمه، وإنما قلت:

فعليك لعنة ذي الجلا ل ومن عنينا زانية

هجاء والية بن الحباب: قال: وفيه يقول والية بن الحباب وكان يهاجي:

كان فينا يكنى أبا إسحاق وبها الركب سار في الآفاق

فتكنى معتوهنا بعتاه يالها كنية أنت باتفاق

خلق الله لحية لك لاتن فك معقودة بداء الحلاق

قصته مع النوشجاني

أخبرنا محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا النوشجاني قال: أتاني البواب يوما" فقال لي: أبو إسحاق الخزاف بالباب؛ فقلت: ائذن له، فإذا أبو العتاهية قد دخل. فوضعت بين يديه قنو موز؛ فقال: قد صرت تقتل العلماء بالموز، قتلت أبا عبيدة بالموز، وتريد أن تقتلني به لا والله لا أذوقه. قال: فحدثني

عروة بن وسف الثقفي قال: رأيت أبا عبيده قد خرج من دار النوشجاني في شق محمل مسجى، إلا أنه حي، وعند رأسه قنو موز وعند رجليه قنو موز آخر، يذهب به إلى أهله. فقال النوشجاني وغيره: لما دخلنا عليه نعوده قلنا: ما سبب علتك؟ قال: هذا النوشجاني جاءني بموز كأنه أيور المساكين، فأكثرت منه، فكان سبب علتي.

قال: ومات في تلك العلة.

رأي مصعب بن عبد الله في شعره

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال: سمعت مصعب بن عبد الله يقول: أبو العتاهية أشعر الناس. فقلت له: بأي شيء استحق ذلك عندك؟ فقال: بقوله:

تعلقت بآمال طوال أي آمال
وأقبلت على الدنيا ملحا أي إقبال
أيا هذا تجهز ل فراق الأهل والمال
فلا بد من الموت على حال من الحال

ثم قال مصعب: هذا كلام سهل حق لا حشو فيه ولا نقصان، يعرفه العاقل ويقر به الجاهل.

استحسان الأصمعي لشعره أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال: سمعت الأصمعي يستحسن قول أبي العتاهية:

أنت ما استغنيت عن صا حبك الدهر أخوه
فإذا احتجت إليه ساعة" مجك فوه.

قول سلم الخاسر هو أشعر الجن والإنس حدثنا محمد بن العباس اليزيدي إملاء قال حدثني عمي الفضل بن محمد قال حدثني موسى بن صالح الشهرزوري قال: أتيت سلما الخاسر فقلت له: أنشدني لنفسك. قال: ولكن أنشدك لأشعر الجن والإنس، لأبي العتاهية، ثم أنشدني قوله: صوت

سكن يبقى له سكن ما بهذا يؤذن الزمن
نحن في دار يخبرنا ببلاها ناطق لسن
دار سوء لم يدم فرح لامرئٍ فيها ولا حزن
في سبيل الله أنفسنا كلنا بالموت مرتهن
كل نفس عند ميتتها حظها من مالها الكفن
إن مال المرء ليس له منه إلا ذكره الحسن

فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني رجل من أهل البصرة أنسيت اسمه، قال حدثني حمدون بن زيد قال حدثني رجاء بن مسلمة قال: قلت لسلم الخاسر: من أشعر الناس؟ فقال: إن شئت أخبرتك بأشعر الجن والإنس. فقلت: إنما أسألك عن الإنس، فإن زدتني الجن فقد أحسنت. فقال: أشعرهم الذي يقول:

سكن يبقى له سكن ... ما بهذا يؤذن الزمن

قال: والشعر لأبي العتاهية.

ثناء جعفر بن يحيى على شعره حدثني اليزيدي قال حدثني محمد بن موسى قال حدثني جعفر بن النصر الواسطي الضرير قال حدثني محمد بن شيرويه الأنماطي قال: قلت لداود بن زيد بن زرين الشاعر: من أشعر هل زمانه؟ قال: أبو نواس. قلت: فما تقول في أبي العتاهية؟ فقال: أبو العتاهية أشعر الأنس والجن.

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن موسى قال قال الزبير بن بكار: أخبرني إبراهيم بن المنذر عن الضحاك، قال: قال عبد الله بن عبد العزيز العمري: أشعر الناس أبو العتاهية حيث يقول:

ماضر من جعل التراب مهاده ... ألا ينام على الحرير إذا قنع

صدق والله وأحسن.

مهارته في الشعر وحديثه عن نفسه في ذلك حدثني الصولي قال حدثني محمد بن موسى قال حدثني أحمد بن حرب قال حدثني المعلى بن عثمان قال: قيل لأبي العتاهية: كيف تقول الشعر؟ قال: ما أردته قط إلا مثل لي، فأقول ما أريد وأترك ما لا أريد.

أخبرني ابن عمار قال حدثني ابن مهروية قال حدثني روح بن الفرج الرمازي قال: جلست إلى أبي العتاهية فسمعته يقول: لو شئت أن أجعل كلامي كله شعرا" لفعلت.

حدثنا الصولي قال حدثنا العتري قال حدثنا أبو عكرمة قال: قال محمد بن أبي العتاهية: سئل أبي: هل تعرف العروض؟ فقال: أنات أكبر من العروض. وله أوزان لا تدخل في العروض.

نظم شعرا" للرشيد وهو مريض فأبلغه الفضل وقر به الرشيد: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا العتري. قال حدثنا أبو عكرمة قال: حم الرشيد، فصار أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع برقعة فيها:

لو علم الناس كيف أنت لهم ... ماتوا إذا ما ألمت أجمعهم

خليفة الله أنت ترجح بالناس إذا ما وزنت أنت وهم

قد علم الناس أن وجهك يس ... تغني إذا ما رآه معدمهم

فأنشدها الفضل بن الربيع الرشيد؛ فأمر بإحضار أبي العتاهية، فمازال يسامره ويحدثه إلى أن برى، ووصل إليه بذلك السبب مال جليل.

إعجاب ابن الأعرابي به وإفحامه من تنقص شعره: قال: و لم؟ قال: لأنه شعر ضعيف. فقال ابن الأعرابي - وكان أحد الناس-: الضعيف والله عقلك لا شعر أبي العتاهية، ألأبي العتاهية تقول: إنه ضعيف الشعر! فوا لله ما رأيت شاعرا" قط أطبع ولا أقدر على بيت منه، وما أحسب مذهبه إلا ضربا" من السحر، ثم أنشد له:

قطعت منك حبائل الآمال وحططت عن ظهر المطي رحالي

ووجدت برد اليأس بين جوانحي فأرحت من حل ومن ترحال

يأيها البطر الذي هو من غد في قبره متمزق الأوصال

حذف المنى عنه المشمر في الهى وأرى مناك طويلة الأذيال

حيل ابن آدم في الأمور كثيرة و الوقت يقطع حيلة المحتال

قست السؤال فكان أعظم قيمة" من كل عافه جرت بسؤال

فإذا ابتليت ببذل وجهك سائلا" فابذله للمتكرم المفضال

وإذا خشيت تعذرا" في بلدة فاشدد يديك بعاجل الترحال

واصبر على غير الزمان فإنما فرج الشدائد فقال حل عقال.

ثم قال للرجل: هل تعرف أحدا" يحسن أن يقول مثل هذا الشعر؟ فقال له الرجل: يا أبا عبد الله، جعلني الله فداءك! إني لم أردد عليك ما قلت، ولكن الزهد مذهب أبي العتاهية، وشعره في المديح ليس كشعره في الزهد. فقال: أفليس الذي يقول في المديح:

وهارون ماء المزن يشفي به الصدى إذا ما لصدى بالريق غصت حناجره

وأوسط بيت في قريش لبيته وأول عز في قريش وآخره

وزحف له تحكي البروق سيوفه وتحكي الرعود القاصفات حوافره

إذا حميت شمس النهار تضاحكت إلى الشمس فيه بيضة ومغافره

إذا نكب الإسلام يوما" بنكبة فهارون من بين البرية ثائره

ومن ذا يفوت الموت والموت مدرك كذا لم يفت هارون ضد ينافره

قال: فتخلص الرجل من شر ابن الأعرابي بأن قال له: القول كما قلت، وما كنت سمعت له مثل هذين الشعرين، وكتبهما عنه.

قال أبو نواس لست أشعر الناس وهو حي حدثني محمد قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني ابن الأعرابي

المنجم قال حدثني هارون بن سعدان بن الحارث مولى عبد قال: حضرت أبا نواس في مجلس وأنشد شعرا". فقال له: من حضر في المجلس: أن أشعر الناس. قال: أما والشيخ حي فلا. "يعني أبا العتاهية"

أنشد لثمامة شعره في ذم البخل

فاعترض على بخله فأجابه:

أخبرني يحيى بن علي إجازة قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني الحسين بن أبي السري قال: قال ثمامة بن أشرس أنشدني أبو العتاهية:

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه ... تملكه المال الذي هو مالكه

ألا إنما مالي الذي أنا منفق ... وليس لي المال الذي أنا تاركه

إذا كنت ذا مال فبادر به الذي ... يحق وإلا استهلكته مهالكه

فقلت له: من أين قضيت بهذا؟ فقال: من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت". فقلت له: أتؤمن بأن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه الحق؟ قال نعم. قلت: فلم تحبس عندك سبعا" وعشرين بدرة في دارك، ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكي ولا تقدمها ذخرا" ليوم فقرك وفاقتك؟ فقال: يا أبا معن، والله إن ما قلت لهو الحق، ولكني أخاف الفقر والحاجة إلى الناس. فقلت: وبم تزيد حال من افتقر على حالك وأنت دائم الحرص دائم الجمع شحيح على نفسك لا تشتري اللحم إلا من عيد إلى عيد؟! فترك جواب كلامي كله، ثم قال لي: والله لقد اشتريت في يوم عاشوراء لحما" وتوابله ومايتبعه بخمسة دراهم. فلما قال لي هذا القول أضحكني حتى أذهلني عن جوابه ومعاتبته، فأمسكت عنه وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للإسلام.

بخله، ونوادر مختلفة في ذلك أخبرني يحيى بن علي إجازة قال حدثني علي بن المهدي قال قال الجاحظ: حدثني ثمامة قال: دخلت يوما" إلى أبي العتاهية فإذا هو يأكل خبزا" بلا شيء. فقلت: كأنك رأيته يأكل خبزا" وحده؛ قال: لا! ولكنه رأيته يتأدم بلا شيء. فقلت: وكيف ذلك؟ فقال: رأيت قدامه خبزا" يابسا" من رقاق فطير وقدحا" فيه لبن حليب، فكان يأخذ القطعة من الخبز فيغمسها من اللبن ويخرجها و لم تتعلق منه بقليل ولا كثير؛ فقلت له: كأنك اشتهيت أن تتأدم بلا شيء، وما رأين أحد قبلك تأدم بلا شيء.

قال الجاحظ: وزعم لي بعض أصحابنا قال: دخلت على أبي العتاهية في بعض المنتزهات، وقد دعا عياشا" صاحب الجس وتهيأ له بطعام، وقال لغلامه: إذا وضعت قدامهم الغداء فقدم إلي ثريدة بخل وزيت. فدخلت عليه، وإذا هو يأكل منها أكل متكمش غير منكر لشيء. فدعاني فمددت يدي معه، فإذا بثريدة بخل وبزر بدلا"

من الزيت، فقلت له: أتدري ما تأكل؟ قال: نعم ثريدة بخل وبزر. فقلت: وما دعاك إلى هذا؟ قال: غلط الغلام بين دبة الزيت ودبة البزر، فلما جاءني كرهت التجبر وقلت: دهن كدهن، فأكلت وما أنكرت شيئا" أخبرني يحيى بن علي قال حدثني علي بن مهدي قال حدثنا عبد والله بن عطية الكوفي قال حدثنا محمد بن عيسى الخزيمي، وكان جار أبي العتاهية، قال: كان لأبي العتاهية جار يلتقط النوى ضعيف سيء الحال متجمل عليه ثياب فكان يمر بأبي العتاهية طرفي النهار؛ فيقول أبو العتاهية: اللهم أغنه عما هو بسبيله، شيخ ضعيف سيء الحال عليه ثياب متجمل، اللهم أعنه، اصنع له، بارك فيه. فبقي على هذا إلى أن مات الشيخ نحوا" من عشرين سنة. ووالله إن تصدق عليه بدرهم ولا دانق قط، وما زاد على الدعاء شيئا". فقلت له يوما": يا أبا إسحاق إني أراك تطثر الدعاء لهذا الشيخ وتزعم أنه فقير مقل، فلم لا تتصدق عليه بشيء؟ فقال: أخشى أن يعتاد الصدقة، والصدقة آخر كسب العيد، وإن في الدعاء لخيرا" كثيرا" قال محمد بن عيسى الخزيمي هذا: وكان لأبي العتاهية خادم أسود طويل كأنه محراك أتو، وكان يجري عليه في كل يويم رغيفين. فجاءني الخادم يوما" فقال لي: والله مااشبع. فقلت: وكيف ذاك؟ قال: لأني ماأفتر من الكد وهو يجري على رغيفين بغير إدام. فإن رأيت أن تكلمه حتى يزيدني رغيفا" فتؤجر! فوعدته بذلك. فلما جلست معه مر بنا الخادم فكرهت إعلامه أنه شكاإلي ذلك، فقلت له: يا أباإسحاق، كم تجري على هذا الخادم في كل يوم؟ قال رغيفين. فقلت به: من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير، وكل من أعطى نفسه شهوتها هلك، وهذا خادم يدخل إلى حرمي وبناتي، فإن لم أعوده القناعة والاقتصاد أهلكني وأهلك عيالي ومالي. فمات الخادم بع ذلك فكفته في إزار وفراش له خلق. فقلت له: سبحان اله! خادم قديم الحرمة طويل الخدمة وأجب الحق، تكفنه في خلق، وإنما يكفيك له كفن بدينارين! فقال: غنه يصير إلى البلى، والحي أولى بالجديد من الميت. فقلت له: يرحمك الله أبا إسحا! فلقد عودته الاقتصاد حيا" وميتا".

قال محمد بن عيسى هذا: وقف عليه ذات يوم سائل من العيارين الظرفاء وجماعة من جيرانه حوله، فسأله من بين الجيران؛ فقال: صنع الله لك! فأعاد السؤال فأعاد عليه ثانية، فأعاد عليه ثالثة فرد عليه مثل ذلك، فغضب وقال له: ألست القائل:

كل حي عند ميتته حظه من ماله الكفن

ثم قال: فبالله عليك أرتيد أن تعد مالك كله لثمن كفنك؟ قاللا. قال: فبالله كم قدرت لكفنك؟ قال خمسة دنانير. قال: فهي إذا" حظك من مالك كله. قال نعم. قال: فتصدق علي من غير حظك بدرهم واحد. قال: لو تصدقت عليك لكان حظي. قال: فاعمل على أن دينارا" من الخمسة الدنانير وضيعة قيراط، وادفع إلي قيراطا" واحدا"، وإلا فواحدة أخرى. قال: وماهي؟ قال: القبور تحفر بثلاثة دراهم، فأعطني درهما" وأقيم لك كفيلا" بأني أحفر لك قبرك به متى مت، وتربح درهمين لم يكونا في حسبانك، فإن لم أحتفر رددته على ورثتك أو رده كفيلي عليهم. فخجل أبو العتاهية وقال: اعزب لعنك الله وغضب عليك! فضحك جميع من حضر. ومر السائل

يضحك؛ فالتفت إلينا أبو العتاهية فقال: من أجل هذا وأمثاله حرمت الصدقة. فقلنا له: ومن حرمها ومتى حرمت! فما رأينا أحدا" أدعى أن الصدقة حرمت قبله ولابعده.

قال محمد بن عيسى هذا: وقلت لأبي العتاهية: أتزكي مالك؟ فقال: والله ماأنفق علي عيالي إلا من زكاة مالي. فقلت: سبحان الله! غنما ينبغي أن تخرج زكاة مالك إلى الفقراء والمساكين. فقال: لو انقطعت عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الأرض أفقر منهم.

سئل عن أحكم شعره فأجاب

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا الزبير بن بكار قال: قال سليمان بن أبي شيخ قلت لأبي العتاهي: أي شعر قلته أحكم؟ قال قولي:

علمت يامجائع بن مسعدة ... أن الشباب والفراغ والجدة

مفسدة للمرء أي مفسدة

معاتبته عمرو بن مسعدة

أخبرني عيسى قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أبو غزية قال: كان مجاشع بن مسعدة أخو عمرو بن مسعدة صديقا" لأبي العتاهية، فكان يقوم بحوائجه كلها ويخلث مودته، فمات، وعرضت لأبي العتاهية حاجة إلى أخيه عمرو بن مسعدة فتباطأ فيها؛ فكتب إليه أبو العاهية:

غنيت عن العهد القديم غنيتا ... وضيعت ودا" بيننا ونسيتا

ومن عجب الأيام أن مات مألفي ... ومن كنت تغشاني به وبقيتا

فقال عمرو: استطال أبو إسحاق إعمارنا وتوعدنا، مابعد هذا خير، ثم قضى حاجته.

فارق أبا غزية في المدينة وأنشده شعرا": أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا أبو غزيةقال: كان أبو العتاهية إذا قدم من المدينة يجلس إلي؛ فأراد مرة الخروج من المدينة فودعني ثم قال:

لإن نعش نجتمع وإلا فما أش ... غل من مات عن جميع الأنام

طالبه غلام من التجار بمال

فقال فيه شعرا" أخجله:

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني عبد الرحمن بن إسحاق العذري قال: كان لبعض التجار من أهل باب الطاق على أبي العتاهية ثمن ثياب أخذها منه. فمربه يوما"، فقال صاحب الدكان لغلام ممن يخدمه حسن الوجه: أدرك أبا العتاهية فلا تفارقه حتى تأخذ منه مالنا؟ عنده؛ فأدركه على رأس الجسر، فأخذ بعنان حماره ووقفه. فقال له: ماحاجتك ياغلام؟ قال: أنا رسول فلان، بعثني إليك لآخذ ماله عليك. فأمسك عنه أبو العتاهية؛ وكان كل من مر فرأى الغلام متعلقا" به وقف ينظر، حتى رضي أبوالعتاهية جمع الناس وحفلهم، ثم أنشأ يقول:

والله ربك إنني | لأجل وجهك عن فعالك
لوكان فعلك مثل وج | هك كنت مكتفيا" بذلك

فخجل الغلام وأرسل عنان الحمار، ورجع إلى صاحبه، وقال: بعثتني إلي شيطان جمع علي الناس في الشعر حتى أخجلني فهربت منه.

حجبه حاجب عمرو بن مسعدة فقال

فيه شعرا":

أخبرني أحمد بن العباس قال حدثنا العنزي قال قال إبارهيم بن إسحاق بن إبارهيم التيمي: حدثني إبراهيم بن حكيم قال: كان أبو العتاهية يختلف إلى عمرو بن مسعدة لود كان بينه وبين أخيه مجاشع. فاستأذن عليه يوما" فحجب عنه، فلزم مترله. فاستبطأه عمرو؛ فكتي إليه: إن الكسل يمنعني من لقائك؛ وكتب في أسفل رقعته:

كسلني اليأس منك عنك فما | أرفع طرفي إليك من كسل
إني إذا لم يكن أخي ثقة | قطعت منه حبائل الأمل

حدثني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال: استأذن أبو العاهية على عمرو بن مسعدة فحجب عنه؛ فكتب إليه:

مالك قد حلت عن إخائك واس | تبدلت ياعمرو شيمة كدره
إني إذا الباب تاه حاجبه | لم يك عندي في هجره نظره
لستم ترجون كالظل بهجتها | سريعة الانقضاء منشمرة
قد كان وجهي لديك معرفة" | فاليوم أضحى حرفا" من النكرة

قصيدته في هجو عبد الله بن معن

وما كان بينهما:

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثنا أبو عكرمة قال: كان الرشيد إذا رأى عبد الله بن معن بن زائدة تمثل قول أبي العتاهية:

أخت بني شيبان مرت بنا ... ممشوطة كورا" على بغل

وأول هذه الأبيات

ياصاحبي رحلي لاتكثرا ... في شتم عبد اللله من عذل
سبحان من خص ابن معن بما ... أرى به من قلة العقل
قال ابن معن وجلا نفسه ... على من الجلوة ياأهلي
أنا فتاة الحي من وائل ... في الشرف الشامخ والنبل
مافي بني شيبان أهل الحجا جارية واحدة مثلي
ويلي ويالهفي على أمرد ... يلصق مني القرط بالحجل
صافحته يوما" على خلوة ... فقال دع كفي وخذ برجلي
أخت بني شيبان مرت بنا ... ممشوطة كورا" على بغل
تكنى أبا الفضل ويامن رأى ... جارية تكنى أبا الفضل
قد نقطت في وجهها نقطة ... مخافة العين من الكحل

إن زرتموها قال حجابها ... نحن عن الزوار في شغل
مولاتنا مشغولة عندها ... بغل ولا إذن على البعل
يابنت معن الخير لاتجهلي ... وأين إقصار عن الجهل
أتجلد الناس وأنت امرؤ ... تجلد في الدبر وفي القبل
ماينبغي للناس أن ينسبوا ... من كان ذا جود إلى البخل
يبذل مايمنع أهل المدى ... هذا لعمري منتهى البذل
ماقلت هذا فيك إلا وقد ... جفت به الأقلام من قبلي

قال: فبعث إليه عبد الله بن معن، فأتي به؛ فدعا بغلمان له ثم أمرهم أن يرتكبوا منه الفاحشة، ففعلوا ذلك، ثم أجلسه وقال له: قد جربتك على قولك في، فهل لك في الصلح ومعه مركب وعشرة آلاف درهم أو تقيم على الحرب؟ قال: بل الصلح. قال: فأسمعني ماتقوله في الصلح؛ فقال:

يالعذالي ومالي أمروني بالضلال
عذلوني في اغتفاري لابن معن واحتمالي
إن يكن ما كان منه فبجرمي وفعالي
أنا منه كنت أسوأ عشرة في كل حال
قل لمن يعجب من حس ن رجوعي ومقالي
رب ود بعد صد وهوى بعد تقالي
قد رأينا ذا كثيرة جاريا "بين الرجال
إنما كانت يميني لطمت مني شمالي

خبره مع سعدى حدثني محمد بن يحيىى الصولي قال حدثنا محمد بن موسى اليزيدي قال حدثنا أبو سويد عبد القوي محمد بن أبي العتاهية ومحمد بن سعد قالا: كان أبو العاهية يهوى في حداثته امرأة نائحة من أهل الحيرة لها حسن وجمال يقال لها سعدى، وكان عبد الله بن معن بن زائدة المكنى بأبي الفضل يهواها أيضا"، وكانت مولاة لهم، ثم اتهمها أبو العتاهية بالنساء، فقال فيها:

ألا ياذوات السحق في الغرب والشرق أفقن فإن النيك أشفى من السحق
أفقن فإن الخبز بالأدم يشتهي وليس يسوغ الخبز بالخبز في الحلق
أراكن ترقعن الخروق بمثلها وأي لبيب يرقع الخرق بالخرق
وهل يصلح المهراس إلا بعوده إذا احتيج منه ذات يوم إلى الدق

حدثني الصولي قال حدثني الغلابي قال حدثني مهدي بن سابق قال: تهدد عبد الله بن معن أبا العتاهية وخوفه ونهاه أن يعرض لمولاته سعدى؛ فقال أبو العتاهية:

ألا قل لابن معن ذا الذي في الود قد حالا
لقدبلغت ماقال فما باليت ماقالا
ولوكان من الأسد لماصال ولاهالا
فصغ ما كنت حليت به سيفك خلخالا
وماتصنع بالسيف إذا لم تك قتالا
ولو مد إلى أذني ه كفيه لما نالا
قصير الطول والطيل ة لاشب ولاطالا

أرى قومك أبطالا وقد اصبحت بطالا

ضربه عبد الله بن معن فهجاه

حدثنا الصولي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثني سليمان المدائني قال: احتال عبد الله بن معن على أبي العتاهية حتى أخذ في مكان فضربه مائة سوط ضربا" ليس بالمبرح غيظا" عليه، وإنما يعنف في ضربه خوفا" من يعنى به؛ فقال أبو العاهية يهجوه:

جلدتني بكفها بنت معن بن زائدة

جلدتني فأزجعت بأبي تلك جالدة

وتراها مع الخصي على الباب قاعدة

تتكنى كنى الرجا ل بعمد مكايدة

جلدتني وبالغت مائة غير واحدة

أجلديني واجلدي إنما أنت والدة

وقال أيضا":

ضربتني بكفها بنت معن أوجعت كفها وماأوجعتني

ولعمري لولا أذى كفها إذ ضربتني بالشوط ماتركتني

تواعده يزيد بن معن لهجائه أخاه فهجاه

قال الصولي: حدثنا عن بن محمد ومحمد بن موسى قالا: لما اتصل هجاء أبي العتاهية بعبد الله بن معن وكثر، غضب أخوهو بن معن من ذلك وتوعد أبا العتاهية؛ فقال فيه قصيدته التي أولها:

بني معن ويهدمه يزيد كذاك الله يفعل مايريد

فمعن كان للحساد غما وهذا قد يسر به الحسود

يزيد يزيد في منع وبخل وينقص في العطاء ولايزيد

مصالحته أولاد معن

حدثني الصولي قال حدثني جبلى بن محمد قال حدثني أبي قال: مضى بنو معن إلى مندل وحيان ابن على العتريين الفقيهين- وهما من بني عمرو بن عامر بطن من يقدم بن عترة، وكانا من سادات أهل الكوفة- فقالوا لهم: نحن

بيت واحد وأهل، ولافرق بيننا، وقد أتانا من مولاكم هذا مالو أتانا من بعيد الولاء لوجب أن تردعاه.؟ فأحضرا أبا العتاهية، و لم يكن بمكنه الخلاف عليهما، فأصلحا بينه بين عبد الله ويزيد ابني معن، وضكنا عنه خلوص النية، وعنهما ألا يتبعاه بسوء، وكانا ممن لايمكن خلافهما، فرجعت الحال إلى المودة والصفاء. فجعل الناس يعذلون أبا العتاهية، و لم يكن يمكنه الخلاف عليهما، فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيد ابني معن، وضمعنه خلوص النية، وعنهما ألا يتبعاه بسوء، وكانا ممن لايمكن خلافهما، فرجعت الحال إلى المودة والصفاء. فجعل الناس يذلون أبا العتاهية على مافرط منه، ولامه آخرون في صلحه لهما؛ فقال:

مالعذالي ومالي … أمروني بالضلال

وقد كتبت متقدمة.

رثاؤه زائدة بن معن

حدثني الصولي قال حدثنا محمد بن موسى قال: كان زائدة بن معن صديقا" لأبي العتاهية و لم يعن إخوته عليه، فمات؛ فقال أبو العتاهية يرثيه:

حزنت لموت زائدة بن معن … حقيق أن يطول عليه حزين
فتى الفتيان زائدة المصفى … أبو العباس كان أخي وخدني
فتى قوم وأي فتى توارت … به الأكفان تحت ثرى ولبن
ألا ياقبر زائدة بن معن … دعوتك كي تجيب فيم تجبني
سل الأيام عن أركان قومي … أصبن بهن ركنا" بعد ركن

فكان ابن معن يخجل إذا لبس السيف

أخبرني الصولي قال حدثنا الحسن بن علي الرازي القارىء قال حدثني أحمد بن أبي فنن قال: كنا عند الأعرابي، فذكروا قول ابن نوفل في عبد الملك بن عمير:

إذا ذات دل كلمته لحاجة … فهم بأن يقضي تنحنح أوسعل

وأن عبد الملك قال: تركني والله وإن السعلة لتعرض لي في الخلاء، فأذكر قوله فأحاب أن أسعل. قال: فقلت لأبن الأعرابي: فهذا أبو العتاهية قال في عبد الله بن معن بن زائدة:

فصغ ما كنت حليت … به سيفك خلخالا"
وماتصنع بالسيف … إذا لم تك قتالا

فقال عبد الله بن معن: مالبست سيفي قط فرأيت إنسانا" يلمحني إلا ظننت أنه يحفظ قول أبي العتاهية في، فلذلك يتأملني فأخجل. فقال ابن الأعرابي: اعجبوا لعبد يهجو مولاه. قال: وكان ابن الأعرابي مولى بن شيبان

مناظرته مسلم بن الوليد في قول الشعر

نسخت من كتاب هلارون بن علي بن يحيى: حدثني علي بن مهدي قالحدثني الحسين بن أبي السري قال: اجتمع أبو العتاهية ومسلم بن الوليد الأنصاري في بعض المجالس، فجرى بينهما الكلام؛ فقال له مسلم: والله لو كنت أرضى أن أقول مثل قولك:

الحمد و النعمة لك		و الملك لاشريك لك

لبيك إن الملك لك

لقلت في اليوم عشرة آلاف بيت، ولكني أقول:

موف على مهج في يوم ذي رهج		كأنه أجل يسعى إلى أمل

ينال بالرفق مايعيا الرجال به		كالموت مستعجلا" يأتي على مهل

يكسو السيوف نفوس الناكثين به		ويجعل الهام تيجان القنا الذبل

لله من هاشم في أرضه جبل		و أنت و ابنك ركنا ذلك الحبل

فقال له أبو العتاهية: قل مثل قولي: " الحمد والنعمة لك أقل مثل قولك: " كأنه أجل يسعى إلى أمل تقارض هو وبشار الثناء على شعريهما حدثني الصولي قال حدثنا الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق قال: قال بشار لأبي العتاهية: أنا والله استحسن اعتذارك من دمعك حيث تقول:

كم من صديق لي أسا		رقه البكاء من الحياء

فإذا تأمل لامني		فأقول مابي من بكاء

لكني ذهبت لأرتدي		فطرفت عيني بالرداء

فقال له أبو العاتاهية: لاوالله يا أبا معاذ، مالذت إلا بمعناك ولااجتنيت إلا من غرسك حيث تقول:

صوت

شكوت إلى الغواني ماألاقي		وقلت لهن مايومي بعيد

فقلن بكيت قلت لهن كلا"		وقد يبكي من الشوق الجليد

ولكني أصاب سزواد عيني		عويد قدى له طرف حديد

فقلن فما لدمعها سواءٍ أكلتا مقلتيك أصاب عود

لأبراهيم الموصلي في هذه الأبيات لحن من الثقيل الأول بالوسطى مطلق.

مع محمد بن الفضل الهاشمي

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثما محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني محمد بن هارون الأزرقي مولى بن هاشم عن ابن عائشة عن ابن لمحمد بن الفضل الهشمي قال: جاء أبو العتاهية إلى أبي فتحدثا ساعة، وجعل أبي يشكو إليه تخلف الصنعة وجفاء السلطان. فقال لي أبو العتاهية: اكتب:

كل على الدنيا له حرص والحادثات أناتها غفص

وكأن من واره في جدث لم يبد منه لناظر شخص

تبغي من الدنيا زيادتها وزيادة الدنيا هي النقص

ليد المنية في تلطفها عن ذخر كل شفيقة فحص

حبسه الرشيد ثم عفا عنه وأجازه

حدثني عمرو قال حدثني علي بن محمد الهشامي عن جده ابن حمدون قال أخبرني مخارق قال: لما تنسك أبو العتاهية ولبس الصوف، أمره الرشيد أن يقول شعرا" في الغزل، فامتنع؛ فضربه الرشيد ستين عصا"، وحلف ألا يخرج من حبسه حتى يقول شعرا" في الغزل. فلما رفعت المقارع عنه قال أبو العتاهية: كل مملوك له حر وامرأته طالق إن تكلم سنة أو بلا إله إلا الله محمد رسول الله. فكأن الرشيد تحزن مما فعله، فأمر أن يحبس في دار ويوسع عليه، ولايمنع من دخول من يريد إليه، قال مخارق: وكانت الحال بينه وبين إبراهيم الموصلي لطيفة، فكان يبعثني إليه في الأيام أتعرف خبره. فإذا دخلت وجدت بين يديه ظهرا" ودواة، فيكتب إلي مايريد، وأكلمه. فمكث هكذا سنة. واتفق أن إبراهيم صنع صوته:

صوت

أعرفت دار الحي بالحجر فشدوريان فقنة الغمر

وهجرتنا وألفت رسم بلى والرسم كان أحق بالهجر

-لحن إبراهيم في هذا الشعر خفيف رمل بالوسطى. وفيه لإسحاق رمل بالوسطى -قال مخارق: فقال لي إبراهيم: اذهب إلى أبي العتاهية حتى تغنيه هذا الصوت. فأتيته في اليوم الذي انقضت فيه يمينه، فغنيته إياه. فكتب إلي بعد أن غنيته: هذا اليوم تنقضي فيه يميني، فأحب أن تقيم عندي إلى الليل؛ فأقمت عنده نهاري كله، حتى إذا

أذن الناس المغرب كلمني، فقال: يامخارق. قلت: لبيك. قال: قل لصاحبك: يابن الزانية! أما والله لقد أبقيت للناس فتنة إلى يوم القيامة، فانظر أين أنت من الله غدا"! قال مخارق: فكنت أول من أفطر على كلامه؛ فقلت: دعني من هذا، هل قلت شيئا" للتخلص من هذا الموضع؟ فقال: نعم، وقد قلت في امرأتي شعرا". قلت: هاته؛ فأنشدني

صوت

من لقلب ميتم مشتاق شفه شوقه وطول الفراق

طال شوقي إلى قعيدة بيتي ليت شعري فهل لنا من تلاقي

هي حظي قد اقتصرت عليها من ذوات العقود والأطواق

جمع الله عاجلا"بك شملي عن قريب وفكني من وثاقي

قال: فكتبتها وصرت إلى إبراهيم؛ فصنع فيها لحنا"، ودخل بها على الرشيد؛ فكان أول صوت غناه إياه في ذلك المجلس؛ وسأله: لمن الشعر والغناء؟ فقال إبارهيم: أما الغناء فلي، وأما الشعر فلسيرك أبي العتاهية. فقال: أو قد فعل؟ قال: نعم قد كان كذلك. فدعابه، ثم قال لمسرور الخادم: كم ضربنا أبا العتاهية؟ قال: ستين عصا"، فأمر له بستين ألف درهم وخلع عليه وأطلقه.

غضب عليه الرشيد وترضاه له الفضل نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: حدثني علي بن مهدي قال حدثنا الحسين بن أبي السري قال: قال لي الفضل بن العباس: وجد الرشيد وهو بالرقة على أبي العتاهية وهو بمدينة السلام، فكان أبو العتاهية يرجو أن يتكلم الفضل بن الربيع في أمره، فأبطأ عليه بذلك؛ فكتب إليه أبو العتاهية:

أجفوتني فيمن جفاني وجعلت شأنك غيرشأني

ولطالما أمنتني مما أرى كل الأمان

حتى إذا انقلب الزما ن علي صرت مع الزمان

فكلم الفضل فيه الرشيد فرضي عنه. وأرسل إليه الفضل يأمره بالشخوص. ويذكر له أن أمير المؤمنين قد رضي عنه؛ فشخص إليه. فلما دخل إلى الفضل أنشده قوله فيه:

قد دعوناه نائيا" فوجدنا ه على نأيه قريبا" سميعا

فأدخله إلى الرشيد، فرجع إلى حالته الأولى

كان يزيد بن منصور يحبه ويقربه

فرثاه عند موته:

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني الحسين بن أبي السري قال: كان يزيد بن منصور خال المهدي يتعصب لأبي العتاهية؛ لأنه كان يمدح اليمانية أخوال المهدي فس شعره؛ فمن ذلك قوله:

صوت

سقيت الغيث ياقصر السلام — فنعم محلةو الملك الهمام

لقد نشر الإله عليك نورا" — وحفك بالملائكة الكرام

سأشكر نعمة المهدي حتى — تدور علي دائرة الحمام

له بيتان بيت تبعي — وبيت حل بالبلد الحرام

قال: وكان أبو العتاهية طول حياة يزيد بن منصور يدعي أنه مولى لليمن وينتفي من عنزة؛ فلما مات يزيد رجع إلى ولائه الأول. فحدثني الفضل بن العباس قال: قلت له: ألم تكن تزعم أن ولاءك لليمن؟! قال: ذلك شيء احتجنا إليه في ذلك الزمن، ومافي واحد ممن انتميت إليه خير، ولكن الحق أحق أن يتبع. وكان ادعى ولاء اللخميين. قال: وكان يزيد بن منصور من أكرم الناس وأحفظهم لحرمة، وأرعاهم لعهدٍ، وكان بارا" بأبي العتاهية، كثيرا" فضله عليه؛ وكان أبو العتاهية منه في منعة وحصن حصين مع كثرة مايدفعه إليه ويمنعه من المكاره. فلما مات قال أبو العتاهية يرثيه:

أنعى يزيد بن منصور إلى البشر — أنعى يزيد لأهل البدو و الحضر

ياساكن الحفرة المهجور ساكنها — بعد الماقصر والأبواب والحجر

وجدت فقدك في مالي وفي نشبي — وجدت فقدك في شعري وفي بشري

فلست أدري جزاك الله صالحة — أمنظري اليوم أسوأ فيك أم خبري

استحسن شعره بشار

وقد اجتمعا عند المهدي:

حدثنا ابن عمار قال حدثنا محمد بن إبراهيم بن خلف قال حدثني أبي قال: حدثت أن المهدي جلس للشعراء يوما"، فأذن لهم وفيهم بشار وأشجع، وكان أشجع يأخذ عن بشار ويعظمه، وغير هذين، وكان في القوم أبو

العتاهية. قال أشجع: فلما سمع بشار كلامه قال: يأأخا سليم، أهذا ذلك الكوفي الملقب؟ قلت نعم. قال: لاجزى الله خيرا" من جمعنا معه. ثم قال المهدي: أنشد؛ فقال: ويحك! أو يبدأ فيستنشد أيضا" قبلنا؟! فقلت: قد ترى. فأنشد:

ألا مالسيدتي مالها	أدلا "فأحمل إدلالها
وإلا ففيم تجنت وما	جنيت سقى الله أطلالها
ألا إن جارية للإما	م قد أسكن الحب سربالها
مشت بين حورٍ قصار الخطا	تجاذب في المشي أكفالها
وقد أتعب الله نفسي بها	وأتعب باللوم عذالها

قال أشجع: فقال لي بشار: ويحك يأأخا سليم! مأأدري من أي أمريه أعجب: أمن ضعف شعره، أم من تشبيه بجارية الخليفة، يسمع ذلك بأذنه! حتى أتى على قوله:

أتته الخلافة منقادة"	إليه تجرر أذيالها
ولم تك تصلح إلا له	ولم يك يصلح إلا لها
ولو رامها أحد غيره	تزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تطعه بنات القلوب	لما قبل الله أعمالها
وإن الخليفة من بغض لا	إليه ليبغض من قالها

قال أشجع: فقال لي بشار وقد اهتز طربا": ويحك يا أخا سليم! أترى الخليفة لم يطر عن فرشه طربا" لما يأتي به هذا الكوفي؟

منصور بن عمار يرميه بالزندقة

أخبرني يحيى بن علي إجازة قال حدثني ابن مهروية فال حدثني العباس بن ميمون قال حدثني رجاء بن سلمة قال: سمعت أبا العتاهية يقول: قرأت البارحة "عم يتساءلون "، ثم قلت قصيدة أحسن منها. قال: وقد قيل: إن منصور بن عمار شنع عليه بهذا.

قال يحيى بن علي حدثنا ابن مهروية قال دثني أبو عمر القرشي قال:

لما قص منصور بن عمار على الناس مجلس البعوضة قال أبو العتاهية: إنما سرق منصور هذا الكلام من رجل كوفي. فبلغ قوله منصورا" فقال: أبو العتاهية زنديق، أما ترونه لايذكر في شعره الجنة ولاالنار، وإنما يذكر الموت فقط! فبلغ ذلك أبا العتاهية، فقال فيه:

ياواعظ الناس قد أصبحت متهما" إذ عبت منهم أمورا" أنت اتيها

كالملبس الثوب من عري وعورته للناس بادية ما إن يواريها

فأعظم الإثم بعد الشرك نعلمه في كل نفس عماها عن مساويها

عرفانها بعيوب الناس تبصرها منهم ولاتبصر العيب الذي فيها

فلم تمض إلا أيام يسيرة حتى مات حتى مات منصور بن عمار، فوقف أبو العتاهية على قبره وقال: يغفر الله لك أبا السري ما كنت رميتني به.

الوشاية به إلى حمدوية صاحب الزنادقة أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن موسى قال اخبرني النسائي عن محمد بن أبي العتاهية قال: كانت لأبي العتاهية جارة تشرف عليه، فرأته ليلة يقنت، فروت عنه أنه يكلم القمر، واتصل الخبر بحمدوية صاحب الزنادقة، فصار إلى منزلها وبات واشرف على أبي العتاهية ورآه يصلي، ولم يزل يرقبه حتى قنت وانصرف إلى مضجعه، وانصرف حمدويه خاسئا" قال شعرا" يدل على توحيده ليتناقله الناس حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن الرياشي قال حدثنا الخليل بن أسد النوشجاني قال: جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال: زعم الناس أني زنديق، والله ماديني إلى الله إلى التوحيد. فقلنا له: فقل شيئا" نتحدث به عنك؛ فقال:

ألا إننا كلنا بائد واي بني آدم خالد

وبؤهم كان نم ربهم وكل إلى ره عائد

فيا عجبا" كيف يعصي الإل ه أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

أرجوزته المشهورة وقوة شعرها

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاع قال: تذاكروا يوما" شعر أبي العتاهية بحضرة الجاحظ؛ إلى أن جرى ذكر أرجوزته المزدوجة التي سماها " ذات الأمثال"؛ فأخذ بعض من حضر ينشدها حتى أتى على قوله:

ياللشباب المرح التصابي روائح الجنة في الشباب

فقال الجاحظ للمنشد: قف: ثمن قال: انظروا إلى قوله: " روائح الجنة في الشباب فإن له معنى كمعنى الطرب الذي لايقدر على معرفته إلا القلوب، وتعجز عن ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل وإدامة التفكير. وخير الماعني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه.

وهذه الأرجوزة من بدائع أبي العتاهية ويقال: إن " له" فيها أربعة آلاف مثل. منها قوله:

حسبك مما تبتغيه القوت ماأكثر القوت لمن يموت

الفقر فيما جاوز الكفافا من اتقر الله رجا وخافا

هي المقادير فلمني أو فذر إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر

لكل مايؤدي وإن قل ألم مأطول الليل على من لم ينم

ماانتفع المرء بمثل عقله وخير ذخر المرء حسن فعله

إن الفساد ضده الصلاح ورب جد جره المزاح

من جعل النمام عينا" هلكا مبلغك الشر كباغيه لكا

إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمكرء أي مفسدة

يغنيك عن كل قبيح تركه يرتهن عيشا" كله فناؤه

ماعيش من آفته بقاؤه نغص عيشا" كله فناؤه

يا رب من أسخطنا بجهده قد سرنا الله بغير حمده

ماتطلع الشمس ولاتغيب إلا لأمر شأنه عجيب

لكل شيء معدن وجوهر وأوسط وأصغر وأكبر

من لك بالمحض وكل ممتزج وساوس في الصدر منه تعتلج

وكل شيء لاحق بجوهره أصغر متصل بأكبره

مازالت الدنيا لنا دار أذى ممزوجة الصفو بألوان القذى

الخير والشر بها أزواج لذا نتج ولذا نتاج

من لك بالمحض وليس محض يخبث بعض ويطيب بعض

لكل إنسان طبيعتان خير وشر هما ضدان

إنك لو تستنشق الشحيحا وجدته أنتن شيءٍ ريحا

والخير والشر إذا ماعدا بينهما بون بعيد جدا

عجبت حتى غمني السكوت صرت كأني حائر مبهوت

كذا قضى الله فكيف أصنع الصمت إن ضاق الكلام أوسع

وهي طويلة جدا"، وإنما ذكرت هذا القدر منها حسب مااستاق الكلام من صفتها.

برمه بالناس وذمهم في شعره

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهروية عن روح بن الفرج قال: شاور رجل أبا العتاهية فيما ينقشه على خاتمه؛ فقال: انقش عليه: لعنة الله على لناس: وأنشد:

برمت بالناس وأخلاقهم فصرت استأنس بالوحدة
ماأكثر الناس لعمري وما أقلهم في حاصل العدة

مدح عمرو بن العلاء فأجازه

وفضله على الشعراء:

حدثنا الصولي قالحدثنا لغلابي قال حدثنا عبد الله بن الضحاك: أن عمر بن العلاء مولى عمرو بن حريث صاحب المهدي كان ممدحا"، فمدحه أبو العتاهية، فأمر له بسبعين ألف درهم؛ فأنكر ذلك بعض الشعراء وقال: كيف فعل هذا بهذا الكوفي! واي شيء مقدار شعره! فبلغه ذلك، فأحضر الرجل وقال له: والله إن الواحد منكم ليدور على المعنى فلا ييبه، ويتعاطاه فلا يحسنه، حتى يشبب بخمسين بيتا"، ثم يمدحنا ببعضها، وهذا كأن المعاني تجمع له، مدحني فقصر التشبيب، وقال:

إني أمنت من الزمان وريبه لما علقت من الأمير حبالا "
لو يتطيع الناس من إجلاله لحذوا له حر الوجوه نعالا

صوت

إن المطايا تشتكيك لأنها قطعت إليك سباسبا" ورمالا
فإذا وردن بنا وردن مخفة وإذا رجعن بنا رجعن ثقالا

أخذ المعنى من قول نصيب:

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

راي العتابي فيه

حدثنا الصولي قال حدثنا محمد بن عون قال حدثني محمد بن النصر كاتب غسان بن عبد الله قال: أخرجت رسولا" إللى عبد الله بن طاهر وهو يريد مصر، فترلت على العتابي، وكان بي صديقا"، فقال: أنشدني لشاعر

العراق -يعني أبا نواس، وكان قد مات -فأنشدته ما كنت أحفظ من ملحه، وقلت له: ظننتك تقول هذا لأبي العتاهية. فقال: لو أردت أبا العتاهية لقلت لك: أنشدني لأشعر للناس، و لم اقتصر على العراق

ملاحظته على سهولة الشعر لمن يعالجه

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هارون بن سعدان عن شيخ من أهل بغداد قال: قال أبو العتاهية: أكثر الناس يتكلمون بالشعر وهم لايعلمون، ولوأحسنوا تأليفه كانوا شعراء كلهم. قال: فبينما نحن كذلك إذ قال رجل لآخر عليه مسح: " ياصاحب المسح تبيع المسحا قد قال شعرا" وهو لايعلم. ثم قال الرجل: " تعال إن كنت تردي الربح " فقال أبو العتاهية: وقد أجاز المصراع بمصراع آخر وهو لايعلم، قال له: " تعال إن كنت تريد الربحا

وصف الأصمعي شعره

حدثنا الصولي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن بشير أبو طاهر الحلبي قال حدثنا مزيد الهاشمي عن السدري قال: سمعت الأصمعي يقول: شعر أبي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى.

مدح يزيد بن منصور لشفاعته فيه

لدى المهدي:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا الزبي ربن بكار قال:

ماقلت في فضله شيئا" لأمدحه ... إلا وفضل يزيد فوق ماقلت
مازلت من ريب دهري خائفا" وجلا" ... فقد كفاني بعد الله ماخفت

قدرته على ارتجال الشعر

أخبرني يحيى بن علي إجازة قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن الحسن قال:

جاءني أبو العاهية وأنا في الديوان فجلس إلي. فقلت: يا أبا إسحاق، أمايصعب عليك شيء من الألفاظ فتحتاج فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاج إليه سائر من يقول الشعر، أو إلى ألفاظ مستكرهة؟ قال لا. فقلت "له": إني لأحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافي السهلة. قال: فاعرض علي ماشئت من القوافي الصعبة. فقلت: قل أبياتا" على مثل البلاغ. فقال نم ساعته:

أي عيش يكون أبلغ من عي ش كفاف قوت بقدر البلاغ

صاحب البغي ليس يسلم منه وعلى نفسه بغي كل باغي

رب ذي نعمة تعرض منها حائل بينه وبين المساغ

أبلغ الدهر في مواعظه بل زاد فيهن لي على الإبلاغ

غبنتني الأيام عقلي ومالي وشبابي وصحتي وفراغي

رأي مسلم بن الوليد بشعره

أخبرنا يحيى إجازة قال حدثنا علي بن مهدي قال حدثني أبو علي اليقطيني قال حدثني أبو خارجة بن مسلم قال: كان مسلم بن الوليد يستخف به فلما أنشده من غزله أكبره: قال مسلم ين الوليد: كنمت مستخفا" بشعر أبي العتاهية، فلقيني يوما" فسألني أن اصير أليه فصرت غليه فجاءني بلون واحد فأكلناه، وأحضرني تمرا" فأكلناه، وجلسنا نتحدث، وأنشدته أشعارا" لي في الغزل، وسألته أن ينشدني؛ فأنشدني قوله:

بالله ياقرة العينين زوريني قبل الممات وإلا فاستزيريني

إني لأعجب من حب يقربني ممن يباعدني منه ويقصيني

أنا الكثير فما أرجوه منك ولو أطمعتني في قليل كان يكفيني

ثم أنشدني أيضا":

رأيت الهوى جمر الغضى غير أنه على حره في صدر صاحبه حلو

صوت

أخلاني بي شجو وليس بكم شجو وكل امرىء عن شجو صاحبه خلو

ومامن محب نانال ممن يحبه هوى صادقا" إلا سيدخله زهو

بليت وكان المزح بدء بليتي فأحببت حقا" والبلاء له بدو

وعلقت من يزهو علي تجبرا" وإني في كل الخصال له كفو

رأيت الهوى جمر الغضى غير أنه على كل حال عند صاحبه حلو

-الغناء لأبراهيم ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، وله فيه أيضا" خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. ولعمرو بن بانة رمل بالوسطى من كتابه. ولعريب فيه خفيف ثقيل من كتاب ابن المعتز-قال مسلم: ثم أنشدني أبو العتاهية:

صوت

خيلي مالي لاتزال مضرتي تكون على الأقدار حتما" من الحتم
يصاب فؤادي حين أرمي ورميتي تعود إلى نحري ويسلم من أرمي
صبرت ولا والله مالي جلادة علىالصبر لكني صبرت على رغمي
ألا في سبيل الله جسمي وقوتي ألا مسعد حتى أنوح على جسمي
تعد عظامي واحدا" بعد واحد بمنحى من العذال عظما" على عظم
كفاك بحق الله ماقد ظلمتني فهذا مقام المستجير من الظلم

-الغناء لسياط هذه الأبيات، وإيقاعه من خفيف الثقيل الأول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق-قال مسلم: فقلت له: لاوالله يا أبا إسحاق مايبالي من أحسن أن يقول مثل هذا الشعر مافاته من الدنيا! فقال: يابن أخي، لاتقولن مثل هذا؛ فإن الشعر أيضا" من بعض مصايد الدنيا

وفد مع الشعراء على الرشيد

ومدحه فلم يجز غيره:

أخبرنا يحيى إجازة قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني عبد الرحمن بن الفضل قال حدثني ابن الأعرابي قال: اجتمعت الشعارء على باب الرشيد، فأذن لهم فدخلوا وأنشدوا؛ فأنشد أبوالعتاهية:

يامن تبغي زمنا" صالحا" صلاح هارون صلاح الزمن
كل لسان هو في ملكه بالشكر في عحسانه مرتهن

قال: فاهتز له الرشيد، وقال له: أحسنت والله! ماخرج في ذلك اليوم أحد من الشعارء بصلة غيره.

قال شعرا' في المشمر فرس الرشي

فأجازه:

أخبرني يحيى بن علي غجازة قال حدثنا علي بن مهدي قال حدثنا عامر بن عمران الضبي قال حدثني ابن الأعرابي قال:

أجرى هارون الرشيد الخيل، فجاءه فرس يقال له المشمر سابقا"، وكان الرشيد معجبا" بذلك الفرس، فأمر الشعراء، يقولوا فيه؛ فبدرهم أبو العتاهية فقال:

جاء المشمر والأفراس يقدمها هونا "على رسله وما انبهرا

وخلف الريح حسرى وهي جاهدة ومر يختطف الأبصار والنظرا

فأجزل صلته، وما جسر أحد بعد أبي العتاهية أن يقول فيه شيئا".

رثاؤه صديقه علي بن ثابت

أخبرني يحيى إجازة قال حدثني الفضل بن عباس بن عقبة بن حعفر قال: كان علي بن ثابت صديقا" لأبي العتاهية وبينهما مجاوبات كثيرة من الزهد والحكمة، فتوفي علي بن ثابت قبله، فقال يرثيه:

مؤنس كان لي هلك والسبيل التي سلك

ياعلي بن ثابت غفر الله لي ولك

كل حي مملك سوف يفنى ومامِلك

قال الفضل: وحضر أبوالعتاهيةعلي بن ثابت وهو يجود نفسه، فلم يزل ملتزمه حتى فاض؛ فلما شد لحياه بكى طويلا"، ثم أنشد يقول:

ياشريكي في الخير قربك الل ه فنعم الشريك في الخير كنتا

قد لعمري حكيت لي غصص المو ت فحركتني لها وسكنتا

قال: ولما دفن وقف على قبره يبكي طويلا" أحر بكاء، ويردد هذه الأبيات:

ألا من لي بأنسك ياأخيا ومن لي أن أبثك ماالديا

طوتك خطوب دهرك بعد نشر كذاك خطوبه نشزا" وطيا

فلو نشرت قواك لي المنايا شكوت إليك ماصنعت إليا

بكيتك ياعلي بدمع عيني فما أغنى البكاء عليك شيا

وكانت في حياتك لي عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيا

اشتمال مرثيته على أقوال الفلاسفة في موت الإسكندر: قال علي بن الحسين مؤلف هذا الكتاب: هذه المعاني أخذها كلها أبو العتاهية من كلام الفلاسفة لما حضروا تابوت الإسكندر، وقد أخرج الإسكندر ليدفن: قال بعضهم: كان الملك أمس أهيب منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس. وقال آخر: سكنت حركة الملك في لذاته، وقد حركنا اليوم في سكونه جزعا" لفقده. وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما أبو العتاهية في هذه الأشعار.

سأله جعفر بن السحين عن أشعر الناس

فأنشده من شعره:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني حعفر بن الحسين المهلبيقال: لقينا أبو العتاهية فقلنا له: يا أبا إسحاق، من أشعر الناس؟ قال: الذي يقول:

الله أنجح ماطلبت به … والبر خير حقيبة الرحل

فقلت: أنشدني شيئا" من شعرك؛ فأنشدني:

ياصاحب الروح ذي الأنفاس في البدن … بين النهار وبين الليل مرتهن

لقلما يتخطاك اختلافهما … حتى يفرق بين الروح والبدن

لتجذبني يد النيا بقوتها … قد ارتعوا فيرياض الغي والفتن

كسائمات رتاع تبتغي سمنا" … وحتفها لو درت في ذلك السمن

قال: فكتبتها، ثم قلت له: أنشدني شيئا" من شعرك في الغزل؛ فقال: ياابن أخير، إن العزل يسرع إلى مثلك.

فقلت له: أرجوعصمة الله حل وعز. فاشندين:

كأنها من حسنها درة … أخرجها اليم إلى الساحل

كأن من فيها وفي طرفها … سواخرا "أقبلن من بابل

لم يبق مني حبها ماخلا … حشاشة في لدن ناحل

يامن رأى قبلي قتيلا" بكى … من شدة الوجد على القاتي

فقلت له: يا أبا إسحاق، هذا قول صاحبنا جميل:

خليلي فيما عشتما هل رأيتما … قتيلا" بكى من حب قاتله قبلي

فقال: هو ذاك يابن أخير وتبسم

شعره في التحسر على الشباب

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبو عكرمة عن شيخ له من أهل الكوفة قال: دخلت مسجد المدينة ببغداد بعد أن بويع الأمين محمد بسنة، فإذا شيخ عليه جماعة وهو ينشد:

لهفي على ورق الشباب … وغصونه الخضر الرطاب

ذهب الشباب وبان عني غير منتظر الإياب

فلأبكين على الشبا … ب وطيب أيام التصابي

ولأبكين من البلى … ولأبكين من الخضاب

إني لآمل أن أخلد والمنية في طلابي

قال: فجعلها ينشدها وإن دموعه لتسيل على خدثه. فما رأيت ذلك لم أصبر أن ملت فكتبتها. وسألت عن الشيخ فقيل لي: هو أبو العاهية.

كان ابن الأعرابي يعيب شعره

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العتري قال حدثني أبو العباس محم بن لأحمد قال: كان ابن الأعرابي يعيب أبا العتاهية ويثلبه، فأنشدته:

كم من سفيه غاظني سفها" فشفيت نفسي منه بالحلم

وكفيت نفسي ظلم عاديتي ومنحت صفو مودتي سلمي

ولقد رزقت لظالمي غلظا" ورحمته إذ لج في ظلمي

أحب شعره إليه

أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العتري قال حدثني محمد بن إسحاق قالحدثني محمد بن أحمد الأزدي قال: قال لي أبو العاهية: لم اقل شيئا" قط أحب إلي من هذين البيتين" في " معناهما:

ليت شعري فإنني لست أدري أي يوم يكون آخر عمري

وبأي البلاد يقبض روحي وبأي البقاع يحفر قبري

راهن جماعة على قول الشعر فغلبهم

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني محمد بن الفضل قال حدثني محمد بن عبد الجبار الفزاري قال: اجتاز أبو العاهية في أول أمره وعلى ظهر قفص فيه فخار يدور في الكوفة ويبيع منه، فمر بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه، فسلم ووضع القفص على ظهره، ثم قال: يافتيان أراكم تذاكرون الشعر، فأقول شيئا" منه فتجيرونه، لإان فعلتم فلكم عشرة دراهم، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم؛ فهزئوا منه وشخروا وقالوا نعم. قال: لابد أن يشتري بأحد القمارين رطب يؤكل فإنه قمار حاصل، وجعل رهنه تحت يد أحدهم، ففعلوا. فقال: أجيزوا: " ساكني الأجداث أنتم وجعل بينه وبينهم وقتا" في ذلك الموضع إذا بلغته الشمس ولم يجيزوا البيت، غرموا الخطر؛ وجعل يهزأ لهم وتمه:

.... مثلنا بالأمس كنتم

ليت شعري ماصنعتم أربحتم أم حسرتم

وهي قصدة طويلة ف يشعره.

هجاه أبو حبش وذم شعره

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله عن أبي خيثم العتري قال: لما حبس الرشيد أبا العتاهية وحلف ألا يطلقه أو يقول شعرا"، قال لي أبو حبش: أسمعت بأعجب من هذا الأمر، تقول الشعراء الشعر الجيد النادر فلا يسمع منهم، ويقول هذا المخنث المفكك تلك الأشعار بالشفاعة! ثم أنشدني:

أبا إسحاق راجعت الجماعة وعدت إلى القوافي والصناعة

وكنت كجامح في الغي عاصٍ وأنت اليوم ذو سمع وطاعة

فجر الخز مما كنت تكسى ودع عنك التقشف والبشاعة

وشبب بالتي تهوى وخبر بأنك ميت في كل ساعة

كسدنا مانراه وإن أجدنا وأنت تقول شعرك بالشفاعة

خروجه مع المهدي في الصيد

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا العتري قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثني أبو خيم العتري، وكان صديقا" لأبي العتاهية، قال حدثني أبو العتاهية قال: أخرجني المهدي معه إلى الصيد، فوقعنا منه على شيء كثير، فتفرق أصحابه في طلبه وأخذ هو في طريق غير طريقهم فلم يلتقوا، وعرض لما وادٍ جرار وتغيمت السماء وبدأت تمطر فتحيرنا، وأشرفنا على الوادي فإذا فيه ملاح يعبر الناس، فلجأنا إليه فسألناه عن الطريق، فجعل يضعف رأينا ويعجزنا في بذلنا أنفسنا في ذلك الغيم للصيد حتى أبعدنا، ثم أجخلنا كوخا" له. وكاد المهدي يموت بردا"؛ فقال له: أغطيك بجبتي هذه الصوف؟ فقال نعم؛ فغطاه بها، فتماسك قليلا"ونام. فافتقده غلمانه وتبعوا أثره حتى جاءونا. فلما رأى الملاح كثرتهم علم أنه الخليفة فهرب، وتبادر الغلمان فنحوا الجبة عنه وألقوا عليه الخز والوشي. فملا انتبه قاللي: ويحك! مافعل الملاح؟ فقد والله وجب حقه علينا. فقلت: هرب والله خوفا" من قبح ماخاطبنا به. قال: إنا لله! والله لقد أردت أن أغنيه، وبأي شيء خاطبنا! نحن والله مستحقون لأقبح مما خاطبنا به! بحياتي عليك إلا ماهجوتني. فقلت: ياأمير المؤمنين، كيف تطيب نفسي بأن أهجوك! قال: والله لتفعلن؛ فإني ضعيف الرأي مغرم بالصيد. فقلت:

يالابس الوشي على ثوبه مأأقبح الأشيب في الراح

فقال: زدني بحياتي؛ فقلت:

لو شئت أيضا" جلت في خامه وفي وشاحين وأوشاح

فقال: ويلك! هذا معنى سوء يرويه عنك الناس، وأنا استأهل. زدني شيئا"آخر. فقلت: أخاف أن تغضب. قال: لاوالله. فقلت:

كم من عظيم القدر في نفسه قد نام في جبة ملاح

فقال: معنى سوء عليك لعنة الله! وقمنا وركبنا وانصرفنا.

في عسكر المأمون

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا جماعة من كتاب الحسن بن سهل قالوا: وقعت رقعة فيها بيتا شعر في عسكر المأمون؛ فجيء بها إلى مجاشع بن مسعدة، فقال: هذا كلام أبي العتاهية، وهو صديقي، وليست المخاطبة لي ولكنها للأمير الفضل بن سهل. فذهبوا بها، فقرأها وقال: ماأعرف هذه العلامة. فبلغ المأمون خبرها فقال: هذه إلي وأنا أعرف العلامة. والبيتان:

صوت

ما على ذا كنا افترقنا بسندا ن وماهكذا عهدنا الإخاء

تضرب الناس بالمهندة البي ض على غدرهم وتنسى الوفاء

قال: فبعث إلى المأمون بمال.

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكل رمل من رواية ابن المعتز

برابن يقطين له

قال: وكان علي بن يقطين صديقا" لأبي العتاهية، وكان يبره في كل سنة ببر واسع، فأبطأ عليه بالبر في سنة من السنين، وكان يبره في كل سنة ببر واسع، فأبطأ عليه بالبر في سنة من السنين، وكان إذا لقيه أبو العتاهيةأو دخل عليه يسر به ويرفعه مجلسه ولايزيده على ذلك. فلقيه ذات يوم وهو يريد دار الخليفة، فاستوقفه فوقف له، فأنشده:

حتى متى ليت شعري يابن يقطين أثني عليك بما لامنك توليني

إن السلام وإن البشر من رجل في مثل ماأنت فيه ليس يكفيني

هذا زمان ألح الناس فيه على تيه الملوك وأخلاق المساكين

أما علمت جزاك الله صالحة وزادك الله فضلا" يابن اليقطين

أني أريدك للدنيا وعاجلها ولاأريدك يوم الدين للدين

فقال علي بن يقطين: لست والله أبرح ولاتبرح من موضعنا هذا إلا راضيا"، وأمر له بكما كان يبعث به إليه في كل سنة، فحمل من وقته وعلي واقف إلى أن تسلمه.

من شعره في الحبس

وأخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال حدثنا محمد بن يزيد قال: بلغني من غير وجه: أن الرشيد لما ضرب أبا العتاهية وحبسه، وكل به صاحب خبر يكتب إليه بكل ما يسمعه. فكتب إليه أنه سمعه ينشد:

أما والله إن الظلم لوم ومازال المسيء هو الظلوم

إلى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

قال: فبكى الرشيد، وأمر بإحضار أبي العتاهية وإطلاقه، وأمر بألفي دينار.

المنصور بن عمار يرميه بالزندقة

أخبنري محمد بن جعفر قال حدثني محمد بن موسى عن أحمد بن حرب عن محمد بن أبي العتاهية قال: لما قال أبي في عتبة:

كأن عتابة من حسنها دمية قس فتنت قسها

يارب لو أنسيتنيها لما في جنة الفردوس لم أنسها

شنع عليه منصور بن عمار بالزندقة، وقال: يتهاون بالجنة ويبتذل ذكرها في شعره بمثل هذا التهاون! وشنع عليه أيضا" بقوله:

إن المليك رآك أح سن خلقه وراى جمالك

فحذا بقدرة نفسه حور الجنان على مثالك

وقال: أيصور الحور على مثال امرأة آدمية لايحتاج إلى مثال! وأوقع له هذا على ألسنة العامة؛ فلقي منهم بلاء.

سأله الباذغيسي عن أحسن شعره فأجابه

حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا خليل بن أسد قال حدثني أبو سلمة الباذغيسي قال: قلت لأبي العتاهية: في أي شعر أنت أشعر؟ قال: قولي:

الناس في غفلاتهم ورحا المنية تطحن

أنشد المأمون شعره في الموت فوصله

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني يحيى بن عبد الل القرشي قال حدثني المعلى بن أيوب قال:

دخلت على المأمون يوما" وهو مقبل على شيخ حسن اللحية خضيب شديد بياض الثياب على رأسه لاطئة، فقلت للحسن بن أبي سعيد-قال: وهو ابن خالة المعلى بن أيوب. وكان الحسن كاتب المأمون على العامة-: من هذا؟ فقال: أما تعرفه؟ فقلت: لوعرفته ما سألتك عنه. فقال: هذا أبوالعتاهية. فسمعت المأمون يقول له: أنشدني أحسن ماقلت في الموت؛ فانشده:

أنساك محياك المماتا ... فطلبت في الدنيا الثباتا

أوثقت بالدنيا وأن ... ت ترى جماعتها شتاتا

وعزمت منك على الحيا ... ة وطولها عزما" بتاتا

يامن رأى أبويه في ... من قد رأى كانا فماتا

هل فيهما لك عبرة ... أم خلت أن لك انفلاتا

ومن الذي طلب التفل ... ت من منيته ففاتا

كل تصبحه المن ... ية أو تبييته بيتا

قال: فلما نهض تبعته فقبضت عليه في الصحن أو في الدهليز، فكتبتها عنه.

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني الجاحظ عن ثمامة قال: دخل أبو العتاهية على المأمون فانشده:

مأأحسن الدنيا وإقبالها ... إذا أطاع الله من نالها

من لم يواس الناس من فضلها ... عرض للإدبار إقبالها

فقال له المأمون: مأأجود البيت الأول! فأما الثاني فما صنعت فيه شيئا"، الدنيا تدبر عمن واسى منها أو ضن بها، وإنما يوجب السماحة بها الأجر، والضن بها الوزر. فقال: صدقت ياأمير المؤمنين، أهل الفضل أولى بالفضل، وأهل النقصأولى بالنقص. فقال المأمون: ادفع إليه عشرة آلاف درهم لاعترافه بالحق. فلما كان بعد أيام عاد فامشده:

كم غافل أودى به الموت ... لم يأخذ الأهبة للفوت

من لم تزل نعمته قبله ... زال عن النعمة بالموت

فاقل له: أحسنت! الآن طيبت المعنى؛ وأمر له بعشرين ألف درهم.

تأخرت عنه عادة المأمون سنة فقال أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العتري قال حدثني ابن سنان العجلي عن الحسن بن عائذ قال: كان أبو العتاهية يحج في كل سنة، فإذا قدم أهدى إلى المأمون بردا" ومطرقا" ونعلا" سوداء ومساويك أراك، فيبعث إليه بعشرين ألف درهم. " وكان" يوصل الهدية من جهته منجاب مولى المأمون ويجيئه بالمال. فأهدى مرة له كما كان يهدي كل سنة إذا قدم، فلم يثه ولابعث إليه بالوظيفة. فكتب إليه أبو العتاهية:

خبروني أن من ضرب السنة … جددا "بيضا" وصفرا" حسنة

أحدثت لكنني لم أرها … مثل ما كنت أرى كل سنة

فأمر المأمون بحمل العشرين آلاف درهم، وقال: أغفلناه حتى ذكرنا

كان الهادي واجدا" عليه فلما تولى استعطفه

حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا المغيرة بن محمد المهلبي قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني عروة بن يوسف الثقفي قال: لما ولي الهادي الخلافة كان واجدا" على ابي العتاهية لملازمته أخاه هارون وانقكطاعه إليه وتركه موسى، وكان أيضا" قد أمر أن يخرج معه إلى الري فأبى ذلك؛ فخافه وقال يستعطفه:

ألا شافع عند الخليفة يشفع … فيدفع عنا شر مايتوقع

وإني على عظم الرجاء لخائف … كأن على رأسي الأسنة تشرع

يروعني موسى على غير عثرة … ومالي أرى موسى من العفو أوسع

ومآمن يمسي ويصبح عائدا" … يعفو أمي رالمؤمنين يروع

مدح الهادي فأمر خازنه بإعطائه فمطله فقال شعرا" في ابن عقال فعجلها له: حدثني الصولي قال حدثني علي بن الصباح قال حدثني محمد بن أبي العتاهية قال: دخل أبي علي الهادي فأنشده:

يأأمين الله مالي … لست أدري اليوم مالي

لم أنل منك الذي قد … نال غيري من نوال

تبذل الحق وتعطي … عن يمين وشمال

وأنا البائس لاتن … ظر في رقة حالي

قال: فأمر المعلى الخازن أن يعطيه عشرة آلاف درهم. قال أبو العتاهية: فأتيته فأبى أن يعطيها. ذلك أن الهادي

امتحنني في شيء من الشعر، وكان مهيبا"، فكنت أخافه فلم يطعني طبعي، فأمر لي بهذا المال، فخرجت. فلما منعنيه المعلى صرت إلى ابي الوليد أحمد بن عقال، وكان يجالس الهادي، فقلت له:

أبلغ سلمت أبا الوليد سلامي عني أمير الؤمنين إمامي
وإذا فرغت من السلام فقل له قد كان ماشاهدت من إفحامي
وإذا حصرت فليس ذاك بمبطل ماقد مضى من حرمتي وذمامي
ولطالما وفدت إليك مدائحي مخطوطة فليأت كل ملام
أيام لي لسن ورقة جدة والمرء قد يبلي مع الأيام

قال: فاستخرج لي الراهم وأنفذها إلي: كان الهادي واجدا" عليه فلما تولى استعطفه ومدحه فأجازه: حدثني الصولي ومحمد بن عمران الصيرفي قالا حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان قال: ولهد للهادي ولد في أول يوم ولي الخلافة؛ فدخل أبو العتاهية فأنشده:

أكثر موسى غيظ حساده وزين الأرض بأولاده
وجاءنا من صلبه سيد أصيد في تقطيع أجداده
فاكتست الأرض به بهجة واستبشر الملك بميلاده
وابتسم المنبر عن فرحة عليت بها ذروة أعواده
كأنني بعد قليل به بين مواليه وقواده
في محفل تخفق راياته قد طبق الأرض بأجناده

قال: فأمر له موسى بألف دينار وطيبٍ كثيرٍ، وكان ساخطا" عليه فرضب عنه.

حضر غضب المهدي على أبي عبيد الله

وترضاه عنه بشعر فرضي عنه:

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني علي بن يزيد الخزرجي الشاعر عن يحيى بن الربيع قال: دخل أبو عبيد الله علي المهدي، وكان قد وجد عليه في أمر بلغه عنه، وأبو العتاهية حاضر المجلس، فجعل المهدي يشتم أبا عبيد الله وبتغيظ عليه، ثم أمر به فجر برجله وحبس، ثم أطرق المهدي طويلا". فلما سكن أنشده أبوالعتاهية:

أرى الدنيا لمن هي في يديه عذابا "كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه

إذا استغنيت عن شيء فدعه		وخذه ماأنت محتاج إليه

فتبسم المهدي وقال لأبي العتاهية: أحسنت! فقام أبو العتاهية ثم قال: والله ياأمير المؤمنين، مارأيت أحدا" أشد إكراما" للدنيا ولاأصون لها ولاأشح عليها من هذا الذي جر برجله الساعة. ولقد دخلت إلى أمير المؤمنين ودخل هو وهو أعز الناس، فما برحت حتى رأيته أذل الناس، ولو رضي من الدنيا بما يكفيه لاستوت أحواله و لم تتفاوت. فتبسم المهدي ودعا بأبي عبيد الله فرضي عنه. فكان أبو عبيد الله يشكر ذلك لأبي العتاهية.

روحانيان يطيران بين السماء والأرض

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني محمد بن الحسن قالحدثني إسحاق بن حفص قال: أنشدني هارون بن مخلد الرازي لأبي العتاهية:

ما إن يطيب لذي الرعاية لل		أيام و لالعب و لالهو

إذ كان يطرب في مسرته		فيموت من أجزائه جزو

فقلت: ماأحسنهما! فقال: أهكذا تقول! والله لهما روحانيان يطيران بين السماء والأرض

فضله ابن مناذر على جميع المحدثين

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي عن ابن عكرمة عن مسعود بن بشر المازني قال: لقيت ابن مناذر بمكة، فقلت له: من أشعر أهل الإسلام؟ فقال: أترى من إذا شئت هزل، وإذا شئت جد؟ قالت: من؟ قال: مثل جرير حين يقول في النسيب:

إن الذين غدوا بلبك غادروا		وشلا "بعينك مايزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي		ماذا لقيت من الهوى ولقينا

ثم قال حين جد:

إن الذي حرم المكارم تغلبا"		جعل النبوة و الخلافة فينا

مضر أبي و أبو الملوك فهل لكم		ياآل تغلب منأب كأبينا

هذا ابن عمي في دمشق خليفة		لو شئت ساقكم إلي قطينا

ومن المحدثين هذا الخبيث الذي يتناول شعره في كمه. فقلت: من؟ قال: أبو العتاهية. قلت: في ماذا؟ قال: قوله:

الله بيني وبين مولاتي		أبدت لي الصد و الملالات

لاتغفر الذنب إن أسأت ولا تقبل عذري ولامواتاتي

منحتها مهجتي وخالصتي فكان هجرانها مكافاتي

أقلقني حبها وصيرني أحدوثة في جميع جاراتي

ثم قال حين جد:

ومهمه قد قطعت طامسه قفر على الهول والمحاماة

بحرة جسة عذافرة خوصاء عيرانة علنداة

تبادر الشمس كلما طلعت بالسير تبغي بذاك كرضاتي

ياناق خبي بنا ولاتعدي نفسك مما ترين راحات

حتىتناخي بنا إلى ملك توجه الله بالمهابات

عليه تاجان فوق مفرقه تاج جلال وتاج إخبات

يقول للريح كلما عصفت هل لك ياريح في مباراتي

من مثل من عمه الرسول ومن أخواله أكرم الخؤولات

إسحاق بن وعبادة معشوقته

أخبرني وكيع قال: قال الزبير بن بكار حدثني أبو غزية، وكان قاضيا" على المدينة، قال: كان اسحاق بن عزيز يتعشق عبادة جارية المهلبية، وكانت المهلبية منقطعة إلى الخيزران. فركب إسحاق يوما" ومعه عبد الله بن مصعب يريديان المهدي، فلقيا عبادة؛ فقال إسحاق: يا أبا بكر، هذه عبادة، وحرك دابته حتى سبقها فنظر إليها، فجعل عبد الله بن مصعب يتعجب من فعله. ومضيا فدخلا على المهدي، فحدثه عبد الله بن مصعب بحديث إسحاق ومات فعل. فقال: أنا اشتريها لك ياإسحاق. ودخل علىالخيزران فدعا بالمهلبية. فحضرت، فأعطاها بعبادة خمسين ألف درهم. لإسحاق بن عزيز. فبكت وقالت: أتؤثر علي إسحاق بن عزيز وهي يدي ورجلي ولساني في جميع حوائجي! فقالت لها الخيزران عند ذلك: ما يبكيك؟ والله لاوصل إليها ابن عزيز أبدا"، صار يتعشق جواري الناس! فخرج المهدي فأخبر ابن عزيز بما جرى، وقال له: الخمسون ألف درهم لك مكانها، وأمر له بها، فأخذها عن عبادة. فقال أبو العتاهية يعيره بذلك:

من صدق الحب لأحبابه فإن حب ابن عزيز غرور

أنساه عبادة ذات الهوى وأذهب الحب الذي في اضلمير

خسمون ألفا" كلها راجح حسنا "لها في كل كيس صرير

وقال أبو العتاهية في ذلك ايضا":

حبك للمال لاكحبك عب ادة يافاضح المحبينا
لو كنت أصفيتها الوداد كما قلت لما بعتها بخمسينا

طال وجع عينه فقال شعرا"

حدثني الصولي قال حدثني جبلة بن محمد قال حدثني أبي قال: رأيت أبا العتاهية بعدما تخلص من حبس المهدي وهويلزم طبيبا" على بابنا ليكحل عينه. فقيل له: قد طال وجع عينيك؛ فأنشأ يقول:

صوت

أيا ويح نفسي ويحها ثم ويحها أمامن خلاص من شباك الحبائل
أيا ويح عيني قد اضر بها البكا فلم يغن عنها طب مافي المكاحل

في هذين البيتين لإبراهيم الموصلي لحن من الثقيل الأول.

كان الهادي واجدا" عليه لاتصاله بهارون

فلما ولي الخلافة مدحه فأجزل صلته:

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا عمر بن شبة قال: كان الهادي واجدا" علي أبي العتاهية لملازمته أخاه هارون في خلافة المهدي، فلما ولي موسى الخلافة، قال أبو العتاهية يمدحه:

صوت

يضطرب الخوف والرجاء إذا حرك موسى القضيب أو فكر
مأأبين الفضل في مغيب ما أورد من رأيه ومأأصدر

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكل لحن من الثقيل الأول في نهاية الجودة، ومابان به فضله في الصناعة-:

فكم ترى عز عند ذلك من معشر قوم وذل من معشر
يثمر من مسه القضيب ولو يمسه غيره لما أثمر
من مثل موسى ومثل والده ال مهدي أو جده أبي جعفر

قال: فرضي عنه. فلما دخل عليه أنشده:

لهفي على الزمن القصير	بين الخورنق والسدير

إذ نحن في غرف الجنا	ن نعوم في بحر السرور
في فتية ملكو عنا	ن الدهر أمثال الصقور
مامنهم إلا الجسو	ر على الهوى غير الحصور
يتعاورون مدامة	صهباء من حلب العصير
عذراء رابها شعا	ع الشمس في حر الهجير
لم تدن من نار ولم	يعلق بها وضر القدور
ومقرطق يمشي أما	م القوم كالرشأ الغرير
بزجاجة تستخرج السر الدفين من الضمير
زهراء مثل الكوكب الدري في كف المدير
تدع الكريم وليس يد	ري ماقبيل من دبي
ومخصرات زرننا	بعد الهدو من الخدور
ريا روادفهن يل	بسن الخواتم في الخصور
غر الوجوه محجبا	ت قاصرات الطرف حور
متنعمات في النعي	م مضمخات بالعبير
يرفلن في حلل المحا	سن والمجاسد والحرير
ماإن يرين الشمس إلا الفرط من خلل الستور
وإلى أمين الله مه	ر بنا من الدهر العثور
وإليه أتعبنا المطا	يا بالرواح وبالبكور
ضغر الخدود كأنما	جنحن أجنحة النسور
متسربلات بالظلا	م على السهولة والوعور
حتى وصلن بنا إلى	رب المدائن والقصور
مازال قبل فطامه	في سن مكتهل كبير

-قال: قيل لو كان جزل اللفظ لكان أشعر الناس - فأجزل صلته. وعاد إلى أفضل ما كان له عليه.

في خلافة المأمون

أخبرن يعمي الحسن بن محمد قال حدثني الكراني عن أبي حاتم قال: قدم علينا ابو العتاهية في خلافة المأمون. فصار إليه أصحابنا فاستنشدوه، فكان أول ماأنشدهم:

ألم تر ريب الدهر في كل ساعة ... له عارض فيه المنية تلمع
أيا باني الدنيا لغيرك تنتني ... وياجامع الدنيا لغيرك تجمع
أرى المرء وثابا" على كل فرصة ... وللمرء يوما" لامحالة مصرع
تبارك من لايملك الملك غيره ... متى تنقضي حاجات من ليس يشبع
وأي امرىء في غاية ليس نفسه ... إلى غاية أخرى سواها تطلع

قال: وكان أصحابنا يقولون: لو أن طبع أبي العتاهية بجزالة لفظ لكان أشعر الناس.

تمثل الفضل بشعر له

حين انحطت مرتبته في دار المأمون:

أخبرني السحن بن علي قال حدثنا ابن مهروية قال حدثني سليمان بن جعفر الجزري قال حدثني أحمد بن عبد الله قال: كانت مرتبة أبي العتاهية مع الفضل بن الربيع في موضع واحد في دار المأمون. فقال الفضل لأبي العتاهية: يا أبا إسحاق، ماأحسن بيتين لك وأصدقهما! قال: وماهما؟ قال: قولك:

ماالناس إلا للكثير المال أو ... لمسلط مادام في سلطانه
فإذا الزمان وماهما ببلية ... كان الثقات هناك من أعوانه

يعني: من أعوان الزمان. قال: وإنما تمثل الفضل بن الربيع بهذين البيتين لانحطاط مرتبته في دار المأمون وتقدم غيره. وكان المأمون أمر بذلك لتحريره مع اخيه.

كان ملازما" للرشيد فلماتنسك حبسه

ولما استعطفه أطلقه:

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: قال لي محمد بن أبي العتاهية: كان لأبي لايفارق الرشيد في سفر ولاحضر إلا في طريق الحج، وكان يجري عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى

الجوائز والمعاون. فلما قدم الرشيد الرقة، لبس أبي الصوف وتزهد وترك حضور المنادمة والقول في الغزل، وأمر الرشيد بحبسه فحبس؛ فكتب إليه من وقته:

صوت

أنا اليوم لي والحمد لله أشهر يروح علي الهم منكم ويبكر
تذكر أمين الله حقي وحرمتي وماكنت توليني لعلك تذكر
ليالي تدني منك بالقرب مجلسي ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لي بالعين التي كنت مرة إلي بها في سالف الدهر تنظر

قال: فلما قرأ الرشيد الأبيات قال: قولوا له: لابأس عليك. فكتب غليه:

صوت

أرقت وطار عن عيني النعاس ونام السامرون ولم يواسوا
أمين الله أمنك خير أمن عليك من التقى فيه لباس
تساس من السماء بكل بر وأنت به تسوس كما تساس
كأن الخلق ركب فيه روح له جسد وأنت عليه رأس
أمين الله إن الحبس بأس وقد أرسلت: ليس عليك باس

-غنى في هذه الأبيات إبراهيم، ولحنه ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسكى. وفيهأيضا" ثقيل أول عن الهشامي-

قال: وكتب عليه أيضا" في الحبس:

وكلفتني ماحلت بيني وبينه وقلت سأبغي ماتريد وماتهوى
فلو كان لي قلبان كلفت واحدا" هواك وكلفت الخلي لما يهوى

قال: فأمر بإطلاقه.

حدثني عمي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني ثابت بن الزبير بن حبيب قال حدثني ابن أخت أبي خالد الحربي قال: قال لي الرشيد: احبس أباالعتاهية وضيق عليه حتى يقول الشعر الرقيق في الغزل كما كان يقول. فحبسته في بيت خمسة أشبار في مثلها؛ فصاح: الموت، أخرجوني، فأنا أقول كل ماشئتم. فقلت: قل. فقال: حتى أتنفس. فأخرجته وأعطيته دواة" وقرطاسا"؛ فقالأبياته اللتي أولها:

من لعبد أذله مولاه ماله شافع إليه سواه

يشتكي مابه إليه ويخشا ه ويرجوه مثل مايخشاه

قال: فدفعتها إلي مسرور الخادم فأوصلها، وتقدم الرشيد إلى إبراهيم الموصلي فغنى فيها، وأمر بإحذار ابي العتاهية فأحضر. فلما أحضر قال له: أنشدني قولك:

صوت

ياعتب سيدتي أمالك دين حتىمتى قلبي لديك رهين

وأنا الذلول لكل ماحملتني وأنا الشقي البائس المسكين

وأنا الغداة لكل باك مسعد ولكل صب صاحب وخدين

لابأس إن لذاك عندي راحة للصب أن يلقى الحزين حزين

ياعتب أيين أفر منك أميرتي وعلي حصن من هواك حصين

-لإبراهيم في هذه الأبيات هزج عن الهشامي -فأمر له الرشيد بخمسن ألف درهم وله في الرشيد لما حبسه أشعار كثيرة منها قوله:

يارشيد الأمر أرشدني إليى وجه نجحي لاعدمت الرشدا

لاأراك الله سوءا" أبدا" مارأت مثلك عين أحدا

أعن الخائف وارحم صوته رافعا" نحوك يدعوك يدا

وابلائي من دعاوى أمل كلما قلت تداني بعدا

كم أمني بغد بعد غد ينفذ العمر ولم ألق غدا

هجا القاسم بن الرشيد فشربه وحبسه ولما اشتكى إلى زبيدة بره الرشيد وأجازه: نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: حدثني علي بن مهدي قال حدثني الحسين بن أبي السري قال: مر القاسم بن الرشيد في موكب عظيم وكان من أتيه الناس، وأبو العتاهية جالس مع قوم على ظهر الطريق، فقام أبو العتاهية حين رآه إعظاما" له، فلم يزل قائما" حتى جاز، فأجازه و لم يلتفت إليه؛ فقال أبو العتاهية:

يتيه ابن آدم من جهله كأن رحا الموت لاتطحنه

فسمع بعض من في موكبه ذلك فأخبر به القاسم؛ فيعث إلى أبي العتاهية وضربه مائة مقرعةٍ، وقال له: يا ابن الفاعلة أتعرض لي في مثل ذلك الموضع وحبسه في داره. فدس أبو العتاهية إلى زبيدة بنت جفعر، وكانت تزجب له" حفه"، هذه الأبيات:

حتى متى ذو التيه في تيهه أصلحه الله ةعافاه

يتيه أهل التيه من جهلهم وهم يموتون وإن تاهوا

من طلب العو ليبقى به فإن عز المرء تقواه

لم يعتصم بالله منخلقه من ليس يرجوه ويخشاه

وكتب إليها بحالة وضيق حبسه، وكانت مائلة إليه، فرثت له وأخبرت الرشيد بأمره وكلمته فيه؛ فأحضره وكساه ووصله، ولمك يرض عن القاسم حتى بر أبا العتاهية وأدناه واعتذر إليه.

ونسخت من كتاب هارون بن علي: قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني محمد بن سهل عن خالد بن أبي الأزهر قال:

بعث الرشيد بالحرشي إلى ناحيى الموصل، فجبى له منها مالا" عظيما" من بقايا الخراج، فوافى به باب الرشيد، فأمر بصرف المال أجمع إلى بعض جواريه، فاستعظم الناس ذلك وتحدثوا به؛ فرأيت أبا العتاهية وقد أخذه شبه الجنون، فقلت له: مالك ويحك؟ فقال لي: سبحان الله أيدفع هذا المال الجليل إلى امرأة، ولاتتعلق كفي بشيء منه ثم دخل إلى الرشيد بعد أيام فأنشده:

الله هون عندك الدنيا وبغضها إليكا

فأبيت إلا تصغر كل شيء في يديكا

ماهانت الدني على أحد كما هانت عليكا

فقال له الفضل بن الربيع: ياأمير المؤمنين، مامدحت الخلفاء بأصدق من هذا المدح. فقال: يافضل، أعطه عشرين ألف درهم. فغدا أبو العتاهية على الفضل فأنشده:

إذا ما كنت متخذا" خليلا فمثل الفضل فاتخذ الخليلا

يرى الشكر القليل له عظيما" ويعطي من مواهبه الجزيلا

أراني حيثما يممت طرفي وجدت على مكارمه دليلا

فقال له الفضل: والله لولا أن اساوي أمير المؤمنين لأعطيتك مثلها، ولكن سأوصلها إليك في دفعات، ثم أعطاه ما أمر به الرشيد، وزاد له خمسة آلاف درهم من عنده.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا المبرد قال حدثني عبد الصمد بن المعذل قال: سمعت الأمير علي بن عيسى بن جعفر يقول: كنت صبيا" في دار الرشيد، فراست شيخا" ينشد والناس حوله:

ليس للإنسان إلا مارزق أستعين الله بالله أثق

علق الهم بقلبي كله وإذا ماعلق الهم علق

بأبي من كان لي من قلبه مرة ود قليل فسرق
يابني الإسلام فيكم ملك جامع الإسلام عنه يفترق
لندى هارون فيكم وله فيكم صوب هطول وورق
لم يزل هارون خيرا" كله قتل الشر به يوم خلق

فقلت لبعض الهاشميين: أما ترى إعجاب الناس بشعر هذا الرجل؟ فقال: يابني، إن الأعناق لتقطع دون هذا الطبع. قال: ثم كان الشيخ أبا العتاهية، والذي سأله إبارهيم بن المهدي استعطف الرشيد وهو محبوس فأطلقه حدثنا الصولي قال حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثني عبد القوي بن محمد بن أبي العتاهية عن أبيه قال: لبس أبو العتاهية كساء صوف ودراعة صوف، وآلى على نفسه ألا يقول شعرا" في الغزل، وأمر الرشيد بحبسه والتضييق عليه؛ فقال:

صوت

يابن عم النبي سمعا" وطاعة قد خلعنا الكساء والدراعة
ورجعنا إلى الصناعة لما كان سخط الإمام ترك الصناعة

وقال أيضا":

أما رحمتني يوم ولت فأسرعت وقد تركتني واقفا" أتلفت
أقلب طرفي كي أراها فلا أرى وأحلب عيني درها وأصوت

فلم يزل الرشيد متوانيا" في إخراجه إلى أن قال:

أما والله إن الظلم لوم ومازال المسيء هو الظلوم
إلى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم
لأمر ماتصرفت الليالي وأمر ماتوليت النجوم
تموت غدا" وأنت قرير عين من الغفلات في لجج تعوم
تنام ولم تنم عنك المنايا تنبه للمنية يانؤوم
سل الأيام عن أمم تقضت ستخبرك المعالم والرسوم
تروم الخلد في دار المنايا وكم قد رام غيرك ماتروم
ألا يا أيها الملك المرجى عليه نواهض الدنيا تحوم

أقلني زلة لم أجر منها — إلى لوم ومامثلي ملوم

وخلصني تخلص يوم بعث — لإذا للناس برزت الجحيم

فرق له وأمر بإطلاقه.

حديثه عن شعره ورأى أبي نواس فيه

نسخت من كتبا هارون بن علي: قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني ابن أبي الأبيض قال:

أيتيت أبا العتاهية فقلت له: إني رجل أقول الشعر في الزهد، ولي فيه أشعار كثيرة، وهو مذهب أستحسنه؛ لأني أرجو ألا آثم فيه، وسمعت شعرك في هذا المعنى فأحببت أن أستزيد منه، فأحب أن تنشدني من جيد ماقلت؛ فقال: أعلم أن ماقلته رديء. قلت: وكيف؟ قال: لأن الشعر ينبغي أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدمين أو مثل شعر بشار وابن هرمة، فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مما لا تخفى علي جمهور الناس مثل شعري، ولا سيما الأشعار التي في الزهد؛ فإن الزهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رواة الشعر ولا طلاب الغريب، وهو مذهب أشغف الناس به الزهاد وأصحاب الحديث والفقهاء وأصحاب الرياء والعامة، وأعجب الأشياء إليهم ما فهموه. فقلت: صدقت. ثم أنشدني قصيدته:

لدوا الموت وابنوا للخراب — فكلكم يصير إلى تباب

ألا يا موت لم أر منك بدا — أتيت وما تحيف وما تحابي

كأنك قد هجمت على مشيبي — كما هجم المشيب على شبابي

قال: فصرت إلى أبي نواس فأعلمته ما دار بيننا؛ فقال: والله ما أحسب في شعره مثل ما أنشدك بيتا" آخر.

فصرت غليه فأخبرته بقول أبي نواس؛ فأنشدني قصيدته التي يقول فيها:

طول النعاشر بين الناس مملول — ما لابن آدم إن فتشت معقول

يا راعي الشاء لا تغفل رعايتها — فأنت عن كل ما استرعيت مسؤول

إني لفي منزل مازلت أعمره — على يقين بأني عنه منقول

وليس في موضع يأتيه ذو نفس — إلا وللموت سيف فيه مسلل

لم يشغل الموت عنا مذ أعج لنا — وكلنا عنه باللذات مشغول

ومن يمت فهو مقطوع ومجتنب — والحي ماعاش مغشي وموصول

كل مابدا لك فالآكال فانية — وكل ذي أكل لابد مأكول

قال: ثم أنشدني عدة قصائد ما هي بدون هذه، فصرت إلى أبي نواس فأخبرته؛ فتغير لونه وقال: لم خبرته بما قلت! قد والله أجاد! و لم يقل فيه سوءا".

كان أبو نواس يجله ويعظمه أخبرن يالحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني علي بن عبد الله بن سعد قال حدثني هارون بن سعدان وملى البجليين قال: كنت مع ابو نواس قريبا" من دور بين نيبخت بنهر طابق وعنده جماعة، فجعل يمر به القواد والكتاب وبنو هاشم فيسلمون عليه وهو متكىء ممدود الرجل لايتحرك أحد منهم، حتى نظرنا إليه قد قبض رجليه ووثب وقام إلى شيخ قد أقبل علي حمار له، فاعتنق أبا نواس ووقف أبو نواس يحادثه، فلم يزل واقفا" معه يروح بين رجليه يرفع رجلا" ويضع أخرى، ثم مضى الشيخ ورجع إلينا أبو نواس وهو يتأوه. فقال له بعض من حضر: والله لأنت أشعر منه. فقال: والله مارأيته قط إلا ظننت أنه سماء وأنا أرض

رأي بشارفيه

قال محمد بن القاسم حدثني علي بن محمد بن عبد الله الكوفي قال حدثني السري بن الصباح مولى ثوبان بن علي قال: كنت عند بشار فقلت له: من أشعر أهل زماننا؟ فقال: مخنث أهل بغداد "يعني أبا العتاهية"

عزى المهدي في وفاة ابنته فأجازه

أخبرني يحيىبن علي المنجم إجازة: قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني الخزجي الشاعر قال حدثني عبد الله بن أيوب الأنصاري قال حدثني أبو العتاهية قال: ماتت بنت المهدي فحزن عليها حزنا" شديدا" حتى امتنع من الطعام والشراب، فقلت أبياتا" أعزيه بها؛ فوافيته وقد سلا وضحك وأكل وهويقول: لابد من الصبر على مالابد منه، ولئن سلونا عمن فقدنا ليسلون عنا من يفقدنا، ومايأتي الليل والنهار على شيء إلا أبليه. فلما سمعت هذا منه قلت: ياأمير المؤمنين، أتأذن لي أن أنشدك؟ قال هات؛ فأنشدته:

ما للجديدين لايبلى اختلافهما وكل غض جديد فيهما بالي

يامن سلا عن حبيب بعد ميتته كم بعد موتك أيضا" عنك من سالي

كأن كل نعيم أنت ذائقه من لذة العيش يحكي لمعة الآل

لاتلعبن بك الدنيا وأنت ترى ماشئت من عبر فيها وأمثال

ماحيلة الموت إلا كل صالحة أو لا "فما حيلة فيه لمحتال

فقال لي: أحسنت ويحك! وأصبت مافي نفسي وأوجزت! ثم أمر لكل بيت بأفل درهم

حبسه الرشيد مع إبراهيم الموصلي ثم أطلقهما

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العتري قال حدثني أحمد بن خلاد قال حدثني أبي قال: لما مات موسى الهادي قال الرشيد لأبي العتاهية: قل شعرا" في الغمزل؛ فقال: لاأقول شعرا" بعد موسى أبدا"، فحبسه. وأمر إبراهيم الموصلي أن يغني؛ فقال: لاأغني بعد موسى أبدا"، وكان محسنا" إليهما، فحبسه. فلما شخص إلى الرقه حفر لهما حفرة واسعة وقطع بينهما بحائط، وقال: كونا بهذا المكان لاتخرجا منه حتى تشعر أنت ويغني هذا. فصبرا على ذلك برهة. وكان الرشيد يشرب ذات يوم وجعفر بن يحيى معه، فغنت جارية صوتا" فاستحسناه وطربا" عليه طربا" شديدا"، وكان بيتا" واحدا". فقال الرشيد: يماكان أحوجه إلى بيت ثان ليطول الغناء فيه فنستمتع مدة طويلةبه! فقال له جعفر: قد أصبته. قال: من أين؟ قال: تبعث إلى أبي العتاهية فيلحقه به لقدرته على الشعر وسرعته. قال: هو أنكد من ذلك، لايجيبنا وهو محبوس ونحن في نعيم وطرب. قال: بلى! فاكتب إليه حتى تعلم صحة ماقلت لك. فكتب غليه بالقصة وقال: ألحق لنا بالبيت بيتا" ثانيا". فكتب إليه أبوالعتاهية:

شغل المسكين عن تلك المحن فارق الروح وأخلى من بدن

ولفد كلفت أمرا" عجبا" اسأل التفريخ نم بيت الحزن

فلما وصلت قال الرشيد: قد عرفتك أنه لايفعل. قال: فتخرجه حتى يفعل. قال: لا! حتى يشعر؛ فقد حلفت. فأقام أياما" لايفعل. قال: ثم قال أبو العتاهية لإبراهيم: إلى كم هذا نلاج الخلفاء! هلم أقل شعرا" وتغن فيه. فقال أبو العتاهية:

بأبي من كان في قلبي له مرة حب قليل فسرق

يابني العباس فيكم ملك شعب الإحسان منه تفترق

إنما هارون خير كله مات كل الشرمذ يوم خلق

وغنى فيه إبراهيم. فدعا بهماالرشيد؛ فأنشده أبوالعتاهية وغناه إبراهيم، فأعطى كل واحد منهما مائة ألف درهم ومائة ثوب.

حدثني الصولي بهذا الحديث عن الحسين بن يحيى عن عبدالله بن العباس بن الفضل بن الربيع، فقال فيه: غضب الرشيد على جارية له فحلف ألا يدخل إليها أياما"، ثم ندم فقال:

صد عني إذ رآني مفتتن وأطال الصد لما أن فطن

كان مملوكي فأضحى مالكي إن هذا من أعاجيب الزمن

وقال لجعفر بن يحيى: اطلب لي من يزيد على هذين البيتين. فقال له: ليس غير ابي العتاهية. فبعث إليه فأجاب بالجواب المذكور، فأمر بإطلاقه وصلته. فقال: الآن طاب القول؛ ثم قال:

عزة الحب أرته ذلتي في هواه وله وجه حسن

ولهذا صرت مملوكا" له ولهذا شاع مابي وعلن

فقال: احسنت والله وأصبت مافي نفسي! وأضعف صلته

شعره في ذم الناس

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني الهيثم بن عثمان قال حدثني شبيب بن منصور قال: كنت في الموقف واقفا" على باب الرشيد، فإذا رجل بشع الهيئة على بغل قد جاء فوقف، وجعل الناس يسلمون عليه ويسائلونه ويضاحكونه، ثم وقف في الموقف، فأقبل الناس يشكون أحوالهم: فواحد يقول: كنت منقطعا" إلىفلان فلم يصنع بي خيرا"، ويقول آخر: أملت فلانا" فخاب أملي وفعل بي، ويشكو آخر من حاله؛ فقال الرجل:

فتشت ذي الدنيا فليس بها أحد أراه لآخر حامد

حتى كأن الناس كلهم قد أفرغوا في قالب واحد

فسألت عنه فقيل: هو أبو العتاهية يخاطب سلما" الخاسر:

تعالى الله ياسلم بن عمرو إذل الحرص أعناق الرجال

فقال المأمون: إن الحرص لمفسد للذين والمروءة، والله ماعرفت من رجل قط حرصا" ولا شرها" فرأيت فيه مصطنعا". فبلغ ذلك سلما" فقال: ويلي على المخنث الجرارالزنديق! جمع الأموال وكنزها وعبأ البدور في بيته ثم تزهد مراءاة ونفاقا"، فأخذ يهتف بي إذا تصديت للطلب.

اقتص منه الجماز لخاله مسلم فاعتذر له

أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدب ومحمد بن عمران الصيرفي قالا حدثنا أحمد بن خلاد عن أبيه عن عبد الله بن الحسن قال: انشد المأمون بيت أبي العتاهية يخاطب سلما" الخاسر:

تعالى الله ياسلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال

فقال المأمون: إن الحرص لمفسد للدين والمروءة، والله ماعرفت من رجل قط حرصا" ولا شرها" فرأيت فيه مصطنعا". فبلغ ذلك سلما" فقال: ويلي على المخنث الجرار الزنديق! جمع الأموال وكنزها وعبأ البذور في بيته ثم تزهد مراءاة ونفاقا"، فأخذ يهتف بي إذا تصديت للطلب.

اقتص منه الجماز لخاله مسلم فاعتذر له: أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدب ومحمد بن عمران الصيرفي قلا حدثنا الحسن بن عليل العتري قال حدثني محمد بن أحمد بن سليمان العتكي قال حدثني العباس بن عبيد الله بن

سنان بن عبد الملك بن مسمع قال: كنا عند قثم بن جعفر وعنده أبو العاهية ينشد في الزهد، فقال قثم: ياعباس، اطلب الساعة الجماز حيث كان، ولك عندي سبق. فطلبته فوجدته عند ركن جعفر بن سليمان، فقلت: أجب الأمير؛ فقام معي حتى أتى قثم؛ فجلس في ناحية مجلسه وأبوالعتاهية ينشده؛ فأنشأ الجماز يقول:

ماأقبح التزهيد من واعظ　　يزهد الناس ولايزهد

لو كان في تزهيده صادقا"　　أضحى وأمسى بيته المسجد

يخاف أن تنفذ أرزاقه　　والرزق عند الله لاينفد

والرزق مقسوم على من ترى　　يناله الأبيض والأسود

قال: فالتفت أبوالعتاهية إليه فقال: من هذا؟ قالوا: "هذا" الجماز وهو ابن أخت الحاسر، اقتص لهخاله منك. فأقبل عليه وقال: يابن أخي، إني لم أذهب حيث ظننت ولاظن خالك، ولاأردت أن أهتف به؛ وإنما خاطبته كما يخاطب الرجل صديقه، فالله يغفر لكما، ثم قام

غناه مخارق بشعره

أخبرني أحمد بن عبيد بن عمار قال حدثني محمد بن أحمد بن خلف الشمري عن أبيه قال: كنت عند مخارق، فجا أبو العتهاية في يوم الجمعة فقال: لي حاجة وأريد الصلاة؛ فقال مخارق: لاأبرح حتى تعود. قال: فرجع وطرح ثيابه، وهي صوف، وغسل وجهه، ثم قال له: غنني:

صوت

قال لي أحمد ولم يدر مابي　　أتحب الغداة عتبة حقا

فتنفست ثم قلت نعم حبا جرى في العروق عرقا" فعرقا

فجذب مخارق دواة كانت بين يديه فأوقع عليها ثم غناه؛ فاستعاده ثلاث مرات فأعاده عليه، ثم قام يقول: لايسمع والله هذا الغناء أحد فيفلح. وهذا الخبر رواية محمد بن القاسم بن مهروية عنه.

زحدثنا " به" أيضا" في كتاب هارون بن علي بن يحيى عن ابن مهروية عن ابن عمار قال حدثني أحمد بن يعقوب عن محمد بن حسان الضبي قال حدثنا مخارق قال: لقيني أبو العتاهية فقال: بلغني أنك خرجت قولي:

قال لي أحمد ولم يدر مابي　　أتحب الغداة عتبة حقا

فقلت نعم. فقال: غنه فملت معه إلى خراب، فيه قوم فقراء سكان، فغنيته إياه؛ فقال: أحسنت والله منذ ابتدأت حتى سكت؛ ثم قال لي: أبتدأت حتى سكت؛ ثم قال لي: أماترى مافعل الملك بأهل هذا الخراب!

شعره في تبخيل الناس

أخبرني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال: قال مخارق: لقيت أبا العتاهية على الجسر، فقلت له: يا أبا إسحاق، أتنشدني قولك في تبخيلك الناس كلهم؟ فضحك وقال لي: هاهنا؟ قلت نعم. فأنشدني:

إن كنت متخذا" خليلا فتنق و انتقد الخليلا
من لم يكن لك منصفا" في الود فأبغ به بديلا
ولربما سئل البخي ل الشيء لايسوى فتيلا
فيقول لاأجد السبي ل إليه يكره أن ينيلا
فلذاك لاجعل الإل ه له إلى خير سبيلا
فاضرب بطرفك حيث شئ ت فلن ترى إلا بخيلا

فقلت له: أفرطت يا أبا إسحاق! فقال: فديتك! فأكذبني بجواد واحد. فأحببت موافقته، فالتفت يمينا" وشمالا" ثم قلت: ماأجد. فقبل بين عيني وقال: فديتك يابني! لقدر رفقت حتى كدت تسرف

كان بعد تنسكه يطرب لحديث ابن مخارق

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن مخارق قال: كان أبو العتاهية لما نسك يقول لي: يابني، حدثني؛ فإن ألفاظك تطرب كما يطرب غناؤك

جفاه أحمد بن يوسف فعاتبه بشعر

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري قال حدثني أبو هفان قال حدثني موسى بن عبد الملك قال: كان أحمد بن يوسف صدقا" لأبي العتاهية، فلما خدم المأمون وخص به، رأى منه أبو العتاهية جفوة، فكتب إليه:

أبا جعفر إن الشريف يشينه تتايهه على اللأخلاء بالوفر
ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى وأن الغنى يخشى عليه من الفقر
فإن نلت تيها" بالذي نهلت من غنى فإن غناي في التجمل و الصبر

قال: فبعث إليه بألفي درهم، وكتب إليه يعتذر مما أنكره.

طلب إليه أن يجيز شعرا"

فأجازه على البديهة:

أخبرني الحسن ين علي قال حدثنا ابن مهروية قال حدثني إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الكوفي قالاحدثني أبو جعفر المعبدي قال: قلت لأبي العتاهية: أجز لي قول الشاعر:

وكان المال يأتينا فكنا نبذره وليس لنا عقول

فلما أن تولى المال عنا عقلنا حين ليس لنا فضول

قال: فقال أبو العتاهية على المكان:

فقصر ماترى بالصبر حقا" فكل إن صبرت له مزيل

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا اهن مهروية قال حدثني الحسن بن الضل الزعفراني قال: حدثني من سمع أبا العتاهية يقول لابنه وقد غضب عليه: اذهب فإنك ثقيل الظل جامد الهواء

أهدى إلى الفضل نعلا' فأهداها للخليفة

أخبرن الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهروية قال حدنث ي يحيى بن خليفة الرازي قال حدثنا حبيب بن الجهم النميري قال: حضرت الفضل بن الربيع متنجزا" جائزتي وفرضي، فلم يدخل عليه أحد قبلي، فإذا عون حاجبه قد جاء فقال: هذا أبو العتاهية يسلم عليك وقد قدم من مكة؛ فقال: أعفني منه الساعة يشغلني عن ركوبي. فخرج إليه عون فقال: إنه على الركوب إلى أمير المؤمنين. فأخرج منكمه نعلا" عليها شراك فقال: قل له إن أبا العتاهية أهداها إليك جعلت فداءك. قال: فدخل بها؛ فقال: ماهذه؟ فقال:: نعل وعلى شرامها مكتوب كتاب. فقال: ياحبيب، أقرأ ماعليها فقرأته فإذا هو:

نعل بعثت بها ليلبسها قرم بها يشي إلى المجد

لوكان يصلح أن أشركها خدي جعلت شراكها خدي

فقال لحاجبه عون: احملها معنا، فحملها. فلما دخل على الأمين قالله: ياعباسي، ماهذا النعل؟ فقال: أهادها إلي أبو العتاهية وكتب عليها بيتين، وكان أمير المؤمنين أولى بلبسها لما وصف به لابسها. فقال: وما هما؟ فقرأهما. فقال: أجاد والله! وماسبقه إلى هذا المعنى أحد، هبوا له عشرة آلاف درهم. فأخرجت والله في بدرة وهو راكب علىحماره، فقبضها وانصرف.

قيل إنه كان من أقل الناس معرفة

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثنا إسماعيل بن عبد الله الكوفي قال حدثناعمروس صاحب الطعام وكان جار أبي العتاهية، قال: كان أبو العتاهية من أقل الناس معرفة، سمعت بشرا"

المريسي يقول له: يا أبا إسحاق، لاتصل خلف فلان جارك وإمام مسجدكم؛ فإنه مشبه. قال: كلا! إنه قرأ بنا البارحة في الصلاة: "قل هو الله أحد"؛ وإذغ هو يظن أن المشبه لايقرأ" قل هو الله أحد"

شكا غليه بكر عن المعتمر ضيق حبسه

فكتب إليه شعرا":

أخبرن ياالحسن قال حدثنا ابن مهروية قال حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح قال: كنت أمشي مع أبي العتاهية يده في يدي وهو متكء علي ينظر إلى الناس يذهبون ويجيئونن فقال: أما تراهم هذا يتيه فلا يتكلم، وهذا يتكلم بصلف! ثم قال لي: مر بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار وهو يخطر، فقال: يابني، للو خفضت بعض هذه الخيلاء ألم يكن احسن بك من هذه الشهرة التي قد شهرت بها نفسك؟! فقال له الفتى: أو ماتعرف من أنا! فقال له: بلى! والله أعرفك معرفة جيدة، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت بين ذينك حامل عذرة. قال: فأرخى الفتى أذنيه وكف عما كان يفعل وطأطأ رأسه ومشى مسترسلا". ثم أنشدني أبو العتاهية:

أيا واها" لذكر الل ... ه ياواها" له واها

لقد طيب ذكر الل ... ه يالتسبيح أفواها

فيا أنتن من حش ... على حش إذا تاها

أرى قوما" يتيهون ... حشوشا" رزقوا جاها

مدح إسماعيل بن محمد شعره واستنشده إياه

حدثني اليزيدي عن عمه إسماعيل بن محمد بن أبي محمد قال.

قلت لأبي العتاهية وقد جاءنا: يا أبا إسحاق، شعرك كله حسن عجيب، وقلد مرت بي منذ أيام أبيات لك استحسنتها جدا"،؛ وذلك أنها مقلوبة أيضا"، فأواخرها كأنها رأسها، لو كتبها الإنسان إلى صديق له كتابا" والله لقد كان حسنا" أرفع مايكون شعرا". قال: وماهي؟ قلت:

المرء في تأخير مدته ... كالثوب يخلق بعبد جدته

وحياته نفس يعد به ... ووفاته استكمال عدته

ومصيره من بعد مدته ... لبلى وذا من بعد وحدته

من مات مال ذوومودته ... عنه وحالوع عن مودته

أزف الرحيل ونحن في لعب مانستعد له بعدته
ولقلما تبقي الخطوب علي أشر الشباب وحر وقدته
عجبا "لمنتبه يضيع ما يحتاج فيه ليوم رقدته

شبه أبو نواس شعرا" له بشعره

قال اليزيدي: قال عمي وحدثني الحسين بن الضحاك قال: كنت مع أبي نواس فأنشدني أبياته التي يقول فيها:

يابني النقص و الغير وبني الضعف و الخور

فلما فرغ منها قال لي: يا أبا علي، والله لكأنها من كلام صاحبك"يعني أبا العتاهية"

سأل أعرابيا" عن معاشه ثم قال شعرا"

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني حذيفة بن محمد الطائي قال حدثني أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي قال: حججت فرأيت أبا العتاهية واقفا" على أعرابي في ظل ميل وعليه شملة إذا غطى بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطى رجليه بدا رأسه. فقال له أبو العتاهية: كيف اخترت هذا البلد القفر على البلدان المخصبة؟ فقال له: ياهذا، لولا أن الله أقنع بعض العباد بشر البلاد، وماوسع خير البلاد جميع العباد. فقال له: فمن أين معاشكم؟ فقال: منكم معشر الحاج، تمرون بنا فتنال من فضولكم، وتنصرفون فيكون ذلك. فقال" له": إنما نمر وننصرف في وقت من السنة، فمن أين معاشكم؟ فأطرق الأعرابي ثم قال: لا والله لاأدري ماأقول إلا أنا نرزق من حيث لا نحتسب أكثر مما نرزق من حيث نحتسب. فولى أبو العتاهية وهو يقول:

ألا ياطالب الدنيا دع الدنيا لشانيكا
وماتصنع بالدنيا وظل الميل بكفيكا

شتمه سلم لما سمع هجوه فيه

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال: لما قال أبو العتاهية:

تعالى الله ياسلم بن عمر أذل الحرص أعناق الرجال

قال سلم: ويلي علي ابن الفاعلة! كتر البدور ويزعم أني حريص وأنا في ثوبي هذين!

كان ابن عبد العزيز يتمثل كثيرا" بشعره

أخبرني محمد بن مزيد والحرمي بن أبي العلاء قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمرو بن أدعج قال: قلت لعبد الله بن عبد العزيز العمري وسمعته يتمثل كثيرا" من شعر أبي العتاهية: أشهد أني سمعته ينشد لنفسه:

مرت اليوم شاطره بضة الجسم ساخره

إن دنيا هي التب مرت اليوم سافره

سرقوا نصف اسمها فهي دنيا وآخره

فقال علد الله بن عبد العزيز: وكله الله إلىآخرتها. قال: وماسمع بعد ذلك يتمثل ببيت من شعره.

قال علي بن الحسين مؤلف هذا الكتاب: هذه الأبيات لأبي عيينة المهلبي، وكان يشبب بدينا في شعره، لإإما أن يكون الخبر غلطا"، وإما أنيكون الرجل أنشدها العمري لأبي العتاهية وهو لايعلم أنها ليست له.

موازنة بينه وبين أبي نواس

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل قال: قال لي الحرمازي: شهدت أبا العتاهية وأبا نواس في مجلس، وكان أبو العتاهية أسرع الرجلين جوابا" عند البديهة، وكان أبو نواس أسرعهما في وقل الشعر؛ فإذا تعاطيا جميعا" السرعة فضله أبو العتاهية، وإذا توقفا وتمهلا فضله أبو نواس.

رأى من صالح المسكين جفوة فعاتبه

فجاهره بالعداوة:

أخبرني أحمد بن العباس عن ابن عليل العتري قال حدثنا أبو أنس كثير بن محمد الحزاميقال حدثني الزبير بن بكار"عن" معروف العاملي قال:

قال أبو العتاهية: كنت منقطعا" إلى صالح المسكين، وهو ابن جعفر المنصور، فأصبت في ناحيته مائة ألف درهم، كان لي ودودا" وصديقا"، فجئته يوما"، وكان لي في مجليه مرتبة لايجلس فيها غيري، فنظرت إليه قد قصربي عنها، وعاودته ثانية" فكانت حاله تلك، ورأيت نظره إلي ثقيلا"، فنهضت وقلت:

أراني صالح بغضا فأظهرت له بغضا

ولا والله لاينق ض إلا زدته نقضا

وإلا زدته مقتا وإلا زدته رفضا

ألا يامفسد الود وقد كان له محضا

تغضبت من الريح فما أطلب أن ترضى

لئن كان لك المال الم صفى إن لي عرضا

قال أبو العتاهية: فنمي الكلام إلى صالح فنادى بالعداوة؛ فقلت فيه:

مددت لمعرض حبلا" طويلا" كأطول مايكون من الحبال

حبال بالصريمة ليس تفنى موصلة على عدد الرمال

فلا تنظر إلي ولاتردني ولاتقرب حبالك من حبالي

فليت الردم من يأجوج بيني وبينك كثبتا" أخرى الليالي

فكرش إن أردت لنا كلاما" ونقطع قحف رأسك بالقذال

استنشده مساور شعرا" في جنازة فأبى

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا علي بن سليمان النوفلي قال: قال مساور السباق، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير عن مساور السباق قال: شهدت جنازة في أيام الحج وقت خروج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن المقتول بفخ، فرأيت رجلا: قد حضر الجنازة معنا وقد قال آخر: هذا الرجل الذي صفته كذا وكذا أبو العتاهية فالتفت إليه فقلت له: أنت أبو العتاهية؟ فقال: لا، أنا أبو إسحاق. فقلتله: أنشدني شيئا" من شعرك؛ فقال لي: ماأحمقك! نحن علي سفر وعلى شفير قبر، وفي أيا م العشر، وببلدكم هذا تستنشدني الشعر! ثم أدبر عني ثم عاد إلي فقال: وأخرى أزيدكها، لا والله في بني آدم أسمج منك وجها"! قال النوفلي في خبرهك وصدق أبو العاهية، وكان مساور هذا مقبحا" طويل الوجه كأنه ينظر في سيف.

حجبه حاجب يحيى بن خاقان

فقال شعرا" فاسترضاه فأبى:

أخبرني عمي الحسن بن محمد وجحظة قالا حدثنا ميمون بن هارون قال: قدم أبو العتاهية يوما" مترل يحيى بن خاقان، فلما قدم بادر له الحاجب فانصرف. وأتاه يوما" آخر فصادفه حين نزل، فسلم عيه ودخل إلى مترله و لم يأذن له؛ فأخذ قرطاسا" وكتب إليه:

أراك تراع حين ترى خيالي فما هذا يروعك من خيالي

لعلك خائف مني سؤال ألا فلك الأمان من السؤال

كفيتك إن حالك لم تمل بي لأطلب مثلها بدلا" بحالي

وإن اليسر مثل العسر عندي بأيهما منيت فلا أبالي

فلما قرأ الرقعة أمر الحاجب بإدخاله إليه، فطلبه فأبى أن يرجع معه، و لم يلتقيا بعد ذلك.

كان بينه وبين أبي الشمقمق شر

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني قال: اجتمع أبو نواس وأبو الشمقمق في بيت ابن أذين، ومان بين أبي العتاهية وين أبي الشمقمق شر، فخبؤه من أبي العتاهية في بيت. ودخل أبو العتاهية فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيث، فطن أنه جارية، فقال لابن أذين: متى استطرفت هذه الجارية؟ فقال: قريبا" يا أبا إسحاق، فقال: قل فيها ماحضر؛ فمد أبو العتاهية يده إيه قال:

مددت كفي نحوكم سائلا" ماذا تردون على السائل

فلم يلبث أبو الشمقمق حتى ناداه من البيت:

نرد في كفك ذا فيشة يشفي جوى في استك من داخل

فقال أبو العتاهية: شمقمق والله! وقام مغضبا"

استنشد ابن أبي أمية شعره ومدحه

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا علي بن محمد النوفلب قال حدثني سليمان بن عباد قال حدثنا سليمان بن مناذر قال:
كنا عند جعفر بن يحيى وأبو العتاهية حاضر في وسط المجلس؛ فقال أبو العتاهية لجعفر: جعلني الله فداك! معك شاعر يعرف بابن أبي أمية أحب أن أسمعه ينشد؛ فقال له جعف: هو أقرب الناس منك. فأقبل أبو العتاهية على محمدن وكان إلى جانبه، وسأله أن ينشده، فكأنه حصر ثم أنشده:

صوت

رب وعد ممنك لاأنساه لي أوجب الشكر وإن لم تفعل
اقطع الدهر بوعد حسن وأجلي غمرة ماتنجلي
كلما أملت وعدا" صالحا" عرض المكروه دون الأمل
وأرى الأيام لاتدني الذي أرتجي منك وتدني أجلي

-في هذه الأبيات لأبي حبشة رمل-قال: فأقبل ابو العتاهية يردد البيت الأخير ويقبل رئاي ابن أبي أمية ويبكي، وقال: وددت والله أنه لي بكثير من شعري.

لم يرض بتزويج ابنته لمنصور بن المهدي

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال: كانت لأبي العتاهية بنتان، اسم إحداهما " لله" والأخرى"بالله" فخطب منصور بن المهدي " لله" فلم يزوجه، وقال: إنما طلبها لأنها بنت أبي العتاهية، وكأني بها قد ملها، لم يكن لي إلى الانتصاف منه سبيل، وما كنت لأزوجها إلا بائع خزف وجرار، ولكني اختاره لها موسرا".

كان له ابن شاعر

وكان لأبي العتاهية ابن يقال له محمد وكان شاعرا"، وهو القائل:

قد أفلح السالم الصموت كلام راعي الكلام قوت

ماكل نطف له جواب جواب مايكره السكوت

ياعجبا "لامرىء ظلوم مستيقن أنه يموت

أخبار متفرقة

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: حدثنا زكريا بن الحسين عن عبد الله بن الحسن سهل الكاتب قال: قلت لأبي العتاهية: أنشدني من شعرك ماتستحسن، فأنشدني:

ماأسرع الأيام في الشهر وأسرع الأشهر في العمر

صوت

ليس لمن لبست له حيلة موجودة خير من الصبر

فاخط مع الدهر إذا ماخطا واجر مع الدهر كما يجري

من سابق الهر كبا كبوة لم يستقله آخر الدهر

لإبراهيم في هذه الأبيات خفيف ثقيل وثقيل أول قال عبد الله بن الحسن: وسمعت أبا العتاهية يحدث قال: مازال الفضل بن الربيع من أميل الناس إلي، فملا رجع من خراسان بعد موت الرشيد دخلت إليه، فاستنشدني فأنشدته:

أفنيت عمرك إدبارا" وإقبالا" تبغي البنين وتبغي الأهل والمالا

الموت هول فكن ماشئت ملتمسا" من هوله حيلة إن كنت محتالا

ألم تر الملك الأمسيحين مضى هل نال حي من الدنيا كما نالا

أفناه من لم يزل يفني القرون فقد أضحى وأصبح عنه الملك قد زالا

كم من ملوك مضى ريب الزمان بهم   فأصبحوا عبرا" فينا وأمثالا

فاستحسنها وقال: أنت تعرف شغلي، فعد إلي في وقت فراغي اقعد وآنس بك. فلم أزل أرقب أيامه حتى كان يوم فراغه فصرت إليه؛ فبينما هو مقبل علي يسنشدني ويسألني فأحدثه، إذ أنشدته:

ولى الشباب فماله منحيلة   وكسا ذؤابتي المشيب حمارا

أين البرامكة الذين عهدتهم   بالأمس أعظم أهلها أخطارا "

فلما سمع ذكرى البرامكة تغير لونه ورأيت الكراهية في وجهه، فما رأيت منه خيرا" بعد ذلك.

قال: وكان أبو العتاهية يحدث هذا الحديث ابن الحسن بن سهل؛ فقال له: لئن كان ذلك ضرك عند الفضل بن الربيع لقد نفعك عندنا؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وأجرى له كل ثلاثة آلاف درهم، فلم زيل يقبلها دارة إلى أن مات.

عاتب مجاشع بن مسعدة فرد عليه من شعره: قال عبد الله بن السحن بن سهل: وسمعت عمرو بن مسعدة يقول: قال لي أخي مجاشع: بينما أنا في بيتي إذ جائتني رقعة من أبي العتاهية فيها:

خليل لي أكاتمه   أراني لاألائمه

خليل لاتهب الري   ح إلا هب لائمه

كذا من نال سلطانا"   ومن كثرت دراهمه

قال: فبعثت إليه فأتاني، فقلت له: أما رعيت حقا" ولا ذماما" ولا مودة! فقال لي: ما قلت سوءا". قلت: فما حملك علي هذا؟ قال: أغيب عنك عشرة أيام فلا تسأل عني ولا تبعث إلي رسولا"! فقلت: يا أبا اسحاق، أنسيت قولك:

يأبى المعلق بالمنى   إلا رواحاً وادلاجا

أرفق فعمرك عود ذي   أود رأيت به اعوجاجا

من عاج من شيء إلى   شيء أصاب له معاجا

فقال: حسبك! حسبك! أوسعتني عذرا".

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي الزارع قال حدثنا الحسن بن عليل العتري قال حدثني محمد بن عمران بن عبد الصمد الزارع قال حدثنا ابن عائشة قال: قال أبو العتاهية لابن مناذر: شعرك مهجن لا يلحق بالفحول، وأنت خارج عن طبقة المحدثين. فإن كنت تشبهت بالعجاج ورؤبة فما لحقتها ولاأنت في طريقهما، وإن كنت تذهب مذهب المحدثين فما صنعت شيئا". أخبرني عن قولك: " ومن عاداك لاقى المرمريسا " أخبرني عن المرمريس ماهو؟ قال: فخجل ابن مناذر وماراجعه حرفا". قال: وكان بينهما تناغر.

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدثني الحسين بن إسماعيل المهدي قال حدثني رجاء بن سلمة قال: وجد المأمون علي في شيء، فاستأذنته في الحج فأذن لي، فقدمت البصرة وعبيد الله بن إسحاق بن الفضل الهاشمي عليها وإليه أمر الحج، فزاملته إلى مكة. فبينا نحن في الطواف رأيت أبا العتاهية، فقلت لعبيد الله: جعلت فداك! أتحب أن ترى أبا العتاهية؟ فقال: والله إني لأحب أن أراه وأعاشرهز قلت: فافرغ من طوافك واخرج، ففعل. فأخذت بيد أبي العتاهية فقلت له: يا أبا إسحاق، هل لك في رجل من أهل البصرة شاعر أديب ظريف؟ قال: وكيف لي بذلك؟ فأخذت بيده فجئت به إلى عبيد الله، وكان لايعرفه، فتحدثا ساعة"، ثم قال له أبو العتاهية: هل لك في بيتين تجيزهما؟ فقال له عبيد الله: إنه لارفث ولافسوق ولاجدال في الحج. فقال له: لانرفث ولا نفسق ولانجادل. فقال: هات إذا". فقال أبو العتاهية:

إن المنون غدوها ورواحها | في الناس دائبة تجيل قداحها
ياساكر الدنيا لقد أوطنتها | ولتنزحن وإن كرهت نواحها

فأطرق عبيد الله ينظر إلى الأرض ساعة"، ثم رفع رأسه فقال:

خذ لاأبالك للمنية عدة" | واحتل لنفسك إن أردت صلاحها
لاتغترر فكأنني بعقاب ري | ب الموت قد نشرت عليها جناحها

قال: ثم سمعت الناس ينحلون أبا العتاهية هذه الأربعة الأبيات كلها، وليس له إلا البيتان الأولان.

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا ميمون بت هارون قال حدثني إبراهيم بن رباح قال أخبرني إبراهيم بن عبد الله، وأخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا هارون بن مخارق قال حدثني إبراهيم بن دسكرة، وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال: قال أبو العتاهية: حبسني الرشيد لما تركت قول الشعر، فأدخلت السجن وأغلق الباب علي، فدهشت كما يدهش مثلي لتلك الحال، وإذا أنا برجل جالسٍ في جانب مقيد، فجعلت أنظر إليه ساعة"، ثم تمثل:

صوت

تعودت مر الصبر حتىألفته | وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر
وصيرني يأسي من الناس راجيا" | لحسن صنيع الله من حيث لاأدري

فقلت له: أعد، يرحمك الله، هذين البيتين. فقال لي: ويلك أبا العتاهية! مأسوأ أدبك وأقل عقلك! دخلت علي الحبس فما سلمت تسليم المسلم على المسلم، ولاسألت مسألة الحر للحر، ولاتوجعت توجع المبتلى للمبتلى، حتى إذا سمعت بيتين من الشعر الذي لافضل فيك غيره، لم تصبر عن استعادتهما، و لم تقدم قبل مسألتك عنهما

عذرا" لنفسك في طلبهما! فقلت: ياأخي إني دهشت لهذه الحال، فلا تعذلني واعذرني متفضلا" بذلك. فقال: أنا والله أولى بالدهش والحيرة؛ لأنك حبست في في أن تقول شعرا" به ارتفعت وبلغت، فإذا قلت أمنت، وأنا مأخوذ بأن أدل على ابن الرسول الله صلى الله علسه وسلم ليقتل أو أقتل دونه، ووالله لا أدل عليه أبدا"، والساعة يدعى بي فأقتل، فأينا أحق بالدهش؟ فقلت له: أنت والله أولى، سلمك الله وكفاك، ولو علمت أن هذه حالك ماسألتك. قال: فلا تبخل عليك إذا"، ثم أعاد البيتين حتى حفظتهما. قال: فسألأته من هو؟ فقال: أنا خاص داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد. ولم نلبث أن سمعنا صوت الأقفال، فقام فسكب عليه ماء كان عنده في جره، ولبس ثوبا" نظيفا" كان عنده، ودخل الحرس والجند معهم الشمع فأخرجونا جميعا"، وقدم قبلي إلى الرشد. فسأله عن أحمد بن عيسى؛ فقال: لاتسألني عنه واصنع ماأنت صانع، فو أنه تحت ثوبي هذا ماكتشفته عنه. وأمر بضرب عنقه فضرب. ثم قال لي: أظنك قد ارتعت ياإسماعيل! فقلت: دون ما رأيته تسيل منه النفوس. فقال: ردوه إلى محبسه فرددت، وانتحلت هذين البيتين وزدت فيهما:

إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما تكرهت منه طال عتبي على الدهر

لزرزور غلام المارقي في هذين البيتين المذكورين خفيف رمل. وفيهما لعريب خفيف ثقيل.

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: حدثني علي بن مهدي قال حدثني ناجية بن عبد الواحد قال: قال لي أبو العباس الخزيمي: كان أبو العتاهية خلفا" في الشعر، بينما هو يقول في موسى الهادي:

لهفي على الزمن القصير بين الخورنق والسدير

إذ قال:

أيا ذوي الوخامة أكثرتم الملامة

فليس لي على ذا صبر ولاقلامة

نعم عشقت موقا" هل قامت القيامة

لأركبن فيمن هويته الصرامة

ونسخت من كتابه: حدثني علي بن مهدي قال حدثني أحمد بن عيسى قال حدثني الجماز قال: قال سلم الخاسر: صار إلي إبو العتاهية فقال: جئتك زائرا"؛ فقلت: مقبول منك ومشكور أنت عليه، فأقم. فقال: إن هذا مما يشتد علي. قلت: ولم يشتد عليك مايسهل علىأهل الأدب؟ فقال: لمعرفتي بضيق صدرك. فقلت له وأنا أضحك وأعجب من مكابرته: " رمتني بدائها وانسلت". فقال: دعني من هذا واسمع مني أبيتا". فقلت: هات؛ فأنشدني:

نغص الموت كل لذة عيشٍ يالقومي للموت ماأوحاه

عجبا" أنه إذا مات ميت صد عنه حبيبه وجفاه

حيثما وجه امرؤ ليفوت ال | موت فالموت واقف بحذاه
إنما الشيبد لابن آدم ناع | قام في عارضيه ثم نعاه
من تمنى المنى فأغرق فيها | مات من قبل أن ينال مناه
ماأذل المقل في أيعن النا | س لإقلاله وماأقماه
إنما تنظر العيون من النا | س إلى من ترجوه أو تخشاه

ثم قال لي: كيف رأيتها؟ فقلت له: لقد جودها لو لم تكن ألفاظها سوقية". فقال: والله مايرغبني فيها إلا الذي زهدك فيها.

ونسخت من كتابه: عن علي بن مهدي قال حدثني عبد الله بن عطية عن محمد بن عيسى الحربي قال: كنت جالسا" مع أبي العتاهية، إذ مر بنا حميد الطوسي في موكبه وبين يديه الفرسان والرجالة، وكان بقرب أبي العتاهية سوادي على أتان، فضربوا وجه الأتان ونحوه عن الطريق، وحميد واضع طرفه على معرفة فرسه والناس ينظرون إليه يعجبون منه وهو لايلتفت تيها"؛ فقال أبو العتاهية:

للموت أبنا بهم | ماشئت من صلف وتيه
وكأنني بالموت قد | دارت رحاه علي بنيه

قال: فلما جاز حميد مع صاحب الأتان قال أبو العتاهية:

ماأذل المقل في أعين النا | س لإقلاله وماأقماه
إنما تنظر العيون من النا | س إلى من ترجوه أو تخشاه

اعترض عليه في بخله فأجاب

قال علي بن مهدي وحدثني الحسين بن أبي السري قال: قيل لأبي العتاهية: مالك تبخل بما رزقك الله؟ فقال: والله مابخلت بما رزقني الله قط. قيل له: وكيف ذاك وفي بيتك من المال مالايحصى؟ قال: ليس في ذلك رزقي، ولو كان رزقي لأنفقته.

قال علي بن مهدي وحدثني محمد بن جعفري الشهزوري قال حدثني رجاء مولى صالح الشهزوري قال: كان أبو العتاهية صديقا" لصالح الشهزوري وآنس الناس به، فسأله أن يكلم الفضل بن يحيى في حاجة له؛ فقال له صالح: لستأكلمه في أشباه هذا، ولكن حملني ماشئت في مالي. فانصرف عنه أبو العتاهية وأقام أياما" لا يأتيه؛ فكتب إليه أبو العتاهية:

أقلل زيارتك الصديق ولاتطل إتيانه فتلج في هجرانه

إن الصديق يلج في غشيانه لصديقه فيمل من غشيانه

حتى تراه بعد طول مسرة بمكانه متبرما" بمكانه

وأقل مايلفى الفتى ثقلا" على إخوانه ما كف عن إخوانه

وإذا توانى عن صيانة نفسه رجل تنقص واستخف بشانه

فلما قرأ الأبيات قال: سبحان الله أهجرني لمنعي إياك شيئا" تعلم أنيماابتذلت نفسي قط، وتنسى مودتي وأخوتي، ومن دون مابيني وبين وبينك ماأوجب عليك أن تعذرني فكتب إليه:

أهل التخلق لو يدوم تخلق لسكنت ظل جناح من يتخلق

ماالناس في غلإمسك إلا واحد فبأيهم إن حصلوا أتعلق

هذا زمان قد تعود أهله تيه الملوك وفعل من يتصدق

فلما أصبح صالح غدا بالأبيات على الفضل بن يحيى وحدثه بالحديث؛ فقال له: لا والله ماعلى الأرض أبغض إلي من إسداء عارفة إلى أبي العتاهية؛ لأنه ممن ليس يظهر عليه أثر صنيعه، وقد قضيت حاجته لك؛ فرجع وأرسلني إليه بقضاء حاجته. فقال أبو العتاهية:

جزى الله عني صالحا" بوفائه وأضعف أضعافا" له في جزائه

بلوت رجالا" بعده في إخائهم فما ازددت إلا رغبة" في إخائه

صديق إذا ماجئت أبغيه حاجة" رجعت بما أبغي ووجهي بمائه .

أخبرني الصولي قالحدثني محمد بن موسى قال حدثني أحمد بن حرب قال: أنشدني محمد بن أبي العتاهية لأبيه يعاتب صالحا" هذا في تأخيره قضاء حاجته: صوت

أعيني جوادا" وابكيا ود سالح وهيجا عليه معولات النوائح

فمازال سلطانا" أخ لي أوده فيقطعني جرما" قطيعة صالح

الغناء في هذين البيتين للإبارهين ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

أمر الرشيد مؤدب ولده أن يرويهم شعره: أخبرن محمد بن أبي الأزهر قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده قال: كان الرشيد معجبا" بشعر أبي العتاهية، فخرج إلينا يوما" وفي يده رقعتان على نسخة واحدة، فبعث بإحداهما إلى مؤدّبٍ لولده وقال: ليروّهم ما فيها، ودفع الأخرى إليّ وقال: غنّ في هذه الأبيات. ففتحتها فإذا فيها:

صوت

قل لمن ضنّ بودّه وكوى القلب بصدّه
ما ابتلى الله فؤادي بك إلاّ شؤم جدّه
أيها السارق عقلي لا تضنّنّ بردّه
ما أرى حبّك إلاّ بالغاً بي فوق حدّه

تمثل المعتصم عند موته بشعر له

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثني عبد الله بن محمد الأمويّ العتبيّ قال قال لي محمد بن عبد الملك الزيّات: لمّا أحسّ المعتصم بالموت قال لابنه الواثق: ذهب والله أبوك يا هارون! للّه درّ أبي العتاهية حيث يقول:

الموت بين الخلق مشترك لا سوقةٌ يبقى ولا ملك
ما ضرّ أصحاب القليل وما أغنى عن الأملاك ما ملكوا

عدّ أبو تمام خمسة أبيات من شعره وقال

لم يشركه فيها غيره:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ وعمّي الحسن والكوكبيّ قالوا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: قال لي أبو تمّام الطائيّ: لأبي العتاهية خمسة أبياتٍ ما شركه فيها أحدٌ، ولاقدر على مثلها متقدّم ولا متأخّر، وهو قوله:

الناس في غفلاتهم ورحى المنيّة تطحن

وقوله لأحمد بن يوسف:

ألم تر أنّ الفقر يرجى له الغنى وأنّ الغنى يخشى عليه من الفقر

وقوله في موسى الهادي:

ولمّا استقلّوا بأثقالهم وقد أزمعوا للّذي أزمعوا
قرنت التفاتي بآثارهم وأتبعتهم مقلةً تدمع

وقوله:

هب الدنيا تصير إليك عفواً أليس مصير ذاك إلى زوال

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني محمد بن سعيد المهديّ عن يحيى بن سعيد الأنصاريّ قال: مات شيخٌ لنا ببغداد، فلمّا دفنّاه أقبل الناس على أخيه يعزّونه، فجاء أبو العتاهية إليه وبه جزعٌ شديد، فعزّاه ثم أنشده:

لاتأمن الدّهر وألبس — لكلّ حينٍ لباسا
ليدفننا أناسٌ — كما دفنّا أناسا

قال: فانصرف الناس، وما حفظوا غير قول أبي العتاهية.

نسخت من كتاب هارون بن عليّ: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حبيب بن عبد الرحمن عن بعض أصحابه: قال: كنت في مجلس خزيمة، فجرى حديث ما يسفك من الدماء، فقال: والله ما لنا عند الله عذرٌ ولا حجّةٌ إلاّ رجاء عفوه ومغفرته. ولولا عزّ السلطان وكراهة الذلّة، وأن أصير بعد الرياسة سوقةً وتابعاً بعد ما كنت متبوعاً، ما كان في الأرض أزهد ولا أعبد منّي؛ فإذا هو بالحاجب قد دخل عليه برقعة من أبي العتاهية فيها مكتوبٌ:

أراك امرأً ترجو من الله عفوه — وأنت على ما لا يحبّ مقيم
تدلّ على التقوى وأنت مقصّرٌ — أيا من يداوي الناس وهو سقيم
وإنّ امرأً لم يلهه اليوم عن غدٍ — تخوّف ما يأتي به لحكيم
وإنّ امرأً لم يجعل البرّ كنزه — وإن كانت الدنيا له لعديم

فغضب خزيمة وقال: والله ما المعروف عند هذا المعتوه الملحف من كنوز البرّ فيرغب فيه حرٌّ. فقيل له: وكيف ذاك؟ فقال: لأنّه من الذين يكنزون الذهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله.

ونسخت من كتابه: عن عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السّريّ قال قال لي الفضل بن العبّاس: قال لي أبو العتاهية: دخلت على يزيد بن مزيد، فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها:

وما ذاك إلاّ أنّني واثقٌ بما — لديك وأنّي عالمٌ بوفائكا
كأنّك في صدري إذا جئت زائراً — تقدّر فيه حاجتي بابتدائكا
وإنّ أمير المؤمنين وغيره — ليعلم في الهيجاء فضل غنائكا
كأنّك عند الكرّ في الحرب إنّما — تفرّ من السّلم الذي من ورائكا
فما آفة الأملاك غيرك في الوغى — ولا آفة الأموال غير حبائكا

قال: فأعطاني عشرة آلاف درهم، ودابةً بسرجها ولجامها..

وعظ راهب رجلاً عابداً بشعره

وأخبرني عيسى بن الحسين الورّاق وعمّي الحسن بن محمد وحبيب بن نصر المهلّبي قالوا: حدّثنا عمر بن شبّة قال: مر عابدٌ براهبٍ في صومعة؛ فقال له عظني. فقال: أعظك وعليكم نزل القرآن، ونبيّكم محمد صلى الله عليه وسلم قريب العهد بكم؟ قلت نعم. قال: فاتّعظ ببيتٍ من شعر شاعركم أبي العتاهية حين يقول:

تجرّد من الدنيا فإنّك إنّما وقعت إلى الدنيا وأنت مجرّد

فضله العتأبي على أبي نواس

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ قال حدّثنا العتريّ قال حدّثني الفضل بن محمد الزّارع قال حدّثني جعفر بن جميل قال: قدم العتّأبي الشاعر على المأمون، فأنزله على إسحاق بن إبراهيم، فأنزله على كاتبه ثوابة بن يونس، وكنّا نختلف إليه نكتب عنه. فجرى ذات يوم ذكر الشعراء؛ فقال: لكم يا أهل العراق شاعر منوّه الكنية، ما فعل؟ فذكر االقوم أبا نواس؛ فانتهرهم ونفض يده وقال: ليس ذلك، حتى طال الكلام. فقلت: لعلّك تريد أبا العتاهية. فقال: نعم! ذاك أشعر الأوّلين والآخرين في وقته.

لام أبا نواس في استماع الغناء أخبرني محمد بن عمران قال حدّثني العتريّ قال حدّثني محمد بن إسحاق عن عليّ بن عبد الله الكنديّ قال: جلس أبو العتاهية يوماً يعذل أبا نواس ويلومه في استماع الغناء ومجالسته لأصحابه؛ فقال له أبو نواس:

أتراني يا عتاهي تاركاً تلك الملاهي

أتراني مفسداً بالنسك عند القوم جاهي

قال: فوثب أبو العتاهية وقال: لا بارك الله عليك! وجعل أبو نواس يضحك.

بلغه أن إبراهيم بن المهدي رماه بالزندقة

فبعث إليه يعاتبه فردّ عليه إبراهيم:

أخبرني جحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال: بلغ أبا العتاهية أنّ أبي رماه في مجلسه بالزندقة وذكره بها؛ فبعث إليه يعاتبه على لسان إسحاق الموصلي، فأدّى إليه إسحاق الرسالة؛ فكتب إليه أبي:

إنّ المنيّة أمهلتك عتاهي والموت لا يسهو وقلبك ساهي

يا ويح ذي السنّ الضعيف أماله عن غيّه قبل الممات تناهي

وكلت بالدنيا تبكّيها وتن دبها وأنت عن القيامة لاهي

والعيش حلوٌ والمنون مريرةٌ والدّار دار تفاخرٍ وتباهي

فاختر لنفسك دونها سبلاً و لا تتحامقنّ لها فإنّك لاهي

لا يعجبنّك أن يقال مفوّهٌ حسن البلاغة أو عريض الجاه

أصلح جهولاً من سريرك الّتي تخلوا بها وارهب مقام الله

إنّي رأيتك مظهراً لزهادةٍ تحتاج منك لها إلى أشباه

أخبار متفرقة

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني الحسين ين يحيى الصوليّ قال حدّثني عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الرّبيع قال: رآني الرشيد مشغوفاً بالغناء في شعر أبي العتاهية:

صوت

أحمدٌ قال لي ولم يدر ما بي أتحبّ الغداة عتبة حقًّا

فتنفّست ثم قلت نعم حبًّا جرى في العروق عرقاً فعرقا

لو تجسّين يا عتيبة قلبي لوجدت الفؤاد قرحاً تفقًّا

قد لعمري ملّ الطبيب وملّ الأهل منّي مما أقاسي وألقى

ليتني متّ فاسترحت فإنّي أبداً ما حييت منها ملقًّى

ولا سيما من مخارق، وكان يغنّي فيه رملاً لإبراهيم أخذه عنه. وفيه لحنٌ لفريدة رمل. هكذا قال الصّولي: " فريدة " بالياء، وغيره يقول: " فرندة " بالنون.

حدّثني الصّولي قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا محمد بن صالح العدويّ قال أخبرني أبو العتاهية قال: كان الرشيد مما يعجبه غناء الملاّحين في الزّلاّلات إذا ركبها، وكان يتأذّى بفساد كلامهم ولحنهم، فقال: قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعراً يغنّون فيه. قيل له: ليس أحدٌ أقدر على هذا من أبي العتاهية، وهو في الحبس. قال: فوجّه إليّ الرشيد: قل شعراً حتّى أسمعه منهم، و لم يأمر بإطلاقي؛ فغاظني ذلك فقلت: والله لأقولنّ شعراً يحزنه ولايسرّ به، فعملت شعراً ودفعته إلى من حفّظه الملاّحين. فلمّا ركب الحرّاقة سمعه، وهو:

خانك الطّرف الطّموح أيّها القلب الجموح

لدواعي الخير والشّرّ دنوٌّ ونزوح

هل لمطلوبٍ بذنبٍ توبةٌ منه نصوح

كيف إصلاح قلوبٍ إنّما هنّ قروح

أحسن الله بنا أنّ الخطايا لا تفوح

فإذا المستور منّا بين ثوبيه نضوح

كم رأينا من عزيزٍ طويت عنه الكشوح

صاح منه برحيلٍ صائح الدّهر الصّدوح

موت بعض الناس في الأر ض على قومٍ فتوح

سيصير المرء يوماً جسداً ما فيه روح

بين عيني كلّ حيٍّ علم الموت يلوح

كلّنا في غفلةٍ وال موت يغدو ويروح

لبني الدّنيا من الدّن يا غبوقٌ وصبوح

رحن في الوشى وأصبح ن عليهنّ المسوح

كلّ نطّاحٍ من الدّه ر له يومٌ نطوح

نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح

لتموتنّ وإن عمّرت ما عمّر نوح

قال: فلمّا سمع ذلك الرشيد جعل يبكي وينتحب، وكان الرشيد من أغزر الناس دموعاً في وقت الموعظة، وأشدّهم عسفاً في وقت الغضب والغلظة. فلمّا رأى الفضل بن الرّبيع كثرة بكائه، أومأ إلى الملاّحين أن يسكتوا.

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني الحسن بن جابر كاتب الحسن بن رجاء قال:

لّما حبس الرشيد أبا العتاهية دفعه إلى منجابٍ، فكان يعنف به؛ فقال أبو العتاهية:

منجاب مات بدائه فاعجل له بدوائه

إنّ الإمام أعلّه ظلماً بحدّ شقائه

لا تعنفنّ سياقه ما كلّ ذاك برائه

ما شمت هذا في مخا يل بارقات سمائه

: أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ قال حدّثنا العتزيّ قال حدّثني أحمد بن معاوية القرشيّ قال: لّما عقد الرشيد ولاية العهد لبنيه الثلاثة: الأمين، والمأمون، والمؤتمن، قال أبو العتاهية:

رحلت عن الرّبع المحيل قعودي إلى ذي زحوفٍ جمّةٍ وجنود

وراع يراعي اللّيل في حفظ أمّةٍ يدافع عنها الشرّ غير رقود

بألويةٍ جبريل يقدم أهلها ورايات نصرٍ حوله وبنود

تجافى عن الدّنيا وأيقن أنّها مفارقةٌ ليست بدار خلود

وشدّ عرا الإسلام منه بفتيةٍ ثلاثة أملاكٍ ولاة عهود

هم خير أولادٍ، لهم خير والدٍ له خير أباءٍ مضت وجدود

بنو المصطفى هارون حول سريره فخير قيامٍ حوله وقعود

تقلّب ألحاظ المهابة بينهم عيون ظباءٍ في قلوب أسود

جدودهم شمسٌ أتت في أهلّةٍ تبدّت لراءٍ في نجوم سعود

قال: فوصله الرشيد بصلةٍ ما وصل بمثلها شاعراً قطّ.

ذكر لملك الروم فالتمسه من الرشيد

فاستعفى هو، فكتب من شعره في مجلسه وعلى باب مدينته:

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأسديّ إجازةً قال حدّثنا الرّياشيّ قال: قدم رسول لملك الرّوم إلى الرشيد، فسأل عن أبي العتاهية وأنشده شيئاً من شعره، وكان يحسن العربيّة، فمضى إلى ملك الرّوم وذكره له؛ فكتب ملك الرّوم إليه، وردّ سوله يسأل الرشيد أن يوجّه بأبي العتاهية ويأخذ فيه رهائن من أراد، وألحّ في ذلك. فكلّم الرشيد أبا العتاهية في ذلك، فاستعفى منه وأباه. واتّصل بالرشيد أنّ ملك الرّوم أمر أن يكتب بيتان من شعر أبي العتاهية على أبواب مجالسه وباب مدينته، وهما:

صوت

ما اختلف اللّيل والنّهار ولا دارت نجوم السماء في الفلك

إلاّ لنقل السّلطان عن ملكٍ قد انقضى ملكه إلى ملك

مع الرشيد

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا الرّبيع بن محمد الختّليّ الورّاق قال اخبرني ابن أبي العتاهية: أنّ الرشيد لّما أطلق أباه من الحبس، لزم بيته وقطع الناس؛ فذكره الرشيد فعرّف خبره، فقال: قولوا له: صرت زير نساء وحلس بيت؛ فكتب إليه أبو العتاهية:

برمت بالنّاس وأخلاقهم فصرت أستأنس بالوحده
ما أكثر النّاس لعمري وما أقلّهم في منتهى العدّه

ثم قال: لا ينبغي أن يمضي شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدحٌ له، فقرن هذين البيتين بأربعة أبيات مدحه فيها، وهي:

صوت

عاد لي من ذكرها نصب فدموع العين تنسكب
وكذاك الحبّ صاحبه يعتريه الهمّ والوصب
خير من يرجى ومن يهب ملكٌ دانت له العرب
وحقيقٌ أن يدان له من أبوه للنّبيّ أب

أمره الرشيد أن يعظه فقال شعراً فبكى حدّثنا الصّوليّ قال حدّثنا عون بن محمد قال حدّثنا محمد بن أبي العتاهية قال: قال الرشيد لأبي: عظني؛ فقال له: أخافك. فقال له: أنت آمن. فأنشده:

لا تأمن الموت في طرفٍ ولا نفس إذا تستّرت بالأبواب والحرس
واعلم بأنّ سهام الموت قاصدةٌ لكلّ مدّرعٍ منّا ومتّرس
ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها إنّ السفينة لا تجري على اليبس

قال: فبكى الرشيد حتى بل كمّه.

تناظر ابن أبي فنن وابن خاقان فيه
وفي أبي نواس، ثم حكما ابن الضحاك ففضله:

حّدثني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال:

قال لي أحمد بن أبي فنٍن: تناظرت أنا والفتح بن خاقان في مترله: أيّما " الرجلين " أشعر: أبو نواس أم أبو العتاهية. فقال الفتح: أبو نواس، وقلت: أبو العتاهية. ثم قلت: لو وضعت أشعار العرب كلّها بإزاء شعر أبي العتاهية لفضلها، وليس بيننا خلافٌ في أنّ له في كلّ قصيدة جيّداً ووسطاً وضعيفاً، فإذا جمع جيّده كان أكثر من جيّد كلّ مجوّد. " ثم " قلت له: بمن ترضى؟ قال: بالحسين بن الضحّاك. فما انقطع كلامنا حتّى دخل الحسين بن الضحّاك؛ فقلت: ما تقول في رجلين تشاجرا، فضّل أحدهما أبا نواس وفضّل الآخر أبا العتاهية؟ فقال الحسين: أمّ

من فضّل أبا نواسٍ على أبي العتاهية زانيةٌ؛ فخجل الفتح حتى تبيّن ذلك فيه، ثمّ لم يعاودني في شيءٍ من ذكرهما حتّى افترقنا.

مع مخارق

وقد حدّثني الحسن بن محمد بهذا الخبر على خلاف ما ذكره إبراهيم بن المهديّ فيما تقدّم، فقال: حدّثني هارون بن مخارق قال حدّثني أبي قال: جاءني أبو العتاهية فقال: قد عزمت على أن أتزوّد منك يوماً تهبه لي، فمتى تنشط؟ فقلت: متى شئت. فقال: أخاف أن تقطع بي فقلت: والله لا فعلت وإن طلبني الخليفة. فقال: يكون ذلك في غدٍ. فقلت: أفعل. فلمّا كان من غد باكرني رسوله فجئته، فأدخلني بيتاً له نظيفاً فيه فرشٌ نظيفٌ، ثم دعا بمائدة عليها خبز سميذٍ وخلٌّ وبقلٌ وملحٌ وجديٌ مشويّ فأكلنا منه، ثم دعا بسمكٍ مشويّ فأصبنا منه حتى اكتفينا، ثم دعا بحلواء فأصبنا منها وغسلنا أيدينا، وجاؤونا بفاكهةٍ وريحان وألوانٍ من الأنبذة، فقال: اختر ما يصلح لك منّها؛ فاخترت وشربت؛ وصبّ قدحاً ثم قال: غنّني في قولي:

أحمدٌ قال لي ولم يدر ما بي ... أتحبّ الغداة عتبة حقًّا

فغنّيته، فشرب قدحاً وهو يبكي أحرّ بكاء. ثم قال: غنّني في قولي:

ليس لمن ليست له حيلةٌ ... موجودةٌ خيرٌ من الصبّر

فغنّيته وهو يبكي وينشج، ثم شرب قدحاً آخر ثم قال: غنّني، فديتك، في قولي:

خليليّ ما لي لا تزال مضرّتي ... تكون من الأقدار حتماً من الحتم

فغنّيته إيّاه. وما زال يقترح عليّ كلّ صوت غنّي به في شعره فأغنّيه ويشرب ويبكي حتى صار العتمة. فقال: أحبّ أن تصبر حتّى ترى ما أصنع فجلست. فأمر ابنه وغلامه فكسرا كلّ ما بين أيدينا من النبيذ وآلته والملاهي، ثم أمر بإخراج كلّ ما في بيته من النّبيذ وآلته، فأخرج جميعه، فما زال يكسره ويصبّ النبيذ وهو يبكي حتى لم يبق من ذلك شيءٌ، ثم نزع ثيابه واغتسل، ثم لبس ثيأبا بيضاً من صوف، ثم عانقني وبكى، ثم قال: السلام عليك يا حبيبي وفرحي من الناس كلّهم سلام الفراق الذي لا لقاء بعده؛ وجعل يبكي، وقال: هذا آخر عهدي بك في حال تعاشر أهل الدنيا؛ فظننت أنّها بعض حماقاته، فانصرفت، وما لقيته زماناً. ثم تشوّقته فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت، فإذا هو قد أخذ قوصرتين وثقب إحداهما وأدخل رأسه ويديه فيها وأقامها مقام القميص، وثقب الأخرى وأخرج رجليه منها وأقامها مقام السّراويل. فلمّا رأيته نسيت كلّ ما كان عندي من الغمّ عليه والوحشة لعشرته، وضحكت والله ضحكاً ما ضحكت مثله قطّ. فقال: من أيّ شيءٍ تضحك؟ فقلت: أسخن الله عينك! هذا أيّ شيء هو؟ من بلغك عنه أنّه فعل مثل هذا من الأنبياء والزهّاد والصحابة والمجانين، انزع عنك هذا يا سخين العين! فكأنه أستحيا منّي. ثم بلغني أنّه جلس حجّاماً، فجهدت أن أراه بتلك الحال فلم أره. ثم مرض، فبلغني أنه اشتهى أن أغنّيه، فأتيته عائداً، فخرج إليّ رسوله يقول: إن دخلت إليّ

جدّدت لي حزناً وتاقت نفسي من سماعك إلى ما قد غلبتها عليه، وأنا أستودعك الله وأعتذر إليك من ترك الالتقاء، ثم كان آخر عهدي به.

تمنى عند موته أن يجيء مخارق فيغنيه حدّثني جحظة قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: قيل لأبي العتاهية عند الموت: ما تشتهي؟ فقال: أشتهي أن يجيء مخارق فيضع فمه على أذني ثم يغنّيني.

سيعرض عن ذكري وتنسى مودّتي ويحدث بعدي للخليل خليل

إذا ما انقضت عنّي من الدّهر مدّتي فإنّ غناء الباكيات قليل

وأخبرني به أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح " بن " النطّاح قال:

قال بشر بن الوليد لأبي العتاهية عند الموت: ما تشتهي؟ فذكر مثل الأوّل.

وأخبرني به ابن عمّار أبو العبّاس عن ابن أبي سعد عن محمد بن صالح: أنّ بشراً قال ذلك لأبي العتاهية عند الموت، فأجابه بهذا الجواب.

آخر شعر قاله في مرضه الذي مات فيه

نسخت من كتاب هارون بن عليٍّ: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الله بن عطيّة قال حدّثني محمد بن أبي العتاهية قال: آخر شعرٍ قاله أبي في مرضه الذي مات فيه:

إلهي لا تعذّبني فإنّي مقرٌّ بالّذي قد كان منّي

فما لي حيلةٌ إلاّ رجائي لعفوك إن عفوت وحسن ظنّي

وكم من زلةٍ لي في الخطايا وأنت عليّ ذو فضلٍ ومنّ

إذا فكّرت في ندمي عليها عضضت أناملي وقرعت سنّي

أجنّ بزهرة الدّنيا جنونا وأقطع طول عمري بالتمنّي

ولو أنّي صدقت الزّهد عنها قلبت لأهلها ظهر المجنّ

يظنّ الناس بي خيراً وإنّي لشرّ الخلق إن لم تعف عنّي

أمر بنته أن تندبه بشعر له

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عليل قال حدّثني أحمد بن حمزة الضّبعيّ قال أخبرني أبو محمد المؤدّب قال: قال أبو العتاهية لابنته رقيّة في علّته التي مات فيها: قومي يا بنيّة فاندبي أباك بهذه الأبيات؛ فقامت فندبته بقوله:

لعب البلى بمعالمي ورسومي وقبرت حيًّا تحت ردم همومي

لزم البلى جسمي فأوهن قوّتي إن البلى لموكّلٌ بلزومي

تاريخ وفاته ومدفنه أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا محمد بن داود بن الجرّاح قال حدّثني عليّ بن محمد قال حدّثني مخارق المغني قال: توفّي أبو العتاهية، وإبراهيم الموصليّ، وأبو عمروا الشّيباني عبد السلام في يومٍ واحد في خلافة المأمون، وذلك في سنة ثلاث عشرة ومائتين.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه عن أحمد بن يوسف عن أحمد بن الخليل عن إسماعيل بن أبي قتيبة قال: مات أبو العتاهية، وراشدٌ الخناق، وهشيمة الخمّارة في يومٍ واحدٍ سنة تسع ومائتين.

وذكر الحارث بن أبي أسامة عن محمد بن سعد كاتب الواقديّ: أنّ أبا العتاهية مات في يوم الاثنين لثمانٍ خلون من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة ومائتين، ودفن حيال قنطرة الزيّاتين في الجانب الغربيّ ببغداد.

أخبرني الصّوليّ عن محمد بن موسى عن أبي محمد الشّيباني عن محمد بن أبي العتاهية: أنّ أباه توفّي سنة عشرٍ ومائتين.

الشعر الذي أمر أن يكتب على قبره أخبرني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى عن محمد بن القاسم عن إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد عن إسحاق بن عبد الله بن شعيب قال: أمر أبو العتاهية أن يكتب على قبره:

أذن حيٍّ تسمّعي اسمعي ثمّ عي وعي

أنا رهنٌ بمضجعي فاحذري مثل مصرعي

عشت تسعين حجّةً أسلمتني لمضجعي

كم ترى الحيّ ثابتاً في ديار التزعزع

ليس زادٌ سوى التّقى فخذي منه أو دعي

رثاه ابنه بشعر أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: لّما مات أبو العتاهية رثاه ابنه محمد بن أبي العتاهية فقال:

يا أبي ضمّك الثّرى وطوى الموت أجمعك

ليتني يوم متّ صر ت إلى حفرةٍ معك

رحم الله مصرعك بردّ الله مضجعك

أنكر ابنه أنه أوصى بذلك أخبرني الحسن قال حدّثني أحمد بن زهير قال: قال محمد بن أبي العتاهية: لقيني محمد بن أبي محمد اليزيديّ فقال: أنشدني الأبيات التي أوصى أبوك أن تكتب على قبره؛ فأنشأت أقول له:

كذبت على أخٍ لك في مماته وكم كذبٍ فشا لك في حياته

وأكذب ما تكون على صديقٍ كذبت عليه حيًّا في مماته

فخجل وانصرف. قال: والنّاس يقولون: إنّه أوصى أن يكتب على قبره شعرٌ له، وكان ابنه ينكر ذلك.

وذكر هارون بن عليّ بن مهديّ عن عبد الرحمن بن الفضل أنّه قرأ الأبيات العينيّة التي أوّلها:

أذن حيٍّ تسمّعي

على حجرٍ عند قبر أبي العتاهية.

ولم أذكر هاهنا مع أخبار أبي العتاهية أخباره مع عتبة، وهي من أعظم أخباره؛ لأنّها طويلة، وفيها أغانٍ كثيرة، وقد طالت أخباره هاهنا فأفردها.

أخبار فريدة

أخبار فريدة الكبرى ونشأتها ومصيرها

قال مؤلف هذا الكتاب: هما اثنتان محسنتان لهما صنعةٌ تسمّيان بفريدة. فأمّا إحداهما، وهي الكبرى، فكانت مولّدةً نشأت بالحجاز، ثم وقعت إلى آل الربيع، فعلّمت الغناء في دورهم، ثم صارت إلى البرامكة. فلمّا قتل جعفر بن يحيى ونكبوا هربت، وطلبها الرشيد فلم يجدها، ثم صارت إلى الأمين، فلمّا قتل خرجت، فتزوّجها الهيثم بن مسلم فولدت له ابنه عبد الله، ثم مات عنها، فتزوّجها السّنديّ بن الحرشيّ وماتت عنده. ولها صنعةٌ جيّدة، منها في شعر الوليد بن يزيد:

بعض الشعر الذي لها في صنعته

صوت

ويح سلمى لو تراني لعناها ما عناني

واقفاً في الدّار أبكي عاشقاً حور الغواني

ولحنا فيه خفيف رملٍ.

ومن صنعتها:

صوت

ألا أيّها الرّكب ألا هبّوا نسائلكم هل يقتل الرّجل الحبّ

ألا ربّ ركبٍ قد وقفت مطيّهم　　　عليك ولو لا أنت لم يقف الرّكب

لحنها فيه ثاني ثقيل. وفيه لابن جامع خفيف رملٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى.

سأل صالح بن حسان الهيثم بن عديّ عن بيت نصفه بدوي والآخر حضري ثم ذكره:

فحدثني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسدٍ قال حدّثني العمريّ قال حدّثني الهيثم بن عديّ قال: قال صالح بن حسّان يوماً: ما نصف بيت كأنّه أعرأبي في شملة، والنصف الآخر كأنّه مخنّثٌ مفكّك؟ قلت: لا أدري. فقال: قد أجّلتك حولاً. فقلت: لو أجّلتني عشرة أحوالٍ ما عرفته. فقال: أوّه! أفٍّ لك! قد كنت أحسبك أجود ذهناً مما أرى. فقلت: فما هو الآن؟ قال: قول جميل.

ألا أيّها الرّكب النّيام ألا هبّوا

هذا كلام أعرأبي، ثم قال:

أسائلكم هل يقتل الرّجل الحبّ

كأنّه والله من مخنثي العقيق.

أخبار فريدة المحسنة

وأمّا فريدة الأخرى فهي الّتي أرى بل لا أشكّ في أنّ اللّحن المختار لها؛ لأن إسحاق اختار هذه المائة الصوت للواثق، فاختار فيها لمتيّم لحناً، ولأبي دلف لحناً، ولسليم بن سلاّم لحناً، ولرياض جارية أبي حمّاد لحناً. وكانت فريدة أثيرةً عند الواثق وحظيّةً لديه جدًّا، فاختار لها هذا الصوت، لمكانها من الواثق، ولأنّها ليست دون من اختار له من نظرائها.

قدّمت هي وشارية في الطيب وإحكام الغناء

أخبرني الصّوليّ قال حدّثنا الحسين بن يحيى عن ريّق: أنّها اجتمعت هي وخشف الواضحيّة يوماً، فتذاكرتا أحسن ما سمعتاه من المغنّيات؛ فقالت ريّق: شاريةٌ أحسنهنّ غناءً ومتيّم، وقالت خشف: عريب وفريدة؛ ثم اجتمعتا على تساويهنّ، وتقديم متيّم في الصّنعة، وعريب في الغزارة والكثرة، وشارية وفريدة في الطّيب وإحكام الغناء.

أهداها ابن بانة للواثق

حدّثني جحظة قال حدّثني أبو عبد اله الهشاميّ قال: كانت فريدة جارية الواثق لعمروا بن بانة، وهو أهداها إلى الواثق، وكانت من الموصوفات المحسنات، وربّيت عند عمروا بن بانة مع صاحبةٍ لها اسمها " خلّ "، وكانت

حسنة الوجه، حسنة الغناء، حادّة الفطنة والفهم.

سألت ابن بانة عن صاحبة لها بالإشارة قال الهشاميّ فحدّثني عمروا بن بانة قال: غنّيت الواثق:

قلت حلاًّ فاقبلي معذرتي ما كذا يجزى محبٌّ من أحبّ

فقال لي: تقدّم على السّتارة فألقه على فريدة، فألقيته عليها؛ فقالت: هو حلٌّ أو خلٌّ كيف هو؟ فعلمت أنها سألتني عن صاحبتها في خفاءٍ من الواثق.

تزوّجها المتوكل ثم ضربها حتى غنت ولّما تزوّجها المتوكل أرادها على الغناء، فأبت أن تغنّي وفاءً للواثق، فأقام على رأسها خادماً وأمره أن يضرب رأسها أبداً أو تغنّي؛ فاندفعت وغنّت:

فلا تبعد فكلّ فتًى سيأتي عليه الموت يطرق أو يغادي

نقل ابن بسخنر قصة لها مع الواثق وغيرته من جعفر المتوكل: أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجم قال حدّثني محمد بن الحارث بن بسخنّر قال:

كانت لي نوبة في خدمة الواثق في كل جمعة، إذا حضرت ركبت إلى الدار؛ فإن نشط إلى الشّرب أقمت عنده، وإن لم ينشط انصرفت. وكان رسمنا ألا يحضر أحدٌ منّا إلاّ في يوم نوبته. فإنّي لفي متزلي في غير يوم نوبتي إذا رسل الخليفة قد هجموا عليّ وقالوا لي: احضر. فقلت: ألخيرٍ؟ قالوا: خير. فقلت: إنّ هذا يومٌ لم يحضرني فيه أمير المؤمنين قطٌّ، ولعلكم غلطتم. فقالوا: الله المستعان، لا تطل وبادر؛ فقد أمرنا ألاّ ندعك تستقرّ علي الأرض. فداخلني فزع شديد؛ وخفت أن يكون ساعٍ قد سعى بي، أو بليّةٌ قد حدثت في رأي الخليفة عليّ؛ فتقدّمت بما أردت وركبت حتى وافيت الدار؛ فذهبت لأدخل على رسمي من حيث كنت أدخل، فمنعت، وأخذ بيدي الخدم فأدخلوني وعدلوا بي إلى ممرّات لا أعرفها، فزاد ذلك في جزعي وغمّي. ثم لم يزل الخدم يسلمونني من خدمٍ إلى خدم حتى أفضيت إلى دار مفروشة الصّحن، ملبسة الحيطان بالوشى المنسوج بالذهب، ثم أفضيت إلى رواقٍ أرضه وحيطانه ملبسةٌ بمثل ذلك، وإذا الواثق في صدره على سريرٍ مرصّع بالجوهر وعليه ثيابٌ منسوجة بالذهب، وإلى جانبه فريدة جاريته، عليها مثل ثيابه وفي حجرها عودٌ. فلمّا رآني قال: جوّدت والله يا محمد إلينا. فقبّلت الأرض ثم قلت: يا أمير المؤمنين خيراً! قال: خيراً، أما ترانا! طلبت والله ثالثاً يؤنسنا فلم أر أحقّ بذلك منك، فبحياتي بادر فكل شيئاً وبادر إلينا. فقلت: قد والله يا سيّدي أكلت وشربت أيضاً. قال: فاجلس فجلست، وقال: هاتوا لمحمد رطلاً في قدحٍ، فأحضرت ذلك، واندفعت فريدة تغنّي:

أهابك إجلالاً وما بك قدرةٌ عليّ ولكن ملء عينٍ حبيبها

وما هجرتك النّفس يا ليل أنّها قلتك ولا أن قلّ منك نصيبها

فجاءت والله بالسّحر، وجعل الواثق يجاذبها، وفي خلال ذلك تغنّي الصوت بعد الصوت، وأغنّي أنا في خلال غنائها، فمرّ لنا أحسن ما مرّ لأحد. فإنا لكذلك إذ رفع رجله فضرب بها صدر فريدة ضربة تدحرجت منها من

أعلى السرير إلى الأرض وتفتّت عودها ومرّت تعدو وتصيح، وبقيت أنا كالمتروع الرّوح؛ و لم أشكّ في أنّ عينه وقعت عليّ وقد نظرت إليها ونظرت إليّ؛ فأطرق ساعة إلى الأرض متحيّراً وأطرقت أتوقّع ضرب العنق. فإنّي لكذلك إذ قال لي: يا محمد، فوثبت. فقال: ويحك! أرأيت أغرب مما تهيّأ علينا! فقلت: يا سيّدي، الساعة والله تخرج روحي، فعلى من أصابنا بالعين لعنه الله! فما كان السبب؟ ألذنبٍ؟ قال: لا والله! ولكن فكرت أنّ جعفراً يقعد هذا المقعد ويقعد معها كما هي قاعدة معي، فلم أطق الصبر وخامرني ما أخرجني إلى ما رأيت. فسري عنّي وقلت: بل يقتل الله جعفراً، ويحيا أمير المؤمنين أبداً، وقبّلت الأرض وقلت: يا سيّدي الله الله! ارحمها ومر بردّها. فقال: لبعض الخدم الوقوف: من يجيء بها؟ فلم يكن بأسرع من أن خرجت وفي يدها عودها وعليها غير الثياب التي كانت عليها. فلما رآها جذبها وعانقها، فبكت وجعل هو يبكي، واندفعت أنا في البكاء. فقالت: ما ذنبي يا مولاي ويا سيّدي؟ وبأيّ شيءٍ استوجبت هذا؟ فأعاد عليها ما قاله لي وهو يبكي وهي تبكي. فقالت: سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلاّ ضربت عنقي الساعة وأرحتني من الفكر في هذا، وأرحت قلبك من الهمّ بي، وجعلت تبكي ويبكي، ثم مسحا أعينهما ورجعت إلى مكانها؛ وأومأ إلى خدم وقوفٍ بشيءٍ لا أعرفه، فمضوا وأحضروا أكياساً فيها عينٌ وورقٌ، ورزماً فيها ثياب كثيرة، وجاء خادمٌ بدرجٍ ففتحه وأخرج منه عقداً ما رأيت قطّ مثل جوهر كان فيه، فألبسها إيّاه، وأحضرت بدرة فيها عشرة آلاف درهم فجعلت بين يدي وخمسة تخوتٍ فيها ثياب، وعدنا إلى أمرنا وإلى أحسن مما كنا؛ فلم نزل كذلك إلى الليل، ثم تفرّقنا.

قصتها مع المتوكّل بعد الواثق وضرب الدرهم ضربه وتقلّد المتوكل. فوالله إني لفي مترلي بعد يوم نوبتي إذ هجم عليّ رسل الخليفة، فما أمهلوني حتى ركبت وصرت إلى الدّار، فأدخلت والله الحجرة بعينها، وإذا المتوكّل في الموضع الذي كان فيه الواثق على السرير بعينه وإلى جانب فريدة. فلمّا رآني قال: ويحك! أما ترى ما أنا فيه من هذه! أنا منذ غدوةٍ أطالبها بأن تغنّيني فتأبى ذلك! فقلت: يا سبحان الله! أتخالفين سيّدك وسيّدنا وسيد البشر! بحياته غنّي! فعرفت والله ثم اندفعت تغنّي:

مقيمٌ بالمجازة من قنوني — وأهلك بالأجيفر فالثّماد
فلا تبعد فكلّ فتىً سيأتي — عليه الموت يطرق أو يغادي

ثم ضربت بالعود الأرض، ثم رمت بنفسها على السرير ومرّت تعدو وهي تصيح واسيّداه! فقال لي: ويحك! ما هذا؟ فقلت: لا أدري والله يا سيّدي. فقال: فما ترى؟ فقلت: أرى أن أنصرف أنا وتحضر هذه ومعها غيرها؛ فإنّ الأمر يؤول إلى ما يريد أمير المؤمنين. قال: فانصرف في حفظ الله! فانصرفت و لم أدر ما كانت القصة.

مدح محمد بن عبد الملك غناءها

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني محمد بن عبد الملك قال: سمعت فريدة تغنّي:

أخلاّي بي شجو وبليس بكم شجو — وكل امرئٍ مما بصاحبه خلو

أذاب الهوى لحمي وجسمي ومفصلي فلم يبق إلاّ الرّوح والجسد النّضو

فما سمعت قبله ولا بعده غناءً أحسن منه.

الشعر لأبي العتاهية، والغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل مطلق في مجرى الوسطى عن الهشاميّ، وله أيضاً فيه خفيفٌ ثقيلٌ بالسبّابة والبنصر عن ابن المكيّ. وفيه لعمرو بن بانة رملٌ بالوسطى من مجموع أغانيه. وفيه لعريب خفيف ثقيلٍ آخر صحيحٌ في غنائها من جمع ابن المعتزّ وعليّ بن يحيى. وتمام هذه الأبيات:

وما من محبٍّ نال ممن يحبّه هوًى صادقاً إلاّ سيدخله زهو

وفيها كل غناء مفترق الألحان في أبياته -:

بليت وكان المزح بجدء بليّتي فأحببت جهلاً والبلايا لها بدو

وعلّقت من يزهو عليّ تجبّراً وإنّي في كلّ الخصال له كفو

صوت من المائة المختارة

من رواية جحظة عن أصحابه

باتت همومي تسري طوارقها أكفّ عيني والدمع سابقها

لما أتاها من اليقين ولم تكنّ تراه يلمّ طارقها

الشعر لأميّة بن أبي الصّلت، والغناء للهذليّ خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى. وفيه لابن محرز لحنان: هزجٌ وثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وحبش. وذكر يونس: أنّ فيه لابن محرز لحناً واحداً مجنّساً.

ذكر اميّة بن أبي الصّلت ونسبه وخبره

نسبه من قبل أبويه

واسم أبي الصّلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن عنزة بن قسيّ، وهو ثقيف بن منبّه بن بكر بن هوزان. هكذا يقول من نسبهم إلى قيس، وقد شرح ذلك في خبر طريح. وأمّ أميّة بن أبي الصلت رقيّة بنت عبد شمس بن عبد مناف. وكان أبو الصلت شاعراً، وهو الذي يقول في مدح سيف بن ذي يزن:

ليطلب الثأر أمثال ابن ذي يزنٍ إذ صار في البحر للأعداء أحوالاً

وقد كتب خبر ذلك في موضعه.

أولاد أمية

وكان له أربع بنين: عمروٌ وربيعة ووهبٌ والقاسم. وكان القاسم شاعراً، وهو الذي يقول - أنشدنيه الأخفش وغيره عن ثعلبٍ، وذكر الزّبير أنّها لأميّة -:

صوت

قومٌ إذا نزل الغريب بدارهم ... ردّوه ربّ صواهلٍ وقيان

لا ينكتون الأرض عند سؤالهم ... لتلمّس العلاّت بالعيدان

يمدح عبد الله بن جدعان بها، وأوّلها:

قومي ثقيفٌ إن سألت وأسرتي ... وبهم أدافع ركن من عاداني

غنّاه الغريض، ولحنه ثقيلٌ أوّل بالبنصر. ولابن محرزٍ فيه خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى، عن الهشاميّ جميعاً. وكان ربيعة ابنه شاعراً، وهو الذي يقول:

وإن يك حيًّا من إيادٍ فإنّنا ... وقيساً سواءٌ ما بقينا وما بقوا

ونحن خيار النّاس طرًّا بطانةً ... لقيسٍ وهم خيرٌ لنا إن هم بقوا

كان يستعمل في شعره كلمات غريبة

أخبرني إبراهيم بن أيّوب قال حدّثنا عبد الله بن مسلم قال: كان أميّة بن أبي الصّلت قد قرأ كتاب الله عز وجل الأوّل، فكان يأتي في شعره بأشياء لا تعرفها العرب؛ فمنها قوله:

قمرٌ وساهورٌ يسلّ ويغمد

وكان يسمّي الله عزّ وجلّ في شعره السّلطيط، فقال:

والسّلطيط فوق الأرض مقتدر

وسمّاه في موضع آخر التغرور فقال: " وأيّده التغرور ". وقال ابن قتيبة: وعلماؤنا لا يحتجّون بشيء من شعره لهذه العلّة.

من أشعر ثقيف بل أشعر الناس

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال:
قال أبو عبيدة: اتّفقت العرب على أنّ أشعر أهل المدن أهل يثرب ثم عبد القيس ثم ثقيف، وأنّ أشعر ثقيف أميّة بن أبي الصّلت.

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال: قال يحيى بن محمد: قال الكميت: أميّة أشعر الناس، قال كما قلنا و لم نقل كما قال.

تعبد والتمس الدين وطمع في النبوّة

قال الزّبير وحدّثني عمّي مصعب عن مصعب بن عثمان قال: كان أميّة بن أبي الصلت قد نظر في الكتب وقرأها، ولبس المسوح تعبّداً، وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفيّة، وحرّم الخمر وشكّ في الأوثان، وكان محقّقاً، والتمس الدّين وطمع في النبوّة؛ لأنه قرأ في الكتب أنّ نبيًّا يبعث من العرب، فكان يرجو أن يكونه. قال: فلمّا بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم قيل له: هذا الذي كنت تستريث وتقول فيه؛ فحسده عدوّ الله وقال: إنّما كنت أرجو أن أكونه؛ فأنزل الله فيه عزّ وجلّ: " واتل عليهم نبأ الّذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ". قال: وهو الذي يقول:

كلّ دينٍ يوم القيامة عند الله إلاّ دين الحنيفة زور

كان يحرّض قريشاً بعد بدر

قال الزّبير وحدّثني يحيى بن محمد قال: كان أميّة يحرّض قريشاً بعد وقعة بدرٍ، وكان يرثي من قتل من قريش في وقعة بدر؛ فمن ذلك قوله:

ماذا ببدرٍ والعقن قل من مرازبةٍ جحاجح

وقال: وهي قصيدةٌ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رواياها. ويقال: إن أميّة قدم على أهل مكة " باسمك اللّهمّ "؛ فجعلوها في أوّل كتبهم مكان " بسم الله الرحمن الرحيم ".

أسف الحجاج على ضياع شعره

قال الزّبير وحدّثني عليّ بن محمد المدائنيّ قال: قال الحجّاج على المنبر: ذهب قومٌ يعرفون شعر أميّة، وكذلك اندراس الكلام.

كان يتحسس أخبار نبيّ العرب

فلما أخبر ببعثته تكدّر:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير عن عمر بن أبي بكر المؤمّلي وغيره قال: كان أميّة بن أبي الصلت يلتمس الدّين ويطمع في النبوّة، فخرج إلى الشأم فمرّ بكنيسة، وكان معه جماعةٌ من العرب وقريش، فقال أميّة: إنّ لي حاجةً في هذه الكنيسة فانتظروني، فدخل الكنيسة وأبطأ، ثم خرج إليهم كاسفاً متغيّر اللّون، فرمى بنفسه، وأقاموا حتى

سرّي عنه، ثم مضوا فقضوا حوائجهم ثم رجعوا. فلمّا صاروا إلى الكنيسة قال لهم: انتظروني، ودخل إلى الكنيسة فأبطأ، ثم خرج إليهم أسوأ من حاله الأولى؛ فقال أبو سفيان بن حرب: قد شققت على رفقائك. فقال: خلّوني؛ فإنّي أرتاد على نفسي لمعادي، إنّ هاهنا راهباً عالماً أخبرني أنه تكون بعد عيسى عليه السلام ستّ رجعات، وقد مضت منها خمسٌ وبقيت واحدةٌ، وأنا أطمع في النبوّة وأخاف أن تخطئني، فأصابني ما رأيت. فلمّا رجعت ثانيةً أتيته فقال: قد كانت الرجعة، وقد بعث نبيٌّ من العرب؛ فيئست من النبوّة، فأصابني ما رأيت؛ إذ فاتني ما كنت أطمع فيه.

أخبره راهب أن ليست فيه أوصاف النبيّ قال: وقال الزّهريّ: خرج أميّة في سفر فنزلوا منزلاً، فأمّ أميّة وجهاً وصعد في كثيب، فرفعت له كنيسةٌ فانتهى إليها، فإذا شيخٌ جالسٌ، قال لأميّة حين رآه: إنّك لمتبوع، فمن أين يأتك رئيّك؟ قال: من شقّي الأيسر. قال: فأيّ الثياب أحبّ إليك أن يلقاك فيها؟ قال: السواد. قال: كدت تكون نبيّ العرب ولست به، هذا خاطرٌ من الجنّ وليس بملكٍ، وإنّ نبيّ العرب صاحب هذا الأمر يأتيه من شقّه الأيمن، وأحب الثياب إليه أن يلقاه فيها البياض.

حديثه مع أبي بكر قال الزّهريّ: وأتى أميّة أبا بكر فقال: يا أبا بكر، عمي الخبر، فهل أحسست شيئاً؟ قال: لا والله! قال: قد وجدته يخرج العام.

سأل أبا سفيان عن عتبة بن ربيعة أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال: سمعت خالد بن يزيد يقول: إنّ أميّة وأبا سفيان اصطحبا في تجارة إلى الشأم، ثم ذكر نحوه، وزاد فيه: فخرج من عند الراهب وهو ثقيل. فقال له أبو سفيان: إنّ بك لشراً، فما قصّتك؟ قال: خيرٌ، أخبرني عن عتبة بن ربيعة كم سنّه؟ فذكر سنًّا. وقال أخبرني ماله فذكر مالاً. فقال له: وضعته. فقال أبو سفيان. بل رفعته. فقال له: إنّ صاحب هذا الأمر ليس بشيخ ولا ذي مالٍ. قال: وكان الراهب أشيب، وأخبره أنّ الأمر لرجلٍ من قريش.

زعم أنه فهم ثغاء شاة

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزّبير قال حدّثت عن عبد الرحمن بن أبي حمّاد المنقريّ قال: كان أميّة جالساً معه قوم، فمرّت بهم غنمٌ فثغت منها شاة؛ فقال للقوم: هل تدرون ما قالت الشاة؟ قالوا لا. قال: إنّها قالت لسخلتها: مرّي لا يجيء الذئب فيأكلك كما أكل أختك عام أوّل في هذا الموضع. فقام بعض القوم إلى الراعي فقال له: أخبرني عن هذه الشاة التي ثغت ألها سخلةٌ؟ فقال: نعم، هذه سخلتها. قال أكانت لها عام أوّل سخلةٌ؟ قال: نعم، وأكلها الذئب في هذا الموضع.

قال الأصمعي كل شعره في بحث الآخرة

قال الزّبير وحدّثني يحيى بن محمد عن الأصمعيّ قال: ذهب أميّة في شعره بعامّة ذكر الآخرة، وذهب عنترة بعامّة ذكر الحرب، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامّة ذكر الشباب.

جاءه طائران وهو نائم فشق احدهما عن قلبه

قال الزّبير حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي قال حدّثني رجلٌ من أهل الكوفة قال: كان أميّة نائماً فجاء طائران فوقع أحدهما على باب البيت، ودخل الآخر فشقّ عن قلبه ثم ردّه الطائر؛ فقال له الطائر الآخر: أوعى؟ قال نعم. قال: زكا؟ قال: أبى.

خبره مع ركب الشام أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن الحارث عن ابن الأعرابي عن ابن دأبٍ قال: خرج ركبٌ من ثقيفٍ إلى الشأم، وفيهم أميّة بن أبي الصّلت، فلمّا قفلوا راجعين نزلوا مترلاً ليتعشّوا بعشاء، إذ أقبلت عظايةٌ حتّى دنت منهم، فحصبها بعضهم بشيءٍ في وجهها فرجعت؛ وكفتوا سفرهم ثم قاموا يرحلون ممسين؛ فطلعت عليهم عجوز من وراء كثيبٍ مقابلٍ لهم تتوكّأ على عصاً، فقالت: ما منعكم أن تطعموا رجيمة الجارية اليتيمة التي جاءتكم عشيّة؟ قالوا: ومن أنت؟ قالت: أنا أمّ العوّام، إمت منذ أعوام؛ أمّا وربّ العباد، لتفترقنّ في البلاد؛ وضربت بعصاها الأرض ثم قالت: بطّئي إيابهم، ونفّري ركابهم؛ فوثب الإبل كأنّ على ذروة كل بعير منها شيطاناً ما يملك منها شيءٌ، حتى افترقت في الوادي. فجمعناها في آخر النهار من الغد و لم نكد. فلمّا أنخناها لنرحلها طلعت علينا العجوز فضربت الأرض بعصاها ثم قالت كقولها الأوّل؛ ففعلت الإبل كفعلها بالأمس، فلم نجمعها إلا الغد عشيّة. فلمّا أنخناها لنرحلها أقبلت العجوز ففعلت كفعلها في اليومين ونفرت الإبل. فقلنا لأميّة: أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك؟ فقالت: اذهبوا أنتم في طلب الإبل ودعوني. فتوجّه إلى ذلك الكثيب الذي كانت العجوز تأتي منه حتى علاه وهبط منه إلى وادٍ، فإذا فيه كنيسةٌ وقناديل، وإذا رجل مضطجع معترض على باها، وإذا رجلٌ أبيض الرأس واللّحية؛ فلمّا رأى أميّة قال: إنّك لمتبوع، فمن أين يأتيك صاحبك؟ قال: من أذني اليسرى. قال فبأيّ الثياب يأمرك؟ قال: بالسواد. هذا خطيب الجنّ؛ كدت والله أن تكونه و لم تفعل؛ إنّ صاحب النبوّة يأتيه صاحبه من قبل أذنه اليمنى، ويأمره بلباس البياض؛ فما حاجتك؟ فحدّثه حديث العجوز؛ فقال: صدقت، وليست بصادقة! هي امرأةٌ يهودية من الجنّ هلك زوجها منذ أعوام، وإنّها لن تزال تصنع ذلك بكم حتى تهلككم إن آستطاعت. فقال أميّة: وما الحيلة؟ فقال: جمّعوا ظهركم، فإذا جاءتكم ففعلت كما كانت تفعل فقولوا لها: سبعٌ من فوق وسبعٌ من أسفل، باسمك اللّهم؛ فلن تضرّكم. فرجع أميّة إليهم وقد جمعوا الظّهر. فلمّا أقبلت قال لها ما أمره به الشيخ، فلم تضرّهم. فلمّا رأت الإبل لم تتحرّك قالت: قد عرفت صاحبكم، وليبيضّنّ أعلاه، وليسودّنّ أسفله؛ فأصبح أميّة وقد برص في عذاريه واسودّ أسفله. فلمّا قدموا مكة ذكروا لهم هذا الحديث؛ فكان ذلك أوّل ما كتب أهل مكة " باسمك اللّهم " في كتبهم.

خبر الطائرين أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد بن يحيى قال حدّثنا

عبد العزيز بن عمران عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر بن مسعود عن الزّهريّ قال: دخل يوماً أميّة بن أبي الصّلت على أخته وهي تهيئ أدماً لها، فأدركه النوم فنام على سرير في ناحية البيت. قال: فانشقّ جانبٌ من السقف في البيت، وإذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخر مكانه، فشقّ الواقع صدره فأخرج قلبه فشقّه؛ فقال الطائر الواقف للطائر الذي على صدره: أوعى؟ قال: وعى. قال: أقبل؟ قال: أبى. قال: فردّ قلبه في موضعه فنهض؛ فأتبعهما أميّة طرفه فقال:

لبّيكما لبيكما هأنذا لديكما

لا بريءٌ فأعتذر، ولا ذو عشيرةٍ فأنتصر. فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه، ثم أخرج قلبه فشقّه؛ فقال: الطائر الأعلى: أوعى؟ قال: وعى. قال: أقبل؟ قال:؟ أبى، ونهض فأتبعهما بصره وقال:

لبّيكما لبيكما هأنذا لديكما

لا مالٌ يغنيني، ولا عشيرةٌ تحميني. فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه، ثم أخرج قلبه فشقّه؛ فقال الطائر الأعلى: أوعى؟ قال: وعى. قال: أقبل؟ قال: أبى، ونهض، فأتبعهما بصره وقال:

لبّيكما لبيكما هأنذا لديكما

محفوفٌ بالنّعم، محوطٌ من الريب. قال: فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه وأخرج قلبه فشقّه؛ فقال الأعلى: أوعى؟ قال: وعى. قال: أقبل؟ قال: أبى، ونهض، فأتبعهما بصره وقال:

لبّيكما لبيكما هأنذا لديكما

إن تغفر اللّهمّ تغفر جمًّا وأيّ عبدٍ لك لا ألمَّا

قالت أخته: ثم انطبق السّقف وجلس أميّة يمسح صدره. فقلت: يا أخي، هل تجد شيئاً؟ قال: لا، ولكنّي أجد حرًّا في صدري. ثم أنشأ يقول:

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في قنّان الجبال أرعى الوعولا

اجعل الموت نصب عينك واحذر غولة الدّهر إنّ للدّهر غولا

تصديق النبيّ له في شعره

حدّثني محمد بن جرير الطبريّ قال حدّثنا ابن حميد قال حدّثني سلمة عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عبّاس: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم صدّق أميّة في قوله:

رجلٌ وثورٌ تحت رجل يمينه والنّسر للأخرى وليثٌ مرصد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. " صدق ".

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني حمّاد بن عبد الرحمن بن الفضل الحرّانيّ قال حدّثنا

أبو يوسف - وليس بالقاضي - عن الزّهريّ عن عروة عن عائشة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بمثل هذا.

أنشد النبيّ بعض شعره فقال " إن كاد أمية ليسلم ": أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزّبير قال حدّثنا جعفر بن الحسين المهلّبيّ قال حدّثني إبراهيم بن إبراهيم بن أحمد عن عكرمة قال: أنشد النبيّ صلى الله عليه وسلم قول أميّة:

الحمد لله ممسانا ومصبحنا ... بالخير صبّحنا ربّي ومسّانا
ربّ الحنيفة لم تنفد خزائنها ... مملوءةً طبّق الآفاق سلطانا
ألا نبيّ لنا منّا فيخبرنا ... ما بعد غايتنا من رأس محيانا
بينا يربّيننا آباؤنا هلكوا ... وبينما نقتني الأولاد أفنانا
ولقد علمنا لو أنّ العلم ينفعنا ... أن سوف يلحق أخرانا بأولانا

فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: " إن كاد أميّة ليسلم ".

شعر له في عتاب ابنه وتوبيخه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية قال حدّثنا عبد الله بن أبي بكر، وحدّثنا خالد بن عمارة: أنّ أميّة كتب على ابنٍ له فأنشأ يقول:

غذوتك مولوداً ومنتك يافعاً ... تعلّ بما أجني عليك وتنهل
إذا ليلةٌ نابتك بالشّكو لم أبت ... لشكواك إلاّ ساهراً أتململ
كأنّي أنا المطروق دونك بالّذي ... طرقت به دوني فعيني تهمل
تخاف الرّدى نفسي عليك وإنّني ... لأعلم أنّ الموت حتمٌ مؤجّل
فلمّا بلغت السّنّ والغاية التي ... إليها مدى ما كنت فيك أؤمّل
جعلت جزائي غلظةً وفظاظةً ... كأنّك أنت المنعم المتفضّل

محاورة بين الهذليّ وعكرمة في شعر له

قال الزبير قال أبو عمرو الشّيبانيّ قال أبو بكر الهذليّ قال: قلت لعكرمة: ما رأيت من يبلّغنا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال لأميّة: " آمن شعره وكفر قلبه "؛ فقال: هو حقٌّ، وما الذي أنكرتم من ذلك؟ فقلت له: أنكرنا قوله:

والشمس تطلع كلّ آخر ليلةٍ ... حمراء مطلع لونها متورّد

تأبى فلا تبدو لنا في رسلها إلاّ معذّبةً وإلاّ تجلد

فما شأن الشمس تجلد؟ قال: والذي نفسي بيده ما طلعت قطّ حتّى ينخسها سبعون ألف ملكٍ يقولون لها: اطلعي؛ فتقول أأطلع على قومٍ يعبدونني من دون الله! قال: فيأتيها شيطانٌ حين تستقبل الضّياء تريد أن يصدّها عن الطّلوع فتطلع على قرنيه، فيحرقه الله تحتها. وما غربت قطّ إلاّ خرّت لله ساجدةً، فيأتيها شيطانٌ يريد أن يصدّها عن السجود، فتغرب على قرنيه فيحرقه الله تحتها؛ وذلك قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: " تطلع بين قرني شيطان وتغرب بين قرني شيطان ".

تمثل ابن عباس بشعره عند معاوية

حدّثني أحمد بن محمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن عبّاد قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن زياد بن سعد أنّه سمع ابن حاضر يقول: اختلف ابن عبّاس وعمرو بن العاصي عند معاوية؛ فقال ابن عباس: ألا أغنيك؟ قال بلى! فأنشده:

والشمس تغرب كلّ آخر ليلةٍ في عين ذي خلبٍ وثأطٍ حرمد

أحاديثه وأحواله في مرض موته

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا عمّي عن مصعب بن عثمان عن ثابت بن الزّبير قال: لّما مرض أميّة مرضه الذي مات فيه، جعل يقول: قد دنا أجلي، وهذه المرضة منيّتي، وأنا أعلم أنّ الحنيفيّة حقٌّ، ولكن الشكّ يداخلني في محمد. قال: ولّما دنت وفاته أغمي عليه قليلاً ثم أفاق وهو يقول:

لبّيكما لبيكما هأنذا لديكما

لا مالٌ يفديني، ولا عشيرةٌ تنجيني. ثم أغمي عليه أيضاً بعد ساعة حتى ظنّ ممن حضره من أهله أنّه قد قضى، ثم أفاق وهو يقول:

لبّيكما لبيكما هأنذا لديكما

لا برىءٌ فأعتذر، ولا قويٌّ فأنتصر، ثم إنّه بقي يحدّث من حضره ساعةً، ثم أغمي عليه مثل المرّتين الأوليين حتى يئسوا من حياته، وأفاق وهو يقول:

لبّيكما لبيكما هأنذا لديكما

محفوفٌ بالنّعم،

إن تغفر اللّهم تغفر جمًّا وأيّ عبدٍ لك لا ألمّا

ثم أقبل على القوم فقال: قد جاء وقتي، فكونوا في أهبتي؛ وحدّثهم قليلاً حتّى يئس القوم من مرضه، وأنشأ يقول:

كلّ عيشٍ وإن تطاول دهراً ... منتهى أمره إلى أن يزولا

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ... في رؤوس الجبال أرعى الوعولا

اجعل الموت نصب عينيك واحذر ... غولة الدّهر إنّ للدّهر غولا

ثم قضى نحبه، ولم يؤمن بالنبيّ صلى الله عليه وسلم. وقد قيل في وفاة أميّة غير هذا.

لما بعث النبي هرب بابنتيه إلى اليمن

ثم مات بالطائف:

أخبرني عبد العزيز بن أحمد عمّ أبي قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: سمعت في خبر أميّة بن أبي الصّلت، حين بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم، أنه أخذ بنتيه وهرب بهما إلى أقصى اليمن، ثم عاد إلى الطائف؛ فبينما هو يشرب مع إخوانٍ له في قصر غيلان بالطائف، وقد أودع ابنتيه اليمن ورجع إلى بلاد الطائف، إذ سقط غرابٌ على شرفةٍ في القصر نعب نعبةً؛ فقال أميّة: بفيك الكثكث! - وهو التّراب - فقال أصحابه: ما يقول؟ قال يقول إنّك إذا شربت الكأس التي بيدك متّ، فقلت: بفيك الكثكث. ثم نعب نعبةً أخرى، فقال أميّة نحو ذلك؛ فقال أصحابه: ما يقول؟ قال زعم أنّه يقع على هذه المزبلة أسفل القصر، فيستثير عظماً فيبتلعه فيشجى به فيموت، فقلت نحو ذلك. فوقع الغراب على المزبلة، فأثار العظم فشجي به فمات، فانكسر أميّة، ووضع الكأس من يده، وتغيّر لونه. فقال له أصحابه: ما أكثر ما سمعنا بمثل هذا وكان باطلاً! فألحّوا عليه حتى شرب الكأس، فمال في شقٍّ وأغمي عليه ثم أفاق، ثم قال: لا بريءٌ فأعتذر، ولا قويٌّ فأنتصر، ثم خرجت نفسه.

صوت من المائة المختارة

تبلت فؤادك في المنام خريدةٌ ... تشفي الضّجيع بباردٍ بسّام

كالمسك تخلطه بماء سحابةٍ ... أو عاتقٍ كدم الذّبيح مدام

عروضه من الكامل، الشعر لحسّان بن ثابت، والغناء لموسى بن خارجة الكوفيّ ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وذكر حمّاد عن أبيه أنّ فيه لحناً لعزّة الميلاء. وليس موسى بكثير الصنعة ولا مشهور، ولا ممن خدم الخلفاء.

أخبار حسّان بن ثابت ونسبه

نسبه من قبل أبويه وكنيته

هو حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عديّ بن عمرو بن مالك بن النّجّار، واسمه تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة، وهو العنقاء بن عمرو؛ وإنما سمّي العنقاء لطول عنقه.
وعمرو هو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد، وهو ذري - وقيل: ذراء ممدود - بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.
قال مصعبٌ الزّبيريّ فيما أخبرنا " به " الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عمّه قال: بنو عديّ بن عمرو بن مالك " بن " النجّار يسمّون بني معالة. ومعالة أمّه، وهي امرأةٌ من القين وإليها كانوا ينسبون. وأمّ حسّان بن ثابت بن المنذر، الفريعة بنت خالد بن قيس بن لوذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج. وقيل: إنّ اسم النجّار تيّم اللاّت؛ وفي ذلك يقول حسّان بن ثابت:

وأمّ ضرارٍ تنشد النّاس والهاً   أما لابن تيم الله ماذا أضلّت

يعني ضرار بن عبد المطّلب، وكان ضلّ فنشدته أمّه. وإنما سمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم تيم الله؛ لأنّ الأنصار كانت تنسب إليه، فكره أن يكون في أنسابها ذكر اللاّت.
ويكنى حسّان بن ثابت أبا الوليد. وهو فحلٌ من فحول الشعراء. وقد قيل: إنّه أشعر أهل المدر. وكان أحد المعمّرين من المخضرمين، عمّر مائةً وعشرين سنةً: ستّين في الجاهليّة وستّين في الإسلام.

عاش حسان مائة وعشرين سنة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبيدة قال: عاش ثابت بن المنذر مائةً وخمسين سنةً، وعاش حسّان مائةً وعشرين سنة. ومما يحقّق ذلك ما أخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني الزّبير بن بكار قال حدّثني محمد بن حسين عن إبراهيم بن محمد عن صالح بن إبراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن سعيد بن زرارة عن حسّان بن ثابت قال: إنّي لغلامٌ يفعةٌ ابن سبع سنين أو ثمانٍ، إذا بيهوديّ بيثرب يصرخ ذات غداةٍ: يا معشر يهود؛ فلما اجتمعوا إليه قالوا: ويلك! مالك؟ قال: طلع نجم أحمد الذي يولد به في هذه الليلة. قال: ثم أدركه اليهوديّ ولم يؤمن به. فهذا يدلّ على مدّة عمره في الجاهليّة؛ لأنه ذكر أنه أدرك ليلة ولد النبيّ صلى الله عليه وسلم، وله يومئذ ثمان سنين، والنبيّ صلى الله عليه وسلم بعث وله أربعون سنةً، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنةً، فقدم المدينة ولحسّان يومئذ، على ما ذكره، ستّون سنةً أو إحدى وستون سنة، وحينئذ أسلم.
أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزّبير بن بكّار عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدّثني ابن أبي الزّناد قال: عمّر حسّان بن ثابت عشرين ومائة سنةٍ: ستّين في الجاهليّة وستّين في الإسلام.

قال أخبرني الحسن بن عليٍّ قال أخبرني أحمد بن زهير قال حدّث سليمان بن حرب عن حمّاد بن زيد عن يزيد بن حازمٍ عن سليمان بن يسار قال: رأيت حسّان بن ثابت وله ناصيةٌ قد سدلها بين عينيه.

كان يخضب شاربه وعنفقته بالحناء

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عليّ بن محمد النّوفلي عن أبيه قال: كان حسّان بن ثابت يخضب شاربه وعنفقته بالحنّاء، ولا يخضب سائر لحيته. فقال له ابنه عبد الرحمن: يا أبت، لم تفعل هذا؟ قال: لأكون كأنّي أسدٌ والغ في دمٍ.

فضل الشعراء بثلاث

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: فضل حسّان الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهليّة، وشاعر النبيّ صلى الله عليه وسلم في النبوّة، وشاعر اليمن كلّها في الإسلام.
أجمعت العرب على أنه أشعر أهل المدر قال أبو عبيدة: وأجمعت العرب على أنّ حسّان أشعر أهل المدر. أخبرنا بذلك أيضاً أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة عن أبي عبيدة قال: اتّفقت العرب على أنّ أشعر أهل المدر أهل يثرب، ثم عبد القيس ثم ثقيفٌ؛ وعلى أنّ أشعر أهل يثرب حسّان بن ثابت.

سأل أبا هريرة عن حديث في شأنه فأجابه

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عفّان قال حدّثنا عبد الواحد بن زياد قال حدّثنا معمر عن الزّهريّ عن سعيد بن المسيّب قال.
جاء حسّان إلى نفرٍ فيهم أبو هريرة، فقال: أنشدك الله: أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " أجب عنّي " ثم قال: " اللّهمّ أيّده بروح القدس "؟ قال أبو هريرة: اللّهمّ نعم.

كان أحد ثلاثة عارضوا شعراء قريش

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا وهب بن جرير قال حدّثنا أبي قال سمعت محمد بن سيرين، قال أبو زيد وحدّثنا هوذة بن خليفة قال حدّثنا عوف بن محمد بن سيرين قال: كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة رهطٍ من قريش: عبد الله بن الزّبعري، وأبو سفّيان بن الحارث بن عبد المطّلب، وعمرو بن العاصي؛ فقال قائل لعليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه: اهج عنّا القوم الذين قد هجونا. فقال عليٌّ رضي الله عنه: إن أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت. فقال رجلٌ: يا رسول الله،

ائذن لعليّ كي يهجو عنّا هؤلاء القوم الذين قد هجونا. قال " ليس هناك " أو " ليس عنده ذلك "؛ ثم قال للأنصار: " ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ ". فقال حسّان بن ثابت: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرّني به مقولٌ بين بصرى وصنعاء. فقال: " كيف تهجوهم وأنا منهم "؟ فقال: إنّي أسلّك منهم كما تسلّ الشّعرة من العجين. قال: فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة. فكان حسّان وكعبٌ يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيّام والمآثر ويعيّرانهم بالمثالب، وكان عبد اله بن رواحة يعيّرهم بالكفر. قال: فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة. فلمّا أسلموا وفقهوا الإسلام، كان أشدّ القول عليهم قول ابن رواحة.

استأذن النبيّ في هجو قريش

فأمره أن يأخذ أنسابهم عن أبي بكر:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عبد الله بن بكر بن حبيب السّهميّ قال حدّثنا أبو يونس القشيريّ وهو حاتم بن أبي صغيرة قال حدّثنا سماك بن حرب قال: قام حسّان أبو الحسام فقال: يا رسول الله، ائذن لي فيه، وأخرج لساناً له أسود، فقال: يا رسول الله، لو شئت لفريت به المزاد، ائذن لي فيه. فقال: " اذهب ألى أبي بكر فليحدّثك حديث القوم وأيّامهم وأحسابهم ثم أهجهم وجبريل معك ". قال أبو زبد قال ابن وهب وحدّثنا بهذا الحديث حاتم عن السّدّيّ عن البراء بن عازبٍ وعن سماك بن حرب - فأنا أشك: أهو عن أحدهما أم عنهما جميعاً - قال أبو زيد: وحدّثنا عليّ بن عاصم قال حدّثنا حاتم بن أبي صغيرة عن سماك بن حربٍ بنحوه، وزاد فيه: فأخرج لسانه أسود، فوضعه على طرف أرنبته، وقال: يا رسول الله، لو شئت لفريت به المزاد؛ فقال: " يا حسّان وكيف وهو منّي وأنا منه "؟ قال: والله لأسلّنه منك كما يسلّ الشّعر من العجين! قال: " يا حسّان فأت أبا بكر فإنّه أعلم بأنساب القوم منك ". فأتى أبا بكر فأعلمه ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: كفّ عن فلانة واذكر فلانة. فقال:

هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

فإنّ أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

أتهجوه ولست له بكفءٍ ... فشرّكما لخيركما الفداء

لما بلغ قريشاً شعره اتهموا أبا بكر أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا أحمد بن سليمان عن الأصمعيّ عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد قال: لّما أنشدت قريشٌ شعر حسّان قالت: إنّ هذا الشّتم ما غاب عنه ابن أبي قحافة.

قال الزّبير: وحدّثني محمد بن يحيى عن يعقوب بن إسحاق بن مجمّع عن رجلٍ من بني العجلان قال: لما بلغ أهل مكة شعر حسّان و لم يكونوا علموا أنّه قوله، جعلوا يقولون: لقد قال أبو بكر الشّعر بعدنا.

خبره مع ابن الزبعري وضرار

قال الزّبير: وحدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن فضالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن فضالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن ثابت بن قيس بن شمّاس قال: نهى عمر بن الخطّاب الناس أن ينشدوا شيئاً من مناقضة الأنصار ومشركي قريش، وقال: في ذلك شتم الحيّ بالميّت، وتجديد الضغائن، وقد هدم الله أمر الجاهليّة بما جاء من الإسلام. فقدم المدينة عبد الله بن الزّبعري السّهميّ وضرار بن الخطّاب الفهريّ ثم المحاربيّ، فنزلا على أبي أحمد بن جحش، وقالا له: نحبّ أن ترسل إلى حسّان بن ثابت حتّى يأتيك، فننشده، وينشدنا مما قلنا له وقال لنا. فأرسل إليه فجاءه؛ فقال له: يا أبا الوليد، هذان أخواك ابن الزّبعري وضرار قد جاءا أن يسمعاك وتسمعهما ما قالا لك وقلت لهما. فقال ابن الزّبعري وضرارٌ: نعم يا أبا الوليد، إن شعرك كان يحتمل في الإسلام ولا يحتمل شعرنا، وقد أحببنا أن نسمعك وتسمعنا؟ فقال حسّان: أفتبدآن أم أبدأ؟ قالا: نبدأ نحن. قال: ابتدئا؛ فأنشداه حتى فار فصار كالمرجل غضباً، ثم استويا على راحلتيهما يريدان مكة؛ فخرج حسّان حتى دخل على عمر بن الخطّاب فقصّ عليه قصّتهما وقصّته؟ فقال له عمر: لن يذهبا عنك بشيء إن شاء الله، وأرسل من يردّهما، وقال له عمر: لو لم تدركهما إلاّ بمكة فارددهما عليّ.

وخرجا فلمّا كانا بالرّوحاء رجع ضرار إلى صاحبه بكرهٍ، فقال له يابن الزّبعري: أنا أعرف عمر وذبّه عن الإسلام وأهله، وأعرف حسّان وقلّة صبره على ما فعلنا به، وكأنّي به قد جاء وشكا إليه ما فعلنا، فأرسل في آثارنا وقال لرسوله: أن لم تلحقهما إلاّ بمكة فارددهما عليّ؛ فاربح بنا ترك العناء وأقم بنا مكاننا؛ فإن كان الذي ظننت فالرجوع من الرّوحاء أسهل منه من أبعد منها، وإن أخطأ ظنّي فذلك الذي نحبّ ونحن من وراء المضيّ.

فقال ابن الزّبعري: نعم ما رأيت. قال: فأقاما بالرّوحاء، فما كان إلا كمرّ الطائر حتّى وافاهما رسول عمر فردّهما إليه؛ فدعا لهما بحسّان، وعمر في جماعةٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لحسّان: أنشدهما مما قلت لهما؛ فأنشدهما حتّى فرغ مما قال لهما فوقف. فقال له عمر: أفرغت؟ قال: نعم. فقال له: أنشداك في الخلاء وأنشدهما في الملا. وقال لهما عمر: إن شئتما فأقيما، وإن شئتما فانصرفا. وقال لمن حضره: إنّي قد كنت نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دفعاً للتضاغن عنكم وبثّ القبيح فيما بينكم، فأمّا إذ أبو فاكتبوه، واحتفظوا به. فدوّنوا ذلك عندهم. قال خلاّد بن محمد: فأدركته والله وإنّ الأنصار لتجدّده عندها إذا خافت بلاه.

شعر له في هجو أبي سفيان بن الحارث أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عفّان بن مسلم قال حدّثنا عمران بن زيد قال: سمعت أبا إسحاق قال في قصة حسّان وأبي سفيان بن الحارث نحو ما ذكره مما قدّمنا ذكره، وزاد فيه: فقال حسّان فيه:

وإنّ سنام المجد من آل هاشمٍ بنو بنت مخزومٍ، ووالدك العبد

ومن ولدت أبناء زهرة منكم كرامٌ ولم يلحق عجائزك المجد

وإنّ امرأً كانت سميّة أمّه وسمراء مغلوبٌ إذا بلغ الجهد

وأنت هجين نيط في آل هاشمٍ كما نيط خلف الرّاكب القدح الفرد

فقال العبّاس: وما لي وما لحسّان! يعني ذكره نتيلة، فقال فيها:

ولست كعبّاسٍ ولا كابن أمّه ولكن هجينٌ ليس يورى له زند

أعانه جبريل في مديح النبي

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا القعنبيّ قال حدّثنا مروان بن معاوية قال حدّثنا إياس السّلميّ عن ابن بريدة قال: أعان جبريل عليه السلام حسّان بن ثابت في مديح النبيّ صلى الله عليه وسلم بسبعين بيتاً.

مدحه النبي وكعباً وابن رواحة أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا محمد بم منصور قال حدّثنا سعيد بن عامر قال حدّثني جويرية بن أسماء قال: بلغني أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن، وأمرت حسّان بن ثابت فشفى واشتفى ".

أخبره النبيّ أن روح القدس يؤيده

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أحمد بن عيسى قال حدّثنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن مروان بن عثمان ويعلى بن شدّاد بن أوس عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسّان بن ثابت الشاعر: " إنّ روح القدس لا يزال يؤيّدك ما كافحت عن الله عز وجل وعن رسول الله " صلى الله عليه وسلم.

استنشده النبيّ وجعل يصغي إليه أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا هوذة بن خليفة قال حدّثنا عوف بن محمد قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم ليلةً وهو في سفرٍ: " أين حسّان بن ثابت "؟ فقال حسّان: لبّيك يا رسول الله وسعديك. قال: " أحد "، فجعل ينشد ويصغي إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم ويستمع، فما زال يستمع إليه وهو سائقٌ راحلته حتّى كان رأس الراحلة يمسّ الورك حتّى فرغ من نشيده. فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: " لهذا أشدّ عليهم من وقع النّبل ".

انتهره عمر لإنشاده في مسجد الرسول

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أبو عاصم النبيل قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنا زياد بن أبي سهل قال حدّثني سعيد بن المسيّب: أنّ عمر مرّ بحسّان بن ثابت وهو ينشد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

فانتهره عمر؛ فقال حسّان: قد أنشدت فيه من هو خيرٌ منك؛ فانطلق عمر.

أخبرنا أحمد قال حدّثنا أبو داود الطّيالسيّ قال حدّثنا إبراهيم بن سعد عن الزّهريّ عن سعيد بن المسيّب: أنّ عمر مرّ على حسان وهو ينشد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر مثله وزاد فيه: وعلمت أنّه يريد النبيّ صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا محمد بن حاتم قال حدّثنا شجاع بن الوليد عن الإفريقيّ عن مسلم بن يسار: أنّ عمر مرّ بحسّان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ بأذنه وقال: أرغاءً كرغاء البعير! فقال حسّان: دعنا عنك يا عمر! فوالله لتعلم أنّي كنت أنشد في هذا المسجد من هو خيرٌ منك فلا يغيّر عليّ! فصدّقه عمر.

مدحه الزبير

حدّثنا محمد بن جرير الطبريّ والحرميّ بن أبي العلاء وعبد العزيز بن أحمد عمّ أبي وجماعةٌ غيرهم قالوا حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو غزيّة محمد بن موسى قال حدّثني عبد الله بن مصعب عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن جدّتها أسماء بنت أبي بكر قالت: مرّ الزّبير بن العوّام بمجلسٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحسّان بن ثابت ينشدهم من شعره وهم غير نشاطٍ لما يسمعون منه، فجلس معهم الزّبير فقال: ما لي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة! فلقد كان يعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسن استماعه ويجزل عليه ثوابه، ولا يشتغل عنه بشيء. فقال حسّان:

أقام على عهد النبيّ وهديه ... حواريّه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه ... يوالي وليّ الحقّ والحقّ أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي ... يصول إذا ما كان يومٌ محجّل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشّها ... بأبيض سباقٍ إلى الموت يرقل
وإنّ امرأً كانت صفية أمّه ... ومن أسدٍ في بيتها لمرفّل
له من رسول الله قربى قريبةٌ ... ومن نضرة الإسلام نصرٌ مؤثّل
فكم كربةٍ ذبّ الزّبير بسيفه ... عن المصطفى والله يعطي فيجزل
فما مثله فيهم و لا كان قبله ... وليس يكون الدّهر ما دام يذبل
ثناؤك خيرٌ من فعال معاشرٍ ... وفعلك يابن الهاشميّة أفضل

تقدم هو وكعب وابن رواحة فاختاره النبيّ

أخبرني أحمد بن عيسى العجليّ قال حدّثنا واصل بن عبد الأعلى قال حدّثنا ابن فضيل عن مجالد عن الشّعبيّ قال: لما كان عام الأحزاب وردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: " من يحمي أعراض المسلمين "؟ فقال كعب: أنا يا رسول الله، وقال عبد الله بن رواحة: أنا يا رسول الله، وقال حسّان بن ثابت: أنا يا رسول الله؛ فقال: " نعم اهجهم أنت فإنّه سيعينك عليهم روح القدس ".

سبه قوم في مجلس ابن عباس فدافع عنه

أخبرني أحمد بن عبد الرحمن قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا حديج بن معاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير قال: كنّا عند ابن عبّاس فجاء حسّان، فقالوا: قد جاء اللّعين. فقال ابن عبّاس: ما هو بلعين؛ لقد نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ويده.
حدّثنيه أحمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن بكّار قال حدّثنا حديج بن معاوية قال حدّثنا أبو إسحاق عن سعيد بن جبير قال: جاء رجلٌ إلى ابن عبّاس فقال: قد جاء اللعين حسّان من الشأم. فقال ابن عباس: ما هو بلعين؛ لقد جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ونفسه.

قدم وفد تميم فأمره النبيّ أن يجيب شاعرهم

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عبد الله بن عمرو وشريح بن النّعمان قالا حدّثنا عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: لّما قدم وفد بني تميم وضع النبيّ صلى الله عليه وسلم لحسّان منبراً وأجلسه عليه، وقال: " إنّ الله ليؤيّد حسّان بروح القدس ما كافح عن نبيّه " صلى الله عليه وسلم. هكذا روى أبو زيد هذا الخبر مختصراً. وأتينا به على تمامه ها هنا؛ لأنّ ذلك حسنٌ فيه: أخبرنا به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا محمد بن الضّحاك عن أبيه قال: قدم على النبيّ صلى الله عليه وسلم وفد بني تميم وهم سبعون أو ثمانون رجلاً، فيهم الأقرع بن حابس، والزّبرقان بن بدر، وعطارد بن حاجب، وقيس بن عاصم، وعمرو بن الأهتم، وانطلق معهم عيينة بن حصنٍ، فقدموا المدينة، فدخلوا المسجد، فوقفوا عند الحجرات، فنادوا بصوتٍ عالٍ جافٍ: اخرج إلينا يا محمد؛ فقد جئنا لنفاخرك، وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا. فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس. فقام الأقرع بن حابس فقال: والله إنّ مدحي لزين، وإن ذمّي لشين. فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: " ذلك الله ". فقالوا: إنّا أكرم العرب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أكرم منكم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ". فقالوا: ايذن لشاعرنا وخطيبنا. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وجلس معه الناس، فقام عطارد بن حاجب فقال: الحمد لله الذي له الفضل علينا وهو أهله، الذي جعلنا ملوكاً وجعلنا أعزّ أهل المشرق، وآتانا أموالاً عظاماً نفعل

فيها المعروف، ليس في الناس مثلنا؛ ألسنا برؤوس النّاس وذوي فضلهم! فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا، ولو نشاء لأكثرنا، ولكنّا نستحي من الإكثار فيما خوّلنا الله وأعطانا. أقول هذا، فأتوا بقولٍ أفضل من قولنا، أو أمرٍ أبين من أمرنا. ثم جلس.

فقام ثابت بن قيس بن شمّاس فقال: الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه، قضى فيهنّ أمره ووسع كرسيّه علمه، و لم يقض شيئاً إلاّ من فضله وقدرته؛ فكان من قدرته أن اصطفى من خلقه لنا رسولاً أكرمهم حسباً وأصدقهم حديثاً وأحسنهم رأياً، فأنزل عليه كتأبا، وأئمنه على خلقه، وكان خيرة الله من العالمين. ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان، فأجابه من قومه وذوي رحمه المهاجرون أكرم الناس أنسأبا، وأصبح الناس وجوهاً، وأفضل الناس فعالاً. ثم كان أوّل من اتّبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب واستجاب له نحن معشر الأنصار؛ فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا ويقولوا: لا إله إلاّ الله. فمن آمن بالله ورسوله منع منّا ماله ودمه، ومن كفر بالله ورسوله جاهدناه في الله، وكان جهاده يسيراً. أقول قولي هذا، وأستغفرالله للمؤمنين والمؤمنات.

فقام الزّبرقان فقال:

نحن الملوك فلا حيٌّ يقاربنا — منّا الملوك وفينا يؤخذ الرّبع
تلك المكارم حزناها مقارعةً — إذا الكرام على أمثالها اقترعوا
كم قد نشدنا من الأحياء كلّهم — عند النّهاب وفضل العزّ يتّبع
وننحر الكوم عبطاً في منازلنا — للنازلين إذا ما استطعموا شبعوا
ونحن نطعم عند المحل ما أكلوا — من العبيط إذا لم يظهر الفزع
وننصر الناس تأتينا سراتهم — من كلّ أوبٍ فتمضي ثم تتّبع

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حسّان بن ثابت فجاء، فأمره أن يجيبه.

فقال حسان:

إنّ الذوائب من فهرٍ وإخوتهم — قد بيّنوا سنّةً للنّاس تتّبع
يرضى بها كلّ من كانت سريرته — تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا
قومٌ إذا حاربوا ضرّوا عدوّهم — أو حاولوا النّفع في أشياعهم نفعوا
سجيّةٌ تلك منهم غير محدثةٍ — إنّ الخلائق فاعلم شرّها البدع
لا يرقع النّاس ما أوهت أكفّهم — عند الدّفاع ولا يوهون ما رقعوا
إن كان في الناس سبّاقون بعدهم — فكلّ سبقٍ لأدنى سبقهم تبع

أعفّةٌ ذكرت في الوحي عفّتهم لا يطمعون ولا يزري بهم طمع

ولا يضنّون عن جارٍ بفضلهم ولا يمسّهم من مطمعٍ طبع

يسمون للحرب تبدو وهي كاحلةٌ إذا الزّعانف من أظفارها خشعوا

لا يفرحون إذا نالوا عدوّهم وإن أصيبوا فلا خورٌ ولا جزع

كأنّهم في الوغى والموت مكتنعٌ أسود بيشة في أرساغها فدع

خذ منهم ما أتى عفواً وإن منعوا فلا يكن همّك الأمر الذي منعوا

فإنّ في حربهم فاترك عداوتهمسمًّا يخاض عليه الصّاب والسّلع

أكرم بقومٍ رسول الله قائدهم إذا تفرّقت الأهواء والشّيع

أهدى لهم مدحي قلبٌ يؤازره فيما أراد لسانٌ حائكٌ صنع

فإنّهم أفضل الأحياء كلّهم إن جدّ بالناس جدّ القول أو شمعوا

فقام عطارد بن حاجب فقال:

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا إذا اجتمعوا وقت احتضار المواسم

بأنّا فروع الناس في كلّ موطنٍ وأن ليس في أرض الحجاز كدارم

فقام حسّان بن ثابت فقال:

منعنا رسول اله من غضبٍ له على أنف راضٍ من معدٍّ وراغم

هل المجد إلاّ السّؤدد العود والنّدى وجاه الملوك واحتمال العظائم

إسلام وفد تميم وإكرام النبيّ لهم قال: فقال الأقرع بن حابس: والله إنّ هذا الرجل لمؤتًى له! والله لشاعره أشعر من شاعرنا، ولخطيبه أخطب " من خطيبنا "، ولأصواتهم أرفع من أصواتنا! أعطني يا محمد فأعطاه. فقال: زدني فزاده. فقال: اللّهمّ إنّه سيد العرب. فنزلت فيهم: " إنّ اللّذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ". ثم إنّ القوم أسلموا، وقاموا عند النبيّ صلى الله عليه وسلم يتعلّمون القرآن، ويتفقّهون في الدّين. ثم أرادوا الخروج إلى قومهم، فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم، وقال: " أما بقي منكم أحدٌ؟ "، وكان عمرو بن الأهتم في ركابهم، فقال قيس بن عاصم، وهو من رهطه وكان مشاحناً له، لم يبق منّا أحدٌ إلاّ غلامٌ حديث السنّ في ركابنا؛ فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم.

مناقضة عمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم

فبلغ عمراً ما قال قيس؛ فقال عمرو بن الأهتم لقيس:

ظللت مفترش الهلباء تشتمني — عند الرسول فلم تصدق ولم تصب
إن تبغضونا فإنّ الرّوم أصلكم — والروم لا تملك البغضاء للعرب
فإنّ سؤددنا عودٌ وسؤددكم — مؤخّرٌ عند أصل العجب والذّنب

فقال له قيس:

لولا دفاعي كنتم أعبدّاً — داركم الحيرة والسّيلحون

شعر حسان الذي يقرر به إيمانه بالرسل

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني عمر بن عليّ بن مقدّم عن يحيى بن سعيد عن أبي حيّان التّيميّ عن حبيب بن أبي ثابت، قال أبو زيد وحدّثنا محمد بن عبد الله بن الزّبير قال حدّثنا مسعرٌ عن سعد بن إبراهيم، قالوا: قال حسّان: ثابت للنبيّ صلى الله عليه وسلم:

صوت

شهدت بإذن الله أنّ محمداً — رسول الذي فوق السماوات من عل
وأنّ أخا الأحقاف إذ يعذلونه — يقوم بدين الله فيهم فيعدل
وأنّ أبا يحيى ويحيى كلاهما — له عملٌ في دينه متقبّل

وأنّ الذي عادى اليهود ابن مريمٍ — رسولٌ أتى من عند ذي العرش مرسل
وأنّ الذي بالجزع من بطن نخلةٍ — ومن دونها فلٌّ من الخير معزل

- غنّى في هذه الأبيات معبد خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر من رواية يونس وغيره - فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: " أنا أشهد معك ".

أنكرت عليه عائشة شعراً له في مدحها

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا زهير بن حرب قال حدّثني جرير عن الأعمش عن أبي الضّحى عن مسروق، وأخبرني بها أحمد بن عيسى العجليّ قال حدّثنا سفيان بن وكيع قال حدّثنا جرير عن الأعمش عن أبي الضّحى عن مسروق قال: دخلت على عائشة وعندها حسّان وهو يرثي بنتاً له، وهو يقول:

رزانٌ حصانٌ ما تزنّ بريبةٍ — وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت عائشة: لكن أنت لست كذلك. فقلت لها: أيدخل عليك هذا وقد قال الله عزّ وجلّ: " والّذي تولّى كبره منهم له عذابٌ عظيمٌ "! فقالت: أما تراه في عذاب عظيم قد ذهب بصره!

أخبر بوقعة صفين قبل وقوعها

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيع قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدّثنا ابن أبي أويس قال حدّثني أبي ومالك بن الربيع بن مالك حدّثاني جميعاً عن الرّبيع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه أنه قال: بينا نحن جلوسٌ عند حسّان بن ثابت، وحسّان مضطجعٌ مسندٌ رجليه إلى فارعٍ قد رفعهما عليه، إذ قال: مه! أما رأيتم ما مرّ بكم الساعة؟ قال مالك: قلنا: لا والله، وما هو؟ فقال حسّان: فاختةٌ مرّت الساعة بيني وبين فارع فصدمتني، أو قال: فزحمتني. قال: قلنا: وما هي؟ قال:

ستأتيكم غدواً أحاديث جمّةٌ … فأصغوا لها آذانكم وتسمّعوا

قال مالك بن أبي عامر: فصبحنا من الغد حديث صفّين.

سمعه المغيرة ينشد شعراً فبعث إليه بمال

أخبرنا وكيع قال حدّثنا اللّيث بن محمد عن الحنظليّ عن أبي عبدة عن العلاء بن جزء العنبري قال: بينا حسّان بن ثابت بالخيف وهو مكفوفٌ، إذ زفر زفرةً ثم قال:

وكأنّ حافرها بكلّ خميلةٍ … صاعٌ يكيل به شحيحٌ معدم

عاري الأشاجع من ثقيفٍ أصله … عبدٌ ويزعم أنّه من يقدم

قال: والمغيرة بن شعبة جالسٌ قريباً منه يسمع ما يقول، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم. فقال: من بعث بهذا؟ قال: المغيرة بن شعبة سمع ما قلت. قال: واسوءتاه! وقبلها.

استجار الحارث بن عوف من شعره بالنبي

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني الأصمعيّ قال: جاء الحارث بن عوف بن أبي حارثة إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: أجرني من شعر حسّان، فلو مزج البحر بشعره لمزجه. قال: وكان السبب في ذلك - فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة عن الأصمعيّ، وأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني عمّي مصعب -أنّ الحارث بن عوف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ابعث معي من يدعو إلى دينك وأنا له جار. فأرسل معه رجلاً من الأنصار. فغدرت بالحارث عشيرته فقتلوا الأنصاريّ، فقدم الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عليه الصلاة والسلام لا يؤنّب أحداً في وجهه، فقال: " ادعوا لي حسّان "، فدعي له، فلمّا رأى الحارث أنشده:

يا حار من يغدر بذمّة جاره منكم فإنّ محمداً لم يغدر

إن تغدروا فالغدر منكم شيمةٌ والغدر ينبت في أصول السّخبر

فقال الحارث: اكففه عنّي يا محمد، وأؤدّي إليك دية الحفارة؛ فأدّى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم سبعين عشراء، وكذلك دية الخفارة، وقال: يا محمد، أنا عائذٌ بك من شرّه، فلو مزج البحر بشعره مزجه.

أنشد شعراً بلغ النبي فآلمه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إبراهيم بن المنذر قال حدّثنا عبد الله بن وهب قال أخبرنا العطّاف بن خالد قال: كان حسّان بن ثابت يجلس إلى أطمه فارعٍ، ويجلس معه أصحابٌ له ويضع لهم بساطاً يجلسون عليه؛ فقال يوماً، وهو يرى كثرة من يأتي إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم من العرب فيسلمون:

أرى الجلأبيب قد عزّوا وقد كثروا وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " من لي بأصحاب البساط بفارع؟ ". فقال صفوان بن المعطّل: أنا لك يا رسول الله منهم؛ فخرج إليهم فاخترط سيفه، فلمّا راوه عرفوا الشرّ بوجهه ففرّوا وتبدّدوا، وأدرك حسّان داخلاً بيته، فضرب وفلق أليته. قال: فبلغنا أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم عوّضه وأعطاه حائطاً، فباعه من معاوية بعد ذلك بمالٍ كثير، فبناه معاوية قصراً، وهو الذي يقال له: " قصر الدّارين ". وقد قيل: إنّ صفوان بن المعطّل إنما ضرب حسّان لما قاله فيه وفي عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم من الإفك؛ لأن صفوان هو الذي رمى أهل الإفك عائشة به.

وأخبرنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حميد قال حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة قال: اعترض صفوان بن المعطّل حسّان بن ثابت بالسّيف لما قذفه به من الإفك حين بلغه ما قاله. وقد كان حسّان قال شعراً يعرّض بابن المعطّل وبمن أسلم من العرب من مضر فقال:

أمسى الجلأبيب قد عزّوا وقد كثروا وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

قد ثكلت أمّه من كنت صاحبه أو كان منتشباً في برثن الأسد

ما للقتيل الذي أعدو فآخذه من ديةٍ فيه أعطيها ولا قود

ما البحر حين تهبّ الريح شاميةً فيغطئلّ ويرمي العبر بالزّبد

يوماً بأغلب منّي حين تبصرني بالسيف أفري كفري العارض البرد

فاعترضه صفوان بن المعطّل بالسيف فضربه وقال:

تلقّ ذباب السّيف عنّي فإنّني غلامٌ إذا هوجيت لست بشاعر

قبض ثابت بن قيس على ابن المعطل لضربه له، ثم انتهى الأمر إلى النبي فاسترضاه: وحدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا " ابن " حميد قال حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التّيميّ: أنّ ثابت بن قيس بن الشّمّاس أخا بلحارث بن الخزرج وثب على صفوان بن المعطّل في ضربه حسّان فجمع يديه على عنقه، فانطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج، فلقيه عبد الله بن رواحة فقال: ما هذا؟ فقال: ألا أعجّبك! ضرب حسّان بالسيف! والله ما أراه إلاّ قد قتله. فقال له عبد الله بن رواحة: هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيءٍ من هذا؟ قال: لا والله. قال: لقد اجترأت! أطلق الرجل، فأطلقه. ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فدعا حسّان صفوان بن المعطّل؛ فقال ابن المعطّل: يا رسول الله، آذاني وهجاني فضربته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسّان: " يا حسّان أتعيب على قومي أن هداهم الله عزّ وجلّ للإسلام! "، ثم قال: " أحسن يا حسّان في الذي أصابك ". قال: هي لك يا رسول الله.

إيراد ما تقدم برواية أخرى مفصلة

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني المدائنيّ قال حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسارٍ عن بعض رجال بني النجّار بمثل ذلك، وزاد في الشعر الذي قاله حسان زيادةً ووافقه عليها مصعب الزّبيريّ، فيما أخبرنا به الحسن بن عليّ، قال قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني عمي مصعب في القصّة، فذكر أنّ فتيةً من المهاجرين والأنصار تنازعوا على الماء وهم يسقون خيولهم، فغضب من ذلك حسّان فقال هذا الشعر.

وذكر الزّهريّ، فيما أخبرنا أحمد بن يحيى بن الجعد، قال حدّثنا محمد بن إسحاق المسيّبي قال حدّثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزّهريّ أنّ هذا الخبر كان بعد غزوة النبيّ صلى الله عليه وسلم بني المصطلق.

قال: وكان في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ يقال له: سنان، ورجل من بني غفار يقال له: جهجاه؛ فخرج جهجاهٌ بفرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرسٍ له يومئذ يسقيهما، فأوردهما الماء، فوجد على الماء فتيةً من الأنصار، فتنازعوا فاقتتلوا؛ فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: هذا ما جزونا به، آويناهم ثم هم يقاتلوننا! وبلغ حسّان بن ثابت الذي بين جهجاه وبين الفتية الأنصار، فقال وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام - وهذا الشعر من رواية مصعب دون الزّهريّ - :

أمسى الجلأبيب قد عزّوا وقد كثروا ... وابن الفريعة أمسى بيضة البلد
يمشون بالقول سرًّا في مهادنةٍ ... تهدّداً لي كأنّي لست من أحد
قد ثكلت أمّه من كنت صاحبه ... أو كان منتشباً في برثن الأسد

ما للقتيل الذي أسموا فأقتله   من ديةٍ فيه أعطيها ولا قود

ما البحر حين تهبّ الريح شاميةً   فيغطئلّ ويرمي العبر بالزّبد

يوماً بأغلب منيّ حين تبصرني   أفري من الغيظ فري العارض البرد

أمّا قريشٌ فإنّي لست تاركهم   حتى ينيبوا من الغيّات بالرّشد

ويتركوا اللاّت والعزّى بمعزلةٍ   ويسجدوا كلّهم للواحد الصمّد

ويشهدوا أنّ ما قال الرسول لهم   حقٌّ ويوفوا بعهد الله في سدد

أبلغ بنيّ بأنّي قد تركت لهم   من خير ما ترك الأباء للولد

الدّار واسطةٌ والنخل شارعةٌ   والبيض يرفلن في القسّيّ كالبرد

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا حسان نفست عليّ إسلام قومي " وأغضبه كلامه. فغدا صفوان بن المعطّل السّلميّ على حسّان فضربه بالسيف. وقال صفوان:

تلقّ ذباب السّيف عنّي فإنني   غلامٌ إذا هوجيت لست بشاعر

فوثب قومه على صفوان فحبسوه، ثم جاؤوا سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وهو مقبلٌ على ناضحه بين القربتين، فذكروا له ما فعل حسّان وما فعلوا؛ فقال: أشاورتم في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا لا. فقعد إلى الأرض. وقال: وانقطاع ظهراه! أتأخذون بأيديكم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيكم! ودعا بصفوان فأتي به، فكساه وخلاّه. فجاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من كساك كساه الله ". وقال حسّان لأصحابه: احملوني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضّاه ففعلوا؛ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فردّوه. ثم سألهم فحملوه إليه الثانية؛ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانصرفوا به. ثم قال لهم: عودوا بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقالوا له: قد جئنا بك مرّتين كلّ ذلك يعرض فلا نبرمه بك. فقال: احملوني إليه هذه المرّة وحدها، ففعلوا. فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي! احفظ قولي:

هجوت محمداً فأجبت عنه   وعند الله في ذاك الجزاء

فإنّ أبى ووالده وعرضي   لعرض محمدٍ منكم وقاء

فرضي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووهب له سيرين أخت مارية أمّ ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم. هذه رواية مصعب. وأما الزّهريّ فإنّه ذكر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لّما بلغه ضرب السّلميّ حسّان قال لهم: " خذوه فإن هلك حسّان فاقتلوه ". فأخذوه فأسروه وأوثقوه؛ فبلغ ذلك سعد بن عبادة فخرج

في قومه إليهم فقال: أرسلوا الرجل، فأبوا عليه؛ فقال: أعمدتم إلى قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤذونهم وتشتمونهم وقد زعمتم أنّكم نصرتموهم! أرسلوا الرجل؛ فأبوا عليه حتى كاد يكون قتالٌ، ثم أرسلوه. فخرج به سعدٌ إلى أهله فكساه حلّةً، ثم أرسله سعدٌ إلى أهله. فبلغنا أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم دخل المسجد ليصلّي فيه، فقال: " من كساك كساه الله من ثياب الجنّة ". فقال: كساني سعد بن عبادة. وذكر باقي الخبر نحوه.

مدح عائشة والاعتذار عما رماها به

وحدّثني محمد بن جرير الطبريّ قال حدّثني ابن حميد قال حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث:

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه عوضاً منها بيرحاء، وهي قصر بني حديلة اليوم بالمدينة، كانت مالاً لأبي طلحة بن سهلٍ تصدّق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطاه حسّان في ضربته، وأعطاه سيرين " أمة قبطيّة " فولدت له عبد الرحمن بن حسّان. قال: وكانت عائشة تقول: لقد سئل عن صفوان بن المعطّل، فإذا هو حصورٌ " لا يأتي النساء "؛ قتل بعد ذلك شهيداً. قال ابن إسحاق في روايته عن يعقوب بن عتبة: فقال حسّان يعتذر من الذي قال في عائشة:

حصانٌ رزانٌ ما تزنّ بريبةٍ ... وتصبح غرثى من لحومِ الغوافل

فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم ... فلا رفعت سوطي إليّ أناملي

وكيف وودّي من قديمٍ ونصرتي ... لآل رسول الله زين المحافل

فإنّ الّذي قد قيل ليس بلائطٍ ... ولكنّه قول امرئٍ بي ما حل

هجاه رجل بما فعل به ابن المعطل

قال الزبير وحدّثني محمد بن الضحّاك: أنّ رجلاً هجا حسّان بن ثابت بما فعل به ابن المعطّل فقال:

وإنّ ابن المعطّل من سليمٍ ... أذلّ قياد رأسك بالخطام

سبه أناس فدافعت عنه عائشة

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرنا أبو عاصمٍ قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني محمد بن السائب عن أمّه: أنّها طافت مع عائشة ومعها أمّ حكيم وعاتكة: " امرأتان من بني مخزوم ". قالت: فابتدرنا حسّان نشتمه وهو يطوف؛ فقالت: أبن الفريعة تسببن! قلن: قد قال فيك فبرّأك الله. قالت: فأين قوله:

هجوت محمداً فأجبت عنه | وعند الله في ذاك الجزاء
فإنّ أبي ووالده وعرضي | لعرض محمدٍ منكم وقاء

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني إبراهيم بن المنذر عن سفيان بن عيينة عن محمد بن السائب بن بركة عن أمّه بنحو ذلك، وزاد فيه: إني لأرجو أن يدخله الله الجنّة بقوله.

أخبرني الحسن قال حدّثنا الزّبير عن عبد العزيز بن عمران عن سفيان بن عيينة وسلم بن خالد عن يوسف بن ماهك عن أمّه قالت: كنت أطوف مع عائشة بالبيت، فذكرت حسّان فسببته؛ فقالت: بئس ما قلت! أتسبّينه وهو الذي يقول:

فإنّ أبي ووالده وعرضي | لعرض محمدٍ منكم وقاء

فقلت: أليس ممن لعن الله في الدنيا وفي الآخرة بما قال فيك؟ قالت: لم يقل شيئاً، ولكنه الذي يقول:

حصانٌ رزانٌ ما تزنّ بريبةٍ | وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
فإن كان ما قد جاء عنّي قلته | فلا رفعت سوطي إليّ أناملي

أخبرني الحسن قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني مصعب عمّي قال حدّثني بعض أصحابنا عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كنت قاعداً عند عائشة، فمرّ بجنازة حسّان بن ثابتٍ فنلت منه، فقالت: مهلاً! فقلت: أليس الذي يقول! قالت: فكيف يقوله:

فإنّ أبي ووالده وعرضي | لعرض محمدٍ منكم وقاء

فخره بلسانه

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثني أحمد بن سلمان عن سليمان بن حرب قال حدّثنا حمّاد بن زيد عن أيّوب عن محمد بن سيرين: أن حسّان أخذ يوماً بطرف لسانه وقال: يا رسول الله، ما يسرّني أنّ لي به مقولاً بين صنعاء وبصرى، ثم قال:

لساني مغولٌ لا عيب فيه | وبحري ما تكدّره الدّلاء

خبره يوم الخندق

أخبرنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حميد قال حدّثنا سلمة قال حدّثني محمد بن إسحاق عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير عن أبيه قال:

كانت صفيّة بنت عبد المطّلب في فارعٍ " حصن حسّان بن ثابت "، يعني يوم الخندق. قالت: وكان حسّان معنا فيه والنساء والصّبيان. قالت: فمرّ بنا رجلٌ من يهود فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما

بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفع عنّا، ورسول الله والمسلمون في نحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم، إذ أتانا آتٍ. قالت: فقلت: يا حسّان، إنّ هذا اليهوديّ كما ترى يطيف بالحصن، وإنّي والله ما آمنه أن يدلّ على عوراتنا من وراءنا من يهود، وقد شغل عنّا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فانزل إليه فاقتله؛ فقال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطّلب! لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا. قالت: فلمّا قال ذلك و لم أر عنده شيئاً احتجزت ثم أخذت عموداً ثم نزلت إليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته، فلمّا فرغت منه رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسّان، انزل إليه فاسلبه؛ فإنّه لم يمنعني من سلبه إلاّ أنّه رجلٌ. قال: ما لي بسلبه من حاجةٍ يا بنت عبد المطّلب.

حديث ابن الزبير عن يوم الخندق وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا عليّ بن صالح عن جدّي عبد الله بن مصعب عن أبيه قال: كان ابن الزّبير يحدّث أنه كان في فارعٍ " أطم حسّان بن ثابت " مع النساء يوم الخندق ومعهم عمر بن أبي سلمة. قال ابن الزّبير: ومعنا حسّان بن ثابت ضارباً وتداً في آخر الأطم، فإذا حمل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين حمل على الوتد فضربه بالسيف؛ وإذا أقبل المشركون انحاز عن الوتد حتّى كأنه يقاتل قرناً، يتشبّه بهم كأنّه يري أنّه مجاهدٌ حين جبن. وإنّي لأظلم ابن أبي سلمة وهو أكبر منّي بسنتين فأقول له: تحملني على عنقك حتّى أنظر، فإنّي أحملك إذا نزلت. قال: فإذا حملني ثم سألني أن يركب قلت له: هذه المرّة أيضاً. قال: وإنّي لأنظر إلى أبي معلماً بصفرةٍ، فأخبرتها أبي بعد؛ فقال: " أين كنت حينئذ؟ فقلت: على عنق ابن أبي سلمة يحملني. فقال ": أما والّذي نفسي بيده إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجمع لي أبويه.

قال ابن الزّبير: وجاء يهوديٌّ يرتقي إلى الحصن. فقالت صفيّة له: أعطني السيف، فأعطاها. فلمّا ارتقى اليهوديّ ضربته حتّى قتلته، ثم احتزّت رأسه فأعطته حسّان فقالت: طوّح به؛ فإنّ الرجل أقوى وأشدّ رميةً من المرأة. تريد أن ترعب به أصحابه.

كان حسان مقطوع الأكحل قال الزّبير: وحدّثني عمّي عن الواقديّ قال: كان أكحل حسّان قد قطع فلم يكن يضرب بيده.

أنشد النبي شعراً في شجاعته فضحك قال الزّبير وحدّثني عليّ بن صالح عن جدّي أنّه سمع أن حسّان بن ثابت أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لقد غدوت أمام القوم منتطقاً ... بصارمٍ مثل لون الملح قطّاع

يحفز عنّي نجاد السيف سابغةٌ ... فضفاضةٌ مثل لون النّهي بالقاع

قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فظنّ حسّان أنه ضحك من صفته نفسه مع جبنه.

قال النابغة إنه شاعر والخنساء بكاءة

قال الزّبير وحدّثني محمد بن الحسن قال: قال حسّان بن ثابت: جئت نابغة بني ذبيان، فوجدت الخنساء بنت عمرو حين قامت من عنده، فأنشدته؛ فقال: إنّك لشاعرٌ، وإنّ أخت بني سليم لبكّاءة.

مع الحطيئة

قال الزّبير وحدّثني يحيى بن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصّدّيق قال أخبرني غير واحدٍ من مشايخي: أنّ الحطيئة وقف على حسّان بن ثابت وحسّان ينشد من شعره؛ فقال له حسّان وهو لا يعرفه: كيف تسمع هذا الشعر يا أعرأبي؟ قال الحطيئة: لا أرى به بأساً. فغضب حسّان وقال: اسمعوا إلى كلام هذا الأعرأبي! ما كنيتك؟ قال: أبو مليكة. قال: ما كنت قطّ أهون عليّ منك حين كنّيت بامرأةٍ، فما اسمك؟ فال: الحطيئة فقال حسّان: امض بسلام.

اتهمه أعشى بكر عند خمار بالبخل

فاشترى كل الخمر وأراقها:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني محمد بن الحسن بن مسعود الزّرقيّ قال حدّثنا عبد الله بن شبيب قال حدّثني الزّبير، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني الزّبير قال حدّثني بعض القرشيين قال:

دخل حسّان بن ثابت في الجاهليّة بيت خمّارٍ بالشّأم ومعه أعشى بكر بن وائل، فاشتريا خمراً وشربا، فنام حسّان ثم انتبه، فسمع الأعشى يقول للخمّار: كره الشيخ الغرم. فتركه حسّان حتّى نام، ثم اشترى خمر الخمّار كلّها. ثم سكبها في البيت حتّى سالت تحت الأعشى؛ فعلم أنّه سمع كلامه فاعتذر إليه؛ فقال حسّان:

ولسنا بشربٍ فوقهم ظلّ بردةٍ ... يعدّون للخمّار تيساً ومفصدا
ولكنّنا شربٌ كرامٌ إذا انتشوا ... أهانوا الصّريح والسّديف المسرهدا
كأنّهم ماتوا زمان حليمةٍ ... فإن تأتهم تحمد ندامتهم غدا
وإن جئتهم ألفيت حول بيوتهم ... من المسك والجادي فتيتاً مبدّدا
ترى حول أثناء الزّرأبي ساقطاً ... نعالاً وقسّوباً وريطاً منضّدا
وذا نمرقٍ يسعى وملصق خدّه ... بديباجةٍ تكفافها قد تقدّدا

تعييره الحارث بن هشام بفراره

وهذه القصيدة يقولها حسّان بن ثابت في وقعة بدرٍ يفخر بها ويعيّر الحارث بن هشام بفراره عن أخيه أبي جهل بن هشام. وفيها يقول:

صوت

إن كنت كاذبة الذي حدّثتني فنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الأحبّة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرّةٍ ولجام

- غنّاه يحيى المكيّ خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى. ولعزّة الميلاء فيه خفيف رمل بالبنصر. وفيه خفيف ثقيلٍ بالبنصر لموسى بن خارجة الكوفيّ - فأجاب الحارث بن هشام، وهو مشرك يومئذٍ، فقال:

صوت

الله يعلم ما تركت قتالهم حتّى رموا فرسي بأشقر مزبد

وعلمت أنّي إن أقاتل واحداً أقتل ولا يضرر عدوّي مشهدي

ففررت منهم والأحبّة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مرصد

غنّى فيه إبراهيم الموصليّ خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر، وقيل: بل هو لفليح.

تمثل رتبيل بشعر حسان

أخبرنا محمد بن خلف وكيعٌ قال حدّثني سليمان بن أيّوب قال حدّثنا محمد بن سلاّم عن يونس قال: لمّا صار ابن الأشعث إلى رتبيل، تمثّل رتبيل بقول حسّان بن ثابت في الحارث بن هشام:

ترك الأحبّة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرّةٍ ولجام

فقال له ابن الأشعث: أو ما سمعت ما ردّ عليه الحارث بن هشام؟ قال: وما هو؟ فقال قال:

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا فرسي بأشقر مزبد

وعلمت أنّي إن أقاتل واحداً أقتل ولا يضرر عدوّي مشهدي

فصددت عنهم والأحبّة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مرصد

فقال رتبيل: يا معشر العرب، حسّنتم كلّ شيء حتى حسّنتم الفرار.

أخبار غزاة بدر

حدّثني بخبرها محمد بن جرير الطبري في " المغازي " قال حدّثنا محمد بن حميد قال حدّثنا محمد بن سلمة قال حدّثني محمد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن مسلم الزّهريّ وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن غزوة بدرٍ وغيرهم من علمائنا عن عبد الله بن عبّاس، كلٌّ قد حدّثني بعض هذا الحديث، فاجتمع حديثهم فيما سمعت من حديث بدر، قالوا:

استنفار أبي سفيان لقريش

لّما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلاً من الشام ندب المسلمين إليهم، وقال: " هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها؛ فلعلّ الله أن ينفّلكموها ". فانتدب الناس، فخفّ بعضهم وثقل بعضهم؛ وذلك أنّهم لم يظنّوا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حرباً. وكان أبو سفيان استقدم حين دنا من الحجاز وجعل يتجسّس الأخبار، ويسأل من لقي من الرّكبان، تخوّفاً على أموال الناس، حتى أصاب خيراً من بعض الرّكبان أنّ محمداً استنفر أصحابه لك ولأصحابك ولعيرك، فجدّ عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاريّ فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً يستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أنّ محمداً قد عرض لها في أصحابه؛ فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة.

رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم عن عكرمة مولى ابن عبّاس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزّبير قال: وقد رأت عاتكة بنت عبد المطّلب قبل قدوم ضمضم " مكة " بثلاث " ليالٍ " رؤيا أفزعتها، فبعثت إلى أخيها العبّاس بن عبد المطلب، فقالت: يا أخي، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني وتخوّفت أن يدخل على قومك " منها " شرٌّ أو مصيبة، فاكتم عني ما أحدّثك. قال لها: وما رأيت؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعيرٍ له حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: أن انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث؛ وأرى الناس قد اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه؛ فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بأعلى صوته: انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها، ثن أخذ صخرةً فأرسلها فأقبلت تهوي، حتّى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضّت، فما بقي بيتٌ من بيوت مكة ولا دارٌ من دورها إلاّ دخلتها منها فلقة. فقال العباس: إنّ هذه لرؤيا، وأنت فاكتميها ولا تذكريها لأحد. ثم خرج العبّاس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة، وكان له صديقاً، فذكرها " له " واستكتمه إيّاها؛ فذكرها الوليد لأبيه عتبة، ففشا الحديث " بمكة " حتى تحدثت به قريش. قال العبّاس: فغدوت أطوف بالبيت، وأبو جهلٍ بن هشام ورهطٌ من قريش قعودٌ يتحدّثون برؤيا عاتكة. فلمّا رآني أبو جهل قال: يا أبا الفضل، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا؛ فلمّا فرغت أقبلت إليه حتى

جلست معهم. فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطّلب، متى حدثت فيكم هذه النبيّة؟! قال: قلت: وما ذاك؟ قال: الرؤيا التي رأت عاتكة. قلت: وما رأت؟ قال: يا بني عبد المطّلب، أما رضيتم أن تتنبّأ رجالكم حتى تتنبّأ نساؤكم! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنّها قالت: انفروا في ثلاثٍ؛ فسنتربّص بكم هذه الثلاث؛ فإن يكن ما قالت حقًّا فسيكون، وإن تمض الثلاث و لم يكن من ذلك شيء نكتب كتأبا عليكم أنّكم أكذب أهل بيتٍ في العرب. قال العبّاس: فوالله ما كان إليه منّي كبيرٌ إلا أن جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً. قال: ثم تفرّقنا. فلمّا أمسينا لم تبق امرأةٌ من بني عبد المطّلب إلاّ أتتني فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ويتناول النساء وأنت تسمع، ولم يكن عنك غيرٌ لشيءٍ مما سمعت؟! قلت: قد والله فعلت، ما كان منّي إليه من كبيرٍ، وأيم الله لأتعرّضنّ له؛ فإن عاد لأكفينّكنّه. قال: فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديدٌ مغضبٌ أرآى " أنّي " قد فاتني منه أمرٌ أحبّ أن أدركه منه. قال: فدخلت المسجد فرأيته، فوالله إنّي لأمشي نحوه العرضنة ليعود لبعض ما كان فأوقع به. وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه حديد اللّسان حديد النّظر، إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ. قال: قلت في نفسي: ماله لعنه الله! أكلّ هذا فرقاً أن أشاتمه! فإذا هو قد سمع ما لم أسمع، صوت ضمضم بن عمرو الغفاريّ وهو يصرخ ببطن الوادي " واقفاً على بعيره قد جدّع بعيره وحوّل رحله وشقّ قميصه وهو يقول ": يا معشر قريش اللّطيمة " اللطيمة! " أموالكم مع أبي سفيان بن حرب قد عرض لها محمد في أصحابه، لاأرى أن تدركوها! الغوث الغوث! قال: فشغلني عنه وشغله عنّي ما جاء من الأمر. قال: فتجهّز الناس سراعاً، وقالوا: لا يظنّ محمدٌ وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرميّ! كلاّ والله ليعلمنّ غير ذلك! فكانوا بين رجلين: إمّا خارجٍ وإمّا باعث مكانه رجلاً.

خروج قريش وإرسال أبي لهب العاصي بن هشام مكانه

وأوعبت قريش فلم يتخلّف من أشرافها أحدٌ إلا أبو لهب بن عبد المطلب تخلّف فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكان لطّ له بأربعة آلاف درهمٍ كانت له عليه، فأفلس بها، فاستأجره بها على أن يجزئ عنه بعثه؛ فخرج عنه وتخلّف أبو لهب. هكذا في الحديث. فذكر أبو عبيدة وابن الكلبيّ: أنّ أبا لهبٍ قامر العاصي بن هشام في مائةٍ من الإبل، فقمره أبو لهب، ثم عاد فقمره أيضاً الثالثة، فذهب بكلّ ما كان يملكه. فقال له العاصي: أرى القداح قد حالفتك يابن عبد المطّلب، هلمّ نجعلها على أيّنا يكون عبداً لصاحبه؛ قال: ذلك لك؛ فدحاها فقمره أبو لهب، فأسلمه قيناً، وكان يأخذ منه ضريبةً. فلما كان يوم بدرٍ وأخذت قريش كلّ من لم يخرج بإخراج رجلٍ مكانه أخرجه أبو لهب عنه وشرط له العتق؛ فخرج فقتله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

رجع الحديث إلى وقعة بدر.

ابن أبي معيط و أمية بن خلف

قال محمد بن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي نجيح: أنّ أميّة بن خلفٍ كان قد أجمع القعود، وكان شيخاً " جليلاً جسيماً " ثقيلاً، فجاءه عقبة بن أبي معيط وهو جالسٌ في المسجد بين ظهراني قومه بمجمرةٍ يحملها، فيها نارٌ ومجمرٌ، حتّى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا عليّ، استجمر فإنّما أنت من النساء! قال: قبّحك الله وقبّح ما جئت به! ثم تجهّز وخرج مع الناس. فلمّا فرغوا من جهازهم وأجمعوا السير، ذكروا ما " كان " بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب، فقالوا: إنّا نخشى أن يأتوا من خلفنا.

تخوّف قريش من كنانة وتأمين إبليس لهم

قال محمد بن إسحاق: فحدّثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزّبير قال: لّما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة، فكاد ذلك أن يثبّطهم، فتبدّى لهم إبليس في صورة سراقة بن جعشم المدلجيّ، وكان من أشراف بني كنانة، فقال: إنّي جارٌ لكم من أن تأتيكم كنانة " من خلفكم " بشيءٍ تكرهونه، فخرجوا سراعاً.

خروج النبيّ وعدد جيشه

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني عن غير ابن إسحاق - لثلاث ليالٍ خلون من شهر رمضان المعظّم في ثلاثمائةٍ وبضعة عشر رجلاً من أصحابه. فاختلف في مبلغ الزيادة على العشرة؛ فقال بعضهم: كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً. وكان المهجرون يوم بدرٍ سبعةً وسبعين رجلاً، وكان الأنصار مائتين وستةً وثلاثين رجلاً، وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان صاحب راية الأنصار سعد بن عبادة.
حدّثنا محمد قال حدّثنا هارون بن إسحاق قال حدّثنا مصعب بن المقدام، قال أبو جعفر وحدّثني محمد بن إسحاق الأهوازيّ قال حدّثنا أبو أحمد الزّبيريّ قال حدّثنا إسرائيل قال حدّثنا أبو إسحاق عن البراء قال: كنّا نتحدّث أنّ عدّة أصحاب بدرٍ على عدّة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر - ولم يجز معه إلاّ مؤمن - ثلاثمائةٍ وبضعة عشر.

استشارة النبيّ لأصحابه

قال ابن إسحاق في حديثه عمّن روى عنه: وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجّار، في ليالٍ مضت من رمضان؛ فسار حتّى إذا كان قريباً من الصّفراء بعث بسبس بن عمرو الجهنيّ حليف بني ساعدة وعدي بن أبي الزّغباء حليف بني النّجار إلى بدر

يتجسّسان له الخبر عن أبي سفيان بن حرب وغيره، ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدّمهما. فلمّا استقبل الصّفراء، وهي قريةٌ بين جبلين، سأل عن جبليها ما أسماهما؟ فقيل: يقال لأحدهما هذا مسلح، وللآخر هذا مخرئ؛ وسأل عن أهلها فقالوا: بنو النّار، وبنو حراق " بطنان من غفار "؛ فكرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما، وتفاءل باسميهما وأسماء أهاليهما، فتركهما والصفراء يساراً، وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له ذفران فخرج منه، حتّى إذا كان ببعضه نزل، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم؛ فاستشار النبيّ صلى الله عليه وسلم الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله فنحن معك. والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون معلمون. فوالّذي بعثك بالحقّ لو سرت بنا إلى برك الغماد - يعني مدينة الحبشة - لجالدنا معك حتّى تبلغه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له بخير.

حدّثنا محمد قال حدّثنا محمد بن عبيد المحاربيّ قال حدّثني إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى قال حدّثنا المخارق عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال: شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون صاحبه أحبّ إليّ مما في الأرض من كلّ شيء، كان رجلاً فارساً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب احمارّت وجنتاه، فأتاه المقداد على تلك الحال، فقال: أبشر يا رسول الله، فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون، ولكن والذي بعثك بالحقّ لنكونن بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وشمالك أو يفتح الله تبارك وتعالى.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أشيروا علي أيها الناس ". وإنما يريد الأنصار؛ وذلك أنهم كانوا عدد الناس، وأنهم حين بايعوا بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى نصير إلى دارنا، فإذا وصلت فأنت في ذمامنا، نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوٍ في غير بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله. قال: " أجل ". قال: فقد آمنا بك يا رسول الله وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض بنا يا رسول الله لما أردت فنحن معك. فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر وخضته لخضناه معك ما يتخلف منا رجلٌ واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدواً غداً. إنا لصبرٌ عند الحرب، صدقٌ عند اللقاء، لعل الله تعالى أن يريك منا ما تقر به عينك؛ فسر بنا على بركة الله. فسر

رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك؛ ثم قال: " سيروا على بركة الله وأبشروا؛ فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم ".

نزول النبي قريباً من بدر

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران، وسلك على ثنايا يقال لها الأصافر، ثم انحط منها على بلدٍ يقال له الدبة، ثم ترك الحنّان بيمينٍ، وهو كثيبٌ عظيم كالجبل، ثم نزل قريباً من بدرٍ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه - قال الطبري قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن يحيى بن حبان - حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم؛ فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا أخبرتنا أخبرناك " فقال: أو ذاك بذاك؟ فقال: " نعم ". قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا؛ فإن كان صدقني الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا " للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ". وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا؛ فإن كان الذي حدثني صدقني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا " للمكان الذي به قريش ". فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نحن من ماء "، ثم انصرف الشيخ عنه. قال يقول الشيخ: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟ ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه.

إرساله نفراً من أصحابه إلى بدر فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص في نفرٍ من أصحابه إلى بدرٍ يلتمسون له الخبر عليه -.

قبض هؤلاء النفر على غلامين لقريش قال محمد بن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير: - فأصابوا راويةً لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج، وعريضٌ أبو يسار غلام بني العاصي بن سعيد، فأتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي. فسألوهما فقالا: نحن سقاةٌ لقريش بعثونا نسقيهم من الماء. فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما، فلما أذلقوهما قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما. وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتين ثم سلم، ثم قال: " إذا صدقاكم ضربتموهما، فإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله إنهما لقريش. أخبراني أين قريش "؟ قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى - والكثيب: العقنقل - فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كم القوم "؟ قالا: لا ندري. قال: " كم ينحرون كل يوم "؟ قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " القوم ما بين التسعمائة والألف ". ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فمن فيهم من أشراف قريش "؟ قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عمر بن نوفل، وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلفٍ،

ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن ودّ. فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال: " هذه مكة قد رمت إليكم أفلاذ كبدها ".

قدوم أبي سفيان إلى بدر متجسساً قال ابن إسحاق: وقد كان بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء مضيا حتى نزلا بدراً فأناخا إلى تلٍّ قريبٍ من الماء، ثم أخذا شناً يستقيان فيه، ومجدي بن عمرو الجهني على الماء، فسمع عديٌ وبسبسٌ جاريتين من جواري الحاضر وهما تتلازمان على الماء، والملزومة تقول لصاحبتها: إنما تأتي العير غداً أو بعد غدٍ فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك. قال مجديٌ: صدقت، ثم خلص بينهما. وسمع ذلك عديٌ وبسبس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا. وأقبل أبو سفيان قد تقدم العير حذراً حتى ورد الماء، فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسست أحداً؟ قال: ما رأيت أحد أنكره، إلا أني رأيت راكبين أناخا إلى هذا التل ثم استقيا في شنٍ لهما ثم انطلقا. فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففته فإذا فيه النوى، فقال: هذه والله علائف يثرب! فرجع إلى أصحابه سريعاً فصرف وجه عيره على الطريق فساحل بها وترك بدراً يساراً، ثم انطلق حتى أسرع.

رؤيا جهيم بن أبي الصلت

وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن أبي الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب بن عبد منافٍ رؤيا، فقال: إني رأيت فيما يرى النائم، وإني لبين النائم واليقظان إذ نظرت إلى رجلٍ أقبل على فرسٍ ومعه بعيرٌ له ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمية بن خلفٍ، وفلانٌ وفلان - فعدد رجالاً ممن قتل يومئذٍ من أشراف قريش - ورأيته ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر، فما بقي خباءٌ من أخبية العسكر إلا أصابه نضحٌ من دمه. قال: فبلغت أبا جهل فقال: وهذا أيضاً نبيٌ آخر من بني عبد المطلب! سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا.

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره، أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورحالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا. فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدراً - وكان بدرٌ موسماً من مواسم العرب تجتمع به، لهم بها سوقٌ كل عام - فنقيم عليه ثلاثاً، وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمور، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب " بمسيرنا وجمعنا "، فلا يزالون يهابوننا أبداً، فامضوا.

رجوع بني زهرة

فقال الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهبٍ الثقفي، وكان حليفاً لبني زهرة، وهم بالجحفة: يا بني زهرة قد نجى الله لكم عيركم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله، فاجعلوا بي جبنها وارجعوا؛

فإنه لا حاجة بكم في أن تخرجوا في غير ضيعةٍ لما يقول هذا " يعني أبا جهل "؛ فلم يشهدها زهري، وكان فيهم مطاعاً. و لم يكن بقي من قريش بطنٌ إلا نفر منهم ناسٌ، إلا بني عدي بن كعب لم يخرج منهم رجلٌ واحد. فرجعت بنو زهرة مع الأخنس بن شريق، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد.
اتهام قريش لبني هاشم ومضى القوم، وقد كان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين بعض قريش محاورةٌ؛ فقالوا: والله لقد عرفنا يا بني هاشم - وإن خرجتم معنا - أن هواكم " لمع " محمد؛ فرجع طالبٌ إلى مكة فيمن رجع. وأما ابن الكلبي فإنه قال فيما حدثت عنه: شخص طالب بن أبي طالب إلى بدرٍ مع المشركين، أخرج كرهاً، فلم يوجد في الأسرى ولا في القتلى و لم يرجع إلى أهله، وكان شاعراً، وهو الذي يقول:

يا رب إما يغزون طالب في مقنبٍ من هذه المقانب
فليكن المسلوب غير السالب وليكن المغلوب غير الغالب

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

نزول قريش بالعدوة القصوى من الوادي: قال: ومضت قريشٌ حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل. وبطن الوادي، وهو يليل، بين بدرٍ وبين العقنقل: الكثيب الذي خلفه قريشٌ. والقليب ببدر من العدوة الدنيا من بطن يليل إلى المدينة. وبعث الله عز وجل السماء، وكان الوادي دهساً، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما لبد لهم الأرض و لم يمنعهم المسير، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء حتى حاذى ماءً من مياه بدرٍ فنزل به.
قال ابن إسحاق: فحدثني عشرة رجالٍ من بني سلمة ذكروا أن الحباب بن المنذر بن الجموح قال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلٌ أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: " بل هو الرأي والحرب والمكيدة ". فقال: يا رسول الله، إن هذا ليس لك بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماءٍ من مياه القوم فتنزله، ثم تعور ما سواه من القلب ثم تبني عليه حوضاً فتملأه ماءً، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربوا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لقد أشرت الرأي ". فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس حتى أتى أدنى ماءٍ من القوم فنزل عليه، ثم أمر بالقلب فعورت وبنوا حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملىء ماءً ثم قذفوا فيه الآنية.

قال محمد بن إسحاق: فحدثني محمد بن أبي بكر أن سعد بن معاذ قال: يا رسول الله، نبني لك عريشاً من جريدٍ فتكون فيه ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا؛ فإن نحن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا؛ فقد تخلف عنك أقوامٌ يا نبي الله ما نحن بأشد حباً لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك.

فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً، ودعا له بخير. ثم بني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشٌ فكان فيه.

وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحت وأقبلت. فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل - وهو الكثيب الذي منه جاؤوا - إلى الوادي قال: " اللهم هذي قريشٌ قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك. اللهم فنصرك الذي وعدتني. اللهم فأحنهم الغداة ". وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى عتبة بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر: " إن يكن عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا ".

عرض خفاف بن إيماء معونته على قريش

ولقد كان خفاف بن إيماء بن رحضة الغفاري، أو أبوه أيما بن رحضة، بعث إلى قريش حين مروا به ابناً له بجزائر أهداها لهم وقال لهم: إن أحببتم أن نمدكم بسلاحٍ ورجالٍ فعلنا. فأرسلوا إليه مع ابنه: أن وصلتك رحمٌ! فقد قضيت الذي عليك. فلعمري لئن كنا إنما نقاتل الناس فما بنا ضعفٌ عنهم، ولئن كنا نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحدٍ بالله من طاقة. فلما نزل الناس أقبل نفرٌ من قريش حتى وردوا الحوض حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دعوهم ". فما شرب منهم رجلٌ إلا قتل يومئذ، إلا ما كان من حكيم بن حزامٍ فإنه لم يقتل، نجا على فرس له يقال الوجيه، وأسلم بعد ذلك فحسن إسلامه؛ فكان إذا اجتهد في يمينه قال: والذي نجاني من يوم بدرٍ.

بعثت قريش عمير بن وهب متجسساً

فأخبرهم بما روعهم:

قال محمد بن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسارٍ وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار قالوا: لما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهبٍ الجمحي فقالوا: احزر لنا أصحاب محمد؛ فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم، فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصونه، ولكن أمهلوني حتى أنظر: أللقوم كمينٌ أو مددٌ. قال: فضرب في الوادي حتى أمعن، فلم ير شيئاً، فرجع فقال: لم أر شيئاً، ولكن قد رأيت يا معشر قريش الولايا تحمل المنايا! نواضح يثرب تحمل الموت الناقع! قومٌ ليس لهم منعةٌ ولا ملجأٌ إلا سيوفهم. والله ما أرى أن يقتل رجلٌ منهم حتى يقتل رجلاً منكم! فإذا أصابوا منكم أعدادهم، فما خير العيش بعد ذلك! فروا رأيكم. فلما سمع حكيم بن حزامٍ ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة وقال: يا أبا الوليد، إنك كبير قريش الليلة وسيدها والمطاع فيها، هل لك إلى أمرٍ ما تزال تذكر منه بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع

بالناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي. قال: قد فعلت، أنت على ذلك شهيدٌ، إنما هو حليفي فعلي عقله وما أصيب من ماله؛ فأت ابن الحنظلية فإني لا أخشى أن يسحر الناس غيره يعني أبا جهل بن هشام.

حكيم بن حزام يقص حديث بدر لمروان

حدثنا محمد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا غمامة بن عمرو السهمي قال حدثنا مسور بن عبد الملك اليربوعي عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال:

بينا نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل عليه حاجبه فقال: هذا أبو خالدٍ حكيم بن حزامٍ. قال: إيذن له. فلما دخل حكيم بن حزام، قال: مرحباً بك يا أبا خالد، أدن؛ فحال له مروان عن صدر المجلس حتى كان بينه وبين الوسادة، ثم استقبله مروان فقال: حدثنا حديث بدرٍ. قال: خرجنا حتى إذا نزلنا الجحفة رجعت قبيلةٌ من قبائل قريش بأسرها، فلم يشهد أحدٌ من مشركيهم بدراً؛ ثم خرجنا حتى نزلنا العدوة التي قال الله عز وجل؛ فجئت عتبة بن ربيعة فقلت: يا أبا الوليد، هل لك أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت؟ قال: أفعل ماذا؟ قال: قلت: إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم واحدٍ: ابن الحضرمي وهو حليفك، فتحمل ديته فيرجع الناس. قال: أنت وذاك، وأنا أتحمل ديته، فاذهب فاذهب إلى ابن الحنظلية يعني أبا جهل فقل له: هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك؟ فجئته فإذا هو في جماعةٍ من بين يديه ومن ورائه، فإذا ابن الحضرمي واقفٌ على رأسه وهو يقول: قد فسخت عقدي من بني عبد شمس، وعقدي إلى بني مخزوم. فقلت له: يقول لك عتبة بن ربيعة: هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمك بمن معك؟ قال: أما وجد رسولاً غيرك؟ قلت: لا، ولم أكن لأكون رسولاً لغيره. قال حكيم: فخرج مبادراً إلى عتبة وخرجت معه لئلا يفوتني من الخبر شيء، وعتبة يتكئ على إيماء بن رحضة الغفاري، وقد أهدى إلى المشركين عشر جزائر، فطلع أبو جهل والشر في وجهه، فقال لعتبة: انتفخ سحرك! فقال عتبة: فستعلم. فسل أبو جهل سيفه فضرب به متن فرسه؛ فقال إيماء بن رحضة: بئس المقام هذا! فعند ذلك قامت الحرب.

رجع الحديث إلى ابن إسحاق

نصح عتبة بن ربيعة قريشاً بالرجوع فأبى أبو جهل: ثم قام عتبة بن ربيعة خطيباً، فقال: يا معشر قريش، والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً! والله لئن أصبتموه، لا يزال الرجل منكم ينظر في وجه رجلٍ يكره النظر إليه، رجل قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب؛ فإن أصابوه فذلك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعدموا منه ما تريدون. قال حكيم: فانطلقت حتى جئت أبا جهل، فوجدته قد نثل درعاً له من جرابها وهو يهيئها؛ فقلت له: يا أبا الحكم، إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا الذي قال؛ فقال: انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه. كلا والله! لا مرجع حتى يحكم الله بيننا وبين

محمد وأصحابه؛ وما يعتبه ما قال، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أكلة جزور، وفيهم ابنه قد تخوفكم عليه. ثم بعث إلى عامر الحضرمي فقال له: هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك، فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك. فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ: واعمراه! واعمراه! فحميت الحرب، وحقب أمر الناس، واستوسقوا على ما هم عليه من الشر، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة بن ربيعة. ولما بلغ عتبة قول أبي جهل: " انتفخ سحره " قال: سيعلم مصفر الإست من انتفخ سحره: أنا أم هو! ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه فلم يجد في الجيش بيضةً تسعه من عظم هامته؛ فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه ببردٍ له.

أقسم الأسود بن عبد الأسد ليشربن من حوض المسلمين فقتل

وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وكان رجلاً شرساً سيء الخلق، فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه، فلما خرج خرج له حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأبان قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دماً نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يبر يمينه، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض.

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا نصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إلى فتيةٌ من الأنصار ثلاثة نفرٍ، وهم: عوف ومعوذ ابنا الحارث، وأمهما عفراء ورجلٌ آخر يقال: هو عبد الله بن رواحة؛ فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهطٌ من الأنصار. قالوا: ما لنا بكم حاجة. ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قم يا حمزة بن عبد المطلب، قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا علي بن أبي طالب ". فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا: من أنتم؟ فقال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال عليٌّ: علي. قالوا: نعم أكفاءٌ كرامٌ. فبارز عبيدة بن الحارث، وكان أسن القوم، عتبة بن ربيعة؛ وبارز حمزة شيبة بن ربيعة؛ وبارز عليٌّ الوليد بن عتبة. فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله. وأما عليٌّ فلم يمهل الوليد بن عتبة أن قتله. واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه؛ فكر حمزة وعليٌّ على عتبة بأسيافهما فذففا عليه فقتلاه، واحتملا صاحبهما عبيدة، فجاءا به إلى أصحابه وقد قطعت رجله ومخه يسيل. فلما أتو بعبيدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألست شهيداً يا رسول الله؟ قال: " بلى ". فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حياً لعلم أني بما قال أحق منه حيث يقول:

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

قال محمد بن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار حين انتسبوا له: أكفاءٌ كرامٌ، إنما نريد قومنا. ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض - وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم، وقال: " إن اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل " - ورسول الله صلى الله

عليه وسلم في العريش معه أبو بكر.

وكانت وقعة بدرٍ يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان، قال ابن إسحاق: كما حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين.

قال محمد بن جرير وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال قال لي محمد بن إسحاق حدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخٍ من قومه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدرٍ، وفي يده قدحٌ يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار وهو مستنتل من الصف، فطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بطنه بالقدح، ثم قال: " استو يا سواد بن غزية ". فقال: يا رسول الله، أوجعتني! وقد بعثك الله بالحق، فأقدني. قال: فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال: " استقد "؛ فاعتنقه وقبل بطنه. فقال: " ما حملك على هذا يا سواد "؟ فقال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فلم آمن الموت، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك؛ فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيراً. ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف، ورجع إلى العريش ودخله ومعه أبو بكر ليس معه غيره، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر، ويقول فيما يقول: " اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم - يعني المسلمين - لا تعبد بعد اليوم ". وأبو بكر يقول: يا نبي الله خلي بعض مناشدتك ربك؛ فإن الله منجز لك ما وعدك.

دعاء النبي يوم بدر

حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا محمد بن عبيد المحاربي قتال حدثنا عبد الله بن المبارك عن عكرمة بن عمار قال حدثني سماك الحنفي قال سمعت ابن عباس يقول: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وعدتهم وإلى أصحابه وهم نيفٌ على ثلاثمائة، استقبل الكعبة وجعل يدعوا ويقول: " اللهم أنجز لي ما وعدتني. اللهم إن تهلك هذه العصابة من الإسلام لا تعبد في الأرض ". فلم يزل كلك حتى سقط رداؤه؛ فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه، ثم التزمه من ورائه فقال: كفاك يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، مناشدتك لربك، سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله تعالى: " إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألفٍ من الملائكة مردفين ".

حدثنا محمد قال حدثنا ابن وكيع قال حدثنا الثقفي يعني عبد الوهاب عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبته يوم بدرٍ " اللهم أسألك عهدك ووعدك. اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم ". قال: " فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا نبي الله، فقد ألححت على ربك، وهو في الدرع؛ فخرج وهو يقول: " سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ".

رجع الحديث إلى حديث ابن أبي إسحاق

أخذت النبي سنة ثم انتبه مبشراً بالنصر ومحرضاً على القتال: قال: وقد خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقةً وهو بالعريش، ثم انتبه فقال: " يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريلٌ آخذ بعنان فرسه يقوده وعلى ثناياه النقع "، قال: وقد رمي مهجعٌ مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل، فكان أول قتيل من المسلمين. ثم رمي حارثة بن سراقة أحد بني عدي بن النجار وهو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره فقتل. ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرضهم ونفل كل امرئٍ ما أصاب، وقال: " والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجلاً فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبرٍ إلا أدخله الله الجنة ". فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة وفي يده تمراتٌ يأكلها: بخٍ بخ! أما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء! قال: ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل، وهو يقول:

ركضاً إلى الله بغير زاد ... إلا التقى وعمل المعاد

والصبر في الله على الجهاد ... وكل زادٍ عرضة النفاد

غير التقى والبر والرشاد

حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة: أن عوف بن الحارث، وهو ابن عفراء، قال: يا رسول الله، ما يضحك الرب من عبده؟ قال: " غمسه يده في العدو حاسراً "؛ فنزع درعاً كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل.

التقاء الفريقين وهزيمة المشركين

حدثنا محمد قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال وحدثني محمد بن مسلم الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذري حليف بني زهرة قال: لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعضٍ، قال أبو جهل: اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة؛ فكان هو المستفتح على نفسه. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من الحصباء واستقبل بها قريشاً، ثم قال: " شاهت الوجوه " ثم نفحهم بها، وقال لأصحابه: " شدوا "؛ فكانت الهزيمة، فقتل الله من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر منهم. فلما وضع القوم أيديهم يأسرون - ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش، وسعد بن معاذ قائمٌ على باب العريش الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم متوشحاً بالسيف في نفرٍ من الأنصار، يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم، يخافون عليه كرة العدو - رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لي - في وجه سعد بن معاذ الكراهة فيما يصنع الناس؛ فقال له: " كأنك كرهت ما يصنع الناس"! قال: أجل يا رسول الله! كانت أول وقعةٍ أوقعها الله عز وجل بأهل الشرك؛ فكان الإثخان في القتل أعجب إلي من استبقاء الرجال.

نهى النبي عن قتل جماعة خرجوا مستكرهين حدثنا محمد قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال، وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ: " إني قد عرفت أن رجلاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا؛ فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبد المطلب - عم رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلا يقتله، فأنما خرج مستكرهاً ". قال: فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة: أيقتل آباؤنا وأبناؤنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس! والله لئن لقيته لألحمنه السيف! فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل يقول لعمر بن الخطاب: " يا أبا حفص أما تسمع إلى قول أبي حذيفة يقول أضرب وجه عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالسيف ". فقال: عمر: يا رسول الله، دعني فلأضربن عنقه بالسيف، فوالله لقد نافق. قال عمر: والله إنه لأول يوم كناني به رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص. قال: فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهادة؛ فقتل يوم اليمامة شهيداً.

سبب نهي النبي عن قتل أبي البختري قال: وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبي البختري، لأنه كان أكف القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، كان لايؤذيه ولا يبلغه عنه بمكة شيءٌ يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب. فلقيه المجدر بن ذياد البلوي حليف الأنصار من بني عدي، فقال المجذر بن ذياد لأبي البختري: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتلك، ومع أبي البختري زميلٌ له خرج معه من مكة، وهو جنادة بن مليحة بن زهير بن الحارث بن أسد - وجنادة رجلٌ من بني ليث. واسم أبي البحتري العاصي بن هشام بن الحارث بن أسد - قال: وزميلي؟ فقال المجذر: لا والله ما نحن بتاركي زميلك؛ ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك. قال: والله إذن لأموتن أنا وهو جميعاً! لا تتحدث عني نساء قريش بين أهل مكة أني تركت زميلي حرصاً على الحياة. فقال أبو البختري حين نازله المجذر وأبى إلا القتال وهو يرتجز:

لن يسلم ابن حرةٍ أكيله حتى يموت أو يرى سبيله

فاقتتلا، فقتله المجذر بن ذياد. ثم أتى المجذر بن ذياد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: والذي بعثك بالحق، لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به، فأبى إلا القتال، فقاتلته فقتلته.

عبد الرحمن بن عوف وأمية بن خلف

قال محمد بن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد عن عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال: وحدثنيه أيضاً عبد الله بن أبي بكر وغيرهما عبد الرحمن بن عوف قال: كان أمية بن خلفٍ لي صديقاً بمكة. قال: وكان اسمي عبد عمرو، فسميت حين أسلمت عبد الرحمن ونحن بمكة. قال: وكان يلقاني بمكة فيقول: يا عبد عمرو، أرغبت عن اسمٍ سماك به أبواك؟ فأقول نعم؛ فيقول: فإني لآ أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف. قال: فكان إذا دعاني: يا عبد عمرو، لم أجبه. فقلت: اجعل بيني

وبينك يا أبا علي ما شئت. قال: فأنت عبد الإله. فقلت نعم. قال: فكنت إذا مررت به قال: يا عبد الإله فأجيبه فأتحدث معه. حتى إذا كان يوم بدرٍ، مررت به وهو واقفٌ مع علي ابنه آخذاً بيده، ومعي أدراعٌ قد سلبتها وأنا أحملها. فلما رآني قال: يا عبد عمرو، فلم أجبه. فقال: يا عبد الإله، قلت نعم. قال: هل لك في فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع؟ قلت: نعم، هلم إذاً. فطرحت الأدراع بين يدي وأخذت بيده وبيد ابنه علي، وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط، أما لكم حاجةٌ في اللبن؟ ثم خرجت أمشي بينهما.

مقتل أمية بن خلف وابنه قال إبن إسحاق: وحدثني عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف قال:

قال لي أمية بن خلفٍ وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما: يا عبد الإله، من الرجل المعلم منكم بريش نعامةً في صدره؟ قال قلت: ذلك حمزة بن عبد المطلب. قال: ذلك الذي فعل بنا الأفاعيل. قال عبد الرحمن: فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلالٌ معي - وكان هو الذي يعذب بلالاً بمكة على أن يترك الإسلام، فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد؛ فيقول بلالٌ: أحدٌ أحدٌ - فقال بلالٌ حين رآه: رأس الكفر أمية بن خلفٍ، لا نجوت إن نجوا! قال: قلت: أي بلال، أبأسيري! قال: لا نجوت إن نجوا! قلت: أي بلال، أبأسيري تسمع يا بن السوداء! قال: لا نجوت إن نجوا! ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف، لا نحوت إن نجوا. قال فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة وأنا أذب عنه. قال: فأخلف رجلٌ السيف ضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحةً ما سمعت بمثلها قط. قال قلت: انج بنفسك ولا نجاء! فوالله ما أغني عنك شيئاً. قال: فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما. قال: فكان عبد الرحمن يقول: رحم الله بلالاً! ذهب بأدراعي وفجعني بأسيري.

قتال الملائكة في غزوة بدر

قال ابن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس قال حدثني رجلٌ من بني غفار قال: أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبلٍ يشرف بنا على بدر، ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة - فننهب من ينهب. فبينا نحن في الجبل إذ دنت منا سحابةٌ، فسمعنا فيها حمحمة الخيل، وسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم. قال: فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه. وأما أنا فكدهت أهلك، ثم تماسكت.

قال محمد بن إسحاق حدثني أبي إسحاق بن يسارٍ عن رجالٍ من بني مازن بن النجار عن أبي داود المازني، وكان شهد بدراً، قال: إن لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدرٍ لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعلمت أنه قد قتله غيري.

حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم المصري قال حدثنا يحي بن بكير قال حدثني محمد بن إسحاق عن العلاء بن كثير عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن أبي أمامة بن سهل بن

حنيف قال: قال لي أبي: يا بني، لقد رأيتنا يوم بدرٍ وإن أحدنا ليشير إلى المشرك بسيفه فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف.

لباس الملائكة يوم بدرٍ وحنين حدثنا محمد قال حدثنا ابن حميدٍ قال حدثنا سلمة عن محمد قال، وحدثني الحسن بن عمارة قال أخبرنا سلمة عن الحكم بن عتيبة عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عباس قال: كانت سيما الملائكة يوم بدرٍ عمائم بيضا قد أرسلوها على ظهورهم، ويوم حنينٍ عمائم حمراً، و لم تقاتل الملائكة في يومٍ من الأيام سوى يوم بدر، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام مدداً وعدداً ولا يضربون.

مقتل أبي جهل بن هشام

حدثنا محمد قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال، قال محمد وحدثني ثور بن زيد ولي بني الديل عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس، قال وحدثني عبد الله بن أبي بكر، قالا: كان معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة يقول: لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر أمر بأبي جهل أن يلتمس في القتلى، وقال: " اللهم لا يعجزنك ". وكان أول من لقي أبا جهل بن معاذ بن عمرو بن الجموح، قال: سمعت القوم، وأبو جهل في مثل الحرجة، وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه. فلما سمعتها جعلتها من شأني، فعمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه، فضربته ضربةٌ أطنت قدمه بنصف ساقه، فو الله ما شبهتها حين طاحت إلا كالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها. قال: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي، فتعلقت بجلده من جنبي، وأجهضني القتال عنها؛ فلقد قاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي، فلما آذتني جعلت عليها رجلي ثم تمطيت بها حتى طرحتها.

قال: ثم عاش معاذ بعد ذلك حتى كان في زمن عثمان بن عفان. قال: ثم مر بأبي جهل، وهو عقيرٌ، معوذ بن عفراء، فضربه حتى أثبته، فتركه وبه رمقٌ، وقاتل معوذ حتى قتل. فمر عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتلمس في القتلى، وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني: " انظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أثر جرح بركبته؛ فإني ازدحمت أنا وهو يوماً على مأدبةٍ لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان، وكنت أشب - أو أشف - منه بيسير، فدفعته فوقع على ركبتيه فخدش في إحداهما خدشاً لم يزل أثره فيها بعد". فقال عبد الله بن مسعود: فوجدته بآخر رمقٍ فعرفته، فوضعت رجلي على عنقه. قال: وقد كان ضبث بي مرةً بمكة فآذاني ولكزني، ثم قلت: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قال: وبماذا أخزاني! أعمد من رجلٍ قتلتموه! لمن الدبرة اليوم؟ قال: قلت: لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد قال: زعم رجالٌ من بني مخزومٍ أن ابن مسعود كان يقول: قال لي أبو جهل: لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعباً؛ ثم احتززت رأسه، ثم جئت به

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، هذا رأس عدو الله أبي جهل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الله الذي لا إله غيره "!- وكانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم - قلت: نعم والله الذي لا إله غيره، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فحمد الله.

تكليم النبي أصحاب القليب بعد موتهم

قال محمد بن إسحاق وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن ابن الزبير عن عائشة قالت: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا في القليب طرحوا فيها إلا ما كان من أمية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه فملأها؛ فذهبوا به ليخرجوه فتزايل، فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة. فلما ألقوهم في القليب، وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً ". فقال له أصحابه: يا رسول الله، أتكلم قوماً موتى؟ قال: " لقد علموا إن ما وعدهم ربهم حقٌ ". قالت عائشة: والناس يقولون: " لقد سمعوا ما قلت لهم "، وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لقد علموا ".

قال ابن إسحاق وحدثني حميدٌ الطويل عن أنس بن مالك قال: لما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول من جوف الليل: " يا أهل القليب يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أبا جهل بن هشام - فعدد من كان منهم في القليب - هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً " قال المسلمون: يا رسول الله، أتنادي قوماص قد جيفوا! فقال: " ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني ".

قال محمد بن إسحاق وحدثني بعض أهل العلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قال هذه المقالة قال:" يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم! كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس". ثم قال: "هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً " للمقالة التي قالها. ولما أمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقوا في القليب، أخذ عتبة فسحب إلى القليب، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما بلغني، إلى وجه أبي حذيفة بن عتبة، فإذا هو كئيب قد تغير؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا أبا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء " أو كما قال. قال فقال: لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكني كنت أعلاف من أبي رأياً وفضلاً وحلماً، فكنت أرجو أن يهديه الله إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له، أحزنني ذلك. قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم له بخير وقال له خيراً.

اختلاف المسلمين على الفيء

ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بما في العسكر مما جمع الناس فجمع، واختلف المسلمون فيه: فقال من جمعه: هو لنا، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل امرىءٍ ما أصاب. فقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونهم: لولا نحن ما أصبتموه، لنحن شغلنا القوم عنكم حتى أصبتم ما أصبتم. وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يخالف إليه العدو: والله ما أنتم بأحق منا، ولقد رأينا أن نقتل العدو إذ ولانا الله ومنحنا أكتافهم، ولقد رأينا أن تأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه، ولقد خفنا على رسول الله كرة العدو، فقمنا دونه، فما أنتم أحق به منا.

مقتل النضر بن الحارث

قال ابن إسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الأسارى من المشركين، وكانوا أربعةً وأربعين أسيراً، وكان من القتلى مثل ذلك، وفي الأسارى عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث بن كلدة، حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء، قتل النضر بن الحارث بن كلدة، قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

تعنيف سودة لسهيل بن عمرو

حين أسر وعتاب النبي لها في ذلك:

قال محمد بن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال: قدم بالأسارى حين قدم بهم، وسودة بن زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب قال: تقول سودة: والله إني لعندهم إذ أتينا، فقيل: هؤلاء الأسارى قد أوتي بهم، فرحت إلى بيتي ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يداه إلى عنقه بحبل. قالت: فو الله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: يا أبا يزيد، أعطيتم بأيديكم، ألا متم كراماً! فو الله ما أنبهني إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت: " يا سودة أعلى الله وعلى رسوله "! قالت: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه بحبل أن قلت ما قلت.

إخبار الحيسمان أهل مكة عن قتلى بدر

قال محمد بن إسحاق: وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش، الحيسمان بن عبيد الله بن إياس بن ضبيعة بن رومان بن كعب بن عمرو الخزاعي. قالوا: ما وراءك؟ قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن

هشام، وأمية بن خلف، وزمعة بن الأسود، وأبو البختري بن هشام، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج. قال: فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمية وهو قاعدٌ في الحجر: والله إن يعقل هذا فسلوه عني. قالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: هو ذالك جالس في الحجر، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا.

أبو لهب وتخلفه عن الحرب ثم موته

قال محمد بن إسحاق حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال:

قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل، وأسلمت، وكان العباس يهاب قومه، ويكره خلافهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مالٍ كثير متفرق في قومه، وكان أبو لهبٍ عدو الله قد تخلف عن بدر، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكذلك صنعوا، لم يتخلف رجلٌ إلا بعث مكانه رجلاً. فلما جاء الخبر عن مصاب أهل بدر من قريش، كبته الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوةً وعزاً؛ وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أعمل القداح أنحتها في حجرة زمزم؛ فو الله إني لجالسٌ فيها أنحت القداح، وعندي أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه يسير حتى جلس على طنب الحجرة، فكان ظهره إلى ظهري. فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم؛ فقال أبو لهب: هلم إلي يا بن أخي، فعندك لعمري الخبر. فجلس إليه والناس قيامٌ عليه. فقال يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: لا شيء والله، إن كان إلا أن لقيناهم فأبحناهم أكتافنا يقتلون ويأسرون كيف شاؤوا. وايم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجلاً بيضاً على خيلٍ بلق بين السماء والأرض ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة! فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربةٌ شديدة. قال: فساورته فاحتملني فضرب بي الأرض، ثم برك علي يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً؛ فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربةً، فشجت في رأسه شجة منكرة وقالت: أتستضعفه أن غاب عنه سيده! فقام مولياً ذليلاً. فو الله ما عاش فيها إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله جل جلاله بالعدسة فقتلته؛ فلقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثاً لا يدفنانه حتى أنتن في بيته - وكانت قريش تتقي العدسة كما يتقى الطاعون - حتى قال لهما رجلٌ من قريش ويحكما! لا تستحييان أن أباكما قد أنتن في بيته فلا تغيبانه! فقالا: نخشى هذه القرحة. قال: فانطلقا فأنا معكما. فما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يمسونه؛ فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكة على جدار، وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه.

العباس وتألم النبي لأسره

قال محمد بن إسحاق وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن الحكم بن عتيبة عن ابن عباس قال: لما أمسى القوم من يوم بدرٍ، والأسارى محبوسون في الوثاق، بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساهراً أول ليلته. فقال له أصحابه: يا رسول الله، ما لك لا تنام؟ فقال: " سمعت تضور العباس في وثاقه "؛ فقاموا إلى العباس فأطلقوه؛ فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق وحدثني الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن ابن عباس قال: كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بني سلمة، وكان رجلاً مجموعاً، وكان العباس رجلاً جسيماً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي اليسر: " كيف أسرت العباس يا أبا اليسر "؟ فقال: يا رسول الله، أعانني عليه رجلٌ ما رأيته قبل ذلك ولا بعده، هيئته كذا وكذا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لقد أعانك عليه ملكٌ كريم ".

قال ابن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب حين انتهي به إلى المدينة: " يا عباس افد نفسك، وابن أخيك عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، وحليفك عتبة بن عمرو بن جحدم أخا بني الحارث بن فهر؛ فإنك ذو مال ". فقال: يا رسول الله، إني كنت مسلماً ولكن القوم استكرهوني. فقال: " الله أعلم بإسلامك، إن يكن ما تذكر حقاً فالله يجزيك به، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا؛ فافد نفسك ". وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ منه عشرين أوقية من ذهب. فقال العباس: يا رسول الله، احسبها لي في فدائي. قال: " لا، ذلك شيء أعطاناه الله منك ". قال: فإنه ليس لي مال. قال قال: " فأين المال الذي وضعته بمكة حين خرجت من عند أم الفضل بنت الحارث ليس معكما أحدٌ، ثم قلت لها أن أصبت في سفرتي هذه فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولقثم كذا ولعبيد الله كذا "؟ قال: والذي بعثك بالحق ما علم هذا أحدٌ غيري وغيرها، وإني لأعلم أنك رسول الله. ففدى العباس نفسه وابن أخيه وحليفه.

فدت زينب زوجها أبا العاصي فرد عليها النبي الفداء: قال إبن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاصي بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادةٍ لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاصي حين بنى عليها. فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقةً شديدة وقال: " إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا "! فقالوا: نعم يا رسول الله؛ فأطلقوه وردوا عليها الذي لها.

رثاء الأسود بن المطلب لأولاده

قال ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد عن أبيه قال: ناحت قريش على قتلاها، ثم قالت: لا تفعلوا فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم، ولا تبعثوا في فداء أسراكم حتى تستأنوا بهم، لا يتأرب عليكم محمد وأصحابه في

الفداء. قال: وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثةٌ من ولده: زمعة وعقيل والحارث بنو الأسود، وكان يحب أن يبكي على بنيه. فبينا هو كذلك إذ سمع نائحةً في الليل، فقال لغلامه وقد ذهب بصره: انظر هل أحل النحيب؟ وهل بكت قريش على قتلاها؟ لعلي أبكي على أبي حكيمة " يعني زمعة "؛ فإن جوفي قد احترق. فلما رجع إليه الغلام قال: إنما هي امرأةٌ تبكي على بعيرٍ لها أضلته؛ فذلك حين يقول الأسود:

أتبكي أن أضل لها بعيرٌ ... ويمنعها البكاء من الهجود
ولا تبكي على بكرٍ ولكن ... على بدرٍ تقاصرت الجدود
على بدرٍ سراة بني هصيصٍ ... ومخزومٍ ورهط أبي الوليد
وبكي إن بكيت على عقيلٍ ... وبكي حارثاً أسد الأسود
وبكيهم ولا تسمي جميعاً ... فما لأبي حكيمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم رجالٌ ... ولولا يوم بدرٍ لم يسودوا

رثاء هند بنت عتبة أباها ومما قيل في بدرٍ من الشعر وغني به قول هند بنت عتبة ترثي أباها:

صوت

من حس لي الأخوين كال ... غصنين أو من راهما
قرمان لا يتظالما ... ن ولا يرام حماهما
ويلي على أبوي وال ... قبر الذي واراهما
لا مثل كهلي في الكهو ... ل ولا فتىً كفتاهما

ذكر الهشامي أن الغناء لابن سريج رملٌ، وفي الكتاب الكبير المنسوب إلى إسحاق أنه للغريض - وتمام هذه الأبيات:

أسدان لا يتذللا ... ن ولا يرام حماهما
رمحين خطيين في ... كبد السماء تراهما
ما خلفا إذ ودعا ... في سدودٍ شرواهما
سادا بغير تكلفٍ ... عفواً يفيض نداهما

معاظمتها الخنساء بعكاظ وشعرهما في مصابهما أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي، وأخبرني ابن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال: لما كانت وقعة بدر، قتل فيها عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة؛

فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم، وبلغها تسويم الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخرٍ ومعاوية، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم، وقد سومت هودجها براية، وأنها تقول: أنا أعظم العرب مصيبةً، وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك. فلما أصيبت هند بما أصيبت به وبلغها ذلك، قالت: أنا أعظم من الخنساء مصيبة ً، وأمرت بهودجها فسوم براية، وشهدت الموسم بعكاظ، وكانت سوقاً يجتمع فيها العرب، فقالت: اقرنوا جملي بجمل الخنساء، ففعلوا. فلما أن دنت منها، قالت لها الخنساء: من أنت يا أخيّة؟ قالت: أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبةً، وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك، فبم تعاظمينهم؟ فقالت الخنساء: بعمرو بن الشريد، وصخرٍ ومعاوية ابني عمرو، وبم تعاظمينهم أنت؟ قالت: بأبي عتبة بن ربيعة، وعمي شيبة بن ربيعة، وأخي الوليد. قالت الخنساء: أو سواءٌ هم عندك؟ ثم أنشدت تقول:

أبكي أبي عمراً بعينٍ غزيرةٍ ... قليلٌ إذا نام الخلي هجودها
وصنوي لا أنسى معاوية الذي ... له من سراة الحرتين وفودها

وصخراً، ومن ذا مثل صخرٍ إذا غدا ... بساهمة الآطال قباً يقودها
فذلك يا هند الرزية فاعلمي ... ونيران حربٍ حين شب وقودها

فقالت هندٌ تجيبها:

أبكي عميد الأبطحين كليهما ... وحاميهما من كل باغٍ يريدها
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي ... وشيبة والحامي الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالبٍ ... وفي العز منها حين ينمي عديدها

وقالت لها أيضاً يومئذ:

من حس لي الأخوين كال ... غصنين أو من راهما

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني بعض القرشيين قال: قدم عبد الله بن جعفر على معاوية وافداً، فدخل عليه إنسانٌ ثم ذهب إلى معاوية فقال: هذا ابن جعفر يشرب النبيذ، ويسمع الغناء، ويحرك رأسه عليه. فجاء معاوية متغيراً حتى دخل على ابن جعفر، وعزة الميلاء بين يديه كالشمس الطالعة في كواء البيت يضيء بها البيت، تغنيه على عودها:

تبلت فؤادك في الظلام خريدةٌ ... تشفي الضجيع ببارد بسّام

وبين يديه عسٌ؛ فقال: ما هذا يا أبا جعفر؟ قال: أقسمت عليك يا أمير المؤمنين لتشربن منه، فإذا عسلٌ مجدوحٌ بمسك وكافور. فقال: هذا طيبٌ، فما هذا الغناء؟ قال: هذا شعر حسان بن ثابت في الحارث بن هشام. قال:

فهل تغني بغير هذا؟ قال: نعم، بالشعر الذي يأتيك به الأعرأبي الجافي الأدفر، القبيح المنظر، فيشافهك به، فتعطيه عليه؛ وآخذه أنا، فأختار محاسنه ورقيق كلامه، فأعطيه هذه الحسنة الوجه، اللينة اللمس، الطيبة الريح، فترتله بهذا الصوت الحسن. قال: فما تحريكك رأسك؟ قال: أريحيةٌ أجدها إذا سمعت الغناء، لو سئلت عندها لأعطيت، ولو لقيت لأبليت. فقال معاوية: قبح الله قوماً عرضوني لك. ثم خرج وبعث إليه بصلةٍ.

صوت من المائة المختارة

عمر بن أبي ربيعة ونعم:

أيها القلب لا أراك تفيق ... طالما قد تعلقتك العلوق

من يكن من هوى حبيبٍ قريباً ... فأنا النازح البعيد السحيق

قضي الحب بيننا فالتقينا ... وكلانا إلى اللقاء مشوق

الشعر في البيت الأول والثالث لعمر بن أبي ربيعة، والبيت الثاني ليس له، ولكن هكذا غني؛ وليس هو أيضاً مشاكلاً لحكاية ما في البيت الثالث. والغناء لبابويه الكوفي، خفيف ثقيلٍ أول. وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من قريش، يقال لها نعم، كان كثير الذكر لها في شعره. أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي عبد الله التميمي عن القحذمي والمدائني. قال: وهي التي يقول فيها:

أمن آل نعمٍ أنت غادٍ فمبكر

قال: وكانت تكنى أم بكر، وهي من بني جمح. وتمام هذه الأبيات على ما حكاه ابن المرزبان عمن ذكرت:

فالتقينا ولم نخف ما لقينا ... ليلة الخيف، والمنى قد تشوق

وجرى بيننا فجدد وصلا ... قلبٌ حولٌ أريبٌ رفيق

لا تظني أن التراسل والبد ... ل لكل النساء عندي يليق

هل لك اليوم إن نأت أم بكرٍ ... وتولت إلى عزاءٍ طريق

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثت عن محمد بن حميد عن عبد الله بن سوار القاضي عن بشر بن المفضل قال: بلغ عمر بن أبي ربيعة أن نعماً اغتسلت في غديرٍ، فأتاه فأقام عليه، وما زال يشرب منه حتى جف. أخبرني محمد بن خلفٍ قال: قال محمد بن حبيب الراوية: بلغني أن نعماً استقبلت عمر بن أبي ربيعة في المسجد الحرام، وفي يدها خلوقٌ من خلوق المسجد، فمسحت به ثوبه، ومضت وهي تضحك؛ فقال عمر:

أدخل الله رب موسى وعيسى ... جنة الخلد من ملاني خلوقا

مسحته من كفها في قميصي ... حين طافت بالبيت مسحاً رفيقا

غضبت أن نظرت نحو نساءٍ ليس يعرفنني سلكن طريقا
وأرى بينها وبين نساء كنت أهذي بهن بوناً سحيقا

وهذا البيت الأول مما عيب على عمر.

ومما غني فيه من تشبيب عمر بنعمٍ هذه:

صوت

دين هذا القلب من نعمٍ بسقامٍ ليس كالسقم
إن نعماً أقصدت رجلاً آمناً بالخيف إذ ترمى

بشتيتٍ نبته رتلٍ طيب الأنياب والطعم
وبوحفٍ مائلٍ رجلٍ كعناقيد من الكرم

ومنها:

صوت

خليلي أربعاً وسلا بمغنى الحي قد مثلا
بأعلى الواد عند البئ ر هيج عبرةٌ سبلا
وقد تغنى به نعمٌ وكنت بوصلها جذلا
ليالي لا نحب لنا بعيشٍ قد مضى بدلا
وتهوانا ونهواها ونعصي قول من عذلا
وترسل في ملاطفةٍ ونعمل نحوها الرسلا

غناه الهذلي، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن سريج لحنان: رملٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق، وخفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيها عن إسحاق ثاني ثقيلٍ، ولسليمٍ خفيف رملٍ، جميعاً عن الهشامي. قال: ويقال: إن اللحن المنسوب إلى سليمٍ لحكم الوادي.

ومنها من قصيدة أولها:

لقد أرسلت نعمٌ إلينا أن ائتنا فأحبب بها من مرسلٍ متغضب

يغنى منها في قوله:

صوت

فقلت لجنادٍ خذ السيف واشتمل ... عليه برفقٍ وارقب الشمس تغرب

وأسرج لي الدهماء واعجل بممطري ... ولا تعلمن حيا من الناس مذهبي

فلما التقينا سلمت وتبسمت ... وقالت مقال المعرض المتجنب

أمن أجل واشٍ كاشحٍ بنميمةٍ ... مشى بيننا صدقته لم تكذب

وقطعت حبل الوصل منا، ومن يطع ... بذي وده قول المؤرش يعتب

صوت

ما بال أهلك يا رباب ... خزراً كانهم غضاب

إن زرت أهلك أوعدوا ... وتهر دونهم الكلاب

عروضه من الكامل. الشعر لعلسٍ ذي جدنٍ الحميري، أخبرنا بذلك محمد بن الحسن بن دريد عن عمه عن العباس بن هشام عن أبيه. والغناء لطويس؛ ولحنه المختار خفيف رملٍ بالبنصر.

نسب علس ذي جدن وأخباره

نسبه وسبب لقبه

هو علس بن زيد بن الحارث بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أعز بن الهم بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وهو ملكٌ من ملوك حمير. ولقب ذا جدنٍ لحسن صوته - والجدن: الصوت بلغتهم - ويقال: إنه أول من تغنى باليمن.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي وأبي مسكين قالا: إنما سمي ذا جدنٍ لحسن صوته.

قبره بصنعاء وآثاره

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن إسماعيل بن إبراهيم بن ذي الشعار الهمداني عن حيان بن هانئ الأرحبي عن أبيه قال: أخبرني رجلٌ من أهل صنعاء: أنهم حفروا حفيراً في زمن مروان، فوقفوا على أزجٍ له بابٌ، فإذا هم برجل على سرير كأعظم ما يكون من الرجال، عليه خاتمٌ من ذهب وعصابةٌ من ذهب، وعند رأسه لوحٌ من ذهب مكتوبٌ فيه: " أنا علس ذو

جدنٍ القيل، لخليلي مني النيل، ولعدوي مني الويل. طلبت فأدركت وأنا ابن مائة سنةٍ من عمري، وكانت الوحش تأذن لصوتي. وهذا سيفي ذو الكف عندي، ودرعي ذات الفروج ورمحي الهزبري، وقوسي الفجواء، وقربي ذات الشر، فيها ثلاثمائة حشر، من صنعة ذي نمرٍ؛ أعددت ذلك لدفع الموت عني فخانني ". قال: فنظرنا فإذا جميع ذلك عنده. ووجدت هذا الخبر عن ابن الكلبي في بعض الكتب من غير رواية ابن عمار، فوجدت فيه: فإذا طول السيف اثنا عشر شبراً، وعليه مكتوبٌ تحت شاربه بالمسند: " باست امرئ كنت في يده فلم ينتصر ". انقضت أخباره.

أخبار طويس ونسبه

أول من صنع الهزج والرمل

طويس لقبٌ، واسمه طاوس، مولى بني مخزوم. وهو أول من غنى الغناء المتقن من المخنثين. وهو أول من صنع الهزج والرمل في الإسلام. وكان يقال: أحسن الناس غناءً في الثقيل ابن محرز، وفي الرمل ابن سريج، وفي الهزج طويس، وكان الناس يضربون به المثل، فيقال: " أهزج من طويس ".

غنى أبان بن عثمان بالمدينة

فطرب وسأله عن عقيدته وعن سنه وعن شؤمه:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالا: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين، قال إسحاق: وحدثني المدائني والهيثم بن عدي عن صالح بن كيسان: أن أبان بن عثمان وفد على عبد الملك بن مروان، فأمره على الحجاز؛ فأقبل حتى إذا دنا من المدينة تلقاه أهلها، وخرج إليه أشرافها، فخرج معهم طويس؛ فلما رآه سلم عليه، ثم قال له: أيها الأمير، إني كنت أعطيت الله عهداً لئن رأيتك أميراً لأخضبن يدي إلى المرفقين، ثم أزدو بالدف بين يديك، ثم أبدى عن دفه وتغنى بشعر ذي جدنٍ الحميري:

ما بال أهلك يا رباب ... خزراً كأنهم غضاب

قال: فطرب أبان حتى كاد أن يطير، ثم جعل يقول له: حسبك يا طاوس - ولا يقول له: يا طويس لنبله في عينه - ثم قال له: اجلس فجلس. فقال له أبان: قد زعموا أنك كافر. فقال: جعلت فداءك! والله إني لأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأصلي الخمس، وأصوم شهر رمضان، وأحج البيت. فقال: أفأنت أكبر أم عمرو بن عثمان؟ - وكان عمروٌ أخا أبان لأبيه وأمه - فقال له طويس: أنا والله، جعلت فداءك، مع جلائل نساء قومي، أمسك بذيولهن يوم زفت أمك المباركة إلى أبيك الطيب. قال: فاستحيا أبان ورمى بطرفه إلى الأرض.

وأخبرني بهذه القصة إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا العتبي عن أبيه بمثل هذه القصة عن أبان وطويس. وزاد فيها أن طويساً قال له: نذري أيها الأمير! قال: وما نذرك؟ قال: نذرت إن رأيتك أميراً في هذه الدار أن أغني لك وأزدو بدفي بين يديك. فقال له: أوف بنذرك؛ فإن الله عز وجل يقول: " يوفون بالنذر ". قال: فأخرج يديه مخضوبتين، وأخرج دفه وتغنى:

ما بال أهلك يا رباب

وزاد فيه: فقال له أبان: يقولون: إنك مشؤوم، قال: وفوق ذلك! قال وما بلغ من شؤمك؟ قال: ولدت ليلة قبض النبي صلى الله عليه وسلم، وفطمت ليلة مات أبو بكر رضي الله عنه، واحتملت ليلة قتل عمر رضوان الله عليه، وزفت إلي أهلي ليلة قتل عثمان رضي الله عنه. قال: فاخرج عني عليك الدبار.

أهدر دمه أمير المدينة مع المخنثين

أخبرني إسماعيل قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن الوليد قال حدثني مصعب بن عثمان عن نوفل بن عمارة قال: خرج يحيى بن الحكم وهو أمير على المدينة، فبصر بشخصٍ بالسبخة مما يلي مسجد الأحزاب، فلما نظر إلى يحيى بن الحكم جلس، فاستراب به، فوجه أعوانه في طلبه؛ فأتي به كأنه امرأةٌ في ثياب مصبغة مصقولة وهو ممتشطٌ مختضبٌ. فقال له أعوانه: هذا ابن نغاش المخنث. فقال له: ما أحسبك تقرأ من كتاب الله عز وجل شيئاً، اقرأ أم القرآن. فقال: يا أبانا لو عرفت أمهن لعرفت البنات. فقال له: أتتهزأ بالقرآن لا أمّ لك! وأمر به فضربت عنقه. وصاح في المخنثين: من جاء بواحدٍ منهم فله ثلاثمائة درهم. قال زرجون المخنث: فخرجت بعد ذلك أريد العالية، فإذا بصوت دفً أعجبني، فدنوت من الباب حتى فهمت نغمات قومٍ آنس بهم، ففتحته ودخلت، فإذا بطويسٍ قائمٌ في يده الدف يتغنى، فلما رآني قال لي: إيه يا زرجون! قتل يحيى بن الحكم ابن نغاش؟ قلت نعم. قال: وجعل في المخنثين ثلاثمائة درهم؟ قلت نعم. فاندفع يغني:

ما بال أهلك يا ربابٌ   خزراً كانهم غضاب
إن زرت أهلك أوعدوا   وتهر دونهم كلاب

ثم قال لي: ويحك! أما جعل فيّ زيادةً ولا فضلني عليهم في الجعل بفضلي شيئاً.

مالك بن أنس وحسين بن دحمان الأشقر

أخبرني محمد بن عمرو العتأبي قال حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان - و لم أسمعه أنا من محمد بن خلف - قال حدثني إسحاق بن محمد بن أبان الكوفي قال حدثني حسين بن دحمان الأشقر قال: كنت بالمدينة، فخلا لي الطريق وسط النهار، فجعلت أتغنى:

ما بال أهلك يا رباب خزراً كأنهم غضاب

قال: فإذا خوخةٌ قد فتحت، وإذا وجهٌ قد بدا تتبعه لحيةٌ حمراء، فقال: يا فاسق أسأت التأدية، ومنعت القائلة، وأذعت الفاحشة؛ ثم اندفع يغنيه، فظننت أن طويساً قد نشر بعينه، فقلت له: أصلحك الله! من أين لك هذا الغناء؟ فقال: نشأت وأنا غلامٌ حدثٌ أتبع المغنين وآخذ عنهم، فقالت لي أمي: يا بني إن المغني إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت إلى غنائه، فدع الغناء واطلب الفقه؛ فإنه لا يضر معه قبح الوجه. فتركت المغنين واتبعت الفقهاء، فبلغ الله بي عز وجل ما ترى. فقلت له: فأعد جعلت فداءك! قال: لا ولا كرامة! أتريد أن تقول: أخذته عن مالك بن أنسٍ! وإذا هو مالك بن أنس و لم أعلم.

صوت من المائة المختارة

لمن ربعٌ بذات الجي ش أمسى دارساً خلقا

وقفت به أسائله ومرت عيسهم حزقا

علوا بك ظاهر البيدا ء والمحزون قد قلقا

- ذات الجيش: موضع. ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن جيشاً يغزو الكعبة، فيخسف بهم إلا رجلاً واحداً يقلب وجهه إلى قفاه، فيرجع إلى قومه كذلك، فيخبرهم الخبر. حدثني بهذا الحديث أحمد بن محمد الجعدي قال حدثنا محمد بن بكار قال حدثنا إسماعيل بن زكريا عن محمد بن سوقة قال سمعت نافع بن جبير بن مطعم يقول حدثتني عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يغزو جيشٌ الكعبة حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم ". قالت عائشة: فقلت يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم سواهم ومن ليس منهم؟ قال: " يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على قدر نياتهم " - الشعر للأحوص، والغناء في هذا اللحن المختار للدلال المخنث وهو أحد من خصاه ابن حزم بأمر الوليد بن عبد الملك مع المخنثين. والخبر في ذلك يذكر بعد. ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر في الأول والثالث. ولإسحاق فيه ثقيلٌ أول آخر. وفيه لمالك لحنٌ من خفيف الرمل عن يونس والهشامي وغيرهما. وفيه رملٌ ينسب إلى ابن سريج، وهو مما يشك في نسبته إليه. وقيل: إن خفيف الرمل لابن سريج، والرمل لمالك. وذكر حبشٌ أن فيه للدلال خفيف ثقيلٍ بالبنصر أيضاً.

ذكر الأحوص وأخباره ونسبه

اسم الأحوص ولقبه ونسبه

هو الأحوص. وقيل: إن اسمه عبد الله، وإنه لقب بالأحوص لحوصٍ كان في عينيه. وهو ابن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح - واسم أبي الأقلح قيس - بن عصيمة بن النعمان بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. وكان يقال لبني ضبيعة بن زيدٍ في الجاهلية: بنو كسر الذهب. وقال الأحوص حين نفي إلى اليمن:

بدل الدهر من ضبيعة عكا جيرةً وهو يعقب الأبدالا

سبب تسمية جده عاصم حمي الدبر وكان جده عاصمٌ يقال له حمي الدبر؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه بعثاً، فقتله المشركون؛ وأرادوا أن يصلبوه فحمته الدبر، وهي النحل، فلم يقدروا عليه، حتى بعث الله عز وجل الوادي في الليل فاحتمله فذهب به. وفي ذلك يقول الأحوص مفتخراً:

وأنا ابن الذي حمت لحمه الدب ر قتيل اللحيان يوم الرجيع

قصة وفد عضل والقارة وقتل البعث

الذي أرسل معهم:

حدثنا بالخبر في ذلك محمد بن جرير الطبري قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل قال حدثنا محمد بن إسحاق بن عن عاصم بن عمر بن قتادة قال:

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحدٍ رهطٌ من عضل والقارة، فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاماً وخيراً، فابعث معنا نفراً من أصحابك، يفقهونا في الدين، ويقرئونا القرآن، ويعلمونا شرائع الإسلام؛ فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نفراً ستةً من أصحابه: مرثد بن أبي مرثدٍ الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب، وخالد بن البكير حليف بني عدي بن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخا بني عمرو بن عوف، وخبيب بن عدي أخا بني جحجبى بن كلفة بن عمرو بن عوف، وزيد بن الدثنة أخا بني بياضة بن عامر، وعبد الله بن طارق حليفاً لبني ظفر من بلي، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم " عليهم " مرثد بن أبي مرثدٍ، فخرجوا مع القوم، حتى إذا كانوا على الرجيع " ماء لهذيل بناحيةٍ من الحجاز من صدر الهدأة " غدروا بهم، واستصرخصوا عليهم هذيلاً، فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا بالرجال في أيديهم السيوف قد غشوهم؛ فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم؛ فقالوا " إنا " والله ما نريد قتلكم، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم. فأما مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقالوا: إنا والله ما نقبل من مشركٍ عهداً ولا عقداً أبداً! فقاتلوهم حتى قتلوهم جميعاً. وأما زيد بن الدثنة، وخبيب بن عدي، وعبد الله بن طارقٍ فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة وأعطوا بأيديهم؛ فأسروهم، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها؛ حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القرآن، ثم أخذ سيفه واستأخر عن القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه، فقبره بالظهران. وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة، فقدموا بهما مكة

فباعوهما. فابتاع خبيباً حجير بن أبي إهابٍ التميمي حليف بني نوفل لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل - وكان حجيرٌ أخا الحارث بن عامر بن نوفل لأمه - ليقتله بأبيه. وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأمية بن خلف أبيه. وقد كان هذيل حين قتل عاصم بن ثابت قد أرادوا رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد، وكانت قد نذرت حين قتل عاصمٌ ابنها يوم أحدٍ لئن قدرت على رأس عاصمٍ لتشربن في قحفه الخمر، فمنعته الدبر. فلما حالت بينهم وبينه قالوا: دعوه حتى يمسي، فتذهب عنه فنأخذه. فبعث الله عز وجل الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به. وكان عاصمٌ قد أعطى الله عز وجل عهداً لا يمسه مشركٌ أبداً ولا يمس مشركاً أبداً تنجساً منه. فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أن الدبر منعته: "عجباً لحفظ الله عز وجل العبد المؤمن! كان عاصم نذر ألا يمسه مشركٌ ولا يمس مشركاً أبداً في حياته، فمنعه الله بعد مماته كما امتنع منه في حياته! ".

رواية أخرى عن البعث ومصيره قال محمد بن جرير: وأما غير ابن إسحاق، فإنه قص من خبر هذه السرية غير الذي قصه غيره: من ذلك ما حدثنا أبو كريبٌ قال حدثنا جعفر بن عون العمري قال حدثنا إبراهيم بن إسماعيل عن عمر أو عمرو بن أسيدٍ عن أبي هريرة:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عشرة رهطٍ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، فخرجوا، حتى إذا كانوا بالهدأة ذكروا لحيٍ من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فبعثوا إليهم مائة رجلٍ رامياً، فوجدوا مأكلهم حيث أكلوا التمر، فقالوا: نوى يثرب! ثم اتبعوا آثارهم؛ حتى إذا أحس بهم عاصمٌ وأصحابه التجؤوا إلى جبل، فأحاط بهم الآخرون فاستنزلوهم، وأعطوهم العهد. فقال عاصم: والله لا أنزل على عهد كافرٍ، اللهم أخبر نبيك عنا. ونزل إليهم ابن الدثنة البياضي، وخبيبٌ، ورجلٌ آخر؛ فأطلق القوم أوتار قسيهم، ثم أوثقوهم، فجرحوا رجلاً من الثلاثة، فقال: هذا والله أول الغدر، والله لا أتبعكم، فضربوه وقتلوه؛ وانطلقوا بخبيبٍ وابن الدثنة إلى مكة، فدفعوا خبيباً إلى بني الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد منافٍ، وكان خبيبٌ هو الذي قتل الحارث بأحدٍ. فبينما خبيبٌ عند بنات الحارث، استعار من إحدى بنات الحارث موسى ليستحد بها للقتل، فما راع المرأة ولها صبيٌ يدرج إلى خبيبٌ قد أجلس الصبي على فخذه والموسى بيده، فصاحت المرأة؛ فقال خبيبٌ: أتحسبين أني أقتله! إن الغدر ليس من شأننا. قال: فقالت المرأة بعد: ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيبٍ، لقد رأيته وما بمكة من ثمرةٍ وإن في يده لقطفاً من عنب يأكله، إن كان إلا رزقاً رزقه الله خبيباً. وبعث حيٌ من قيسٍ إلى عاصمٍ ليؤتوا من لحمه بشيء، وقد كان لعاصمٍ فيهم آثارٌ بأحدٍ، فبعث الله عليه دبراً فحمت لحمه فلم يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئاً. فلما خرجوا بخبيبٍ من الحرم ليقتلوه، قال: ذروني أصلي ركعتين، فتركوه فصلى ركعتين - فجرت سنة لمن قتل صبراً أن يصلي ركعتين - ثم قال: لولا أن يقال جزع لزدت، وما أبالي:

على أي شقٍ كان لله مصرعي

ثم قال:

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلوٍ ممزع

اللهم أحصهم عدداً، وخذهم بدداً. ثم خرج به أبو سروعة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد منافٍ فضربه فقتله.

حدثنا محمد قال حدثنا كريب قال حدثنا جعفر بن عون عن إبراهيم بن إسماعيل، قال وأخبرني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه وحده عيناً إلى قريش. قال: فجئت إلى خشبة خبيبٍ وأنا أتخوف العيون، فرقيت فيها، فحللت خبيباً فوقع إلى الأرض، فانتبذت غير بعيدٍ، ثم التفت فلم أر لخبيبٍ أثراً، فكأنما الأرض ابتلعته، فلم تظهر لخبيبٍ رمةٌ حتى الساعة.

قال محمد بن جرير: وأما زيد بن الدثنة، فإن صفوان بن أمية بعث " به " -فيما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق - " مع " مولىً له يقال له نسطاس إلى التنعيم، فأخرجه من الحرم ليقتله؛ واجتمع " إليه " رهطٌ من قرش فيهم أبو سفيان بن حرب؛ فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن مكانك فنضرب عنقه وأنك في أهلك؟ فقال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكةٌ تؤذيه وأنا جالس في أهلي! قال يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً! ثم قتله نسطاس.

أخبرني أحمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهابٍ قال: نزل عبد الله وأبو أحمد ابنا جحشٍ، حين قدما مهاجرين، على عاصم بن ثابت، وكنيته أبو سليمان.

شعر لعاصم بن ثابت وكنيته وقال عاصم:

أبو سليمان وريش المقعد ومجنأٌ من جلد ثورٍ أجرد

وذكر لنا الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير أن عاصماً، فيما قيل، كان يكنى أبا سفيان. قال: وقال في يوم الرجيع:

أنا أبو سفيان مثلي راما أضرب كبش العارض القداما

كنية الأحوص واسم أمه

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا إسماعيل بن عبد الله عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه قال: كنية الأحوص أبو محمد. وأمه أثيلة بنت عمير بن مخشيٍّ؛ وكان أحمر أحوص العينين.

رأي الفرزدق في شعره

قال الزبير فحدثني محمد بن يحيى قال:

قدم الفرزدق المدينة، ثم خرج منها، فسئل عن شعرائها، فقال: رأيت بها شاعرين وعجبت لهما: أحدهما أخضر

يسكن خارجاً من بطحان يريد ابن هرمة؛ والآخر أحمر كأنه وحرةٌ على برودةٍ في شعره يريد الأحوص. والوحرة: يغسوبٌ أحمر يترل الأنبار.

هجاؤه لابنه

وقال الأحوص يهجو نفسه ويذكر حوصه:

أقبح به من ولدٍ وأشقح ... مثل جري الكلب لم يفقح

إن ير سوءاً لم يقم فينبح ... بالباب عند حاجة المستفتح

قال الزبير: ولم يبق للأحوص من ولده غير رجلين.

طبقته في الشعر

قال الزبير: وجعل محمد بن سلام الأحوص، وابن قيس الرقيات، ونصيباً، وجميل بن معمرٍ طبقةً سادسةً من شعراء الإسلام، وجعله بعد ابن قيس، وبعد نصيب. قال أبو الفرج: والأحوص، لولا ما وضع به نفسه من دنيء الأخلاق والأفعال، أشد تقدماً منهم عند جماعة أهل الحجاز وأكثر الرواة؛ وهو أسمح طبعاً، وأسهل كلاماً، وأصح معنى منهم؛ ولشعره رونقٌ وديباجةٌ صافية وحلاوةٌ وعذوبة ألفاظٍ ليست لواحدٍ منهم. وكان قليل المروءة والدين، هجاءً للناس، مأبوناً فيما يروى عنه.

جلد سليمان بن عبد الملك إياه

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني أبو عبيدة أن جماعةً من أهل المدينة أخبروه: أن السبب في جلد سليمان بن عبد الملك، أو الوليد بن عبد الملك إياه ونفيه له، أن شهوداً شهدوا عليه عنده أنه قال: إذا أخذت جريري لم أبال أي الثلاثة لقيت ناكحاً أو منكوحاً أو زانياً. قالوا: وانضاف إلى ذلك أن سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما فخرت يوماً برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ففاخرها بقصيدته التي يقول فيها:

ليس جهلٌ أتيته ببديع

فزاده ذلك حنقاً عليه وغيظاً حتى نفاه.

فخرت سكينة بالنبي ففاخرها بجده وخاله

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة: أن الأحوص كان يوماً عند سكينة، فأذن المؤذن، فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، فخرت سكينة بما سمعت؛ فقال الأحوص:

فخرت وانتمت فقلت ذريني ... ليس جهلٌ أتيته ببديع

فأنا ابن الذي حمت لحمه الدب ... ر قتيل اللحيان يوم الرجيع

غسلت خالي الملائكة الأب ... رار ميتاً طوبى له من صريع

قال أبو زيد: وقد لعمري فخر بفخرٍ لو على غير سكينة فخر به! وبأبي سكينة صلى الله عليه وسلم حمت أباه الدبر وغسلت خاله الملائكة.

هجاؤه لابن حزم عامل المدينة

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن يحيى عن أيوب بن عمر عن أبيه قال: لما جاء ابن حزمٍ عمله من قبل سليمان بن عبد الملك على المدينة والحج، جاءه ابن أبي جهم بن حذيفة وحميد بن عبد الرحمن بن عوف وسراقة، فدخلوا عليه فقالوا له: إيه ياابن حزم! ما الذي جاء بك؟ قال: استعملني والله أمير المؤمنين على المدينة على رغم أنف من رغم أنفه. فقال له ابن أبي جهم: يا ابن حزم، فإني أول من يرغم من ذلك أنفه. قال فقال ابن حزم: صادقٌ، والله يحب الصادقين. فقال الأحوص:

سليمان إذ ولاك ربك حكمنا ... وسلطاننا فاحكم إذا قلت واعدل

يؤم حجيج المسلمين ابن فرتني ... فهب ذاك حجاً ليس بالمتقبل

فقال ابن أبي عتيق للأحوص: الحمد لله يا أحوص، إذ لم أحج ذلك العام بنعمة ربي وشكره. قال: الحمد لله الذي صرف ذلك عنك يا ابن أبي بكرٍ الصديق، فلم يضلل دينك، ولم تعن نفسك، وتر ما يغيظك ويغيظ المسلمين معك.

وفد على الوليد وتعرض للخبازين

فأمر عامل المدينة بجلده:

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه موسى بن عبد العزيز قال: وفد الأحوص على الوليد بن عبد الملك وامتدحه، فأنزله مترلاً، وأمر بمطبخه أن يمال عليه؛ ونزل على الوليد بن عبد الملك شعيب بن عبد الله بن عمرو بن العاصي، فكان الأحوص يراود وصفاء للوليد خبازين عن أنفسهم ويريدهم أن يفعلوا به. وكان شعيبٌ قد غضب على مولىً له ونحاه. فلما خاف الأحوص أن يفتضح بمراودته الغلمان، اندس لمولى شعيب ذلك فقال: ادخل على أمير المؤمنين فاذكر له أن شعيباً أرادك عن نفسك، ففعل المولى. فالتفت الوليد إلى شعيب فقال: ما يقول هذا؟ فقال: لكلامه غورٌ يا أمير المؤمنين، فاشدد به يدك يصدقك. فشدد عليه، فقال: أمرني بذلك الأحوص. فقال قيم الخبازين: أصلحك الله! إن الأحوص يراود

الخبازين عن أنفسهم. فأرسل به الوليد إلى ابن حزم بالمدينة، وأمره أن يجلده مائةً، ويصب على رأسه زيتاً، ويقيمه على البلس، ففعل ذلك به. فقال وهو على البلس أبياته التي يقول فيها:

ما من مصيبة نكبةٍ أمنى بها — إلا تشرفني وترفع شأني

شعره الذي أنشده حين شهر به أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أيوب بن عمر قال أخبرني عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال: رأيت الأحوص حين وقفه ابن حزمٍ على البلس في سوق المدينة وإنه ليصيح ويقول:

ما من مصيبة نكبةٍ أمنى بها — إلا تعظمني وترفع شاني

وتزول حين تزول عن متخمطٍ — تخشى بوادره على الأقران

إني إذا خفي اللئام رأيتني — كالشمس لا تخفى بكل مكان

شعره في هجو ابن حزم قال: وهجا الأحوص ابن حزمٍ بشعرٍ كثيرٍ، منه:

أقول وأبصرت ابن حزم بن فرتني — وقوفاً له بالمأزمين القبائل

ترى فرتنى كانت بما بلغ ابنها — مصدقةً لو قال ذلك قائل

- أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن أبي عبيدة قال: كل أمةٍ يقال لها فرتنى. وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: فرتني: الأمة بنت الأمة - قال الزبير: فقال ابن حزمٍ حين سمع قول الأحوص فيه " ابن فرتنى " لرجلٍ من قومه له علمٌ: أنحن من ولد فرتنى؟ أو تعرفها؟ فقال: لا والله! قال: ولا أنا أعلم والله ذلك! ولقد عضهني به، ولو كانت ولدتني لم أجهل ذلك.

قال الزبير: وحدثني عمي مصعبٌ عن عبد الله بن محمد بن عمارة قال: فرتنى: أمٌ لهم في الجاهلية من بلقين، كانوا يسبون بها، لا أدري ما أمرها، قد طرحوها من كتاب النسب وهي أم خالد " بنت خالد " بن سنان بن وهب بن لوذان الساعدية أم بني حزم.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون: أن الأحوص قال لابن حزمٍ:

لعمري لقد أجرى ابن حزم بن فرتنى — إلى غايةٍ فيها السمام المثمل

وقد قلت مهلاً آل حزم بن فرتنى — ففي ظلمنا صابٌ ممرٌ وحنظل

وهي طويلة. وقال أيضاً:

أهوى أمية إن شطت وإن قربت — يوماً وأهدي لها نصحي وأشعاري

ولو وردت عليها الفيض ما حفلت — ولا شفت عطشي من مائه الجاري

لا تأوين لحزميٍّ رأيت به ... ضراً ولو طرح الحزمي في النار

الناخسين بمروانٍ بذي خشب ... والنفحمين على عثمان في الدار

دفع عنه بنو زريق فمدحهم أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني جماعةٌ من مشايخ الأنصار: أن ابن حزم لما جلد الأحوص و وقفه على البلس يضربه، جاءه بنو زريق فدفعوا عنه، واحتملوه من أعلى البلس. فقال في ذلك - قال ابن الزبير: أنشدنيه عبد الملك بن الماجشون عن يوسف بن أبي سلمة الماجشون -:

إما تصبني المنايا وهي لاحقةٌ ... وكل جنبٍ له قد حم مضطجع

فقد جزيت بنو حزمٍ بظلمهم ... وقد جزيت زريقاً بالذي صنعوا

قومٌ أبى طبع الأخلاق أولهم ... فهم على ذاك من أخلاقهم طبعوا

وإن أناسٌ ونوا عن كل مكرمةٍ ... وضاق باعهم عن وسعهم وسعوا

إني رأيت غداة السوق محضرهم ... إذ نحن ننظر ما يتلى ونستمع

نفاه ابن حزم إلى دهلك وشعره في ذلك

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدثني غير واحدٍ من أهل العلم: أن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم جلد الأحوص في الخنث، وطاف به وغربه إلى دهلك في محملٍ عرياناً. فقال الأحوص وهو يطاف به:

ما من مصيبة نكبةٍ أبلى بها

الأبيات. وزاد فيها:

إني على ما قد ترون محسد ... أنمى على البغضاء والشنآن

أصبحت للأنصار فيما نابهم ... خلفاً وللشعراء من حسان

قال الزبير: ومما ضرب فيه أيضاً قوله:

شر الحزاميين ذو السن منهم ... وخير الحزاميين يعدله الكلب

فإن جئت شيخاً من حزامٍ وجدته ... من النوك والتقصير ليس له قلب

فلو سبني عونٌ إذاً لسببته ... بشعري أو بعض الأولى جدهم كعب

- عون، يعني عون بن محمد بن علي بن أبي طالبٍ عليه رضوان الله. وكعب، يعني كعب بن لؤي -:

أولئك أكفاءٌ لبيتي بيوتهم ... ولا تستوي الأعلاث والأقدح القضب

أخبار متفرقة

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن ثابتٍ الأنصاري عن محمد بن فضالة قال: كان الأحوص بن محمد الأنصاري قد أوسع قومه هجاء فملاهم شراً، فلم يبق لهم فيه صديقٌ، إلا فتىً من بني جحجبى. فلما أراد الأحوص الخروج إلى يزيد بن عبد الملك، نهض الفتى في جهاره وقام بحوائجه وشيعه؛ فلما كان بسقاية سليمان وركب الأحوص محمله، أقبل على الفتى فقال: لا أخلف الله عليك بخير! فقال: مه! غفر الله لك! قال الأحوص: لا والله أو أعلقها حرباً! يعني قباء وبني عمرو بن عوف.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى قال قال غسان بن عبد الحميد: أقبل الأحوص حتى وقف على معن بن حميد الأنصاري، أحد بني عمرو بن عوف بن جحجبى، فقال:

رأيتك مزهواً كأن أباكم ... صهيبة أمسى خير عوف مركبا

تقر بكم كوثى إذا ما نسبتم ... وتنكركم عمر بن عوف بن جحجبى

عليك بأدنى الخطب إن أنت نلته ... وأقصر فلا يذهب بك التيه مذهبا

فقام إليه بنوه ومواليه؛ فقال: دعوا الكلب، خلوا عنه، لا يمسه أحدٌ منكم؛ فانصرف. حتى إذا كان عند أحجار المراء بقباء لقيه ابن أبي جرير أحد بني العجلان، وكان شديداً ضابطاً فقال له الأحوص:

إن بقومٍ سودوك لحاجةً ... إلى سيد لو يظفرون بسيد

فألقى ثيابه وأخذ بحلق الأحوص، ومع الأحوص راويته، وجاء الناس ليخلصوه، فحلف لئن خلصه أحدٌ من يديه ليأخذنه وليدعن الأحوص؛ فخنقه حتى استرخى، وتركه حتى أفاق؛ ثم قال له: كل مملوكٍ لي حرٌ، لئن سمع أو سمعت هذا البيت من أحدٍ من الناس لأضربنك ضربةً بسيفي أريد بها نفسك ولو كنت تحت أستار الكعبة. فأقبل الأحوص على راويته فقال: إن هذا مجنون، و لم يسمع هذا البيت غيرك؛ فإياك أن يسمعه منك خلق.

أخبرني الحرمي والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني بعض أصحابنا: أن الأحوص مر بعباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ومحمد بن مصعب بن الزبير بخيمتي أم معبد، وهما يريدان الحج مرجعه من عند يزيد بن عبد الملك، وهو على نجيبٍ له فارهٍ ورحل فاخرٍ وبزة مرتفعة، فحدثهما أنه قدم على يزيد بن عبد الملك، فأجازه وكساه وأخدمه؛ فلم يرهما يهشان لذلك، فجعل يقول: خيمتي أم معبد، عباد ومحمد، كأنه يروض القوافي للشعر يريد قوله. فقال له محمد بن مصعب: إن أراك في تهيئة شعر وقوافٍ وأرك تريد أن تهجونا! وكل مملوك لي حرٌ لئن هجوتنا بشيء إن لم أضربك بالسيف مجتهداً على نفسك. فقال الأحوص: جعلني الله فداك! إني أخاف أن تسمع هذا في عدواً فيقول شعراً يهجو كما به فينحلنيه، وأنا أبرئكما الساعة، كل مملوكٍ لي حرٌ إن هجوتكما ببيت شعرٍ أبداً.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب قال حدثنا الزبير بن خبيب عن أبيه خبيب بن ثابت قال:

خرجنا مع محمد بن عباد بن عبد الله بن الزبير إلى العمرة، فإنا لبقرب قديد إذ لحقنا الأحوص الشاعر على جملٍ برحل؛ فقال: الحمد لله الذي وفقكم لي، ما أحب أنكم غيركم، وما زلت أحرك في آثاركم مذ رفعتم لي؛ فقد ازددت فيكم غبطةً. فأقبل عليه محمد، وكان صاحب جدٍّ يكره الباطل وأهله، فقال: لكنا والله ما اغتبطنا بك ولا نحب مسايرتك، فتقدم عنا أو تأخر. فقال: والله ما رأيت كاليوم جواباً! قال: هو ذاك. قال: وكان محمد صاحب جد يكره الباطل وأهله، فأشفقنا مما صنع، ومعه عدةٌ من آل الزبير، فلم يقدر أحدٌ منهم أن يرد عليه. قال: وتقدم الأحوص، و لم يكن لي شأنٌ غير أن أعتذر غليه. فلما هبطنا من المشلل على خيمتي أم معبد سمعت الأحوص يهمهم بشيء، فتفهمته فإذا هو يقول: خيمتي أم معبد، محمد، كأنه يهيىء القوافي؛ فأمسكت راحلتي حتى جاءني محمد، فقلت. إني سمعت هذا يهيىء لك القوافي، فإما أذنت لنا أن نعتذر إليه ونرضيه، وإما خليت بيننا وبينه فنضربه؛ فإنا لا نصادفه في أخلى من هذا المكان. قال: كلا! إن سعد بن مصعب قد أخذ عليه ألآ يهجو زبيرياً أبداً، فإن فعلت رجوت أن يخزيه الله، دعه.

قال الزبير: وأما خبره مع سعد بن مصعبٍ، فحدثني به عمي مصعب قال أخبرني يحيى بن الزبير بن عباد أو مصعب بن عثمان - شك: أيهما حدثه - قال: كانت أمة الملك بنت حمزة بن عبد الله بن الزبير، تحت سعد بن مصعب بن الزبير، وكان فيهم مأتمٌ، فاقمته بامرأةٍ، فغارت عليه وفضحته. فقال الأحوص يمازحه:

وليس بسعد النار من تزعمونه ... ولكن سعد النار سعد بن مصعب

ألم تر أن القوم ليلة نوحهم ... بغوه فألفوه على شر مركب

فما يبتغي بالغي لا در دره ... وفي بيته مثل الغزال المربب

- قال: وسعد النار رجلٌ يقال له سعد حضنة، وهو الذي جدد لزياد بن عبيد الله الحارثي الكتاب الذي في جدار المسجد، وهو آياتٌ من القرآن أحسب أن منها " إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ". فلما فرغ منه قال لزياد: أعطني أجري. فقال له زياد: انتظر، فإذا رأيتنا نعمل بما كتبت، فخذ أجرك -.

قال: فعمل سعد بن مصعبٍ سفرةً، وقال للأحوص: اذهب بنا إلى سد عبيد الله بن عمر نتغدّ عليه، ونشرب من مائة، ونستنقع فيه؛ فذهب معه. فلما صارا إلى الماء، أمر غلمانه أن يربطوه وأراد ضربه، وقال: ما جزعت من هجائك إياي، ولكن ما ذكرك زوجتي؟! فقال له: يا سعد، إنك لتعلم أنك إن ضربتني لم أكفف عن الهجاء، ولكن خيرٌ لك من ذلك أحلف لك بما يرضيك ألا أهجوك ولا أحداً من آل الزبير أبداً؛ فأحلفه وتركه.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني مصعبٌ عمي عن مصعب بن عثمان قال: قال الأحوص لمجمع بن يزيد بن جارية:

وجمعت من أشياء شتى خبيثةٍ ... فسميت لما جئت منها مجمعا

فقال له مجمع: إني لا أحسن الشعر، ثم أخذ كرنافةً فغمسها في ماءٍ فغاصت، ثم رفع يده عنها فطفت، فقال: هكذا والله كانت تصنع خالاتك السواحر.

خبره مع أم الليث والأنصارية الجميلة

أخبرني الحرمي قال وحدثنا الزبير قال: كانت امرأةٌ يقال لها أم ليث امرأة صدقٍ، فكانت قد فتحت بينها وبين جارةٍ لها من الأنصار خوخة، وكانت الأنصارية من أجمل أنصاريةٍ خلقت. فكلم الأحوص أم ليثٍ أن تدخله في بيتها يكلم الأنصارية من الخوخة التي فتحت بينها وبينها، فأبت؛ فقال: أما لأكافئنك، ثم قال:

هيهات منك بنو عمرٍ ومسكنهم ... إن تشتيت قنسرين أو حلبا

قامت تراءى وقد جد الرحيل بنا ... بين السقيفة والباب الذي نقبا

إني لمانحها ودي ومتخذٌ ... بأم ليثٍ إلى معروفها سببا

فلما بلغت الأبيات زوج المرأة، سد الخوخة؛ فاعتذرت إليه أم ليث، فأبى أن يقبل ويصدقها. فكانت أم ليث تدعو على الأحوص.

: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني أبي قال:

ركب الأحوص إلى الوليد بن عبد الملك قبل ضرب ابن حزمٍ إياه، فلقيه رجلٌ من بني مخزوم يقال له محمد بن عتبة، فوعده أن يعينه. فلما دخل على الوليد قال: ويحك! ما هذا الذي رميت به يا أحوص؟ قال: والله يا أمير المؤمنين، لو كان الذي رماني به ابن حزمٍ من أمر الدين لاحتنبته، فكيف وهو من أكبر معاصي الله! فقال ابن عتبة: يا أمير المؤمنين، إن من فضل ابن حزمٍ وعدله كذا وكذا، وأثنى عليه. فقال الأحوص: هذا والله كما قال الشاعر:

وكنت كذئب السوء لما رأى دماً ... بصاحبه يوماً أحال على الدم

فأما خبره في بقية أيام سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز، فأخبرني به أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي قال حدثنا عون بن محمد بن سلام قال حدثني أبي عمن حدثه عن الزهري، وأخبرني به الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعبٌ عن مصعب بن عثمان قال: كان الأحوص ينسب بنساءٍ ذوات أخطار من أهل المدينة، ويتغنى من شعره معبدٌ ومالك، ويشيع ذلك في الناس، فنهي فلم ينته؛ فشكي إلى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة وسألوه الكتاب فيه إليه، ففعل ذلك. فكتب سليمان إلى عامله يأمره أن يضربه مائة سوطٍ ويقيمه على البلس للناس، ثم يصيّره إلى دهلك ففعل ذلك به؛ فثوى هنالك سلطان سليمان بن عبد الملك. ثم ولي عمر ابن عبد العزيز؛ فكتب إليه يستأذنه في القدوم ويمدحه؛ فأبى أن يأذن له. وكتب فيما كتب إليه به:

أيا راكباً إما عرضت فبلغن هديت أمير المؤمنين رسائلي
وقل لأبي حفصٍ إذا ما لقيته لقد كنت نفاعاً قليل الغوائل
وكيف ترى للعيش طيباً ولذةً وخالك أمسى موثقاً في الحبائل !

-هذه الأبيات من رواية الزبير وحده، و لم يذكرها ابن سلام - قال: فأتى رجالٌ من الأنصار عمر بن عبد العزيز، فكلموه فيه وسألوه أن يقدمه، وقالوا: قد عرفت نسبه وموضعه وقديمه، وقد أخرج إلى أرض الشرك، فنطلب إليك أن ترده إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار قومه. فقال لهم عمر: فمن الذي يقول:

فما هو إلا أن أراها فجاءةً فأبهت حتى ما كاد أجيب

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

أدور ولولا أن أرى أم جعفرٍ بأبياتكم ما درت حيث أدور
وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى إذ لم يزر لا بد أن سيزور

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

كأن لبنى صبيرٌ غاديةٍ أو دميةٌ زينت بها البيع
الله بيني وبين قيمها يفر مني بها وأتبع

قالوا: الأحوص. قال: بل الله بين قيمها وبينه. قال: فمن الذي يقول:

ستبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة حبٍ يوم تبلى السرائر

قالوا: الأحوص. قال: إن الفاسق عنها يومئذ لمشغولٌ، والله لأأرده ما كان لي سلطان. قال: فمكث هناك بقية ولاية عمر وصدراً من ولاية يزيد بن عبد الملك.

قال: فبينا يزيد وجاريته حبابة ذات ليلةٍ على سطح تغنيه بشعر الأحوص، قال لها: من يقول هذا الشعر؟ قالت: لا وعينيك ما أدري! - قال: وقد كان ذهب من الليل شطره - فقال: ابعثوا إلى ابن شهابٍ الزهري، فعسى أن يكون عنده علمٌ من ذلك. فأتي الزهري فقرع عليه بابه فخرج مروعاً إلى يزيد. فلما صعد إليه قال له يزيد: لا ترع، لم ندعك إلا لخير، اجلس، من يقول هذا الشعر؟ قال: الأحوص بن محمد يا أميرالمؤمنين. قال: ما فعل؟ قال: قد طال حبسه بدهلك. قال: قد عجبت لعمر كيف أغفله. ثم أمر بتخلية سبيله، ووهب له أربعمائة دينار. فأقبل الزهري من ليلته إلى قومه من الأنصار فبشرهم بذلك.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن إسماعيل ومحمد بن زيد الأنصاري قالا: لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة أدنى زيد بن أسلم، وجفا الأحوص. فقال له الأحوص:

ألست أبا حفصٍ هديت مخبري أفي الحق أن أقصى ويدنى ابن أسلما

فقال عمر: ذلك هو الحق.

قال الزبير: وأنشدنيها عبد الملك بن الماجشون عن يوسف بن الماجشون:

ألا صلة الأرحام أدنى إلى التقى وأظهر في أكفائه لو تكرما

فما ترك الصنع الذي قد صنعته ولا الغيظ مني ليس جلداً ولا أعظما

وكنا ذوي قربى لديك فأصبحت قرابتنا ثدياً أجد مصرما

وكنت وما أملت منك كبارقٍ لوى قطره من بعد ما كان غيما

وقد كنت أرجى الناس عندي مودةً ليالي كان الظن غيباً مرجما

أعدك حرزاً إن جنيت ظلامةً ومالا ثريا حين أحمل مغرما

تدارك بعتبي عاتباً ذا قرابةٍ طوى الغيظ لم يفتح بسخط له فما

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال: كتب إلي إسحاق بن إبراهيم أن أبا عبيدة حدثه: أن الأحوص لم يزل مقيماً بدهلك حتى مات عمر بن عبد العزيز، فدس إلى حبابة فغنت يزيد بأبيات له - قال أبو عبيدة: أظنها قوله:

صوت

أيهذا المخبري عن يزيدٍ بصلاحٍ فداك أهلي ومالي

ما أبالي إذا يزيد بقي لي من تولت به صروف الليالي

لم يجنسه. كذا جاء في الخبر أنها غنته به، ولم يذكر طريقته قال أبو عبيدة: أراه عرض بعمر بن عبد العزيز ولم يقدر أن يصرح مع بني مروان - فقال: من يقول هذا؟ قالت: الأحوص، وهونت أمره، وكلمته في أمانه فأمنه. فلما أصبح حضر فاستأذنت له، ثم أعطاه مائة ألف درهم.

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان: أن الأحوص دس إلى حبابة، فغنت يزيد قوله:

كريم قريشٍ حين ينسب والذي أقرت له بالملك كهلاً وأمردا

وليس وإن أعطاك في اليوم مانعاً إذا عدت من أضعاف أضعافه غدا

أهان تلاد المال في الحمد إنه إمام هدى يجري على ما تعودا

تشرف مجداً من أبيه وجده وقد ورثا بنيان مجدٍ تشيدا

فقال يزيد: ويلك يا حبابة! من هذا من قريش؟ قالت: ومن يكون! أنت هو يا أمير المؤمنين. فقال: ومن قال هذا الشعر؟ قالت: الأحوص يمدح به أمير المؤمنين؛ فأمر به أمير المؤمنين أن يقدم عليه من دهلك، وأمر له بمالٍ وكسوة.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني بعض أهل العلم قال: دخل الأحوص على يزيد بن عبد الملك وهو خليفةٌ؛ فقال له يزيد: والله لو لم تمت إلينا بحرمة، ولا توسلت بدالة، ولا جددت لنا مدحاً، غير أنك مقتصرٌ على البيتين اللذين قلتهما فينا، لكنت مستوجباً لجزيل الصلة مني حيث تقول:

وإني لأستحييكم أن يقودني ... إلى غيركم من سائر الناس مطمع

وأن أجتدي للنفع غيرك منهم ... وأنت إمامٌ للرعية مقنع

قال: وهذه قصيدةٌ مدح بها عمر بن عبد العزيز.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال حدثني عمر بن موسى بن عبد العزيز قال: لما ولي يزيد بن عبد الملك بعث إلى الأحوص، فأقدم عليه، فأكرمه وأجازه بثلاثين ألف درهم. فلما قدم قباء صب المال على نطع ودعا جماعة من قومه، وقال: إني قد عملت لكم طعاماً. فلما دخلوا عليه كشف لهم عن ذلك المال، وقال: " أفسحرٌ هذا أم أنتم لا تبصرون ".

قال الزبير: وقال في يزيد بن عبد الملك يمدحه حينئذ بهذه القصيدة:

صرمت حبلك الغداة نوار ... إن صرماً لكل حبلٍ قصار

وهي طويلة، يقول فيها:

من يكن سائلاً فإن يزيداً ... ملكٌ من عطائه الإكثار

عم معروفه فعز به الدي ... ن وذلت لملكه الكفار

وأقام الصراط فابتهج ... الحق منيراً كما أنار النهار

ومن هذه القصيدة بيتان يغنى فيهما، وهما:

صوت

بشرٌ لو يدب ذرٌ عليه ... كان فيه من مشيه آثار

إن أروى إذا تذكر أروى ... قلبه كاد قلبه يستطار

غنت فيه عريب لحناً من الثقيل الأول بالبنصر، وذكر ابن المكي أنه لجده يحيى.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعبٌ عن مصعب بن عثمان قال:

حج يزيد بن عبد الملك فتزوج بنت عون بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأصدقها مالاً كثيراً؛

فكتب الوليد بن عبد الملك إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أنه بلغ أمير المؤمنين أن يزيد بن عبد الملك قد تزوج بنت عون بن محمد بن علي بن أبي طالب وأصدقها مالاً كثيراً، ولا أراه فعل ذلك إلا وهو يراها خيراً منه، قبح الله رأيه! فإذا جاءك كتابي هذا فادع عوناً فاقبض المال منه؛ فإن لم يدفعه إليك فأضربه بالسياط حتى تستوفيه منه ثم افسخ نكاحه. فأرسل أبو بكر بن محمد بن عمرو إلى عون بن محمد وطالبه بالمال. فقال له: ليس عندي شيءٌ وقد فرقته. فقال له أبو بكر: إن أمير المؤمنين أمرني إن لم تدفعه إلي كله أن أضربك بالسياط ثم لا أرفعها عنك حتى أستوفيه منك. فصاح به يزيد: تعال إلي؛ فجاءه؛ فقال له فيما بينه وبينه كأنك خشيت أن أسلمك إليه، ادفع إليه المال ولا تعرض له نفسك؛ فإنه إن دفعه إليك رددته عليك، وإن لم يرده علي أخلفته عليك، ففعل. فلما ولي يزيد بن عبد الملك، كتب في أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وفي الأحوص، فحملا إليه، لما بين أبي بكر والأحوص من العداوة؛ وكان أبو بكر قد ضرب الأحوص وغربه إلى دهلك وأبو بكر مع عمر بن عبد العزيز، وعمر إذ ذاك على المدينة. فلما صارا باب يزيد أذن للأحوص، فرفع أبو بكر يديه يدعو، فلم يخفضهما حتى خرج الغلمان بالأحوص ملبباً مكسور الأنف، وإذا هو لما دخل علي يزيد قال له: أصلحك الله هذا ابن حزمٍ الذي سفه رأيك ورد نكاحك. وقال يزيد: كذبت! عليك لعنة الله ومن يقول ذلك! أكسروا أنفه، وأمر به فأخرج ملبباً.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو الجمحي قال: كان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي قد اتخذ بيتاً فجعل فيه شطرنجاتٍ ونرداتٍ وقرقاتٍ ودفاتر فيها من كل علم، وجعل في الجدار أوتاداً، فمن جاء علق ثيابه على وتدٍ منها، ثم جر دفتراً فقرأه، أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم. قال: فإن عبد الحكم يوماً لفي المسجد الحرام إذا فتًى داخلٌ من باب الحناطين، باب بني جمح، عليه ثوبان معصفران مدلوكان وعلى أذنه ضغث ريحانٍ وعليه ردع الخلوق، فأقبل يشق الناس حتى جلس إلى عبد الحكم بن عبد الله؛ فجعل من رآه يقول: ماذا صب عليه من هذا! ألم يجد أحداً يجلس إليه غيره! ويقول بعضهم: فأي شيء يقوله له عبد الحكم وهو أكرم من أن يجبه من يقعد إليه! فتحدث إليه ساعةً ثم أهوى فشبك يده في يد عبد الحكم وقام يشق المسجد حتى خرج من باب الحناطين - قال عبد الحكم: فقلت في نفسي: ماذا سلط الله علي منك! رآني معك نصف الناس في المسجد ونصفهم في الحناطين -حتى دخل مع عبد الحكم بيته، فعلق رداءه على وتدٍ وحل أزراره واجتر الشطرنج وقال: من يلعب؟ فبينا هو كذلك إذ دخل الأبجر المغني، فقال له: أي زنديق ما جاء بك إلى هاهنا؟ وجعل يشتمه ويمازحه. فقال له عبد الحكم: أتشتم رجلاً في منزلي! فقال: أتعرفه؟ هذا الأحوص. فاعتنقه عبد الحكم وحياه. وقال له: أما إذا كنت الأحوص فقد هان علي ما فعلت.

أخبرني الطوسي والحرمي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني حميد بن عبد العزيز عن أبيه قال: لما قدم عبد الملك بن مروان حاجاً سنة خمس وسبعين، وذلك بعد ما اجتمع الناس عليه بعامين، جلس على المنبر فشتم أهل

المدينة ووبخهم ثم قال: إني والله يا أهل المدينة قد بلوتكم فوجدتكم تنفسون القليل وتحسدون على الكثير، وما وجدت لكم مثلاً إلا ما قال مخنثكم وأخوكم الأحوص:

وكم نزلت بي من خطوبٍ مهمةٍ خذلتم عليها ثم لم أتخشع
فأدبر عني شرها لم أبل بها ولك أدعكم في كربها المتطلع

فقام إليه نوفل بن مساحق فقال: يا أمير المؤمنين، أقررنا بالذنب وطلبنا المعذرة؛ فعد بحلمك، فذلك ما يشبهنا منك ويشبهك منا؛ فقد قال من ذكرت من بعد بيتيه الأولين:

وإني لمستأنٍ ومنتظرٌ بكم وإن لم تقولوا في الملمات دع دع
أؤمل منكم أن تروا غير رأيكم وشيكاً وكيما تنزعوا خير منزع

أخبرني الحرمي والطوسي قالا حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن الضحاك عن المنذر بن عبد الله الحزامي: إن عراك بن مالك كان من أشد أصحاب عمر بن عبد العزيز على بني مروان في انتزاع ما حازوا من الفيء والمظالم من أيديهم. فلما ولي يزيد بن عبد الملك ولى عبد الواحد بن عبد الله النصري المدينة، فقرب عراك بن مالك وقال: صاحب الرجل الصالح، وكان لا يقطع أمراً دونه، وكان يجلس معه على سريره. فبينا هو معه إذ أتاه كتاب يزيد بن عبد الملك: أن أبعث مع عراك بن مالك حرسياً حتى يترله أرض دهلك وخذ من عراكٍ حمولته. فقال لحرسي بين يديه وعراكٌ معه على السرير: خذ بيد عراك فابتع من ماله راحلةً ثم توجه به نحو دهلك حتى تقره فيها؛ ففعل ذلك الحرسي. قال: وأقدم الأحوص؛ فمدحه الأحوص؛ فأكرمه وأعطاه. قال: فأهل دهلك يأثرون الشعر عن الأحوص، والفقه عن عراك بن مالك.

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب عن محمد بن سلام عن أبي الغراف عمن يثق به قال: بعث يزيد بن عبد اللملك حين قتل يزيد بن المهلب في الشعراء، فأمر بهجاء يزيد بن المهلب، منهم الفرزدق وكثيرٌ والأحوص. فقال الفرزدق: لقد امتدحت بني المهلب بمدائح ما امتدحت بمثلها أحداً، وإنه لقبيحٌ بمثلي أن يكذب نفسه على كبر السن، فليعفني أمير المؤمنين؛ قال: فأعفاه. وقال كثيرٌ: إني أكره أن أعرض نفسي لشعراء أهل العراق إن هجوت بني المهلب. وأما الأحوص فإنه هجاهم. ثم بعث به يزيد بن عبد الملك إلى الجراح بن عبد الله الحكمي وهو بأذربيجان، وقد كان بلغ الجراح هجاء الأحوص بني المهلب، فبعث إليه بزقً من خمرٍ فأدخل مترل الأحوص، ثم بعث إليه خيلاً فدخلت مترله فصبوا الخمر على رأسه ثم أخرجوه على رؤوس الناس فأتوا به الجراح، فأمر بحلق رأسه ولحيته، وضربه الحد بين أوجه الرجال، وهو يقول: ليس هكذا تضرب الحدود؛ فجعل الجراح يقول: أجل! ولكن لما تعلم. ثم كتب إلى يزيد بن عبد الملك يعتذر فأغضى له عليها.

رأي أبي الفرج قال أبو الفرج الأصبهاني: وليس ما جرى من ذكر الأحوص إرادةً للغض منه في شعره، ولكن

ذكرنا من كل ما يؤثر عنه ما تعرف به حاله من تقدم وتأخرٍ، وفضيلةٍ ونقصٍ؛ فأما تفضيله وتقدمه في الشعر فمتعالم مشهور، وشعره ينبئ عن نفسه ويدل على فضله فيه وتقدمه وحسن رونقه وتهذبه وصفائه.

رأي الفرزدق وجرير في نسيبه

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز قال حدثني عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي قال حدثنا شيخٌ لنا من هذيل كان خالاً للفرزدق من بعض أطرافه قال: سمعت بالفرزدق وجرير على باب الحجاج، فقلت: لو تعرضت ابن أختنا! فامتطيت إليه بعيراً، حتى وجدتهما قبل أن يخلصا، ولكل واحدٍ منهما شيعةٌ؛ فكنت في شيعة الفرزدق؛ فقام الآذن يوماً فقال: أين جرير؟ فقال: جرير: هذا أبو فراس؛ فأظهرت شيعته لومه وأسرته. فقال الآذن: أين الفرزدق؟ فقام فدخل. فقالوا لجرير: أتناوئه وتهاجيه وتشاخصه، ثم تبدى عليه فتأبى وتبديه؟! قضيت له على نفسك! فقال لهم: إنه نزر القول، و لم ينشب أن ينفد ما عنده وما قال فيه فيفاخره ويرفع نفسه وعليه؛ فما جئت به بعد حمدت عليه واستحسن. فقال قائلهم: لقد نظرت نظراً بعيداً. قال: فما نشبوا أن خرج الآذن فصاح: أين جرير؟ فقام جرير فدخل. قال: فدخلت، فإذا ما مدحه به الفرزدق قد نفد، وإذا هو يقول:

أين الذين بهم تسامي دارماً ... أم من إلى سلفي طهية تجعل

قال: وعمامته على رأسه مثل المنسف، فصحت من ورائه:

هذا ابن يوسف فاعلموا وتفهموا ... برح الخفاء فليس حين تناجي

من سد مطلع النفاق عليكم ... أم من يصول كصوله الحجاج

أم من يغار على النساء حفيظةً ... إذ لا يثقن بغيرة الأزواج

قل للجبان إذا تأخر سرجه ... هل أنت من شرك المنية ناجي

قال: وما تشبيبها؟ وطرب: فقال جرير:

لج الهوى بفؤادك الملجاج ... فاحبس بتوضح باكر الأحداج

وأمرها، أو قال: أمضاها. فقال: عطوه كذا وكذا؛ فاستقللت ذلك. فقال الهذلي: وكان جرير عربياً قروياً، فقال الحجاج: قد أمر لي الأمير بما لا يفهم عنه، فلو دعا كاتباً وكتب بما أمر به الأمير! فدعا كاتباً واحتاط فيه بأكثر من ضعفه، وأعطى الفرزدق أيضاً. قال الهذلي: فجئت الفرزدق فأمر لي بستين ديناراً وعبدٍ، ودخلت على رواته فوجدتهم يعدلون ما انحرف من شعره، فأخذت من شعره ما أردت. ثم قلت له: يا أبا فراس، من أشعر الناس؟ قال: أشعر الناس بعدي ابن المراغة. قلت: فمن أنسب الناس؟ قال الذي يقول:

لي ليلتان فليلةٌ معسولةٌ ألقى الحبيب بها بنجم الأسعد
ومريحةٌ همي علي كأنني حتى الصباح معلقٌ بالفرقد

قلت: ذاك الأحوص. قال: ذاك هو. قال الهذلي: ثم أتيت جريراً فجعلت أستقل عنده ما أعطاني صاحبي أستخرج به منه؛ فقال: كم أعطاك ابن أختك؟ فأخبرته. فقال: ولك مثله؛ فأعطاني ستين ديناراً وعبداً. قال: وجئت رواته وهم يقوّمون ما انحرف من شعره وما فيه من السناد، فأخذت منه ما أردت، ثم قلت: يا أبا حزرة، من أنسب الناس؟ قال الذي يقول:

يا ليت شعري عمن كلفت به من خثعمٍ إذ نأيت ما صنعوا
قومٌ يحلون بالسدير وبال حيرة منهم مرأىً ومستمع
أن شطت الدار عن ديارهم أأمسكوا بالوصال أم قطعوا
بل هم على خير ما عهدت وما ذلك إلا التأميل والطمع

قلت: ومن هو؟ قال: الأحوص. فاجتمعا على أن الأحوص أنسب الناس.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء منها الأبيات التي يقول فيها الأحوص:

لي ليلتان فليلةٌ معسولةٌ

وأول ما يغني به فيها:

صوت

يا للرجال لوجدك المتجدد ولما تؤمل من عقيلة في غد
ترجو مواعد بعث آدم دونها كانت خبالاً للفؤاد المقتصد
هل تذكرين عقيل أو أنساكه بعدي تقلب ذا الزمان المفسد
يومي ويومك بالعقيق إذ الهوى منا جميع الشمل لم يتبدد
لي ليلتان فليلةٌ معسولةٌ ألقى الحبيب بها بنجم الأسعد
ومريحةٌ همي علي كأنني حتى الصباح معلقٌ بالفرقد

- عروضه من الكامل. يقال: يا للرجال ويا للرجال بالكسر والفتح وفي الحديث أن عمر رضي الله عنه صاح لما طعن: يا لله ويا للمسلمين. وقوله: " في غد "، يريد فيما بعد وفي باقي الدهر؛ قال الله سبحانه: " سيعلمون غداً من الكذاب الأشر ". والخبل والخبال: النقصان من الشيء. والمخبل:، أصله مأخوذ من النقص بلأنه ناقص العقل. والمعسولة: الحلوة المشتهاة -.

الشعر للأحوص. والغناء في البيت الأول والثاني لمالك خفيف رملٍ بالبنصر عن الهشامي وحبش. وفي الثالث والرابع لسليمان أخي بابويه ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو. وفيهما وفي الخامس والسادس لحنٌ لابن سريج ذكره يونس ولم يجنسه. وذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أن لمعبدٍ في الأبيات كلها لحناً وأنه من صحيح غنائه، ولم يجنسه.

سألت امرأة ابنا للأحوص عن شعر له

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه. عن أيوب بن عباية قال: بلغني أن ابناً للأحوص بن محمد الشاعر دخل على امرأةٍ شريفةٍ، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إبراهيم بن زيد عن عنبسة بن سعيد بن العاصي قال أخبرني أشعب بن جبير قال: حضرت امرأةٌ شريفةٌ ودخل عليها ابن الأحوص بن محمد الشاعر؛ فقالت له: أتروي قول أبيك:

لي ليلتان فليلةٌ معسولةٌ ... ألقى الحبيب بها بنجم الأسعد

ومريحةٌ همي علي كأنني ... حتى الصباح معلقٌ بالفرقد

قال نعم. قالت: أتدري أي الليلتين التي يبيت فيها معلقاً بالفرقد؟ قال: لا والله. قالت: هي ليلة أمك التي يبيت معها فيها. قال إبراهيم في خبره: فقلت لأشعب: يا أبا العلاء، فأي ليلتيه المعسولة؟ فقال:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود

هي ليلة الإسراف، ولا تسأل عما بعدها.

ما قاله ابن جندب حين أنشد شعر الأحوص

أخبرني عبد العزيز ابن بنت الماجشون قال: أنشد ابن جندبٍ قول الأحوص:

لي ليلتان فليلةٌ معسولةٌ ... ألقى الحبيب بها بنجم الأسعد

ومريحةٌ همي علي كأنني ... حتى الصباح معلقٌ بالفرقد

فقال: أما إن الله يعلم أن الليلة المريحة همي لأبلذ الليلتين عندي. قال الحرمي بن أبي العلاء: وذلك لكفله بالغزل والشوق والحنين وتمني اللقاء.

من هي عقيلة التي شغف بها الأحوص

وللأحوص مع عقيلة هذه أخبارٌ قد ذكرت في مواضع أخر. وعقيلة امرأةٌ من ولد عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد ذكر الزبير عن ابن بنت الماجشون عن خاله أن عقيلة هذه هي سكينة بنت الحسين عليهما السلام، كنى عنها بعقيلة.

أخبار متفرقة

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي: أن إنساناً أنشد عند إبراهيم بن هشامٍ وهو والي المدينة قول الأحوص:

إذ أنت فينا لمن ينهاك عاصيةٌ ... وإذ أجر إليكم سادراً رسني

فوثب أبو عبيدة بن عمار بن ياسرٍ قائماً ثم أرخى رداءه ومضى يمشي على تلك الحال ويجره حتى بلغ العرض ثم رجع. فقال له إبراهيم بن هشام حين جلس: ما شأنك؟ فقال: أيها الأمير، إني سمعت هذا البيت مرةً فأعجبني، فحلفت لا أسمعه إلا جررت رسني.

نسبة هذا البيت وما غني فيه من الشعر

صوت

سقياً لربعك من ربع بذي سلمٍ وللزمان به إذ ذاك من زمن أة ابنا للأحوص عن شعر له :

أة أة أة

إذ أنت فينا لمن ينهاك عاصيةٌ ... وإذ أجر إليكم سادراً رسني

عروضه من البسيط. غنى ابن سريج في هذين البيتين لحناً من الثقيل الأول بالوسطى عن عمرو. وذكر إسحاق فيه لحناً من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى و لم ينسبه إلى أحد، وذكر حبشٌ أنه للغريض.

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام عن سلام بن أبي السحماء وكان صاحب حمادٍ الراوية: أن حماداً كان يقدم أحوص في النسيب.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمر بن أبي سليمان عن يوسف بن أبي سليمان بن عنيزة قال: هجا الأحوص رجلاً من الأنصار من بني حرامٍ يقال له ابن بشير، وكان كثير المال؛ فغضب من ذلك، فخرج حتى قدم على الفرزدق بالبصرة وأهدى إليه وألطفه، فقبل منه، ثم جلسا يتحدثان؛ فقال الفرزدق: ممن أنت؟ قال: من الأنصار. قال: ما أقدمك؟ قال: جئت مستجيراً بالله عز وجل ثم بك من رجلٍ هجاني. قال: قد أجارك الله منه وكفاك مؤنته، فأين أنت عن الأحوص؟ قال: هو الذي هجاني. فأطرق ساعةً ثم قال: أليس هو الذي يقول:

ألا قف برسم الدار فاستنطق الرسما ... فقد هاج أحزاني وذكرني نعما

قال بلى. قال: فلا والله لا أهجو رجلاً هذا شعره. فخرج ابن بشير فاشترى أفضل من الشراء الأول من الهدايا، فقدم بها على جرير؛ فأخذها وقال له: ما أقدمك؟ قال: جئت مستجيراً بالله وبك من رجلٍ هجاني. فقال: قد أجارك الله عز وجل منه وكفاك، أين أنت عن ابن عمك الأحوص بن محمد؟ قال: هو الذي هجاني. قال: فأطرق ساعةً ثم قال: أليس هو الذي يقول:

تمشى بشتمي في أكاريس مالكٍ ... تشيد به كالكلب إذ ينبح النجما

فما أنت بالمخسوس في جذم مالكٍ ... ولا بالمسمى ثم يلتزم الإسما

ولكن بيتي إن سألت وجدته ... توسط منها العز والحسب الضخما

قال: بلى والله. قال: فلا والله لا أهجو شاعراً هذا شعره. قال: فاشتري أفضل من تلك الهدايا وقدم على الأحوص فأهداها إليه وصالحه.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

ألا قف برسم الدار فاستنطق الرسما ... فقد هاج أحزاني وذكرني نعمى

فبت كأني شاربٌ من مدامةٍ ... إذا أذهبت هماً أتاحت له هماً

غناه إبراهيم الموصلي خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشامي. وذكر عبد الله بن العباس الربيعي أنه له.

أنشد أبو السائب شعراً له فطرب ومدحه

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: قال لي أبو السائب المخزومي: أنشدني للأحوص؛ فأنشدته قوله:

قالت وقلت تحرجي وصلي ... حبل امرئٍ بوصالكم صب

واصل إذاً بعلي فقلت لها ... الغدر شيءٌ ليس من ضربي

صوت

ثنتان لا أدنو لوصلهما ... عرس الخليل وجارة الجنب

أما الخليل فلست فاجعه ... والجار أوصاني به ربي

عوجوا كذا نذكر لغانيةٍ بعض الحديث مطيكم صحبي

ونقل لها فيم الصدود ولم نذنب بل أنت بدأت بالذنب

إن تقبلي نقبل وننزلكم منا بدار السهل والرحب

أو تدبري تكدر معيشتنا وتصدعي متلائم الشعب

- غنى في " ثنتان لا أدنو " والذي بعده ابن جامع ثقيلاً أول بالوسطى. وغنى في " عوجوا كذا نذكر لغانيةٍ "والأبيات التي بعده ابن محرزٍ لحناً من القدر الأوسط من الثقيل الأول مطلقاً في مجرى البنصر - قال: فأقبل علي أبو السائب فقال: يابن أخي، هذا والله المحب عيناً لا الذي يقول:

وكنت إذا خليلٌ رام صرمي وجدت وراي منفسحاً عريضاً

اذهب فلا صحبك الله ولا وسع عليك "يغني قائل هذا البيت ".

أخبرني الحرميّ قال حدثّني الزّبير قال حدثّنا خالد بن وضاح قال حدثني عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجمحي قال: حملت دينا بعسكر المهدي، فركب المهدي بين أبي عبيد الله وعمر بن بزيع، وأنا وراءه في موكبه على برذونٍ قطوف؛ فقال: ما أنسب بيتٍ قالته العرب؟ فقال له أبو عبيد الله: قول امرئ القيس:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلبٍ مقتل

فقال: هذا إعرابي قحٌ. فقال عمر بن بزيع: قول كثير يا أمير المؤمنين:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

فقال: ما هذا بشيءٍ وماله يريد أن ينسى ذكرها حتى تمثل له! فقلت: عندي حاجتك يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك! قال: الحق بي. قلت: لا لحاق بي، ليس ذلك في دابتي. قال: احملوه على دابة. قلت: هذا أول الفتح؛ فحملت على دابة، فلحقت. فقال: ما عندك؟ فقلت: قول الأحوص:

إذا قلت إني مشتفٍ بلقائها فحم التلاقي بيننا زادني سقما

فقال: أحسن والله! اقضوا عنه دينه؛ فقضي عني ديني.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني منها الشعر الذي هو:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

صوت

ألا حبيا ليلى أجد رحيلي وآذن أصحابي غداً بقفول

ولم أر من ليلى نوالاً أعده ألا ربما طالبت غير منيل

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

وليس خليلي بالملول ولا الذي إذا غبت عنه باعني بخليل

ولكن خليلي من يدوم وصاله ويحفظ سري عند كل دخيل

عروضه من الطويل. الشعر لكثير. والغناء في ثلاثة الأبيات الأول لإبراهيم، ولحنه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. ولابنه إسحاق في:

وليس خليلي بالملول ولا الذي

ثقيلٌ آخر بالوسطى.

حديث ابن سلام عن كثير وجميل

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام، وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن محمد بن سلام قال: كان لكثيرٍ في النسيب حظٌ وافر، وجميلٌ مقدمٌ عليه وعلى أصحاب النسيب جميعاً، ولكثيرٍ من فنون الشعر ما ليس لجميل. وكان كثير راوية جميل، وكان جميلٌ صادق الصبابة والعشق، ولم يكن كثير بعاشق، وكان يتقول. قال: وكان الناس يستحسنون بيت كثيرٍ في النسيب:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

قال: وقد رأيت من يفضل عليه بيت جميلٍ:

خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

حديث ابن مصعب الزبيري عن كثير قرأت في كتابٍ منسوبٍ إلى أحمد بن يحيى البلاذري: وذكر إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن عبد الله بن مصعب الزبيري كان يوماً يذكر شعر كثيرٍ ويصف تفضيل أهل الحجاز إياه، إلى أن انتهى إلى هذا البيت. قال إسحاق: فقلت له: إن الناس يعيبون عليه هذا المعنى ويقولون: ما له يريد أن ينساها! فتبسم ابن مصعبٍ ثم قال: إنكم يا أهل العراق لتقولون ذلك.

ذكر كثير عن أنسب بيت قاله فأجاب

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو يحيى الزهري قال حدثني الهزبري قال:

قيل لكثيرٍ: ما أنسب بيتٍ قلته؟ قال: الناس يقولون:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

وأنسب عندي منه قولي:

وقل أم عمرٍ داؤه وشفاؤه　　　لديها ورياها الشفاء من الخبل

وقد قيل: إن بعض هذه الأبيات للمتوكل الليثي.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عثمان - قال الحرمي: أحسبه ابن عبد الرحمن المخزومي - قال حدثنا إبراهيم بن أبي عبد الله قال: قيل لمحرز بن جعفر: أنت صاحب شعرٍ، ونراك تلزم الأنصار، وليس هناك منه شيء؛ قال: بلى والله، إن هناك للشعر عين الشعر، وكيف لا يكون الشعر هناك وصاحبهم الأحوص الذي يقول:

يقولون لو ماتت لقد غاض حبه　　　وذلك حين الفاجعات وحيني

لعمرك إني إن تحم وفاتها　　　بصحبة من يبقى لغير ضنين

وهو الذي يقول:

وإني لمكرامٌ لسادات مالكٍ　　　وإني لنوكى مالكٍ لسبوب

وإني على الحلم الذي من سجيتي　　　لحمال أضغانٍ لهن طلوب

ما قاله الأحوص في مرض موته

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني عمي مصعبٌ قال حدثني يحيى بن الزبير بن عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير، قال الزبير وحدثني علي بن صالح عن عامر بن صالح: أن الأحوص قال في مرضه الذي مات فيه - وقال عامر بن صالح: حين هرب من عبد الواحد النصري إلى البصرة -:

يا بشر يا رب محزونٍ بمصرعنا　　　وشامتٍ هذلٍ ما مسه الحزن

وما شمات امرئٍ إن مات صاحبه　　　وقد يرى أنه بالموت مرتهن

يا بشر هبي فإن النوم أرقه　　　نأيٌ مشتٌ وأرضٌ غيرها الوطن

ذكر الدلال

وقصته حين خصي ومن خصي معه والسبب في ذلك وسائر أخباره

اسمه وكنيته وولاؤه

الدلال اسم ناقد، وكنيته أبو زيد، وهو مدني مولى بني فهم.

وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبة قال: قال إسحاق: لم يكن من المخنثين أحسن وجهاً ولا أنظف ثوباً ولا أظرف من الدلال. قال: وهو أحد من خصاه ابن حزمٍ. فلما فعل ذلك به قال: الآن تم الخنث.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبد الله مصعب الزبيري قال: الدلال مولى عائشة بنت سعيد بن العاص.

كان ظريفاً صاحب نوادر

وكان يغني غناء كثير العمل:

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبد الله مصعب الزبيري قال: كان الدلال من أهل المدينة، و لم يكن أهلها يعدون في الظرفاء وأصحاب النوادر من المخنثين بها إلا ثلاثةً: طويسٌ، الدلال، وهنبٌ؛ فكان هنبٌ أقدمهم، والدلال أصغرهم. و لم يكن بعد طويسٍ أظرف من الدلال ولا أكثر ملحاً.
قال إسحاق: وحدثني هشام بن المرية عن جرير، وكانا نديمين مدنيين، قال: ما ذكرت الدلال قط إلا ضحكت لكثرة نوادره. قال: وكان نزر الحديث، فإذا تكلم أضحك الثكلى، و، وكان ضاحك السن، وصنعته نزرةٌ جيدة، و لم يكن يغني إلا غناءٌ مضعفاً، يعني كثير العمل.

كان أهل المدينة يفخرون به

قال إسحاق: وحدثني أيوب بن عباية قال: شهدت أهل المدينة إذا ذكروا الدلال وأحاديثه، طولوا رقابهم وفخروا به؛ فعلمت أن ذلك لفضيلةٍ كانت فيه.

كان يلازم النساء

قال وحدثني ابن جامع عن يونس قال: كان الدلال مبتلىً بالنساء والكون معهن، وكان يطلب فلا يقدر عليه، وكان بديع الغناء صحيحه حسن الجرم.

سبب لقبه، وتوسطه بين الرجال والنساء

قال إسحاق وحدثني الزبيري قال: إنما لقب بالدلال لشكله وحسن دله وظرفه وحلاوة منطقه وحسن وجهه وإشارته. وكان مشغوفاً بمخالطة النساء ووصفهن للرجال. وكان من أراد خطبة امرأةٍ سأله عنها وعن غيرها، فلا يزال يصف له النساء واحدةً فواحدةً حتى ينتهي إلى وصف ما يعجبه؛ ثم يتوسط بينه وبين من يعجبه منهن حتى يتزوجها؛ فكان يشاغل كل من جالسه عن الغناء بتلك الأحاديث كراهةً منه للغناء.
قال إسحاق وحدثني مصعب الزبيري قال:
أنا أعلم خلق الله بالسبب الذي من أجله خصي الدلال؛ وذلك أنه كان القادم يقدم المدينة، فيسأل عن المرأة يتزوجها فيدل على الدلال؛ فإذا جاءه قال له: صف لي من تعرف من النساء للتزويج؛ فلا يزال يصف له واحدةً

بعد واحدة حتى ينتهي إلى ما يوافق هواه؛ فيقول: كيف لي بهذه؟ فيقول: مهرها كذا وكذا؛ فإذا رضي بذلك أتاها الدلال، فقال لها: إني قد أصبت لك رجلاً من حاله وقصته وهيئته ويساره ولا عهد له بالنساء، وإنما قدم بلدنا آنفاً؛ فلا يزال بذلك يشوقها ويحركها حتى تطيعه؛ فيأتي الرجل فيعلمه أنه قد أحكم له ما أراد. فإذا سوي الأمر وتزوجته المرأة، قال لها: قد آن لهذا الرجل أن يدخل بك، والليلة موعده، وأنت مغتلمةٌ شبقة جامة؛ فساعة يدخل عليك قد دفقت عليه مثل سيل العرم، فيقذرك ولا يعاودك، وتكونين من أشأم النساء على نفسك وغيرك، فتقول: فكيف أصنع؟ فيقول: أنت أعلم بدواء حرك ودائه ما يسكن غلمتك. فتقول: أنت أعرف. فيقول: ما أجد له شيئاً أشفى من النيك. فيقول لها: إن لم تخافي الفضيحة فابعثي إلى بعض الزنوج حتى يقضي بعض وطرك ويكف عادية حرك؛ فتقول له: ويلك! ولا كل هذا! فلا تزال المحاورة بينهما حتى يقول لها: فكما جاء علي أقوم، فأخففك وأنا والله إلى التخفيف أحوج. فتفرح المرأة فتقول: هذا أمرٌ مستور، فينيكها؛ حتى إذا قضى لذته منها، قال لها: أما أنت فقد استرحت وأمنت العيب، وبقيت أنا. ثم يجيء إلى الزوج فيقول له: قد واعدتها أن تدخل عليك الليلة، وأنت رجلٌ عزبٌ، ونساء المدينة خاصةً يردن المطاولة في الجماع، وكأني بك كما تدخله عليها تفرغ وتقوم، فتبغضك وتمقتك ولا تعاودك بعدها ولو أعطيتها الدنيا، ولا تنظر في وجهك بعدها. فلا يزال في مثل هذا القول حتى يعلم أنه قد هاجت شهوته؛ فيقول له: كيف أعمل؟ قال: تطلب زنجيةً فتنكيها مرتين أو ثلاثاً حتى تسكن غلمتك؛ فإذا دخلت الليلة إلى أهلك لم تجد أمرك إلا جميلاً. فيقول له ذاك: أعوذ بالله من هذه الحال، أزناً وزنجية! لا والله لا أفعل! فإذا أكثر محاورته قال له: فكما جاء علي قم فنكني أنا حتى تسكن غلمتك وشبقك؛ فيفرح فينيكه مرةً أو مرتين. فيقول له: قد استوى أمرك الآن وطابت نفسك، وتدخل على زوجتك فتنيكها نيكاً يملؤها سروراً ولذة. فينيك المرأة قبل زوجها، وينيكه الرجل قبل امرأته. فكان ذلك دأبه، إلى أن بلغ خبره سليمان بن عبد الملك، وكان غيوراً شديد الغيرة، فكتب أن يحصى هو وسائر المخنثين بالمدينة ومكة، وقال: إن هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويفسدونهن. فورد الكتاب على ابن حزم فخصاهم. هذه رواية إسحاق عن الزبيري. والسبب في هذا أيضاً مختلفٌ فيه، وليس كل الرواة يروون ذلك كما رواه مصعب.

رواية أخرى في سبب خصي المخنثين فمما روي من أمرهم ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري - وهذا خبر أصح ما روي في ذلك إسناداً - قال أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة عن معن بن عيسى، هكذا رواه الجوهري، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال: قال ابن جناح معن بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه وعن محمد بن معن الغفاري قالا:

كان سبب ما خصي له المخنثون بالمدينة أن سليمان بن عبد الملك كان في نادية له يسمر ليلةً على ظهر سطح، فتفرق عنه جلساؤه، فدعا بوضوء فجاءت به جاريةٌ له. فبينا هي تصب عليه إذ أومأ بيده وأشار بها مرتين أو ثلاثاً، فلم تصب عليه؛ فأنكر ذلك فرفع رأسه، فإذا هي مصغية بسمعها إلى ناحية المعسكر، وإذا صوت رجل

يغني، فأنصت له حتى سمع جميع ما تغنى به. فلما أصبح أذن الناس، ثم أجرى ذكر الغناء فلين فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيه ويريده، فأفاضوا فيه بالتسهيل وذكر من كان يسمعه. فقال سليمان: فهل بقي أحد يسمع منه الغناء؟ فقال رجل من القوم: عندي يا أمير المؤمنين رجلان من أهل أيلة مجيدان محكمان. قال: وأين مترلك؟ فأومأ إلى الناحية التي كان الغناء منها. قال: فابعث إليهما، ففعل. فوجد الرسول أحدهما، فأدخله على سليمان؛ فقال: ما اسمك؟ قال: سمير، فسأله عن الغناء، فاعترف به. فقال: متى عهدك به؟ قال: الليلة الماضية. قال: وأين كنت. فأشار إلى الناحية التي سمع سليمان الغناء منها. قال: فما غنيت به؟ فخبره الشعر الذي سمعه سليمان. فأقبل على القوم فقال: هدر الجمل فضبعت الناقة، ونب التيس فشكرت الشاة، وهدر الحمام فزافت الحمامة، وغنى الرجل فطربت المرأة، ثم أمر به فخصي. وسأل عن الغناء أين أصله؟ فقيل: بالمدينة في المخنثين، وهم أئمته والحذاق فيه. فكتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، وكان عامله عليها، أن أخص من قبلك من المخنثين المغنين - فزعم موسى بن جعفر بن أبي كثير قال أخبرني بعض الكتاب قال: قرأت كتاب سليمان في الديوان، فرأيت على الخاء نقطةً كتمرة العجوة. قال: ومن لا يعلم يقول: أنه صحف القارئ، وكانت أحص - قال: فتبعتهم ابن حزم فخصى منهم تسعةً؛ فمنهم الدلال وطريف، وحبيب نومة الضحى. وقال بعضهم حين خصي: سلم الخاتن والمختون. وهذا كلام يقوله الصبي إذا ختن.

قال: فزعم ابن أبي ثابت الأعرج قال أخبرني حماد بن نشيط الحسني قال: أقبلنا من مكة ومعنا بدراقس وهو الذي ختنهم، وكان غلامه قد أعانه على خصائهم، فترلنا على حبيب نومة الضحى، فاحتفل لنا وأكرمنا. فقال له ثابت: من أنت؟ قال: يا ابن أخي أتجهلني وأنت وليت ختاني! أو قال: وأنت ختنتني. قال: واسوأتاه! وأيهم أنت؟ قال أنا حبيب. قال ثابت: فاجتنبت طعامه وخفت أن يسمني. قال: وجعلت لحية الدلال بعد سنة أو سنتين تتناثر. وأما ابن الكلبي فإنه ذكر عن أبي مسكين ولقيطٍ أن أيمن كتب بإحصاء من في المدينة من المخنثين ليعرفهم، فيوفد عليه من يختاره للوفادة؛ فظن الوالي أنه يريد الخصاء، فخصاهم.

أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني محمد بن سلام قال حدثني ابن جعدبة، ونسخت أنا من كتاب أحمد بن الحارث الخراز عن المديني عن ابن جعدبة واللفظ له: أن الذي هاج سليمان بن عبد الملك على ما صنعه بمن كان بالمدينة من المخنثين، أنه كان مستلقياً على فراشه في الليل، وجاريةٌ له إلى جانبه، وعليها غلالةٌ ورداءٌ معصفران، وعليها وشاحان من ذهب، وفي عنقها فصلان من لؤلؤ وزبرجد وياقوت، وكان سليمان بها مشغوفاً، وفي عسكره رجلٌ يقال له سمير الأيلي يغني، فلم يفكر سليمان في غنائه شغلاً بها وإقبالاً عليها، وهي لاهيةٌ عنه لا تجيبه مصغيةٌ إلى الرجل، حتى طال ذلك عليه، فحول سليمان وجهه عنها مغضباً، ثم عاد إلى ما كان مشغولاً عن فهمه بها، فسمع سميراً يغني بأحسن صوت وأطيب نغنة:

صوت

محجوبة سمعت صوتي فأرقها من آخر الليل حتى شفها السهر

تدني على جيدها ثنتي معصفرةٍ والحلي منها على لباتها خصر

في ليلة النصف ما يدري مضاجعها أوجهها عنده أبهى أم القمر

- ويروى:

أوجهها ما يرى أم وجهها القمر

لو خليت لمشت نحوي على قدمٍ تكاد من رقةٍ للمشي تنفطر

-الغناء لسمير الأيلي رملٌ بالبنصر عن حبشٍ. وأخبرني ذكاء وجه الرزة أنه سمع فيه لحناً للدلال من الثقيل الأول - فلم يشكك سليمان أن الذي بها مما سمعت، وأنها تهوى سميراً؛ فوجه من وقته من أحضره وحبسه، ودعا لها بسيف ونطع، وقال: والله لتصدقني أو لأضربن عنقك! قالت: سلني عما تريد. قال: أخبريني عما بينك وبين هذا الرجل. قالت: والله ما أعرفه ولا رأيته قط، وأنا جاريةٌ منشئي الحجاز، ومن هناك حملت إليك، ووالله ما أعرف بهذه البلاد أحداَ سواك. فرق لها، وأحضر الرجل فسأله، وتلطف له في المسألة، فلم يجد بينه وبينها سبيلاً، و لم تطب نفسه بتخليته سوياً فخصاه؛ وكتب في المخنثين بمثل ذلك. هذه الرواية الصحيحة.

أسف ابن أبي عتيق لخصاء الدلال

وقد أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال: قيل للوليد بن عبد الملك: إن نساء قريش يدخل عليهن المخنثون بالمدينة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يدخل عليكن هؤلاء ". فكتب إلى ابن حزم الأنصاري أن اخصهم، فخصاهم. فمر ابن أبي عتيق فقال: أخصيتم الدلال! أما والله لقد كان يحسن:

لمن ربعٌ بذات الجي ش أمسى دارساً خلقا

تأبد بعد ساكنه فأصبح أهله فرقا

وقفت به أسائله ومرت عيسهم حزقا

ثم ذهب ثم رجع، فقال: إنما أعني خفيفه، لست أعني ثقيله.

أسف الماجشون لذلك

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الواقدي عن ابن الماجشون: أن خليفة صاحب الشرطة لما خصي المخنثون مر بأبيه الماجشون وهو في حلقته؛ فصاح به: تعال فجاءه؛ فقال: أخصيتم الدلال! قال نعم. قال: أما والله إنه كان يجيد:

لمن ربعٌ بذات الجي ش أمسى دارساً خلقا

ثم مضى غير بعيد فرده، ثم قال: أستغفر الله! إنما أعني هزجه لا ثقيله.

أضحك الناس في الصلاة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني حمزة النوفلي قال: صلى الدلال المخنث إلى جانبي في المسجد، فضرط ضرطةً هائلةً سمعها من في المسجد، فرفعنا رؤوسنا وهو ساجد، وهو يقول في سجوده رافعاً بذلك صوته: سبح لك أعلاي وأسفلي؛ فلم يبق في المسجد أحدٌ إلا فتن وقطع صلاته بالضحك.

طرب شيخ في مجلس ابن جعفر

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن المدائني عن أشياخه: أن عبد الله بن جعفر قال لصديق له: لو غنتك جارية فلانة:

لمن ربعٌ بذات الجي ش أمسى دارساً خلقا

لما أدركت دكانك. فقال: جعلت فداك، قد وجبت جنوبها " فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ". فقال عبد الله: يا غلام، مر فلانة أن تخرج؛ فخرجت معها عودها. فقال عبد الله: إن هذا الشيخ يكره السماع. فقال: ويحه! لو كره الطعام والشراب كان أقرب له إلى الصواب! فقال الشيخ: فكيف ذاك وهما الحياة؟ فقالت: إنهما ربما قتلا وهذا لا يقتل. فقال عبد الله غني:

لمن ربعٌ بذات الجي ش أمسى دارساً خلقا

فغنت؛ فجعل الشيخ يصفق ويرقص ويقول:

هذا أوان الشد فاشتدي زيم

ويحرك رأسه ويدور حتى وقع مغشياً عليه، وعبد الله بن جعفر يضحك منه.

غنى الدلال الغمر بن يزيد فطرب

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال: مر الغمر بن يزيد بن عبد الملك حاجاً، فغناه الدلال:

بانت سعاد وأمسى حبلها انصرما ... واحتلت الغمر فالأجراع من إضما

فقال له الغمر: أحسنت والله، وغلبت فيه ابن سريج! فقال له الدلال: نعمة الله علي فيه أعظم من ذلك. قال: وما هي؟ قال: السمعة، ولا يسمعه أحدٌ إلا علم أنه غناء مخنثٍ حقاً.

نسبة هذا الصوت:

صوت

بانت سعاد وأمسى حبلها انصرما ... واحتلت الغمر فالأجراع من إضما

إحدى بلي وما هام الفؤاد بها ... إلا السفاه وإلا ذكرةً حلما

هلا سألت بني ذبيان ما حسبي ... إذا الدخان تغشى الأشمط البرما

الشعر للنابغة الذبياني. والغناء للدلال خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى عن الهشامي. وفيه خفيف ثقيلٍ بالبنصر لمعبد عن عمرو بن بانة. وفيه لابن سريج ثقيلٌ أول بالبنصر عن حبش. وفيه لنشيطٍ ثاني ثقيلٍ بالبنصر عنه. وذكر الهشامي أن لحن معبدٍ ثقيلٌ أول، وذكر حماد أنه للغريض. وفيه لجميلة ودحمان لحنان، ويقال: إنهما جميعاً من الثقيل الأول.

احتكم إليه شيعي ومرجئ

أخبرني الحسين بن يحيى قال أخبرنا حماد بن إسحاق إجازةً عن أبيه عن المدائني قال: اختصم شيعيٌ ومرجئ، فجعلا بينهما أول من يطلع، فطلع الدلال. فقالا له: أبا زيد، أيهما خيرٌ الشيعي أم المرجئ؟ فقال: لا أدري إلا أن أعلاي الشيعي وأسفلي مرجئ!

هربه من االمدينة إلى مكة

قال إسحاق قال المدئني وأخبرني أبو مسكينٍ عن فليح بن سليمان قال: كان الدلال ملازماً لأم سعيد الأسلمية وبنتٍ ليحيى بن الحكم بن أبي العاصي، وكانتا من أمجن النساء، كانتا تخرجان فتركبان الفرسين فتستبقان عليهما حتى تبدو خلا خيلهما. فقال معاوية لمروان بن الحكم: اكفني بنت أخيك؛ فقال: أفعل. فاستزارها، وأمر ببئر فحفرت في طريقها، وغطيت بحصيرٍ، فلما مشت عليه سقطت في البئر فكانت قبرها. وطلب الدلال فهرب إلى مكة. فقال له نساء أهل مكة: قتلت نساء أهل المدينة وجئت لتقتلنا! فقال: والله ما قتلهن إلا الحكاك. فقلن: اعزب أخزاك الله، ولا أدنى بك درا، ولا آذانا بك! قال: فمن لكن بعدي يدل على دائكن ويعلم موضع شفائكن؟ والله ما زنيت قط ولا زني بي، وإني لأشتهي ما تشتهي نساؤكم ورجالكم.

كان الماجشون يستحسن غناءه

قال إسحاق وحدثني الواقدي عن ابن الماجشون قال: كان أبي يعجبه الدلال ويستحسن غناءه ويدنيه ويقربه، و لم أره أنا، فسمعت أبي يقول: غناني الدلال يوماً بشعر مجنون بني عامر، فلقد خفت الفتنة على نفسي. فقلت: يا أبت، وأي شعر تعنى؟ قال قوله.

صوت

عسى الله أن يجري المودة بيننا ويوصل حبلاً منكم بحباليا
فكم من خليلي جفوةٍ قد تقاطعا على الدهر لما أن أطالا التلاقيا
وإني لفي كربٍ وأنت خليةٌ لقد فارقت في الوصف حالك حاليا
عتبت فما أعتبتني بمودةٍ ورمت فما أسعفتني بسؤاليا

الغناء في هذا الشعر للغريض ثقيلٌ أول بالوسطى، ولا أعرف فيه لحناً غيره. وذكر حماد في أخبار الدلال أنه للدلال، و لم يجنسه.

خبره مع مخة المخنث

قال إسحاق وحدثني الواقدي عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي قال: قدم مخنث من مكة يقال له مخة، فجاء إلى الدلال فقال: يا أبا زيد، دلني على بعض مخنثي أهل المدينة أكايده وأمازحه ثم أجاذبه. قال: قد وجدته لك - وكان خثيم بن عراك بن مالكٍ صاحب شرطة زياد بن عبيد الله الحارثي جاره، وقد خرج في ذلك الوقت ليصلي في المسجد - فأومأ إلى خثيم فقال: الحقه في المسجد؛ فإنه يقوم فيه فيصلي ليرائي الناس، فإنك ستظفر بما تريد منه. فدخل المسجد وجلس إلى جنب ابن عراك، فقال: عجلي بصلاتك لا صلى الله عليك! فقال خثيم: سبحان الله! فقال المخنث: سبحت في جامعةٍ قراصةٍ، انصرفي حتى أتحدث معك. فانصرف خثيمٌ من صلاته، ودعا بالشرط والسياط فقال: خذوه فأخذوه، فضربه مائةً وحبسه.

أضحاكه الناس في الصلاة

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال: صلى الدلال يوماً خلف الإمام بمكة، فقرأ: " وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون "؛ فقال الدلال: لا أدري والله! فضحك أكثر الناس وقطعوا الصلاة. فلما قضى الوالي صلاته دعا به وقال له: ويلك! ألا تدع هذا المجون والسفه! فقال له: قد كان عندي أنك تعبد الله، فلما سمعتك تستفهم،

ظننت أنك قد تشككت في ربك فثبتك. فقال له: أنا شككت في ربي وأنت ثبتني! اذهب لعنك الله! ولا تعاود فأبالغ والله في عقوبتك!

أخبار متفرقة

قال إسحاق وحدثني الواقدي عن عثمان بن إبراهيم قال:

سأل رجلٌ الدلال أن يزوجه امرأةً فزوجه. فلما أعطاها صداقها وجاء بها إليه فدخلت عليه، قام إليها فواقعها، فضرطت قبل أن يطأها، فكسل عنها الرجل ومقتها وأمر بها فأخرجت؛ وبعث إلى الدلال، فعرفه ما جرى عليه. فقال له الدلال: فديتك! هذا كله من عزة نفسها. قال: دعني منك؛ فإني قد أبغضتها، فاردد علي دراهمي، فرد بعضها. فقال له: لم رددت بعضها وقد خرجت كما دخلت؟ قال: للروعة التي أدخلتها على استها. فضحك وقال له: اذهب فأنت أقضى الناس وأفقههم.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني محمدو بن سلام عن أبيه قال، و أخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام عن أبيه قال: أن الدلال خرج يوماً مع فتيةٍ من قريش في نزهةٍ لهم، وكان معهم غلام جميل الوجه، فأعجبه؛ وعلم القوم بذلك، فقالوا: قد ظفرنا به بقية يومنا، وكان لا يصبر في مجلس حتى ينقضي، وينصرف عنه استثقالاً لمحادثة الرجال ومحبةً في محادثة النساء. فغمزوا الغلام عليه؛ وفطن لذلك فغضب، وقال لينصرف؛ فأقسم الغلام عليه والقوم جميعاً فجلس. وكان معهم شرابٌ فشربوا، وسقوه وحملوا عليه لئلا يبرح، ثم سألوه أن يغنيهم فغناهم:

صوت

زبيريةٌ بالعرج منها منازلٌ وبالخيف من أدنى منازلها رسم
أسائل عنها كل ركبٍ لقيته وما لي بها من بعد مكتنا علم
أيا صاحب الخيمات من بطن أرثد إلى النخل من ودان ما فعلت نعم
فإن تك حربٌ بين قومي وقومها فإني لها في كل نائرةٍ سلم

ذكر يحيى المكي وعمرو بن بانة أن الغناء في هذا الشعر لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى، وذكر غيرهما أنه للدلال. وفيه لمخارق رملٌ. وذكر إسحاق هذا اللحن في طريقة الثقيل الثاني و لم ينسبه إلى أحد -قال: فاستطير القوم فرحاً وسروراً وعلا نعيرهم؛ فنذر بهم السلطان، وتعادت الأشراط، فأحسوا بالطلب فهربوا؛ وبقي الغلام والدلال ما يطيقان براحاً من السكر؛ فأخذا فأتي بهم أمير المدينة. فقال للدلال: يا فاسق! فقال له: من فمك إلى السماء. قال: جئوا فكه؛ قال: وعنقه أيضاً. قال: يا عدو الله! أما وسعك بيتك حتى خرجت بهذا الغلام إلى الصحراء تفسق به! فقال: لو علمت أنك تغار علينا وتشتهي أن نفسق سراً ما خرجت من بيتي. قال: جردوه وأضربوه

حداً. قال: وما ينفعك من ذلك! وأنا والله أضرب في كل يوم حدوداً. قال: ومن يتولى ذلك منك؟ قال: أيور المسلمين. قال: ابطحوه على وجهه واجلسوا على ظهره. قال: أحسب الأمير قد اشتهى أن يرى كيف أناك. قال: أقيموه لعنه الله واشهروه في المدينة مع الغلام. فأخرجا يدار بهما في السكك. فقيل له: ما هذا يا دلال؟ قال: اشتهى الأمير أن يجمع بين الرأسين، فجمع بيني وبين هذا الغلام ونادى علينا، ولو قيل له الآن: إنك قواد غضب! فبلغ قوله الوالي فقال: خلو سبيلهما، لعنة الله عليهما! قال إسحاق في خبره خاصة -ولم يذكره أبو أيوب- فحدثني أبي عن ابن جامع عن سياطٍ قال: سمعت يونس يقول قال لي معبدٌ: ما ذكرت غناء الدلال في هذا الشعر:

زبيرية بالعرج منها منازلٌ

إلا جدد لي السرور، ولوددت أني كنت سبقته إليه لحسنه عندي. قال يونس: ما بلغ من حسنه عندك؟ قال: يكفيك أني لم أسمع أحسن منه قط.

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان قال: كان بالمدينة عرس، فاتفق فيه الدلال وطويس والوليد المخنث، فدخل عبد الرحمن بن حسان، فلما رآهم قال: ما كنت لأجلس في مجلس فيه هؤلاء. فقال له طويس: قد علمت يا عبد الرحمن نكايتي فيك وأن جرحي إياك لم يندمل - يعني خبره معه بحضرة عبد الله بن جعفر، وذكره لعمته الفارعة - فاربح نفسك وأقبل على شأنك؛ فإنه لا قيام لك بمن يفهمك فهمي. وقال له الدلال: يا أخا الأنصار! إن أبا عبد النعيم أعلم بك مني، وسأعلمك بعض ما أعلم به. ثم اندفع ونقر بالدف، وكله ينقر بدفه معه، فتغنى:

صوت

اتهجر يا إنسان من أنت عاشقة — ومن أنت مشتاقٌ إليه وشائقه
وريمٍ أحم المقلتين موشحٍ — زرابيه مبثوثةٌ ونمارقه
ترى الرقم والديباج في بيته معاً — كما زين الروض الأنيق حدائقه

وسرب ظباء ترتعي جانب الحمى — إلى الجو فالخبتين بيض عقائقه
وما من حمىً في الناس إلا لنا حمىً — وإلا لنا غربيه ومشارقه

فاستضحك عبد الرحمن وقال: اللهم غفراً، وجلس.

لحن الدلال في هذه الأبيات هزجٌ بالبنصر عن يحيى المكي وحماد.

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبد الله الجمحي عن محمد بن عثمان عن عبد الرحمن بن

الحارث بن هشام قال: سمعت عمي عتبة يقول حدثني مولى للوليد بن عبد الملك قال: كان الدلال ظريفاً جميلاً حسن البيان، من أحضر الناس جواباً وأحجهم؛ وكان سليمان بن عبد الملك قد رق له حين خصي غلطاً، فوجه إليه مولىً له وقال له: جئني به سراً، وكانت تبلغه نوادره وطيبه، وحذر سوله أن يعلم بذلك أحدٌ. فنفذ المولى إليه وأعلمه ما أمره به، وأمره بالكتمان وحذره أن يقف على مقصده أحد، ففعل. وخرج به إلى الشام، فلما قدم أنزله المولى مترله المولى مترله وأعلم سليمان بمكانه؛ فدعا به ليلاً فقال: ويلك ما خبرك؟ فقال: جببت من القبل مرةً أخرى يا أمير المؤمنين، فخل تريد أن تجبني المرة من الدبر؟! فضحك وقال: اعزب أخزاك الله! ثم قال له: غنِّ. فقال: لا أحسن إلا بالدف. فأمر فأتي له بدف؛ فغنى في شعر العرجي:

أفي رسم دارٍ دمعك المنحدر سفاهاً وما استنطاق ما ليس يخبر
تغير ذاك الربع من بعد جدةٍ وكل جديدٍ مرةً متغير
لأسماء إذ قلبي بأسماء مغرمٌ وما ذكر أسماء الجميلة مهجر
وممشى ثلاثٍ بعد هدءٍ كواعب كمثل الدمى بل هن من ذاك أنضر
فسلمن تسليماً خفياً وسقطت مصاعبةٌ ظلعٌ من السير حسر
لها أرجٌ من زاهر البقل والثرى وبردٌ إذا ما باشر الجلد يخصر
فقالت لتربيها الغداة تبقيا بعينٍ ولا تستبعدا حين أبصر
ولا تظهر برديكما وعليكما كساءان من خزٍ بنقشٍ وأخضر
فعدي فما هذا العتاب بنافعٍ هواي ولا مرجي الهوى حين يقصر

فقال له سليمان: حق لك يا دلال أن يقال لك الدلال! أحسنت وأجملت! فو الله ما أدري أي أمريك أعجب: أسرعة جوابك وجودة فهمك أم حسن غنائك، بل جميعاً عجب! وأمر له بصلة سنية. فأقام عنده شهراً يشرب على غنائه، ثم سرحه إلى الحجاز مكرماً.

قصته مع شامي من قواد هشام

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال: حج هشام بن عبد الملك، فلما قدم المدينة نزل رجلٌ من أشراف أهل الشأم وقوادهم بجنب دار الدلال، فكان الشامي يسمع غناء الدلال ويصغي إليه ويصعد فوق سطح ليقرب من الصوت؛ ثم بعث إلى الدلال: إما أن تزورنا وإما أن نزورك؛ فبعث إليه الدلال: بل تزورنا. فتهيأ الشامي ومضى إليه، وكان للشامي غلمانٌ روقةٌ، فمضى معه بغلامين منهم كأنهما درتان. فغناه الدلال:

قد كنت آمل فيكم أملاً والمرء ليس بمدركٍ أمله

حتى بدا لي منكم خلفٌ فزجرت قلبي عن هوىً جهله
ليس الفتى بمخلدٍ أبداً حقاً وليس بفائتٍ أجله
حي العمود ومن بعقوته وقفا العمود وإن جلا أهله

قال: فاستحسن الشامي غناءه، وقال له: زدني؛ فقال: أو ما يكفيك ما سمعت؟ قال: لا والله ما يكفيني. قال: فإن لي إليك حاجةً. قال: ما هي؟ قال: تبيعني أحد هذين الغلامين أو كليهما. قال: اختر أيهما شئت؛ فاختار أحدهما. فقال الشامي: هو لك؛ فقبله الدلال، ثم غناه:

دعتني دواعٍ من أريا فهيجت هوى كان قدماً من فؤاد طروب
لعل زماناً قد مضى أن يعود لي فتغفر أروى عند ذاك ذنوبي
سبتني أريا يوم نعف محسرٍ بوجهٍ جميلٍ للقلوب سلوب

فقال له الشامي: أحسنت! ثم قال له: أيها الرجل الجميل، إن لي إليك حاجة. قال: وما هي؟ قال: أريد وصيفةً ولدت في حجرٍ صالح، ونشأت في خير، جميلة الوجه مجدولة، وضيئةً، جعدةً، في بياض مشربة حمرةً، حسنة القامة، سبطةً، أسيلة الخد، عذبة اللسان، لها شكلٌ ودلٌ، تملأ العين والنفس. فقال له الدلال: قد أصبتها لك، فما لي عليك إن دللتك؟ قال: غلامي هذا. قال: إذا رأيتها وقبلتها فالغلام لي؟ قال نعم. فأتى امرأةً كنى عن اسمها، فقال لها: جعلت فداك! إنه نزل بقربي رجلٌ من أهل الشأم من قواد هشام له ظرفٌ وسخاء، وجاءني زائراً فأكرمته، ورأيت معه غلامين كأنهما الشمس الطالعة والقمر المنير والكواكب الزاهرة، ما وقعت عيني على مثلهما ولا ينطلق لساني بوصفهما، فوهب لي أحدهما والآخر عنده؛ وإن لم يصل إلي فنفسي خارجة. قالت: فتريد ماذا؟ قال: طلب مني وصيفةً يشتريها على صفةٍ لا أعلمها في أحد إلا في فلانة بنتك، فهل لك أن تريها له؟ قالت: وكيف لك بأن يدفع الغلام إليك إذا رآها؟ قال: فإني قد شرطت عليه ذلك عند النظر لا عند البيع. قالت: فشأنك ولا يعلم أحدٌ بذلك. فمضى الدلال فجاء الشامي معه. فلما صار إلى المرأة أدخلته، فإذا هو بحجلةٍ وفيها امرأةٌ على سرير مشرفٍ برزةٌ جميلةٌ، فوضع له كرسيٌ فجلس. فقالت له: أمن العرب أنت؟ قال نعم. قالت: من أيهم؟ قال: من خزاعة. قالت: مرحباً بك وأهلاً، أي شيء طلبت؟ فوصف الصفة؛ فقالت: أصبتها، وأصغت إلى جاريةٍ لها فدخلت فمكثت هنيهةً ثم خرجت؛ فنظرت إليها المرأة فقالت لها: أي حبيبتي، اخرجي؛ فخرجت وصيفةٌ ما رأى الراءون مثلها. فقالت لها: أقبلي فأقبلت، ثم قالت لها أدبري، فأدبرت تملأ العين والنفس؛ فما بقي منها شيء إلا وضع يده عليه. فقالت: أتحب أن نؤزرها لك؟ قال نعم. قالت: أي حبيبتي ائتزري، فضمها الإزار وظهرت محاسنها الخفية، وضرب بيده على عجيزتها وصدرها. ثم قالت أتحب أن نجردها لك؟ قال نعم. قالت: أي حبيبتي وضحي؛ فألقت إزارها فإذا أحسن خلق الله كأنها سبيكة. فقالت: يا أخا أهل

الشأم كيف رأيت؟ قال منية المتمني. قال: بكم تقولين؟ قالت: ليس يوم النظر يوم البيع، ولكن تعود غداً حتى نبايعك ولا تنصرف إلا على الرضا، فانصرف من عندها. فقال له الدلال: أرضيت؟ قال: نعم، ما كنت أحسب أن مثل هذه في الدنيا؛ فإن الصفة لتقصر دونها. ثم دفع إليه الغلام الثاني. فلما كان من الغد قال له الشامي: امض بنا، فمضيا حتى قرعا الباب؛ فأذن لهما، فدخلا وسلماً، ورحبت المرأة بهما، ثم قالت للشامي: أعطنا ما تبذل؛ قال: ما لها عندي ثمنٌ إلا وهي أكبر منه، فقولي يا أمة الله. قالت: بل قل؛ فإنا لم نوطئك أعقابنا ونحن نريد خلافك وأنت لها رضاً. قال: ثلاثة آلاف دينار. فقالت: والله لقبلةٌ من هذه خيرٌ من ثلاثة آلف دينار. قال: بأربعة آلاف دينار. قالت: غفر الله لك! أعطنا أيها الرجل. قال: والله ما معي غيرها - ولو كان لزدتك - إلا رقيقٌ ودواب وخرثيٌ أحمله إليك. قالت: ما أراك إلا صادقاً، أتدري من هذه؟ قال: تخبريني. قالت: هذه ابنتي فلانة بنت فلان، وأنا فلانة بنت فلان، وقد كنت أردت أن أعرض عليك وصيفةً عندي، فأحببت إذا رأيت غداً غلظ أهل الشأم وجفائهم، ذكرت ابنتي فعلمت أنكم في غير شيء، قم راشداً. فقال للدلال: خدعتني! قال: أو لا ترضى أن ترا ما رأيت من مثلها وتهب مائة غلامٍ مثل غلامك؟ قال: أما هذا فنعم. وخرجا من عندها.

نسبة ما عرفت نسبته من الغناء المذكور في هذا الخبر:

صوت

قد كنت آمل فيكم أملاً | والمرء ليس بمدرك أمله

حتى بدا لي منكم خلفٌ | فزجرت قلبي عن هوىً جهله

الشعر للمغيرة بن عمرو بم عثمان. والغناء للدلال، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها؛ وجدته في بعض كتب إسحاق بخط يده هكذا. وذكر علي بن يحيى المنجم إن هذا اللحن في هذه الطريقة لابن سريج، وأن لحن الدلال خفيف ثقيلٍ نشيد. وذكر أحمد بن المكي أن لحن الدلال ثاني ثقيلٍ بالوسطى، ولحن ابن سريج ثقيلٌ أول. وفيه لمتيم وعريب خفيفاً ثقيلٍ، المطلق المسجح منهما لعريب.

ومنها:

صوت

دعتني دواعٍ من أريا فهيجت | هوىً كان قدماً من فؤاد طروب

سبتني أريا يوم نعف مسحرٍ | بوجهٍ صبيح للقلوب سلوب

لعل زماناً قد مضى أن يعود لي | وتغفر أروى عند ذاك ذنوبي

الغناء للدلال خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى في مجراها من رواية حماد عن أبيه، وذكر يحيى المكي أنه لابن سريج.

غنى نائلة بنت عمار الكلبي فأجازته

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي قبيصة قال: جاء الدلال يوماً إلى مترل نائلة بنت عمار الكلبي، وكانت عند معاوية فطلقها، فقرع الباب فلم يفتح له؛ فغنى في شعر مجنون بني عامرٍ ونقر بدفه:

خليلي لا والله ما أملك البكا ... إذا علمٌ من أرض ليلى بدا ليا

خليلي إن بانوا بليلى فهيئا ... لي النعش والأكفان واستغفرا ليا

فخرج حشمها فزجروه وقالوا: تنح عن الباب. وسمعت الجلبة فقالت: ما هذه الضجة بالباب؟ فقالوا: الدلال. فقالت: ائذنوا له. فلما دخل عليها شق ثيابه وطرح التراب على رأسه وصاح بويله وحربه؛ فقالت له: الويل ويلك! ما دهاك؟ وما أمرك؟ قال: ضربني حشمك. قالت: و لم؟ قال غنيت صوتاً أريد أن أسمعك إياه لأدخل إليك؛ فقالت: أفٍ لهم وتف! نحن نبلغ لك ما تحب ونحسن تأديبهم. يا جارية هاتي ثيأبا مقطوعة. فلما طرحت عليه جلس. فقالت: ما حاجتك؟ قال: لا أسألك حاجةً حتى أغنيك. قالت: فذاك إليك؛ فاندفع يغني شعر جميل:

ارحميني فقد بليت فحسبي ... بعض ذا الداء يا بثينة حسبي

لا مني فيك يا بثينة صحبي ... لا تلوموا قد أقرح الحب قلبي

زعم الناس أن دائي طبي ... أنت والله يا بثينة طبي

ثم جلس فقال: هل الطعام؟ قالت: علي بالمائدة؛ فأتي بها كأنها كانت مهيأة عليها أنواع الأطعمة، فأكل، ثم قال: هل من شرابٍ؟ قالت: أما نبيذٌ فلا، ولكن غيره. فأتي بأنواع الأشربة، فشرب من جميعها. ثم قال: هل من فاكهة؟ فأتي بأنواع الفواكه فتفكه، ثم قال: حاجتي خمسة آلاف درهمٍ، وخمس حللٍ من حلل معاوية، وخمس حلل من حلل حبيب بن مسلمة، وخمس حلل من حلل النعمان بن بشير. فقالت: وما أردت بهذا؟ قال: هو ذاك، والله ما أرضى ببعضٍ دون بعضٍ، فإما الحاجة وإما الرد. فدعت له بما سأل، فقبضه وقام. فلما توسط الدار غنى ونقر بدفه:

ليت شعري أجفوةٌ أم دلالٌ ... أم عدوٌ أتى بثينة بعدي

فمريني أطعك في كل أمرٍ ... أنت والله أوجه الناس عندي

وكانت نائلة عند معاوية، فقال لفاختة بنت قرظة: اذهبي فانظري إليها، فذهبت فنظرت إليها، فقالت له: ما رأيت مثلها، ولكني رأيت تحت سرتها خالاً ليوضعن منه رأس زوجها في حجرها. فطلقها معاوية؛ فتزوجها بعده

رجلان: أحدهما حبيب بن مسلمة، والآخر النعمان بن بشير؛ فقتل احدهما فوضع رأسه في حجرها.
نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

خليلي لا والله ما أملك البكا إذا علمٌ من أرض ليلى بداليا
خليلي إن بانوا بليلى فهيئا لي النعش والكفان واستغفرا ليا
أمضروبة ليلى على أن أوزارها ومتخذ ذنباً لها أن ترانيا
خليلي لا والله ما أملك الذي قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلا بشيءٍ غير ليلى ابتلانيا

الشعر للمجنون. والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر الهشامي أن فيه لحناً لمعبد ثقيلاً أول لايشك فيه. قال: وقد قال قوم: إنه منحول يحيى المكي. وفيه لإبراهيم خفيف ثقيلٍ عن الهشامي أيضاً. وفيه ليحيى المكي رملٌ من رواية ابنه أحمد. وفيه خفيف رملٍ عن أحمد بن عبيد لا يعرف صانعه. ومنها:

صوت

ليت شعري أجفوةٌ أم دلالٌ ام عدوٌ أتى بثينة بعدي
فمريني أطعك في كل أمرٍ أنت والله أوجه الناس عندي

الشعر لجميل. والغناء لابن محرز خفيف ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لعلويه خفيف ثقيلٍ آخر. وذكر عمرو بن بانة أن فيه خفيف ثقيل بالوسطى لمعبد. وذكر إسحاق أن فيه رملاً بالبنصر في مجراها و لم ينسبه إلى أحد، وذكر الهشامي أنه لمالك. وفيه لمتيم خفيف رمل. وفيه لعريب ثقيل أول بالبنصر. وذكر حبش أن فيه للغريض ثقيلاً أول بالبنصر. ولمعبد فيه ثقيل أول بالوسطى. وذكر ابن المكي أن فيه خفيف ثقيلٍ لمالك وعلويه.

غنى في زفاف ابنة عبد الله بن جعفر

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني عن عوانة بن الحكم قال: لما أراد عبد الله بن جعفر إهداء بنته إلى الحجاج، كان ابن أبي عتيق عنده، فجاءه الدلال متعرضاً فاستأذن. فقال له ابن جعفر: لقد جئتنا يا دلال

في وقت حاجتنا إليك. قال: ذلك قصدت. فقال له ابن أبي عتيق: غننا؛ فقال ابن جعفر: ليس وقت ذلك، نحن في شغل عن هذا. فقال ابن أبي عتيق: ورب الكعبة ليغنين. فقال له ابن جعفر: هات. فغنى ونقر بالدف - والهوادج والرواحل قد هيئت، وصيرت بنت ابن جعفر فيها مع جواريها والمشيعين لها -:

يا صاح لو كنت عالماً خبراً　　بما يلاقي المحب لم تلمه

لا ذنب لي في مقرطٍ حسنٍ　　أعجبني دله ومبتسمه

شيمته البخل والبعاد لنا　　يا حبذا هو وحبذا شيمه

مضمخٌ بالعبير عارضه　　طوبى بمن شمه ومن لثمه

- قال: ولابن محرز في هذا الشعر لحنٌ أجود من لحن الدلال - فطرب ابن جعفر وابن أبي عتيق. وقال له ابن جعفر: زدني وطرب. فأعاد اللحن ثلاثاً ثم غنى:

بكر العواذل في الصبا　　ح يلمنني وألومهنه

ويقلن شيبٌ قد علا　　ك وقد كبرت فقلت إنه

ومضت بنت الجعفر، فاتبعها بهذا الشعر - ولعبد آل الهذلي فيه لحن وهو أحسنها -:

إن الخليط أجد فاحتملا　　وأراد غيظك بالذي فعلا

فوقفت انظر بعض شأنهم　　والنفس مما تأمل الأملا

وإذا البغال تشد صافنةً　　وإذا الحداة قد أزمعوا الرحلا

فهناك كاد الشوق يقتلني　　لو أن شوقاً قبله قتلا

فدمعت عينا عبد الله بن جعفر، وقال الدلال: حسبك! فقد أوجعت قلبي! وقال لهم: تمضوا في حفظ الله على خير طائر وأيمن نقيبة.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

بكر العواذل في الصبا　　ح يلمنني وألومهنه

ويقلن شيبٌ قد علا　　ك وقد كبرت فقلت إنه

لا بد من شيبٍ فدع　　ن ولا تطلن ملامكنه

يمشين كالبقر الثقا　　ل عمدن نحو مراحهنه

يحفين في الممشى القري　　ب إذا يردن صديقهنه

الشعر لابن قيس الرقيات. والغناء لابن مسجح خفيف ثقيلٍ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه ثقيلٌ أول للغريض عن الهشامي. وفيه خفيف ثقيلٍ آخر بالوسطى ليعقوب بن هبار عن الهشامي ودنانير، وذكر حبشٌ أنه ليعقوب.

ومنها:

صوت

إن الخليط أجد فاحتملا وأراد غيظك بالذي فعلا

الأبيات الأربعة.

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء للغريض ثقيلٌ أول بالسبابة عن يحيى المكي. وفيه ليحيى أيضاً ثقيلٌ أول بالوسطى من رواية أحمد ابنه، وذكر حبشٌ أن هذا اللحن لبسباسة بنت معبدٍ.

سأله ابن أبي ربيعة الغناء في شعر له

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفصٍ الثقفي قال: كان للدلال صوتٌ يغني به ويجيده، وكان عمر بن أبي ربيعة سأله الغناء فيه وأعطاه مائة دينار ففعل، وهو قول عمر:

صوت

ألم تسأل الأطلال والمتربعا ببطن حلياتٍ دوارس بلقعا

إلى السرح من وادي المغمس بدلت معالمه وبلاً ونكباء زعزعا

وقربن أسباب الهوى لمتيمٍ يقيس ذراعاً كلما قسن إصبعا

فقلت لمطربهن في الحسن إنما ضررت فهل تسطيع نفعاً فتنفعا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء للغريض فيه لحنان: أحدهما في الأول والثاني من الأبيات ثقيلٌ أول بالبنصر عن عمرو، والآخر في الثالث والرابع ثاني ثقيلٍ بالبنصر. وفي هذين البيتين الآخرين لابن سريج ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفي الأول والثاني للهذلي خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى عن عمرو. وفيهما لابن جامع رملٌ بالوسطى عنه أيضاً. وقال يونس: لمالكٍ فيه لحنان، ولمعبد لحنٌ واحد.

روى هشام بن المرية عن جرير صوتين له

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال حدثني هشام بن المرية قال: كنا نعرف للدلال صوتين عجيبين، وكان جريرٌ يغني بهما فأعجب من حسنهما. فأخذتهما عنه وأنا أغني بهما. فأما أحدهما فإنه يفرح القلب. والآخر يرقص كل من سمعه. فأما الذي يفرح القلب فلابن سريج فيه أيضاً لحنٌ حسنٌ وهو:

ولقد جرى لك يوم سرحة مالكٍ مما تعيف سانحٌ ويريح
أحوى القوادم بالبياض ملمعٌ قلق المواقع بالفراق يصيح
الحب أبغضه إلي أقله صرح بالذاك فراحتي التصريح
بانت عويمة فالفؤاد قريح ودموع عينك في الرداء سفوح

والآخر:

كلما أبصرت وجهاً حسناً قلت خليلي
فإذا ما لم يكنه صحت ويلي وعويلي
فصلي حبل محبٍ لكم جد وصول
وانظري لا تخذليه إنه غير خذول

نسبة هذين الصوتين للدلال في الشعر الأول الذي أوله:

ولقد جرى لك يوم سرحة مالكٍ

خفيف ثقيلٍ بالوسطى. وفيه لابن سريج ثقيلٌ أول عن الهشامي. وقال حبشٌ: إن للدلال فيه لحنين: خفيف ثقيل أول وخفيف رملٍ. وأول خفيف الرمل:

بانت عويمة فالفؤاد قريح

وذكر أن لحن ابن سريج ثاني ثقيلٍ، وأن لابن مسجح فيه أيضاً خفيف ثقيلٍ.
والصوت الثاني الذي أوله:

كلما أبصرت وجهاً حسناً قلت خليلي

الغناء فيه لعطرد خفيفٌ ثقيلٍ بالوسطى عن حبش، ويقال إنه للدلال. وفيه ليونس خفيف رملٍ، وفيه لإبراهيم الموصلي خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر عن عمرو.

شرب النبيذ وكان لا يشربه فسكر حتى خلع ثيابه:

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال: كان الدلال لا يشرب النبيذ، فخرج مع قومٍ إلى متزهٍ لهم ومعهم نبيذٌ، فشربوا و لم يشرب منه، وسقوه عسلاً مجدوحاً، وكان كلما تغافل صيروا في شرابه النبيذ فلا ينكره، وكثر ذلك حتى سكر وطرب، وقال: اسقوني من شرابكم، فسقوه حتى ثمل، وغناهم في شعر الأحوص:

طاف الخيال وطاف الهم فاعتكرا — عند الفراش فبات الهم محتضرا

أراقب النجم كالحيران مرتقباً — وقلص النوم عن عيني فانشمرا

من لوعة أورثت قرحاً على كبدي — يوماً فأصبح منها القلب منفطرا

ومن يبت مضمراً هماً كما ضمنت — مني الضلوع يبيت مستبطناً غيرا

فاستحسنه القوم وطربوا وشربوا. ثم غناهم:

طربت وهاجك من تدكر — ومن لست من حبه تعتذر

فإن نلت منها الذي أرتجي — فذاك لعمري الذي أنتظر

وإلا صبرت فلا مفحشاً — عليها بسوءٍ ولا مبتهر

- لحن الدلال في هذا الشعر خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر عن حبش. قال: وذكر قوم أنه للغريض -.

قال: وسكر حتى خلع ثيابه ونام عرياناً، فغطاه القوم بثيابهم وحملوه إلى مترله ليلاً فنوموه وانصرفوا عنه. فأصبح وقد تقيأ ولوث ثيابه بقيئه، فأنكر نفسه، وحلف ألا يغني أبداً ولا يعاشر من يشرب النبيذ؛ فوفى بذلك إلى أن مات. وكان يجالس المشيخة والأشراف فيفيض معهم في أخبار الناس وأيامهم حتى قضى نحبه.

انقضت أخبار الدلال.

ومما في شعر الأحوص من المائة المختارة

صوت من المائة المختارة

يا دين قلبك منها لست ذاكرها — إلا ترقرق ماء العين أو دمعا

أدعوا إلى هجرها قلبي فيتبعني — حتى إذا قلت هذا صادقٌ نزعا

لا أستطيع نزوعاً عن محبتها — أو يصنع الحب بي فوق الذي صنعا

كم من دنيٍ لها قد صرت أتبعه — ولو سلا القلب عنها صار لي تبعا

وزادني كلفاً في الحب أن منعت — وحب شيء إلى الإنسان ما منعا

الشعر للأحوص. والغناء ليحيى بن واصلٍ المكي، وهو رجل قليل الصنعة غير مشهور، ولا وجدت له خبراً فأذكره. ولحنه المختار ثقيلٌ أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق. وذكر يونس أن فيه لحناً لمعبد و لم يجنسه.

محبوبة الأحوص في كبرها

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا مطرف بن عبد الله المدني قال حدثني أبي عن جدي قال: بينا أطوف بالبيت ومعي أبي، إذا بعجوزٍ كبيرة يضرب أحد لحييها الآخر. فقال لي أبي: أتعرف هذه؟ قلت: لا، ومن هي؟ قال: هذه التي يقول فيها الأحوص:

يا سلم ليت لساناً تنطقين ب قبل الذي نالني من حبكم قطعا

يلومني فيك أقوامٌ أجالسهم فما أبالي أطار اللوم أو وقعا

أدعو إلى هجرها قلبي فيتبعني حتى إذا قلت هذا صادقٌ نزعا

قال: فقلت له: يا أبت، ما أرى أنه كان في هذه خيرٌ قطٌ. فضحك ثم قال: يا بني هكذا يصنع الدهر بأهله.
حدثنا به وكيع قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثنا أبو خويلد مطرف بن عبد الله المدني عن أبيه، و لم يقل عن جده، وذكر الخبر مثل الذي قبله.

صوت من المائة المختارة

كالبيض بالأدحي يلمع في الضحى فالحسن حسنً والنعيم نعيم

حلين من در البحور كأنه فوق النحور إذا يلوح نجوم

الأدحي: المواضع التي يبيض فيها النعام، واحدها أدحية. وذكر أبو عمرو الشيباني أن الأدحي البيض نفسه. ويقال فيه أدحيٌ وأداحٍ أيضاً.
الشعر لطريح بن إسماعيل الثقفي. والغناء لأبي سعيد مولى فائد، ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه للهذلي خفيف ثقيلٍ من رواية الهشامي. وقد سمعنا من يغني فيه لحناً من خفيف الرمل، ولست أعرف لمن هو.

ذكر طريح وأخباره ونسبه

نسبه

هو - فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن عمه ابن الكلبي في كتاب النسب إجازةً، وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبي أيوب المديني عن ابن عائشة ومحمد بن سلام ومصعب الزبيري، قال: - طريح بن إسماعيل

بن عبيد بن أسيد بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن عنزة بن عوف بن قسي - وهو ثقيف - بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر.

ثقيف والخلاف في نسبه قال ابن الكلبي: ومن النسابين من يذكر أن ثقيفاً هو قسي بن منبه بن النبيت بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دعمي بن إياد بن نزار. ويقال: إن ثقيفاً كان عبداً لأبي رغال، وكان أصله من قوم نجوا من ثمود، فانتمى بعد ذلك إلى قيس. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه: أنه مر بثقيف، فتغامزوا به؛ فرجع إليهم فقال لهم: يا عبيد أبي رغال، إنما كان أبوكم عبداً له فهرب منه، فثقفه بعد ذلك، ثم انتمى إلى قيس.

وقال الحجاج في خطبة خطبها بالكوفة: بلغني أنكم تقولون إن ثقيفاً من بقية ثمود، ويلكم! وهل نجا من ثمود إلا خيارهم ومن آمن بصالح فبقي معه عليه السلام! ثم قال: قال الله تعالى: " وثمود فما أبقى ". فبلغ ذلك الحسن البصري: فتضاحك ثم قال: حكم لكع لنفسه، إنما قال عز وجل: " فما أبقى " أي لم يبقهم بل أهلكهم. فرفع ذلك إلى الحجاج فطلبه، فتوارى عنه حتى هلك الحجاج. وهذا كان سبب تواريه منه. ذكر ابن الكلبي أنه بلغه عن الحسن.

وكان حماد الراوية يذكر أن أبا رغالٍ أبو ثقيف كلها، وأنه من بقية ثمود، وأنه كان ملكاً بالطائف، فكان يظلم رعيته. فمر بامرأةٍ ترضع صبياً يتيماً بلبن عنزٍ لها، فأخذها منها، وكانت سنة مجدبة؛ فبقي الصبي بلا مرضعة فمات، فرماه الله بقارعةٍ فأهلكه، فرجمت العرب قبره، وهو بين مكة والطائف. وقيل: بل كان قائد الفيل ودليل الحبشة لما غزوا الكعبة، فهلك فيمن هلك منهم، فدفن بين مكة والطائف؛ فمر النبي صلى الله عليه وسلم بقبره، فأمر برجمه فرجم؛ فكان ذلك سنةً.

قال ابن الكلبي وأخبرني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال:

كان ثقيفٌ والنخع من إياد قسي بن منبه بن النبيت بن يقدم بن أفصى بن دعمي بن إياد. والنخع ابن عمرو بن الطمنان بن عبد مناة بن يقدم بن أقصى، فخرجا ومعهما عنزٌ لهما لبونٌ يشربان لبنها، فعرض لهما مصدقٌ لملك اليمن فأراد أخذها؛ فقالا له: إنما نعيش بدرها؛ فأبى أن يدعها؛ فرماه أحدهما فقتله. ثم قال لصاحبه: إنه لا يحملني وإياك أرض فأما النخع فمضى إلى بيشة فأقام بها ونزل القسي موضعاً قريباً من الطائف؛ فرأى جاريةً ترعى غنماً لعامر بن الظرب العدواني، فطمع فيها، وقال: أقتل الجارية ثم أحوي الغنم. فأنكرت الجارية منظره، فقالت له: إني أراك تريد قتلي وأخذ الغنم، وهذا شيءٌ إن فعلته قتلت وأخذت الغنم منك، وأظنك غريباً جائعاً، فدلته على مولاها. فأتاه واستجار به فزوجه بنته، وأقام بالطائف. فقيل: لله دره ما أثقفه حين ثقف عامراً فأجاره. وكان قد مر بيهودية بوادي القرى حين قتل المصدق، فأعطته قضبان كرم فغرسها بالطائف فأطعمته و نفعته.

قال ابن الكلبي في خبرٍ طويلٍ ذكره: كان قسي مقيماً باليمن، فضاق عليه موضعه ونبا به، فأتى الطائف - وهو

يومئذ منازل فهمٍ وعدوان ابني عمرو بن قيس بن عيلان - فانتهى إلى الظرب العدواني، وهو أبو عامر بن الظرب؛ فوجده نائماً تحت الشجرة، فأيقظه وقال: من أنت؟ قال: أنا الظرب. قال: علي أليةٌ إن لم أقتلك أو تحالفني وتزوجني ابنتك، ففعل. وانصرف الظرب وقسيٌ معه، فلقيه ابنه عامر بن الظرب فقال: من هذا معك يا أبت؟ فقص قصته. قال عامرٌ: لله أبوه! لقد ثقف أمره؛ فسمي يومئذٍ ثقيفاً. قال: وعير الظرب تزويجه قسياً، وقيل: زوجت عبداً. فسار إلى الكهان يسألهم، فانتهى إلى شق ابن مصعب البجلي وكان أقربهم منه. فلما انتهى إليه قال: إنا قد جئناك في أمر فما هو؟ قال: جئتم في قسي، وقسيٌ عبد إياد، أبق ليلة الواد، في وجٍ ذات الأنداد، فوالى سعداً ليفاد، ثم لوى بغير معاد. " يعني سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ". قال: ثم توجه إلى سطيح الذئبي، "حيٌ من غسان، ويقال: إنهم حيٌ من قضاعة نزولٌ في غسان". فقال: إنا جئناك في أمر فما هو؟ قال: جئتم في قسيٍ، وقسيٌ من ولد ثمود القديم، ولدته أمه بصحراء بريم، فالتقطه إيادٌ وهو عديم، فاستعبده وهو مليم. فرجع الظرب وهو لا يدري ما يصنع في أمره، وقد وكد عليه في الحلف والتزويج؛ وكانوا على كفرهم يوفون بالقول. فلهذا يقول من قال: إن ثقيفاً من ثمود لأن إياداً من ثمود.

قال: وقد قيل: إن حرباً كانت بين إيادٍ وقيس، وكان رئيسهم عامر بن الظرب، فظفرت بهم قيس، فنفتهم إلى ثمود وأنكروا أن يكونوا من نزار.

قال: وقال عامر بن الظرب في ذلك:

قالت إيادٌ قد رأينا نسبا   في ابني نزارٍ ورأينا غلبا

سيري إياد قد رأينا عجبا   لا أصلكم منا فسامي الطلبا

دار ثمود إذ رأيت السببا

قال: وقد روي عن الأعمش أن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال على المنبر بالكوفة وذكر ثقيفاً: لقد هممت أن أضع على ثقيفٍ الجزية؛ لأن ثقيفاً كان عبداً لصالح نبي الله عليه السلام، وإنه سرحه إلى عاملٍ له على الصدقة، فبعث العامل معه بها، فهرب واستوطن الحرم، وإن أولى الناس بصالح محمد صلى الله عليهما وسلم، وإني أشهدكم أني قد رددتهم إلى الرق.

قال: وبلغنا أن ابن عباس قال، وذكر عنده ثقيف، فقال: هو قسي بن منبه، وكان عبداً لامرأة صالح نبي الله صلى الله عليه وسلم، هي الهيجمانة بنت سعد، فوهبته لصالح، وإنه سرحه إلى عاملٍ له على الصدقة؛ ثم ذكر باقي خبره مثل ما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقال فيه: إنه مر برجل معه غنمٌ ومعه ابن له صغير ماتت أمه فهو يرضع من شاةٍ ليست في الغنم لبونٌ غيرها، فأخذ الشاة؛ فناشده الله، وأعطاه عشراً فأبى، فأعطاه جميع الغنم فأبى. فلما رأى ذلك تنحى، ثم نثل كنانته فرماه ففلق قلبه؛ فقيل له: قتلت رسول رسول الله صالح. فأتى صالحاً فقص عليه قصته؛ فقال: أبعده الله! فقد كنت أنتظر هذا منه؛ فرجم قبره، فإلى اليوم والليلة يرجم، وهو أبو رغال.

قال: وبلغنا عن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من الطائف مر بقبر أبي رغال فقال: " هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف كان في الحرم فمنعه الله عز وجل، فلما خرج منه رماه الله وفيه عمود من ذهب "؛ فابتدره المسلمون فأخرجوه.

قال: وروى عمرو بن عبيد عن الحسن أنه سئل عن جرهم: هل بقي منهم أحد؟ قال: ما أدري، غير أنه لم يبق من ثمود إلا ثقيف في قيس عيلان، وبنو لجا في طيىء، والطفاوة في بني أعصر.

قال عمرو بن عبيد وقال الحسن: ذكرت القبائل عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: " قبائل تنتمي إلى العرب وليسوا من العرب حمير من تبع وجرهمٌ من عاد وثقيفٌ من ثمود ".

قال: وروي عن قتادة أن رجلين جاءا إلى عمران بن حصين. فقال لهما: ممن أنتما؟ قالا: من ثقيف. فقال لهما: أتزعمان أن ثقيفاً من إياد؟ قالا نعم. قال: فإن إياداً من ثمود؛ فشق ذلك عليهما. فقال لهما: أساءكما قولي؟ قالا: نعم والله. قال: فإن أنجى من ثمود صالحاً والذين آمنوا معه؛ فأنتم إن شاء الله من ذرية من آمن، وإن كان أبو رغالٍ قد أتى ما بلغكما. قالا له: فما اسم أبي رغالٍ؛ فإن الناس قد اختلفوا علينا في اسمه؟ قال: قسي بن منبه.

قال: وروي الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يحب ثقيفاً، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يبغض الأنصار ".

قال: وبلغنا عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: " بنو هاشم والأنصار حلفان وبنو أمية وثقيفٌ حلفان ".

قال: وفي ثقيف يقول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

إذا الثقفي فاخركم فقولوا ... هلم نعد شأن أبي رغال

أبوكم أخبث الآباء قدماً ... وأنتم مشبهوه على مثال

عبيد الفزر أورثهم بنيه ... وولى عنهم أخرى الليالي

أم طريح ونسبها وأم طريح بنت عبد الله بن سباع بن عبد العزى بن نضلة بن غبشان من خزاعة، وهم حلفاء بني زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، وسباع بن عبد العزى هو الذي قتله حمزة بن عبد المطلب يوم أحد. ولما برز إليه سباع قال له حمزة: هلم إلي يا بن مقطعة البظور - وكانت أمه تفعل ذلك وتقبل نساء قريش بمكة - فحمي وحشيٌ لقوله وغضب السباع، فرمى حمزة بحربته فقتله - رحمة الله عليه - وقد كتب ذلك في خبر غزاة أحدٍ في بعض هذا الكتاب.

كنيته

ويكنى طريحٌ أبا الصلت؛ كني بذلك لابنٍ كان له اسمه صلتٌ. وله يقول:

يا صلت إن أباك رهن منيةٍ مكتوبةٍ لا بد أن يلقاها
سلفت سوالفها بالأنفسٍ من مضى وكذاك يتبع باقياً أخراها
والدهر يوشك أن يفرق ريبه بالموت أو رحلٍ تشت نواها
لا بد بينكما فتسمع دعوةً أو تستجيب لدعوةٍ تدعاها

طرح ابنه الصلت إلى أخواله بعد موت أمه

وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازةً قال أخبرني أبو الحسن الكاتب: أن أم الصلت بن طريح ماتت وهو صغير، فطرحه طريح إلى أخواله بعد موت أمه. وفيه يقول:

بات الخيال من الصليت مؤرقي يفري السراة مع الرباب المثلق
ما راعني إلا بياض وجيهه تحت الدجنة كالسراج المشرق

طائفة من أخباره

نشأ طريح في دولة بني أمية، واستفرغ شعره في الوليد ين يزيد، وأدرك دولة بني العباس، ومات في أيام المهدي؛ وكان الوليد له مكرماً مقدماً؛ لانقطاعه إليه ولخؤولته في ثقيف.
فأخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني أحمد بن حماد بن الجميل عن العتبي عن سهم بن عبد الحميد قال أخبرني طريح بن إسماعيل الثقفي قال:
خصصت بالوليد بن يزيد حتى صرت أخلو معه. فقلت له ذات يومٍ وأنا معه في مشربةٍ: يا أمير المؤمنين، خالك يحب أن تعلم شيئاً من خلقه. قال: وما هو؟ قلت: لم أشرب شرأبا قط ممزوجاً إلا من لبن أوعسل. قال: وقد عرفت ذاك ولم يباعدك من قلبي. قال: ودخلت يوماً إليه وعنده الأمويون، فقال لي: إلي يا خالي، وأقعدني إلى جانبه، ثم أتي بشراب فشرب، ثم ناولني القدح؛ فقلت: يا أمير المؤمنين قد أعلمتك رأيي في الشراب. قال: ليس لذلك أعطيتك، إنما دفعته إليك لتناوله الغلام، وغضب. فرفع القوم أيديهم كأن صاعقةً نزلت على الخوان؛ فذهبت أقوم، فقال: اقعد. فلما خلا البيت افترى علي، ثم قال: يا عاض كذا وكذا! أردت أن تفضحني، ولولا أنك خالي لضربتك ألف سوط! ثم نهى الحاجب عن إدخالي، وقطع عني أرزاقي. فمكثت ما شاء الله. ثم دخلت عليه يوماً متنكراً، فلم يشعر إلا وأنا بين يديه وأنا أقول:

يابن الخلائف ما لي بعد مقربةٍ إليك أقصى وفي حاليك لي عجب
ما لي أذاد وأقصى حين أقصدكم كما توقي من ذي العرة الجرب
كأنني لم يكن بيني وبينكم إلٌ ولا خلةٌ ترعى ولا نسب

لو كان بالود يدنى منك أزلفني بقربك الود والإشفاق والحدب
وكنت دون رجالٍ قد جعلتهم دوني إذ ما رأوني مقبلاً قطبوا
إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا شراً أذاعوا وإن لم يسمعوا كذبوا
رأوا صدودك عني في اللقاء فقد تحدثوا ان حبلى منك منقضب
فذو الشماتة مسرورٌ بهيضتنا وذو النصيحة والإشفاق مكتئب

قال: فتبسم وأمرني بالجلوس فجلست. ورجع إلي وقال: إياك أن تعاود. وتمام هذه القصيدة:

أين الذمامة والحق الذي نزلت بحفظه وبتعظيمٍ له الكتب
وحوكي للشعر أصفيه وأنظمه نظم القصاد فيها الدر والذهب
وإن سخطك شيءٌ لم أناج به نفسي ولم يكن مما كنت أكتسب
لكن أتاك بقولٍ كاذبٍ أثمٍ قومٌ بغوني فنالوا في ما طلبوا
وما عهدتك فيما زل تقطع ذا قربى ولا تدفع الحق الذي يجب
ولا توجع من حقٍ تحمله ولا تتبع بالتكدير ما تهب
فقد تقربت جهداً من رضاك بما كانت تنال به من مثلك القرب
فغير دفعك حقي وارتفاضك لي وطيك الكشح عني كنت أحتسب
أمشمتٌ بي أقواماً صدورهم علي فيك إلى الأذقان تلتهب
قد كنت أحسب أني قد لجأت إلى حرزٍ وألا يضروني وإن ألبوا
إن التي صنتها عن معشرٍ طلبوا مني إلي الذي لم ينجح الطلب
أخلصتها لك إخلاص امرئٍ علم الأقوام إن ليس إلا فيك يرتغب
أصبحت تدفعها مني وأعطفها عليك وهي لمن يحبى بها رغب
فإن وصلت فأهل العرف أنت وإن تدفع يدي فلي بقيا ومنقلب
إني كريم كرامٍ عشت في أدبٍ نفى العيوب وملك الشيمة الأدب
قد يعلمون بأن العسر منقطعٌ يوماً وأن الغنى لا بد منقلب
فمالهم حبسٌ في الحق مرتهن مثل الغنائم تحوى ثم تنتهب
وما على جارهم ألا يكون له إذا تكنفه أبياتهم نشب

لا يفرحون إذا ما الدهر طاوعهم	يوماً بيسرٍ ولا يشكون إن نكبوا

فارقت قومي فلم أعتض بهم عوضاً	والدهر يحدث أحداثاً لها نوب

رواية المدائني في ذلك

وأما المدائني فقال: كان الوليد بن يزيد يكرم طريحاً، وكانت له منه مترلةٌ قريبةً ومكانة، وكان يدني مجلسه، وجعله أول داخلٍ وآخر خارج، ولم يكن يصدر إلا عن رأيه. فاستفرغ مديحه كله وعامة شعره فيه؛ فحسده ناسٌ من أهل بيت الوليد. وقدم حماد الراوية على التفئة الشأم، فشكوا ذلك إليه وقالوا: والله لقد ذهب طريح بالأمير، فما نالنا منه ليلٌ ولا نهار. فقال حماد: ابغوني من ينشد الأمير بيتين من شعر، فأسقط مترلته. فطلبوا إلى الخصي الذي كان يقوم على رأس الوليد، وجعلوا له عشرة آلاف درهم على أن ينشدهما الأمير في خلوة، فإذا سأله من قول من ذا؟ قال: من قول طريح؛ فأجابهم الخصي إلى ذلك، وعلموه البيتين. فلما كان ذات يوم دخل طريح على الوليد وفتح الباب وأذن للناس فجلسوا طويلاً ثم نهضوا، وبقي طريح مع الوليد وهو ولي عهد؛ ثم دعا بغدائه فتغديا جميعاً. ثم إن طريحاً خرج وركب إلى مترله، وترك الوليد في مجلسه ليس معه أحدٌ، فاستلقى على فراشه. واغتنم الخصي خلواته فاندفع ينشد:

سيري ركابي إلى من تسعدين به	فقد أقمت بدار الهون ما صلحا

سيري إلى سيدٍ سمحٍ خلائقه	ضخم الدسيعة قرمٍ يحمل المدحا

فأصغى الوليد إلى الخصي بسمعه وأعاد الخصي غير مرة؛ ثم قال الوليد: ويحك يا غلام! من قول من هذا؟ قال: من قول طريح. فغضب الوليد حتى امتلأ غيظاً؛ ثم قال: والهفا على أمٍ لم تلدني! قد جعلته أول داخلٍ وآخر خارجٍ، ثم يزعم أن هشاماً يحمل المدح ولا أحملها! ثم قال: علي بالحاجب، فأتاه. فقال: لا أعلم ما أذنت لطريح ولا رأيته على وجه الأرض؛ فإن حاولك فاخطفه بالسيف. فلما كان العشي وصليت العصر، جاء طريح للساعة التي كان يؤذن له فيها، فدنا من الباب ليدخل. فقال له الحاجب: وراءك! فقال: ما لك! هل دخل علي ولي العهد أحدٌ بعدي؟ قال: لا! ولكن ساعة وليت من عنده دعاني فأمرني ألا آذن لك، وإن حاولتني في ذلك خطفتك بالسيف. فقال: لك عشرة آلاف درهم وأذن لي في الدخول عليه. فقال له الحاجب: والله لو أعطيتني خراج العراق ما أذنت لك في ذلك، وليس لك من خير في الدخول عليه فارجع. قال: ويحك! هل تعلم من دهاني عنده؟ قال الحاجب: لا والله! لقد دخلت عليه وما عنده أحدٌ، ولكن الله يحدث ما يشاء في الليل والنهار. قال: فرجع طريح وأقام بباب الوليد سنةً لا يخلص إليه ولا يقدر على الدخول عليه. وأراد الرجوع إلى بلده وقومه فقال: والله إن هذا لعجزٌ بي أن أرجع من غير أن ألقى ولي العهد فأعلم من دهاني عنده. ورأى أناساً كانوا له أعداءً قد فرحوا بما كان من أمره، فكانوا يدخلون على الوليد ويحدثونه ويصدر عن رأيهم. فلم يزل يلطف بالحاجب ويمنيه؛ حتى قال له الحاجب: أما إذ أطلت المقام فإني أكره أن تنصرف على حالك هذه، ولكن الأمير إذا كان يوم كذا وكذا دخل الحمام، ثم أمر بسريره فأبرز، وليس عليه يومئذ حجابٌ؛ فإذا كان ذلك

اليوم أعلمتك فتكون قد دخلت عليه وظفرت بحاجتك وأكون أنا على حال عذرٍ. فلما كان ذلك اليوم، دخل الحمام وأمر بسريره فأبرز وجلس عليه، وأذن للناس فدخلوا عليه، والوليد ينظر إلى من أقبل. وبعث الحاجب إلى طريح، فأقبل وقد تتام الناس. فلما نظر الوليد إليه من بعيدٍ صرف عنه وجهه، واستحيا أن يرده من بين الناس؛ فدنا فسلم فلم يرد عليه السلام. فقال طريح يستعطفه ويتضرع إليه:

نام الخلي من الهموم وبات لي ... ليلٌ أكابده وهمٌ مضلع

وسهرت لا أسري ولا في لذةٍ ... أرقي وأغفل ما لقيت الهجع

أبغي وجوه مخارجي من تهمةٍ ... أزمت علي وسد منها المطلع

جزعاً لمعتبة الوليد ولم أكن ... من قبل ذاك من الحوادث أجزع

يابن الخلائف إن سخطك لامرئٍ ... أمسيت عصمته بلاءٌ مفظع

فلأنزعن عن الذي لم تهوه ... إن كان لي ورأيت ذلك منزع

فاعطف فداك أبي علي توسعاً ... وفضيلةً فعلى الفضيلة تتبع

فلقد كفاك وزاد ما قد نالني ... إن كنت لي ببلاء ضرٍ تقنع

سمةٌ لذاك علي جسمٌ شاحبٌ ... بادٍ تحسره ولونٌ أسفع

إن كنت في ذنبٍ عتبت فإنني ... عما كرهت لنازعٌ متصرع

ويئست منك فكل عسرٍ باسطٌ ... كفا إلي وكل يسرٍ أقطع

من بعد أخذي من حبالك بالذي ... قد كنت أحسب أنه لا يقطع

فاربب صنيعك بي فإن بأعينٍ ... للكاشحين وسمعهم ما تصنع

أدفعتني حتى انقطعت وسددت ... عني الوجوه ولم يكن لي مدفع

ورجيت واتقيت يداي وقيل قد ... أمسى يضر إذا أحب وينفع

ودخلت في حرم الذمام وحاطني ... خفرٌ أخذت به وعهدٌ مولع

أفهادمٌ ما قد بنيت وخافضٌ ... شرفي وأنت لغير ذلك أوسع

أفلا خشيت شمات قومٍ فتهم ... سبقاً وأنفسهم عليك تقطع

وفضلت في الحسب الأشم عليهم ... وصنعت في الأقوام ما لم يصنعوا

فكأن آنفهم بكل صنيعةٍ ... أسديتها وجميل فعلٍ تجدع

ودوا لو أنهم ينال أكفهم | شلل وأنك عن صنيعك تنزع
أو تستليم فيجعلونك أسوةً | وأبى الملام لك الندى والموضع

قال: فقربه وأدناه، وضحك إليه، وعاد له إلى ما كان عليه.

عاتبه المنصور في شعر مدح به الوليد

فأحسن الاعتذار:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثنا محمد بن عبد الله بن حمزة بن عتبة اللهبي عن أبيه: أن طريحاً دخل على أبي جعفر المنصور وهو في الشعراء؛ فقال له: لا حياك الله ولا بياك! أما اتقيت الله -ويلك! - حيث تقول للوليد بن يزيد:

لو قلت للسيل دع طريقك وال | موج عليه كالهضب يعتلج
لساخ وارتد أو لكان له | في سائر الأرض عنك منعرج

فقال له طريح: قد علم الله عز وجل أني قلت ذاك ويد ممدودة إليه عز وجل، وإياه تبارك وتعالى عنيت. فقال المنصور: يا ربيع، أما ترى هذا التخلص!

أدخل على الوليد فمدحه فطرب وأجازه

نسخت من كتاب أحمد بن الحارث مما أجاز لي أبو أحمد الجريري روايته عنه: حدثنا المدائني: أن الوليد جلس يوماً في مجلس له عامٍ، ودخل إليه أهل بيته ومواليه والشعراء وأصحاب الحوائج فقضاها، وكان أشرف يوم رئى له؛ فقال بعض الشعراء فأنشد، ثم وثب طريح، وهو عن يسار الوليد، وكان أهل بيته عن يمينه، وأخواله عن شماله وهو فيهم، فأنشد:

صوت

أنت ابن مسلنطح البطاح ولم | تطرق عليك الحني والولج
طوبى لفرعيك من هنا وهنا | طوبى لأعراقك التي تشج
لو قلت للسيل دع طريقك وال | موج عليه كالهضب يعتلج
لساخ وارتد أو لكان له | في سائر الأرض منعرج

ولاؤه وكان مغنياً وشاعراً

فطرب الوليد بن يزيد حتى رئي الارتياح فيه، وأمر له بخمسين ألف درهم، وقال: ما أرى أحداً منكم يجيئني اليوم بمثل ما قال خالي، فلا ينشدني أحدٌ بعده شيئاً؛ وأمر لسائر الشعراء بصلات وانصرفوا، واحتبس طريحاً عنده، وأمر ابن عائشة فغنى في هذا الشعر.

نسبة هذا الصوت

أنت ابن مسلنطح البطاح ولم تطرق عليك الحني والولج

الأبيات الأربعة. عروضه عن المنسرح. غناه ابن عائشة، ولحنه رملٌ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق.

المسلنطح من البطاح: ما اتسع واستوى سطحه منها. وتطرق عليك: تطبق عليك وتغطيك وتضيق مكانك؛ يقال: طرقت الحادثة بكذا وكذا إذا أتت بأمر ضيق معضل. والوشيج: أصول النبت؛ يقال: أعراقك واشجةٌ في الكرم، أي نابتة فيه. قال الشاعر:

وهل ينبت الخطي إلا وشيجه وتنبت إلا في مغارسها النخل

يعني أنه كريم الأبوين من قريش وثقيف. وقد ردد طريح هذا المعنى في الوليد، فقال في كلمة له:

واعتام كهلك من ثقيفٍ كفأه فتنازعاك فأنت جوهر جوهر

فنمت فروع القريتين قصيها وقيسها بك في الأشم الأكبر

والحني: ما انخفض من الأرض، والواحدة حناً، والجمع حني مثل عصاً وعصي. والولج: كل متسع في الوادي، والواحدة ولجةٌ. ويقال: الولجات بين الجبال مثل الرحاب. أي لم تكن بين الحني ولا الولج فيخفى مكانك، أي لست في موضع خفي من الحسب. وقال أبو عبيدة: سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقول لآخر يفخر عليه: أنا ابن مسلنطح البطاح، وابن كذا وكذا؛ فقال له عمر: إن كان لك عقلٌ فلك أصلٌ، وإن كان لك خلقٌ فلك شرفٌ، وإن كان لك تقوى فلك كرمٌ، وإلا فذاك الحمار خيرٌ منك. أحبكم إلينا قبل أن نراكم أحسنكم سمتاً، فإذا تلكمتم فأبينكم منطقاً، فإذا اختبرناكم فأحسنكم فعلاً.

قول: " لو قلت للسيل دع الطريق:، يقول: أنت ملك هذا الأبطح والمطاع فيه، فكل من تأمره يطيعك فيه، حتى لو أمرت السيل بالانصراف عنه لفعل لنفوذ أمرك. وإنما ضرب هذا مثلاً وجعله مبالغةً، لأنه لا شيء أشد تعذراً من هذا وشبهه، فإذا صرفه كان على كل شيء سواه أقدر. وقوله: " لساح " أي لغاض في الأرض. " وارتد " أي عدل عن طريقه، وإن لم يجد إلى ذلك سبيلاً كان له منعرجٌ إلى سائر الأرض.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال إسحاق وحدثني به الواقدي عن أبي الزناد عن إبراهيم بن عطية: أن الوليد بن يزيد لما ولي الخلافة بعث إلى المغنين بالدينة ومكة فأشخصهم إليه، وأمرهم أن يتفرقوا ولا يدخلوا نهاراً لئلا يعرفوا، وكان إذ ذاك يتستر في أمره ولا يظهره. فسبقهم ابن عائشة فدخل نهاراً وشهر أمره، فحبسه

الوليد وأمر به فقيد، وأذن للمغنين وفيهم معبدٌ، فدخلوا عليه دخلات، ثم أنه جمعهم ليلة فغنوا له حتى طرب وطابت نفسه. فلما رأى ذلك منه معبدٌ قال لهم: أخوكم ابن عائشة فيما قد علمتم، فاطلبوا فيه. ثم قال: يا أمير المؤمنين، كيف ترى مجلسنا هذا؟ قال: حسناً لذيذاً. قال: فكيف لو رأيت ابن عائشة وسمعت ما عنده! قال: فعلي به. فطلع ابن عائشة يرسف في قيده. فلما نظر إليه الوليد، اندفع ابن عائشة فغناه في شعر طريح، والصنعة فيه له:

أنت ابن مسلنطح البطاح ولم تطرق عليك الحني والولج

فصاح الوليد: اكسروا قيده وفكوا عنه؛ فلم يزل عنده أثيراً مكرماً.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد عن الحزامي عن عثمان بن حفص عن إبراهيم بن عبد السلام بن أبي الحارث الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة:

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ فأتمر أمر رشيدٍ مؤتمن

قال: والله إني لقاعدٌ مع مسلمة بن محمد بن هشام إذ مر به ابن جوان بن عمر بن أبي ربيعة، وكان يغني؛ فقال له: اجلس يا بن أخي غننا، فجلس فغنى:

أنت ابن مسلنطح البطاح ولم نطرق عليك الحني والولج

فقال له: يا بن أخي، ما أنت وهذا حيت تغناه، ولا حظ لك فيه! هذا قاله طريح فينا:

إذ الناس ناسٌ والزمان زمان

ومما في المائة الصوت المختارة

من الأغاني من أشعار طريح بن إسماعيل التي مدح بها الوليد بن يزيد:

صوت من المائة المختارة

ويحي غداً إن غدا علي بما أحذر من لوعة الفراق غد

وكيف صبري وقد تجاوب بال فرقة منها الغراب والصرد

الشعر لطريح بن إسماعيل. والغناء مشعب الطائفي، ولحنه المختار من الرمل بالوسطى.

ذكر ابن مشعب وأخبار

أصله

هو رجل من أهل الطائف مولى لثقيف، وقيل: إنه من أنفسهم، وانتقل إلى مكة فكان بها. وإياه يعني العرجي بقوله:

بفناء بيتك وابن مشعب حاضرٌ في سامرٍ عطرٍ وليلٍ مقمر

فتلازما عند الفراق صبابةً أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

عامة الغناء الذي ينسب إلى أهل مكة له

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: ابن مشعب مغنً من أهل الطائف، وكان من أحسن الناس غناءً، وكان في زمن ابن سريج والأعرج؛ وعامة الغناء الذي ينسب إلى أهل مكة له، وقد تفرق غناؤه، فنسب بعضه إلى ابن سريج، وبعضه إلى الهذليين، وبعضه إلى ابن محرز. قال: ومن غنائه الذي ينسب إلى ابن محرزٍ:

يا دار عاتكة التي بالأزهر

ومنه أيضاً:

أقفر ممن يحله السند فالمنحنى فالعقيق فالجمد

أخبرني الحسين قال قال حماد وحدثني أبي قال:

مرض رجلٌ من أهل المدينة بالشام، فعاده جيرانه وقالوا له: ما تشتهي؟ قال: أشتهي إنساناً يضع فمه على أذني ويغنيني في بيتي العرجي:

بفناء بيتك وابن مشعب حاضرٌ في سامرٍ عطرٍ وليلٍ مقمر

فتلازما عند الفراق صبابةً أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

يا دار عاتكة التي بالأزهر أو فوقه بقفا الكثيب الأحمر

بفناء بيتك وابن مشعب حاضرٌ في سامرٍ عطرٍ وليلٍ مقمر

فتلازما عند الفراق صبابةً أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

الشعر للعرجي. والغناء لابن محرز خفيف ثقيلٍ أول بالنصر خفيف، وذكر إسحاق أنه لابن مشعب. وذكر حبشٌ أن فيه لابن المكي هزجاً خفيفاً بالبنصر.

وأما الصوت الآخر الذي أوله:

أقفر ممن يحله السند

فإنه الصوت الذي ذكرناه الذي فيه اللحن المختار، وهو أول قصيدة طريح التي منها:

ويحيى غداً إن غدا علي بما أكره من لوعة الفراق غد

وليس يغنى فيه زماننا هذا. وهذه القصيدة طويلة يمدح فيها طريح الوليد بن يزيد، يقول فيها:

لم يبق فيها من المعارف بع د الحي إلا الرماد والوتد

وعرصةٌ نكرت معاملتها الريح بها مسجدٌ ومنتضد

طائفة من أخباره

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني محمد بن خلف القارئ قال أخبرنا هارون بن محمد، وأخبرنا فيه وكيع - وأظنه هو الذي كنى عنه حيى بن علي، فقال: محمد بن خلف القارئ - قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني علي بن عبد الله اللهبي قال حدثنا أبي عن أبيه قال: أنشد المنصور هذه القصيدة، فقال للربيع: أسمعت أحداً من الشعراء ذكر في باقي معالم الحي المسجد غير طريح!. وهذه القصيدة من جيد قصائد طريح، يقول فيها:

لم أنسى سلمى ولا ليالينا بالحزن إذ عيشنا بها رغد

إذ نحن في ميعة الشباب وإذ أيامنا تلك غضةٌ جدد

في عيشة كالفريد عازبةٍ الش قوة خضراء غصنها خضد

نحسد فيها على النعيم وما يولع إلا بالنعمة الحسد

أيام سلمى غريرةٌ أنفٌ كأنها خوط بانةٍ رؤد

ويحيى غداً إن غدا علي بما أكره من لوعة الفراق غد

قد كنت أبكي من الفراق وحي أنا جميعٌ ودارنا صدد

فكيف صبري وقد تجاوب بال فرقة منها الغراب والصرد

دع عنك سلمى لغير مقليةٍ وعد مدحاً بيوته شرد

للأفضل الأفضل الخليفة عب د الله من دون شأوه صعد

في وجهه النور يستبان كما لاح سراج النهار إذ يقد

يمضي على خير ما يقول ولا يخلف ميعاده إذا يعد

من معشر لا يشم من خذلوا عزاً ولا يستذل من رفدوا

بيض عظام الحلوم حدهم ماضٍ حسامٌ وخيرهم عتد

أنت إمام الهدى الذي أصلح الله ... به الناس بعدما فسدوا
لما أتى الناس أن ملكهم ... إليك قد صار أمره سجدوا
واستبشروا بالرضا تباشيرهم ... بالخلد لو قيل إنكم خلد
وعج بالحمد أهل أرضك ... حتى كاد يهتز فرحةً أحد
واستقبل الناس عيشةً أنفاً ... إن تبق فيها لهم فقد سعدوا
رزقت من ودهم ومن طاعتهم ... ما لم يجده لوالدٍ ولد
أثلجهم منك أنهم علموا ... أنك فيما وليت مجتهد
وأن ما قد صنعت من حسنٍ ... مصداق ما كنت مرةً تعد
ألفت أهوائهم فأصبحت ... الأضغان سلماً وماتت الحقد
كنت أرى أن ما وجدت من ال ... فرحة لم يلق مثله أحد
حتى رأيت العباد كلهم ... قد وجدوا من هواك ما أجد

صوت

قد طلب الناس ما بلغت فما ... نالوا ولا قاربوا وقد جهدوا
يرفعك الله بالتكرم والتقوى ... فتعلو وأنت مقتصد
حسب امرئ من غنى تقربه ... منك وإن لم يكن له سبد
فأنت أمن لمن يخاف وللم ... خذول أودى نصيره عضد

- غنى في هذه الأبيات الأربعة إبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر -.

كل امرىءٍ ذي يدٍ تعد علي ... ه منك معلومة يدٌ يد
فهم ملوكٌ ما لم يروك فإن ... داناهم منك منزلٌ خمدوا
تعروهم رعدةٌ لديك كما ... قفقف تحت الدجنة الصرد
لا خوف ظلمٍ ولا قلى خلقٍ ... إلا جلالاً كساكسه الصمد
وأنت غمر الندى إذا هبط ال ... زور أرضاً تحلها حمدوا
فهم رفاقٌ فرفقةٌ صدرت ... عنك بغنمٍ ورفقةٌ ترد

إن حال دهرٌ بهم فإنك لا تنفك عن حالك التي عهدوا

قد صدق الله مادحيك فما في قولهم فريةٌ ولا فند

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم الموصلي يحلف بالله الذي لا إله إلا هو إنه ما رأى أذكى من جعفر بن يحيى قط، ولا أفطن، ولا أعلم بكل شيء، ولا أفصح لساناً، ولا ابلغ في مكاتبةٍ. قال: ولقد كنا يوماً عند الرشيد، فغنى أبي لحناً في شعر طريح بن إسماعيل، وهو:

قد طلب الناس ما بلغت فما نالوا ولا قاربوا وقد جهدوا

فاستحسن الرشيد اللحن والشعر واستعاده ووصل أبي عليه. وكان اللحن في طريقة خفيف الثقيل الأول. فقال جعفر بن يحيى: قد والله يا سيدي أحسن، ولكن اللحن مأخوذٌ من لحن الدلال الذي غناه في شعر أبي زبيد:

من يرى العير لابن أروى على ظه ر المروري حداتهن عجال

وأما الشعر فنقله طريح من قول زهير:

سعى بعدهم قومٌ لكي يدركوهم فلم يبلغوا ولم يلاموا ولم يألوا

قال إسحاق: فعجبت والله من علمه بالألحان والأشعار، وإذا اللحن يشبه لحن الدلال، قال: وكذلك الشعر؛ فاغتممت أني لم أكن فهمت اللحن، وكان ذلك أشد علي من ذهاب أمر الشعر علي، وأنا والله مع ذلك أغني الصوتين وأحفظ الشعرين. قال الحسين: ولحن الدلال في شعر أبي زبيد هذا من خفيف الثقيل أيضاً.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازةً قال حدثني أبو الحسن البلاذري أحمد بن يحيى وأبو أيوب المديني، قال البلاذري وحدثني الحرمازي، وقال أبو أيوب وحدثونا عن الحرمازي قال حدثني أبو القعقاع سهل بن عبد الحميد عن أبي ورقاء الحنفي قال:

خرجت من الكوفة أريد بغداد، فلما صرت إلى أول خان نزلته، بسط غلماننا وهيئوا غداهم، ولم يجيء أحد بعد، إذ رمانا الباب برجلٍ فاره البرذون حسن الهيئة، فصحت بالغلمان، فأخذوا دابته فدفعها إليهم، ودعوت بالغداء، فبسط يده غير محتشم، وجعلت لا أكرمه بشيء إلا قبله. ثم جاء غلمانه بعد ساعة في ثقلٍ سري وهيئة حسنة. فتناسبنا فإذا الرجل طريح بن إسماعيل الثقفي. فلما ارتحلنا ارتحلنا في قافلة غناء لا يدرك طرفاها. قال: فقال لي: ما حاجتنا إلى زحام الناس وليست بنا إليهم وحشةٌ ولا علينا خوف! نتقدمهم بيوم فيخلوا لنا الطريق ونصادف الخانات فارغةً ونودع أنفسنا إلى أن يوافوا. قلت: ذلك إليك. قال: فأصبحنا الغد فنزلنا الخان فتغدينا وإلى جانبنا نهرٌ ظليل؛ فقال: هل لك أن نستنقع فيه؟ فقلت له شأنك. فلما سرا ثيابه إذا ما بين عصعصه إلى عنقه ذاهبٌ، وفي جنبيه أمثال الجرذان، فوقع في نفسي منه شيءٌ. فنظر إلي ففطن وتبسم، ثم قال: قد رأيت ذعرك مما رأيت؛ وحديث هذا إذا سرنا العشية إن شاء الله تعالى أحدثك به. قال: فلما ركبنا قلت: الحديث! قال: نعم! قدمت من عند الوليد بن يزيد بالدنيا، وكتب إلى يوسف بن عمر مع فراش فملأ يدي أصحابي،

فخرجت أبادر الطائف. فلما امتد لي الطريق وليس يصحبني فيه خلقٌ، عن لي أعرابي على بعير له، فحدثني فإذا هو حسن الحديث، وروى لي الشعر فإذا هو راوية، وأنشدني لنفسه فإذا هو شاعر. فقلت له: من أين أقبلت؟ قال: لا أدري. قلت: فأين تريد؟ فذكر قصة يخبر فيها أنه عاشق لمريئةٍ قد أفسدت عليه عقله، وسترها عنه أهلها وجفاه أهله فإنما يستريح إلى الطريق ينحدر من منحدريه ويصعد مع مصعديه، قلت: فأين هي؟ قال: غداً نترل بإزائها، فلما نزلنا أراني ظرباً على يسار الطريق، فقال لي: أترى ذلك الظرب؟ قلت: أراه قال: فإنها في مسقطه. قال: فأدركتني أريحية الشباب، فقلت: أنا والله آتيك برسالتك. قال: فخرجت وأتيت الظرب، وإذا بيت حريدٌ، وإذا فيه امرأةٌ جميلةٌ ظريفةٌ، فذكرته لها، فزفرت زفرة كادت أضلاعها تساقط. ثم قالت: أوحي هو؟ قلت: نعم، تركته في رحلي وراء هذا الظرب، ونحن بأئتون ومصبحون. فقالت: يا أبي أرى لك وجهاً يدل على خير، فهل لك في الأجر؟ فقلت: فقيرٌ والله إليه. قالت: فالبس ثيابي وكن مكاني ودعني حتى آتيه، وذلك مغيربان الشمس. قلت: أفعل، قالت: إنك إذا أظلمت أتاك زوجي في هجمةٍ من إبله، فإذا بركت أتاك وقال: يا فاجرة يا هنتاه، فيوسعك شتماً فأوسعه صمتاً، ثم يقول: اقمعي سقاءك، فضع القمع في هذا السقاء حتى يحقن فيه، وإياك وهذا الآخر فإنه واهي الأسفل. قال: فجاء ففعلت ما أمرتني به، ثم قال: اقمعي سقاءك، فحينني الله، فتركت الصحيح وقمعت الواهي، فما شعر إلا باللبن بين رجليه، فعمد إلى رشاءٍ من قد مربوع، فثناه باثنين فصار على ثمان قوى، ثم جعل لا يتقي مني رأساً ولا رجلاً ولا جنباً، فخشيت أن يبدو له وجهي، فتكون الأخرى، فألزمت وجهي الأرض، فعمل بظهري ما ترى.

ذكر أخبار أبي سعيد مولى فائد ونسبه

ولاؤه، وكان مغنياً وشاعراً

أبو سعيد مولى فائد، وفائد مولى عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه. وذكر ابن خرداذبة أن اسم أبي سعيد إبراهيم. وهو يعرف بين الشعراء باسم ابن سنة مولى بني أمية، وفي المغنين بأبي سعيد مولى فائد. وكان شاعراً مجيداً ومغنياً، وناسكاً بعد ذلك، فاضلاً مقبول الشهادة في المدينة معدلاً. وعمر إلى خلافة الرشيد، ولقيه إبراهيم بن المهدي وإسحاق الموصلي وذووهما. وله قصائد جياد في مراثي بني أمية الذين قتلهم عبد الله وداود ابنا علي بن عبد الله بن العباس، يذكر هاهنا في موضعه منها ما تسوق الأحاديث ذكره.

طائفة من أخباره

أخبرني علي بن عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله بن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن ابن أبي الأزهر بن حماد عن أبيه، واخبرنا به يحيى بن علي عن أخيه أحمد بن علي عن عافيه بنم شبيب عن أبي جعفر الأسدي عن إسحاق، قال يحيى خاصةً في خبره:

قال إسحاق: حججت مع الرشيد، فلما قربت من مكة استأذنته في التقدم فأذن لي، فدخلت مكة، فسألت عن أبي سعيد مولى فائد، فقيل لي: هو في المسجد الحرام. فأتيت المسجد فسألت عنه، فدللت عليه، فإذا هو قائمٌ يصلي، فجئت فجلست قريباً منه. فلما فرغ قال لي: يا فتى، ألك حاجة؟ قلت: نعم، تغنيني: " لقد طفت سبعاً ". هذه رواية يحيى بن علي. وأما الباقون فإنهم ذكروا عن إسحاق أن المهدي قال هذا لأبي سعيد وأمره أن يغني له:

لقد طفت سبعاً قلت لما قضيتها ... ألا ليت هذا لا على ولا ليا

ورفق به وأدنى مجلسه، وقد كان نسك؛ وقد كان نسك؛ فقال: أو أغنيك يا أمير المؤمنين أحسن منه؟ قال: أنت وذاك. فغنى:

إن هذا الطويل من آل حفص ... نشر المجد بعد ما كان ماتا

وبناه على أساسٍ وثيقٍ ... وعمادٍ قد أثبتت إثباتا

مثل ما قد بنى له أو لوه ... وكذا يشبه البناة البنانا

-الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد - فأحسن، فقال له المهدي: أحسنت يا أبا سعيد! فغنني " لقد طفت سبعاً". قال: أو أغنيك أحسن منه؟ قال: أنت وذاك. فغناه:

قدم الطويل فأشرقت واستبشرت ... أرض الحجاز وبان في الأشجار

إن الطويل من آل حفصٍ فاعلموا ... ساد الحضور وساد في الأسفار

فأحسن فيه. فقال: غنني " لقد طفت سبعاً " قال: أو أغنيك أحسن منه؟ قال: فغنني. فغناه:

أيها السائل الذي يخبط الأر ... ض دع الناس أجمعين وراكا

وأتٍ هذا الطويل من آل حفصٍ إن تخوفت عيلة أو هلاكا

فأحسن فيه. فقال له: غنني "لقد طفت سبعاً "، فقد أحسنت فيما غنيت، ولكنا نحب أن تغني ما دعوناك إليه. فقال: لا سبيل إلى ذلك يا أمير المؤمنين؛ لأني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي وفد يده شيءٌ لا أدري ما هو، وقد رفعه ليضربني به وهو يقول: يا أبا سعيد، لقد طفت سبعاً، لقد طفت سبعاً سبعاً طفت! ما صنعت بأمتي في هذا الصوت! فقلت له: بأبي أنت وأمي واغفر لي، فو الذي بعثك بالحق واصطفاك بالنبوة لا غنيت ذا الصوت أبداً؛ فرد يده ثم قال: عفا الله عنك إذاً! ثم انتبهت. وما كنت لأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً في منامي فأرجع عنه في يقظتي. فبكى المهدي وقال: أحسنت يا أبا سعيد أحسن الله إليك! لا تعد في غنائه، وحباه وكساه وأمر برده إلى الحجاز. فقال له أبو سعيد: ولكن اسمعه يا أمير المؤمنين من منة جارية البرامكة. وأظن حكاية من حكى ذلك عن المهدي غلطاً؛ لأن منة جارية البرامكة لم تكن في أيام المهدي، وإنما نشأت وعرفت أيام الرشيد.

وقد حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه أنه هو الذي لقي أبا سعيد مولى فائد وجاراه هذه القصة. وذكر ذلك أيضاً حماد بن إسحاق عن إبراهيم بن المهدي. وقد يجوز أن يكون يكون إبراهيم بن المهدي وإسحاق سألاه عن هذا الصوت فأجابهما فيه بمثل ما أجاب المهدي. وإما خبر إبراهيم بن المهدي خاصةً فله معانٍ غير هذه، والصوت الذي سأله عنه غير هذا؛ وسيذكر بعد قضاء هذه الأخبار لئلا تنقطع.

وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة: أن إبراهيم بن المهدي لقي أبا سعيد مولى فائد؛ وذكر الخبر بمثل الذي قبله، وزاد فيه: فقال له: أشخص معي إلى بغداد، فلم يفعل. فقال: ما كنت لآخذكً بما لا تحب، ولو كان غيرك لأكرهته على ما أحب، ولكن دلني على ما ينوب عنك. فدله على ابن جامع، وقال له: عليك بغلامٍ من بني سهمٍ قد أخذ عني وعن نظرائي وتخرج، وهو كما تحب. فأخذه إبراهيم معه فأقدمه بغداد؛ فهو الذي كان سبب وروده إياها.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صوت من المائة المختارة

لقد طفت سبعاً قلت لما قضيتها ... ألا ليت هذا لا على ولا ليا

يسائلني صحبي فما أعقل الذي ... يقولون من ذكر لليلى اعترانيا

عروضه من الطويل. ذكر يحيى بن علي أن الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد، وذكر غيره أن الشعر للمجنون. ولحنه خفيف رملٍ بالبنصر وهو المختار. وذكر حبشٌ أن فيه لإبراهيم خفيف رملٍ آخر. والذي ذكر يحيى بن علي من أن الشعر لأبي سعيد مولى فائد هو الصحيح.

أخبرني عمي عن الكراني عن عيسى بن إسماعيل عن القحذفي أنه أنشده لأبي سعيد مولى فائد. قال عمي: وأنشدني هذا الشعر أيضاً أحمد بن أبي طاهر عن أبي دعامة لأبي سعيد. وبعد هذين البيتين اللذين مضيا هذه الأبيات:

إذا جئت باب الشعب شعب ابن عامر ... فأقرئ غزال الشعب مني سلاميا

وقل لغزال الشعب هل أنت نازلٌ ... بشعبك أم هل يصبح القلب ثاويا

لقد زادني الحجاج شوقاً إليكم ... وقد كنت قبل اليوم للحج قاليا

وما نظرت عيني إلى وجه قادمٍ ... من الحج إلا بل دمعي ردائيا

في البيت الأول من هذه الأبيات، هو:

إذا جئت باب الشعب شعب ابن عامر

لحن لابن جامع خفيف رملٍ عن الهشامي.

ومنها:

صوت

إن هذا الطويل من آل حفص ... نشر المجد بعد ما كان ماتا

وبناه على أساسٍ وثيقٍ ... وعمادٍ قد اثبتت إثباتا

مثل ما قد بنى له أو لوه ... وكذا يشبه البناة البنانا

عروضه من الخفيف. والشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد. ولحنه رملٌ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

ومنها:

صوت

قدم الطويل فأشرقت واستبشرت ... أرض الحجاز وبان في الأشجار

إن الطويل من آل حفصٍ فاعلموا ... ساد الحضور وساد في الأسفار

الشعر والغناء لأبي سعيد.

ومنها:

صوت

أيها الطالب الذي يخبط الأر ... ض دع الناس أجمعين وراكا

وأتٍ هذا الطويل من آل حفصٍ إن تخوفت عيلة أو هلاكا

عروضه من الخفيف. الشعر لأبي سعيد مولى فائد، وقيل: إنه للدارمي. والغناء لأبي سعيد خفيف ثقيلٍ.

وفيه للدارمي ثاني ثقيل.

الطويل من آل حفص الذي عناه الشعراء في هذه الأشعار، وهو عبد الله بن عبد الحميد بن حفص، وقيل: ابن أبي حفص بن المغيرة المخزومي؛ وكان ممدحاً.

فأخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة عن أبي أيوب المديني قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه: أن عبد الله بنعلي بن عبد الحميد المخزومي، كان يعطي الشعراء فيجزل، وكان موسراً، وكان سبب يساره ما صار إليه من أم سلمة المخزومية امرأة أبي العباس السفاح، فإنه تزوجها بعده، فصار إليه منها مالٌ عظيم، فكان

يتسمح به ويتفتق ويتسع بالعطايا. وكان أم سلمة مائلة إليه، فأعطته ما لا يدرى ما هو، ثن إنها اتهمته بجاريةٍ لها فاحتجبت عنه، فلم تعد إليه حتى مات. وكان جميل الوجه طويلاً. وفيه يقول أبو سعيدٍ مولى فائد:

إن هذا الطويل من آل حفصٍ نشر المجد بعد ما كان ماتا

وفيه يقول الدرامي:

أيها السائل الذي يخبط الأر ض دع الناس أجمعين وراكا

وأت هذا الطويل من آل خفصٍ إن تخوفت عليةً أو هلاكا

وفيه يقول الدرامي أيضاً:

إن الطويل إذا حللت به يوماً كفاك مؤونة الثقل

- ويروى:

ابن الطويل إذا حللت به

وحللت في دعةٍ وفي كنفٍ رحب الفناء ومنزلٍ سهل

غناء ابن عباد الكاتب، ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر عن ابن المكي.

فأما خبر إبراهيم بن المهدي مع أبي سعيد مولى فائد الذي قلنا إنه يذكر ها هنا، فأخبرني به الحسن بن علي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني القطراني المغني قال حدثني ابن جبر قال: سمعت إبراهيم بن المهدي يقول: كنت بمكة بالمسجد الحرام، فإذا بشيخ قد طلع وقد قلب إحدى نعليه على الأخرى وقام يصلي؛ فسألت عنه فقيل لي: هذا أبو سعيد مولى فائد. فقلت لبعض الغلمان: احصبه فحصبه؛ فأقبل عليه وقال: ما يظن أحدكم إذا دخل المسجد إلا أنه له. فقلت للغلام: قل له: يقول لك مولاي: ابلغني؛ فقال ذلك له. فقال له أبو سعيد: من مولاك حفظه الله؟ قال: مولاي إبراهيم بن المهدي، فمن أنت؟ قال: أنا أبو سعيد مولى فائد؛ وقام فجلس بين يدي، وقال: لا والله - بأبي أنت وأمي - ما عرفتك! فقلت: لا عليك! أخبرني عن هذا الصوت:

أفاض المدامع قتلى كدى وقتلى بكثوةً لم ترمس

قال: هو لي. قلت: ورب هذه البنية لا تبرح حتى تغنيه. قال: ورب هذه البنية لا تبرح حتى تسمعه. قال: ثم قلب إحدى نعليه وأخذ بعقب الأخرى، وجعل يقرع بحرفها على الأخرى ويغنيه حتى أتى عليه، فأخذته منه.

قال ابن جبر: وأخذته أنا من إبراهيم بن المهدي.

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثني دنية المدني صاحب العباسة بنت المهدي، وكان آدب من قدم علينا من أهل الحجاز: أن أبا سعيد مولى

فائد حضر مجلس محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة لأبي جعفر، وكان مقدماً لأبي سعيد. فقال له ابن عمران التيمي: يا أبا سعيد أنت القائل:

لقد طفت سبعاً قلت لما قضيتها ألا ليت هذا لا علي ولا ليا

فقال: أي لعمر أبيك، وأني لأدمجه إدماجاً من لؤلؤ. فرد محمد بن عمران شهادته في لذك المجلس. وقام أبو سعيد من مجلسه مغضباً وحلف أن لا يشهد عنده أبداً. فأنكر أهل المدينة على ابن عمران رده شهادته. وقالوا: عرضت حقوقنا للتوى وأموالنا للتلف؛ لأنا كنا نشهد هذا الرجل لعلمنا بما كنت عليه والقضاة قبلك من الثقة به وتقديمه وتعديله، فندم ابن عمران بعد ذلك على رد شهادته، ووجه إليه يسأله حضور مجلسه والشهادة عنده ليقضى بشهادته؛ فامتنع، وذكر أنه لا يقدر على حضور مجلسه ليمينٍ لزمته إن حضره حنث. قال: فكان ابن عمران بعد ذلك، إذا ادعى أحدٌ عنده شهادة أبو سعيدٍ، صار إليه إلى متزله أو مكانه من المسجد حتى يسمع منه ويسأله عما يشهد به فيخبره. وكان محمد بن عمران كثير اللحم، عظيم البطن، كبير العجيزة، صغير القدمين، دقيق الساقين، يشتد عليه المشي، فكان كثيراً ما يقول: لقد أتعبني هذا الصوت " لقد طفت سبعاً " وأضر بي ضرراً طويلاً شديداً، وأنا رجل ثقالٌ، بترددي إلى أبي سعيد لأسمع شهادته.

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا النصر بن عمرو عن الهيثم بن عدي قال: كان المطلب بن عبد الله بن حنطبٍ قاضياً على مكة، فشهد عنده أبو سعيد مولى فائد بشهادة؛ فقال له المطلب: ويحك! ألست الذي يقول:

لقد طفت سبعاً قلت لما قضيتها ألا ليت هذا لا علي ولا ليا

لا قبلت لك شهادة أبداً. فقال له أبو سعيد: أنا والله الذي يقول:

كأن وجوه الحنطبيين في الدجى قناديل تسقيها السليط الهياكل

فقال الحنطبي: إنك ما علمتك إلا دبابا حول البيت في الظلم، مدمناً للطواف به في الليل والنهار؛ وقبل شهادته.

نسبة الصوت المذكور قبل هذا،

الذي في حديث إبراهيم بن المهدي وخبره

صوت

أفاض المدامع قتلي كدى وقتلي بكثوة لم ترمس
وقتلي بوج وباللابتب ن من يثربٍ خير ما أنفس
وبالزابيين نفوسٌ ثوت وأخرى بنهر أبي فطرس
أولئك قومي أناخت بهم نوائب من زمنٍ متعس

إذا ركبوا زينوا الموكبين وإن جلسوا الزين في المجلس

هم أضرعوني لريب الزمان وهم ألصقوا الرغم بالمعطس

عروضه من المتقارب. الشعر للعبلي، واسمه عبد الله بن عمر، ويكنى أبا عدي، وله أخبار تذكر مفردةً في موضعها إن شاء الله. والغناء لأبي سعيدٍ مولى فائد، ولحنه من الثقيل الثاني بالسبابة في مجرى البنصر. وقصيدة العبلي أولها:

تقول أمامة لما رأت نشوزي عن المضجع النفس

نسخت من كتاب الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار، وأخبرني الخفش عن المبرد عن المغيرة بن محمد المهلبي عن الزبير عن سليمان عن عياش السعدي قال: جاء عبد الله بن عمر العبلي إلى سويقة وهو طريد بني العباس؛ وذلك بعقب أيام بني أمية وابتداء خروج ملكهم إلى بني العباس، فقصد عبد الله وحسناً ابني الحسن بن حسنٍ بسويقة؛ فاستنشده عبد الله بن حسنٍ شيئاً من شعره فأنشده؛ فقال له: أريد أن تنشدني شيئاً مما رثيت به قومك؛ فأنشده قوله:

تقول أمامة لما رأت نشوزي عن المضجع الأنفس

وقلة نومي على مضجعي لدى هجعة الأعين النعس

أبي ما عراك؟ فقلت الهموم عرون أباك فلا تبلسي

عرون أباك فحبسنه من الذل في شر ما محبس

لفقد الأحبة إذ نالها سهامٌ من الحدث المبئس

رمتها المنون بلا نكل ولا طائشاتٍ ولا نكس

بأسهمها المتلفات النفوس متى ما تصب مهجة تخلس

فصرعنهم في نواحي البلاد ملقى بأرضٍ ولم يرسس

تقيٌ أصيب وأثوابه من العيب والعار لم تدنس

وآخر قد دس في حفرةٍ وآخر قد طار لم يحسس

إذا عن ذكرهم لن ينم أبوك وأوحش في المجلس

فذاك الذي غالني فأعلمي ولا تسألي بامرئٍ متعس

أذلوا قناتي لمن رامها وقد ألصقوا الرغم بالمعطس

قال: فرأيت عبد الله بن حسنٍ وإن دموعه لتجري على خده.

وقد أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن إبراهيم بن رباح قال: عمر أبو سعيد بن أبي سنة مولى بني أمية وهو مولى فائد مولى عمرو بن عثمان إلى أيام الرشيد؛ فلما أحضره فقال: أنشدني قصيدتك:

تقول أمامة لما رأت

فاندفع فغناه قبل أن ينشده الشعر لحنه في أبيات منها، أولها:

أفاض المدامع قتلى كدى

وكان الرشيد مغضباً فسكن غضبه وطرب، فقال: أنشدني القصيدة. فقال: يا أمير المؤمنين، كان القوم موالي وأنعموا علي، فرثيتهم ولم أهج أحداً؛ فتركه.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الخزنبل قال: كنا عند ابن الأعرابي وحضر معنا أبو هفان، فأنشدنا ابن الأعرابي عمن أنشده قال: قال ابن أبي سبة العبلي:

أفاض المدامع قتلى كذا وقتلى بكبوة لم ترمس

فغمز أبو هفان رجلاً وقال له: ما معنى " كذا "؟ قال: يريد كثرتهم. فلما قمنا قال لي أبو هفان: أسمعت إلى هذا المعجب الرقيع! صحف اسم الرجل. هو ابن أبي سبة، فقال: ابن أبي سبة؛ وصحف في بيت واحدٍ موضعين؛ فقال: " قتلى كذا " وهو كدى، و " قتلى بكبوة " وهو بكثوة. وأغلظ علي من هذا أنه يفسر تصحيفه بوجهٍ وقاحٍ.

وهذا الشعر الذي غناه أبو سعيد يقوله أبو عدي عبد الله بن عمر العبلي فيمن قتله عبد الله بن علي بنهر أبي فطرس أبو العباس السفاح أمير المؤمنين بعدهم من بني أمية. وخبرهم والوقائع التي كانت بينهم مشهورةٌ يطول ذكرها جداً. ونذكر ها هنا ما يستحسن منها.

ذكر من قتل أبو العباس السفاح من بني أمية

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني مسبح بن حاتم العكلي قال حدثني الجهم بن السباق عن صالح بن ميمون مولى عبد الصمد بن علي قال: لما استمرت بمروان، أقام عبد الله بن علي بالرقة، وأنفذ أخاه عبد الصمد في طلبه فصار إلى دمشق، وأتبعه جيشاً عليهم أبو إسماعيل عامرٌ الطويل من قواد خراسان، فلحقه وقد جاز مصر في قرية تدعى بوصير، فقتله، وذلك يوم الأحد ثلاثٍ بقين من ذي الحجة، ووجه برأسه إلى عبد الله بن علي، فأنفذه عبد الله بن علي إلى أبي العباس. فلما وضع بين يديه خر لله ساجداً، ثم رفع رأسه وقال: الحمد لله الذي أظهر عليك وأظفرن بك ولم يبق ثأري قبلك وقبل رهطك أعداء الدين؛ ثم تمثل قول ذي الإصبع العدواني:

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ... ولا دماءهم للغيظ ترويني

أخبرني محمد بن خلف بن وكيعٌ قال حدثني محمد بن يزيد قال: نظر عبد الله بن علي إلى فتى عليه أبهة الشرف وهو يقاتل مستنتلاً، فناداه: يا فتى، لك الأمان ولو كنت مروان بن محمد. فقال: إلا أكنه فلست بدونه. قال: فلك الأمان من كنت. فأطرق ثم قال:

أذل الحياة وكره الممات ... وكلا أرى لك شراً وبيلا

- ويروى:

وكلاً أراه طعاماً وبيلا

فإن لم يكن غير إحداهما ... فسيراً إلى الموت سيراً جميلا

ثم قاتل حتى قتل. قال: فإذا هو ابن مسلمة بن عبد الملك بن مروان.

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال حدثني النضر بن عمرو عن المعيطي، وأخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال قال أبو السائب سلم بن جنادة السوائي سمعت أبا نعيم الفضل بن دكين يقول:

دخل سديفٌ - وهو مولى لآل أبي لهبٍ - على أبي العباس بالحيرة. هكذا قال وكيع. وقال الكراني في خبره واللفظ له: كان أبو العباس جالساً في مجلسه على سريره وبنو هاشم دونه على الكراسي، وبنو أمية على الوسائد قد ثنيت لهم، وكانوا في أيام دولتهم يجلسون هو والخلفاء منهم على السرير، ويجلس بنو هاشم على الكراسي؛ فدخل الحاجب فقال: يا أمير المؤمنين، بالباب رجلٌ حجازي أسود راكبٌ على نجيبٍ متلثمٌ يستأذن ولا يخبر باسمه، ويحلف ألا يحسر اللثام عن وجهه حتى يراك. قال: هذا مولاي سديف، يدخل، فدخل. فلما نظر إلى أبي العباس وبنو أمية حوله، حدر اللثام عن وجهه وأنشأ يقول:

أصبح الملك ثابت الأساس ... بالبهاليل من بني العباس

بالصدور المقدمين قديماً ... والرؤوس القماقم الرواس

يا أمير المطهرين من الذم ... ويا رأس منتهى كل راس

أنت مهدي هاشم وهداها ... كم أناسٍ رجوك بعد إياس

لا تقيلن بعد شمسٍ عثاراً ... واقطعن كل رقلةٍ وغراسٍ

أنزلوها بحيث أنزلها الل ... ه بدار الهوان والإتعاس

خوفهم أظهر التودد منهم ... وبهم منكم كحز المواسي

أقصهم أيها الخليفة واحسم ... عنك بالسيف شأفة الأرجاس

وأذكرن مصرع الحسين وزيدٍ ... وقتيلٍ بجانب المهراس

والإمام الذي بحران أمسى رهن قبرٍ في غزيةٍ وتناسي
فلقد ساءني وساء سوائي قربهم من نمارق وكراسي
نعم كلب الهراش مولاك لولا أودٌ من حبائل الإفلاس

فتغير لون أبي العباس وأخذه زمع ورعدة؛ فالتفت بعض ولد سليمان بن عبد الملك إلى رجل منهم، وكان إلى جنبه، فقال: قتلنا والله العبد. ثم أقبل أبو العباس عليهم فقال: يا بني الفواعل، أرى قتلاكم من أهلي قد سلفوا وأنتم أحياءٌ تتلذذون في الدنيا! خذوهم! فأخذتهم الخراسانية بالكافر كوبات، فأهمدوا، إلا ما كان من عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فإنه استجار بداود بن علي وقال له: إن أبي لم يكن كأبائهم وقد علمت صنيعته إليكم؛ فأجاره واستوهبه من السفاح، وقال له: قد علمت يا أمير المؤمنين صنع أبيه إلينا. فوهبه له وقال له: لا تريني وجهه، وليكن بحيث تأمنه؛ وكتب إلى عماله في النواحي بقتل بني أمية.

سبب قتل السفاح لبني أمية وتشفيه فيهم أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار عن عمه: أن سبب قتل بني أمية: أن السفاح أنشد قصيدةً مدح بها، فأقبل على بعضهم فقال: أين هذا مما مدحتم به! فقال: هيهات! لا يقول والله أحدٌ فيكم مثل قول ابن قيس الرقيات فينا:

ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحملون إن غضبوا
وأنهم معدن الملوك ولا تصلح إلا عليهم العرب

فقال له: يا ماص كذا من أمه! أو أن الخلافة لفي نفسك بعد! خذوهم! فأخذوا وقتلوا.

أخبرني عمي عن الكراني عن النصر بن عمرو عن المعيطي: أن أبا العباس دعا بالغداء حين قتلوا، وأمر ببساط فبسط عليهم، وجلس وجلس فوقه يأكل وهم يضطربون تحته. فلما فرغ من الأكل قال: ما أعلمني أكلت أكلةً قط أهنأ ولا أطيب لنفسي منها. فلما فرغ قال: جروا بأرجلهم؛ فألقوا في الطريق يلعنهم الناس أمواتاً كما لعنوهم أحياء. قال: فرأيت الكلاب تجر بأرجلهم تجر بأرجلهم وعليهم سراويلات الوشى حتى أنتنوا؛ ثم حفرت لهم بئرٌ فألقوا فيها: دور ابن هرمة فيما أصاب بني أمية أخبرني عمر بن عبد الله بن جميل العتكي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن معنٍ الغفاري عن أبيه قال: لما أقبل داود بن علي من مكة أقبل معه بنو حسنٍ جميعاً وحسين بن علي بن حسين وعلي بن عمر بن علي بن حسين وجعفر بن محمد والأرقط محمد بن عبد الله وحسين بن زيد ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاصي وعروة وسعيد ابنا خالد بن سعيد بن عمرو بن عثمان، فعمل لداود مجلسٌ بالرويثة؛ فجلس عليه هو والهاشميون، وجلس الأمويون تحتهم؛ فأنشده إبراهيم بن هرمة قصيدةً يقول فيها.

فلا عفا الله عن مروان مظلمةً ولا أمية بئس المجلس النادي

كانوا كعادٍ فأمسى الله أهلكهم — بمثل ما أهلك الغاوين من عاد

فلن يكذبني من هاشمٍ أحدٌ — فيما أقول ولو أكثرت تعدادي

قال: فنبذ داودد نحو ابن عنبسة ضحكة كالكشرة. فلما قام عبد الله ابن حسن لأخيه حسن: أما رأيت ضحكته إلى ابن عنبسة! الحمد لله الذي صرفها عن أخي يعني العثماني، قال: فما هو إلا أن قدم المدينة حتى قتل ابن عنبسة.

قال محمد بن معنٍ حدثني محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال: استحلف أخي عبد الله بن حسن داود بن علي، وقد حج معه سنة اثنتين وثلاثين ومائة، بطلاق آمراته ملكية بنت داود بن حسن ألا يقتل أخويه محمداً والقاسم ابني عبد الله. قال: فكنت أختلف إليه آمناً وهو يقتل بني أمية، وكان يكره أن يراني أهل خراسان ولا يستطيع إلي سبيلاً ليمينه. فاستدناني يوماً فدنوت منه، فقال: ما أكثر الغفلة وأقل الحزمة! فأخبرت بها عبد الله بن حسن؛ فقال: يا بن أم، تغيب عن الرجل؛ فتغيبت عنه حتى مات.

خبر سديف مع السفاح أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى قالا حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثني إسماعيل بن إبراهيم عن الهيثم بن بشر مولى بن علي قال: أنشد سديفٌ أبا العباس، وعنده رجالٌ من بني أمية قوله:

يا بن عم النبي أنت ضياءٌ — استبنا بك اليقين الجليا

فلما بلغ قوله:

جرد السيف وارفع العفو حتى — لا ترى فوق ظهرها أمويا

لا يغرنك ما ترى من رجالٍ — إن تحت الضلوع داء دوياً

بطن البغض في القديم فأضحى — ثاوياً في قلوبهم مطوياً

وهي طويلة قال: يا سديف، خلق الإنسان من عجلٍ، ثم قال:

أحيا الضغائن أباء لنا سلفوا — فلن تبيد وللأباء أبناء

ثم أمر بمن عنده منهم فقتلوا.

أخبرني أحمد بن عبيد اله بن عمار قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه عن عمومته: أنهم حضروا سليمان بن علي بالبصرة، وقد حضر جماعةٌ من بني أمية عليهم الثياب الموشية المرتفعة، فكأني أنظر إلى أحدهم وقد اسود شيبٌ في عارضيه من الغالية، فأمر بهم فقتلوا وجروا بأرجلهم، فألقوا على الطريق، وإن عليهم لسراويلات الوشي والكلاب تجر بأرجلهم.

عمرو بن معاوية يسأل الأمان أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن عبد الله بن عمرو قال أخبرني طارق بن المبارك عن أبيه قال: جاءني رسول عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة، فقال لي:

يقول لك عمرو: قد جاءت هذه الدولة وأنا حديث السن كثير العيال منتشر المال، فما أكون في قبيلة إلا شهر أمري وعرفت، وقد اعتزمت على أن أفدي حرمي بنفسي؛ وأنا صائرٌ إلى باب الأمير سليمان بن علي، فصر إلي. فوافيته فإذا عليه طيلسانٌ مطبقٌ أبيض وسراويل وشيٍ مسدول، فقلت: يا سبحان الله! ما تصنع الحداثة بأهلها! أبهذا اللباس تلقى القوم لما تريد لقاءهم فيه! فقال: لا والله، ولكنه ليس عندي ثوبٌ إلا أشهر مما ترى. فأعطيته طيلساني وأخذت طيلسانه ولويت سراويله إلى ركبتيه؛ فدخل ثم خرج مسروراً. فقلت له: حدثني ما جرى بينك وبين الأمير. قال: دخلت عليه ولم نتراء قط، فقلت: أصلح الله الأمير! لفظتني البلاد إليك، ودلني فضلك عليك؛ فإما قتلتني غانماً، وإما رددتني سالماً. فقال: ومن أنت؟ فقلت: إن الحرم اللواتي أنت أقرب الناس إليهن معنا وأولى الناس بهن بعدنا، قد خفن لخوفنا، ومن خاف خيف عليه. فوالله ما أجابني إلا بدموع على خديه؛ ثم قال يا بن أخي، يحقن الله دمك، ويحفظك في حرمك، ويوفر عليك مالك. ووالله لو أمكنني ذلك في جميع قومك لفعلت، فكن متوارياً كظاهر، وآمناً كخائف، ولتأتني رقاعك. قال: فكنت والله أكتب إليه كما يكتب الرجل إلى أبيه وعمه. قال: فلما فرغ من الحديث رددت عليه طيلسانه؛ فقال: مهلاً، فإن ثيابنا إذا فارقتنا لن ترجع إلينا.

شعر لسديف في تحريض السفاح أخبرني أحمد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال: قال سديفٌ لأبي العباس يحضه على بني أمية ويذكر من قتل مروان وبنو أمية من قومه:

كيف بالعفو عنهم وقديماً — قتلوكم وهتكوا الحرمات
أين زيدٌ وأين يحيى بن زيد — يا لها من مصيبة وترات
والإمام الذي أصيب بحرا — ن إمام الهدى ورأس الثقات
قتلوا آل أحمدٍ لا عفا الذن — ب لمروان غافر السيئات

شعر لرجل من شيعة بني العباس

في التحريض على بني أمية: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: أنشدني محمد بن يزيد لرجل من شيعة بن العباس يحرضهم على بني أمية:

إياكم أن تلينوا لاعتذارهم — فليس ذلك إلا الخوف والطمع
لو أنهم أمنوا أبدوا عداوتهم — فليس قمعوا بالذل فانقمعوا
أليس في ألف شهرٍ قد مضت لهم — سقوكم جرعاً من بعدها جرع
حتى إذا ما انقضت أيام مدتهم — متوا إليكم بالأرحام التي قطعوا
هيهات لا بد أن يسقوا بكأسهم — ريا وأن يحصدوا الزرع الذي زرعوا

إنا وإخواننا الأنصار شيعتكم إذا تفرقت الأهواء والشيع

إياكم أن يقولوا الناس إنهم قد ملكوا ثم ما ضروا ولا نفعوا

رواية أخرى في تحريض سديف للسفاح

وذكر ابن المعتز: أن جعفر بن إبراهيم حدثه عن إسحاق بن منصور عن أبي الخصيب في قصة سديف بمثل ما ذكره الكراني عن النضر بن عمرو عن المعيطي، إلا أنه قال فيها: فلما أنشده ذلك التفت إليه أبو الغمر سليمان بن هشام فقال: يا ماص بظر أمه! اتجبهنا بهذا ونحن سروات الناس! فغضب أبو العباس؛ وكان سليمان بن هشام صديقه قديماً وحديثاً يقضي حوائجه في أيامهم ويبره؛ فلم يلتفت إلى ذلك، وصاح بالخراسانية: خذوهم؛ فقتلوا جميعاً إلا سليمان بن هشام، فأقبل عليه السفاح فقال: يا أبا الغمر، ما أرى لك في الحياة بعد هؤلاء خيراً. قال: لا والله. فقال: اقتلوه، وكان إلى جنبه، فقتل، وصلبوا في بستانه، حتى تأذى جلساؤه بروائحهم، فكلموه في ذلك، فقال: والله لهذا ألذ عندي من شم المسك والعنبر، غيظاً عليهم وحنقاً.

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

أصبح الدين ثابت الآساس بالبهاليل من بني العباس

بالصدور المقدمين قديماً والرؤوس القماقم الرؤاس

عروضه من الخفيف، والشعر لسديف. والغناء لعطرد رملٌ بالبنصر عن حبشٍ. قال: وفيه لحكمٍ الوادي ثاني ثقيلٌ. وفيه ثقيلٌ أول مجهول.

ومما قاله أبو سعيد مولى فائد في قتلى بني أمية وغنى فيه:

صوت

بكيت وماذا يرد البكاء وقل البكاء لقتلى كداء

أصيبوا معاً فتولوا معاً كذلك كانوا معاً في رخاء

بكت لهم الأرض من بعدهم وناحت عليهم نجوم السماء

وكانوا الضياء فلما انقضى الزم ان بقومي تولى الضياء

عروضه من المتقارب. الشعر والغناء لأبي سعيدٍ مولى فائد، ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر من رواية عمرو بن بانة وإسحاق وغيرهما.

ومما قاله فيهم وغنى فيه على أنه قد نسب إلى غيره:

صوت

أثر الدهر في رجالي فقلوا	بعد جمعٍ فراح عظمي مهيضا
ما تذكرتهم فتملك عيني	فيض غربٍ وحق لي أن تفيضا

الشعر والغناء لأبي سعيد خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكي والهشامي. وروى الشيعي عن عمر بن شبة عن إسحاق أن الشعر لسديف والغناء للغريض. ولعله وهمٌ.

ومنها:

صوت

أولئك قومي بعد عز ومنعةٍ	تفانوا فإلا تذرف العين أكمد
كأنهم لا ناس للموت غيرهم	وإن كان فيهم منصفاً غير معتدي

الشعر والغناء لأبي سعيد. وفيه لحنٌ لمتيم.

المأمون وعلوية يندب بني أمية

أخبرني عبد الله بن الربيع قال حدثنا أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدثني عمي طياب بن إبراهيم قال: ركب المأمون بدمشق يتصيد حتى بلغ جبل الثلج، فوقف في بعض الطريق على بركة عظيمة في جوانبها أربع سروات لم ير أحسن منها ولا أعظم، فترل المأمون وجعل ينظر إلى آثار بني أمية ويعجب منها ويذكرهم، ثم دعا بطبق عليه بزماورد ورطل نبيذ؛ فقام علويه فغنى:

أولئك قومي بعد عز ومنعةٍ	تفانوا فإلا تذرف العين أكمد

قال: فغضي المأمون وأمر برفع الطبق، وقال: يا بن الزانية! ألم يكن لك وقت تبكي فيه على قومك إلا هذا الوقت! قال: نعم أبكي عليهم! مولاكم زرياب يركب معهم في مائة غلامٍ، وأنا مولاهم معكم أموت جوعاً! فقام المأمون فركب وانصرف الناس، وغضب على علويه عشرين يوماً؛ فكلمه فيه عباس أخو بحرٍ؛ فرضي عنه، ووصله بعشرين ألف درهم.

صوت من المائة المختارة

مهاةٌ أن الذر تمشي ضعافه | على متنها بضت مدارجه دما
فقلن لها قومي فديناك فاركبي | فأومت بلالاً غير أن تتكلما

عروضه من الطويل. بضت: سالت. يقول: لو مشى الذر على جلدها لجرى الدم من رقته. وروى الأصمعي:

منعة لو يصبح الذر سارياً | على متنها بضت مدارجه دما

الشعر لحميد بن ثور الهلالي. والغناء في اللحن لفليح بن أبي العوراء، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى. وذكر عمرو بن بانة أن لحن فليح من خفيف الثقيل الأول بالوسطى، وأن الثقيل الأول للهذلي.

ومما يغنى فيه من هذه القصيدة:

صوت

إذا شئت بأجزاع بيشةٍ | أو النخل من تثليث أو من يلملما
مطوقةٌ طوقاً وليس بحليةٍ | ولا ضرب صواغٍ بكفيه درهما
تبكي على فرح لها ثم تغتدي | مولهةً تبغي لها الدهر مطعما
تؤمل منه مؤنساً لانفرادها | وتبكي عليه إن زقا أو ترنما

وغناه محمد الرف خفيف رملٍ بالوسطى.

ذكر حميد بن ثور ونسبه وأخباره

نسبه وطبقته في الشعراء

هو حميد بن ثور بن عبد الله بن عامر بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار. وهو من شعراء الإسلام. وقرنه ابن سلام بنهشل بن حري وأوس بن مغراء.

هو مخضرم أدرك عمر بن الخطاب

وقد أدرك حميد بن ثور عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال الشعر في أيامه. وقد أدرك الجاهلية أيضاً.

نهى عمر الشعراء عن التشبيب أخبرني وكيعٌ قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد وعبد الله بن شبيب قالا حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثني محمد بن فضالة النحوي قال: تقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشعراء ألا يشبب أحد امرأة إلا جلده. فقال حميد بن ثور:

أبى الله إلا أن سرحة مالكٍ على كل أفنان العضاه تروق
فقد ذهبت عرضاً وما فوق طولها من السرح إلا عشةٌ وسحوق

- العشة: القليلة الأغصان والورق. والمسحوق: الطويلة المفرطة -.

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفيء من برد العشي تذوق
فهل أنا إن عللت نفسي بسرحةٍ من السرح موجودٌ علي طريقٌ

وهي قصيدة طويلة أولها:

نأت أم عمر فالفؤاد مشوق يحن إليها والهاً ويتوق

صوت

وفيها مما يغنى فيه:

سقى السرحة المحلال والأبرق الذي به السرح غيثٌ دائمٌ ويروق
وهل أنا إن عللت نفسي بسرحةٍ من السرح موجودٌ علي طريقٌ

غناه إسحاق، ولحنه ثاني ثقيلٍ " بالوسطى ".

وفد على بعض خلفاء بني أمية

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير عن عمه قال: وفد حميد بن ثور على بعض خلفاء بني أمية؛ فقال له: ما جاء بك؟ فقال:

أتاك بي الله الذي من فوق ما ترى وخيرٌ ومعروفٌ عليك دليل
ومطوية الأقراب أما نهارها فنصٌ وأما ليلها فذميل
ويطوي عليه الليل حضنيه أنني لذاك إذا هاب الرجال فعول

فوصله وصرفه شاكراً.

أخبار فليح بن أبي العوراء

فليحٌ رجل من أهل مكة، مولىً لبني مخزوم، ولم يقع إلينا اسم أبيه. وهو أحد مغني الدولة العباسية، له محلٌ كبير

من صناعته، وموضعٌ جليل. وكان إسحاق إذا عد من سمع من المحسنين ذكره فيهم وبدأ به. وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المائة الصوت للرشيد.

مدح إسحاق الموصلي غناءه

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ابن المكي عن أبيه عن إسحاق قال: ما سمعت أحسن غناءً من فليح بن أبي العوراء وابن جامع: فقلت له: فأبو إسحاق؟ " يعني أباه "؛ فقال: كان هذان لا يحسنان غير الغناء، وكان أبو إسحاق فيه مثلهما، ويزيد عليهما فنوناً من الأدب والرواية لا يداخلانه فيها.

كان يحكي الأوائل فيصيب ويحسن

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال: قال لي إسحاق: أحسن من سمعت غناءً عطرد وفليح.

وكان فليح أحد الموصوفين بحسن الغناء المسموع في أيامه، وهو أحد من اكن يحكي الأوائل فيصيب ويحسن.

أمره الرشيد بتعليم ابن صدقة صوتاً له

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني محمد بن محمد العنبسي قال حدثني محمد بن الوليد الزبيري قال: سمعت كثير بن المحول يقول: كان مغنيان بالمدينة يقال لأحدهما فليح بن أبي العوراء، والآخر سليمان بن سليم؛ فخرج إليهما رسول الرشيد يقول لفليح غناؤك من حلق أبي صدقة أحسن منه من حلقك، فعلمه إياه - قال: وكان يغني صوتاً يجيده، وهو:

خير ما نشربها بالبكر

- قال: فقال فليح للرسول: قل له: حسبك:. قال: فسمعنا ضحكه من وراء الستارة.

كانت ترفع الستارة بينه وبين المهدي

دون سائر المغنين:

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثنا الفضل بن الربيع: أن المهدي كان يسمع المغنين جميعاً، ويحضرون مجلسه، فيغنونه من وراء الستارة لا يرون له وجهاً إلا فليح بن أبي العوراء؛ فإن عبد الله بن مصعب الزبيري كان يرويه شعره ويغني فيه في مدائحه للمهدي؛ فدس في أضعافها بيتين يسأله فيهما أن ينادمه، وسأل فليحاً أن يغنيهما في أضعاف أغانيه، وهما:

صوت

يا أمين الإله في الشرق والغر	ب على الخلق وابن عم الرسول
مجلساً بالعشي عندك في المي	دان أبغي والإذن لي في الوصول

فغناه فليح إياهما. فقال المهدي: يا فضل، أجب عبد الله إلى ما سأل، وأحضره مجلسي إذا حضره أهلي وموالي وجلست لهم، وزده على ذلك أن ترفع بيني وبين راويته فليح الستارة؛ فكان فليح أول مغنٍ عاين وجهه في مجلسهم.

دعاه محمد بن سليمان أول دخوله بغداد

أخبرني رضوان قال حدثني يوسف بن إبراهيم قال حدثني بعد قدومي فسطاط مصر زياد بن أبي الخطاب كاتب مسرورٍ خادم الرشيد، قال: سمعت محبوب بن الهفتي يحدث أبي، قال: دعاني محمد بن سليمان بن علي، فقال لي: قد قدم فليح من الحجاز ونزل عند مسجد ابن رغبان، فصر إليه، فأعلمه أنه جاءني قبل أن يدخل إلى الرشيد، خلعت عليه خلعة سرية من ثيابي ووهبت له خمسة آلاف درهم. فمضيت إليه فخبرته بذلك؛ فأجابني إليه إجابة مسرورٍ به نشيط له. وخرج معي، فعدل إلى حمام كان بقربه، فدعا القيم فأعطاه درهمين وسأله أن يجيئه بشيء يأكله ونبيذٍ يشربه؛ فجاءه برأسٍ كأنه رأس عجلٍ ونبيذٍ دوشابي غليظ مسحوري رديء، فقلت له: لا تفعل، وجهدت به ألا يأكل ولا يشرب إلا عند محمد بن سليمان؛ فلم يلتفت إلي، وأكل ذلك الرأس وشرب من ذلك النبيذ الغليظ حتى طابت نفسه وغنى وغنى القيم معه ملياً؛ ثم خاطب القيم بما أغضبه، وتلاحيا وتواثبا؛ فأخذ القيم شيئاً فضربه به على رأسه فشجه حتى جرى دمه.

فلما رأى الدم على وجهه اضطرب وجزع وقام يغسل جرحه، ودعا بصوفة محرقة وزيت، وعصبه وتعمم وقام معي. فلما دخلنا دار محمد بن سليمان. ورأى الفرش والآلة وحضر الطعام فرأى سروه وطيبه، وحضر النبيذ وآلته، ومدت الستائر وغنى الجواري، أقبل علي وقال: يا مجنون! سألتك بالله أيما أحق بالعربدة وأولى: مجلس القيم أو مجلس الأمير؟ فقلت: وكأنه لابد من عربدة! قال: لا! والله مالي منها بد، فأخرجتها من رأسي هناك. فقلت: أما على هذا الشرط فالذي فعلت أجود. فسألني محمد عما كنا فيه فأخبرته؛ فضحك ضحكاً كثيراً، وقال: هذا الحديث والله أظرف وأطيب من كل غناء؛ وخلع عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم.

اتفق مع حكم الوادي على إسقاط ابن جامع

عند يحيى بن خالد:

قال هارون بن محمد وحدثني حماد بن إسحاق قال حدثني أبو إسحاق القرمطي قال حدثنا مدركة بن يزيد قال: قال لي فليح بن أبي العوراء: بعث يحيى بن خالد إلي وإلى حكم الوادي وإلى ابن جامع، فأتيناه. فقلت لحكم: إن قعد ابن جامع معنا فعاوني عليه لنكسره. فلما صرنا إلى الغناء غنى حكمٌ؛ فصت وقلت: هكذا والله يكون الغناء! ثم غنيت، ففعل لي حكمٌ مثل ذلك. وغنى ابن جامع فما كنا معه في شيء. فلما كان العشي أرسل إلى جاريته دنانير: إن أصحابك عندنا، فهل لكي أن تخرجي إلينا؟ فخرجت وخرج معها وصائف؛ فأقبل عليها يقول لها من حيث يظن أنا لا نسمع: ليس في القوم أنزه نفساً من فليح. ثم أشار إلى غلام له: أن ائت كل إنسان بألفي درهم، فجاء بها؛ فدفع إلى ابن جامع ألفي درهم فأخذها فطرحها في كمه، وفعل بحكم الوادي مثل ذلك فطرحها في كمه، ودفع إلي ألفين. فقلت لدنانير: قد بلغ مني النبيذ، فاحبسيها لي عندك حتى تبعثي بها إلي؛ فأخذت الدراهم مني بعثت بها إلى من الغد، وقد زادت عليها؛ وأرسلت إلي: قد بعثت إليك بوديعتك وبشيء أحببت أن تفرقه على أخواتي تعني جواري.

طلبه الفضل بن الربيع فجيء به مريضاً

فغنى ورجع ثم مات في علته:

قال هارون بن محمد وحدثني حماد قال حدثني أبي قال: كنا عند الفضل بن الربيع، فقال: هل لك في فليح بن أبي العوراء؟ قلت نعم. فأرسل إليه، فجاء الرسول فقال: هو عليلٌ؛ فعاد إليه فقال الرسول: لابد من أن تجيء؛ فجاء به محمولاً في محفة؛ فحدثنا ساعة ثم غنى. فكان فيما غنى:

تقول عرسي إذ نبا المضجع   ما بالك الليلة لا تهجع

فاستحسناه منه واستعدناه منه مراراً؛ ثم انصرف ومات في علته تلك؛ وكان آخر العهد به ذلك المجلس.

روى قصة فتى عاشق غناه هو وعشيقته

فبعثت إليه مهرها ليخطبها إلى أبيها:

أخبرني أحمد بن أبي جعفر جحظة قال حدثني محمد بن أحمد ين يحيى المكي قال حدثني أبي عن فليح بن أبي العوراء قال: كان في المدينة فتًى يعشق ابنة عم له، فوعدته أن تزوره. وشكا إليه أنها تأتيه ولا شيء عنده، فأعطيته ديناراً للنفقة. فلما زارته قالت له: من يلهينا؟ قال: صديق لي، ووصفني لها، ودعاني فأتيته؛ فكان أول ما غنيته:

من الخفرات لم تفضح أخاها   ولم تدفع لوالدها شنارا

فقامت إلى ثوبها فلبسته لتنصرف؛ فعلق بها وجهد بها كل الجهد في أن تقيم، فلم تقم وانصرفت. فأقبل علي يلومني في أن غنيتها ذلك الصوت. فقلت: والله ما هو شيءٌ اعتمدت به مساءتك، ولكنه شيء اتفق. قال: فلم نبرح حتى عاد رسولها بعدها ومعه صرة فيها ألف دينار ودفعها إلى الفتى وقال له: تقول لك ابنة عمك: هذا مهري ادفعه إلى أبي، واخطبني؛ ففعل فتزوجها.

نسبة هذا الصوت

صوت

من الخفرات لم تفضح أخاها ... ولم تدفع لوالدها شنارا

كأن مجامع الأرداف منها ... نقاً درجت عليه الريح هارا

يعاف وصال ذات البذل قلبي ... وأتبع الممنعة النوارا

والشعر لسليك بن السلكة السعدي. والغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى الوسطى. وفيه لابن الهربذ لحنٌ من رواية بذل، أوله:

يعاف وصال ذات البذل قلبي

وبعده:

غذاها قارصٌ يغدو عليها ... ومحضٌ حين تنتظر العشارا

ورد دمشق يعلم جواري ابن المهدي

أخبرني رضوان بن أحمد قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال:

كتب إلي جعفر بن يحيى وأنا عاملٌ للرشيد على جند دمشق: قد قدم علينا فليح بن أبي العوراء، فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كل غناء سمعناه قبله. وأنا محتال لك في تخليصه إليك، لتستمتع به كما استمتعنا. فلم ألبث أن ورد علي فليح بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثة آلاف دينار. فورد علي رجلٌ أذكرني لقاؤه الناس، وأخبرني أنه قد ناهز المائة، فأقام عندي ثلاث سنين، فأخذ عنه جواري كل ما كان معه من الغناء، وانتشرت أغانيه بدمشق:

قال يوسف: ثم قدم علينا شابٌ من المغنين نع علي بن زيد بن الفرج الحراني، عند مقدم عنبسة بن إسحاق فسطاط مصر، يقال له مونق؛ فغناني من غناء فليح:

صوت

يا قرة العين اقبلي عذري ... ضاق بهجرانكم صدري

لو هلك الهجر استراح الهوى ما لقي الوصل من الهجر

-ولحنه خفيف رملٍ - فلم أر بين ما غناه وبين ما سمعته في دار أبي إسحاق فرقاً؛ فسألته كمن أين أخذه؟ فقال: أخذته بدمشق؛ فعلمت أنه مما أخذه أهل دمشق عن فليح.

صوت من المائة المختارة

أفاطم إن النأي يسلي ذوي الهوى ونأيك عني زاد قلبي بكم وجدا

أرى حرجاً ما نلت من ود غيركم ونافلةً ما نلت من ودكم رشدا

وما نلتقي من بعد نأي وفرقةٍ وشحط نوى إلا وجدت له بردا

على كبد قد كاد يبدي بها الهوى ندوباً وبعض القوم يحسبني جلدا

عروضه من الطويل. النأي: البعد، ومثله الشحط. والحرج: الضيق؛ قال الله تعالى: " يجعل صدره ضيقاً حرجاً ". والندوب: آثار الجراح، وأحدها ندبٌ.

الشعر لإبراهيم بن هرمة. والغناء في اللحن المختار، على ما ذكره إسحاق، ليونس الكاتب، وهو من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. وذكر يحي بن علي بن يحيى عن أبيه مثل ذلك. وذكر حبش بن موسى أن الغناء لمرزوق الصراف أو ليحيى بن واصل. وفي هذه الأبيات للهذلي لحنٌ من خفيف الثقيل الأول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة، ومن الناس من ينسب اللحنين جميعاً إليه.

ذكر ابن هرمة وأخباره ونسبه

نسبه

هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة بن هذيل، هكذا ذكر يعقوب بن السكيت. وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب، وذكر ذلك العباس بن هشام الكلبي عن أبيه هشام بن محمد السائب، قالوا جميعاً: هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة بن الهديل بن ربيع بن عامر بن صبيح بن كنانة بن عدي بن قيس بن الحارث بن فهر - وفهرٌ أصل قريش، فمن لم يكن من ولده لم يعد من قريش، وقد قيل ذلك في النضر بن كنانة - وفهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر. قال من ذكرنا من النسابين: قيس بن الحارث هو الخلج، وكانوا في عدوان ثم انتقلوا إلى بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن. فلما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتوه ليفرض لهم، فأنكر نسبهم. فلما استخلف عثمان أتوه فأثبتهم في بني الحارث بن فهرٍ وجعل لهم معهم ديواناً. وسموا الخلج لأنهم اختلجوا ممن كان معه من عدوان ومن بني نصر بن معاوية. وأهل المدينة يقولون: إنما سموا الخلج لأنهم نزلوا بالمدينة على خلجٍ " وواحدها خليج "

فسموا بذلك. ولهم بالمدينة عدد. قال مصعب: كان لإبراهيم بن هرمة عمٌ يقال له هرمة الأعور، فأرادت الخلج نفيه منهم؛ فقال: أمسيت ألأم العرب دعيّ أدعياء. ثم قال يهجوهم:

رأيت بني فهرٍ سباطاً أكفهمفمال بال أنبوني أكفكم قفدا

ولم تدركوا ما أدرك القوم قبلكم … من المجد إلا دعوةً ألحقت كدا

على ذي أيادي الدهر أفلح جدهم … وخبتم فلم يصرع لكم جدكم جدا

نفاه بنو الحارث بن فهر عنهم

فعاتبهم فصار منهم لساعته:

وقال يحيى بن علي حدثني أبو أيوب المديني عن المدائني عن أبي سلمة الغفاري قال: نفى بنوالحارث بن فهرٍ ابن هرمة، فقال:

أحاربن فهرٍ كيف تطرحونني … وجاء العدا من غيركم تبتغي نصري

قال: فصار من ولد فهرٍ من ساعته.

كان يقول أنا ألأم العرب

قال يحيى بن علي وحدثني أحمد بن يحيى الكاتب قال حدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه قال:
كان ابن هرمة يقول: أنا ألأم العرب، دعيّ أدعياء: هرمة دعيٌّ في الخلج، والخلج أدعياء في قريش.

قصته مع أسلمي ضافه

حدثني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: زرت عبد الله بن حسن ببادية وزاره ابن هرمة، فجاء رجلٌ من أسلم؛ فقال ابن هرمة لعبد الله بن حسن: أصلحك الله! سل الأسلمي أن يأذن لي أن أخبرك خبري وخبره. فقال له عبد الله بن حسن: ائذن له، فأذن له الأسلمي. فقال له إبراهيم بن هرمة: إني خرجت - أصلحك الله - أبغي ذوداً لي، فأوحشت وضفت هذا الأسلمي، فذبح لي شاةً وخبز لي خبزاً وأكرمني، ثم غدوت من عنده، فأقمت ما شاء الله. ثم خرجت أيضاً في بغاء ذودٍ لي، فأوحشت فضفته فقراني بلبن وتمر، ثم غدوت من عنده فأقمت ما شاء الله. ثم خرجت في بغاء ذودٍ لي، فأوحشت، فقلت: لو ضفت الأسلمي! فاللبن والتمر خير من الطوى؛ فضفته فجاءني بلبن حامض. فقال: قد أجبته - أصلحك الله - إلى ما سأل، فسله أن يأذن لي أن أخبرك لما فعلت. فقال له: ائذن له؛ فأذن له. فقال الأسلمي: ضافني، فسألته من هو؟ فقال: رجلٌ من قريش، فذبحت له

الشاة التي ذكر، ووالله لو كان غيرها عندي لذبحته له حين ذكر أنه من قريش. ثم غدا من عندي وغدا علي الحي فقالوا: من كان ضيفك البارحة؟ قلت: رجلٌ من قريش؛ فقالوا: لا والله ما هو من قريش، ولكنه دعيٌّ فيها. ثم ضافني الثانية على أنه دعيٌّ في قريش، فجئته بلبن وتمر وقلت: دعي قريش خيرٌ من غيره. ثم غدا من عندي وغدا عليّ الحي فقالوا: من كان ضيفك البارحة؟ قلت الرجل الذي زعمتم أنه دعيٌّ في قريش؛ فقالوا: لا والله ما هو بدعيٍّ في قريش، ولكنه دعيّ أدعياء قريش. ثم جاءني الثالثة، فقريته لبناً حامضاً، ووالله لو كان عندي شرٌ منه لقريته إياه. قال: فانخذل ابن هرمة، وضحك عبد الله وضحكنا معه.

لقاؤه ابن ميادة

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني نوفل بن ميمون قال: لقي ابن ميادة ابن هرمة، فقال ابن ميادة: والله لقد كنت أحب أن ألقاك، لا بدَّ من أن نتهاجى، وقد فعل الناس ذلك قبلنا، فقال ابن هرمة: بئس والله ما دعوت إليه وأحببته، وهو يظنه جاداً. ثم قال له ابن هرمة: أما والله إنني للذي أقول:

إني لميمون جواراً وإنني ... إذا زجر الطير العدا لمشوم
وإني لملآن العنان مناقلٌ ... إذا ما ونى يوماً ألف سؤوم
فود رجالٌ أن أمي تقنعت ... بشيبٍ يغشي الرأس وهي عقيم

فقال ابن ميادة: وهل عندك جراء؟ ثكلتك أمك! أنت ألأم من ذلك! ما قلت إلا مازحاً.

أخبرنا به وكيع قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال قال عبد العزيز بن عمران: اجتمع ابن هرمة وابن ميادة عند جميع بن عمر بن الوليد، فقال ابن ميادة لابن هرمة: قد كنت أحب أن القاك ثم ذكر نحوه.

أنكر عليه مضغه الناطف

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني أبو سلمة الغفاري عن أبيه قال:

وفدت على المهدي في جماعة من أهل المدينة، وكان فيمن وفد يوسف بن موهبٍ وكان في رجال بني هاشم من بني نوفل، وكان معنا ابن هرمة؛ فجلسنا يوماً على دكان قد هيئ لمسجد ولم يسقف، في عسكر المهدي؛ وقد كنا نلقي الوزراء وكبراء السلطان، وكانوا قد عرفونا؛ وإذا حيال الدكان رجلٌ بين يديه ناطفٌ يبيعه يوم شات شديد البرد، فأقبل إذ ضربه بفأسه فتطاير جفوفاً؛ فأقبل ابن هرمة علينا، فقال ليوسف: يابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أما معك درهمٌ نأكل به من هذا الناطف؟ فقال له: متى عهدتني أحمل الدراهم! قال: فقلت له: لكني أنا معي، فأعطيته درهماً خفيفاً، فاشترى به ناطفاً على طبق للناطفي فجاء بشيء كثير، فأقبل يتمضغه وحده ويحدثنا ويضحك. فما راعنا إلا موكب أحد الوزيرين: أبي عبيد الله أو يعقوب بن داود. ثم

أقبلت المطرقة؛ فقلنا: مالك قاتلك الله! يهجم علينا هذا وأصحابه، فيرون الناطف بين أيدينا فيظنون أنا نأكل معك. قال: فوالله ما أحد أولى بالستر على أصحابه وتقلد البلية منك يا ابن عم رسول الله! فضعه بين يديك. قال: اعزب قبحك الله! قال: فأنت يابن أبي ذر، فزبرته. قال: فقال: قد علمت أنه لا يبتلى بهذا إلا دعي أدعياء عاض كذا من أمه. ثم أخذ الطبق في يده فحمله وتلقى به الموكب، فما مر به أحدٌ له نباهةٌ إلا مازحه، حتى مضى القوم جميعاً.

مدح عبد الله بن حسن فأكرمه

وقال هارون حدثني أبو حذافة السهمي قال حدثنا إسحاق بن نسطاس قال: كان أبو هرمة مشتهراً بالنبيذ، فأتى عبد الله بن حسن وهو بالسيالة، فأنشده مديحاً له. فقام عبد الله إلى غنم كانت له، فرمى بساجةٍ عليها فافترقت فرقتين، فقال: أيهما شئت - قال: فإما أن تكون زادت بواحدة أو نقصت بواحدة على الأخرى. قال: وكانت ثلاثمائة - وكتب له إلى المدينة بدنانير. فقال له: يا ابن هرمة، انقل عيالك إلينا يكونوا مع عيالنا. فقال: أفعل يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم قدم ابن هرمة المدينة وجهز عياله لينقلهم إلى عبد الله بن حسن، واكترى من رجلٍ من مزينة.

فبينا هو قد شد متاعه وحمله والكري ينتظره أن يتحمل، إذا أتاه صديق له، فقال: أي أبا إسحاق، عندي والله نبيذٌ يسقط لحم الوجه. فقال: ويحك! أما ترانا على مثل هذا الحال! أعليها يمكن الشراب! فقال: إنما هي ثلاثة لا تزد عليهن شيئاً. فمضى معهم وهم وقوف ينظرون؛ فلم يزل يشرب حتى مضى من الليل صدرٌ صالح؛ ثم أتي به وهو سكران، فطرح في شق المحمل وعادلته امرأته ومضوا.

فلما أسحروا رفع رأسه فقال: أين أنا؟ فأقبلت عليه امرأته تلومه وتعذله، وقالت: قد أفسد عليك هذا النبيذ دينك ودنياك، فلو تعللت عنه بهذه الألبان! فرفع رأسه إليها وقال:

لا نبتغي لبن البعير وعندنا ... ماء الزبيب وناطف المعصار

هو أحد من ختم بهم الشعراء

في رأي الأصمعي:

أخبرنا محمد بن خلف وكيعٌ قال حدثنا زكريا بن يحيى بن خلاد قال: كان الأصمعي يقول: ختم الشعراء بابن هرمة، والحكم الخضري، وابن ميادة، وطفيل الكناني، ومكين العذري.

رهن رداءه في النبيذ

قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدثني أبو حذافة السهمي أحمد بن إسماعيل قال: كان ابن هرمة مدمناً للشراب مغرماً به؛ فأتى أبا عمرو بن أبي راشد مولى عدوان؛ فأكرمه وسقاه أياماً ثلاثةً. فدعا ابن هرمة؛ فقال له غلامٌ لأبي عمرو ابن أبي راشد: قد نفذ نبيذنا. فنزع ابن هرمة رداءه عن ظهره فقال للغلام: إذهب به إلى ابن حونك نباذ كان بالمدينة، فأرهنه عنده وأتنا بنبيذٍ، ففعل. وجاء ابن أبي راشد، فجعل يشرب معه من ذلك النبيذ. فقال له: أين رداؤك يا أبا إسحاق؟ فقال: نصفٌ في القدح ونصفٌ في بطنك.

طائفة من أخباره

قال هارون حدثني محمد بن عمر بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عوف الزهري قال حدثني عمي عبد العزيز بن إسماعيل قال: مدح ابن هرمة محمد بن عمران الطلحي، وبعث إليه بالمديح مع ابن ربيح، فاحتجب عنه؛ فمدح محمد بن عبد العزيز؛ وكان ابن هرمة مريضاً، فقال قصيدته التي يقول فيها:

إني دعوتك إذ جفيت وشفني مرضٌ تضاعفني شديد المشتكى
وحسبت عن طلب المعيشة وارتقت دوني الحوائج في وعور المرتقى

فأجب أخاك فقد أناف بصوته يا ذا الإخاء ويا كريم المرتجى
ولقد حفيت صببت عكة بيتنا ذوباً ومزت بصفوه عنك القذى
فخذ الغنيمة واغتنمي إنني غنمٌ لمثلك والمكارم تشترى
لا ترمين بحاجتي وقضائها ضرح الحجاب كما رمى بي من رمى

فركب إلى جعفر بن سليمان نصف النهار؛ فقال: ما نزعك يا أبا عبد الله في هذا الوقت؟ قال: حاجةٌ لم أر فيها أحداً أكفى مني. قال: وما هي؟ قال: قد مدحني ابن هرمة بهذه الأبيات، فأردت من أرزاقي مائة دينار. قال: ومن عندي مثلها. قال: ومن أمير المؤمنين أيضاً! قال: فجاءت المائتا الدينار إلى ابن هرمة، فما أنفق منها إلا ديناراً واحداً حتى مات، وورث الباقي أهله.

وقال أحمد بن أبي خيثمة عن أبي الحسن المدائني قال: امتدح ابن هرمة أبا جعفر فوصله بعشرة آلاف درهم. فقال: لا تقع مني هذه. قال: ويحك! إنها كثيرة. قال: إن أردت أن تهنئني فأبح لي الشراب فإني مغرمٌ به. فقال: ويحك! هذا حد من حدود الله. قال: احتل لي يا أمير المؤمنين. قال نعم. فكتب إلى والي المدينة: من أتاك بابن هرمة سكران فاضربه مائةً واضرب ابن هرمة ثمانين. قال: فجعل الجلواز إذا مر بابن هرمة سكران، قال: من يشتري الثمانين بالمائة! أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال حدثنا أبو سلمة الغفاري قال أخبرنا ابن ربيح راوية ابن هرمة: أصابت ابن هرمة أزمةٌ؛ فقال لي في يومٍ حارً: اذهب فتكار

حمارين إلى ستة أميال، و لم يسم موضعاً. فركب واحداً وكبت واحداً، ثم سرناحتى صرنا إلى قصور الحسن بن زيد ببطحاء ابن أزهر، فدخلنا مسجده. فلما مالت الشمس خرج علينا مشتملاً على قميصه، فقال لمولى له: أذن فأذن، و لم يكلمنا كلمةً. ثم قال له: أقم فأقام، فصلى بنا، ثم أقبل على ابن هرمة فقال: مرحباً بك يا أبا إسحاق، حاجتك؟ قال: نعم، بأبي أنت وأمي، أبياتٌ قلتها - وقد كان عبد الله وحسنٌ وإبراهيم بنو حسن بن حسن وعدوه شيئاً فأخلفوه - فقال: هاتها. فقال:

أما بنو هاشمٍ حولي فقد قرعوا … نبل الضباب التي جمعت في قرن
فما بيثرب منهم من أعاتبه … إلا عوائد أرجوهن من حسن
الله أعطاك فضلاً من عطيته … على هنٍ وهنٍ فيما مضى وهن

قال: حاجتك! قال: لابن أبي مضرس علي خمسون ومائة دينار. قال فقال لمولى له: يا هيثم، اركب هذه البغلة فأتني بابن أبي مضرس وذكر حقه. قال: فما صلينا العصر حتى جاء به. فقال له: مرحباً بك يابن أبي مضرس، أمعك ذكر حقك على ابن هرمة قال نعم. قال: فامحه، فمحاه. ثم قال: يا هيثم، بع ابن أبي مضرس من تمر الخانقين بمائة وخمسين ديناراً وزده على كل دينار ربع دينار، وكل ابن هرمة بخمسين ومائة دينار تمراً، وكل ابن ربيح بثلاثين ديناراً تمراً. قال: فانصرفنا من عنده؛ فلقيه محمد بن عبد الله بن حسن بالسيالة، وقد بلغه الشعر، فغضب لأبيه وعمومته فقال: أي ماص بنظر أمه! أنت القائل:

على هنٍ وهنٍ فيما مضى وهن

فقال: لا والله! ولكني الذي أقول لك:

لا والذي أنت منه نعمةٌ سلفت … نرجو عواقبها في آخر الزمن
لقد أتيت بأمرٍ ما عمدت له … ولا تعمده قولي ولا سنني
فكيف أمشي مع الأقوام معتدلاً … وقد رميت برئ العود بالأبن
ما غيرت وجهه أمٌ مهجنةٌ … إذا القتام تغشى أوجه الهجن

قال هارون: فحدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية قال:

لما قال ابن هرمة هذا الشعر في حسن بن زيد، قال عبد الله بن حسن: والله ما أراد الفاسق غيري وغير أخوي: حسن وإبراهيم. وكان عبد الله يجري على ابن هرمة رزقاً فقطعه عنه وغضب عليه. فأتاه يعتذر، فنحي وطرد؛ فسأل رجالاً أن يكلموه، فردهم؛ فيئس من رضاه واجتنبه وخافه. فمكث ما شاء الله، ثم مر عشيةً وعبد الله على زربية في ممر المنبر، و لم تكن تبسط لأحدٍ غيره في ذلك المكان. فلما رأى عبد الله تضاءل وتقنفذ وتصاغر وأسرع على المشي. فكأن عبد الله رق له، فأمر به فرد عليه، فقال: يا فاسق، يا شارب الخمر، على هنٍ وهنٍ! أتفضل الحسن عليّ وعلى أخوي! فقال: بأبي أنت وأمي! ورب هذا القبر ما عنيت إلا فرعون وهامان وقارون،

أفتغضب لهم! فضحك وقال: والله ما أحسبك إلا كاذباً. قال: والله ما كذبتك. فأمر بأن ترد عليه جرايته.

قصيدة له خالية من الحروف المعجمة أخبرني يحيى بن علي إجازةً قال أخبرني أبو أيوب المديني عن مصعب قال: إنما اعتذر ابن هرمة بهذا إلى محمد بن عبد الله بن حسن: قال يحيى: وأخبرني أبو أيوب عن علي بن صالح قال: أنشدني عامر بن صالح قصيدةً لابن هرمة نحواً من أربعين بيتاً، ليس فيها حرف يعجم؛ وذكر هذه الأبيات منها. و لم أجد هذه القصيدة في شعر ابن هرمة، ولا كنت أظن أن أحداً تقدم رزيناً العروضي إلى هذا الباب. وأولها:

أرسم سودة أمسى دارس الطلل | معطلاً رده الأحوال كالحلل

هكذا ذكر يحيى بن علي في خبره أن القصيدة نحوٌ من أربعين بيتاً، ووجدهّا في رواية الأصمعي ويعقوب بن السكيت اثني عشر بيتاً، فنسختها ها هنا للحاجة إلى ذلك. وليس فيها حرف يعجم إلا ما اصطلح عليه الكتاب من تصبيرهم مكان ألفٍ ياءً مثل " أعلى " فإنها في اللفظ بالألف وهي تكتب بالياء، ومثل " رأى " ونحو هذا، وهو في التحقيق في اللفظ بالألف، وإنما اصطلح الكتاب على كتابته بالياء كما ذكرناه. والقصيدة:

أرسم سودة محلٌ دارس الطلل | معطلٌ رده الأحوال كالحلل
لما رأى أهلها سدوا مطالعها | رام الصدود وعاد الود كالمهل
وعاد ودك داءً لا دواء له | ولو دعاك طوال الدهر للرحل
ما وصل سودة إلا وصل صارمةٍ | أحلها الدهر داراً مأكل الوعل
وعاد أمواهها سدماً وطار لها | سهمٌ دعا أهلها للصرم والعلل
وصدوا وصد وساء المرء صدهم | وحام للورد ردهاً حومة العلل

- حومة الماء، كثرته وغمرته. والعلل: الشرب الثاني. والرده: مستنقع الماء -:

وحلئوه رداهاً ماؤها عسلٌ | ما ماء رده لعمر الله كالعسل
دعا الحمام حماماً سد مسمعه | لما دعاه رآه طامح الأمل
طموح سارحةٍ حومٍ ملمعةٍ | وممرع السر سهلٌ ما كد السهل
وحاولوا رد أمرٍ لا مرد له | والصرم داءٌ لأهل اللوعة الوصل
أحلك الله أعلى كل مكرمةٍ | والله أعطاك أعلى صالح العمل
سهلٌ موارده سمحٌ مواعده | مسودٌ لكرامٍ سادةٍ حمل

هجاؤه المسور بن عبد الملك قال يحيى بن علي وحدثني أبو أيوب المديني عن أبي حذيفة قال: كان المسور بن عبد الملك المخزومي يعيب شعر ابن هرمة، وكان المسور هذا عالماً بالشعر والنسب؛ فقال ابن هرمة فيه:

إياك لا ألزمن لحييك من لجمي | نكلاً ينكل قراصاً من اللجم

يدق لحييك أو تنقاد متبعاً مشي المقيد ذي القردان والحلم

إني إذا ما امرؤٌ خفت نعامته إلي واستحصدت منه قوى الوذم

عقدت في ملتقى أوداج لبته طوق الحمامة لا يبلى على القدم

إني امرؤٌ لا أصوغ الحلي تعمله كفاي لكن لساني صائغ الكلم

إن الأديم الذي أمسيت تقرظه جهلاً لذو نغل بادٍ وذو حلم

ولا يئط بأيدي الخالقين ولا أيدي الخوالق إلا جيد الأدم

هجاؤه عبد الله بن مصعب قال يحيى وحدثني أبو أيوب عن مصعب بن عبد الله عن أبيه قال:

لقيني ابن هرمة فقال لي: يابن مصعب، أتفضل عليّ ابن أذينة! أما شكرت قولي:

فمالك مختلاً عليك خصاصةٌ كأنك لم تنبت ببعض المنابت

كأنك لم تصحب شعيب بن جعفرٍ ولا مصعباً ذا المكرمات ابن ثابت

-يعني مصعب بن عبد الله - قال: فقلت: يا أبا إسحاق، أقلني وروني من شعرك ما شئت؛ فإني لم أرو لك شيئاً. فرواني عباسياته تلك.

أكرم من رأى قال يحيى: وأخبرني أبو أيوب المديني عن مصعب بن عبد الله عن مصعب بن عثمان قال: قال ابن هرمة: ما رأيت أحداً قط أسخى ولا أكرم من رجلين: إبراهيم بن عبد الله بن مطيع، وإبراهيم بن طلحة بن عمرو بن عبد الله بن معمر. أما إبراهيم بن طلحة فأتيته فقال: أحسنوا ضيافة أبي إسحاق، فأتيت بكل شيء من الطعام، فأردت أن أنشده؛ فقال: ليس هذا وقت الشعر. ثم أخرج الغلام إليّ قطعةً فقال: ائت بها الوكيل. فأتيته بها، فقال: إن شئت أخذت لك جميع ما كتب به، وإن شئت أعطيتك القيمة. قلت: وما أمر لي به؟ فقال: مائتا شاةٍ برعائها وأربعة أجمالٍ وغلامٌ جمال ومظلة وما تحتاج إليه، وقوتك وقوت عيالك سنةً. قلت: فاعطني القيمة؛ فأعطاني مائتي دينار. وأما إبراهيم بن عبد الله فأتيته في منزلة بمشاش على بئر ابن الوليد بن عثمان بن عفان؛ فدخل إلى منزله ثم خرج إليّ برزمة من ثياب وصرةٍ من دراهم ودنانير وحلي، ثم قال: لا والله ما بقينا في منزلنا ثوباً نواري به امرأةً، ولا حلياً ولا ديناراً ولا درهماً. وقال يمدح إبراهيم:

أرقتني تلومني أم بكرٍ بعد هدءٍ واللوم قد يؤذيني

حذرتني الزمان ثمت قالت ليس هذا الزمان بالمأمون

قلت لما هبت تحذرني الده ر دعي اللوم عنك واستبقيني

إن ذا الجود والمكارم إبرا هيم يعنيه كل ما يعنيني

قد خبرناه في القديم فألفي نا مواعيده كعين اليقين

قلت ما قلت للذي هو حقٌ مستبينٌ لا للذي يعطيني

نضحت أرضنا سماؤك بعد ال جدب منها وبعد سوء الظنون

فرعينا آثار غيثٍ هراقت ه يدا محكم القوى ميمون

وقال هارون حدثنا حماد عن عبد الله بن إبراهيم الحجبي: أن إبلاً لمحمد بن عمران تحمل علفاً مرت بمحمد بن عبد العزيز الزهري ومعه ابن هرمة، فقال: يا أبا إسحاق، ألا تستعلف محمد بن عمران! وهو يريد أن يعرضه لمنعه فيهجوه. فأرسل ابن هرمة في أثر الحمولة رسولاً حتى وقف على ابن عمران!، فأبلغه رسالته؛ فرد إليه الإبل بما عليها، وقال: أن احتجت إلى غيرها زدناك. فأقبل ابن هرمة على محمد بن عبد العزيز فقال له: اغسلها عني، فإنه إن علم أني استعلفته ولا دابة لي وقعت منه في سوءة. قال: بماذا؟ قال: تعطيني حمارك. قال: هو لك بسرجه ولجامه. فقال بن هرمة: من حفر حفرة سوءٍ وقع فيها.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أبو يحيى هارون بن عبد الله الزهري عن ابن زريق، وكان منقطعاً إلى أبي العباس بن محمد وكان من أروى الناس، قال: كنت مع السري بن عبد الله باليمامة، وكان يتشوق إلى إبراهيم بن علي بن هرمة ويحب أن يفد إليه؛ فأقول: ما يمنعك أن تكتب إليه؟ فيقول: أخاف أن يكلفني من المؤونة ما لا أطيق. فكنت أكتب بذلك إلى ابن هرمة، فكره أن يقدم عليه إلا بكتاب منه؛ ثم غلب فشخص إليه، فترل علي ومعه راويته ابن ربيح. فقلت له: ما منعك من القدوم على الأمير وهو من الحرص على قدمك على ما كتبت به إليه؟ قال: الذي منعه من الكتاب إلي. فدخلت على السري فأخبرته بقدومه؛ فسر بذلك وجلس للناس مجلساً عاماً، ثم أذن لابن هرمة فدخل عليه ومعه راويته ابن ربيح. وكان ابن هرمة قصيراً دميماً أريمص، وكان ابن ربيح طويلاً جسيماً نقي الثياب. فسلم على السري ثم قال له: أصلحك الله! إني قد قلت شعراً أثنيت فيه عليك. فقال: أنشد؛ فقال: هذا ينشد فجلس. فأنشده ابن ربيح قصيدته التي أولها:

عوجاً على ربع ليلى أم محمود كيما نسائله من دون عبود

عن أم محمود إذ نشط المزار بها لعل ذلك يشفي داء معمود

فعرجا بعد تغويرٍ وقد وقفت شمس النهار ولاذ الظل بالعود

شيئاً فما رجعت أطلال منزلةٍ قفرٍ جواباً لمحزون الجوى مودي

ثم قال فيها يمدح السري:

ذاك السري الذي لولا تدفقه بالعرف متنا حليف المجد والجود

من يعتمدك ابن عبد الله مجتدياً لسيب عرفك يعمد خير معمود

يا ابن الأساة الشفاة المستغاث بهم | والمطعمين ذرى الكوم المقاحيد
والسابقين إلى الخيرات قومهم | سبق الجياد إلى غاياتها القود
أنت ابن مسلنطح البطحاء منبتكم | بطحاء مكة لا روس القراديد
لكم سقايتها قدماً وندوتها | قد حازها والدٌ منكم لمولود
لولا رجاؤك لم تعسف بنا قلصٌ | أجواز مهمهةٍ قفرٍ الصوى بيد
لكن دعاني وميضٌ لاح معترضاً | من نحو أرضك في دهمٍ مناضيد

وأنشده أيضاً قصيدة مدحه فيها، أولها:

أفي طللٍ قفرٍ تحمل آهله | وقفت وماء العين ينهل هامله
تسائل عن سلمى سفاهًا وقد نأت | بسلمى نوى شحطٌ فكيف تسائله
وترجو ولم ينطق وليس بناطقٍ | جواباً محيلٌ قد تحمل آهله
ونؤيٌ كخط النون ما إن تبينه | عفته ذيول من شمالٍ تذايله

ثم قال فيها يمدح السري:

فقل للسري الواصل البرذي الندى | مديحاً إذا ما بث صدق قائله
جوادٌ على العلات يهتز للندى | كما اهتز غضبٌ أخلصته صياقله
نفى الظلم عن أهل اليمامة عدله | فعاشوا وزاح الظلم عنهم وباطله
وناموا بأمنٍ بعد خوفٍ وشدةٍ | بسيرة عدل ما تخاف غوائله
وقد علم المعروف أنك خدنه | ويعلم هذا الجوع أنك قاتله
بك الله أحيا الأرض حجرٍ وغيرها | من الأرض حتى عاش بالبقل آكله
وأنت ترجي للذي أنت أهله | وتنفع ذا القربى لديك وسائله

وأنشده أيضاً مما مدحه به قوله:

عوجاً نحي الطلول بالكثب

يقول فيها يمدحه :

دع عنك سلمى وقل محبرةً | لماجد الجد طيب النسب
محض مصفى العروق يحمده | في العسر واليسر كل مرتغب

الواهب الخيل في أعنتها والوصفاء الحسان كالذهب

مجداً وحمداً يفيده كرماً والحمد في الناس خير مكتسب

قال: فلما فرغ ابن ربيح، قال السري لابن هرمة: مرحباً بك يا أبا إسحاق! ما حاجتك؟ قال: جئتك عبداً مملوكاً. قال: لا بل حراً كريماً وابن عم، فما ذاك؟ قال: ما تركت لي مالاً إلا رهنته، ولا صديقاً إلا كلفته - قال أبو يحيى: يقول لي ابن زريق: حتى كأن لي دياناً وعليه مالاً - فقال له السري: وما دينك؟ قال: سبعمائة دينار. قال: قد قضاها الله عز وجل عنك. قال: فأقام أياماً، ثم قال لي: قد اشتقت. فقلت له: قل شعراً تشوق فيه. فقال قصيدته التي يقول فيها:

أألحمامة في نخل ابن هداج هاجت صبابة عاني القلب مهتاج

أم المخبر أن الغيث قد وضعت منه العشار تماماً غير إخداج

شقت سوائفها بالفرش من ملل إلى الأعارف من حزنٍ وأولاج

حتى كأن وجوه الأرض ملبسةٌ طرائفاً من سدى عصبٍ وديباج

وهي طويلة مختارة من شعره، يقول فيها يمدح السري:

أما السري فإني سوف أمدحه ما المادح الذاكر الإحسان كالهاجي

ذاك الذي هو بعد الله أنقذني فلست أنساه إنقاذي وإخراجي

ليثٌ يحجرٍ إذا ما هاجه فزعٌ هاج إليه بإلجام وإسراج

لأحبونك مما أصطفي مدحاً مصاحباتٍ لعمارٍ وحجاج

أسدى الصنيعة من بر ومن لطفٍ إلى قروعٍ لباب الملك ولاج

كم من يدٍ لك في الأقوام قد سلفت عند امرئٍ ذي غنى أو عند محتاج

فأمر له بسبعمائة دينار في قضاء دينه، ومائة دينارٍ يتجهز بها، ومائة دينارٍ يعرض بها أهله، ومائة دينارٍ إذا قدم على أهله.

قوله: " يعرض بها أهله " أي يهدي لهم بها هدية، والعراضة: الهدية. قال الفرزدق يهجو هشام بن عبد الملك:

كانت عراضتك التي عرضتنا يوم المدينة زكمةً وسعالاً

إنكاره شعراً له في بني خوفاً من العباسيين: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني نوفل بن ميمون قال أخبرني أبو مالك محمد بن علي بن هرمة قال: قال ابن هرمة:

ومهما ألام على حبهم فإني أحب بني فاطمة

فلقيه بعد ذلك رجلٌ فسأله: من قائلها؟ فقال: من عض بظر أمه. فقال له ابنه: يا أبت، ألست قائلها؟ قال: بلى. قال: فلم شتمت نفسك؟ قال: أليس أن يعض المرء بظر أمه خيراً من يأخذه ابن قحطبة! خبره مع رجل يتجر بعرض ابنتيه أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا جعفر بن مدرك الجعدي قال: جاء ابن هرمة إلى رجل كان بسوق النبط، معه زوجةٌ وله بنتان كأنهما ظبيتان يقود عليهما، بمال فدفعه إليه، فكان يشتري لهم طعاماً وشرابا. فأقام ابن هرمة مع ابنتيه حتى خف ذلك المال، وجاء قومٌ آخرون معهم مالٌ؛ فأخبرهم بمكان ابن هرمة؛ فاستثقلوه وكرهوا أن يعلم بهم؛ فأمر ابنتيه، فقالتا له: يا أبا إسحاق، أما دريت ما الناس فيه؟ قال: وما هم فيه؟ قالتا: زلزل بالروضة، فتغافلهما. ثم جاء أبوهما متفازعاً فقال: أي أبا إسحاق، ألا تفزع لما الناس فيه! قال: وما هم فيه؟ قال زلزل بالروضة. قال: قد جاءكم الآن إنسانٌ معه مالٌ، وقد نفضت ما جئتكم به وثقلت عليه؛ فأردت إدخاله وإخراجي. أيزلزل بروضةٍ من رياض الجنة ويترك مترلك وأنت تجمع فيه الرجال على ابنتيك! والله لاعدت إليه! وخرج من عنده.

وروى هذا الخبر عن الزبير بن هارون بن محمد الزيات فزاد عليه، قال: ثم خرج من عندهم. فأتى عبد الله بن حسن فقال: إني قد مدحتك فاستمع مني. قال: لا حاجة لي بذلك.، أنا أعطيك ما تريد ولا أسمع. قال: إذاً أسقط ويكسد سوقي. فسمع منه وأمر له بمائتي دينار؛ فأخذها وعاد إلى الرجل، وقال: قد جئتك بما تنفقه كيف شئت. ولم يزل مقيماً عنده حتى نفذت.

قصته مع محمد بن عبد العزيز قال الزبير: وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز قال حدثني عمي عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال:

وافينا الحج في عامٍ من الأعوام الخالية، فأصبحت بالسيالة، فإذا إبراهيم بن علي ابن هرمة يأتينا؛ فاستأذن على أخي محمد بن عبد العزيز فأذن له؛ فدخل عليه فقال: يا أبا عبد الله، ألا أخبرك ببعض ما تستظرف؟ قال: بلى، وربما فعلت يا أبا إسحاق. قال: فإنه أصبح عندنا ها هنا منذ أيام محمد بن عمران وإسماعيل بن عبد الله بن جبير، وأصبح عمران بجملين له ظالعين، فإذا رسوله يأتيني أن أجب؛ فخرجت حتى أتيته، فأخبرني بظلع جمليه، وقال لي: أردت أن أبعث إلى ناضحين لي بعمقٍ لعلي أوتي بهما إلى ها هنا لأمضي عليهما، ويصير هذان الظالعان إلى مكانهما. ففرغ لنا دارك واشتر لنا علفاً واستلنه بجهدك؛ فإنا مقيمون ها هنا حتى تأتينا جمالنا. فقلت: في الرحب والقرب، والدار فارغةٌ، وزوجته طالقٌ إن اشتريت عود علفٍ، عندي حاجتك منه. فأنزلته ودخلت السوق، فما أبقيت فيه شيئاً من رسلٍ ولا جداءٍ ولا طرفةٍ ولا غير ذلك إلا ابتعت منه فاخره، وبعثت به إليه مع الدجاج كان عندنا. قال: فبينا أنا أدور في السوق إذ وقف علي عبد لإسماعيل بن عبد الله يساومني بحمل علفٍ لي. فلم أزل أنا وهو حتى أخذه مني بعشرة دراهم، وذهب به فطرحه لظهره. وخرجت عند الرواح أتقاضى العبد ثمن حملي، فإذا هو لإسماعيل بن عبد الله ولم أكن دريت. فلما رآني مولاه حياني ورحب بي، وقال: هل من

حاجةٍ يا أبا إسحاق. فأعلمه العبد أن العلف لي. فأجلسني فتغديت عنده، ثم أمر لي مكان كل درهم منها بدينار، وكانت معه زوجته فاطمة بنت عباد، فبعثت إلي بخمسة دنانير. قال: وراحوا، وخرجت بالدنانير ففرقتها على غرمائي، وقلت: عند ابن عمران عوضٌ منها. قال: فأقام عندي ثلاثاً، وأتاه جملاه، فما فعل لي شيئاً. فبينا هو يترحل وفي نفسه مني ما لا أدري به، إذ كلم غلاماً له بشيءٍ فلم يفهم. فأقبل علي فقال: ما أقدر على إفهامه مع قعودك عندي، قد والله آذيتني ومنعتني ما أردت. فقمت مغتماً بالذي قال؛ حتى إذا كنت على باب الدار لقيني إنسانٌ فسألني: هل فعل إليك شيئاً؟ فقلت: أنا والله بخير إذ تلف مالي وربحت بدني. قال: وطلع علي وأنا أقولها، فشتمني والله يا أبا عبد الله حتى ما أبقى لي، وزعم أنه لو لا إحرامه لضربني؛ وراح وما أعطاني درهماً. فقلت:

يا من يعين على ضيفٍ ألم بنا ... ليس بذي كرمٍ يرجى ولا دين
أقام عندي ثلاثاً سنّةً سلفت ... أغضيت منها على الأقذاء والهون
مسافة البيت عشرٌ غير مشكلةٍ ... وأنت تأتيه في شهرٍ وعشرين
لست تبالي فوات الحج إن نصبت ... ذات الكلال وأسمنت ابن حرقين
تحدث الناس عما فيك من كرمٍ ... هيهات ذاك لضيفان المساكين
أصبحت تخزن ما تحوي وتجمعه ... أبا سليمان من أشلاء قارون
مثل ابن عمران أباءٌ له سلفوا ... يجزون فعل ذوي الإحسان بالدون
أن تكون كإسماعيل إن له ... رأياً أصيلاً وفعلاً غير ممنون
أو مثل زوجته فيما ألمّ بها ... هيهات من أمها ذات النطاقين

فلما أنشدها قال له محمد بن عبد العزيز: نحن نعينك يا أبا إسحاق؛ لقوله: " يا من يعين ". قال: قد رفعك الله عن العون الذي أريده، ما أردت إلا رجلاً مثل عبد الله بن حتريرة وطلحة أطباء الكلبة يمسكونه لي وآخذ خوط سلمٍ فأوجع به خواصره وجواعره. قال: ولما بلغ في إنشاده إلى قوله:

مثل ابن عمران أباءٌ له سلفوا

أقبل علي فقال: عذراً إلى الله تعالى وإليكم! إني لم أعن من آبائه طلحة بن عبيد الله. قال: ونزل إليه إسماعيل بن جعفر بن محمد، وكان عندنا، فلم يكلمه حتى ضرب أنفه، وقال له: فعنيت من آبائه أبا سليمان محمد بن طلحة يا دعي! قال: فدخلنا بينهما. وجاء رسول محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى ابن هرمة يدعوه، فذهب إليه. فقال له: ما الذي بلغني من هجائك أبا سليمان! والله لا أرضى

حتى تحلف ألا تقول له أبداً إلا خيراً، وحتى تلقاه فترضاه إذا رجع، وتحتمل كل ما أنزل إليك وتمدحه. قال: أفعل، بالحب والكرامة. قال: وإسماعيل بن جعفر لا تعرض له إلا بخير؛ قال نعم. قال: فأخذ عليه الأيمان فيهما وأعطاه ثلاثين ديناراً، وأعطاه محمد بن عبد العزيز مثلها. قال: واندفع ابن هرمة يمدح محمد بن عمران:

ألم تر أن القول يخلص صدقه وتأبى فما تزكو لباغٍ بواطله

ذممت امرأ لم يطبع الذم عرضه قليلاً لدى تحصيله من يشاكله

فما بالحجاز من فتى ذي إمارةٍ ولا شرفٍ إلا ابن عمران فاضله

فتى لا يطور الذم ساحة بيته وتشقى به ليل التمامِ عواذله

خبره مع ابن عمران أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا أحمد بن عمر الزهري قال حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن جعفر المسوري قال: مدح إبراهيم بن هرمة محمد بن عمران الطلحي، فألقاه راويته وقد جاءته عيرٌ له تحمل غلةً قد جاءته من الفرع أو خيبر. فقال له رجل كان عنده: أعلم والله أن أبا ثابت بن عمران بن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضر عنده وأخيره بعيرك هذه. فقال: إنما أراد أبو ثابت أن يعرضني للسانه، قودوا إليه القطار، فقيد إليه.

خبره مع عمر بن القاسم أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني يحيى بن محمد عن عبد الله بن عمر بن القاسم قال: جاء أبي تمرٌ من صدقة عمر؛ فجاءه ابن هرمة فقال: أمتع الله بك! أعطني من هذا التمر. قال: يا أبا إسحاق لولا أني أخاف أن تعمل منه نبيذاً لأعطيتك. قال: فإذا علمت أني عملت منه نبيذاً لا تعطيني. قال: فخافه فأعطاه. فلقيه بعد ذلك؛ فقال له: ما في الدنيا أجود نبيذٍ يجيء من صدقة عمر؛ فأخجله.

سمع جرير شعره فمدحه أخبرنا الحرمي قال أخبرنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: قدم جرير المدينة، فأتاه ابن هرمة وابن أذينة فأنشداه؛ فقال جرير: القرشي أشعرهما، والعربي أفصحهما.

مدحه المطلب بن عبد الله وهوغلام أخبرنا يحيى بن علي إجازةً قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني عبد الله بن محمد: أن ابن هرمة قال يمدح أبا الحكم المطلب بن عبد الله:

لما رأيت الحادثات كنفنني وأورثنني بؤسى ذكرت أبا الحكم

سليل ملوكٍ سبعةٍ قد تتابعوا هم المصطفون والمصفون بالكرم

فلاموه وقالوا: أتمدح غلاماً حديث السن بمثل هذا! قال نعم! وكانت له ابنةٌ يلقبها " عيينة " - وقال الزبير: كان يلقبها " عينة " - فقال:

كانت عيينة فينا وهي عاطلةٌ بين الجواري فحلاها أبو الحكم

فمن لحانا على حسن المقال له كان المليم وكنا نحن لم نلم

شكايته لعبد العزيز بن المطلب قال يحيى وحدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيري عن نوفل بن ميمون قال: أرسل ابن هرمة إلى عبد العزيز بن المطلب بكتاب يشكو فيه بعض حاله؛ فبعث إليه بخمسة عشر ديناراً. فمكث شهراً ثم بعث يطلب منه شيئاً آخر بعد ذلك؛ فقال: أنا والله ما نقوى على ما كان يقوى عليه الحكم بن المطلب. وكان عبد العزيز قد خطب امرأة من ولد عمر فردته، فخطب امرأة من بني عامر بن لؤي فزوجوه.

فقال ابن هرمة:

خطبت إلى كعبٍ فردوك صاغراً	فحولت من كعبٍ إلى جذم عامر
وفي عامرٍ عزٌّ قديمٌ وإنما	أجازك فيهم هزل أهل المقابر

وقال فيه أيضاً:

أبا البخل تطلب ما قدمت	عرانين جادت بأموالها
هيهات! خالفت فعل الكرام	خلاف الجمال بأبوالها

خبره مع امرأة تزوجها

وقال هارون بن محمد حدثني مغيرةٌ بن محمد قال حدثني أبو محمد السهمي قال حدثني أبو كاسب قال: تزوج ابن هرمة بامرأة؛ فقالت له: أعطني شيئاً؛ فقال: والله ما معي إلا نعلاي، فدفعهما إليها، ومضى معها فتوركها مراراً. فقالت له: أجفيتني؛ فقال لها: الذي أحفى صاحبه منا يعض بظر أمه.

جود الحكم بن المطلب أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني المسيبي أحمد بن إسحاق قال حدثني إبراهيم بن سكرة جار أبي ضمرة قال: جلس ابن هرمة مع قومٍ على شراب، فذكر الحكم بن المطلب فأطنب في مدحه. فقالوا له: إنك لتكثر ذكر رجلٍ لو طرقته الساعة في شاةٍ يقال لها " غراء " تسأله إياها لردك عنها. فقال: أهو يفعل هذا؟ قالوا: إي والله. وكانوا قد عرفوا أن الحكم بها معجبٌ، وكان في داره سبعون شاةً تحلب. فخرج وفي رأسه ما فيه، فدق الباب فخرج إليه غلامه. فقال له: أعلم أبا مروان بمكاني - وقد كان أمر ألا يحجب إبراهيم بن هرمة عنه - فأعلمه به، فخرج إليه متشحاً فقال: أفي مثل هذه الساعة يا أبا إسحاق! فقال: نعم جعلت فداك، ولد لأخ لي مولود فلم تدر عليه أمه، فطلبوا له شاةً حلوبةً فلم يجدوها، فذكروا لها شاةً عندك يقال لها " غراء "، فسألني أن أسألكها. فقال: أتجيء في هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة! والله لا تبقى في الدار شاةٌ إلا انصرفت بها، سقهن معه يا غلام، فساقهن. فخرج بهن إلى القوم، فقالوا: ويحك! أي شيء صنعت! فقص عليهم القصة. قال: وكان فيهن والله ما ثمنه عشرة دنانير وأكثر من عشرة.

لما سمع بقتل الوليد أنشد قال هارون وحدثني حماد بن إسحاق قال ذكر أبي عن أيوب بن عباية عن عمر بن

أيوب الليثي قال: شرب ابن هرمة عندنا يوماً فسكر فنام. فلما حضرت الصلاة تحرك أو حركته. فقال لي وهو يتوضأ: ما كان حديثكم اليوم؟ قلت يزعمون أن الوليد قتل؛ فرفع رأسه إلي وقال:

وكانت أمور الناس منبتة القوى فشد الوليد حين قام نظامها

خليفة حقٍ لا خليفة باطلٍ رمى عن قناة الدين حتى أقامها

ثم قال لي: إياك أن تذكر من هذا شيئاً؛ فإني لا أدري ما يكون.

قول ابن الأعرابي ختم الشعراء بابن هرمة أخبرني علي بن سليمان النحوي قال حدثنا أبو العباس الأحول عن ابن الأعرابي: أنه كان يقول: ختم الشعراء بابن هرمة.

خبر سكره أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرني أحمد بن يحيى البلاذري: أن ابن هرمة كان مغرماً بالنبيذ، فمر على جيرانه وهو شديد السكر حتى دخل منزله. فلما كان من الغد دخلوا عليه فعاتبوه على الحال التي رأوه عليها؛ فقال لهم: أنا في طلب مثلها منذ دهر، أما سمعتم قولي:

أسأل الله سكرةً قبل موتي وصياح الصبيان يا سكران

قال: فنفضوا ثيابهم وخرجوا، وقالوا: ليس يفلح والله هذا أبداً.

لم يحمل جنازته إلا أربعة نفر

وكان ذلك مصداقاً لشعر له: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال: أنشدني عمي لابن هرمة:

ما أظن الزمان يا أم عمرٍ تاركاً إن هلكت من يبكيني

قال فكان والله كذلك؛ لقد مات فأخبرني من رأى جنازته ما يحملها إلا أربعة نفر، حتى دفن بالبقيع.

مولده سنة 90

قال يحيى بن علي - أراه عن البلاذري -: ولد ابن هرمة سنة تسعين، وأنشد أبا جعفر المنصور في سنة أربعين ومائة قصيدته التي يقول فيها:

إن الغواني قد أعرضن مقليةً لما رمى هدف الخمسين ميلادي

قال: ثم عمر بعدها مدة طويلة.

ذكر أخبار يونس الكاتب

نسب يونس الكاتب ومنشؤه

ومن أخذ عنهم، وهو أول من دون الغناء:

هو يونس بن سليمان بن كرد بن شهريار، ولد من هرمز. وقيل: إنه مولىً لعمرو بن الزبير. ومنشؤه ومترله بالمدينة. وكان أبوه فقيهاً، فأسلمه في الديوان فكان من كتابه. وأخذ الغناء عن معبدٍ وابن سريج وابن محرز والغريض، وكان أكثر روايته عن معبد؛ ولم يكن في أصحاب معبد أحذق ولا أقوم بما أخذ عنه منه. وله غناء حسن، وصنعة كثيرة، وشعرٌ جيد. وكتابه في الأغاني ونسبها إلى من غنى فيها هو الأصل الذي يعمل عليه ويرجع إليه. وهو أول من دون الغناء.

شعر مسعود بن خالد في مدحه

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال أنشدني مسعود بن خالد المورياني لنفسه في يونس:

يا يونس الكاتب يا يونس — طاب لنا اليوم بك المجلس

إن المغنين إذا ما هم — جاروك أخنى بهم المقبس

تنشر ديباجاً وأشباهه — وهم إذا ما نشروا كربسوا

خبره مع بعض الفتيان في وادي دومة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: ذكر إبراهيم بن قدامة الجمحي قال: اجتمع فتيانٌ من فتيان أهل المدينة فيهم يونس الكاتب وجماعة ممن يغني، فخرجوا إلى وادٍ يقال له دومة من بطن العقيق، في أصحاب لهم فتغنوا، واجتمع إليهم نساء أهل الوادي - قال بعض من كان معهم: فرأيت حولنا مثل مراح الضأن -وأقبل محمد بن عائشة ومعه صاحب له؛ فلما رأى جماعة النساء عندهم حسدهم، فالتفت إلى صاحبه فقال: أما والله لأفرقن هذه الجماعة! فأتى قصراً من قصور العقيق، فعلا سطحه وألقى رداءه واتكأ عليه وتغنى:

صوت

هذا مقام مطردٍ — هدمت منازله ودوره

رقى عليه عداته — ظلماً فعاقبه أميره

- الغناء لابن عائشة رملٌ بالوسطى، والشعر لعبيد بن حنين مولى آل زيد بن الخطاب، وقيل: إنه لعبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم - قال: فوالله ما قضى صوته حتى ما بقيت امرأةٌ منهن إلا جلست تحت القصر الذي هو

عليه وتفرق عامة أصحابهم. فقال يونس وأصحابه: هذا عمل ابن عائشة وحسده.

صاحب الشعر الذي تغنى به ابن عائشة أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى عن أبيه قال: تزوج عبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم بالعراق في ولاية مصعب بن الزبير امرأة من بني عبد بن بغيض بن عامر بن لؤي، ففرق مصعب بينهما. فخرج حتى قدم على عبد الله بن الزبير بمكة فقال:

هذا مقام مطردٍ هدمت منازله ودوره
رقت عليه عداته كذباً فعاقبه أميره
في أن شربت بجم ما وكان حلاً لي غديره
فلقد قطعت الخرق بع د الخرق معتسفاً أسيره
حتى أتيت خليفة ال رحمن ممهوداً سريره
حييته بتحيةٍ في مجلسٍ حضرت صقوره

فكتب عبد الله بن مصعب: أن ازدد عليه امرأته؛ فإني لا أرحم ما أحل الله عز وجل؛ فردها عليه. هذه رواية عمر بن شبة.

وأخبرني الحسن بن علي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني عن سحيم بن حفص: أن المتزوج بهذه المرأة عبيد بن حنين مولى آل زيد بن الخطاب، وأن المفرق. بينهما الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الذي يقال له القباع؛ وذكر باقي الخبر مثل الأول.

مع الوليد بن يزيد في الشام

أخبرني عمي قال حدثني طلحة بن عبد الله الطلحي قال حدثني أحمد بن الهيثم قال: خرج يونس الكاتب من المدينة إلى الشام في تجارة؛ فبلغ الوليد بن يزيد مكانه؛ فلم يشعر يونس إلا برسله قد دخلوا عليه الخان، فقالوا له: أجب الأمير - والوليد إذ ذاك أمير - قال: فنهضت معهم حتى أدخلوني على الأمير، لا أدري من هو، إلا أنه من أحسن الناس وجها وأنبلهم، فسلمت عليه، فأمرني بالجلوس، ثم دعا بالشراب والجواري؛ فكنا يومنا وليلتنا في أمر عجيب. وغنيته فأعجب بغنائي إلى أن غنيته:

إن يعش مصعبٌ فنحن بخيرٍ قد أتانا من عيشنا ما نرجي

ثم تنبهت فقطعت الصوت. فقال: ما لك؟ فأخذت أعتذر من غنائي بشعرٍ في مصعب. فضحك وقال: إن مصعباً قد مضى وانقطع أثره ولا عداوة بيني وبينه، وإنما أريد الغناء، فأمض الصوت؛ فعدت فيه فغنيته. فلم يزل يستعيدنيه حتى أصبح، فشرب مصطبحا وهو يستعيدني هذا الصوت ما يتجاوزه حتى مضت ثلاثة أيام. ثم قلت

له: جعلني الله فداء الأمير! أنا رجلٌ تاجرٌ خرجت مع تجار وأخاف أن يرتحلوا فيضيع مالي. فقال لي: أنت تغدو غداً؛ وشرب باقي ليلته، وأمر لي بثلاثة آلاف دينار فحملت إلي، وغدوت إلى أصحابي. فلما خرجت من عنده سألت عنه، فقيل لي: هذا الأمير الوليد بن يزيد ولي عهد أمير المؤمنين هشام. فلما استخلف بعث إلي فأتيته، فلم أزل معه حتى قتل.

صوت من المائة المختارة

أصواته المعروفة بالزبائب

أقصدت زينب قلبي بعد ما ذهب الباطل عني والغزل

وعلا المفرق شيبٌ شاملٌ واضحٌ في الرأس مني واشتعل

الشعر لابن رهيمة المدني. والغناء في اللحن المختار لعمر الوادي ثاني ثقيلٍ بالبنصر في مجراها عن إسحاق. وفيه ليونس الكاتب لحنان: أحدهما خفيف ثقيل أول بالبنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عنه أيضاً. وفيه رملان بالوسطى والبنصر: أحدهما لابن المكي، والآخر لحكم، وقيل: إنه لإسحاق من رواية الهشامي. ولحن يونس في هذا الشعر من أصواته المعروفة بالزيانب، والشعر فيها كلها لابن رهيمة في زينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام؛ وهي سبعة: أحدها قد مضى. والآخر:

صوت

أقصدت زينب قلبي وسبت عقلي ولبي

تركتني مستهاماً أستغيث الله ربي

ليس لي ذنبٌ إليها فتجازيني بذنبي

ولها عندي ذنوبٌ في تنائيها وقربي

غناه يونس رملاً بالبنصر. وفيه لحكم هزجٌ خفيفٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

ومنها:

صوت

وجد الفؤاد بزينبا وجداً شديداً متعبا

أصبحت من وجدي بها أدعى سقيماً مسهبا

وجعلت زينب سترةً وأتيت أمراً معجبا

غناه يونس ثقيلاً أول مطلقاً في مجرى البنصر عن عمرو وإسحاق، وهو مما يشك فيه من غناء يونس. ولعلية بنت المهدي فيه ثقيلٌ أول آخر لا يشك فيه أنه لها، كنت فيها رشأ الخادم - وذكر أحمد بن عبيد أن فيه من الغناء لحنين هما جميعاً من الثقيل الأول ليونس - ومن لا يعلم يزعم أن الشعر لها.

صوت

إنما زينب المنى وهي الهم والهوى

ذات دلٍ تضني الصحي ح وتبري من الجوى

لا يغرنك أن دعو ت فؤادي فما التوى

واحذري هجرة الحبي ب إذا مل وانزوى

غناه يونس رملاً بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

ومنها:

صوت

إنما زينب همي بأبي تلك وأمي

بأبي زينب لا أك ني ولكني أسمي

بأبي زينب من قا ضٍ قضى عمداً بظلمي

بأبي من ليس في قلبه قيراط رحم

غناه يونس رملاً بالبنصر عن عمرو، وله فيه لحنٌ آخر.

ومنها:

صوت

يا زينب الحسناء يا زينب يا أكرم الناس إذا تنسب

تقيك نفسي حادثات الردى والأم تفديك معاً والأب

هل لك في ود امرئٍ صادقٍ لا يمذق الود ولا يكذب

لا يبتغي في وده محرماً هيهات منك العمل الأريب

غناه يونس ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق.

ومنها:

صوت

فليت الذي يلحى على زينب المنى تعلقه مما لقيت عشير

فحسبي له بالعشر مما لقيته وذلك فيما قد تراه يسير

غناه يونس ثاني ثقيلٍ بالوسطى في مجراها عن الهشامي.

هذه سبعة أصوات قد مضت وهي المعروفة بالزيانب

ومن الناس من يجعلها ثمانيةً، ويزيد فيها لحن يونس في:

تصابيت أم هاجت لك الشوق زينب

وليس هذا منها؛ وإن كان ليونس لحنه، فإن شعره لحجية بن المضرب الكندي، وقد كتب في موضع آخر؛ وإنما الزيانب في شعر ابن رهيمة. ومنهم من يعدها تسعةً ويضيف إليها:

قولا لزينب لو رأي ت تشوقي لك واشترافي

وهذا اللحن لحكم. والشعر لمحمد بن أبي العباس السفاح في زينب بنت سليمان بن علي، وقد كتب في موضع آخر.

انقضت أخبار يونس الكاتب.

أخبار ابن رهيمة

تشبيبه بزينب بنت عكرمة

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم قال حدثني أبو هفان عن إسحاق قال:

كان ابن رهيمة يشبب بزينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ويغني يونس بشعره، فافتضحت بذلك. فاستدعى عليه أخوها هشام بن عبد الملك، فأمر بضربه خمسمائة سوط، وأن يباح دمه إن وجد قد عاد لذكرها، وأن يفعل ذلك بكل من غنى في شيءٍ من شعره. فهرب هو ويونس فلم يقدر عليهما. فلما ولي الوليد بن يزيد ظهرا. وقال ابن رهيمة:

لئن كنت أطردتني ظالماً لقد كشف الله ما أرهب

ولو نلت مني ما تشتهي لقل إذا رضيت زينب

وما شئت فاصنعه بي بعد ذا فحبي لزينب لا يذهب

وفي الأصوات المعروفة بالزيانب يقول أبان بن عبد الحميد اللاحقي:

أحب من الغناء خفي فه إن فاتني الهزج

وأشنأ " ضوء برقٍ " مث ل ما أشنا " عفا مزج"

وأبغض " يوم تنأى و " الزيانب " كلها سمج

ويعجببي لإبراه يم والأوتار تختلج

"أدير مدامةً صرفاً كأن صبيبها ودج"

يعني أبانٌ لحن إبراهيم. والشعر لأبان أيضاً، وهو:

صوت

أدير مدامةً صرفاً كأن صبيبها ودج

فظل تخاله ملكاً يصرفها وتمتزج

الشعر لأبان، والغناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن جامع ثاني ثقيلِ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً.

ومما في غناء يونس من المائة المختارة

المذكورة في هذا الكتاب:

صوت من المائة المختارة

ألا يا لقومي للرقاد المسهد وللماء ممنوعاً من الحائم الصدي

وللحال بعد الحال يركبها الفتى وللحب بعد السلوة المتمرد

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي من قصيدة مدح بها عبد الملك بن مروان؛ وذكر يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق: أنها للغول بن عبد الله بن صيفي الطائي. والصحيح أنها لإسماعيل. وأنا أذكر خبره مع عبد الملك بن مروان ومدحه إياه بها ليعلم صحة ذلك. والغناء ليونس، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول مطلق في مجرى البنصر. وتمام هذه الأبيات:

وللمرء لا عمن يحب بمرعوٍ ولا لسبيل الرشد يوماً بمهتدى

وقد قال أقوامٌ وهم يعذلونه لقد طال تعذيب الفؤاد المصيد

أخبار إسماعيل بن يسار ونسبه

خبره مع آل الزبير وعبد الملك

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيري قال: كان إسماعيل بن يسارٍ النسائي مولى بني تيم بن مرة: تيم قريش، وكان منقطعاً إلى آل الزبير. فلما أفضت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان، وفد إليه مع عروة بن الزبير، ومدحه ومدح الخلفاء من ولده بعده. وعاش عمراً طويلاً إلى أن أدرك آخر سلطان بني أمية، ولم يدرك الدولة العباسية. وكان طيباً مليحاً مندراً بطالاً، مليح الشعر، وكان كالمنقطع إلى عروة بن الزبير، وإنما سمي إسماعيل بن يسار النسائي، لأن أباه كان يصنع طعام العرس ويبيعه، فيشتريه منه من أراد التعريس من المتجملين وممن لم تبلغ حاله اصطناع ذلك.

سبب تلقيبه بالنسائي

وأخبرني الأسدي قال حدثنا أبو الحسن محمد بن صالح بن النطاح قال: إنما سمي إسماعيل بن يسار النسائي لأن كان يبيع النجد والفرش التي تتخذ للعرائس؛ فقيل له إسماعيل بن يسارٍ النسائي.
وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد عن ابن عائشة: أن إسماعيل بن يسار النسائي إنما لقب بذلك لأن أباه كان يكون عنده طعام العرسات مصلحاً أبداً؛ فمن طرقه وجده عنده معداً.

نادرة له مع عروة أثناء سفرهما

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدثني الزبير بن بكار قال قال مصعب بن عثمان: لما خرج عروة بن الزبير إلى الشأم يريد الوليد بن عبد الملك، أخرج معه إسماعيل بن يسار النسائي، وكان منقطعاً إلى آل الزبير، فعادله. فقال عروة ليلة من الليالي لبعض غلمانه: انظر كيف ترى المحمل؟ قال: أراه معتدلاً. قال إسماعيل: الله أكبر، ما اعتدل الحق والباطل قبل الليلة قط؛ فضحك عروة، وكان يستخف إسماعيل ويستطيبه.

تساب هو وآخر يكنى أبا قيس

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي عن أيوب عن عباية المخزومي: أن إسماعيل بن يسار كان يترل في موضع يقال له حديلة وكان له جلساء يتحدثون عنده، ففقدهم

أياماً، وسأل عنهم فقيل: هم عند رجل يتحدثون إليه طيب الحديث حلوٍ ظريف قدم عليهم يسمى محمداً ويكنى أبا قيس. فجاء إسماعيل فوقف عليهم، فسمع الرجل القوم يقولون: قد جاء صديقنا إسماعيل بن يسار؛ فأقبل عليه فقال له: أنت إسماعيل؟ قال نعم. قال: رحم الله أبويك فإنهما سمياك باسم صادق الوعد وأنت أكذب الناس. فقال له: إسماعيل: ما اسمك؟ قال: محمد. قال: أبو من؟ قال: أبو قيس. قال: لا! ولكن لا رحم الله أبويك؛ فإنهما سمياك باسم نبي وكنياك بكنية قرد. فأفحم الرجل وضحك القوم، و لم يعد إلى مجالستهم، فعادوا إلى مجالسة إسماعيل.

خبره مع الغمر بن يزيد

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني عن نمير العذري قال: استأذن إسماعيل بن يسار النسائي على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوماً، فحجبه ساعةً ثم أذن له، فدخل يبكي. فقال له الغمر: ما لك يا أبا فائد تبكي؟ قال: وكيف لا أبكي وأنا على مروانيتي ومروانية أبي أحجب عنك! فجعل الغمر يعتذر إليه ويبكي؛ فما سكت حتى وصله الغمر بجملة لها قدر. وخرج من عنده، فلحقه رجلٌ فقال له: أخبرني ويلك يا إسماعيل، أي مروانية كانت لك أو لأبيك؟ قال: بغضنا إياهم، امرأته طالقٌ إن لم يكن يلعن مروان وآله كل يوم مكان التسبيح، وإن لم يكن أبوه حضره الموت، فقيل له: قل لاإله إلا الله، فقال: لعن الله مروان، تقرباً بذلك إلى الله تعالى وإبدالاً له من التوحيد وإقامة له مقامه.

شعره الذي يفخر به بالعجم على العرب

أخبرني عمي قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني مصعبٌ قال: قال إسماعيل بن يسار النسائي قصيدته التي أولها:

ما على رسم منزلٍ بالجناب	لو أبان الغداة رجع الجواب
غيرته الصبا وكل ملثٍّ	دائم الودق مكفهر السحاب
دار هندٍ وهل زماني بهندٍ	عائدٌ بالهوى وصفو الجناب
كالذي كان والصفاء مصونٌ	لم تشبه بهجرةٍ واجتناب
ذاك منها إذ أنت كالغصن غضٌ	وهي رؤدٌ كدمية المحراب
غادةٌ تستبي العقول بعذبٍ	طيب الطعم بارد الأنياب
وأثيثٍ من فوق لونٍ نقيٍّ	كبياض اللجين في الزرياب
فأقل الملام فيها وأقصر	لج قلبي من لوعةٍ واكتئاب

صاح أبصرت أو سمعت براعٍ ... رد في الضرع ما قرى من العلاب

انقضت شرتي وأقصر جهلي ... واستراحت عواذلي من عتابي

وقال فيها يفخر على العرب بالعجم:

رب خالٍ متوجٍ لي وعمٍّ ... ماجدٍ مجتدىً كريم النصاب

إنما سمي الفوارس بالفر ... س مضاهاة رفعة الأنساب

فاتركي الفخر يا أمام علينا ... واتركي الجور وانطقي بالصواب

واسألي إن جهلت عنا وعنكم ... كيف كنا في سالف الأحقاب

إذ نربي بناتنا وتدسو ... ن سفاهاً بناتكم في التراب

فقال رجل من آل كثير بن الصلت: إن حاجتنا إلى بناتنا غير حاجتكم؛ فأفحمه. يريد: أن العجم يربون بناهم لينكحوهن، والعرب لا تفعل ذلك. وفي هذه الأبيات غناءٌ، نسبته:

صاح أبصرت أو سمعت براعٍ ... رد في الضرع ما قرى في العلاب

انقضت شرتي وأقصر جهلي ... واستراحت عواذلي من عتابي

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي. والغناء لمالك خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. وذكر عمرو بن بانة في نسخته الأولى أن فيه للغريض خفيف ثقيل بالبنصر، وذكر في نسخته الثانية أنه لابن سريج. وذكر الهشامي أن لحن ابن سريج رملٌ بالوسطى، وأن لحن الغريض ثقيلٌ أول.

كان شعوبياً شديد التعصب للعجم وحدثني بهذا الخبر عمي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن مصعب قال: إسماعيل بن يسار يكنى أبا فائدة، وكان أخواه محمد وإبراهيم شاعرين أيضاً، وهم من سبى فارس. وكان إسماعيل شعوبياً شديد التعصب للعجم، وله شعرٌ كثير يفخر فيه بالأعاجم. قال: فأنشد يوماً في مجلس فيه أشعب قوله:

إذ نربي بناتنا وتدسو ... ن سفاهاً بناتكم في التراب

فقال له أشعب: صدقت والله يا أبا فائد، أراد القوم بناهم لغير ما أردتموهن له. قال: وما ذاك؟ قال: دفن القوم بناهم خوفاً من العار، وربيتموهن لتنكحوهن. قال: فضحك القوم حتى استعربوا، وخجل إسماعيل حتى لو قدر أن يسيخ في الأرض لفعل.

خبره مع الوليد بن يزيد

أخبرني الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرني أبو سلمة الغفاري قال أخبرنا أبو عاصم الأسلمي قال: بينا ابن يسار النسائي مع الوليد بن يزيد جالسٌ على بركة، إذ أشار الوليد إلى مولى له يقال له عبد الصمد، فدفع ابن يسار النسائي في البركة بثيابه؛ فأمر به الوليد فأخرج. فقال ابن يسار:

قل لوالي العهد إن لاقيته ... وولى العهد أولى بالرشد

إنه والله لولا أنت لم ... ينج مني سالماً عبد الصمد

إنه قد رام مني خطةً ... لم يرمها قبله مني أحد

فهو مما رام مني كالذي ... يقنص الدراج من خيس الأسد

فبعث إليه الوليد بخلعة سنيةٍ وصلةٍ وترضاه. وقد روي هذا الخبر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في قصة أخرى، وذكر هذا الشعر له فيه.

خبره مع بعض الطالبيين

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي: حدثني مصعب بن عبد الله قال سمعت إبراهيم بن أبي عبد الله يقول: ركب فلانٌ من ولد جعفر بن أبي طالب رحمه الله بإسماعيل بن يسار النسائي حتى أتى به قباء؛ فاستخرج الأحوص فقال له: أنشدني قولك:

ما ضر جيراننا إذ انتجعوا ... لو أنهم قبل بينهم ربعوا

فأنشده القصيدة. فاعجب بها، ثم انصرف. فقال له إسماعيل بن يسار: أما جئت إلا لما أرى؟ قال لا قال: فاسمع، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

ما ضر أهلك لو تطوف عاشقٌ ... بفناء بيتك أو ألم فسلما

فقال: والله لو كنت سمعت هذه القصيدة أو علمت أنك قلتها لما أتيته. وفي أبياتٍ من هذا الشعور غناءٌ نسبته:

صوت

يا هند ردي الوصل أن يتصرما ... وصلي امرأ كلفاً بحبك مغرما

لو تبذلين لنا دلالك مرةً ... لم نبغ منك سوى دلالك محرما

منع الزيارة أن أهلك كلهم ... أبدوا لزورك غلظةً وتجهما

ما ضر أهلك لو تطوف عاشقٌ ... بفناء بيتك أو ألم فسلما

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي. والغناء لابن مسجحٍ خفيف ثقيلٍ أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه إبراهيم الموصلي رملٌ بالبنصر عن حبش.

سمع زبان السواق شعره فبكى

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: أنشد رجلٌ زبان السواق قول إسماعيل بن يسار:

ما ضر أهلك لو تطوف عاشقٌ بفناء بيتك أو ألم فسلما

فبكى زبان، ثم قال: لا شيء والله إلا الضجر وسوء الخلق وضيق الصدر، وجعل يبكي ويمسح عينيه.

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي صهر المبرد قال حدثني طلحة بن عبد الله بن إسحاق الطلحي قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني جعفر بن الحسين المهلبي قال: أنشدت زبان السواق قول إسماعيل بن يسار النسائي:

صوت

إن جملاً وغن تبنيت منها نكباً عن مودتي وازورارا
شردت بادكارها النوم عني وأطير العزاء مني فطارا
ما على أهلها ولم تأت سوءا أن تحيا تحيةً أو تزارا
يوم أبدوا لي التجهم فيها وحموها لجاجةً وضرارا

فقال زبان: لا شيء وأبيهم إلا اللحز وقلة المعرفة وضيق العطن. فصاح عليه أبو المعافى وقال: فعلى من ذاك ويلك! أعليك أو على أبيك أو أمك؟ فقال له زبان: إنما أتيت يا أبا المعافى من نفسك، لو كنت تفعل هذا ما اختلفت أنت وابنك. فوثب إليه أبو المعافى يرميه بالتراب ويقول له: ويحك يا سفيه! تحسن الدياثة! وزبان يسعى هرباً منه.

الغناء في هذه الأبيات لابن مسجح خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن ابن مكي وحماد، وذكر الهشامي وحبشٌ أنه لابن محرز، وأن لحن ابن مسجح ثاني ثقيل.

طلبه الوليد بن يزيد من الحجاز

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال: غنى الوليد بن يزيد في شعرٍ لإسماعيل بن يسار، وهو:

حتى إذا الصبح بدا ضوءه ... وغارت الجوزاء والمرزم
خرجت والوطء خفيٌّ كما ... ينساب من مكمنه الأرقم

فقال: من يقول هذا؟ قالوا: رجلٌ من أهل الحجاز يقال له إسماعيل بن يسار النسائي؛ فكتب في إشخاصه إليه. فلما دخل عليه استنشده القصيدة التي هذان البيتان منها؛ فأنشده:

كلثم أنت الهم يا كلثم ... وأنتم دائي الذي أكتم
أكاتم الناس هوًى شفني ... وبعض كتمان الهوى أحزم
قد لمتني ظلماً بلا ظنةٍ ... وأنت فيما بيننا ألوم
أبدي الذي تخفينه ظاهراً ... أرتد عنه فيك أو أقدم
إما بيأس منك أو مطمعٍ ... يسدى بحسن الود أو يلحم
لا تتركيني هكذا ميتاً ... لا أمنح الود ولا أصرم
أوفي بما قلت ولا تندمي ... إن الوفي القول لا يندم
آية ما جئت على رقبةٍ ... بعد الكرى والحي قد نوموا
أخافت المشي حذار العدا ... والليل داجٍ حالكٌ مظلم
ودون ما حاولت إذ زرتكم ... أخوك والخال معاً والعم
وليس إلا الله لي صاحبٌ ... إليكم والصارم اللهذم
حتى دخلت البيت فاستذرفت ... من شفقٍ عيناك لي تسجم
ثم انجلى الحزن وروعاته ... وغيب الكاشح والمبرم
فبت فيما شئت من نعمةٍ ... يمنحنيها نحرها والفم
حتى إذا الصبح بدا ضوءه ... وغارت الجوزاء والمرزم
خرجت والوطء خفيٌّ كما ... ينساب من مكمنه الأرقم

قال: فطرب الوليد حتى نزل عن فرشه وسريره، وأمر المغنين فغنوه الصوت وشرب عليه أقداحاً، وأمر لإسماعيل بكسوةٍ وجائزة سنية، وسرحه إلى المدينة.
نسبة هذا الصوت الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي. والغناء لابن سريج رملٌ.

سمع شيخ قينة تغني بشعره

فألقى بنفسه في الفرات إعجابا به:

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق الموصلي قال حدثنا محمد بن كناسة قال: اصطحب شيخ وشبابٌ في سفينة بالكوفة؛ فقال بعض الشباب للشيخ: إن معنا قينة لنا، ونحن نجلك ونحب أن نسمع غناءها. قال: الله المستعان؛ فأنا أرقى على الأطلال وشأنكم. فغنت:

حتى إذا الصبح بدا ضوءه وغارت الجوزاء والمرزم

خرجت والوطء خفيٌ كما ينساب من مكمنه الأرقم

قال: فألقى الشيخ بنفسه في الفرات، وجعل يخبط بيديه ويقول: أنا الأرقم! أنا الأرقم! فأدركوه وقد كاد يغرق؛ فقالوا: ما صنعت بنفسك؟ فقال: إني والله اعلم من معاني الشعر ما لا تعلمون.

مدح عبد الله بن أنس فلم يكرمه فهجاه:

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أبو مسلم المستملي عن المدائني قال: مدح إسماعيل بن يسار النسائي رجلاً من أهل المدينة يقال له عبد الله بن أنس، وكان قد اتصل ببني مروان وأصاب منهم خيراً، وكان إسماعيل صديقاً له؛ فرحل إلى دمشق إليه، فأنشده مديحاً له ومت إليه بالجوار والصداقة؛ فلم يعطه شيئاً. فقال يهجوه:

لعمرك ما إلى حسنٍ رحلنا ولا زرنا حسيناً يابن أنس

يعني الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما.

ولا عبداً لعبدهما فنحظى بحسن الحظ منهم غير بخس

ولكن ضب جندلةٍ أتينا مضباً في مكامنه يفسي

فلما أن أتيناه وقلنا بحاجتنا تلون ورس

وأعرض غير منبلج لعرفٍ وظل مقرطباً ضرساً بضرس

فقلت لأهله أبه كزازٌ وقلت لصاحبي أتراه يمسي

فكان الغنم أن قمنا جميعاً مخافة أن نزن بقتل نفس

رثاؤه لمحمد بن عروة:

حدثني عمي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب بن عبد الله قال: وفد عروة بن الزبير إلى الوليد بن عبد الملك وأخرج معه إسماعيل بن يسار النسائي، فمات في تلك الوفادة محمد بن عروة بن الزبير، وكان مطلعاً على دوب الوليد بن عبد الملك، فسقط من فوق السطح بينها. فجعلت ترمحه حتى قطعته، كان جميل الوجه جواداً. فقال إسماعيل بن يسار يرثيه:

صلى الإله على فتى فارقته ... بالشأم في جدث الطوي الملحد

بوأته بيدي دار إقامةٍ ... نائي المحلة عن مزار العود

وغبرت أعوله وقد أسلمته ... لصفا الأماعز والصفيح المسند

متخشعاً للدهر ألبس حلةً ... في النائبات بحسرةٍ وتجلد

أعني ابن عروة إنه قد هدني ... فقد ابن عروة هدةً لم تقصد

فإذا ذهبت إلى العزاء أرومه ... ليرى المكاشخ بالعزاء تجلدي

منع التعزي أنني لفراقه ... لبس العدو علي جلد الأربد

ونأى الصديق فلا صديق أعده ... لدفاع نائبة الزمان المفسد

فلئن تركتك يا محمد ثاوياً ... لبما تروح مع الكرام وتغتدي

كان الذي يزع العدو بدفعه ... ويرد النخوة ذي المراح الأصيد

فمضى لوجهته وكل معمرٍ ... يوماً سيدركه حمام الموعد

دخل على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير ومدحه فأكرمه:

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه: أن إسماعيل بن يسار دخل على عبد الملك بن مروان لما أفضى إليه الأمر بعد مقتل عبد الله بن الزبير، فسلم ووقف موقف المنشد واستأذن في الإنشاد. فقال له عبد الملك: الآن يا بن يسار! إنما أنت امرؤٌ زبيريٌ، فبأي لسان تنشد؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، أنا أصغر شأناً من ذلك، وقد صفحت عن أعظم جرماً وأكثر غناءً لأعدائك مني، وإنما أنا شاعر مضحك، فتبسم عبد الملك؛ وأومأ إليه الوليد بأن ينشد. فابتدأ فأنشد قوله:

ألا يا لقومي للرقاد المسهد ... وللماء ممنوعاً من الحائم الصدي

وللحال بعد الحال يركبها الفتى ... وللحب بعد السلوة المتمرد

وللمرء يلحى في التصابي وقبله ... صبا بالغواني كل قرمٍ ممجد

وكيف تناسي القلب سلمى وحبها ... كجمر غضى بين الشراسيف موقد

حتى انتهى إلى قوله:

إليك إمام الناس من بطن يثربٍ ... ونعم أخو ذي الحاجة المتعمد

رحلنا لأن الجود منك خليقةٌ ... وأنك لم يذمم جنابك مجتدي

ملكت فزدت الناس ما لم يزدهم ... إمامٌ من المعروف غير المصرد

وقمت فلم تنقض قضاء خليفةٍ ... ولكن بما ساروا من الفعل تقتدي

ولما وليت الملك ضاربت دونه ... وأسندته لا تأتلي خير مسند

جعلت هشاماً والوليد ذخيرةً ... ولبين للعهد الوثيق المؤكد

قال: فنظر إليهما عبد الملك متبسماً، والتفت إلى سليمان فقال: أخرجك إسماعيل من هذا الأمر. فقطب سليمان ونظر إلى إسماعيل نظر مغضب. فقال إسماعيل: يا أمير المؤمنين، إنما وزن الشعر أخرجه من البيت الأول، وقد قلت بعده:

وأمضيت عزماً في سليمان رشداً ... ومن يعتصم بالله مثلك يرشد

فأمر له بألفي درهمٍ صلةً، وزاد في عطائه. وفرض له، وقال لولده: أعطوه؛ فأعطوه ثلاثة آلاف درهم.

استنشده هشام بتن عبد الملك فافتخر ورمى به في بركة ماء ونفاه إلى الحجاز:

أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال ذكر ابن النطاح عن أبي اليقظان: أن إسماعيل بن يسار دخل على هشام بن عبد الملك في خلافته وهو بالرصافة جالسٌ على بركةٍ له في قصره، فاستنشده وهو يرى أنه ينشده مديحاً له؛ فأنشده قصيدته التي يفتخر بها بالعجم:

يا ربع رامة بالعلياء من ريم ... هل ترجعن إذا حييت تسليمي

ما بال حيٍّ غدت بزل المطي بهم ... تخدي لغربتهم سيراً بتقحيم

كأنني يوم ساروا شاربٌ سلبت ... فؤاده قهوةٌ من خمر داروم

حتى انتهى إلى قوله:

إني وجدك ما عودي بذي خورٍ ... عند الحفاظ ولا حوضي بمهدوم

أصلي كريمٌ ومجدي لا يقاس به ... ولي لسانٌ كحد السيف مسموم

أحمي به مجد أقوامٍ ذوي حسبٍ ... من كل قومٍ بتاج الملك معموم

جحاجحٍ سادةٍ بلجٍ مرازبةٍ ... جردٍ عتاقٍ مساميح مطاعيم

من مثل كسرى وسأبور الجنود معاً ... والهرمزان لفخرٍ أو التعظيم

أسد الكتائب يوم الروع إن زحفوا | وهم أذلوا ملوك الترك والروم
يمشون في حلق الماذي سابغةً | مشى الضراغمة الأسد اللهاميم
هناك إن تسألي تبني بأن لنا | جرثومةً قهرت عز الجراثيم

قال: فغضب هشامٌ وقال له: يا عاض بظر أمه! أعلي تفخر وإياي تنشد قصيدةً تمدح بها نفسك وأعلاج قومك!! غطوه في الماء فغطوه في البركة حتى كادت نفسه تخرج، ثم أمر بإخراجه وهو بشر ونفاه من وقته، فأخرج عن الرصافة منفياً إلى الحجاز. قال: كان مبتلى بالعصبية للعجم والفخر بهم. فكان لا يزال مضروباً محروماً مطروداً.

مدح الوليد والغمر ابني يزد فأكرماه:

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال قال ابن النطاح وحدثني أبو اليقظان: أن إسماعيل بن يسار وفد على الوليد بن يزيد، وقد أسن وضعف، فتوسل إليه بأخيه الغمر ومدحه بقوله:

نأتك سليمى فالهوى متشاجر | وفي نأيها للقلب داءٌ مخامر
نأتك وهام القلب، نأيا بذكرها | ولج كما لج الخليع المقامر
بواضحة الأقراب خفاقة الحشى | برهرهةٍ لا يجتويها المعاشر

يقول فيها يمدح الغمر بن يزيد:

إذا عدد الناس المكارم والعلا | فلا يفخرن يوماً على الغمر فاخر
فما مر من يومٍ على الدهر واحدٍ | على الغمر إلا وهو في الناس غامر
تراهم خشوعاً حين يبدو مهابةً | كما خشعت يوماً لكسرى الأساور
أغر بطاحيٌ كأن جبينه | إذا ما بدا بدرٌ إذا لاح باهر
وقى عرضه بالمال فالمال جنةٌ | له وأهان المال والعرض وافر
وفي سيبه للمجتدين عمارةٌ | وفي سيفه للدين عزٌ وناصر
نماه إلى فرعي لؤي بن غالبٍ | أبوه أبو العاصي وحربٌ وعامر
وخمسة آباءٍ له قد تتابعوا | خلائف عدلٍ ملكهم متواتر
بهاليل سباقون في كل غايةٍ | إذا استبقت في المكرمات المعاشر
هم خير من بين الحجون إلى الصفا | إلى حيث أفضت بالبطاح الحزاور

وهم جمعوا هذا الأنام على الهدى وقد فرقت بين الأنام البصائر

قال: فأعطاه الغمر ثلاثة آلاف درهم وأخذ له من أخيه الوليد ثلاثة آلاف درهم.

أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن مصعبٍ قال: لما مات محمد بن يسار، وكانت وفاته قبل أخيه، دخل إسماعيل على هشام بن عروة، فجلس عنده وحدثه بمصيبته ووفاة أخيه، ثم أنشده يرثيه:

عيل العزاء وخانني صبري لما نعى الناعي أبا بكر
ورأيت ريب الدهر أفردني منه وأسلم للعدا ظهري
من طيب الأثواب مقتبلٍ حلو الشمائل ماجدٍ غمر
فمضى لوجهته وأدركه قدرٌ أتيح له من القدر
وغبرت مالي من تذكره إلا الأسى وحرارة الصدر
وجوىً يعامدني وقل له مني الجوى ومحاسن الذكر
لما هوت أيدي الرجال به في قعر ذات جوانبٍ غبر
وعلمت أني لن ألاقيه في الناس حتى ملتقى الحشر
كادت لفرقته وما ظلمت نفسي تموت على شفا القبر
ولعمر من حبس الهدي له بالأخشبين صبيحة النحر
لو كان نيل الخلد يدركه بشرٌ بطيب الخيم والنجر
لغبرت لا تخشى المنون ولا أودى بنفسك حادث الدهر

ولنعم مأوى المرملين إذا قحطوا وأخلف صائب القطر
كم قلت آونةً وقد ذرفت عيني فماء شؤونها يجري
أني وأي فتىً يكون لنا شرواك عند تفاقم الأمر
لدفاع خصمٍ ذي مشاغبةٍ ولعائلٍ تربٍ أخي فقر
ولقد علمت وإن ضمنت جوىً مما أجن كواهج الجمر
ما لامرىءٍ دون المنية من نفقٍ فيحرزه ولا ستر

قال: وكان بحضرة هشامٌ رجلٌ من آل الزبير، فقال له: أحسنت وأسرفت في القول، فلو قلت هذا في رجلٍ من سادات قريش لكان كثيراً. فزجره هشام. وقال: بئس ما واجهت به جليسك؛ فشكره إسماعيل، وجزاه خيراً.

فلما انصرف تناول هشامٌ الرجل الزبيري وقال: ما أردت إلى رجلٍ شاعر ملك قوله فصرف أحسنه إلى أخيه! شاعراً من طبقة أخيه؛ وله أشعار كثيرة. و لم أجد خبراً فأذكره. ولكن له أشعار كثيرة يغنى فيها. منها قوله في قصيدة طويلة:

صوت

غشيت الدار بالسند — دوين الشعب من أحد

عفت بعدي وغيرها — تقادم سالف الأبد

الغناء لحكم الوادي خفيف ثقيلٍ عن الهشامي.

ولإسماعيل بن يسار ابنٌ يقال له إبراهيم، شاعرٌ أيضاً، وهو القائل:

مضى الجهل عنك إلى طيته — وآبك حلمك من غيبته

وأصبحت تعجب مما رأي — ت من نقض دهرٍ ومن مرته

وهي طويلة يفتخر فيها بالعجم كرهت الإطالة بذكرها.

انقضت أخباره.

صوت من المائة المختارة

كليبٌ لعمري كان أكثر ناصراً — وأيسر جرماً منك ضرج بالدم

رمى ضرع نابٍ فاستمر بطعنةٍ — كحاشية البرد اليماني المنمنم

عروضه من الطويل. الشعر للنابغة الجعدي. والغناء للهذلي في اللحن المختار، وطريقته من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. ونذكر ها هنا سائر ما يغنى به في هذه الأبيات وغيرها من هذه القصيدة وننسبه إلى صانعه، ثم نأتي بعده بما يتبعه من أخباره. فمنها على الولاء سوى لحن الهذلي:

كليبٌ لعمري كان أكثر ناصراً — وأيسر جرماً منك ضرج بالدم

رمى ضرع نابٍ فاستمر بطعنةٍ — كحاشية البرد اليماني المسهم

أيا دار سلمى بالحرورية اسلمي — إلى جانب الصمان فالمتثلم

أقامت به البردين ثم تذكرت — منازلها بين الدخول فجرثم

ومسكنها بين الغروب إلى اللوى — إلى شعبٍ ترعى بهن فعيهم

ليالي تصطاد الرجال بفاحمٍ — وأبيض كالإغريض لم يتثلم

في البيت الأول والثاني لابن سريج ثقيلٌ أول آخر بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس. وفيهما لمالكٍ خفيف ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وللغريض في الثالث والرابع والأول والثاني ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى. ولإسحاق في الثالث والأول ثقيل أول بالوسطى، ذكر ذلك أبو العبيس والهشامي. وللغريض في الرابع ثم الأول خفيف ثقيل بالوسطى في رواية عمرو بن بانة. ولمعبد فيهما وفي الخامس والسادس خفيف ثقيلٍ من رواية أحمد بن المكي. ولابن سريج في الخامس والسادس ثقيلٌ أول بالبنصر من رواية علي بن يحيى المنجم، وذكر غيره أنه للغريض. ولإبراهيم فيه ثقيلٌ أول بالوسطى عن الهشامي، وذكر حبشٌ أنه لمعبد. ولابن محرز في الأول والثاني والثالث والرابع هزج، ذكر ذلك أبو العبيس، وذكر قمري أنه لأبي عيسى بن المتوكل لا يشك فيه. وللدلال في الخامس والسادس ثاني ثقيلٍ عن الهشامي، وذكر أبو العبيس أنه للهذلي. ولعبيد الله بن عبد الله بن طاهر في الرابع خفيف رملٍ. ولإسحاق في الثالث والرابع أيضاً ما خوري.، ولمعبد خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى فيهما، وقيل: إنه لحنه الذي ذكرنا متقدماً، وإنه ليس في هذا الشعر غيره. وذكر حبشٌ أن في هذه الأبيات التي أولها: " كليبٌ لعمري " خفيف رملٍ بالوسطى، وللهذلي خفيف ثقيلٍ بالبنصر، وللدلال رملٌ؛ فذلك ثمانية عشر صوتاً. وأخبرني محمد بن إبراهيم قريص أن له فيهما أعني الأول والثاني خفيفاً بالوسطى.

الجزء الخامس

ذكر النابغة الجعدي

نسبه وكنيته

هو على ما ذكر أبو عمرو الشيباني والقحذمي، وهو الصحيح، حبان بن قيس بن عبد الله بن وحوح بن عدس وقيل ابن عمرو بن عدس مكان وحوح ابن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر. هذا النسب الذي عليه الناس اليوم مجتمعون.

وقد روى ابن الكلبي وأبو اليقظان وأبو عبيدة وغيرهم في ذلك روايات تخالف هذا، فمنها أن ابن الكلبي ذكر عن أبيه أن خصفه الذي يقول الناس إنه ابن قيس بن عيلان ليس كما قالوا، وأن عكرمة ابن قيس بن عيلان وخصفة أمه، وهي امرأة من أهل هجر. وقيل: بل هي حاضنته، وكان قيس بن عيلان قد مات، وعكرمة صغير فربته حتى كبر، وكان قومه يقولون: هذا عكرمة بن خصفة، فبقيت عليه، ومن لا يعلم يقول: عكرمة بن خصفة بن قيس، كما يقال خندف، وإنما هي امرأة وزوجها إلياس بن مضر. وقالوا في صعصعة بن معاوية: إن الناقمية بنت عامر بن مالك، وهو الناقم، سمي بذلك لأنه انتقم بلطمة لطمها، وهو ابن سعد بن جدان بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، كانت عند معاوية بن بكر بن هوازن فمات عنها أو طلقها وهي نسء، فتزوجها سعد بن زيد مناة بن تميم، فولدت على فراشه صعصعة بن معاوية، ثم ولدت هبيرة ونجدة وجنادة، فلما مات سعد اقتسم بنوه الميراث وأخرجوا صعصعة منه، وقالوا: أنت ابن معاوية بن بكر، فلما رأى ذلك أتى بني معاوية بن بكر فأقروا بنسبه ودفعوه عن الميراث، فلما رأى ذلك أتى سعد بن الظرب العدواني فشكا إليه ما لقي، فزوجه بنت أخيه عمرة بنت عامر بن الظرب، وأبوها عامر الذي يقال له: ذو الحلم، وعمرة ابنته هذه هي التي كانت تقرع له العصا إذا سها في الحكم، وله يقول الشاعر:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما

قال: وكانت عمرة يوم زوجها عمها نسئاً من ملك من ملوك اليمن يقال له: الغافق بن العاصي الأزدي، والملك يومئذ في الأزد، فولدت على فراش صعصعة عامر بن صعصعة، فسماه صعصعة عامراً بجده عامر بن الظرب. وقال في ذلك حبيب بن وائل بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن:

أزعمت أن الغافقي أبوكم نسب لعمر أبيك غير مفند

وأبوكم ملك ينتف باسته هلباء عافية كعرف الهدهد

جنحت عجوزكم إليه فردهما نسئاً بعامركم ولما يويد

ويكنى النابغة أبا ليلى. وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وقال ابن الأعرابي: هو قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة، ووافق ابن سلام في باقي نسبه. وهذا وهم ممن قال: إن اسمه قيس، وليس يشك في أنه كان له أخ يقال له وحوح بن قيس، وهو الذي قتله بنو أسد وخبره يذكر بعد هذا ليصدق نسب النابغة.

وأمه فاخرة بنت عمرو بن جابر بن شحنة الأسدي.

وإنما سمي النابغة لأنه أقام مدة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله.

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد: قرأت على القحذمي: قال الجعدي الشعر في الجاهلية ثم أجبل دهراً ثم نبغ بعد في الشعر في الإسلام. أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن محمد بن حبيب عن أبن الأعرابي قال: أقام النابغة الجعدي ثلاثين سنة لا يتكلم، ثم تكلم بالشعر! قال القحذمي في رواية حماد عنه: كان الجعدي أسن من نابغة بني ذبيان.

قال ابن سلام في رواية أبي خليفة عنه: كان الجعدي النابغة قديماً شاعراً طويلاً مفلقاً طويل البقاء في الجاهلية والإسلام، وكان أكبر من الذبياني، ويدل على ذلك قوله:

ومن يك سائلاً عني فإني من الفتيان أيام الخنان

أتت مائة لعام ولدت فيه وعشر بعد ذاك وحجتان

فقد أبقت خطوب الدهر مني كما أبقت من السيف اليماني

قال وعمر بعد ذلك عمراً طويلاً. سئل محمد بن حبيب عن أيام الخنان ما هي؟ فقال: وقعة لهم، فقال قائل منهم وقد لقوا عدوهم: خنوهم بالرماح، فسمي ذلك العام الخنان. ويدل على أنه أقدم من النابغة الذبياني أنه عمر مع المنذر بن المحرق قبل النعمان بن المنذر، وكان النابغة الذبياني مع النعمان بن المنذر وفي عصره، ولم يكن له قدم إلا أنه مات قبل الجعدي، ولم يدرك الإسلام. والجعدي الذي يقول:

تذكرت شيئاً قد مضى لسبيله ومن عادة المحزون أن يتذكرا

نداماي عند المنذر بن محرق أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقفرا

كهول وفتيان كأن وجوههم دنانير مما شيف في أرض قيصرا

طائفة من أخباره

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد الله بن محمد بن حكيم عمن كان يأخذ العلم عنه و لم يسم إلي أحداً في هذا: أن النابغة عمر مائة وثمانين سنة، وهو القائل:

لبست أناساً فأفنيتهم — وأفنيت بعد أناس أناسا

ثلاثة أهلين أفنيتهم — وكان الإله هو المستآسا

وهي قصيدة طويلة، يقول فيها، وفيه غناء:

وكنت غلاماً أقاسي الحرو — ب يلقى المقاسون مني مراسا

فلما دنونا لجرس النبا — ح لم نعرف الحي إلا التماسا

أضاءت لنا النار وجهاً أغ — ر ملتبساً بالفؤاد التباسا

غنى في هذه الثلاثة الأبيات فليح بن أبي العوراء خفيف ثقيل أول بالوسطى.

رجع الخبر إلى رواية عمر بن شبة: قال: وقال أيضاً:

ألا زعمت بنو سعد بأني — ألا كذبوا كبير السن فاني

أتت مائة لعام ولدت فيه — وعشر بعد ذاك وحجتان

قال: وأنشد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أبياته التي يقول فيها:

ثلاثة أهلين أفنيتهم

فقال له عمر رضي الله تعالى عنه: كم لبثت مع كل أهل. قال: ستين سنة.

وأخبرني بعض أصحابنا

عن أبي بكر بن دريد عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: أنشد رجل من العجم قول النابغة الجعدي:

لبست أناساً فأفنيتهم — وأفنيت بعد أناس أناسا

وفسر له، فقال: بدين شان بود، أي هذا رجل مشؤوم. وأما ابن قتيبة فإنه ذكر ما رواه لنا عنه إبراهيم بن محمد أنه عمر مائتين وعشرين سنة، ومات بأصبهان. وما ذاك بمنكر، لأنه قال لعمر رضي الله تعالى عنه: إنه أفنى ثلاثة قرون كل قرن ستون سنة، فهذه مائة وثمانون، ثم عمر بعده فمكث بعد قتل عمر خلافة عثمان وعلي ومعاوية ويزيد، وقدم على عبد الله بن الزبير بمكة وقد دعا لنفسه، فاستماحه ومدحه، وبين عبد الله بن الزبير وبين عمر،

نحو مما ذكر ابن قتيبة، بل لا أشك أنه قد بلغ هذه السن وهاجى أوس بن مغراء بحضرة الأخطل والعجاج وكعب بن جعيل فغلبه أوس، وكان مغلباً.

حدثنا أحمد بن عمر بن موسى القطان المعروف بابن زنجويه قال

حدثنا إسماعيل بن عبد الله السكري قال حدثنا يعلى بن الأشدق العقيلي قال حدثني نابغة بني جعدة قال: أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشعر فأعجب به:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا — وإنا لنبغي فوق ذلك مظهرا

ثم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "فأين المظهر يا أبا ليلى"، فقلت: الجنة، فقال: "قل إن شاء الله"، فقلت: إن شاء الله.

ولا خير في حلم إذا لم يكن له — بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له — حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أجدت لا يفضض الله فاك"، قال: فلقد رأيته وقد أتت عليه مائة سنة أو نحوها وما انفض من فيه سن.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال

أخبرني أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة قال: كان النابغة الجعدي ممن فكر في الجاهلية وأنكر الخمر والسكر وما يفعل بالعقل، وهجر الأزلام والأوثان، وقال في الجاهلية كلمته التي أولها:

الحمد لله لا شريك له — من لم يقلها فنفسه ظلما

وكان يذكر دين إبراهيم والحنيفية، ويصوم ويستغفر، ويتوقى أشياء لعواقبها. ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى — ويتلو كتاباً كالمجرة نيرا

وجاهدت حتى ما أحس ومن معي — سهيلاً إذا ما لاح ثمت غورا

أقيم على التقوى وأرضى بفعلها — وكنت من النار المخوفة أوجرا

وحسن إسلامه، وأنشد النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: "لا يفضض الله فاك"، وشهد مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه صفين. وقد ذكر خبره مع عمر رضي الله عنه، وأما خبره، مع عثمان فأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال قال مسلمة بن محارب: دخل النابغة الجعدي على عثمان رضي الله تعالى عنه فقال: أستودعك الله يا أمير المؤمنين، قال: وأين تريد يا أبا ليلى. قال: ألحق بإبلي فأشرب من

ألبانها فإني منكر لنفسي، فقال: أتعرباً بعد الهجرة يا أبا ليلى! أما علمت أن ذلك مكروه؟! قال: ما علمته، وما كنت لأخرج حتى أعلمك. قال: فأذن له، وأجل له في ذلك أجلا، فدخل على الحسن والحسين ابني علي فودعهما، فقالا له: أنشدنا من شعرك يا أبا ليلى، فأنشدهما:

الحمد لله لا شريك له ... من لم يقلها فنفسه ظلما

فقالا: يا أبا ليلى، ما كنا نروي هذا الشعر إلا لأمية بن أبي الصلت، فقال: يابني رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لصاحب هذا الشعر وأول من قاله، وإن السروق لمن سرق شعر أمية.

قال أبو زيد عمر بن شبة في خبره: كان النابغة شاعراً متقدماً، وكان مغلباً ما هاجى قط إلا غلب، هاجى أوس بن مغراء وليلى الأخيلية وكعب بن جعيل فغلبوه جميعاً.

بدء حديثه

وقال أبو عمرو الشيباني: كان بدء حديث النابغة وأوس بن مغراء أن معاوية لما وجه بسر بن أرطاة الفهري لقتل شيعة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، قام إليه معن بن يزيد بن الأخنس السلمي وزياد بن الأشهب بن ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة، فقالا: يا أمير المؤمنين، نسألك بالله وبالرحم ألا تجعل لبسر على قيس سلطاناً، فيقتل قيساً بمن قتلت بنو سليم من بني فهر وبني كنانة يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، فقال معاوية: يا بسر لا أمر لك على قيس، وسار بسر حتى أتى المدينة، فقتل ابني عبيد الله بن العباس، وفر أهل المدينة ودخلوا الحرة حرة بني سليم. ثم سار بسر حتى أتى الطائف، فقالت له ثقيف: ما لك علينا سلطان، نحن من قيس، فسار حتى أتى همدان وهم في جبل لهم يقال له شبام، فتحصنت فيه همدان، ثم نادوا: يا بسر نحن همدان وهذا شبام، فلم يلتفت إليهم، حتى إذا اغتروا ونزلوا إلى قراهم، أغار عليهم فقتل وسبى نساءهم، فكن أول مسلمات سبين في الإسلام. ومر بحي من بني سعد نزول بين ظهري بني جعدة بالفلج، فأغار بسر على الحي السعديين فقتل منهم وأسر، فقال أوس بن مغراء في ذلك:

مشرين ترعون النجيل وقد غدت ... بأوصال قتلاكم كلاب مزاحم

المشر: الذي قد بسط ثوبه في الشمس. والنجيل: جنس من الحمض فقال النابغة يجيبه:

متى أكلت لحومكم كلابي ... أكلت يديك من جرب تهام

خبره مع أوس بن مغراء

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب مما أجاز لنا روايته عنه من حديثه وأخباره مما ذكره منها عن محمد بن سلام الجمحي عن أبي الغراف، وأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر، قالا حدثنا عمر بن شبة عن محمد بن

سلام، عن أبي الغراف: أن النابغة هاجى أوس بن مغراء، قال: و لم يكن أوس مثله ولا قريباً منه في الشعر، فقال النابغة: إني وإياه لنبتدر بيتاً، أينا سبق إليه غلب صاحبه، فلما بلغه قول أوس:

لعمرك ما تبلى سرابيل عامر   من اللؤم ما دامت عليها جلودها

قال النابغة: هذا البيت الذي كنا نبتدر إليه. فغلب أوس عليه.

قال أبو زيد: فحدثني المدائني أهما اجتمعا في المربد فتنافرا وتهاجيا، وحضرهما العجاج والأخطل ركعب بن جعيل، فقال أوس:

لما رأت جعدة منا ورداً   ولوا نعاماً في البلاد ربدا

إن لنا عليكم معداً   كاهلها وركنها الأشدا

فقال العجاج:

كل امرئ يعدو بما استعدا

وقال الأخطل يعين أوس بن مغراء ويحكم له:

وإني لقاض بين جعدة عامر   وسعد قضاء بين الحق فيصلا

أبو جعدة الذئب الخبيث طعامه   وعوف بن كعب أكرم الناس أولا

وقال كعب بن جعيل:

إني لقاض قضاء سوف يتبعه   من أم قصداً ولم يعدل إلى أود

فصلاً من القول تأتم القضاة به   ولا أجور ولا أبغي على أحمد

ناكت بنو عامر سعداً وشاعرها   كما تنيك بنو عبس بني أسد

سبب المهاجاة بينه وبين ليلى الأخيلية

وقال أبو عمرو الشيباني: كان سبب المهاجاة بين ليلى الأخيلية وبين الجعدي أن رجلاً من قشير يقال له ابن الحيا وهي أمه واسمه سوار بن أوفى بن سبرة هجاه وسب أخواله من أزد في أمر كان بين قشير وبين بني جعدة وهم بأصبهان متجاورون، فأجابه النابغة بقصيدته التي يقال لها الفاضحة سميت بذلك لأنه ذكر فيها مساوي فشير وعقيل وكل ما كانوا يسبون به، وفخر بمآثر قومه وبما كان لسائر بطون بني عامر سوى هذين الحيين من قشير وعقيل:

جهلت علي ابن الحيا وظلمتني   وجمعت قولاً جاء بيتاً مضللا

وقال في هذه القصة أيضاً قصيدته التي أولها:

إما ترى ظلل الأيام قد حسرت … عني وشمرت ذيلاً كان ذيالا

وهي طويلة، يقول فيها:

ويوم مكة إذ ما جدتم نفرا … حاموا على عقد الأحساب أزوالا

عند النجاشي إذ تعطون أيديكم … مقرنين ولا ترجون إرسالا

إذ تستحبون عند الخذل أن لكم … من آل جعدة أعماما وأخوالا

لو تستطيعون أن تلقوا جلودكم … وتجعلوا جلد عبد الله سربالا

يعني عبد الله بن جعدة بن كعب:

إذاً تسربلتم فيه لينجيكم … مما يقول ابن ذي الجدين إذ قالا

حتى وهبتم لعبد الله صاحبه … والقول فيكم بإذن الله ما فالا

تلك المكارم لا قعبان من لبن … شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

يعني بهذا البيت أن ابن الحيا فخر عليه بأنهم سقوا رجلاً من جعدة أدركوه في سفر وقد جهد عطشا لبناً وماء فعاش.

وقال في هذه القصة أيضاً قصيدته التي أولها:

أبلغ قشيراً والحريش فما … ذا رد في أيديكم شتمي

وفخر عليهم بقتل علقمة الجعفي يوم وادي نساح وقتل شراحيل بن الأصهب الجعفي، وبيوم رحرحان أيضاً، فقال فيه:

هلا سألت بيومي رحرحان وقد … ظنت هوازن أن العز قد زالا

فلما ذكر ذلك النابغة قال:

تلك المكارم لا قعبان من لبن … شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ففخر بما له وغض مما لهم. ودخلت ليلى الأخيلية بينهما فقالت:

وما كنت لو قاذفت جل عشيرتي … لأذكر قعبي حازر قد تثملا

وهي كلمة. فلما بلغ النابغة قولها قال:

ألا حييا ليلى وقولا لها هلا … فقد ركبت أبراً أغر محجلا

وقد أكلت بقلا وخيماً نباته … وقد شربت من آخر الصيف أيلا

يعني ألبان الأيل

دعي عنك تهجاء الرجال وأقبلي ... على أذلغي يملأ استك فيشلا
وكيف أهاجي شاعراً رمحه استه ... خضيب البنان لا يزال مكحلا

فردت عليه ليلى الأخيلية فقالت:

أنابغ لم تنبغ ولم تك أولا ... وكنت صنيا بين صدين مجهلا

الصني: شعب صغير يسيل منه الماء. وصدان: جبلان.

أنابغ إن تنبغ بلؤمك لا تجد ... للؤمك إلا وسط جعدة مجعلا
تعيرني داء بأمك مثله ... وأي حصان لا يمال لها هلا

فغلبته. فلما أتى بني جعدة قولها هذا، اجتمع ناس منهم فقالوا: والله لنأتين صاحب المدينة، أو أمير المؤمنين، فليأخذن لنا بحقنا من هذه الخبيثة، فإنها قد شتمت أعراضنا وافترت علينا، فتهيئوا لذلك، وبلغها أنهم يريدون أن يستعدوا عليها، فقالت:

أتاني من الأنباء أن عشيرة ... بشوران يزجون المطي المذللا
يروح ويغدو وفدهم بصحيفة ... ليستجلدوا لي، ساء ذلك معملا

وقد أخبرني ببعض هذه القصة أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة فجاء بها مختلطة، وهذا أوضح وأصح.

ما فخر به النابغة من الأيام

قال أبو عمرو: فأما ما فخر به النابغة من الأيام، فمنها يوم علقمة الجعفي، فإنه غدا في مدحج ومعه زهير الجعفي، فأتى بني عقيل بن كعب فأغار عليهم، وفي بني عقيل بطون من سليم يقال لهم بنو بجلة، فأصاب سبياً وإبلا كثيرة، ثم انصرف راجعاً بما أصاب، فاتبعه بنو كعب، ولم يلحق به من بني عقيل إلا عقال بن خويلد بن عامر بن عقيل، فجعل يأخذ أبعار إبل الجعفيين فيبول عليها حتى يندّيها، ثم يلحق ببني كعب فيقول: إيه فدى لكم أبواي، قد لحقتم القوم، حتى وردوا عليهم النخيل في يوم قائظ، ورأس زهير في حجر جارية من سليم من بني بجلة سباها يومئذ وهي تفليه، وهو متوسد قطيفة حمراء وهي تضفر سعفاته أي أعلى رأسه بهدب القطيفة، فلم يشعروا إلا بالخيل، فكان أول من لحق زهيراً ابن النهاضة، فضرب وجه زهير بقوسه حتى كسر أنفه، ثم لحقه عقال بن خويلد، فبعج بطنه، فسال من بطنه برير وحلب والبرير: ثمر الأراك. والحلب: لبن كان قد اصطبحه فذلك يوم يقول أبو حرب أخو عقال بن خويلد: والله لا أصطبح لبناً حتى آمن من الصباح. قال: وهذا اليوم هو يوم وادي نساح وهو باليمامة.

قال: وأما يوم شراحيل بن الأصهب الجعفي فإنه يوم مذكور تفتخر به مضر كلها. وكان شراحيل خرج مغيراً في جمع عظيم من اليمن، وكان قد طال عمره وكثر تبعه وبعد صيته واتصل ظفره، وكان قد صالح بني عامر

على أن يغزو العرب ماراً بهم في بدأته وعودته لا يعرض أحد منهم لصاحبه، فخرج غازياً في بعض غزواته فأبعد، ثم رجع إليهم فمر على بني جعدة فقرته ونحرت له، فعمد ناس من أصحابه سفهاء فتناولوا إبلا لبني جعدة فنحروها، فشكت ذلك بنو جعدة إلى شراحيل، فقالوا: قريناك وأحسنا ضيافتك ثم لم تمنع أصحابك مما يصنعون! فقال: إنهم قوم مغيرون، وقد أساءوا لعمري! وإنما يقيمون عندكم يوماً أو يومين ثم يرتحلون عنكم. فقال الرقاد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة لأخيه ورد بن عمرو وقيل: بل قال ذلك لابن أخيه الجعد بن ورد: دعني أذهب إلى بني قشير قال: وجعدة وقشير أخوان لأم وأب، أمهما ريطة بنت قنفذ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور فأدعوهم، واصنع أنت يا هذا لشراحيل طعاماً حسناً كثيراً، وادعه وأدخله إليك فاقتله، فإن احتجت إلينا فدخن، فإني إذا رأيت الدخان أتيتك بهم فوضعنا سيوفنا على القوم. فعمد ورد هذا إلى طعام فأصلحه، ودعا شراحيل وناساً من أصحابه وأهله وبني عمه، فجعلوا كلما دخل البيت رجل قتله ورد، حتى انتصف النهار، فجاء أصحاب شراحيل يتبعونه، فقال لهم ورد: تروحوا فإن صاحبكم قد شرب وثمل وسيروح فرجعوا، ودخن ورد، وجاءت قشير، فقتلوا من أدركوا من أصحابه، وسار سائرهم، وبلغهم قتل شراحيل، فمروا على بني عقيل، وهم إخوتهم، فقالوا: لنقتلن مالك بن المنتفق، فقال لهم مالك: أنا آتيكم بوردة فركب ببني عقيل إلى بني جعدة وقشير ليعطوهم ورداً، فامتنعوا من ذلك وساروا بأجمعهم فذبوا عن عقيل، حتى تفرق من كان مع شراحيل. فقال في ذلك بحير بن عبد الله بن سلمة:

أحي يتبعون العير نحراً ... أحب إليك أم حيا هلال

لعلك قاتل ورداً ولما ... تساق الخيل بالأسل النهال

ألا يا مال ويح سواك أقصر ... أما ينهاك حلمك عن ضلال

فأحدهما مشهور قد ذكر في موضع آخر من هذا الكتاب بعقب أخبار الحارث بن ظالم، وهذا اليوم الثاني، فكان الطماح الحنفي أغار في بني حنيفة وبني قيس بن ثعلبة على بني الحريش بن كعب وبني عبادة بن عقيل وطوائف من بني عبس يقال لهم بنو حذيفة، فركبت بنو جعدة وبنو أبي بكر بن كلاب، ولم يشهد ذلك من بني كلاب غير بني أبي بكر، فأعركوا الطفاح من يومهم، فاستنقذوا ما أخذه وأصابوا ما كان معه، وقتلوا عدداً من أصحابه وهزموهم.

قال: وأما ما ذكره من إدراكهم بثأر كعب الفوارس، فإن كعب الفوارس وهو ابن معاوية بن عبادة بن البكاء مر على بني نهد وعليه سلاحه، فحمل عليه رجل من نهد يقال له خليف فقتله وأخذ فرسه وسلاحه، ثم إن خليفاً بعد ذلك بدهر مر على بني جعدة، فرآه مالك بن عبد الله بن جعدة وعليه جبة كعب وفيها أثر الطعنة، وكان محرماً فلم يقدر على قتله، فقال: يا هذا! ألا رقعت هذا الخرق الذي في جبتك! وجعل يترصده بعد ذلك، حتى بلغه بعد دهر أنه مر ببني جعدة، فركب مالك بن عبد الله بن جعدة فرساً له وقد أخبر أن خليفاً مر بجنباتهم،

فأدركه فقتله، ثم قال: بؤ بكعب. ثم غزا نواحيهم عبد الله بن ثور بن معاوية بن عبادة بن البكاء: جرماً ونهداً، وهم يومئذ في بني الحارث، فناداهم بنو البكاء: ليس معنا أحد من قومنا غيرنا وإن النهدي قتل صاحبنا محرماً فقاتلهم نهد وجرم جميعاً يومئذ، وكان عبد الله بن ثور يومئذ على فرس ورد، فأصابوا من نهد يومئذ غنيمة عظيمة، وقتلوا قتلى كثيرة. فقال عبد الله في ذلك:

فسائل بني جرم إذا ما لقيتهم ... ونهداً إذا حجت عليك بنو نهد

فإن يخبروك الحق عنا تجدهم ... يقولون أبلى صاحب الفرس الورد

قال: وأما يوم الفلج، فإن بكر بن وائل بعثت عيناً على بني كعب بن ربيعة حتى جاء الفلج وهو ماء فوجد النعم بعضه قريباً من بعض، ووجد الناس قد احتملوا، فليس في النعم إلا من لا طباخ به من راع أو ضعيف، فجاءهم عينهم بذلك، فركبت بكر بن وائل يريدونهم، حتى إذا كانوا منهم بحيث يسمعون أصواتهم، سمعوا الصهيل وأصوات الرجال، فقالوا لعينهم: ما هذا ويلك.! قال: والله ما أدري، وإن هذا لمما لم أعهد، فأرسلوا من يعلم علمهم، فرجع فأخبرهم أن الرجال قد رجعوا، ورأى جمعاً عظيماً وخيولاً كثيرة، فكروا راجعين من ليلتهم، وأصبحت بنو كعب فرأوا الأثر فاتبعوهم، فأصابوا من أخرياتهم رجالاً وخيلاً، فرجعوا بها.
قال: وأما قوله:

لو تستطيعون أن تلقوا جلودكم ... وتجعلوا جلد عبد الله سربالا

فإن السبب في ذلك أن هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير، لقي خداش بن زهير البكائي، فتنافرا على مائة من الإبل، وقال كل منهما لصاحبه: أنا أكرم وأعز منك، فحكما في ذلك رجلاً من بني في الجدين، فقضى بينهما أن أعزهما وأكرمهما أقربهما من عبد الله بن جعدة نسباً فقال خداش بن زهير: أنا أقرب إليه، أم عبد الله بن جعدة عمتي وهي أميمة بنت عمرو بن عامر وإنما أنت أدنى إليه مني منزلة بأب فلم يزالا يختصمان في القرابة لعبد الله دون المكاثرة بآبائهما إقراراً له بذلك، حتى فلج هبيرة القشيرقي وظفر.
قال أبو عمرو: وكان عبد الله بن جعدة سيداً مطاعاً، وكانت له إتاوة بعكاظ يؤتى بها، يأتيه بها هذا الحي من الأزد وغيرهم، فجاء سمير بن سلمة القشيري وعبد الله جالس على ثياب قد جمعت له من إتاوته، فأنزله عنها وجلس مكانه، فجاء رياح بن عمرو بن ربيعة بن عقيل وهو الخليع، سمي بذلك لتخلعه عن الملوك لا يعطيهم الطاعة فقال للقشيري: مالك ولشيخنا تنزله عن إتاوته ونحن هاهنا حوله! فقال القشيري: كذبت، ما هي له! ثم مد القشيري رجله فقال: هذه رجلي فاضربها إن كنت عزيزاً، قال: لا! لعمري لا أضرب رجلك، فقال له القشيري: فامدد لي رجلك حتى تعلم أضربها أم لا، فقال: ولا أمد لك رجلي، ولكن أفعل ما لا تنكره العشيرة وما هو أعز لي وأذك لك، ثم أهوى إلى رجل القشيري فسحبه على قفاه ونحاه، وأقعد عبد الله بن جعدة مكانه.
أول من صنع الدبابة قال: وعبد الله بن جعدة أول من صنع الدبابة، وكان السبب في ذلك أنهم انتجعوا ناحية البحرين، فهجموا على عبد لرجل يقال له كودن في قصر حصين، فدخن العبد ودعا النساء والصبيان، فظنوا أنه

يطعمهم ثريداً، حتى إذا امتلأ القصر منهم أغلقه عليهم، فصاح النساء والصبيان، وقام العبد ومن معه على شرف القصر، فجعل لا يدنو منه أحد إلا رماه، فلما رأى ذلك عبد الله بن جعدة صنع دبابة على جذوع النخل وألبسها جلود الإبل، ثم جاء بها والقوم يحملونها حتى أسندوها إلى القصر، ثم حفروا حتى خرقوه فقتل عبد ومن كان معه واستنقذ صبيانهم ونساءهم. فذلك قول النابغة:

ويوم دعا ولدانكم عبد كودن　　　فخالوا لدى الداعي ثريداً مفلفلا

وفي ابن زياد وهو عقبة خيركم　　　هبيرة ينزو في الحديد مكبلا

يعني هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير، وكان عبد الله بن مالك بن عدس بن ربيعة بن جعدة خرج ومعه مالك بن عبد الله بن جعدة، حتى مروا على بني زياد العبسيين والرجال غيب، فأخذوا ابنا في لأنس بن زياد وانطلقوا به يرجون الفداء، وانطلق عمه عمارة بن زياد حتى أتى بني كعب، فلقي هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير، فقال له: يا هبيرة إن الناس يقولون: إنك بخيل، قال: معاذ الله! قال: فهب لي جبتك هذه، فأهوى ليخلعها، فلما وقعت في رأسه وثب عليه فأسره، ثم بعث إلى بني قشير: علي وعلي إن قبلت من هبيرة أقل من فدية حاجب إلا أن يأتوني بابن أخي الذي في أيدي بني جعدة، فمشت بنو قشير إلى بني جعدة، فاستوهبوه منهم فوهبوه لهم، فافتدوا به هبيرة.

خبر وحوح أخي النابغة وأما خبر وحوح أخي النابغة الذي تقدم ذكره مع نسب أخيه النابغة، فإن أبا عمرو ذكر أن بني كعب أغارت على بني أسد فأصابوا سبياً وأسرى، فركبت بنو أسد في آثارهم حتى لحقوهم بالشريف، فعطفت بنو عدس بن ربيعة بن جعدة، فذادوا بني أسد حتى قتلوا منهم ثلاثين رجلاً وردوهم، و لم يظفروا منهم بشيء. وتعلقت امرأة من بني أسد بالحكم بن عمرو بن عبد الله بن جعدة وقد أردفها خلفه، فأخذت بضفيرته ومالت به فصرعته، فعطف عليه عبد الله بن مالك بن عدس وهو أبو صفوان، فضرب يدها بالسيف فقطعها وتخلصه. وطعن يومئذ وحوح بن قيس أخو النابغة الجعدي، فارتث في معركة القوم، فأخذه خالد بن نضلة الأسدي، وعطف عليه يومئذ أخوه النابغة، فقال له خالد بن نضلة: هلم إلي وأنت آمن، فقال له النابغة: لا حاجة لي في أمانك، أنا على فرسي ومعي سلاحي وأصحابي قريب، ولكني أوصيك بما في العوسجة يعني أخاه وحوح بن قيس، فعدل إليه خالد فأخذه وضمه إليه ومنع من قتله وداواه حتى فدي بعد ذلك. قال: ففي ذلك يقول مدرك العبسي:

أقمت على الحفاظ وغاب فرج　　　وفي فرج عن الحسب انفراج

كذلك فعلنا وحبال عمي　　　وردن بوحوح فلج الفلاج

ومما قاله النابغة في هذه المفاخرة وغني فيه قوله وقد جمع معه كل ما يغني فيه من القصيدة:

هل بالديار الغداة من صمم أم هل بربع الأنيس من قدم
أم ما تنادي من ماثل درج السـ ـيل عليه كالحوض فنهدم
غراء كالليلة المباركة القمـ ـراء تهدي أوائل الظلم
أكنى بغير اسمها وقد علم الـ ـله خفيات كل مكتتم
كأن فاهاً إذا تبسم من طيب مشم وطيب مبتسم
يسن بالضرو من براقش أو هيلان أو ضامر من العتم

عروضه من المنسرح. وفي الأول والثاني والثالث من الأبيات خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر، ذكره إسحاق و لم ينسبه إلى أحد، وذكر ابن المكي والهشامي أنه لمعبد، وأظنه من منحول يحيى، وذكر حبش أنه لإبراهيم. وفي الثالث وما بعده لابن سريج رمل بالبنصر، وذكر حبش أن فيها لإسحاق رملاً آخر، ولابن مسجح فيها ثقيل أول بالبنصر.

أول من سبق إلى الكناية أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: أول من سبق إلى الكناية عن اسم من يعني بغيره في الشعر الجعدي، فإنه قال:

أكني بغير اسمها وقد علم الـ ـله خفيات كل مكتتم

فسبق الناس جميعاً إليه واتبعوه فيه. وأحسن من أخذه وألطفه فيه أبو نواس حيث يقول:

أسأل القادمين من حكمان كيف خلفتم أبا عثمان
فيقولون لي جنان كما سـ ـرك في حالها فسل عن جنان
مالهم لا يبارك الله فيهم كيف لم يغن عندهم كتماني

رأي الفرزدق فيه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو بكر الباهلي قال حدثني الأصمعي قال: ذكر الفرزدق نابغة بني جعدة فقال: كان صاحب خلقان عنده مطرف بألف، وخمار بواف، يعني درهماً.

مع ابن الزبير المسجد الحرام

وحدثني خبره مع ابن الزبير جماعة، منهم حبيب بن نصر المهلبي وعمر بن عبد العزيز بن أحمد والحرمي بن أبي العلاء ووكيع ومحمد بن جرير الطبري حدثنيه من حفظه، قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أخي هارون بن

أبي بكر عن يحيى بن إبراهيم عن سليمان بن محمد بن يحيى بن عروة عن أبيه عن عمه عبد الله بن عروة قال: أقحمت السنة نابغة بني جعدة، فدخل على ابن الزبير المسجد الحرام، فأنشده:

حكيت لنا الصديق لما وليتنا | وعثمان والفاروق فارتاح معدم
أتاك أبو ليلى يجوب به الدجى | دجى الليل جواب الفلاة عثمثم
لتجبر منه جانباً زعزعت به | صروف الليالي والزمان المصمم

فقال له ابن الزبير: هون عليك أبا ليلى، فإن الشعر أهون وسائلك عندنا، أما صفوة مالنا فلآل الزبير، وأما عفوته فإن بني أسد بن عبد العزى تشغلها عنك وتيماً معها، ولكن لك في مال الله حقان: حق برؤيتك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحق بشركتك أهل الإسلام في فيئهم، ثم أخذ بيده فدخل به دار النعم، فأعطاه قلائص سبعاً وجملاً رجيلاً، وأوقر له الإبل براً وتمراً وثياباً، فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحب صرفاً، فقال ابن الزبير: ويح أبي ليلى! لقد بلغ به الجهد، فقال النابغة: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما وليت قريش فعدلت واسترحمت فرحمت وحدثت فصدقت ووعدت خيراً فأنجزت فأنا والنبيون فراط القاصفين وقال الحرمي: فراط لها ضمن. قال الزبيري: كتب يحيى بن معين هذا الحديث عن أخي.

مع أبي موسى الأشعري وداعية القومية

أخبرني أبو الحسن الأسدي أحمد بن محمد بن عبد الله بن صالح وهاشم بن محمد الخزاعي أبو دلف قالا حدثنا الرياشي قال قال أبو سليمان عن الهيثم بن عدي قال: رعت بنو عامر بالبصرة في الزرع، فبعث أبو موسى الأشعري في طلبهم، فتصارخوا: يا آل عامر، يا آل عامر! فخرج النابغة الجعدي ومعه عصبة له، فأتي به إلى أبي موسى الأشعري، فقال له: ما أخرجك. قال: سمعت ، قال: فضربه أسواطاً فقال النابغة:

رأيت البكر بكر بني ثمود | وأنت أراك بكر الأشعرينا
فإن يكن ابن عفان أميناً | فلم يبعث بك البر الأمينا
فيا قبر النبي وصاحبيه | ألا يا غوثنا لو تسمعونا
ألا صلى إلهكم عليكم | ولا صلى على الأمراء فينا

خروجه مع الامام علي في صفين

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري ويحيى بن علي بن يحيى قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا بعض أصحابنا عن ابن دأب قال: لما خرج علي رضي الله تعالى عنه إلى صفين خرج معه نابغة بني جعدة، فساق به يوماً فقال:

قد علم المصران والعراق | أن علياً فحلها العتاق

أبيض جحجاح له رواق وأمه غالى بها الصداق

أكرم من شد به نطاق إن الألى جاروك لا أفاقوا

لهم سياق ولكم سياق قد علمت ذلكم الرفاق

سقتم إلى نهج الهدى وساقوا إلى التي ليس لها عراق

في ملة عادتها النفاق

فلما قدم معاوية بن أبي سفيان الكوفة، قام النابغة بين يديه فقال:

ألم تأت أهل المشرقين رسالتي وأي نصيح لا يبيت على عتب

ملكتم فكان الشر آخر عهدكم لئن لم تدارككم حلوم بني حرب

وقد كان معاوية كتب إلى مروان فأخذ أهل النابغة وماله، فدخل النابغة على معاوية، وعنده عبد الله بن عامر ومروان، فأنشده:

من راكب يأتي ابن هند بحاجتي على النأي والأنباء تنمى وتجلب

ويخبر عني ما أقول ابن عامر ونعم الفتى يأوي إليه المعصب

فإن تأخذوا أهلي ومالي بظنه فإني لحراب الرجال محرب

صبور على ما يكره المرء كله سوى الظلم إني إن ظلمت سأغضب

فالتفت معاوية إلى مروان فقال: ما ترى. قال: أرى ألا ترد عليه شيئاً، فقال: ما أهون والله عليك أن ينجحر هذا في غار ثم يقطع عرضي علي ثم تأخذه العرب فترويه، أما والله إن كنت لمن يرويه! أردد عليه كل شيء أخذته منه. وهذا الشعر يقوله النابغة الجعدي لعقال بن خويلد العقيلي يحذره غب الظلم لما أجار بني وائل بن معن، وكانوا قتلوا رجلاً من جعدة، فحذرهم مثل حرب البسوس إن أقاموا على ذلك فيهم.

قال أبو عمرو الشيباني: كان السبب في قول الجعدي هذه القصيدة أن المنتشر الباهلي خرج فأغار على اليمن ثم رجع مظفراً. فوجد بني جعدة قد قتلوا ابنا له يقال له سيدان، وكانت باهلة في بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ثم في بني جعدة، فلما أن علم ذلك المنتشر وأتاه الخبر أغار على بني جعدة ثم على بني سبيع في وجهه ذلك، فقتل منهم ثلاثة نفر، فلما فعل ذلك تصدعت باهلة، فلحقت فرقة منهم يقال لهم بنو وائل بعقال بن خويلد العقيلي، ولحقت فرقة أخرى يقال لهم بنو قتيبة وعليهم حجل الباهلي بيزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي، فأجارهم يزيد، وأجار عقال وائلاً. فلما رأت ذلك بنو جعدة أرادوا قتالهم، فقال لهم عقال: لا تقاتلوهم فقد أجرتهم، فأما أحد الثلاثة القتلى منكم فهو بالمقتول، وأما الآخران فعلي عقلهما، فقالوا: لا نقبل إلا القتال ولا

نريد من وائل غيراً يعني الدية، فقال: لا تفعلوا فقد أجرت القوم، فلم يزل بهم حتى قبلوا الدية. وانتقلت وائل إلى قومهم. فقال النابغة في ذلك قصيدته التي ذكر فيها عقالاً:

فابلغ عقالاً أن غاية داحس بكفيك فاستأخر لها أو تقدم
تجير علينا وائلا في دمائنا كأنك عما ناب أشياعنا عم
كليب لعمري كان أكثر ناصراً وأيسر جرماً منك ضرج بالدم
رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة كحاشية البرد اليماني المسهم
وما يشعر الرمح الأصم كعوبه بثروة رهط الأبلخ المتظلم
وقال لجساس أغثني بشربة تفضل بها طولاً علي وأنعم
فقال تجاوزت الأحص وماءه وبطن شبيث وهو ذو مترسم

سبب مقتل كليب بن ربيعة وكان السبب في قتل كليب بن ربيعة فيما ذكره أبو عبيدة عن مقاتل الأحول بن سنان بن مرثد بن عبد بن عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد أخي بني قيس بن ثعلبة، ونسخت بعضه من رواية الكلبي، وأخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب عن وأبن الأعرابي عن المفضل، فجمعت من روايتهم ما احتيج إلى ذكره مختصر اللفظ كامل المعنى أن كليباً كان قد عز وساد في ربيعة فبغى بغياً شديداً، وكان هو الذي يترلهم منازلهم ويرحلهم، ولا يترلون ولا يرحلون إلا بأمره. فبلغ من عزه وبغيه أنه اتخذ جرو كلب، فكان إذا نزل مترلاً به كلأ قذف ذلك الجرو فيه فيعوي، فلا يرعى أحد ذلك الكلأ إلا بإذنه، وكان يفعل هذا بحياض الماء، فلا يردها أحد إلا بإذنه أو من آذن بحرب، فضرب به المثل في العز، فقيل: أعز من كليب وائل. وكان يحمي الصيد، ويقول: صيد ناحية كذا وكذا في جواري، فلا يصيد أحد منه شيئاً، وكان لا يمر بين يديه أحد إذا جلس، ولا يحتبي أحد في مجلسه غيره، فقتله جساس بن مرة.

وقال أبو عبيدة: قال أبو برزة القيسي وهو من ولد عمرو بن مرثد: وكان كليب بن ربيعة ليس على الأرض بكري ولا تغلبي أجار رجلاً ولا بعيراً إلا بإذنه، ولا يحمي حمى إلا بأمره، وكان إذا حمى حمى لا يقرب، وكان لمرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة عشرة بنين جساس أصغرهم، وكانت أختهم عند كليب. وقال مقاتل وفراس: وأم جساس هيلة بنت منقذ بن سليمان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة، ثم خلف عليها سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بعد مرة بن ذهل، فولدت له مالكاً وعوفاً وثعلبة. قال فراس بن خندق البسوسي: فهي أمنا. وخالة جساس البسوس وقال أبو برزة: البسوسية وهي التي يقال لها: أشأم من البسوس. فجاءت فترلت على ابن أختها جساس فكانت جارة لبني مرة، ومعها ابن لها، ولهم ناقة خوارة، من نعم بني سعد ومعها فصيل.

أخبرني علي بن سليمان قال قال أبو برزة: وقد كان كليب قبل ذلك قال لصاحبته أخت جساس: هل تعلمين

على الأرض عربياً أمنع مني ذمة؟ فسكتت ثم أعاد عليها الثانية فسكتت ثم أعاد عليها الثالثة، فقالت: نعم أخي جساس وندمانه ابن عمه عمرو المزدلف بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان. وزعم مقاتل: أن امرأته كانت أخت جساس، فبينا هي تغسل رأس كليب وتسرحه ذات يوم إذ قال: من أعز وائل؟ فصمتت، فأعاد عليها، فلما أكثر عليها قالت: أخواي جساس وهمام! فنزع رأسه من يدها وأخذ القوس فرمى فصيل ناقة البسوس خالة جساس وجارة بني مرة فقتله، فأغمضوا على ما فيه وسكتوا على ذلك. ثم لقي كليب ابن البسوس فقال: ما فعل فصيل ناقتكم؟ قال: قتلته وأخليت لنا لبن أمه، فأغمضوا على هذه أيضاً. ثم إن كليباً أعاد على امرأته فقال: من أعز وائل؟ فقالت: أخواي، فأضمرها وأسرها في نفسه وسكت، حتى مرت به إبل جساس، فرأى الناقة فأنكرها، فقال: ما هذه الناقة. قالوا: لخالة جساس، قال: أو قد بلغ من أمر ابن السعدية أن يجير علي بغير إذني! ارم ضرعها يا غلام. قال فراس: فأخذ القوس فرمى ضرع الناقة فاختلط دمها بلبنها، وراحت الرعاة على جساس فاخبروه بالأمر، فقال: احلبوا لها مكيالي لبن بمحلبها ولا تذكروا لها من هذا شيئاً، ثم أغمضوا عليها أيضاً. قال مقاتل: حتى أصابتهم سماء، فغدا في غبها يتمطر. وركب جساس بن مرة وابن عمه عمرو بن الحارث بن ذهل وقال أبو برزة: بل عمرو ابن أبي ربيعة وطعن عمرو كليباً فحطم صلبه، وقال أبو برزة: فسكت جساس، حتى ظعن ابنا وائل، فمرت بكر بن وائل على نهي يقال له شبيث فنفاهم كليب عنه وقال: لا يذوقون منه قطرة، ثم مروا على نهي آخر يقال له الأحص فنفاهم عنه وقال: لا يذوقون منه قطرة، ثم مروا على بطن الجريب، فمنعهم إياه، فمضوا حتى نزلوا الذنائب، واتبعهم كليب وحيه حتى نزلوا عليه، ثم مر عليه جساس وهو واقف على غدير الذنائب فقال: طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً! فقال كليب: ما منعناهم من ماء إلا ونحن له شاغلون، فمضى جساس ومعه ابن عمه المزدلف. وقال بعضهم: بل جساس ناداه فقال: هذا كفعلك بناقة خالتي، فقال له: أو قد ذكرتها! أما إني لو وجدتها في غير إبل مرة لاستحللت تلك الإبل بها. فعطف عليه جساس فرسه فطعنه برمح فأنفذ حضنيه، فلما تداءمه الموت قال: يا جساس اسقني من الماء، قال: ما عقلت استسقاءك الماء منذ ولدتك أمك إلا ساعتك هذه!. قال أبو برزة: فعطف عليه المزدلف عمرو بن أبي ربيعة فاحتز رأسه. وأما مقاتل فزعم أن عمرو بن الحارث بن ذهل الذي طعنه فقصم صلبه. قال: وفيه يقول مهلهل:

قتيل ما قتيل المرء عمرو   وجساس بن مرة ذو ضرير

وقال العباس بن مرداس السلمي يحذر كليب بن عهمة السلمي ثم الظفري لما مات حرب بن أمية وخنقت الجن مرداساً وكانوا شركاء في القرية فجحدهم كليب حظهم منها وسنذكر خبر ذلك في آخر هذه الأخبار إن شاء الله تعالى فحذره غب الظلم فقال:

أكليب مالك كل يوم ظالماً   والظلم أنكد وجهه ملعون

فافعل بقومك ما أراد بوائل   يوم الغدير سميك المطعون

وقال رجل من بني بكر بن وائل في الإسلام وهي تنحل للأعشى:

ونحن قهرنا تغلب ابنة وائل بقتل كليب إذ طغى وتخيلا

أبأناه بالناب التي شق ضرعها فأصبح موطوء الحمى متذللا

قال: ومقتل كليب بالذنائب عن يسار فلجة مصعداً إلى مكة، وقبره بالذنائب. وفيه يقول المهلهل:

ولو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب أي زير

قال أبو برزة: فلما قتله أمال يده بالفرس حتى انتهى إلى أهله. قال: وتقول أخته حين رأته لأبيها: إن ذا لجساس أتى خارجاً ركبتاه، قال: والله ما خرجت ركبتاه إلا لأمر عظيم!. قال: فلما جاء قال: ما وراءك يا بني؟ قال: ورائي أني قد طعنت طعنة لتشغلن بها شيوخ وائل زمناً، قال: أقتلت كليباً. قال نعم، قال: وددت أنك وإخوتك كنتم متم قبل هذا، ما بي إلا أن تتشاءم بي أبناء وائل. وزعم مقاتل أن جساساً قال لأخيه نضلة بن مرة وكان يقال له عضد الحمار:

وإني قد جنيت عليك حرباً تغص الشيخ بالماء القراح

مذكرة متى ما يصح عنها فتى نشبت بآخر غير صاح

تنكل عن ذباب الغي قوماً وتدعو آخرين إلى الصلاح

فأجابه نضلة:

فإن تك قد جنيت علي حرباً فلا وان ولا رث السلاح

فال أبو برزة: وكان همام بن مرة آخى مهلهلاً وعاقده ألا يكتمه شيئاً، فجاءت إليه أمة له فأسرت إليه قتل جساس كليباً، فقال له مهلهل: ما قالت. فلم يخبره، فذكره العهد بينهما، فقال: أخبرت أن جساساً قتل كليباً، فقال: است أخيك أضيق من ذلك. وزعم مقاتل: أن هماماً كان آخى مهلهلاً وكان عاقده ألا يكتمه شيئاً، فكانا جالسين، فمر جساس يركض به فرسه مخرجاً فخذيه، فقال همام: إن له لأمراً، والله ما رأيته كاشفاً فخذيه قط في ركض، فلم يلبث إلا قليلاً حتى جاءته الخادم فسارته أن جساساً قتل كليباً، فقال له مهلهل: ما أخبرتك. قال: أخبرتني أن أخي قتل أخاك، قال: هو أضيق استاً من ذلك. وتحمل القوم، وغدا مهلهل بالخيل.

وقال المفضل في خبره: فلما قتل كليب قالت بنو تغلب بعضهم لبعض: لا تعجلوا على إخوتكم حتى تعذروا بينكم وبينهم، فانطلق رهط من أشرافهم وذوي أسنانهم حتى أتوا مرة بن ذهل، فعظموا ما بينهم وبينه، وقالوا له: اختر منا خصالاً: إما أن تدفع إلينا جساساً فنقتله بصاحبنا فلم يظلم من قتل قاتله، وإما أن تدفع إلينا هماماً، وإما أن تقيدنا من نفسك، فسكت، وقد حضرته وجوه بني بكر بن وائل فقالوا: تكلم غير مخذول، فقال: أما جساس فغلام حديث السن ركب رأسه فهرب حين خاف فلا علم لي به، وأما همام فأبو عشرة وأخو عشرة، ولو دفعته إليكم لصيح بنوه في وجهي وقالوا: دفعت أبانا للقتل بجريرة غيره، وأما أنا فلا أتعجل الموت، وهل

تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل! ولكن هل لكم في غير ذلك. هؤلاء بني، فدونكم أحدهم فافتلوه به، وإن شئتم فلكم ألف ناقة تضمنها لكم بكر بن وائل، فغضبوا وقالوا: إنا لم نأتك لترذل لنا بنيك ولا لتسومنا اللبن، فتفرقوا، ووقعت الحرب. وتكلم في ذلك عند الحارث بن عباد، فقال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل، وهو أول من قالها وأرسلها مثلاً.

قالوا جميعاً: كانت حربهم أربعين سنة، فيهن خمس وقعات مزاحفات، وكانت تكون بينهم مغاورات، وكان الرجل يلقى الرجل والرجلان الرجلين ونحو هذا. وكان أول تلك الأيام يوم عنيزة، وهي عند فلجة، فتكافؤا فيه لا لبكر ولا لتغلب، وتصديق ذلك قول مهلهل:

كأنا غدوة وبنى أبينا ... بجنب عنيزة رحيا مدير

ولولا الريح أسمع من بحجر ... صليل البيض تقرع بالذكور

فتفرقوا، ثم غبروا زماناً. ثم التقوا يوم واردات وكان لتغلب على بكر، وقتلوا بكرا أشد القتل، وقتلوا بجيراة وذلك قول مهلهل:

فإني قد تركت بواردات ... بجيراً في دم مثل العبير

هتكت به بيوت بني عباد ... وبعض الغشم أشفى للصدور

قال مقاتل: إنه إنما التقط توا. وسيجيء حديثه أسفل من هذا التو: الفرد، يقال: وجدته تواً، أي وحده. قال أبو برزة: ثم انصرفوا بعد يوم واردات غير بني ثعلبة بن عكابة ورأسوا على أنفسهم الحارث بن عباد، فاتبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة، حتى التقوا بالحنو، فظهرت بنو ثعلبة على تغلب.

قال مقاتل: ثم التقوا يوم بطن السرو، وهو يوم القصيبات، وربما قيل يوم القصيبة، وكان لبني تغلب على بكر، حتى ظنت بكر أن سيقتلوها قال مقاتل: وقتلوا يومئذ همام بن مرة. ثم التقوا يوم قضة وهو يوم التحالق ويوم الثنية. ويوم قضة ويوم الفصيل لبكر على تغلب. قال أبو برزة: اتبعت تغلب بكراً فقطعوا رملات خزازي والرغام ثم مالوا لبطن الحمارة، فوردت بكر قضة فسقت وأسقت ثم صدرت وحلئوا تغلب، ونهضوا في نجعة يقال لها مويبة لا يجوز فيها إلا بعير بعير، فلحق رجل من الأوس بن تغلب بغليم من بني تيم اللات بن ثعلبة يطرد ذودا له، قطعن في بطنه بالرمح ثم رفعه فقال: تحدبي أم البو على بوك. فراه عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، فقال: أنفذوا جمل أسماء اينته فإنه أمضى جمالكم وأجودها منفذاً، فإذا نفذ تبعته النعم، فوثب الجمل في المويبة، حتى إذا نهض على يديه وارتفعت رجلاه ضرب عرقوبيه وقطع بطان الظعينة فوقع فسد الثنية ثم قال عوف: أنا البرك أبرك حيث أدرك، فسمي البرك ووقع الناس إلى الأرض لا يرون مجازاً، وتحالقوا لتعرفهم النساء، فقال جحدر بن ضبيعة بن قيس أبو المسامعة واسمه ربيعة، قال: وإنما سمي جحدراً لقصره: لا تحلقوا رأسي فإني

رجل قصير، لا تشينوني، ولكني أشتريه منكم بأول فارس يطلع عليكم من القوم، فطلع ابن عناق فشد عليه فقتله. فقال رجل من بكر بن وائل يمدح مسمع. ابن مالك بذلك:

يا ابن الذي لما حلقنا اللمما ابتاع منا رأسه تكرما

بفارس أول من تقدما

وقال البكري:

ومنا الذي فادى من القوم رأسه بمستلئم من جمعهم غير أعزلا

فأدى إلينا بزة وسلاحه ومنفصلاً من عنقه قد تزيلا

قال: وكان جحدر يرتجز يومئذ ويقول:

ردوا علي الخيل إن ألمت إن لم أقاتلهم فجزوا لمتي

وزعم عامر بن عبد الملك المسمعي أنه لم يقلها، وأن صخر بن عمرو السلمي قائلها، فقال مسمع: كردين كذب عامر. وقال البكري:

ومنا الذي سد الثنية غدوة على حلفة لم يبق فيها تحللا

بجهد يمين الله لا يطلعونها ولما نقاتل جمعهم حين أسهلا

وأما مقاتل فزعم أنهم قالوا: اتخذوا علماً يعرف به بعضكم بعضاً، فتحالقوا. وفيه يقول طرفة:

سائلوا عنا الذي يعرفنا بقوانا يوم تحلاق اللمم

يوم تبدي البيض عن أسؤقها وتلف الخيل أعراج النعم

غنى في هذين البيتين ابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي، وذكر أحمد بن المكي أنه لمعبد.

وزعم مقاتل أن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، لم يزل قائد بكر حتى قتل يوم القصيبيات، وهو قبل يوم قضة، أو يوم قضة، على أثره. وكان من حديث مقتل همام أنه وجد غلاماً مطروحاً، فالتقطه ورباه وسماه ناشرة فكان عنده لقيطاً، فلما شب تبين أنه من بني تغلب، فلما التقوا يوم القصيبيات جعل همام يقاتل، فإذا عطش رجع إلى قربة فشرب منها ثم وضع سلاحه، فوجد ناشرة من همام غفلة، فشد عليه بالعنزة فأقصده فقتله، ولحق بقومه تغلب. فقال باكي همام:

لقد عيل الأقوام طعنة ناشره أناشر لا زالت يمينك اشره

ثم قتل ناشرة رجل من بني يشكر. فلما كان يوم قضة وتجمعت إليهم بكر، جاء إليهم الفند الزماني أحد بني زمان بن مالك بن صعب بن علي بن بكر بن وائل من اليمامة، قال عامر بن عبد الملك المسمعي: فرأسوه عليهم، فقلت أنا لفراس بن خندق: إن عامراً يزعم أن الفند كان رئيس بكر يوم قضة، فقال: رحم الله أبا عبد

الله! كان أقل الناس حظاً في علم قومه. وقال فراس: كان رئيس بكر بعد همام الحارث بن عباد. قال مقاتل: وكان الحارث بن عباد قد اعتزل يوم قتل كليب، وقال: لا أنا من هذا ولا ناقتي ولا جملي ولا عدلي، وربما قال: لست من هذا ولا جملي ولا رحلي، وخذل بكراً عن تغلب، واستعظم قتل كليب لسؤدده في ناقة. فقال سعد بن مالك يحضض الحارث بن عباد:

يا بؤس للحرب التي وضعت أراهط فاستراحوا

والحرب لا يبقى لصا حبها التخيل والمراح

إلا الفتى الصبار في الن جدات والفرس الوقاح

فلما أخذ بجير بن الحارث بن عباد تواً بواردات وإنما سل و لم يؤخذ في مزاحفة قال له مهلهل، من خالك يا غلام؟!. قال امرؤ القيس بن أبان التغلبي لمهلهل: إني أرى غلاماً ليقتلن به رجل لا يسأل عن خاله، وربما قال عن حاله قال: فكان والله امرؤ القيس هو المقتول به، قتله الحارث بن عباد يوم قضة بيده فقتله مهلهل. قال: فلما قتل مهلهل بجيراً قال: بؤ بشسع نعل كليب، فقال له الغلام: إن رضيت بذلك بنو ضبيعة بن قيس رضيت. فلما بلغ الحارث قتل بجير ابن أخيه وقال أبو برزة: بل بجير ابن الحارث بن عباد نفسه قال: نعم الغلام غلام أصلح بين ابني وائل وباء بكليب. فلما سمعوا قول الحارث: قالوا له: إن مهلهلاً لما قتله قال له: بؤ بشسع نعل كليب وقال مهلهل:

كل قتيل في كليب حلام حتى ينال القتل آل همام .

وقال أيضاً:

كل قتيل في كليب غره حتى ينال القتل آل مره

فغضب الحارث عند ذلك فنادى بالرحيل. قال مقاتل: وقال الحارث بن عباد:

قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال

لا بجير أغنى قتيلاً ولا ره ط كليب تزاجروا عن ضلال

لم أكن من جناتها علم الل ه وإني بحرها اليوم صال

قال: و لم يصحح عامر ولا مسمع غير هذه الثلاثة الأبيات. وزعم أبو برزة قال: كان أول فارس لقي مهلهلاً يوم واردات بجير بن الحارث بن عباد، فقال: من خالك يا غلام، وبوأ نحوه الرمح، فقال له امرؤ القيس بن أبان التغلبي وكان على مقدمتهم في حروبهم: مهلاً يا مهلهل! فإن عم هذا وأهل بيته قد اعتزلوا حربنا و لم يدخلوا في شيء مما نكره، ووالله لئن قتلته ليقتلن به رجل لا يسأل عن نسبه، فلم يلتفت مهلهل إلى قوله وشد عليه فقتله، وقال: بؤ بشسع نعل كليب، فقال الغلام: إن رضيت بهذا بنو ثعلبة فقد رضيته. قال: ثم غبروا زماناً، ثم لقي

همام بن مرة فقتله أيضاً. فأتى الحارث بن عباد فقيل له: قتل مهلهل هماماً، فغضب وقال: ردوا الجمال على عكرها الأمر مخلوجة ليس بسلكي، وجد في قتالهم. قال مقاتل: فكان حكم بكر بن وائل يوم قضة الحارث بن عباد، وكان الرئيس الفند، وكان فارسهم جحدر، وكان شاعرهم سعد بن مالك بن ضبيعة، وكان الذي سد الثنية عوف بن مالك بن ضبيعة، وكان عوف أنبه من أخيه سعد. وقال فراس بن خندق: بل كان رئيسهم يوم قضة الحارث بن عباد. قال مقاتل: فأسر الحارث بن عباد عدياً وهو مهلهل بعد انهزام الناس وهو لا يعرفه، فقال له: دلني على المهلهل. قال: ولي دمي. قال: ولك دمك، قال: ولي ذمتك وذمة أبيك. قال: نعم، ذلك لك، قال: فأنا مهلهل. قال: دلني على كفء لبجير، قال: لا أعلمه إلا امرأ القيس بن أبان، هذاك علمه، فجز ناصيته، وقصد قصد امرئ القيس فشد عليه فقتله. فقال الحارث في ذلك:

لهف نفسي على عدي ولم أع رف عدياً إذ أمكنتني اليدان
طل من طل في الحروب ولم أو تر بجيراً أبأته ابن أبان
فارس يضرب الكتيبة بالسي ف وتسمو أمامه العينان

وزعم حجر أن مهلهلاً قال: لا والله أو يعهد لي غيرك، قال الحارث: اختر من شئت، قال: أختار الشيخ القاعد عوف بن محلم، قال الحارث: يا عوف أجره، قال: لا حتى يقعد خلفي، فأمره فقعد خلفه، فقال: أنا مهلهل. وأما مقاتل فقال: إنما أخذه في دور الرحى وحومة القتال ولم يقعد أحد بعد، فكيف يقول الشيخ القاعد!. قال مقاتل: وشد عليهم جحدر، فاعتوره عمرو وعامر، فطعن عمراً بعالية الرمح وطعن عامراً بسافلته فقتلهما عداء وجاء ببزهما. قال عامر بن عبد الملك المسمعي: فحدثني رجل عالم قال: سألني الوليد بن يزي: من قتل عمراً وأخاه عامراً؟ قلت: جحدر، قال: صدقت، فهل تدري كيف قتلهما. قلت: نعم، قتل عمراً بسنان الرمح، وقتل عامراً بزجه. قال: وقتل جحدر أيضاً أبا مكنف. قال مقاتل: فلما رجع مهلهل بعد الوقعة والأسر إلى أهله، جعل النساء والولدان يستخبرونه: تسأل المرأة عن زوجها وابنها وأخيها، والغلام عن أبيه وأخيه، فقال:

ليس مثلي يخبر الناس عن آ بائهم قتلوا وينسى القتالا
لم أرم عرصة الكتيبة حتى ان تعل الورد من دماء نعالا

عرفته رماح بكر فما يأ خذن إلا لبانه والقذالا
غلبونا، ولا محالة يوماً يقلب الدهر ذاك حالاً فحالا

ثم خرج حتى لحق بأرض اليمن، فكان في جنب فخطب إليه أحدهم ابنته فأبى أن يفعل، فأكرهوه فأنكحها إياه، فقال في ذلك مهلهل:

أنكحها فقدها الأراقم في جنب وكان الحباء من أدم

لو بأبانين جاء يخطبها ضرج ما أنف خاطب بدم

أصبحت لا منفساً أصبت ولا أبت كريماً حراً من الندم

هان على تغلب بما لقيت أخت بني المالكين من جشم

ليسوا بأكفائنا الكرام ولا يغنون من عيلة ولا عدم

ثم إن مهلهلا انحدر، فأخذه عمرو بن مالك بن ضبيعة، فطلب إليه أخواله بنو يشكر وأم مهلهل المرادة بنت ثعلبة بن جشم بن غبر اليشكرية، وأختها منة بنت ثعلبة أم حيي بن وائل، وكان المحلل بن ثعلبة خالهما فطلب إلى عمرو أن يدفعه إليه فيكون عنده ففعل، فسقاه خمراً، فلما طابت نفسه تغنى:

طفلة ما ابنة المحلل بيضا ء لعوب لذيذة في العناق

حتى فرغ من القصيدة، فأدى ذلك من سمعه من المهلهل إلى عمرو، فحوله إليه وأقسم ألا يذوق عنده خمراً ولا ماء ولا لبناً حتى يرد ربيب الهضاب جمل له كان أقل وروده في الصيف الخمس، فقالوا له: يا خير الفتيان، أرسل إلى ربيب فلتؤت به قبل وروده، ففعل فأوجره ذنوباً من ماء، فلما تحلل من يمينه سقاه من ماء الحاضرة، وهو أوبأ ماء رأيته، فمات. فتلك الهضاب التي كان يرعاها ربيب يقال لها هضاب ربيب، طالما رعيتهن ورأيتهن. قال مقاتل: ولم يقاتل معنا من بني يشكر ولا من بني لجيم ولا ذهل بن ثعلبة غير ناس من بني يشكر وذهل قاتلت بأخرة، ثم جاء ناس من بني لجيم يوم قضة مع الفند. وفي ذلك يقول سعد بن مالك:

إن لجيماً قد أبت كلها أن يرفدونا رجلاً واحداً

ويشكر أضحت على نأيها لم تسمع الآن لها حامدا

ولا بنو ذهل وقد أصبحوا بها حلولاً خلفاً ماجدا

القائدي الخيل لأرض العدا والضاربين الكوكب الوافدا

وقال البكري:

وصدت لجم للبراءة إذ رأت أهاضيب موت تمطر الموت معضلا

ويشكر قد مالت قديماً وأرتعت ومنت بقرباها إليهم لتوصلا

وقالوا جميعاً: مات جساس حتف أنفه ولم يمتل.

قال عامر بن عبد الملك: لم يكن بينهم من قتلى تعد ولا تذكر إلا ثمانية نفر من تغلب وأربعة من بكر عددهم مهلهل في شعريه، يعني قصيدتيه:

أليلتنا بذي حسم أنيري إذا أنت أنقضيت فلا تحوري

فإن يك بالذنائب طال ليلي فقد أبكي من الليل القصير

فلو نبش المقابر عن كليب فيعلم بالذنائب أي زير
بيوم الشعثمين أقر عيناً وكيف لقاء من تحت القبور
وإني قد تركت بواردات بجيراً في دم مثل العبير
هتكت به بيوت بني عباد وبعض الغشم أشفى للصدور
على أن ليس يوفي من كليب إذا برزت مخبأة الخدور
وهمام بن مرة قد تركنا عليه القشعمان من النسور
ينوء بصدره والرمح فيه ويخلجه خدب كالبعير
فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور
فدى لبني شقيقة يوم جاءوا كأسد الغاب لجت في الزئير
كأن رماحهم أشطان بئر بعيد بين جاليها جرور
غداة كأننا وبنى أبينا بجنب عنيزة رحيا مدير
تظل الخيل عاكفة عليهم كأن الخيل ترحض في غدير

فهؤلاء أربعة من بني بكر بن وائل. وقال أيضاً:

طفلة ما ابنة المحلل بيضا ء لعوب لذيذة في العناق
فاذهبي ما إليك غير بعيد لا يؤاتي العناق من في الوثاق
ضربت نحرها إلي وقالت يا عدياً لقد وقتك الأواقي
ما أرجي في العيش بعد نداما ي أراهم سقوا بكأس حلاق

بعد عمرو وعامر وحيي وربيع الصدوف وابني عناق
وامرئ القيس ميت يوم أودى ثم خلى علي ذات العراقي
كليب سم الفوارس إذ حم رماه الكماة بالإيفاق
إن تحت الأحجار حداً ولينا وخصيماً ألد ذا معلاق
حية في الوجار أربد لا تن فع منه السليم نفثة راق

فهؤلاء ثمانية من تغلب. قال عامر: والدليل على أن القتلى كانوا قليلاً أن آباء القبائل هم الذين شهدوا تلك الحروب، فعدوهم وعدوا بنيهم وبني بنيهم، فإن كانوا خمسمائة فقد صدقوا، فكم عسى أن يبلغ عدد القتلى

والقبائل. قال مسمع: إن أخي مجنون، وكيف يحتج بشعر المهلهل، وقد قتل جحدر أبا مكنف يوم قضة فلم يذكره في شعره، وقتل اليشكري ناشرة فلم يذكره في الشعر، وقتل حبيب يوم واردات، وقتل سعد بن مالك يوم قضة ابن القبيحة فلم يذكر، فهؤلاء أربعة. وقال البكري:

تركنا حبيباً يوم أرجف جمعه ... صريعاً بأعلى واردات مجدلا

وقال مهلهل أيضاً:

لست أرجو لذة العيش ما ... أزمت أجلاد قد بساقي

جللوني جلد حوب فقد ... جعلوا نفسي عند التراقي

وقال آخر يفخر بيوم واردات:

ومهراق الدماء بواردات ... تبيد المخزيات وما تبيد

فقلت لعامر: ما بال مسمع وما احتج به من هؤلاء الأربعة؟ فقال عامر: وما أربعة إن كنت أغفلتهم. فيما يقولون! إنهم قتلوا يوم كذا ثلاثة آلاف، ويوم كذا أربعة آلاف، والله ما أظن جميع القوم كانوا يومئذ ألفاً! فهاتوا فعدوا أسماء القبائل وأبناءهم وانزلوا معهم إلى أبناء أبنائهم، فكم عسى أن يكونوا!

ازجر العين أن تبكي الطلولا ... إن في الصدر من كليب غليلا

إن في الصدر حاجة لن تقضى ... ما دعا في الغصون داع هديلا

كيف أنساك يا كليب ولما ... أقض حزناً ينو بني وغليلا

أيها القلب أنجز اليوم نحباً ... من بني الحصن إذ غدوا وذحولا

كيف يبكي الطلول من هو رهن ... بطعان الأنام جيلاً فجيلا

أنبضوا معجس القسي وأبرق ... نا كما توعد الفحول الفحولا

وصبرنا تحت البوارق حتى ... ركدت فيهم السيوف طويلا

لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا ... وأخو الحرب من أطاق النزولا

الشعر لمهلهل- قال أبو عبيدة: اسمه عدي، وقال يعقوب بن السكيت: اسمه امرؤ القيس وهو ابن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب، وإنما لقب مهلهلاً لطيب شعره ورقته، وكان أحد من غني من العرب في شعره. وقيل: إنه أول من قصد القصائد وقال الغزل، فقيل: قد هلهل الشعر، أي أرقه. وهو أول من كذب في شعره. وهو خال امرئ القيس بن حجر الكندي. وكان فيه خنث ولين، وكان كثير المحادثة للنساء، فكان كليب يسميه زير النساء، فذلك قوله:

ولو نبش المقابر عن كليب ... فيعلم بالذنائب أي زير

الغناء لابن محرز في الأول والثاني من الأبيات ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى. وللغريض فيهما لحن في هذه الطريقة والإصبع والمجرى، والذي فيه سجحة منها لابن محرز. ولمعبد لحنان أحدهما في الأول والسادس ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر، والآخر خفيف ثقيل أول بالبنصر. ولإبراهيم في الأول والرابع ثقيل، أول بالخنصر في مجرى الوسطى. ولإسحاق في الأول والثالث ماخوري. ولعلويه في الأول والثاني خفيف ثقيل أول بالبنصر، ولمالك فيهما خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى. ولابن سريج في السادس والسابع خفيف رمل بالسبابة في مجرى البنصر. ولابن سريج أيضاً في الأول والثامن خفيف ثقيل أول بالبنصر. وللغريض في الأول والثاني خفيف ثقيل أول بالبنصر. وللهذلي في الأول والثاني والسابع خفيف ثقيل أول بالوسطى من رواية حماد عن أبيه. ولمالك في الأول والثاني والخامس خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو بن بانة. ومنها:

تكلتني عند الثنية أمي وأتاها نعي عمي وخالي

إن لم أشف النفوس من حي بكر وعدي تطأه بزل الجمال

غناه ابن سريج ثقيلاً أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من رواية إسحاق، وغناه الغريض ثقيلاً أول بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة.

ومنها:

قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال

قرباها في مقربات عجال عابسات يثبن وثب السعالي

لم أكن من جناتها علم الله وإني بحرها اليوم صال

الشعر للحارث بن عباد. والغناء للغريض ثقيل أول بالبنصر. وفيه لحن آخر يقال إنه لابن سريج. ومنها:

يا لبكر أنشروا لي كليباً يا لبكر أين أين الفرار

يا لبكر فاظعنوا أو فحلوا صرح الشر وبان السرار

الشعر لمهلهل. والغناء لابن سريج، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق. وغناه الأبجر خفيف رمل بالوسطى من رواية عمرو.

ومنها:

أليلتنا بذي حسم أنيري إذا أنت انقضيت فلا تحوري

فإن يك بالذنائب طال ليلي فقد أبكى من الليل القصير

كأن الجدي جدي بنات نعش يكب على اليدين بمستدير

وتحبو الشعريان إلى سهيل يلوح كقمة الجمل الكبير

فلولا الريح أسمع أهل حجر صليل البيض تقرع بالذكور

الشعر لمهلهل. والغناء لابن محرز في الأول والثاني ثقيل أول بالبنصر، وله في الأبيات كلها خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى، عن إسحاق جميعاً. وفي الأبيات كلها على الولاء للأبجر ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو. ويقال: إن فيها لحناً للغريض أيضاً.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا الحسن بن الحسين السكري قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل عن أبي عبيدة: أن آخر من قتل في حرب بكر وتغلب جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان، وهو قاتل كليب بن ربيعة، وكانت أخته تحت كليب، فقتله جساس وهي حامل، فرجعت إلى أهلها ووقعت الحرب، فكان من الفريقين ما كان، ثم صاروا إلى الموادعة بعدما كادت القبيلتان تتفانيان، فولدت أخت جساس غلاماً فسمته الهجرس ورباه جساس، فكان لا يعرف أباً غيره، وزوجه ابنته. فوقع بين الهجوس وبين رجل من بني بكر بن وائل كلام، فقال له البكري: ما أنت بمنته حتى نلحقك بأبيك، فأمسك عنه ودخل إلى أمه كئيباً، فسألته عما به فأخبرها الخبر، فلما أوى إلى فراشه ونام إلى جنب امرأته وضع أنفه بين ثدييها، فتنفس تنفسة تنفط ما بين ثدييها من حرارتها، فقامت الجارية فزعة قد أقلتها رعدة حتى دخلت على أبيها، فقصت عليه قصة الهجرس، فقال جساس: ثائر ورب الكعبة! وبات جساس على مثل الرضف حتى أصبح، فأرسل إلى الهجرس فأتاه، فقال له: إنما أنت ولدي ومني بالمكان الذي قد علمت، وقد زوجتك ابنتي وأنت معي، وقد كانت الحرب في أبيك زماناً طويلاً حتى كدنا نتفانى، وقد اصطلحنا وتحاجزنا، وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح، وأن تنطلق حتى نأخذ عليك مثل ما أخذ علينا وعلى قومنا، فقال الهجرس: أنا فاعل، ولكن مثلي لا يأتي قومه إلا بلأمته وفرسه، فحمله جساس على فرس وأعطاه لأمة ودرعاً، فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما، فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية، ثم قال: وهذا الفتى ابن أختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ويعقد ما عقدتم، فلما قربوا الدم وقاموا إلى العقد أخذ الهجرس بوسط رمحه، ثم قال: وفرسي وأذنيه، ورمحي ونصليه، وسيفي وغراريه، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه، ثم طعن جساساً فقتله، ثم لحق بقومه، فكان آخر قتيل في بكر بن وائل.

قال أبو الفرج: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه عن الشرقي بن القطامي قال: لما قتل جساس بن مرة كليب بن ربيعة، وكانت جليلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب، اجتمع نساء الحي للمأتم، فقلن لأخت كليب: رحلي جليلة عن مأتمك، فإن قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب، فقالت لها: يا هذه اخرجي عن مأتمنا، فأنت أخت واترنا وشقيقة قاتلنا، فخرجت وهي تجر أعطافها، فلقيها أبوها مرة، فقال لها: ما وراءك يا جليلة. فقالت: ثكل العدد، وحزن الأبد، وفقد حليل، وقتل أخ عن

قليل، وبين ذين غرس الأحقاد، وتفتت الأكباد، فقال لها: أو يكف ذلك كرم الصفح وإغلاء الديات. فقالت جليلة: أمنية مخدوع ورب الكعبة! أبالبدن تدع لك تغلب دم ربها!. قال: ولما رحلت جليلة قالت أخت كليب: رحلة المعتدي وفراق الشامت، ويل غداً لآل مرة، من الكرة بعد الكرة. فبلغ قولها جليلة، فقالت: وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها! أسعد الله جد أختي، أفلا قالت: نفرة الحياء، وخوف الاعتداء!. ثم أنشأت تقول:

يا بنة الأقوام إن شئت فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي
فإذا أنت تبينت الذي ... يوجب اللوم فلومي واعذلي
إن تكن أخت امرئ ليمت على ... شفق منها عليه فافعلي
جل عندي فعل جساس فيا ... حسرتي عما انجلت أو تنجلي
فعل جساس على وجدي به ... قاطع ظهري ومدن أجلي
لو بعين فقئت عيني سوى ... أختها فانفقأت لم أحفل
تحمل العين قذى العين كما ... تحمل الأم أذى ما تفتلي
يا قتيلاً قوض الدهر به ... سقف بيتي جميعاً من عل
هدم البيت الذي استحدثته ... وانثنى في هدم بيتي الأول
ورماني قتله من كثب ... رمية المصمي به المستأصل
يا نسائي دونكن اليوم قد ... خصني الدهر برزء معضل
خصني قتل كليب بلظى ... من ورائي ولظى مستقبلي
ليس من يبكي ليومين كمن ... إنما يبكي ليوم ينجلي
يشتفي المدرك بالثأر وفي ... دركي ثأري ثكل المثكل
ليته كان دمي فاحتلبوا ... بدلاً منه دماً من أكحلي
إنني قاتلة مقتولة ... ولعل الله أن يرتاح لي

ذكر الهذلي وأخباره

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: الهذليان أخوان يقال لهما سعيد وعبد آل ابنا مسعود، فالأكبر منهما يقال له سعيد، ويكنى أبا مسعود، وأمه امرأة يقال لها أم فيعل، وكان كثيراً ما ينسب إليها، وكان ينقش الحجارة بأبي قبيس، وكان فتيان من

قريش يروحون إليه كل عشية فيأتون بطحاء يقال لها بطحاء قريش فيجلسون عليها، ويأتيهم فيغني لهم ويكون معهم. وقد قيل: إن الأكبر هو عبد آل، والأصغر سعيد.

قال هارون وحدثني الزبير بن بكار قال حدثني حمزة بن عتبة اللهبي: أن الهذلي كان نقاشاً يعمل البرم من حجارة الجبل، وكان يكنى أبا عبد الرحمن، وكان إذا أمسى راح فأشرف على المسجد ثم غنى، فلا يلبث أن يرى الجبل كقرص الخبيص صفرة وحمرة من أردية قريش فيقولون: يا أبا عبد الرحمن، أعد، فيقول: أما والله وهاهنا حجر أحتاج إليه لم يرد الأبطح فلا، فيضعون أيديهم في الحجارة حتى يقطعوها له ويحدروها إلى الأبطح، وينزل معهم حتى يجلس على أعظمها حجراً ويغني لهم.

قال هارون وحدثني حماد بن إسحاق عن أبي مسعود بن أبي جناح قال أخبرني أبو لطيف وعمارة قالا: تغنى الهذلي الأكبر، وكان من أنفسهم، وكان فتيان قريش يروحون كل عشية حتى يأتوا بطحاء يقال لها بطحاء قريش قريباً من داره، فيجلسون عليها ويأتيهم فيغنيهم.

قال: وأخبرني ابن أبي طرفة عن الحسن بن عباد الكاتب مولى آل الزبير قال: هجم الحارث بن خالد، وهو يومئذ أمير مكة، على الهذلي وهو مع فتيان قريش بالمفجر يغنيهم وعليه جبة صوف، فطرح عليه مقطعات خز، فكانت هذه أول ما تحرك لها.

قال هارون: وحدثني حماد عن أبيه قال: ذكر ابن جامع عن ابن عباد أن ابن سريج لما حضرته الوفاة نظر إلى ابنته فبكى، فقالت له: ما يبكيك. قال: أخشى عليك الضيعة بعدي! فقالت له: لا تخف فما من غنائك شيء إلا وقد أخذته، قال: فغنيني فغنته، فقال: قد طابت نفسي، ثم دعا بالهذلي فزوجها منه، فأخذ الهذلي غناء أبيها كله عنها فانتحل أكثره، فعامة غناء الهذلي لابن سريج مما أخذه عن ابنته وهي زوجته.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى أبو غسان قال: كان الهذلي منزله بمنى، وكان فتيان قريش يأتونه فيغنيهم هناك، ثم أقبل مرة حتى جلس على جمرة العقبة فغنى هناك، فحدره الحارث من منى، وكان عاملاً على مكة، ثم أذن له فرجع إلى منى.

قال هارون: وحدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبي قال: كان الهذلي النقاش يغدو إليه فتيان قريش وقد عمل عمله بالليل، ومعهم الطعام والشراب والدراهم، فيقولون له: غننا، فيقول لهم: الوظيفة، فيقولون: قد جئنا بها. فيقول: الوظيفة الأخرى، أنزلوا أحجاري، فيلقون ثيابهم ويأتزرون بأزرهم وينقلون الحجارة وينزلونها، ثم يجلس على شنخوب من شناخيب الجبل فيجلسون تحته في السهل فيشربون وهو يغنيهم حتى المساء، وكانوا كذلك مدة، فقال له يوماً ثلاثة فتية من قريش: قد جاءك كل واحد منا بمثل وظيفتك على الجماعة من غير أن تنقص وظيفتك عليهم، وقد اختار كل واحد منا صوتاً من غنائك ليجعله حظه اليوم، فإن وافقت الجماعة هواناً

كان ذلك مشتركاً بيننا، وإن أبوا غنيت لهم ما أرادوا وجعلت هذه الثلاثة الأصوات لنا بقية يومنا، قال: هاتوا، فاختار أحدهم:

عفت عرفات فالمصايف من هند

واختار الآخر:

ألم بنا طيف الخيال المهجد

واختار الآخر:

هجرت سعدى فزادني كلفا

فغناهم إياها، فما سمع السامعون شيئاً كان أحسن من ذلك، فلما أرادوا الانصراف قال لهم: إني قد صنعت صوتاً البارحة ما سمعه أحد، فهل لكم فيه. قالوا: هاته منعماً بذلك، فاندفع فغناهم:

أأن هتفت ورقاء ظلت سفاهة ... تبكي على جمل لورقاء تهتف

فقالوا: أحسنت والله، لا جرم لا يكون صبوحنا في غد إلا عليه، فعادوا وغناهم إياه وأعطوه وظيفته، ولم يزالوا يستعيدونه إياه باقي يومهم.

من ذلك:

عفت عرفات فالمصايف من هند ... فأوحش ما بين الجويبين فالنهد

وغيرها طول التقادم والبلى ... فليست كما كانت تكون على العهد

الشعر للأحوص، وقيل: إنه لعمر. والغناء للهذلي، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر.

ومنها:

ألم بنا طيف الخيال المهجد ... وقد كادت الجوزاء في الجو تصعد

ألم يحيينا ومن دون أهلها ... فياف تغور الريح فيها وتنجد

عروضه من الطويل. لم يقع لنا اسم شاعره ونسبه. والغناء للهذلي ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وهو اللحن المختار، وفيه ليحيى المكي هزج. ولحن الهذلي هذا مما اختير للرشيد والواثق بعده من المائة الصوت المذكورة.

ومنها:

هجرت سعدى فزادني كلفا ... هجران سعدى وأزمعت خلفا

وقد على حبها حلفت لها ... لو أن سعدى تصدق الحلفا

ما علق القلب غيرها بشرا ولا سواها من معلق عرفا

فلم تجبني وأعرضت صلفاً وغادرتني بحبها كلفا

الغناء للهذلي ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق قال: زوج ابن سريج لما حضرته الوفاة الهذلي الأكبر بابنته، فأخذ عنها أكثر غناء أبيها، وادعاه فغلب عليه. وقال: وولدت منه ابناً، فلما أيفع جاز يوماً بأشعب وهو جالس في فتية من قريش، فوثب فحمله على كتفه وجعل يرقصه ويقول: هذا ابن دفتي المصحف وهذا ابن مزامير داود، فقيل له: ويلك! ما تقول ومن هذا الصبي؟ فقال: أو ما تعرفونه! هذا ابن الهذلي من ابنة ابن سريج، ولد على عود، واستهل بغناء، وحنك بملوى، وقطعت سرته بوتر، وختن بمضراب.

وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن عبد الله بن عيسى الماهاني قال: دخلت يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصلي في حاجة، فرأيت عليه مطرف خز أسود ما رأيت قط أحسن

منه، فتحدثنا إلى أن أخذنا في أمر المطرف، فقال: لقد كان لكم أيام حسنة ودولة عجيبة، فكيف ترى هذا. فقلت له: ما رأيت مثله، فقال: إن قيمته مائة ألف درهم، وله حديث عجيب، فقلت: ما أقومه إلا بنحو مائة دينار، فقال إسحاق: شربنا يوماً من الأيام فبت وأنا مثخن، فانتبهت لرسول محمد الأمين، فدخل علي فقال: يقول لك أمير المؤمنين: عجل، وكان بخيلاً على الطعام، فكنت آكل قبل أن أذهب إليه، فقمت فتسوكت وأصلحت شأني، وأعجلني الرسول عن الغداء فقمت معه فدخلت عليه، وإبراهيم بن المهدي قاعد عن يمينه وعليه هذا المطرف وجبة خز دكناء، فقال لي محمد: يا إسحاق، أتغديت؟ قلت: نعم يا سيدي، قال: إنك لنهم، أهذا وقت غداء! فقلت: أصبحت يا أمير المؤمنين وبي خمار فكان ذلك مما حداني على الأكل، فقال لهم: كم شربنا؟ فقالوا: ثلاثة أرطال، فقال: اسقوه إياها، فقلت: إن رأيت أن تفرق علي، فقال: يسقى رطلين ورطلاً، فدفع إلي رطلان فجعلت أشربهما وأنا أتوهم أن نفسي تسيل معهما، ثم دفع إلي رطل آخر فشربته، فكأن شيئاً انجلى عني، فقال غنني:

كليب لعمري كان أكثر ناصراً

فغنيته، فقال: أحسنت وطرب، ثم قام فدخل وكان كثيراً ما يدخل إلى النساء ويدعنا فقمت في إثر قيامه، فدعوت غلاماً لي، فقلت: اذهب إلى بيتي وجئني ببزماوردتين ولفهما في منديل واذهب ركضاً وعجل، فمضى الغلام وجاءني بهما، فلما وافى الباب ونزل عن دابته انقطع فنفق من شدة ما ركض عليه، وأدخل إلي

البزماوردتين، فأكلتهما ورجعتا نفسي إلي وعدت إلى مجلسي، فقال لي إبراهيم: لي إليك حاجة أحب أن تقضيها لي، فقلت: إنما أنا عبدك وابن عبدك، فقل ما شئت، قال: تردد علي: كليب لعمري وهذا المطرف لك، فقلت: أنا لا آخذ منك مطرفاً على هذا، ولكنني أصير إلى منزلك فألقيه على الجواري وأردده عليك مراراً، فقال: أحب أن تردده علي الساعة وأن تأخذ هذا فإنه من لبسك وهو من حاله كذا وكذا، فرددت عليه الصوت مراراً حتى

أخذه، ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء وجلس، ثم قعدنا فشرب وتحدثنا، فغناه إبراهيم: كليب لعمري، فكأني والله لم أسمعه قبل ذلك حسناً، وطرب محمد طرباً شديداً وقال: أحسنت والله! يا غلام، عشر بدر لعمي الساعة! فجاءوا بها، فقال: يا أمير المؤمنين، إن لي فيها شريكاً، قال: من هو؟ قال: إسحاق، قال: وكيف. فقال: إنما أخذته منه لّما قمت، فقلت أنا: ولم! أضاقت الأموال على أمير المؤمنين حتى تريد أن تشرك فيما يعطي! قال: أما أنا فأشركك وأمير المؤمنين أعلم، فلما انصرفنا من المجلس أعطاني ثمانين ألفاً، وأعطاني هذا المطرف، فهذا أخذ به مائة ألف درهم، وهي قيمته.

من رواية جحظة عن أصحابه:

علل القوم يشربوا كي يلذوا ويطربوا

إنما ضلل الفؤا د غزال مربب

فرشته على النما رق سعدى وزينب

حال دون الهوى ودو ن سرى الليل مصعب

وسياط على أك ف رجال تقلب

الشعر لعبيد الله بن قيس الرقيات. والغناء في اللحن المختار لمالك بن أبي السمح، ولحنه من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى. وفيه لإسحاق ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر. ولابن سريج في الرابع والخامس والأول ثاني ثقيل في مجرى الوسطى. ولمعبد في الثاني وما بعده خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى.

ذكر عبيد الله بن قيس الرقيات

نسبه وأخباره

هو عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة بن أهيب بن ضباب بن حجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب. وأمه قتيلة بنة وهب بن عبد الله بن ربيعة بن طريف بن عدي بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن محمد بن أبي قلامة العمري قال حدثني محمد بن طلحة، قال الزبير وحدثنيه أيضاً محمد بن الحسن المخزومي، قالا جميعاً: كان يقال لبني معيص بن عامر بن لؤي وبني محارب بن فهر: الأجربان من أهل تهامة، وكانا متحالفين، وإنما قيل لهما الأجربان من شمة بأسهما وعرهما من ناوأهما كما يعر الجرب.

سبب تلقيبه بهذا اللقب

وإنما لقب عبيد الله بن قيس الرقيات لأنه شبب بثلاث نسوة سمين جميعاً رقية، منهن رقية بنت عبد الواحد بن أبي سعد بن قيس بن وهب بن أهبان بن ضباب بن حجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي، وابنة عم لها يقال لها رقية، وامرأة من بني أمية يقال لها رقية. وكان هواه في رقية بنت عبد الواحد، وكان عبد الواحد فيما أخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير يترل الرقة. وإياه عنى ابن قيس بقوله:

ما خير عيش بالجزيرة بعد ما عثر الزمان ومات عبد الواحد

وله في الرقيات عدة أشعار يغنى فيها تذكر بعقب هذا الخبر. والأبيات الثانية التي فيها اللحن المختار يقولها في مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، وكان صاحب شرطة مروان بن الحكم بالمدينة.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال: لما ولي مروان بن الحكم المدينة ولى مصعب بن عبد الرحمن بن عوف شرطته، فقال: إني لا أضبط المدينة بحرس المدينة، فابغني رجالاً من غيرها، فأعانه بمائتي رجل من أهل أيلة فضبطها ضبطاً شديداً. فدخل المسور بن مخرمة على مروان فقال: أما ترى ما يشكوه الناس من مصعب! فقال:

ليس بهذا من سياق عتب يمشي القطوف وينام الركب

وقال غير مصعب في هذا الخبر وليس من رواية الحرمي: إنه بقي إلى أن ولي عمرو بن سعيد المدينة وخرج الحسين رضي الله تعالى عنه وعبد الله بن الزبير، فقال له عمرو: اهدم دور بني هاشم وآل الزبير، فقال: لا أفعل، فقال: انتفخ سحرك يا بن أم حريث! ألق سيفنا! فألقاه ولحق بابن الزبير. وولى عمرو بن سعيد شرطته عمرو بن الزبير بن العوام وأمره بهدم دور بني هاشم وآل الزبير، ففعل وبلغ منهم كل مبلغ، وهدم دار ابن مطيع التي يقال لها العنقاء، وضرب محمد بن المنذر بن الزبير مائة سوط، ثم دعا بعروة بن الزبير ليضربه. فقال له محمد: أتضرب عروة فقال: نعم يا سبلان إلا أن تحتمل ذلك عنه، فقال: أنا أحتمله، فضربه مائة سوط أخرى، ولحق عروة بأخيه. وضرب عمرو الناس ضرباً شديداً، فهربوا منه إلى ابن الزبير، وكان المسور بن مخرمة أحد من هرب منه، ولما أفضى الأمر إلى ابن الزبير أقاد منه وضربه بالسوط ضرباً مبرحاً فمات فدفنه في غير مقابر المسلمين، وقال للناس، فيما ذكر عنه: إن عمراً مات مرتداً عن الإسلام.

شاعر قريش في الإسلام

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال: سألت عمي مصعباً ومحمد بن الضحاك ومحمد بن حسن عن شاعر قريش في الإسلام، فكلهم قالوا: ابن قيس الرقيات، وحكي ذلك عن عدي وعن الضحاك بن عثمان، وحكاه محمد بن الحسن عن عثمان بن عبد الرحمن اليربوعي. قال الزبير: وحدثني بمثله غمامة بن عمرو السهمي عن مسور بن عبد الملك اليربوعي.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي والحرمي بن أبي العلاء وغيرهما قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عمه محمد بن عبد العزيز: أن ابن قيس الرقيات أتى إلى طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري فقال له: يا عمي، إني قد قلت شعراً فأسمعه فإنك ناصح لقومك، فإن كان جيداً قلت، وإن كان رديئاً كففت، فقال له: أنشد، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

منع اللهو والهوى وسرى الليل مصعب

وسياط على أك ف رجال تقلب

فقال: قل يا بن أخي فإنك شاعر.

خروجه مع مصعب على عبد الملك

وشفاعة عبد الله بن جعفر له وكان عبيد الله بن قيس الرقيات زبيري الهوى، وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك، فلما قتل مصعب وقتل عبد الله هرب فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فسأل عبد الملك في أمره فأمنه.

وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي والحرمي بن أبي العلاء وغيرهما قالوا حدثنا الزبيري قال حدثني عبد الله بن البصير البربري مولى قيس بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قال عبيد الله بن قيس الرقيات: خرجت مع مصعب بن الزبير حين بلغه شخوص عبد الملك بن مروان إليه، فلما نزل مصعب بن الزبير بمسكن، ورأى معالم الغدر ممن معه، دعاني ودعا بمال ومناطق، فملأ المناطق من ذلك المال وألبسني منها، وقال لي: انطلق حيث شئت فإني مقتول، فقلت له: لا والله لا أريم حتى أرى سبيلك، فأقمت معه حتى قتل، ثم مضيت إلى الكوفة، فأول بيت صرت إليه دخلته، فإذا فيه امرأة لها ابنتان كأنهما ظبيتان، فرقيت في درجة لها إلى مشربة فقعدت فيها، فأمرت لي المرأة بما أحتاج إليه من الطعام والشراب والفرش والماء للوضوء، فأقمت كذلك عندها أكثر من حول، تقيم لي ما يصلحني وتغدو علي في كل صباح فتسألني بالصباح والحاجة، ولا تسألني من أنا ولا أسألها من هي، وأنا في ذلك أسمع الصياح في والجعل، فلما طال بي المقام وفقدت الصياح في وغرضت بمكاني غدت علي تسألني بالصباح والحاجة، فعرفتها أني قد غرضت وأحببت الشخوص إلى أهلي، فقالت لي: نأتيك بما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى، فلما أمسيت وضرب الليل بأرواقه رقيت إلي وقالت: إذا شئت! فترلت وقد أعدت راحلتين عليهما ما أحتاج إليه ومعهما عبد، وأعطت العبد نفقة الطريق، وقالت: العبد والراحلتان لك، فركبت وركب العبد معي حتى طرقت أهل مكة، فدققت مترلي، فقالوا لي: من هذا؟ فقلت: عبيد الله بن قيس الرقيات، فولولوا وبكوا، وقالوا: ما فارقنا طلبك إلا في هذا الوقت، فأقمت عندهم حتى أسحرت، ثم نهضت ومعي العبد حتى قدمت المدينة، فجئت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عند المساء وهو يعشي أصحابه، فجلست معهم وجعلت أتعاجم

وأقول: يار يار ابن طيار. فلما خرج أصحابه كشفت له عن وجهي، فقال: ابن قيس؟ فقلت: ابن قيس، جئتك عائذاً بك، قال: ويحك! ما أجدهم في طلبك وأحرصهم على الظفر بك! ولكني سأكتب إلى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فهي زوجة الوليد بن عبد الملك، وعبد الملك أرق شيء عليها. فكتب إليها يسألها أن تشفع له إلى عمها، وكتب إلى أبيها يسأله أن يكتب إليها كتاباً يسألها الشفاعة، فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعل وسألها، هل من حاجة؟ فقالت: نعم لي حاجة، فقال: قد قضيت كل حاجة لك إلا ابن قيس الرقيات، فقالت: لا تثتش علي شيئاً! فنفح بيده فأصاب خدها، فوضعت يدها على خدها، فقال لها: يا بنتي ارفعي يدك، فقد قضيت كل حاجة لك وإن كانت ابن قيس الرقيات، فقالت: إن حاجتي ابن قيس الرقيات تؤمنه، فقد كتب إلي أبي يسألني أن أسألك ذلك، قال: فهو آمن، فمريه يحضر مجلسي العشية، فحضر ابن قيس وحضر الناس حين بلغهم مجلس عبد الملك، فأخر الإذن، ثم أذن للناس، وأخر إذن ابن قيس الرقيات حتى أخذوا مجالسهم، ثم أذن له، فلما دخل عليه قال عبد الملك: يأهل الشأم، أتعرفون هذا؟ قالوا: لا، فقال: هذا عبيد الله بن قيس الرقيات الذي يقول:

كيف نومي على الفراش ولما ... تشمل الشأم غارة شعواء
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي ... عن خدام العقيلة العفراء

فقالوا: يا أمير المؤمنين اسقنا دم هذا المنافق! قال: الآن وقد أمنته وصار في مترلي وعلى بساطي! قد أخرت الإذن له لتقتلوه فلم تفعلوا. فاستأذنه ابن قيس الرقيات أن ينشده مديحه فأذن له، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

عاد له من كثيرة الطرب ... فعينه بالدموع تنسكب
كوفية نازح محلتها ... لا أمم دارها ولا صقب
والله ما إن صبت إلي ولا ... إن كان بيني وبينها سبب
إلا الذي أورثت كثيرة في ال ... قلب وللحب سورة عجب

حتى قال فيها:

إن الأغر الذي أبوه أبو ال ... عاصي عليه الوقار والحجب
يعتدل التاج فوق مفرقه ... على جبين كأنه الذهب

فقال له عبد الملك: يا بن قيس تمدحني بالتاج كأني من العجم وتقول في مصعب:

إنما مصعب شهاب من ال ... له تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه ... جبروت منه ولا كبرياء

أما الأمان فقد سبق لك، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً!. قال: وقال ابن قيس الرقيات لعبد الله بن جعفر: ما نفعني أماني، تركت حياً كميت لا آخذ مع الناس عطاء أبداً، فقال له عبد الله بن جعفر: كم بلغت من السن؟ قال: ستين سنة، قال: فعمر نفسك، قال: عشرين سنة من في قبل، فذلك ثمانون سنة قال: كم عطاؤك. قال: ألفا درهم، فأمر له بأربعين ألف درهم، وقال: ذلك لك علي إلى أن تموت على تعميرك نفسك، فعند ذلك قال عبيد الله بن قيس الرقيات يمدح عبد الله بن جعفر:

نقدت بي الشهباء نحو ابن جعفر ... سواء عليها ليلها ونهارها

تزور امرأً قد يعلم الله أنه ... تجود له كف قليل غرارها

أتيناك نثني بالذي أنت أهله ... عليك كما يثني على الروض جارها

فوالله لولا أن تزور ابن جعفر ... لكان قليلاً في دمشق قرارها

إذا مت لم يوصل صديق ولم تقم ... طريق من المعروف أنت منارها

ذكرتك أن فاض الفرات بأرضنا ... وفاض بأعلى الرقتين بحارها

وعندي مما خول الله هجمة ... عطاؤك منها شولها وعشارها

مباركة كانت عطاء مبارك ... تمانح كبراها وتنمي صغارها

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا مصعب بن عبد الملك قال: قال عبد الملك بن مروان لعبيد الله بن قيس الرقيات: ويحك يا بن قيس! أما اتقيت الله حين تقول لابن جعفر:

تزور امرأ قد يعلم الله أنه ... تجود له كف قليل غرارها

ألا قلت: قد يعلم الناس ولم تقل: قد يعلم الله! فقال ابن قيس: قد والله علمه الله وعلمته أنت، وعلمته أنا وعلمه الناس.

أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق: قرأت على أبي أن عبيد الله بن قيس الرقيات منعه عبد الملك بن مروان عطاءه من بيت المال وطلبه ليقتله، فاستجار بعبد الله بن جعفر، وقصده فألفاه نائماً، وكان صديقاً لسائب خاثر، فطلب الإذن على ابن جعفر فتعذر، فجاء سائب خاثر ليستأذن له عليه، قال سائب: فجئت من قبل رجل عبد الله بن جعفر فنبحت نباح الجرو الصغير، فانتبه ولم يفتح عينيه، وركلني برجله، فدرت إلى عند رأسه، فنبحت نباح الكلب الهرم، فانتبه وفتح عينيه فراني، فقال: ما لك. ويحك! فقلت: ابن قيس الرقيات بالباب، قال: ائذن له، فأذنت له، فدخل إليه فرحب ابن جعفر به وقربه، فعرفه ابن قيس خبره، فدعا بظبية فيها دنانير، وقال: عد له منها، فجعلت أعد وأترنم وأحسن صوتي بجهدي حتى عددت ثلثمائة دينار، فسكت، فقال لي عبد الله: مالك ويلك سكت! ما هذا وقت قطع الصوت الحسن، فجعلت أعد حتى نفد ما كان في الظبية،

وفيها ثمانمائة دينار، فدفعتها إليه، فلما قبضها قال لابن جعفر: اسأل أمير المؤمنين في أمري، قال: نعم، فإذا دخلت إليه معي ودعا بالطعام، فكل أكلاً فاحشاً. فركب ابن جعفر، فدخل معه إلى عبد الملك، فلما قدم الطعام جعل يسيء الأكل، فقال عبد الملك لابن جعفر: من هذا. فقال: هذا إنسان لا يجوز إلا أن يكون صادقاً إن استبقي، وإن قتل كان أكذب الناس، قال: وكيف ذلك! قال: لأنه يقول:

ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا

فإن قتلته لغضبك عليه أكذبته فيما مدحكم به، قال: فهو آمن، ولكن لا أعطيه عطاء من بيت المال، قال: ولم وفد وهبته لي؟ فأحب أن تهب لي عطاءه أيضاً كما وهبت لي دمه وعفوت لي عن ذنبه، قال: قد فعلت، قال: وتعطيه ما فاته من العطاء، قال: قد فعلت، وأمرت له بذلك.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال: كان ابن قيس الرقيات منقطعاً إلى ابن جعفر، وكان يصله ويقضي عنه دينه، ثم استأمن له عبد الملك فأمنه، وحرمه عطاءه، فأمره عبد الله أن يقدر لنفسه ما يكفيه أيام حياته ففعل ذلك، فأعطاه عبد الله ما سأل وعوضه من عطائه أكثر منه، ثم جاءت عبد الله صلة من عبد الملك وابن قيس غائب، فأمر عبد الله خازنه فخبأ له صلته، فلما قدم دفعها إليه، وأعطاه جارية حسناء، فقال ابن قيس:

إذا زرت عبد الله نفسي فداؤه رجعت بفضل من نداه ونائل
وإن غبت عنه كان للود حافظاً ولم يك عني في المغيب بغافل

تداركني عبد الإله وقد بدت لذي الحقد والشنان مني مقاتلي
فأنقذني من غمرة الموت بعدما رأيت حياض الموت جم المناهل
حباني لما جئته بعطية وجارية حسناء ذات خلاخل

ومنها:

عاد له من كثيرة الطرب فعينه بالدموع تنسكب
كوفية نازح محلتها لا أمم دارها ولا صقب
والله ما إن صبت إلي ولا يعرف بيني وبينها سبب
إلا الذي أورثت كثيرة في ال قلب وللحب سورة عجب

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني عروضه من المنسرح، غناه معبد ثقيلاً أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

قوله: لا أمم دارها يعني أنها ليست بقريبة. ويقال: ما كلفتني أمماً من الأمر فأفعله: أي قريباً من الإمكان، ويقال: إن فلاناً لأمم من أن يكون فعل كذا وكذا. قال الشاعر:

أطرقته أسماء أم حلما بل لم تكن من رحالنا أمما

أي قريبة. وقال الراجز:

كلفها عمرو نقال الضبعان ما كلفت من أمم ولا دان

وقال آخر:

إنك إن سألت شيئاً أمما جاء به الكري أو تجشما

والصقب: الملاصقة. تقول: والله ما صاقبت فلاناً ولا صاقبني، ودار فلان مصاقبة لدار فلان، وفي الحديث: الجار أحق بصقبه، أي بما لاصقه، أي إنه أحق بشفعته. والسورة: شدة الأمر، ومنه يقال: ساور فلان فلاناً، وتساور الرجلان إذا تغالبا وتشادا، وقيل إن السورة: البقية أيضاً.

ومنها:

ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا

وأنهم سادة الملوك فما تصلح إلا عليهم العرب

غنت في هذين البيتين حبابة، وهما من القصيدة التي أولها:

عاد له من كثيرة الطرب

قال الأصمعي: كثيرة هذه امرأة نزل بها بالكوفة فآوته. قال ابن قيس: فأقمت عندها سنة تروح وتغدو علي بما أحتاج إليه، ولا تسألني عن حالي ولا نسبي، فبينا أنا بعد سنة مشرق من جناح إلى الطريق، إذا أنا بمنادي عبد الملك ينادي ببراءة الذمة ممن أصبت عنده، فأعلمت المرأة أني راحل، فقالت: لا يروعنك ما سمعت، فإن هذا نداء شائع منذ نزلت بنا، فإن أردت المقام ففي الرحب والسعة، وإن أردت الانصراف أعلمتني، فقلت لها: لا بد لي من الانصراف، فلما كان الليل، قدمت إلي راحلة عليها جميع ما أحتاج إليه في سفري، فقلت لها: من أنت جعلت فداءك لأكافئك؟ قالت: ما فعلت هذا لتكافئني، فأنصرفت ولا والله ما عرفتها إلا أني سمعتها تدعى باسمها كثيرة، فذكرتها في شعري.

الفتك ببني أمية بسبب شعره

وذكر الزبير بن بكار عن عمه مصعب أن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس صاحب بني أمية بنهر أبي فطرس، إنما بعثه على قتلهم أنه أنشده بعض الشعراء ذات يوم مديحاً مدح به بني هاشم، فقال لبعضهم: أين هذا مما كنتم تمدحون به! فقال: هيهات أن يمدح أحد بمثل قول ابن قيس فينا:

ما نقموا من بني أمية إ لا أنهم يحلمون إن غضبوا

البيتين، فقال له عبد الله بن علي: ألا أرى المطمع في الملك في نفسك بعد يا ماص كذا من أمه! ثم أوقع بهم. غضب الرشيد وقد غني بشعره فيهم أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن جدي عبد الله بن مصعب قال: اعترض هارون الرشيد قينة فغنت:

ما نقموا من بني أمية إ لا أنهم يحلمون إن غضبوا

فلما ابتدأت به تغير وجه الرشيد، وعلمت أنها قد غلطت وأنها إن مرت فيه قتلت، فغنت:

ما نقموا من بني أمية إ لا أنهم يجهلون إن غضبوا

وأنهم معدن النفاق فما تفسد إلا عليهم العرب

فقال الرشيد ليحيى بن خالد: أسمعت يا أبا علي؟ فقال: يا أمير المؤمنين تبتاع وتسنى لها الجائزة، ويعجل لها الإذن ليسكن قلبها، قال: ذلك جزاؤها، قومي فأنت مني بحيث تحبين. قال: فأغمي على الجارية. فقال يحي بن خالد:

جزيت أمير المؤمنين بأمنها من الله جنات تفوز بعدنها

ومنها:

تقدت بي الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلها ونهارها

تزور امرأ قد يعلم الله أنه تجود له كف بطيء غرارها

ووالله لولا أن تزور ابن جعفر لكان قليلاً في دمشق قرارها

عروضه من الطويل. غناه معبد ثاني ثقيل بالبنصر. قوله: تقدت أي سارت سيراً ليس بعجل ولا مبطئ، فيقال: تقدى فلان إذا سار سير من لا يخاف فوت مقصده فلم يعجل. وقوله: بطيء غرارها يعني أن منعها المعروف بطيء. وأصل الغرار: أن تمنع الناقة درها، ثم يستعار في كل ما أشبه ذلك، ومنه قول الراجز:

إن لكل نهلات شره ثم غراراً كغرار الدره

وقال جميل في مثل ذلك:

لاحت لعينك من بثينة نار فدموع عينك درة وغرار

قال الزبير: وهذا البيت مما عيب على ابن قيس، لأنه نقض صدره بعجزه، فقال في أوله: إنه سار سيراً بغير عجل، ثم قال: سواء عليها ليلها ونهارها وهذا غاية الدأب في السير، فناقض معناه في بيت واحد. ومما عيب على ابن قيس الرقيات قوله وفي هذين البيتين غناء:

ترضع شبلين وسط غيلهما قد ناهزا للفطام أو فطما

ما مر يوم إلا وعندهما لحم رجال أو يولغان دما

غناه الغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة وهي قصيدة مدح بها عبد العزيز بن مروان، وفيها يقول:

أعني ابن ليلى عبد العزيز ببا بليون تغدو جفانه رذما

الواهب النجب والولائد كال غزلان والخيل تعلك اللجما

وكان قال في قصيدته هذه: أو يالغان دماً بالألف، وكذلك روي عنه، ثم غيرته الرواة.

من ذهب إلى إسقاط الاحتجاج بشعره

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: سمعت ابن الأعرابي يقول: سئل يونس عن قول ابن قيس الرقيات:

ما مر يوم إلا وعندهما لحم رجال أو يولغان دما

فقال يونس: يجوز يولغان ولا يجوز يالغان، فقيل له: فقد قال ذلك أين قيس الرقيات وهو حجازي فصيح فقال: ليس بفصيح ولا ثقة، شغل نفسه بالشرب بتكريت.

أخبار متفرقة

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد: قرأت على أبي: أو بلغك أن ابن أبي عتيق أنشد قول ابن قيس:

سواء عليها ليلها ونهارها

فقال: كانت هذه يا بن أم فيما أرى عمياء.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب عن جدي عن هشام بن سليمان المخزومي قال: قال ابن أبي عتيق لعبيد الله بن قيس وقد مر به فسلم عليه فقال: وعليك السلام يا فارس العمياء، فقال له: ما هذا الاسم الحادث يا أبا محمد! بأبي أنت! قال: أنت سميت نفسك حيث تقول:

سواء عليها ليلها ونهارها

فما يستوي الليل والنهار إلا على عمياء، قال: إنما عنيت التعب، قال: فبيتك هذا يحتاج إلى ترجمان يترجم عنه.
ومنها:

ذكرتك أن فاض الفرات بأرضنا وفاضت بأعلى الرقتين بحارها
وحولي مما خول الله هجمة عطاؤك منها شولها وعشارها
فجئناك نثني بالذي أنت أهله عليك كما أثنى على الروض جارها
إذا مت لم يوصل صديق ولم تقم طريق من المعروف أنت منارها

الشول: النوق التي شالت بأذناها وكرهت الفحل، وذلك حين تلقح، واحدها شائل غناه حكم الوادي ثقيلاً أول بالوسطى.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال قال لي أبي: قال حكم الوادي: دخلت يوماً على يحي بن خالد. فقال لي: يا أبا يحيى، ما رأيك في خمسمائة دينار قد حضرت؟ قلت: ومن لي بها؟ قال: تلقي لحنك في:

ذكرتك أن فاض الفرات بأرضنا

على دنانير فها هي ذه، وهذا سلام واقف معك ومخرجها إليك، وأنا راكب إلى أمير المؤمنين، ولست أنصرف من مجلس المظالم إلى وقت الظهر، فكدها فيه، فإذا أحكمته فلك خمسمائة، فقالت دنانير: يا سيدي، أبو يحيى يأخذ خمسمائة دينار وينصرف وأنا أبقى معك أقاسيك عمري كله! فقال لها: إن حفظتيه فلك ألف دينار، وقام فمضى، فقلت لها: يا سيدتي، شغلي نفسك بذا، فإنك أنت تهبين لي الخمسمائة الدينار بحفظك إياه وتفوزين بالألف الدينار، وإلا بطل هذا، فلم أزل معها أكدها ونفسي وتغنيني حتى انصرف يحيى، فدعا بماء وطست، ثم قال: يا أبا يحيى، غن الصوت كما كنت تغنيه فقلت: هلكت! يسمعه مني، وليس هو بمن يخفى عليه، ثم يسمعه منها فلا يرضاه فلم أجد بداً من الغناء، ثم قال: غنيه أنت الآن، فغنت، فقال: والله ما أرى إلا خيراً، فقات: جعلت فداءك! أنا أمضغ هذا منذ أكثر من خمسين سنة كما أمضغ الخبز، وهذه أخذته الساعة وهو يذل لها بعدي وتجترئ عليه ويزداد حسناً في صوتها. فقال: صدقت، هات يا سلام خمسمائة دينار ولها ألف دينار، ففعل، فقالت له: وحياتك يا سيدي لأشاطرن أستاذي الألف الدينار، قال: ذلك إليك، ففعلت. فانصرفت وقد أخذت بهذا الصوت ألف دينار.

رجع الحديث إلى عبيد الله بن قيس الرقيات.

قال الزبير بن بكار حدثني عبد الله بن النضير عن أبيه: أن ابن قيس الرقيات قال في الكوفية التي نزل عليها:

بانت لتحزننا كثيره ولقد تكون لنا أميره

حلت فلاليج السوا د وحل أهلي بالجزيره

قال: ولقد رحل من عندها وما يتعارفان.

قال: وقال فيها أيضاً وفيه لحن من خفيف الثقيل لابن المكي:

لججت بحبك أهل العراق ولولا كثيرة لم تلجج

فليت كثيرة لم تلقني كثيرة أخت بني الخزرج

سعيد بن المسيب وابن قيس الرقيات

أخبرنا الحرفي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن عاصم القحطاني قال حدثني أبي عن عبد الرحيم بن حرملة قال: كنت عند سعيد بن المسيب، فجاء ابن قيس الرقيات، فهش وقال: مرحباً بظفر من أظفار العشيرة، ما أحدثت بعدي. قال: قد قلت أبياتاً وأستفتيك في بيت منها فاسمعها، قال: هات، فأنشده:

هل للديار بأهلها علم أم هل تبين فينطق الرسم

قالت رقية فيم تصرمنا أرقي ليس لوجهك الصرم

تخطو بخلخالين حشوهما ساقان مار عليهما اللحم

ياصاح هل أبكاك موقفنا أم هل علينا في البكا إثم

فقال سعيد: لا والله ما أبكاني، قال ابن قيس الرقيات:

بل ما بكاؤك منزلاً خلقاً قفراً يلوح كأنه الوشم

فقال سعيد: اعتذر الرجل. ثم أنشد:

أتلبث في تكريت لا في عشيرة شهود ولا السلطان منك قريب

وأنت امرؤ للحزم عندك منزل وللدين والإسلام منك نصيب

فقال سعيد: لا مقام على ذلك، فاخرج منها، قال: قد فعلت، قال: قد أصبت أصاب الله بك .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء.

قامت بخلخالين حشوهما ساقان مار عليهما اللحم

يا صاح هل أبكاك موقفنا أم هل علينا في البكا إثم

غنى فيهما ابن سريج رملاً بالبنصر.

ابن قيس الرقيات وعمر بن أبي ربيعة

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن عبد الله البكري وهارون بن أبي بكر عن عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن أبيه عن سعيد بن مسلم بن وهب مولى بني عامر بن لؤي عن أبيه قال: دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نوفل بن مساحق وإنه لمعتمد على يدي إذ مررنا بسعيد بن المسيب في مجلسه فسلمنا عليه فرد سلامنا، ثم قال لنوفل: يا أبا سعيد من أشعر، أصاحبنا أم صاحبكم؟ يعني: عبيد الله بن قيس - الرقيات أو عمر بن أبي ربيعة؛ فقال نوفل: حين يقولان ماذا؟ فقال: حين يقول صاحبنا:

خليلي ما بال المطي كأنما نراها على الأدبار بالقوم تنكص

وقد أبعد الحادي سراهن وانتحى بهن فما يألوا عجولٌ مقلص

وقد قطعت أعناقهن صبابة فأنفسنا مما يحلف شخص

يزدن بنا قرباً فيزداد شوقنا إذا زاد طول العهد والبعد ينقص

ويقول صاحبكم ما شئت؛ قال: فقال له نوفلٌ: صاحبكم أشهر بالقول في الغزل أمتع الله بك، وصاحبنا أكثر أفانين شعر؛ قال: صدقت؛ فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر، جعل سعيدٌ يستغفر الله ويعقد بيده ويعده بالخمس كلها حتى وفى مائةً.

قال البكري في حديثه عن عبد الجبار: فقال مسلم بن وهب: فلما فارقناه قلت لنوفل: أتراه أستغفر الله من إنشاده الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: كلا هو كثير الإنشاد والأستنشاد للشعر، ولكني أحسبه للفخر بصاحبه.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال: استأذن عبيد الله بن قيس الرقيات على حمزة بن عبد الله بن الزبير، فقالت له الجارية: ليس عليه إذنٌ الآن، فقال: أما إنه لو علم بمكاني ما احتجب عني قال: فدخلت الجارية على حمزة فأخبرته، فقال: ينبغي أن يكون هذا ابن قيس الرقيات، ائذني له، فأذنت له، فقال: مرحباً بك يابن قيس، هل من حاجة نزعت بك. قال: نعم، زوجت بنين لي ثلاثة ببنات أخ لي ثلاث، وزوجت ثلاثة من بني أخ لي بثلاث بنات لي، قال: فلبنيك الثلاثة أربعمائة دينارٍ أربعمائة دينارٍ، ولبني أخيك الثلاثة أربعمائة دينارٍ أربعمائة دينارٍ، ولبناتك الثلاث ثلثمائة دينارٍ ثلثمائة دينارٍ، ولبنات أخيك الثلاث ثلثمائة دينارٍ ثلثمائة دينارٍ، هل بقيت لك من حاجة يابن قيس؟ قال: لا والله إلا مؤونة السفر؛ فأمر له بما يصلحه لسفره حتى رقاع أخفاف الإبل.

ذكر ما قاله ابن قيس الرقيات وغنى فيه

أمست رقية دونها البشر فالرقة السوداء فالغمر

غناه يونس ثقيلاً أول بالوسطى، وفيه لعزة الميلاء ثاني ثقيلٍ.

ومنها:

رقي بعيشكم لا تهجرينا ومنينا المنى ثم امطلينا

عدينا في غدٍ ماشئت إنا نحب وإن مطلت الواعدينا

أغرك أنني لاصبر عندي على هجرٍ وأنك تصبرينا

ويوم تبعتكم وتركت أهلي حنين العود يتبع القرينا

عروضه من الوافر. غناه ابن محرز ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى.

ومنها:

رقية تيمت قلبي فواكبدي من الحب

نهاني إخوتي عنها وما بالقلب من عتب

غناه مالكٌ ثاني ثقيلٍ أول بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة. وقد ذكرت بذل أن فيه لابن المكي لحناً.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني سعيد بن عمرو بن الزبير قال حدثني إبراهيم عبد الله قال: أنشد كثيرٌ ابن أبي عتيق كلمته التي يقول فيها:

ولست براض من خليلٍ بنائلٍ قليلٍ ولا أرضى له بقليل

فقال له: هذا كلام مكافئٍ ليس بعاشقٍ، القرشيان أقنع وأصدق منك: ابن أبي ربيعة حيث يقول:

ليت حظي كلحظة العين منها وكثيرٌ منها القليل المهنا

وقوله أيضاً:

فعدي نائلاً وإن لم تنيلي إنه يقنع المحب الرجاء

وابن قيس الرقيات حيث يقول:

رقي بعيشكم لا تهجرينا ومنينا المنى ثم امطلينا

عدينا في غدٍ ماشئت إنا نحب وإن مطلت الواعدينا

فإم اتنجزي عدتي وإما نعيش بما نؤمل منك حينا

قال: فذكرت ذلك لأبي السائب المخزومي ومعه ابن المولى، فقال: صدق ابن أبي عتيق وفقه الله، ألا قال المديون كثير كما قال هذا حيث يقول:

وأبكي فلا ليلى بكت من صبابةٍ لباك ولا ليلى لذي الود تبذل

واخنع بالعتبى إذا كنت مذنباً وإن أذنبت كنت الذي أتنصل

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال سمعت عبيدة بن أشعب بن جبير قال حدثني أبي قال

خبره مع رقية بنت عبد الواحد

حدثني فندٌ مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص قال: حجت رقية بنت عبد الواحد بن أبي سعد العامرية، فكنت آتيها وأحدثها فتستظرف حديثي وتضحك مني؛ فطافت ليلةً بالبيت ثم أهوت لتستلم الركن الأسود وقبلته، وقد طفت مع عبيد الله بن قيس الرقيات، فصادف فراغنا فراغها ولم أشعر بها، فأهوى ابن قيس يستلم الركن الأسود ويقبله، فصادفها قد سبقت إليه، فنفحته بردها فارتدع؛ وقال لي: من هذه؟ فقلت: أو لا تعرفها هذه رقية بنت عبد الواحد بن أبي سعد؛ فعند ذلك قال:

من عذيري ممن يضن بمبذو لٍ لغيري علي عند الطواف

يريد أنها تقبل الحجر الأسود وتضن عنه بقبلتها. وقال في ذلك:

حدثوني هل على رجلٍ عاشقٍ في قنلةٍ حرج

وفيه غناءٌ ينسب بعد هذا الخبر. قال: ولما نفحته بردها فاحت منه رائحة المسك حتى عجب من في المسجد، وكأنما فتحت بين أهل المسجد لطيمة عطارٍ، فسبح من حول البيت. قال: وقال فندٌ: فقلت بعد انصرافها لابن قيس: هل وجدت رائحة ردها لشيءٍ طيبا. فعند ذلك قال أبياته التي يقول فيها:

سائلاً فنداً خليلي كيف أردان رقيه

إنني علقت خوداً ذات دل بختريه

غناه فندٌ، ولحنه ثقيلٌ أول بالبنصر عن حبش.

حب ذاك الدل والغنج والتي في عينها دعج

والتي إن حدثت كذبت والتي في وعدها خلج

وترى في البيت صورتها مثلما في البيعة السرج

خبروني هل على رجلٍ عاشقٍ في قبلةٍ حرج

الشعر لابن قيس الرقيات يقوله في رقية بنت عبد الواحد. والغناء لمالكٍ خفيف ثقيلٍ أول مطلقٌ في مجرى البنصر. وفيه خفيف ثقيلٍ آخر لابن محرز من رواية عمرو بن بانة، وقيل: بل هو هذا.

أخبار متفرقة

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش السعدي قال حدثني سائبٌ راوية كثير قال: كان كثير مديوناً، فقال لي يوماً ونحن بالمدينة: اذهب بنا إلى ابن أبي عتيق نتحدث عنده؛ قال: فذهبت إليه معه ة فاستنشده ابن أبي عتيق، فأنشده قوله:

أبائنةٌ سعدى نعم ستبين

حتى بلغ إلى قوله:

وأخلفن ميعادي وخن أمانتي　　　وليس لمن خان الأمانة دين

فقال له ابن أبي عتيق: أعلى الأمانة تبعتها فانكف واستغضب نفسه وصاح وقال:

كذبن صفاء الود يوم محله　　　وأنكدنني من وعدهن ديون

فقال له ابن أبي عتيق: ويلك هذا أملح لهن وأدعى للقلوب إليهن، سيدك ابن قيس الرقيات كان أعلم منك وأوضع للصواب موضعه فيهن؛ أما سمعت قوله:

حب ذاك الدل والغنج　　　والتي في عينها دعج

والتي إن حدثت كذبت　　　والتي في وعدها خلج

وترى في البيت صورتها　　　مثلما في البيعة السرج

خبروني هل على رجلٍ　　　عاشقٍ في قبلةٍ حرج

قال: فسكن كثير واستحلى ذلك، وقال: لا إن شاء الله؛ فضحك ابن أبي عتيق حتى ذهب به.

أخبرنا الحرمي فال حدثنا الزبير قال حدثنا عبد الرحمن بن غرير الزهري قال: أنشدت أبا السائب المخزومي قول ابن قيس الرقيات:

قد أتانا من آل سعدى رسول　　　حبذا ما يقول لي وأقول

من فتاةٍ كأنها قرن شمسٍ　　　ضاق عنها دمالجٌ وحجول

حبذا ليلتي بمزة كلبٍ　　　غال عني بها الكوانين غول

فقال لي: يابن الأمير ما تراه كان يقول وتقول؟ فقلت:

حديثاً كما يسري الندى لو سمعته　　　شفاك من "أدواءٍ كثيرٍ وأسقما

فطرب وقال بأبي أنت وأمي؛ ما زلت أحبك، ولقد أضعف حبي إياك حين تفهم عني هذا الفهم.

غنى في هذه الأبيات ابن سريج ثقيلاً أول بالوسطى. ولمالكٍ فيها ثاني ثقيلٍ، كلاهما عن الهشامي.

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي صهر المبرد قال حدثني طلحة بن عبد الله أبو إسحاق الطلحي فال

حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان قال: أنشد أشعب بن جبير أبي أبيات عبيد الله بن قيس الرقيات التي يقول فيها:

قد أتانا من آل سعنى رسول حبذا ما يقول لي وأقول

فقال أبي: ويحك يا أشعب ما تراه قال وقالت له؟ فقال:

حديثاً لو أن اللحم يصلي بحره غريضاً أتى أصحابه وهو منضج

ذكر شوقاً ووصف توقاً، ووعد ووفى، والتقيا بمزة كلب فشفى واشتفى، فذلك قوله:

حبذا ليلتي بمزة كلبٍ غال عني بها الكوانين غول

فقال له: إنك لعلامة بهذه الأحوال؛ قال أجل بأبي أنت فاسأل عالما عن علمه.

ومما في المائة الصوت المختارة من شعر عبيد الله بن قيس الرقيات.

يا قلب ويحك لا تذهب بك الحرق إن الألى كنت تهواهم قد انطلقوا

وذكر أنه لوضاح، وقد أخرج في موضع آخر.

ذكر مالك بن أبي السمح وأخباره

نسبه

هو مالك بن أبي السمح. واسم أبي السمح جابر بن ثعلبة الطائي أحد بني ثعل ثم أحد بني عمرو بن درماء. ويكنى أبا الوليد. وأمه قرشية من بني مخزوم، وقيل: بل أم أبيه منهم، وهو الصحيح. وقال ابن الكلبي: هو مالك بن أبي السمح بن سليمان بن أوس بن سماك بن سعد بن أوس بن عمرو بن درماء أحد بني ثعل. وأم أبيه بنت مدرك بن عوف بن عبيد بن عمرو بن مخزوم.

وكان أبوه منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ويتيماً في حجره أوصى به أبوه إليه، فكان ابن جعفر يكفله ويمونه، وأدخله وسائر إخوته في دعوة بني هاشم، فهم معهم إلى اليوم. وكان أحول طويلاً أحنى. قال الوليد بن يزيد فيه يعارض الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب في قوله فيه:

أبيض كالبدر أو كما يلمع آلي سارق في حالكٍ من الظلم

فقال له الوليد: بل أنت.

أحول كالقرد أو كما يرقب آلي سارق في حالكٍ من الظلم

أساتذته في الغناء

وأخذ الغناء عن جميلة ومعبد وعمر حتى أدرك الدولة العباسة، وكان اقطعاً إلى بني سليمان بن علي، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور.

السبب في انقطاع أبي السمح إلى ابن جعفر

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد: قرأت على أبي: أن السبب في انقطاع أبي السمح إلى ابن جعفر أن السنة أقحمت بطيئاً، فكان ثعلبة جد مالك أحدهم، فولد أبو السمح بالمدينة؛ وكان صديقاً للحسين بن عبد الله الهاشمي، وكان سبب ذلك مودةً كانت بينه وبين آل شعيب السهميين؛ فلما تزوج حسين عابدة بنت شعيب السهمية خاصمهم بسببها؛ وكان جد مالك معه وعوناً له مع من عاونه، فنشبت بذلك حالٌ بينه وبين بني هاشم، حتى ولد مالك في دورهم، فصارت دعوته فيهم.
وعمر مالك حتى أدرك دولة بني العباسأخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد: قرأت على أبي:

عمّر حتى أدرك دولة بني العباس

وقدم على سليمان بن علي بالبصرة، فمت إليه بخؤولته في قريش، ودعوته لبني هاشم، وانقطاعه إلى ابن جعفر، فعجل له سليمان صلته وكساه وكتب له بأوساقٍ من تمر.

تعلمه الغناء على يد معبد

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني القاسم بن يوسف قال أخبرني الورداني قال: كان مالك بن أبي السمح المغني من طيء، فأصابتهم حطمةٌ في بلادهم بالجبلين، فقدمت به أمه وبإخوةٍ له وأخواتٍ أيتامٍ لا شيء لهم؛ فكان يسأل الناس على باب حمزة بن عبد الله بن الزبير، وكان معبدٌ منقطعاً إلى حمزة يكون عنده في كل يوم يغنيه؛ فسمع مالك غناءه فأعجبه واشتهاه، فكان لا يفارق باب حمزة يسمع غناء معبد إلى الليل، فلا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئاً ولا يريم موضعه، فينصرف إلى أمه ولم يكتسب شيئاً، فتضربه، وهو مع ذلك يترنم بألحان معبد ويؤديها دوراً دوراً في مواضع صيحاته وإسجاحاته ونبراته نغماً بغير لفظ ولا رواية شيء من الشعر؛ وجعل حمزة كلما غدا وراح رآه ملازماً لبابه؛ فقال لغلامه يوماً: أدخل هذا الغلام الأعرابي إلي؛ فأدخله؛ فقال له: من أنت؟ فقال: أنا غلام من طيء أصابتنا حطمةٌ بالجبلين فحطتنا إليكم ومعي أم لي وإخوةٌ، وإني لزمت بابك فسمعت من دارك صوتاً أعجبني، فلزمت بابك من أجله؛ قال: فهل تعرف منه شيئاً؟
قال: أعرف لحنه كله ولا أعرف الشعر؛ فقال: إن كنت صادقاً إنك لفهمٌ. ودعا بمعبد فأمره أن يغني صوتاً فغناه، ثم قال لمالك: هل تستطيع أن تقوله؟ قال نعم، قال: هاته؛ فاندفع فغناه فأدى نغمه بغير شعر، يؤدي مداته

ولياته وعطفاته ونبراته وتعليقاته لا يخرم حرفاً؛ فقال لمعبد: خذ هذا الغلام إليك وخرجه، فليكونن له شأن؛ قال معبد: و لم أفعل ذلك؟ قال: لتكون محاسنه منسوبة إليك، وإلا عدل إلى غيرك فكانت محاسنه منسوبة إليه؛ فقال: صدق الأمير، وأنا أفعل ما أمرتني به. ثم قال حمزة لمالكٍ: كيف وجدت ملازمتك لبابنا؟ قال أرأيت لو قلت فيك غير الذي أنت له مستحقٌ من الباطل أكنت ترضى بذلك؟ قال لا. قال: وكذلك لا يسرك أن تحمد بما لم تفعل؛ قال نعم؛ قال: فوالله ما شبعت على بابك شبعةً قط ولا انقلبت منه إلى أهلي بخير؛ فأمر له ولأمه ولإخوته بمترل، وأجرى لهم رزقاً وكسوة، وأمر لهم بخادم يخدمهم وعبدٍ يسقيهم الماء، وأجلس مالكاً معه في مجالسه، وأمر معبداً أن يطارحه، فلم ينشب أن مهر وحذق؛ وكان ذلك بعقب مقتل هدبة بن خشرم فخرج مالك يوماً فسمع امرأة تنوح على زيادة الذي قتله هدبة بن خشرم بشعر أخي زيادة:

أبعد الذي بالنعف نعف كويكبٍ رهينة رمسٍ في تراب وجندل
أذكر بالبقيا على من أصابني وبقياي أني جاهدٌ غير مؤتلي
فلا يدعني قومي لزيد بن مالك لئن لم أعجل ضربةً أو أعجل
وإلا أنل ثأري من اليوم أو غدٍ بني عمنا فالدهر ذو متطول
أتختم علينا كلكل الحرب مرةً فنحن منيخوها عليكم بكلكل

فغنى في هذا الشعر لحنين، أحدهما نحا فيه نحو المرأة في نوحها ورققه وأصلحه وزاد فيه، والآخر نحا فيه نحو معبد في غنائه؛ ثم دخل على حمزة فقال له: أيها الأمير، إني قد صنعت غناءً في شعر سمعت بعض أهل المدينة ينشده وقد أعجبني، فإن أذن الأمير غنيته فيه؛ قال: هاته، فغناه اللحن الني نحا فيه نحو معبد؛ فطرب حمزة وقال له: أحسنت يا غلام، هذا الغناء غناء معبد وطريقته؛ فقال: لا تعجل أيها الأمير واسمع مني شيئاً ليس من غناء معبد ولا طريقته؛ قال: هات، فغناه اللحن الذي تشبه فيه بنوح المرأة، فطرب حمزة حتى ألقى عليه حلة كانت عليه قيمتها مائتا دينار؛ ودخل معبد فرأى حلة حمزة عليه فأنكرها؛ وعلم حمزة بذلك فأخبر معبداً بالسبب، وأمر مالكاً فغناه الصوتين؛ فغضب معبد لما سمع الصوت الأول وقال: قد كرهت أن آخذ هذا الغلام فيتعلم غنائي فيدعيه لنفسه؛ فقال له حمزة: لا تعجل واسمع غناءً صنعه ليس من شأنك ولا غنائك، وأمره أن يغني الصوت الآخر فغناه؛ فأطرق معبد؛ فقال له حمزة: والله لو انفرد بهذا لضاهاك ثم يتزايد على الأيام، وكلما كبر وزاد شخت أنت ونقصت، فلأن يكون منسوباً إليك أجمل؛ فقال له معبد وهو منكسر: صدق الأمير. فأمر حمزة لمعبد بخلعة من ثيابه وجائزةٍ حتى سكن وطابت نفسه؛ فقام مالك على رجله فقبل رأس معبد، وقال له: يا أبا عبادٍ أساءك ما سمعت مني؟ والله لا أغني لنفسي شيئاً أبداً ما دمت حياً، وإن غلبتني نفسي فغنيت في شعر استحسنته لا نسبته إلا إليك، فطب نفساً وارض عني؛ فقال له معبد: أو تفعل هذا وتفي به؟ قال: إي والله

وأزيد؛ فكان مالك بعد ذلك إذا غنى صوتاً وسئل عنه قال: هذا لمعبد، ما غنيت لنفسي شيئاً قط، وإنما آخذ غناء معبد فأنقله إلى الأشعار وأحسنه وأزيد فيه وأنقص منه.

الغناء ليلة الجمعة

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثنا الحسن بت عتبة اللهبي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله أحد بني الحارث بن عبد المطلب قال: خرجت من مكة أريد العراق، فحملت معي مالك بن أبي السمح من المدينة، وذلك في أيام أبي العباس السفاح، فكان إذا كانت عشية الخميس قال لنا: يا معشر الرفقة إن الليلة ليلة الجمعة وأنا أعلم أنكم تسألوني الغناء، وعلي وعلي إن غنيت ليلة الجمعة، فإن أردتم شيئاً فالساعة اقترحوا ما أحببتم؛ فنسأله فيغنينا، حتى إذا كادت الشمس أن تغيب طرب ثم صاح: الحريق في دار شلمغان، ثم يمر في الغناء فما يكون في ليلة أكثر غناءً منه في تلك الليلة بعد الأيمان المغلظة.

حسرة من لم يسمع غناءه

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان سليمان بن علي يسمع من مالك بن أبي السمح بالسراة، لأنه كان إذا قدم الشأم على الوليد بن يزيد، عدل إليهم في بدأته وعودته لانقطاعه إليهم، فيبرونه ويصلونه. فلما أفضى إليهم الأمر رأى سليمان مالكاً على باب ابنه جعفر؛ فقال له: يا بني، لقد رأيت ببابك أشبه الناس بمالك؛ فقال له جعفر: ومن مالكٌ؟ - يوهمه أنه لا يعرفه - فتغافل عنه سليمان لئلا ينبهه عليه فيطلبه، وتوهم أنه لم يعرفه ولا سمع غناءه. قال حماد: وحدثني أبي عن جدي إبراهيم أنه أخبره أنه رأى مالكاً بالبصرة على باب جعفر بن سليمان، أو أخيه محمد، و لم يعرفه، فسأل عنه بعد ذلك فعرفه وقد كان خرج عن البصرة، قال: فمالي حسرةٌ مثل حسرتي بأني ماسمعت غناءه.

سبب دخوله في دعوة بني هاشم

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى قال: كان مالك بن أبي السمح يتيماً في حجر عبد الله بن جعفر، وكان أبوه أبو السمح صار إلى عبد الله بن جعفر وانقطع إليه، فلما احتضر أوصى بمالك إليه، فكفله وعاله ورباه، وأدخله في دعوة بني هاشم، فهو فيهم إلى اليوم. ثم خطب حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس العابدة بنت شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، فمنعه بعض أهلها منها وخطبها لنفسه، فعاون مالكٌ حسيناً، وكانت العابدة تستنصحه، وكانت بين أبيها شعيب وبينه مودةٌ، فأجابت حسيناً وتزوجته، فانقطع مالكٌ إلى حسين؛ فلما أفضى الأمر إلى بني هاشم قدم البصرة على

سليمان بن علي، فلما دخك إليه مت بصحبته عبد الله بن جعفر ودعوته في بني هاشم وانقطاعه إلى حسين، فقال له سليمان: أنا عارفٌ بكل ما قلته يا مالك، ولكنك كما تعلم، وأخاف أن تفسد علي أولادي، وأنا واصلك ومعطيك ما تريد وجاعل لك شيئاً أبعث به إليك ما دمت حيا في كل عام، على أن تخرج عن البصرة وترجع إلى بلدك، قال: أفعل جعلني الله فداك؛ فأمر له بجائزة وكسوة وحمله وزوده إلى المدينة.

مالك في حمام المدينة

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني محمد بن هارن بن جناح قال أخبرني يعقوب بن إبراهيم الكوفي عمن أخبره قال: دخلت المدينة حاجا فدخلت الحمام، فبينا أنا فيه إذ دخل صاحب الحمام فغسله ونظفه، ثم دخل شيخ أعمى له هيئةٌ، مؤتزرٌ بمنديل أبيض؛ فلما جلس خرجت إلى صاحب الحمام فقلت له: من هذا الشيخ؟ قال: هذا مالك بن أبي السمح المغني، فدخلت عليه فقلت له: يا عماه، من أحسن الناس غناءً؟ فقال: يابن أخي، "على الخبير سقطت"، أحسن الناس غناء أحسنهم صوتاً.
أخبرني عمي قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني أبو يحيى العبادي عن إسحاق قال: كان فتيةٌ من قريش جلوساً في مجلس، فمر بهم مالك بن أبي السمح، فقال بعضهم لبعض: لو سألنا مالكاً فغنانا صوتاً فقام إليه بعضهم فسأله الترول عندهم، فعدل إليهم؛ فسألوه أن يغنيهم؛ فقال: نعم والله بالحب والكرامة، ثم اندفع يغني، وأوقع بالمقرعة على قربوس سرجه، فرفع صوته فلم يقدر، ثم خفضه فلم يقدر، فجعل يبكي ويقول: واشباباه.
أخبرني عمي قال حدثني هارون بن محمد عن الزبير بن بكار عن عمه عن جده أنه كان في هؤلاء الفتية الذين كانوا سألوه الغناء؛ وذكر باقي الخبر مثل ما ذكره إسحاق.
أخبرني عمي قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال حدثني صالح بن أبي الصقر قال: قدم مالك بن أبي السمح المغني البصرة، فلقيه عجاجة المخنث، وكان أشهر من بها من المخنثين، وقال له: فديتك يا أبا الوليد، إني كنت أحب أن ألقاك وأن أعرض عليك صوتاً من غنائك أخذته عن بعض المخنثين، فإن رأيت أن تترل عندي فعلت؛ فترل مالك عنده فبسط له المخنث جزد قطيفةٍ كانت عنده فجلس، ثم أخذ عجاجة الدف فغنى:

حب إن الخمار كان عليها ... شاهداً يوم زارت الجوشنيه
قد سبته بدلها حين جاءت ... تتهادى في مشيةٍ بختريه

فجعل مالك يقول له: ويلك من قال هذا لعنه الله ويحك من غنى هذا قبحه الله ويحك من روى عني هذا أخزاه الله ثم قام فركب وهو يضحك عجباً من عجاجة.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرني حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن جناح قال حدثني مصعب بن

عثمان قال حدثني عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير قال حدثني مالك بن أبي السمح قال: قدمنا على يزيد بن عبد الملك أول قدومنا عليه مع معبد وابن عائشة، فغنيناه ليلةً فأطربناه، فأمر لكل واحد منا بألف دينار وكتب لنا بها إلى كاتبه، فغدونا عليه بالكتاب؛ فلما رآه أنكره وقال: أيؤمر لمثلكم بألف دينار ألف دينار لا والله ولا حبا ولا كرامة. فرجعنا إلى يزيد فأخبرناه بمقالته وكررنا عليه؛ فقال: كأنه استنكر ذلك؟ فقلنا: نعم؛ فقال: مثله والله يستنكره ودعاه؛ فلما حضر ورآنا عنده استأمره فيها، فأطرق مستحيياً؛ وقال له: إني قد قلتها لهم ولا يجمل أن أرجع عما قلت، ولكن قطعها عليهم. قال مالك: فمات والله يزيد، وقد بقي لكل واحد منا أربعمائة دينار.

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد قال قرأت على أبي، وحدثنا الحسن بن محمد قال: لما انهزم عبد الله بن علي من أبي مسلم قدم البصرة، وكان عند سليمان بن علي، وكان مالك بن أبي السمح يومئذ بها، فاستزاره جعفر ومحمد فزارهما، وغناهما مالك في جوف الليل في دار سليمان بن علي، وبلغ الخبر سليمان، فدخل عليهم فعذل جعفراً ومحمداً، وقال: نحن نتوقع الطامة الكبرى وأنتم تسمعون الغناء فقالا: ألا تجلس وتسمع ففعل، فغناهم مالك:

ما كنت أول من خاس الزمان به ... قد منت ذا نجدةٍ أخشى وذا بأس

أنلغ أبا معبدٍ عني وإخوته ... شوقي إليهم وأحزاني ووسواسي

فخرج وتركهم و لم ينكر عليهم شيئاً.

وفي مالك بن أبي السمح يقول الحسين بن عبد الله، بن عبيد الله بن العباس:

لا عيش إلا بمالك بن أبي ال ... سسمح فلا تلحني ولا تلم

أبيض كالبدر أو كما يلمع ال ... بارق في حالك من الظلم

من ليس يعصيك إن رشدت ولا ... يهتك حق الإسلام والحرم

يصيب من لذة الكريم ولا ... يجهل آي الترخيص في اللمم

يا رب ليلٍ لنا كحاشية ال ... برد ويومٍ كذاك لم يدم

نعمت فيه ومالك بن أبي ال ... سمح الكريم الأخلاق والشيم

غناه مالكٌ في الأول والثاني والثالث رملا بالبنصر في مجراها - فيقال: إن مالكاً قال له: لا والله ولا إن غويت أيضاً أعصيك؛ ذكر ذلك الزبير عن عمه مصعب. ويقال: إنه قال هذه المقالة للوليد بن يزيد، فسر بذلك وأجزل صلته.

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد قال حدثني أبي قال قال ابن الكلبي: قال الوليد بن يزيد لمعبد قد آذتني ولولتك هذه، وقال لابن عائشة: قد آذاني استهلالك هذا، فانظرا لي رجلاً يكون مذهبه متوسطاً بين

مذهبيك؛ فقالا له: مالك بن أبي السمح؛ فكتب في إشخاصه إليه وسائر مغني الحجاز المذكورين؛ فلما قدم مالك على الوليد بن يزيد فيمن معه من المغنين نزل على الغمر بن يزيد، فأدخله على الوليد فغناه فلم يعجبه؛ فلما انصرف الغمر قال له: إن أمير المؤمنين لم يعجبه شيء من غنائك؛ فقال له: جعلني الله فداك؛ اطلب لي الإذن عليه مرةً واحدة، فإن أعجبه شيء مما أغنيه وإلا انصرفت إلى بلادي. فلما جلس الوليد في مجلس اللهو ذكره الغمر وطلب له الإذن، وقال له: إنه هابك فحصر؛ قال: فأذن له، فبعث إليه؛ فأمر مالكٌ الغلام فسقاه ثلاث صراحيات صرفاً؛ فخرج حتى دخل عليه يخطر في مشيته. وقال غير ابن الكلبي: إنه قال لفراش للوليد: اسقني عسا من شراب ولك دينار، فسقاه إياه وأعطاه الدينار؛ ثم قال له: زدني آخر فأزيدك آخر، ففعل حتى شرب ثلاثة، ثم دخل على الوليد يخطر في مشيته، فلما بلغ باب المجلس وقف ولم يسلم، وأخذ بحلقة الباب فقعقعها، ثم رفع صوته فغنى:

لا عيش إلا بمالك بن أبي السمح فلا تلحني ولا تلم

فطرب الوليد، ورفع يديه، حتى بدا إبطاه إليه مادا لهما، وقام فاعتنقه قائماً، وقال له: أدن يابن أخي، فدنا حتى اعتنقه؛ ثم أخذ في صوته ذلك، فلم يزالوا فيه أياماً، وأجزل صلته حين أراد الانصراف. قال: ولما أتى مالكٌ على قوله:

أبيض كالسيف أو كما يلمع ال بارق في حالكٍ من الظلم

قال له الوليد:

أحول كالقرد أو كما يرقب السارق في حالكٍ من الظلم

وكان مالك طويلاً أجنى فيه حولٌ. وقد قال قوم: إن مالكاً لم يصنع لحناً قط غير هذا - أعني: لا عيش إلا بمالك بن أبي السمح" - وإنه كان يأخذ غناء الناس فيزيد فيه وينقص منه وينسبه الناس إليه، وكان إسحاق ينكر ذلك غاية الإنكار، ويقول: غناء مالكٍ كله مذهبٌ واحد لا تباين فيه، ولو كان كما يقول الناس لاختلاف غناؤه، وإنما كان إذا غنى ألحان معبد الطوال حففها وحذف بعض نغمها، وقال: أطاله معبد ومططه، وحذفته أنا وحسنته، فأما ألا يكون صنع شيئاً فلا.

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد: قرأت على أبي وذكر بكار بن النبال: أن الوليد قال لمالك: هل تصنع الغناء؟ قال: لا، ولكني أزيد فيه وأنقص منه؛ فقال له: فأنت المحلي إذاً. قال إسحاق وذكر الحسن بن عتبة اللهبي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الهاشمي الحارثي الذي يقال له سنابل - وفيه يقول الشاعر:

فإن هي ضنت عنك أو حيل دونها فدعها وقل في ابن الكرام سنابل

- قال: خرجت من مكة أريد أبا العباس أمير المؤمنين، فمررت على المدينة فحملت معي مالك بن أبي السمح، فسألته يوماً عن بعض ما ينسب إليه من الغناء؛ فقال: يا أبا الفضل، عليه وعليه إن كان غنى صوتاً قط، ولكني

آخذه وأحسنه وأهيئه وأطيبه، فأصيب ويخطئون فينسب إلي. قال إسحاق: وليس الأمر هكذا، لمالكٍ صنعةٌ كثيرة حسنة، وصنعته تجري في أسلوب واحد، ويشبه بعضها بعضاً، ولو كان كما قيل لاختلف غناؤه. وقد قيل: إن مالكاً كان ينتفي من الصنعة لأن أكثر الأشراف هناك كانوا ينكرون عليه، فكان يتبدل به عند من يراه، وينكره عند من يذمه، لمحله في بني هاشم.

وأخبرني بخبر سنابل هذا محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني حمزة بن عتبة اللهبي عن سنابل، فذكر الخبر وخالف ما رواه إسحاق أن الحسن بن عتبة حدثه وحكاه عن حمزة بن عتبة أخيه.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن هشام بن الكلبي عن أبيه عن محمد بن يزيد الليثي قال: سئل مالك بن أبي السمح عن صنعته في:

لاح بالدير من أمامة نار

فقال: أخذته والله من خربنده بالشأم يسوق أحمرةً، فكان يترنم بهذا اللحن بلا كلام، فأخذته فكسوته هذا الشعر.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: نزل مالك بن أبي السمح عند رجل بمكة مخزومي، وكان له غلامٌ حائك، فأتاه آتٍ فقال: أما سمعت غناء غلامك الحائك؟ قال: لا أو يغني؟ قال: نعم بشعر لأبي دهبل الجمحي؛ فبعث إليه فأتاه، فقال: تغنه؛ فقال: ما أحسن ذاك إلا على حفي؛ فخرج مولاه ومعه مالكٌ إلى بيته، فلما جلس على حفه تغنى:

تطاول هذا الليل ما يتبلج

فأخذه مالكٌ عنه وغناه فنسبه الناس إليه؛ وكان يقول: والله ما غنيته قط ولا غناه إلا الحائك.

لاح بالدير من أمامة نار ... لمحب له بيثرب دار
قد تراها ولو تشاء من القر ... ب لأغناك عن نداها الشرار

الشعر للأحوص، ويقال: إنه لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت. والغناء لمالك بن أبي السمح ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وفيه لحن لمعبد ذكره إسحاق.

تطاول هذا الليل ما يتبلج ... وأعيت غواشي سكرتي ما تفرج
أبيت بهم ما أنام كأنما ... خلال ضلوعي جمرةٌ تتوهج
فطوراً أمني النفس من يكتم المنى ... وطوراً إذا ما لج بي الحمب أنشج

عروضه من الطويل، الشعر لأبي دهبل، والغناء لمالك بن أبي السمح ثقيل أول بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن جده قال: قال ابن عائشة: حضرت الوليد بن يزيد يوم قتل، وكان

معنا مالك بن أبي السمح وكان من أحمق الناس، فلما قتل الوليد قال: اهرب بنا؛ فقلت: وما يريدون منا؟ قال: وما يؤمنك أن يأخذوا رأسينا فيجعلوا رأسه بينهما ليحسنوا أمرهم بذلك؛ قال ابن عائشة: فما رأيت منه عقلاً قط قبل ذلك اليوم.

لما كبر كان يعلم ابنه الغناء: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال الزبير بن بكار حدثتني ظبية قالت: رأيت مالك بن أبي السمح وهو على منامته يلقى على ابنه وقد كبر وانقطع:

اعتاد هذا القلب بلباله　　　إذ قربت للبين أجماله

خودٌ إذا قامت إلى خدرها　　　قامت قطوف المشي مكساله

تفتر عن ذي أشرٍ باردٍ　　　عذبٍ إذا ما ذيق سلساله

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، ولمالك بن أبي السمح فيه ثلاثة ألحان: خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى، وثقيل أول بالوسطى مجراها جميعاً عن إسحاق، وخفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة، وقيل: إنه لابن سريج، وفيه رملٌ ينسب إلى ابن جامع وابن سريج.

أخبرني وكيع قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عبيدة: سمعت منشداً ينشد لنفسه يرثي مالكاً بهذه القصيدة:

يا مال إني قضت نفسي عليك وما　　　بيني وبينك من قربى ولا رحم

إلا الذي لك في قلبي خصصت به　　　من المودة في سترٍ وفي كرم

قال إسحاق قال أبو عبيدة: هو مالك بن أبي السمح. - انقضت أخباره -.

من رواية هارون بن الحسن بن سهل وابن المكي وأبي العبيس ومن روى جحظة عنه:

فإلا تجللها يعالوك فوقها　　　وكيف توقى ظهر ما أنت راكبه

هم قتلوه كي يكونوا مكانه　　　كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه

بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم　　　ولا تنهبوه لا تحل مناهبه

عروضه من الطويل. البيت الأول من الشعر لرجلٍ من بني نهد جاهلي، وباقي الأبيات للوليد بن عقبة بن أبي معيط. والغناء لابن محرز، ولحنه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن يونس وإسحاق، وهو اللحن المختار. وفيه للغريض ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لمعبد ثقيل أول آخر مطلق في مجرى الوسطى عن عمرو وعن الهشامي. وفيه لسلسل في الثاني والثالث ثقيل أول بالبنصر عن حبش، وفيه لعطرد خفيف ثقيل.

خبر الهندي في هذا الشعر

وخبر الوليد بن عقبة وقد مضى نسبه في أول الكتاب اخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عمي عن ابن الكلبي عن أبيه عن عبد الرحمن المدائني، وكان عالماً بأخبار قومه، قال وحدثنيه أبو ممسكين أيضاً، قالا: كان الحارث بن مارية الغساني الجفني مكرماً لزهير بن جناب الكلبي ينادمه ويحادثه، فقدم على الملك رجلان من بني نهد بن زيد يقال لهما حزنٌ وسهلٌ ابنا رزاح، وكان عندهما حديث من أحاديث العرب، فاجتباهما الملك ونزلا بالمكان الأثير منه، فحسدهما زهير بن جناب، فقال: أيها الملك، هما والله عينٌ لذي القرنين عليك "يعني المنذر الأكبر جد النعمان بن المنذر"، وهما يكتبان إليه بعورتك وخلل ما يريان منك؛ قال: كلا فلم يزل به زهير حتى أوغر صدره، وكان إذا ركب يبعث إليهما ببعيرين يركبان معه، فبعث إليهما بناقة واحدة؛ فعرفا الشر فلم يركب أحدهما وتوقف؛ فقاله له الآخر:

فإلا تجللها يعالوك فوقها وكيف توقى ظهر ما أنت راكبة

فركبها مع أخيه، ومضى بهما فقتلا، ثم بحث عن أمرهما بعد ذلك فوجده باطلاً فشتم زهيراً وطرده، فانصرف إلى بلاد قومه؛ وقدم رزاحٌ أبو الغلامين إلى الملك، وكان شيخاً عالماً مجرباً، فأكرمه الملك وأعطاه دية ابنيه؛ وبلغ زهيراً مكانه، فدعا ابناً له يقال له عامر، وكان من فتيان العرب لساناً وبياناً، فقال له: إن رزاحاً قد قدم على الملك، فالحق به واحتل في أن تكفينيه، وقال له: اذممني عند الملك ونل مني، وأثر به آثاراً فخرج الغلام حتى قدم الشأم، فتلطف للدخول على الملك حتى وصل إليه؛ فأعجبه ما رأى منه؛ فقال له: من أنت. قال: أنا عامر بن زهير بن جناب؛ قال: فلا حياك الله ولا حيا أباك الغادر الكذوب الساعي؛ فقال الغلام: نعم، فلا حياه الله؛ انظر أيها الملك ما صنع بظهري وأراه آثار الضرب؛ فقبل ذلك منه وأدخله في ندمائه؛ فبينا هو يحدثه يوماً إذ قال له: أيها الملك، إن أبي وإن كان مسيئاً فلست أدع أن أقول الحق، قد والله نصحك أبي، ثم أنشأ يقول:

فيا لك نصحةً لما نذقها أراها نصحةً ذهبت ضلالا

ثم تركه أياماً، وقال له بعد ذلك: أيها الملك، ما تقول في حية قد قطع ذنبها وبقي رأسها. قال: ذاك أبوك وصنيعه بالرجلين ما صنع؛ قال: أبيت اللعن والله ما قدم رزاحٌ إلا ليثأر بهما؛ فقال له: وما آية ذلك؟ قال: اسقه الخمر ثم ابعث إليه عيناً يأتك بخبره؛ فلما انتشى صرفه إلى قبته ومعه بنت له، وبعث عليه عيوناً؛ فلما دخل قبته قامت إليه اينته تسانده فقال:

دعيني من سنادك إن حزناً وسهلاً ليس بعدهما رقود

ألا تسلين عن شبلي ماذا أصابهما إذا اهترش الأسود

فإني لو ثأرت المرء حزناً وسهلاً قد بدا لك ما أريد

فرجع القوم. إلى الملك فأخبروه بما سمعوا، فأمر بقتل النهدي رزاحٍ، ورد زهيراً إلى موضعه.

وقد أنشدني محمد بن العباس اليزيدي قال: أنشدنا محمد بن حبيب أبيات الوليد هذه على الولاء، وهي:

ألا من لليل لا تغور كواكبه ... إذا لاح نجمٌ لاح نجم يراقبه

بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم ... ولا تنهبوه لا تحل مناهبه

بني هاشم لا تعجلوا بإقادةٍ ... سواءٌ علينا قاتلوه وسالبه

فقد يجبر العظم الكسير وينبري ... لذي الحق يوماً حقه فيطالبه

وإنا وإياكم وما كان منكم ... كصدع الصفا لا يرأب الصدع شاعبه

بني هاشم كيف التعاقد بيننا ... وعند علي سيفه وحرائبه

لعمرك لا أنسى ابن أروى وقتله ... وهل ينسين الماء ما عاش شاربه

هم قتلوه كي يكونوا مكانه ... كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه

وإني لمجتابٌ إليكم بجحفل ... يصم السميع جرسه وجلائبه

وقد أجاب الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب الوليد عن هذه الأبيات، وقيل: بل أبوه العباس بن عتبة المجيب له أيضاً. والجواب:

فلا تسألونا بالسلاح فإنه ... أضيع وألقاه لدى الروع صاحبه

وشبهته كسرى وقد كان مثله ... شبيهاً بكسرى هديه وعصائبه

ذكر أحمد بن المكي أن لابن مسجح فيه لحناً وأن لحنه من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى، وقال كغيره: إنه من منحول أبيه يحيى إلى ابن مسجح.

ذكر باقي خبر الوليد بن عقبة ونسبه

الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وقد مضى نسبه مع أخبار ابنه أبي قطيفة. ويكنى الوليد أبا وهب. وهو أخو عثمان بن عفان لأمه، أمهما أروى بنت كريز، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب. وكان من فتيان قريش وشعرائهم وشجعانهم وأجوادهم، وكان فاسقًا، وولي لعثمان رضي الله عنه الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص، فشرب الخمر وشهد عليه بذلك، فحده وعزله. وهو الذي يقول يرثي عثمان رضي الله عنه ويحرض معاوية:

والله ما هندٌ بأمك إن مضى النهار ولم يثأر بعثمان ثائر

أيقتل عبد القوم سيد أهله ... ولم تقتلوه ليت أمك عاقر

وإنا متى نقتلهم لايقد بهم ... مقيدٌ فقد دارت عليك الدوائر

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال: لم يكن يجلس مع عثمان رضي الله عنه على سريره إلا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب والحكم بن أبي العاصي والوليد بن عقبة، فأقبل الوليد يوماً فجلس، ثم أقبل الحكم، فلما رآه عثمان زحل له عن مجلسه، فلما قام الحكم قال له الوليد: والله يا أمير المؤمنين، لقد تلخلج في صمري بيتان قلتهما حين رأيتك آثرت عمك على ابن أمك؛ فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه: إنه شيخ قريش، فما البيتان اللذان قلتهما؟ قال قلت:

رأيت لعم المرء زلفى قرابةٍ   دوين أخيه حادثاً لم يكن قدما

فأملت عمراً أن يشب وخالدا   لكي يدعواني يوم مزحمةٍ عما

يعني عمراً وخالداً ابني عثمان. قال: فرق له عثمان، وقال له: قد وليتك العراق يعني الكوفة.

أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني بعض أصحابنا عن ابن دأب قال:

لما ولي عثمان رضي الله عنه الوليد بن عقبة الكوفة قدمها وعليها سعد بن أبي وقاص، فأخبر بقدومه؛ فقال: وما صنع؟ قال: وقف في السوق فهو يحدث الناس هناك ولسنا ننكر شيئاً من شأنه؛ فلم يلبث أن جاءه نصف النهار، فاستأذن على سعد فأذن له، فسلم عليه بالإمرة وجلس معه؛ فقال له سعد: ما أقدمك أبا وهب؟ قال: أحببت زيارتك؛ قال: وعلى ذلك أجئت بريداً؟ قال: أنا أرزن من ذلك، ولكن القوم احتاجوا إلى عملهم فسرحوني إليه، وقد استعملني أمير المؤمنين على الكوفة؛ فمكث طويلاً ثم قال: لا والله ما أدري أصلحت بعدنا أم فسدنا بعدك ثم قال:

خذيني فجريني ضباع وأبشري   بلحم امرىءٍ لم يشهد اليوم ناصره

فقال: أما والله لأنا أقول للشعر وأروى له منك، ولو شئت لأجبتك، ولكني أدع ذلك لما تعلم؛ نعم والله قد امرت بمحاسبتك والنظر في أمر عمالك؛ ثم بعث إلى عماله فحبسهم وضيق عليهم، فكتبوا إلى سعد يستغيثون، فكلمه فيهم؛ فقال له: أو للمعروف عندك موضع؟ قال: نعم والله فخلي سبيلهم.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر قال حدثنا جناد بن بشر قال: حدثني جرير عن مغيرة بنحوه.

قال أبو زيد عمر بن شبة أخبرنا أبو بكر الباهلي قال حدثنا هشيم عن العوام بن حوشب: أنه لما قدم على سعد قال له سعد: ما أدري أكست بعدنا أم حمقنا بعدك؟ فقال: لا تخزعن أبا إسحاق، فإنما هو الملك يتغداه قومٌ ويتعشاه آخرون؛ فقال له سعد: أراكم والله ستجعلونه ملكاً.

أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثني المدائني عن بشر بن عاصم عن الأعمش عن شقيق بن سلمة قال: قدم الوليد بن عقبة عاملاً لعثمان على الكوفة وعبد الله بن مسعود على بيت المال، وكان سعد قد أخذ مالاً، فقال الوليد لعبد الله: خذه بالمال، فكلمه عبد الله بمحضر من الوليد في ذلك؛ فقال سعد: آتى أمير المؤمنين، فإن أخذني به أديته. فغمز الوليد عبد الله، ونظر إليهما سعد فنهض وقال: فعلتماها ودعا الله أن يغري بينهما وأدى

المال.

أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال حدثنا هارون بن معروف قال حدثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب قال: صلى الوليد بن عقبة بأهل الكوفة الغداة أربع ركعات، ثم التفت إليهم فقال: أأزيدكم؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم.

أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا جرير عن الأجلح عن الشعبي في حديث الوليد بن عقبة حين شهدوا عليه قال: قال الحطيئة:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر

نادى وقد تمت صلاتهمأأزيدكم شكراً ومايدري

فأبوا أبا وهب ولو أذنوا لقرنت بين الشفع والوتر

كفوا عنانك إذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجري

وقال الحطيئة أيضاً:

تكلم في الصلاة وزاد فيها علانيةً وجاهر بالنفاق

ومج الخمر في سنن المصلي ونادى والجميع إلى افتراق

أزيدكم على أن تحمدوني ومالكم ومالي من خلاق

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال حماد بن إسحاق حدثني أبي قال ذكر أبو عبيدة وهشام بن الكلبي والأصمعي قالوا: كان الوليد بن عقبة زانياً شريب خمر، فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلي بهم الصبح في المسجد الجامع، فصلى بهم أربع ركعات، ثم التفت إليهم وقال لهم: أزيدكم؟ وتقيأ في المحراب، وقرأ بهم في الصلاة وهو رافع صوته:

علق القلب الزبابا بعد ما شابت وشابا

فشخص أهل الكوفة إلى عثمان، فأخبروه خبره وشهدوا عليه بشربه الخمر، فأتي به، فأمر رجلاً بضربه الحد؛ فلما دنا منه قال له: نشدتك الله وقرابتي من أمير المؤمنين فتركه؛ فخاف علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يعطل الحد، فقام إليه فحده؛ فقال له الوليد: نشدتك بالله وبالقرابة؛ فقال له علي: اسكت أبا وهب فإنما هلكت بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدود، فضربه وقال: لتدعوني قريشٌ بعد هذا جلادها. قال إسحاق: فأخبرني مصعب الزبيري قال: قال الوليد بن عقبة بعد ما جلد: اللهم إنهم شهدوا علي بزور، فلا ترضهم عن أمير ولا ترض عنهم أميراً. فقال الحطيئة يكذب عنه:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر

خلعوا عنانك إذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجري

ورأوا شمائل ماجدٍ أنف يعطي على الميسور والعسر

فنزعت مكذوباً عليك ولم تنزع إلى طمع ولافقر

فقال رجل من بني عجل يرد على الحطيئة:

نادى وقد تمت صلاتهمأأزيدكم ثملاً وما يدري

ليزيدهم خيراً ولو قبلوا لقرنت بين الشفع والوتر

فأبوا أبا وهب ولو فعلوا وصلت صلاتهم إلى العشر

وروى العباس ميمون طائع عن ابن عائشة قاد حدثني أبي قال: لما أحضر عثمان رضي الله عنه الوليد لأهل الكوفة في شرب الخمر، حضر الحطيئة فاستأذن على عثمان وعنده بنو أمية متوافرون، فطمعوا أن يأتي الوليد بعذر، فقال:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر

خلعوا عنانك إذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجري

ورأوا شمائل ماجدٍ أنف يعطي على الميسور والعسر

فنزعت مكذوباً عليك ولم تنزع إلى طمع ولا فقر

قال: فسروا بذلك وظنوا أن قد تام بعذره؛ فقال رجل من بني عجل يرد على الحطيئة:

نادى وقد تمت صلاتهمأأزيدكم ثملاً وما يدري

فأبوا أبا وهبٍ ولو فعلوا وصلت صلاتهم إلى العشر

في فوجم القوم وأطرقوا، فأمر به عثمان رضي الله تعالى عنه فحد.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي ال حدثني محمد بن الفضل من حفظه قال حدثنا عمر بن شبة من حفظه، ونسخت من كتاب لهارون ابن الزيات بخطه عن عمر بن شبة، وروايته أتم، فحكيت لفظه، قال: شهد رجل عند أبي العجاج، وكان على البصرة، على رجل من المعيطيين شهادة، وكان الرجل الشاهد سكران؛ فقال المشهود عليه وهو المعيطي: أعزك الله إنه لا يحسن أن يقرأ من السكر؛ فقال الشاهد: بلى إني لأحسن؛ فقال: اقرأ؛ فقال:

علق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا

قال: وإنما تماجن بذلك على المعيطي، ليحكى به ما صنع الوليد بن عقبة في محراب الكوفة وقد تقدم للصلاة وهو سكران، فأنشد في صلاته هذا الشعر؛ وكان أبو العجاج محمقاً فظن أن هذا قرآن، فقال: صدق الله ورسوله، ويلكم؛ فلم تعلمون ولا تعملون. ولقد روي أيضاً في الشهادة على الوليد في الشكر غير ما ذكر من زيادته في

الصلاة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال عرضت على المدائني عن مبارك بن سلام عن فطر بن خليفة عن أبي الضحى قال: كان أبو زينب الأزدي وأبو مورع يطلبان عثرة الوليد بن عقبة، فجاءا يوماً فلم يحضر الصلاة، فسألا عنه وتلطفا حتى علما أنه يشرب، فاقتحما عليه الدار فرجداه تقيء، فاحتملاه وهو سكران فوضعاه على سريره وأخذا خاتمه من يده، فأفاق فافتقد خاتمه فسأل عنه؛ فقالوا: لا ندري وقد رأينا رجلين دخلا الدار فاحتملاك فوضعاك على سريرك؛ فقال: صفوهما لي؛ فقالوا: أحدهما آدم طويلٌ حسن الوجه، والآخر عريض مربوع عليه خميصة؛ فقال: هذا أبو زينب وأبو موزع. ولقي أبو زينب وصاحبه عبد الله بن حبيش الأسدي وعلقمة بن يزيد البكري وغيرهما فأخبراهم، فقالوا: اشخصوا إلى أمير المؤمنين فأعلموه ة فقال بعضهم: لا يقبل قولنا في أخيه؛ فشخصوا إليه وقالوا: إنما جئناك في أمر ونحن مخرجوه إليك من أعناقنا، وقد قلنا: إنك لا تقبله، قال: وما هو؟ قالوا: رأينا الوليد وهو سكران من خمر قد شربها وهذا خاتمه أخذناه وهو لا يعقل؛ فأرسل إلى علي رضي الله تعالى عنه فشاوره؛ فقال: أرى أن تشخصه، فإن شهموا عليه بمخضرٍ منه حددته؛ فكتب عثمان رضي الله تعالى عنه إلى الوليد بن عقبة فقدم عليه، فشهد عليه أبو زينب وأبو مورع وجتدب الأسدي وسعد بن مالك الأشعري، و لم يشهد عليه إلا يمانٍ؛ فقال عثمان لعلي: قم فاضربه؛ فقال علي للحسن: قم فاضربه؛ فقال الحسن: مالك ولهذا يكفيك غيرك؛ فقال علي لعبد الله بن جعفر: قم فاضربه، فضربه بمخصرة فيها سيرٌ له رأسان، فلما بلغ أربعين قال له عليٌ: حسبك.

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا المدائني عن الوقاصي عن الزهري قال: خرج رهطٌ من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد، فقال: أكلما غضب رجل منكم على أميره رماه بالباطل لئن أصبحت لكم لأنكلن بكم؛ فاستجاروا بعائشة؛ وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة، فقال: أما يجد مراق أهل العراق وفساقهم ملجأ إلا بيت عائشة؛ فسمعت فرفعت نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: تركت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب هذه النعل؛ فتسامع الناس فجاؤوا حتى ملؤوا المسجد، فمن قائل: أحسنت، ومن قائل: ما للنساء وهذا حتى تحاصبوا وتضاربوا بالنعال؛ ودخل رهطٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان، فقالوا له: اتق الله ولا تعطل الحد، واعزل أخاك عنهم؛ فعزله عنهم.

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا المدائني عن أبي محمد الناجي عن مطر الوراق قال: قدم رجل المدينة فقال لعثمان رضي الله عنه: إني صليت الغداة خلف الوليد بن عقبة، فالتفت إلينا فقال: أأزيدكم؟ إني أجد اليوم نشاطاً، وأنا أشم منه رائحة الخم؛ فضرب عثمان الرجل؛ فقال الناس: عطلت الحدود وضربت الشهود.

أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثنا أبو بكر الباهلي عن بعض من حدثه قال: لما شهد على الوليد عند

عثمان بشرب الخمر كتب إليه يأمره بالشخوص، فخرج وخرج معه قوم يعذرونه، فيهم عدي بن حاتم، فنزل الوليد يوماً يسوق بهم، فقال يرتجز:

لا تحسبنا قد نسينا الإيجاف والنشوات من عتيق أو صاف

وعزف قيناتٍ علينا عزاف

فقال عدي: إلى أين تذهب بنا أقم.

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال عرضت على المدائني عن قيس بن الربيع عن الأجلح عن الشعبي عن جندب قال: كنت فيمن شهد على الوليد، فلما استتممنا عليه الشهادة حبسه عثمان، ثم ذكر باقي خبره وضرب علي عليه السلام إياه، وقول الحسن: ما لك ولهذا، فزاد فيه: فقال له علي: لست إذا مسلماً، أو من المسلمين. حدثنا إبراهيم بن عبد الله المخزومي قال حدثنا سعيد بن محمد المخزومي قال حدثنا ابن علية قال حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن عبد الله الداناج قال سمعت الحضين بن المنذر أبا ساسان يحدث، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن حاتم قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن علية قال حدثنا سعيد بن أبي عروبة قال حدثنا عبد الله الداناج عن حضين أبي ساسان قال: لما جيء بالوليد بن عقبة إلى عثمان بن عفان وقد شهدوا عليه بشرب الخمر، قال لعلي: دونك ابن عمك فأقم عليه الحد؛ فأمر به فجلد أربعين. ثم ذكر نحو هذا الحديث وقال فيه: فقال علي للحسن: بل ضعفت ووهنت، وعجزت، قم يا عبد الله بن جعفر، فقام فجلده وعلي يعد حتى بلغ أربعين، فقال علي: أمسك، جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وأتمها عمر ثمانين، وكلٌّ سنة.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر قال حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد قال: لما ضرب عثمان الوليد الحد قال: إنك لتضربني اليوم بشهادة قوم ليقتلنك عاماً قابلاً.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله قال أخبرني محمد بن حبيب عن ابن الاعرابي قال وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد، وأخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم، قالوا جميعاً: كان أبو زبيد الطائي نديماً للوليد بن عقبة ألام ولايته الكوفة، فلما شهد عليه بالسكر من الخمر وخرح من الكوفة قال أبو زبيد - واللفظ في القصيدة لليزيدي لأنها في روايته أتم -:

من يرى العير لابن أروى على ظه ر المروري حداتهن عجال

مصعداتٍ والبيت بيت أبي وه بٍ خلاءٌ تحن فيه الشمال

يعرف الجاهل المضلل أن الدهر فيه النكراء والزلزال

ليت شعري كذاكم العهد أم كا نوا أناساً كمن يزول فزالوا

بعد ما تعلمين يا أم زيدٍ كان فيهم عزٌ لنا وجمال

ووجوهٌ بودنا مشرقاتٌ ونوالٌ إذا أريد النوال

أصبح البيت قد تبدل بالحي وجوهاً كأنها الأقتال

كل شيء يحتال فيه الرجال غير أن ليس للمنايا احتيال

ولعمر الإله لو كان للسي ف مصالٌ أو للسان مقال

ما تناسيتك الصفاء ولا الود ولاحال دونك الأشغال

ولحرمت لحمك المتعضى ضلةً ضل حلمهم ما اغتالوا

قولهم شربلث الحرام وقد كا ن شرابٌ سوى الحرام حلال

وأبى الظاهر العداوة إلا شنآناً وقول مالا يقال

من رجالٍ تقارضوا منكراتٍ لينالوا الذي أرادوا فنالوا

غير ما طالبين ذحلاً ولكن قال دهر على أناس فمالوا

من يخنك الصفاء أو يتبدل أو يزل مثل ما تزول الظلال

فاعلمن أنني أخوك أخو الود حياتي حتى تزول الجبال

ليس بخلاً عليك عندي بمالٍ أبداً ما أقل نعلاً قبال

ولك النصر باللسان وبالكف إذا كان لليدين مصال

من يرى العير لابن أروى على ظه ر المروري حداتهن عجال

مصعداتٍ والبيت بيت أبي وه بٍ خلاءٌ تحن فيه الشمال

عروضه من الخفيف. المروري: جمع مروراة وهي الصحراء. غنى الدلال فيه خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وغيره.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال: لما قدم الوليد بن عقبة الكوفة قدم عليه أبو زبيد، فأنزله دار عقيل بن أبي طالب على باب المسجد وهي دار القبطي، فكان مما احتج به عليه أهل الكوفة أن أبا زبيد كان يخرج إليه من داره يخترق المسجد وهو نصراني فيجعله طريقاً.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال "حدثني عمي عبيد الله عن أبي حبيب بن جبلة عن ابن الأعرابي: أن أبا زبيد وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة، فأنزله الوليد داراً لعقيل بن أبي طالب على باب المسجد،

فاستوهبها منه فوهبها له، فكان ذلك أول الطعن عليه من أهل الكوفة؛ لأن أبا زبيد كان يخرج من منزله حتى يشق الجامع إلى الوليد، فيسمر عنه ويشرب معه ويخرج فيشق المسجد وهو سكران، فذلك نبههم عليه.

قال: وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ولي الوليد بن عقبة صدقات بني تغلب، فبلغه عنه بيتٌ قاله وهو:

إذا ما شددت الرأس مني بمشوذٍ فغيك مني تغلب بنة وائل

وكان أبو زبيد قد استودع بني كنانة بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب إبلاً فلم يردوها عليه حين طلبها، وكانت بنو تغلب أخوال أبي زبيد، فوجد الوليد بني تغلب ظالمين لأبي زبيد، فأخذ له الوليد بحقه؛ فقال يمدح الوليد:

يا ليت شعري بأنباءٍ أنبؤها قد كان يعيا بها صدري وتقديري

عن امرىء مايزده الله من شرفٍ أفرخ به ومري غير مسرور

يعني مري بن أوس بن حارثة بن لأم. وهي طويلة يقول فيها:

إن الوليد له عندي وحق له ود الخليل ونصحٌ غير مذخور

لقد رعاني وأدناني وأظهرني على الأعادي بنصرٍ غير تعذير

فشذب القوم عني غير مكترثٍ حتى تناهوا على رغم وتصغير

نفسي فداء أبي وهبٍ وقل له يا أم عمرو فحلي اليوم أو سيري

وفي رواية ابن حبيب: "يا أم زيد"، يعني: يا أم أبي زبيد.

أخبرني محمد بن العباس عن عمه عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: كان الوليد بن عقبة قد استعمل الزبيع بن مري بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي على الحمى فيما بين الجزيرة وظفر الحيرة، فأجدبت الجزيرة، وكان أبو زبيد في تغلب، فخرج بهم ليرعيهم؛ فأبى عليه الأوسي وقال: إن شئت أن ارعيك وحدك فعلت وإلا فلا؛ فأتى أبو زبيد الوليد بن عقبة، فأعطاه ما بين القصور الحمر من الشأم إلى القصور الحمر من الحيرة وجعله له حمى، وأخذها من الآخر. هكذا روى ابن حبيب. وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال: كانت الجنينة في يد مري بن أوس، فلما قدم الوليد بن عقبة الكوفة انتزعها منه ودفعها إلى أبي زبيد. والقول الأول أصح، وشعر أبي زبيد يدل عليه في قوله في الوليد بن عقبة يمدحه:

لعمر أبيك يابن أبي مري لغيرك من أباح لها الديارا

أباح لها أبارق ذات نور ترعى القف منها والعرارا

بحمد الله ثم فتى قريشٍ أبي وهبٍ غدت بطناً غزارا

أياح لها ول ايحمى عليها إذا ما كنتم سنةً جزارا

يريد جزراً من الجدب والشدة.

فتى طالت يداه إلى المعالي وطحطحتا المقطعة القصارا

وهي أبيات.

قال عمر بن شبة في خبره خاصة: فلما عزل الوليد ووليها سعيد انتزعها منه وأخرجها من يده؛ فقال:

ولقد مت غير أني حيٌ يوم بانت بودها خنساء

من بني عامر لها شق نفسي قسمةً مثل ما يشق الرداء

أشربت لون صفرةٍ في بياضٍ وهي في ذاك لدنةٌ غيداء

كل عينٍ ممن يراها من النا س إليها مديمةٌ حولاء

فانتهوا إن للشدائد أهلاً وذروا ما تزين الأهواء

ليت شعري وأبن مني ليتٌ إن ليتاً وإن لوًا عناء

أي ساعٍ سعى ليقطع شربي حين لاحت للصابح الجوزاء

واستظل العصفور كرهاً مع الضب وأوفى في عوده الحرباء

ونفى الجندب الحصا بكراعي ه وأذكت نيرانها المعزاء

من سموم كأنها حر نارٍ سفعتها ظهيرةٌ غراء

وإذا أهل بلدةٍ أنكروني عرفتني الدوية الملساء

عرفت ناقتي الشمائل مني فهي إلا بغامها خرساء

عرفت ليلها الطويل وليلي إن ذا الليل للعيون غطاء

أي ساع سعى ليقطع شربي حين لاحت للصابح الجوزاء

واستكن العصفور كرهاً مع الضب وأوفى في عوده الحرباء

وإذا الدار أهلها أنكروني عرفتني الدوية الملساء

عرفت ناقتي الشمائل مني فهي إل ابغامها خرساء

عرفت ليلها الطويل وليلي إن ذا الليل للعيون غطاء

عروضه من الخفيف. غناه ابن سريج خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وغنى داود بن العباس الهاشمي في الخامس ثم الثالث خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.

قال ابن حبيب في خبره: وقال أبو زبيد يشوق إلى الوليد لما خرج عن الكوفة:

لعمري لئن أمسى الوليد ببلدةٍ سواي لقد أمسيت للدهر معورا

قال ابن حبي: "ويروي سوي لقد" وهي لغة طيء.

خلا أن رزق الله غادٍ ورائحٌ وأني له راجٍ وإن سرت أشهرا

وكان هو الحصن الذي ليس مسلمي إذا أن ابالنكراء هيجت معشرا

إذا صادفوا دوني الوليد كأنما يرون بوادي ذي حماسٍ مزعفرا

خضيب بنان ما يزال براكب يخب وضاحي جلده قد تقشرا

وهي طويلة.

حدثني إسحاق بن بنان الأنماطي قال حدثنا حبيش بن مبشر قال حدثنا عبيد الله بن موسى قال حدثنا ابن أبي ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال الوليد بن عقبة لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: أنا أحد منك سناناً، وأبسط منك لساناً، وأملأ للكتيبة طعاناً، فقال له علي رضي الله تعالى عنه: اسكت فإنما أنت فاسق، فترل القرآن: "أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون" أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن حاتم قال حدثنا يونس بن محمد قال حدثنا شيبان عن قتادة في قوله تعالى: "إن جاءكم فاسقٌ بنبإٍ" قال: هذا ابن أبي معيط الوليد بن عقبة، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق مصدقاً، فلما رأوه أقبلوا نحوه فهابهم؛ فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أهم قد ارتدوا عن الإسلام فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل؛ فانطلق حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونه؛ فلما جاؤوه أخبروه بأهم متمسكون بالإسلام وسمعوا أذاهم وصلاتهم؛ فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يعجبه، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبيد الله بن موسى قال حدثنا نعيم بن حكيم عن أبي مريم عن علي:

أن امرأة الوليد بن عقبة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تشتكي الوليد وقالت: إنه يضربها؛ فقال لها: "ارجعي وقولي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجارني"، فانطلقت فمكثت ساعة، ثم رجعت فقالت: ما أقلع عني؟ فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم هدبةً من ثوبه ثم قال: "امضي بهذا ثم قولي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجارني"؛ فانطلقت فمكثت ساعة ثم رجعت فقالت: يا رسول الله ما زادني إلا ضرباً؛ فرفع يديه وقال: لا اللهم عليك الوليد" مرتين أو ثلاثاً.

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شثة، وحدثني أبو عبيد الصيرفي قال حدثني الفضل بن الحسن البصري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أيوب بن عمر قال حدثنا عمر بن أيوب قال حدثنا جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج عن أبي موسى عبد الله الهمداني: أن الوليد بن عقبة قال: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسح على رؤوسهم، فجيء بي إليه وأنا مخلق فلم يمسسني، وما منعه إلا أن أمي خلقتني بخلوق فلم يمسسني من أجل الخلوق.

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا خلف بن الوليد قال حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن: أن الوليد بن عقبة كان عنده ساحرٌ يريه كتيبتين تقتتلان، فتحمل إحداهما على الأخرى فتهزمها؛ فقال له الساحر: أيسرك أن أريك هذه المنهزمة تغلب الغالبة فتهزمها؟ قال: نعم؛ وأخبر جندبٌ بذلك، فاشتمل على السيف ثم جاء فقال: أفرجوا، فضربه حتى قتله، ففزع الناس وخرجوا؛ فقال: يا أيها الناس لا عليكم، إنما قتلت هذا الساحر لئلا يفتنكم في دينكم، فحبسه قليلاً ثم تركه.

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عمر بن سعيد الدمشقي، وحدثنا سعيد بن عبد العزيز عن الزهري: أن رجلاً من الأنصار نظر إلى رجل يستعلن بالسحر، فقال: أو إن السحر ليعلن به في دين محمد فقتله؛ فأتي به الوليد بن عقبة فحبسه؛ فقال له دينار بن دينار: فيم حبست؟ فأخبره فخلي سبيله؛ فأرسل الوليد إلى دينار فقتله.

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا حماد بن سلمة قال حدثنا أبو عمران الجوني: أن ساحراً كان عند الوليد بن عقبة، فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج منه؛ فرآه جندبٌ، فذهب إلى بيته فاشتمل على سيف، فلما دخل الساحر في جوف البقرة، قال: أتأتون السحر وأنتم تبصرون، ثم ضرب وسط البقرة فقطعها وقطع الساحر في البقرة فانذعر الناس، فسجنه الوليد وكتب بذلك إلى عثمان رضي الله عنه؛ وكان السجان يفتح له الباب بالليل فيذهب إلى أهله فإذا أصبح دخل السجن.

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا حجاج بن نصير قال حدثنا قرة عن محمد بن سيرين قال: انطلق بجندب بن كعب إلى سجن خارج من الكوفة وعلى السجن رجلٌ نصراني، فلما رأى جندب بن كعب يصوم النهار ويقوم الليل، قال النصراني: والله إن قوماً هذا شرهم لقوم صدقٍ؛ فوكل بالسجن رجلاً ودخل الكوفة فسأل عن أفضل أهل الكوفة، فقالوا: الأشعث بن قيس فاستضافه، فجعل يرى أبا محمد ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه؛ فخرج من عنده فسأل: أي أهل الكوفة أفضل. فقالوا: جرير بن عبد الله، فوجده ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه، فاستقبل القبلة ثم قال: ربي رب جندب وديني على دين جندب، وأسلم.

حدثني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا الخزاز عن المدائني عن علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان عن الزهري وغيره، قالوا:

لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق، نزل رجلٌ فساق بالقوم ورجز، ثم نزل آخر

فساق بالقوم ورجز، ثم بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يواسي أصحابه، فترل فجعل يقول: "جندبٌ وما جندب والأقطع الخير زيد"؛ فدنا منه أصحابه وقالوا: يا رسول الله ما ينفعنا مشيك مخافة أن تلسعك دابة الأرض أو تصيبك نكبةٌ فركب ودنوا منه فقالوا: لقد قلت قولاً ما ندري ما هو؟ قال: "وما ذاك"؟: قالوا: قولك "جندب وما جندب والأقطع الخير زيد"؛ فقال: "رجلان يكونان في هذه الأمة يضرب أحدهما ضربة يفرق بين الحق والباطل وتقطع يد الآخر في سبيل الله فيتبع الله آخر جسده بأوله"؛ فكان زيد بن صوحان، قطعت يده يوم جلولاء وقتل يوم الجمل مع علي. وأما جندب فإنه رجل دخل على الوليد بن عقبة وعنده ساحرٌ يكنى أبا شيبان يأخذ أعين الناس فيخرج مصارين بطنه ثم يعيدها فيه؛ فجاء من خلفه فقتله، وقال:

العن وليداً وأبا شيبان وابن حبيش راكب الشيطان

رسول فرعون إلى هامان

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثني ابن وهب عن يونس عن الزهري قال: نزع عثمان بن عفان الوليد بن عقبة عن الكوفة وأمر عليها سعيد بن العاص. قال أبو زيد: فحدثني عبد الله بن عبد الرحمن قال حدثنا سعيد بن جامع الهجيمي قال: لما أقبل سعيد من المدينة عامداً للكوفة بعد ما خرج والياً لعثمان جعل يرتجز في طريقه:

ويل نسيات العراق مني كأنني سمعمعٌ من جن

أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثني المدائني عن أبي علقمة عن سعيد بن أشوع قال قال عدي بن حاتم: قدم سعيد بن العاص الكوفة فقال: اغسلوا هذا المنبر، فإن الوليد كان رجساً نجساً؛ فلم يصعده حتى غسل، عيباً على الوليد. وكان الوليد أسن منه وأسخى نفساً وألين جانباً وأرضى عندهم، فقال بعض شعرائهم:

يا ويلنا قد ذهب الوليد وجاءنا من بعده سعيد

ينقص في الصاع ولا يزيد

وقال آخر:

فررت من الوليد إلى سعيدٍ كأهل الحجر إذ جزعوا فباروا

يلينا من قريش كل عام أميرٌ محدثٌ أو مستشار

لنا نارٌ تحرقنا فنخشى وليس لهم فلا يخشون نار

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر قال حدثنا المدائني قال: قدم الوليد بن عقبة الكوفة زائراً للمغيرة بن شعبة، فأتاه أشراف أهل الكوفة يسلمون عليه، فقالوا: والله ما رأينا بعدك مثلك؛ فقال: أخيراً أم شراً؟ فقالوا: بل خيراً؛ قال: ولكني والله ما رأيت بعدكم شراً منكم، فأعادوا الثناء عليه، فقال: بعض ما تثنون به، فوالله إن بغضكم لتلف، وإن حبكم لصلف.

قال أبو زيد: وذكروا أن قبيصة بن جابر كان ممن كثر على الوليدة فقال معاوية يوماً والوليد وقبيصة عنده: يا قبيصة، ما كان شأنك وشأن الوليد. فقال: خيراً يا أمير المؤمنين، في أول وصل الرحم وأحسن الكلام فلا تسألن عن الشكر وحسن الثناء، ثم غضب على الناس وغضبوا عليه وكنا منهم، فإما ظالمون فنستغفر الله، وإما مظلومون فغفر الله له، وخذ في غير هذا يا أمير المؤمنين، فإن الحديث ينسي القديم؛ قال: و لم. فوالله لقد أحسن السيرة وبسط الخير وكف الش؛ قال: فأنت أقدر على ذلك يا أمير المؤمنين منه فافعل؛ قال: اسكت لا سكت، فسكت وسكت القوم؛ فقال له: مالك لا تتحدث؟ قال: نهيتني عما كنت أحب فسكت عما أكره.

أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثني المدائني قال: مات الوليد بن عقبة فويق الرقة، ومات أبو زبيد، فدفنا جميعاً في موضع واحد. فقال في ذلك أشجع السلمي وقد مر بقبريهما:

مررت على عظام أبي زبيدٍ — وقد لاحت ببلقعةٍ صلود
وكان له الوليد نديم صدقٍ — فنادم قبره قبر الوليد
وما أدري بمن تبدا المنايا — بأحمد أو بأشجع أو يزيد

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال:

خرج الوليد بن عقبة غازياً للروم وعلى مقدمته عتبة بن فرقد، فلقيه الروم فقاتلوه ة فقال له رجلٌ من العرب نصرانيٌّ: لست على دينكم ولكني أنصحكم للنسب، فالقوم مقاتلوكم إلى نصف النهار، فإن رأوكم ضعفاءً أفنوكم وإن صبرتم هربوا وتركوكم؛ فقال سلمان بن ربيعة: يا معشر المسملمين، ما عذركم عند الله غداً إن أصيب عتبة بن فرقد وأصحابه و لم يعنهم أحدٌ منكم؛ فركب معه ثلاثة آلاف رجل على البغال يجنبون الخيل، فلحقوا عتبة وأصحابه، فقاتلوا معهم قتالاً شديداً حتى هزم الله الروم. فقال الوليد بن عقبة:

أتاني من الفج الذي كنت آمناً — بقية شذاذٍ من الخيل ظلع
عليها العبيد يضربون جنوبها — ونازل منا كل خرقٍ سميذع
فإني زعيمٌ أن تصيح نساؤهم — صياح دجاج المرية المتوزع

وقال الحطيئة يمدح الوليد بذلك، وكان قد وصله وكان الوليد جواداً:

أرى لابن أروى خلتين اصطفاهما — قتالٌ إذا يلقى العدو ونائله
فتىً يملأ الشيزى ويروى بكفه — سنان الرديني الأصم وعامله
يؤم العدو حيث كان بجحفلٍ — يصم السميع جرسه وصواهله
إذا حان منه منزل الليل أو قدت — لأخراه في أعلى اليفاع أوائله
نفيت الجعاد البيض عن حردارهم — فلم يبق إلاحيةٌ أنت قاتله

فقال الحليس بن نعيم النهدي يكذب الحطيئة:

وأبلغ أبا وهبٍ إذا ما لقيته فقد حاربتك الروم فيمن تحارب

وفي الأرض حياتٌ وأسدٌ كثيرةٌ عدوٌ ولكن الحطيئة كاذب

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمربن شبة قال حدثنا علي بن محمد عن أبي مخنف عن خالد بن قطن عن أبيه قال: لما قتل عثمان أرسل علي فأخذ كل ما كان في داره من السلاح وإبلاً من إبل الصدقة، فلذلك قال الوليد بن عقبة:

بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم ولا تنهبوه لا تحل مناهبه

و يروى:

ولا تهبوه لا تحل مواهبه

بني هاشم كيف الهوادة بيننا وعند علي سيفه ونجائبه

قتلتم أخي كيما تكونوا مكانه كما فعلت يوماً بكسرى مرازبه

هكذا في الخبر:

ولا تهبوه لا تحل مواهبه

أخبرني الطوسي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن إسحاق الجعفري: أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط لقي بجاداً مولى عثمان، فأخبره أن عثمان قد قتل؛ فقال:

ليت أني هلكت قبل حديثٍ سل جسمي وريع منه فؤادي

يوم لاقيت بالبلاط بجاداً ليت أني هلكت قبل بجاد

وقد زيد في هذا الشعر بيتٌ ونقص منه آخر مكانه وغني فيه، وهو:

طال ليلي وملني عوادي وتجافى عن الضلوع مهادي

من حديثٍ نمي إلي فما ير قأ دمعي ولا أحس رقادي

يوم لاقيت بالبلاط بجاداً ليت أني هلكت قبل بجاد

وبنفسي التي أحب وأهلي وبمالي وطارفي وتلادي

قلت لاتغضبي فذلك قولي بلساني وما يجن فؤادي

غنى فيه ابن عباد ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر في الأول والرابع من الأبيات، وذكر عمرو بن بانة أنه لابن محرز، ومن الناس من ينسبه إلى ابن سريج في هذه الطريقة في الأول والثاني، وذكر ابن المكي أنه للغريض ثاني فيل بالخنصر في مجرى البنصر، ووافقه يونس. وذكر أن في هذا الشعر لابن سريج والغريض لحنين في الخمسة

الأبيات. وذكر حبش أن فيها لمعبد ثقيلاً أول بالوسطى، ولعبد الله بن العباس الربيعي ثاني قيلٍ بالوسطى، وللغريض خفيف رمل بالوسطى، ولسليم ثقيلٌ أول بالوسطى. وذكر أحمد بن عبيد أن فيه رملاً لابن جامع في البيت الأول وحده، وأن فيه هزجاً لا يعرف صانعه.

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني أبي قال:

أرسل إلي محمد بن زبيدة في ليلةٍ من ليالي الصيف مقمرة: يا عم إن الجرب بيني وبين طاهر بن الحسين قد سكنت، فصر إلي فإني إليك مشتاقٌ؛ فجئته وقد بسط له على سطح زبيدة، وعنده سليمان بن جعفر عليه كساءٌ روذباري وقلنسوةٌ طويلة، وجواريه بين يديه، وضعف جاريته عنده، فقال لها: غنيني فقد سررت بعمومتي؛ فاندفعت تغنيه:

هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما فعلت يوماً بكسرى مرازبه

بني هاشم كيف التواصل بيننا وعند أخيه سيفه ونجائبه

هكذا غنت؛ وإنما هو:

وعند علي سيفه ونجائبه

فغضب وتطير وقال لها: ما قصتك ويحك انثني وانتهي وغنيني ما يسرني فأندفعت وغنت:

هذا مقام مطردٍ هدمت منازله ودوره

فازداد تطيراً، ثم قال لها: ويحك انتهي، غنيني غير هذا، فغنت:

كليبٌ لعمري كان أكثر ناصراً وأيسر جرماً منك ضرج بالدم

فقال لها: قومي إلى لعنة الله فوثبت وكان بين يديه قدح بلور وكان لحبه إياه سماه باسمه محمدا، فأصابه طرف ذيلها فسقط على بعض الصواني فأنكسر وتفتت؛ فأقبل علي وقال: أرى والله يا عم أن هذا آخر أيامنا؛ فقلت: كلا بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك؛ قال: ودجلة والله يا بني هادئة ما فيها صوت مجداف ولا أحدٌ يتحرك وهي كالطست هادئة، فسمعت هاتفاً يهتف: "قضي الأمر الذي فيه تستفتيان". قال: فقال لي: أسمعت ما سمعت يا عم؟ فقلت: وما هو؟ وقد والله سمعته - فقال: الصوت الذي جاء الساعة من دجلة؛ فقلت: ما سمعت شيئاً، وما هذا إلا توهم؛ فإذا الصوت قد عاد يقول: "قضي الأمر الني فيه تستفتيان". فقال: انصرف يا عم بيتك الله بخير، فمحالٌ ألا تكون الآن قد سمعت ما سمعت؛ فانصرفت، وكان آخر العهد به أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ومحمد بن يحيى الصولي واللفظ له، قالا حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد عن أبيه، قال محمد: وحدثنا عبد الله بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن جميعاً عن مطرف بن عبد الله عن عيسى بن يزيد، قال: وفد الوليد بن عقبة، وكان جواداً، على معاوية، فقيل له: هذا الوليد بن عقبة بالباب؛ فقال: والله ليرجعن معطياً غير معطىً، فإنه الآن قد أتانا يقول: علي دين وعلي كذا وكذا؛ يا غلام ائذن

له، فأذن له؛ فسأله وتحدث معه، ثم قال: أما والله إن كنا لنحب إيثار مالك بالوادي وقد أعجب أمير المؤمنين، فإن رأيت أن تهبه ليزيد فعلت؛ فقال الوليد: هو ليزيد، ثم خرج وجعل يختلف إلى معاوية أياماً، فقال له يوماً: انظر يا أمير المؤمنين في شأني، فإن علي مؤونة وقد أرهقني دين؛ فقال له معاوية: ألا تستحي لحسبك ونسبك تأخذ ما تأخذ فتبذره ثم لا تنفك تشكو ديناً، فقال له الوليد: أفعل، ثم انطلق مكانه فصار إلى الجزيرة، فقال:

فإذا سئلت تقول لا وإذا سألت تقول هات

تأبى فعال الخير لا تروي وأنت على الفرات

أفلا تميل إلى نعم أو ترك لا حتى الممات

قال: فبلغ معاوية مقدمه الجزيرة، فخافه وكتب إليه: أن أقبل إلي؛ فكتب إليه:

أعف وأستحيي كما قد أمرتني فأعط سواي ما بدا لك وانحل

سأحدو ركابي عنك إن عزيمتي إذا نابني أمر كسلة منصل

وإني امرؤ للرأي مني تطرفٌ وليس شبا قفلٍ علي بمقفل

ورحل إلى الحجاز، فبعث إليه معاوية بجائزة .

انقضت أخبار الوليد بن عقبة.

ربما نبهني الإخ وان والليل بهيم

حين غارت وتدلت في مهاويها النجوم

ونعاس الليل في عي ني كالثاوي مقيم

للتي تعصر لما أينعت منها الكروم

أنا بالري مقيمٌ في قرى الري أهيم

ما أراني عن قرى الري مدى دهري أريم

الشعر والغناء لإبراهيم الموصلي. ولحنه المختار ثقيلٌ أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. ولإبراهيم أيضاً فيه خفيف ثقيل، وقيل: إنه لابنه إسحاق. وفيه لأحمد بن يحيى المكي ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي وأحمد بن عبيد.

نسب إبراهيم الموصلي وأخباره

هو فيما أخبرنا به يحيى بن علي بن يحيى المنجم عن حماد عن أبيه، وأخبرني به عبد الله بن الربيع عن وسواسة،

وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي عن أبيه عن جده وعن حماد عن أبيه - إبراهيم بن ميمون أو ابن ماهان بن بهمن بن نسك، وكان سبب نسبه إلى ميمون أنه كتب إلى صديق له فعنون كتابه: من إبراهيم بن ماهان؛ فقال له بعض فتيان الكوفة: أما تستحي من هذا الاسم فقال: هو اسم أبي؛ فقال: غيره؛ فقال: وكيف أغير فأخذ الكتاب فمحا ماهان وكتب ميمون، فتقي إبراهيم بن ميمون.

قال إسحاق عن أبيه: وأصلنا من فارس، ولنا بيت شريفٌ في العجم، وكان جدنا ميمون هرب من جور بعض عمال بني أمية، فنزل بالكوفة في بني عبد الله بن دارم، فكان بين إبراهيم وبين ولد نضلة بن نعيم رضاع. وأم إبراهيم امرأةٌ من بنات الدهاقين الذين هربوا من فارس لما هرب ميمون أبو إبراهيم، فنزلوا جميعاً بالكوفة في بني عبد الله بن دارم، فتزوجها ماهان بالكوفة فولدت إبراهيم ومات في الطاعون الجارف، وخلف إبراهيم طفلاً.

وكان مولد إبراهيم سنة خمس وعشرين ومائة بالكوفة، وتوفي ببغداد سنة ثمانٍ وثمانين ومائة، وله ثلاث وستون سنة.

قال أحمد بن أحمد بن إسماعيل وسواسة في خبره: ومات ماهان وخلف إبراهيم طفلاً، فكفله آل زيمة بن خازم.

وقال يحيى بن علي في خبره: إنه كان لإبراهيم لما مات أبوه سنتان أو ثلاث، وخلف معه أخوين له من غير أمه كبر منه، فأقام إبراهيم مع أمه وأخواله حتى ترعرع، فكان مع ولد خزيمة بن خازم في الكتاب، فبهذا السبب صار ولاؤه لبني تميم. وسأله الرشيد فقال: ما السبب بينك وبين بني تميم. فآقتص عليه قصته، وقال: ربونا يا أمير المؤمنين فأحسنوا تربيتنا، ونشأت فيهم وكان بيننا رضاعٌ، فتولونا بهذا السبب؛ فقال له الرشيد: ويحك فما أراك إذا إلا مولاي؛ فقال: فهذه والله قضتي يا أمير المؤمنين.

قال يحيى بن علي في خبره: وكان سبب قولهم إبراهيم الموصلي أنه لما نشأ واشتد، وأدرك، صحب الفتيان واشتهى الغناء طلبه، واشتد أخواله عليه في ذلك وبلغوا منه، فهرب منهم إلى الموصل، فأقام بها نحواً من سنة، فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانه من الفتيان: مرحباً بالفتى الموصلي، فلقب به. وقال أحمد في خبره: إن سبب طلبه الغناء أنه خرج إلى الموصل، فصحب جماعةً من الصعاليك كانوا يصيبون الطريق ويصيبه معهم، ويجمعون ما يفيدونه فيقصفون ويشربون ويغنون، فتعلم منهم شيئاً من الغناء وشدا، فكان أطيبهم وأحذقهم، فلما أحس بذلك من نفسه اشتهى الغناء وطلبه وسافر إلى المواضع البعيدة فيه. وذكر ابن خرداذبه وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمنه كتبه - أن سبب نسبته إلى الموصل أنه كان إذا سكر، كثيراً ما يغني على سبيل الولع:

أناجت من طرق موصل أحمل قلل خمريا
من شارب الملوك فلا بد من سكريا

وما سمعت بهذه الحكاية إلا عنه، وإنما ذكرتها على غثاثتها لشهرتها عند الناس، وأنها عندهم كالصحيح من الرواية في نسبة إبراهيم إلى الموصل، فذكرته دالاً على عواره.

أخبرني الحسين بن يحيى المرداسي وابن أبي الأزهر قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: أسلم أبي إلى الكتاب

فكان لا يتعلم شيئاً، ولا يزال يضرب ويحبس ولا ينجع ذلك فيه، فهرب إلى الموصل وهناك تعلم الغناء، ثم صار إلى الري وتعلم بها أيضاً، ومهر وتزوج هناك امرأته دوشار - وتفسير هذا الاسم أسدان وطال مقامه هناك، وأخذ الغناء الفارسي والعربي، وتزوج بها أيضاً شاهك أم إسحاق ابنه وسائر ولده. قال: وفي دوشار هذه يقول إبراهيم، وله فيه غناء من الهزج:

دوشار يا سيدتي يا غايتي ومنيتي

ويا سروري من جمي ع الناس ردي سنتي

قال إسحاف وحدثني أبي قال: أول شيء أعطيته بالغناء أني كنت بالري أنادم أهلها بالسوية لا أرزؤهم شيئاً، ولا أنفق إلا من بقية مالٍ كان معي وانصرفت به من الموصل؛ فمر بنا خادم أنفذه أبو جعفر المنصور إلى بعض عماله برسالة، فسمعني عند رجل من أهل الري، فشغف بي وخلع علي دواج سمور، له قيمة، ومضى بالرسالة ورجع وقد وصله العامل بسبعة الاف درهم وكساه كسوةً كثيرة، فجاءني إلى مترلي الذي كنت أسكنه فأقام عندي ثلاثة أيام، ووهب لي نصف الكسوة التي معه وألفي درهم، فكان ذلك أول ما اكتسبته بالغناء، فضلت: والله لا أنفق هذه الدراهم إلا على الصناعة التي أفادتنيها، ووصف لي رجل بالأبلة يقال له جوانويه كان حاذقاً، فخرجت إليه وصحبت فتيالها، فأخذت عنهم وغنيتهم فشغفوا بي.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن جده قال: لما أتيت جوانويه لم أصادفه في مترله، فانتظرته حتى جاء، فلما رآني احتشمني وكان مجوسياً، فأخبرته بصناعتي والحال التي قصدته فيها، فرحب بي وأفرد لي جناحاً في داره، ووكل بي أخته، فقدمت إلي ما أحتاج إليه؛ فلما كان العشي عاد إلى مترله ومعه جماعةٌ من الفرس ممن يغني، فترلت إليه، فجلسنا في مجلس قد صفي لنا فيه نبيذٌ وأعدت لنا فاكهة ورياحين، فجلسنا وأخذوا في شأهم وضربوا وغنوا، فلم أجد عند أحدٍ منهم فائدةً؛ وبلغت النوبة إلي، فضربت وغنيت، فقاموا كلهم إلي وقبلوا رأسي، وقالوا: سخرت منا، نحن إلى تعليمك لنا أحوج منك إلينا، فأقمت على تلك الحال أياماً، حتى بلغ محمد بن سليمان بن علي خبري، فوجه إلي فأحضرني وأمرني بملازمته، فقلت له: أيها الأمير، إن لست أتكسب بالغناء وإنما ألتذه فلذلك تعلمته، وأريد العود إلى الكوفة، فلم أنتفع بذلك عنده وأخذني بملازمته، وسألني: من أين أنا؟ فانتسبت إلى الموصل، فلزمتني وعرفت بها؛ و لم أزل عنده أثيراً مكرماً حتى قدم عليه خادم من خدم المهدي، فلما راني عنده قال له: أمير المؤمنين أحوج إلى هذا منك، فدافعه عني، فلما قدم الرسول على المهدي سأله عما رأى في طريقه ومقصده، فأخبره بذلك حتى انتهى إلى ذكري فوصفني له؛ فأمره المهدي بالرجوع إلى محمد وإشخاصي إليه، ففعل ذلك وجاء فأشخصني إلى المهدي، فحظيت عنده وقدمني.

قال وسواسة في خبره عن إسحاق فحدثني أبي قال: كان أول هاشمي صحبته علي بن سليمان بن علي أخو جعفر ومحمد، وكان فتاهم ظرفاً ولهواً وسماحةً، ووصفني له جوانويه ومضى بي إليه، فوقعت من قلبه كل موقع.

وأول خليفة سمعني المهدي، وصفت له فأخذني من علي بن سليمان، وما سمع قبلي من المغنين أحداً سوى فليح بن أبي العوراء وسياط، فإن الفضل بن الربيع وصلهما به.

فال إسحاق: فحدثني أبي قال: كان المهدي لا يشرب فأرادني على ملازمته وترك الشرب فأبيت عليه، وكنت أغيب عنه الأيام، فإذا جئته جئته منتشياً، فغاظه ذلك مني فضربني وحبسني، فحذقت الكتابة والقراءة في الحبس، ثم دعاني يوماً فعاتبني على شربي في منازل الناس والتبذل معهم، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنما تعلمت هذه الصناعة للذتي وعشرتي إخواني، ولو أمكنني تركها لتركتها وجميع ما أنا فيه لله جل وعز، فغضب غضباً شديداً وقال: لا تدخل على موسى وهارون البتة، فوالله لئن دخلت عليهما لأفعلن ولأصنعن؛ فقلت: نعم، ثم بلغه أني دخلت عليهما وشربت معهما، وكانا مستهترين بالنبيذ، فضربني ثلثمائة سوط، وقيدني وحبسني.

قال أحمد بن إسماعيل في خبره قال عمي إسحاق فحدثني أبي: أنه كان معهما في نزهة لهما ومعهم أبان الخادم، فسعى بهما وبي إلى المهدي وحدثه بما كنا فيه، فدعاني فسألني فأنكرت، فأمر بي فجردت فضربت ثلثمائة وستين سوطاً؛ فقلت له وهو يضربني: إن جرمي ليس من الأجرام التي يحل لك بها سفك دمي، والله لو كان سر ابنيك تحت قدمي ما رفعتهما عنه ولو قطعتا، ولو فعلت ذلك لكنت في حالة أبان الساعي العبد؛ فلما قلت له هذا ضربني بالسيف في جفنه فشجني به، وسقطت مغشياً علي ساعةً، ثم فتحت عيني فوقعتا على عيني المهدي، فرأيتهما عيني نادم وقال لعبد الله بن مالك: خذه إليك. قال: وقبل ذلك ما تناول عبد الله بن مالك السوط من يد سلام الأبرش فضربني، فكان ضرب عبد الله عندي بعد ضرب سلام عافيةً، ثم أخرجني عبد الله إلى داره وأنا أرى الدنيا في عيني صفراء وخضراء وحمراء من حر السوط، وأمره أن يتخذ لي شبيهاً بالقبر فيصيرني فيه؛ فدعا عبد الله بكبش فذبح وسلخ وألبسني جللى ليسكن الضرب، ودفعني إلى خادم له يمال له أبو عثمان سعيد التركي فصيرني في ذلك القبر، ووكل بي جاريةً له يقال لها جشه؛ فتأذيت يتركان في ذلك القبر وبالبق، وكان فيه حليٌ أستريح إليه، فقلت لجشة: اطلبي لي آجرة عليها فحم وكندر يذهب عني هذا البق، فأتتني بذلك، فلما دخنت أظلم القبر علي وكادت نفسي تخرج من الغم، فاسترحت من أذاه إلى التز فألصقت به أنفي حتى خف الدخان، فلما ظننت أني قد استرحت مما كنت فيه، إذا حيتان مقبلتان نحوي من شق القبر تدوران حولي بحفيفٍ شديد، فهممت أن آخذ واحدة بيدي اليمنى والأخرى بيدي اليسرى فإما علي وإما لي، ثم كفيتهما، فدخلتا من الثقب الذي خرجتا منه، فمكثت في ذلك القبر ما شاء الله، ثم أخرجت منه؛ ووجهت إلى أبي عثمان الخادم أسأله أن يبيعني جشة لأكافئها عما أولتني ففعل، فزوجتها من حاجبٍ لي، و لم تزل عندنا. قال إسحاق: مكثت عندنا حتى ماتت، وبقيت بنت لها يقال لها جمعة، فزوجتها من مولىً لي في سنة أربع وثلاثين ومائتين.

قال إبراهيم: وقلت في الحبس وأنا مقيداً:

ألا طال ليلي أراعي النجوم أعالج في الساق كبلاً ثقيلا

بدار الهوان وشر الديار أسام بها الخسف صبراً جميلا

كثير الأخلاء عند الرخاء فلما حبست أراهم قليلا

لطول بلائي مل الصديق فلا يأمنن خليلٌ خليلا

قال: ثم أخرجني المهدي وأحلفني بالطلاق والعتاق وكل يمين لا فسحة لي فيها ألا أدخل على ابنبه موسى وهارون أبداً ولا أغنيهما، وخلى سبيلي. قال: وصنعت، في الحبس لحناً في شعر أبي العتاهية لما حبسه المهدي بسبب عتبة، وهو:

أيا ويح قلبي من نجي البلابل ويا ويح ساقي من قروح السلاسل

وياويح نفسي ويحها ثم ويحها ألم تنج يوماً من شباك الحبائل

ويا ويح عيني قد أضربها البكا فلم يغن عنها طب ما في المكاحل

ذريني أعلل نفسي اليوم إنها رهينة رمسٍ في ثرىً وجنادل

ذريني أعلل بالشراب فقد أرى بقية عيشي هذه غير طائل

الشعر لأبي العتاهية، وذكر حماد أنه لجده إبراهيم. والغناء لإبراهيم رملٌ بالوسطى في الثلاثة الأبيات الاول، وله في البيتين الأخيرين ثقيل أول بالوسطى.

قال حماد: فلما ولي موسى الهادي الخلافة استتر جدي منه ولم يظهر له بسبب الأيمان التي حلفه بها المهدي، فكانت منازلنا تكبس في كل وقت وأهلنا يروعون بطلبه حتى أصابوه فمضوا به إليه، فلما عاينه قال: يا سيمي، فارقت أم ولدي وأعز خلق الله علي، ثم غناه لحنه في شعره:

يابن خير الملوك لا تتركني غرضاً للعدو يرمي حيالي

فلقد في هواك فارقت أهلي ثم عرضت مهجتي للزوال

ولقد عفت في هواك حياتي وتغربت بين أهلي ومالي

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف رملٍ بالوسطى. قال إسحاق: فموله والله الهادي وخوله، وبحسبك أنه أخذ منه في يوم واحد مائةً وخمسين ألف دينار، ولو عاش لنا لبنينا حيطان دورنا بالذهب والفضة.

قال حماد قال لي أبي: نظرت إلى ما صار إلى جدك من الأموال والغلات وثمن ما باع من جواريه، فوجدته أربعة وعشرين ألف ألف درهم سوى أرزاقه الجارية، وهي عشرة آلاف درهم في كل شهر، وسوى غلات ضياعه، وسوى الصلات النزرة التي لم يحفظها، ولا والله ما رأيت أكمل مروءةً منه، كان له طعامٌ معد في كل وقت؛ فقلت لأبي: أكان يمكنه ذلك؟ فقال: كان له في كل يوم ثلاث شياهٍ: واحدةٌ مقطعةٌ في القدور، وأخرى

مسلوخة ومعلقة، وأخرى حية، فإذا أتاه قومٌ طعموا ما في القدور، فإذا فرغت قطعت الشاة المعلقة ونصبت القدور وذبحت الحية فعلقت وأتي بأخرى فجعلت وهي حية في المطبخ، وكانت وظيفته لطعامه وطيبه وما يتخذ له في كل شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يجري وسوى كسوته؛ ولقد اتفق عندنا مرة من الجواري الودائع لإخوانه ثمانون جارية، ما منهن واحدة إلا ويجري عليها من الطعام والكسوة والطيب مثل ما يجري لأخص جواريه، فإذا ردت الواحدة منهن إلى مولاها وصلها وكساها، ومات وما في ملكه إلا ثلاثة آلاف دينار، وعليه من الدين سبعمائة دينار قضيت منها.

أخبرني محمد بن خلف وكيع ويحيى بن علي بن يحيى وابن المرزبان قالوا أخبرنا حماد بن إسحاق قال: كان أبي يحدث أن الرشيد اشترى من جدي جاريةً بستة وثلاثين ألف دينار، فأقامت عنده ليلةً، ثم أرسل إلى الفضل بن الربيع: إنا أشترينا هذه الجارية من إبراهيم، ونحن نحسب أنها من بابتنا وليست كما ظننتها، وما قربتها، وقد ثقل علي الثمن وبينك وبينه ما بينكما، فاذهب إليه فسله أن يحطنا من ثمنها ستة الاف دينار؛ قال: فصار الفضل إليه فاستأذن عليه فخرج جدي فتلقاه؛ فقال: دعني من هذه الكرامة التي لا مؤنة بيننا فيها، لست ممن يخدع، وقد جئتك في أمر أصدقك عنه، ثم أخبره الخبر كله؛ فقال له إبراهيم: إنه أراد أن يبلو قدرك عندي؛ قال: ذاك أراد قال: فمالي كله صدقة في المساكين إن لم أضعفه لك، قد حططتك آثني عشر ألف دينار؛ فرجع الفضل إليه بالخبر، فقال: ويلك ادفع إلى هذا ماله، فما رأيت سوقةً قط أنبل نفساً منه. قال أبي: وكنت قد أتيت جدك فقلت: ما كان لحطيطة هذا المال معنى وما هو بقليل، فتغافل عني وقال: أنت أحمق، أنا أعرف الناس به، والله لو أخذت المال منه كملاً ما أخذته إلا وهو كاره، ويحقد ذلك علي وكنت أكون عنده صغير القدر، وقد مننت عليه وعلى الفضل، انبسطت نفسه ونشط وعظم قدري عنده، وإنما اشتريت الجارية بأربعين ألف درهم، وقد أخذت بها أربعة وعشرين ألف دينار، فلما حمل المال إليه بلا حطيطة دعاني فقال لي: كيف رأيت يا إسحاق من البصير أنا أم أنت؟ فقلت: بل أنت جعلني الله فداءك.

حدثني وكيع قال حدثنا حماد قال حدثني أبي قال: لقي الفضل بن يحيى أبي وهو خارج من عند الفضل بن الربيع، وكانا متجاورين في الشماسية، فقال: من أين يا أبا إسحاق؟ أمن عند الفضل بن الربيع؟ قلت: نعم، غير معتذرٍ من ذلك، فقال: خروج من عند الفضل بن الربيع إلى الفضل بن يحيى هذان والله أمران لا يجتمعان لك فقال: والله لئن لم يكن في ما يتسع لكما حتى يكون الوفاء لكما جميعاً وأحداً ما في خيرٌ، والله لا أترك واحداً منكما لصاحبه، فمن قبلني على هذا قبلني، ومن لم يقبلني فهو أعلم، فقال له الفضل بن يحيى: أنت عندي غير متهم، والأمر كما قلت، وقد قبلتك على ذلك.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال حدثني أبي: أن الرشيد غضب عليه فقيده وحبسه بالرقة، ثم جلس للشرب يوماً في مجلس قد زينه وحسنه، فقال لعيسى بن جعفر: هل لمجلسنا عيبٌ؟

قال: نعم، غيبة إبراهيم الموصلي عنه؛ فأمر بإحضاري فأحضرت في قيودي، ففكت عني بين يديه، وأمرهم فناولوني عوداً وقال: غني يا إبراهيم؛ فغنيته:

تضوع مسكاً بطن نعمان أن مشت ... به زينبٌ في نسوة خفرات

فاستعاده وشرب وطرب، وقال: هنأتني يومي وسأهنئك بالصلة، وقد وهبت لك الهنيء والمريء؛ فانصرفت، فلما أصبحت عوضت منهما مائتي ألف لدرهم.

تضوع مسكاً بطن نعمان أن مشت ... به زينبٌ في نسوةٍ خفرات

مررن بفخ رائحاتٍ عشيةً ... يلبين للرحمن معتمرات

يخمرن أطراف البنان من التقي ... ويقتلن بالألحاظ مقتدرات

ولما رأت ركب النميري أعرضت ... وكن من أن يلقينه حذرات

الشعر للنميري الثقفي. والغناء لا بن سريج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ويحيى المكي وعمرو بن بانة. وذكر حبشٌ أن فيه لعزة الميلاء لحناً من الثقيل الأول.

أخبرني محمد بن مزيد وأحمد بن جعفر جحظة قالا حدثنا حماد بن إسحاق قال، وأخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد جميعاً عن إسحاق عن أبيه قال: رأيت يحيى بن خالد خارجاً من قصره الذي عند باب الشماسية يريد قصره الذي بباب البردان وهو يتمثل:

هوى بتهامةٍ وهوىً بنجدٍ ... فأبلتني التهائم والنجود

قال أبي: فزدته عليه:

أقيم بذا وأذكر عهد هذا ... فلي ما بين ذين هوىً جديد

قال: وصنعت فيه لحناً قال الصولي في خبره: وهو من خفيف الثقيل ثم صرت إليه فغنيته إياه؛ فأمر لي بألف دينار وبدابته التي كانت تحته يومئذ بسرجها ولجامها؛ فقلت له: جزاك الله من سيد خيراً، فإنك تأتي الأنفس وهي شوارد فتقزها، والأهواء وهي سقيمة فتصحها؛ فأمر لي بألف دينار أخرى.

قال إبراهيم: ثم ضرب الدهر من ضربه، فبينا أنا أسير معه إذ لقيه العباس بن الأحنف، وكان ساخطاً عليه لشيء بلغه عنه، فترجل له وأنشده:

بالله يا غضبان آل رضيت ... أذاكرٌ للعهد أم قد نسيت

فقال: بل ذاكرٌ يا أبا الفضل؛ فأضفت إلى هذا البيت:

لو كنت أبغي غير ما تشتهي ... دعوت أن تبلى كما قد بليت

وصنعت فيه لحناً قال الصولي في خبره: هو ثقيل أول قال: وغنيته به، فأمر لي بألفي دينار وضحك؛ فقلت: من أي شيء تضحك يا سيدي؟ لا زلت ضاحكاً مسروراً فقال: ذكرت ما جرى في الصوت الأول وأنه كان مع الجائزة دابةٌ بسرجه ولجامه، ولن تنصرف الليلة إلا على مثله، فقمت فقبلت يده؛ فأمر لي بألفي دينار آخرين، وقال: تلك الكرة شكرت على الجائزة بكلام فزدناك، والآن شكرت بفعل أوجب الزيادة، ولولا أني مضيقٌ في هذا الوقت لضاعفتها، ولكن الدرهر بيننا مستأنفٌ جديد.

حدثني جخظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال: لما نزل الرشيد في طريقه إلى طوس بشنداز جلس يشرب عنده، فكان إبراهيم الموصلي أول من غناه، فايتدأ بهذا الصوت، والشعر له:

رأيت الدين والدنيا ... مقيمين بشنداز

أقاما بين حجاجٍ ... وغازٍ أيما غاز

وهو من الثقيل الأول فأمر له بألف دينار، و لم يستحسن الشعر، وقال له: يا إبراهيم صنعتك فيه أحسن من شعرك؛ فخجل وقال: يا سيدي شغل خاطري الغناء فقلت لوقتي ما حضرني؛ فضحك الرشيد من قوله وقال له: صدقت.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: كان جدك محباً للأشراف كثير الأصدقاء منه، حتى إن كان الرشيد لتقول كثيراً: ما أعرف أحداً أكثر أصدقاء من إبراهيم.

قال إسحاق: وما سمعت أحسن غناء من أربعة: أبي، وحكم الوادي، وفليح ابن أبي العوراء، وسياط؛ فقلت له: وما بلغ من حذقهم؟ قال: كانوا يصنعون فيحسنون، ويؤدون غناء غيرهم فيحسنون؛ فقلت: فأيهم كان أحذق؟ قال: كانوا بمنزلة خطيبٍ أو كاتب أو شاعر يحسن صناعته، فإذا انتقل عنها إلى غيرها لم يبلغ منها ما يبلغ من صناعته، وكان جدك كرجل مفوه، إن خطب أجزل، وإن كتب رسالة أحسن، وإن قال شعراً أحسن، و لم يكن فيهم مثله.

أخبرني الحسين بن يحيى فال حدثنا حماد عن أبيه، وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه، وأخبرني إسماعيل بن يونس عن عمر بن شبة جميعاً عن إسحاق قال: لم يكن الناس يعلمون الجارية الحسناء الغناء، وإنما كانوا يعلمونه الصفر والسود، وأول من علم الجواري المثمنات أبي، فإنه بلغ بالقيان كل مبلغ، ورفع من أقدارهن. وفيه يقول أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة المهلبي وقد كان هوي جاريةً يقال لها أمان فأغلى بها مولاها السوم، وجعل يرددها إلى إبراهيم وإسحاق ابنة فتأخذ عنهما، فكلما زادت في الغناء زاد في سومه، فقال أبو عيينة:

قلت لما رأيت مولى أمانٍ ... قد طغى سومه بها طغيانا

لا جزى الله الموصلي أبا إس ... حاق عنا خيراً ولا إحسانا

جاءنا مرسلا بوحيٍ من الشي ... طان أغلى به علينا القيانا

من غناءٍ كأنه سكرات ال حب يصبي القلوب والآذانا

وقال فيه ابن سيابة:

ما لإبراهيم في العل م بهذا الشأن ثاني

إنما عمر أبي إس حاق زينٌ للزمان

جنة الدنيا أبو إس حاق في كل مكان

فإذا غنى أبو إسحا ق أجابته المثاني

منه يجنى ثمر الله و وريحان الجنان

لإبراهيم في هذا الشعر لحنان: خفيف ثقيل بالبنصر، وخفيف رمل بالوسطى عن عمرو والهشامي.

أخبرني عمي عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي دعامة قال: كان سلم الخاسر عند أبي العتاهية، فأخبره سلم أن الرشيد حبس إبراهيم الموصلي في المطبق؛ فأقبل عليه أبو العتاهية فقال:

سلم يا سلم ليس دونك ستر حبس الموصلي فالعيش مر

ما استطاب اللذات مذ سكن المط بق رأس اللذات في الناس حر

ترك الموصلي من خلق الله جميعاً وعيشهم مقشعر

حبس اللهو والسرور فما في ال أرض شيءٌ يلهى به أو يسر

وأنشدني بعض أصحابنا عن ابن المرزبان عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن أبي فنن لأبي العتاهية يخاطب إبراهيم الموصلي لما حبس:

أيا غمي لغمك يا خليلي ويا ويلي عليك ويا عويلي

يعز علي أنك لا تراني وأني لا أراك ولا رسولي

وأنك في محل أذى وضنكٍ وليس إلى لقائك من سبيل

وأني لست أملك عنك دفعاً وقد فوجئت بالخطب الجليل

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن عمر قال حدثني أبو توبة صالح بن محمد عن القطراني المغني عن محمد بن جبر، وكان المهدي رباه، قال حدثني إبراهيم بن المهدي قال: انصرفت ليلةً من الشماسية فمررت بدار إبراهيم الموصلي، وإذا هو في روشن له وقد صنع لحنه:

أل ارب ندمانٍ علي دموعه تفيض على الخدين سحاً سجومها

وهو يعيده ويلعب به بنغمه ويكرره لتستوي له أجزاؤه، وجواريه يضربن عليه، فوقفت تحت الروشن حتى أخذته ثم انصرفت إلى منزلي، فما زلت أعيده حتى بلغت فيه الغاية، وأصبحت فغدوت إلى الشماسية واجتمعنا عند الرشيد، فاندفع إبراهيم فغناه أول شيء غنى، فلما سمعه الرشيد طرب واستحسنه وشرب عليه، ثم قال له: لمن هذا يا إبراهيم؟ قال: لي يا سيدي، صنعته البارحة، فقلت: كذب يا أمير المؤمنين، هذا الصوت قديمٌ وأنا أغنيه؛ فقال لي: غنه يا حبيبي، فغنيته كما غناه؛ فبهت إبراهيم وغضب الرشيد، وقال له: يابن الفاجرة أتكذبني وتدعي ما ليس لك. قال: فظل إبراهيم بأسوأ حال، فلما صليت العصر قلت للرشيد: يا أمير المؤمنين، الصوت وحياتك له وما كذب، ولكني مررت به البارحة وهو يردده على جارية له فوقفت حتى دار لي واستوى فأخذته منه؛ فدعا به الرشيد ورضي عنه، وأمر له بخمسة آلاف دينار.

ألا رب ندمانٍ علي دموعه ... تفيض على الخذين سحاً سجومها

حليمٌ إذا ما الكأس دارت وهرها ... رجالٌ لديها قد تخف حلومها

الغناء لإبراهيم رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبي عن طياب بن إبراهيم الموصلي قال: كان إبراهيم بن المهدي يقدم ابن جامع ولا يفضل عليه أحداً، فأخبرني إبراهيم بن المهدي قال: كنا في مجلس الرشيد وقد غلب النبيذ على ابن جامع، فغنى صوتاً فأخطأ في أقسامه؛ فالتفت إلي إبراهيم فقال: قد خري قد خرى أستاذك فيه وفهمت صدقه فيما قال؛ قال: فقلت له: انتبه أيها الشيخ وأعد الصوت، ففطن وأعاده وتحفظ فيه وأصاب؛ فغضب إبراهيم وأقبل علي فقال:

اعلمه الرماية كل يومٍ ... فلما استد ساعده رماني

وتنكر لي وحلف الأ يكلمني؛ فقلت للرشيد بعد أيام: إن لي حاجة؛ قال: وما هي. قلت: تأمر إبراهيم الموصلي أن يرضى عني ويعود إلى ما كان عليه؛ فقال: ومن إبراهيم حتى يطلب رضاه فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الذي اريده منه لا ينال إلا برضاه؛ فقال: قم إليه يا إبراهيم فقبل رأسه؛ فقام إلي ليقبل رأسي،، فلما أكب علي قال: تعود؟ قلت: لا؛ قال: قد رضيت عنك رضاً صحيحاً، وعاد إلى ما كان عليه.

أخبرني أبو الحسن أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى قال: سمعت جدي علياً يحدث عن إسحاق قال: قال أبي: خرجت مع الرشيد إلى الحيرة، فساعة نزل بها دعا بالغداء فتغذى ثم نام، فاغتنمت قائلته فذهبت فركبت أدور في ظهر الحيرة، فنظرت إلى بستان فقصدته فإذا على بابه شابٌ حسن الوجه، فاستأذنته في الدخول فأذن لي، فدخلت فإذا جنة من الجنان في أحسن تربة وأغزرها ماءً، فخرجت فقلت له: لمن هذا البستان. فقال: لبعض الأشاعثة، فقلت له: أيباع؟ فقال: نعم وهو على سوم، فقلت: كم بلغ؟ فقال: أربعة عشر ألف دينار، قلت: وما يسمى هذا الموضع؟ قال: شمارى، فقلت:

جنان شمارى ليس مثلك منظرٌ لذي رمدٍ أعيا عليه طبيب

ترابك كافورٌ ونورك زهرةٌ لها أرجٌ بعد الهدو يطيب

قال: وحضرتني فيه صنعةٌ حسنة، فلما جلس الرشيد وأمر بالغناء غنيته إياه أول ما غنيت، فقال: ويلك وأين شمارى؟ فأخبرته القصة، فأمر لي بأربعة عشر ألف دينار، وغمزني جعفر بن يحيى فقال: خذ توقيعه بها إلي، وتشاغل الرشيد عني، فأعدت الصوت، فقال: ويلكم! أعطوا هذا دنانيره، فوثبت وقلت: يا سيدي، وقع لي بها إلى جعفر بن يحيى، فقال: أفعل، ووقع لي بها إليه، فلما حصل التوقيع عند جعفر أطلق لي المال وخمسة آلاف دينار من عنده؛ فلما حصل المال عندي كان أحب إلي وأحسن في عيني من شمارى.

أخبرني جعفر بن قدامة قال أخبرني أبو العيناء قال: خرج الفضل بن الربيع يوماً من حضرة الرشيد ومعه رقعةٌ فيها أربعة أبيات، فقال: إن أمير المؤمنين يأمر كل من حضر ممن يقول الشعر أن يجيزها، وهي:

أهدى الحبيب مع الجنوب سلامه فاردد إليه مع الشمال سلاما

واعرف بقلبك ما تضمن قلبه وتداولا بهواكما الأياما

وإذا بكيت له فأيقن أنه ستجود أدمعه عليك رهاما

فاحبس دموعك رحمة لدموعه إن كنت تحفظ أو تحوط ذماما

فلم يوجد من يجيزها، فأمر إبراهيم فغنى فيها لحناً من خفيف الثقيل.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أبو العباس البصري قال حدثني عبد الله بن الفضل بن الربيع قال سمعت أبي يقول: لما خرج الرشيد إلى الرقة أخرج معه إبراهيم الموصلي، وكان به مشغوفاً، ففقده في بعض المنازل أياما وطلبه فلم يخبره أحد بقصته، ثم أتاه، فقال له: ويحك! ما خبرك وأين كانت غيبتك. فقال: يا أمير المؤمنين، حديثي عجيب، نزلنا بموضع كذا وكذا، فوصف لي خمارٌ، من ظرفه ومن نظافة مترله كيت وكيت، فتقدمت أمام ثقلي وأتيته مخفًّا، فوافيت أطيب مترل وأوسع رحل وأطيب طعام وأسخى نفسٍ، من شابٍّ حسن الوجه ظريف العشرة، فأقمت عنده، فلما أردت اللحاق بأمير المؤمنين أقسم علي وأخرج لي من الشراب ما هو أطيب وأجود مما رأيت، فأقمت ثلاثاً، ووهبت له دنانير كانت معي وكسوةً، وقلت فيه:

سقياً لمنزل خمارٍ قصفت به وسط الرصافة يوماً بعد يومين

مازلت أرهن أثوابي وأشربها صفراء قد عتقت في الدن حولين

حتى إذا نفدت مني بأجمعها عاودته بالربا دنا بدنين

فقال إزل بشين حين ودعني وقد لعمرك زلنا عنه بالشين

- الشعر والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر. قوله: إزل بشين كلمة سريانية، تفسيرها: امض بسلام، دعا له بها لما ودعه- قال إبراهيم: فقال لي الرشيد: غنني هذا الصوت، فغنيته إياه وزمر عليه برصوماً، فوهب لي الرشيد مائة ألف درهم وأقطعني ضيعة، وبعث إلى الحمار فأحضر، وأهدى إلى الرشيد من ذلك الشراب فوصله، ووهب له إبراهيم عشرة آلاف أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد ووكيع قالوا جميعاً حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال: قال ابن جامع يوماً لأبي: رأيت في منامي كأني وإياك راكبان في محمل، فسفلت حتى كدت تلصق بالأرض، وعلا الشق الذي أنا فيه، فلأعلونك في الغناء، فقال إبراهيم: الرؤيا حق والتأويل باطل، إني وإياك كنا في ميزان، فرجحت بك وشالت كفتك وعلوت فلصقت بالأرض، فلأبقين بعدك ولتموتن قبلي. قال إسحاق: فكان كما قال أبي، علا عليه وأفاد أكثر من فوائده، ومات ابن جامع قبله وعاش أبي بعده.

أخبرني عبد الله بن الربيع الربيعي قال حدثتني خديجة بنت هارون بن عبد الله بن الربيع قالت حدثتني خمار جارية أبي وكانت قندهارية، اشتراها جدي عبد الله وهي صبية ريض من آل يحيى بن معاذ بمائتي ألف درهم قالت: ألقى علي إبراهيم الموصلي لحنه في هذين البيتين:

إذا سرها أمرٌ وفيه مساءتي قضيت لها فيما تريد على نفسي

وما مر يومٌ أرتجي فيه راحةً فأذكره إلا بكيت على أمس

الشعر لأبي حفص الشطرنجي، والغناء لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى- فسمعني ابن جامع يوماً وأنا أغنيه، فسألني: ممن أخذته؟ فأخبرته، فقال: أعيديه، فأعدته مراراً، وما زال ابن جامع يتنغم به معي حتى ظننت أنه قد أخذه، ثم كان كلما جاءنا قال لي: يا صبية، غني ذلك الصوت، فكان صوته علي.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال قال مخارق: أذن لنا أمير المؤمنين الرشيد أن نقيم في منازلنا ثلاثة أيام، وأعلمنا أنه مشتغل فيها مع الحرم، فمضى الجلساء أجمعون إلى منازلهم- وأخبرني وسواسة وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي بهذا الخبر فقال حدثني أبي عن أبيه عن مخارق قال: اشتغل الرشيد يوماً واصطبح مع الحرم وقد أصبحت السماء متغيمة، فانصرفنا إلى منازلنا. و لم يذكر في الخبر ما ذكره عمر بن شبة مما قدمت ذكره، واتفقا هاهنا في أكثر الحكايات، واللفظ فأكثره لرواية ابن الموصلي - قال مخارق: وأصبحت السماء متغيمة تطش طشاً خفيفاً، فقلت: والله لأذهبن إلى أستاذي إبراهيم فأعرف خبره ثم أعود، فأمرت من عندي أن يسووا مجلساً لنا إلى وقت رجوعي، فجئت إلى إبراهيم الموصلي فإذا الباب مفتوح والدهليز قد كنس والبواب قاعد، فقلت: ما خبر أستاذي. فقال: ادخل، فدخلت فإذا هو جالس في رواق له وبين يديه قدورٌ تغرغر وأباريق تزهر، والستارة منصوبة والجواري خلفها، وإذا قدامه طستٌ فيه رطلية وكوزٌ وكأس، فدخلت أترنم ببعض الأصوات، وقلت له: ما بال الستارة لست أسمع من ورائها صوتاً. فقال: اقعد ويحك! إني أصبحت على الذي ظننت، فأتاني خبر ضيعة تجاورني، قد والله طلبتها زماناً وتمنيتها فلم أملكها، وقد أعطي بها

مائة ألف درهم، فقلت: وما يمنعك منها؟ فوالله لقد أعطاك الله أضعاف هذا المال وأكثر، قال: صدقت، ولكن لست أطيب نفساً أن أخرج هذا المال، فقلت: فمن يعطيك الساعة مائة ألف درهم؟ والله ما أطمع في ذلك من الرشيد، فكيف بمن دونه! فقال: اجلس، خذ هذا الصوت، ونقر بقضيب معه على الدواة وألقى علي:

نام الخليون من هم ومن سقم … وبت من كثرة الأحزان لم أنم

يا طالب الجود والمعروف مجتهداً … اعمد ليحني حليف الجود والكرم

- الشعر لأبي النضير، والغناء لإبراهيم الموصلي ثقيل أول بالبنصر - قال: فأخذته فأحكمته، ثم قال لي: امض الساعة إلى باب الوزير يحيى بن خالد، فإنك تجد الناس عليه وتجد الباب قد فتح و لم يجلس بعد، فاستأذن عليه قبل أن يصل إليه أحد، فإنه سينكر عليك مجيئك ويقول: من أين أقبلت في هذا الوقت؟ فحدثه بقصدك إياي وما ألقيت إليك من خبر الضيعة، وأعلمه أني صنعت هذا الصوت وأعجبني، و لم أر أحداً يستحقه إلا فلانة جاريته، وأني ألقيته عليك حتى أحكمته لتطرحه عليها، فسيدعو بها ويأمر بالستارة أن تنصب ويوضع له كرسي ويقول لك: اطرحه عليها بحضرتي، فافعل وأتني بالخبر بعد ذلك. قال: فجئت باب يحيى فوجدته كما وصف، وسألني فأعلمته ما أمرني به، ففعل كل شيء قاله لي إبراهيم، وأحضر الجارية فألقيته عليها، ثم قال لي: تقيم عندنا يا أبا المهنأ أو تنصرف؟ فقلت: أنصرف أطال الله بقاءك فقد علمت ما أذن لنا فيه، قال: يا غلام، احمل مع أبي المهنأ عشرة آلاف درهم، واحمل إلى أبي إسحاق مائة ألف درهم ثمن هذه الضيعة، فحملت العشرة الآلاف الدرهم إلي، وأتيت مترلي فقلت: اسر يومي هذا وأسر من عندي، ومضى الرسول إليه بالمال، فدخلت مترلي ونثرت على من عندي من الجواري دراهم من تلك البدرة، وتوسدها وأكلت وشربت وطربت وسررت يومي كله، فلما أصبحت قلت: والله لآتين استاذي ولأعرفن خبره، فأتيته فوجدت الباب كهيئته بالأمس، ودخلت فوجدته على مثل ما كان عليه، فترنمت وطربت فلم يتلق ذلك بما يجب، فقلت له: ما الخبر؟ ألم يأتك المال؟ قال: بلى! فما كان خبرك أنت بالأمس؟ فأخبرته بما كان وهب لي وقلت: ما ينتظر من خلف الستارة، فقال: ارفع السجف فرفعته فإذا عشر بدر، فقلت: وأي شيء بقي عليك في أمر الضيعة؟ قال: ويحك! ما هو والله إلا أن دخلت مترلي حتى شححت عليها فصارت مثل ما حويت قديماً، فقلت: سبحان الله العظيم! فتصنع ماذا! قال: قم حتى ألقي عليك صوتاً صنعته يفوق ذلك الصوت ة فقمت وجلست بين يديه، فألقى علي:

ويفرح بالمولود من آل برمكٍ … بغاة الندى والسيف والرمح ذو النصل

وتنبسط الآمال فيه لفضله … ولا سيما إن كان من ولد الفضل

الشعر لأبي النضير. والغناء لإبراهيم ثقيلٌ أول بالبنصر عن الهشامي، وذكر عمرو بن بانة أنه لإسحاق، وهو الصحيح. وفيه خفيف ثقيلٍ، أظنه لحن إبراهيم. أخبرني إسماعيل بن يونس عن عمر بن شبة عن إسحاق أن أباه

صنع هذا الصوت في طريقة خفيف الثقيل وعرضه على الفضل، فاستحسنه وأمر مخارقاً بإلقائه على جواريه فألقاه على مراقش وقضيب فأخذتاه عنه - قال مخارق: فلما ألقى علي الصوت سمعت ما لم أسمع مثله قط، وصغر عندي الأول فأحكمته، ثم قال: امض الساعة إلى الفضل بن يحيى، فإنك تجده لم يأذن لأحد بعد، وهو يريد الخلوة مع جواريه اليوم، فاستأذن عليه وحدثه بحديثنا أمس، وما كان من أبيه إلينا وإليك، وأعلمه أني قد صنعت هذا الصوت وكان عندي أرفع منزلةً من الصوت الذي صنعته بالأمس، وأني ألقيته عليك حتى أحكمته ووجهت بك قاصداً لتلقيه على فلانة جاريته، فصرت إلى باب الفضل فوجدت الأمر على ما ذكر، فاستأذنت فوصلت، وسألني: ما الخبر؟ فأعلمته بخبري في اليوم الماضي وما وصل إلي وإليه من المال، فقال: أخزى الله إبراهيم فما أبخله على نفسه!، ثم دعا خادماً فقال: اضرب الستارة فضربها، فقال لي: ألقه، فلما غنيته لم أتمه حتى أقبل يجر مطرفه، ثم قعد على وسادة دون الستارة، وقال: أحسن والله أستاذك وأحسنت أنت يا مخارق، فلم أخرج حتى أخذته الجارية وأحكمته، فسر بذلك سروراً شديداً، وقال: أقم عندي اليوم! فقلت: يا سيدي إنما بقي لنا يومٌ واحد، ولولا أني احب سرورك لم أخرج من منزلي، فقال: يا غلام احمل مع أبي المهنأ عشرين ألف درهم واحمل إلى إبراهيم مائتي ألف درهم، فانصرفت إلى منزلي بالمال، ففتحت بدرة فنثرت منها على الجواري وشربت وسررت أنا ومن عندي يومنا، فلما أصبحت بكرت إلى إبراهيم أتعرف خبره واعرفه خبري، فوجدته على الحال التي كان عليها

أولاً وآخراً، فدخلت أترنم واصفق، فقال لي: ادن، فقلت: ما بقي؟ فقال: اجلس وارفع سجف هذا الباب فإذا عشرون بدرة مع تلك العشر، فقلت: ما تنتظر الآن؟ فقال: ويحك! ما هو والله إلا أن حصلت حتى جرت مجرى ما تقدم؛ فقلت: والله ما أظن أحداً نال في هذه الدولة ما نلته! فلم تبخل على نفسك بشيء تمنيته دهراً وقد ملكك الله أضعافه! ثم قال: اجلس فخذ هذا الصوت، وألقى علي صوتاً أنساني والله صوتي الأولين:

أفي كل يوم أنت صبٌ وليلةٍ ... إلى أم بكر لا تفيق فتقصر
أحب على الهجران أكناف بيتها ... فيالك من بيتٍ يحب ويهجر
إلى جعفرٍ سارت بنا كل جسرةٍ ... طواها سراها نحوه والتهجر
إلى واسعٍ للمجتدين فناؤه ... تروح عطاياه عليهم وتبكر

- الشعر لمروان بن أبي حفصة يمدح به جعفر بن يحيى. والغناء لإبراهيم، و لم تقع إلينا طريقته- قال مخارق: ثم قال لي إبراهيم: ها! سمعت مثل هذا؟ فقلت: ما سمعت قط مثله. فلم يزل يردده علي حتى أخذته، ثم قال لي: امض إلى جعفر فافعل به كما فعلت بأخيه وأبيه، قال: فمضيت ففعلت مثل ذلك وخبرته ما كان منهما وعرضت عليه الصوت، فسر به ودعا خادماً فأمره بضرب الستارة وأحضر الجارية وقعد على كرسي، ثم قال: هات يا مخارق، فاندفعت فألقيت الصوت عليها حتى أخذته، فقال: أحسنت والله يا مخارق وأحسن أستاذك، فهل لك في المقام عندنا اليوم؟ فقلت: يا سيدي هذا آخر أيامنا، وإنما جئت لموقع الصوت مني حتى ألقيته على

الجارية، فقال: يا غلام احمل معه ثلاثين ألف درهم وإلى الموصلي ثلثمائه ألف درهم، فصرت إلى مترلي بالمال، فأقمت ومن معي مسرورين نشرب بقية يومنا ونطرب، ثم بكرت إلى إبراهيم فتلقاني قائماً وقال لي: أحسنت يا مخارق، فقلت: ما الخبر؟ فقال: اجلس فجلست، فقال لمن خلف الستارة: خذوا فيما أنتم فيه، ثم رفع السجف فإذا المال، فقلت: ما خبر الضيعة؟ فأدخل يده تحت مسورة هو متكيء عليها فقال: هذا صك الضيعة، سئل عن صاحبها فوجد ببغداد، فاشتراها منه يحيى بن خالد، وكتب إلي: قد علمت أنك لا تسخو نفساً بشراء الضيعة من مال يحصل لك ولو حيزت لك الدنيا كلها، وقد ابتعتها لك من مالي ووجهت لك بصكها، ووجه إلي بصكها وهذا المال كما ترى، ثم بكى وقال لي: يا مخارق إذا عاشرت فعاشر مثل هؤلاء، وإذا خنكرت فخنكر لمثل هؤلاء، هذه ستمائة ألف وضيعةٌ بمائة ألف وستون ألف درهم لك، حصلنا ذلك أجمع وأنا جالس في مجلسي لم أبرح منه، فمتى يدرك مثل هؤلاء!.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرني أبي عن إسحاق قال: كان موسى الهادي شكس الأخلاق صعب المزاج، من توقاه وعرف أخلاقه أعطاه ما أمل، ومن فتح فاه فاتفق له أن يفتحه بغير ما يهواه أقصاه واطرحه، فكان لا يحتجب عن ندمائه ولا عن المغنين، وكان يكثر جوائزهم وصلاقم ويواترها، فتغنى أبي عنده يوماً، فقال له: يا إبراهيم غنني جنساً من الغناء ألذ به وأطرب له ولك حكمك، فقال: يا أمير المؤمنين، إن لم يقابلني زحل ببرده رجوت أن أصيب ما في نفسك. قال: وكنت لا أراه يصغي إلى شيء من الأغاني إصغاءه إلى النسيب والرقيق منه، وكان مذهب ابن سريج عنده أحمد من مذهب معبد، فغنيته:

وإني لتعروني لذكراك هزةٌ ... كما انتفض العصفور بلله القطر

فضرب بيده إلى جيب دراعته فحطها ذراعاً، ثم قال: أحسنت والله! زدني، فغنيت:

فيا حبها زدني جوى كل ليلةٍ ... ويا سلوة الأيام موعدك الحشر

فضرب بيده إلى دراعته فحطها ذراعا آخر أو نحوه، وقال: زدني ويلك! أحسنت والله، ووجب حكمك يا إبراهيم؟ فغنيت:

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى ... وزرتك حتى قيل ليس له صبر

فرفع صوته وقال: أحسنت، لله أبوك! هات ما تريد، قلت: يا سيدي، عين مروان بالمدينة، فدارت عيناه في رأسه حتى صارتا كأهما جمرتان، وقال: يا بن اللخناء أردت أن تشهرني بهذا المجلس فيقول الناس: أطربه فحكمه، فتجعلني سمراً وحديثاً! يا إبراهيم الحراني: خذ بيد هذا الجاهل إذا قمت، فأدخله في بيت مال الخاصة، فإن أخذ كل ما فيه فخله وإياه، فدخلت فأخذت خمسين ألف دينار.

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها ... فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

فيا حبها زدني جوًى كل ليلة ويا سلوة الأيام موعدك الحشر
ويا هجر ليلى قد بلغت بي المدى وزدت على ما ليس يبلغه الهجر
وإني لتعروني لذكراك هزةٌ كما انتفض العصفور بلله القطر
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى وزرتك حتى قيل ليس له صبر
أما والذي أبكي وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره أمر
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعهما الذعر

الشعر لأبي صخر الهذلي. والغناء لمعبد، وأول لحنه و يا هجر ليلى وبعده الثاني ثم الأول من الأبيات ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو. ولابن سريج في السادس والسابع والرابع والخامس ثقيلٌ أول عن الهشامي ولعريب في السادس والسابع والرابع والخامس ثقيلٌ أول أيضاً، وللواثق فيها رمل، وهو مما صنعه الواثق قبلها فعارضته بلحنها. وقد نسب قومٌ لحن معبد إلى ابن سريج ولحن ابن سريج إلى معبد.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: اشترى جدك إبراهيم لجعفر بن يحيى جارية مغنية بمال عظيم، فقال جعفر: أي شيء تحسن هذه الجارية حتى بلغت بها هذا المال كله؟ قال: لو لم تحسن شيئاً إلا أنها تحكي قولي:

لمن الديار ببرقة الروحان

لكانت تساويه وزيادةً، فضحك جعفر وقال: أفرطت!

لمن الديار ببرقة الروحان إذ لا نبيع زماننا بزمان
صدع الغواني إذ رمين فؤاده صدع الزجاجة ما لذاك تدان
إن زرت أهلك لم أنول حاجةً وإذا هجرتك شفني هجراني

الغناء لمعبد، فيما ذكره الهشامي وأحمد بن المكي، ثقيل أول بالوسطى، ونسبه غيرهما إلى حنين، وقال آخرون: إنه للغريض، وذكر حبش أنه ليزيد حوراء. وفيه لإبراهيم خفيف رملٍ بالبنصر.

أخبرني الحسين عن حماد قال قال لي أبي: صنع جدك تسعمائة صوتٍ، منها دينارية، ومنها درهمية، ومنهما فلسية، وما رأيت أكثر من صنعته، فأما ثلثمائةٍ منها فإنه تقدم الناس جميعاً فيها، وأما ثلثمائةٍ، فشاركوه وشاركهم فيها، وأما الثلثمائةٍ الباقية، فلعبٌ وطرب، قال: ثم أسقط أبي الثلثمائة الآخرة بعد ذلك من غناء أبيه، فكان إذا سئل عن صنعة أبيه قال: هي ستمائة صوت.

وقال أحمد بن حمدون قال لي إسحاق: من غناء أبي الذي أكرهه وأستزريه صوته في شعر العباس بن الأحنف:

أبكي ومثلي بكى من حب جاريةٍ

فما أعلم له فيه معنًى إلا استحسانه للشعر، فإن العباس أحسن فيه جداً.

أبكي ومثلي بكى من حب جاريةٍ   لم يخلق الله لي في قلبها لينا

هل تذكرين وقوفي عند بابكم   نصف النهار وأهل الدار لا هونا

الشعر للعباس بن الأحنف، والغناء لإبراهيم خفيف رملٍ بالوسطى.

أخبرني جحظة قال أخبرني حماد بن إسحاق قال: قال رجل لأبي: أخبرني عنك، لم طعنت على أبيك في صنعته:

قال لي فيها عشيق مقالاً   فجرت مما يقول الدموع

قال: لأنه تعرض لابن عائشة وله في هذا الشعر صنعةٌ، وابن عائشة ممن لا يعارض فلم يقاربه، وعلى أن صنعة أبي من جيد الغناء لو كان صنعها في غير هذا الشعر، ولكنها اقترنت بصنعة ابن عائشة فلم تقاربها، فسقط عندي لذلك.

قال لي فيها عتيقٌ مقالاً   فجرت مما يقول الدموع

قال لي ودع سليمى ودعها   فأجاب القلب لا أستطيع

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لمعبد ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو، وقيل: إنه لابن عائشة. وفيه ثاني ثقيلٍ ينسب إلى الهذلي. وفيه خفيف ثقيلٍ ينسب إلى ابن عائشة وإلى إبراهيم.

أخبرني الحسن بن علي قال أخبرني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني إسحاق عن أبيه قال: دخلت الري فكنت آلف فتياناً من أهل النعم بها وهم لا يعرفونني، فطال ذلك علي إلى أن دعاني أحدهم ليلةً إلى منزله فبت عنده، فأخرج جاريةً له ومد لها ستارةً فتغنت خلفها، فرأيتها صالحة الأداء كثيرة الرواية، فشوقتني إلى العراق وذكرتني أيامي بها، فدعوت بعود، فلما جيء به اندفعت فغنيت صوتي في شعري:

أنا بالري مقيم   في قرى الري أهيم

وقد كنت صنعت هذا اللحن قديماً بالري، فخرجت الجارية من وراء الستارة مبادرةً إلي، فأكبت على رأسي وقالت: أستاذي والله!، فقال لها مولاها: أي أستاذيك هذا. قالت: إبراهيم الموصلي؛ فإذا هي إحدى الجواري اللاتي أخذن عني وطال العهد بها، فأكرمني مولاها وبرني وخلع علي، فأقمت مدة بغد ذلك بالري وانتشر خبري بها، ثم كتب بحملي إلى والي البلد فأشخصت أخبرني الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة صالح بن محمد قال حدثني القطراني عن محمد بن جبر عن يحيى المكي قال: كنا يوماً بين يدي المهدي وقد حبس إبراهيم الموصلي وضربه وأمر بأن يلبس جبة صوف، وكان يخرج على تلك الحال فيطرح على

الجواري، فكتب إلينا ذات يوم، ونحن مصطبحون وقد جادت السماء بمطر صيف، وبحضرتنا شيء من ورد مبكر:

ألا من مبلغٌ قوماً من أخواني وجيراني
هنيئاً لكم الشرب على وردٍ وتهتان
وأني مفردٌ وحدي بأشجاني وأحزاني
فمن جف له جفنٌ فجفناي يسيلان

قال: فوقف المهدي على رقعته وقرأها فرق له وأمر بطلبه في الوقت، ثم أطلقه بعد بأيام.

أخبرني الحسن قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني ابن المكي عن أبيه قال: كانت لعليٍّ اليماني جاريةٌ فهويها إبراهيم واستهيم بها زماناً، وقال فيها:

كنت حرًا فصرت عبد اليماني من هوى شادنٍ هواه براني
هو نصفان من قضيبٍ ودعصٍ زان صدر القضيب رمانتان

اللحن لإبراهيم في هذين البيتين ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو. وقد زعم قوم أن الشعر للحسين بن الضحاك.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق قال: كان بعض أهل نهيك قد تعاطى الغناء، فلما ظن أنه قد أحكمه شاورني وأبي حاضرٌ، فقلت له: إن قبلت مني فلا تغن فلست فيه كما أرضى، فصاح أبي علي صيحةً شديدةً ثم قال لي: وما يدريك يا صبي! ثم أقبل على الرجل فقال: أنت يا حبيبي بضد ما قال، وإن لزمت الصناعة برعت فيها، فلما خلا بي قال لي: يا أحمق! ما عليك أن يخزي الله مائة ألف مثل هذا! هؤلاء أغنياء ملوك، وهم يعيروننا بالغناء، فدعهم يتهتكوا به ويعيروا ويفتضحوا ويحتاجوا إلينا فننتفع بهم، ويبين فضلنا لدى الناس بأمثالهم. قال: ولزمه النهيكي يأخذ عنه ويبره فيجزل، فكان إذا غنى فأحسن قال له: بارك الله فيك، وإذا أساء قال: بارك الله عليك، وكثر ذلك منه حتى عرف النهيكي معناه فيه، فغنى يوماً وأبي ساهٍ عنه فسكت و لم يقل له شيئاً، فقال له: جعلت فداك، يا أستاذي، أهذا الصوت من اصوات فيك أم عليك؟ فضحك أبي و لم يكن علم أنه قد فطن لقوله، ثم قال له: والله لأقبلن عليك حتى تصير كما تشتهي، فإنك ظريفٌ أديب، وعني به حتى حسن غناؤه وتقدم. وفيه يقول أبي:

أوجب الله لك الحـ ـق على مثلي بظرفك
لن تراني بعد هذا ناطقاً إلا بوصفك
وترى القوة فيما تشتهيه بعد ضعفك

أخبرني إسماعيل قال حدثني عمر بن شبة عن إسحاق، أخبرني به الصولي عن عون بن محمد عن إسحاق قال: غنى مخارقٌ بين يدي الرشيد صوتاً فأخطأ في قسمته، فقلت له: أعد فأعاده، وكان الخطأ خفياً، فقلت للرشيد: يا

سيدي، قد أخطأ فيه، فقال لإبراهيم بن المهدي: ما تقول فيما ذكره إسحاق؟ قال: ليس الأمر كما قال، ولا ها هنا خطأ، فقلت له: أترضى بأبي؟ قال: إي والله، وكان أبي في بقايا علة، فأمر الرشيد بإحضاره ولو محمولاً، فجيء به في محفة، فقال لمخارق: أعد الصوت، فأعاده: فقال: ما عندك يا إبراهيم في هذا الصوت؟ فقال: قد أخطأ فيه، فقال له: هكذا قال ابنك إسحاق، وذكر أخي إبراهيم أنه صحيح، فنظر إلي ثم قال: هاتوا دواةً، فأتي بها وكتب شيئاً لم يقف عليه أحد ثم قطعه ووضعه بين يدي الرشيد، وقال لي: اكتب بذكر الموضع الفاسد من قسمة هذا الصوت، فكتبته وألقيته فقرأه وسر، وقام فألقاه بين يدي الرشيد، فإذا الذي قلناه جميعا متفق، فضحك وعجب، و لم يبق أحدٌ في المجلس إلا قرظ وأثنى ووصف، ولا أحدٌ خالف إلا خجل وذل وأذعن. وقال أبي في ذلك:

ليت من لا يحسن العل   م كفانا شر علمه

فاخبر الحق ابتداءً   وقس العلم بفهمه

طيب الريحان لا تع   رفه إلا بشم

حدثني جحظة قال حدثني هبة الله، وحدثني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: غنى أبي يوماً بحضرة الرشيد:

سلي هل قلاني من عشيرٍ صحبته   وهل ذم رحلي في الرفاق رفيق

فطرب واستعاده وأمر له بعشرين ألف درهم، فلما كان بعد سنين، خطر ببالي ذلك الصوت وذكرت قصته، فغنيته إياه، فطرب وشرب، ثم قال لي: يا إسحاق، كأني في نفسك ذكرت حديث أبيك وأني أعطيته ألف دينار على هذا الصوت فطمعت في الجائزة!، فضحكت ثم قلت: والله يا سيدي ما أخطأت، فقال: قد أخذ ثمنه أبوك مرةً فلا تطمع، فعجبت من قوله، ثم قلت: يا سيدي، قد أخذ أبي منك أكثر من مائتي ألف دينار ما رأيتك ذكرت منها غير هذا الألف على بختي أنا، فقال: ويحك! أكثر من مائتي ألف دينار؟! قلت: إي والله!، فوجم وقال: أستغفر الله من ذلك، ويحك! فما الذي خلف منها؟ قلت: خلف علي ديوناً مبلغها خمسة آلاف دينار قضيتها عنه، فقال: ما أدري أينا أشد تضييعاً! والله المستعان.

سلي هل قلاني من عشيرٍ صحبته   وهل ذم رحلي في الرفاق رفيق

وهل يحتوي القوم الكرام صحابتي   إذا اغبر مخشي الفجاج عميق

ولو تعلمين الغيب أيقنت أنني   لكم والهدايا المشعرات صديق

الشعر ينسب إلى مضرس بن قرط الهلالي وإلى قيس بن ذريح، وفيه بيت يقال: إنه لجرير. والغناء مختلطٌ في أشعار الثلاثة المذكورين، ونسبته تأتي في أخبار قيس بن ذريح، إلا أن الغناء في هذه الثلاثة الأبيات لمعبد ثقيلٌ أول

بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثتني نشوة الأشنانية قالت أخبرني أبو عثمان يحيى المكي قال: تشوق يوماً إبراهيم الموصلي إلى سرداب له، وكانت فيه بركة ماء تدخل من موضع إليه وتخرج إلى بستان، فقال: أشتهي أن أشرب يومي وأبيت ليلتي في هذا السرداب ففعل ذلك، فبينا هو نائم في نصف الليل فإذا سنورتان قد نزلتا من عرجة السرداب، بيضاء وسوداء، فقالت إحداهما: أتراه نائماً؟ فقالت السوداء: هو نائم، فاندفعت السوداء فغنت بأحسن صوت:

عفا مزج إلى لصقٍ	إلى الهضبات من هكر
إلى قاع النقير إلى	قرار حلال في حدر

قال: فمات إبراهيم فرحا وقال: يا ليتهما أعاداه! فأعاداه مراراً حتى أخذه، ثم تحرك فقامت السنورتان، وسمع إحداهما تقول للأخرى: والله لا طرحه على أحد إلا جن، فطرحه من غدٍ على جارية له فجنت. الغناء فيه لمالكٍ ثقيلٌ أول بالوسطى عن يحيى المكي وعمرو بن بانة.

أخبرني الحسن بن علي وعمي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: حدثني أبو محمد إسحاق بن إبراهيم عن أبيه قال: أتيت الفضل بن يحيى يوماً، فقلت له: يا أبا العباس، جعلت فداك! هب لي دراهم فإن الخليفة قد حبس يده، فقال: ويحك يا أبا إسحاق! ما عندي مال أرضاه لك، ثم قال: هاه، إلا أن ها هنا خصلةً أتانا رسول صاحب اليمن فقضينا حوائجه، ووجه إلينا بخمسين ألف دينار يشتري لنا بها محبتنا، فما فعلت ضياء جاريتك. قلت: عندي، جعلت فداك!، قال: فهو ذا، أقول لهم يشتروها منك فلا تنقصها من خمسين ألف دينار، فقبلت رأسه ثم انصرفت، فبكر علي رسول صاحب اليمن ومعه صديق لي، فقال: جاريتك فلانة عندك؟ فقلت: عندي، فقال: اعرضها علي، فأخرجتها، قال: بكم؟ قلت: بخمسين ألف دينار ولا أنقص منها ديناراً واحداً، وقد أعطاني

بها الفضل بن يحيى أمس هذه العطية، فقال لي: أريدها له، فقلت له: أنت أعلم، إذا اشتريتها فصيرها لمن شئت، فقال لي: هل لك في ثلاثين ألف دينار مسلمةٍ لك؟ قال: وكان شراء الجارية على أربعمائة دينار، فلما وقع في أذني ذكر ثلاثين ألفاً أرتج علي ولحقني زمعٌ، وأشار علي صديقي الذي معه البيع، وخفت والله أن يحدث بالجارية حدثٌ أو بي بالفضل بن يحيى، فسلمتها وأخذت المال، ثم بكرت على الفضل بن يحيى، فإذا هو جالس وحده ة فلما نظر إلي ضحك، ثم قال لي: يا ضيق الحوصلة! حرمت نفسك عشرين ألف دينارة، فقلت له: جعلت فداك، دع ذا عنك، فوالله لقد دخلني شيء أعجز عن وصفه وخفت أن تحدث بي حادثة أو بالجارية أو بالمشتري أو بك، أعاذك الله من كل سوء، فبادرت بقبول الثلاثين ألف دينار، فقال: لا ضير، يا غلام جيء بالجارية، فجاء بجاريتي بعينها، فقال: خذها مباركاً لك فيها، فإنما أردنا منفعتك و لم نرد الجارية، فلما نهضت، قال لي: مكانك، ونفذنا كتبه، وذكر أنه قد جاءنا بثلاثين ألف دينار يشتري لنا بها ما نحب، فاعرض عليه

جاريتك هذه ولا تنقصها من ثلاثين ألف دينار، إن صاحب إرمينية قد جاءنا فقضينا حوائجه فانصرفت بالجارية وبكر إلي رسول صاحب إرمينية ومعه صديقٌ، لي آخر، فقاولني بالجارية، فقلت: لست أنقصها من ثلاثين ألف دينار، فقال لي: معي على الباب عشرون ألف دينار تأخذها مسلمة، بارك الله لك فيها، فدخلني والله مثل الذي دخلني في المرة الأولى وخفت مثل خوفي الأول، فسلمتها وأخذت المال، وبكرت على الفضل بن يحيى فإذا هو وحده ة فلما رآني ضحك وضرب برجله الأرض وقال: ويحك! حرمت نفسك عشرة آلاف دينار، فقلت: أصلحك الله، خفت والله ما خفت في المرز الأولى ة قال: لا ضير، أخرج يا غلام جاريته ة فجاء بجاريتي بعينها، فقال: خذها، ما أردناها ولا أردنا إلا منفعتك، فلما ولت الجارية صحت بها: ارجعي فرجعت، فقلت: أشهدك، جعلت فداك، أنها حرة لوجه الله وأني قد تزوجتها على عشرة آلاف درهم، كسبت لي في يومين خمسين ألف دينار، فما جزاؤها إلا هذا، فقال: وفقت إن شاء الله.

أخبرني الحسن بن علي قال أخبرني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني إسحاق قال قال لي أبي: كنت في شبابي ألازم أصحاب قطربل وباري وبنى وما أشبه هذه المنازل، فأتخذ فيهم الخمار اللطيف، يحسبوني بالشراب الجيد ويخبؤه لي، فجئت إلى باري يوماً فلقيني خماري، فقال لي: يا أبا إسحاق عندي شيء من بابتك، وقد كنت عملت لحني هذا:

اشرب الراح وكن في ... شربك الراح وقورا

فاشرب الراح رواحاً ... وظلاماً وبكورا

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى. وفيه لمنصور زلزل الضارب خفيف رملٍ عن حبش- قال: فدخلت بيته وبزلت دنه وجعلت أرجع الصوت، فبهت ينظر إلي والنبيذ يجرى حتى امتلأ الإناء وفاض، فقلت له: ويحك! شراب! قد فاض، فقال: دعني من شرابي، بالله مات لك إنسان في هذه الأيام؟ فقلت: لا، قال: فما بال حلقك هذا حزيناً أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني حماد بن إسحاق عن عمه طياب بن إبراهيم قال: دخلت على أبي يوماً وعنده مخارق وأبي يلقي عليه هذا الصوت:

طربت وأنت معنيٌّ كئيب ... وقد يشتاق ذو الحزن الغريب

وشاقك بالموقر أهل خاخ ... فلا أممٌ هناك ولا قريب

وكم لك دونها من عرض أرضٍ ... كأن سرابها الجاري سبيب

لعمرك إنني برقيم قيس ... وجارة أهلها لأنا الحريب

- الشعر للأحوص، والغناء لإبراهيم ماخوريٌّ بالبنصر عن عمرو- قال: فلما أخذه مخارق جعل أبي يبكي، ثم قال له: يا مخارق، نعم وسيلة إبليس أنت في الأرض، أنت والله بعدي صاحب اللواء في هذا الشأن.

أخبرني الحسن بن علي وعمي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال: لما صنع أبي لحنه في:

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد

خاصمته وعنته في صنعته، وقلت له: أما بإزائك من ينتقد أنفاسك ويعيب محاسنك وأنت لا تفكر، تجيء إلى صوت قد عمل فيه ابن سريج لحناً فتعارضه بلحن لا يقاربه والشعر أوسع من ذلك! فدع ما قد اعتورته صناعة القدماء وخذ في غيره، فغضب، وكنت لا أزال أفاخره بصنعتي وأعيب ما يعاب من صنعته، فإن قبل مني فذلك، وإن غضب داريته وترضيته، فقال لي: ما يعلم الله أني أدعك أو تفاخرني بخير صوتٍ صنعته في الثقيل الثاني في طريقة هذا الصوت، فلما رأيت الجد منه اخترت صنعتي في هذا اللحن:

قل لمن صد عاتبا ونأى عنك جانبا

قد بلغت الذي أرد ت وإن كنت لاعبا

وكان ما تجاريناه ونحن نتساير خارجين إلى الصحراء نقطع فضلة حمار بنا، فقال: من تحب أن يحكم بيني وبينك. فقلت: من ترى أن يحكم ها هنا. قال: أول من يطلع علينا، أغنيه لحني وتغنيه لحنك، فطمعت فيه وقلت نعم، فأقبل شيخ نبطيٌ يحمل شوكاً على حمار له، فأقبل عليه أبي فقال: إني وصاحبي هذا قد تراضينا بك في شيء، قال: وأي شيء هو؟ فقلنا: زعم كل واحد منا أنه أحسن غناءً من صاحبه، فتسمع مني ومنه وتحكم، فقال: على اسم الله، فبدأ أبي فغنى لحنه، وتبعته فغنيت لحني، فلما فرغت أقبل علي فقال لي: قد حكمت عليك عافاك الله ومضى، فلطمني أبي لطمةً ما مر بي مثلها منه قط، وسكت فما أعدت عليه حرفاً لا راجعته بعد ذلك في هذا المعنى حتى افترقنا.

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد

واستبدت مرة واحدةً إنما العاجز من لا يستبد

زعموها سألت جاراتها ذات يوم وتعرت تبترد

أكما ينعتني تبصرنني عمركن الله أم لا يقتصد

فتضاحكن وقد قلن لها حسن في كل عين من تود

حسداً حملنه من أجلها وقديماً كان في الناس الحسد

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. ولحن إبراهيم فيه ثاني ثقيل بالوسطى. وفيه لابن سريج رمل بالخنصر في مجرى البنصر. وفيه لمالك خفيف ثقيلٍ بالخنصر والبنصر عن يحيى المكي، وذكره إسحاق في هذه الطريقة و لم ينسبه إلى أحد، وقال الهشامي: أدل شيء على أنه لمالك شبهه للحنه:

اسلمي يا دار من هند

وفيه لمتيم ثقيلٌ أول. وأما لحن إسحاق الذي فاخر به صنعة أبيه، فقد كتب شعره والصنعة فيه- وهما جميعاً لإسحاق، ولحنه ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو- في أخبار إسحاق.

وذكر أحمد بن أبي طاهر أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه قال: كان الرشيد قد وجد على منصور زنزل لشيء بلغه عنه، فحبسه عشر سنين أو نحوها، فقام الرشيد يوماً لحاجته، فجعل إبراهيم يغني صوتاً صنعه في شعر كان قاله في حبس زلزل، وهو:

هل دهرنا بك راجعٌ يا زلزل ... أيام يبغينا العدو المبطل

أيام أنت من المكاره آمنٌ ... والخير متسعٌ علينا مقبل

يا بؤس من فقد الإمام وقربه ... ماذا به من ذلة لو يعقل

ما زلت بعدك في الهموم مردداً ... أبكي بأربعةٍ كأني مثكل

- الشعر والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو- قال: ودخل الرشيد وهو في ذلك فجلسى في مجلسه، ثم قال: يا إبراهيم، أي شيء كنت تقول؟ فقال: خيراً يا سيدي، فقال: هاته فتلكأ، فغضب الرشيد وقال: هاته فلا مكروه عليك، فرد الغناء، فقال له: أتحب أن تراه؟ فقال: وهل ينشر أهل القبور. فقال: هاتوا زلزلاً، فجاءوا به وقد ابيض رأسه ولحيته فسر به إبراهيم، وأمره فجلس، وأمر إبراهيم فغنى وضرب عليه فزلزلا الدنيا، وشرب الرشيد على ذلك رطلاً وأمر بإطلاق زلزل وأسنى جائزتهما ورضي عنه وصرفه إلى مترله. قال: وزلزلٌ أول من أحدث هذه العيدان الشبابيط، وكانت قديماً على عمل عيدان الفرس، فجاءت عجباً من العجب. قال: وكانت أخت زلزل تحت إبراهيم، وقد ولدت منه.

أخبرني محمد بن مزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: أول من تعلمت منه الغناء مجنونٌ، كان إذا صيح به: يا مضر، يهيج ويرجم، فبلغني أنه يغني أصواتاً فيجيدها، أخذها عن قدماء أهل الحجاز، فكنت أدخله إلي فأطعمه وأسقيه وأخدعه حتى آخذ عنه، وكان حاذقاً، فأول صوت أخذته عنه:

أرسلي بالسلام يا سلم إني ... منذ علقتكم غنيٌ فقير

فالغنى إن ملكت أمرك والفق ... ر بأني أزور من لا يزور

ويح نفسي! تسلو النفوس ونفسي ... في هوى الريم ذكرها ما يحور

من لنفس تتوق أنت هواها ... وفؤاد يكاد فيك يطير

ثم مكثت زماناً آخذ عنه، وكان إذا عاد إليه عقله من أحذق الناس وأقومهم على ما يؤديه، ثم غاب عني فما أعرف خبره.

وهذا الشعر للوليد بن يزيد. والغناء ليونس خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر غيره أنه لعمر

الوادي، وفيه لوجه القرعة ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حبش.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده قال: خرجت مع الرشيد إلى الشأم لما غزا، فدعاني يوماً فدخلت إليه إلى مجلس لم أر أحسن منه مفروشٍ بأنواع الرخام، فأكل وأمرني فأكلت معه، وجعلت أتولى خدمته إلى العصر، ثم دعا بالنبيذ فشرب وسقاني معه، ثم خلع علي خلعة وشى من ثيابه وأمر لي بألف دينار، ثم قال: انظر يا إبراهيم، كم من يدٍ أوليتك إياها اليوم! نادمتني مفرداً، وآكلتني، وخلعت عليك ثيابي من بدني، ووصلتك، وأجلستك في إيوان مسلمة بن عبد الملك تشرب معي، فقلت: يا سيدي، ما ذهب علي شيء من تفضلك، وإن نعمك عندي لأكثر من أن تحصى، وقبلت رجله والأرض بين يديه.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال قال دعبل بن علي: لما ولى الرشيد الخلافة وجلس للشرب بعد فراغه من إحكام الأمور ودخل عليه المغنون، كان أول من غناه إبراهيم الموصلي بشعره فيه، وهو:

إذا ظلم البلاد تجللتنا فهارون الإمام لها ضياء

بهارون استقام العدل فينا وغاض الجور وانفسح الرجاء

رأيت الناس قد سكنوا إليه كما سكنت إلى الحرم الظباء

تبعت من الرسول سبيل حقٍّ فشأنك في الأمور به اقتداء

فقال له الخادم من خلف الستارة: أحسنت يا إبراهيم في شعرك وغنائك، وأمر له بعشرين ألف درهم. لحن إبراهيم في هذا الصوت ثقيلٌ أول بالسبابة والوسطى عن أحمد بن المكي.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال حدثني أبي قال: كنت أنا وأبو سعيد النهدي وهاشم بن سليمان المغني يوماً مجتمعين في بستان لنا ونحن نشرب وهاشم يغنيناة فلما توسطنا أمرنا إذا نحن برجل فد دخل علينا البستان جميل الهيئة حسن الزي، فلما بصرنا به من بعيد، وثب هاشمٌ يعدو حتى لقيه، فقبل يده وعانقه، ولم يعرفه أحدٌ منا، فجاء وسلم سلام الصديق على صديقه، ثم قال: خذوا في شأنكم، فإني اجتزت بكم فسمعت غناء أبي القاسم فاستخفني وأطربني، فدخلت إليكم واثقاً بأنه لا يعاشر إلا فتى ظريفاً يستحسن هذا الفعل ويسره، ولي في هذا إمام وهو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فإنه سمع غناء عند قوم فدخل بغير إذن ثم قال: إنما أدخلني عليكم مغنيكم لما غنى:

قل لكرام ببابنا يلجوا ما في التصابي على الفتى حرج

وأنا أعلم أن نفوسكم متعلقة بمعرفتي، فمن عرفني فقد اكتفى، ومن جهلني فأنا إبراهيم الموصلي، فقمنا فقبلنا رأسه وسررنا به أتم سرور، وانعقدت بيننا وبينه يومئذ مودة، ثم غاب عنا غيبةً طويلة، وإذا هاشم قد أنفذ إلينا منه رقعةً فيها:

أهاشم هل لي من سبيل إلى التي تفرق هم النفس في كل مذهب

معتقة صرفاً كأن شعاعها　　تضرم نار أو توقد كوكب
ألا رب يوم قد لهوت وليلةٍ　　بها والفتى النهدي وابن المهلب
ندير مداماً بيننا بتحية　　وتفديةٍ بالنفس والأم والأب

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان لي وأنا صبي عقعق قد ربيته وكان يتكلم بكل شيء سمعه، فسرق خاتم ياقوت كان لأبي قد وضعه على تكأته ودخل الخلاء ثم خرج ولم يجده، فطلبه وضرب غلامه الذي كان واقفاً، فلم يقف له على خبر، فبينا أنا ذات يوم في دارنا إذ أبصرت العقعق قد نبش ترابا فأخرج الخاتم منه ولعب به طويلًا، ثم رده فيه ودفنه، فأخذته وجئت به إلى أبي، فسر بذلك وقال يهجو العقعق:

إذا بارك الله في طائرٍ　　فلا بارك الله في العقعق
طويل الدنابى قصير الجناح　　متى ما يجد غفلةً يسرق
يقلب عينين في رأسه　　كأنهما قطرتا زئبق

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن المكي، وذاكرت أبا أحمد بن جعفر جحظة بهذا الخبر فقال حدثني به محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل عن أبيه عن جده، ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب عن علي بن محمد بن نصر عن جده حمدون بن إسماعيل فجمعت الروايات كلها: أن الرشيد قال يوماً لجعفر بن يحيى: قد طال سماعنا هذه العصابة على اختلاط الأمر فيها فهلم أقاسمك إياها وأخايرك، فاقتسما المغنين، على أن جحلاً، بإزاء كل رجل نظيره، وكان ابن جامع في حيز الرشيد وإبراهيم في حيز جعفر بن يحيى، وحضر الندماء لمحنة المغنين، وأمر الرشيد ابن جامع فغنى صوتاً أحسن فيه كل الإحسان وطرب الرشيد غاية الطرب، فلما قطعه قال الرشيد لإبراهيم: هات يا إبراهيم هذا الصوت فغنه، فقال: لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرفه، وظهر الانكسار فيه، فقال الرشيد لجعفر: هذا واحد، ثم قال لإسماعيل بن جامع: إن يا إسماعيل، فغنى صوتاً ثانياً أحسن من الأول وأرضى في كل حال، فلما استوفاه قال الرشيد لإبراهيم: هاته يا إبراهيم، قال: ولا أعرف هذا، فقال: هذان اثنان، غن يا إسماعيل، فغنى ثالثاً يتقدم الصوتين الأولين ويفضلهما، فلما أتى على آخره، قال: هاته يا إبراهيم، قال: ولا أعرف هذا أيضاً، فقال له جعفر: أخريتنا أخزاك الله. قال: وأتم ابن جامع يومه والرشيد مسرور به، وأجازه بجوائز كثيرةٍ وخلع عليه خلعاً فاخرة، ولم يزل إبراهيم منخذلاً منكسراً حتى انصرف. قال: فمضى إلى منزله، فلم يستقر فيه حتى بعث إلى محمد المعروف بالزف، وكان محمد من المغنين المحسنين، وكان أسرع من عرف في أيامه في أخذ صوت يريده أخذه، وكان الرشيد قد وجد عليه في بعض ما يجده الملوك على أمثاله فألزمه بيته وتناساه، فقال إبراهيم للزف: إني اخترتك على من هو أحب إلي منك، لأمر لا يصلح له غيرك، فانظر كيف تكون! قال: أبلغ في ذلك محبتك إن شاء الله تعالى، فأدى إليه الخبر وقال: أريد

أن تمضي الساعة إلى ابن جامع، فتعلمه أنك صرت إليه مهنئاً بما تهيأ له علي، وتنقصني وثلبني وتشتمني، وتحتال في أن تسمع منه الأصوات وتأخذها منه، ولك ما تحبه من جهتي من عرض من الأعراض مع رضا الخليفة إن شاء الله. قال: فمضى من عنده وآستأذن على ابن جامع فأذن له، فدخل وسلم عليه وقال: جئتك مهنئاً بما بلغني من خبرك، والحمد لله الذي أخزى ابن الجرمقانية على يدك، وكشف الفضل في محلك من صناعتك، قال: وهل بلغك خبرنا؟ قال: هو أشهر من أن يخفى على مثلي، قال: ويحك، إنه يقصر عن العيان، قال: أيها الأستاذ، سرني بأن أسمعه من فيك حتى أرويه عنك، وأسقط بيني وبينك الأسانيدة قال: أقم عندي حتى أفعل، قال: السمع والطاعة، فدعا له ابن جامع بالطعام فأكلا ودعا بالشراب، ثم ابتدأ فحدثه بالخبر حتى انتهى إلى خبر الصوت الأول، فقال له الزف: وما هو أيها الأستاذ؟ فغناه ابن جامع إياه، فجعل محمد يصفق وينعر ويشرب وابن جامع مجتهد في شأنه حتى أخذه عنه. ثم سأله عن الصوت الثاني، فغناه إياه، وفعل مثل فعله في الصوت الأول، ثم كذلك في الصوت الثالث ة فلما أخذ الأصوات الثلاثة كلها وأحكمها قال له: يا أستاذ، قله بلغت ما أحب، فتأذن لي في الانصراف. قال: إذا شئت، فانصرف محمد من وجهه إلى إبراهيم، فلما طلع من باب داره قال له: ما وراءك. قال: كل ما تحب، ادع لي بعود، فدعا له به، فضرب وغناه الأصوات، قال إبراهيم: وأبيك هي بصورها وأعيانها، رددها علي الآن، فلم يزل يرددها حتى صحت لإبراهيم، وانصرف الزف إلى منزله، وغدا إبراهيم إلى الرشيد، فلما دعا بالمغنين دخل فيهم، فلما بصر به قال له: أو قد حضرت! أما كان ينبغي
لك أن تجلس في منزلك شهراً بسبب ما لقيت من ابن جامع قال: و لم ذلك يا أمير المؤمنين؟ جعلني الله فداءك! والله لئن أذنت لي أن أقول لأقولن، قال: وما عساك أن تقول؟ قل، فقال: إنه ليس ينبغي لي ولا لغيري أن يراك نشيطاً لشيء فيعارضك، ولا أن تكون متعصباً لحيزٍ وجنبةٍ فيغالبك، وإلا فما في الأرض صوتٌ لا أعرفه، قال: دع ذا عنك، قد أقررت أمس بالجهالة بما سمعت من صاحبنا، فإن كنت أمسكت عنه بالأمس على معرفة كما تقول فهاته اليوم، فليس هاهنا عصبية ولا تمييز، فاندفع فأمر الأصوات كلها، وابن جامع مصغٍ يسمع منه، حتى أتى على آخرها، فاندفع ابن جامع فحلف بالأيمان المحرجة أنه ما عرفها قط ولا سمعها ولا هي إلا من صنعته، و لم تخرج إلى أحد غيره. فقال له: ويحك! فما أحدثت بعدي. قال: ما أحدثت حدثاً، فقال: يا إبراهيم بحياتي اصدقني! فقال: وحياتك لأصدقنك، رميته بحجره، فبعثت له بمحمد الزف وضمنت له ضمانات، أولها رضاك عنه، فمضى فاحتال لي عليه حتى أخذها عنه ونقلها إلي، وقد سقط الآن اللوم عني بإقراره، لأنه ليس علي أن أعرف ما صنعه هو و لم يخرجه إلى الناس، وهذا باب من الغيب، وإنما يلزمني أن يعرف هو شيئاً من غناء الأوائل وأجهله أنا، وإلا فلو لزمني أن أروى صنعته للزمه أن يروى صنعتي، ولزم كل واحد منا لسائر طبقته ونظرائه مثل ذلك، فمن قصر عنه كان مذموماً ساقطاً، فقال له الرشيد: صدقت يا إبراهيم، ونضحت عن نفسك، وقمت بحجتك، ثم أقبل على ابن جامع فقال له: يا إسماعيل، أتيت أتيت! دهيت دهيت! أبطل عليك الموصلي ما فعلته به أمس وانتصف اليوم منك، ثم دعا بالزف فرضي عنه.

قال علي بن محمد: سألت خالي أبا عبد الله بن حمدون وقد تجارينا هذا الخبر: هل تعرف أصوات ابن جامع هذه؟ فأخبرني أنه سمع إسحاق يحكى هذه القصة، وذكر أن الصوت الأول منها:

بكيت نعم بكيت وكل إلفٍ إذا بانت قرينته بكاها

وما فارقت لبنى عن تقالٍ ولكن شقوةٌ بلغت مداها

الشعر لقيس بن ذريح. والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى. وفيه ليحيى المكي ثاني ثقيل آخر بالخنصر والبنصر من كتابه. وفيه لإبراهيم ثقيل أول عن الهشامي.

قال: والثاني منها.

عفت دار سلمى بمفضى الرغام رياح تعاقبها كل عام

خلاف الحلول بتلك الطلول وسحب الذيول بذاك المقام

وأنس الديار وقرب الجوار وطيب المزار ورد السلام

ودهر غرير وعيش السرور ونأى الغيور وحسن الكلام

الشعر لحماد الراوية. والغناء لابن جامع ثقيل أول بالبنصر، ذكر ذلك الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو، قال ابن حمدون: وهذا الصوت عجيب الصنعة، كثير النغم، محكم العمل، من صدور أغاني ابن جامع ومتقدم صنعته، وكان المعتصم معجباً به، وكثيراً ما كان يسكت المغنين إذا غني بحضرته فلا يسمع سائر يومه غيره.

قال: والثالث منها:

نزف البكاء دموع عينك فاستعر عينا لغيرك دمعها مدرار

من ذا يعيرك عينه تبكي بها أرأيت عيناً للبكاء تعار

الشعر للعباس بن الأحنف. والغناء لابن جامع ثقيلٌ أول بالوسطى، وقال ابن حمدون: وعارضه إبراهيم بعد ذلك في هذا، الشعر، فصنع فيه لحناً من الرمل بالبنصر في مجراها، فلم يلحقه ولا قاربه. قال: وقد صنع أيضاً في هذا الشعر لحنٌ خفيف فاسد الصنعة محدث ليس ينبغي أن يذكر هاهنا.

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو عبد الله الحزنبل قال حدثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال: أنشد بشارٌ قول العباس بن الأحنف:

نزف البكاء دموع عينك فاستعر عينا لغيرك دمعها مدرار

فقال بشار: لحق والله هذا الفتى بالمحسنين، وما زال يدخل نفسه معنا ونحن نخرجه حتى قال هذا الشعر.

حدثني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون عن إسحاق قال: أنشد الرشيد قول العباس:

من ذا يعيرك عينه تبكي بها أرأيت عيناً للبكاء تعاو

فقال: يعيره من لا حاطه الله ولا حفظه.

ومما يغنى فيه من قصيدة العباس بن الأحنف الرائية التي هذا الصوت الأخير منها قوله:

الحب أول ما يكون لجاجةً تأتي به وتسوقه الأقدار

حتى إذا سلك الفتى لجج الهوى جاءت أمورٌ لا تطاق كبار

غناه ابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر. وفيه لشاطره امرأة منصورٍ زلزلٍ ثقيلٌ أول بالوسطى عن الهشامي. وذكر ابن المكي المرتجل أن هذه الأصوات الثلاثة المسروقة من ابن جامع:

يا قبر بين بيوت آل محرقٍ عفا طرف القرية فالكثيب

وأسقط منها قوله:

نزف البكاء دموع عينك فاستعر وبكيت نعم بكيت وكل إلف

يا قبر بين بيوت آل محرق جادت عليك رواعد وبروق

أما البكاء فقل عنك كثيره ولئن بكيت فالبكاء حقيق

الشعر لرجل من بني أسد يرثي خالد بن نضلة ورجلاً آخر من بني أسد كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء، فقتلهما في سخطه عليهما، وخبر ذلك مشهور في أخبار ابن جامع. والغناء لابن جامع، وله فيه لحنان: ثقيل أول بالوسطى، ورمل بالبنصر، وقيل: إن الرمل لابن سريج. وذكر حبش أن لمحمد صاحب البرام فيه لحناً من الثقيل الثاني بالوسطى.

ومنها:

عفا رسم القرية فالكثيب إلى ملحاء ليس بها عريب

تأبد رسمها وجرى عليها سفي الريح والترب الغريب

فإنك واطراحك وصل سعدى لأخرى في مودتها نكوب

كثاقبةٍ لحليٍ مستعار بأذنيها فشأنهما الثقوب

فردت حلي جارتها إليها وقد بقيت بأذنيها ندوب

الشعر لابن هرمة. والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. عن إسحاق، وفيه للغريض ثاني ثقيل آخر بالبنصر عن عمرو. وقال عمرو: فيه لحن للهذلي، ولم يجنسه.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني عيسى بن أيوب القرشي قال حدثني غيث بن عبد الكريم عن فليح بن إسماعيل عن إسماعيل بن جعفر الفقيه مولى حرب عن أبيه

قال: مررت بابن هرمة وهو جالس على دكان في بني زريق، فقلت له: يا أبا إسحاق، ما يجلسك ها هنا؟ قال: بيت كنت قلته ثم انقطع علي الروي فيه وتعذر علي ما أشتهيه، فأبغضته وتركته، قلت: ما هو؟ قال:

فإنك واطراحك وصل سعدى لأخرى في مودتها نكوب

قال: قلته ثم انقطع لي فيه، فمرت بي جويرية صفراء مليحة كنت أستحسنها أبداً وأكلمها إذا مرت بي، فمرت اليوم فرأيتها وقد ورم وجهها وتغير خلقها، أعما أعرف، فسألتها عن خبرها فقالت: كان في بني فلان عرسٌ أردت حضوره، فاستعار لي أهلي حلياً وثقبوا أذني لألبسه فورم وجهي وأذناي كما ترى، فردوه و لم أشهد العرس، قال ابن هرمة: فاطرد لي الشعر فقلت:

كثاقبةٍ لحلي مستعارٍ بأذنيها فشأنهما الثقوب

فردت حلي جارتها إليها وقد بقيت بأذنيها ندوب

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني العباس بن الفضل قال حدثني أبي قال: قال الرشيد لإبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصلي وابن جامع وابن أبي الكنات: باكروني غداً، وليكن كل واحد قد قال شعراً إن كان يقدر أن يقوله، وغنى فيه لحنا، وإن لم يكن شاعراً غنى في شعر غيره. قال إبراهيم بن المهدي: فقمت في السحر وجهدت أن أقدر على شيء أصنعه فلم يتفق لي، فلما خفت طلوع الفجر دعوت بغلماني وقلت لهم: إني أريد أن أمضي إلى موضع ولا يشعر بي أحد حتى أصير إليه، وكانوا يبيتون على باب داري، فقمت فركبت وقصدت دار إبراهيم الموصلي، وكان قد حدثني أنه إذا أراد الصنعة لم ينم حتى يدبر ما يحتاج إليه، وإذا قام لحاجته في السحر اعتمد على خشبة له في المستراح، فلم يزل يقرع عليها حتى يفرغ من الصوت ويرسخ في قلبه، فجئت حتى وقفت تحت مستراحه، فإذا هو يردد هذا الصوت:

إذا سكبت في الكأس قبل مزاجها ترى لونها في جلدة الكأس مذهبا

وإن مزجت راعت بلون تخاله إذا ضمنته الكأس في الكأس كوكبا

أبوها نجاء المزن والكرم أمها فلم أر زوجاً منه أشهى وطيبا

فجاءتك صفراً أشبهت غير جنسها وما أشبهت في اللون أما ولا أبا

قال: فما زلت واقفاً أستمع منه الصوت حتى أخذته، ثم غدونا إلى الرشيد، فلما جلسنا للشرب خرج الخادم إلي فقال: يقول لك أمير المؤمنين: يا بن أم غنني، فاندفعت فغنيت هذا الصوت والموصلي في الموت حتى فرغت منه، فشرب عليه وأمر لي بثلثمائة ألف درهم، فوثب إبراهيم الموصلي فحلف بالطلاق وحياة الرشيد أن الشعر له قاله البارحة وغنى فيه، ما سبقه إليه أحدٌ، فقال إبراهيم: يا سيدي، فمن أين هو لي أنا لولا كذبه وبهته! وإبراهيم يضطرب ويضج، فلما قضيت أرباً من العبث به قلت للرشيد: الحق أحق أن يتبع، وصدقته، فقال للموصلي: أما

أخي فقد أخذ المال ولا سبيل إلى رده، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم عوضاً مما جرى عليه، فلو بدأت أنت بالصوت لكان هذا حظك، فأمر له بها فحملت إليه.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن مخارق قال: أتى إبراهيم الموصلي محمد بن يحيى بن خالد في يوم مهرجان، فسأله محمدٌ أن يقيم عنده، فقال: ليس يمكنني لأن رسول أمير المؤمنين قد أتاني، قال: فتمر بنا إذا انصرفت ولك عندي كل ما يهدى إلي اليوم؟ فقال: نعم، وترك في المجلس صديقاً له يحصي ما يبعث به، إليه، قال: فجاءت هدايا عجيبةٌ من كل ضرب، قال: وأهدي إليه تمثال فيلٍ من ذهب عيناه ياقوتتان، فقال محمد للرجل: لا تخبره بهذا حتى نبعث به إلى فلانة ففعل، وانصرف إبراهيم إليه فقال: أحضرني ما أهدي لك، فأحضره ذلك كله إلا التمثال، وقال: لا بد من صدقك، كان من الأمر كذا وكذاة فقال: لا! إلا على الشريطة وكما ضمنت، فجيء بالتمثال، فقال إبراهيم: أليس الهدية لي فأعمل فيها ما أريد. قال: بلى، قال: فرد التمثال على الجارية، وجعل يفرق الهدايا على جلساء محمد شيئاً شيئاً وعلى جميع من حضر من إخوانه وغلمانه وعلى من في دور الحرم من جواريه حتى لم يبق منها شيء، ثم أخذ من المجلس تفاحتين لما أراد الانصراف وقال: هذا لي، وانصرف، فجعل محمد يعجب من كبر نفسه ونبله.

وقال أحمد بن المرزبان حدثني بعض كتاب السلطان: أن الرشيد هب ليلة من نومه، فدعا بحمار كان يركبه في القصر أسود قريبٍ من الأرض فركبه، وخرج في دراعة وشيٍ متلثماً بعمامة وشيء ملتحفا بإزار وشي، بين يديه أربعمائة خادم أبيض سوى الفراشين، وكان مسرورٌ الفرغاني جريئاً عليه لمكانه عنده، فلما خرج من باب القصر قال: أين يريد أمير المؤمنين في هذه الساعة. قال: أردت مترل الموصلي. قال مسرورٌ: فمضى ونحن معه وبين يديه حتى انتهى إلى مترل إبراهيم، فخرج فتلقاه وقبل حافر حماره وقال له: يا أمير المؤمنين، أفي مثل هذه الساعة تظهر! قال: نعم، شوقٌ طرق لك بي، ثم نزل فجلس في طرف الإيوان وأجلس إبراهيم، فقال له إبراهيم: يا سيدي أتنشط لشيء تأكله؟ فقال: نعم، خاميز ظبي، فأتي به كأنما كان معداً له، فأصاب منه شيئاً يسيراً، ثم دعا بشراب حمل معه، فقال الموصلي: يا سيدي، أؤغنيك أم تغنيك إماؤك؟ فقال: بل الجواري، فخرج جواري إبراهيم فأخذن صدر الإيوان وجانبيه، فقال: أيضربن كلهن أم واحدة؟ فقال: بل تضرب اثنتان اثنتان وتغني واحدة فواحدة، ففعلن ذلك حتى مر صدر الإيوان وأحد جانبيه والرشيد يسمع ولا ينشط لشيء من غنائهن، إلى أن غنت صبية من حاشيته:

يا موري الزند قد أعيت قوادحه ... اقبس إذا شئت من قلبي بمقباس

ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم ... إذا نظرت فلم أبصرك في الناس

قال: فطرب لغنائها واستعاد الصوت مراراً وشرب أرطالاً، ثم سأل الجارية عن صانعه فأمسكت، فاستدناها فتقاعست، فأمر بها فاقيمت حتى وقفت بين يديه، فأخبرته بشيء أسرته إليه، فدعا بحماره فركبه وانصرف، ثم التفت إلى إبراهيم فقال: ما ضرك ألا تكون خليفة!، فكادت نفسه تخرج، حتى دعا به وأدناه بعد ذلك. قال:

وكان الذي خبرته به أن الصنعة في الصوت لأخته علية بنت المهدي، وكانت الجارية لها وجهت بها إلى إبراهيم يطارحها، فغار الرشيد. ولحن الصوت خفيف رمل.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان أبي يألف خمارةً بالرقة يقال لها بشرة تنزل الهنيء والمريء، وكانت لها بنت من أحسن الناس وجهاً فكان أبي يتحلاها، ثم رحل الرشيد عن الرقة إلى بلاد الروم في بعض غزواته، فقال أبي فيها:

أيا بنت بشرة ما عاقني ... عن العهد بعدك من عائق

نفى النوم عني سنا بارق ... وأشهقني في ذرى شاهق

قال: وفيها يقول أيضاً من أبيات له، وله فيها صنعة من الرمل الأول:

وزعمت أني ظالم فهجرتني ... ورميت في قلبي بسهمٍ نافذ

ونعم ظلمتك فاغفري وتجاوزي ... هذا مقام المستجير العائذ

ذكر حماد في هذا الخبر أن لحن جده من الرمل. ووجدت في كتاب أحمد بن المكي أن له فيهما لحنين: أحدهما ثقيل أول والآخر ثاني ثقيل.

حدثني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال: حبس الرشيد إبراهيم الموصلي عند أبي العباس يعني أباه عبد الله بن مالك فسمعناه ليلةً وقد صنع هذا اللحن وهو يكرره حتى يستوي له:

يا أخلاء قد مللت مكاني ... وتذكرت ما مضى من زماني

شربي الراح إذ تقوم علينا ... ذات دلٍّ كأنها غصن بان

قال: وغنى في الحبس أيضاً:

ألا طال ليلي أراعي النجوم ... أعالج في الساق كبلاً ثقيلا

حدثني عيسى قال حدثني عبد الله قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني علويه الأعسر قال: دخلت على إبراهيم الموصلي في علته التي توفي فيها وهو في الأبزن وبه القولنج الذي مات فيه، وهو يترنم بهذا الصوت:

تغير مني كل حسنٍ وجدةٍ ... وعاد على ثغري فأصبح أثرما

ومحل أطرافي فزالت فصوصها ... وحتى عظامي عوجها والمقوما

قال محمد: فحدثت بهذا الحديث إسحاق الموصلي، فقال: كذب ابن الزانية! والله ما كان يجترىء أن يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس للناس إلا بعد جهد، فكيف يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس في الأبزن.

الشعر والغناء لإبراهيم، وله فيه لحنان ماخوري بالوسطى عن عمرو، وثاني ثقيلٍ عن ابن المكي.

حدثني جحظة قال: كان المقتدر يدعونا في الأحايين، فكان يحضر من المغنين إبراهيم بن أبي العبيس وكنيز وإبراهيم بن قاسم وأنا ووصيف الزامر، وكان أكثر ما ندعى له أن جواريه كن يطالبنه بإحضارنا ليأخذن منا أصواتاً قد عرفتها ويسمعننا. فنغني فيأخذن ما يستحسنه، فإذا انصرفنا أمر لكل واحد من إبراهيم وكنيز دبة وإبراهيم بثلاثمائة دينار، ولي بمائتي دينار، ولوصيف بمائتي دينار، ولسائر من لعله أن يحضر معنا بمائتين إلى المائة الدينار إلى الألف الدرهم، فيكون إذا حضرنا من وراء ستارة وهو جالس مع الجواري، فإذا أراد اقتراح شيء جاءنا الخدم فأمرونا أن نغنيه، وبين يدي كل واحد منا قنينةٌ فيها خمسة أرطال نبيذٍ وقدحٌ ومغسلٌ وكوز ماءٍ، فغنت يوماً صلفة جارية زرياب بصنعة إبراهيم الموصلي:

تغير مني كل حسن وجدةٍ وعاد على ثغري فأصبح أثر ما

فشربت عليه، فاستعاده المقتدر مراراً وأنا أشرب عليه، فأخذ إبراهيم بن أبي العبيس بكتفي وقال: يا مجنون! إنما دعيت لتغني لا لتغني وتطرب وتشرب، فلعلك تسكر، حسبك!، فأمسكت طمعاً أن ترده بعد ذلك، فما فعلت ولا اجتمعنا بعدها، وما سمعت قبل ذلك ولا بعده أحداً غنى هذا الصوت أحسن مما غنته. قال: وكان المقتدر ابتاعها من زرياب.

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن علي قال: حدثني إسحاق الموصلي عن أبيه قال: بينا أنا بمكة أجول في سككها إذا أنا بسوداء قائمةٍ ساهيةٍ باكيةٍ، فأنكرت حالها وأدمنت النظر إليها، فبكت وقالت:

أعمرو علام تجنبتني أخذت فؤادي وعذبتني

فلو كنت يا عمرو خبرتني أخذت حذاري فما نلتني

فقلت لها: يا هذه، من عمروٌ؟ قالت: زوجي، قلت: وما شأنه؟ قالت: أخبرني أنه يهواني وما زال يطلبني حتى تزوجته، فلبث معي قليلاً ثم مضى إلى جدة وتركني، فقلت لها: صفيه لي؟ قالت: أحسن من أنت رائيه سمرةً وأحلاهم حلاوةً وقداً، فركبت رواحلي مع غلماني وصرت إلى جدة، فوقفت في موضع المرفأ أتبصر من يحمل من السفن، وأمرت من يصوت: يا عمرو يا عمرو، وإذا أنا به خارجاً من سفينة على عنقه صنٌ فيه طعامٌ، فعرفته بصفتها ونعتها إياه، فقلت:

أعمرو غلام تجنبتني أخذت فؤادي وعذبتني

فقال: هيه أرأيتها وسمعت منها؟ فقلت: نعم، فأطرق هنيهةً يبكي، ثم اندفع فغنى به أملح غناءٍ سمعته، ورده علي حتى أخذته منه، وإذا هو أحسن الناس غناءً، فقلت له: ألا ترجع إليها؟ فقال: طلب المعاش يمنعني؟ فقلت: كم

يكفيك معها في كل سنةٍ، فقال: ثلثمائة درهم - قال إسحاق: قال لي أبي: فوالله يا بني لو قال ثلثمائة دينارٍ لطابت نفسي بها - فدعوت به فأعطيته ثلاثة الآف درهم، وقلت له: هذا لعشر سنين على أن تقيم معها، فلا تطلب المعاش إلا حيث هي مقيمةٌ معك، ويكون ذلك فضلاً، ورددته معي إليها.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا علي بن محمد النوفلي قال حدثنا صالح بن علي يعني الأضخم عن إبراهيم الموصلي - قال: وكان صالح جاره - قال: بينا أنا عشيةً في مترلي إذ أتاني خادم من خدم الرشيد فاستحثني بالركوب إليه فخرجت شبيهاً بالراكض، فلما صرت إلى الدار عدل بي عن المدخل إلى طرق لا أعرفها، فانتهي بي إلى دارٍ حديثة البناء، فدخلت صحناً واسعاً، وكان الرشيد يشتهي الصحون الواسعة، فإذا هو جالس على كرسي في وسط ذلك الصحن، ليس عنده أحد إلا خادمٌ يسقيه، وإذا هو في لبسته التي كان يلبسها في الصيف: غلالةٌ رقيقة متوشح عليها بإزار رشيدي عريض العلم مضرج فلما رآني هش لي وسر، وقال: يا موصلي، إني اشتهيت أن أجلس في هذا الصحن فلم يتفق لي إلا اليوم، وأحببت ألا يكون معي ومعك أحدٌ، ثم صاح بالخدام، فوافاه مائة وصيف، وإذا هم بالأزقة مستترون بالأساطين حتى لا يراهم، فلما ناداهم جاءوا جميعاً، فقال: مقطعة لإبراهيم، وكان هو أول من قطع، المصليات، فأتيت بمقعد فألقي لي تجاه وجهه بالقرب منه، ودعا بعود فقال: بحياتي أطربني بما قدرت، قال: ففعلت واجتهدت في ذلك ونشطت ورجوت الجائزة في عشيتي، فبينا أنا كذلك إذ جاءه مسرورٌ الكبير، فقام مقامه الذي كان إذا قامه علم الرشيد أنه يريد أن يساره بشيء، فأومأ إليه بالدنو، فدنا، فألقى في أذنه كلمةً خفيفةً ثم تنحى، فاستشاط غضباً واحمرت عيناه وانتفخت أوداجه، ثم قال: حتام أصبر على آل بني أبي طالب! والله لأقتلنهم ولأقتلن شيعتهم ولأفعلن ولأفعلن!، فقلت: إنا لله! ليس عند هذا أحد يخرج غضبه عليه، أحسبه والله سيوقع بي، فاندفعت أغني:

نعم عوناً على الهموم ثلاث ... مترعاتٌ من بعدهن ثلاث

بعدها أربعٌ تتمة عشرٍ ... لا بطاءٌ لكنهن حثاث

فإذا ناولتكهن جوارٍ ... عطراتٌ بيض الوجوه خناث

تم فيها لك السرور وما ... طيب عيشاً إلا الخناث الإناث

قال: ويلك! اسقني ثلاثاً لا أمت همًّا، فشرب ثلاثاً متتابعة، ثم قال: غن فغنيت، فلما قلت:

ة العشر، ففعل، فوالله ما استوفى آخرهن حتى سكر، فنهض ليدخل، ثم قال: قم يا موصلي فانصرت، يا مسرور، أقسمت عليك بحياتي وبح

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال: خرج رسول، الرشيد ذات ليلةً إلى المغنين فقال: غنوا:

يا خليلي قد مللت ثوائي ... بالمصلى وقد سئمت البقيعا

بلغاني ديار هندٍ وسعدى		وارجعاني فقد هويت الرجوعا

قال: فغناه ابن جامع، فلما فرغ منه طرب الرشيد وشرب، فقال له إبراهيم الموصلي: يا سيدي، فاسمعه من نبيطيك فغناه، فجعل ابن جامع يزحف من أول البيت إلى آخره، وطرب هارون فقال: ارفعوا الستارة، فقال له ابن جامع: مني والله أخذه يا أمير المؤمنين، فأقبل على إبراهيم فقال: بحياتي صدق؟ قال: صدق وحياتك يا سيدي، قال: وكيف أخذته وهو أبخل الناس إذا سئل شيئاً؟ قال: تركته يغنيه وكان إذا سكر يسترسل فيه فيغنيه مستوياً ولا يتحرز مني، فأخذته على هذا منه حتى وفيت به.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان برصوماً الزامر وزنزلٌ الصارب من سواد أهل الكوفة من أهل الخشنة والبذاذة والدناءة، فقدم بهما أبي معه سنة حج، ووقفهما على الغناء العربي وأراهما وجوه النغم وثقفهما حتى بلغا المبلغ الذي بلغاه من خدمة الخليفة، وكان أطبع أهل دهرهما في صناعتهما، فحدثني أبي قال: كان لزلزل جارية قد رباها وعلمها الضرب وسألني مطارحتها فطارحتها، وكانت مطبوعةً حاذقة، قال: فكان يصونها أن يسمعها أحدٌ، فلما مات بلغني أنها تعرض في ميراثه للبيع، فصرت إليها لأعترضها، فغنت:

أقفر من أوتاره العود		فالعود للأوتار معمود

وأوحش المزمار من صوته		فما له بعدك تغريد

من للمزامير وعيدانها		وعامر اللذات مفقود

الخمر تبكي في أباريقها		والقينة الخمصانة الرود

قال: وهذا شعر رثاه به صديق له كان بالرقة، قال: فأبكت والله عيني وأوجعت قلبي. فدخلت على الرشيد فحدثته بحديثها، فأمر بإحضارها فحضرت، فقال لها: غني الصوت الذي حدثني إبراهيم عنك أنك غنيته، فغنته وهي تبكي، فرق الرشيد لها وتغرغرت عيناه، وقال لها: أتحبين أن أشتريك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، لقد عرضت علي ما يقصر عنه الأمل، ولكن ليس من الوفاء أن يملكني أحد بعد سيدي فينتفع بي، فازداد رقةً عليها، وقال: غني صوتاً آخر، فغنت:

العين تظهر كتماني وتبديه		والقلب يكتم ما ضمنته فيه

فكيف ينكتم المكتوم بينهما		والعين تظهره والقلب يخفيه

فأمر بأن تبتاع وتعتق، ولم يزل يجري عليها إلى أن ماتت.

أخبرنا محمد قال حدثنا حماد عن أبيه عن جده قال: قال لي الرشيد يوماً: يا إبراهيم، بكر علي غداً حتى نصطبح، فقلت له: أنا والصبح كفرسي رهانٍ، فبكرت فإذا أنا به خالياً، وبين يديه جاريةٌ كأنها خوط بان أو جدل عنان، حلوة المنظر، دمثة الشمائل، وفي يدها عودٌ، فقال لها: غني، فغنت في شعر أبي نواس وهو:

توهمه قلبي فأصبح خده وفيه مكان الوهم من نظري أثر

ومر بفكري خاطراً فجرحته ولم أر جسماً قط يجرحه الفكر

وصافحه قلبي فآلم كفه فمن غمز قلبي في أنامله عقر

قال إبراهيم: فذهبت والله بعقلي حتى كدت أن أفتضح، فقلت: من هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه التي يقول فيها الشاعر:

لها قلبي الغداة وقلبها لي فنحن كذاك في جسدين روح

ثم قال لها: غني، فغنت:

تقول غداة البين إحدى نسائهم لي الكبد الحري فسر ولك الصبر

وقد خنقتها عبرةٌ فدموعها على خدها بيضٌ وفي نحرها صفر

- الشعر لأبي الشيص، والغناء لعمرو بن بانة، خفيف رمل بالوسطى من كتابه وفيه لمتيم ثاني ثقيلٍ وخفيف رمل آخر- قال: فشرب وسقاني ثم سقاها، ثم قال: غن يا إبراهيم، فغنيت حسب ما في قلبي غير متحفظٍ من شيءٍ:

تشرب قلبي حبها ومشى به تمشي حميا الكأس في جسم شارب

ودب هواها في عظامي فشفها كما دب في الملسوع سم العقارب

قال: ففطن بتعريضي، وكانت جهالةً مني، قال: فأمرني بالانصراف، ولم يدعني شهراً ولا حضرت مجلسه، فلما كان بعد شهر دس إلي خادماً معه رقعةٌ، فيها مكتوب:

قد تخوفت أن أموت من الوج د ولم يدر من هويت بما بي

يا كتابي فأقر السلام على من لا أسمي وقل له يا كتابي

إن كفاً إليك قد بعثتني فى شقاءٍ مواصلٍ وعذاب

فأتاني الخادم بالرقعة، فقلت له: ما هذا؟ قال: رقعة الجارية فلانة التي غنتك بين يدي أمير المؤمنين، فأحسست القصة فشتمت الخادم ووثبت عليه وضربته ضرباً شفيت به نفسي وغيظي، وركبت إلى الرشيد من فوري فأخبرته القصة وأعطيته الرقعة، فضحك حتى كاد يستلقى، ثم قال: على عمدٍ فعلت ذلك بك لأمتحن مذهبك، وطريقتك، ثم دعا بالخادم! فلما خرج رآني فقال لي: قطع الله يديك ورجليك، ويحك! قتلتني، فقلت: القتل والله كان بعض حقك لما وردت به علي، ولكن رحمتك فأبقيت عليك، وأخبرت أمير المؤمنين ليأتي في عقوبتك بما تستحقه. فأمر لي الرشيد بصلةٍ سنية، والله يعلم أني ما فعلت الذي فعلت عفافاً ولكن خوفاً.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني حماد بن إسحاق قال: أخبرني أبي أنه سمع الرشيد وقد سأل جدي

إبراهيم كيف يصنع إذا أراد أن يصوغ الألحان، فقال: يا أمير المؤمنين، أخرج الهم من فكري وأمثل الطرب بين عيني، فتسوغ لي مسالك الألحان التي أريد، فأسلكها بدليل الإيقاع، فأرجع مصيباً ظافراً بما أريد، فقال: يحق لك يا إبراهيم أن تصيب وتظفر، وإن حسن وصفك لمشاكل حسن صنعتك وغنائك.

أخبرني ابن المرزبان قال حدثني حماد عن أبيه عن جده قال: أدركت يونس الكاتب وهو شيخ كبير فعرضت عليه غنائي، فقال: إن عشت كنت مغني دهرك.

قال حماد قال لي محمد بن الحسن: كان لكل واحد من المغنين مذهب في الخفيف والثقيل، وكان معبد ينفرد بالثقيل، وابن سريج بالرمل، وحكمٌ بالهزج، ولم يكن في المغنين أحد يتصرف في كل مذهب من الأغاني، إلا ابن سريج وإبراهيم جدك وأبوك إسحاق.

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب السرخسي قال حدثني أحمد بن ثابت العبدي عن أبي الهذيل العلاف رأس المعتزلة عن ثمامة بن أشرس قال: مررت بإبراهيم الموصلي ويزيد حوراء وهما مصطبحان، وقد أخذا بينهما صوتاً يغنيانه: هذا بيتاً وهذا بيتاً، وهو:

أيا جبلي نعمان بالله خليا سبيل الصبا يخلص إلي نسيمها

فإن الصبا ريحٌ إذا ما تنسمت على نفسى مهمومٍ تجلت همومها

أخبرنا محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده إبراهيم قال: سألت الرشيد أن يهب لي يوماً في الجمعة لا يبعث فيه إلي بوجه ولا بسبب، لأخلو فيه بجواري وإخواني، فأذن لي في يوم السبت، وقال لي: هو يوم أستثقله، فاله فيه بما شئت، فأقمت يوم السبت بمترلي وتقدمت في إصلاح طعامي وشرابي بما احتجت إليه، وأمرت بوابي فأغلق الأبواب وتقدمت إليه ألا يأذن علي لأحد، فبينا أنا في مجلس والخدم قد حفوا بي وجواري يترددن بين يدي، إذا أنا بشيخ في هيئة وجمال، عليه خفان قصيران وقميصان ناعمان، وعلى رأسه قلنسوة لاطئة، وبيده عكازة مقمعة بفضة، وروائح المسك تفوح منه حتى ملأ البيت والدار، فداخلني بدخوله علي مع ما تقدمت فيه غيظٌ ما تداخلني قط مثله، وهممت بطرد بوابي ومن حجبني لأجله، فسلم علي أحسن سلام فرددت عليه، وأمرته بالجلوس فجلس، ثم أخذ بي، في أحاديث الناس وأيام العرب وأحاديثها وأشعارها حتى سلى ما بي من الغضب، وظننت أن غلماني تحروا مسرتي بإدخالهم مثله علي لأدبه وظرفه، فقلت: هل لك في الطعام. فقال: لا حاجة لي فيه، فقلت: هل لك في الشراب. فقال: ذلك إليك، فشربت رطلا وسقيته مثله، فقال لي: يا أبا إسحاق، هل لك أن تغني لنا شيئا من صنعتك وما قد نفقت به عند الخاص والعام. فغاظني قوله، ثم سهلت على نفسي أمره فأخذت العود فجسسته ثم ضربت فغنيت، فقال: أحسنت يا إبراهيم، فازداد غيظي وقلت: ما رضي بما فعله من دخوله علي بغير إذن واقتراحه أن أغنيه حتى سماني ولم يكنني ولم يجمل مخاطبتي!. ثم قال: هل لك أن تزيدنا. فتذممت فأخذت العود فغنيت، فقال: أجدت يا أبا إسحاق! فأتم حتى نكافئك ونغنيك، فأخذت العود وتغنيت وتحفظت وقمت بما غنيته إياه قياماً، تاماً ما تحفظت مثله ولا قمت بغناء كما قمت به له بين يدي

خليفة قط ولا غيره، لقوله لي: أكافئك، فطرب وقال: أحسنت يا سيدي، ثم قال: أتأذن لعبدك بالغناء. فقلت: شأنك، واستضعفت عقله في أن يغنيني بحضرتي بعد ما سمعه مني، فأخذ العود وجسه وحبسه، فوالله لخلته ينطق بلسانٍ عربي لحسن ما سمعته من صوته، ثم تغنى:

ولي كبد مقروحةٌ من يبيعني ... بها كبد ليست بذات قروح

أباها علي الناس لا يشترونها ... ومن يشتري ذاعلةٍ بصحيح

أئن من الشوق الذي في جوانبي ... أنين غصيصٍ بالشراب جريح

قال إبراهيم: فوالله لقد ظننت الحيطان والأبواب وكل ما في البيت يجيبه ويغني معه من حسن غنائه، حتى خلت والله أني أسمع أعضائي وثيابي تجاوبه، وبقيت مبهوتاً لا أستطيع الكلام ولا الجواب ولا الحركة لما خالط قلبي، ثم غنى:

ألا يا حمامات اللوى عدن عودةً ... فإني إلى أصواتكن حزين

فعدن فلما عدن كدن يمتنني ... وكدت بأسراري لهن أبين

دعون بترداد الهدير كأنما ... سقين حمياً أو بهن جنون

لم ترعيني مثلهن حمائماً ... بكين ولم تدمع لهن عيون

لم أعرف في هذه الأبيات لحناً ينسب إلى إبراهيم، والذي عرفته لمحمد بن الحارث بن بسخنر خفيف رمل فكاد، والله أعلم، عقلي أن يذهب طرباً وارتياحاً لما سمعت، ثم غنى:

ألا يا صبا نجدٍ متى هجت من نجد ... لقد زادني مسراك وجداً على وجد

أأن هتفت ورقاء في رونق الضخى ... على فننٍ غض النبات من الرند

بكيت كما يبكي الحزين صبابةً ... وذبت من الحزن المبرح والجهد

وقد زعموا أن المحب إذا دنا ... يمل وأن النأى يشفي من الوجد

بكلٍّ تداوينا فلم يشف ما بنا ... على أن قرب الدار خيرٌ من البعد

ثم قال: يا إبراهيم، هذا الغناء الماخوري فخذه وانح نحوه في غنائك وعلمه جواريك، فقلت: أعده علي، فقال: لست تحتاج، قد أخذته وفرغت منه، ثم غاب من بين يدي، فارتعت وقمت إلى السيف فجردته، وعدوت نحو أبواب الحرم فوجدتها مغلقةً، فقلت للجواري: أي شيء سمعتن عندي؟ فقلن: سمعنا أحسن غناءٍ سمع قط، فخرجت متحيراً إلى باب الدار فوجدته مغلقاً، فسألت البواب عن الشيخ، فقال لي: أي شيخ هو؟ والله ما دخل إليك اليوم أحد، فرجعت لأتأمل أمري، فإذا هو لد هتف بي، من بعض جوانب البيت: لابأس عليك يا أبا

إسحاق، أنا إبليس وأنا كنت جليسك ونديمك اليوم، فلا ترع. فركبت إلى الرشيد وقلت: لا أطرفه أبدا بطرفة مثل هذه، فدخلت إليه فحدثته بالحديث، فقال: ويحك! تأمل هذه الأصوات، هل أخذها؟ فأخذت العود أمتحنها، فإذا هي راسخة في صدري كأنها لم تزل، فطرب الرشيد عليها وجلس يشرب و لم يكن عزم على الشراب، وأمر لي بصلة وحملانٍ وقال: الشيخ كان أعلم بما قال لك من أنك أخذتها وفرغت منها، فليته أمتعنا بنفسه يوماً واحداً كما أمتعك.

أما الصوت الأول فالذي أعرفه فيه خفيف رمل لمحمد بن الحارث بن بسخنر، و لم يقع إلي فيه صنعة لإبراهيم.

والصوت الثاني الذي أوله:

ألا يا صبا نجدٍ متى هجت من نجد

فشعره ليزيد بن الطثرية، والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو. وفيه لمحمد بن الحسن بن مصعب ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وعمرو. وذكر إبراهيم أن فيه لحنا لدحمان ولحناً لابنه الزبير، و لم يذكر في أي طيقةٍ هما.

هكذا حدثنا أبن أبي الأزهر بهذا الخبر، وما أدري ما أقول فيه، ولعل إبراهيم صنع هذه الحكاية ليتنفق بها، أو صنعت وحكيت عنه. إلا أن للخبر أصلًا الأشبه بالحق منه ما حدثني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق ين إبراهيم الموصلي عن أبيه قال: صنعت لحناً فأعجبني، وجعلت أطلب شعراً فعسر ذلك علي، ورأيت في المنام كأن رجلًا لقيني فقال: يا إبراهيم، أأعياك شعر لغنائك هذا الذي تعجب به. قلت نعم، قال: فأين أنت من قول في الرمة حيث قال:

ألا يا اسلمى يا دارمي عن البلى ... ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

وإن لم تكوني غير شام بقفرةٍ ... تجربها الأذيال صيفية كدر

قال: فانتبهت وأنا فرحٌ بالشعر، فدعوت من ضرب علي وغنيته فإذا هو أوفق ما خلق الله، فلما علمت ذلك، وعلمت، هذا الغناء في شعر في الرمة، تنبهت عليه وعلى شعره فصنعت فيه ألحاناً ماخوريةً، منها:

أمنزلتي ميٍّ سلامٌ عليكما ... هل الأزمن اللائي مررن رواجع

وهل يرجع التسليم أو يكشف العمى ... ثلاث الأثافي أو رسومٌ بلاقع

صنعة إبراهيم في هذين الشعرين جميعاً من الماخوري بالوسطى، وهو خفيف الثقيل الثاني. وأخباره كلها في هذا المعنى تأتي في أخبار ذي الرمة مشروحةً.

حدثني محمد بن، مزيد قال حدثني حماد عن أبيه قال قال لي، أبي: قال لي، جعفر بن يحيى يوماً وقد علم أن الرشيد أذن لي وللمغنين في الانصراف يومئذ: صر إلي حتى أهب لك شيئا حسناً فصرت إليه فقال لي: أيما أحب

إليك: أهب لك الشيء الحسن الني وعدتك به، أم أرشدك إلى شيء تكسب به ألف ألف درهم. فقلت: بل يرشدني الوزير - أعزه الله - إلى هذا الوجه فإنه يقوم مقام إعطائه إياي هذا الحسن، فقال: إن أمير المؤمنين يحفظ شعر في الرمة حفظ الصبا ويعجبه ويؤثره، فإذا سمع فيه غناءً، أطربه أكثر مما يطربه غيره مما لا يحفظ شعره، فإذا غنيته فأطربته وأمر لك بجائزة، فقم على رجليك قائماً وقبل الأرض بين يديه وقل له: لي حاجة غير هذه الجائزة أريد أن أسألها أمير المؤمنين، وهي حاجة تقوم عندي مقام كل فائدة ولا تضره ولا ترزؤه، فإنه سيقول لك: أي شيء حاجتك. فقل: قطيعةٌ تقطعنيها سهلةٌ عليك لا قيمة لها ولا منفعة فيها لأحد، فإذا أجابك إلى ذلك، فقل له: تقطعني شعر ذي الرمة أغني فيه ما أختاره وتحظر على المغنين جميعاً أن يداخلوني فيه، فإني أحب شعره وأستحسنه فلا أحب أن ينغصه علي أحدٌ منهم، وتوثق منه وني ذلك، فقبلت ذلك القول منه، وما انصرفت من عنده بعد ذلك إلا بجائزة، وتوخيت وقت الكلام في هذا المعنى حتى وجدته، فقمت فسألت كما قال! لي، وتبينت السرور في وجهه، وقال: ما سألت شططاً، قد أقطعتك سؤلتك، فجعلوا يتضاحكون من قولي ويقولون: لقد استضخمت القطيعة وهو ساكت، فقلت: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في التوثق؟ قال!: توثق كيف شئت، فقلت: بالله وبحق رسوله وبتربة أمير المؤمنين المهدي إلا جعلتني على ثقة من ذلك بأنك تحلف لي أنك، لا تعطي أحدا من المغنين جائزة على شيء يغنيه في شعر في الرمة فإن ذلك وثيقتي، فحلف مجتهداً لهم لئن غناه أحد منهم في. شعر في الزقة لا أثابه بشيء ولا بره ولا سمع غناءه، فشكرت فعله وقبلت الأرض بين يديه وانصرفنا. فغنيت مائة صوت وزيادة في شعر في الرمة، فكان إذا سمع منها صوتاً طرب وزاد طربه ووصلني فأجزل، ولم ينتفع به أحدٌ منهم غيري، فأخذت منه والله بها ألف ألف درهم وألف ألف درهم.

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني أبو خالد الأسلمي قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال: قال إبراهيم الموصلي: أرتج علي فلم أجد شعراً أصوغ فيه غناء أغني فيه الرشيد، فدخلت إلى بعض حجر في داري مغموماً، فأسبلت الستور علي وغلبتني عيني، فتمثل لي في البيت شيخٌ أشوه الخلقة، فقال لي: يا موصلي، مالي أراك مغموماً، قلت: لم أصب شعراً أغني فيه الرشيد الليلة، قال: فأين أنت عن قول في الرمة:

ألا يا اسلمي يا دارمي على البلى ... ولا زال منهلاً بجرعائك القطر
وإن لم تكوني غير شام بقفرةٍ ... تجربها الأذيال صيفيةٌ كدر
أقامت بها حتى ذوي العود في الثرى ... وساق الثريا في ملاءته الفجر
وحتى اعتلى البهمى من الصيف نافضٌ ... كما نفضت خيلٌ نواصيها شقر

قال: وغناني فيه بلحن وكرره حتى علقته فانتبهت وأنا أديره، فناديت جاريةً لي وأمرتها بإحضار عود، ومازلت أترنم بالصوت وهي تضرب حتى أستوى لي، ثم صرت إلى هارون فغنيته إياه، فأسكت المغنين، ثم قال: أعد فأعدت، فما زال ليلته يستعيدنيه، فلما أصبح أمر لي بثلاثين ألف درهم وبفرش البيت الذي كنا فيه، وقال:

عليك بشعر ذي الرمة فغن فيه، فصنعت فيه غناءً كثيراً، فكنت أغنيه به فيعجبه، ويجزل صلتي.

أخبرني عمي وابن المرزبان والحسن بن علي قالوا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله السلمي قال حدثنا أبو غانم مولى جبلة بن يزيد السلمي قال: اجتمع إبراهيم الموصلي وزلزل وبرصوما يين يدي الرشيد، فضرب زلزلٌ وزمر برصوماً وغنى إبراهيم:

صحا قلبي وراع إلي عقلي ... وأقصر باطلي ونصيت جهلي

رأيت الغانيات وكن صوراً ... إلي صرمنني وطعن حبلي

فطرب هارون حتى وثب على رجليه وصاح: يا آدم، لو رأيت من يحضرني من ولدك اليوم لسرك! ثم جلس وقال: أستغفر الله.

الشعر الذي غنى فيه إبراهيم لأبي العتاهية. والغناء لإبراهيم خفيف ثقيلٍ بالبنصر.

حدثني جحظة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان الرشيد يجد بماردة وجداً شديداً، فغضبت عليه وغضب عليها، وتمادى بينهما الهجر أياماً، فأمر جعفر بن يحيى العباس بن الأحنف فقال:

راجع أحبتك الذين هجرتهم ... إن المتيم قلما يتجنب

إن التجنب إن تطاول منكما ... دب السلو له فعز المطلب

وأمر إبراهيم الموصلي فغنى فيه الرشيد، فلما سمعه بادر إلى ماردة فترضاها، فسألت عن السبب في ذلك فعرفته، فأمرت لكل واحد من العباس وإبراهيم بعشرة آلاف درهم، وسألت الرشيد أن يكافئهما عنها، فأمر لهما بأربعين ألف درهم.

أخبرني جعفر بن قدامة عن حماد عن أبيه قال: أول جائزة خرجت لشاعر من الرشيد لما ولي الخلافة جائزةٌ لإبراهيم، فإنه قال يمدحه لما ولي:

ألم تر أن الشمس كانت مريضةً ... فلما ولي هارون أشرق نورها

فألبست الدنيا جمالاً بوجهه ... فهارون واليها ويحيى وزيرها

وغنى فيه، فأمر له بمائة ألف درهم، وأمر له يحيى بخمسين ألف درهم.

أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني إسحاق الموصلي: أن أباه لعب يوماً مع الرشيد بالنرد في الخلعة التي كانت على الرشيد والخلعة التي كانت عليه هو، فتقامر للرشيد، فلما قمره قام إبراهيم فنزع ثيابه، ثم قال للرشيد: حكم النرد الوفاء به، وقد قمرت ووفيت لك، فألبس ما كان علي، فقال له الرشيد: ويلك! أنا ألبس ثيابك! فقال: إي والله إذا أنصفت، وإذا لم تنصف قدرت وأمكنك، قال: ويلك! أو أفتلي منك؟ قال: نعم ة قال: وما الفداء. قال: قل أنت يا أمير المؤمنين فإنك أولى

بالقول ة فقال: أعطيك كل ما علي، قال: فمر به يا أمير المؤمنين وأنا أستخير الله في ذلك، فدعا بغير ما عليه فلبسه ونزع ما كان عليه فدفعه إلى إبراهيم.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني علي بن عبد الكريم قال: زار ابن جامع إبراهيم الموصلي، فأخرج إليه ثلاثين جاريةً فضربن جميعاً طريقةً واحدة وغنين، فقال ابن جامع: في الأوتار وترٌ غير مستوٍ، فقال إبراهيم: يا فلانة شدي مثناك، فشدته فاستوى، فعجبت أولاً من فطنة ابن جامع لوتر في مائة وعشرين وتراً غير مستو، ثم ازداد عجبى من فطنة إبراهيم له بعينه.

أخبرني إسماعيل بن يونس وحبيب بن نصر المهلبي، قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال حدثني أبي قال: كنا مع الرشيد بالرقة وكان هناك خمار أقصده أشتري منه شراباً حسناً طيباً، وربما شربت في حانته، فأتيته يوماً فبزل لي دناً في باطية له، فرأيت لونه حسناً صافياً، فاندفعت أغني:

اسقني صهباء صرفاً لم تدنس بمزاج
اسقني والليل داجٍ قبل أصوات الدجاج
يا أبا وهب خليلي كل همٍّ لا نفراج
حين توهت بقلبي في أعاصير الفجاج

- الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم هزجٌ بالوسطى عن عمرو. وفيها لسياط ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق- قال: فدهش الخمار يسمع صوتي، فقلت له: ويحك! قد فاض النبيذ من الباطية، فقال: دعني من النبيذ يا أبا إسحاق، مالي أرى صوتك حزيناً حريقاً، مات لك بالله إنسان؟، فلما جئت إلى الرشيد حدثته بذلك فجعل يضحك.

وذكر أحمد بن أبي طاهر أن المدائني حدث قال: قال، إبراهيم الموصلي قال لي الرشيد يوماً: يا إبراهيم، إني قد جعلت غداً للحريم، وجعلت ليلته

للشرب مع الرجال، وأنا مقتصرٌ عليك من المغنين، فلا تشتغل غداً بشيء ولا تشرب نبيذاً، وكن بحضرتي في وقت العشاء الآخرة، فقلت: السمع والطاعة لأمير المؤمنين، فقال: وحق أبي لئن تأخرت أو اعتللت بشيء لأضربن عنقك، أفهمت. فقلت: نعم، وخرجت فما جاءني أحد من إخواني إلا احتجبت عنه ولا قرأت رقعة لأحد، حتى إذا صليت المغرب ركبت قاصداً إليه، فلما قربت من فناء داره مررت بفناء قصر، وإذا زنبيلٌ كبير مستوثق منه بحبال وأربع عرى أدم وقد دلي من القصر، وجاريةٌ قائمة تنتظر إنساناً قد وعد ليجلس فيه، فنازعتني نفسي إلى الجلوس فيه، ثم قلت: هذا خطأ، ولعله أن يجري سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاك، فلم أزل أنازع نفسي وتنازعني حتى غلبتني، فترلت فجلست فيه، ومد الزنبيل حتى صار في أعلى القصر، ثم خرجت فترلت، فإذا جوار كأنهن المها جلوسٌ، فضحكن وطربن، وقلن: قد جاء والله من أردناه ة فلما رأينني من قريب تبادرن إلى الحجاب وقفن: يا عدو الله، ما أدخلك إلينا. فقلت: يا عدوات الله، ومن الذي أردتن إدخاله؟ و لم

صار أولى بهذا مني؟ فلم يزل هذا دأبنا وهن يضحكن وأضحك معهن، ثم قالت إحداهن: أما من أردناه فقد فات، وما هذا إلا ظريف، فهلم نعاشره عشرة جميلة، فأخرج إلي طعام ودعيت إلى أكله، فلم يكن في فضلٌ إلا أني كرهت أن أنسب إلى سوء العشرة، فأصبت منه إصابة معذر، ثم جيء بالنبيذ فجعلنا نشرب، وأخرجن إلي ثلاث جوارٍ لهن فغنين غناء مليحاً، فغنت إحداهن صوتاً لمعبد، فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر: أحسن إبراهيم، هذا له، فقلت: كذبت ليس هذا له، هذا لمعبد، فقالت: يا فاسق، وما يدريك الغناء ما هو، ثم غنت الأخرى صوتاً للغريض، فقالت تلك: أحسن إبراهيم، هذا له أيضاً، فقلت: كذبت يا خبيثة، هذا للغريض، فقالت: اللهم أخزه، ويلك! وما يدريك! ثم غنت الجارية صوتاً لي، فقالت تلك: أحسن ابن سريج، هذا له، فقلت: كذبت هذا لإبراهيم، وأنت تنسبين غناء الناس إليه وغناءه إليهم، فقالت: ويحك! وما يدريك!، فقلت: أنا إبراهيم، فتباشرن بذلك جميعاً وطربن كلهن وظهرن كلهن لي وقلن: كتمتنا نفسك وقد سررتنا، فقلت: أنا الآن أستودعكن الله، فقلن: وما السبب. فأخبرتهن بقصتي مع الرشيدة فضحكن وقلن: الآن والله طاب حبسك، علينا وعلينا إن خرجت أسبوعاً، فقلت: هو والله القتل، قلن: إلى لعنة الله. فأقمت والله عندهن أسبوعاً لا أزول فلما كان بعد الأسبوع ودعنني وقلن: إن سلمك الله فأنت بعد ثلاث عندنا، قلت نعم، فأجلسنني في الزنبيل وسرحت، فمضيت لوجهي حتى أتيت دار الرشيد، وإذا النداء قد أشيع ببغداد في طلبي وأن من أحضرني فقد سوغ ملكي وأقطع مالي، فاستأذنت فتبادر الخدم حتى أدخلوني على الرشيد، فلما رآني شتمني وقال: السيف والنطع! إيهٍ يا إبراهيم، تهاونت بأمري وتشاغلت بالعوام عما أمرتك به وجلست مع أشباهك من السفهاء حتى أفسدت علي لذتي!، فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا بين يديك، وما أمرت به غير فائت، ولي حديث عجيب ما سمع بمثله قط وهو الذي قطعني عنك ضرورةً لا اختياراً، فاسمعه، فإن كان عذراً فاقبله وإلا فأنت أعلم، قال: هاته فليس ينجيك، فحدثته، فوجم ساعةً ثم قال: إن هذا لعجب، أفتحضرني معك هذا الموضع؟ قلت: نعم، وأجلسك معهن إن شئت قبلي حتى تحصل عندهن، وإن شئت فعلى موعد، قال: بل على موعد، قلت: أفعل، فقال: انظر، قلت: ذلك حاصلٌ - إليك متى شئت، فعدل عن رأيه في وأجلسني وشرب وطرب، فلما أصبحت أمرني بالانصراف وأن أجيئه من عندهن، فمضيت إليهن في وقت الوعد، فلما وافيت الموضع إذا الزنبيل معلق، فجلست فيه ومده الجواري فصعدت، فلما رأينني تباشرن وحمدن الله على سلامتي، وأقمت ليلتي، فلما أردت الانصراف قلت لهن: إن لي أخاً هو عدل نفسي عندي، وقد أحب معاشرتكن ووعدته بذلك، فقلن: إن كنت ترضاه فمرحباً به، فوعدتهن ليلة غدٍ وانصرفت وأتيت الرشيد وأخبرته، فلما كان الوقت خرج معي متخفياً حتى أتينا الموضع، فصعدت وصعد بعدي ونزلنا جميعاً، وقد كان الله وفقني لأن قلت لهن: إذا جاء صديقي فاستترن عني وعنه ولا يسمع لكن نطقة، وليكن ما تختزنه من غناء أو تقلنه من قولٍ مراسلةٍ فلم يتعدين ذلك وأقمن على أتم ستر وخفر، وشربنا شرباً كثيراً، وقد كان أمرني ألا أخاطبه بأمير المؤمنين، فلما أخذ مني النبيذ قلت سهواً: يا أمير المؤمنين،

فتواثبن من وراء الستارة حتى غابت عنا حركاتهن، فقال لي: يا إبراهيم لقد أفلت من أمر عظيم، والله لو برزت إليك واحدة منهن لضربت عنقك، قم بنا، فانصرفنا، وإذا هن له، قد كان غضب عليهن فحبسهن في ذلك القصر، ثم وجه من غد بخدم فردوهن إلى قصره، ووهب لي مائة ألف درهم، وكانت الهدايا والألطاف تأتيني بعد ذلك منهن، أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبي قال: دخلت على الرشيد يوماً فقال لي: أنا اليوم كسلان خاثر، فإن غنيتني صوتاً يوقظ نشاطي أحسنت صلتك، فغنيته:

ولم ير في الدنيا محبان مثلنا على ما نلاقي من ذوي الأعين الخزر

صفيان لا نرضى الوشاة إذا وشوا عفيفان لا نغشى من الأمر ما يزري

فطرب، ودعا بالطعام فأكل وشرب، وأمر لي بخمسين ألف درهم.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال قال! لي أبي قال لي يحيى بن خالد: إن ابنتك دنانير قد عملت صوتاً أعجبني وأعجبت أيضاُ هي به، فقلت لها: لا تعجبي به حتى أعرضه على أبيك أبي إسحاق، فقلت له: والله ما في معرفة الوزير - أعزه الله - به ولا بغيره من الصنائع مطعن، وإنه لأصح العالم تمييزاً وأثقبه فطنةً، وما أعجبه إلا وهو صحيح حسن، فقال: إن كنت كما تقول أيضاً، فإن أهل كل صناعة يمارسونها أفهم بها ممن يعلمها عن عرض من غير ممارسة، ولو كنا في هذه الصناعة متساويين لكان الاستظهار برأيك أجود، لأن ميلي إلى صانعة الصوت ربما حسن عندي ما ليس بالحسن، وإنما يتم سروري به بعد سماعك إياه واستحسانك له على الحقيقة، فمضيت فوجدت ستارةً منصوبة وأمراً قد تقدم فيه قبلي، فجلست فسلمت علي الجارية، وقلت لها: تغنيني الصوت الذي ذكره لي الوزير أعزه الله، فقالت: إن الوزير قال لي: إن استجاده فعرفيني ليتم سروري به، وإلا فاطو الخبر عني لئلا تزول رتبته عندي، فقلت: هاتيه حتى أسمعه، فغنت تقول:

نفسي أكنت عليك مدعياً أم حين أزمع بينهم خنت

إن كنت هائمة بذكرهم فعلى فراقهم ألا حمت

قال: فأحسنت والله وما قصرت، فاستعدته لأطلب فيه موضعاً لأصلحه فيكون لي فيه معنى فما وجدت، قلت: أحسنت والله يا بنية ما شئت، ثم عدت إلى يحيى فحلفت له بأيمان رضيها أن كثيراً من حذاق المغنين لا يحسنون أن يصنعوا مثله، ولقد استعدته لأرى فيه موضعاً يكون لي فيه عملٌ فما وجدت، فقال: وصفك لها من أجله يقوم مقام تعليمك إياها، فقد والله سررتني وسأسرك، فلما انصرفت أتبعني بخمسين ألف درهم.

حدثني عمي وابن المرزبان قالا حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله السلمي قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني إسحاق، و لم يقل عن أبيه، قال: والله إني لفي مترلي ذات يوم وأنا مفكرٌ في الركوب مرةً وفي القعود مرةً، إذا غلامي قد دخل ومعه خادم الرشيد يأمرني بالحضور من وقتي، فركبت وصرت إليه ة فقال لي: اجلس يا إبراهيم حتى أريك عجباً، فجلست، فقالت: علي بالأعرابية وابنتها، فأخرجت إلي أعرابية ومعها بنية لها عشر

أو أرجح، فقال: يا إبراهيم، إن هذه الصبية تقول الشعر، فقلت لأمها: ما يقول أمير المؤمنين؟ فقالت: هي هذه قدامك فسلها، فقلت: يا حبيبة، أتقولين الشعر. فقالت نعم، فقلت: أنشديني بعض ما قلت ة فأنشدتني:

تقول لأتراب لها وهي تمتري ... دموعاً على الخدين من شدة الوجد

أكل فتاةٍ لا محالة نازلٌ ... بها مثل ما بي أم بليت به وحدي

براني له حبٌ تنشب في الحشى ... فلم يبق من جسمي سوى العظم والجلد

وجدت الهوى حلوا لذيذاً بديئه ... وآخره مرةٌ لصاحبه مردي

قال الشبي في خبره: قال إسحاق: وكان أبي حاضراً، فقال: والله لا تبرح يا أمير المؤمنين أو نصنع في هذه الأبيات لحناً، فصغت فيها أنا وأبي وجميع من حضر. وقال الآخرون: قال إبراهيم: فما برحت حتى صنعت فيه لحناً وتغنيت به وهي حاضرة تسمع. قال ابن المرزبان في خبره، ولم يذكره عمي، فقالت: يا أمير المؤمنين، قد أحسن رواية ما قلت، أفتأذن لي أن أكافئه بمدح أقوله فيه. قال: افعلي، فقالت:

ما لإبراهيم في العل ... م بهذا الشأن ثاني

إنما عمر أبي إس ... حاق زينٌ للزمان

منه يجنى ثمر الله ... و وريحان الجنان

جنة الدنيا أبو إس ... حاق في كل مكان

قال: فأمر لها الرشيد بجائزة، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، فوهبت لها شطرها اللحن الذي صنعه إبراهيم في شعر الأعرابية ثقيلٌ أول بالوسطى. وفيه لعلويه ثاني ثقيل. وأما الشعر الثاني فهو لابن سيابة لا يشك فيه. ولإبراهيم فيه لحن من خفيف الثقيل.

أخبرني محمد بن مزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كنت أخذت بالمدينة من مجنون بها هذا الصوت، وغنيته الرشيد وقلت:

هما فتاتان لما تعرفا خلقي ... وبالشباب على شيبي تدلان

رأيت عرسي لما ضمني كبرى ... وشخت أزمعتا صرمي وهجراني

كل الفعال الذي يفعلنه حسنٌ ... يصبي فؤادي ويبدي سر أشجاني

بل احذرا صولةً من صول شيخكما ... مهلاً على الشيخ مهلاً يا فتاتان

فطرب وأمر لي بظبية كانت ملقاة بين يديه، فيها ألف دينار مسيفة، وكان ابن جامع حاضراً، فقال: اسمع يا أمير المؤمنين غناء العقلاء ودع غناء المجانين، وكان أشد خلق الله حسداً، فغناه:

ولقد قالت لأتراب لها ... كالمها يلعبن في حجرتها

خذن عني الظل لا يتبعني ... ومضت سعياً إلى قبتها

فطرب وشرب، وأمر له بألف وخمسمائة دينار. ثم تبعه محمد بن حمزة وجه القرعة فغنى،:

يمشون فيها بكل سابغةٍ ... أحكم فيها القتير والحلق

يعرف إنصافهم إذا شهدوا ... وصبرهم حين تشخص الحدق

فاستحسنه وشرب عليه، وأمر له بخمسمائة دينار. ثم غنى علويه:

يجحدن ديني بالنهار وأقتضي ... ديني إذا وقدا النعاس الرقدا

وأرى الغواني لا يواصلن، امرأً ... فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

فدعا به الرشيد وقال له: يا عاض بظر أمه! أتغني في مدح المرد وذم الشيب وستارتي منصوبة وقد شبت وكأنك تعرض بي! ثم دعا مسروراً فأمره أن يأخذ بيده فيضربه ثلاثين درة ويخرجه من مجلسه، ففعل، وما انتفعنا به بقية يومنا ولا أنتفع بنفسه، وجفا علويه شهراً، ثم سألناه فيه فأذن له.

قال أبو الفرج: لإبراهيم أخبار مع خنث المعروفة بذات الخال، وكان يهواها، جعلتها في موضع آخر من هذا الكتاب، لأنها منفردة بذاتها مستغنية عن إدخالها في غمار أخباره. وله في هذه الجارية شعر كثير فيه غناء له ولغيره، وقد شرطت أن الشيء من أخبار الشعراء و، المغنين إذا كانت هذه سبيله أفرده، لئلا يقطع بين القرائن والنظائر مما تضاف إليه وتدخل فيه.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال: سمعت إسحاق الموصلي يقول: لما دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة اشتد أمر القولنج على أبي ولزمه، وكان يعتاده أحياناً، فقعد عن خدمة الخليفة وعن نؤبته في داره، فقال في ذلك:

مل والله طبيبي ... من مقاساة الذي بي

سوف أنعى عن قريب ... لعدو وحبيب

وغنى فيه لحناً من الرمل، فكان آخر شعر قاله وآخر لحن صنعه.

أخبرني الصولي عن محمد بن موسى عن حماد بن إسحاق عن أبيه: أن الرشيد ركب حماراً ودخل إلى إبراهيم يعوده وهو في الأبزن جالس، فقال له: كيف أنت يا إبراهيم؟ فقال: أنا والله يا سيدي كما قال الشاعر:

سقيمٌ مل منه أقربوه ... وأسلمه المداوي والحميم

فقال الرشيد: إنا لله! وخرج، فلم يبعد حتى سمع الواعية عليه.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال:

مات إبراهيم الموصلي سنة ثمان وثمانين ومائة، ومات في ذلك اليوم الكسائي النحوي والعباس بن الأحنف الشاعر وهشيمة الخمارة، فرفع ذلك إلى الرشيد، فأمر المأمون أن يصلي عليهم، فخرج فصفوا بين يديه ة فقال: من هذا الأول؟ قيل: إبراهيم، فقال: أخروه وقدموا العباس بن الأحنف، فقدم فصلى عليهم، فلما فرغ وانصرف، دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي فقال: يا سيدي، كيف آثرت العباس بالثقدمة على من حضر؟ قال: لقوله:

وسعى بها ناسٌ فقالوا إنها ... لهي التي تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم ... إني ليعجبني المحب الجاحد

ثم قال: أتحفظها؟ قلت نعم، فقال: أنشدني باقيها. فأنشدته:

لما رأيت الليل سد طريقه ... عني وعذبني الظلام الراكد
والنجم في كبد السماء كأنه ... أعمى تحير ما لديه قائد
ناديت من طرد الرقاد بصده ... عما أعالج وهو خلوٌ هاجد
يا ذا الذي صدع الفؤاد بهجره ... أنت البلاء طريفه والتالد
ألقيت بين جفون عيني حرقةً ... فإلى متى أنا ساهرٌ يا راقد

فقال المأمون: أليس من قال هذا الشعر حقيقاً بالتقدمة؟ فقلت: بلى والله يا سيدي.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال قال حدثني حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال: قال لي برصوماً الزامر: أما في حقي وخدمتي وميلي إليكم وشكري لكم ما أستوجب به أن تهب لي يوماً من عمرك تفعل فيه ما أريد ولا تخالفني في شيء. فقلت: بلى ووعدته بيوم، فأتاني فقال: مر لي بخلعة، ففعلت وجعلت فيها جبة وشى، فلبسها ظاهرةً وقال: امض بنا إلى المجلس الذي كنت آتي أباك فيه، فمضينا جميعاً إليه وقد خلقته وطيبته، فلما صار على باب المجلس رمى بنفسه إلى الأرض فتمرغ في التراب وبكى وأخرج نايه وجعل ينوح في زمره ويدور في المجلس ويقبل المواضع التي كان أبو إسحاق يجلس فيها ويبكي ويزمر حتى قضى من ذلك وطراً، ثم ضرب بيده إلى ثيابه فشقها، وجعلت أسكته وأبكي معه، فما سكن إلا بعد حين، ثم دعا بثيابه فلبسها وقال: إنما سألتك أن تخلع علي لئلا يقال: إن برصوما إنما خرق ثيابه ليخلع عليه ما هو خير منها، ثم قال: امض بنا إلى منزلك فقد اشتفيت مما أردت، فعدت إلى منزلي وأقام عندي يومه، وانصرف بخلعة مجدد أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني القاسم بن يزيد قال: لما مات إبراهيم الموصلي دخلت على إبراهيم بن المهدي وهو يشرب وجواريه يغنين، فذكرنا إبراهيم الموصلي وحذقه وتقدمه، فأفضنا في ذلك وإبراهيم مطرق، فلما طال كلامنا وقال كل واحد منا مثل ما قاله صاحبه، اندفع إبراهيم بن المهدي يغني في شعر لابن سيابة يرثي به، إبراهيم- ويقال: إن الأبيات لأبي الأسد -:

تولى الموصلي فقد تولت بشاشات المزاهر والقيان
وأي بشاشةٍ بقيت فتبقى حياة الموصلي على الزمان
ستبكيه المزاهر والملاهي وتسعدهن عاتقة الدنان
وتبكيه الغوية إذ تولى ولا تبكيه تالية القرآن

قال: فأبكى من حضر، وقلت أنا في نفسي: أفتراه هو إذا مات من يبكيه: المحراب أم المصحف؟! قال: وكان كالشامت بموته.

أخبرني يحيى بن علي قال قال أنشدني حماد قال: أنشدني أبي لنفسه يرثي أباه، وأنشدها غير يحيى وفيها زيادة على روايته:

أقول له لما وقفت بقبره عليك سلام الله يا صاحب القبر
أيا قبر إبراهيم حييت حفرةً ولا زلت تسقى الغيث من سبل القطر
لقد عزني وجدي عليك فلم يدع لقلبي نصيباً من عزاء ولا صبر
وقد كنت أبكي من فراقك ليلة فكيف وقد صار الفراق إلى الحشر

أخبرني أحمد بن محمد بن إسماعيل أبن إبراهيم الموصلي الملقب بوسواسة قال: أنشدني حماد لأبيه إسحاق يرثي أباه إبراهيم الموصلي:

سلام على القبر الذي لايجيبنا ونحن نحيي تربه ونخاطبه
ستبكيه أشراف الملوك إذا رأوا محل التصابي قد خلا منه جانبة
ويبكيه أهل الطرف طراً كما بكى عليه أمير المؤمنين وحاجبه

ولما بدا لي اليأس منه وأنزفت عيون بواكيه وملت نوادبه
وصار شفاء النفس من بعض ما بها إفاضة دمع تستهل سواكبه
جعلت على عيني للصبح عبرة ولليل أخرى ما بدت لي كواكبه

قال: وأنشدني أيضاً حماد لأبيه يرثي أباه:

عليك سلام الله من قبر فاجع وجادك من نوء السماكين وابل
هل أنت محيي القبر أم أنت سائل وكيف تحيا تربة وجنادل
أظل كأني لم تصبني مصيبة وفي الصدر من وجد عليك بلابل

وهون عندي فقده أن شخصه على كل حال بين عيني ماثل

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبو أيوب المديني قال أنشدني إبراهيم بن علي بن هشام لرجل يرثي إبراهيم الموصلي:

أصبح اللهو تحت عفر التراب ثاوياً في محلة الأحباب

إذ ثوى الموصلي فأنقرض الله و بخير الإخوان والأصحاب

بكت المسمعات حزنا عليه وبكاه الهوى وصفو الشراب

وبكت آلة المجالس حتى رحم العود دمعة المضراب

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال: دخلت إلى الرشيد بعقب وفاة أبي، وذلك بعد شهر من يوم وفاته، فلما جلست ورأيت موضعه الذي كان يجلس فيه خاليا دمعت عيني، فكففتها وتصبرت؛ ولمحني الرشيد فدعاني إليه وأدناني منه، فقبلت يده ورجله والأرض بين يديه، فاستعبر، وكان رقيقاً؛ فوثبت قائما ثم قلت:

في بقاء الخليفة الميمون خلف من مصيبة المحزون

لا يضير المصاب رزء إذا ما كان ذا مفزع إلى هارون

فقال لي: كذاك والله هو، ولن تفقد من أبيك ما دمت حياً إلا شخصه؛ وأمر بإضافة رزقه إلى رزقي؛ فقلت: بل يأمر أمير المؤمنين به إلى ولده، ففي خدمتي إياه ما يغنيني؛ فقال: اجعلوا رزق إبراهيم لولده وأضعفوا رزق إسحاق.

يا دار سعدى بالجوع من ملل حييت من دمنة ومن طلل

إني إذا ما البخيل أمنها باتت ضموزاً مني على وجل

لا أمتع العوذ بالفصال ولا أبتاع إلا قريبة الأجل

العوذ: الإبل التي قد نتجت، واحدها عائذ. يقول: أنحرها وأولادها للأضياف فلا أمتعها. والضموز: الممسكة عن أن تجتر. ضمز الجمل بجرته إذا أمسك عنها، ودسع بها إذا استعملها. يقول: فهذه الناقة من شدة خوفها على نفسها مما رأت من نحر نظائرها قد امتنعت من جرها فهي ضامزة.

الشعر لابن هرمة. والغناء في اللحن المختار لمرزوق الصراف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

عن إسحاق، ويقال إنه ليحيى بن واصل. وذكر عمرو بن بانة أن فيه لدحمان لحناً من الثقيل الأول بالبنصر، وأن فيه لابن محرز لحناً من الثقيل الثاني بالبنصر في الثالث ثم الثاني، ووافقه ابن المكي. قال: وفيه لدحمان خفيف رمل بالوسطى في الأول والثالث؛ وذكر الهشامي أن هذا اللحن بعينه ليونس وأن الثقيل الثاني لإبراهيم، وألط لمعبد فيه لحناً من الثقيل الأول بالوسطى، وأن فيه للهذلي خفيف ثقيل، وأن فيه رملا ينسب إلى ابن محرز أيضاً.

شيء من ذكر اين هرمة ايضا

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري ونوفل بن ميمون عن يحيى بن عروة بن أذينة قال: خرجت في حاجة لي، فلما كنت بالسيالة وقفت على متزل إبراهيم بن علي بن هرمة، فصحت: يا أبا إسحاق، فأجابتني ابنته: من هذا. فقلت: انظري، فخرجت إلي فقلت: أعلمي أبا إسحاق؛ فقالت: خرج والله آنفاً قال: فقلت: هل من قرى؟ فإني مقو من الزاد؛ قالت: لا والله، ما صادفته حاضراً؛ قلت: فأين قول أبيك:

لا أمتع العوذ بالفصال ولا　　　أبتاع إلا قريبة الأجل

قالت: بذاك والله أفناها - أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية بمثل هذا الخبر سواء، وزاد فيه: - قال: فأخبرت إبراهيم بن هرمة بقولها، فضمها إليه وقال: بأبي أنت وأمي! أنت والله ابنتي حقا، الدار والمزرعة لك.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني نوفل بن ميمون قال حدثني مرقع قال: كنت مع ابن هرمة في سقيفة أم أذينة، فجاءه راع بقطعة من غنم يشاوره فيما يبيع منها، وكان قد أمره ببيع بعضها؛ قال مرقع: فقلت: يا أبا إسحاق، أين عزب عنك قولك:

لا غنمي مد في الحياة لها　　　إلا لدرك القرى ولا إبلي

وقولك فيها أيضا:

لا أمتع العوذ بالفصال ولا　　　ولا أبتاع إلا قريبة الأجل

فقال لي: مالك أخزاك الله! من أخذ منها شيئا فهو له؛ فانتهبناها حتى وقف الراعي وما معه منها شيء. وحدثنا بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه: أن ابن هرمة كان اشترى غنما للربح، فلقيه رجل فقال له: ألست القائل:

لا غنمي مد في الحياة لها　　　إلا لدرك القرى ولا إبلي

قال: نعم؛ قال!: فو الله إني لأحسبك تدفع عن هذه الغنم المكروه بنفسك، وإنك لكاذب؛ فأحفظه ذلك فصاح: من أخذ منها شيئا فهو له؛ فانتهبها الناس جميعاً وكان ابن هرمة أحد البخلاء.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني نوفل بن ميمون قال حدثني زفر بن محمد الفهري: أن هذه القصيدة أول شعر قاله وابن هرمة.

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا حماد بن إسحاق قال قرأت على أبي: حدثنا عبد الله بن الوليد الأزدي قال حدثني جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين قال: سمع مزبد قول ابن هرمة:

لا أمتع العوذ بالفصال ولا　　　أبتاع إلا قريبة الأجل

قال: صدق ابن الخبيثة، إنما كان يشتري الشاة للأضحى فيذبحها من ساعته.

أخبرنا وكيع قال حدثنا حماد عن أبيه عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن محمد بن زيد عن أبيه، قال: اجتمع قوم من قريش أنا فيهم، فأحببنا أن نأتي ابن هرمة فنعبث به، فتزودنا زاداً كثيراً ثم أتيناه لنقيم عنده، فلما انتهينا إليه خرج إلينا فقال: ما جاء بكم؟ فقلنا: سمعنا شعرك فدعانا إليك لما سمعناك قلت:

إن امرأ جعل الطريق لبيته ... طنباً وأنكر حقه للئيم

وسمعناك تقول:

وإذا تنور طارق مستنبح ... نبحت فدلته علي كلابي

وعوين يستعجلنه فلقينه ... يضربنه بشراشر الأذناب

وسمعناك تقول:

كم ناقة قد وجأت منحرها ... بمستهل الشؤبوب أو جمل

لا أمتع العوذ بالفصال ولا ... أبتاع إلا قريبة الأجل

قال: فنظر إلينا طويلاً ثم قال: ما على وجه الأرض عصابة أضعف عقولاً ولا أسخف ديناً منكم؛ فقلنا له: يا عدو الله يا دعي، أتيناك زائرين وتسمعنا هذا الكلام؛ فقال: أما سمعتم الله تعالى يقول للشعراء: "وأنهم يقولون ما لا يفعلون" أفيخبركم الله أني أقول ما لا أفعل وتريدون مني أن أفعل ما أقول؛ قال فضحكنا منه وأخرجناه معنا، فأقام عندنا في نزهتنا يشركنا في زادنا حتى انصرفنا إلى المدينة.

أخبرنا عمي قال حدثني محمد بن سعيد الكراني عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال: الحكم الخضري، وابن ميادة، ورؤبة، وابن هرمة، وطفيل الكناني، ومكين العذري، كانوا على ساقة الشعراء، وتقدمهم ابن هرمة بقوله:

لا أمتع العوذ بالفصال ولا ... أبتاع إلا قريبة الأجل

قال عبد الرحمن: وكان عمي معجبا بهذا البيت مستحسنا له، وكان كثيرا ما يقول: أما ترون كيف قال! والله لو قال هذا حاتم لما زاد ولكان كثيراً؛ ثم يقول: ما يؤخره عن الفحول إلا قرب عهده. انتهى.

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى ووكيع عن حماد عن أبيه قال: قلت لمروان بن أبي حفصة: من أشعر المحدثين من طبقتكم عندك؟ لا أعنيك، قال: الذي يقول:

لا أمتع العوذ بالفصال ولا ... أبتاع إلا قريبة الأجل

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني عن أبي حذافة قال: لما قال ابن هرمة:

لا أمتع العوذ بالفصال ولا ... أبتاع إلا قريبة الأجل

قال ابن الكوسج مولى آل حنين يجيبه:

ما يشرب البارد القراح و لا يذبح من جفرة و لا حمل

كأنه قردة يلاعبها قرد بأعلى الهضاب من ملل

قال: فقال ابن هرمة: لئن لم أوت به مربوطاً لأفعلن بآل حنين ولأفعلن؛ فوهبوا لابن الكوسج مائة درهم وربطوه وآتوا به ابن هرمة فأطلقه؛ فقال ابن الكوسج: والله لئن عاد لمثلها لأعودن.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني هارون بن مخارق عن أبيه قال: كنا عند الرشيد في بعض أيامنا ومعنا ابن جامع، فغناه ابن جامع ونحن يومئذ بالرقة:

هاج شوقا فراقك الأحبابا فتناسيت أو نسيت الرباب

حين صاح الغراب بالبين منهم فتصاممت إذ سمعت الغرابا

لو علمنا أن الفراق وشيك ما انتهينا حتى نزور القبابا

أو علمنا حين استقلت نواهم ما أقمنا حتى نزم الركابا

الغناء لابن جامع رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وله فيه أيضا ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. وذكرت دنانير عن فليح أن فيه لابن سريج وابن محرز لحنين. قال: فاستحسنه الرشيد وأعجب به واستعاده مراراً وشرب عليه أرطالاً حتى سكر، وما سمع غيره ولا أقبل على أحد، وأمر لابن جامع بخمسة آلاف دينار؛ فلما انصرفنا قال لي إبراهيم: لا ترم منزلك حتى أصير إليك؛ فصرت إلى منزلي، فلم أغير ثيابي حتى أعلمني الغلام بموافاته، فتلقيته في دهليزي، فدخل وجلس وأجلسني بين يديه ثم قال لي: يا مخارق، أنت فسيلة مني وحسني لك وقبيحي عليك، ومتى تركنا ابن جامع على ما ترى غلبنا على الرشيد، وقد صنعت صوتا على طريقة صوته الذي غناه أحسن صنعة منه وأجود وأشجى، وإنما يغلبني عند هذا الرجل بصوته، ولا مطعن على صوتك، وإذا أطربته وغلبته عليه بما تأخذه مني قام ذلك لي مقام الظفر؛ وسيصبح أمير المؤمنين غداً فيدخل الحمام ونحضر ثم يخرج فيدعو بالطعام ويدعو بنا ويأمر ابن جامع فيرد الصوت الذي غناه ويشرب عليه رطلًا ويأمر له بجائزة، فإذا فعل فلا تنتظره أكثر من أن يرد ردته حتى تغني ما أعلمك إياه الساعة، فإنه يقبل عليك ويصلك، ولست أبالي ألا يصلني بعد أن يكون إقباله عليك؛ فقلت: السمع والطاعة؛ فألقى علي لحنه:

يا دار سعدى بالجزع من ملل

وردده حتى أخذته و انصرف، ثم بكر علي فاستعاد الصوت فرددته حتى رضيه، ثم ركبنا وأنا أدرسه حتى صرنا إلى دار الرشيد، فلما دخلنا فعل الرشيد جميع ما وصفه إبراهيم شيئا فشيئا، وكان إبراهيم أعلم الناس به، ثم أمر ابن جامع فرد الصوت ودعا برطل فشربه، ولما استوفاه واستوفى ابن جامع صوته لم أدعه يتنفس حتى اندفعت فغنيت صوت إبراهيم، فلم يزل يصغي إليه وهو باهت حتى استوفيته؛ فشرب وقال: أحسنت والله! لمن هذا

الصوت؟ فقلت: لإبراهيم. فلم يزل يستدنيني حتى صرت قدام سريره، وجعل يستعيد الصوت فأعيده ويشرب عليه، رطلا، فأمر لإبراهيم بجائزة سنية وأمر لي بمثلها؛ وجعل ابن جامع يشغب ويقول: يجيء بالغناء فيدسه في أستاه الصبيان! إن كان محسنا فليغنه هو، والرشيد يقول له: دع ذا عنك، فقد والله استقاد منك وزاد عليك.

تولى شبابك إلا قليلا وحل المشيب فصبراً جميلا

كفى حزنا بفراق الصبا وإن أصبح الشيب منه بديلا

الشعر والغناء لإسحاق. ولحنه المختار ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق بن عمرو.

أخبار إسحاق بن إبراهيم

قد مضى نسبه مشروحا في نسب أبيه، ويكنى أبا محمد، وكان الرشيد يولع به فيكنيه أبا صفوان، وهذه كنية أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مصعب مزحاً.

وموضعه من العلم، ومكانه من الأدب، ومحله من الرواية، وتقدمه في الشعر، ومنزلته في سائر المحاسن، أشهر من أن يدل عليه فيها بوصف؛ وأما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ما يوسم به وإن كان الغالب عليه وعلى ما كان يحسنه؛ فإنه كان له في سائر أدواته نظراء وأكفاء و لم يكن له في هذا نظير؛ فإنه لحق بمن مضى فيه وسبق من بقي، ولحب للناس جميعا طريقه فأوضحها، وسهل عليهم سبيله وأنارها؛ فهو إمام أهل صناعته جميعا، ورأسهم ومعلمهم؛ يعرف ذلك منه الخاص والعام، ويشهد به الموافق والمفارق، على أنه كان أكره الناس للغناء وأشدهم بغضاً لأن يدعى إليه أو يسمى به. وكان يقول: لوددت أن أضرب، كلما أراد مريد مني أن أغني وكلما قال قائل إسحاق الموصلي المغني، عشر مقارع، لا أطيق أكثر من ذلك، وأعفى من الغناء ولا ينسبني من يذكرني إليه. وكان المأمون يقول: لولا ما سبق على ألسنة الناس وشهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء بحضرتي، فإنه أولى به وأعف وأصدق وأكثر ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة.

وقد روى الحديث ولقي أهله: مثل مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وهشيم بن بشير، وإبراهيم بن سعد، وأبي معاوية الضرير، وروح بن عبادة، وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز. وكان مع كراهته الغناء أضن خلق الله وأشدهم بخلاً به على كل أحد حتى على جواريه وغلمانه ومن يأخذ عنه منتسباً إليه متعصباً له فضلاً عن غيرهم.

وهو الذي صحح أجناس الغناء وطرائقه وميزه تمييزاً لم يقدر عليه أحد قبله ولا تعلق به أحد بعده، و لم يكن قديماً مميزاً على هذا الجنس، إنما كان يقال الثقيل، وثقيل الثقيل، والخفيف، وخفيف الخفيف. وهذا عمرو بن بانة، وهو من تلاميذه، يقول في كتابه: الرمل الأول، والرمل الثاني؛ ثم لا يزيد في ذكر الأصابع على الوسطى والبنصر، ولا يعرف المجاري التي ذكرها إسحاق في كتابه، مثل ما ميز الأجناس؟ فجعل الثقيل الأول أصنافا، فبدأ

فيه بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، ثم تلاه بما كان منه بالبنصر في مجراها، ثم بما كان بالسبابة في مجرى البنصر، ثم فعل هذا بما كان منه بالوسطى على هذه المرتبة؛ ثم جعل الثقيل الأول صنفين، الصنف الأول منهما هذا الذي ذكرناه، والصنف الثاني القدر الأوسط من الثقيل الأول، وأجراه المجرى الذي تقدم من تمييز الأصابع والمجاري، وألحق جميع الطرائق والأجناس بذلك وأجراها على هذا الترتيب. ثم لم يتعلق بفهم ذلك أحد بعده فضلا عن أن يصنفه في كتابه؛ فقد ألف جماعة من المغنين كتباً، منهم يحيى المكي وكان شيخ الجماعة وأستاذهم، وكلهم كان يفتقر إليه ويأخذ عنه غناء الحجاز، وله صنعة كثيرة حسنة متقدمة، وقد كان إبراهيم الموصلي وابن جامع يضطران إلى الأخذ عنه ألف كتابا جمع فيه الغناء القديم، وألحق فيه أبنه الغناء المحدث إلى آخر أيامه، فأتيا فيه في أمر الأصابع بتخليط عظيم، حتى جعلا أكثر ما جنساه من ذلك مختلطاً فاسداً، وجعلا بعضه، فيما زعما، تشترك الأصابع كلها فيه؛ وهذا محال؛ ولو اشتركت الأصابع لما احتيج إلى تمييز الأغاني وتصييرها مقسومة على صنفين: الوسطى والبنصر. والكلام في هذا طويل ليس موضعه ها هنا؛ وقد ذكرته في رسالة عملتها لبعض إخواني ممن سألني شرح هذا، فأثبته واستقصيته استقصاء يستغنى به عن غيره. وهذا كله فعله إسحاق واستخرجه بتمييزه، حتى أتى على كل ما رسمته الأوائل مثل إقليدس ومن قبله ومن بعده من أهل العلم بالموسيقى، ووافقهم بطبعه وذهنه فيما قد أفنوا فيه الدهور، من غير أن يقرأ لهم كتاباً أو يعرفه.

فأخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال:

كنت عند إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فسأل إسحاق الموصلي - أو سأله محمد بن الحسن بن مصعب - بحضرتي، فقال له: يا أبا محمد، أرأيت لو أن الناس جعلوا للعود وترا خامساً للنغمة الحادة التي هي العاشرة على مذهبك، أين كنت تخرج منه؟ فبقي إسحاق ساعة طويلة مفكراً، واحمرت أذناه وكانتا عظيمتين، وكان إذا ورد عليه مثل هذا احمرتا وكثر ولوعه بهما؛ فقال لمحمد بن الحسن: الجواب في هذا لا يكون كلاماً إنما يكون بالضرب، فإن كنت تضرب أريتك أين تخرج، فخجل وسكت عنه مغضباً، لأنه كان أميراً وقابله من الجواب بما لا يحسن، فحلم عنه. قال علي بن يحيى: فصار إلي به وقال لي: يا أبا الحسن، إن هذا الرجل سألني عما سمعت، و لم يبلغ علمه أن يستنبط مثله بقريحته، وإنما هو شيء قرأه من كتب الأوائل، وقد بلغني أن التراجمة عندهم يترجمون لهم كتب الموسيقى، فإذا خرج إليك منها شيء فأعطنيه؛ فوعدته بذلك، ومات قبل أن يخرج إليه شيء منها. وإنما ذكرت هذا بتمام أخباره كلها ومحاسنه وفضائله، لأنه من أعجب شيء يؤثر عنه: أنه استخرج بطبعه علماً رسمته الأوائل لا يوصل إلى معرفته إلا بعد علم كتاب إقليدس الأول في الهندسة ثم ما بعده من الكتب الموضوعة في الموسيقى، ثم تعلم ذلك وتوصل إليه وأستنبطه بقريحته، فوافق ما رسمه أولئك، و لم يشذ عنه شيء يحتاج إليه منه، وهو لم يقرأه ولا له مدخل إليه ولا عرفه، ثم تبين بعد هذا، بما أذكره من أخباره ومعجزاته في صناعته، فضله على أهلها كلهم وتميزه عنهم، وكونه سماء هم أرضها، وبحراً هم جداوله.

وأم إسحاق امرأة من أهل الري يقال لها شاهك؛ وذكر قوم أنها دوشار التي كانت تغنى بالدف، فهويها إبراهيم

وتزوجها. وهذا خطأ، تلك لم تلد من إبراهيم إلا بنتاً، وإسحاق وسائر ولد إبراهيم من شاهك هذه.

أخبرني يحيى بن علي المنجم قال أخبرني أبي عن إسحاق قال: بقيت دهرا من دهري أغلس في كل يوم إلى هشيم فأسمع منه، ثم أصير إلى الكسائي أو الفراء أو ابن غزالة فأقرأ عليه جزءاً من القرآن، ثم آتي منصور زلزل فيضار بني طرقين أو ثلاثة، ثم آتي عاتكة بنت شهدة فآخذ منها صوتاً أو صوتين، ثم آتي الأصمعي وأبا عبيدة فأناشدهما وأحدثهما فأستفيد منهما، ثم أصير إلى أبي فأعلمه ما صنعت ومن لقيت وما أخذت وأتغدى معه، فإذا كان العشاء رحت إلى أمير المؤمنين الرشيد.

أخبرنا محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: أخذ مني منصور زلزل إلى أن تعلمت مثل ضربه بالعود أكثر من مائة ألف درهم.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: كنت عند ابن عائشة فجاءه أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فرحب به وقال: ها هنا يا أبا محمد إلى جنبي، فلئن بعدت بيننا الأنساب، لقد قربت بيننا الآداب.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال حدثنا ابن شبيب من جلساء المأمون عنه: أنه قال يوماً وإسحاق غائب عن مجلسه: لولا ما سبق على ألسنة الناس واشتهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء، فما أعرف مثله ثقة وصدقاً وعفة وفقهاً. هذا مع تحصيل المأمون وعقله ومعرفته.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا الفضل بن العباس الوراق قال حدثنا المخرمى عن أبيه قال: سمعت إسحاق الموصلي يقول: صرت إلى سفيان بن عيينة لأسمع منه، فتعذر ذلك علي وصعب مرامه، فرأيته عند الفضل بن الربيع، فسألته أن يعرفه موضعي من عنايته ومكاني من الأدب والطلب وأن يتقدم إليه بحديثي؛ ففعل وأوصاه بي فقال: إن أبا محمد من أهل العلم وحملته. قال: فقلت: تفرض لي عليه ما يحدثني به؛ فسأله في ذلك، ففرض لي خمسة عشر حديثاً في كل مجلس؛ فصرت إليه فحدثني بما فرض لي؛ فقلت له: أعزك الله، صحيح كما حدثتني به؟ قال: نعم، وعقد بيده شيئاً، قلت: أفأرويه عنك؟ قال: نعم، وعقد بيده شيئا آخر، ثم قال: هذه خمسة وأربعون حديثاً، وضحك إلي وقال: قد سرني ما رأيت من تقصيك في الحديث وتشددك فيه على نفسك، فصر إلي متى شئت حتى أحدثك بما شئت.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الجمان وعون بن محمد الكندى قالا: سمعنا إسحاق الموصلي يقول:

جئت يوماً إلى أبي معاوية الضرير ومعي مائة حديث، فوجدت حاجبه يومئذ رجلاً ضريراً؛ فقال لي: إن أبا معاوية قد ولاني اليوم حجبته لينفعني؛ فقلت: معي مائة حديث وقد جعلت لك مائة درهم إذا قرأتها؛ فدخل واستأذن لي فدخلت؛ فلما عرفني أبو معاوية دعاه فقال له: أخطأت، وإنما جعلت لك مثل هذا من ضعفاء أصحاب الحديث فأما أبو محمد وأمثاله فلا؛ ثم أقبل علي يرغبني في الإحسان إليه ويذكر ضعفه وعنايته به؛ فقلت

له: احتكم في أمره، فقال: مائة دينار؛ فأمرت بإحضارها الغلام، وقرأت عليه ما أردت وانصرفت.
كان يجري على ابن الأعرابي ثلثمائة دينار في كل سنة وإكبار ابن الأعرابي له: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني علي بن محمد الأسدي قال حدثني أحمد بن يحيى الشيباني ثعلب قال: وقف أبو عبد الله بن الأعرابي على المدائني، فقال له: إلى أين يا أبا عبد الله. فقال: أمضي إلى رجل هو كما قال الشاعر:

نحمل أشباحنا إلى ملك نأخذ من ماله ومن أدبه

فقال له: ومن ذلك يا أبا عبد الله؟ قال: أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي. قال أبو بكر: والبيت لأبي تمام الطائي.
وقد أخبرني بهذا الخبر عن ثعلب محمد بن القاسم الأنباري فقال فيه: كان إسحاق يجري على ابن الأعرابي في كل سنة ثلثمائة دينار، وأهدى له ابن الأعرابي شيئاً من كتاب النوادر كتبه له بخطه؛ فمر ابن الأعرابي يوماً على باب دار الموصلي ومعه صديق له؛ فقال له صديقه: هذه دار صديقك أبي محمد إسحاق؛ فقال: هذه دار الذي نأخذ من ماله ومن أدبه.
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: رأيت في منامي كأن جريراً جالس ينشد شعره وأنا أسمع منه، فلما فرغ أخذ بيده كبة شعر فألقاها في فمي فابتلعتها؛ فأول ذلك بعض من ذكرته له أنه ورثني الشعر. قال يزيد بن محمد: وكذلك كان، لقد مات إسحاق وهو أشعر أهل زمانه.
أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق قال: قال لي أبي: أعطيت منصوراً زلزلاً من مالي خاصة حتى تعلمت ضربه بالعود نحواً من مائة ألف درهم سوى ما أخذته له من الخلفاء ومن أبي. قال: وكانت في زلزل قبل أن يعرف الصوت ويفهمه بلادة أول ما يسمعه، حتى لو ضرب هو وغلامه على صوت لم يعرفاه قبل لكان غلامه أقوى منه؛ فإذا تفهمه جاء فيه من الضرب بما لا يتعلق به أحد البتة.
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل عن إسحاق، وأخبرني به الأخفش عن الفضل عن إسحاق، وأخبرني به يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق، وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي عن إسحاق قال: قال لي أبو زياد الكلابي: أو لم جار لي يكنى أبا سفيان وليمة ودعاني لها، فانتظرت رسوله حتى تصرم يومي فلم يأت، فقلت لامرأتي:

إن أبا سفيان ليس بمولم فقومي فهاتي فلقة من حوارك

قال إسحاق: فقلت له: أليس غير هذا؟ فقال: لا، إنما أرسلته يتيماً، فقلت: أفلا أجيزه؟ قال: شأنك؛ فقلت له:

فبيتك خير من بيوت كثيرة وقدرك خير من وليمة جارك

قال: فضحك ثم قال: أحسنت بأبي أنت وأمي، جئت والله به قبلاً ما انتظرت به القرب، وما ألوم الخليفة أن يجعلك في سماره ويتملح بك، وإنك لمن طراز ما رأيت بالعراق مثله، ولو كان الشباب يشترى لا ابتعته لك بإحدى عيني ويمنى يدي، وعلى أن فيك بحمد الله ومنه بقية تسر الودود، وترغم الحسود. هذا لفظ يزيد المهلبي

والأخفش. وأخبرني بهذا الخبر محمد بن عبد الله بن عمار فقال حدثني عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال قال لي إما شداد بن عقبة وإما أبو مجيب: قالت امرأة القتال الكلابي له: هل لك في فلقة من حوار نطبخها لك؟ فقال: لا والله، نحن على وليمة أبي سفيان ودعوته، وكان أبو سفيان رجلاً من الحي زفت إليه امرأته تلك الليلة؛ فجعل ينظر دخاناً فلا يراه، فقال:

إن أبا سفيان ليس بمولم فقومي فهاتي فلقة من حوارك

ثم ذكر باقي الخبر على ما تقدم من الذي قبله.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبي قال! حدثني إسحاق قال: أنشدت أعرابياً فهماً شعراً لي، فقال: أقفرت والله يا أبا محمد؛ قلت: وما أقفرت؟ قال: رعيت قفرة لم ترع قبلك. يريد: أ بدعت.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش وعمي قالا حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال حدثني بعض أصحاب السلطان بمدينة السلام قال سمعت إسحاق الموصلي يقول: دخلت على المأمون يوماً وعقيد يغنيه ارتجالاً وغيره يضرب عليه؛ فقال: يا إسحاق، كيف تسمع مغنياً هذا؟ فقلت: هل سأل أمير المؤمنين عن هذا غيري. قال: نعم، سألت عمي إبراهيم فوصفه وقرظه واستحسنه؛ فقلت له: يا أمير المؤمنين - أدام الله سرورك، وأطاب عيشك - إن الناس قد أكثروا في أمري حتى نسبتني فرقة إلى التزيد في علمي؛ فقال لي: فلا يمنعك ذلك من قول الحق إذا لزمك؛ فقلت لعقيد: اردد هذا الصوت الذي غنيته آنفاً، وتحفظ فيه وضرب ضاربه عليه؛ فقلت لإبراهيم بن المهدي: كيف رأيته؟ فقال: ما رأيت شيئاً يكره ولا سمعته؛ فأقبلت على عقيد فقلت له حين استوفاه: في أي طريقة هذا الصوت الذي غنيته؟ قال: في الرمل؛ فقلت للضارب: في أي طريقة ضربت أنت؟ قال: في الهزج الثقيل؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، ما عسيت أن أقول في صوت يغني مغنيه رملاً ويضرب ضاربه هزجاً، وليس هو صحيحاً في إيقاعه الذي ضرب عليه!. قال: وتفهمه إبراهيم بن المهدي بعدي، فقال: صدق يا أمير المؤمنين، الأمر فيه الآن بين؛ فغاظني، فقلت له: بأي شيء بان الآن ما لم يكن بيناً قبل؟ أتوهم أنك استنبطت معرفة هذا! وإنما قلته لما علمته من جهتي كما يقوله الغلمان العجم وسائر من حضر اتباعاً لي واقتداء بقولي. فقال له المأمون: صدق، فأمسك؛ وجعل يتعجب من ذهاب ذلك على كل من حضر، وكناني في ذلك اليوم مرتين.

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أبو عبد الله أحمد بن حمدون قال حدثني أبي: أن الأصمعي أنشد قول إسحاق يذكر ولاءه لخزيمة بن خازم:

إذا كانت الأحرار أصلي ومنصبي ودافع ضيمي خازم وابن خازم

عطست بأنف شامخ وتناولت يداي الثريا قاعداً غير قائم

قال: فجعل الأصمعي يعجب منهما ويستحسنهما، وكان بعد ذلك يذكرهما ويفضلهما.

قال ابن حمدون: وكان السبب في تولي إسحاق خازم بن خزيمة بن خازم، أن مناظرة جرت بينه وبين ابن جامع

بحضرة الرشيد فتغالظا، فقال له ابن جامع: يا من إذا قلت له يابن زانية لم أخف أن يكذبني أحد؛ فمضى إلى خازم بن خزيمة، فتولاه وانتمى إليه، فقبل ذلك منه، وقال هذين البيتين.

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي قال: قال إسحاق: كانت عندي صناجة كنت بها معجباً؛ واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون؛ فبينا أنا ذات يوم في مترلي إذا ببابي يدق دقاً شديداً، فقلت: انظروا من هذا؛ قالوا: رسول أمير المؤمنين؛ فقلت: ذهبت صناجتي، تجده ذكرها له ذاكر فبعث إلي فيها؛ فلما مضى بي الرسول انتهيت إلى الباب وأنا مثخن، فدخلت فسلمت، فرد السلام، ونظر إلى تغير وجهي فقال: اسكن فسكنت؛ وسألني عق صوت وقال: أتدري لمن هو؟ فقلت: أسمعه ثم أخبر أمير المؤمنين إن شاء الله بذلك؛ فأمر جارية من وراء الستارة فغنته وضربت، فإذا هي قد شبهته بالقديم؛ فقلت: زدني معها عوداً آخر فإنه أثبت لي، فزادني عوداً آخر، فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا الصوت محدث لامرأة ضاربة؛ فقال: من أين قلت ذلك؟ فقلت: لما سمعته وسمعت لينه عرفت أنه من صنعة النساء؛ ولما رأيت جودة مقاطعه علمت أن صاحبته ضاربة؛ فقال: من أين قلت ذلك؟ فقلت: لأنها قد حفظت مقاطعه وأجزاءه، ثم طلبت عوداً آخر ليكون أثبت لي فلم أشكك؛ فقال: صدقت، الغناء لعريب.

نسخت من كتاب ابن أبي سعيد: حدثني إسحاق بن إبراهيم الطاهري قال: حدثتني مخارق مولاتنا قالت: كان لمولاي الذي علمني الغناء فراش رومي، وكان يغني بالرومية صوتاً مليح اللحن؛ فقال لي مولاي:

يا مخارق، خذي هذا اللحن الرومي فانقليه إلى شعر من أصواتك العربية حتى أمتحن به إسحاق الموصلي فأعلم أين يقع من معرفته، ففعلت ذلك؛ وصار إليه إسحاق فاحتبسه مولاي، فأقام وبعث إلي أن أدخلي اللحن الرومي في وسط غنائك؛ فغنيته إياه في درج أصوات مرت قبله، فأصغى إليه إسحاق، وجعل يتفهمه ويقسمه ويتفقد أوزانه ومقاطعه ويوقع عليه بيده، ثم أقبل على مولاي فقال: هذا صوت رومي اللحن، فمن أين وقع إليك؟ فكان مولاي بعد ذلك يقول: ما رأيت شيئا أحسن من استخراجه لحناً رومياً لا يعرفه ولا العلة فيه، وقد نقل إلى غناء عربي وامتزجت نغمه حتى عرفه ولم يخف عليه.

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن موسى قال حدثنى عبد الله بن عمرو عن محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني علويه الأعسر، ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب عن علي بن محمد بن نصر الشامي عن جده حمدون بن إسماعيل قال: تناظر المغنون يوماً عند الواثق، فذكروا الضراب وحذقهم، فقدم إسحاق زلزلاً على ملاحظ، ولملاحظ في ذلك الرياسة على جميعهم؛ فقال له الواثق: هذا حيف وتعد منك؛ فقال إسحاق: يا أمير المؤمنين، اجمع بينهما وامتحنهما، فإن الأمر سينكشف لك فيهما؛ فأمر بهما فأحضرا؛ فقال له إسحاق؛ إن للضراب أصواتاً معروفة، أفأمتحنهما بشيء منها؟ قال: أجل، افعل؛ فسمى ثلاثة أصوات كان أولها:

علق قلبي ظبية السيب

فضربا عليه، فتقدم زلزل وقصر عنه ملاحظ؛ فعجب الواثق من كشفه عما ادعاه في مجلس واحد. فقال له ملاحظ: فما باله يا أمير المؤمنين يحيلك على الناس! و لم لا يضرب هو! فقال: يا أمير المؤمنين، إنه لم يكن أحد في زماني أضرب مني إلا أنكم أعفيتموني، فتفلت مني؛ وعلى أن معي بقية لا يتعلق بها أحد من هذه الطبقة؛ ثم قال: يا ملاحظ، شوش عودك وهاته، ففعل ذلك ملاحظ؛ فقال: يا أمير المؤمنين، هذا يخلط الأوتار تخليط متعنت فهو لا يألو ما أفسدها، ثم أخذ العود فجسه ساعة حتى عرف مواقعه، ثم قال: يا ملاحظ، غن أي صوت شئت، فغنى ملاحظ صوتاً، وضرب عليه إسحاق بذلك العود الفاسد التسوية فلم يخرجه عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن نقرة واحدة، ويده تصعد وتنحدر على الدساتين؛ فقال له الواثق: لا والله ما رأيت مثلك ولا سمعت به! اطرح هذا على الجواري؛ فقال: هيهات يا أمير المؤمنين، هذا لا تعرفه الجواري ولا يصلح لهن، إنما بلغني أن الفهليذ ضرب يوماً بين يدي كسرى فأحسن، فحسده رجل من حذاق أهل صنعته، فترقبه حتى قام لبعض شأنه، ثم خالفه إلى عوده فشوش بعض أوتاره، فرجع فضرب وهو لا يدري، والملوك لا تصلح في مجالسها العيدان، فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد إلى أن فرغ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصة، فامتحن العود فعرف مما فيه، ثم قال: "زه وزه وزهان زه "، ووصله بالصلة التي كان يصل بها من خاطبه هذه المخاطبة؛ فلما تواطأت الرواية بهذا أخذت نفسي ورضتها عليه وقلت: لا ينبغي أن يكون الفهليذ أقوى على هذا مني، فما زلت أستنبطه بضع عشرة سنة حتى لم يبق في الأرض موضع على طبقة من الطبقات إلا وأنا أعرف نغمته كيف هي، والمواضع التي يخرج النغم كلها منه فيها، من أعاليها إلى أسافلها، وكل شيء منها يجانس شيئاً غيره، كما أعرف ذلك في مواضع الدساتين؛ وهذا شيء لا تفي به الجواري. قال له الواثق: صدقت، ولئن مت لتموتن هذه الصناعة معك؛ وأمر له بثلاثين ألف درهم.

علق قلبي ظبية السيب	جهلاً فقد أعري بتعذيبي
نمت عليها حين مرت بنا	مجاسد ينفحن بالطيب
تصدها عنا عجوز لها	منكرة ذات أعاجيب
فكلما همت بإتيانها	قالت: توقي عدوة الذيب

الشعر والغناء لإبراهيم، هزج ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر.

حدثني علي بن هارون قال حدثني محمد بن موسى اليزيدي قال حدثتني دمن جارية إسحاق الموصلي، وكانت من كبار جواريه وأحظى من عنده، ولقيتها فقلت لها: أي شيء أخذت عن مولاك من الغناء؟ فقالت: لا والله ما أخذت أنا عنه ولا واحدة من جواريه صوتا قط! كان أبخل بذلك، وما أخذت منه قط إلا صوتاً واحداً، وذلك أنه انصرف من دار الخليفة وهو مثخن سكراً، فدخل إلى بيت كان ينام فيه، فرأى عوداً معلقاً فأخذه

بيده، وقال لخادمه: يا غلام، صح لي بدمن؛ فجاءني الغلام فخرجت، فلما بلغت الباب إذا هو مستلق على فراشه والعود في يده وهو يصنع هذا الصوت ويردده، وقد اسحنفر في نغمه وتنوق فيها حتى استقام له، وهو:

ألا ليلك لا يذهب ... ونيط الطرف بالكوكب

وهذا الصبح لا يأتي ... ولا يدنو ولا يقرب

فلما سمعته علمت أني إن دخلت إليك أمسك، فوقفت أستمعه حتى فرغ منه وأخذته عنه؛ فلما فرغ منه وضع العود من يده، وذكر أنه قد طلبني فقال: يا غلام، أين دمن؟ فقلت: هأنذي؛ فقال: مذ كم أنت واقفة؟ فقلت: منذ ابتدأت بالصوت وقد أخذته؛ فنظر إلي نظر مغضب أسف، ثم قال: غنيه، فغنيته حتى استوفيته؛ فقال لي وقد فتر وخجل: قد بقيت عليك فيه بقية أنا أصلحها لك؛ فقلت: لست أحتاج إلى إصلاحك إياه، وقد والله أخذته على رغمك؛ فضحك. لحن هذا الصوت من الهزج بالبنصر، والشعر والغناء لإسحاق.

أخبرنا يحيى بن علي قال قال لي إسحاق: كنت عند المعتصم وعنده إبراهيم بن المهدي، فغنى إبراهيم صوتاً لابن جامع أخل ببعضه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، ترك ابن جامع الناس يحجلون خلفه ولا يلحقونه. وفي هذا الصوت خاصة؛ فقلت: والله يا أمير المؤمنين، ما صدق، وما هذا الصوت بتام الأجزاء؛ فقال: كذب والله يا أمير المؤمنين؛ فقلت: يا سيدي، أنا أوقفه على نقصانه، فمره فليعد يا أمير المؤمنين؛ فأعاد البيت الأول فأقامه وطمع في الإصابة؛ فقلت: آفته في البيت الثاني، فليردده؛ فرده فنقص من أجزائه وفسمته، فعرفته فأقر به؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه صناعتي وصناعة آبائي وإبراهيم يكلمني فيها، وأنا أسأله عن ثلاثين مسألة من باب واحد في طريق الغناء لا يعرف منها مسألة واحدة؛ فقال: أو يعفيني أمير المؤمنين من كلامه؟ فأعفاه.

وقد أخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي عن إسحاق؛ فذكر نحواً مما ذكره يحيى، وذكر أن القصة كانت بين يدي المعتصم؛ وزاد فيها فقال: أنا أسأله عن ثلاثين مسألة وأوقفه على خطئه فيها، فإن لم يقر بذلك أقر به مخارق وعلويه؛ فقال: أو يعفيني أمير المؤمنين من كلامه! فإنه يعدل عندي البختج؛ قلت: يا أمير المؤمنين، وما يفعل البختج؟ قال: يسلح؛ قلت: قد والله فعل ذلك كلامي به، ومنه هرب؛ فضحك وغطى فاه وقام؛ فظن إسحاق بن إبراهيم المصعبي أني قد أغضبته، فضرب بيده إلى السيف؛ فقلت له: لا تحسب أني أغضبته؛ فما كنت لأكلم عمه بين يديه بهزء من غير إذنه، فأمسك؛ وكان لا يقدم أحد أن يكلم الخليفة بحضرته بما فيه الوهن إلا بادر إلى سيفه تعظيماً للأمير وإجلالاً له.

أخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أحمد بن القاسم الهاشمي عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

دعاني المأمون وعنده إبراهيم بن المهدي، وفي مجلسه عشرون جارية قد أجلس عشراً عن يمينه وعشراً عن يساره ومعهن العيدان يضربن بها؛ فلما دخلت سمعت من الناحية اليسرى خطأ فأنكرته؛ فقال المأمون: يا إسحاق، أتسمع خطأ؟ فقلت: نعم والله يا أمير المؤمنين؛ فقال لإبراهيم: هل تسمع خطأ؟ فقال: لا؛ فأعاد علي السؤال،

فقلت: بلى والله يا أمير المؤمنين، وإنه لفي الجانب الأيسر؛ فأعاد إبراهيم سمعه إلى الناحية اليسرى ثم قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما في هذه الناحية خطأ؛ فقلت يا أمير المؤمنين: مر الجواري اللواتي على اليمين يمسكن، فأمرهن فأمسكن؛ فقلت لإبراهيم: هل تسمع خطأ؟ فتسمع ثم قال: ما ها هنا خطأ؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، يمسكن وتضرب الثامنة. فأمسكن وضربت الثامنة، فعرف إبراهيم الخطأ، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، ها هنا خطأ؛ فقال عند ذلك لإبراهيم: يا إبراهيم، لا تمار إسحاق بعدها؛ فإن رجلاً فهم الخطأ بين ثمانين وتراً وعشرين حلقاً لجدير ألا تماريه. فقال: صدقت يا أمير المؤمنين. وقال الحسين بن يحيى في خبره: وكان في الأوتار كلها مثنى فاسد التسوية. وقال فيه: فطرب أمير المؤمنين المأمون، وقال: لله درك يا أبا محمد؛ فكناني يومئذ.

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أحمد بن حمدون قال: سمعت الواثق يقول: ما غناني إسحاق قط إلا ظننت أنه قد زيد لي في ملكي، ولا سمعته يغني غناء ابن سريج إلا ظننت أن ابن سريج قد نشر، وإنه ليحضرني غيره إذا لم يكن حاضراً، فيتقدمه عندي وفي نفسي بطيب الصوت، حتى إذا اجتمعا عندي رأيت إسحاق يعلو ورأيت من ظننته يتقدمه ينقص؛ وإن إسحاق لنعمة من نعم الملك التي لم يحظ بمثلها؛ ولو أن العمر والشباب والنشاط مما يشترى لأشتريتهن له بشطر ملكي.

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال: سأل إسحاق الموصلي المأمون أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب والرواة لا مع المغنين، فإذا أراده للغناء غناه؛ فأجابه إلى ذلك؛ ثم سأله بعد حين أن يأذن له في الدخول مع الفقهاء؛ فأذن له. قال: فحدثني محمد بن الحارث بن بسخنر أنه كان هو ومخارق وعلويه جلوساً في حجرة لهم ينتظرون جلوس المأمون وخروج الناس من عنده، إذ دخل يحيى بن أكثم وعليه سواده وطويلته، ويده في يد إسحاق يماشيه، حتى جلس معه بين يدي المأمون، فكاد علويه أن يجن، وقال: يا قوم، أسمعتم بأعجب من هذا! يدخل قاضي القضاة ويده في يد مغن حتى يجلسا بين يدي الخليفة!. ثم مضت على ذلك مدة، فسأل إسحاق المأمون أن يأذن له في لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة؛ قال: فضحك المأمون وقال: ولا كل ذا يا إسحاق! وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم؛ وأمر له بها.

حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أبو عبد الله بن حمدون قال: كان المغنون جميعاً يحضرون مجلس الواثق وعيدانهم معهم إلا إسحاق، فإنه كان يحضر بلا عود للشرب والمجالسة؛ فإن أمره الخليفة أن يغني أحضر له عوداً، فإذا غنى وفرغ سل من بين يديه إلى أن يطلبه. وكان الواثق كثيرا ما يكنيه، رفعاً له من أن يدعوه باسمه؛ وكان إذا غنى وفرغ الواثق من شرب قدحه قطع الغناء ولم يعد منه حرفاً إلا أن يكون في بعض بيت فيتمه، ثم يقطع ويضع العود من يده.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه في خبر ذكر إسحاق فيه، فقال: وعارض معبداً وابن سريج فانتصف منهما، وكان إبراهيم بن. المهدي يناظره ويجادله في الغناء وينازعه في صناعته، ولم يبلغه؛ وما رأيت بعد إسحاق مثله.

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال قال لي محمد بن راشد

الخناق:

سمعت علويه يقول لإسحاق بن إبراهيم الموصلي: إن إبراهيم بن المهدي يعيبك بتركك تحريك الغناء؛ فقال له إسحاق: ليتنا نفي بما علمناه، فإنا لا نحتاج إلى الزيادة فيه. أثم قال له: فإنه يزعم أن حلاوة الغناء تحريكه، وتحريكه عنده أن يكون كثير النغم، وليس يفعل ذلك، إنما يسقط بعض عمله لعجزه عنه، فإذا فعل ذلك فهو بالإضافة إلى حاله الأولى بمترلة الأسكدار للكتاب، وهو حينئذ بأن يسمى المحذوف أشبه منه بأن يسمى المحرك؛ فضحك علويه ثم قال: فإن إبراهيم يسمي غناءكم هذا الممسك المنادي؛ قال إسحاق: هذا من لغات الحاكة؛ لأنهم يسمون الثوب الجافي الكثير العرض والطول المدالي؛ وعلى هذا القياس فينبغي لنا أن نسمي غناءه المحرك الضرابي، وهو الخفيف السخيف من الثياب في لغة الحاكة، حتى ندخل الغناء في جملة الحياكة ونخرجه عن جملة الملاهي؛ ثم قال لعلويه؛ بحياتي عليك إلا ما أعدت عليه ما جرى؛ فقال له: لا وحياتك لا فعلت؛ فإنه يعلما ميلي إليكم، ولكن عليك بأبي جعفر محمد بن راشد الخناق؛ فكلمه إسحاق وأقسم عليه أن يؤيده، ففعل وسار إلى إبراهيم فأخبره، فجعل كلما أخبره شيئاً تغيظ وشتم إسحاق بأقبح شتم؛ ثم جاءه ابن راشد فأخبره؛ فجعل كلما أخبره بشيء من ذلك ضحك وصفق سروراً لغيظ إبراهيم من قوله.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال أخبرني محمد بن راشد الخناق قال: إني لفي مترلي يوماً مع الظهر إذ دخل علي إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فسررت بمكانه؛ فقال: قد جاءت بي إليك حاجة؛ قال قلت: قل ما شاء الله؛ قال: دعني في بيتك، ودع غلاميك عندي: بديحاً وسليمان - وكانا خادمين مغنيين - ومرهما أن يغنياني، وأتني بفلان ليغنيني أيضاً، بحياتي عليك، وانطلق إلى إبراهيم ابن المهدي، فإنه سيسر بمكانك، فاشرب معه أقداحاً، ثم قل له: يا سيدي، أسألك عن شيء، فإذا قال: سل، فقل له: أخبرني عن قولك:

ذهبت من الدنيا وقد ذهبت مني

أي شيء كان معنى صنعتك فيه؟ وأنت تعلم أنه لا يجوز في غنائك الذي صنعته فيه إلا أن تقول: "ذهبتو" بالواو، فإن قلت: "ذهبت" ولم تمدها انقطع اللحن والشعر، وإن مددتها قبح الكلام وصار على كلام النبط؛ فقلت له: يا أبا محمد، كيف أخاطب إبراهيم بهذا؟ فقال: هو حاجتي إليك وقد كلفتك إياها، فإن استحسنت أن تردني فأنت أعلم؛ قال: أفعل ذلك لموضعك على ما فيه علي؛ ثم أتيت إبراهيم، وجلست عنده ملياً، وتجارينا الحديث إلى أن خرجنا إلى ذكر الغناء، فخاطبته بما قال لي إسحاق، فتغير لونه وانكسر، ثم قال: يا محمد، ليس هذا من كلامك، هذا من كلام الجرمقاني ابن الزانية؛ قل له عني: أنتم تصنعون هذا للصناعة، ونحن نصنعه للهو واللعب والعبث.

قال: فخرجت إلى إسحاق فحدثته بذلك فقال: الجرمقاني والله منا أشبهنا بالجرامقة لغة وهو. الذي يقول: "ذهبتو" وأقام عندي يومه فرحاً بما بلغته إبراهيم عنه من توقيفه على خطئه.

قال علي بن محمد قال لي أبي: كان محمد بن راشد صديقاً لإسحاق ثم فسد ما بينهما؛ فإنه طابق إبراهيم بن

المهدي عليه، وبلغه عنه من توقيعه أنه يذكره. وكان في محمد بن راشد رداءة ونقل للأحاديث؛ فقال فيه إسحاق:

ونديمان صدق لا تخاف أذاته ... ولا يلفظ الأخبار لفظ ابن راشد

دعاني إلى ما يشتهي فأجبته ... إجابة محمود الخلائق ماجد

فلا خير في اللذات إلا بأهلها ... ولا عيش إلا بالخليل المساعد

قال: فجمع ابن راشد عدة من الشعراء وأمرهم بهجاء إسحاق؛ فهجوه بأشعار لم تبلغ مراده، فلم يظهرها. وبلغ ذلك إسحاق فقال فيه:

وأبيات شعر رائعات كأنها ... إذا انشدت في القوم من حسنها سحر

تحفز واقلولى لرد جوابها ... أبو جعفر يغلي كما غلت القدر

فلم يستطعها غير أن قد أعانه ... عليها أناس كي يكون له ذكر

فيا ضيعة الأشعار إذ يقرضونها ... وأضيع منها من يرى أنها شعر

قال: فعاذ محمد بن راشد بإسحاق واستكفه وصالحه، فرجع إليه.

أخبرني عمي قال حدثني علي بن محمد بن نصر الشامي قال حدثني منصور بن محمد بن واضح: أن إبراهيم بن المهدي طرح في مترل أبيه:

أمن آل ليلى عزفت الطلولا ... بذي حرض ماثلات مثولا

بلين وتحسب آياتهن عن فرط حولين رقاً محيلا

- الشعر لكعب بن زهير. والغناء لإسحاق، وله فيه لحنان: ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر، وما خوري بالوسطى. وفيه للزبير بن دحمان خفيف ثقيل - قال: فجاءنا إسحاق يوماً، وأقام عند أبي، وأخرجنا إليه جوارينا، ومر الصوت الذي طرحه إبراهيم بن المهدي من غنائه؛ فقال إسحاق: من أين لك هذا؟ قال: طرحه أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي أعزه الله تعالى، فقال إسحاق: وما لأبي إسحاق أعزه الله ولهذا الصوت! هذا أنا صنعته، وليس هو كما طرحه. قال: فسأله أبي أن يغنيه، فغناه وردده حتى صح لمن عنده؛ فقال لي أبي: اكتب إلى أبي إسحاق أن أبا محمد أعزه الله صار إلي فاحتبسته، وأنه غنى بحضرتي الصوت الذي ألقيته في مترلك الذي أسكنه، فزعم أنه صنعه، وأنه ليس على ما أخذه الجواري عنك، فأحببت أن أعلم ما عندك، جعلني الله فداك. قال: فكتبت الرقعة وأنفذها إلى إبراهيم. فكتب: نعم، جعلت فداك، صدق أبو محمد أعزه الله، الصوت له، وهو على ما ذكره، لكني لعبت في وسطه لعباً أعجبني. قال: فقرأ إسحاق الرقعة فغضب غضباً شديداً، ثم قال لي: اكتب إليه: "إذا أردت يا هذا أن تلعب فالعب في غناء نفسك لا في غناء الناس، وما حاجتك إلى هذا الشعر أكثر من ذلك، فاصنع أنت إن كنت تحسن، والعب في صنعتك كما تشتهي مبتدئاً باللهو واللعب غير مشارك

في جد الناس بلعبك ومفسد له بما لا تعلمه. يا أبا إسحاق، أيدك الله، ليس هذا الصوت مما يتهيأ لك أن تمخرق فيه وتقول: جندرته ". قال: وكان إبراهيم يقول: إنه يجندر صنعة القدماء ويحسنها.

قال علي بن محمد حدثني جدي حمدون: أن إسحاق قال لإبراهيم بن المهدي بحضرة المعتصم: ما تقول فيمن يزعم أن ابن سريج وابن محرز ومعبداً ومالكاً وابن عائشة لم يكونوا يحسنون تمام الصنعة ولا استيفاء الغناء، ويعجزون عما به يكمل ويتم ويحسن، وأنه أقدر على الصنعة منهم؟ قال: أقول: إنه جاهل أحمق، قال: فأنت تزعم أنه قد كانت بقيت عليهم أشياء لم يهتدوا لها و لم يحسنوها، فتنبهت عليها أنت وتممتها وحسنتها بجندرتك؛ قال: فضحك المعتصم وبقي إبراهيم واجماً مطرقاً، و لم ينتفع بنفسه بقية يومه؛ وما سمعته أنا ولا غيري بعد ذلك اليوم يتبجح بغناء يصلحه من غناء المتقدمين، حتى يطنب في صنعته ويشتهى استماعه منه، كما كان يدعي قديماً. قال: وكان حمدون يقول: كان إبراهيم يأكل المغنين أكلاً، حتى يحضر إسحاق، فيداريه إبراهيم ويطلب مكافأته، ولا يدع إسحاق تبكيته ومعارضته؛ وكان إسحاق آفته، كما أن لكل شيء آفة.

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: خرجت يوماً من داري وأنا مخمور أتنسم الهواء، فمررت برجل ينشد رجلا معه لذي الرمة:

ألم تعلمي يا مي أني وبيننا ... مهاو لطرف العين فيهن مطرح

ذكرتك أن مرت بنا أم شادن ... أمام المطايا تشرئب وتسنح

من المؤلفات الرمل أدماء حرة ... شعاع الضحى في متنها يتوضح

هي الشبه أعطافاً وجيداً ومقلة ... ومية منها بعد أبهى وأملح

كأن البرى والعاج عيجت متونه ... على عشر نهى به السيل أبطح

لئن كانت الدنيا علي كما أرى ... تباريح من مي فللموت أروح

فأعجبني، فصنعت فيه لحناً غنيت به المأمون، فأخذت به منه مائة ألف درهم. لحن إسحاق في هذه الأبيات أول مطلق في مجرى البنصر.

حدثني يحيى بن محمد الطاهري قال حدثني ينشو مولى أبي أحمد بن الرشيد قال:

اشتراني مولاي أبو أحمد بن الرشيد، واشترى رفيقي محموماً، فدفعنا إلى وكيل له أعجمي خراساني، وقال له: انحدر بهذين الغلامين إلى بغداد إلى إسحاق الموصلي؛ ودفع إليه مائة ألف درهم، وشهرياً بسرجه ولجامه، وثلاثة أدراج من فضة مملوءة طيباً، وسبعة تخوت من بز خراساني، وعشرة أسفاط من بز مصر، وخمسة تخوت وشي كوفي، وخمسة تخوت سوسي، وثلاثين ألف درهم للنفقة؛ وقال للرسول: عرف إسحاق أن هذين الغلامين لرجل من وجوه أهل خراسان، وجه بهما إليه ليتفضل ويعلمهما أصواتاً اختارها، وكتبها له في درج، وقال له: كلما علمهما صوتاً ادفع إليه ألف درهم، حتى يتعلما بها مائة صوت، فإذا علمهما الصوتين اللذين بعد المائة

فادفع إليه الشهري، ثم إذا علمهما الثلاثة التي بعد الصوتين، فادفع إليه بكل صوت درجاً من الأدراج، ثم لكل صوت بعد ذلك تختاً أو سفطاً، حتى ينفد ما بعثت به معك؛ ففعل، وانحدرنا إلى بغداد، فأتينا إسحاق، وغنينا بحضرته، وبلغه الوكيل الرسالة؛ فلم يزل يلقى علينا الأصوات حتى أخذناها كل أمرنا سيدنا. ثم سرنا إلى سر من رأى، فدخلنا إليه وغنيناه جميع ما أخذناه فسره ذلك. وقدم إسحاق سر من رأى، ولقيه مولانا، فدعا بنا وأوصانا بما أراد، وغدا بنا إلى الواثق وقال: إنكما ستريان إسحاق بين يديه، فلا تسلما عليه ولا توهماه أنكما رأيتماه قط، وألبسنا أقبية خراسانية ومضينا معه؛ فلما دخلنا على الواثق قال له: يا سيدي، هذان غلامان اشتريا لي من خراسان يغنيان بالفارسية؛ فقال: غنياً، فضربنا ضرباً فارسياً وغنينا غناء فهليذياً؛ فطرب الواثق وقال: أحسنتما، فهل تغنيان بالعربية؟ قلنا: نعم، واندفعنا نغني ما أخذناه عن إسحاق وهو ينظر إلينا ونحن نتغافل عنه، حتى غنينا أصواتاً من غنائه؛ فقام إسحاق ثم قال للواثق: وحياتك يا سيدي وبيعتك، وإلا كل ملك لي صدقة وكل مملوك لي حر إن لم يكن هذان الغلامان من تعليمي ومن قصتهما كيت وكيت، فقال له أبو أحمد: ما أدري ما تقول! هذان اشتريتهما من رجل، نخاس خراساني؛ فقال له: بلغ ولعك إلي! ونخاس خراساني من أين يحسن أن يختار مثل تلك الأغاني!؛ فضحك أبو أحمد ثم قال: صدق، أنا احتلت عليه، ولو رمت أن يعلمهما ما أخذاه منه إذا علم أنهما لي بعشرة أضعاف ما أعطيته لما فعل؛ فقال له إسحاق: قد تمت علي حيلته. وقال أبو أحمد للواثق: إن أردتهما فخذهما؛ فقال: لا أفجعك بهما يا عم، ولكن لا تمنعني حضورهما؛ فقال له: قد بذلت لك الملك فلم تؤثره، أفتراني أمنعك الخدمة! فكنا نخدمه بنوبة.

حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله بن حمدون قال حدثني ابن فيلا الطنبوري وكان قد دخل على الواثق وغناه، قال: قال الواثق في بعض العشايا: لا يبرح أحد من المغنين الليلة، فقد عزمت على الصبوح في غد؛ فأمسكوا جميعاً عن معارضته إلا إسحاق فإنه قال له: لا وحياتك ما أبيت؛ قال: فلا والله ما كان له عند الواثق معارضة أكثر من أن قال له: فبحياتي إلا بكرت يا أبا محمد. قال: فرأيت مخارقاً وعلويه قد تقطعا غيظاً؛ وبتنا في بعض الحجر، فقالا لي: اجلس على باب الحجرة، فإذا جاء إسحاق فعرفنا حتى ندخل بدخوله؛ فلم نلبث أن جاء إسحاق مع أحمد بن أبي دواد يماشيه في زيه وسواده وطريلته مثل طويلته، فدخلت فأعلمتهما؛ فقامت على علويه القيامة وقال: يا هؤلاء، خيناكر يدخل إلى الخليفة مع قاضي القضاة! أسمعتم بأعجب من هذا البخت قط!؛ فقال له مخارق: دع هذا عنك، فقد والله بلغ ما أراد. ولم نلبث أن خرج ابن أبي دواد ودعي بنا فدخلنا، فإذا إسحاق جالس في صف الندماء لا يخرج منه، فإذا أمره الواثق أن يغني خرج عن صفهم قليلاً وأتي بعود فغنى الصوت الذي يأمره به؛ فإذا فرغ من القدح قطع الصوت الذي يأمره به حيث بلغ ولم يتمه، ورجع إلى صف الجلساء.

أخبرني محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي الملقب بوسواسة قال حدثني حماد قال: قال لي أبي: كنت عند الرشيد يوماً، وعنده ندماؤه وخاصته وفيهم إبراهيم بن المهدي، فقال لي الرشيد: يا إسحاق تغن:

فغنيته؛ فأقبل علي إبراهيم بن المهدي فقال لي: ما أصبت يا إسحاق ولا أحسنت؛ فقلت: ليس هذا مما تحسنه ولا تعرفه، إن شئت فغنه، فإن لم أجدك أنك تخطىء فيه منذ ابتدائك إلى انتهائك فدمي حلال. ثم أقبلت على الرشيد فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه صناعتي وصناعة أبي، وهي التي قربتنا منك واستخدمتنا لك وأوطأتنا بساطك، فإذا نازعناها أحد بلا علم لم نجد بداً من الإيضاح والذب؛ فقال: لا غرو ولا لوم عليك؛ فقام الرشيد ليبول؛ فأقبل إبراهيم بن المهدي علي وقال: ويلك يا إسحاق! أتجترىء علي وتقول ما قلت يابن الفاعلة! لا يكني؛ فداخلني ما لم أملك نفسي معه؛ فقلت له: أنت تشتمني، وأنا لا أقدر على إجابتك وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة، ولولا ذلك لكنت أقول لك: يابن الزانية؛ أو ترى أني كنت لا أحسن أن أقول لك: يابن الزانية؛ ولكن قولي في ذمك ينصرف جميعه إلى خالك الأعلم، ولو لاك لذكرت صناعته ومذهبه - قال إسحاق: وكان بيطاراً - قال: ثم سكت، وعلمت أن إبراهيم يشكوني وأن الرشيد سوف يسأل من حضر مما جرى فيخبرونه، فتلافيت ذلك، ثم قلت: أنت تظن أن الخلافة تصير إليك فلا تزال تهددني بذلك وتعاديني كما تعادي سائر أولياء أخيك حسداً له ولولده على الأمر! فأنت تضعف عنه وعنهم وتستخص بأوليائهم تشفياً؛ وأرجو ألا يخرجها الله عن يد الرشيد وولده، وأن يقتلك دونهما؛ فإن صارت إليك- وبالله العياذ - فحرام علي العيش يومئذ، والموت أطيب من الحياة معك، فاصنع حينئذ ما بدا لك. قال: فلما خرج الرشيد وثب إبراهيم فجلس بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين، شتمني وذكر أمي واستخف بي؛ فغضب وقال: ما تقول. ويلك! قلت: لا أعلم، فسل من حضر؛ فأقبل على مسرور وحسين؛ فسألهما عن القصة؛ فجعلا يخبرانه ووجهه يتربد إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة، فسري عنه ورجع لونه، وقال لإبراهيم: ماله ذنب، شتمته فعرفك أنه لا يقدر على جوابك، ارجع إلى موضعك وأمسك عن هذا. فلما انقضى المجلس وانصرف الناس، أمر بألا أبرح، وخرج كل من حضر حتى لم يبق غيري؛ فساء ظني وأهمتني نفسي؛ فأقبل علي وقال: ويلك يا إسحاق! أتراني لم أفهم قولك ومرادك! قد والله زنيته ثلاث مرات، أتراني لا أعرف وقائعك وأقدامك وأين ذهبت! ويلك! لا تعد؛ حدثني عنك، لو ضربك إبراهيم،! كنت أقتص لك منه فأضربه وهو أخي يا جاهل؟! أتراك لو أمر غلمانه فقتلوك أكنت أقتله بك؟! فقلت: يا أمير المؤمنين، قد والله قتلتني بهذا الكلام، ولئن بلغه ليقتلني، وما أشك في أنه قد بلغه الآن؛ فصاح بمسرور الخادم وقال: علي بإبراهيم الساعة فأحضر، وقال: قم فانصرف؟ وقلت لجماعة من الخدم، وكلهم كان لي محباً وإلي مائلاً ولي مطيعاً: أخبروني بما يجري، فأخبروني من غد أنه لما دخل وبخه وجهله وقال له: أتستخف بخادمي وصنيعتي ونديمي وابن نديمي وابن خادمي وصنيعتي وصنيعة أبي في مجلسي، وتقدم علي وتستخف بمجلسي وحضرتي؟ هاه هاه.! أتقدم على هذا وأمثاله! وأنت مالك وللغناء، وما يدريك ما هو! ومن أخذك به وطارحك إياه حتى تتوهم أنك تبلغ مبلغ إسحاق الذي غذي به وعلمه وهو صناعته! ثم تظن أنك تخطئه فيما لا تدريه،

ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك فلا تثبت لذلك وتعتصم بشتمه! أليس هذا مما يدل على السقوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يشبهك وغلبة لذتك على مروءتك وشرفك ثم إظهارك إياه و لم تحكمه، وادعائك ما لا تعلمه حتى ينسبك الناس إلى الجهل المفرط! ألا تعلم - ويلك - أن هذا سوء أدب وقلة معرفة وقلة مبالاة بالخطأ والتكذيب والرد القبيح!. ثم قال: والله العظيم وحق رسوله، وإلا فأنا نفي من المهدي، لئن أصابه أحد بسوء، أو سقط عليه حجر من السماء، أو سقط من على دابته، أو سقط عليه سقفه، أو مات فجأة، لأقتلنك به؛ والله! والله! والله! فلا تعرض له وأنت أعلم، قم الآن فاخرج؛ فخرج وقد كاد أن يموت. فلما كان بعد ذلك

دخلت إليه وإبراهيم عنده، فأعرضت عن إبراهيم؛ وجعل ينظر إليه مرة وإلي مرة ويضحك، ثم قال له: إني لأعلم محبتك في إسحاق وميلك إليه وإلى الأخذ عنه، وإن هذا لا يجيئك من جهته كما تريد إلا بعد أن يرضى، والرضا لا يكون بمكروه، ولكن أحسن إليه وأكرمه، اعرف حقه وبره وصله، فإذا فعلت ذلك ثم خالفك فيما تهواه عاقبته بيد منبسطة ولسان منطلق؛ ثم قال لي: قم إلى مولاك وابن مولاك فقبل رأسه؛ فقمت إليه وقام إلي وأصلح الرشيد بيننا.

أعاذل قد نهيت فما انتهيت ... وقد طال العتاب فما ارعويت

أعاذل ما كبرت وفي ملهى ... ولو أدركت غايتك انتهيت

شربت مدامة وسقيت أخرى ... وراح المنتشون وما انتشيت

أبيت معذباً قلقاً كئيباً ... لما ألقاه من ألم وفوت

الغناء لابن محرز ثقيل عن ابن المكي. وفيه رمل بالوسطى.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: أرسل إلي الرشيد ذات ليلة، فدخلت إليه فإذا هو جالس وبين يديه جارية عليها قميص مورد وسراويل موردة وقناع مورد كأنها ياقوتة على وردة؛ فلما رآني قال لي: اجلس، فجلست، فقال لي: غن، فغنيت:

تشكى الكميت الجري لما جهدته ... وبين لو يستطيع أن يتكلما

فقال: لمن هذا اللحن؟ فقلت: لي يا أمير المؤمنين، فقال: هات لحن ابن سريج، فغنيته إياه؛ فطرب وشرب رطلاً وسقي الجارية رطلاً وسقاني رطلاً؛ ثم قال: غن، فغنيته:

هاج شوقي بعد ما شيب أصداغي بروق

موهنا والبرق مما ... ذا الهوى قدماً يشوق

فقال: لمن هذا الصوت؟ فقلت: لي؛ فقال: قد كنت سمعت فيه لحناً آخر؛ فقلت: نعم، لحن ابن محرز؛ قال: هاته، فغنيته فطرب وشرب رطلاً، ثم سقى الجارية رطلاً وسقاني رطلاً؛ ثم قال: غن، فغنيته:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

فقال لي: ليس هذا اللحن أريد، غن رمل ابن سريج؛ فغنيته وشرب رطلاً وسقي الجارية رطلاً، ثم قال: حدثني، فجعلت أحدثه بأحاديث القيان والمغنين طوراً، وأحاديث العرب وأيامها وأخبارها تارة، وأنشده أشعار القدماء والمحدثين في خلال ذلك، إذ دخل الفضل بن الربيع، فحدثه حديث ثلاث جوار ملكهن ووصفهن بالحسن والإحسان والظرف والأدب؛ فقال له: يا عباسي، هل تسخو نفسك بهن؟ وهل لك من سلوة عنهن؟ فقاد له: والله يا أمير المؤمنين، إني لأسخو بهن وبنفسي، فبها فداك الله؛ ثم قام فوجه بهن إليه، فغلبن على قلبه، وهن سحر وضياء وخنث ذات الخال؛ وفيهن يقول:

إن سحراً وضياء وخنث هن سحر وضياء وخنث

أخذت سحر ولا ذنب لها ثلثي قلبي وترباها الثلث

حدثني الصولي قال حدثني ميمون بن هارون عن إسحاق قال: أتيت عبيد الله بن محمد بن عائشة بالبصرة، فلما دخلت إليه حصرت؛ فقال لي: إن الحصر رائد الحياء، والحياء عقيد الإيمان، فانبسط وأزل الوحشة، فلئن باعدت بيننا الأحساب، لقد قربت بيننا الآداب؛ فقلت له: والله لقد سررتني بخطابك، وزدتني ببرك عجزاً عن جوابك؛ والله در القطامي حيث يقول:

أما قريش فلن تلقاهم أبداً إلا وهم خير من يحفى وينتعل

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أبو هفان قال: وجه أحمد بن هشام إلى إسحاق الموصلي بزعفران رطب وكتب إليه:

اشرب على الزعفران الرطب متكئاً وانعم نعمت بطول اللهو والطرب

فحرمة الكأس بين الناس واجبة كحرمة الود والأرحام والأدب

قال: فكتب إليه إسحاق:

أذكر أبا جعفر حقاً أمت به أني وإياك مشغوفان بالأدب

وأننا قد رضعنا الكأس درتها والكأس حرمتها أولى من النسب

حدثنا الصولي قال حدثني محمد بن موسى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: لما أراد الفضل بن يحيى الخروج إلى خراسان ودعته، ثم أنشدته بعد التوديع:

فراقك مثل فراق الحياة وفقدك مثل فتقاد الديم

عليك السلام فكم من وفاء أفارق فيك وكم من كرم

قال: فضمني إليه، وأمر لي بألف دينار، وقال لي: يا أبا محمد، لو حليت هذين البيتين بصنعة وأودعتهما من يصلح من الخارجين معنا، لأهديت بذلك إلي أنساً وأذكرتني بنفسك؛ ففعلت ذلك وطرحته على بعض المغنين؛ فكان كتابه لا يزال يرد علي ومعه ألف دينار يصلني بذلك كلما غنى بهذا الصوت. قال الصولي: وهو من طريقة الرمل.

أخبرني عمي قال حدثني عمر بن شبة عن إسحاق قال: قال لي الأصمعي: لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقة قال لي: هل حملت معك شيئا من كتبك؟ فقلت: نعم، حملت منها ما خف حمله؛ فقال: كم؟ فقلت: ثمانية عشر صندوقاً؛ فقال: هذا لما خففت، فلو ثقلت كم كنت تحمل؟ فقلت: أضعافها؛ فجعل يعجب.

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال: لما ولي المعتصم دخلت إليه في جملة الجلساء والشعراء؛ فهنأه القوم نظماً ونثراً وهو ينظر إلي مستنطقاً؛ فأنشدته:

لاح بالمفرق منك القتير وذوى غصن الشباب النضير
هزئت أسماء مني وقالت أنت يابن الموصلي كبير
ورأت شيباً برأسي فصدت وابن ستين بشيب جدير
لا يروعنك شيبي فإني مع هذا الشيب حلو مزير
قد يفل السيف وهو جراز ويصول الليث وهو عقير
يا بني العباسى أنتم شفاء وضياء للقلوب ونور
أنتم أهل الخلافة فينا ولكم منبرها والسرير
لا يزال الملك فيكم مدى الده ر مقيماً ما أقام ثبير
وأبو إسحاق خير إمام ماله في العالمين نظير
ماله فيما يريش ويبري غير توفيق العالمين نظير
واضح الغرة للخير فيه حين يبدو شاهد وبشير
زانه هدي تقى وجلال وعفاف ووقار وخير
لو تباري جوده الريح يوماً نزعت وهي طليح حسير

قال: فأمر لي بجائزة فضلني بها على الجماعة. ثم دخلت إليه يوم مقدمه من غزاته، فأنشدته قولي فيه:

لأسماء رسم عفا باللوى أقام رهيناً لطول البلى
تعاوره الدهر في صرفه بكر الجديدين حتى عفا

إذ البين لم تخش روعاته ولم يصرف الحي صرف الردي
وإذ ميعة اللهو تجري بنا وحبل الوصال متين القوى
فذلك دهر مضى فابكه ومن ضاق ذرعاً بأمر بكى
وهل يشفينك من غلة بكاؤك في إثر ما قد مضى
إلى ابن الرشيد إمام الهدى بعثنا المطي تجوب الفلا
إلى ملك حل من هاشم ذؤابة مجد منيف الذرى
إذا قيل أي فتى هاشم وسيدها كان ذاك الفتى
به نعش الله آمالنا كما نعش الأرض صوب الحيا
إذا ما نوى فعل أكرومة تجاوز من جوده ما نوى
كساه الإله رداء الجمال ونور الجلال وهدى التقى

قال: فأمر لي بجائزة، وقال: لست أحسب هذا لك إلا بعد أن تقرن صناعتك فيه بالأخرى يعني أن أغني فيه وفي: "هزئت أسماء مني"؛ فصنعت في:

هزئت أسماء مني ......

لحناً، وفي:

لأسماء رسم عفا باللوى

لحناً آخر وغنيته بهما، فأمر لي بألفي دينار.

هزئت أسماء مني وقالت أنت يا بن الموصلي كبير

لحن إسحاق في أربعة أبيات متوالية من الشعر ثقيل أول بالوسطى. والآخر:

لأسماء رسم عفا باللوى أقام رهيناً لطول البلى

الغناء لإسحاق ثاني ثقيل بالوسطى.

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي قال حدثني أحمد بن عبيد الله بن أبي العلاء قال: غنيت يوماً بين يدي الواثق لحن إسحاق في:

هزئت أسماء مني وقالت أنت يا بن الموصلي كبير

قال: فنظر إلي مخارق نظراً شزراً وعض شفته علي؛ فلما خرجنا من بين يدي الواثق قلت: يا أستاذ، لم نظرت

إلي ذلك النظر؟ أ أنكرت علي شيئاً أم أخطأت في غنائي؟ فقال لي: ويحك! أتدري أي صوت غنيت! إن إسحاق جعل صيحة هذا الصوت بمترلة طريق ضيق وعر صعب المرتقى، أحد جانبي ذلك الطريق حرف الجبل، وعن جانبه الآخر الوادي؛ فإن مال مرتقيه عن محجته إلى جانب الوادي هوى، وإن مال إلى الجانب الآخر نطحه حرف الجبل فتكسر؛ صر إلي غداً حتى أصححه لك.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثت من غير وجه: أن إسحاق بات ليلة عند المعتصم وهو أمير، فسمع لحناً لعبد الوهاب المؤذن أذن به على باب المعتصم، فأصغى إليه فأعجبه، فأعاد المبيت ليلة أخرى عنده حتى استقام له اللحن؛ فبنى عليه لحنه:

هزئت أسماء منى وقالت

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي: أن إبراهيم بن المهدي فصد يوماً، فكتب إليه إسحاق يتعرف خبره ويدعو له بالسلامة وحسن العقبى، وكتب إليه: إني سأهدي إليك هدية للفصد حسنة؛ فوجه إليه بديحاً غلامه، فغناه لحنه في:

هزئت أسماء منى وقالت

فاستحسنه إبراهيم وقال له: قد قبلنا الهدية، فإن كان أن لك في طرحه على الجواري فافعل؛ فقال له: بذلك أمرني، وقال لي: إنك ستقول لي هذا القول، فقال: إن قاله لك فقل له: لو لم آمرك بطرحه لم يكن هدية؛ فضحك إبراهيم، وألقاه بديح على جواريه. وقد ذكر علي بن محمد بن نصر هذا الخبر، فذكر أنه كتب إلى أبيه بهذه الهدية؛ وهذا خطأ، لأن الشعر في تهنئة المعتصم بالخلافة، وإبراهيم الموصلي مات في حياة الرشيد، فكيف يهدى إليه هذا الصوت!.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبي قال حدثني أحمد بن أبي العلاء قال: اندفع محمد بن الحارث بن بسخنر يوماً يغني هذا الصوت؛ فالتفت إلينا مخارق فقال: خرج ابن الزانية!.

حدثني عمي قال حدثني أبو جعفر محمد بن الدهقانة النديم قال حدثني أحمد بن يحيى المكي قال: دعاني الفضل بن الربيع ودعا علويه ومخارقاً، وذلك في أيام المأمون بعد رجوعه ورضاه عنه إلا أن حاله كانت ناقصة متضعضعة؛ فلما اجتمعنا عنده كتب إلى إسحاق الموصلي يسأله أن يصير إليه ويعلمه الحال في اجتماعنا عنده؛ فكتب إليهم: لا تنتظروني بالأكل فقد أكلت، وأنا أصير إليكم بعد ساعة؛ فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قرب العصر، ثم وافى إسحاق فجلس، وجاء غلامه بقطرميز نبيذ فوضعه ناحية، وأمر صاحب الشراب بإسقائه منه، وكان علويه يغني الفضل بن الربيع في لحن لسياط اقترحه الفضل عليه وأعجبه، وهو:

فإن تعجبي أو تبصري الدهر طمني ... بأحداثه طم المقصص بالجلم

فقد أترك الأصياف تندى رحالهم ... وأكرمهم بالمحض والتامك السنم

ولحنه من الثقيل الثاني - فقال له إسحاق: أخطأت يا أبا الحسن في أداء هذا الصوت، وأنا أصلحه لك؛ فجن علويه واغتاظ وقامت قيامته؛ ثم أقبل على علويه فقال له: يا حبيبي، ما أردت الوضع منك بما قلته لك، وإنما أردت تهذيبك وتقويمك، لأنك منسوب الصواب والخطأ إلى أبي وإلي، فإن كرهت ذلك تركتك وقلت لك: أحسنت وأجملت؛ فقال له علويه: والله ما هذا أردت، ولا أردت إلا ما لا تتركه أبداً من سوء عشرتك! أخبرني عنك حين تجيء هذا الوقت لما دعاك الأمير وعرفك أنه قد نشط للاصطباح: ما حملك على الترفع عن مباكرته وخدمته مع صنائعه عندك، وما كان ينبغي أن يشغلك عنه شيء إلا الخليفة! ثم تجيئه ومعك قطرميز نبيل! ترفعاً عن شرابه كما ترفعت عن طعامه ومجالسته إلا كما تشتهي وحين تنشط، كما تفعل الأكفاء، بل تزيد على فعل الأكفاء؛ ثم تعمد إلى صوت قد اشتهاه واقترحه وسمعه جميع من حضر فما عابه منهم أحد فتعيبه ليتم تنغيصك إياه لذته!؛ أما والله لو الفضل بن يحيى أو أخوه جعفر دعاك إلى مثل ما دعاك إليه الأمير، بل بعض أتباعهم، لبادرن وباكرت وما تأخرت ولا اعتذرت؛ قال: فأمسك الفضل عن الجواب إعجاباً بما خاطب به علويه إسحاق؛ فقال له إسحاق: أما ما ذكرته من تأخري عنه إلى الوقت الذي حضرت فيه، فهو يعلم أني لا أتأخر عنه إلا بعائق قاطع، إن وثق بذلك مني وإلا ذكرت له الحجة سراً من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مدخل. وأما ترفعي عنه، فكيف أترفع عنه وأنا أنتسب إلى صنائعه وأستمنحه وأعيش من فضله مذ كنت، وهذا تضريب لا أبالي به منك. وأما حملي النبيذ معي، فإن لي في النبيذ شرطاً من طعمه وريحه، وإن لم أجده لم أقدر على الشرب وتنغص علي يومئذ، وإنما حملته ليتم نشاطي وينتفع بي. وأما طعني على ما اختاره، فإني لم أطعن على اختياره، وإنما أردت تقويمك، ولست والله تراني متتبعاً لك بعد هذا اليوم ولا مقوماً شيئاً من خطئك؛ وأنا أغني له - أعزه الله - هذا الصوت فيعلم وتعلم ويعلم من حضر أنك أخطأت فيه وقصرت. وأما البرامكة وملازمتي لهم فاشهر من أن أجحده، وإني لحقيق فيه بالمعذرة، وأحرى أن أشكرهم على صنيعهم وبأن أذيعه وأنشره، وذلك والله أقل ما يستحقونه مني.

ثم أقبل على الفضل- وقد غاظه مدحه لهم - فقال: اسمع مني شيئا أخبرك به مما فعلوه ليس هو بكبير في صنائعهم عندي ولا عند أبي قبلي، فإن وجدت لي عذراً وإلا فلم: كنت في ابتداء أمري نازلاً مع أبي في داره، فكان لا يزال يجري بين غلماني وغلمانه وجواري وجواريه الخصومة، كما تجري بين هذه الطبقات، فيشكونهم إليه، فأتبين الضجر والتنكر في وجهه؛ فاستأجرت داراً بقربه و انتقلت إليها أنا وغلماني وجواري، وكانت داراً واسعة، فلم أرض ما معي من الآلة لها ولا لمن يدخل إلي من إخواني أن يروا مثله عندي؛ ففكرت في ذلك وكيف أصنع، وزاد فكري حتى خطر بقلبي قبح الأحدوثة من نزول مثلي في دار بأجرة، وأني لا آمن في وقت أن يستأذن علي صاحب داري، وعندي من أحتشمه ولا يعلم حالي، فيقال صاحب دارك، أو يوجه في وقت فيطلب أجرة الدار وعندي من أحتشمه؛ فضاق بذلك صدري ضيقاً شديداً حتى جاوز الحد؛ فأمرت غلامي بأن

يسرج لي حماراً كان عندي لأمضي إلى الصحراء أتفرج فيها مما دخل على قلبي، فأسرجه وركبت برداء ونعل؛ فأفضى بي المسير وأنا مفكر لا

أميز الطريق التي أسلك فيها حتى هجم بي على باب يحيى بن خالد؛ فتواثب غلمانه إلي؛ وقالوا: أين هذا الطريق؟ فقلت: إلى الوزير؛ فدخلوا فاستأذنوا لي؛ وخرج الحاجب فأمرني بالدخول، وبقيت خجلاً، قد وقعت في أمرين فاضحين: إن دخلت إليه برداء ونعل وأعلمته أني قصدته في تلك الحال كان سوء أدب، وإن قلت له: كنت مجتازاً و لم أقصدك فجعلتك طريقاً كان قبيحاً؛ ثم عزمت فدخلت؛ فلما رآني تبسم وقال: ما هذا الزي يا أبا محمد! احتبسنا لك بالبر والقصد والتفقد ثم علمنا أنك جعلتنا طريقاً؛ فقلت: لا والله يا سيدي، ولكني أصدقك؛ قال: هات؛ فأخبرته القصة من أولها إلى آخرها؛ فقال: هذا حق مستو، أفهذا شغل قلبك؟ قلت: إي والله! وزاد فقال: لا تشغل قلبك بهذا، يا غلام، ردوا حماره وهاتوا له خلعة؛ فجاءوني بخلعة تامة من ثيابه فلبستها، ودعا بالطعام فأكلت ووضع النبيذ فشربت وشرب فغنيته، ودعا في وسط ذلك بدواة ورقعة وكتب أربع رقاع ظننت بعضها توقيعاً لي بجائزة، فإذا هو قد دعا بعض وكلائه فدفع إليه الرقاع وساره بشيء، فزاد طمعي في الجائزة؛ ومضى الرجل وجلسنا نشرب وأنا أنتظر شيئاً فلا أراه إلى العتمة؛ ثم اتكأ يحيى فنام، فقمت وأنا منكسر خائب فخرجت وقدم لي حماري؛ فلما تجاوزت الدار قال لي غلامي: إلى أين تمضي؟ قلت: إلى البيت؛ قال: قد والله بيعت دارك، وأشهد على صاحبها، وابتيع الدرب كله ووزن ثمنه، والمشتري جالس على بابك ينتظرك ليعرفك، وأظنه اشترى ذلك للسلطان، لأني رأيت الأمر في استعجاله واستحثاثه أمراً سلطانياً، فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حسابي، وجئت وأنا لا أدري ما أعمل؛ فلما نزلت على باب داري إذا أنا بالوكيل الذي ساره يحيى قد قام إلي فقال لي: ادخل - أيدك الله - دارك حتى أدخل إلى مخاطبتك في أمر أحتاج إليك فيه؛ فطابت نفسي بذلك، ودخلت ودخل إلي فأقرأني توقيع يحيى: "يطلق لأبي محمد إسحاق مائة ألف درهم يبتاع له بها داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها". والتوقيع الثاني إلى ابنه الفضل: "قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يبتاع له بها داره، فأطلق إليه مثلها لينفقها على إصلاح الدار كما يريد وبنائها على ما يشتهي". والتوقيع الثالث إلى جعفر: "قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يبتاع له بها مترل يسكنه، وأمر له أخوك بدفع مائة ألف درهم ينفقها على بنائها ومرمتها على ما يريد، فأطلق له أنت مائة ألف درهم يبتاع بها فرشاً لمترله ". والتوقيع الرابع إلى محمد: "قد أمرت لأبي محمد إسحاق أنا وأخواك بثلثمائة ألف درهم لمترل يبتاعه ونفقة ينفقها عليه وفرش يبتذله، فمر له أنت بمائة ألف درهم يصرفها في سائر نفقته". وقال الوكيل: قد حملت المال واشتريت كل شيء جاورك بسبعين ألف درهم، وهذه كتب الابتياعات باسمي والإقرار لك، وهذا المال بورك لك فيه فاقبضه؛ فقبضته وأصبحت أحسن حالاً من أبي في مترلي وفرشي وآلتي، ولا والله ما هذا بأكبر شيء فعلوه لي، أفألام على شكر هؤلاء! فبكى الفضل بن الربيع وكل من حضر، وقالوا: لا والله لا تلام على شكر هؤلاء. ثم فال الفضل: بحياتي غن الصوت ولا تبخل على أبي الحسن بأن تقومه له؛ فقال: أفعل؛ وغناه، فتبين علويه أنه كما قال، فقام

فقبل رأسه وقال: أنت أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا واحتمالنا من كل أحد؛ ورده إسحاق مرات حتى استوى لعلويه.

ولقد روي في هذا الخبر بعينه أن هذه القصة كانت عند علي بن هشام، وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ميمون بن هارون وأبو عبد الله الهاشمي قالا: دعا علي بن هشام إسحاق الموصلي وسأله أن يصطبح عنده ويبكر فأجابه؛ فلما كان الغد وافاه ظهراً وعنده مخارق وعلويه؛ فقال له علي بن هشام: أين كنت الساعة يا أبا محمد؟ قال: عاقني أمر لم أجد من القيام به بداً؛ فدعا له بطعام فأصاب منه، ثم قعدوا على نبيذهم، وتغنى علويه صوتاً، الشعر فيه لابن ياسين، وهو:

إلهي منحت الود مني بخيلة ... وأنت على تغيير ذاك قدير

شفاء الهوى بث الهوى واشتكاؤه ... وإن امرأ أخفى الهوى لصبور

الغناء لسليمان أخي أحيحة، خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو - فقال له إسحاق: أخطأت ويلك! فوضع علويه العود وشرب رطلاً وشرب علي بن هشام؛ ثم تناول العود وغنى:

ولقد أسمو إلى غرف ... في طريق موحش جدده

حوله الأحراس تحرسه ... ولديه جاثماً أسده

الغناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى عن عمرو - فقال له إسحاق: أخطأت ويلك! فوضع العود من يده ثم أقبل على إسحاق فقال له: دعاك الأمير- أعزه الله - لتبكر إليه، فجئته ظهراً، وغنيت صوتين يشتهيهما الأمير- أعزه الله - علي فخطأتني فيهما، وزعمت أنك لا تغني بين يدي الأمير- أعزه الله - ولا تغني إلا بين يدي خليفة أو ولي عهد، ولو دعاك بعض البرامكة لكنت تسرع إليه ثم تغنى منذ غدوة إلى الليل!؛ فقال إسحاق: إني والله ما أردت انتقاصاً منك، ولا أقول مثله لغيرك ولا أريد ازدراء من أحد، ولكني أردت بك خاصة التقويم والتأديب؛ فإن ساءك ذلك تركتك في خطئك. ثم أقبل على علي بن هشام، فقال له: أعزك الله، إني أحدثك عن البرامكة بما يقيم عذري فيما ذكره: دخلت على يحيى بن خالد يوماً، و لم أكن أردت الدخول عليه، وإنما ركبت متبذلاً لهم أهمني، وكنت نازلاً مع أبي في داره، فضقت صدراً بذلك وأحببت النقلة عنه، ونظرت فإذا يدي تقصر عما يصلحني؛ ثم ذكر الخبر نحواً مما قلته. وزاد فيه: أنه دخل إلى يحيى بن خالد وهو مصطبح، فلما رآه نعر وصفق، وأنه وقع له بمائتي ألف درهم، ووقع له كل من جعفر والفضل بمائة وخمسين ألفاً، وكل واحد من موسى ومحمد بمائة ألف مائة ألف. وقال فيه: فبكى علي بن هشام ومن حضر، وقالوا: لا يرى والله مثل هؤلاء أبداً؛ وأخذ إسحاق العود فغنى الصوتين فأتى فيهما بالعجائب؛ فقام علويه فقبل رأسه وقال له: أنت أستاذنا وابن أستاذنا، وما بنا عن تقويمك غنى؛ ثم غنى بعد ذلك لحنه: "تشكى الكميت الجري"، و لم يزل يغني بقية يومه كلما شرب علي بن هشام؛ ثم انصرف فأتبعه علي بن هشام بجائزة سنية.

حدثني الصولي قال حدثنا عون بن محمد قال حدثني عبد الله بن العباس الربيعي قال: أحضرني إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فلما جلست واطمأننت، أخرج إلي خادمه رقعة، فقال: اقرأ ما فيها واعمل بما رسمه الأمير أعزه الله؛ فقرأها فإذا فيها قوله:

يرتاح للدجن قلبي وهو مقتسم — بين الهموم ارتياح الأرض للمطر

إني جعلت لهذا الدجن نحلته — ألا يزول ولي في اللهو من وطر

وتحت هذين البيتين: "تقدم- جعلت فداك - إلى من بحضرتك من المغنين بأن يغنوا في هذين البيتين، وألق جميع ما يصنعونه على فلانة؛ فإذا أخذته فأنفذها إلي مع رسولي"؛ فقلت: السمع والطاعة لأمر الأمير أعزه الله، فهل صنع فيهما أحد قبلي؟ فقال: نعم، إسحاق الموصلي؛ فقلت: والله لو كلف إبليس أن يصنع فيهما صنعة يفضل إسحاق فيها بل يساويه بل يقاربه، ما قدر على ذلك ولا بلغ مبلغه، فضحك حتى استلقى، وقال: صدقت والله! وهكذا يقول من يعمل لا كما يقول هؤلاء الحمقى، ولكن اصنع فيهما على كل حال كما أمر؛ فقلت: أفعل وقد برئت من العهدة؛ فانصرفت فصنعت فيهما صنعة كانت والله عند صنعة إسحاق بمنزلة غناء القرادين.

حدثني جحظة فال حدثني ميمون قال حدثني إسحاق الموصلي قال: قال لي المعتصم أو قال لي الواثق: لقد ضحك الشيب في عارضيك؛ فقلت: نعم يا سيدي، وبكيت؛ ثم قلت أبياتاً في الوقت وغنيت فيها:

تولى شبابك إلا قليلا — وحل المشيسب فصبراً جميلا

كفى حزناً بفراق الصبا — وإن أصبح الشيب منه بديلا

ولما رأى الغانيات المشي — ب أغضين دونك طرفاً كليلا

سأندب عهداً مضى للصبا — وأبكي الشباب بكاء طويلا

فبكى الواثق وحزن وقال: والله لو قدرت على رد شبابك لفعلت بشطر ملكي؛ فلم يكن لكلامه عندي جواب إلا تقبيل البساط بين يديه.

أخبرني محمد بن مزيد فال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني حمدون بن إسماعيل قال: لما صنع أبوك لحنه في:

قف بالديار التي عفا القدم — وغيرتها الأرواح والديم

رأيتهم "يعني المغنين" يأخذونه عنه ويجهدون فيه؛ فتوفي والله وما أخذوا منه إلا رسمه.

قف بالديار التي عفا القدم — وغيرتها الأرواح والديم

لما وففنا بها نسائلها — فاضت من القوم أعين سجم

ذكراً لعيش مضى إذا ذكروا — ما فات منه فإنه سقم

وكل عيش دامت غضارته　　منقطع مرة ومنصرم

الشعر والغناء لإسحاق، ثقيل أول بالوسطى من جميع أغانيه.

حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني هارون اليتيم قال حدثني عجيف بن عنبسة قال: كنت عند أمير المؤمنين المعتصم وعنده إسحاق الموصلي، فغناه:

قل لمن صد عاتبا　　ونأى عنك جانبا

فأمره بإعادته، فأعاده ثلاثاً، وشرب عليه ثلاثاً، فقال له إبراهيم بن المهدي: قد استحسنت هذا الصوت يا أمير المؤمنين، أفنأخذه؟ قال: نعم، خذوه فقد أعجبني؛ فاجتمع جماعة المغنين: مخارق وعلويه وعمرو بن بانة وغيرهم، فأمره المعتصم أن يلقيه عليهم حتى يأخذوه؛ فقال عجيف: فعددت خمسين مرة قد أعاده فيها عليهم وهم يظنون أنهم قد أخذوه و لم يكونوا أخذوه. قال هارون: فنحن في هذا الحديث إذ دخل علينا محمد بن الحارث بن بسخنر، فقال له عجيف: يا أبا جعفر، كنت أحدث أبا موسى بحديثنا البارحة مع إسحاق في الصوت وأني عددت خمسين مرة؛ فقال محمد: إي والله! - أصلحك الله - ولقد عددت أنا أكثر من سبعين مرة وما في القوم أحد إلا وهو يظن أنه قد أخذه، والله ما أخذه أحد منهم وأنا أولهم ما قدرت - علم الله - على أخذه على الصحة وأنا أسرعهم أخذاً، فلا أدري: ألكثرة زوائده فيه أم لشدة صعوبته؛ ومن يقدر أن يأخذ من ذلك الشيطان شيئاً!. أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني عجيف بن عنبسة بهذا الخبر فذكر مثله سواء.

قال أبو أيوب وحدثني حماد عن أبيه قال: كنت يوماً عند المعتصم، فمر شعر على هذا الوزن فقال: وددت أنه على غير ما هو؛ فقلت له: أنا لك به على هذا الوزن في أحسن من هذا الشعر:

قل لمن صد عاتبا　　ونأى عنك جانبا

قد بلغت الذي أرد　　ت وإن كنت لاعبا

فأعجبه، وقال لي: قد والله أحسنت! وأمر لي بألفي دينار، ووالله ما كانت قيمتهما عندي دانقين الشعر والغناء في هذين البيتين لإسحاق، ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى.

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني ابن المكي عن إسحاق قال: غضب علي المخلوع فأقصاني وجفاني، فاشتد ذلك علي - قال: وجفاني وهو يومئذ بالأنبار - فحملت عليه بالفضل بن الربيع، فطلب إليه فشفعه المخلوع ودعاني وهو مصطبح، فلم أزل متوقفاً وقد لبست قباء وخفاً أحمر واعتصبت بعصابة صفراء وشددت وسطي بشقة حمراء من حرير، فلما أخذوا في الأهزاج دخلت وفي يدي صفاقتان وأنا أتغنى:

اسمع لصوت طريب　　من صنعة الأنباري

صوت مليح خفيف　　يطير في الأوتار

الشعر والغناء لإسحاق، هزج بالبنصر - فسر بذلك محمد، وكان صوتهم في يومهم ذلك، وأمر لي بثلثمائة ألف درهم. وأخبرني جحظة بهذا الخبر عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي قال حدثني أبي أن إسحاق حدثه بهذا الخبر، وذكر مثل ما ذكره يحيى؛ وزاد فيه قال: وكان سبب تسمية محمد لي ب "الأنباري" أني دخلت عليه يوماً وقد لثت عمامتي على رأسي لوثاً غير مستحسن، فقال لي: يا إسحاق، كأن عمامتك من عمائم أهل الأنبار.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل عن إسحاق، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني عمي الفضل عن إسحاق، وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبي: قال إسحاق: قلت في ليلة من الليالي:

هل إلى نظرة إليك سبيل | يرو الصدى ويشفى الغليل
إن ما قل منك يكثر عندي | وكثير ممن تحب القليل

قال: فلما أصبحت أنشدتهما الأصمعي، فقال: هذا الديباج الخسرواني، هذا الوشي الإسكندراني، لمن هذا؟ فقلت له: إنه ابن ليلته؛ فتبينت الحسد في وجهه، وقال: أفسدته! أفسدته! أما إن التوليد فيه لبين. في هذين البيتين لإسحاق خفيف ثقيل بالبنصر.

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى قال حدثني إسحاق بهذا الخبر، فذكر مثل ما ذكره من قدمت الرواية عنه، وزاد فيه: فقال لي علي بن يحيى بعقب هذا الخبر: كان إسحاق يعجب بهذا المعنى ويكرره في شعره، ويرى أنه ما سبق إليه ة فمن ذلك قوله:

أيها الظبي الغرير | هل لنا منك مجير
إن ما نولتني من | ك وإن قل كثير

لحن إسحاق خفيف ثقيل بالوسطى - فقلت: إنك فد سبقت إلى هذا المعنى، فقال: ما علمت أن أحداً سبقني إليه؛ فأنشدته لأعرابي من بني عقيل:

قفي ودعينا يا مليح بنظرة | فقد حان منا يا مليح رحيل
أليس قليلاً نظرة إن نظرتها | إليك وكلاً ليس منك قليل
عقيلية أما ملاث إزارها | فوعث وأما خصرها فضئيل
أيا جنة الدنيا ويا غاية المنى | ويا سؤل نفسي هل إليك سبيل
أراجعة نفسي إلي فأغتدي | مع الركب لم يقتل عليك قتيل
فما كل يوم لي بأرضك حاجة | ولا كل يوم لي إليك رسول

قال: فحلف أنه ما سمع بذلك قط. قال علي بن يحيى: وصدق، ما سمع بها. الغناء في الأبيات الأخيرة من أبيات العقيلي.

حدثني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناري بمكة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي. قال: عاتبني إبراهيم بن المهدي في ترك المجيء إليه، فقال لي: من جمع لك مع المودة الصادقة رأياً حازماً، فاجمع له مع المحبة الخالصة طاعة لازمة؛ فقلت له: جعلني الله فداك، إذا ثبتت الأصول في القلوب، نطقت الألسن بالفروع، والله يعلم أن قلبي لك شاكر، ولساني بالثناء عليك ناثر؛ وما يظهر الود المستقيم، إلا من القلب السليم؛ قال: فأبرىء ساحتك عندي بكثرة مجيئك إلي؛ فقلت: أجعل مجيئي إليك في الليل والنهار نوباً أتيقظ لها كتيقظي للصلوات الخمس، وأكون بعد ذلك مقصراً؛ فضحك وقال: من يقدر على جواب المغنين!؛ فقلت: من اتخذ الغناء لنفسه و لم يتخذه لغيره؛ فضحك أيضاً، وأمر لي بخلع ودنانير وبرذون وخادم. وبلغ الخبر المعتصم، فضاعف لإبراهيم ما أعطاني، فرحت وقد ربحت وأربحت.

حدثنا الحرمي قال حدثنا الديناري قال حدثني إسحاق قال: عتب علي الفضل بن الربيع في شيء بلغه عني؛ فكتبت إليه: "إن لكل ذنب عفواً وعقوبة؛ فذنوب الخاصة عندك مستورة مغفورة، فأما مثلي من العامة فذنبه لا يغفر، وكسره لا يجبر؛ فإن كنت لا بد معاقبي فإعراض لا يؤدي إلى مقت ".

حدثني الحرمي قال حدثنا الديناري قال حدثني إسحاق قال: كان يختلف إلي رجل من الأعراب، وكان الفضل بن الربيع يقر به ويستظرف كلامه، وكان عندي يوماً وجاء رسول الفضل يطلبه فمضى إليه؛ فقال له الفضل: فيم كنتم؟ قال: كنا في قدر تفور، وكأس تدور، وغناء يصور، وحديث لا يحور.

حدثنا الحرمي قال حدثنا الحسين بن طالب قال: كان إسحاق يقول الشعر على ألسن الأعراب، وينشده للأعراب، وكان يعايي بذلك أصحابه ويغرب عليهم به؛ فمن ذلك ما أنشدنيه لأعرابي:

لفظ الخدور عليك حوراً عينا ... أنسين ما جمع الكناس قطينا
فإذا بسمن فعن كمثل غمامة ... أو أقحوان الرمل بات معينا
وأصح من رأت العيون محاجراً ... ولهن أمرض ما رأيت عيونا
وكأنما تلك الوجوه أهلة ... أقمرن بين العشر والعشرينا
وكأنهن إذا نهضن لحاجة ... ينهضن بالعقدات من يبرينا

قال: وأنشدني أيضا مما كان ينسبه إلى الأعراب وهو له:

ومكحولة العينين من غير ما كحل ... مهفهفة الكشحين ذات شوى خدل
منغمة الأطراف مفعمة البرى ... روادفها تحكي الدهاس من الرمل
صيود لألباب الرجال، متى رنت ... إلى ذي نهى جلد القوى وافر العقل

تخلى النهى عنه وحالفه الصبا وأسلمه الرأي الأصيل إلى الجهل

شبيبة كثبان يروقك تحتها عنا قيد كرم جادها غدق الوبل

رمتني فحلت نائطي ولم تصب لها نائطي قلب ولا مقتلاً نبلي

حدثني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال حدثت عن الأصمعي قال: دخلت أنا وإسحاق الموصلي يوماً على الرشيد فرأيناه لقس النفس؛ فأنشده إسحاق يقول:

وآمرة بالبخل قلت لها آقصري فذلك شيء ما إليه سبيل

أرى الناس خلان الكرام ولا أرى بخيلاً له حتى الممات خليل

وإني رأيت البخل يزري بأهله فأكرمت نفسي أن يقال بخيل

ومن خير حالات الفتى لو علمته إذا نال خيراً أن يكون ينيل

فعالى فعال المكثرين تجملاً وما لي كما قد تعلمين قليل

وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ورأي أمير المؤمنين جميل

قال: فقال الرشيد: لا تخف إن شاء الله؛ ثم قال: لله در أبيات تأتينا بها؛ ما أشد أصولها، وأحسن فصولها، وأقل فضولها! وأمر له بخمسين ألف درهم؛ فقال له إسحاق: وصفك والله يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه، فعلام آخذ الجائزة! فضحك الرشيد وقال: اجعلوها لهذا القول مائة ألف درهم. قال الأصمعي: فعلمت يومئذ أن إسحاق أحذق بصيد الدراهم مني. وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة عن حماد عن أبيه، وأخبرنا به يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق فذكر معنى الخبر قريبا مما ذكره الأصمعي والألفاظ تختلف.

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق، وأخبرني به جعفر بن قدامة ووكيع عن حماد عن أبيه قال: كنت عند الفضل بن الربيع يوماً، فدخل إليه ابن ابنه عبد الله بن العباس بن الفضل وهو طفل، وكان يرق عليه لأن أباه مات في حياته، فأجلسه في حجره وضمه إليه ودمعت عيناه؛ فأنشأت أقول:

مد لك الله الحياة مداً حتى يكون ابنك هذا جداً

مؤزراً بمجده مردى ثم يفدى مثل ما تفدى

أشبه منك سنة وخداً وشيماً مرضتة ومجدا

كأنه أنت إذا تبدى شمائلاً محمودة وقدا

قال: فتبسم الفضل وقال: أمتعني الله بك يا أبا محمد، فقد عوضت من الحزن سروراً وتسليت بقولك، وكذلك يكون إن شاء الله. قال جعفر بن قدامة: وحدثني بهذا الحديث علي بن يحيى، فذكر أن إسحاق قال هذه الأبيات

للفضل بن يحيى وقد دخل عليه وفي حجره ابن له.

غنى في هذه الأبيات أبو عيسى بن المتوكل لحناً من الرمل، يقال: إنه صنعه وقد ولد للمعتمد ولد ثم غنى به.

وأخبرني ذكاء وجه الرزة عن بدعة الكبيرة: أن الرمل لعريب، وأن لحن أبي عيسى خفيف رمل.

حدثني عمي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق قال: أتيت الفضل بن الربيع يوماً عائداً وجاءه بنو هاشم يعودونه؛ فقلت في مجلسي ذلك:

إذا ما أبو العباس عيد ولم يعد ... رأيت معوداً أكرم الناس عائدا

وجاء بنو العباس يبتدرونه ... مراضاً لما يشكوه مثنى وواحدا

يفدونه عند السلام وكلهم ... مجل له يدعوه عماً ووالدا

قال: وكان الفضل مضطجعاً، فأمر خادماً له فأجلسه، ثم قال لي: أعد يا أبا محمد فأعدت، فأمرني فكتبتها، وسر بها وجعل يرددها حتى حفظها.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرني أبي قال قال إسحاق، وأخبرني الحسن بن على الخفاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال: جاءني الزبير بن دحمان يوماً مسلماً فاحتبسته؛ فقال لي: أمرني الفضل بن الربيع بالمسير إليه؛ فقلت له:

أقم يا أبا العوام ويحك نشرب ... ونله مع اللاهين يوماً ونطرب

إذا ما رأيت اليوم قد جاء خيره ... فخذه بشكر واترك الفضل يغضب

فأقام عندي وسررنا يومنا؛ ثم صار إلى الفضل؛ فسأله عن سبب تأخره عنه؛ فحدثه الحديث وأنشده البيتين؛ فغضب وحول وجهه عني، وأمر عوناً حاجبه بألا يدخلني إليه ولا يستأذن لي عليه ولا يوصل لي رقعة؛ فقلت:

حرام علي الكأس ما دمت غضبانا ... وما لم يعد عني رضاك كما كانا

فأحسن فإني قد أسأت ولم تزل ... تعودني عند الإساءة إحسانا

قال: وأنشدته إياهما، فضحك ورضي عني وعاد إلى ما كان عليه. وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد والحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، فذكر مثله وزاد فيه: فقلت في عون حاجبه:

عون يا عون ليس مثلك عون ... أنت لي عدة إذا كان كون

لك عندي والله إن رضى الفضـ ... ـل غلام يرضيك أو برذون

قال: فأتى عون الفضل بالشعرين جميعاً؛ فقرأهما وضحك وقال: ويحك! إنما عرض لك بقوله: "غلام يرضيك " بالسوءة؛ قال: قد وعدني ما سمعت، فإن شئت أن تحرمنيه فأنت أعلم!؛ فأمره أن يرسل إلي؛ فأتاني رسوله فصرت إليه فرضي عني.

أخبرني جحظة قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل قال حدثني أبي قال حدثني الزبير بن دحمان قال: دخلت يوماً على الفضل بن الربيع مسلماً؛ فقال لي: قد عزمت غداً على الصبوح، فصر إلي بكرة؛ فكنت أنا والصبح كفرسي رهان؛ فلما أصبحت في غد جعلت طريقي على إسحاق بن إبراهيم فدخلت إليه، فلما جلست قال لي: أقم اليوم عندي؛ فعرفته خبري؛ فقال:

أقم يا أبا العوام ويحك نشرب ونله مع اللاهين يوماً ونطرب

إذا ما رأيت اليوم قد جاء خيره فخذه بشكر واترك الفضل يغضب

فقلت: إني لا آمن غضبه، وأنا بين يديك؛ فقال لي: أنت تعلم أن صبوح الفضل أبداً في وفت غبوق الناس، فأقم وارفق بنفسك ثم امض إليه؛ فأجبته إلى ذلك؛ فلما شربنا طاب لي الموضع، فأقمت حتى سكرت. وذكر باقي الخبر نحواً مما ذكر إسحاق. انتهى.

حدثني جحظة قال حدثني محمد بن المكي المرتجل قال: قلت لزرزور الكبير: كيف كان إسحاق ينفق على الخلفاء معكم وأنت وإبراهيم بن المهدي ومخارق أطيب أصواتاً وأحسن نغمة؟ قال: كنا والله يا بني نحضر معه فنجتهد في الغناء ونقيم الوهج فيه ويقبل علينا الخلفاء، حتى نطمع فيه ونظن أنا قد غلبناه، فإذا غنى عمل في غنائه أشياء من مداراته وحذقه ولطفه حتى يسقطنا كلنا ويقبل عليه الخليفة دوننا ويجيزه دوننا ويصغى إليه، ونرى أنفسنا اضطراراً دونه.

حدثنا جحظة قال حدثني محمد بن أحمد المكي قال حدثني أبي قال: كان المغنون يجتمعون مع إسحاق وكلهم أحسن صوتاً منه، ولم يكن فيه عيب إلا صوته فيطمعون فيه؛ فلا يزال بلطفه وحذقه ومعرفته حتى يغلبهم ويبذهم جميعاً ويفضلهم ويتقدمهم. قال: وهو أول من أحدث التخنيث ليوافق صوته ويشاكله، فجاء معه عجباً من العجب؛ وكان في حلقه نبو عن الوتر. أخبرني يحيى بن علي قال أخبرنا أبو العبيس بن حمدون: أن إسحاق أول من جاء بالتخنيث في الغناء ولم يكن يعرف، وإنما احتال بحذقه لمنافرة حلقه الوتر، حتى صار يجيبه ببعض التخنيث فيكون أحسن له في السمع.

أخبرنا جحظة قال حدثني الهشامي عن أبيه قال: كان المغنون إذا حضروا وليس إسحاق معهم غنوا هويني وهم غير مفكرين؛ فإذا حضر إسحاق لم يكن إلا الجد.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني إسحاق الموصلي قال: قال لي أبي وقد انصرف من دار الرشيد: رأيت الأمير جعفر بن يحيى يستبطئك ويقول: لست أراه ولا يغشاني؛ فقلت: إني لآتيه كثيراً فأحجب عنه ويصرفني نافذ حاجبه ويقول: هو على شغل؛ قال: فبلغه أبي ذلك؛ فقال له: قل له: أنكه أمه إذا فعل؛ فأقمت أياماً ثم كتبت إليه:

جعلت فداءك من كل سوء إلى حسن رأيك أشكو اناسا

يحولون بيني وبين السلام فلست أسلم إلا اختلاسا

وأنفذت أمرك في نافذ فما زاده ذاك إلا شماسا

وقد أخبرني الخبر محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه، فذكر مثله وقال: كان خادم يحجبه يقال له: نافذ، فقال: إذا حجبك فنكه؛ فلما كتبت إليه بهذه الأبيات بعث فأحضرني؛ فلما دخلت إليه أحضر نافذاً وقرأ الأبيات عليه، وقال لي: أفعلتها يا عدو الله! فغضب نافذ حتى كاد يبكي، وجعل جعفر يضحك ويصفق؛ ثم ما عاد بعد ذلك يتعرض لي.

حدثني الحسين بن أبي طالب قال حدثني عبيد الله بن المأمون، وأخبرنا اليزيدي عن عمه عبيد الله عن أبيه قال: غضب المأمون على إسحاق بن إبراهيم، ثم كلم فيه فرضي عنه ودعا به؛ فلما وقف بين يديه اعتذر وقبل الأرض بين يديه واستقاله؛ فأجابه المأمون جواباً جميلاً، ثم قال له في أثناء كلامه:

فلا أنت أعتبت من زلة ولا أنت بالغت في المعفرة

ولا أنت وليتني أمرها فأغفر ذنبك عن مقدره

هكذا في الخبر؛ وأظنه إسحاق بن إبراهيم الطاهري لا الموصلي.

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الحسين بن أبي طالب قال حدثني إسحاق قال: أنشدت أبا الأشعث الأعرابي شعراً لي، فقال: والذي أصوم له مخافته ورجاءه، إنك لمن طراز ما رأيت بالعراق شيئاً منه، ولو كان شباب يشترى لاشتريته لك ولو بإحدى يدي، وإن في كبرك لما زان الجليس وسره.

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الديناري قال حدثنا إسحاق قال:

قالت لي زهراء الكلابية: ما فعل عبد الله بن خرداذبه؟ فقلت: مات؛ فقالت: غير ذميم ولا لئيم، غفر الله لصداه، لقد كان يحبك ويعجبه ما سرك. قال: فقلت لزهراء: حدثيني عن قول الشاعر:

أحبك أن أخبرت أنك فارك لزوجك إني مولع بالفوارك

ما أعجبه من بغضها لزوجها؟ فقالت: عزفته أن في نفسها فضلة من جمال وشمخاً بأنفها وأبهة، فأعجبته.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال حدثت عن غير واحد: أن إسحاق الموصلي دخل على المعتصم يوماً من الأيام فرآه لقس النفس، فقال له: أما ترى يا أمير المؤمنين طيب هذا اليوم وحسنه!؛ فقال المعتصم: ما يدعوني حسنه إلى شيء مما تريد ولا أنشط له؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إنه يوم أكل وشرب؛ فاشرب حتى انشطك؛ قال: أو تفعل؟ قال: نعم ة قال: يا غلمان، قدموا الطعام والشراب ومدوا الستارة، وأحضروا الندماء والمغنين؛ فأتي بالطعام فأكل وبالشراب فشرب وحضر الندماء والمغنون؛ فغناه إسحاق:

سقيت الغيث يا قصر السلام فنغم محلة الملك الهمام

لقد نشر الإله عليك نوراً وخصك بالسلامة والسلام

الشعر والغناء لإبراهيم الموصلي رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر حبش أن فيه للزبير بن دحمان لحناً من الرمل بالوسطى - قال: فطرب المعتصم وشرب شرباً كثيراً، ولم يبق أحد بحضرته إلا وصله وخلع عليه وحمله؛ وفضل إسحاق في ذلك أجمع.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن إسحاق قال: أول جائزة أخذتها من الرشيد ألف دينار في أول يوم دخلت إليه فغنيته:

علق القلب بزوعا

فاستحسنه واستعاده ثلاث مرات وشرب عليه ثلاثة أرطال وأمر لي بألف دينار؛ فكان أول جائزة أجازنيها.

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال: كان أبي ذات يوم عند إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فلما جلسوا للشراب جعل الغلمان يسقون من حضر، وجاء غلام قبيح الوجه إلى أبي بقدح نبيذ فلم يأخذه؛ ورآه إسحاق فقال له: لم لا تشرب؟ فكتب إليه أبي:

اصبح نديمك أقداحاً يسلسلها ... من الشمول وأتبعها بأقداح

من كف ريم مليح الدل ريقته ... بعد الهجوع كمسك أوكتفاح

لا أشرب الراح إلا من يدي رشأ ... تقبيل راحته أشهى من الراح

فضحك وقال: صدقت والله، ثم دعا بوصيفة كأنها صورة، تامة الحسن لطيفة الخصر في زي غلام عليها أقبية ومنطقة، فقال لها: تولى سقي أبي محمد؛ فما زالت تسقيه حتى سكر؛ ثم أمر بتوجيهها وكل مالها في داره إليه، فحملت معه.

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح قال: كانت امرأة من بني كلاب يقال لها زهراء تحدث إسحاق وتناشده، وكانت تميل إليه، وتكني عنه في عشيرتها إذا ذكرته بجمل؛ فال: فحدثني إسحاق أنها كتبت إليه وقد غابت عنه تقول:

وجدي بجمل على أني أحمجمه ... وجد السقيم ببرء بعد إدناف

أو وجد ثكلى أصاب الموت واحدها ... أو وجد مغترب من بين آلاف

قال: فأجبتها:

أقر السلام على الزهراء إذ شحطت ... وقل لها قد أذقت القلب ما خافا

أما رثيت لمن خلفت مكتئباً ... يذري مدامعه سحاً وتوكافا

فما وجدت على إلف أفارقه ... وجدي عليك وقد فارقت ألافا

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال أنشدني إسحاق لنفسه:

سقى الله يوم الماوشان ومجلساً   به كان أحلى عندنا من جنى النحل

غداة اجتنينا اللهو غضاً ولم نبل   حجاب أبي نصر ولا غضبة الفضل

غدونا صحاحاً ثم رحنا كأننا   أطاف بنا شر شديد من الخبل

فسألته أن يكتبها ففعل؛ فقلت له: ما حديث الماوشان؟ فضحك وقال: لو لم أكتبك الأبيات لما سألت عما لا يعنيك؛ ولم يخبرني.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن الحارث وأبو مسلم عن ابن الأعرابي: أنه كان يصف إسحاق الموصلي ويقرظه ويثني عليه ويذكر أدبه وحفظه وعلمه وصدقه، ويستحسن قوله:

هل إلى أن تنام عيني سبيل   إن عهدي بالنوم عهد طويل

غاب عني من لا أسمي فعيني   كل يوم وجداً عليه تسيل

الشعر والغناء لإسحاق رمل بالوسطى- قال: وكان إسحاق إذا غناه تفيض دموعه على لحيته ويبكي أحر بكاء. وأخبرنا به يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق. وحديث موسى عن حماد أتم، واللفظ له.

أخبرني الصولي والحسن بن علي قالا حدثنا محمد بن موسى عن حماد بن إسحاق قال: أول صوت صنعه أبي:

إني لأكني بأجبال عن اجبلها   وباسم أودية عن اسم واديها

وآخر صوت صنعة مختاراً:

قف نحي المغانيا   والطلول البواليا

ثم قطع الصنعة حتى أمره الواثق بأن يعارض صنعته في:

لقد بخلت حتى لو أني سألتها

قال حماد وحدثني أبي قال: كان المغنون يحسدونني مذ كنت غلاماً، فلما مات أبي صنعت هذا الصوت، فهو أول صوت صنعته بعد وفاته، وهو:

أمن آل ليلى عرفت الطلولا   بذي حرض ماثلات مثولا

فقالوا للرشيد: هذا من صنعة أبيه فقد انتحله؛ فقال لي الرشيد في ذلك، فقلت: هذا ومائة بعده خير منه لهم؛ فقال: اصنع في شعر الأخطل:

أعاذلتي اليوم ويحكما مهلا   وكفا الأذى عني ولا تكثرا العذلا

فصنعت فيه كما أمرني؛ فلما سمعوا بذلك وما جاء بعده أذعنوا، وزال عن قلب الرشيد ما كان ظنه بي. وقد ذكر غير حماد أن اللحن الذي اختبره به الرشيد قوله:

كنت صباً وقلبي اليوم سال   عن حبيب يسيء في كل حال

وذكر أن الفضل بن الربيع قال الشعر في ذلك الوقت ودفعه إليه وأمره الرشيد أن يصنع فيه ففعل. وأخبرني بذلك محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق، وأخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد قال: أول ما سمعه الرشيد من غناء أبي:

ألم تسأل فتخبرك المغاني وكيف وهن مذ حجج ثماني
برئت من المنازل غير شوق إلى الدار التي بلوي أبان
ديار للتي لجلجت فيها ولو أغربت لج بها لساني
فكاد يظل للعينين غرب بربعي دمنة لا ينطقان

قال: فحدثني أبي أن المغنين قالوا للرشيد: هذا من صنعة أبيه انتحله بعد وفاته؛ فقلت له: أنا أدع لهم هذا ومائة صوت بعده؛ ثم نظروا إلى ما جاء بعد ذلك فأذعنوا.

قف نحي المغانيا والطلول البواليا
وعلى أهلها فنح وابك إن كنت باكيا

الشعر لابن ياسين. والغناء لإسحاق ثقيل أول بالوسطى.

أمن آل ليلى عرفت الطلولا بذي حرض ماثلات مثولا
بلين وتحسب آياتهن عن فرط حولين رقاً محيلا

الشعر لكعب بن زهير. والغناء لإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر.

أعاذلتي اليوم ويحكما مهلا وكفا الأذى عني ولا تكثرا العذلا
دعاني تجد كفي بمالي فإنني سأصبح لا أسطيع جوداً ولا بخلا
إذا وضعوا فوق الصفيح جنادلاً علي وخلفت المطية والرحلا
فلا أنا مجتاز إذا ما نزلته ولا أنا لاق ما ثويت به أهلا

الشعر للأخطل، والغناء لإسحاق، ثقيل أول بالوسطى.

إني لأكني بأجبال عن اجبلها وباسم أودية عن اسم واديها
عمداً ليحسبها الواشون غانية أخرى وتحسب أني لا أباليها
ولا يغير ودي أن أهاجرها ولا فراق نوى في الدار أنويها
وللقلوص ولي منها إذا بعدت بوارح الشوق تنضيني وأنضيها

الشعر لأعرابي، والغناء لإسحاق هزج بالبنصر.

حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله أحمد بن حمدون قال: قال إسحاق للواثق يوماً: الأهزاج من أملح الغناء؛ فقال الواثق: أما إذا كانت مثل صوتك:

إني لأكنى بأجبال عن اجبلها وباسم أودية عن اسم واديها

فهي كذلك.

قال أحمد بن أبي طاهر حدثني أحمد بن يحيى الرازي عن محمد بن المثنى عن الحجاج بن قتيبة بن مسلم قال: قال إسحاق: بعث إلي طلحة بن طاهر وقد انصرف من وقعة للشراة وقد أصابته ضربة في وجهه؛ فقال لي الغلام: أجب؛ فقلت: وما يعمل؟ قال: يشرب؛ فمضيت إليه فإذا هو جالس قد عصب ضربته وتقلنس بقلنسوة؛ فقلت له: سبحان الله أيها الأمير! ما حملك على لبس هذا؟ قال: التبرم بغيره، ثم قال: غن:

إني لأكنى بأجبال عن اجبلها

قال: فغنيته إياه، فقال: أحسنت والله! أعد! فأعدت وهو يشرب حتى صلى العتمة وأنا. أغنيه؛ فأقبل على خادم له بالحضرة وقال له: كم عندك؟ قال: مقدار سبعين ألف درهم؛ قال: تحمل معه. فلما خرجت من عنده تبعني جماعة من الغلمان يسألوني، فوزعت المال بينهم؛ فرفع الخبر إليه فأغضبه و لم يوجه إلي ثلاثاً؛ فجلست ليلاً وتناولت الدواة والقرطاس فقلت:

علمني جودك السماح فما أبقيت شيئاً لدي من صلتك
لم أبق شيئاً إلا سمحت به كأن لي قدرة كمقدرتك
تتلف في اليوم بالهبات وفي الساعة ما تجتنيه في سنتك
فلست أثري من أين تنفق لو لا أن ربي يجزى على صلتك

فلما كان في اليوم الرابع بعث إلي، فصرت إليه ودخلت عليه فسلمت، فرفع بصره إلي وقال: اسقوه رطلاً فسقيته، وأمر لي بآخر وآخر فشربت لاثاً، م قال لي: غن:

إني لأكنى بأجبال عن اجبلها

فغنيته م أتبعته بالأبيات التي قلتها، وقد كنت غنيت فيها لحناً في طريقة الصوت، فقال: ادن فدنوت، وقال: اجلس فجلست، فاستعاد الصوت الذي صنعته فأعدته. فلما فهمه وعرف معنى الشعر قال لخادم له: أحضرني فلاناً فأحضره، فقال: كم قبلك من مال الضياع؟ قال: مائمائة ألف درهم، فقال: احضر ها الساعة، فجيء بثمانين بدرة، فقال للخادم: جئني بثمانين غلاماً مملوكاً، فأحضروا، فقال: احملوا هذا المال، م قال: يا أبا محمد، خذ المال والمماليك حتى لا تحتاج أن تعطي لأحد منهم شيئاً.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الحسين بن محمد بن طالب قال: كان إسحاق بن إبراهيم الموصلي كثير

الغشيان لإسحاق بن إبراهيم بن مصعب والحضور لسمره، وكان إسحاق بن إبراهيم يرى ذلك له ويسني جوائزه ويواتر صلاته ويشاوره في بعض أموره ويسمع منه، فأصيب، إسحاق ببصره قبل موته بسنتين، فترك زيارة إسحاق وغيره ممن كان يغشاهم ولزم بيته. وخرج إسحاق يوماً إلى بستان له بباب قطربل وخرج معه ندماؤه وفيهم موسى بن صالح بن شيخ بن عميرة ومحمد بن راشد الخناق والحراني، فجرى ذكر إسحاق الموصلي، فتوجع له إسحاق وذكر أنسه به وتمنى حضوره، وذكره، القوم فأطنبوا في نشر محاسنه وشيعوا ما ذكره به إسحاق بما حسن موقعه لهم عنده وذكره محمد بن راشد ذكراً لم يحمده أصحابه عليه، وزجره إسحاق، فأمسك عنه، فلما انصرفوا من مجلسهم نمي إلى إسحاق الموصلي ما كان فيه القوم في يومهم وما جرى من ذكره، فكتب إلى موسى بن صالح:

ألا قل لموسى الخير موسى بن صالح ... ومن هو دون الخلق إلفي وخلصاني
ومن لوسألت الناس عنه لأجمعوا ... على أنه أفتى معد وقحطان
لعمري لئن كان الأمير تمناني ... بمجلس لذات ونزهة بستان
لقد زادني ما كان منه صبابة ... وجدد لي شوقاً إليه وأبكاني
وما زال ممتنا علي يخصني ... بما لست أحصي من أياد وإحسان
هو السيد القرم الذي ما يرى له ... من الناس إن حصلته أبداً اني
نمته روابي مصعب وبنى له ... كريم المساعي في أرومته باني
يعز علي أن تفوزوا بقربه ... ولست إليه بالقريب ولا الداني
فيا ليت شعري هل أروحن مرة ... إليه فيلقاني كما كان يلقاني
وهل أرين يوماً غضارة ملكه ... وسلطانه لازال في عز سلطان
وهل أسمعن ذاك المزاح الذي به ... إذا جئته سليت همي وأحزاني
إذا قال لي "يا مرد مي خر" وكرها ... علي وكناني مزاحاً بصفوان

هذا كلام بالفارسية تفسيره: يا رجل اشرب النبيذ:

فيا لك من ملهى أنيق ومجلس ... كريم ومن مزح كثير بألوان

وهل يغمزن بي ذو الهنات ابن راشد ... وذاك الكريم الجد من آل حران
وهل أرين موسى الكريم ابن صالح ... ينازعني صوتاً إذا هو غناني

"يريد الغناء في:

فلم أر كالتجمير منظر ناظر ولا كليالي النفر أفتن ذا هوى
إذا صاح بالتجمير م أعاده بتحقيق إعراب صحيح وتبيان
أولئك إخواني الذين أحبهم وأوثرهم بالود من بين إخواني
وما منهم إلا كريم مهذب حبيب إلى إخوانه غير خوان

فأجابه محمد بن راشد:

بعثت بشعر فيه أن رسالة أتتك لموسى عن جماعة إخوان
بشوق وذكر للجميل ولم يكن لموسى لعمري في سلامته اني
ولكن نطقنا بالذي أنت أهله وما تستحق من صديق وندمان
وموسى كريم لم يحط بك خبره كخبر ندامى قد بلوك وإخوان
ولو قد بلاك قال فيك كقول من فسدت عليه من خليل وخلصان
ولم يعره شوق إليك ولم يجد لفقدك مسا عند نزهة بستان
حمدت الندامى كلهم غير إنسان ألا إنما يجني على نفسه الجاني
فلا تعتب الإخوان من بعدها فما تنقض إخوان المودة من شاني

قال: فأجابه إسحاق:

عجبت لمخذول تعرض جانياً لليث أبي شبلين من أسد خفان
أتانا بشعر قاله مثل وجهه تزخرف فيه واستعان بأعوان
فجاء بألفاظ ضعاف سخيفة ومضغها تمضيغ أهوج سكران
دعوا الشعر للشيخ الذي تعرفونه وإلا وسمتم أو رميتم بشهبان
فإنكم والشعر إذ تدعونه كمعتسف في ظلمة الليل حيران
صه لا تعودوا للجواب فإنما ترومون صعباً من شماريخ هلان
أنا الأسد الورد الذي لا يفله تظاهر أعداء عليه وأقران
ومن قد أردتم جاهدين سقاطه فأعياكم في كل سر وإعلان
لعمري لئن قلتم بما أنا أهله ليستنفدن القول تعظيمكم شاني
وجحدكم إياي ما تعلمونه وإقراركم عندي بذلك سيان

ألا يزجر الجهال عنا أميرنا ... وموسى وذاك الشيخ من آل حران

ولا سيما من بان للناس شره ... فما يتمارى في مذاهبه اثنان

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قرقارة قال: قال لي محمد بن عمر الجرجاني وقد تذاكرنا إسحاق يوماً بحضرته: ما تذكرون من إسحاق شيئاً تقاربون به وصفه. كان والله إسحاق غرة في زمانه، وواحداً في دهره علماً وفقهاً وأدباً ووقاراً ووفاء وجودة رأي وصحة مودة. كان والله يخرس الناطق إذا نطق، ويحير السامع إذا تحدث، لا يمل جليسه مجلسه، ولا تمج الاذان حديثه، ولا تنبو النفوس عن مطاولته. إن حدثك ألهاك، وإن ناظرك أفادك، وإن غناك أطربك. وما كنت ترى خصلة من الأدب ولا جنساً من العلم يتكلم فيه إسحاق فيقدم أحد على مساجلته ومباراته.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال حدثني أحمد بن يحيى المكي قال: أمر المأمون يوماً بالفرش الصيفي أن يخرج فأخرج فيما أخرج منه بساط طبري أو أصبهبذاني، مكتوب في حواشيه:

لج بالعين واكف ... من هوى لايساعف

كلما جف دمعه ... هيجته المعازف

إنما الموت أن تفا ... رق من أنت آلف

لك حبان في الفؤا ... د تليد وطارف

قال: فاستحسن المأمون هذه الأبيات، وبعث إلى إسحاق فأحضره وأمره أن يصنع فيها لحناً ويعجل به، فصنع فيها الهزج الذي يغنى به اليوم. قال أحمد: وسمعها أبي منه فقال: لو كان هذا الهزج لحكم الوادي لكان قد أحسن. يريد أن حكماً كان صاحب الأهزاج.

أخبرني الحسن قال حدثني يزيد بن محمد قال حدثني ابن المكي قال: تذاكرنا يوماً عند أبي صنعة إسحاق، وقد كنا بالأمس عند المأمون فغناه إسحاق لحناً صنعه في شعر، بن ياسين:

الطلول الدوارس ... فارقتها الأوانس

أوحشت بعد أهلها ... فهي قفربسابس

الغناء لإسحاق خفيف قيل بالبنصر قال: فقال أبي: لو لم يكن من بدائع إسحاق غير هذا لكفى، "الطلول الدوارس " كلمتان، و "فارقتها الأوانس! كلمتان، وقد غنى فيهما استهلالاً وبسيطاً وصاح وسجح ورجع النغمة واستوفى ذلك كله في أربع كلمات وأتي بالباقي مثله فمن شاء فليفعل مثل هذا أو ليقاربه. م قال: إسحاق والله في زماننا فوق ابن سريج والغريض ومعبد، ولو عاشوا حتى يروه لعرفوا فضله واعترفوا له به. وأخبرني عمي عن يزيد بن محمد المهلبي: أنه كان عند الواثق فغنته شجا هذا الصوت، فقال الواثق مثل هذا القول. والمذكور أن ابن المكي قاله فلا أدري أهذا وهم من يزيد، أواتفق أن قال فيه الواثق كما قال يحيى، أو اتفقت عليه قريحتاهما.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبي عن إسحاق قال: أرسل إلي الفضل بن الربيع يوماً وإلى الزبير بن دحمان، فوافق مجيئناً شغلاً كان له، فصرنا إلى بعمض حجره، فنعست فنمت فإذا زبير يحركني فانتبهت فإذا خباز في مطبخ الفضل يضرب بالشوبق يغني:

بدير القائم الأقصى	غزال شفني أحوى
برى حبي له جسمي	ومابدي بما ألقى
وأخفي حبه جهدي	ولا والله ما يخفى

الشعر والغناء لإسحاق خفيف قيل بالبنصر قال: فقال لي الزبير: تضن بهذا وانظر من يبتذله فقلت: لا أضن بغناء بعد هذا.

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب السرخسي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية بن بكر قال قال لي صالح بن الرشيد: كنا أمس عند أمير المؤمنين المأمون وعنده جماعة من المغنين، فيهم إسحاق وعلويه ومخارق وعمرو بن بانة فغنى مخارق في الثقيل الأول:

أعاذل لا آلوك إلا خليقتي	فلا تجعلي فوقي لسانك مبردا
ذريني أكن للمال رباً ولايكن	لي المال رباً تحمدي غبه غدا
ذريني يكن مالي لعرضي وقاية	يقي المال عرضي قبل أن يتبددا
ألم تعلمي أني إذا الضيف نابني	وعز القرى أقري السديف المسرهدا

فقال له المأمون: لمن هذا اللحن. قال: لهذا الهزبر الجالس يعني إسحاق، فقال المأمون لمخارق: قم فاقعد بين يدي وأعد الصوت، فقام فجلس بين يديه وأعاده فأجاده، وشرب المأمون عليه رطلاً م التفت إلى إسحاق فقال له: غن هذا الصوت فغناه فلم يستحسنه كما استحسنه من مخارق م دار الدور إلى عفويه، فقال له: غن فغنى في الثقيل الأول أيضاً:

أريت اليوم نارك لم أغمض	بواقصة ومشربنا برود
فلم أر مثل موقدها ولكن	لأية نظرة زهر الوقود
فبت بليلة لانوم فيها	أكابدها وأصحابي رقود
كأن نجومها ربطت بصخر	وأمراس تدور وتستزيد

فقال له المأمون: لمن هذا الصوت؟ فقال: لهذا الجالس- وأشار إلى إسحاق- فقال لعلويه: أعده فأعاده، فشرب عليه رطلاً، م قال لإسحاق. غنه فغناه، فلم يطرب له طربه لعلويه. فالتفت إلى إسحاق م قال لي: أيها الأمير، لولا أنه مجلس سرور وليس مجلس لجاج وجدال لأعلمته أنه طرب على خطأ، وأن الذي استحسنه إنما هو تزايد

منهما يفسد قسمة اللحن وتجزئته، وأن الصوت ما غنيته لا ما زادا. م أقبل عليهما فقال: يا مخنثان، قد علمت أنكما لم تريدا بما فعلتماه مدحي ولا رفعتي، وأنا على مكافأتكما قادر فضحك المأمون وقال له: ما كان مارأيته من طربي لهماً إلا استحساناً لأصواتهما لا تقديماً لهما ولا جهلاً بفضلك.

حدثني عمي قال حدثني عبدالله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبدالله بن مالك الخزاعي قال حدثني إسحاق قال: دخلت يوماً على المعتصم وقد رجع من الصيد وبين يديه ظباء مذبحة وطير ماء وغير ذلك من الصيد وهو يشرب فأمرني بالجلوس والغناء، فجلست وغنيته:

اشتهينا في ربيع مرة زهم الوحش على لحم الإبل

فغدونا بطوال هيكل كعسيب النخل مياد خضل

الشعر يقال: إنه لأعشى همدان، والغناء لأحمد النضبي خفيف قيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق فتبسم وقال: وأين رأيت لحم الإبل! فغنيته:

ليس الفتى فيهم إذا شرب الشراب مؤنباً

لكن يروح مرنحاً حسن الثياب مطيباً

يسقونه صرفاًعلى لحم الظباء مضهباً

فقال: هذا أشبه، وشرب. م غنيته بشعر وضاح اليمن قال: والغناء لابن محرز قيل أول:

أبى القلب اليماني الذي تحمد أخلاقة

ويرفض له اللحن فما تفتق أرتاقه

غزال أدعج العين ربيب خدلج ساقه

رماني فسبى قلبي وأرميه فأشتاقه

فطرب وقال: هذا والله أحسن صيد وألده، وشرب عليه بقية يومه وخلع علي وأمر لي بجائزة. هكذا ذكر في هذا الخبر أن الثقيل الأول لابن محرز وقد قيل ذلك. وذكر عمرو بن بانة أن الثقيل الأول بالبنصر لابن طنبورة، وأن لحن ابن محرز خفيف قيل.

حدثني عمي قال حدثني فضل اليزيدي قال: قال لي إسحاق يوماً في عرض حديثه: دخلت على المعتصم ذات يوم وعليه قميص دبيقي كأنما قد من، جرم الزهرة، فضحكت، فقال: ما أضحكك؟ فقلت: من مبالغتك في الوصف، فتبسم. قال الفضل: وما سمعت محدثاً قط ولا واصفاً أبلغ منه ولا أحسن لفظاً وتشبيهاً.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك قال: قال لي إسحاق: وددت أن كل يوم قيل لي: غن أو قيل لي عند ذكري: المغني، ضرب رأسي خمسة عشر سوطاً، لا أقوى على أكثر منها، و لم يقل لي ذلك.

أخبرنا يحيى قال حدثنا حماد قال: صنع أبي لحنه في: "تشكى الكميت الجري" على لحن أذان سمعه.

أخبرنا يحيى قال حدثنا حماد قال: تذاكرنا يوماً الهزج عند المأمون، فقال عمرو بن بانة: ما أقله في الغناء القديم، فقال إسحاق: ما أكثره فيه! م غناهم لاثين هزجاً في إصبع واحدة ومجرى واحد، ما عرفوا جميعاً منها إلا نحو سبعة أصوات.

حدثني يحيى قال حدثني أخي قال حدثني عافية بن شبيب قال: قلت لزرزور: ما لكم تذلون لإسحاق هذا الذل، وما فيكم أحد إلا وهو أطيب صوتاً منه، وما في صنائعكم وصمة! فقال لي: لا تقل ذلك، فوالله لو رأيتنا معه لرحمتنا ورأيتنا نذوب كما يذوب الرصاص في النار.

حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني إسحاق قال: لاعبت الفضل بن الربيع بالنرد، فوقع بيننا خلاف، فحلف وحلفت، فغضب علي وهجرني، فكتبت إليه:

يقول أناس شامتون وقد رأوا   مقامي وإغبابي الرواح إلى الفضل

لقد كان هذا خص بالفضل مرة   فأصبح منه اليوم منصرم الحبل

ولوكان لي في ذاك ذنب علمته   لقطعت نفسي بالملامة والعذل

وعرضت الأبيات عليه فلمفا قرأها ضحك وقال: أشد من ذنبك أنك لا ترى لنفسك بذلك الفعل ذنباً والله لولا أني أدبتك أدب الرجل ولده، وأن حسنك وقبيحك مضافان إلي لأنكرتني. فأصلح الآن قلب عون وكان يحجبه فخاطبته في ذلك فكلمني بما كرهت فقلت أتدخل بيني وبين الأمير أعزه الله وكان عون يرمى بالأبنة فقلت فيه:

وذاكر أمر ضاق ذرعاً بذكره   وناس لداء منه متسع الخرق

قال: ثم علمت أنه لا يتم لي رضا الفضل إلا بعد أن يرضى عون، فقلت فيه:

عون ياعون ليس مثلك عون   أنت لي عدة إذا كان كون

لك عندي والله إن رضي الف   ضل غلام يرضيك أو برذون

فدخل إلى الفضل فترضاه لي فرضي، ثم قال له: ويلك يا عون! إنه والله إنما هجاك وأنت ترى أنه قد مدحك، ألا ترى إلى قوله: "غلام يرضيك"! هذا تعريض بك، قال: فكيف أصنع به مع محله عند الأمير!.

أخبرني الصولي قال حدثني عون عن إسحاق، وأخبرني بعض الخبر إسماعيل بن يونس عن عمربن شبة عن إسحاق، ولفظ الخبر وسياقته للصولي، قال:

استدناني المأمون يوماً وهو مستلق على فراش حتى صارت ركبتي على الفراش، ثم قال لي: يا إسحاق، أشكو إليك أصحابي: فعلت بفلان كذا ففعل كذا، وفعلت بفلان كذا ففعل كذا، حتى عدد جماعة من خواصه، فقلت له: أنت يا سيدي بتفضلك علي وحسن رأيك في ظننت أني ممن يشاور في مثل هذا، فجاوزت بي حدي، وهذا رأي يجل عني ولا يبلغه قدري، فقال: و لم وأنت عندي عالم عاقل ناصح. فقلت: هذه المترلة عند سيدي علمتني

ألا أقول إلا ما أعرف ولا أطلب إلا ما أنال، فضحك وقال: قد بلغني أنك في هذه الأيام صنعت لحناً في شعر الراعي و لم أسمعه منك، فقلت: يا سيدي، ماسمعه أحد إلا جواري، ولا حضرت عندك للشرب منذ صنعته، فقال: غنه، فقلت: الهيبة والصحو يمنعاني أن أؤديه كما تريد، فلو آنس أمير المؤمنين عبده بشيء يطربه ويقوي به طبعه كان أجود، قال: صدقت، ثم أمر بالغداء فتغدينا، ومدت الستارة فغني من ورائها وشربنا أقداحاً فقال: يا إسحاق، أما جاء أوان ذلك الصوت؟ فقلت: بلى يا سيدي، وغنيته لحني في شعر الراعي:

ألم تسأل بعارمة الديارا عن الحي المفارق أين صارا

بلى ساءلتها فأبت جواب وكيف تسائل الدمن القفارا

لحن إسحاق في هذين البيتين خفيف ثقيل بالوسطى قال: فاستحسنه وما زال يشرب عليه سائر يومه، وقال لي: يا إسحاق، لا طلب بعد وجود البغية، ما أشرب بقية يومي هذا إلا على هذا الصوت ثم وصلني وخلع علي خلعة من ثيابه.

حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني إسحاق قال: كانت أعرابية تقدم علي من البادية فأفضل عليها، وكانت فصيحة، فقالت لي ذات يوم: والذي يعلم مغزى كل ناطق لكأنك في علمك ولدت فينا ونشأت معنا. ولقد أريتني نجداً بفصاحتك، وأحللتني الربيع بسماحتك، فلا أطرد لي قول إلا شكرتك، ولا نسمت لي ريح إلا ذكرتك.

حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي عن إسحاق قال: كان أبو المجيب الربعي فصيحاً عالماً، فقال لي: يا أبا محمد، قد عزمت على التزوج فأعني وقوني قال: فأعطيته دنانير وثيابا. فغاب عني أياما ثم عاد، فقلت: يا أبا مجيب، هاهنا أبيات فاسمعها، فقال: هاتها، فقلت:

ياليت شعري عن أبي مجيب إذ بات في مجاسد وطيب

معانقاً للرشأ الربيب أألحمد المحفار في القليب

أم كان رخواً ذابل القضيب

قال: فقال لي: الأخير والله يا أبا محمد.

عاتب الخليل بن هشام بشعر وكان بينهما تهاجر فعاد إلى ما كانا عليه: حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني إسحاق قال: كانت بيني وبين الخليل بن هشام صداقة ثم استوحشنا، فمررت ببابه يوماً، فتذممت أن أجوزه ولا أدخل إليه، فدعوت بدواة وقرطاس وكتبت إليه:

رجعنابالصفاء إلى الخليل فليس إلى التهاجر من سبيل

عتاب في مراجعة وصفح أحق بنا وأشبه بالجميل

قال: ووجهت بالرفعة وقصدت بابه، فخرج إلي حتى تلقاني، ورجعنا إلى ما كنا عليه.

حدثني الصولي قال حدثني عبدالله بن المعتز عن الهشامي قال: كان أهلنا يعتبرون على إسحاق ما يقوله في نسبة الغناء وأخباره، بأن يجلسوا كاتبتين فهمتين خلف الستارة، فتكتبان ما يقوله وتضبطانه، م يتركونه مدة حتى ينسى ما جرى، ثم يعيدون تلك المسألة عليه، فلا يزيد فيها ولا ينقص منها حرفاً كأنه يقرؤها من دفتر فعلموا حينئذ أنه لا يقول في شيء يسأل عنه إلا الحق.

حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن مزيد المهلبي قال حدثني أبي عن إسحاق قال: كنا عند المأمون، فغناه علويه:

لعبدة دار ما تكلمنا الدار تلوح مغانيها كما لاح أسطار

أسائل أحجاراً ونؤياً مهدما وكيف يرد القول نؤي وأحجار

الشعر لبشار، والغناء لإبراهيم ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق - قال: فقال المأمون: لمن هذا اللحن. فقلت: لعبد أمير المؤمنين أبي، وقد أخطأ فيه علويه، قال: فغنه أنت فغنيته، فاستعادنيه مراراً وشرب عليه أقداحاً، ثم تمثل قول جرير:

وابن اللبون إذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

ثم أمر لي بخمسين ألف درهم. ووجدت هذا الخبر بخط أبي العباس ثوابة، فقال فيه: حدثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدثني عبدالله بن العباس الربيعي قال: اجتمعنا بين يدي المعتصم، فغنى علويه:

لعبدة دار ما تكلمنا الدار

فقال له إسحاق: أخطأت فيه، ليس هو هكذا، فقال علويه أم من أخفناه عنه هكذا زانية، فقال إسحاق: شتمنا قبحه الله، وسكت وبان ذلك فيه، وكان علويه أخذه من إبراهيم.

حدثني جحظة قال حدثني أبو العبيس بن حمدون عن أبيه عن جده قال: كان إسحاق بعد وفاة المأمون لا يغني إلا الخليفة أو ولي عهده أو رجلاً من الطاهرية مثل إسحاق بن إبراهيم وطبقته، فاجتمعنا عند الواثق وهو ولي عهد المعتصم، فاشتهى الواثق أن يضرب بين مخارق وعلويه وإسحاق، ففعل حتى تماتروا، ثم قال لإسحاق: كيف هما الآن عندك؟ فقال: أما مخارق فمناد طيب الصوت وأما علويه فهو خير حماري العبالي، وهو على كل حال شييء يريد تصغيره، فوثب علويه مغضباً، ثم قال للواثق: جواريه حرائر ونساؤه طوالق، لئن لم تستحلفه بحياتك وحق أبيك، أن يصدق عما أسأله عنه، لأتوبن عن الغناء ما عشت، فقال له الواثق: لا تعربد يا علي، نحن نفعل ما سألت، ثم حلف إسحاق أن يصدق فحلف، فقال له: من أحسن الناس اليوم صنعة بعدك. قال: أنت. قال: فمن أضرب الناس بعد ثقيف. قال: أنت. قال فمن أطيب الناس صوتاً بعد مخارق. قال: أنت. قال علويه لإسحاق: أهذا قولك في وأنت تعلم أني مصفي كل - سابق فاضل، وأني ثالث ثلاثة أنت أحدهم لم يكن في

الدنيا مثلهم ولا يكون، فما أنت وغناؤك الذي لا يسمع انخفاضاً، فغضب إسحاق، وانتهر الواثق علويه. ثم أخذ إسحاق عوداً فنقل مثناه إلى موضع البم، وزيره إلى موضع المثلث، وجعل البم والمثلث مكان الزير والمثنى، وضرب وقال: ليغن من شاء منكم، فغنى مخارق عليه:

تقطع من ظلامة الوصل أجمع أخيراً على أن لم يكن يتقطع

وضرب عليه إسحاق فلم يبن في الأوتار خلاف ولا فقد من الإيقاع شيء ولا بان فيه اختلال، فعظم عجب الواثق من فعله، وقام إسحاق فرقص طرباً، فكان والله أحسن رقصاً من كبيش وعبد السلام - وكانا من أرقص الناس - فقال الواثق: لا يكمل أحد أبداً في صناعته كمثل كمال إسحاق.

حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني إسحاق قال: دخلت على عبدالله بن طاهر وهو يلاعب إبراهيم بن وهب بالشطرنج، فغلبه عبدالله، وأومأ إلي بأن أكايده فقلت:

قد ذهبت منك أبا إسحاق مثل ذهاب الشهربالمحاق

فقال لي عبدالله: إن فضائلك يا أبا محمد لتتكاثر عندنا، كما قال الشاعر في إبله:

إذا أتاها طالب يستامها تكاثرت في عينه كرامها

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال ذكر علي بن الحسن بن عبد الأعلى عن إسحاق قال: أنشدتني أم محمد الأعرابية لنفسها هذين البيتين وأنا حاج، فاستحسنتهما، وصنعت فيهما لحناً غنيته الواثق، فاستعاده حتى أخذه، وأمر لي بثلاثين ألف درهم، وهما:

عسى الله ياظمياء أن يعكس الهوى فتلقين ما قد كنت منك لقيت

ثراء فتحتاجي إلي فتعلمي بأن به أجزيك حين غنيت

حدثني عمي قال حدثني عبدالله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن مروان قال قال لي يحيى بن معاذ:
كان إسحاق الموصلي وإبراهيم بن المهدي إذا خلوا فهما أخوان، وإذا التقيا عند خليفة تكاشحا أقبح تكاشح فاجتمعا يوماً عند المعتصم، فقال لإسحاق: يا إسحاق، أن إبراهيم يثلبك ويغض منك ويقول: إنك تقول: إن مخارقاً لا يحسن شيئاً ويتضاحك منك، فقال إسحاق: لم أقل يا أمير المؤمنين: إن مخارقاً لا يحسن شيئاً، وكيف أقول ذلك وهو تلميذ أبي وتخريجه وتخريجي، ولكن قلت: إن مخارقاً يملك من صوته ما لا يملكه أحد، فيتزايد فيه تزايداً لا يبقي عليه ويتغير في كل حال، فهو أحلى الناس مسموعاً وأقله نفعاً لمن يأخذ عنه، لقلة ثباته على شيء واحد. ولكني أفعل الساعة فعلاً إن زعم إبراهيم أنه يحسنه فلست أحسن شيئاً، وإلا فلا ينبغي له أن يدعي ما ليس يحسنه. ثم أخذ عوداً فشوش أوتاره، ثم قال لإبراهيم: غن على هذا أو يغني غيرك وتضرب عليه، فقال المعتصم: يا إبراهيم، قد سمعت، فما عندك. قال: ليفعله هو إن كان صادقاً، فقال له إسحاق: غن حتى أضرب عليك فأبى، فقال لزرزور: غن فغنى وإسحاق يضرب عليه حتى فرغ من الصوت ما علم أحد أن العود مشوش.

ثم قال: هاتوا عوداً آخر فشوشه وجعل كل وتر منه في الشدة واللين على مقدار العود المشوش الأول حتى استوفى، ثم قال لزرزور: خذ أحدهما فأخذه، ثم قال: انظر إلى يدي واعمل كما أعمل واضرب ففعل، وجعل إسحاق يغني ويضرب وزرزور ينظر إليه ويفعل كما يفعل، فما ظن أحد أن في العودين، شيئاً من الفساد لصحة نغمهما جميعاً إلى أن فرغ من الصوت. ثم قال لإبراهيم: خذ الآن أحد العودين، فاضرب به مبدأ أو عمود طريقة أو كيف شئت إن كنت تحسن شيئاً، فلم يفعل وانكسر انكساراً شديداً، فقال له المعتصم: أرأيت مثل هذا قط؟ فال: لا، والله ما رأيت ولا ظننت أن مثله يكون.

حدثني أبو عبدالله محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل قال: دعاني إسحاق يوماً، فمضيت إليه وعنده الزبير بن دحمان وعلويه وحسين بن الضحاك، فمر لنا أحسن يوم، فالتفت إلى إسحاق ثم قال: يومنا هذا والله يا أبا العباس كما قال الشاعر:

أنت والله من الأي ... ام لدن الطرفين
كلما قلبت عي ... ني ففي قرة عين

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت يوماً على الواثق فقال لي: يا إسحاق، إني أصبحت اليوم قرماً إلى غنائك فغنني، فغنيته:

من الظباء ظباء همها السخب ... ترعى القلوب وفي قلبي لها عشب
لايغترين ولايسكن بادية ... وليس يدرين ماضرع ولاحلب
إذا يد سرقت فالقطع يلزمها ... والقطع في سرق بالعين لايجب

قال: فشرب عليه بقية يومه وبعض ليلته، وخلع علي خلعة من يابه.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: خرجت مع الواثق إلى الصالحية وهو يريد النزهة، فذكرت بغداد وعيالي وأهلي وولدي بها فبكيت، فقال لي: بحياتي أذكرت بغداد فبكيت شوقاً إليها. فقلت: نعم، وغنيته:

وما زلت أبكي في الديار وإنما ... بكائي على الأحباب ليس على الدار

قال: فأمر لي بمائة ألف درهم وصرفني.

وأخبرني محمد بن مزيد بهذا الخبر عن حماد بن إسحاق عن أبيه، وحدثني به علي بن هارون عن عمه عن حماد عن أبيه وخبره أتم، قال: ما وصلني أحد من الخلفاء قط بمثل ما وصلني به الواثق. ولقد انحدرت معه إلى النجف، فقلت له: يا أمير المؤمنين، قد قلت في النجف قصيدة، فقال: هاتها، فأنشدته:

ياراكب العيس لاتعجل بنا وقف ... نحي داراً لسعدى ثم ننصرف

حتى أتيت على قولي:

لم ينزل الناس في سهل ولا جبل ... أصفى هواءً ولا أعذى من النجف
حفت ببر وبحرمن جوانبها ... فالبر في طرف والبحر في طرف
وما يزال نسيم من يمانية ... يأتيك منها بريا روضة أنف

فقال: صدقت يا إسحاق، هي كذلك. ثم أنشدته حتى أتيت على قولي في مدحه:

لا يحسب الجود يفني ماله أبداً ... ولا يرى بذل ما يحوي من السرف

ومضيت فيها حتى أتممتها، فطرب وقال: أحسنت والله يا أبا محمد، وكناني يومئذ، وأمر لي بمائة ألف لدرهم وانحدر إلى الصالحية التي يقول فيها أبو نواس: بالصالحية من كناف كلواذ.

فذكرت الصبيان وبغداد فقلت:

أتبكي على بغداد وهي قريبة ... فكيف إذا ما ازددت منها غداً بعدا
لعمرك مافارقت بغداد عن قلى ... لو أنا وجدناعن فراق لها بدا
إذا ذكرت بغداد نفسي تقطعت ... من الشوق أوكادت تموت بها وجدا
كفى حزنا أن رحت لم أستطع لها ... وداعاً ولم أحدث بساكنها عهدا

قال: فقال لي: يا موصلي، أشتقت إلى بغداد. فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن من أجل الصبيان، وقد حضرني بيتان، فقال: هاتهما، فأنشدته:

حننت إلى الأصيبية الصغار ... وشاقك منهم قرب المزار
وأبرح ما يكون الشوق يوماً ... إذا دنت الديار من الديار

فقال لي: يا إسحاق، صر إلى بغداد فأقم مع عيالك شهراً ثم صر إلينا، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم.

أخبرنا يحيى بن علي قال أخبرني أبي قال: لما صنع الواثق لحنه في:

أيا منشر الموتى أقذني من التي ... بها نهلت نفسي سقاماً وعلت
لقد بخلت حتى لو أني سألتها ... قذى العين من سافي التراب لضنت

أعجب به إعجاباً شديداً، فوجه بالشعر إلى إسحاق الموصلي وأمره أن يغني فيه، فصنع فيه لحنه الثقيل الأول، وهو من أحسن صنعة إسحاق، فلما سمعه الواثق عجب منه وصغر لحنه في عينه، وقال: ما كان أغنانا أن نأمر إسحاق بالصنعة في هذا الشعر، لأنه قد أفسد علينا لحننا. قال علي بن يحيى قال إسحاق: ما كان يحضر مجلس الواثق أعلم منه بهذا الشأن.

أيا متشر الموتى أقذني من التي ... بها نهلت نفسي سقاماً وعلت
لقد بخلت حتى لو أني سألتها ... قذى العين من سافي التراب لضنت

الشعر لأعرابي، والغناء للواثق ثاني ثقيل في مجرى البنصر. وفيه لمخارق رمل، ولعريب رمل. ومن الناس من ينسب هذا الشعر إلى كثير، وهو خطأ من قائله.

أنشدني هذه الأبيات عمي قال: أنشدني هارون بن علي بن يحيى، وأنشدنيها علي بن هارون عن أبيه عن جده عن إسحاق أنه أنشده لأعرابي فقال:

ألا قاتل الله الحمامة غدوةً — على الغصن ماذا هيجت حين غنت

تغنت بصوت أعجمي فهيجت — من الشوق ما كانت ضلوعي أجنت

غنى في هذين البيتين عمرو بن بانة ثاني ثقيل بالوسطى.

فلو قطرت عين امرىء من صبابة — دماً قطرت عيني دماً فألمت

فما سكتت حتى أويت لصوتها — وقلت ترى هذي الحمامة جنت

ولي زفرات لو يدمن قتلنني — بشوق إلى نأي التي قد تولت

إذا قلت هذي زفرة اليوم قد مضت — فمن لي بأخرى في غد قد أظلت

فيا محيي الموتى أقدني من التي — بها نهلت نفسي سقاماً وعلت

لقد بخلت حتى لو أني سألتها — قذى العين من سافي التراب لضنت

فقلت ارحلا يا صاحبي فليتني — أرى كل نفسى أعطيت ما تمنت

حلفت لها بالله ما أم واحد — إذا ذكرته آخر الليل حنت

وما وجد أعرابية قذفت بها — صروف النوى من حيث لم تك ظنت

إذا ذكرت ماء العضاه وطيبه — وبرد الحمى من بطن خبت أرنت

بأكثر مني لوعةً غير أنني — أجمجم أحشائي على ما أجنت

وأما لحن إسحاق فإنه غنى في:

لقد بخلت حتى لو أني سألتها

وأضاف إليه شيئاً آخر وليس من ذلك الشعر، وهو:

فإن بخلت فالبخل منها سجية — وإن بذلت أعطت قليلاً وأكدت

قال: ولحنه ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى.

أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى الصولي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي، وحدثني به عمي عن أبي جعفر بن دهقانة النديم عن أبيه قال:

كان الواثق إذا صنع صوتاً قال لإسحاق: هذا وقع إلينا البارحة فاسمعه، فكان ربما أصلح فيه الشيء بعد الشيء.

فكاده مخارق عنده وقال له: إنما يستجيد صنعتك إذا حضر ليقاربك ويستخرج ما عندك، فإذا فارق حضرتك قال في صنعتك غير ما تسمع، قال الواثق: فأنا أحب أن أقف على ذلك، فقال له مخارق: فأنا أغنيه، أيا منشر الموتى، فإنه لم يعلم أنه لك ولا سمعه من أحد، قال: فافعل. فلما دخل إسحاق غناه مخارق وتعمد لأن يفسده بجهده، وفعل ذلك في مواضع خفية لم يعلمها الواثق من قسمته، فلما غناه قال له الواثق: كيف ترى هذا الصوت. قال له: فاسد غير مرضي، فأمر به فسحب من المجلس حتى أخرج عنه، وأمر بنفيه إلى بغداد. ثم جرى ذكره يوماً. فقالت له فريدة: يا أمير المؤمنين، إنما كاده مخارق فأفسد عليه الصوت من حيث أوهمك أنه زاد فيه بحذقه نغماً وجودةً، وإسحاق يأخذ نفسه بقول الحق في كل شيء ساءه أو سره، ويفهم من غامض علل الصنعة ما لا يفهمه غيره، فليحضره أمير المؤمنين ويحلفه بغليظ الأيمان أن يصدقه عما يسمع، وأغنيه إياه حتى يقف على حقيقة الصوت، فإن كان فاسداً فصدق عنه لم يكن عليه عتب، ووافقناه عليه حتى يستوي، فليس يجوز أن نتركه فاسداً إذا كان فيه فساد، وإن كان صحيحاً قال فيه ما عنده، فأمر بالكتاب بحمله فحمل وأحضر، فأظهر الرضا عنه ولزمه أياماً، ثم أحلفه ليصدقن عما يمر في مجلسه فحلف له. ثم غنى الواثق أصواتاً يسأله عنها أجمع فيخبر فيها بما عنده، ثم غنته فريدة هذا الصوت وسأله الواثق عنه، فرضيه واستجاده، وقال له: ليس على هذا سمعته في المرة الأولى، وأبان عن المواضع الفاسدة وأخبر بإفساد مخارق إياها، فسكن غضبه ووصل إسحاق وتنكر لمخارق مدة.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني إسحاق الموصلي: أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطاهري، وقد كان تكلم له في حاجة فقضيت، فقال له: أعطاك الله أيها الأمير ما لم تحط به أمنية ولا تبلغه رغبة. قال: فاشتهى هذا الكلام واستعاده مني فأعدته. ثم مكثنا ما شاء الله، وأرسل الواثق إلى محمد بن إبراهيم يأمره بإخراجي إليه في الصوت الذي أمرني به بأن أغني فيه، وهو:

لقد بخلت حتى لو أني سألتها

فغنيته إياه، فأمر لي بمائة ألف درهم. فخرجت وأقمت ما شاء الله ليس أحد من مغنيهم يقدر أن يأخذ هذا الغناء مني. فلما طال مقامي قلت له: يا أمير المؤمنين، ليس أحد من هؤلاء المغنين يقدر أن يأخذ هذا الصوت مني، فقال لي: و لم. ويحك. فقلت: لأني لا أصححه ولا تسخو نفسي به لهم، فما فعلت الجارية التي أخذتها مني. يعني شجاً، وهي التي كان أهداها إلى الواثق وعمل مجرد أغانيها وجنسه ونسبه إلى شعرائه ومغنيه، وهو الذي قي أيدي الناس إلى اليوم، فقال: وكيف. قال: لأنها تأخذه مني ويأخذونه هم منها، فأمر بها فأخرجت وأخذته على المكان، فأمر لي بمائة ألف درهم وأذن لي في الانصراف، وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهري حاضراً، فقلت للواثق عند وداعي له: أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تحط به أمنية و لم تبلغه رغبة، فالتفت إلي إسحاق بن إبراهيم فقال لي: أي إسحاق أتعيد الدعاء، فقلت: إي والله أعيده قاض أنا أو مغن. وقدمت بغداد، فلما وافى إسحاق جئته مسلماً عليه، فقال لي: ويحك يا إسحاق أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده. قلت:

لا أيها الأميرة قال قال لي: ويحك. كنا أغنىالناس عن أن نبعث إسحاق على لحننا حتى أفسده علينا. قال علي بن يحيى: فحدثني إسحاق قال: استأذنت الواثق عدة دفعات في الانحدار إلى بغداد فلم يأذن لي، فصنعت لحناً في:

خليلي عوجاً من صدور الرواحل

ثم غنيته الواثق فاستحسنه وعجب من صحة قسمته ومكث صوته أياماً، ثم قال لي: يا إسحاق، قد صنعت لحناً في صوتك في إيقاعه وطريقته، وأمر من وراء الستارة فغنوه فقلت: قد والله يا أمير المؤمنين بغضت إلي لحني وسمجته عندي، وقد كنت استأذنته في الانحدار إلى بغداد فلم يأذن لي، فلما صنع هذا اللحن وقلت له ما: قلت، أتبعته بأن قلت له: قد والله يا أمير المؤمنين افتصضت مني في القد بخلت وزدت فأذن لي بعد ذلك.

خليلي عوجا من صدور الرواحل   بجرعاء حزوى فابكيا في المنازل

لعل انحدار الدمع يعقب راحة   من الوجد أو يشفي نجي البلابل

الشعر لذي الرمة، والغناء لإسحاق رمل بالوسطى في البيتين. وللواثق في البيت الثاني وحلى رمل بالبنصر.
أخبرني أحمد بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني كثير بن أبي جعفر الحزامي الكوفي عن أحمد بن جواس الحنفي عن أبي بكر بن عياش قال: كنت إذا أصابتني المصيبة تصبرت وأمسكت عن البكاء، فأجد ذلك يشتد علي، حتى مررت ذات يوم بالكناسة، فإذا أنا بأعرابي واقف على ناقة له وهو ينشد:

خليلي عوجا من صدور الرواحل   بجزعاء حزوى فابكيا في المنازل

لعل انحدارالدمع يعقب راحة   من الوجد أو يشفي نجي البلابل

فسألت عنه فقيل لي: هذا ذو الرفة فكنت بعد إذا أصابتني مصيبة بكيت فأجد لذلك راحة، فقلت: قاتل الله الأعراب، ما كان أعلمه وأفصح لهجته.
أخبرنا يحيى بن علي عن أبيه قال: قلت لإسحاق: أيما أجود، لحنك في خيلي عوجاً، أم لحن الواثق. فقال: لحني أجود قسمةً وأكثر عملاً، ولحنه أطرب، لأنه جعل ردته من نفس قسمته، وليس يقدر على أدائه إلا متمكن من نفسمه. قال على بن يحيى: فتأملت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق. قال وقال لي إسحاق: ما كان بحضرة الواثق أعلم منه بالغناء.
أخبرني علي بن هارون قال: كان عبدالله بن المعتز يحلف أن الواثق ظلم نفسه في تقديمه لحن إسحاق في، لقد بخلت. قال: ومن الدليل على ذلك أنه قلما غني في صوت واحد بلحنين فسقط أجودهما وشهر الدون، ولا يشهر من اللحنين إلا أجودهما، ولحن الواثق أشهرهما، وما يروي لحن إسحاق إلا العجائز ومن كثرت روايته.
حدثني جحظة عن ابن المكي المرتجل عن أبيه أحمد بن يحيى قال: كان الواثق يعرض صنعته على إسحاق فيصلح فيها الشيء بعد الشيء.

أخبرنا حسين بن يحيى عن حماد: أن آخر صوت صنعه أبوه: لقد بخلت، ثم ما صنع شيئاً حتى مات.

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال: دخل أعرابي من بني سليم سر من رأى - وكان يكنى أبا القنافذ - فحضر باب المعتصم مع الشعراء فأذن له، فلفم مثل بين يديه أنشده:

مراض العيون خماص البطون طوال المتون قصار الخطا
عتاق النحور قاق الثغور لطاف الخصور خدال الشوى
عطابيل من كل رقراقة تلوث الإزار بدعص النقا
إذا هن منيننا نائلاً أبى البخل منهن ذاك المنى
إلى النفرالبيض أهل البطاح وأهل السماح طلبنا الندى
لهم سطوات إذا هيجوا وحلم إذا الجهل حل الحبا
يبين لك الخيرفي أوجه لهم كالمصابيح تجلوالدجى
سعى الناس كي يدركوا فضلهم فقصرعن سعيهم من سعى
سعى للخلافة فاقتادها وبرزفي السبق لما جرى

قال: فاستحسنها المعتصم وأمرني فغنيت فيها، وأمر للأعرابي بعشرين ألف درهم ولي بثلاثين ألف درهم، وما خرج الناس يومئذ إلا بهذه الأبيات.

حدثني عمي قال حدثني فضل اليزيدي عن إسحاق قال: كتبت إلى علي بن هشام أطلب منه نبيذاً، فبعث إلي جمان بما التمست، وكتب إلي: قد بعثت إليك بشراب أصلب من الصخر، وأعتق من الدهر، وأصفى من القطر.

حدثني جحظة قال حدثني أبو عبدالله الهشامي عن أحمد المكي قال: لما صنع إسحاق لحنه في الرمل:

أماوي إن المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر
وقدعلم الأقوام لوأن حاتما يريد ثراء المال كان له وفر

وهو رمل نادر، ابتداؤه صياح، ثم لا يزال يترل على تدريج حتى يقطعه على سجحة، وكان كثير الملازمة لعبدالله بن طاهر، ثم تخلف عنه مدة وذلك في أيام المأمون، فقال عبدالله للميس جاريته: خذي لحن إسحاق في:

أماوي إن المال غاد ورائح

فاخلعيه علي:

وهبت شمال آخر الليل قرة ولا ثوب إلا بردها وردائيا

وألقيه على كل جارية تعلمينها واشهريه وألقيه على من يجيده من جواري زبيدة، وقولي: أخذته من بعض عجائز المدينة، ففعلت، وشاع أمره حتى غني به بين يدي المأمون، فقال المأمون للجارية: ممن أخذت هذا.
فقالت: من دار عبدالله بن طاهر من لميس جاريته، وأخبرتني أنها أخذته من بعض عجائز المدينة. فقال المأمون لإسحاق: ويلك، قد صرت تسرف الغناء وتدعيه، اسمع هذا الصوت، فسمعه فقال: هذا وحياتك لحني، وقد وقع علي فيه نقب من لص حاذق، وأنا أغوص عليه حتى أعرفه، ثم بكر إلى عبدالله بن طاهر فقال: أهذا حقي وحرمتي وخدمتي، تأخذ لميس لحني في:

أماوي إن المال غاد ورائح

فتغنيه في: وهبت شمال، وليس بي ذلك، ولكن بي أنها فضحتني عند الخليفة وادعت أنها أخذته من بعض عجائز المدينة، فضحك عبدالله وقال: لو كنت تكثر عندنا كما كنت تفعل لم تقدم عليك لميس ولا غيرها، فاعتذر فقبل عذره، وقال له: أي شيء تريد. قال: أريد أن تكذب نفسها عند من ألقته عليها حتى يعلم الخليفة بذلك، قال: أفعل، ومضى اسحاق إلى المأمون وأخبره القصة، فاستكشفها من لميس حتى وقف عليها، وجعل يعبث بإسحاق بذلك مدة.
حدثني جحظة قال حدثني عبيد الله بن عبدالله بن طاهر قال حدثتني شهوات الصناجة التي كان إسحاق، أهداها إلى الواثق: أن محمدا الأمين لما غناه إسحاق لحنه الذي صنعه في شعره وهو الثميل الأول:

يأيها القائم الأمين فدت ... نفسك نفسي بالمال والولد
بسطت للناس إذ وليتهم ... يداً من الجود فوق كل يد

فأمر له بألف ألف درهم، فرأيتها قد وصلت إلى داره يحملها مائة فراش.
حدثني جحظة ومحمد بن خلف بن المرزبان قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: غنيت الواثق:

عفا طرف القرية فالكثيب ... إلى ملحاء ليس بهاعريب
تأبد رسمها وجرى عليها ... سوافي الريح والترب الغريب

- ولحنه ثقيل ثان - قال: فقال لي: يا إسحاق، قد أحسن ابن هرمة في البيتين، فأي شيء هو أحسن صفيهما من جميعهما. قال قلت: قوله: الترب الغريب، يريد أن الريح جاءت إلى الأرض بتراب ليس منها فهو غريب جاءت به من موضع بعيدة فقال: صدقت وأحسنت، وأمر لي بخمسين ألف درهم.
حدثني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال: كنا يوماً عند أحمد بن المدبر، فغناه مغن كان عنده لحن إسحاق:

فأصبحت كالحومان ينظر حسرةً ... إلى الماء عطشانا وقد منع الوردا

وقال ابن المدبر: زد فيه:

وأمسيت كالمسلوب مهجة نفسه | يرى الموت في صد الحبيب إذا صدا

لحن إسحاق في هذا البيت من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

حدثني الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد الأزدي قال حدثني شيخ من ولد المهلب قال: دخل مروان بن أبي حفصة يوماً على إبراهيم الموصلي، فجعلا يتحدثان إلى أن أنشد إسحاق بن إبراهيم مروان بن أبي حقصة لنفسه:

إذا مضر الحمراء كانت أرومتي | وقام بنصري خازم وابن خازم

عطست بأنف شامخ وتناولت | يداي الثريا قاعداً غير قائم

قال: وجعل إبراهيم يحدث مروان وهو عنه ساه مشغول، فقال له: مالك لا تجيبني؟ قال: إنك والله لا تدري ما أفرغ ابنك هذا في أذني.

حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني موسى بن هارون عن يعقوب بن بشرقال: كنت مع إسحاق الموصلي في نزهة، فمر بنا أعرابي، فوجه إسحاق خلفه بغلامه زياد الذي يقول فيه:

وقولا لساقينا زياد يرقها | فقد هد بعض القوم سقي زياد

قال: فوافانا الأعرابي، فلما شرب وسمع حنين الدواليب قال:

بكرت تحن وما بها وجدي | وأحن من وجد إلى نجد

فدموعها تحيا الرياض بها | ودموع عيني أقرحت خدي

وبساكني نجد كلفت وما | يغني لهم كلفي ولاوجدي

لو قيس وجد العاشقين إلى | وجدي لزادعليه ماعندي

قال: فما انصرف إسحاق إلى بيته إلا محمولاً سكراً، وما شرب إلا على هذه الأبيات.

والغناء فيها لإسحاق هزج بالبنصر.

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني به الحسن بن علي عن عبدالله بن أبي سعد عن محمد بن عبدالله عن إسحاق قال: دخلت على الفضل بن الربيع وهو على بساط سوسنجردي ستيني مذهب يلمع عليه مكتوب: مما أمر بصنعته حماد عجرد، فقال لي: أتدري من حفاد عجرد. قلت: لا قال: حماد عجرد، كان والي تلك الناحية، أفرأيت مثله قط. قلت: لا، فسكت ثم قلت: أهكذا يفعل الناس. قال: أفي شيء يفعلونه. قلت: هبه لي، قال: لا أفعل، قلت: إذا أغضب قال: ما شئت افعل، فخرجت متغاضباً، فلما وافيت مترلي إذا برسوله قد لحقني بالبساط، فكتبت إليه بيتين لحمزة بن مضر:

ولقد عددت فلست أحصي كل ما قد نلت منك من المتاع المونق
بخديعتي فأراك منخدعاً لها وفكاهتي وتغضبي وتملقي

- قال ابن أبي سعد في خبره:- فلما دخلت عليه ضحك وقال لي: البيتان خير من البساط، فالفضل الآن لك.

أخبرني يحيى بن علي وأحمد بن جعفر جحظة عن أبي العبيس بن حمدون عن عمرو بن بانة قال: رأيت إبراهيم بن المهدي يناظر إسحاق في الغناء، فتكلما بما فهماه و لم أفهم منه شيئاً، فقلت لهما: لئن كان ما أنتما فيه من الغناء فمانحن منه في قليل ولاكثير.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبي قال حدثني إسحاق قال: قدمت على الواثق في بعض قدماتي، فقال لي: أما اشتقت إلي. فقلت: بلى والله يا أمير المؤمنين، وأنشدته:

أشكو إلى الله بعدي عن خليفته وما أعالج من سقم ومن كبر
لا أستطيع رحيلاً إن هممت به يوماً إليه ولا أقوى على السفر
أنوي الرحيل إليه ثم يمنعني ما أحدث الدهر والأيام في بصري

قال: و قال وقد أشخصه إليه قصيدته الدالية:

ضنت سعاد غداة البين بالزاد وأخلفتك فما توفي بميعاد
ما أنس لا أنس منها إذ تودعنا والحزن منها وإن لم تبده بادي

لإسحاق في هذين البيتين رمل بالوسطى، يقول فيهما:

لما أمرت بإشخاصي إليك هفا قلبي حنيناً إلى أهلي وأولادي
ثم اعتزمت ولم أحفل بينهم وطابت النفس عن فضل وحماد
كم نعمة لأبيك الخير أفردني بها وعم بأخرى بعد إفراد
فلوشكرت أياديكم وأنعمكم لما أحاط بها وصفي وتعدادي
لأشكرنك ماناح الحمام وما حداعلى الصبح في إثر الدجى حادي

قال علي بن يحيى: قال لي أحمد بن إبراهيم: يا أبا الحسن، لو قال الخليفة لإسحاق: أحضرني فضلاً وحماداً أليس كان قد افتضح من دمامة خلقهما وتخلف شاهدهما.

حدثني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال: كتب أبي إلى إسحاق في شيء خالله فيه من التجزئة والقسمة: لا إلى من أحاكمك والناس بيننا حمير.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا سليمان بن أيوب قال حدثني محمد بن عبدالله بن مالك الخزاعي قال حدثنا إسحاق قال: كنت مع الرشيد حين خرج إلى الرقة، فدخل يوماً إلى النساء، وخرجث فمضيت إلى تل

عزاز، فترلت عند خمارة. هناك فسقتني شراباً لم أر مثله حسناً وطيباً وطيب رائحة في بيت مرشوش وريحان غض، وبرزت بنت لها كأنها خوط بان أو جدل عنان، لم أر أحسن منها قدا، ولا أسيل خداً، ولا أعتق وجهاً، ولا أبرع ظرفاً، ولا أفتن طرفأ، ولا أحسن كلاماً، ولا أتم تماماً، فأقمت عندها ثلاثاً والرشيد يطلبني فلا يقدر علي، ثم انصرفت فذهبت بي رسله، فدخلت عليه وهو غضبان، فلما رأيته خطرت في مشيتي ورقصت، وكانت في فضلة من السكر، وغنيت:

إن قلبى بالتل تل عزاز | عند ظبي من الظباء الجوازي
شادن يسكن الشآم وفيه | مع دل العراق ظرف الحجاز
يالقومي لبنت قس أصابت | منك صفو الهوى وليست تجازي
حلفت بالمسيح أن تنجز الوع | د وليست تجود بالإنجاز

الغناء لإسحاق خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة - قال إسحاق: فسكن غضبه، ثم قال لي: أين كنمت؟ فأخبرته، فضحك وقال: إن مثل هذا إذا اتفق لطيب، أعد غناءك، فأعدته، فأعجب به، وأمرني أن أعيده ليلة من أولها إلى آخرها، وأخذها المغنون مني جميعاً وشربنا إلى طلوع الفجر، ثم انصرفنا فصليت الصبح ونمت، فما استقررنا حتى أتى إلي رسول الرشيد فأمرني بالحضور، فركبت ومضيت، فلما دخلت وجدت ابن جامع قد طرح نفسه يتمرغ على دكان في الدار لغلبة السكر عليه، ثم قال: أتدري لم دعينا. فقلت: لا والله، قال: لكني أدري، دعينا بسبب نصرانيتك الزانية، عليك وعليها لعنة الله، فضحكت. فلما دخلت على الرشيد أخبرته بالقصة، فضحك وقال: صدق، عودوا فيه فإني اشتقت إلى ما كنا فيه لما فارقتموني، فعدنا فيه يومنا كله حتى انصرفنا.

أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال: كان إسحاق قد أظهر التوبة وغير زيه واحتجر من حضور دار السلطان. فبلغه أن المأمون وجد عليه من ذلك وتنكر، فكتب إسحاق إليه وغنى فيه بعد ذلك:

يابن عم النبي سمعاً وطاعه | قد خلعنا الرداء والدراعه
ورجعنا إلى الصناعة لما كان | سخط الإمام ترك الصناعه

الغناء لإسحاق رمل بالبنصر عن عمرو - وقد ذكر الغلابي أن هذا الشعر لأبي العتاهية، قاله لما حبسه الرشيد وأمره بأن يقول الشعر - وذكر حبش أن هذا اللحن لإبراهيم.

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي قال: لي محمد بن الحسن بن مصعب، وكان بصيراً بالغناء والنغم: لحن إسحاق في لاتشكى الكميت الجري، أحسن من لحن ابن سريج، ولحنه في لم يوم تبدى لنا قتيلة، أحسن من لحن معبد، وذلك من أجود صنعة معبد. قال: فأخبرت إسحاق بقوله، فقال: قد والله أخذت بزمامي راحلتيهما

وزعزعتهما وأنخت بهما فما بلغتهما. فأخبرت بذلك محمد بن الحسن، فقال: هو والله يعلم أنه برز عليهما، ولكنه لا يدع تعصبه للقدماء.

وأخبرني - جحظة قال حدثني حماد بن إسحاق: أن رجلاً سال أباه فقال له: إن الناس قد كثروا في صوتيك: تشكى الكميت الجري، و يوم تبدى لنا قتيلة، وقالوا: إنهما أجود من لحني ابن سريج ومعبدة قال أبي: ويحك، رميت في هذين الصوتين بمعبد وابن سريج وهما هما، فقربت ووقع القياس بيني وبينهما، وعلى ذلك فقد والله أخذت بزمامي راحلتيهما وانتصفت منهما.

قرأت في بعض الكتب أن محمد بن الحسن - أظنه ابن مصعب - ذكر إسحاق الموصلي فقال: كانت صنعته محكمة الأصول، ونغمته عجيبة الترتيب، وفسمته معدلة الأوزان، وكان يتصرف في جميع بسط الإيقاعات، فأي بساط منها أراد أن يتغنى فيه صوتاً قصد أقوى صوت. جاء في ذلك البساط لحذاق القدماء فعارضه: وقد كان يذهب مذهب الأوائل، ويسلك سبيلهم، ويقتحم طرقهم، فيبني على الرسم فيصنعه، ويحتذى على المثال فيحكيه، فتأتي صنعته قوية وثيقة يجمع فيها حالتين: القوة في الطبع وسهولة المسلك، وخنثاً بين كثرة النغم وترتيبها في الصياح والإسجاح، فهي بصنعة الأوائل أشبه منها بصنعة المتوسطين من الطبقات، فأما المتأخرون فأحسن أحوالهم أن يزووها فيردوها. وكان حسن الطبع في صياحه، حسن التلطف، لتزيله من الصياح إلى الإسجاح على ترتيب بنغم يشاكله، حتى تعتدل وتتزن أعجاز الشعر في القسمة بصدوره. وكذلك أصواته كلها، وأكثرها يبتدىء الصوت فيصيح فيه وذلك مذهبه في جل غنائه، حتى كان كثير من المغنين يلقبونه الملسوع، لأنه يبدأ بالصياح في أحسن نغمة فتح بها أحد فاه، ثم يرد نغمته فيرجحها ترجيحاً ويتزلها تتزيلاً حتى يحطها من تلك الشدة إلى ما يوازيها من اللين، ثم يعود فيفعل مثل ذلك، فيخرج من شدة إلى لين ومن لين إلى شدة، وهذا أشد ما يأتي في الغناء وأعز ما يعرف من الصنعة. قال يحيى بن علي بن يحيى وقد ذكر إسحاق في صدر كتابه الذي ألف في أخباره أوزاد في بعض ما صنعه: وكان إسحاق أعلم أهل زمانه بالغناء، وأنفذهم في جميع فنونه، وأضربهم بالعود وبأكثر آلات الغناء، وأجودهم صنعة، وقد تشبه بالقديم وزاد في بعض ما صنعه عليه، وعارض ابن سريج ومعبداً فانتصف منهما، وكان إبراهيم بن المهدي ينازعه في هذه الصناعة و لم يبلغه فيها، و لم يكن بعد إسحاق مثله.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني إبراهيم بن علي بن هشام: قال إسحاق وذكر صوته:

كان افتتاح بلائي النظر فالحين سبب ذاك و القدر

قد كان باب الصبرمفتتحاً فاليوم أغلق بابه النظر

الشعر والغناء لإسحاق قيل أول مطلق في مجرى البنصر. وفيه لأحمد بن المكي خفيف قيل، ولعريب ثاني قيل، جميعاً عن الهشامي - قال إسحاق: ما شبهت صوتي هذا إلا بإنسان أخذ الكرة على الطبطابة وأهل الميدان جميعاً خفله، فلما بلغ أقصى ضربها أحجزها.

خبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن يزيد المهلبي قال حدثني إسحاق، وأخبرنا يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني عن ابن المكي عن إسحاق قال: صنعت هذا الصوت في آخر أيام الرشيد وكان إذ ذاك يحيى بن معاذ يشرب النبيذة، فلما كان في أيام محمد غنيته، فاشتهاه واشتهر به، وبعث إلى يحيى بن معاذ وأنا أغنيه:

اسقني وابن نهيك		وابن يحيى بن معاذ

فلما حضر يحيى غنيت:

فاسقني واسق نهيكاً		واسق يحيى بن معاذ

فبعث إليه محمد فأحضره فقال: لتشربن أو لأعاقبنك، فلم يبرح حتى شرب قدحاً، وغلفه وأمر له بمال، وسر بذلك محمد ووهب لي عليه مالاً، وانصرفت إلىالبيت، فجاءني رسول يحيى بن معاذ فصرت إليه، فلم يزل يستحلفني ألا أعود في هذا الصوت قدام محمد أبداً، وأمر لي من المال بشيء فلم أقبله، ولم أعد فيه.

شعر علي بن هشام الذي غنى فيه:

يومنا يوم رذاذ		واصطباح والتذاذ

فاسقنى وابن نهيك		وابن يحيى بن معاذ

من كميت عتقت للش		يخ كسرى بن قباذ

ليس للمرء من اله		م سواها من ملاذ

الشعر لعلي بن هشام، والغناء لإسحاق قيل أول بالبنصر عن عمرو.

أخبرني بقوله علي بن هشام والحسن بن علي قالا حدثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم الهاشمي قال حدثني أبو عبدالله الهلالي قال: كنت عند علي بن هشام يوماً إذ رشت السماء رشاً وطشت، فأنشأ علي يقول:

يومنا يوم رذاذ		واصطباح والتذاذ

- وذكر الأبيات الأربعة - ثم قال لغلامه: اذهب إلى أحمد بن يحيى بن معاذ وقل له: يقول لك أخوك: هذا يوم طيب، فتعال أنت وغلاماك بنان وعثعث، فجاء إلى بابه الرسول وعليه غرماء له، فمنعوه الدخول عليه، فقال لهم: كم لكم عليه؟ قالوا: مائتا ألف درهم، فرجع الغلام إلى علي بن هشام فأخبره بالخبر ومبلغ مالهم عليه من الدين؟ فتمال له: احمل إليه مائتي ألف الدرهم وجيء به وبغلاميه الساعة فحملها، فجاء أحمد بن يحيى ومعه غلاماه، فقال لعلي بن هشام: لم تحملت هذا لي، أنا والله منتظر ما لا يجيء فأعطيهم، فقال له: مالي ومالك

واحد. فتغديت معهما حتى جاءت الحلواء فقال: أكثر من الحلواء فلست تدخل معنا في ديواننا يعني الشرب، فأكلت وغسلت يدي، فقال لغلامه سراج: احمل مع أبي عبدالله الهلالي لاثين ألف درهم، فانصرفت وهي معي.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا سليمان المدائني عن ابن المكي عن أبيه قال حدثني إسحاق قال: تعشقت جارية فقلت فيها:

هل إلى أن تنام عيني سبيل إن عهدي بالنوم عهد طويل

غاب عني من لا أسمي فعيني كل يوم عليه حزناً تسيل

- الشعر والغناء لإسحاق رمل بالبنصر عن عمرو. وفيه لعريب خفيف رمل آخر. وفيه لمحمد بن حمزة وجه القرعة خفيف قيل، وقيل: إنه لابن المكي. وفيه رمل بالوسطى ينسب إلى علويه وإلى حسين بن محرز - قال إسحاق: ثم ملكتها، فكنت مشغوفاً بها، حتى كبرت واعتلت علي عيناي، فذكرت هذا الصوت وأيامه المتقدمة، فما زلت أبكي وأذكر دهري الذي تولى. وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي عن يزيد المهلبي عن إسحاق، وليس هذا على التمام.

أخبرني جحظة عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال: دعا المأمون بإسحاق فأحضره، فأمره أن يغني في هذا الصوت فغنى:

هل إلى أن تنام عيني سبيل

فغناه، وكنت حاضراً فقلت: أحسن والله يا أمير المؤمنين، وما عدا بلحنه معنى شعره، فقال المأمون: فإنا نرد الحكم إلى من هو أعلم بذلك منك، فبعث إلى أبي يعني يحيى المكي فجيء به، فخبره بما قلت وما قال، وأمر إسحاق برد الصوت فرده، فقال يحيى: أحسن إسحاق في غنائه وأحسن ابني في استحسانه، إلا أن هذا اللحن يحتاج أن يسمع من غير حلق إسحاق، فضحك المأمون، وأمر لإسحاق بمال وأمر لأبي بمثله ولي بمثله. قال: و لم يكن في إسحاق شيء يعاب إلا حلقه، وكان يغلب الناس جميعاً بطبعه وحذقه.

قال: وأما السبب في علة عين إسحاق وضعف بصره، فأخبرني به محمد بن خلف وكيع قال حدثني به أبو أيوب المديني قال حدثني محمد بن عبدالله بن مالك الخزاعي: أن إبراهيم ابن أخي سلمة الوصيف نازع إسحاق في شيء بين يدي الرشيد من الغناء، فرد عليه، فشتمه، فرد عليه إسحاق وأربى في الرد، فقال له إبراهيم: أترد علي وأنا مولى أمير المؤمنين، فقال له: اسكت فإنك من موالي العيدين، فقال له الرشيد: وأي شيء موالي العيدين؟ فال: يا أمير المؤمنين، يشترى للخلفاء كل صانع وكل ضرب في العبيد للعتق، فيكون فيهم الحجام والحائك والسائس، فهو أحد هؤلاء الذين ذكرت. قال: وخرج إبراهيم فوقف له على طريقه، فلما جاز عليه منصرفاً ضرب رأسه بمقرعة فيها معول، فكان ذلك سبب ضعف بصر إسحاق. وبلغ الرشيد الخبر، فأمر بأن يحجب عنه إبراهيم، وحلف ألا يدخل عليه، فدس إلى الرشيد من غناه:

من لعبد أذله مولاه ماله شافع إليه سواه

يشتكي مابه إليه ويخشا ويرجوه مثل مايخشاه

- الشعر لأبي العتاهية، والغناء لإبراهيم ابن أخي سلمة الوصيف خفيف رمل. وفيه لعريب قيل أول. وقيل: إن لابن جامع فيه خفيف رمل آخر - فلما غني الرشيد بهذه الأبيات، سأل عن صاحب لحنها فعرفه، فحلف ألا يرضى عنه حتى يرضى إسحاق، فقام إسحاق فقال: قد رضيت عنه يا سيدي رضاء حسناً، وقبل الأرض بين يديه شكراً لما كان من قوله، فرضي عنه وأحضر وأمره بترضي إسحاق ففعل.

وأخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال: جاء إبراهيم ابن أخي سلمة إلى الرشيد فقال له: يا أمير المؤمنين، إني أحب أن تشرفني بأن تكون نوبتي ونوبة اسحاق الموصلي في مكان، وأن يكون دخولي إليك ودخوله في مكان، فان رأيت أن تجعل ذلك كما سألت فعلت، قال: قد فعلت، ولم أكن حاضراً لمسألته. فلما كان يوم دخولي عليه جاءني إبراهيم فدق بابي دقاً عنيفاً وعرفني الغلام خبره، فقلت له: يدخل فأبى وقال له: قل له اخرج أنت، فساء ظني، اغتممت، فخرجت إليه فقلت له: ما الخبر. قال: إن أمير المؤمنين يأمرك بالحضور ويأمرك ألا تدخل الدار إلا معي بعد أن أوجه إليك فتركب إلي وتمضي معي، فمضيت معه على رغمي وأنا منكسر، وكنت بقية يومي على تلك الحال. ثم ركبت إلى الفضل بن الربيع فشكوت ذلك إليه، فقال: ما أرى أمير المؤمنين يحلك هذا المحل، قم بنا إليه، فقمت معه، فدخل إلى الرشيد فقال له: يا أمير المؤمنين، إسحاق وخدمته وحقوق أبيه عليك وعلى أمير المؤمنين المهدي تضع مقداره أن تجعله مضموماً إلى إبراهيم ابن أخي سلمة، قال: لا والله ما فعلت هذا قال: إنه قد جاءني يبكي ويحلف إن جرى عليه هذا تاب من الغناء وتركه جملة، ثم لو قتل لم يعد إليه، فقال: ويحك، والله ما جرى من هذا شيء، إلا أن إبراهيم ابن أخي سلمة جاء فقال: تشرفني أن تجعل نوبتي مع نوبة إسحاق ووصولي مع وصوله ففعلت، فقل له: يجيء متى لاشاء وينفرد عنه ولا يجيء معه ولا كرامةً، فأخبرني فرجعت. فلما كانت نوبتي جاء إبراهيم إلي ففعل مثل فعله، فقلت لغلامي: أخرج إليه فقل له: ولا كرامة لك يا زاني يابن الزانية، لا أجيء معك ولا أدعك تجيء معي أيضاً، وشتمه أقبح شتم فخرج الغلام فأدى إليه الرسالة، فعلم أن هذا لم يتجرأ عليه إلا بعد توثق فخجل، فقال له: قل له: ومن أكرهك على هذا، إنما أحببت أن نصطحب ونتأنس في طريقنا، فإن كرهت هذا فلا تفعله، وانصرف ولم يعاودني بعدها.

أخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني عن ابن المكي عن أبيه قال: كان إسحاق إذا غنى هذا الصوت يأخذ بلحيته ويبكي:

إذا المرء قاسى الدهر وابيض رأسه وثلم تثليم الإناء جوانبه

فللموت خيرمن حياة خسيسة   تباعده طوراً وطوراً تقاربه

الشعر لزبان بن سيار الفزاري، حدثني بذلك الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمه. والغناء لإسحاق رمل بالوسطى.

أخبرنا محمد بن مزيد والحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، وأخبرنا يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق قال: أقام المأمون بعد قدومه عشرين شهراً لا يسمع حرفاً من الأغاني، فكان أول من تغنى بحضرته أبو عيسى بن الرشيد، ثم واظب على السماع متستراً متشبهاً في أول أمره بالرشيد، فأقام كذلك أربع حجج، ثم ظهر إلى الندماء والمغنين. وكان حين أحب السماع سأل عني، فجرحت بحضرته، وقال الطاعن علي: ما يقول أمير المؤمنين في رجل يتيه على الخلافة، قال المأمون: ما أبقى هذا من التيه شيئاً إلا استعمله. فأمسك عن ذكري، وجفاني من كان يصلني، لسوء رأيه الذي ظهر في، فأضر ذلك بي، حتى جاءني علويه يوماً فقال لي: أتأذن لي في ذكرك؟ فإنا قد دعينا اليوم، فقلت: لا، ولكن غنه بهذا الشعر، فإنه سيبعثه على أن يسألك: لمن هذا، فإذا سألك انفتح لك ما تريد، وكان الجواب أسهل عليك من الابتداء، فقال: هات، فألقيت عليه لحني في شعري:

يا سرحة الماء قد سدت موارده   أما إليك طريق غير مسدود

لحائم حام حتى لاحيام له   محلأ عن طريق الماء مطرود

- الغناء لإسحاق رمل بالوسطى عنه وعن عمرو - قال: فمضى علويه، فلما استقر به المجلس، غناه بالشعر الذي أمرته، فما عدا المأمون أن يسمع الغناء حتى قال: ويحك يا علويه، لمن هذا؟ قال: يا سيدي، لعبد من عبيدك جفوته واطرحته من غير جرم، فقال: أإسحاق تعني. قال: نعم، قال: يحضر الساعة، فجاءني رسوله فصرت إليه. فلما دخلت عليه قال: ادن فدنوت، فرفع يديه مادهما، فانكببت عليه، واحتضنني بيديه، وأظهر من بري وإكرامي ما لو أظهره صديق مؤانس لصديقه لبره.

أخبرني محمد بن إبراهيم الجرجاني قريض قال: قال لي أحمد بن أبي العلاء: غنيت المعتضد يوماً وهو أمير صوت إسحاق:

يا سرحة الماء قد سدت موارده   أما إليك طريق غير مسدود

فطرب واستعاده مراراً، وقال: هذا والله الغناء الذي يخالط الروح ويمازج اللحم والدم.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو العبيس بن حفدون قال أخبرني أبي قال: لما غنى إسحاق في شعره هذا:

لأسماء رسم عفا باللوى أقام   رهيناً لطول البلى

تعاوره الدهرفي صرفه   بكر الجديدين حتى عفا

- الشعر لإسحاق من قصيدة مدح بها الرشيد، والغناء له ثاني ثقيل بالوسطى. وفيه لسليم قيل أول من رواية الهشامي، وذكر حبش أنه لإبراهيم بن المهدي- قال: فكان الناس يتهادونه كما يتهادون الطرفة والباكورة.

وقال أبو العبيس حدثني ابن مخارق: أن الواثق بعث إلى أبيه مخارق لما صنع إسحاق هذا الصوت ليلقيه عليه، فصادفه عليلاً - و لم يكن أحد يلقن عن إسحاق طرح الغناء كما يلقنه مخارق - فأعاد إليه الرسول ومعه محفة، وقال: لا بد أن يجيء على كل حال، فتحامل وصار إليه حتى أخذ الصوت عن إسحاق ورجع.

وذكر محمد بن الحسين الكاتب عن أبي حارثة الباهلي عن أخيه أبي معاوية: أن إسحاق كان يتحلى بالشجاعة والفروسية ويحب أن ينسب إليهما، ويركب الخيل ويتعلم بها آفة من الآفات المعترضة على العقول. وكان قد شهد بعض مشاهد الحروب فأصابه سهم فنكص على عقبيه، فقال أخوه طياب فيه:

وأنت تكلفت ما لا تطيق وقلت أنا الفارس الموصلي
فلما أصابتك نشابة رجعت إلى سنك الأول

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال: قال حمزة الزيات القارىء، يا موصلي، إن لي فيك رأياً، أفترضى مع فهمك وأدبك ورأيك أن يكون عوضك من الآخرة فضل مطعم على مطعم.

حدثني علي بن سليمان الأخفش قال أنشدني أبو سعيد السكري قال أنشدني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي لعمه يقول لإسحاق:

أئن تغنيت للشرب الكرام ألا رد الخليط جمال الحي فانفرقوا
وقيل أحسنت فاستدعاك ذاك إلى ما قلت ويحك لايذهب بك الخرق
وقيل أنت حسان الناس كلهم وابن الحسان فقد قالوا وقد صدقوا

فما بهذا تقوم النادبات ولا يثنى عليك إذا ماضمك الخرق

قال يحيى بن علي: إن هذه الأبيات تروى لابن المنذر العروضي وللأصمعي.

ا قال مؤلف هذا الكتاب: كان إسحاق يأخذ عن الأصمعي ويكثر الرواية عنه، ثم فسد ما بينهما، فهجاه إسحاق وثلبه وكشف للرشيد معايبه، وأخبره بقلة شكره وبخله وضعة نفسه وأن الصنيعة لا تزكو عنده، ووصف له أبا عبيدة معمر بن المثنى بالثقة والصدق والسماحة والعلم، وفعل مثل ذلك للفضل بن الربيع واستعان به، و لم يزل حتى وضع مرتبة الأصمعي وأسقطه عندهم، وأنفذوا إلى أبي عبيدة من أقدمه.

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: أنشدت الفضل بن الربيع أبياتاً كان الأصمعي أنشدنيها في صفة فرس:

كأنه في الجل وهو سامي مشتمل جاء من الحمام
يسور بين السرج واللجام سور القطامي إلى اليمام

قال: ودخل الأصمعي فسمعني أنشدها، فقال: هات بقيتها، فقلت له: ألم تقل إنه لم يبق منها شيء. فقال: ما بقي منها إلا عيونها، ثم أنشد بعد هذه الأبيات ثلاثين بيتاً منها، فغاظني فعله، فلما خرج عرفت الفضل بن الربيع قلة شكره لعارفة وبخله بما عنده، ووصفت له فضل أبي عبيدة معمر بن المثنى وعلمه ونزاهته وبذله لما عنده واشتماله على جميع علوم العرب، ورغبته فيه، حتى أنفذ إليه مالاً جليلاً واستقدمه فكنت سبب مجيئه به من البصرة.

أخبرني عمي قال حدثنا فضل اليزيدي عن إسحاق قال: جاء عطاء الملك بجماعة من أهل البصرة إلى قريب أبي الأصمعي، وكان ندلاً من الرجال، فوجده ملتفا في كسائه نائماً في الشمس، فركضه برجله وصاح به: يا قريب، قم ويلك، فقال له: هل لقيت أحداً من أهل العلم قط أو من أهل اللغة أو من العرب أو من الفقهاء أو من المحدثين. قال: لا والله، قال: ولا سمعت شيئاً ترويه لنا أو تنشدناه أو نكتبه عنك. قال: لا والله، فقال لمن حضر: هذا أبو الأصمعي، فاشهدوا لي عليه وعلى ما سمعتم منه، لا يقل لكم غداً أو بعده: حدثني أبي أو أنشدني أبي، ففضحه. قال الفضل: ثم مرض الأصمعي، وكان الحال بينه وبين إسحاق الموصلي انفرجت، فعاده أبو ربيعة، وكان يرغب في الأدب ويبر أهله، فقال له الأصمعي: أقرضني خمسة آلاف درهم، فقال: أفعل. فقال له أبو ربيعة: فأي شيء تشتهي سوى هذا. فقال: أشتهي أن تهدي إلي فصاً حسناً وسيفاً قاطعاً وبرداً حسناً وسرجاً محلى، فقال: أفعل، وبعث بذلك إليه لما عاد إلى منزله. وبلغ ذلك اسحاق فقال:

أليس من العجائب أن قرداً ... أصيمع باهليا يستطيل
ويزعم أنه قد كان يفتي ... أباعمرو ويسأله الخليل
إذا ما قال قال أبي عجبنا ... لما يأتي به ولما يقول
وما إن كان يدري ما دبير ... أبوه إن سألت وما قبيل
وجلله عطاء الملك عاراً ... تزول الراسيات ولا يزول
نصحت أبا ربيعة فيه جهدي ... وبعض النصح أحياناً ثقيل
فقل لأبي ربيعة إذ عصاني ... وجار به عن القصد السبيل
لقد ضاعت برودك فاحتسبها ... وضاع الفص والسيف الصقيل
وسرج كان للبرذون زيناً ... له في إثره جزعاً صهيل
وأما الخمسة الآلاف فاعلم ... بأنك غبنها لا تستقيل
وأن قضاءها فتعز عنها ... سيأتي دونه زمن طويل

حدثني محمد بق مزيد قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كنت جالساً بين يدي الواثق وهو ولي عهد، إذ خرجت وصيفة من القصر كأنها خوط بان، أحسن من رأته عيني قط، تقدم عدة وصائف بأيديهن المذاب والمناديل ونحو ذلك، فنظرت إليها نظر دهشٍ وهو يرمقني. فلما تبين إلحاح نظري قال: مالك يا أبا محمد قد انقطع كلامك وبانت الحيرة فيك، فتلجلجت، فقال لي: رمتك والله هذه الوصيفة فأصابت قلبك، فقلت: غير ملوم، فضحك ثم قال: أنشدني في هذا المعنى، فأنشدته قول المرار:

ألكني إليها عمرك الله يا فتى — بآية ما قالت متى هو رائح

وآيه ما قالت لهن عشيةً — وفي الستر حرات الوجوه ملائح

تخيرن أرماكن فارمين رميةً — أخا أسد إذ طرحته الطوارح

فلبسن مسلاس الوشاح كأنها — مهاة لها طفل برمان راشح

فقال له الواثق: أحسنت بحياتي وظرفت، اصنع فيها لحناً، فإن جاء كما نريد وأطربنا فالوصيفة لك فصنعت فيه لحناً وغنيته إياه، فاصطبح عليه وشرب بقية يومه وليلته حتى سكر، و لم يقترح علي غيره، وانصرفت بالجارية.

حدثني عمي قال حدثني فضل اليزيدي عن إسحاق قال: دخلت على الواثق يوماً وهو خاثر النفس، فأخذت عوداً من الخزانة ووقفت بين يديه فغنيته:

من الظباء ظباء همها السخب — ترعى القلوب وفي قلبي لها عشب

أهوى الظباء اللواتي لا قرون لها — وحليها الدر والياقوت والذهب

لايغتربن ولايسكن باديةً — وليس يعرفن ماصر ولاحلب

وفي الذين غدوا، نفسي الفداء لهم — شمس تبرقع أحياناً وتنتقب

ياحسن ماسرقت عيني وما انتهبت — والعين تسرق أحياناً وتنتهب

إذا يد سرقت فالقطع يلزمها — والقطع في سرق العينين لايجب

قال: فهش إلي ونشط ودعا بطعام خفيف وأكلنا واصطبح وأمر لي بمائة ألف درهم. و أخبرني به الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن علي بن الحسن عن إبراهيم بن محمد الكرخي عن إسحاق، فذكر مثله، وقال فيه: فأمر لي بعشرة آلاف درهم.

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عبيد الله بن عبدالله بن طاهر عن أخيه محمد قال: كان إسحاق الموصلي يدخل في مبطنة وطيلسان مثل زي الفقهاء على المأمون، فسأله إن يأذن له في دخول المقصورة يوم الجمعة بدراعة سوداء وطيلسان أسودة فتبسم المأمون وقال له: ولا كل هذا بمرة يا إسحاق، ولكن قد اشترينا منك هذه

المسألة بمائة ألف درهم حتى لا تغتم، وأمر بحملها إليه فحملت.

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عبيد الله بن عبدالله قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن أبي خالد الأسلمي: أنه ذكر إسحاق يوماً وكان يفضله ويعالم شأنه ويقدمه في الشعر تقديماً مفرطاً، فقال: ما قولكم في رجل محدث تشبه بذي الرمة وقال على لسانه شعراً وغنى فيه ونسبه إليه، فلم يشكك أحد سمعه أنه له ولا فطن لما فعل أحد إلا من حصل شعر ذي الرمة كله ورواه، فسئل أبو خالد عن هذا الشعر فقال:

ومدرجة للريح تيهاء لم تكن ليجشمها زميلة غير حازم

يضل بها الساري وإن كان هادياً وتقطع أنفاس الرياح النواسم

تعسفت أفري جوزها بشملة بعيدة مابين القرا والمناسم

كأن شرار المرو من نبذها به نجوم هوت أخرى الليالي العواتم

حدثني عمي وأحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا فضل اليزيدي عن إسحاق قال: غنيت المأمون يوماً هذين البيتين:

لأحسن من قرع المثاني ورجعها تواتر صوت الثغر يقرع بالثغر

وسكر الهوى أروى لعظمي ومفصلي من الشرب في الكاسات من عاتق الخمر

فقال لي المأمون: ألا أخبرك بأطيب من ذلك وأحسن. الفراغ والشباب والجدة.

حدثني الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال: كان لإسحاق غلام يقال له فتح، يستقي الماء لأهل داره على بغلين من بغاله دائماً، فقال إسحاق: قلت له يوماً: أي شيء خبرك يا فتح؟ قال: خبري أنه ليس في هذه الدار أحد أشقى مني ومنك، قلت: وكيف ذلك؟ قال: أنت تطعم أهل الدار الخبز وأنا أسقيهم الماء، فاستظرفت قوله وضحكت منه، ثم قلت له: فأي شيء تحب؟ قال: تعتقني وتهب لي البغلين أستقي عليهما، فقلت له: قد فعلت.

أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي قال حدثنا حماد بن إسحاق قال: كان لأبي. البصير الشاعر قيان، وكان يتكلم في الغناء بغير علم ولا صواب فيضحك منه، فقال أبي فيه:

سكت عن الغناء فما أماري بصيراً لا ولاغير البصير

مخافة أن أجنن فيه نفسي كما قد جن فيه أبوالبصير

أخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

نهاني الرشيد أن أغني أحداً غيره، ثم استوهبني جعفر بن يحيى وسأله أن يأذن لي في أن أغنيه ففعل، واتفقنا يوماً عند جعفر بن يحيى وعنده أخوه الفضل، والرشيد يومئذ يعقب علة قد عوفي منها وليس يشرب، فقال لي الفضل: انصرف إلي الليلة حتى أهب لك مائة ألف الدرهم، فقلت له: إن الرشيد قد نهاني ألا أغني إلا له أو لأخيك، وليس يخفى عليه خبري، وأنا متهم عنده بالميل إليكم، ولست أتعرض له ولا أعرضك، و لم أجبه. فلما

نكبهم الرشيد قال: إيه يا إسحاق، تركتني بالرقة وجلست ببغداد تغني للفضل بن يحيى، فحلفت بحياته أني ما جالسته قط إلا على المذاكرة والحديث، وأنه ما سمعني قط أغني إلا عند أخيه جعفر، وحلفت بتربة المهدي أن يسأل عن هذا جميع من في الدار من نسائه، فسأل عنه فحدثته بمثل ما ذكرته له، وعرف خبر المائة الألف الدرهم التي بذلها لي فرددتها عليه. فلما دخلت عليه ضحك إلي ثم قال: قد سألت عن أمرك فعرفت منه مثل ما عرفتني، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم عوضاً مما بذله لك الفضل.

حدثني الصولي قال حدثني ميمون بن هارون عن إسحاق أنه كان يقول: الإسناد قيد الحديث، فتحدث مرة بحديث لا إسناد له، فسئل عن إسناده، فقال: هذا من المرسلات عرفاً.

حدثني الصولي قال حدثني ميمون بن هارون عن أبيه، وحدثني عمي عبدالله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبدالله بن مالك عن إسحاق قال: أنشدت الفضل بن يحيى قول أبي الحجناء نصيب مولى المهدي فيهم:

عند الملوك مضرة ومنافع ... وأرى البرامك لا تضر وتنفع
إن كان سر كان غيرهم له ... أو كان خير فهو فيهم أجمع
إن العروق إذا استسر بها الثرى ... أشر النبات بها وطاب المزرع
فإذا جهلت من امرىء أعراقه ... وقديمه فانظر إلى مايصنع

قال فقال: كأنا والله لم نسمع هذا الشعر قط، قد كنا وصلناه بثلاثين ألف درهم، وإذا نجدد له الساعة صلة له ولك معه لحفظك الأبيات، فوصلنا بثلاثين ألف درهم.

وأخبرني الصولي قال حدثني الحسن بن يحيى الكاتب أبو الجماز قال: عتب المأمون على إسحاق في شيء، فكتب إليه رقعة وأوصلها إليه من يده، ففتحها المأمون فإذا فيها قوله:

لاشيء أعظم من جرمي سوى أملي ... لحسن عفوك عن ذنبي وعن زللي
فإن يكن ذا وذا في القدر قد عظما ... فأنت أعظم من جزمي ومن أملي

فضحك ثم قال: يا إسحاق، عذرك أعلى قدراً من جرمك، وما جال بفكري، ولا أخطرته بعد انقضائه على ذكري.

حدثني عمي قال حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال: خرجنا مع الواثق إلى القاطول للصيد، ومعنا جماعة الجلساء والمغنين وفيهم عمرو بن بانة وعلويه ومخارق وعقيد، وقدم إسحاق في ذلك الوقت فأخرجه معه، فتصيد على القاطول ثم عاد فأكل وشرب أقداحاً، ثم أمر بالبكور إلى الصبوح فباكرنا واصطبحنا. فغنى عمرو بن بانة لحن إبراهيم الموصلي:

بلوت أمور الناس طرا فأصبحت ... مذممة عندي براء من الحمد
وأصبح عندي من وثقت بغيبه ... بغيض الأيادي كل إحسانه نكد

- ولحنه خفيف رمل بالوسطى - فغناه على ما أخفه من إبراهيم بن المهمي وقد غيره. فقال الواثق لإسحاق: أتعرف هذا اللحن؟ فقال: نعم، هذا لحن أبي ولكنه مما زعم إبراهيم بن المهدي أنه جندره وأصلحه فأفسده ودمر عليه، فقال له: غنه أنت، فغناه فأتى به على حقيقته واستحسنه الواثق جداً، فغم ذلك عمرو بن بانة فقال لإسحاق: أفأنت مثل إبراهيم بن المهلي حتى تقول هذا فيه، قال: لا والله ما أنا مثله، أما على الحقيقة فأنا عبده وعبد أبيه، وليس هذا مما نحن فيه، وأما الغناء فما دخولك أنت بيننا فيه ما أحسنت قط أن تأخذ فضلاً عن أن تغني، ولا قمت بأداء غناء فضلاً عن أن تميز بين المحسنين، وإلا فغن أي صوت شئت مما أخذته عنه وعن غيره كائناً من كان، فإن لم أوضح لك ولمن حضر أنه لا يسلم لك صوت من نقصان أجزاء وفساد صنعية فدمى به رهن، فأساء عمرو الجواب وأغلظ في القول، فأمضه الواثق وشتمه وأمر بإقامته عن مجلسه فأقيم. فلما كان من الغد دخل إسحاق على الواثق فأنشده:

ومجلسى باكرته بكورا والطير ما فارقت الوكورا

والصبح لم يستنطق العصفورا على غديرلم يكن دعثورا
لم تر عيني مثله غديرا يجري حباب مائه مسجورا
على حصى تخسبه كافورا تسمع للماء به خريرا
ينسج أعلى متنه سطورا نسيم ريح قد ونت فتورا
حتى تخال متنه حصيرا والشرب قد حفوا به حضورا
وأمروا الساقي أن يديرا كأسهم الأصغر والكبيرا
وأعملوا البم معاً والزيرا وجاوبت عيدانهم زميرا
وقربوا المغني النحريرا مقدماً في حذقه مشهورا
فهم يطيرون به سرورا ولا ترى في شربهم تقصيرا
ولا لصفو عيشهم تكديرا ولا لخلق منهم نظيرا
إلأ رجيلاً منهم سكيرا معربداً موضحاً شريرا
مدعياً للعلم مستعيرا يروم سعياً كاذباً مغرورا
وأن يكون عالماً بصيرا مفضلاً بعلمه مذكورا
غمزته ولم يكن صبورا فعاذ مئي هارباً مذعورا

بمعسر تحسبهم حميرا أشد منهم حمقاً كثيرا

لا ينطقون الدهر إلا زورا حتى إذا كسرته تكسيرا

كالليث لما ضغم الخنزيرا ولي انهزاماً خاسئاً مدحورا

معترفاً بذله مقهورا وكنت قدماً ضيغماً هصورا

معتلياً لقزنه عقورا وما أخاف الزمن العثورا

إذ كنت بالواثق مستجيرا قد عز من كان له نصيرا

إمام عدل دبر الأمورا برأيه ولم يرد مشيرا

ترى من الحق عليه نورا تقبل المهدي والمنصورا

وجده الأدنى تقى وخيرا ورثه المعتصم التدبيرا

فأصبح الملك به منيرا وأصبح العدل به منشورا

قد أمن الناس به المحظورا إذا علا المنبر والسريرا

رأيت بدراً طالعاً منيرا بحراً ترى الغني والفقيرا

يرجون منه نائلاً غزيرا والله لا زلت له شكورا

لا جاحد النعمى ولا كفورا وكنت بالشكر له جديرا

حدثني الصولي قال حدثني ميمون بن هارون قال: سمعت إسحاق يقول: أنشدني الأصمعي قول الأعشى:

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فإنا معشر نزل

ثم قلت له: أي شيء تحفظ في هذا المعنى- وكان مع بخله بالعلم لا يبخل بمثل هذا- فأنشدني لربيعة بن مقروم الضبي:

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها بسليم أوظفة القوائم هيكل

فدعوا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه إذا لم أنزل

حدثني عمي قال حدثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن مروان قال حدثني عبدالله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال: اجتمعنا يوماً إما قال في منزلي أو في منزل محمد بن الحارث بن بسخنر، ودخلنا ودخل إلينا إسحاق الموصلي وعندنا ملاحظ تغنينا وقد قامت الصلاة، فدخل إسحاق وهي غائبة فقال: فيم كنتم ومن عندكم؟ فأخبرناه بخبرها، فقال: لا تعرفوها من أنا فيخرجها التصنع لي والتحفظ مني عن طبعها، ولكن دعوها

وهواها حتى ننتفع بها، وخرجت وهي لا تعرفه وجلست كما كانت أولا، وابتدأت وغنت - والصنعة لفليح بن أبي العوراء، ولحنه رمل. هكذا أخبرنا إسحاق أن الغناء لفليح-:

إني تعلقت ظبياً شادناً خرقاً علقته شقوة مني وماعلقا

قال: فطرب إسحاق وشرب حتى والى بين خمسة أقداح من نبيذ شديد كان بين يديه وهو يستعيدها، فأخذ إسحاق دواة وكتب:

سأشرب ما دامت تغني ملاحظ وإن كان لي في الشيب عن ذاك واعظ
ملاحظ غنينا بعيشك وليكن عليك لما استحفظته منك حافظ
فأقسم ما غنى غناءك محسن مجيد ولم يلفظ كلفظك لافظ
وفي بعض هذا القول مني مساءة وغيظ شديد للمغنين غائظ

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال حدثني إسحاق قال: قال لي الرشيد يوماً: بأي شيء يتحدث الناس. قلت: يتحدثون بأنك تقبض على البرامكة وتولي الفضل بن الربيع الوزارة، فغضب وصاح بي: وما أنت وذاك ويلك، فأمسكت. فلما كان بعد أيام دعا بنا فكان أول شيء غنيته:

إذا نحن صدقناك فضر عندك الصدق
طلبنا النفع بالباط ل إذ لم ينفع الحق
فلو قدم صبا في هواه الصبر والرفق
لقدمت على الناس ولكن الهوى رزق

في هذه الأبيات خفيف رمل بالوسطى ينسب إلى إسحاق وإلى ابن جامع، والصحيح أنه لإسحاق. وقيل: إن الشعر لأبي العتاهية. قال: فضحك الرشيد وقال لي: يا إسحاق، قد صرت حقوداً.

أخبرني الحسم قال حدثنا يزيد بن محمد قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت على المعتصم يوماً بسر من رأى، فإذا الواثق بين يديه وعنده علويه ومخارق، فغناه مخارق صوتاً فلم ينشط له، ثم غناه علويه فأطربه. فلما رأيت طربه لغناء علويه دون غناء مخارق اندفعت فغنيته لحني:

تجنبت ليلى أن يلج بك الهوى وهيهات كان الحب قبل التجنب

فأمر لي بألف دينار ولعلويه بخمسمائة دينار، ولم يأمر لمخارق بشيء.

تجنبت ليلى أن يلج بك الهوى وهيهات كان الحب قبل التجنب
ألا إنما غادرت يا أم مالك صدى أينما تذهب به الريح يذهب

الشعر للمجنون. والغناء لإسحاق ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وغنى ابن جامع في هذين البيتين وبيتين آخرين أضافهما إليهما ليسا من هذا الشعر، هزجاً بالبنصر. والبيتان المضافان:

بری اللحم عن أحناء عظمی ومنکبي — هوى لسليمى في الفؤاد المعذب

وإني سعيد أن رأت لك مرة — من الدهرعيني منزلاً في بني أبي

أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال: غنى علويه بين يدي الواثق يوماً:

خليل لي سأهجره — لذنب لست أذكره

ولكني سأرعاه — وأكتمه وأستره

وأظهر أنني راض — وأسكت لا أخبره

لكي لايعلم الواشي — بما عندي فأكسره

- الشعر والغناء لإسحاق هزج بالوسطى - قال: فطرب الواثق طرباً شديداً، واستحسن اللحن، وأمر لعلويه بألف دينارثم قال: أهذا اللحن لك؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، هو هذا لهذا الهزبر يعني إسحاق- قال: وكان إسحاق حاضرأ- فضحك الواثق وقال: قد ظلمناه إذاً، وأمر لإسحاق بثلاثين ألف درهم.

أخبرنا علي بن عبد العزيز الكاتب عن عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبه عن أبيه قال: كان إسحاق عند الفتح بن الحجاج الكرخي وعلويه حاضر فغناه علويه:

علقتك ناشئاً حتى — رأيت الرأس مبيضاً

على يسر وإعسار — وفيض نوالكم فيضاً

ألا أحبب بأرض كن — ت تحتلينها أرضا

وأهلك حبذا ماهم — وإن أبدوا لي البغضا

الشعر لابن أذينة. والغناء لابن سريج قيل أول بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق. وفيه لإسحاق هزج خفيف، مطلق في مجرى البنصر، عن إسحاق أيضاً. وفيه للأبجر قيل أول، ولإبراهيم الموصلي رمل، جميع ذلك عن الهشامي.

قال فغناه إياه في الثقيل، ثم غناه هزجاً، فقال له الفتح، لمن الثقيل. فقال: لابن سريج، قال: فلمن الهزج. قال: لهذا الهزبر يعني إسحاق فقال له الفتح: ويلك يا إسحاق! أتعارض ثقيل ابن سريج بهزجك؟! قال: فقبض إسحاق على لحيته ثم قال: على ذلك فوالله ما فاتني إلا بتحريكه الذقن.

أخبرني الحسن قال حدثني يزيد بن محمد قال حدثني إسحاق قال: دخلت يوماً على المعتصم وعنده إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، واستدناني فدنوت منه، واستدناني فتوقفت خوفاً من أن أكون موازياً في المجلس لإسحاق بن

إبراهيم، ففطن المعتصم فقال: إن إسحاق لكريم، وإنك لم تستترل ما عند الكريم بمثل إكرامه. ثم تحدثنا وأفضت بنا المذاكرة إلى قول أبي خراش الهذلي:

حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا ... خراش وبعض الشر أهون من بعض

فأنشدها المعتصم إلى آخرها، وأنشد فيها:

ولم أدر من ألقى عليه رداءه ... سوى أنه قد حط عن ماجد محض

والرواية "قد بز عن ماجد محض"، فغلطت وأسأت الأدب، فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه رواية الكتاب وما اخذ عن المعلم، والصحيح بز عن ماجد محض، فقال لي: نعم صدقت، وغمزني بعينه، يحذرني من إسحاق وفطنت لخلطي فأمسكت، وعلمت أنه قد أشفق علي من بادرة تبدر من إسحاق لأنه كان لا يحتمل مثل هذا في الخلفاء من أحد حتى يعظم عقوبته ويطيل حبسه، كائناً من كان، فنبهني- رحمه الله- على ذلك حتى أمسكت وتنبهت.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال قال عبيد الله بن معاوية قال عمرو بن بانة: كنا عند المأمون، فقال: ما أقل الهزج في الغناء القديم!، وقال إسحاق: ما كثره! ثم غناه نحو ثلاثين صوتاً في الهزج القديم. فقلت لأصحابي: هذا الذي تزعمون أنه قليل الرواية أخبرنا يحيى قال حدثنا أبي عن إسحاق قال: قال لي العباس بن جرير: قاتلك الله! مذكر فطنة، ومؤنث طبيعة، ما أمكرك!.

حدثنا يحيى بن علي قال حدثني أبي عن إسحاق قال، وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد عن إسحاق قال: فقال لي أفليت والله يا أبا محمد فقلت له: وما أفليت؟ رعيت فلاة لم يرعها أحد غيرك.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أخي أحمد بن علي عن عافية بن شبيب قال: قلت لزرزور بن سعيد: حدثني عن إسحاق كيف كان يصنع إذا حضر معكم عند الخليفة وهو منقطع ذاهب وحلوقكم ليس مثلها في الدنيا. فقال: كان والله لا يزال بحذقه ورفقه وتأنيه ولطفه حتى نصير معه أقل من التراب.

أخبرنا يحيى قال حدثني أبي قال حدثنا إسحاق قال: دخلت على الفضل بن الربيع فقال لي: يا إسحاق، كثر والله شيبك!، فقلت: أنا وذاك أصلحك الله كما قال أخو ثقيف:

الشيب إن يظهر فإن وراءه ... عمراً يكون خلاله متنفس

لم ينتقص مني المشيب قلامة ... ولنحن حين بدا ألب وأكيس

قال: هات يا غلام دواة وقرطاساً، اكتبهما لي لأتسلى بهما.

أخبرنا يحيى قال حدثني أبي قال حدثني إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، وأخبرني الحسن بن علي عن يزيد بن محمد بن عبد الملك عن إسحاق قال: قال الفضل بن يحيى لأبي: مالي لا أرى إسحاق، عرفني ما خبره؟ فقال: خير. ورأى في كلامه شيئاً يشكك، فقال: أعليل هو؟ فقال: لا، ولكنه جاءك مرات فحجبه نافذ

الخادم ولحقته جفوة، فقال له: فإن حجبه بعدها فلينكه. فجاءني أبي فقال لي: القه، فقد سأل عنك، وخبرني بما جرى. وجئت فجبت أيضاً، وخرج الفضل ليركب، فوثبت إليه برقعة وقد كتبت فيها:

جعلت فداءك من كل سوء　　إلى حسن رأيك أشكو أناسا

يحولون بيني وبين السلام　　فما إن أسلم إلا اختلاسا

وأنفذت أمرك في نافذ　　فما زاده ذاك إلا شماسا

فلما قرأها ضحك حتى غلب، ثم قال: أو قد فعلتها يا فاسق؟! فقلت: لا وا الله يا سيدي، وإنما مزحت، فخجل نافذ خجلاً شديداً، ولم يعد بعد ذلك لمساءتي.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني عن محمد بن عبدالله بن مالك قال حدثني إسحاق قال: ذكر المعتصم يوماً بعض أصحابه وقد غاب عنه، فقال: تعالوا حتى نقول ما يصنع في هذا الوقت، فقال قوم: يلعب بالنرد، وقال قوم: يغني. فبلغتني النوبة، فقال: قل يا إسحاق، قلت: إذا أقول وأصيب. قال: أتعلم الغيب؟ قلت: لا، ولكني أفهم ما يصنع وأقدر على معرفته، قال: فإن لم تصب. قلت: فإن أصبت؟ قال: لك حكمك، وإن لم تصب. قلت: لك دمي، قال: وجب، قلت: وجب قال: فقل، قلت: يتنفس، قال: فإن كان ميتاً؟ قلت: تحفظ الساعة التي تكلمت فيها، فإن كان مات فيها أو قبلها فقد قمرتني، فقال: قد أنصفت، قلت: فالحكم، قال: احتكم ما شئت قلت: ما حكمي إلا رضاك يا أمير المؤمنين، قال: فإن رضاي لك، وقد أمرت لك بمائة ألف الدرهم، أترى مزيداً؟ فقلت: ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين، قال: فإنها مائتا ألف درهم، أترى مزيداً؟ قلت: ما أحوجني إلى ذلك يا أمير المؤمنين، قال: فإنها ثلثمائة ألف، أترى مزيداً. قلت: ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين قال: يا صفيق الوجه! ما نزيدك على هذا شيئاً أخبرنا يحيى قال حدثني أبو أيوب قال حدثني محمد بن عبدالله بن مالك قال حدثني إسحاق قال:

عمل محمد المخلوع سفينة فأعجب بها، وركب فيها يريد الأنبار. فلما أمعن وأنا مقبل على بعض أبواب السفينة صاحوا: إسحاق إسحاق، فوثبت فدنوت منه فقال لي: كيف ترى سفينتي؟ فقلت: حسنة يا أمير المؤمنين، عمرها الله ببقائك. فقام يريد الخلاء وقال لي: قل فيها أبياتاً، فقلت: وخرج فقمت بالأبيات، فاشتهاها جداً وقال لي: أحسنت يا إسحاق، وحياتك لأهبن لك عشرة آلاف دينار قلت: متى يا أمير المؤمنين. إذا وسع الله عليك! فضحك ودعا بها على المكان. ولم يذكر يحيى في خبره الأبيات.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: غنيت الواثق في شعر قلته وأنا عنده بسر من رأى وقد طال مقامي واشتقت إلى أهلي، وهو:

ياحبذا ريح الجنوب إذا بدت　　في الصبح وهي ضعيفة الأنفاس

قد حملت برد الندى وتحملت　　عبقاً من الجثجاث والبسباس

فشرب عليه واستحسنه وقال لي: يا أبا محمد، لو قلت مكان ياحبذا ريح الجنوب": يا حبذا ريح الشمال"، ألم يكن أرق وأعذى وأصح للأجساد وأقل وخامة وأطيب للأنفس. فقلت: ما ذهب علي ما قاله، أمير المؤمنين، ولكن التفسير فيما بعده فقال: قل فقلت:

ماذا تهيج من الصبابة والهوى ... للصب بعد ذهوله والياس

فقال الواثق: إنما استطبت ما تجيء به الجنوب من نسيم أهل بغداد لا الجنوب، وإليهم اشتقت لا إليها، فقلت: أجل يا أمير المؤمنين وقمت فقبلت يده، فضحك وقال: قد أذنت لك بعد ثلاثة أيام، فامض راشداً، وأمر لي بمائة ألف درهم. لحن إسحاق هذا من الثقيل الأول.

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي عن إسحاق قال: لم أر قط مثل جعفر بن يحيى، كانت له فتوة وظرف وأدب وحسن غناء وضرب بالطبل، وكان يأخذ بأجزل حظ من كل فن من الأدب والفتوة. فحضرت باب أمير المؤمنين الرشيد، فقيل لي: إنه نائم، فانصرفت فلقيني جعفر بن يحيى فقال لي: ما الخبر؟ فقلت: أمير المؤمنين نائم؟ فقال: قف مكانك؟ ومضى إلى دار أمير المؤمنين فخرج إليه الحاجب فأعلمه أنه نائم. فخرج إلي وقال لي: قد نام أمير المؤمنين، فسر بنا إلى المترل حتى نخلو جميعاً بقية يومنا وتغنيني وأغنيك ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا قلت نعم، فصرنا إلى مترله فطرحنا ثيابنا، ودعا بالطعام فطعمنا، وأمر بإخراج الجواري وقال: لتبرزن، فليس عندنا من تحتشمن منه. فلما وضع الشراب دعا بقميص حرير فلبسه ودعا بخلوق فتخلق به، ثم دعا لي بمثل ذلك، وجعل يغنيني وأغنيه، ثم دعا بالحاجب فتقدم إليه وأمره بألا يأذن لأحد من الناس كلهم، وإن جاء رسول أمير المؤمنين أعلمه أنه مشغول، واحتاط في ذلك وتقدم فيه إلى جميع الحجاب والخدم ثم قال: إن جاء عبد الملك فاذنوا له - يعني رجلاً كان يأنس به ويمازحه ويحضر خلواته- ثم أخذنا في! شأننا فوالله إنا لعلى حالة سارة عجيبة إذ رفع الستر، وإذا عبد الملك بن صالح الهاشمي قد أقبل، وغلط الحاجب و لم يفرق بينه وبين الذي يأنس به جعفر بن يحيى. وكان عبد الملك بن صالح الهاشمي من جلالة القدر والتقشف وفي الامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمر جليل، وكان أمير المؤمنين قد اجتهد به أن يشرب معه أوعنده قدحاً فلم يفعل ذلك رفعاً لنفسه. فلما رأيناه مقبلاً، أقبل كل واحد منا ينظر إلى صاحبه، وكاد جعفر أن ينشق غيظاً. وفهم الرجل حالنا، فأقبل نحونا، حتى إذا صار إلى الزواق الذي نحن فيه نزع قلنسيته فرمى بها مع طيلسانه جانباً ثم قال: أطعمونا شيئاً فدعا له جعفر بالطعام وهو منتفخ غضباً وغيظاً فطعم، ثم دعا برطل فشربه، ثم أقبل إلى المجلس الذي نحن فيه فأخذ بعضادتي الباب ثم قال: اشركونا فيما أنتم فيه، فقال له جعفر: ادخل ثم دعا بقميص حرير وخلوق فلبس وتخلق، ثم دعا برطل ورطل حتى شرب عدة أرطال، ثم اندفع ليغنينا، فكان والله أحسننا جميعاً غناء. فلما طابت نفس جعفر وسري عنه ما كان به التفت إليه فقال له: ارفع حوائجك

فقال: ليس هذا موضع حوائج، فقال: لتفعلن، و لم يزل يلح عليه حتى قال له: أمير المؤمنين علي واجد، فأحب أن تترضاه، قال: فإن أمير المؤمنين قد رضي عنك، فهات حوائجك، فقال: هذه كانت حاجتي، قال: ارفع

حوائجك كما أقول! لك، قال: علي دين فادح، قال: هذه أربعة آلاف ألف درهم، فإن أحببت أن تقبضها فاقبضها من مترلي الساعة، فإنه لم يمنعني من إعطائك إياها إلا أن قدرك يجل على أن يصلك مثلي، ولكني ضامن لها حتى تحمل من مال أمير المؤمنين غداً فسل أيضاً، قال: ابني، تكلم أمير المؤمنين حتى ينوه باسمه، قال: قد ولاه أإمير المؤمنين مصر وزوج ابنته الغالية ومهرها ألفي ألف درهم. قال إسحاق: فقلت في نفسي: قد سكر الرجل أعني جعفراً. فلما أصبحت لم تكن لي همة إلا حضور دار الرشيد وإذا جعفربن يحيى قد بكر، ووجدت في الدار جلبة، وإذا أبو يوسف القاضي ونظراؤه فد دعي بهم، ثم دعي بعبد الملك بن صالح وابنه فأدخلا على الرشيد فقال الرشيد لعبد الملك: إن أمير المؤمنين كان واجداً عليك وقد رضي عنك، وأمر لك بأربعة ألاف ألف درهم، فآقبضها من جعفربن يحيى الساعة. ثم دعا بإبنه فقال: اشهدوا أني قد زوجته العالية بنت أمير المؤمنين وأمهرتها عنه ألفي ألف درهم من مالي ووليته مصر. قال: فلما خرج جعفر بن يحيى سألته عن الخبر، فقال: بكرت على أمير المؤمنين فحكيت له ما كان منا وما كنا فيه حرفاً حرفاً، ووصفت له دخول عبد الملك وما صنع، فعجب لذلك وسر به، ثم قلت له: قد ضمنت له عنك يا أمير المؤمنين ضماناً فقال: ما هو. فأعلمته، قال: أوف له بضمانك، وأمر بإحضاره فكان ما رأيت.

أخبرني عمي قال حدثني فضل اليزيدي عن إسحاق قال: لما صنعت لحني في:

هل إلى نظرة إليك سبيل

ألقيته على علويه، وجاءني رسول أبي بطبق فاكهة باكورة، فبعثت إليه: برك الله يا أبة ووصلك الساعة أبعث إليك بأحسن من هذه الباكورة، فقال: إني أظنه قد أتى بآبدة فلم يلبث أن دخل عليه علويه فغناه الصوت، فعجب منه وأعجب به، وقال: قد أخبرتكم أنه قد أتى بآبدة. ثم قال لولده: أنتم تلومونني على تفضيل إسحاق ومحبتي له، والله لو كان ابن غيري لأحببته لفضله فكيف وهو ابني، وستعلمون أنكم لا تعيشون إلا به. وقد ذكر أبو حاتم الباهلي عن أخية أبي معاوية بن سعيد بن سلم أن هذه القصة كانت لما صنع إسحاق لحنه في:

غيضن من عبراتهن وقلن لي

وقد ذكرت ذلك مع أخبار هذا الصوت في موضعه.

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى قال: سألت إسحاق عن إبراهيم بن المهدي، فقال: دعني منه، فليست له رواية ولادراية و لا حكاية.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني فضل اليزيدي عن إسحاق قال: كالنت هشيمة الخمارة جارتي، وكانت تخصني بأطيب الشراب وجيده فماتت فقلت أرثيها:

أضحت هشيمة في القبورمقيمة   وخلت منازلها من الفتيان

كانت إذاهجرالمحب حبيبه   دبت له في السر والإعلان

حتى يلين لما تريد قياده ويصيرسيئه إلى الإحسان

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: سألني إدريس بن أبي حفصة حاجة، فقضيتها له وزدت فيما سأل. فقال لي:

إذا الرجال جهلوا المكارما كان بها ابن الموصلي عالما

أبقاك ذو العرش بقاء دائما فقد جعلت للكرام خاتما

إسحاق لو كنت لقيت حاتما كان نداه لنداك خادما

قال حماد: وقال لي أبي: كان إدريس سخيا من بين آل أبي حفصة، فترل به ضيف، فتنمرت امرأته عليه، فقال لها:

من شر أيامك اللاتي خلقت لها إذا فقدت ندى صوتي وزواري

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال: كان علي بن هشام قد دعاني ودعا عبدالله بن محمد بن أبي عيينة، فتأخرت عنه حتى اصطبحنا شديداً، وتشاغلت عنه برجل من الأعراب كان يجيئني فأكتب عنه وكان فصيحاً وكان عند علي بن هشام بعض من يعاديني، فسألوا ابن أبي عيينة أن يعاتبني بشعر ينسبني فيه إلى الخلف فكتب إلي:

يامليا بالوعد والخلف والمط ل بطيئاً عن دعوة الأصحاب

لهجاً بالأعراب إن لدينا بعض ماتشتهي من الأعراب

قد عرفنا الذي شغلت به نا وإن كان غير ما في الكتاب

قال: فكتبت إلى الذي حمل ابن أبي عيينة على هذه الأبيات- قال حماد: وأظنه إبراهيم بن المهدي-:

قد فهمت الكتاب أصلحك الله وعندي عليه رد الجواب

ولعمري ماتنصفون ولاكا ن الذي جاء منكم في حسابي

لست آتيك فاعلمن ولالي فيك حظ من بعد هذا الكتاب

قال حماد: قال أبي: وكتبت إلى علي بن هشام وقدأعتللت أياماً فلم يأتني رسوله:

أناعليل منذ فارقتني وأنت عمن غاب لاتسأل

ماهكذا كنت ولاهكذا فيما مضى كنت بناتفعل

فلما وصلت إليه رقعتي ركب إلي وجاءني عائداً.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد قال: لما خرج إبي إلى البصرة خرجته الأولى وعاد، أنشدني في ذلك لنفسه:

ما كنت أعرف ما في البين من حزن ... حتى تنادوا بأن قد جيء بالسفن

قامت تودعني والعين تغلبها ... فجمجمت بعض ما قالت ولم تبن

مالت علي تفديني وترشفني ... كما يميل نسيم الريح بالغصن

وأعرضت ثم قالت وهي باكية ... يا ليت معرفتي إياك لم تكن

لما افترقنا على كره لفرقتها ... أيقنت أني رهين الهم والحزن

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: أنشدني شداد بن عقبة لجميل:

قفي تسل عنك النفس بالخطة التي ... تطيلين تخويفي بها ووعيدي

فقد طالما من غيرشكوى قبيحة ... رضينا بحكم منك غيرسديد

قال: فأنشدت الزبير بن بكار هذين البيتين، فقال: لو لم أنصرف من العراق إلا بهما لرأيتهما غنماً. وأنشدني شداد لجميل أيضاً:

بثين سليني بعض مالي ... فإنما يبين عند المال كل بخيل

فإني وتكراري الزيارة نحوكم ... لبين يدي هجر بثين طويل

قال أبي: فقلت لشداد: فهلا أزيدك فيهما. فقال: بلى، فقلت:

فيا ليت شعري هل تقولين بعدنا ... إذا نحن أزمعنا غداً لرحيل

ألا ليت أياماً مضين رواجع ... وليت النوى قد ساعدت بجميل

فقال شداد: أحسنت والله! وإن هذا الشعر لضائع، فقلت: وكيف ذلك. قال: نفيته عن نفسك بتسميتك، جميلاً فيه، ولم يلحق بجميل، فضاع بينكما جميعاً.

حدثني جحظة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال حدثني إسحاق الموصلي قال: دعاني إسحاق بن إبراهيم المصعبي، وكان عبدالله بن طاهر عنده يومئذ، فوجه إلي فحضرت وحضر علويه ومخارق وغيرهما من المغنين فبيناهم على شرابهم وهم أسر ما كانوا، إذ وافاه رسول أمير المؤمنين فقال: أجب، فقال: السمع والطاعة، ودعا بثيابه فلبسها. ثم التفت إلى محمد بن راشد الخناق فقال له: قد بلغني أنك أحفظ الناس لما يدور في المجالس، فاحفظ لي كل صوت يمر وما يشربه كل إنسان، حتى إذا عدت أعدت علي الأصوات وشربت ما فاتني، فقال: نعم، أصلح الله الأمير. ومضى إلى المأمون، فأمره بالشخوص إلى بابك من غد، وتقدم إليه فيما يحتاج إليه ورجع

من عنده. فلما دخل ووضع ثيابه قال: يا محمد، ما صنعت فيما تقدمت به إليك. قال: قد أحكمته أعزك الله، ثم أخبره بما شرب القوم وما-استحسنوه من الغناء بعده، فأمر أن يجمع له أكثر ما شربه واحد منهم في قدح، وأن يعاد عليه صوت صوت مما حفظه له حتى يستوفي ما فاته القوم به، ففعل ذلك وشرب حتى استوفى النبيذ والأصوات. ثم قال لي: يا أبا محمد، إني قد عملت في منصرفي من عند أمير المؤمنين أبياتاً فاسمعها فقلت: هاتها أعز الله الأمير، فأنشدني:

ألا من لقلب مسلم للنوائب — أحاطت به الأحزان من كل جانب

تبين يوم البين أن اعتزامه — على الصبر من بعض الظنون الكواذب

حرام على رامي فؤادي بسهمه — دم صبه بين الحشى والترائب

أراق دماً لولا الهوى ما أراقه — فهل بدمي من ثائر أو مطالب

قال: فقلت له: ما سمعت أحسن من هذا الشعر قط، فقال لي: فاصنع فيه، فصنعت فيه لحناً، وأحضرني وصيفة له، فألقيته عليها حتى أخذته، وقال: إنما أردت أن أتسلى به في طريقي وتذكرني به الجارية أمرك إذا غنته. فكان كلما ذكر أتاني بره، إلى أن قدم، عدة دفعات. لم أجد لإسحاق صنعة في هذا الشعر، والذي وجدت فيه لعبدالله بن طاهر خفيف رمل، ذكره ابنه عبيد الله عنه. ولمخارق لحن من الرمل. ولعمرو بن بانة هزج بالوسطى.
ولمخارق والطاهرية خفيف ثقيل.
حدثني جحظة قال حدثني أبو عبدالله محمد بن حمدون قال: سأل المتوكل عن إسحاق الموصلي، فعرف أنه قد كف وأنه في مترله ببغداد فكتب في إحضاره. فلما دخل عليه رفعه حتى أجلسه قدام السرير، وأعطاه مخدة، وقال له: بلغني أن المعتصم دفع إليك مخدة في أول يوم جلست بين يديه وهو خليفة، وقال: إنه لا يستجلب ما عند حر بمثل الكرامة، ثم سأله: هل أكل. فقال نعم، فأمر أن يسقى، فلما شرب أقداحاً قال: هاتوا لأبي محمد عوداً فجيء به، فاندفع يغني بصوت الشعر فيه والغناء له:

ماعلة الشيخ عيناه بأربعة — تغرورقان بدمع ثم تنسكب

- قال أبو عبدالله: فوالله ما بقي غلام من الغلمان الوقوف على الحير إلا وجدته يرقص طرباً وهو لا يعلم بما يفعل- فأمر له بمائة ألف درهم. ثم قال لي المتوكل: يابن حمدون، أتحسن أن تغنيني هذا الصوت؟ فقلت نعم، قال: غنه، فترنمت به، فقال إسحاق: من هذا الذي يحكيني. فقال: هذا ابن صديقك حمدون، فقال: وددت أنه لمحسن أن يحكيني، فقلت له: أنت عرضتني له يا أمير المؤمنين. ثم انحدر المتوكل إلى رقة بوصرا، وكان يستطيبها لكثرة تغريد الأطيار بها، فغنى إسحاق:

أأن هتفت ورقاء في رونق الضحى — على غصن غض الشباب من الرند

بكيت كما يبكي الحزين صبابة وشوقاً وتابعت الأنين إلى نجد

فضحك المتوكل وقال له: يا إسحاق، هذه أخت فعلتك بالواثق لما غنيته بالصالحية:

طربت إلى الأصيبية الصغار وذكرني الهوى قرب المزار

فكم أعطاك لما أذن لك في الانصراف؟ قال: مائة ألف درهم فأمر له بمائة ألف درهم، وأذن له، بالانصراف إلى بغداد. وكان هذا آخر عهدنا به، لأن إسحاق توفي بعد ذلك بشهرين.

حدثني جحظة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت على الواثق أستأذنه في الانحدار إلى بغداد فوجدته مصطبحاً، فقال: بحياتي غن:

ألا إن أهل الدار قد ودعوا الدارا وإن كان أهل الدار في الحي أجوارا

وقد تركوا قلبي حزيناً متيماً بذكرهم، لو يستطيع لقد طارا

فتطيرت من اقتراحه له وغنيته إياه، فشرب عليه مراراً، وأمر لي بثلاثين ألف درهم وأذن لي فانصرفت، ثم كان آخر عهدي به. الشعر لمطيع بن إياس. والغناء لإبراهيم الموصلي قيل أول بالوسطى عن عمرو.

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدثنا عبدالله بن الفرج قال حدثنا أحمد بن معاوية قال: كنت في بيتي وعلويه يغنيني:

أعرضن من شمط في الرأس لاح به فهن عنه إذا أبصرنه حيد

قد كن يعهدن مني منظراً حسناً وجمة حسرت عنها العناقيد

فوردت علي رقعة من إسحاق الموصلي يستسقيني نبيذاً فبعثت إليه بدن مع غلام لي، فلما توسط الغلام به الجسر زحم فكسر، فرجع الغلام إلى إسحاق فأخبره الخبر وسأله مسئلتي التجافي عنه، فكتب إلي:

يا أحمد بن معاويه إني رميت بداهيه

أشكو إليك فأشكني كسر الغلام الخابيه

ياليتها سلمت وكا ن فداءها ابن الزانيه

فبعثت إليه بأربعة أدنان، وأعتقت الغلام بشفاعته في أمره.

أخبرني جعفر بن قدامة ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق الموصلي قال قال لي حمدون بن إسماعيل رحمه الله: لما صنع أبوك رحمه الله هذا الصوت:

قف بالديار التي عفا القدم وغيرتها الأرواح والديم

لما وقفنا بها نسائلها فاضت من القوم أعين سجم

ذكر العيش مضى إذا ذكرت مافات منه فذكره سقم

وكل عيش دامت غضارته منقطع مرة ومنصرم

- ولحنه قيل أول- اعجب به المعتصم والواثق جميعا، فقال له المعتصم: بحياتي اردده على مخارق وعلويه والجماعة ليأخذوه عنك، وانصحهم فيه، فإنهم إن أحسنوا فيه نسب إليك إحسانهم، وإن أساءوا بان فضلك عليهم، فرده عليهم أكثر من مائتي مرة، وكانوا يقصدون إلى مترله ويرده عليهم، ومات وما أخذوا منه علم الله إلا رسمه.

الشعر والغناء لإسحاق، ولحنه ثقيل أول.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال: خرجنا مع الرشيد يريد الرقة، فلما صرنا بالموضع الذي يقال له القائم نزلنا، وخرج يتصيد وخرجنا معه، فأبعد في طلب الصيد، ولاح لي دير فقصدته وقد تعبت، فأشرفت على صاحبه، فقال: هل لك في الترول بنا اليوم؟ فقلت: إي والله، وإني إلى ذلك لمحتاج، فترل ففتح لي الباب وجلس يحدثني، وكان شيخاً كبيراً وقد أدرك دولة بني أمية، فجعل يحدثني عمن نزل به من القوم ومواليهم وجيوشهم وعرض علي الطعام فأجبته، فقدم إلي طعاماً من طعام الديارات نظيفاً طيباً، فأكلت منه، وأتاني بشراب وريان طري فشربت منه، ووكل بي جارية تخدمني راهبة لم أر أحسن وجهاً منها ولا أشكل، فشربت حتى سكرت، ونمت وانتبهت عشاء، فقلت في ذلك:

بدير القائم الأقصى غزال شادن أحوى

برى حبي له جسمي ولايعلم ما ألقى

وأكتم حبه جهدي ولا والله مايخفى

وركبت فلحقت بالمعسكر والرشيد قد جلس للشرب وطلبني فلم أوجد. وأخبرت بذلك، فغنيت في الأبيات ودخلت إليه، فقال لي: أين كنت؟ ويحك، فأخبرته بالخبر وغنيته الصوت، فطرب وشرب عليه حتى سكر، وأخر الرحيل في غد، ومضينا إلى الدير ونزله، فرأى الشيخ واستنطقه، ورأى الجارية التي كانت تخدمني بالأمس فدعا بطعام خفيف فأصاب منه، ودعا بالشراب، وأمر الجارية التي كانت بالأمس تخدمني أن تتولى خدمته وسقيه ففعلت، وشرب حتى طابت نفسه، ثم أمر للدير بألف دينار، وأمر باحتمال خراجه له سبع سنين، فرحلنا.

قال حماد: فحدثني أبي قال: فلما صرنا بتل عزاز من دابق خرجت أنا وأصحاب لي نتتره في قرية من قراها، فأقمنا بها أياماً، وطلبني الرشيد فلم يجدني. فلما رجعت أتيت الفضل بن الربيع فقال لي: أين كنت، طلبك أمير المؤمنين، فأخبرته بترهتنا فغضب. وخفت من الرشيد أكثر مما لقيت من الفضل فقلت:

إن قلبي بالتل تل عزاز عند ظبي من الظباء الجوازي

شادن يسكن الشآم وفيه مع ظرف العراق شكل الحجاز

يالقومي لبنت قس أصابت منك صفو الهوى وليست تجازي

حلفت بالمسيح أن تنجز الوع		د وليست تهم بالإنجاز

وغنيت فيه، ثم دخلت على الرشيد وهو مغضب، فقال: أين كنت؟ طلبتك فلم أجدك، فاعتذرت إليه وأنشدته هذا الشعر وغنيته إياه، فتبسم وقال: عذر وأبيك وأي عذر وما زال يشرب عليه ويستعيدنيه ليلته جمعاء حتى انصرفنا مع طلوع الفجر. فلما وصلت إلى رحلي إذا برسول أمير المؤمنين قد أتانا يدعونا، فوافيت فدخلت، وإذا ابن جامع يتمرغ على دكان في الدار وهو سكران يتململ، فقال لي: يابن الموصلي، أتدري ما جاء بنا؟ فقلت: لا والله ما أدري، فقال: لكني والله أدري دراية صحيحة، جاءت بنا نضرانيتك الزانية، عليك وعليها لعنة الله. وخرج الآذن فأذن لنا، فدخلنا. فلما رأيت الرشيد تبسمت، فقال لي: ما يضحكك؟ فأخبرته بقول ابن جامع، فقال: صدق، ما هو إلا أن فقدتكم فاشتقت إلى ما كنا فيه، فعودوا بنا، فعدنا فيه حتى انقضى مجلسنا وانصرفنا. لحن إسحاق:

بدير القائم الأقصى

خفيف ثقيل بالوسطى. وفيه للقاسم بن زرزور ثقيل أول. ولحنه في:

إن قلبي بالتل تل عزاز

خفيف رمل.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثني حماد عن أبيه قال: دخلت على الرشيد يوماً في عمامة قد كورتها على رأسي، فقال: ما هذه العمامة! كأنك من الأنبار. فلما كان من غد. دعا بنا إليه، فأمهلت حتى دخل المغنون جميعاً قبلي، ثم دخلت عليه في آخرهم، وقد شددت وسطي بمشدة حرير أحمر، ولبست لباساً مشتهراً، وأخذت بيدي صفاقتين وأقبلت أخطر وأضرب بالصفاقتين وأغني:

اسمع لصوت مليح		من صعة الأنباري
صوت خفيف ظريف		يطيرفي الأوتار

فبسط يده إلي حتى كاد يقوم، وجعل يقول: أحسنت وحياتي! أحسنت أحسنت! حتى جلست، ثم شرب عليه بقية يومه، وماااستعاد غيره، وأمر لي بعشرين ألف درهم. لحن إسحاق في هذا الشعر هزج.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد قال حدثني أحمد بن يحيى المكي قال: كنت عند الفضل بن الربيع، فغنى بعض من كان عنده:

كل شيء منك في عيني حسن		ونصيبي منك هم وحزن
لاتظني أنه غيرني		قدم العهد ولاطول الزمن

فقال لي: أتدري لمن هذا؟ فقلت: لبعض الطنبوريين، فقال: لا ولكنه لذلك الشيطان إسحاق. لحن إسحاق في هذين البيتين رمل بالوسطى من مجموع أغانيه.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال: لما خرجنا مع الرشيد إلى طوس كنت معه أسايره، فاستسقيت ماء من متزل نزلناه يقال له سحنة فخرجت إلينا جارية كأنها ظبية، فسقتني ماء، فقلت هذا الشعر:

غزال يرتعي جنبات واد بسحنة قد تمكن في فؤادي

سقاني شربة كانت شفاء لعلة حائم حران صادي

وغنيته الرشيد، فقال لي: أتحب أن أزوجكها؟ فقلت: نعم والله يا سيدي، قال: فاخطبها والمهر علي وما يصلحها، فخطبتها، فأبى أهلها أن يخرجوها من بلدهم. لحن إسحاق في هذين البيتين ثقيل أول. وفيه لعلويه خفيف رمل.

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال: قال لي أبي: ما اغتممت بشيء قط مثل ما اغتممت بصوت مليح صنعته في هذا الشعر.

كان لي قلب أعيش به فاكتوى بالنار فاحترقا

أنا لم أرزق محبتها إنما للعبد مارزقا

من يكن ماذاق طعم ردى ذاقه لاشك إن عشقا

فإني صنعت فيه لحناً، وجعلت أردده في جناح لي سحراً، فأظن أن إنساناً من العامة مر بي فسمعه فأخذه، فبكرت من غد إلى المعتصم لأغنيه، فإذا أنا بسواط يسوط الناطف وهو يغني اللحن بعينه إلا أنه غناء فاسد. فعجبت وقلت: ترى من أين لهذا السواط هذا الصوت ولعلي إذ غنيته أن يكون قد مر بي هذا فسمعني أغنيه، وبقيت متحيراً، ثم قلث يا فتى، ممن سمعت هذا الصوت. فلم يجبني والتفت إلى شريكه، وقال: هذا يسألني ممن سمعته! هذا غنائي، والله لو سمعه إسحاق الموصلي لخرىء في سراويله. فبادرت والله هارباً خوف أن يمر بي إنسان فيسمع ما جرى علي فأفتضح، وما علم الله أني نطقت بذلك الصوت بعدها.

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال: كتب إبراهيم بن المهدي إلى أبي: أي شيء تصحيف: "لا يريح مثل الأسنة. فكتب إليه أبي: تصحيفه: "لا يرث جميل إلا بثينة فكتب إليه: وي منك.

أخبرنا جعفر قال حدثنا حماد عن أبيه قال: دخلت يوماً على جعفر بن يحيى، فرأى شفتي تتحركان بشيء كنت أعمله، فقال: أتدعو أم تصنع ماذا؟ فقلت: بل أمدح، قال: قل، فقلت:

وكنت إذا إذن عليك جرى لنا تجلى لنا وجه أغر وسيم

علانية محمودة وسريرة وفعل يسر المعتفين كريم

فاحتبسني وأمر لي بمال جليل وكسوة، وقال: زد البيتين حسناً بأن تصنع فيهما لحناً، فصنعت لحناً من الثقيل الثاني، فلم يزل يشرب عليهما حتى سكر.

أخبرنا محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه أنه حدثه قال: غدوت يوماً وأنا ضجر من ملازمة دار الخلافة والخدمة فيها فخرجت وركبت بكرة، وعزمت على أن أطوف الصحراء وأتفرج فقلت لغلماني: إن جاء رسول الخليفة أو غيره فعرفوه أني بكرت في بعض مهماتي، وأنكم لا تعرفون أين توجهت، ومضيت وطفت ما بدا لي، ثم عدت وقد حمي النهار فوقفت في الشارع المعروف بالمخرم في فناء ثخين الظل وجناح رحب على، الطريق لأستريح. فلم ألبث أن جاء خادم يقود حماراً فارهاً عليه جارية راكبة، تحتها منديل دبيقي وعليها من اللباس الفاخر ما لا غاية بعده، ورأيت لها قواماً حسناً وطرفاً فاتراً وشمائل حسنة، فخرصت عليها أنها مغنية، فدخلت الدار التي كنت واقفاً عليها. ثم لم ألبث أن جاء رجلان شابان جميلان، فاستأذنا فأذن لهما فترلا ونزلت معهما ودخلت، فظنا أن صاحب الدار دعاني وظن صاحب الدار أني معهما فجلسنا، وأتي بالطعام فأكلنا وبالشراب فوضع، وخرجت الجارية وفي يدها عود فغنت وشربنا، وقمت قومة، وسأل صاحب المترل الرجلين عني فأخبراه أنهما لا يعرفاني، فقال: هذا طفيلي، ولكنه ظريف، فأجملوا عشرته. وجئت فجلست، وغنت الجارية في لحن لي:

ذكرتك أن مرت بنا أم شادن | أمام المطايا تشرئب وتسنح
من المؤلفات الرمل أدماء حرة | شعاع الضحى في متنها يتوضح

فأدته أداء صالحاً وشربت. ثم غنت أصواتاً شتى، وغنت في أضعافها من صنعتي:

الطلول الدوارس | فارقتها الأوانس
أوحشت بعد أهلها | فهي قفر بسابس

فكان أمرها فيه أصلح منه في الأول. ثم غنت أصواتاً من القديم والحديث، وغنت في أثنائها من صنعتي:

قل لمن صد عاتباً | ونأى عنك جانبا
قد بلغت الذي أرد | ت وإن كنت لاعبا

فكان أصلح ما غنته، فاستعذته منها لأصححه لها، فأقبل علي رجل من الرجلين وقال: ما رأيت طفيليا أصفق وجهاً منك! لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت، وهذا غاية المثل طفيلي مقترح، فأطرقت و لم أجبه، وجعل صاحبه يكفه عني فلا يكف. ثم قاموا للصلاة وتأخرت قليلاً، فأخذت عود الجارية، ثم شددت طبقته وأصلحته، إصلاحاً محكماً، وعدت إلى موضعي فصليت، وعادوا، ثم أخذ ذلك الرجل في عربدته علي وأنا صامت، ثم أخذت الجارية العود فجسته وأنكرت حاله وقالت: من مس عودي؟ قالوا: ما مسه أحد! قالت: بلى، والله لقد مسه

حاذق متقدم وشد طبقته وأصلحه إصلاح متمكن من صناعته، فقلت لها: أنا أصلحته قالت: فبالله خذه واضرب به، فأخذته وضربت به مبدأ صحيحاً ظريفاً عجيباً صعباً، فيه نقرات محركة، فما بقي أحد منهم إلا وثب أعلى قدميه، وجلس بين يدي، ثم قالوا: بالله يا سيدنا أتغني؟ فقلت: نعم، وأعرفكم نفسي، أنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي، ووالله إني لأتيه على الخليفة إذا طلبني وأنتم تسمعونني ما أكره منذ اليوم لأني تملحت معكم، فوالله لا نطقت بحرف ولا جلست معكم حتى تخرجوا هذا المعربد المقيت الغث، فقال له صاحبه: من هذا حذرت عليك، فأخذ يعتذر، فقلت: والله لا نطقت بحرف ولا جلست معكم حتى يخرج، فأخذوا بيده فأخرجوه وعادوا. فبدأت وغنيت الأصوات التي غنتها الجارية من صنعتي، فقال لي الرجل: هل لك في خصلة؟ قلت: ما هي؟ قال: تقيم عندي شهراً، والجارية والحمار لك مع ما عليها من حلي، قلت: أفعل، فأقمت عنده ثلاثين يوماً لا يدري أحد أين أنا، والمأمون يطلبني في كل موضع فلا يعرف لي خبراً. فلما كان بعد ثلاثين يوماً أسلم إلي الجارية والحمار والخادم، فجئت بذلك إلى مترلي، وركبت إلى المأمون من وقتي، فلما رآني قال: إسحاق! ويحك! أين تكون؟ فأخبرته بخبري؟ فقال: علي بالرجل الساعة؟ فدللتهم على بيته فأحضر، فسأله المأمون عن القصة فأخبره، فقال له: أنت رجل ذو مروءة وسبيلك أن تعاون عليها، وأمر له بمائة ألف درهم، وقال: لا تعاشرن ذلك المعربد النذل! البتة وأمر لي بخمسين ألف درهم، وقال: احضرني الجارية، فأحضرتها فغنته، فقال لي: قد جعلت لها نوبة في كل يوم ثلاثاء تغنيني وراء الستارة مع الجواري، وأمر لها بخمسين ألف درهم. فربحت والله بتلك الركبة وأربحت.

ذكرتك أن مرت بنا أم شادن ... أمام المطايا تشرئب وتسنح

من المؤلفات الرمل أدماء حرة ... شعاع الضحى في متنها يتوضح

الشعر لذي الرمة. والغناء لإسحاق ثقيل أول بالسبابة والوسطى، عن ابن المكي. ومن أغاني إسحاق:

قل لمن صد عاتبا ... ونأى عنك جانبا

قد بلغت الذي أرد ... ت وإن كنت لاعبا

الطلول الدوارس ... فارقتها الأوانس

أوحشت بعد أهلها ... فهي قفر بسابس

الشعر لابن ياسين، شاعر مجهول قليل الشعر، كان صديقاً لإسحاق. والغناء لإسحاق خفيف ثقيل. وهذا الصوت من أوابد إسحاق وبدائعه.

أخبرني عمي قال حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال: كنت عند الواثق، فغنته شجى التي وهبها له إسحاق هذا الصوت، فقال لمخارق وعلويه: والله لو عاش معبد ما شق غبار إسحاق في هذا الصوت فقالا له: إنه لحسن يا

أمير المؤمنين، فغضب وقال: ليس عندكما فيه إلا هذا! ثم أقبل على أحمد بن المكي فقال: دعني من هذيه الأحمقين، أول بيت في هذا الصوت أربع كلمات: الطلول كلمة، و لا الدوارس كلمة، وفارقتها! كلمة، و الأوانس كلمة، فانظر هل ترك إسحاق شيئاً من الصنعة يتصرف فيه المغني لم يدخله في هذه الكلمات الأربع! بدأ بها نشيداً، وتلاه بالبسيط، وجعل فيه صياحاً، وإسجاحاً، وترجيحاً للنغم، واختلاساً فيها، وعمل هذا كله في أربع كلمات، فهل سمعت أحداً تقدم أو تأخر فعل مثل هذا أو قدر عليه؟! فقال: صدق أمير المؤمنين، فد لحق من قبله وسبق من بعده.

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني إسحاق قال: لما خرجت مع الواثق إلى النجف درنا بالحيرة ومررنا بدياراتها، فرأيت دير مريم وحسن بنائه، فقلت:

نعم المحل لمن يسعى للذته ... دير لمريم فوق الظهر معمور

ظل ظليل وماء غير ذي أسن ... وقاصرات كأمثال الدمى حور

فقال الواثق: لا نصطبح والله غداً إلا فيه، وأمر بأن يعد فيه ما يصلح من الليل، وباكرناه فاصطبحنا فيه على هذا الصوت، وأمر بمال ففرق على أهل ذلك الدير، وأمر لي بجائزة. لحن إسحاق في هذين البيتين ثاني ثقيل بالبنصر.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: أخرج إلي عبدالله بن طاهر يوماً بيتي شعر في رقعة وقال: هذان البيتان وجدتهما على بساط طبري أصبهبذي أهدى إلي من طبرستان، فأحب أن تغنيني فيهما، فقرأتهما فإذا هما:

لج بالعين واكف ... من هوى لايساعف

كلما كف غربها ... هيجته المعارف

قال: فغنيت فيهما وغدوت بهما إليه، فأعجب بالصوت ووصلني بصلة سنية، وكان يشتهيه ويقترحه، وطرحته على جميع جواريه، وشاع خبر إعجابه به، فبينا المعتصم يوماً جالس يعرض عليه فرش الربيع، إذ مر به بساط ديباج في نهاية الحسن عليه هذان البيتان ومعهما:

إنما الموت أن تفا ... رق من أنت آلف

لك حبان في الفؤا ... د تليد وطارف

فأمر بالبساط فحمل إلى عبدالله بن طاهر، وقال للرسول: قل له: إني قد عرفت شغفك بالغناء في هذا الشعر، فلما وقع هذا البساط أحببت أن أتم سرورك به. فشكر عبدالله ما تأذى إليه من هذه الرسالة وأعظم مقداره، وقال لي: والله يا أبا محمد لسروري بتمام الشعر أشد من سروري بكل شيء، فألحقهما في الغناء بالبيتين الأولين، فألحقتهما.

لج بالعين واكف ... من هوى لا يساعف

كلما كف غربها هيجته المعازف

إنما الموت أن تفا رق من أنت آلف

لك حبان في الفؤا د تليد وطارف

و لم أعرف من خبر شاعره غير ما ذكرته في هذا الخبر. والغناء لإسحاق هزج بالوسطى.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المديني عن ابن المكي عن أبيه قال: قلت لإسحاق يوماً: يا أبا محمد، كم تكون صنعتك. فقال: ما بلغت مائتين قط.

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا حماد بن إسحاق قال:

قال لي وكيل بن الحروني: قلت لأبيك إسحاق: يا أبا محمد، كم يكون غناؤك. قال: نحوا من أربعمائة صوت.

قال: وقال له رجل بحضرتي: مالك لا تكثر الصنعة كما يكثر الناس. قال: لأني إنما أنقر في صخرة. ولإسحاق أخبار كثيرة قليلة الفائدة كثيرة الحشو، طرحتها لذلك، وله أخبار أخر حسن ذكرها في مواضع تليق بها فأخرتها واحتبستها عليها وفيما ذكرته هاهنا منها مقنع.

وتوفي إسحاق ببغداد في أول خلافة المتوكل. فأخبرني الصولي قال ذكر إبراهيم بن محمد الشاهيني: أن إسحاق كان يسأل الله ألا يبتليه بالقولنج لما رأى من صعوبته على أبيه، فرأى في منامه كأن قائلاً يقول له: قد اجيبت دعوتك ولست تموت بالقولنج، ولكنك تموت بضده، فأصابه ذرب في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين، فكان يتصدق في كل يوم أمكنه أن يصومه بمائة درهم، ثم ضعف عن الصوم فلم يطقه ومات في شهر رمضان.

نعي إسحاق إلى المتوكل في وسط خلافته، فغمه وحزن عليه، وقال: ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته، ثم نعي إليه بعمه أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فقال: تكافأت الحالتان، وقام الفتح بوفاة أحمد وما كنت آمن وثبته علي مقام الفجيعة بإسحاق، فالحمد لله على ذلك.

حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني رجل من الكتاب من أهل قطربل قال حدثني أبي عن أبيه قال: رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول لي:

مات الحسان ابن الحسا ن ومات إحسان الزمان

فأصبحت من غد فركبت في بعض حوائجي، فتلقاني خبر وفاة إسحاق الموصلي.

وقال إدريس بن أبي حفصة يرثي إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

سقي الله يابن الموصلي بوابل من الغيث قبراً أنت فيه مقيم

ذهبت فأوحشت الكرام فمايني بعبرته يبكي عليك كريم

إلى الله أشكو فقد إسحاق إنني وإن كنت شيخاً بالعراق يتيم

وقال محمد بن عمرو الجرجاني يرثيه:

على الحدث الشرقي عوجاً فسلما ... ببغداد لما ضن عنه عوائده
وقولا له لو كان للموت فدية ... فداك من الموت الطريف وتالده
أإسحاق لا تبعد وإن كان قد رمى ... بك الموت ورداً ليس يصدر وارده
إذا هزل اخضرت فنون حديثه ... ورقت حواشيه وطابت مشاهده
إن جد كان القول جداً وأقسمت ... مخارجه ألا تلين معاقده
فبك على ابن الموصلي بعبرة ... كما ارفض من نظم الجمان فرائده

وقال مصعب بن عبد الله الزبيري يرثيه نسخت ذلك من كتاب جعفر بن قدامة، وذكر أن حماد بن إسحاق انشده إياها ونسخته أيضاً من كتاب الحرمي بن أبي العلاء يذكر فيه عن الزبير عن عمه مصعب أنه أنشده لنفسه يرثي إسحاق:

أتدري لمن تبكي العيون الذوارف ... وينهل منها واكف ثم واكف
نعم لامرئ لم يبق في الناس مثله ... مفيد لعلم أو صديق ملاطف
تجهز إسحاق إلى الله غادياً ... فلله ما ضمت عليه اللائف
وما حمل النعش المزجى عشية ... إلى القبر إلا دامع العين لاهف
صدورهم مرضى عليه عميدة ... لها أزمة من ذكره وزفازف
ترى كل محزون تفيض جفونه ... دموعاً على الخدين والوجه شاسف
جزيت جزاء المحسنين مضاعفاً ... كما كان جدواك الندى المتضاعف
فكم لك فينا من خلائق جزلة ... سبقت بها منها حديث وسالف
هي الشهد أو أحلى إلينا حلاوة ... من الشهد لم يمزج به الماء غارف
ذهبت وخليت الصديق بعولة ... به أسف من حزنه مترادف
إذا خطرات الذكر عاودن قلبه ... تتابع منهن الشؤون النوازف
حبيب إلى الإخوان يرزون ماله ... وآت لما يأتي امرؤ الصدق عارف
هو المن والسلوى لمن يستفيده ... وسم على من يشرب السم زاعف
بكت داره من بعده وتنكرت ... معالم من آفاقها ومعارف
فما الدار بالدار التي كنت أعتري ... وإني بها لولا افتقاديك عارف

هي الدار إلا أنها قد تخشعت ... وأظلم منها جانب فهو كاسف
وبان الجمال والفعال كلاهما ... من الدار واستنت عليها العواصف
خلت داره من بعده فكأنما ... بعاقبة لم يغن في الدار طارف
وقد كان فيها للصديق معرس ... وملتمس إن طاف بالدار طائف
كرامة إخوان الصفاء وزلفة ... لمن جاء تزجيه إليه الرواجف
صحابته الغر الكرام ولم يكن ... ليصحبه السود اللئام المقارف
يؤول إليه كل أبلج شامخ ... ملوك وأبناء الملوك الغطارف
فلقيت في يمنى يديك صحيفة ... إذا نشرت يوم الحساب الصحائف
يسر الذي فيها إذا ما بدا له ... ويفتر منها ضاحكاً وهو واقف
بما كان ميموناً على كل صاحب ... يعين على ما نابه ويكانف
سريع إلى إخوانه برضائه ... وعن كل ماساء الأخلاء صارف
أرى الناس كالنسناس لم يبق منهم ... خلافك إلاحشوة وزعانف

أخبرنا يحيى بن علي قال: أنشدني أبو أيوب لأحمد بن إبراهيم يرثي إسحاق في قصيدة له:

لقد طاب الحمام غداة ألوى ... بنفس أبي محمد الحمام
فلو قبل الفداء إذا فدته ... ملوك كان يألفها كرام
فلاتبعد فكل فتى سيثوى ... عليه الترب يحثى والرجام

قال وقال أيضاً يرثيه:

لله أي فتى إلى دار البلى ... حمل الرجال ضحى على الأعواد
كم من كريم ما تجف دموعه ... من حاضر يبكي عليه وباد
أمسى يؤبنه ويعرف فضله ... من كان يثلبه من الحساد
فسقتك يا بن الموصلي روائح ... تروى صداك بصوبها وغواد

وقد بقيت من أخبار إسحاق بقايا مثل أخباره مع بني هاشم، وأخباره مع إبراهيم بن المهدي وغيرها، فإنها كثيرة، ولها مواضع ذكرت فيها وحسن ذكرها هنالك، فأخرتها لذلك عن أخباره التي ذكرت هاهنا، حسبما شرطنا في أول الكتاب.

ألا قاتل الله اللوى من محلة وقاتل دنيانا بها كيف ذلت

غنينا زماناً باللوى ثم أصبحت عراص اللوى من أهلها قد تخلت

عروضه من الطويل. الشعر للصمة القشيري، والغناء لإسحاق، ولحنه المختار ثقيل أول بالوسطى في مجراها.